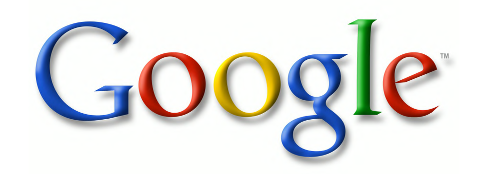
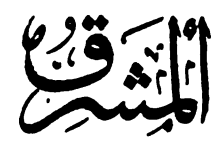




مجلّة كاثوليكيّة تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وأدبيّة وفنيّة

بادارة آباء كليّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الرابعة

١٩٠١

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠١

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S^t Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages, grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

QUATRIEME ANNEE

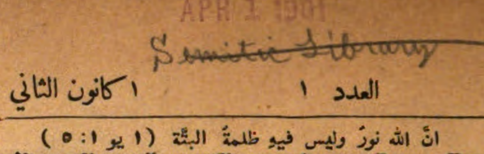
1901

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

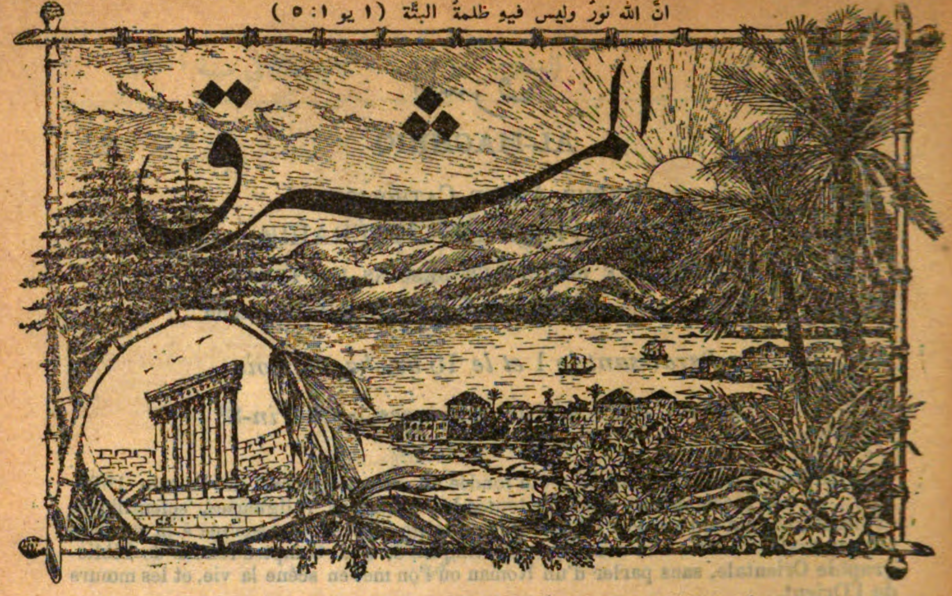
Imprimerie Catholique

1901



السنة الرابعة　　العدد ١　　١ كانون الثاني ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١ : ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّية القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ = 1901 -

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

1901

SOMMAIRE DU N° 1 (1 Janvier 1901)

فهرس العدد ١

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

المشرق

AL-MACHRIQ

Revue Arabe Catholique

SCIENTIFIQUE ET LITTÉRAIRE

ILLUSTRÉE SELON LES BESOINS DU TEXTE

Sous la direction des Pères de l'Université S^t Joseph

Paraissant le 1 *et le* 15 *de chaque mois*

en un fascicule de 48 *pages grand in*-8°

Cette Revue rédigée en arabe a été fondée au commencement de l'année 1898. Elle s'occupe spécialement d'étudier toutes les questions religieuses, scientifiques et littéraires qui ont rapport à l'Orient. Une large place y est réservée à la publication de textes inédits, aux nouvelles scientifiques et aux Comptes-rendus de Bibliographie Orientale, sans parler d'un Roman où l'on met en scène la vie, et les mœurs de l'Orient.

Des Revues comme le *Journal Asiatique de Paris, le Giornale della Società Asiatica italiana*, la *Revue Critique* ont signalé en termes flatteurs l'apparition de notre jeune Revue à l'attention des savants. D'autres comme *l'Orientalistische Litteratur-Zeitung*, le *Bessarione*, l'*Oriental List* donnent le sommaire de chaque numéro, rendent compte des articles plus importants, en font un résumé ; il en est même qui vont jusqu'à les traduire en entier. Ces témoignages de bienveillance de la part d'Orientalistes de premier ordre sont pour nous un précieux encouragement en même temps qu'un nouveau stimulant pour servir avec plus de zèle la religion et la science.

CONDITIONS DE L'ABONNEMENT

Un an : Beyrouth 12 franc — **Union postale** 14 **francs** — **Prix d'un numéro** 1 franc. — **Une remise** de 2 francs est accordée aux *abonnés* du **Bachir**.

AVIS

Les abonnés désireux de conserver réunis les numéros des trois années d'**Al-Machriq** pourront se procurer, à l'imprimerie catholique, une couverture en percaline gaufrée avec ornements et titre doré. **Prix :** 1 franc.

اعلان

قد اصطنعنا غلافاً جميلاً منقوشاً واسماً مذهّباً لتجمع فيه اعداد كلّ سنة من ٣ سني
مجلّة المشرق فمن احبّ ان يحصل عليهِ فليطلبهُ من المطبعة الكاثوليكية ثمنهُ فرنك

المشرق



سنتنا الرابعة

تِهْ أَيُّها ٱلْمشرِقُ ٱلوضَّاحُ مُبْتَسِمًا　　ذا عامُكَ ٱلرَّابِعُ ٱلْمَيْمُونُ قَدْ قَدِمَا
طَارَتْ صَحِيفَتُكَ ٱلغرَّاءُ نَاشِرَةً　　لِلدِّينِ وَٱلْعِلْمِ فِي أَقْطَارِنَا عَلَمَا
فَاشْكُرْ لِرَبِّكَ ما أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ　　وَٱهْتِفْ بِحَمْدِهِ مَا مَسَّتْ يَدٌ قَلَمَا

يوبيل كليتنا الفضيّ

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

نفتتح هذه السَّنة الجديدة بعيدٍ شائق وتذكار بهيج يملأنا وتلامذتنا الاقدمين فرحًا وسرورًا ويثير في قلوبنا عواطف الشكر وعرفان الجميل نحو الرّب المنّان ألا وهو يوبيل كليّتنا التي قضت باودهِ تعالى ربع جيل في خدمة الدين والوطن تحت ظلّ الحضرة السلطانيَّة العليَّة. وكانت في هذه المدَّة اشبه بالسراج الذي امر الرب بان يوقد فيجعل فوق المنارة ليستنير بضيائهِ ابناء الله ويمجدوا الاب الذي في السماوات

على انَّ نور هذا السراج كان بادئ ذي بدء ضئيلًا محصورًا في حدود ضيقة فلم يزل يزهر ويشعُّ حتى اضحى بعد ٢٥ عامًا ضوءًا ساطعًا وشهابًا لامعًا لا يخفى بهاؤهُ على ذي بصر. فحقَّ لنا في هذا العيد المجيد ان نسترسل لدواعي الحبور ونشكر ابا

الانوار الذي اطلع هذه الكليّة كالبدر المنير في فلك بيعتهِ وكالكوكب الثاقب في سماء ملّتهِ باسطين نحوهُ ايدي الضراعة ليحرسها في المستقبل بعينهِ الساهرة كما ايّدها في الماضي بيمينهِ الظافرة لمجد اسمهِ وفخر كنيستهِ وخير وطننا العزيز

ولا ريب انّ قرّاءنا الكرام يودّون لو نوقفهم بهذه النسبة على خلاصة تاريخ هذه المدرسة ومجمل اعمالها التي باشرتها لمجد الله الاعظم فاسرعنا الى تسطير هذه العجالة طالبين غضّ النظر عمّا يجدونهُ من الخلل والصفح من شيم الكرام

١

كانت الحفلة بوضع اساس مدرستنا الكليّة في بيروت يوم عيد العنصرة الواقع في ٢٤ ايّار من السنة ١٨٧٤. وقد تولّى هذه الرتبة سيادة الحبر المفضال يوسف الدبس مطران بيروت الماروني الجزيل الاكرام بحضور سعادة قنصل فرنسة العام المسيو روسطان الشهير مع لفيف حاشيتهِ وعدد غفير من وجوه البلدة. فما مرّ على هذا الاحتفال ١٦ شهرًا حتى تمّت أبنية الكليّة على طرز هندسيّ لم يُعهد لهُ مثال في بلادنا الشرقيّة. وكان القائم بهذا المشروع الاثير الابوان الفاضلان امبروسيوس مونّو (Monnot) وفرنسيس باليو (Fr.-X. Pailloux) اوعز اليهما إمام الاحبار السعيد الذكر بيوس التاسع بان يُطرفا الديار السوريّة بمدرسة عظمى كاثوليكيّة يتلقّن فيها الطلّاب العلوم العليا الدينيّة والدنيويّة فضلًا عن درس اللغات ومبادئ المعارف البشريّة. فلبّيا دعوة نائب المسيح وطافا الاقطار الاميركيّة لجمع المال اللازم لهذا المسعى الجليل وهما في اثناء ذلك يزاولان اعمال الرسالة والوعظ والرياضات فبارك الله اتعابهما وكانت ثمرة طاعتهما لاوامر الحبر الاعظم ان شيّدا هذه المباني الفخيمة التي تستلفت اليها انظار كل من وطئت قدمهُ ارض بيروت ولعلّ رائيها يعدّها كمعقل حصين وإن هي في الحقيقة الّا مركز للسلم وحصن للآداب

وجرى اوّل افتتاح المدارس في ٣ تشرين الثاني ١٨٧٥ بعد الابتهال الحارّ الى الروح القدس وتقدمة الذبيحة الالهيّة فما عتم التلامذة ان تقاطروا الى نادي العلوم الجديد من بيروت وضواحيها فاربى عددهم في تلك السنة على الثلاثمائة بين داخليين وخارجيين من جميع الطوائف والملل على انّ الوباء الفاشي عامئذٍ صدّ كثيرين عن الورود اليها

IHS

١٨٧٥ — ١٩٠٠

١ معكتبنا الطبي ٢ مدرستنا الكليّة ٣ كنيسة كليّتنا ٤ المشى الاعلى ٥ الممشى الاعلى ٦ المكتبة الكبرى ٧ المطبعة الكاثوليكيّة ٨ الاب مونو منشئ المدرسة ٩ الاب باليو مهندسها

ومما امتازت بهِ المدرسة الجديدة اتصافها بالكليَّة وذلك برُخصة نالتها من تعطُّفات الكرسي الرسولي والطاف الحبر الاعظم فصارت بذلك شبيهةً بالمدارس الرومانيَّة الكبرى يجوز لها بان ترقي الى الدرجات الشَّرَفيَّة لاسيما الملفنة كل طلبتها الذين انجزوا دروسهم العليا وقدَّموا في الفلسفة والطبيعيات واللاهوت النظري والادبي الامتحانات المنبئة باهليَّتهم. وقد اتخذت لها الكليَّة كحاميها الخاص القديس يوسف البتول خطيب العذراء الطاهرة واعظم اولياء الله ورأس العائلة المقدسة فانتمت اليهِ آملةً من شفاعتهِ المشفعَّة سوابغ النعم وديم البركات السماويَّة. وبناء عليهِ نُصب تمثال هذا القديس الجليل في باحة المدرسة فوق عمود مرتفع ليكون الحارس الاكبر لهذه الدار وساكنيها كما حرس في حياتهِ ابن الله من اعدائهِ

وفي منتصف ليلة عيد الميلاد الشريف من تلك السنة أُقيم القداس الاوَّل في كنيستنا الكبرى المخصَّصة بقلب يسوع الاقدس فازدحمت فيها جماهير المؤمنين حتى ضاقت بهم مع رحبها. وكان الحضور كلُّهم عيونًا شاخصة ليروا هذا المعبد الجديد بل الاثر القريد الذي لم يُعرف لهُ شبيه في بلادنا. وكانوا يعجبون لسعة ارجائهِ وتثليث اسواقهِ وارتفاع حناياهُ وبديع ترتيبهِ مع سذاجة هندامهِ يرون صحنهُ مفروشًا بصفائح الرخام الابيض والاسود وعواميدهُ المحلقة في الفضاء تدعو القلوب الى الترفُّع عن السفليَّات والتقرُّب الى الله بالصلاة. لكنَّ ابصارهم كانت متَّجهة بالخصوص الى المذبح الكبير وهو مزدان باصناف الزهور تنبعث منهُ اشعَّة الانوار كأنهُ شعلة نار فوقهُ تخفق الاعلام وتكتنفهُ ١٢ سارية اربع منها قطعة واحدة من حجر الصوَّان المحبَّب يتَّصل بها من الجهتين على مدار صحن الكنيسة خمسون عمودًا وفوق هذا الصفّ صفٌّ ثانٍ من السواري يعلوها جدار بنوافذ كبيرة من الزجاج الملوَّن والى هذا الجدار يستند السقف تتشعَّب العواميد من اعلاهُ الى اسفل الكنيسة

وفي ضحى النهار تُلي قدَّاس كبير بغاية ما امكن من الأبهة والرونق حضرهُ سعادة قنصل فرنسة مصحوبًا بآلهِ الكرام ومعيَّتهِ الجليلة وكلُّهم بثيابهم الفاخرة الرسميَّة. وكانت الموسيقى في اثناء الرتبة تطرب المسامع بجميع آلات العزف واجواقُ المرتلين يشنفون الآذان باصواتهم الشجيَّة

وفي العشر الثاني من كانون الآخر قدم من فرنسة رئيس المدرسة الجديد فصار لهُ

عند نزوله الى البرّ استقبال شائق من لفيف المعلمين والتلامذة. فاخذت الدروس مذ ذاك الوقت تجري على مجراها العاديّ وفقًا لنظام المدارس الاوربيّة العظمى مع مراعاة احوال بلادنا ورغبة الاهلين

امّا تقسيم هذه الدروس فجُعل على ثلاثة اقسام يشتمل القسم الادنى على اصول اللغتين الفرنسيّة والعربيّة مع مبادئ الحساب والجغرافيّة وذلك فضلًا عن التعليم الدينيّ. والقسم الاوسط على فرعين فرعٌ منهُ بسيط لا يشمل الّا الدروس الفرنسيّة والعربيّة مع ملحقاتها من العلوم الرياضيّة والتاريخيّة والحقوق التجاريّة ونهايتهُ في البيان. والفرعُ الاخر ذو طورٍ اعلى مضمونهُ الدروس الثانويّة كما هي شائعة في مدارس اوربّة منذ نيف وثلثمائة سنة وعليها المعوَّل في تهذيب اولاد الوجوه والأُسر الشريفة. ومن شأن هذه الدروس ان تشحذ فكرة الطلبة وتوطّنهم على اساليب الكتابة والخطابة وتقوّي قريحتهم وتستثير دفائن قلوبهم بمعرفة اركان اللغة الفرنسيّة واصولها المستعارة من اللغتين الشريفتين اللاتينيّة واليونانيّة. وهذه الطريقة تفضل على الاولى بكثير وتطبع في الذهن ملكة البلاغة. امّا القسم الاعلى فمرجعهُ الى الدروس المنطقيّة مع اقسام الفلسفة النظريّة والعمليّة ودرس الطبيعيات وعلم الهيئة والكيميا والتاريخ الطبيعيّ وبها تتمّ تربية العالمين. وللمترشحين لدرجات الكهنوت علوم خاصة بهم تدوم ستّ سنين أُخر وهي عبارة عن درس مطوَّل لفروع الفلسفة يليها علم الكلام وعلم الذمّة والحقّ القانوني وشرح الاسفار المقدّسة والتاريخ الكنسيّ مع درس العبرانيّة واللغات الطقسيّة

ولكلّ هذه العلوم اجازات وشهادات تؤذن بمعارف اصحابها فللعلوم الدينيّة المختصة بالاكليريكيين شهادتان شهادة المأذون (licencié) وشهادة المعلم او الملفان (docteur) وتنقسم كلتاهما الى مأذون ومعلّم بالفلسفة ومأذون ومعلّم باللاهوت. وكان اول من نال رتبة الملفنة في اللاهوت في مدرستنا حضرة القس الفاضل والعالم الكامل الاب مبارك المتيني الذي تولّى مدّةً الرئاسة العامّة على الرهبانية البلدية المارونيّة ثمَّ نالها بعدهُ خمسة عشر كاهنًا من طوائف مختلفة. وقد حظي بشهادة الملفان في الفلسفة عشرون تلميذًا

امّا الدروس الثانويّة الكاملة فانّ الدولة الفرنسويّة الفخيمة جازتها بان منحت لاصحابها بعد الفحص القانوني شهادةً شبيهة بالشهادات التي يحصل عليها الطلبة الفرنسويون

بعد نجاز دروسهم الثانويّة اعني شهادة الآداب او الباكالوريوس (bachelier) وهي قسمان الواحدة للبيانيين والثانية لتلامذة الفلسفة وقد بلغ حتى الان عدد الذين نالوا هذه الشهادة خمسة وستّين تلميذاً . على ان المدرسة لم تحرم بقيّة تلامذتها الذين لم يعكفوا على هذه الدروس الخاصّة شهادةً دون الشهادة السابقة تُدعى « شهادة الدروس العلميَّة والادبيَّة » نالها ١١٦ تلميذًا

وتردَّد الزوَّار في السنة الاولى للمدرسة الى كليَّتنا ليشاهدوا معاهدها ويقفوا على محاسنها . وكان من جملة الوفود كثير من ذوي الامر نخصُّ منهم بالذكر صاحب الدولة ناشد باشا والي ولاية سوريَّة الجليلة ورستم باشا متصرّف جبل لبنان والسادة الاجلاء مطارنة جميع الطوائف الكاثوليكية وقناصل الدول الكبرى واميرال السفينة البحريَّة شاتو رنو

وقد حضر هذا الاميرال مع حاشيتهِ باثوابهِ الرسميَّة حفلة المناولة التي جرت في كليَّتنا في ١١ حزيران من تلك السنة الاولى . والذي قام بهذه الحفلة كان السيد مادالينا اسقف كورفو ناول بيده اربعين ولدًا تقرَّبوا لاول مرَّة ثمَّ وزَّع سرَّ القربان الاقدس على المؤمنين نحو ثلاثة ارباع الساعة وكان يصحبهُ السيد تالبو احد خدم البلاط الواتيكاني الشرَفيين

وفي اواخر تلك السنة عاد الى فرنسة الاب مونُو منشئُ كليَّتنا والاب پاليو مهندسها ذهبا ورافقتهما القلوب شاكرةً لما بذلاهُ من الخدم الجليلة لمدرستنا بل للديار الشرقيَّة كلّها وبقي ذكرهما مطبوعاً على صفحات القلوب وجُعل رسمهما الكريم في ديوان المدرسة تنويهاً بمحامدهما واشارةً الى فضلهما . ولمَّا اغتالتهما يد المنيَّة منذ سنين قليلة فماتا ميتة الابرار بادرت مدرستنا الى اقامة جنّاز حافل لراحة نفسهما اجزل الله ثوابهما في دار البقاء

٢

ثمَّ توالت الاحقاب على مدرستنا الكليَّة وهي تزيد مع الاعوام تقدُّماً ونجاحاً فتنمو ثقة الاهلين بتعليمها ويتوفَّر عدد تلامذتها حتى ناهز في بعض السنين الخمسمائة والعشرين طالباً . وكانت في هذه الاثناء تشملها انظار القصَّاد الرسوليين وتردها من حينٍ الى آخر براءات الولاء والرضى من الكرسي الرسولي ويتعطف بزيارتها ائمَّة الدين

وممثلو الدولتين الجليلتين العثمانيّة والفرنسيّة فيصير لهم الاستقبال الجدير بمقامهم يحفى بهم عند الباب الكبير الرئيس والمعلّمون مع موسيقى المدرسة ثمَّ يقرّظهم بعض التلامذة باسم اقرانهم وكلّهم منتصبون في باحة الدار والداخليون منهم لابسون الملابس الرسمية

وممَّا ساعد على رفع شأن كلّيتنا همة روءسائها الافاضل نخصّ منهم بالذكر احدهم المرحوم الاب بليان هنري الذي عزّز الدروس وتوسّل بكل الوسائل لترقية العلوم والاداب بين التلامذة كالمحافل الادبية والفحوص الشهريّة والمبارزات المدارسية

ومن ذلك اختيار الاساتذة وغيرتهم في سبيل تقدُّم الطلبة . وقد اشتهر كثيرون منهم بوفرة معارفهم وسعة علومهم . ولبعضهم تآليف ينيف مجموعها على المئة في مواضيع شتى لاهوتية وفلسفية ولغويّة وبيانيّة وشعريّة وادبية في خمس لغات مختلفة . امَّا المؤلّفون من اليسوعيين فلا حاجة الى ذكرهم . امَّا غير اليسوعيين فهذه اسماؤهم : (١ً) الكهنة الفضلاء جرجس صفير ونعمة الله ابي كرم واغناطيوس جعجع ويوسف غاريوس ويوحنا الحائك وتوما ايوب . (٢ً) المعلّمون الادباء الشيخ ابراهيم اليازجي ويوسف حرفوش والشيخ سعيد الشرتوني ورشيد الشرتوني وخليل بدوي والشيخ سليم دحداح وخليل باخوس ويوسف ابو سليمان ونجيب حبيقة وشاكر عون وموسى صفير ويوسف الفاخوري

ومن ذلك ايضاً الجلسات العمومية والحفلات الادبية والروايات التشخيصية التي اعتاد تلامذة المحفلين الفرنسي والعربي ان يقيموها في اوقات معلومة فيدعى الى حضورها ارباب الدين والذوات واعيان البلدة واقارب الطلبة . وكثيرًا ما وجدنا من المدعوين الكرام ارتياحاً الى مثل هذه الجلسات الادبيّة فينشّطون التلامذة ويثنون على حسن آدابهم وإجادتهم في تمثيل ادوارهم . وممَّا زاد هذه الحفلات الادبية رونقاً ان مواضيعها كانت في الغالب شرقيّة محضة مدارها على تاريخ بلادنا . من ذلك رواية هرقل وانتصار الصليب وايمان لبنان ورواية القديس جرجس ورواية صدقيًا ورواية داود ويوناتان وآخر المكابيين والمهلهل وابن السموءل والبرامكة ورواية اخوي الخنساء وتنصُّر النعمان والشهيد الحارث والقديس يوحنا فم الذهب والقديس يوحنا الدمشقي والمأمون الى غير ذلك ممَّا اصاب وقعاً حسناً في الحضور ولهجت بمحاسنه الجرائد الوطنيّة على اختلاف نزعاتها . وبعض هذه الحفلات من انشاء التلامذة انفسهم فكان فضلهم متضاعفاً بتمثيلها ووضعها

على انَّ هذه الوسائل لتثقيف عقول تلامذتنا لم تكن لترضينا دون تربيتهم المسيحيّة

وتهذيب اخلاقهم وترويض طباعهم على الصلاح وليس لذلك طريقة امثل من غرس خوف الله وروح الدين في قلوبهم. ولليسوعيين في ذلك اليد الطولى كما هو مشهور. واذا لحظنا كلّيتنا نرى ان بقيّة المدارس حذت حذونا في هذا الصدد. فمن ذلك اننا خصّصنا في كل يوم وكل اسبوع وقتاً معلوماً ليوفّي التلامذةُ الدينَ حقَّهُ كتلاوة الصلوات اليوميّة وحضور القداس الالهي وقراءة الكتب التقويّة ودرس التعليم المسيحي واستماع الارشادات الروحية. ومنها ارشاد الاحداث الى مثابرة الاسرار التي يجد فيها المسيحي قوّتهُ لقمع شهواتهِ ومحاربة اعداء نفسهِ

ومنها الرياضات السنويّة يختلي فيها التلامذة مدّة ثلاثة ايّام فينقطعون الى امر خلاص النفس يرشدهم الى ذلك احد مفالق الواعظين. ومنها الاخويّات تؤلّف من نخبة الطلبة المتازين بتقواهم يجتمعون في ايام محدودة لاكرام السيدة البتول سلطانة الشبان المسيحيين وملاذهم في محن الحياة فيتعبدون لها بما لمكنهم من الاعمال التقويّة. ومنها اخيرًا تخريج تلامذتنا في المساعي الخيريّة كمساعدة الفقراء وزيارة ذوي البأساء وعيادة المرضى والتبرع على صغار المساكين بالملابس الجديدة في يوم مناولتهم الاولى الى غير ذلك من الوسائل التهذيبيّة التي تطبع في القلوب ملكة التقى وتحملهم على مُبارّة ابناء جلدتهم

وقد جازى الله مساعينا بما رأيناهُ في كثير من تلامذتنا الاقدمين من الترقي والنجاح بعد خروجهم من الكلّيّة. واول ما نذكر من هذا القبيل تلامذتنا الاكليريكيين فاننا نُعدّ تهذيبهم كاخصّ واجباتنا وأعذب فرائضنا لانّ عليهم المعوَّل في خدمة طوائفهم الكاثوليكيّة فاذا قاموا بما ينتدبهم اليهِ رؤساؤهم كانوا لملّتهم بمنزلة ملح الارض ونور العالم كما دعاهم الرب في انجيلهِ الطاهر

وقد خرج في هذا ربع القرن من مدرستنا الاكليريكية نحو اربعين كاهنًا تخرجوا فيها على كل آداب الحياة الكهنوتيّة وقد رُقّي بعضهم الى المراتب الكنسيّة العليا فاصبحوا ممّن تُناط بهم الآمال ويُشار اليهم بالبنان منهم بطريركان السيدان الجليلان كيرلُس مكار البطريرك الاسكندريّ على الاقباط وعمانوئيل يوسف توما بطريرك بابل على الكلدان. واربعة مطارنة او اساقفة السادة الاجلاء يوحنا مراد رئيس اساقفة بعلبك و يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس شرفًا والنائب البطريركي ومكسيموس صدفاوي

اسقف هرموبوليس وبطرس اغناطيوس برزي اسقف طيبة . ورئيس رهبانيَّة عام حضرة الاب الجليل الفاضل مبارك المتيني . ثم سبعة روساء اديرة او مدارس وثمانية عشر راهباً منهم من الرهبانيَّات البلدية وجمعيَّة الكريم ومنهم في الرهبانيات اللاتينيَّة من يسوعيين ولعازريين وكبوشيين وكرمليين وصهيونيين وافريقيين واخوة المدارس المسيحية . وقد نال بعضهم الامتيازات والالقاب الشرفية الدينيَّة وغيرها . وقد برز بعض هولاء في الكتابة فألفوا الكتب المفيدة وسيأتي ذكرهم قريباً ومنهم من يعلّم في المدارس الوطنية

امَّا تلامذتنا العالميون الذين درسوا في الكلّية وهم الآن يخدمون وطنهم فعددهم يداني ١٥٠٠ طالب اكمل نحو الثلث منهم دروسهُ في كليَّتنا والباقون قضوا فيها بعض السنين . ولا يسعنا هنا تعداد كل من اشتهر منهم وانَّما نكتفي بذكر بعض من فازوا بالالقاب الشرفيَّة او امتازوا بالرتب السياسية واشتهروا بالكتابة . فمنهم المركيز جان دي فريج والفيكونت فيليب دي طرازي وسعادة حبيب باشا السعد وسعادة الامير امين ارسلان قنصل الدولة العلية في بروكسل والوجيهان الفرد سرسق وجان توبني في السفارة العثمانية في باريس وسعادتلو جوزف كوَلَّا ترجمان دولة ايطالية والامير امين مصطفى ارسلان قائمقام طبرَيَّة ونجيب ومراد بك السعد مدير الجرد والتابعون لمعيَّة الولاية الوجهاء ميشال بمبينو (ثمَّ انتقل الى مكتب سكة الحديد) وعبد الله رزق الله شارّ واخوهُ سليم وكتبة قلم محاسبة الولاية ابرهيم وسليم ابنا رفعتلو حنَّا افندي عورا وكمال قزح ومعاون مدير اوراق الولاية عبد الله عورا ومعاون مدير الامور الاجنبيــة يوسف اده وكتبة قلم الامور الاجنبية كاميل اده

وقد اشتهر غيرهم في السفارات والقنصليَّات الاجنبيَّة كالامير حافظ شهاب وجان برستياني وقنسان برنباي وفرج الله كيد وحبيب دانيال ويوسف بوجــاد . وغيرهم في مناصب القضاء وفي مكاتب الوزارات المصريَّة كاحمد بك زوير وشكري بك ثابت وجرجس كحيل . ومنهم مَن عُرف بالهندسة ومحاماة الدعاوي ونظارة الزراعة كاوغست اديب وباخوس لبنان و يوسف خلاط وادمون بشاره وانطون اده وتوفيق مرزا وحنيب مخلوف وموسى لكح واسكندر لكح وسليم باز واسكندر عبود

امَّا التعليم والكتابة فقد نال تلامذة مدرستنا فيهما السهم المعلَّى نكتفي بذكر اسمائهم دون تعريف تآليفهم لشهرتها وهم غبطة البطريرك كيرلُس مكار ولهُ تآليف حسنة

والسيدان الجليلان يوسف دريان واغناطيوس برزي والكهنة الافاضل جبرائيل وبولس زغبي واوغسطين عازار ونعمة الله ابو كرم وحنا حويك وتوما ايوب والمنسنيور يوسف شرف الخازن واغناطيوس جعجع وبطرس عقل وبولس ابو صعب ويوسف ديب واثناسيوس سبع الليل وحنا دوس وحنا طنوس. والادباء الافاضل الامير يوسف شهاب واخوهُ الاميران اسكندر وحافظ وبطرس صليب وجرجس باز والشاعر سليم جدي ويوسف مردروس وسليم ويوسف صادر ونعوم صوايا وخليل الخوري

ومنهم مَن ينشئ الجرائد والمجلات او يكاتبها: حضرة الاب انستاس صاحب المقالات الرائقة في المشرق. والخوري نعمة الله ابو كرم محرر البشير سابقاً. والامير امين ارسلان وابراهيم ابو سمراء غانم والشيخان فيليب وفريد الخازن محررا الارز ويوسف قيقانو محرر لسان الحال وحنا نقَّاش وابراهيم نجار كاتبا المصباح. والخوري يوسف تاتي والآباء يوسف علوان ولويس معلوف وسبستيان ولويس رتزڤال وخليل اده وسايم اصفر والدكتوران حبيب درعوني وفيليب بركات وعبد الله رزق الله شارّ لكلّهم مقالات عديدة في المشرق. وشاكر ابو ناضر محرر روضة المعارف ورافائيل كك ونجيب طراد من محرّري المحبة وجرج سمان كاتب الشمس في دمشق وامين خوري محرر العثماني في الاسكندريّة والياس كنعان محرر السيّار

ألا انّنا نفتخر بنوع اخصّ بتلامذتنا الذين أُولعوا بعمل المبرّات وبذلوا نفوسهم في خير امثالهم. فممَّا يسرُّنا انَّ نرى احد تلامذتنا الاقدمين رئيساً على شركات مار منصور دي پول يعضدهُ في عملهِ كثيرون ممَّن تخرَّجوا في مدرستنا. وكذلك يطفح قلبنا سروراً لدى رؤيتنا عدداً غفيراً من طَلَبتنا الاقدمين لا يضنُّون بشيء من المساعي ويصرفون الدرهم عن يدٍ سخيَّة في الاعمال الخيريَّة التي أُنشئت في بيروت ودمشق وغيرهما

وقد سمع بعض تلامذتنا العالمين صوت الله يدعوهم الى خدمتهِ في الكهنوت والرهبانيَّة فلم يصمُّوا السمع دونهُ ونبذوا ظهريًّا كل آمال العالم ليخصصوا نفوسهم لله وعددهم اليوم يبلغ خمسة عشر وكلُّهم من عيال شريفة لم يطلبوا بالترهُّب غير وجه الله

وممَّا افعم قلوبنا فرحاً انّنا رأينا جملة من تلامذتنا في وقت دروسهم او بعدها

بقليل ماتوا موت الابرار وعطرونا بوفاتهم بعرف فضائلهم منهم اسطفان دِلاطلاَّ وفردريك شميل واخوهُ ارتور ويوسف نصَّار وميشال دهَّان وسابين پيراغالُّوا واسكندر ابو نادر وفوأد شهاب ولويس غنَّام ثابت ويوسف خوري واسطفان برتاليس ومارون شلفون وأديب يازجي وصاحب المبرَّات ميشال بسترس واسماعيل انور الذي مات في الكنغو ميتة الابطال في البعثة البلجكيَّة رحمهم الله رحمةً واسعة واسكنهم فسيح جنانهِ

٣

لا يمكننا ان نختم هذه المقالة الوجيزة عن يوبيل مدرستنا الفضيّ دون ان نلحقها بكلام وجيز عن الاعمال اللاحقة بها

واوَّلها مكتبنا الطبيّ الذي انشأتهُ الدولة الفرنسيَّة منذ ١٧ سنة ووكلت ادارتهُ الى رهبانيتنا. فنشأ ونما حتى بلغ الان صيتهُ حتى اقاصي البلاد. ولمَّا كان لتاريخ هذا المكتب واعمالهِ الشهيرة لائحة خاصة سنويَّة بالافرنسيَّة لا يسعنا الآن تلخيصها فنحيل القرَّاء الى مراجعتها اذا ارادوا. وحسبنا ان نقول هنا انَّ هذه المدرسة نالت حظوة في اعين دولتنا والدولة الفرنسيَّة معاً. وقد شهد ممثلوهما مراراً انَّها تجاري احسن المدارس المنشأة في حواضر البلاد وربَّما فاقتها بنشاط تلامذتها وحسن تدبير معلّميها. والمتخرجون فيها لا يقلُّون عن ١٢٠ نحو النصف منهم تلامذة مدرستنا الكلية

وما خلا هذا المكتب يلحق ايضاً بالكليَّة مدارس ابتدائيَّة عديدة تقوم مدرستنا بنفقاتها ليتهذَّب فيها احداث الطوائف كلّها مجَّاناً فيتعلمون فيها ما يلزمهم لمستقبلهم. وجملة هؤلاء الطلبة يبلغ السبعمائة ما عدا ما انشئ في ضواحي بيروت

ومن لواحق مدرستنا الكليَّة الاخويَّات العديدة التي يقوم بادارتها اباء رهبانيتنا منها ما كان قبل انشاء المدرسة كاخويَّة العملة التي يربو عدد اعضائها على ١٥٠٠ واخويَّة النساء واخويَّة اعيان البلد واخويَّة السيدات فان كلّ هذه الاخويَّات انعشتها حياة جديدة منذ نُقلت الى مدرستنا امَّا اخويَّة الشبَّان فهي من المنشآت الحديثة التي تسعى بصالح تلامذة المدارس بعد نهاية دروسهم لئلا يفسد طباعهم وباء العالم او تستفزَّهم الشباب فيغترّون بالاهواء المنحرفة ويسيرون وراء الملاذ القتَّالة

ويلحق بالمدرسة الكليَّة اعمال أُخرى كالمطبعة الكاثوليكيَّة (وقد مرَّ ذكرها في

المشرق) ومواعظ آحاد الصوم والسجود الليليّ للقربان الاقدس في اول جمعة كلّ شهر ورياضات عمومية عديدة منها جمهوريّة ومنها افرادية تقام في جنينة المدرسة لطبقات معلومة من اهل البلدة كالمعلمين والذوات والاطباء والشبّان. الّا ان ضيق المكان يقضي علينا ان نختم هذه المقالة لئلا نخرج الى الاسهاب المملّ

ولا يظننّ احدٌ اننا بتعداد هذه المشروعات نطلب بذلك مجدًا عاليًا او ثوابًا من الناس حاشا. وانما نريد فقط ان نمتثل امر الرب الذي اوعز الى شعبهِ بان يتخذ لهُ يوبيلًا اي يوم فرح يقضيهِ بذكر نعمهِ تعالى التي اسبغها عليهِ ثمّ يحيي في قلبهِ عزمًا جديدًا لمواصلة خدمتهِ للرب بل يزيد اجتهادًا في حفظ سننهِ وتمجيد اسمهِ عزّ وجلّ لهُ وحدهُ يحقُّ كل شكر ومجد الى آباد الابد آمين (١

اضغاث احلام في اول العام

بقلم الخوري الفاضل جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورا

الدهرُ يلتهم السنين فتنقضي ‎ ‎ ‎ وتعود آمالُ الشباب بلالا
عامٌ لنا يبدو وعامٌ ينطفي ‎ ‎ ‎ فنودّعُ الاعوام والآمالا
ونودُّ لو ان المشيب بُعَيدما ‎ ‎ ‎ فُقد الشباب يحسّن الاحوالا
فاذا بصوت الحقّ يصدع فات ما ‎ ‎ ‎ ترجون قد خلف الاسى الإقبالا

تنصرم الأيام والاحوال فتضمُّ المسرّات وتُقرّب الآجال ولسنا نحيّي بالبشر يومًا طالعًا قبل ان نودّع بالاسف آخر نازعًا لم يبقَ لنا منهُ سوى غصّات آفاتهِ وتشوُّق ملذّاته. تلك حال الزمان لن تحول وهذه شريعة الرحمان لن تزول. فلا تأسف على ما فات الّا لتستدرك ما هو آتٍ...

١) هذه اسماء الرؤساء الذين تقلدوا تدبير المدرسة منذ نشأتها : الاب اوغسطين طردي، (١٨٧٦) الاب رامي نرمان (١٨٧٧) الاب يليان هنري (١٨٨١) الاب طردي ثانية (١٨٨٤) الاب فرنسيس تيراس (١٨٨٧) الاب جبرائيل ادّه (١٨٩٠) الاب لوسيان كاتان (١٨٩٨) — وقد تولى ادارة الدروس فيها الاباء درو برتولي (١٨٧٥) ثم ارسانيوس مرل (١٨٧٦) ثم هنري شبران (١٨٧٩) ثم انطون كروزه (١٨٨١) ثم لوسيان كاتان (١٨٨٤) ثم كازيمر لوزيار (١٨٨٦) ثم جبرائيل ادّه (١٨٨٩) ثم اسكندر توران (١٨٩٠) ثم بطرس كلاقر موركو (١٨٩١) ثم هنري لامنس (١٨٩٦) ثم يوسف ماترن (١٨٩٧) ثم بولس برتو (١٩٠٠)

انَّ عاماً جديداً كان على وشك البزوغ وقرب نافذةٍ شيخٌ يحدّق بلهفةٍ الى القبة الزرقاء متأملاً نجومها الثواقب سوابح في غمار الفضاء لوامع على بسط الملا كأنهنَّ الاقحوان على الماء الراكد وهناك عند حدّ الافق نطاق الخواء الدائم

والبدرُ قاربَ متنَ البحر متّضعاً مودّعاً انجماً تبدي لهُ الاسفا
زهراً بدت في سخام الليل لامعةً تطوي فُليَّ السما لا تختشي عسفا
تسير سيراً لطيفاً في مسالكها تبدو تباعاً على مهل ولن تقفا
سُبلٌ بلا اثرٍ سيرٌ بلا ضجرٍ الفٌ بلا كدرٍ أعجبْ بها طُرفا

كان ذاك الشيخ يشخص حيناً الى هذا المشهد المؤثر ثم يطرق بعينيهِ الى الارض حيث لم يكن من يُعيد لهُ عطلًا من الفرح والراحة لانَّ السنين كانت تُدنيهِ من القبر وقد عبر من سلَّم حياتهِ ستون درجة غير حامل من ثمرات الشبيبة سوى الآثام والحسرات وهو مضعضع الصحة حزين النفس آسف الفؤاد ليس يلقى من ايام شيخوختهِ الّا اكداراً . وكانت ايام الفتوة تتمثَّل لديهِ فتذكرهُ وقتاً رهيباً جعلهُ فيهِ ابوهُ على مُلتقى طريقين تؤدي احداهما الى محط امانٍ وسعادة قطر خصب ورفاغية تتلألأ شمسهُ كالنضار فتبسط عليهِ اليمن والبهجة والاخرى الى محشر تراكمت فيهِ ظلمات وسُدَّت فيهِ ابواب النجاة مما هناك من الافاعي والسموم ولكن يا للاسف ان الافاعي كانت تنهش فؤادهُ والسموم تدنس شفتيهِ فعرف حينئذٍ اين هو . . . . . ورفع الى السماء ناظريهِ هاتفاً بفم لا يصورهُ كلام : ألا عُدْ ايها الشباب بل عُدْ بي يا ابتاهُ الى ملتقى الطريقين فأعدلَ الى المُثلى . ولكن انّى يعود الدابر وكيف يأوب الداثر . ثم شام شُهباً بخاريَّة تبدو فوق الانقع البعيدة ولا تلبث ان تنطفئ فقال في نفسهِ : كذلك هي ايام غوايتي

خُدعتُ فبعتُ الحقَّ بالبطل راجياً هناءً فكان العقدُ مجلبة الضرّ
وخلت ملذّات الشباب حقيقةً فكانت سراباً سامني ذلّة الشرّ
تَقضَّت وابقتْ حسرةً وتندُّماً فياليتني فضَّلتُ أنصاب ذي البرّ

ولم يكد ينتهي حتى حانت منهُ التفاتة واذا بنجم كانهُ البرق سرعة

يجري فيتبعهُ اثر البياض كما تخدّد الجرد يتلوها الحبا نسفا
يشقّ استار دجن الليل مُحترقاً كانّهُ يبتغي جعل الدجى سدفا
حتّى اذا ظنّهُ الساري دليل هدًى هوى فعاد الرجا يأساً بلي اللهفا

فصوَّر لهُ ذلك اي تصوير ما هو عليهِ من اشعبيّ الآمال وقريب المآل ولم يتمالك

ان تنهد الصعداء وهتف من كبد حرّى: وا لوعتاه هذه حالتي وكذلك سيكون منقلب امري ألا وان القبر سيضمني ضمّة واحدة تواريني في ظلمات الابدية ويطوي الدهر ذكري فيكون ما تمتّعت بهِ خيالًا وما رجيت وبالًا

فيا سيف الاسى لا ترحمنّي ويا ضيف الجوى لا تنأ عنّي
نصالَ العدل أصمي القلبَ مني ويا مثل الاحبّة انت دنّي
يحاكمني الشيوخ شهود سني ابا ربًا ولا يجدي التمنّي

كلام بائس يائس قد استحكم الندم منهُ قلبهُ المكلوم وانكشفت لهُ الحقيقة عن قضاء صارم محتوم فغبط شيوخاً قضى وايّاهم سنَ الشبيبة كانهم لهُ اخوان ثمَّ اعتسف دونهم طريق الصلاح فأرشدوهُ باقوالهم ولم يصغِ واستحثوهُ بامثالهم ولم يرتدع الى ان فرّقهم الزمان فأُكرموا حيث حلّوا وشقيَ حيث كان.وطوَوا الايام والاعوام برغدٍ وهناء حَلّيتهم الفضيلة وشارتُهم الاستقامة قدوة بنيهم وعيالهم واخنى عليهِ الدهر لتوغّلهِ في الغواية فثقلت عليهِ الحياة حتى استقبل بالاتراح ما استقبلوا بالافراح. ونال النقم من حيث نالوا النِعم. قد اغتبطوا بالعمر المديد وشكا وضحكوا للعام الجديد وبكى.... وفيما هو على هذه الحال تساورهُ الهموم وتنتابهُ الغموم اذا باصوات النواقيس دوت في اذنيهِ من على القبب كانها نغمات ملائكيّة ترافق خطوات الزمان احتفاء فذكّرتهُ والديه ورغائب كانا يتمنّيانها لهُ في مثل هذا اليوم العظيم فشقّت عليهِ الذكرى لانهُ استعاض من تلك الرغائب بالشوائب واستبدل تلك النصائح بالقبائح وعراهُ الخجل حتى من نفسهِ اذ لاح لهُ انهُ يسمع تبكيت ابيهِ من تلك القبة السماويّة التي كان يحدق اليها كانهُ يقول لهُ :

بنيَّ ليشملك التندُّم والجوى وبكِّ دمًا ان القضاء رهيبُ
اترفع نحوي ناظريك وانت لي عقوقٌ فيا للعار ذاك معيبُ
وماذا ترجّي في السماء وآلها احظًا وحظُّ الخاطئين لهيبُ
بنيَّ لقد اذللت نفسك للهوى وعتت فهلّا ترعوي وتتوبُ

فأطرق واجمًا تخلّصًا من هذا المشهد السماويّ الذي لم يكن ليجد فيهِ باعث سلوى وفاضت عيناهُ بالدموع السخينة تنهمل على بساط الثلج واشتدَّ عليهِ الحزن فاستأنف الهتاف: اوّاه عُدْ ايها الشباب عُدْ والوعتاه.. قال فنال وعاد اليهِ الشباب بنضرتهِ بعد ان افاق من رقدتهِ لانَّ شيخوختهُ لم تكن الّا حلمًا. امّا الثابت الباقي فكبواتهُ وآثامهُ

فهبَّ عند ذلك هبَّة المدهوش الوجل وشكر الله حميماً على انهُ لم يزل بعد شابًا يتمكّن من العدول عن طريق الرذيلة سعياً في طريق الفضيلة المؤدّية الى دار الامن والخصب والسعة

فتمثَّلوا بهِ ايهــا الشبَّان عدولًا اذا كنتم ضاهيتموهُ ذهولًا واعلموا يا رعاكم الله ان هذا الحكم الهائل سيكون لكم حكماً صارماً اذا الجأكم الحال يوماً ان تهتفوا: «عُدْ ايها الشباب عُدْ». فانهُ اذا ذهب لن يعود واذا استجدتم المشيب لن يجود. . .

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

وصفنا في نبذة سابقة (المشرق ٣ : ٣١٠) فضل كتاب صُبح الاعشى للقلقشندي واخترنا منهُ فصولًا في شعار الممالك الاسلامية استحسنها القرَّاء فاستزادونا من طُرَف هذا التــأليف الفريد. فاحببنا ان نُثبت اليوم فصولًا أُخرى جليلة كتبها القلقشندي في الخطّ العربي. ولما كان هذا الباب واسعاً يشتمل على نيف ومئة صفحة في الاصل اخترنا منهُ قسماً فقط لنطرف بهِ قرَّاءنا في مطلع هذه السنة الجديدة ل. ش

الفصل الاول

في فضيلة الخطّ

قال جعفر بن يحيي: الخطّ سِمطُ الحكمة وبهِ تُفصَّل شذورها وينتظم منثورها. وقال النظّام: الخطّ اصل الروح لهُ جسدانيَّة في سائر الاعمال الى ما يجري هذا المجرى (كذا). وقال ابراهيم بن محمد الشيباني: الخطّ لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووصيُّ الفكر وسلاح المعرفة وانس الاخوان عند الفرقة ومحادثتهم على بعد المسافة ومستودع السرّ وديوان الامور. وقال مُسلم بن الوليد: من عجائب الله تعــالى في خلقهِ وانعامهِ عليهم من فضله تعليمهُ ايَّاهم الكتابَ المفيــدَ للباقين حكمَ الماضين والمخاطِب العيونَ بسرائر القلوب على لغات متفرّقة في معانٍ معقولة بحروف مؤلفــة من الف وباء وجيم ودال متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحُها التفكير ونتاجُها التأليف تخرَس منفردةً وتنطِقُ مزدوجةً بلا اصواتٍ مسموعة ولا ألسن مسرودة ولا حركات ظاهرة ما خلا قلماً جوَّف باريهِ بطنَهُ ليعلق المدادُ بهِ وأرهف جانبَيهِ ليردَّ ما انتشر منهُ اليهِ وشقَّ رأسهُ ليحتبس الاستمداد عليهِ واربع من شفتيهِ ليجمع حواشي تصويرهِ اليهِ.

فهناك اشتدَّ القلم برشفهِ وقذف المادَّة الى صدرهِ. ثم مجَّها من شقّهِ بمقـدار ما احتملتْ شفتاه بتخطيط اجزاء النقط التي اراد بها الخطوط فالابصار لها سامية فاذا حكتْها الالسنُ فالآذان لها واعية. واولى اسمائها بهـا حينئذٍ الكلام الذي سداه العقلُ والحمَهُ اللسان وقطعتهُ الاسنان ولفظتهُ الشفتان وصدَّاهُ الجوّ وجرعتهُ الاسماع على انحاء شتَّى وسُمّيت لها الاشياء لتعريف متناكرها وتمييز متشابهها وتبيين معلومها من مجهولها. فمن ذلك فضـلَ الكتابُ الصناعات وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئاً مما يجري بهِ الخاطر او يميل اليهِ العقل او يلقيهِ الفهم او يقع عليهِ الوهم او تدركهُ الحواس الَّا والكتاب والكلام موكلان بهِ مدبّران لهُ معبّران عنهُ. فلمَّا ان تضمَّنت الحروف الدلالة وقامت الالفاظ بالعبارة ونطقت الافواه بكل لغة وتصرَّف النطق بكل جهـة فلم تكتفِ منهُ أُمَةٌ بأمَة ولم تستغنِ عنهُ ملَّة دون ملَّة. فعرب ذلك بلغـة العرب التي هي القاهرة لجميع اللغات المنتظمة لجميع المعاني في وجيز الصفات. ولو لم يكن من شرف الخطّ الَّا ان الله تعـالى انزلهُ على آدم او على هود عليهما السلام وانزل الصحف على الانبيـاء مسطورة وانزل الالواح على موسى عليـهِ السلام مكتوبة لكان فيهِ كفاية. وايضاً فان فيهِ من حفظ الحقوق ومَنع تمرّد ذوي العقوق ما يسطّر عليهم من الشهادات التي تقع في السجلّات والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة ولا ينالهُ الحاضر بمشافهة وان كثر حفظهُ وزادت بلاغته. ولذلك قيل: الخطّ افضل من اللفظ لان اللفظ يُفهم الحاضر فقط والخطّ يفهم الحاضر والغائب. ولله القائل في ذلك يصف القلم:

واخرسَ يَنطِقُ بالمحكماتِ وجثمانهُ صـامتٌ اجوفُ
بمكّةَ يَنطقُ في خفيـةٍ وبالشام منطقهُ يُعرَفُ

الفصل الثاني

في بيان حقيقة الخطّ

قال الشيخ شمس الدين بن الاكفاني في كتابهِ ارشاد القاصد في حصر العلوم: هو علم يُتعرَّف من صور الحروف واوضاعِها وكيفية تركيبها خطَّاً وما يُكتَب منها في السطور وكيف سبيلهُ ان يُكتب وما لا يُكتب. وابدال ما يُبدل منها في الهجاء وبماذا يبدل. (قال) وبهِ ظهرت خاصة النوع الانساني من القوة الى الفعل وامتاز بهِ عن سائر

الحيوان وضبط الامـوال وترتيب الاحوال وحفظ العلوم في الادوار. واستمرارها على الأكوار. وانتقال الاخبار من زمان الى زمان. وحمل سرّ من مكان الى مكان. وبهذه الفضائل حافظتهُ الغريزة الانسانيَّة على قبوله بطلب تعلّمه محافظةً لم يحتج بها الى تذكار بعد الغيبة ولهذه العلّة استغنى عن كتاب تصنف فيهِ. (ثم قال) وجميع العلوم انما تُعرف بالدلالة عليها بالاشارة او اللفظ او الخطّ. والاشارة تتوقَّف على المشاهدة. واللفظ يتوقّف على حضور المخاطب وسماعه. امَّا الخطّ فانهُ لا يتوقَّف على شيءٍ وهو اعمّهـا نفعاً واشرفها

واعلم انهُ قد تقدم في الكلام على اللغة (في النوع الاول مما يحتاج اليهِ الكاتب) انهُ ينبغي للكاتب ان يتعلم لغة من يحتاج الى مخاطبتهِ او مكاتبته من غير اللغات العربيَّة فلذلك ينبغي ان يتعلم من الخطوط غير العربيَّة ما يحتاج اليهِ من ذلك فقد قال محمد بن عمر المدآئني في كتاب القلم والدواة: «انهُ يجب عليهِ ان يتعلم الهنديَّة وغيرها من الخطوط العجميَّة» ويؤيد ذلك ما تقدم في الكلام على اللغة. ان النبي صلى الله عليهِ وسلم امر زيد بن ثابت رضي الله عنهُ ان يتعلم كتاب يهودٍ من السريانيَّـة او العبرانية فتعلمها وكان يقرأ على النبي صلى الله عليهِ وسلّم كتبهم ويجيبهم عنهُ

الفصل الثالث

في بيان المقصود من وضع الخطّ والموازنة بينهُ وبين اللفظ

امَّا المقصود من وضعهِ فاعلم ان وضع اللفظ لاداء المعنى الحاصل في الذهن المشعور بهِ للسمع اذ لا وقوف على ما في الذهن دونهُ ووَضع الخط لاداء اللفظ المقصود فهمهُ للناظر فيهِ. فاذا اردتَ ايقافك احدًا على ما في ذهنك من المعاني تكلّمت بالفاظ وُضعت لها. واذا اردت تأدية اللفظ لذلك الايقاف الى احد بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعة لتلك الالفاظ فيطالع تلك النقوش ويفهم منها تلك الالفاظ ومن الالفاظ تلك المعـاني. ولا علاقة معقولة بين المعاني والالفاظ على الامر العام ولا بين الالفاظ والنقوش الموضوعة ومن ثمَّ جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والروميَّة وغيرها

وامَّا الموازنة بينهُ وبين اللفظ فالاصل في ذلك ان الخط واللفظ يتقاسمان فضيـلة البيان ويشتركان فيها من حيث انَّ الخطَّ دالّ على الالفاظ والالفاظ دالَّة على الاوهام. ولاشتراك الخطّ واللفظ في هـذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من احوالهما.

وذلك انهما يعبّران عن المعاني الّا انّ اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو وان كان ساكناً فانهُ يفعل فعل المتحرك بايصالهِ كلّ ما تضمَّنهُ الى الافهام وهو مستقرّ في حيّزه ومكانهِ. فمن ثمَّ كما ان اللفظ فيهِ العذب الرشيق السائغ في الاستماع كذلك الخط فيهِ الرائق المستحسن الاشكال والصور وكما ان اللفظ فيهِ الجزل الفصيح الذي يستعملهُ مصاقع الخطباء ومفالق الشعراء والمبتذل السخيف الذي يستعملهُ العوام في المكاتبة والمخاطبة كذلك الخط فيهِ المحرَّر المحقق الذي تُكتب بهِ الكتب السلطانية والامور المهمّة وفيهِ المطلَق المُرسَل الذي يكاتب بهِ الناس ويستعملونهُ فيما بينهم. وكما انّ اللفظ يقع فيهِ لحن الاعراب الذي يُهجنهُ كذلك الخط يقع فيهِ لحن الهجاء. وكما انّ اللفظ اذا كان مقبولًا حلوًا رفع المعنى الخسيس وقرَّبهُ من النفوس وان كان غثًّا مستكرهًا وضع المعنى الرفيع وبعَّدهُ من القلوب كذلك الخط اذا كان جيّدًا حسنًا بعث الانسان على قراءة ما أودع فيهِ وان كان قليل الفائدة. وان كان ركيكًا قبيحًا صرفهُ عن تأمُّل ما تضمَّنهُ وان كان جليل الفائدة. ولمّا اشترك اللفظ والخطّ في الفوائد العامّة التي جُعلت فيهما وقعَ الاشتراكُ ايضًا بين آلتيهما اذ آلة اللفظ اللسان وآلة الخط القلم وكلّ منهما يفعل فعل الآخر في الابانة عن المعاني الّا انّ اللفظ لمّا كان دليلًا طبيعيًّا جُعلت آلتهُ آلةً طبيعيَّة. والخط لمّا كان دليلًا صناعيًّا جُعلت آلتهُ آلةً صناعيَّة. ولمّا تقاسمت الآلتان الدلالةَ كانت احداهما مناب الاخرى فاوقفوا اللسان على القلم فقالوا: « الاقلام ألسنة الافهام » وشركوا بينهما في الاسم فقالوا: « القلم احد اللسانين » (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

١

هلمَّ بنا الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر لأنَّهُ في ذلك العهد قد جرت حوادث الرواية التي نقصُّها اليوم على القارئ:

في ذات يوم من شهر شباط قارس البرد وغزير المطر شوهد خيَّال راقيًا في الطريق

المؤدية من برج صافيتا الى حصن سليمان في جبل اللكّام المعروف اليوم بجبل النصيرية .
وكان الخيَّال رجلًا عظيم الجثة مُحكم الخَلق قويّ العضل لفَّ رأسهُ بكوفيَّة كبيرة وعقد فوقها عقالًا ضخمًا أسمر اللون وكانت لهُ لحيــة كثيفة سوداء كالفحم تبين من تحت الكوفية محيطةً بوجهٍ أشرقت عليهِ أمائر الشجاعة وشدَّة القلب. وكان حاملًا بيسراهُ رمحًا طويلًا ومُرخيًا فوق عباءة لهُ من الصوف الاسمر المُعلَم بخطوط بيضاء حمالةً تتدلَّى منها قوس وجُعبة. وكانت القوس والجعبة في ذلك العهد السلاح المألوف عند اللبنانيين فلم يكن رجال الحرب منهم يتركونهُ لا في إقامة ولا في سفر(١

وكان الخيَّال قاعدًا على سرج مقعَّر كثير الارتفاع من ناحية طرفيهِ ورجلاهُ في ركابَين من النحاس العريض يرنّان كلَّما مسَّا خاصرتي الفرس. أما الفرس التي تحتهُ فكانت من الخيل العربية الاصيلة وقد بلَّلَ العرق بدنها اكثر من المطر الذي لم ينقطع لهُ خيط ومع ذلك كانت راقيــةً بنشاط في الطريق المتعوجة ما بين غابات السنــديان والصنوبر الكاسيَيْن لمنحدرات الجبل. غير انَّهـا لما انتهت الى عطفة في ذلك الشِعْب الضيق أجفلت بغتةً كأنها رأت شيئًا غير منتظر فالتفت الخيَّال ليتبيَّن سبب خوفهـا فشاهد صورة بشريَّة تنساب بين الأدغال القائمة على يسار الطريق فاوقف فرسهُ ونادى قائلًا: « مَن الرجل » ولما لم يسمع جوابًا نادى مرةً ثانيــةً وأخرج من جعبتهِ سهمًا فوضعهُ على وَتَر قوسـهِ. وكأنَّ الرجل المجهول سمع هذه الحركة فخرج من بين تلك الاشجار الملتفَّة ووقف على يسار الخيَّال وكان عظيم القامة وحشيَّ المنظر ذا لحية سوداء طويلة وعينين برَّاقتــين من فوق أنف طويل كأنهُ منقار النسر ولو كان الخيَّال ممن سبقت لهم عادة بمشاهدة سكان جبل اللكّام لعرف ان ذاك المجهول هو أحد الشيعة الاسماعيليَّة قطَّاع الطرق الذين بثُّوا مخافتهم في كل الناحية

حينئذٍ قال اللبنــاني بصوت شديد: ما وراءك ومن انت أصديق ام عدوّ ؟. قال هذا وقد وجَّه سنان رُمحهِ الى صدر الرجل المجهول

— اني مسافر مسكين دهمتهُ الزوبعة. وقد أتيتُ من حصن سليمان

— أمن حصن سليمان أتيت ؟ . قل لي اذًا كم يبعد حصن سليمان من هنا

— اذا لم تكن فرسك تعبانة تصل اليهِ قبل مضي نصف ساعة

١) راجع مؤرخي القرون الوسطى كيعقوب دي ڤتري

— هل الاب يوحنا في الدير ؟

— كان في هذه الأيام بقصر القليعة غير انهُ عاد امس الى مقرّه

— اذهب الآن في سبيلك ولكن اياك ان تتعرَّض مرَّة أُخرى لتخويف فرسي والَّا عاد عليك الامر وبالَا

—أسأل الله ان يسهل طريقك

ولمَّا تباعد الخيَّال قليلًا اخذ الاسماعيليّ يقول: « لقد اصبتَ حظًّا ايها الكلب اللبناني. ولو لم تكن راكبًا فرسًا من احسن الخيل ومتسلحًا بعدَّةٍ كاملة لرأيت مني الموت الزؤام (١ . وتربةِ سيدنا راشد الدين انك لن تصل الى حصن سليمان. آه لو استطيع ان أُنبه رفقاني الذين شتَّتهم الزوبعة »

وما كاد ان يفرغ من هذه الكلمات حتى دخل ما بين الادغال. ثم صفر صفرةً كريهةً كأنهُ ينادي اصحابهُ غير أنهُ لم يسمع جوابًا

امَّا الخيَّال اللبناني فكان يُصعِد في الجبل مطمئن البال وهو يترنَّم بالاغنية الآتية التي تذكر محاسن وطنهِ وأرزهُ العظيم

لبنان ملجا النصارى (٢ مأمن الرهبانْ حصنٌ حصينٌ وحامي حوزة الايمانْ
الحسن فيهِ تجمَّعْ وارزهُ فتَّانْ وماؤهُ كوثريٌّ وأهلهُ شجعانْ
في وسطهِ بشراي ذات العُلى والشانْ مدينةُ المقدَّمينَ وافرس الفرسانْ

وهي من جنس الاغاني التي تعوَّد اللبنانيُّون انشادها على طريقة « المواليا » دون ان يلتزموا فيها مراعاة الوزن وكل احد يعرف انها تبعث على الغم والحزن بلحنها الشجيّ ومع ذلك انعشت الفرس فنفضت ما تعلَّق من المطر على عُرفها وأخذت بنشاط ترتقي تلك الطريق الصخريَّة كانها تسير في ارضٍ مطمئنة سهلة

وما زال الخيَّال يجدّ في الارتقاء حتى وصل الى دارة الجبل لما توارت الشمس في الحجاب. وفي الدارة المذكورة وَهَيدة تشتمل على خراب هيكل قديم يُدعى بيت كيكي ويعرف عند سكان الجبل باسم حصن سليمان فحينئذٍ دقّ خاصرتي الفرس بالركاب فطارت بهِ مسرعةً حتى اوصلتهُ في اقل من لمح البصر الى السور العظيم المبني بالحجارة

١) راجع المجلَّة الاسيوية سنة ١٨٧٧ الجزء الاوَّل ٢) قال المتنبيّ :

وما الجبال لنصرانٍ بحاميةٍ ولو تنصَّر فيها الاعصمُ الصدعُ

الضخمة حول هيكل المشتري غير انَّ المحلَّ المذكور لم يكن الغاية المقصودة من سفرهِ فضلًا عن انهُ كان قليل الرغبة في مشاهدة الآثار العتيقة التي وقع منها تحت نظره انموذج غريب يستوقف الابصار (١

وعليهِ دخل وهو راكب فرسهُ من الباب الشمالي الى باحة فسيحةٍ تراكمت فيها الحجارة الضخمة والعمَد المتكسرة مع بقايا من اكأة العمَد والنقوش. وبينما كان سائرًا في تلك الباحة صدم سُنبك الفرس رأس تمثال صنعهُ القدماء لابولُون او لمينرڤة فتدحرج على البلاط دون ان يبالي بهِ ثم تقدَّم الى الداخل حتى وقف تجاه هيكل او معبد مسقوف كائن بالتقريب في وسط الباحة الكبيرة وكان في هذا الهيكل قديمًا تمثال عظيم للبعل المعبود في بيتوكيكي يُصعد اليهِ بسلّم بديعة الصنعة

غير ان البناية المذكورة مع كونها اعظم اثر باقٍ في سورية بعد قلعة بعلبك لم تستوقف الخيال الحكي عنهُ للتأمل فيها فنظر اليها نظرةَ رجل غير حافل بشيء من محاسنها ولوى عنان فرسهِ الى اليسار ذاهبًا الى بنايةٍ أخرى واسعة الارجاء تبعد عنها نحو مئة خطوة

وكانت هذه البناية جامعةً بين اوصاف قلعةٍ ودير معًا لان حجارة جدرانها تضاهي بضخامتها حجارة هيكل المشتري السابق ذكرهُ وقد حُفر ضمن دائرةٍ على بابها الكبير رسمُ صليب جميل. فلما انتهى اليها الخيال ذهب منهُ الطرب كل مذهب وصرخ قائلًا: « ها قد ادركتُ الوطر ونلت المبتغى فلا ريب عندي ان الصليب الذي أشاهدهُ دليل على ان هذا البناء هو دير القديسة تقلا وقد حان لي ان استريح من مشقة السفر. فمن برج صافيتا الى هنا ما زلت أُكافح المطر والبرد فطيبي نفسًا يا غزالتي »

قال هذا مخاطبًا فرسهُ التي كان يلاطفها بإمرار يدهِ على عرفها ثم أتمَّ كلامهِ معها وهو يقول: « ستجدين وراء هذا الباب معلفًا مملوءًا بالشعير ويجد خيَّالكِ المأوى والراحة اللذين اصبح كلانا في حاجة شديدة اليهما »

وكان الليل قد قرب وأُوصدت الابواب واندرت الزوبعة بمزيد الاشتداد وكان الرهبان قد اجتمعوا لصلاة المساء فخاب الأمل الذي توقعهُ الخيال من المبيت في الدير.

١) راجع مقالتنا في هذا الشان بمجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٠٠ ص ٣٠٤ (Revue de l'Orient Chrétien)

بيد انهُ حاول تنبيه من فيهِ بالصراخ والنداء فلم يسمعهُ احد لان الجدران كانت عاليةً ولم يكن في الخارج لا جرس ولا مطرقة فغضب وقلّب الرمح وضرب الباب بزُجّهِ ثلاث ضربات لعلّ أحدًا يجيبهُ . وكان الباب من خشب الزيتون مدرَّعًا بصفيحة ثخينـــةٍ من الحديد فلم تحدث الضربة فيهِ غير دويّ رنَّ صداهُ في مماشي الدير وحمل الكلاب التي في ساحتهِ الداخليَّة على النباح الشديد

وكان الخيال شابًا تغلي حرارة دمهِ في عروقهِ فاستشاط من الغيظ وأخذ يتأفف من اضطرارهِ الى المبيت تحت الفلاء في تلك الليلة الباردة و بينما هو يربط فرسهُ الى جذع شجرة من الخروب قريبة منهُ شاهد رأسًا عليهِ قبعـــة قد ظهر من نافذة صغيرة محتجبة فوق الباب بضخامة الحائط فبعد ان نظر نظرة تحفُّظ واحتراز ولم يشاهد غير رجل مسافر تقدَّم حتى بانت لحيتهُ البيضـــاء . فقال: من الطارق وماذا تريد ؟

— اني رجل مسافر بل ضيف ساقتهُ العناية الالهيَّـــة الى هنا ومرادي ان ابيت الليلة في الدير

فعندها تفرس الراهب في سلاح الخيَّال ولم يصدّق انهُ ضيف بسيط ثم قال لهُ: ألا تعلم ان ابواب الدير تُغلق بعد غياب الشمس لان الأيام التى نحن فيها قد كثرت فيها القلاقل والاضطرابات

— انَّ فتحهـــا يتعلق بك يا حضرة الاب والأنسب للروح المسيحي بل الاليق بدعوتك ان تُدخلني لاقضي ليلتي براحةٍ والَّا عرضتني للموت بردًا على باب الدير

— أقصر ايها الخيَّال عن هذا التوبيخ الذي ليس تحتـــهُ طائل فاننا لا نحتاج الى من يُبصِّرنا بواجباتنا فقد طالما اضفنا الناس وأويناهم في ديرنا . نعم انك تنزعج كثيرًا من قضاء ليلتك تحت المطر والبرد ولكن ما العمل والقانون لا يجيز لنا ان نفتح الابواب بعد مغيب الشمس ألَّا باذن الرئيس وترخيصهِ . تربَّص قليلًا فها انا ذاهب اليهِ لأُفاوضهُ في الامر

— حسنًا قلتَ فان لي مع الرئيس مسألة وقد أتيت في شأنها من لبنان

— فقال الراهب: هذا ما كان يجب ان تصرّح بهِ منـــذ الابتداء فقد عرفنا الآن انـــك صديق . . . !

ثم ادخل رأسهُ من نافذة المراقبة وأغلقها ومضى

وبعد دقائق قليلة سمع المسافر صوت مفتاح في داخل القفــل الكبير ولما كان الصدأ قد علا اسنانهُ صرّ صريرًا مزعجًا ثم انفتح الباب وخرج منــهُ الراهب ودعا الخيَّال للدخول فدخل جارًّا فرسهُ بلجامها

وبعد ان جاز ممشيَين معقودين وصل الى باحة الدير الداخليَّة فغرز رمحهُ في الارض وسلّم الفرس الى احد الخدم ومشى بعض الرهبان امام الرجل الغريب وهم يحملون مشاعل من خشب الارز كان لهيبهــا العَطِر ينوس فوق رؤوسهم وما زالوا يُدخلونهُ الغرف الفسيحة ويجيزونهُ الماشي الطويلة حتى أوصلوهُ الى المعهد المخصص بالضيوف وهو عبارة عن غرفة كبيرة معقودة لا زينة لها سوى بعض رسوم في الجدران على النسق البيزنطي مع بعض آيات من الكتاب المقدس بالسريانيَّة

وقد كتبت الآيات المذكورة على حيطان ناصعة البياض بحروف اسطرنجيلية جميلة لها لطافة اللون الازرق الاصلي وازدهار اللون القرمزي الخالص . وكان في السقف قنديل من سبع شُعَب دلالةً على مواهب الروح يرســل نورًا غير متساوٍ على جهات الغرفة فتضيء بعض انحائها بنورٍ لامع ولا يبعث الى الانحاء الأخرى بسوى ضوء خفيف

وما كاد الخيَّال يدخل الغرفة المذكورة حتى خلع عباءتهُ المتبلّلة بالمطر وبادر الرهبان فاتوا بنار ادفاء لضيفهم الذي خبَّلهُ البرد الشديد في تلك الجبــال ولما استراح هنيهةً جاؤوه بطعام مؤلف من بعض البقول وشيء من اللبن وبعض الاثمار الناشفة واضافوا اليها كأسًا من الخمر الذهبية اللبنانية حفاوةً بالقادم

وكان الخيَّال في تلك الاثناء سَكوتًا عبوسًا لا يجيب الرهبــان على ما خاطبوهُ بهِ من عبارات المجاملة والايناس الزائد بغير السلام الاعتيادي ولكنهُ لما فرغ من الاكل وتناول الخمر التي قُدِّمت لهُ انطلق لسانــهُ

٢

فأخذ يتكلم قائلًا اني آتٍ من بشراي مُكلّفًا بإبلاغ امر مهمّ الى حضرة رئيس الدير من قبل سيدي ومولاي المقدَّم رزق الله بن جمال الدين بن سيفا

فعند هذه الكلمات هاجت في الرهبان رغبــة الوقوف على الأمر الذي أرسل في شأنهِ وتاقوا الى الاطلاع عليهِ . وكان كثيرون منهم لبنانيي الاصــل فتحركت عند

ذكر وطنهم عاطفة الشوق اليـه . ومحبة الوطن كما لا يخفى هي آخر ما ينطفئ في قلوب رجال الله من العواطف البشرية

واما المقدَّم رزق الله فان جميع الرهبان كانوا قد سمعوا باخبـاره بل ان اكثرهم كانوا يعرفونهُ شخصياً فلهـذا ودوا ان يعلموا من الخيَّال فوق ما علموا غير انهم لم يتجاسروا على سؤالهِ لانَّ عظم قامتهِ والشجاعة التي كانت انوارها تتلألأ ساطعةً على جبينهِ اوقعت في قلوبهم هيبةً لهُ ووقاراً

وبعد أن مضى زمن والجميع سُكوت استأنف الخيَّالُ الكلام قائلاً : بما اني مضطرٌّ الى السفر غداً عند طلوع الفجر ارغب لو سمحتم لي بمواجهة حضرة الرئيس في هذه الليلة لاقدم لهُ واجبات الاكرام وابلغهُ المهمة التي انا آتٍ في شأنها

فما نطق بهذا الكلام حتى اجاب الرهبـان كلهم بصوت واحد قائلين: اننا لا نسمح اصلاً بسفرك . وان اصررتَ عرَّضتَ نفسك للعطب قبل مشاهدة لبنـان . ألا تسمع زئير الزوبعة وصفير الارياح

وكأنَّ السماء ارادت وقتئذٍ ان تؤيد كلامهم فقصف الرعد قصيفاً هائلاً اهتزَّت لهُ جوانب تلك البناية العظيمة وزادت الزوبعة شدَّةً وارسلت السماء سيولاً من المطر حتى تحوَّل وادي حصن سليمان الى شبه بحيرة من ماء

وكان الرجل الغريب يشتهي ان يستريح من اتعاب السفر الشاق الذي عاناهُ فوقع عندهُ الحاح الرهبان ببقائه عندهم موقع القبول . ثم تناول كأساً ثانيـةً من الخمر فزادت لسانهِ انطلاقاً وجرَّأتهُ على مفاوضة الرهبان في اصل ديرهم قائلاً : اي شيء حبَّب اليكم الإقامة في هذه الجبال الموحشة البعيدة كثيراً من لبنان

فاجابهُ كبير الرهبان ان اصل هذا الدير قديم جداً ولا ريب انك عند وصولك الى هنا لاحظت أخربة الهيكل الكبير ففي هذا الهيكل كان الفينيقيُّون يعبدون اله البعل الذي عبدهُ الرومانيُّون بعدهم ولقبوهُ بالمشتري . وقد كان هذا الهيكل كسائر المبـاني الوثنية المشيدة في الجبال عشاً للدعارة ومرتعاً لانواع الفساد . فلما اكتحـل قسطنطين الكبير بضياء النصرانيَّة صرف همتهُ في بادئ الامر الى ازالة هذا الشر فأصدر أوامرهُ الشديدة بهدمهِ ولكن لم يوجد من يجسر على تنفيذها لان الاهـالي المقيمين في جوارهِ كانوا متعلقين بهِ محبين لبقائهِ على حالتـهِ ولذلك طردوا اقبح طردٍ من ذهب

اليهم من المرسلين اصحاب الغيرة ليزيلوا اوهامهم في شأنهِ لا بل انهم جرَّعوا بعضهم كاس المنيَّة ايضاً. وكان برج صافيتا يدعى وقتئذٍ «أرجير وكسترون» ولم يكن يُشاهَد المسيحيُّون في محل سواه من هذه الجبال لانهُ كان مركز الحاكم العام على الناحية من قبل الامبراطور. ودام هذا الهيكل نحو قرن بعد وفاة الامبراطور غير ان عدد زائريهِ كان قد تناقص قليلاً فأمر الامبراطور ثاودوسيوس الكبير بهدمهِ وقلب ما كان فيهِ من الأصنام

— وهل أتت اعمالهُ بما كان مأمولاً من النجاح ؟

— ان كل ذلك لم يُسفر عن شيء لانهُ بقي في هذه الجبال عدد غفير من الوثنيين كانوا يزورون خِرَب الهيكل و يقدُّمون فيهِ الضحايا على مذابح ينصبونها في الفلاء. فلما علم بما هو جارٍ اساقفةُ حمص وحماة واريتوزه ولاريسا ولاذقية لبنان(١ وايرمنية وباعنتل (الرستن) ومريمين وسائر المدن اخذوا يجدُّون في البحث عن افضل الوسائل واقواها لاستئصال ما كان باقياً من الآثار الوثنية. وكان ذلك بعد سنوات قليلة لوفاة القديس المعظم مارون الناسك الذي كانت كل سوريَّة الشماليَّة تتحدث وقتئذٍ بفضائلهِ السامية وكيف انهُ اقام مع تلاميذه بالقرب من هيكل للاصنام فحوَّلهُ الى كنيسة لعبادة الاله الحقيقي (٢ فقرَّت اراء الاساقفة على معالجة داء هذه الجبال بالعلاج الذي اصاب نجاحاً في بلاد قورش. وكان بالقرب من هيكل بيتو كيكي بناء كبير لسكنى كهنة الهيكل المذكور فحوَّلوه الى دير للرهبان وفي عهد الصليبيين التجأ اليهِ فريق من ابناء القديس مبارك الذين نحن خلفاؤهم الآن في هذا المقام

— قد فهمتُ كل ما اوضحتهُ لي ايها الاب المحترم وعرفت الآن نوع الهندسة الملتزمة في هذا البناء وبان لي سبب تصوير الجنّ والنسور التي اراها منقوشةً على جدران هذا الدير. و بينما كان احد الرهبان يهمّ بان يملأ لهُ الكاس للمرة الثالثة حوَّلها عنهُ قائلاً: يكفي ما قد شربتهُ ايها الاب المحترم و ينبغي ان لا اذهل اني في هذا المساء عينه لا بدّ لي من مبارحة حصن سليمان وكل عاقة تحصل تأتي بضرر بليغ فان القوم في بشراي يعدُّون ساعات غيابي عدًّا وينتظرون عودتي بفارغ الصبر

١) لاريسا تدعى الان شيجر ولاذقية لبنان كان مركزها في تلّ نبي مندو

٢) راجع ثاودوريطوس في تاريخهِ الديني

فلما رأى الرهبان الحاح ضيفهم قام أحدهم مسرعًا الى غرفة الرئيس فلم يجده فسار الى الكنيسة فرآه مقبلًا على التأمل والصلاة العقلية . وكان الرئيس رجلًا فاضلًا وراهبًا تقيًا لا يخرج من قلايتهِ الّا الى الكنيسة للصلاة او الى املاك الدير القريبة لمزاولة اعمال الفلاحة

٣

كان الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا شخصًا نادر المثال يبدو على وجههِ من ملامح الاعيان والكبراء وفي حركاتهِ من اساليب الكياسة والظرف التي كان يجتهد في اخفائها تحت برقع السذاجة ما يدل دلالةً واضحةً على انهُ خالط الاشراف قبل لبسهِ الثوب الرهباني وفضلًا عن ذلك فقد تجمَّل بمعارف واسعة وكان ما خلا العربيَّة والسريانية واليونانية يجيد كثيرًا من لغات المغرب

واما قامته فكانت مع طولها مستقيمة كعالية الرمح بالرغم عن بلوغهِ الخامسة والسبعين من العمر وفي بعض الاحيان كانت تلوح في عينيهِ ومحيَّاه هيأة السلطة والامر غير انهُ كان ينتبه لها في الحال فيقطعها بالابتسام . ولو قدرنا انهُ لم يكن رئيسًا لكان من الممكن تمييزهُ حالًا عن الرهبان المحيطين بهِ فقد كان يفوقهم بسامي مداركه اكثر مما كان يفوقهم بطول قامتهِ

ولم يكن احد من الرهبان يعرف اصل الاب يوحنا معرفة اكيدةً . وكان اذا تكلم العربية يظهر في كلامهِ شيء من الرطانة ينبئ بكونهِ غريبًا عن اللغة . وغاية ما كان قدماء الرهبان يعلمونهُ عنهُ هو انهُ منذ اعوام عديدة اتى من لبنان طالبًا قبولهُ في دير حصن سليمان . اما قبل ذلك فلم يكن احد يدري بشيء من امره لاسيَّما وانهُ كان يحترز كل الاحتراز من التصريح باسمهِ قبل ترهبه ولهذا كان اخوتهُ الرهبان يتوقون بمزيد الرغبة الى تمزيق حجاب الخفاء عن حقيقة حالهِ وكان قد شاع بينهم انهُ رجل من ابناء أُسرة شريفة جدًا في بلاد المغرب قام منها عدد من الملوك فحكموا اورشليم في عهد الصليبيين وانهُ لما جاء ذات يوم الى زيارة قبر السيد المسيح احبَّ ان يدفن مجد اجدادهِ وفخارهم بانحيازه الى الرهبانية

هذا ما كان يتحدث بهِ الرهبان المذكورون ومما اتفق لأحدهم أنهُ اشار ذات يوم بحضور الرئيس المذكور الى شرف أُسرته اشارات طفيفة فلاقى منهُ توبيخًا مرًا اذ قال لهُ :

هل تجهل ايهـا الاخ ان الراهب ينبغي ان يموت عن الدنيـا وانهُ ما عاد يحقُّ لنا ان نلتبه الى ما وضعهُ المجد العالي من الامتيازات واذا كانت المسـاواة واجبةً على أحدٍ فهي على الرهبان اوجب لانَّ الفضيلة في الدير هي الوسيلة الوحيدة للامتياز

غير انهُ بالرغم عما اتصف بهِ الاب يوحنا من الاتضاع كان الاعتبار المحفوف بهِ من قبل بطريرك لبنان والمقدم رزق الله والاب غريفون يدني الاشاعات السابق ذكرها الى الصدق ويقرّبها من الحقيقة لاسيَّما وقد عُرف انهُ تولَّى مدة من الزمن تهذيب اولاد مقدّم بشراي. ولما شاهد اللبنانيين يغالون في اكرامهِ فرَّ الى احدى الحـابس في وادي قديشا فاختبأ بها. وكانت محبسته هناك عبـارة عن غارٍ من الصخر معلق بين السماء والارض فقضى زمناً وهو يعيش عيشة الملائكة الابرار. ولكن لما دري بهِ الناس بادر في الحال فاتى يطلب ملجأً في هذه الناحية المجهولة من جبـل السماق حيث صار قدوةً للرهبان ومثالاً لهم في تواضع والكفر بالذات. ومع انهُ شيخ متقدم بالخامسة والسبعين من سنهِ كان يحافظ كل المحافظة على الصيامات (ستأتي البقيَّة)

بديعية الخوري ارسانيوس الفاخوري

في الطفل يسوع

قد ورد في ديوان الخوري ارسانيوس الفاخوري ثلاث بديعيَّات طُبعت منها اثنتان. وهذه الثالثة لم تزل دون طبع فاحببنا نشر نخبةٍ منها بنسبة اعياد الميلاد وشهر الطفل يسوع (المشرق)

الالتزام	إنّي لأحكام القضـاء مُسلّمُ	ولسان حالي بالهوى متكلّمُ
الجناس الملفّق	ظبيٌ أرى قدمي بسَعْيٍ في هوا	هُ قد اراقَ دمي لأنّي مُغرَمُ
التفصيل	قد افتنَ العشّاقَ باهي حسنهِ	فالحسنُ فيهِ جوهرٌ لا يُعدمُ
الاستطراد	أنوارهُ للعين قد راقت كما	قد راق بدرٌ في ليالٍ تُظلمُ
المدح بمعرض الذمّ	لا عيب فيهِ سوى جمال باهرٍ	تُزرى بهِ الاقمارُ ثمَّ الانجمُ
الاطراد	ابنُ البتولةِ مريمٍ وابنُ العلي	ويسوعُ يُدعى ذا الوليدُ الاعظمُ
الاعتراض	في الغار مولودًا بدا وهو القد	يمُ فأرضعتْـهُ من حليبٍ مريمُ
الجمع مع التقسيم	ولهُ الملائكُ في ذراهُ بخدمةٍ	فمُهلّلٌ ومُسبّـحٌ ومُرنّمُ

التعليل	حاز السنا في بيت لحمٍ مذودٌ	اذ نامَ فيه ذو السنا المُتَجَسِّمُ
الانسجام	ظبيٌ أغنُّ يزورنا وبلطفهِ	نلنا النجا وبحمدهِ نترنَّمُ
المذهبُ الكلاميّ	لولا تأنُّسُهُ لما خلص الورى	بل لم يَنَل مجدَ السما المُتألِّمُ
نوع النوادر	حملَ النسيمُ كتابةَ الحاوي السلا	مِ لنا بمسكٍ من يديهِ يُختَّمُ
التمكين	فهو الهٌ كائنٌ أبدًا وإنسانٌ	معًا لا يعتريهِ تقسُّمُ
تنسيق الصفات	حَسَنُ الطباعِ كريمةٌ اخلاقهُ	ربٌّ قديرٌ كاملٌ متكرِّمُ
التفسير	فيهِ قنومٌ واحدٌ اعني إلٰهيًّا	بذا الدينُ القويمُ يُعلِّمُ
الترديد	هذا الجميلُ وبالجميلِ أتى البرا	يا خلقَهُ الباهي الجميلَ المنعمُ
الترصيع	طفلٌ بهيٌّ ثغرهُ مُتَبَسِّمٌ	نجلٌ عليٌّ قدرهُ مُتعظِّمُ
التفريق	رشأٌ ظريفٌ ظُرْفُهُ هو دائمٌ	والظرفُ في رشاٍ يزولُ ويُعدَمُ
المماثلة	ببهائهِ متوحّدٌ بطباعهِ	متكمّلٌ لكمالهِ مستلزمُ
المناسبة	ولطيفُ جسمٍ لطفهُ مستغربٌ	وظريفُ شكلٍ ظرفهُ متحكِّمُ
العكس	نفس الجمالِ جمالُ نفسٍ مُتيَّمٍ	لكمالِ كلِّ العاشقين مُتيَّمُ
التسميط	باهي السنا كلُّ المُنى مُعطي الهنا	نافي العنا كنزُ الغنا والمُكرِمُ
إلحاق الجزئي بالكلّي	فهو الضِيا والعالمُ القُدُسيُّ وال	خيراتُ جُمعٌ والنَّدى والأنعُمُ
الاتساع	طفلٌ وشيخٌ في فعال صبائهِ	والكلُّ في أمرٍ لهُ مستسلمُ
التشبيه	عيناهُ مثلُ حمامَتَينِ على مجا	ري الماء نحوَ هيامنا متوسّمُ
التدبيج	نجلٌ حبيبٌ ابيضٌ بل اشقرٌ	وبياضُهُ لسواد قلبٍ يُعدِمُ
التجزئة	فسناؤهُ متكرِّمٌ وضياؤهُ	متضرِّمٌ وسخاؤهُ متعظِّمُ
ائتلاف اللفظ والوزن	صيغت يداهُ من سبيكة عسجدٍ	في مضجع النردين يومًا ينعمُ
ائتلاف اللفظ والمعنى	تحكي ضفائرُهُ سُعوفَ النخل بل	مثل الغراب سَوادُها المُتفحِّمُ
المعمّى واللّغز	فرعٌ بهِ يشفي لصبٍّ قلبَهُ	وعداهُ من تصحيفهِ تتهزّمُ
التمثيل	ويروقُ منهُ العينَ مطلعُ فرقهِ	والصبحُ يحلو ثغرهُ اذ يبسمُ
الاقتباس	شفتاهُ مُرًّا تقطران وحلقُهُ	حلوٌ يروقُ العين منهُ المبسمُ
التشريع	جاء السنا فالليلُ ماطَ ازارهُ	وافى الهنا ونأى الشقاء المُسئِمُ
الجناس المشتقّ	في الارض ضاء ضياؤهُ فهو الضيا	وبهِ استضا كلّ الأنامِ وآدمُ

التوشيع	للمعشرَين العُرب والعجم الضيا	ء هداهمُ وعن الضلالة أحجموا
الفرائد	وبهِ العروسةُ رنَّمت بنشيدها	عقدَ المديح بدرّ لفظٍ تنظمُ
المبالغة	عنقودُ كافورٍ حبيبي عرفهُ	قد عرَّف الدنيا وفيهِ تنعمُ
التفريع	ما روضةٌ فاقت شذًا يوماً بأطيبَ من شذًا منهُ ينمُّ ويَعظُمُ	
الاغراق	لو .شمَّهُ الاعمى لأبصر ناظرًا	والطِّيب منهُ لكلّ جرحٍ بلسمُ
الغلوّ	واذا على ميتٍ صباهُ تنسَّمت	فبذا النسيم يكادُ يحيا المعدمُ
التلميح	فتخالُ جسماً آلِشاعٌ مسَّهُ	فتبارك اللهُ المعيدُ المحكمُ
التسهيم	ظبيٌ حبيبي فهو لي وانا لهُ	وبنار حبّ في الهوى اتضرَّمُ
العقد	قُل أينَ ترقدُ في الظهيرة قائلًا	أم اين ترعى جائلًا لا اعلمُ
ائتلاف المعنى والوزن	انَّ المحبة أضعفتني للنوى	واذابني شوقٌ اليهِ مُسقمُ
الاشارة	واذا رأيتم من لهُ نفسي حيثـ	م صِفوا لهُ ما بي عسى لي يرحمُ
المزاوجة	فاذا الحبيب دنا برئتُ من الجوى	واذا الوصالُ بَدا فيبرا المُغرَمُ
الجمع مع التفريق	وهو السنا للصحبِ طُرًّا مُرشدٌ	والنار للاعداء سالٍ مُعدِمُ
تجاهل العارف	أجمال وجهٍ ام سنا قمرٍ بدا	منهُ على اهل الهوى يتحكَّمُ
الارداف	بدرٌ محلّ الحبِّ مني مالكٌ	وعلامة التمليكِ فيهِ توسمُ
الايغال	وبحبهِ استولى على اجزائهِ	فغدا بجملتهِ لهُ لا يُقسمُ
التطريز	فالحبّ والتمليك منهُ والولا	هو مغنمٌ هو مغنمٌ هو مغنمُ
التورية	لوصالهِ اهوى البكا وفناء عـ	ـينٍ بل أجودُ بما ملكتُ وأكرمُ
التوشيح	لهُ انثرُ الدمعَ السخيَّ تشوُّقًا	درًّا وفي سلك الهوى لهُ انظمُ
الاتفاق	فهو المسيح الناصريُّ المشتهى	والنصرَ يُؤتى مَن اليهِ يقدمُ
الايجاز	ختمَ العتيقةَ شرعهُ ومجيئهُ	للانبياء وقولهم هو مختمُ
التكميل	حملٌ فدا كلّ الأنام بذبحهِ	فسما حنوًّا والفِدى ذاك الدمُ
التتميم	قد مات طوعاً بالصليب معلَّقًا	ونجا بذاك الموتِ حقًّا آدمُ
العنوان	وبفصحهِ نجتِ الأنام كما نجا	في فصح موسى شعبهُ المتظلّمِ
المساواة	بقيامهِ وصعودهِ فتح السما	لاهوتهُ للمعجزات متمّمُ
التنكيت	ربٌّ تسامى رأفةً فمذكّرٌ	نعماهُ ذاك البحرُ سوفُ القلزمُ

التوزيع	انعامهُ عمَّ العفاة معزّيًا	وجميعهم عادوا بعزٍّ يعظُمُ
المؤتلف والمختلف	ساوى الملائكَ بالطهارة والتقى	وعليهم بكرامةٍ متقـدّمُ
التعطّف	مولًى تعيّن من ابيهِ حاكمًا	للنّاس اجمعهم يدينُ ويحكمُ
ائتلاف المعنى مع المعنى	قاسٍ رحيمٌ في القضا يقسو على	الاشرار امّا التائبـينَ فيرحمُ
تشبيه شيئين بشيئين	منهُ الندا عمَّ الأنامِ باسرهم	كالسيلِ والمُزن الندى والمعصمُ
الترتيب	بالامس ثمّ اليومِ ثمّ غدًا ندا	هُ فائضٌ ابدًا لهم لا يُحسمُ
الجمع	فالحلم والاشفاقُ والغفران مر	حمةٌ بهِ فينالها من ينـدمُ
الطاعة والعصيان	كم يرحم الصدّيقَ حين بلائهِ	والمعتدي من رحمـةٍ كم يحرمُ
المشاكلة	يجزي الفضيلَ بفضلهِ ثمّ الأثـيمَ باثمـهِ يومًا بحكمٍ يجزمُ	
السلب والايجاب	لا يمنعُ العافي الصديقَ وصالَهُ	بل يمنع العاتي العدوَّ ويصرمُ
نفي الشيء بايجابهِ	بالمنّ قطعًا لا يشـينُ نوالَهُ	بل من زحامِ عُفاتهِ لا يسأمُ
الطيّ والنشر	كفٌّ واعطـاءٌ وجودٌ فائقٌ	بحرٌ وأمواجٌ وسيـلٌ مفعمُ
المجاز	يا سائلينَ استعطفوهُ بأُمّهِ	مجرى الندى وبها تجينا الانعمُ
التعديد	فهيَ الشفيقة والمُحبّـة والرجا	والخـيرُ والانعـامُ ثمّ المغـنمُ
الكناية	احسـانها عمَّ البرايا كلها	ابوابها من قاصديهـا تُزحمُ
الجناس الملمّع	يا عاشقين هي الشفاءُ لجرحكم	وطلا هواها حسوهُ هو مرهمُ
الاستتباع	تسمُو باحسـانٍ سموَّ ترأُفٍ	وتغيث عبدًا في حماها يخدمُ
التفويف	فتقدَّموا وتلطَّفوا وتوسَّلوا	واستعطفوا واستغفروا واسترحموا
براعة الطلب	يا ربّ نفسي انّهـا في حاجـةٍ	فسخاك في حاجاتها هو أعلمُ
التوهيم	بلواي شدّت ازر مرٍّ حاقني	نُعماك حلّت طعمَـهُ يا مُنعمُ
التجريد	فالبدر من انوار وجهك اهدني	سُبُلَ الخلاص أيا سراجًا يُضرمُ
حسن البيان	إني الى صلةٍ لأحوجُ كالّذي	عدني وصلني يا سخيًّا يُكرمُ
السهولة	ولك الثنا والشكرُ من كل الورى	والحمدُ يهدي القلب منّي والفمُ
الاحتراس	واليكَ خذني غيرَ مأمورٍ وفي	ربع العلى الباهي بخدركَ اخدمُ
الترشيح	والدرُّ انظمهُ بهِ للمـدح في	عليـاكَ والفمُ بالنظيم يدمدمُ
التهذيب والتأديب	يشدو بهِ ثغر الملائك مجريًا	صوتًا رخيمًا بالمديح ينغِمُ

الايضاح	ويروق صدحُ بلابلٍ في عرشهِ	بنشيـدِ تسبيحٍ بلفظٍ ينظمُ
البسط	وعليَّ سَدَلَ الرحمة أسدل منعماً	ولك الثنـا فمن البلايا اسلمُ
حسن الختام	حسن الختام انا الرقيقُ فارتجي	انعمْ بهِ يا خيرَ مولًى يُنعمُ

حصار المرسلين

في دار اسقفيَّة پاكين

معرَّب عن الجريدة اليوميَّة التي حرَّرها السيّد فاڤيار اسقف پاكين

(المشرق) نُشرت بعض جرائد مصر والشام اخبـار حصار السفارات الاوربية في پاكين كما سطَّرها مياومةً سفير الدولة الفرنسويَّة المسيو پيشون فآنس القراء بمطالعتها فحملنا ذلك الى تعريب ما كتبهُ اسقف پاكين السيد فاڤيار اللعازريّ وهو يصف حصار مقام المرسلين المعروف عند الصينيين باسم پيتَنغ وهو عبارة عن حي كبير يُحدق بهِ سورٌ متين طولهُ نحو ١٤٠٠ متر ومن جملة هذه الابنية الدار الاسقفية تلحق بها الكنيسة الكاتدرائية ومنزل المرسلين ودير الراهبات مع مدارسهنَّ وميتمهنَّ ثم مدارس الرهبان المريميـين وغير ذلك من لواحق الرسالة الكاثوليكية. وموقع هذه المباني على مقربة من بلاط امبراطور الصين (انظر الرسم ص٣٣) فلمَّا دخل البوكسر مدينة پاكين وساعدهم الحكومة على استئصال شافة الاجانب وقتل الصينيين المتنصرين لم يجـد المرسلون لهم نجاة الّا بان يتحصَّنوا في حيّهم وقد دافع عنهم بعض الجند الفرنسويين ارسلهم لهذه الغاية سفير فرنسة واجتمع بهم بعض البحّارة الايطاليين مع فئة من الصينيين المتنصرين فنجوا بعد اللتيا واللتي. وقد دام حصارهم شهرين كابدوا مدَّتها الموت الواناً

(يوم الاربعاء ٣٠ ايار ١٩٠٠) قال السيد فاڤيار: تحقَّقنا اليوم ان الدولة الصينية تمالئ البوكسر وتعضدهم في نيَّاتهم السيّئة ولنـا على ذلك دليل راهن وهو ان جنود الحكومة النظاميَّة احرقت محطة السكَّة الحديديَّة ومبانيها. ثمَّ انَّ الديوان الامبراطوريّ (تسُنغ لي يامِن) يحـاول مَنع العساكر الاجنبيَّـة عن المجيء من تيان تسين الى پاكين. غير انَّ السفراء في ذلك كلمة واحدة يصرّحون لذوي الامر انَّ عساكر دولهم سيأتون مشاةً اذا مُنعوا من ركوب السكَّة الحديديَّة — من الساعة التاسعة ليـلًا الى الحادية عشرة نرى في فضاء السماء بعض مناطيد حمراء اتّخذها البوكسر كعلامات بينهم امَّا الجند الصينيُّون فقد ادَّخروا لهم اليوم اللفائف (الفشك) الحربية

(الخميس ٣١ أيار) اليوم عاد نائب العامّ الاب غويليو (Guilloux) الى تيان تسين مع الاب كابي (Capy) . ولا ادري أيمكنهما الوصول الى المحطّة لان الطريق اليها غير امينة يقطعها الجند — الساعة العاشرة ورد علينا نبأ برقيّ من الاب دومون يعلمنا بحرق سبع قرى يسكنها النصارى — الساعة ١٧ اتاني كتاب من دولة السفير يفيدني أنهُ والسفير الروسيّ اضطرَّا الى ان يضغطا على الحكومة المحليّة لترخص للبحّارة الفرنسيين والروسيّين الذين نزلوا يوم امس الى البرّ في تاكو بان يركبوا السكّة الحديديّة الى باكين — الساعة ٣٧ زارنا احد ضبّاط الصينيّين من اصحابنا فأنبأنا بحرج الحال وقال ان المملكة لم تعد تستطيع ان تصدّ رعيّتها عن مناوشة الاجانب وان بعض الجنود الاوربيّة ركبوا بعد الظهر القطار وهم قادمون في مساء النهار الى باكين جملةُ عددهم ٢٧٢ منهم ٧٥ فرنسويًا و ٧٥ روسيًا و ٦٠ اميركيًا و ٤٠ ايطاليًا و ٢٢ يابانيًا

(الجمعة ١ حزيران) اليوم قدم علينا النصارى من كل أوب لائذين بحمى رسالتنا — قد تلفت كل منازل رسالتنا في مقاطعة باتنشو وكان آخر من خرج منها الاب « غريغوريوس لو » فاظهر بصنيعهِ هذا شجاعة عظيمة وكافاهُ الله بان خلّصهُ في طريقهِ من ايدي البوكسر . وممَّن ذهبوا ضحيَّة هؤلاء الهمج راهباتٌ من رهبانيَّة مار يوسف وبعض لُقطاء ميتمهنَّ — الساعة ٧ ٩ مساءً زارنا سفير فرنسة وبشَّرنا بقدوم ٣٠ من البحّارة الفرنسويين ليدافعوا عن حيِّنا بيتنغ وذلك رغمًا عمَّا اشترطهُ الديوان الملكي على ان الجند القادمين من تيان تسين لا يحرسون الَّا السفارات الدوليَّة . غير ان المسيو بيشون لم يرضَ بهذه الشروط المجحفة بحقوقنا فاتانا بهذه الشرذمة من حرسهِ جازاهُ الله كلَّ خير — الساعة ١٠ وصول البحّارة المذكورين يرافقهم النزّالة الفرنسيَّة في باكين حفاوةً بنا — عند منتصف الليل وصلنا تلغراف من الاب غويليو مفادهُ ان نصارى مقاطعة باتنشو يتقاطرون زرافاتٍ الى تيان تسين وان النهر حامل جثث عدد غفير من قتلى النصارى

(السبت في ٢ منهُ) اقمنا اليوم فئـات البحّارة في مراكز عديدة لمراقبة حركات العدوّ وضابط هؤلاء الجند يُدعى بولس هنري وهو شابٌّ في مقتبل السنّ لا يتجاوز عمرهُ ٢٣ عامًا يجمع بين التقى والبسالة كأهل وطنهِ من البريطان — الاخبـار الواردة من تيان تسين تنذرنا بالاهوال — أحياء الاوربيين فيها على خطر عظيم — اضطرَّ المهندسون الاوربيُّون المقيمون في « پاو تِنغ فو » الى ان يزايلوا المدينة امَّا اخوتنا المرسلون فأبوا

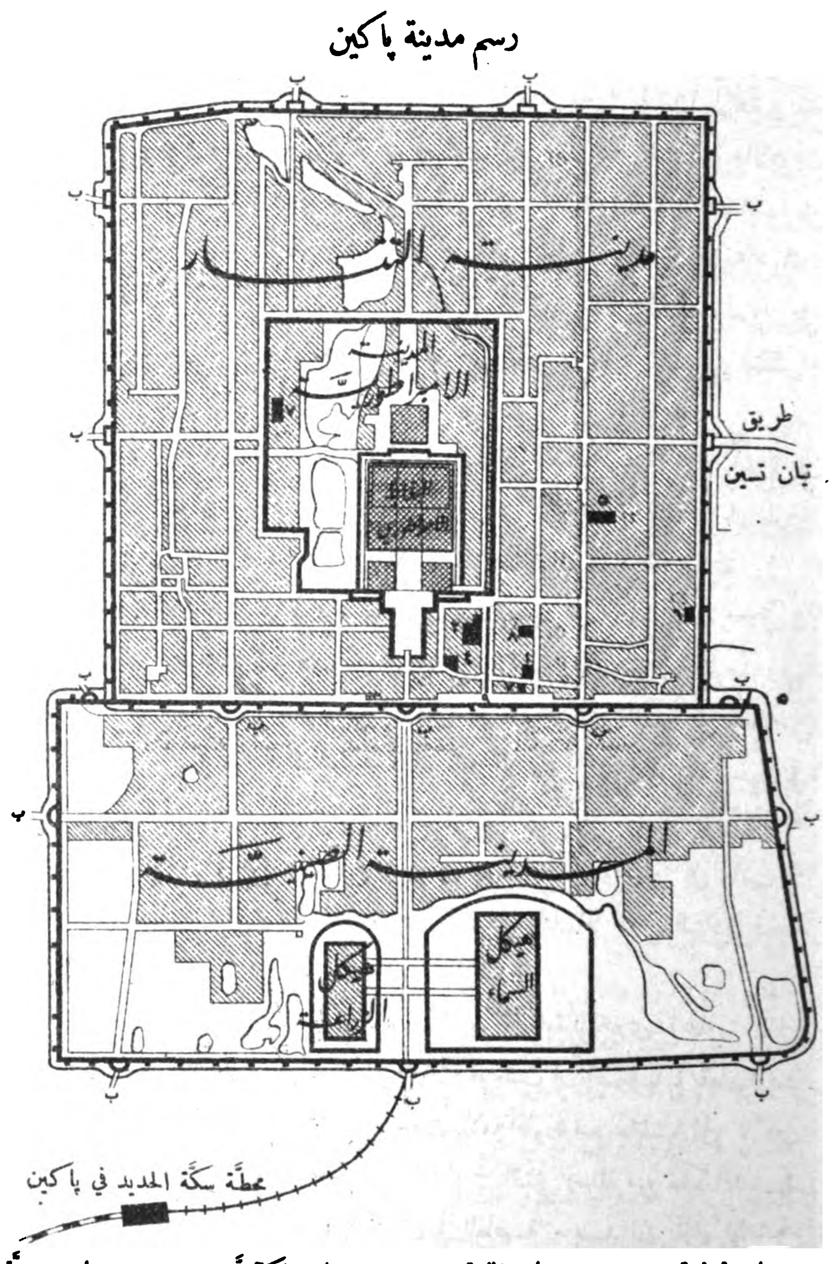
ان يهملوا رعاياهم النصارى ويؤثرون الموت معهم . ردّ الله عنهم كيد الاعداء

(الاحد عيد العنصرة ٣ حزيران) اليوم امكنني أن اقوم بما اوعز اليَّ قداسة الحبر الاعظم وذلك انَّ ابا المؤمنين كان عهد اليَّ بان اقدّم لسلطانة الصين من ديوانهِ السامي رسالةً مع هديَّة فاخرة ولمَّا كانت جلالتها غائبةً عن باكين اقامت الامير تسنغ لينوب عنها في قبول الرسالة والهديَّة . فدخلتُ عليهِ الساعة الثانية بعد الظهر فوجدتهُ في بلاطهِ يُحدق بهِ قومٌ من كبار الدولة فتسلَّم الرسالة والهديَّة على حسب العوائد والتشريفات المرعيَّة في مثل هذه الاحوال وقد اظهر الامير في لهجتهِ وتصرُّفهِ اعتبارًا عظيمًا للحبر الاعظم وشكر لقداستهِ افضالهُ . ثمَّ انتهزتُ هذه الفرصة لاقدّم الى اعتاب سلطانة الصين عريضةً مضمونها بيان ضَنْك حالتنا وكنتُ فيها التمس من جلالتها ان تحامي عن النصارى وتعاقب البوكسر أوعظ العقوبة فرضي الامير بان يبلّغ عريضتي الى يد جلالة السلطانة وعلمتُ في اليوم التالي بأنَّ الامبراطورة اطَّلعت على ألوكتي

(الاثنين ٤ منهُ) رأى الضابط هنري بعد الفحص المدقّق ان لا سبيل للدفاع عن حيِّنا يتمنع لطول سورهِ البالغ ١٤٠٠ متر . فاجمعنا الرأي على اننا اذا قويت هجمات العدوّ نلتجئ كلنا الى الكنيسة الكاتدرائيَّة ثمَّ اخذنا نفكّر في الوسائل الدفاعيَّة . امَّا عددنا فيبلغ ٣٣٧٠ نسمة فسبعون منا اوربيُّون مع الرهبان المريميين والراهبات والباقون نصارى صينيُّون منهم ١٠٠٠ رجل و٢٢٠٠ امرأة وولد — الساعة ١ بعد الظهر يفيدنا بعض متوظفي السفارة الفرنسية ان الجند المرسلين لحاماة رسالتنا في « تان طانغ » قد أُمروا بالعودة الى باكين لانهم لا يقوون على ردّ هجمات البوكسر لقلة عددهم وهم ١٥ فقط . فيكون من ثمَّ بقاؤهم وبالاً عليهم فساءنا هذا الخبر لعلمنا بالاخطار المحدقة هناك باخوتنا وبراهبات المحبة وراهبات مار يوسف والاخوة المريميين والنصارى الصينيين ولكنَّنا اعتصمنا بحبل الثقة بعونهِ تعالى وسلَّمنا اليهِ امر حياتهم وحياتنا — عند المساء تزايد الخطر فاقتضى على ضابطنا المسيو هنري ان يسلّح نحو ٢٠ من النصارى الصينيّين

(الثلاثاء ٥ منهُ) ارسلتُ اليوم نبأً برقيًّا الى رئيس الآباء اللعازريين في باريس لأُعلمهُ بتفاقم اخطارنا في باكين وتيان تسين — الاب غوبليو ينبئني بلسان البرق

رسم مدينة باكين



١ سفارة فرنسة ٢ سفارة المانية ٣ سفارة انكلترة ٤ سفارة روسية
٥ سراية تسونغ لي يامن ٦ مرصد اليسوعيين القديم ٧ كنيسة باكين الكاتدرائية
٨ ديوان الكمرك ٩ قناة وجسر جاد ب ابواب

بحريق ضيع نصرانيّة عديدة وقتل جمّ غفير من المؤمنين — شرع الضابط هنري مع النصارى الصينيّين بوضع حواجز متينة لردّ كرّات البوكسر مع توفير الاسلحة والادوات الحربيّة — الساعة ٦ مساء ارسل سفير ايطالية عشرةً من بحّارة دولتــهِ ليدافعوا عن راهبات الطفوليّة المقدَّسة التي من جملتهنَّ بعض اخوات ايطاليات — الساعة ٧ ٧ زارنا حاكم باكين فقال لنا: « لا بأس عليكم من حملات البوكسر فانَّهم لن يتجاسروا على ضرب حيّكم يَيتتنغ ». الَّا انَّ كلام الحاكم هذا لم يسكّن روعنا لما نعلمهُ من استشراء الفساد

(الاربعاء ٦ حزيران) اننــا نوفّر وسائط الدفاع عن حياتنا — أُخبرنا ان الامبراطورة أرسلت الى البوكسر نائبــين من ديوان شورى الدولة ليُقنعاهم بان يلوذوا الى السلم و يرتدُّوا عن الخصام. الَّا انَّ مثل هذه الوسائل لا تفعل فيهم البتَّة

(الخميس ٧ منهُ) شيَّدنا برجًا صغيرًا لصيانة جهــة منزلنا الشرقيَّة — زرتُ اليوم السفارات الاوربيــة لاستعلم عن البراءة التي اصدرتها امس الامبراطورة وفيها تشدّد النكير على البوكسر وتردعهم عن اللدد والخصــام. لكنَّني قاطعٌ كل رجاء من ارتداد البوكسر عن غيّهم — الساعة ٨ قدم علينا الاخوة المريميُّون من مدارسهم في « شالا »

(الجمعة ٨ منهُ) بلغنا انَّ الحريق يلتهم ضيع النصارى من كل جانب — نرى المساء اللهيب عن بعد في دجى الظلام ولا نسمع حولنا الَّا دويّ البنادق فبقينا ساهرين طول الليل

(السبت ٩ منهُ) شاهدنا في شمالي حيّنا عند الغابة الكبرى المجاورة لمنزلنا أفرادًا من البوكسر — عدتُ الى زيارة السفارات فوجدت انَّ اصحابها لم يقطعوا بعدُ رجاءهم من كسر شوكة العصاة — اليوم رجعتْ الامبراطورة مع حاشيتها الى باكين واصدرت امرًا الى البوكسر بان يكفُّوا عن العداء — اتتني رسالة من حاكم المدينــة مُفادها انَّهُ عُهد اليهِ بحراسة كنائس النصارى في العاصمة . بيــد انني اراهُ لا يفعل لاتساع الخَرْق وتفاقم الصدع

(الاحد ١٠ منهُ) ارسلتُ تلغرافًا ثانيًا الى باريس قبل ان يصدَّنا البوكسر عن المخابرات البرقيَّة — وجدتُ في السفارات العقول في قلق عظيم لعصيــان القائد « تُنفو

سيانغ » مع جيشهِ — أخبرنا ان فرقة الاميرال سَيمور خرجت اليوم صباحاً من تيان تسين تقصد پاكين. أملنا بوصولها غداً. لكنَّ البوكسر خرجوا جميعاً لمحاربتها والعسكر الصيني اعدَّ المدافع فوق سور المدينة ليرمي القذائف على القادمين — الساعة ٨ قُطعت اسلاك التلغراف بين تيان تسين وپاكين وبين پاكين وپاوتنغ فو وهو خبر مشؤوم ينذرنا بمخاطر وشيكة. ولا اظنّ انَّ الاميرال سيمور يتمكَّن من تلافي احوالنا

(الاثنين ١١ حزيران) نعاين من سطح كنيستنا السنة النار تلعب بمصايف الاوربيين غربي المدينة — نحو الساعة ١٠ نرى فئات عديدة من البوكسر يجتازون بقرب سور المدينة الصفراء وهم ناشرون الالوية. فملأ منظرهم القلوب هلعاً واخذ الكلّ يستعدون للدفاع — ثمَّ خرجتُ الى منازل السفراء فرأيتهم آمنين مطمئنين ينتظرون ورود الاميرال سَيمور — بلغنا انَّ الامير توان رئيس البوكسر ومتقدّمهم أُدخل في شورى الدولة وهو بئس الخبر ينبئنا بالويلات — الساعة ٥ مساء خرج كنشليار السفارة اليابانية من المدينة لملاقاة تجّارة دولتهِ المنتظرين فقتلتهُ عند باب الجنوب عساكرُ القائد تُنغفُو سيانغ الذين انضمُّوا الى البوكسر ليصدوا كل اجنبيّ عن الخروج من پاكين او الدخول اليها

(الثلاثاء ١٢ منهُ) يضرم البوكسر النار في اكداس من التبن بقرب دير الراهبات في « شالا ». الساعة ٧ تفاجئنا فواجئ جديدة تضطرُّ جنودنا الى التسلُّح لكنَّنا ركنَّا الى الدعة بعد قليل. واتانا كتاب من سفير الدولة الفرنسيَّة يفيدنا ان اعضاء الشورى الجدد اتوا لزيارتهِ واظهروا من اللطف جانباً وانَّ بحريَّة الاميرال سيمور سيدخلون المدينة دون عائق. حقَّق الله الاماني. لكنَّني في ريبة من الخلاص

(الاربعاء ١٣ منهُ) بلغ عصيان القائد تُنغفوسيانغ وجنودهِ مبلغاً هائلاً — نصارى مدينة پاكين يحاولون الهرب من البوكسر. ثلاثة منهم يُقتلون في الشوارع — تفيدنا السفارات ان الاميرال سيمور بات في « كنغ فو » على مسافة ٦٠ كيلومترًا من پاكين. فهل يا تُرى يبقى لنا من امل للنجاة لاسيا انَّ السكَّة الحديديَّة قد أُحرقت — عند الظهر بلغنا خبر آخر زادنا خوفاً واسفاً وهو حريق المقبرة الافرنسيَّة بعد ان قُتل حارسها مع امرأتهِ واولادهِ — كانت ليلتنا سوداء لما كنَّا نراهُ من اتساع الحريق وكانت تبلغ مسامعنا اصوات الثائرين يهدّدونا بالموت فاضطرَّت النساء الى ان يلتجئنَ الى الكنيسة — الساعة

٩ م عاينًا لسان النار مندلعًا الى كنيستنا البديعة القامة ذكرًا للقديس يوسف في « تُنغ تانغ » — الساعة ١٠ اصوات مزعجة . يردّد البوكسر غربي دارنا كلمة الشعار ليتعارفوا بينهم اذا ما باشروا بحرقها — الساعة ١١ يعلمنا مسيحيَّان من البلدة ان البوكسر معوّلون على حَرق حيّنا . فبتنا تلك اللّيلة نتقلّب على جمر القتاد

(الخميس ١٤ حزيرن عيد جسد الرب) نرى في ضحى النهار كنيستنا في تنغ تانغ كأنها شعلة نار . وكذلك نرى الحريق يلتهم مباني اخرى من جهات شتى — لم يَعُد يبقى لنا طريقة لمخابرة احد لأنَّ ابواب المدينة الامبراطورية أُقفلت وأُقيم على حراستها جنود الامير توان — الساعة ١١ م نرى كنيستنا الكاتدرائيّة القديمة المقامة على اسم سيِّدة الحبل بلا دنس في نان تَنغ يتصاعد منها لهيب النار وكذا مقام المرسلين فيها مع المدرسة والمستشفى والميتم . فتفتَّت قلبنا اسفًا لهذه الداهية الدهياء التي اصابت رسالتنا وكان خوفنا اعظم على حياة اخوتنا المرسلين الذين هنالك — عند منتصف الليل سمعنا دوي المدافع والبندقيّات من جهة الجنوب . العلَّ الاميرال سيمور قدم لنجاتنا ! . . . وكانت اصوات البوكسر في اثناء ذلك تخرق مسامعنا وهم يصرخون حولنا « هيًّا على القتل . هيًّا على الحريق » وبقي صراخهم متواصلًا الى الساعة الثانية بعد نصف الليل فأُهمدت اصواتهم حتى خال لنا انهم تباعدوا عنا

(الجمعة ١٥ منهُ) كلّ الراهبات كنَّ في هذا النهار ينتظرن الموت فتقرَّبن من مائدة الخلاص استعدادًا لهذه الساعة المرهبة — وكان الصغار والنساء قد احتموا في حمى الكنيسة الكاتدرائية — الساعة ٨ صباحًا افادنا احد النصارى الذين هربوا من ايدي البوكسر انَّ اخوتنا المرسلين في نان تَنغ سالمون وهم في السفارات معهم الاخوة المريميُّون وراهبات مار يوسف مع بناتهنَّ والفضل في نجاتهم عائد الى فرقة من الجند المتطوعين الذين خاطروا بحياتهم فخلّصوهم امس الساعة الواحدة بعد نصف الليل — الساعة ١١ م رأينا آجرّ قبَّة الجرس التي تعلو كنيسة سيدة الاحزان في « سي تَنغ » متأجّجًا بالنّار فعلمنا انَّ الحريق اصابها كغيرها من الكنائس — عاد الينا الساعة ٣ الرسول الذي اوفدناهُ الى السفارة ومعهُ رسالتان احداهما من السفير المسيو پيشون والثانية من خوري رعيَّة نان تَنغ الاب أدوزيو هذه خُلاصتهما : « لا خبر لاحد عن الاميرال سيمور وبحّارتهِ : انتشب القتال بين البوكسر وجنود السفارات : قُتل

خوري رعيَّة تونغ تانغ الاب كاريك وقد التجأ عدد غفير من النصارى الى بلاط الامير « سو » شمالي السفارات »

الساعة ٦ بلغنا خبر قتـل الاب دُوره راعي كنيسة سي تَنغ — الساعة ٧ حفَّ بنا جمٌ لا يُحصى من البوكسر من ثلاث جهـات من الجنوب والشرق والشمال. ثمَّ سمعنا جلبتهم العظيمة كانهم يتذامرون على مهاجمتنا — الراهبات مع البنات واليتامى يُسرعنَ الى الكنيسة الكاتدرائيَّة و يَلُذنَ بحماها. وكانت النساء الصينيات مع اطفالهنَّ سبقْنَهنَّ الى هذا الملجإ يبلغ عددهنَّ مع الصغار نحو ١٨٠٠ نسمة. وكانت قلوب هؤلاء المساكين منخلعـة خوفاً وهلعاً — نحو الساعة ٨ رأينا البوكسر قادمين لمحاربتنا من الجنوب يتقدَّمهم احد كهنة الاصنام راكباً جواداً ووراءهُ راية كبيرة حمراء. يحدق بهـا احداثٌ من البوكسر عوَّذهم كبارُهم بالرقية والسحر وهم لابسون الثياب الحمر. وعند وصولهم الى رأس شارعنا قدَّموا التقـادم لاصنامهم بحرق عيدان عطريَّة ثمَّ سجدوا للاوثان وحملوا علينا حمـلة واحدة فمهلهم البحَّارة الذين يحامون باب دارنا الكبير حتى اذا اقتربوا الى مسافة نحو ٢٠٠ متر اطلقوا عليهم بندقيَّاتهم فقتلوا ١٧ منهم. فلمَّا رأى الباقون ما حلَّ برفقائهم اركنوا الى الفرار مع كونهم يزعمون انهم لا يُصابون بالجراح. فخرج البحارة من ساعتهم وتأثروا الهاربين فعادوا بغنيمة خمسة سيوف ورمح — الَّا انَّ البوكسر بعد هربهم اخذوا يوقدون النار في البيوت المجاورة لحيّنـا جنوباً آملين انَّ الحريق يتصل بنا لكنَّ الله اللطيف بعبادهِ ارسل ريحاً ردَّت عنَّا وجهة اللهيب. وكنَّا مع ذلك اتخذنا كل الوسائل لاطفاء الحريق كالمضخَّات والألباد المبلولة وغير ذلك

ولمَّا رأى البوكسر انهم عادوا بخفَّي حنين وانَّ آمالهم ذهبت سدًى بازاء ١٠٠٠٠ صينيّ من العـاصمة كانوا يرافقونهم لينهبوا املاكنا تنمَّروا غيظاً واخذوا يضجُّون حولنا ويصرخون كالوحوش الضارية لكنهم لم يجسروا على مهاجمتنا ثانيةً

فأحيت هذه الدَّولة الاولى على اعدائنا ميّتَ آمالنا وتبيَّنا ما جُبلوا عليهِ من الجبن وضعف الفؤاد. امَّا المتنصرون من الصينيين فاشتدَّت عزائمهم ونشطت قواهم ولم يعودوا يخافون البوكسر بل اجتمعوا بالبحَّارة الفرنسويين واخذوا يساعدونهم على محاماة السور وكان عددهم نحو ٥٠٠ رامح وحصل سبعة منهم على بندقيَّات عتيقة العهد فتسلَّحوا بها فرحين

(السبت ١٣ حزيران) تملّص احد المتنصرين من ايدي البوكسر فأخبرنا ما ابداهُ النصارى الوطنيُّون من الثبات في ايمانهم رغمًا عمَّا نالهم من العذابات الفظيعة ولم يرضَ واحدٌ منهم ان يجحد دينهُ فاستشهدوا في خارج باب المدينة المدعو « ينغ تسي من ». فملأ هذا الخبر قلبنا فرحًا وأمحضنا الشكرَ لله على هذه النعمة — بُعَيد الظهر فاجأنا البوكسر من كثب ثمَّ ما لبثت الجنود النظاميَّة ان لحقت بهؤلاء الاوباش لتعضدهم على مقاتلتنا — أفادنا التاجر الذي نمتار منهُ القمح انهُ لم يعد يمكنهُ ان يبيعنا شيئًا لانَّ البوكسر تهدَّدوهُ بالقتل ان فعل — الساعة ٤ م حريق هائل في سوق الاجانب فان البوكسر بعد ان أضرموا النار في دور المسيحيين استأنفوا الحريق في الحوانيت التي بها تُباع السلع الاوربيَّة — عاد الينا سالمًا الرسول الذي اوفدناهُ الى السفارات: « لا خبر عن الاميرال سيمور » — الساعة ٧ م يطيف بحيّنا ٣٠٠ جندي مع عدد غفير من البوكسر: عادت النساء الصينيَّات الى الكنيسة فاحتمَيْن فيها وقضينَ ليلتهنَّ في المخاوف بينما كان حماتنا ساهرين في مراكزهم مستعدّين لردّ هجمات العدوّ — في هذا النهار صدر رقيمٌ من الديوان الامبراطوريّ يفيد فيهِ رسميًا اهل الصين انَّ كنائس النصارى في باكين أحرقت

(الاحد ١٧ منهُ) من الساعة ٢ الى ٣ م ليلًا سمعنا اصوات المدافع والبنادق تتوالى من جهة السفارات — الساعة ١٠ استدار حولنا البوكسر وجنود الحكومة استدارة السوار بالمعصم . ومع هذا تمكَّن احد النصارى الصينيين من مواجهة سفيرنا السيد پيشون وعاد الينا سالمًا — يخبرنا البريد بان ٢٠٠٠ دارٍ من دور النصارى صارت رمادًا في « تسيان من » — مساؤنا قلق تتنازعنا العوامل المختلفة . نرى البوكسر مخيّمين حولنا ونيرانهم اللَّيليَّة تتأجج من كل صوب

(الاثنين ١٨ منهُ) نتخذ لردع العدوّ الاحتياطات اللازمة لاننا نرى البوكسر يصوّبون مدافعهم الى جهتنا الجنوبية والامير توان ليس ببعيد عنَّا — . نحو الساعة ٤ م يتهيَّأ العدوّ لضربنا وقد اتى كثيرٌ من كبار البوكسر بالعجلات ليحملوا علينا مع قومهم الَّا انَّ الله صاننا من شرّهم بمطر وابل كأنهُ القِرَب هطل نحو الساعة ٥ م فبدَّد شمل العدوّ

(الثلاثاء ١٩ منهُ) قدم علينا خادم ديرنا في « سي تَنغ » بعد ان ضلَّ ايَّامًا

فاخبرنا انَّ راعيها الفاضل الاب دوره أحرق حيًّا في غرفتهِ مع عشرين من النصارى. وكان هذا الاب الهمام ودَّعني قبل ايام قليلة وسألني قائلًا:

سيدي أيجوز لي ان أُدافع عن نفسي اذا هجم عليَّ العدوّ فأُطلقَ عليهِ بندقيّتي

أجبتُ: انَّ المدافعة القانونيَّة عند مباغتة العدوّ الظالم لا بأس منها

فأردف الاب دوره: أو ليس هو أفضل ان اقبل الموت طوعًا دون المدافعة عن نفسي

قلتُ: هذا موت الشهداء ولا شيء افضل من الاستشهاد

وهكذا فعل هذا الاب العزيز فمات مضحّيًا نفسهُ لله

رأينا في الشارع المجاور لنا عشرة مدافع افواهُها بازائنا فلم ندرِ أهي مصوَّبة نحونا او جُعلت هناك لحاماة القصر الامبراطوري

(الاربعاء ٢٠ منهُ) يخترق احد النصارى صفوف العدوّ فيعلمنا بان وزير السفارة الالمانيَّة قُتل في طريقهِ وهو ذاهب الى الديوان الملكي وانَّ بقيَّة الوزراء مُجمعون على الخروج من باكين في ظرف ٢٤ ساعة

(الخميس ٢١ منهُ) يبذل احد المتنصِّرين نفسهُ فداء عنَّا فيذهب الى دار السفارة ويأتينا برسالتين وجيزتين الواحدة مسطَّرة بيد المسيو پيشون تعريبها: « انَّ اعضاء السفارة الفرنسيَّة مع بقيَّة الوزراء سينتقلون الى سفارة انكلترة: موت وزير المانية أكيد امَّا ترجمانهُ فمصاب بالجراح: اوشك البوكسر ان يحرقوا دار سفارة النمسة وقد خرج منها اصحابها: لم نَعُد نُفكِّر في السفر اللّهمَّ الَّا السفر الاخير الى الابديَّة. لكن لا نقطعنَّ الرجاء من الخلاص » انتهت رسالة المسيو پيشون

امَّا الرسالة الثانية فكانت من المسيو دارسي (Darcy) رئيس ضابطنا بولس هنري يقول لهُ فيها: « لعلَّ الامر وردك سابقًا لتعود الينا مع البحَّارة. ولكن لا تزايل مركزك حتى يأتيك امرٌ ثانٍ » — شكرنا الله بعد مطالعة هذه الاسطر على أنَّهُ لم يسمح بورود الرسالة المذكورة الآمرة بعودة الضابط هنري لأنَّهُ لو انفصل عنَّا لهلكنا كلنا — وغاية ما فهمنا من هاتين الرسالتين انَّ الحوادث في ارتباك عظيم وان ملاك الموت يترصَّدنا. فاعددنا نفوسنا الى ما يشاء الله (البقيَّة لعدد قادم)

مطبوعات شرقية جديدة

Histoire et Religion des Nosairis
par R. Dussaud, Paris 1900 XXXV-211

تاريخ النصيريين وديانتهم

نشر سليمان افندي الاذني في بيروت سنة ١٨٦٣ كتاباً صغير الحجم (ص ١١٠) دعاهُ «كتاب الباكورة السليمانيَّة في كشف اسرار الديانة النصيريَّة» فحاول المسيو ر. دوشو البحث عمَّا يحتويه الكتاب السابق ذكرهُ ليعرف غثَّهُ من سمينهِ فراجع في برلين وباريس ما وجدهُ من هذا القبيل وعرضهُ على معلوماتهِ الشخصيَّة التي استفادها في اثناء رحلتهِ الى بلاد هؤلاء القوم. فجاء كتابهُ وافياً شافياً يتضمَّن عن شيعة النصيريين وتاريخهم افادات جمة توقفنا على احوالهم وتميط القناع عن محجوب اسرارهم. الَّا اننا لا نوافق المؤلف على بعض مزاعمهِ لاسيما قولهُ عن اصل النصيريَّة الذين نظنُّهم نحن (خلافاً لما اثبت في كتابهِ) من قدماء نصارى تلك البلاد والدليل على ذلك اعيادهم وعاداتهم والكتابات النصرانيَّة الموجودة في بلادهم. ثم للمؤلف اقوال اخرى غير راهنة كما انَّهُ وهم في نقلهِ بعض المقاطيع الى الفرنسويَّة. الَّا ان هذه الشوائب لا تُخلُّ بقدر الكتاب وكثرة فوائدهِ فنحضُّ كل من يأنس الى اخبار النصيريين على مطالعتهِ

Woher kommt das Wort « Kirche ».
von Dr E. Glaser, Munich, 1901

في اصل كلمة « Kirche » الالمانية

يبحث الدكتور غلازر في هذه المقالة عن اصل كلمة « Kirche » وهي الكنيسة بالالمانيَّة. وكان العلماء يشتقُّونها سابقًا من اليونانيَّة Κυριακόν اي بيت الرب. امَّا صاحب هذه النبذة فيرتإي ان اصلها من اللغات الساميَّة وان معناها الحرز والمكان الحصين ومنها لفظة «كرك» التي تُطلق في الشام على اماكن عديدة محصنة. هذا رأي جديد حاول الدكتور غلازر المدافعة عنهُ لكنَّنا لا نظنّ انهُ يُقنع اخصامهُ بادلَّتهِ

BIBLIOGRAPHIE DU CULTE LOCAL DE LA VIERGE MARIE
Provinces écclesiastiques d'Aix et d'Albi.
1 et 2 fasc, par L. Clugnet.

قائمة المطبوعات عن معابد البتول الطاهرة

من اطلع على هذا الكتاب الجديد لا يتالك من شكر فضل صاحبهِ الذي باشر عملًا غايةً في الافادة وهو عبارة عن قائمة تامَّة لكل المطبوعات التي ورد فيها الكلام عن معابد العذراء مريم. والقسم الاول من هذا الكتاب يتضمَّن قائمة المطبوعات عن معابد البتول في فرنسة وهو يقسم الى ١٧ كرَّاسًا على عدد اقاليم فرنسة الكنسيَّة. فراجعنا الكراسين الاولين فوجدناهما مستوفيين لكل شروط القوائم الكتبيَّة من حيث وصف الكتب وتقسيم موادّها وترتيب فصولها وحسن فهارسها فنمحض المؤلف الشكر على عملهِ هذا ونتمنى لهُ رواجًا عظيمًا

LA CONSTITUTION DU CODE THÉODOSIEN
sur les « *Agri deserti* » et le droit arabe.
par Victor Chauvin, Mons, 1900, *pp.* 44

اعتاص على الفقهاء شرح احد البنود الواردة في مجلة الفقه الروماني المنسوبة الى تاودوسيوس الكبير (ك٦ بند ١٥). والمستفاد من هذا القانون « ان من اراد ان يفلح الموات اي الارض التي يهملها صاحبها بلا عمران ولا ينتفع منها احد جاز لهُ ذلك ولا يبقى حقٌّ عليها لمالكها بعد سنتين. امَّا قبل انتهاء السنتين فلهُ ان يسترجع ملكهُ بعد اداء التعويض لمتولي فلاحة الارض البائرة » وهذا البند لا يوافق ما نعلمهُ من مبادئ الحقّ الرومانيّ الذي يمنع تطاوُل ايّ كان الى ملك غيرهِ. فحاول المستشرق الشهير المسيو ڤيكتور شوڤين احد اساتذة كليَّة لياج تفسيرهُ على وجهٍ راضٍ. فبيّن ان هذا البند لا يُطلق على كل املاك الدولة الرومانيَّة وانَّما هو مختصّ بعاملة بلاد حوران وما يليها وكان الرومانيون يدعونها « اقليم عربيَّة ». واستدلّ على ذلك بعنوان هذا القانون المذكور الموجَّه الى « مقدَّم الشرق » وايَّد قولهُ بشواهد تاريخية نقلها عن فقه العرب القديم وعن القانون الاسلامي الشائع في ايَّامنا بخصوص الموات. فاستحسن الفقهاء هذا الشرح الجديد وقد

كافأت جمعيَّة العلوم في باجكة كاتب هذه المقالة بنوطٍ ذهبي. فنهني المسيو شوڤين عن هذا الامتياز ونثني على غيرتهِ في سبيل الآداب الشرقية ه.ل

خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي پول

في بيروت عن السنة ١٩٠٠

تمَّت السنة الواحدة والاربعون لعهد تأسيس شركة القديس منصور دي پول في بيروت فاطرفنا رئيسها الهمام الڤيكنت فيليب دي طرازي بنسخة من برنامجها السنويّ فتلوناهُ بالمسرَّة والثناء على هذه الجمعيّة. كيف لا وهو ينطق بالاعمال المبرورة والمآثر المشكورة التي يقوم بها قوم من نخبة اهل البلدة لخير ابناء جلدتهم باذلين النفس والنفيس في خدمة البائسين لا يطلبون بعملهم غير وجه الله. والدليل الباهر على نجاح هذه الشركة بهمَّة لجنة شوراها واعضائها العاملين انَّ وارداتها في هذه السنة بلغت ٩٥,٧٣٣ غرشًا وقد صرفت في المبرَّات ١٢٧,٨٧٥ غرشًا. امَّا مجموع مصروفها منذ نشأتها الى هذا العهد فلا يقل عن ٢,٦٢١,٠٠٠ وهو لعمري مبلغٌ يشهد لاهل بيروت بالتقدُّم في سبيل المساعي الخيريَّة اجزل الله ثوابهم في دار البقاء

مطبوخ المكتبة العمومية

المعروف بمطبوخ الارمن لسنة ١٩٠١

ترجمهُ عن الارمنية حضرة الفاضل الخوري سوكياس چريان الارمني الكاثوليكي

طالعنا هذا التقويم للسنة الجديدة فوجدناهُ مع صغر حجمهِ شاملًا لكثير من الفوائد التي يجبُ الناس الوقوف عليها. وشهرتهُ تغني عن وصفهِ. الَّا اننا ننبِّه القراء على انَّ هذا التقويم وُضع في الارمنيَّة لمدينة البندقيَّة فمن ثمَّ لا يعجبوا ان وجدوا بينهُ وبين غيرهِ من التقاويم بعض الاختلاف. وكذلك اشتبهت علينا بعض اسماء القديسين كبيون الكاهن (ص١٧) وغريغوريوس بطرك الافغانيين (ص٥٢) وعوفكيانس القائد وتيواتيدون (ص٥٣) ولعلَّهُ وقع في تعريب هذه الاسماء بعض الخلل ل.ش

شذرات

ألهوّةٌ هندسيّة — كيف يمكن ترتيب سبعة وثلاثين تلميذًا على ثمانية عشر صفًّا في كلّ صفٍّ منها خمسة تلاميذ (يكفي جوابًا ارسال الرسم الهندسيّ)

مشكل آخر رياضي عرضهُ على القراء الاخ مبارك ابو سليمان — لمّا دنت وفاة بطرس دعا اليهِ ولدهُ الصغير الموجود ثمَّ في البيت وقال لهُ: « بنيَّ اني تارك لك وحدك جميع ما املكهُ من المال اذا لم يعد الى البيت احد من اخوتك الستة المتغرّبين الآن. واما اذا رجع احدهم او كلهم فتلتزم ان تقسم الميراث بينك وبين الراجعين » . — وبعد وفاة الاب بسنة عاد ثاني الاخوة فاقتسم الولدان المال بينهما فكان فضل القسمة ليرة واحدة. وبعد مدّةٍ رجع الثالث فاعاد الثلاثة القسمة فكان فضلها ليرة واحدة ثم عاد الرابع ثم الخامس ثمَّ السادس ففعل الاخوة كما مرَّ عند رجوع كل واحد من المتغيّبين وكان في كل ذلك فضل القسمة ليرة واحدة الى السابع فأعيدت القسمة من جديد ولم يفضل شيء . . فكم كان عدد الليرات ؟ — والمطلوب حلّهُ بالطريقتين الحسابية والجبريّة

الهواء المائع — أجرى اهل الامتحان تجارب عديدة أكّدت لهم ان للهواء المائع قوّة عجيبة على التبريد لان نُقطًا قليلة منهُ اذا سَكبت في قدح حارٍ شيئًا من الكحول مثل الويسكي كفى ذلك لتجميدهِ في الحال واذا غُمس في قدح الويسكي أنبوب في داخلهِ هواء مائع صار الويسكي فورًا قطعةً جامدة متلازّة الدقائق يمكن ان تُخرج بسهولة من القدح وهي متشكّلة بشكله

واذا غُمس الرصاص في الهواء المائع صار مرنًا وصوتهُ حادًّا. وكل معدن مهما كان رخوًا اذا غُمس فيهِ بضع ثوانٍ انقلب جامدًا رنّانًا. وكذا الكاوتشوك الذي تُصنع منهُ الطابات للاولاد يصبح سريع الانكسار كالزجاج بعد غمسهِ في الهواء المائع بضع دقائق

ويُصبّ الزئبق في قالب يغطس في الهواء المائع فيتجمّد في الحال ويؤخذ منهُ قضيب

مثقوب من طرفيهِ فيقوى على حمل اعظم الاثقال. وأغرب من ذلك انهُ يمكن باستعمال هذه الطريقة صنع ديابزون يهتزّ كافضل الفولاذ واحسنهِ

ومن الامتحانات الغريبة ايضاً ان يؤخذ قالب في شكل مطرقة ويفرغ فيهِ الزئبق فاذا صُبَّ من الهواء المائع على الزئبق لا يمضي غير بضع دقائق الّا ويمكنك ان تستخدم هذه المطرقة لدقّ المسامير

ومن ظريف الامتحانات في هــذا الشان ان يوضع الهواء المائع في جام مصنوع من الويسكي المتجمّد ثمَّ يوضع في الهواء المائع إمّا قلم من الفولاذ او زنبرك ساعة فيهِ قطعة صغيرة من الكبريت فبعد ان تشعل الكبريت يتقــد الفولاذ حالًا ويُسمع لهُ كشيش وحينئذٍ ترى مشهدًا مفكهًا كيف ان قطعة من المعدن تُحمى الى حدّ البياض في مائع تبلغ برودتهُ الدرجة ٢٧٠ تحت الصفر فوق قطعــة من الكحول المتجمد. ومن الصعب ان يتصور الانسان اجتماع اشياء متعاندة اتمّ من هذا الاجتماع

ويُغلون ايضاً مرجلًا ممتلئاً من الهواء المائع مع وضعهِ على قطعــة من الجمد. فاذا اتفق ان لا يغلي المرجل بالسرعة اللازمة امكن تعجيلهُ باضافة قطعة من الجمد وهو برهان لا يُردّ على ان الجمد في الحقيقة هو حامٍ (البشير)

﴿ كتاب عزيز الوجود ﴾ افــادنا من الزوراء الكاتب الاديب المعلم داود صليوا الكلداني انّهُ وقف على كتابٍ عزيز الوجود وهو «كتاب الوساطة بين المتنبيْ وبين من ردَّ شيئًا من شعرهِ في الفاظهِ ومعانيهِ» ومؤلف هذا الكتاب هو القاضي ابو الحسن عليّ بن العزيز الجرجاني من مشاهير القرن الرابع للهجرة توّفي بعــد ابي الطيب بزمن قليل ٣٩٢هـ (١٠٠١م). والنسخة البغداديَّة جزءان يحتوي كلُّ جزء نحو مئة صفحــة من قطع مجلّتنا ولا نظنّ انَّ المكاتب الشرقيَّة في اوربَّة حاصلة على نسخة ثانية من هــذا الكتاب النفيس. فمن اراد ان ينشرها على حسابهِ فعليهِ ان يخابر المعلم داود السابق ذكرهُ وهو يتكلّف بنسخ الكتاب بثمن معلوم. وهذه بعض اسطر ننقلها هنا من مقدّمتهِ:

بسم الله الرحمن الرحيم. التفاضل أطال الله بقاءك داعية التنافس والتنافس داعية التحاسد. واهل النقص رجلان رجل اتاهُ التقصير من قِبَله وقعد بهِ عن الكمال اختيارهُ فهو يساهم الفضلاء بطبعهِ ويحنو على الفضــل بقدر سهمهِ. وآخر رأى النقص ممتزجاً بخلقتهِ ومؤثلًا في تركيب فطرتهِ فاستشعر اليأس عن زوالهِ وقصرت بهِ الهمة عن انتقالهِ فلجأ الى حسد الافاضل واستغاث بانتقاص

الاماثل. يرى ان ابلغ الامور في جبر نقيصتهِ وستر ما كشفهُ العجز عن عورتهِ اجتذابهم الى مشاركتهِ ووسمهم بمثل سمتهِ وقد قيل :

واذا اراد الله نشر فضيلةٍ   طُويت اتاح لها لسانَ حسودِ

صدق والله وأحسن كم من فضيلة لو لم تستثرها الحاسدة لم تبرح في الصدور كامنةً . ومنقبة لو لم ترعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة لكنَّها برزت فتناولتها الَسُن الحسد تجلوها . وهي تظنّ انها تمحوها . وتشهرها . وهي تحاول ان تسترها . حتَّى عثر بها من يعرف حقَّها واهتدى اليها من هو اولى بها . فظهرت على لسانهِ في احسن معرض واكتست من فضلهِ ازين ملبس فعادت بعد الخمول نابهةً . وبعد الذبول ناضرةً . وتمكَّنت من بر والدها فنوهت بذكره وقدرت على قضاء حق صاحبها فرفعت من قدره . الخ

بحث المطالب وحامد الموصلي اطلعنا على رسالة ضافية الذيل ممضاة باسم « حامد الموصلي » نُشرت في الروضة . ومما استفدنا من مقدَّمتها انّ الكاتب الاديب لم يرضَ بما ذيّلنا بهِ بعض مقالات المشرق (٣ : ١٠٨١ و ١٠٨٣) بخصوص طبعة بحث المطالب الجديدة التي ظهرت آخرًا في المطبعة اللبنانية. فارتأى جنابهُ ان مآخذنا (١ على هذا الكتاب لم تُصب المرمى : ومن ثمَّ اطنب في محاسن الطبعة المذكورة

(قلنا) اننا لا نشاحّ جناب حامد الموصلي في مدافعتهِ عن الطبعة اللبنانيَّة ولعلهُ ممَّن سعوا بنشرها . فان اخطأنا في ملاحظاتنا فانَّنا نستميح من جنابهِ عذرًا وان اصبنا فغاية ما نتمنى ان تُصلح الطبعة الثانية وتحسَّن بحيث يكون لها السبق على غيرها من الطبعات

امَّا انتقاد جناب حامد الموصلي على الفصلين اللذين نشرناهما في المشرق من حماسة البحتري (٣ : ١٠٩٥) فلا نخالهُ مصيبًا فيهِ لان الروايات التي رواها حضرة الكاتب نعرفها من زمن مديد بل روينا بعضها في مطبوعاتنا السابقة وسنروي باقيها ان شاء الله عند طبعنا حماسة البحتري تامًا كما فعلنا في شرح ديوان الخنساء وكتاب رياض الادب في مراثي شواعر العرب . وانَّما آثرنا اثبات الاصل بكل امانة لانّ البحتري شاعر جليل

١) زعم الكاتب الاديب انَّ لفظة مآخذ لم تأتِ في اللغة بمعنى الاعتراضات والمغامز وكفانا لردّ زعمهِ انها وردت في هذا المعنى في كتاب الاغاني وغيره وانَّ المعجمات اللغويَّة تذكرها بمعنى « المصايد » فيسوغ من ثمَّ نقلها بالمجاز الى المعنى الذي اردناهُ

قديم العهــد عارف باقوال الاقدمين ولعلَّ رواياتهِ اصحّ من روايات غيره الذين اتوا بعدهُ . وان انكر مناظرنا صدق نقلنا تركناهُ وشأنهُ والسلام

فضيلة جديدة كان ارسطو الفيلسوف قسَّم الفضائل احسن تقسيم وتبعهُ في ذلك كبار الفلاسفة خصوصاً القديس توما اللاهوتي الّا ان صاحب الهلال وجد فضيــلةً جديدة لم يعرفها حتى الان ارباب الحكماء وهي فضيلة « حرّية الضمير » ذكرها في العدد الرابع من سنتهِ الجارية (ص ١١٤) فنطلب الى جنابهِ ألّا يحرمنا تعريف هذه الفضيــلة الجديدة وخواصها التي تفرزها عن غيرها لندوّنها في الكتب الفلسفيَّة ونمارسها عند اللزوم

أمرجع الفضائل كلها الى الصدق ؟ هذا ايضاً من مزاعم الهلال في الصفحة ذاتها . كما انَّهُ ذهب الى انَّ مرجع كلّ الرذائل الى الكذب . فان صدق جنابهُ فليُفدنا كيف العفَّة والفجور والكرم والبخــل والشهامة والجبن ترجع الى الصدق والكذب كنَّا لهُ من الشاكرين

اسئلة واجوبة

س سألنا من حمص الاديب رزق الله نعمة الله عبود ان نذكر لهُ الكتابات اليونانيَّة التي اكتشفها العلماء في حمص — ثم موقع المدن الثلاث : ١ً مافريكو او غافــيثون . ٢ً وفاناثالو . ٣ً وارمانيا او ارمينية

كتابات حمص اليونانيَّة — موقع مافريكو وفاناثالو وارمانيا

ج قد وجد العلَّامة وادنغتون في حمص ١٧ كتابة يونانيــة في مجموعهِ المشهور (٢٠٦٧—٢٠٧٠) مع ملحقات عديدة . ثمَّ وجد المسيو دوسُّو (R. Dussaud) سبع كتابات أُخر نشرها في تاريخ رحلتهِ . وكان قبل ذلك اخذ بعض العلماء رسوم كتابات غير هذه ولم يحسنوا رسمها منهم بُرتون ودراك (راجع الكتاب Unexplored Syria II, 379) ثمَّ تبعهما العلَّامتان فوسّه (Fossey) وپردريزه (Perdriset) وقد اسعدنا الحظّ ان نكتشف نحن ايضاً في حمص نحو ٧٠ كتابة سننشرها ان شاء الله في وقتها

امَّا المدن المطلوب موقعها فنقول ان اسم الاولى مصحَّف لا يمكن الاستدلال عليها بهذا اللفظ — وكذا قد صُحف الاسم الثاني . والغالب على ظنّنا انها المدينة التي دعاها

اليونان Βαινεθάλη وكان العرب يسمونها « دير باعنتل » والسريان « ܒܥܢܬܠ » وهي اليوم تُعرف باسم جوسيَّة الخراب ليس بعيدًا من جوسية الجديدة ومن ربلة على ضفة العاصي على مسافة ٦ ساعات من حمص من جهة الجنوب الشرقي وكانت سابقًا مقامًا لاحد الاساقفة تحت سيادة مطران حمص — اما المدينة الثالثة اي ارمانيا (Ἑρμενεία) فكانت ايضًا كرسيًا لاسقف خاضع لمطران حمص كان موقعها قريبًا من جبل اكوم ووادي خالد كما استنتجنا ذلك من اقوال بعض اهل البدو في تلك الجهات. وهناك الخربة لقدماء النصارى لم يسمح لنا الوقت بزيارتها ه.ل

س وسأل القس الفاضل نعمة الله الشهابي الحلبي لاي سبب يقدّم كهنة اللاتين ثلاث قداديس يوم عيد الميلاد

تثليث الذبيحة عند اللاتين يوم عيد الميلاد

ج سبق الجواب في المشرق (٢: ٩٥) على هذا السؤال فليراجع

س وسأل احد الادباء من محامي الدعوات في البلدة ماذا يذكر التاريخ عن ملكة سبإ التي قدمت اورشليم لتسمع حكمة سليمان كما ذكر سفر الملوك الثالث (١٠: ١)

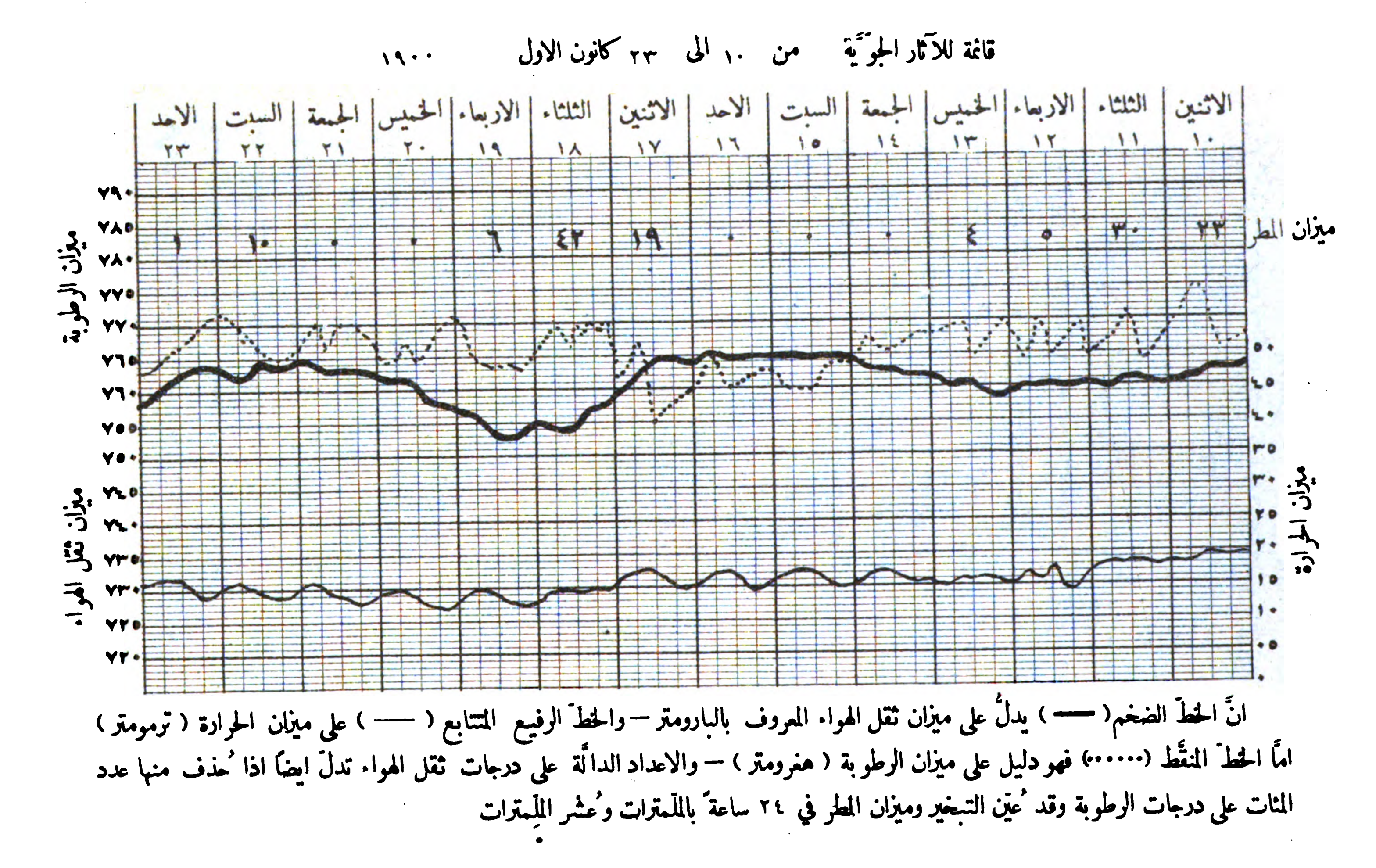
ملكة سبا

ج لم نعرف عن ملكة سبا شيئًا راهنًا الّا ما ذكرهُ الكتاب الكريم. بيد انَّ للعرب والحبش اخبارًا عجيبة عن هذه الملكة. وملوك الحبش ينتسبون اليها ويزعمون انها ملكت على بلادهم وهم يدعونها « ماكيدا » وارتأى يوسيفوس المؤرخ انها كانت تملك على بلاد الحبش ومصر. والرأي الارجح عند العلماء انها كانت ملكة على بلاد اليمن لانَّ لفظة سبإ بالعبرانيَّة (שבא) لا تطلق على الحبش بل على جنوبي بلاد العرب. فالمظنون انها كانت ملكة على حمير. والكتابات الاشوريَّة تؤيد هذا القول فانهُ قد جاء فيها ذكر اربع ملكات ملكنَ على بلاد العرب واحداهنَّ تدعى ايضًا « ملكة سبإ ». والعرب يدعون ملكة سبا بلقيس ويروون عنها اقاصيص وخرافات لا يسعنا هنا ذكرها ل.ش

(اصلاح غلط)

وهم راسم الشكل الذي أُثبت في الصفحة ١١٢٤ من السنة الماضية فكتب سهوًا « مركز الخارج » في محل « المحاذاة » و « المحاذاة » في مكان « مركز الخارج »

قائمة للآثار الجوّيّة   من ١٠ الى ٢٣ كانون الاول   ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر المِلّمترات

LE Bachir

البشير

Journal arabe hebdomadaire.

Le *Bachir* est l'organe du Catholicisme en Orient ; on peut ajouter qu'il en est *le seul organe religieux*. depuis plus de 30 ans qu'il a été fondé, Son premier but est donc de publier les nouvelles qui intéressent l'Eglise et la Religion. Mais ce but n'est pas exclusif. Il traite encore les questions scientifiques, historiques, littéraires et politiques, quand elles offrent un certain intérêt pour ces pays.

Les Orientalistes peuvent s'adresser au *Bachir* quand ils voudront faire connaître en Orient leurs travaux ou leurs publications ; il sera heureux d'être un trait d'union entre l'Europe savante et ses nombreux lecteurs orientaux.

CONDITIONS D'ABONNEMENT :

Beyrouth :	un an. . . . Fr. 8 » ;	six mois . :	Fr.	5 »
Hors de Beyrouth :	— . . . . . — 11 » ;	— — . .	—	7 »
Chaque vol. de la collection. in-folio raisin, demi-reliure		. .	—	12 »

Almanache du Bachîr pour 1901.

تقويم البشير

لسنة ١٩٠١

In-18, partie française, 96 pages, partie arabe, 108 pages.

Cette publication paraît annuellement depuis 1878 en arabe et en français Voici le sommaire de l'édition française pour 1901 :

Naissance et avénement des chefs d'Etats.
Epoques, Fêtes mobiles, Quatre saisons.
Fêtes chômées, jeûnes et abstinences des Latins.
Calendrier latin.
Fêtes, jeûnes et abstinences des Catholiques Orientaux
Eclipses.
Observations. Levers et couchers du soleil. Temps-moyen. Années copte, israélite et année de l'hégire.
Concordance des Calendriers, — Levers et couchers du soleil. — Phases de la lune.
Hiérarchie catholique.
Principales autorités civiles et militaires de la Syrie.
Consuls et Vice-Consuls.
Principales Administrations de la Syrie.
Tarif détaillé des Postes Ottomane, Française, Autrichienne, Britannique et Allemande
Tarif télégraphique.
Extrait du Réglement relatif au Teskéré de route.
Arrivées et départs des Paquebots-Postes.
Arrivées et départs des bateaux de commerce.
Tableaux du mouvement des bateaux.
Id. indications spéciales pour Beyrouth.
Extrait du réglement de l'Exploitation des chemins de fer de Beyrouth-Damas-Hauran et Biredjik.
Indicateur du chemin de fer Ottoman de Beyrouth-Damas.
Indicateur du chemin de fer Ottoman de Damas-Hauran.
Indicateur des tramways libanais
Indicateur du chemin de fer Ottoman de Jaffa-Jérusalem.
Tableaux comparatifs des poids et mesures.
Principales unités monétaires.

Le texte arabe traite en outre certains autres sujets qui intéressent plus particulièrement les indigènes.

	Fr.	afir.
Édition arabe seule, brochée	0,40	0.10
Edition française.	0.40	0,10

وكلاء المشرق ومحلّات الاشتراك

الاسكندرية	الخوري جرجس فرج صفير
الاسماعيلية	انطون افندي الخوري مطر
اوستراليا	الخوري يوسف الدحداح المرسل الماروني
البترون وقضاءوها	الخوري يوسف ابي صعب « البترون »
البرازيل	الخوري يعقوب صليبا المرسل الماروني
بغداد	الاب انستاس الكرملي
بورسعيد	بطرس افندي الياس رابيل
بيروت	المطبعة الكاثوليكية
«	كل اصحاب مكاتب بيروت نخصّ منهم بالذكر الافندية: خليل الخوري مدير المكتبة الجامعة. انطون كنعان مدير المكتبة الشاملة. موسى صفير مدير مكتبة المعارف. عبدو يني صاحب المكتبة السورية. سليم نصر صاحب المكتبة الادبية
جزين واقليمها	ابرهيم افندي ابي سمراء غانم « بكاسين »
حلب وولايتها	اومير افندي حكيم
حمص	الامير حافظ شهاب
دمشق الشام	الخواجه حبيب نعمة الله شارّ
دير القمر (المديرية)	مخائيل افندي عبد البستاني « دير القمر »
زحله	ايوب افندي صائغ
صيدا	توما افندي كيال
طرابلس الشام	المسيو نابوليون بيرو
طنطا	الخوري اثناسيوس دبس
العجم	القس افرام اسطيفان الكلداني « في سنا »
عكّار وجهاتهُ	ابرهيم افندي عبد الجليل في عندقت
القدس الشريف	ابرهيم افندي يزبك. الخوري يوحنا خليل في بطريركية اللاتين
كسروان	دير الاباء اليسوعيين « غزير »
لبنان (شماليهُ)	الخوري مخائيل عيسى الخوري « بشرّي »
لبنان (مركز متصرفية)	محمد افندي ابي عزّ الدين « في بتدين او بعبدا »
ماردين	الخوري افرام احمر دقنه
المتن	ناصيف افندي الرغزغي « بكفيا »
مصر (القاهرة)	امين افندي هندية في مكتبتهِ
المنصوره	القس جرجس الرزي
الموصل	القس بطرس نصري
مونتيفيديو	الخواجا اسكندر صافي
الولايات المتحدة	الخوري يوسف يزبك
يافا	انطون افندي جلاد

السنة الرابعة — العدد ٢ — ١٥ كانون الثاني ١٩٠١

انَّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كليّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 2 (15 Janvier 1901)

فهرس العدد ٢

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

رياض الادب

في

مراثي شواعر العرب

جمعهُ وضبطهُ وعلّق حواشيهُ ووقف على طبعهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الاول (شواعر الجاهلية)

ان لنساء العرب في الرثاء المعاني الرقيقة والالفاظ الشجية التي من شأنها ان تثير الاشجان وتقدح في القلوب شرَر النيران حتى ان كثيرًا من الادباء فضّل شعرهنَّ في هذا الباب على شعر فحول الشعراء . هذا وان جامع هذه القصائد قد كان ألحق اول طبعتهِ لديوان الخنساء بمراثٍ لنيف وستين شاعرة من شواعر العرب الّا انهُ قد اكتشف بعد ذلك على مقاطيع كثيرة احوجتهُ ان يفرد لهذه المراثي كتابًا قائمًا بذاتهِ يكون دستورًا لمن احبَّ مطالعة هذه القصائد البديعة (قطع ٨ عدد صفحاته ١٥٧)

بغلاف ٠٠ ٣ ٤٠

Les poétesses arabes.

In-8, 157 pages, 1897.

Par le P. L. Cheikho S. J.

Dans sa première édition d'*al-Ḫansâ'*, le P. Cheikho avais ajouté au Diwân de cette poétesse, de petits fragments élégiaques d'une soixantaine d'autres femmes arabes. Ces poésies étaient précédées de quelques détails historiques sur celles qui les avaient composées. Depuis lors de nouvelles recherches ont permis à l'auteur de décupler les matériaux dont il disposait. Il peut ainsi présenter aux Orientalistes un ouvrage à peu près complet sur l'histoire des poétesses arabes depuis la fin du Ve siècle jusqu'à ces derniers temps. Cette publication paraîtra en quatre fascicules d'environ 150 pages chacun, comprenant les quatre grandes périodes de l'histoire arabe. Le 1er fascicule a paru ; il contient en dix chapitres les notices de 71 poétesses antéislamiques.

	Fr.	affr.
Broché	3 »	0,40

المشرق

الجامع الازهر

نبذة في تاريخهِ وتعليمهِ

للاب الكسيس مالون اليسوعي

ان بين المباني الفخيمة التي يتقاطر السيَّاح الى زيارتها في القاهرة اثرًا شهيرًا يخصُّونهُ بالذكر في اسفار رِحَلهم ويطنبون في اوصافهِ وهو الجامع الازهر الذي طار صيتهُ في المالك الاسلامية فعدَّ من ارفع ابنيتها مقامًا واخطرها شأنًا حتى قصدهُ الطلبة فجاءوهُ ارسالًا من كل وادٍ واوب ليأخذوا العلوم عن فقهائهِ وادبائهِ. وكان لعلماء الازهر اليد الطولى في جميع معارف الدين الاسلامي يدرسها عليهم محبُّو العلوم على اختلاف اجناسهم وبلادهم فيستضيئون بنبراسهم ثمَّ يعودون الى اقطارهم فينشرون فيها ما تلقَّنوهُ من المعارف ويرشدون اليها مواطنيهم

هذا وليس قصدنا من هذه النبذة الوجيزة ان نستوفي الكلام عن تاريخ هذا الجامع وما توالى عليهِ في كرّ الدهور من التغيير والتحسين على ايدي الخلفاء والسلاطين لان ذلك يقتضي بحثًا فسيح المجال لا توفي حقَّهُ التواريخُ المسهبة فضلًا عن الصفحات الوجيزة في مجلة علميَّة ادبيَّة. فاننا نكتفي بذكر بنائهِ واهمّ ما مرَّ عليهِ من الحوادث في ممرّ الايام وما هو عليهِ اليوم من حفلة الطلبة واتساع الدروس ليقف القراء على احوال ما وصفهُ بعض الكتبة « بالكلّية الجليلة التي طالما افتخر بها المشرق والمغرب »

١ في تاريخ الجامع الازهر

يرتقي عهد الجامع الازهر الى اوائل الدولة الفاطميَّة في مصر. وذلك ان الخليفة لمعز لدين الله الفاطمي كان يملك في اواسط القرن الثالث للهجرة على بلاد قيروان والمغرب

وكان ذا مدارك سامية وشدّة بأس فحملهُ طمعهُ في توسيع نطاق ملكهِ الى ان يستولي على الديار المصريَّة وهي اذ ذاك مضطربة الاحوال متضعضعة الامور يسوسها الامير ابو الفوارس علي بن محمد الاخشيدي. فارسل المعزّ قائدهُ جوهر بن عبد الله الكاتب الصقلّي في جيش عرمرم ليفتح الفسطاط (١. قال ابن دقماق (٢ في كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار (٥:٣٥):« فدخل جوهر الى الفسطاط في يوم الثلاثاء ١٧ شعبان وقيل ١٢ من سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) وصعد المنبر يوم الجمعة ودعا لمولاهُ المعزّ ووصلت البشائر الى المعزّ والمعزّ بافريقية في نصف رمضان من السنة المذكورة فاقام بها الى ان وصل مولاهُ في شهر شعبان سنة ٣٦١ وعمّر مدينة القاهرة وسماها بالمنصوريَّة وابتدأ بالعمارة في سنة ٣٥٩. ثمَّ سُمّيت بالقاهرة عند قدوم سيدهِ الامام المعزّ لدين الله قيل لانَّ اساسها شُقّ عند طلوع كوكب رصدهُ احد السبعة الذين كانوا بديار مصر وهو كوكب يُقال لهُ القاهر» (وهو المرّيخ). وقال ابن اياس في تاريخ مصر (١:٤٦) عن المعزّ ان بزمانهِ:« صارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة. وكان الخلفاء الفاطميَّة يحكمون من مصر الى الشام الى حلب الى الفرات الى مكة والمدينة الشريفة الى القدس والخليل »

امَّا بناء الجامع الازهر فقد أُنشئ في ذات السنة التي اختطَّ بها القائد جوهر مدينة القاهرة. قال المقريزي في كتاب الخطط والآثار (٢:٢٧٣):« هذا الجامع اوَّل مسجد أُسّس بالقاهرة والذي انشأهُ القائد جوهر الكاتب الصِقلّي مولى الامام ابي تميم معدّ الخليفة امير المؤمنين المعزّ لدين الله لمَّا اختطَّ القاهرة وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لستّ بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ (٩٧٠ م) وكمل بناؤهُ لتسع (٣ خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١ (٩٧٢ م) وجُمِع فيهِ. وكُتب بدائر القبَّة التي في الرواق

١) الفسطاط هي مصر العتيقة دُعيت بذلك لانَّ عمرو بن العاص ضرب فيها فسطاطهُ اي خيمتهُ لمَّا قدم لفتح مِنف القديمة في خلافة عُمَر بن الخطَّاب

٢) هو ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي الشهير بابن دقماق مؤلف كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار وهو تاريخ كبير في عشرة اجزاء لم يبقَ منهُ الَّا جزءان يشملان تاريخ مصر والفسطاط والاسكندرية امر بطبعهما صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا وكيل نظارة المعارف العمومية المصريَّة

٣) وفي كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٢:١٤٠):« لسبع »

الاول وهي على يمنة المحراب والمنبر ما نصّهُ بعد البسملة: امر ببنائهِ عبد الله ووليُّهُ ابو تميم معدّ الامام معزّ لدين الله امير المومنين صلوات الله عليهِ وعلى آبائهِ وابنائهِ الاكرمين على يد عبدهِ جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ٣٦٠ (٩٦٩ م)»

هذا وقيل انَّ المعزّ لدين الله سمّى الجامع المذكور بالازهر نسبةً الى فاطمة الزهراء التي كان الخليفة ينتسب اليها

ولمَّا بويع بالخلافة للعزيز بالله ابي منصور نزار ابن المعزّ سنة ٣٦٥ (٩٧٦م) جدَّد اشياء في بناء الازهر ثمَّ احبَّ ان يجعل عاصمة ملكهِ دارًا للعلوم والآداب على نحو ما كانت بغداد فارسل واحضر جماعة من الفقهاء من نواحي مصر والمغرب ومراكش وامر لهم سنة ٣٧٨ (٩٨٩م) بصِلة رزق وجعلهم أسرى معروفهِ. قال المقريزي في الخطط: «وامر لهم بشراء دار وبنائها فبُنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلَّقوا فيهِ بعد الصلاة الى ان تصلّى (كذا) العصر. وكان لهم ايضًا من مال الوزير (يريد وزير الخليفة العزيز ابا الفرج يعقوب بن كلس) حلَّةٌ في كل سنة وكانت عدَّتهم ٣٥ رجلًا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات»

وهكذا تمَّ انشاء هذا الجامع الشهير مع المدرسة الازهريَّة اللاحقة بهِ. ولمَّا صارت الخلافة الى الحاكم بامر الله جدَّد الجامع الازهر واوقف عليهِ الاوقاف وحبس من الاملاك ما يبلغ ريعهُ ١٠٦٧ دينارًا وقد فصَّل ذلك العلامة المقريزى في كتاب الخطط (٢: ٢٧٤) واستوفى فيهِ الكلام فلا حاجة الى تدونهِ. امَّا المدرسة الجديدة فحفلت بالطلَّاب الواردين من اطراف الممالك الاسلامية لدرس الفقه وزخرت خزائنُها بالكتب المفيدة ثم تتابع الخلفاء بعد منشئها العزيز بالله فاعزُّوا العلم على مثالهِ واكرموا اهلهُ بيد انَّنا لا نعلم الَّا شيئًا قليلًا عن الدروس التي كان العلماء يدرّسونهـا في الجامع الازهر على عهد الدولة الفاطميَّة ولا نظنّ انَّها تجاوزت العلوم اللسانيَّة والفقهيَّة وبقي ذلك الى ايَّام الدولة الايوبيَّة

ولمَّا استبـدَّ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بالسلطنة في اواسط القرن السادس للهجرة ابطل الخطبة في الجامع الازهر واقرَّها بالجامع الحاكمي لانهُ اوسع. وقيل انَّهُ اهمل الجامع الازهر بغضًا بالدولة الفاطميَّة. قال المؤرخ المدقق العلامة المقريزيّ في الخطط (٢: ٢٧٥) والشيخ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة (٢: ١٤٠):

« وكان بصدر الجامع الازهر في محرابهِ منطقة فضَّة كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص بمصر فقلع ذلك صلاح الدين في ١١ ربيع الاول سنة ٥٦٩ لانهُ كان فيها انتهاء الخلفاء الفاطميين فجاء وزنهــا خمسة آلاف درهم نقرة ». وقال المذكوران: « ولم يزل الجامع الازهر معطَّلًا من اقامة الجمعة فيهِ مائة عام الى ايام الملك الظاهر بيبرس ». وكذلك أُبطلت المدرسة الازهريَّة كما يؤْخذ من كلام المقريزيّ وان لم يصرّح بهِ جليًّا. قال العلامــة ڤان بركم المستشرق الخبير بعاديَّات مصر العربيَّة: « وامر صلاح الدين بقطع التدريس في الجامع الازهر وشتَّت شمل الطلبة والمعلّمين لانهُ كان على مذهب الشافعيَّة وكان مذهبهم غير مذهبهِ فضــلًا عن انَّهُ كان يرى فيهم من التعلّق بالدولة الفاطميَّة ما كان يريبهُ »

ولمَّا ادال الله جلَّ اسمهُ للمماليــك وافضت السلطنة فيهم الى السلطان السادس الملك الظاهر ابي الفتوح بيبرس البندقداري أعاد الخطبــة والجمعة في الجامع الازهر سنة ٦٦٥ (١٢٦٧م) وجدَّد فيهِ التعليم. قال الامام تقي الدين المقريزي (٢ : ٢٧٥): « وتبرّع الامير عزّ الدين (ايدمر الحليّ) لهُ بجملة مستكثرة من المال الجزيل واطلق لهُ من السلطان جملةً من المال وشرع في عمارتهِ فعمَّر الواهي من اركانهِ وجدرانهِ وبيَّضهُ واصلح سقوفهُ وبلَّطهُ وفرشهُ وكساهُ حتى عاد حرمًا في وسط المدينة واستجدَّ بهِ مقصورةً حسنة واثَّر فيهِ آثارًا صالحة »

ثمَّ جلس بعد الظاهر بيبرس على منصَّة الملك ابنهُ محمــد ناصر الدين بركة خان وكان لهُ وزير عاقل حسن السجايا كثير الآداب وهو الامير بيلبك الخازندار. فعمل هذا مقصورةً كبيرةً رتَّب فيها جماعة من الفقهــاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي ورتَّب سبعة آخرين لقراءة القرآن واقــام مدرسًا ومحدّثًا ليُسمع الحديث والرقائق ووقف على كلّ ذلك الاوقاف الدارَّة. فنهضت الهمم من ميتتهــا وازدحمت الطلَّاب الى مناهل الادب ونمت في المحروسة دوحة العلم وارتفعت اغصانها وامتدَّت افنانها واتت بالاثمار الطيبة ألا وهي ما صار اليهِ الشعب المصري في ذلك الزمن من التقدُّم واسباب العمران

وفي السنة ٧٠٢ حدث في مصر زلزلة هائلة قوَّضت ابنيةً عديدة منها الجامع الازهر فتولى عمارتهُ الامير سلار. ثم جدَّد بناءهُ سنة ٧٦١ (١٣٦٠م) الامير الطواشي

سعد الدين بشير الجامدار النـاصري وكان اثيرًا عند السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون خصيصاً بهِ فاستأذنهُ بتجديد بناء هذا الجامع فاذن لهُ . فقلع منهُ ما كان يشوّههُ وتتبّع جدرانهُ وسقوفهُ بالاصلاح حتى عادت كأنّها جديدة وجعل مكتباً لاقراء ايتـام المسلمين ورتّب للفقراء المجاورين طعاماً يُطبخ كلّ يوم واقام مدرّساً للفقه الحنفيّ في المحراب الكبير ووقف على كلّ ذلك اوقافاً جليلة (راجع المقريزيّ ٢ : ٢٧٦)

ثمَّ تداولت الملوك بعد السلطان الملك الناصر صورة الجامع الازهر وهم يحسنون الى الجامع الازهر و يزيدون في رواتبهِ ويصلحون ما خرب منهُ وقد نُقشت اسماؤهم على صفائح لا تزال محفوظة الى اليوم في الجامع الازهر فلم يذهب بذكرهم الزمان والنسيان . منهم الملك الناصر فرج بن برقوق عمل صهريجاً في صحن الجامع الازهر وبنى لهُ منارة طويلة . قال المقريزي : « ولم يزل في هذا الجامع منذ بُني عدّة من الفقراء يلازمون الاقامة فيهِ وبلغت عدّتهم في هذه الايام ٧٥٠ رجلًا ما بين عجم وزيالعة ومن اهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يُعرف بهم فلا يزال الجامع عامرًا بتلاوة القرآن ودراستهِ وتلقينهِ والاشتغال بانواع العلوم من الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذِكر . . . وصار ارباب الاموال يقصدون هـذا الجامع بانواع البرّ من الذهب والفضة والفلوس اعانةً للمجاورين فيهِ على عبادة الله وكل قليل تُحمل اليهم انواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيا في المواسم » . ومنهم ايضاً الملك الاشرف قيطباي والسلطان الغوري من دولة المماليك الشراكسة

وممّن اهتمّ بهـذا الجامع الشهير في القرن الماضي رجلُ مصر الكبير محمد علي الذي احيا المعارف والعلوم في القطر المصري . وتتبّع آثارهُ بعدهُ سموّ الخديوي عبّاس حلمي باشا فامر ببنـاء رواق جديد في الازهر فتأنق المهندسون في زخرفتهِ وجمعوا فيهِ من النقوش البديعة والرسوم الجميلة والفنون الهندسيّة ما يأخذ بمجامع القلوب ويستوقف الانظار فعُرف هذا الرواق بالرواق العبّاسي

هذه خلاصة اخبار الجامع الازهر في غابر الايام . ودونك وصفهُ اجمالًا في عهدنا : انّ هذا الجامع عبارة عن بناء مستطيل الشكل واسع الارجاء تنتهي زواياهُ الاربع باربع مآذن شاهقة الطول . وفي وسط البناء صحن فسيح فيـهِ ثلاثة صهاريج للوضوء .

تحدق بهِ من جهاتهِ الاربع اروقة واسعة . امَّا باب الجامع فمن الجهة الغربيَّة وهو يُعرَف بباب المزيّنين لهُ منظرٌ جميل تقرُّ بمحاسنهِ العين وهو يتركَّب من قنطرتين تستندان الى عمد كثيرة محكمة الصنعة يعلوهما افريز مزيَّن بالنقوش كُتب عليهِ بحروف ذهبيَّة تاريخ بناء الجامع مع بعض ابيات حكميَّة وفقرات قرآنيَّـة . وفي الاروقة الشمالية خزائن تُحفظ فيها كتب التدريس وادوات الكتابة

وموقع المسجد في الاروقة الشرقيَّة وهو في غاية الجمال فيـهِ من طُرف النقوش وعجائب الهندسة ما يقصر عن وصفهِ لسان وعن تسطيره يراع . يبلغ عدد اعمدتهِ ٣٨٠ عمودًا وكلها من الرخام او الصوَّان محكمة النحت . وفيهِ من القناديل نحو ١٢٠٠ قنديل ولهُ محرابان مزيَّنـان بالرسوم الدقيقة والنقوش الانيقة وغير ذلك من الزخارف ما يأخذ بالابصار ويفتن البصائر

٢ في تعليم الجامع الازهر

بعد ذكرنا في ما تقدَّم لمعةً من اخبار الجامع الازهر يترتب علينا ان نورد شيئاً من احوال تعليمهِ ونظام تدريسهِ فنقول :

قد مرَّ بنا في مطاوي كلامنـا عن تاريخ الجامع الازهر ان اول ما انعكف عليهِ الازهريُّون من المعارف العلوم الدينيَّة كتفسير القرآن والسُّنة والحديث واصول الفقـه ثم أُضيف الى هذه العلوم بعد سنين قليلة تعميماً للفائدة درس المبادئ واللغة والادب. والحق يُقال ان علم الدين كان ولم يزل محور تدريس شيوخ الازهر دارت عليهِ في كلّ عصر جميع فنونهم وبهِ نالوا ما لهم من بعد الشهرة وانتشار الصيت حتى بلغوا فيهِ شأوًا لم يدركهُ غيرهم . وقد اشتهر منهم كثيرون في العلوم الفقهيَّة على حسب المذاهب الاربعة وصنَّفوا فيها الكتب العديدة التي نُشر كثير منها بالطبع

فممَّن اصاب قصبة السبق في الفقه المالكي الشيخ الزرقاني والشيخ يوسف الصفتي والشيخ ابو الحسن والشيخ احمد الدردير والشيخ الصاوي . ولكل هؤلاء القدم الراسخة في مذهبهم والمعوَّل على تآليفهم الى هذا العهد في الجامع الازهر . ومن المتأخرين الشيخ العَدويّ لهُ حواشٍ عديدة على مصنفات الاقدمين والشيخ العليش الذي لم يشقَّ غبارهُ احد من الفقهاء الملكيين في القرن التاسع عشر فلقَّبهُ اهل مصر لسعة علمهِ بالمالك الصغير

ومن اعيان مذهب الامام الشافعيّ الشيخ ابو القاسم ولهُ شرح على متن ابي شجاع

العجمي والشيخ البرماويّ والشيخ الخطيب والبيجوري الشهير ولهؤلاء الثلثة حاشية (١ على شرح ابي القاسم . وشيخ الاسلام (٢ زكريّا الانصاري (٢٦٩ — ١٥٢٠ م +) الاديب المتضلّع في الفقه صنّف فيهِ كتابين التحرير والمنهج ثم شرحهما بنفسهِ . والشيخ النووي (٦٧٦ — ١٢٧٧ م +) لهُ كتاب يُدعى ايضاً المنهج شرحهُ زكريّا الانصاريّ . والشيخ مصطفى العروسي وابراهيم السقّاء والشيخ الرملي (١٠٠٤ — ١٥٩٦ م +) الطائر الشهرة الذي اجتمع فيهِ من المعارف ما أهّلهُ ان يدعى بالشافعي الصغير

امّا مذهب ابي حنيفة فاغلب كتبهِ صنّفها الاعاجم اشتهر من تباعهِ في الجامع الازهر الشيخ البنّا. والشيخ عبد الرحمان القطب والشيخ العباسي مفتي الديار المصريّة

هذا ونضرب صفحاً عن مذهب احمد بن حنبل لان شيوخهُ قليلون وتبّاعهُ من الطلبة يبلغ عددهم خمسين طالباً (٣

ومن العلوم التي ازهرت في الجامع الازهر علم اللغة بفروعها . وقد اجمع اليوم علماء الاسلام انهُ لولا هذه المدرسة لما استمرّت العربيّة لغة الشريعة في الممالك الاسلاميّة . وذلك لأنّ الملك بعد الخلفاء العبّاسيين صار في الهند والعجم والعراق والشام ومصر الى دولٍ لم تكن العربيّة لغتها الرسميّة فكانت كلُّ دولة تسوس رعيّتها بلغتها الخاصّة وبقيت العربيّة في بعض المدارس اشهرُها مدرسة الجامع الازهر فانّ منار هذه اللغة لم يزل فيها عالياً ونورها زاهياً . وكان ائمتها ممتازين بوفرة العلوم وفصاحة كلامهم ولهم التصانيف اللغويّة المفيدة المنبئة بطول باعهم منهم الشيخ حسن الكفراويّ الشهير شارح متن الاجروميّة لابن آجرّوم والشيخ الحمدي لهُ تقرير على شرح الكفراويّ والشيخ خالد الطائر الصيت صاحب الشرح المعروف بالتسريح على متن التوضيح لابن هشام

١) الحاشية ما ينسجهُ المؤلف من التفاسير على ما كتبهُ الشارح ليوضح المبهم ويفصّل المجمل وربّما اتى رابع وألحق ملاحظاتهِ بالشرح والحاشية ويسمى ذلك تقريراً . فيكون للتأليف الواحد المتن والشرح والحاشية والتقرير . وكلٌّ منها عادةً اطول من المتقدّم

٢) كذا يسمّى الشيخ المتولي ادارة الجامع الازهر ويقال لهُ ايضاً شيخ الجامع

٣) كان عدد الشيوخ المدرسين في الازهر قبل بضع سنوات نحو ٣٢٠ شيخاً نصفهم من المذهب الشافعي . والباقون مالكيون وحنفيون الّا ٤ و ٥ من الحنبليين امّا الطلبة المجاورون فكان عددهم نيفاً و ١٠٠٠٠ النصف منهم شافعيون . والمالكيون نحو ٤٠٠٠ والباقون حنفيّون مع قليل من الحنبليين . واليوم زاد عدد الحنفيين على الشافعيين والمالكيين كما سترى

والشيخ ابو النجا محشي شرح الشيخ خالد. والشيخ السجاعيّ الذائع الذكر مصنف حاشية على شرح القطر لابن هشام وحاشية على شرح ابن عقيل على الفيَّة ابن مالك. ومنهم الشيخ الخضريّ احد ادباء الازهر لهُ حاشية على شرح ابن عقيل كالسجاعيّ. والشيخ الأشموني شارح متن الالفيَّة وعلى شرحهِ حاشية للشيخ الصبَّان (١. والشيخ شمس الدين الانبابيّ الذي قُلّد رتبة شيخ الجامع وتوفيّ سنة ١٨٩٥. وكان هذا الرجل فريد المناقب غزير العلوم لهُ على معظم كتب المعقول جملة تقارير تبرئ العليل وتشفي الغليل واماَّ تصانيفهُ الفقهيَّة في مذهب الامام الشافعي فما غادر فيها كبيرةً ولا صغيرةً الَّا واماط عنها الحجاب

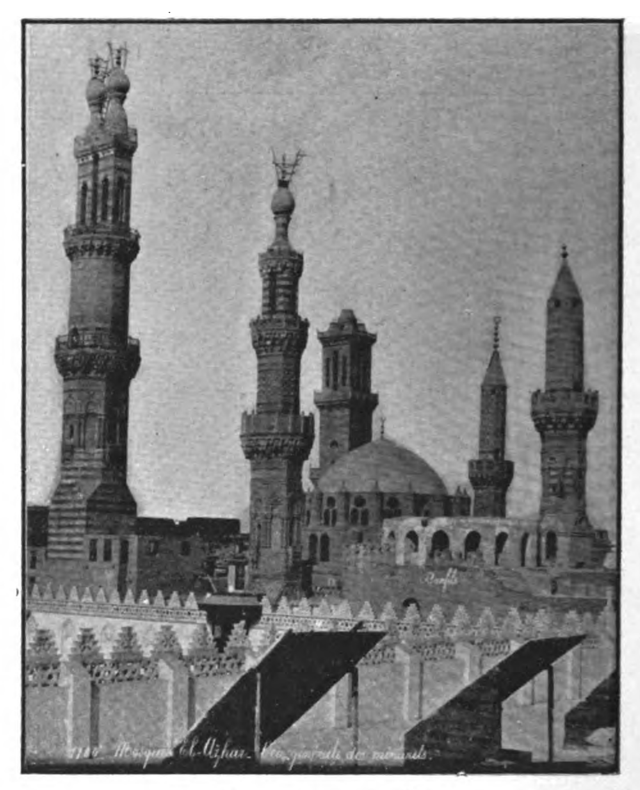
ولم يبلغ علماء الازهر في البلاغة ما بلغوا في الدروس اللغويَّة فانَّ اكثر كتب البيان والبديع المقرَّرة اليوم في الجامع الازهر للاعاجم. وقد اشتهر مع ذلك منهم قوم فضلاء كالشيخ جلال الدين السيوطيّ صاحب كتاب عقود الجمان مع شرح لهُ عليهِ والشيخ البنَّاني والشيخ الدسوقي ولكلّ منهما حاشية على شرح السعد العجميّ. والشيخ الأخضريّ صاحب الجوهر المكنون وهو شارحهُ. والشيخ مخلوف من ادباء زماننا محشيّ شرح الاخضري والشيخ محمود مؤلف حُسن الصنيع والشيخ البَسْيونيّ وكان امام سمو الخديوي عبَّاس باشا الثاني ولهُ كتاب حسن الصياغة في علوم البلاغة

ومن الازهريين من برع في الفلسفة ولاسيَّما في المنطق وقد صنَّفوا ايضاً في ذلك تآليف حسنة منهم الشيخ الخبيصيّ شارح متن التهذيب والشيخ الاخضريّ السابق ذكرهُ صاحب السُلَّم وهو الذي شرحهُ والعلاَّمة الشيخ البَيجوريّ محشّي تصنيف الاخضري

وقد انكبَّ ايضاً بعض علماء الازهر على الهيئة والرياضيَّات والطبّ فادركوا في كل ذلك شأواً بعيداً على عهد الخلفاء والمماليك بيد أننا لا نظنّ انَّ هذه الفنون رُزقت بينهم عمراً طويلاً لانَّ اكثر آثارها قد اندثرت ولم يبقَ منها شيء يُذكر

هذه هي العلوم التي ازهرت في حديقة الجامع الازهر فاينعت اثمارها واجتناها الطلاَّب في تداول الاحقاب على حسب ما بذلوهُ من الهمَّة واصابوا من ذكاء الالباب

١) تاريخ وفاة بعض هؤلاء النحاة توفيّ ابن مالك سنة ٦٧٢–١٢٧٣م وابن هشام سنة ٧٦١–١٣٦٠ وابن عقيل ٧٦٩–١٣٦٨ والاشمونيّ ٩٠٠–١٤٩٥ والشيخ خالد الازهري ٩٠٥–١٥٠٠ والسجاعي ١١٩٧–١٧٨٣ والكفراوي ١٢٠٢–١٧٨٨ والصبَّان ١٢٠٦–١٧٩١ والخضري ١٢٨٨–١٨٧١



قبّة الجامع الازهر ومآذنه



اروقة الجامع الازهر

وان سألنا القارئ عن لائحة الدروس الحاليَّة في الجامع الازهر سِرنا بهِ الى هذه المدرسة الشهيرة لنتفحّص عياناً عن احوالها وطرائق تدريسها كما هي جارية في يومنا هذا. فادخل يا رعاك الله الى هــذا نادي العلوم فاذا تجاوزتَ بابهِ وافضى بك المسير الى صحنهِ شاهدتَ جمًّا غفــيرًا من اولاد وشبّان وكهول وشيوخ ينيف عددهم على عشرة آلاف مُجاورٍ لهذا المقام الخطير فتسمع جلبةً عظيمةً واذا اصغيتَ الى لهجاتهم تبينت منهــا اصولهم فمنهم المصريون والشاميون والعراقيون واليمنيون وقد قدم بعضهم من الصعيد والنوبة والسودان وطرابلس الغرب والجزائر ومراكش ولعلك تسمع ألسنة غير اللسان العربيّ كالفارسيَّة والتركيَّة والهنديَّة الى غير ذلك من اللغات التي يتكلّم بهــا المسلمون في انحاء المعمور. واغلب هؤلاء الطلبــة يدرسون الفقه الحنفيّ والسبب في ذلك رغبتهم في مراتب الحاكات الشرعيَّة فانَّهُ لا يُنصَّب في مجالس الإفتاء والقضاء الَّا من كان حنفيًّا وكانت الاغلبيَّــة سابقًا للشافعيين. فاضحى اليوم عدد المتذهبين بمذهب ابن مالك والامام الشافعيّ متساويًا بالتقريب. امَّا المذهب الحنبلي فتابعوهُ قليلون كما مرَّ

وجميع هؤلاء الطلبة متفرّقون حسب اجناسهم فلكل جنسٍ رواق مخصوص لهُ شيخٌ يتولى شؤونهُ تحت ادارة شيخ الجامع الأكبر

امَّا اذا حان وقت الدرس فيتخالط اجناس الطلبة وانما يتقاسمون في درجات العلم فتراهم يجلسون على الحصير زُمرًا زُمرًا محدقين بمعلّمهم كالهالة بالقمر لا يزالون يتمايلون الى الامام والوراء او الشمال واليمين وهم مصغون الى اقوال المدرّس حتى تنطبع في عقلهم. ولا يكترث الشيخ المدرس لعدد السامعين ان كثروا او قلّوا قدموا او انصرفوا تعلّموا او لم يتعلّموا استمعوا لهُ او لغيرهِ من الشيوخ فانَّهُ لا حكم لهُ في كل ذلك وانما يترتب عليهِ التدريس في ساعات معلومة ليس الّا. ولا ينقطع التعليم في الازهر في كل ايَّام الاسبوع ما خلا مساء الخميس ونهار الجمعة برمَّتهِ. وكذلك يبطل التدريس في شهر رمضان ومدَّة نحو شهرين في فصل الصيف

ومن امتيازات الطلبة انهم يُعافون من الجنديَّة وقد اقرَّت لهم الحكومة بذلك لتوفير عدد الدارسين وتنشيط هممهم في اكتساب العلوم. والتعليم لا يكون الّا مجّانًا

يقوم بنفقات المعلمين ما يُجمع من الاوقاف التي حُبست على هذا الجامع الشهير منذ عهدٍ عهيد

اما العلوم التي يتخرّج فيها الطلبة فانها لا تختلف اختلافاً كبيرًا عمّا كانت عليهِ في القرون الغابرة. فان اول ما يعكف عليهِ الطالب درس اللغة العربيّة من صرف ونحو ثمَّ يباشر البلاغة والبيان وهو ينكبُّ في اثناء ذلك على علم الدين. ويشتمل علم الدين عندهم على التوحيد اي البحث عن وجودهِ وصفاتهِ تعالى وعلى الفقه وتفسير القرآن وتفسير الحديث وهو الكلام المنقول عن صاحب الشريعة

والفقه عندهم قسمان نظري اي معاملة وعمليّ اي عبادة. فالعبادة مدارها على الصلاة والزكاة والصوم والحج. اما المعاملة فالبحث فيها عن الهيئة الاجتماعيّة في الاسلام كقوانين البيع والشراء والعتق والنكاح والطلاق الى غير ذلك ممّا يطول شرحهُ

ويضاف الى هذه العلوم الدينيّة شرح مبادئ المنطق على حسب ما عُرّبت عن كتب ارسطاطاليس. اما علم الهيئة فلا يتلقّون منهُ الّا شطرًا يسيرًا وهم لا يبلغون في ذلك ما يبلغهُ اسلافهم فضلًا عن انهم لم يقفوا على ما اخترعهُ اهل العلم في هذا الشأن منذ مئتي سنة الى يومنا

هذا ومن نحو ستّ سنين اتّسع نطاق دروس الجامع الازهر وازدادت كنوزهُ العلميّة فأُلحق بعلومهِ درس الحساب والتاريخ والجغرافيا لكنَّ الطلبة لم يجاوزوا في ذلك مبادئ هذه الفنون ولم يرتشفوا من سلافتها الّا صبابة

وان سألنا السائل عن حالة الدروس اليوم في الجامع الازهر وما كانت عليهِ في سالف الدهور اجبنا استنادًا الى قول بعض الشيوخ الذين اجتمعنا بهم ففاوضناهم في ذلك انَّ بين الحاضر والغابر بونًا شاسعًا قال الشيخ: «والسبب في انحطاط الدروس تغافل الطلبة عن اكتساب العلم فأنّهُ قد هبَّت منذ بضع سنوات ريحٌ تدفعهم عن سُبل العلم الصحيح الى ما فيهِ تنعُّم الانسان. ومنهم من يتّخذ العلم ذريعة الى احراز المناصب السامية واقتناء الاموال فلم يبقَ عندهم من القرار والسكون وراحة الفكر ما يحملهم على طلب المعارف والترقي الى الذروة كمال العقل»

انتهى قولُ الشيخ. ونضيف نحن سبباً آخر الى ما تقدّم فنقول: انَّ الديار المصريّة صارت منذ عهد قريب محطّ العلوم وموطن الاداب والفنون لاسيما المحروسة فان العلوم

الطبيعيَّة والاختراعات الحديثة والصناعات الجديدة ووسائل النقل والمراسلة بلغت فيها ما لا تراهُ الَّا في العواصم العظمى. ولذلك عمـدت الحكومة المصريَّة السنيَّة الى ادراج العلوم الطبيعيَّة في سلك موادّ التدريس المقرَّرة في مدارسها. امَّا الجامع الازهر فلم يغيّر خطَّتهُ وأبى الشيوخ إحداث شيء في طريقتهِ التعليميَّة فاصبح الخارجون منـهُ مقصّرين عن القيام بمهنة التدريس في مدارس الحكومة لقلة علمهم بالموادّ المشروحة فيها. وتداركاً لهذا الخلل اقامت الحكومة مدرسة عليا للشيوخ الازهريين سمَّتها دار العلوم. وهاك ملخَّص اخبارها:

أُسست هذه المدرسة سنة ١٨٧٢ بامر صاحب السموّ جنتمكان اسماعيل باشا وشُرع في التدريس فيها سنة ١٨٧٣ وغرضها ترشيح مدرّسين يقومون بوظيفة التعليم في المدارس والمكاتب الابتدائيَّة في جميع العلوم المقرَّرة لها ما عدا اللغة التركية واللغـات الاجنبيَّة والرسم. وفي سنة ١٨٨٨ رأت الحكومة السنية ان تزيد على هذا الفرض إعداد بعض طلبة لوظائف القضاء والافتاء وصدر في ذلك قرار نظارة المعارف العمومية في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٩٣ وهاك نصّ المادتين ٨١ و ٣٠:

(المادة ١٨) مدَّة التعليم للطلبـة الذين يترشحون لوظائف التدريس اربع سنوات وللذين يترشحون لوظائف القضاء والافتاء خمس سنوات

(المادة ٣٠) تعطي النظارة لكل طالب اتمّ دراسة الاربع السنوات شهادة انتهائيـة بكفاءتهِ للتدريس ولمن اتمّ دراسة الخمس السنوات شهادة اخرى بانهُ ترشَّح لوظائف القضاء والافتاء وذلك بعد تأدية الامتحان العمومي

ولمَّا أُريد تطبيق هذا القرار لم يرغب الدخول في السنة الخامسة من الطلبة الذين تمموا دروسهم سنة ١٨٩٣ واستحقوا شهادة الكفاءة للتدريس الَّا اثنان فقط. ومع حصولهما على شهادة ترشحهما لوظائف القضاء والافتاء لم تقبل نظارة الحقانيَّـة جواز استخدامهما الَّا بعد امتحانهما مع من اراد من طلبـة الازهر الحصول على الوظائف نفسها. وحجَّة الحقانيَّة في ذلك هي « انهُ ليس للأُلوف المؤلفة من الطلبة الذين يَؤُمّون الجامع الازهر من اوجه الكسب سوى توظفهم في تلك الوظائف فضلًا عن ان جملة وظائف القضاء والإفتاء في الديار المصريَّة هي ١٤٧ وظيفـة بخلاف وظائف مدرسي اللغة العربيَّة وما يدرس بهـا بالمدارس الاميرية وغيرها من المدارس المنتظمة فانها تبلغ ١٧٠٠ وظيفـة حسب احصائية التعليم سنة ١٨٩٣ فمع اتساع

الطريق في اوجه المتخرجين من هذه المدرسة لا يكون من المناسب مزاحمتهم لالوف ليس لهم الّا تلك الطريق الضيقــة خصوصاً وقد حُرموا بايجاد المدرسة من وظائف التدريس بتلك المدارس »

فكان ما ذُكر باعثاً على عدم رغبة احد من الطلبة الحاصلين في امتحان سنة ١٨٩٤ على شهادة الكفاءة للتدريس في الدخول بالسنة الخامسة. والمدرسة الان خاليــة من هذه السنة ويقتصر الطلبة على وظائف التدريس كما هو الغرض الاصلي من المدرسة. ولكي ينطبق اسم المدرسة على الغرض المطلوب منهــا وعلى رغبة طلبتها تمام الانطباق سُمّيت بقسم المعلمين العربي. وكان عدد الطلبــة في سنة ١٨٩٩ ٥٠ طالباً وفي سنة ١٩٠٠ ٦٠ طالباً. وموادّ التدريس كما يأتي: تفسير القرآن والفقه والعلوم الادبيَّة والتاريخ العامّ والجغرافيا والحساب والهندسة والكيميا والطبيعة والثُلث والنسخي والرُّقعة

وتحقَّقت في هذه المدرسة آمال منشئها وظهرت بالاعمال منافعها الكثيرة فيما ابدى المتخرّجون منها من سعة المعارف المختلفة ومن البراعة في تلقين الطلبة لا في مدارس الحكومة فقط بل في غيرها ولا يزال عدَّة منهم قائمين فيها بوظيفة التدريس احسن قيام

وفي الختام نتمنَّى لمدرسة الجامع الازهر ألَّا تقتصر كما في السابق على التعــاليم المذهبيَّة ومبادئ المعارف البشريَّة بل تُضحي كالكليَّات المنشأة في أُمهــات المدن الاوربيَّة منهلًا يستقي منهُ الطلبــة الشرقيُّون ما احبُّوا من العلوم التي تنير العقول وتساعد المرء على ادراك غايتهِ القصوى ومعرفتهِ تعالى وهو خير المنيرين

سلحفاة بيروت البحريَّة

للاستاذ بطرس غيغ مدرّس الصيدلية في مكتبنا الطبيّ

كتب المسيو غيغ هذه النبذة في مجلة « الطبيعة » الفرنسوية (في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٠٠) ثمَّ قدمها لمجلة المشرق وزاد عليها بعض الافادات

كنتُ وقفتُ على مقالة حسنة حرَّرها في مجلة الطبيعة العلامة دي كلاف (de Clèves) عن قوة الحياة وثباتها في بعض الحيوانات فأيَّدني قولهُ في صحَّة ما لحظتهُ من قوة الحياة في السلحفاة. ودونك الخبر

كنتُ اوصيت احد الصيادين ان يصطاد لي عند سنوح الفرصة سلحفاة بحريَّة (١

١) وهي المعروفة بلسان العلماء باسم خيلونيَّة Cheloniadæ)

من الصنف الشائع في ساحل البحر بين يافا وبيروت . وانّما طلبتُ منهُ ذلك ليس لاختبار علمي بل للطبخ فقط لأذوق طعم لحم هذا الحيوان . ففي تاريخ ٢٦ كانون الاول ١٨٩٩ اتاني بسلحفاة متوسطة الكبر كان ثقلها ٤٠ كيلو وطولها نحو متر وكان يبلغ طول الرأس ٢٥ سنتيمترًا ودرقتها لا تزال عندي قياسها ٦٦ س طولًا في ٥٩ عرضًا — ولمَّا اتاني بها الصيَّاد كانت حيَّة شديدة القوَّة رغمًا عن شجَّة ادركتها في قحف رأسها فاختبل شيء من حركاتها . وكنتُ اجعل في فمها عصاةً قطرها سنتيمتران فتكسره كأنَّهُ عصافة التبن . ولمَّا لم يجد الطبَّاخ في مساء ذلك النهار وقتًا لذبح الحيوان أجَّل الامر للغد



السلحفاة البحريَّة

الَّا ان السلحفاة لم تمكّنَّا من ذبحها بسهولة فاحتجنا الى رجلين يضبطانها لانها كانت تضرب بمقدّمتها ضربات شديدة وتحاول عضّ من يمسكها . فلمَّا رأيتها هدأت بعض الهدوء اخذتُ رسمها بالفوتغراف كما تراهُ في الصفحة التالية . ونحو الساعة ١١ سعى الطباخ في نحرها فادخل السكين في عنقها وقطع شرايينها فسال دمها عبيطًا غزيرًا لكن السلحفاة لم تمت فامرت بجزّ رأسها لظني انَّ الموت يتسارع اليها اذا ما قطع النخاع

ولمّا فات وقت الظهر واذا بالطباخ دخل عليَّ فاخبرني ان السلحفاة لم تزل في قيد الحياة فخرجت لاعاين الامر فرأيتها تحرّك رجليها. وكانت اذا لمسناها في احدى رجليها تجتذبها الى جسمها. وكان رأسها ايضًا يتحرّك بعد ان جعلناهُ في وعاء ملأناه ماء وظلَّ على حركتهِ نحو ساعتين او ثلاث ساعات

فظننتُ انني اخفّف اوجاع هذه الذبيحة المسكينة بنزع الغضاريف التي تغطي صدرها واخراج قلبها وآلات حياتها الداخليَّة لكنَّ القوائم لم تكفَّ عن الحركة. ثم شرع الطباخ في تقطيع لحمها بعد تجريدهِ من الجلد وانتزع القوائم الاربع فقطّعها ايضًا الّا واحدةً بقيت الى الساعة ٩ مساء فكانت الحركة فيها ظاهرة وهي تتشنّج عند الوكز. وخلاصة القول ان الحياة او شبهها بقيت بارزة في كل عضو من اعضاء السلحفاة الى ان جُرّد اللحم عن العظام

امَّا دم الحيوان فجرى منهُ بكميَّة وافرة بلغت على ظني عشرة ليترات. وقد طلبهُ مني بعض الجيران وجعل فيهِ يديهِ رجاء ان يشفى بذلك على حسب اعتقاد العامَّة من شلَل اصابهما

وكان لحم السلحفاة ورديًا شبيهًا بلحم العجل داعيًا لشهوة الطعام. ولمَّا عالجهُ الطاهي بالطبخ وقدَّمهُ لنا قطعًا رقيقة لم نكد نفرز بينهُ وبين لحم العجل بيد ان طعمهُ كان كطعم سمك التنّ (thon) لا شيء فيهِ من التفاهة

وهذه السلاحف البحريّة كثيرة في بحر الشام والصيادون لا يعبأون بصيدها قلّما يكون في بيروت واذا ما وقعت في شباكهم رموها الى البحر

اما درقتها فلا علم لي بشأنها. والدرقة التي نزعتها عن سلحفاتي حسنة المنظر ولعلَّ اهل الصنائع يستفيدون منها لو اشتغلوها (٢

والطباخون في اوربَّة يجهزون لحم السلحفاة فيتخذون منهُ ضروبًا من المآكل. وهاك ما قرأتهُ في احد كتب الطبخ:

« بعد نحر الحيوان وانقطاع دمهِ تُنزع منهُ صفيحتهُ الغضروفيَّة السفلى وتُخرج الاحشاء ثم يُفصل لحم الجسم مع القوائم عن الدرقة. فالقوائم مع العظام تصلح لحساء

٢) يعرف عندنا عظم السلحفاة بالباغة الصنعة في بلادنا يتّخذون منهُ علبًا للسعوط وانصابًا للمدى وغير ذلك (المشرق)

طيّب كحساء اللحم ولكن تُضاف اليهِ التوابل والافاويه. والاميركيون يأكلونهُ مع لحم الفراريج او قديد لحم الخنزير وشيء من الخمر وغير ذلك مما يزيد في لذّة الحساء.
اما لحم السلحفاة فيُجعل في قليل من الخل مع بقول وتوابل فاذا تحلّل بعد مدّة طُبخ بنار خفيفة »

فممّا تقدم يظهر للقراء انّ لحم السلحفاة من المآكل الطيّبة المريئة وان الصيّادين بنَبذها لا يُحسنون العمل بل الاولى بهم ان يصطادوها فيبيعونها للفقراء باثمان بخسة اذا لم يُرد غيرهم اكلها

حصار المرسلين

في دار اسقفيّة باكين

معرَّب عن الجريدة اليوميَّة التي حرَّرها السيّد فاڤيه اسقف باكين (لاحق بسابق)

(الجمعة ٢٢ حزيران عيد قلب يسوع الاقدس) اليوم اضحى حصارنا تامًّا فلم يبقَ لنا وسيلة لمخابرة احد خارجًا عن حيّنا پيتنغ — هذه قائمة الاشخاص المحجور عليهم: السيد فاڤيه ونائبهُ السيد جولين ثم ٦ لعازريون و ٦ اخوة مريميّون و ٢٢ راهبة من اخوات المحبة ٨ منهنَّ وطنيّات ثمَّ ٣٠ جنديًّا من بحارة السفينة دَنتركستو (d'Entre-casteaux) تحت امرة الضابط بولس هنري ثمَّ ١٠ من البحارة الايطاليين يأمر عليهم الضابط اوليڤاري ثم ١١ دارسًا اكليريكيًّا ثمَّ ٩٠٠ صيني التجأوا الى حيّنا ثمَّ ١٨٠٠ امرأة صينيّة مع اولادهنَّ ثمَّ ٤٥٠ ابنةً من اليتامى او الدارسات ثمَّ ٥١ طفلًا لقيطًا المجموع ٣٢٧٩ شخصًا — امّا موؤنتنا فتكفينا لشهر بنيف قليل اللهمَّ اذا لم يُعطَ كلّ شخص سوى نصف كيلو (١٥٦ درهمًا) كل يوم — امّا اسلحتنا فهذا مجملها ٤٠ بندقيّة في ايدي البحارة يضاف اليها سبع او ثماني بندقيّات أُخرى مختلفة الاجناس في ايدي الصينيين ثم ٥٠٠ رمح او بالحري ٥٠٠ عصاة مسنّنة ليس الّا. امّا السور الذي ينبغي لهؤلاء الدفاع عنهُ فتبلغ دائرتهُ ١٣٦٠ مترًا

كنتُ اصدرتُ سابقًا امرًا قررت بموجبهِ تكريس نيابة باكين الرسوليَّة الى قلب يسوع الاقدس في هذا النهار. فاجتمعنا الساعة ٧ ½ في الكنيسة لتلاوة فعل التكريس

امام المذبح. فبينما الكاهن يتلو الاسطر الاولى من هذه التقدمة اذ سمعنا ضربة مدفع هائلة صدمت جدار الكنيسة من جهـة الشرق وكسَّرت زجاج احد نوافذها فسقط الزجاج على رأس امرأة هناك فقتلها. فصاح الجميع بالويل والثبور والتجأ كل الحضور الى الجهة الغربيَّة في المعابد الصغرى والمَوْقف (سكرستيًّا). الَّا ان القوم اضطرُّوا بعد قليل الى الخروج من الكنيسة خوفًا من ان تهبط فوقهم. فان ضربات المدافع صارت تتوالى بسرعة عجيبة وتسقط القنابل على سقف الكنيسة واعاليها وكان عدد مدافع العدوّ ١٤ مدفعًا كلها خارجة من معمل كروب من الطرز الجديد. اما القذائف فكانت من نوع شربنل (Schrappnell). وفي هذا الصباح تشوَّه وجه الكنيسة الكاتدرائية بضرب المدافع وسقطت من اعالي الكنيسة عدَّة عواميد صغيرة كانت تزين النوافذ المزدوجة وتلفت ايضًا قبب الاجراس الصغرى الَّا ان الصليب لم يُصَبْ بأذًى — الساعة ٣٧ مساء تتابعت ضربات المدافع حتى ظننَّـا ان الاجل قريب — نحو الساعة ٥ زاد طمع الصينيين فينا حتى انهم جعلوا مدفعًا بازاء بابنا الكبير على مسافة ٣٠٠ متر فاطلقوا قنبلة مصمتة على رتاج الباب فكسروا احد مصراعيهِ. فلمَّا رأى الضابط هنري ما بلغت اليهِ قحة اعدائنا خرج واربعة من بحارتهِ مع ٣٠ صينيًّا متنصرًا فمشوا الى الطوبجيَّة ينشِّطهم السيد جولين وتمكَّنوا رغمًا عن ضرب البندقيَّات التي كانت تمطر عليهم كوابل المطر من نزع المدفع فرجعوا بهِ ظافرين. لكنَّهُ قُتِـل منَّا نصرانيان وجُرح اثنان آخران — وبعد انتصارنا بقليل سكتت المدافع فعلا هتاف البوكسر ورجعوا عنَّا بعد ان احرقوا البيوت المجاورة لجهتنا الجنوبيَّة وكان البوكسر في هذا اليوم امتنعوا عن ضربنـا فتركوا ذلك لجنود الامير توان. وعددنا ضربات المدافع التي صوَّبها العدوّ نحونا فكانت ٥٣٠ ضربة ومع كل ذلك لم يُقتل منَّا الَّا ثلاثة رجال وامرأة

(السبت ٢٣ منهُ) كانت ليلتنا بالنسبة الى نهار امس هادئةً. الَّا ان العدوّ كرَّر الضرب الساعة التاسعة صباحًا. وفي رأد الضحى جلستُ وضابطنا الشهم المسيو هنري وبينا انا افاوضهُ مليًّا وكلانا ينظر باسف الى صفائح الرخام المتهشِّمة بانفجار القنابل اذ اصابت قذيفة الصليب الاكبر الذي يشرف على وجه كنيستنا فسقط على الحضيض وطار شعاعًا فامضَّني هذا المصاب واكسف بالي لاني انا الذي نصبتُ شعار ديننا فوق هذه الكنيسة منذ ١٣ سنة. اعادهُ الله الى مكانهِ ظافرًا ممجَّدًا — الساعة ٤ مساء انتهى العدوّ عن

ضرب المدافع وكان عدد الضربات في هذا اليوم ٣٦٠ لم يُصب منّا احد باذى. وكنّا جميعاً نستحرّ بالصلاة فصاننا الرب بشفاعة البتول العذراء من كل بلاء.

(الاحد ٢٤ منهُ) منذ صباح النهار اخذ الجنود المنتظمون يُطلقون علينا الوفاً من البنادق من طرز موزر ذي الدكّ السريع وهم مختفون وراء جدران الدور المحترقة. امّا المدافع فلم يتجاوز عدد طلقاتها الثلاثين لم يحصل منها كبير اذى — الساعة ٤ مساء نقل العدوّ اربعة مدافع الى الغابة التي موقعها شمالي حيّنا وجعلوا يضربون مراكزنا الشرقيّة ويقذفون القذائف على الكنيسة وباحة الدار فقُتل رجلان — سار الضابط هنري مع عشرة من جنودهِ لمساعدة البحّارة الايطاليين الذين ضايقهم العدوّ لقلة قراطيسهم فضرب الفرنسويّون العدوّ على بعد ٧٥٠ متراً وقتلوا منهم ٥٠ رجلاً حتى انّهم اضطرّوا الى نقل مدافعهم من ثمّ — هذا انتصار ثانٍ زاد قومنا شهامة فشكرنا الله الذي يحرسنا بعينهِ الساهرة ويردّ عنّا قوة العدوّ المتغطرس. كما اننا شكرناهُ على عافيتنا جميعاً مع ما يحدق بنا من الاهوال. بعد هذه الضربات المتتالية مدّة ثلاثة ايّام عاد الرجاء الى القلوب ولنا الامل ان الدول المتحالفة تأتينا وشيكاً قبل ان يظفر بنا العدى

(الاثنين ٢٥ منهُ) حظينا في ليلتنا وضحى النهار ببعض الهدوء والسكينة ولكن يخال لنا انّ ملحمةً عظيمة واقعة في جهة السفارات. امّا المدافع فهي اليوم لاطية وراء متاريسها لم يرمِنا الصينيون برماميها. الّا ان البنادق تخرق انحاء الجوّ كأنها البرَد لكنّنا لم نكترث لها بعد سمعنا هزيم المدافع مدّة ثلاثة ايّام متوالية — البوكسر رجاء ان يطمعوا جنودنا في إفناء بارودهم نصبوا على سطوح البيوت المجاورة اشباحاً او مجادير (mannequin) قصدهم ان يوهمونا بوجود عدوّ حيّ نضربهُ بقذائفنا. غير انّنا ضحكنا من سذاجتهم واذّخرنا قراطيسنا لوقت الحاجة. امّا القراطيس الباقية فلا تتجاوز ٢٧٠ قذيفة لكل جنديّ

(الثلاثاء ٢٦ منهُ) احرق البوكسر كلّ البيوت المجاورة لنا ثم جعلوا يشتغلون وراء السور الامبراطوريّ فيعلقون عليهِ السلالم وينصبون الصقائل ليتمكّنوا من ضربنا بلا عناء ولا خطر — تمطر علينا البنادق من كل جانب دون ان تُصيب احداً منّا — عند المساء انتشاب القتال من جهة السفارات

(الاربعاء ٢٧ حزيران)الساعة ٥ صباحاً قدم علينا البوكسر لمهاجمتنا ولعلهم ظنّوا ان حامية مدخل دارنا ذهبوا فريسة قنابلهم وقذائفهم ولكن ساء ظنّهم فان بحّارتنا ما رأوهم حاملين علينا برمّهم ورميهم يتقدّمهم عَلَم كبير حتى اطلقوا عليهم بندقياتهم فاصابوا منهم من شاءوا وفرقوهم شذر مذر ثمَّ تأثّروا اعقابهم وغنموا عـدَّة اسلحة رمى بها العدوّ في هربهِ. غير انَّ الله ابتلى جاويش بحارتنا المدعو جوانّيك فأُصيب بجرح بليغ في كتفهِ – امَّا العدوّ فتلظّظ غيظاً لكسرتهِ هذه الثانية ورمانا مدَّة ٦ ساعات متوالية بربوات من القذائف الحربية سقطت في الاحواش وفي كُنن الدار فقتلت احدى البنات وجرحت امرأةً في رأسها – الساعة ١١ مساءً فاجأنا قوم غفير من البوكسر ورموا على بابنا الكبير قنابل محرقة وسهاماً نارّية وكان بعضهم يرشُون البـاب بضخّات (طلمبات) سرقوها فملأوها بغاز البترول. وكانت جنود الدولة في اثناء ذلك تقذف علينا قذائف موزر كالمطر المدرار لئلا نتعرَّض للبوكسر في سوء عملهم. غير انَّ بحارتنا ابلأوا البلاء الحسن ودافعوا عن الباب الكبير فلم يدعوهُ يحترق والحقُّ يقال انَّ حاميتنا من ابطال الرجال اشبه بالاسود لهم قلوب اثبت من الجلمود وهم يعلمون العلم اليقين انَّ الله يعضدهم وكلهم متسلّحون بثوب البتول الطاهرة وقد زيَّنوا صدورهم بالصليب. وفي هذه الليلة الهائلة لم يُقتل منَّا احد وانَّما جُرح بعض الصينيين من انصارنا

(الخميس ٢٨ منهُ) قضينا نهارنا بالسلام الى الساعة ٦ مساءً فحينئذٍ عاد العدوّ الى ضربنا بالبنادق وكان عددها يبلغ ٤٢ في الدقيقة – امَّا الليل فلقينا فيهِ الامرَّين فان البوكسر حاولوا المرَّة الثالثة دكّ بابنا الكبير. فضربوهُ ضربًا عنيفاً. امَّا جنودنا فأبت نفسهم المذلّة واجمعوا في منتصف الليل على ان يكرُّوا على العدوّ فحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوا منهم عشرة وشتّتوا شملهم وغنموا منهم غنائم عديدة منها صناديق مملوءة بالملابس وكمّيَّة من البـارود والرصاص مع مضختين وجدوا فيهما متّي لتر من البترول. بل تمكّنوا من حرق بعض البيوت التي التجأ اليهـا البوكسر لمحاربتنا ورجعوا دون ان يُصاب احد منهم باذية مع كثرة ما وجّه اليهم جنود الدولة من المرامي والبنادق

(الجمعة ٢٩ منهُ عيد هامتي الرسل بطرس وبولس) قدَّمنا اليوم تهانيْ العيد لضابطنا الهمام بولس هنري فشكرنا لهُ شهامتهُ في الدفاع عنَّا وتمنَّينا لهُ العود ظافرًا الى أنجهْ وطنهِ وذكَّرناهُ بالاقارب والاحباب. فاجابنا جواب رجل شهم الطباع ابيّ النفس: « لي امل

وطيد اننا نخلّص حيّنا يبتنغ. ولعلّ الموت يحترم بعضنا قبل النجاة فلا بأس. امّا انا فاني اعدّ نفسي سعيدًا لو اتاح الله لي ان اموت في سبيل خلاصكم. فليس لديّ موت اشهى من هذا وانا ارجو انّ الله يفتح لي برحمتهِ باب ملكوتهِ. ولكن تحققوا انني اذا لقيت منيّتي لا أبارحكم الّا عند قرب خلاصكم حيث تكونون في غنًى عني. . »
فعمل فينا كلام هذا الجندي البطل وجعلنا نتوسّل اليهِ ألّا يخاطر بنفسهِ كما يفعل ولا يتهوّر في حومة القتال. وكلنا نفديهِ بحياتنا

امّا من جهة العدوّ فكان يومنا هذا قليل الاذى كأنّ البوكسر ارادوا ان يدعونا في هذا النهار نرشف كأس الهناء في عيد محامينا وانّما ضُربنا فقط ببعض ضربات من المدافع صدمت جدراننا وكسرت زجاج نوافذنا — الساعة ١٠ مساء تلبّدت السماء بالسحب وائتلق البرق وقصف الرعد ونزل المطر الجود وخال لنا انّ الصواعق هبطت على القصر الامبراطوري — وكنّا نسمع في خلال ذلك اصوات البنادق من جهة منازل السفراء

(السبت ٣٠ منهُ) تكدّرنا صباحًا بوفاة جوانّيك الجاويش الذي سبق خبر جرحهِ وكنّا آملين نجاتهُ لولا انّ جرحهُ ذربَ فاهلكهُ بساعاتٍ قلائل ولم يكن عندنا طبيب او جرّاح ليقوم بامرهِ. وانّما مات موت الابطال غير آسف على الحياة مزوّدًا بكلّ اسرار الكنيسة — الساعة ١١½ استأنف البوكسر رمينا بالقنابل. وقد انفجر منها في الهواء نحو ١٢ قنبلة من عيار كبير لكنّنا لم نتأذّ بانفلاقها. وكانت البندقيّات تضربنا تترى من جهة الشرق. وما مرّ على ذلك نحو ربع الساعة حتى صار سكوت عظيم فنظرنا واذا بقوم زهاء العشرين لابسين الملابس الفاخرة ظهروا لنا فوق الاكمة المعروفة بالبرج الابيض التي موقعها في وسط بحيرات البلاط الامبراطوري على مسافة ١٢٠٠ متر من حيّنا. فغلب على ظنّنا ان القوم من كبار الدولة تتقدّمهم سلطانة الصين والامير توان وغيره من الاعيان اتوا الى هذا المقام ليشمتوا بمصابنا او يحضروهُ كما يحضر الوجوه الحفلات البهجة والالعاب الناريّة السارّة — فلمّا رأى جنودنا هذه الجماعة احبوا ان يصوّبوا اليها بندقيّاتهم من طرز لوبل لكنّني كففتهم عن ذلك لئلا نثير ضغائن الصينيين مع ما في صدورهم من الحزازات — الساعة ٧½ مساء اودعنا اللحد جنديّنا القتيل في حديقة الدار على وجه بسيط وجناح السرعة لانّ بندقيّات العدو.

تضرب ولا ترحم — وكان الحضور جميعهم آسفين على فقد الميت وبكاهُ خصوصاً الصينيون المتنصرون وهم يهتفون: «ياليت مئة منـا فدوا هذا البطل الصنديد بحياتهم»

(الاحد ١ تموز) سمعنا نحو الساعة ٨ اصوات المدافع من جهة الجنوب متواصلةً . هل يا ترى قدمت جنود الدول المتحالفـة لخلاصنا . فانّنا لم نقطع الرجاء رغماً عن اسباب اليأس والقنوط — في هذا النهـار اخذنا لاول مرَّة نقتات بلحوم الحمير . فاذا انتهينا منها نأكل البغال والخيل وعندنا منها ثمانية عشر — فشا بين صغار المحصورين داء الجدري فكان معدل الوفيات بينهم ٧ او ٨ في اليوم

(الاثنين ٢ منهُ) خفَّت هجمات البوكسر بالنسبة الى الأيَّام السابقة ولكن بئس الطعام طعامنا . لم يبقَ لجماعتنا المتنصرين لا بقول ولا نباتات يأكلونها وقد خمد شيء من نشاطهم الاول — بلغ مقيـاس الحرارة الى الدرجة ٣٨ والهواء غالبة عليهِ الرطوبة وهاك ١٢ يوماً ونحن منقطعون عن كل خبر فما اطول زمان الكرب علينا

(الثلاثاء ٣ منهُ) جادتنا السماء بمطر وابل فتخوفنا من سوء العقبى واذا توالت الامطار في هذا الفصل قبل اوانها ايسنا من النَّجـاة — التدخين كما لا يخفى شائع في الصين بيد انَّ التبغ قد فرغ عندنا فجعل قومنا من الصينيين يجفّفون اوراق الكمثرى (الاجَّاص) فينعِمونها ثمَّ يشربونها — زادت الوفيـات بين صغارنا فبلغت ١٥ في اليوم

(الاربعاء ٤ منهُ) ظهر لنا اليوم انَّ محاربة الصينيـين للسفارات اشدّ من ذي قبل — بقرب الظهيرة رأينا العسكر النظامي مع البوكسر يكوّمون التراب ويجعلون لهم صفَّةً مرتفعة في شمالي السور الامبراطوري . ففهمنا انهم يريدون ان ينقلوا اليها مدفعهم لضَربنا فرمى جنودنا هؤلاء الاوباش ببنادقهم وقتـلوا منهم ١٢ رجلًا — الساعة ٥ مساء شدَّ البوكسر على بابنا الكبير كما فعلوا سابقاً وكان ينتظرهم المدفع الذي غنمناهُ منهم سابقاً وهو مدكوك . الَّا انَّ الطوبجي المتولي امر المدفع وهو احد جنود الامير توان سابقاً اسرع فاطلقهُ قبـل الوقت بلا امر الضابط فبادر العدوّ للفرار ناقلًا معهُ بعض الجرحى — تمكَّن بعض الساعاتيين من النصارى الصينيين من تقليد قراطيس لوبل وموزر وغيرهما . فاضحى نجاحهم ضامناً للدفاع عن حياتنا

(الخميس ٥ تموز) توصل عملتنا الى صُنع قذائف من عيار المدفع الذي غنمناهُ من البوكسر فجعلناهُ في دير الراهبات للمدافعة عنهنَّ من جهة الشمال. لكنَّ هذا المدفع صغير بالنسبة الى مدافع العدوّ التي تتهدَّدنا. وفي هذا النهار كانت بنادق العدوّ تصفر في آذاننا بلا انقطاع من جنوب السور الامبراطوري بلا فائدة تُذكر

(الجمعة ٦ منهُ) صرنا نتخوَّف نكبات الجوع. فاننا وزنَّا وزنًا مدققًا ما عندنا من المؤونة كالارز والقمح والذرة فاذا مجموعها يبلغ ٦٠٠٠٠ لبرة او ٣٠٠٠٠ كيلو فاذا أُعطي كلّ واحد منَّا في اليوم لبرةً واحدة امكنَّا ان نواصل الدفاع عشرين يومًا فقط. والمرجَّح لدينا ان في هذه المدَّة يأتينـا الخلاص او يُهلكنا العدوّ — الساعة ٥ مساء سمعنا صوتًا غريبًا فاذا هو سهم ناريّ من طرز كُنغراف انفذهُ العدوّ ليُنشبهُ في سقف كنيستنا فاخترق زجاج النوافذ بعد ان تلوَّى كحيَّة ناريَة. فاسرعنا الى التقاطهِ فوجدناهُ انبوبة من النحاس المطرَّق طولها ٧٠ سنتيمترًا تنتهي بسنان مثلَّث الرأس. وللانبوبة ذنبٌ طولهُ ثلاثة امتار ونصف. وهذه السهام تخترق الجدار كالكُرَات المصمتة وتضرم النَّار في ما تصيبهُ

(السبت ٧ منهُ) منذ سحر هذا النهار اخذ البوكسر يقذفون على سقوفنا حرّاقات وداوموا على صنيعهم مدَّة ساعتين. فانفجر من هـذه المرامي اكثر من ٢٥٠ حرَّاقة الَّا ان الحريق لم يمتدَّ في ابنيتنا لما اتخذناهُ من الاحتياطات كالضخَّات والمطافئ والآنية المملوءة من الماء والكلاليب وغير ذلك — الساعة ٩ دوى مدفعهم الذي ركزوهُ في جهة الشمال ورمانا ببعض قنابل عادية فاطلق جنودنا عليهم البنادق وحيّوهم بضربات من المدفع الذي غنمناهُ منهم فتعجَّب التتار من صنيعنا واستبدلوا سريعًا مدفعهم بمدفع من طرز كروب فاصابت اول قذائفهِ طوبجيَّنا وهشَّمتهُ اربًا اربًا. فحرج علينا المقـام وتكاثرت الثقوب في جدران حيِّنا الغربيَّة. ونشبت بضع مئات من الاسهم النَّاريَّة طول هذا النهار في سقوفنا. فخرقتها ولعلَّ هذا اليوم كان من اشأم ايَّام حصارنا واثقلها وطأةً ولمَّا امسى المساء ابدل العدوّ هذه القنابل الهائلة بقذائف صينيَّة لم يحصل منها كبير اذى بل لم ينفجر اكثرها. ومجموع ضربات هذا النهار بلغت ٣٠٠ ضربة مدفع في ١٢ ساعة فقُتل منَّا واحد وجُرح البعض. ولولا عونهُ تعالى لتلفنا في هذا اليوم وصار حيُّنا رمادًا

(الاحد ٨ منهُ) اسرعنا عند انبلاج الصباح الى تقوية الاماكن التي اضعفها

العدوّ يوم امس بمدافعهِ. الّا انَّ الصينيين اخذوا يستأنفون بها الضرب نحو الساعة ٩ فرموا علينا كرات الرصاص ثمَّ القنابل ومن مفعولها انها اتلفت تماماً شُرفات برج ساعتنا — مجموع ضربات المدافع بلغ ١٠٢ وتخلّلها عدَّة اسهم ناريَّة اتقينا أضرارها

(الاثنين ٩ تموز) رمانا البوكسر منذ الساعة ٥ بالحرَّاقات. امَّا عدد ضربات المدافع فبلغ ١٠٧ في هذا النهار فضلاً عن عدد لا يُحصى من البنادق. لم يُقتل منَّا احد وانَّما جُرح اثنان من الصينيين — اصاب قومنا بعض الفشل لما رأوهُ في العدوّ من اللجاج والتمادي في الخصومة لاسيما اذ لحظوا انهُ يستعدّ لضربنا بالمدافع من جهتي الجنوب والغرب — من الساعة ١١ الى نصف الليل كنَّا نسمع جلبة حرب عوان من جهة السفارات

(الثلثاء ١٠ منهُ) كان صبحنا هاديًا الى الساعة ١٠ فعاد البوكسر الى ضربنا بمدافعهم الشماليّة فهدموا قسماً من ابنيتنا — نحو الساعة ٢ بعد الظهر زاد العدو لددًا وكان صوَّب الينا من جهة الجنوب مدفعين او بالحري فوهتي نار وحديد ضرب بهما مرارًا باب دارنا الكبير وكنيستنا فاضرَّنا ضررًا كبيرًا. فاطلق جنودنا البنادق على الطوبجيَّة الصينيين وردعوهم عن غيّهم مدةً لكنَّهم اتخذوا لهم بعد حين قترًا من الحديد اختفوا وراءها وعادوا الى ضربنا — أُصيب عند الباب الكبير احد بحارتنا المدعو داود برصاصة في رأسهِ فمات بعد نصف الساعة مزوَّدًا بالاسرار. أضحى مركز الباب الكبير خطرًا جدًا فبذل خمسة من بحَّارتنا نفوسهم للمحافظة عليهِ امَّا الباقون فاتقوا مرامي العدوّ متسترين في الاسراب المحفورة لذلك — هذا النهار ضُربنا بمئة وسبع ضربات مدفع. وكانت وزن كل قنبلة ٢٥ لبرة. دخلت احداها في حجرتي وكسرت شباكهُ وسقطت على فراشي الذي كنتُ مضطجعاً عليهِ قبل سقوطها بقليل. وهذه اعجوبة أُخرى من مراحمهِ تعالى على انَّ معجزات هذا الحصار تعدَّدة حتى صارت اكثر من ان تُحصى

(الاربعاء ١١ منهُ) أُخربت احد القتر التي كان جنودنا يستترون فيها فاصلحناها بكل سرعة بينما العدوّ يصلينا بنار حامية — اصابت رصاصة من طرز موزر قبعة السيد جولين فسحجتْ فروة رأسهِ ولولا شفاعة البتول لبُليتُ بمصاب جلَل وفقدتُ هذا الاسقف المفضال ونائبي العزيز — جدَّد العدوّ ضربنا بمدافعهِ الساعة ١٢ وبعد ذلك بقليل انفجر لغمٌ هائل فتزلزلت من جرَّائهِ كل مباني حي پيتنغ ورأينا للحال عمودًا من التراب والحجارة مرتفعاً فوق سطح الارض بنحو ٣٠ مترًا في جهتنا الغربيَّة فبادرنا لنتبيَّن

المصاب فوجدنا انَّ اللغم لم يتصل باساس المباني وانّما تداعت لهُ الجدران بعض التداعي فدعمناها بالدعائم موقتاً. وقُتل بانفجار هـذا اللغم رجل واحد وجُرح البعض فشكرنا الباري تعالى على نجاتنا من هذا الهول العظيم — عند المساء والى العدوّ صرَبنـا — انفجرت قنبلة في معبد الراهبات بضع ثوانٍ بعد خروجهنَّ منهُ لاكل العشاء — اغتنمنا فرصة الليل فخرجنا الى البيوت التي كان البوكسر احتلوها امس الغابر لمحاربتنا فاحرقناها. وممَّا وجدنا فيها ٢٠ صندوقاً من غاز البترول وسيوف وبندقيّات تلتهمها النّار

(الخميس ١٢ تموز) لم يتكدَّر صباحنا بمناواة العدوّ حتى الساعة ١٠٫٧ فحينئذٍ أُطلقت علينـا الكرات الكبيرة الحجم فاصاب نحو ٥٠ منها المرمى اي بابنا الكبير الذي اضحى في اسوإ حال ودام الضرب الى الساعة ٦ مساء

(الجمعة ١٣ منهُ) خرجنا بعد نصف الليل بساعتين الى حوالي سورنا الخارجي لمراقبة اللغوم التي يحاول العدوّ حفرها تحت حيّنـا فوجدنا بعض حُفَر التي باشرها لهذه الغاية فملأناها ردماً وعُدنا بمكبّات من الاسلاك الكهربائيّة المُلبسة بالغوتابركا كان الصينيون جعلوها هناك لتفجير اللغوم — عند الظهيرة عاد الصينيُّون الى ضرب المدافع فجُرح احد بحارتنا جرحاً بليغاً بقطع من الآجرّ في رأسهِ وأُصيب آخر بضربات مؤلمة — من الساعة ٧ الى ٩ مساء لم نزل نسمع زئير المدافع والبندقيّات من جهة السفارات

(السبت ١٤ منهُ) خرج ليلًا بعض المتنصّرين فأحرقوا الدور التي تحجز العدوّ عنّا وتقيهِ ضرباتنا من جهة بابنا الكبير — قُتل في غربي حيّنا احد البحـارة الايطاليين الساعة ١١ برصاصة في رأسهِ. وكذا مات بقربهِ صينيٌّ من اصحابنا أطلَّ ليرى ضارب الجندي الايطالي — ومع هذا كان نهارنا هادئاً لم نُضرب الّا ببضع مئات من البنادق

(الاحد ١٥ منهُ) كأنَّ الصينيين في هذا اليوم ندموا على هدنتهم في يوم امس. فناوشونا القتال منذ الساعة ٩ صباحاً فرمونا في النهـار فقط بنحو ١٤٠ كرةً ثمَّ تابعوا ضربهم في الليل — آذتنا مدافعهم المصوَّبة الينا من جهتي الجنوب والجنوب الغربي فألحقت الدمار ببابنا الكبير وبقسم من كنيستنا — راقبنا ثانية في بهرة الليـل اللغوم فوجدنا لغمين لم يُكملا بعد فخربناهما

(الاثنين ١٦ منهُ) واصل اليوم البوكسر ضربنا بجرّاقاتهم دون فائدة — بلغ عدد القذائف التي رمينا بها من الساعة ٩ صباحاً الى ١٠ مساء بعض المئـات. قُتلت

بيننا احدى المتنصرات وأُصيب جندي منّا بعينيهِ والظاهر ان احداها مفقودة

(الثلاثاء ١٧ منهُ) هذا اليوم اهدأ ايّام حصارنا حتى الآن. فكأنّا بالبوكسر يستعدون لامرٍ خطير فشُغلوا عنّا ولم يضربونا لا بالمدافع ولا بالبنادق — باشرنا بتساعية لاكرام القديسة حنّة شفيعة بحارتنا البروطنيين فنذرنا لها نذرًا يقدّمهُ باسمنا الضابط الشهم هنري لمعبدها في بروطانية اذا ما نجونا من هذا الحصار

(الاربعاء ١٨ منهُ) اليوم صباحًا بالغنا غاية جهدنا في صُنع بناية تقينا من انفجار اللغوم لانّنا نسمع منذ بضعة اياماً اصواتًا خفيّة تحتنا في غربي حيّنا من جهة السور الامبراطوري — الساعة ١١ انتقل العدوّ مسرعًا الى جهتنا الشرقيّة عند هيكل الصينيين المعروف بإنسماس. ثمّ رأينا نحو خمسين عجلة تحمل صناديق واثاثًا وتقلُّ فئات من الجيش والبوكسر. فبقينا مرتابين في امرنا لا ندري هل اتانا مدد فنستبشر بالخلاص او دنت ساعة اجلنا بانفجار لغم مريع هذا سرّ لم نقف على حقيقتهِ الّا في مساء النهار. فلمّا كانت الساعة ٥ مساء دوى اللغم المنفجر دويّ الصاعقة. فمن جرّاء هذه البليّة العظمى اضحت كل مبانينا الواقعة في الجهة الغربيّة خرابًا ودمارًا وكان عدد القتلى ٢٥ والجرحى ٢٨. فوثبنا من ساعتنا الى ذلك المحلّ لنُقاوم هجمة البوكسر اذا ما حملوا علينا لكنّهم لم يقربوا — كان من جملة القتلى احد الرهبان المريميين المدعو الاخ يوسف وهو شاب في مقتبل السن معروف بفضلهِ وتُقاهُ ومحبوب لدى الكل وكان عمرهُ ٢٥ سنة كنّا ولّيناهُ نظارة العملة الذين يشتغلون بوقاية الدار من اللغوم. فاسف الكلّ على فقدهِ — ملأ انفجار هذا اللغم القلوب هلعًا فكان قصيفهُ يدوي في الاذان فيظنّ القوم ان لغومًا اخرى تتهدّدنا من طبقات الارض السفلى. وكانت النساء يَعدونَ متحيرات. متشقّقات لا يدرينَ اين يتوجّهنَ. وكذا صغارنا ويتامانا. وفي آخر الامر دخل الجمع الكنيسة لوقوعها في وسط الحي مع ما يتوقعون فيها من الخطر الوشيك

(الخميس ١٩ تموز عيد شفيعنا القديس منصور دي پول) دفنّا صباحًا الاخ يوسف وقتلى امس بمزيد الحزن والكآبة — تناوبت بيننا وبين البوكسر ضربات البندقيات. تكشّف المدعوُّ فرنك احد بحّارتنا فأُصيب برصاصةٍ في رأسهِ وقُتل في ساعتهِ بعد ان نال الحلّة عن ذنوبهِ

(الجمعة ٢٠ منهُ) خرج الساعة ٦ مساء بعض النصارى الصينيين فاحرقوا البيوت

الخطرة التي تجاور حيَّنا . وكذلك البوكسر احرقوا احد البيوت التي كانت تقينا في جنوبيّ بابنا الكبير — انبأنا الرقيب بان العدوّ يشتغل بلغمٍ جديد قرب دار الراهبات. لكنَّ العَمَلة لما دهمهم من الرَّوْع بانفجار اوَّل امس تأخَّروا عن العمل لخوفهم

(التتمَّة للعدد القادم)

(التتمَّة للعدد القادم)

انتقاد على

الكلم اليونانية في اللغة العربية

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس

تحت عنوان « الكلم اليونانيَّة في اللغة العربيَّة » نشر حضرة العالم الفاضل الاب انستاس الكرملي مقالة طويلة في بعض اعداد مجلة المشرق الجليلة في سنتَيْها المنصرمتين فازاح بواسع علمهِ قناع الشك عن محيَّا طائفة عديدة من تلك المستعربات. وقد افاد بما اجاد في كثير من مباحثهِ الدقيقة واستأهل شكرًا لذلك جزيلًا لانهُ كما اذكر هو اول من وطئ هذه العقبة الكؤود التي كان قد اقتحمها غيره من اللغويين فعادوا عنها ناكصين اذ ساورت بعضًا منهم هيبة المقام وخذلت آخرين مثبطات الايام عن اعادة الكرَّة والاقدام

ولمَّا كنتُ ممَّن اشرأَبت اعناقهم الى الاستفادة وكان قد بدا لي نظرٌ في بعض الكلمات قرَّر يونانيَّتها أحببتُ ان ابدي ما عنَّ للفكر القاصر على صفحات مجلتكم لعلَّ في الذي اكتب نظرًا آخر لحضرتهِ او لغيرهِ من علماء اللغة فيفيدونا بما يجودون علينا من نفثات قلمهم ممَّا يثبت عربيَّة الكلمات الآتية او عجمتها اثباتًا تؤيدهُ البراهين الدامغة فلا يشوبهُ لَبس ولا تغشاهُ شُبهة وسلفًا نشكر لهم ولحضرة صاحب المقالة الفاضل مستزيدينهُ من مواصلة نشر مثل هذه المباحث الجليلة لِما وراءها من اجتناء الفوائد اللغويَّة :

الدقشة والدُقَيْش (راجع المشرق ٢ : ٣٦٦)

حكم حضرتهُ بان هاتين الكلمتين معربتان عن الكلمة اليونانيَّة « δακνίς » وانَّ مدلولها واحد في المعنى وهو طائر صغير الخ. ثمَّ قال : « توهموا فيها (الدقيش) ان

مكبّرها دقشة وقالوا انّ مصغرها على غير القيـــاس وما هذا الخروج عن القياس الّا لانها معرّبة »...

قلتُ انّ الكلمتين عربيّتان على ما اظنّ وليستا من العجمـــة في شيء. لان مدلول الاولى منهمـــا غير مدلول الثانية في المعنى. فان مدلول الاولى دودة من طائفة الحشرات بقدر الاصبع وهي رقطاء تتغلّل في العشب والكلأ الرطب. وسمّوها دقشة لصفة غالبة عليها وهي تنقيط جلدها ونقشه بالوان مختلفة. واشتقاقها من الدقش وهي كلمة عربيّة محضـــة والنقش يحاكيها زنةً ومعنىً (راجع قاموس). ولم يحكوا قط ان الدقشة طائر ولذا لم يُحقِّهُ صاحب القاموس. امَّا الدقش (١ فقد سُمع عنهم بهـــذا المعنى وعرَّفهُ ارباب المعاجم بانهُ ضرب من العصافير ادقش وهاك شاهدًا لهُ انشدهُ يونس لغلام من العرب

يا امتَّاهُ أخصبي العشيَّهْ قد صدتُ دقشًا ثم سَندريَّهْ

ولمَّا كان الدقش ذا الوان واشكال كنَّوا بهِ من لا يثبت على خلق واحد فقالوا ابو دُقَيش كما قالوا ايضًا براقش للتملوّن ومثل هذه الكنى مشهورة عندهم (راجع الحريري المقامة الساسانيَّة). وبناء عليهِ فلم يتوهموا ان مكبَّر الدقيش دقشة بل انهم صرَّحوا ان الدقيش تصغير الدقش قياسًا. قال ابن بري: قال ابو قاسم الزجاج: سُئل ابن دريد عن الدقش فقال: سمَّت العرب دقشًا فصغروهُ وقالوا دُقَيش وبهِ كنَّوا فقالوا « ابو الدقيش ». نقل ذلك صاحب التاج في مادَّة « دقش » فلتراجع

واماً نقلهُ تعريف الدقشة عن القاموس « وهو الدقشة دويبة اصغر من القطاة او طائر ادقش » وزيادة التاج عليهِ « اغبر أُرَيقط تصغيرهُ الدقيش » فلنا فيهِ نظرٌ من وجهَين

الاول منهما: قد وقع في هذا التعريف للفيروزابادي ولغيره ممَّن نقل عنهُ تحريف بيّن نبَّه اليهِ صاحب التاج وجاء صحيحهُ في التكملة للرضيّ ولسان العرب لابن منظور فعرَّفا الدقشة بانها « دويّبة رقطاء اصغر من العظاءة » (لا من القطاة): قلتُ والذي سهَّل وقوع هذا التحريف تقارب رسم الكلمتين كما هو ظاهر ولا يفتقر الى إعمـــال رويّة. لانهُ من المعـــلوم ان المقابلة لا تكون الّا بين ما كان من نوع واحد وايَّة مقابلة

١) بدون تاء للذكر والانثى كالغراب لها

ترى بين الدقشة وهي من صغار الحشرات وبين القطاة وهي طائر في حجم الحمام بل اكبر وهو مشهور

واما الثاني فهو ان في زيادة التاج على القاموس في المحل المذكور تقديمًا وتأخيرًا شوَّها وجه المعنى المقصود وقد اشار اليهِ غير واحد من اللغويين فقالوا: يجب ان تكون زيادة صاحب التاج المذكورة بعد ذكر الدقش لا الدقشة وتكون على نوع ما زيادتهُ حينئذٍ استدراكًا على القاموس الذي لم يذكر صاحبهُ الدقش بمعنى طائر وذكرهُ هو نفسهُ مستشهدًا عليهِ بقول العرب. قالوا: يكون الترتيب حينئذٍ هكذا: « والدقش كالنقش او طائر اغبر أُرَيقط تصغيرهُ الدُّقَيش وبهِ كنّوا الخ ». على انهُ دون هذا الترتيب لا يستقيم المعنى ولا تصحّ زيادتهُ التي نقلها عن ابن دريد نفسه الذي صرَّح بانَّ الدُّقَيش تصغير الدَّقش كما قدَّمنا. فينتج عن ذلك ان الدقشة غير الدُّقَيش وليست مكبَّر الدقيش بل ان مكبَّرهُ الدَّقش قياسًا كما عرفت واخيرًا ان الكلمتين عربيَّتان غير معرَّبتين فتأمَّل

٣ً الدسَّاس والدبساس διψάς (المشرق ٢ : ٣٤٧)

ان هاتين الكلمتين وان دلَّتا اتفاقًا على حيَّة خبيثة فانَّ مدلول صفات كل منهما لا ينطبق على مدلول صفات الاخرى ومن ثمَّ لا يسوغ الحكم بان الكلمتين لذاتٍ واحدة. وها نحن نورد ما قيل في شان تعريف الكلمتين ايضاحًا لقولنا فنقول:

١ً (الدبساس اليونانيَّة) جاء في مؤلف لا سِيبِيد الافرنسي المطبوع في باريس سنة ١٨٧٢ (٤ : ٧٦) ما ملخَّصهُ: « ان الدبساس حيَّة عظيمة سامَّة مرقّط جلد ظهرها بقشور بيضيَّة الشكل مائل سطحها الى الزرقة وحافات هذه القشور ضاربة قليلًا الى البياض. ويمتدُّ طولًا على ظهر هذه الحيَّة خط ازرق. ودارات بطنها بيضاء الخ » فينتج عن هذا البيان ان الدبساس من الحيَّات الطويلة العظيمة (كما تراها بالرسم في الكتاب المذكور) وان قشورها ذات الوان بين ابيض وازرق ومختلف وعلى ظهرها خط يمتاز بزرقتهِ الخ. فاذا عرفت هذا هيَّا لنرى ثانيًا صفات الدساس العربيَّة

٢ً (الدساس العربيَّة) فقد جاء في التاج ما حاصلهُ: « ان الدسَّاس ضرب من الحيَّات محدَّد الطرفين لا يُدرى أيهما رأسهُ لدقتهما وهو احمر كالدم خبيث الخ ». وسكَّان هذه الديار يعرفون هذه الحيَّة بصفاتها واسمائها فهي عندهم دقيقة كالمغزل

محدَّد طرفاها لا تتجاوز الذراع طولًا فهل يصدق هذا التعريف على تعريف الكلمة اليونانيَّة ليصحّ القول في تعريب الكلمة ؟. هذا ولنا من تعريف الدساس استدلال آخر على ان الكلمة عربية وهو ان كلمة الدسَّاس والدسَّاسة للحيَّة المذكورة هي في الاصل صفة غالبة استقلَّت بالدلالة على الذات واشتقاقها من الدسّ وهو اخفاء الشيء تحت التراب وذلك لأنها تندسّ سريعًا تحت التراب لدقَّة رأسها وتحديدهِ وقد سموها ايضًا النكَّاز لان رأسها محدّد كسنان الرمح وهو من النَّكز بمعنى اللسع

ومعلوم ان اكثر اسماء الحيوان صفات في الاصل ولاسيما اسماء الحيات منها فان اسماءها وهي صفات في الاصل قد استقلَّت غالبًا في الدلالة على موصوفاتها دون ذكر الموصوف وذلك امَّا لتفرّد هذا الموصوف او الذات بصفة من الصفات خاصة بها دون غيرها من جنسها كالاسود والارقم او لشهرة هذه الذات بصفة غالبة كالنضناض لضرب منها كثير الحركة والخشَّاش للسريع الخفيف. فاذا علمت هذا فلِمَ تكون الدسَّاس والدساسة يونانيَّةً ولها اصل عربي ترجع اليهِ دالٌّ على ما يكون من فعلها ؟

الباذق (راجع المشرق ٢ : ٢٤٨)

هو في عرفهم ما طُبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدًا. قال حضرتهُ: « انها معرَّبة عن الكلمة اليونانيَّة وهي βατιάκη ». وعرّف هذه « انها كاسٌ كانت عند اليونان تستعمل لشرب الخمرة المطبوخة الخ » قلنا ان الكلمة لا شكَّ في تعريبها وقد نبّهوا اليها ولكن لا عن اليونانيَّة بل هي معرَّبة عن كلمة باذه الفارسيَّة ومعناها نوع من الاشربة وقد ذكرها الجواليقي في كتابهِ المعرَّب من الكلام الاعجميّ. وصرَّح بها ابو عبيدة فقال: « هي تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسيَّة ». ومعلوم ان الهاء في الفارسيَّة كثيرًا ما تُبدل بقاف في الكلام المعرَّب ففي تعريب « إبريه » قالوا « ابريق » وفي « كرده » قالوا « جردق » وهو الغليظ من الخبز كما لا يُخفى

وامَّا استدلال حضرتهِ على تعريب الكلمة بما أَلِفهُ العرب من تسمية الشيء باسم آلتـهِ كما قالوا « اذكرني بلسان صدقٍ » . قلنا لا تنطبق هذه التسمية على تسمية العرب الشيء باسم آلتـهِ لان قولهم: « اذكرني بلسان صدق » اي بكلام صدق صحيح فصيح لان اللسان آلة الكلام امَّا الكأس فنظنّ انهُ ممَّا لا يصحّ

ان يُسمّى آلةً وانَّما هو وعاء او ظرف (١

العِرْبدّ ἑρπετός (المشرق ٢ : ٣٤٨)

بعد ان اورد تعريف هذه الكلمة نقلًا عن القاموس وهو « الشديد من كل شيء والدأب والعادة والذكر من الافاعي وحيَّة تنفخ ولا تؤذي او حيَّة خبيثة . ضد » قال: « وعدم وقوفهم على المعنى الحقيقي الاصلي ناتج عن اعجميَّتها »

اقول ان مدلول العربدّ على هـــذه المعاني يرجع الى واحد وهو الشديد من كل شي.. هذا هو المعنى الاصلي للكلمة كما سترى ثمَّ لا نرى مشاكلةً لفظيَّة ولا موافقة معنويَّة بين اللفظتين ليصح الحكم على ان الكلمة معرَّبة . امَّا عدم الموافقـــة اللفظيَّة فحاصلٌ من بُعد المشاكلة بينهما لاسيما متى اسقطتَ منهـــا الحرف الاذلق الذي هو الباء (وهو غير اصيل في الكلمة) وأعدتَ بديله الملحق وهو الدال فعند ذلك ترى ان الكلمة صارت بعيدة الشبه عن الكلمة اليونانيَّة بُعدًا شاسعًا كما تراها في الشكل (ἑρπετός)

وممَّا يدلنا على ان الباء غير اصيل في الكلمة وانهُ احد احرف الذلاقة الستة هو وجوب خضوع كل رباعي او خماسي للقاعدة التي قرّروها وهي : ان كل مثال رباعي او خماسي غير ذي زوائد فلا بدَّ فيهِ من حرف من هذه الستة او حرفين وربَّما وُجد ثلاثة ولا يخلو الحرف الاذلق فيهِ من ان يكون اصيلًا او بديلًا او مزيدًا على اصولهِ على ان من لم يتدبَّر هـــذه القاعدة فانهُ يتوهم في بعض الكلمات التي يكون مدلولها واحدًا وصورتها واحدة تقريبًا (لا يفرقها عن بعضها صورةً ألا احد احرف الذلاقة) انَّ لكل منها اصلًا مستقلًا بذاتهِ مع انها ليست هي سوى اصل واحد قد تفنَّنوا فيهِ بزيادة او إبدال احد احرف الذلاقة عليهِ . ولا نُبعد من ان نأتيك بمثال هو الكلمة نفسها لتعلم كيف تفنَّنوا فيها فنقول : ان اصل مشتقّ العربدّ هو العَرد ومعناهُ الشديد الصلب من كل شيء . ولمَّا أُلحق بالرباعي جعلوهُ على اوزانهِ المختلفة فقالوا فيهِ العَرْدَد والعُرْدُد والعِرْدَد بوزن جعفر وقُنفذ ودرهم . ثم ابدلوا احد مثليهِ بحرف ذولقي فقالوا فيهِ العِرْبد والعُردم والعِرْدل والعَرَند والعِرْبَدّ وهـــذا بوزن قِرْشَبّ ناهيك عن تفرُّعات اخرى في الخماسيّ

١) ورأينا ايضًا ان الباذق ليس مشتقًا من اليونانية « βατιάκη » . وانما اشتقَّ منها لفظة اخرى معرَّبة وهي « الباطية » التي شرحها الجواليقي بقولهِ « هي اناء واسع الاعلى ضيّق الاسفل » فالمعنى كما ترى يتوافق في اليونانية والعربية . وليس الامر كذلك في الباذق (ه . ل)

كالعَرَندل والعرندر. فالمدلول الاصلي لجميع هذه المتنوعات المذكورة واحد وهو الشديد الصلب من كل شيء كما تعرف من مراجعتها في مظانّها

واماً كلمة العربدّ التي هي موضوع كلامنا الآن انما فاقت اخواتها في زيادة الدلالة على المعنى المشترك لكون وزنها موضوعاً للدلالة على الشدّة والقوّة وما هو في معناها وهاك بعض امثلة من وزنها كالقِنْوَدّ والعِنْوَدّ والقِسْيَبّ والعِزْهلّ والعرهمّ الخ وقد فسروها كلها بما يفيد الصلابة والشدّة ومعلوم ان الاستقراء يدلنا على ان زيادة البناء تدلّ غالباً بل دائماً على زيادة المعنى. واعلم ان « عِتولّ » لما جاء من الوزن المذكور خالياً من معنى الشدّة قد عدّوهُ من الشاذ. ونظنّ انّ بهذا البيان الوجيز كفايةً

بقي علينا ان نبحث عن باقي مدلول العرَبدّ. وهو الحيّة والدأب والعادة: نقول اولًا ان مدلول العربدّ على الحيَّة كيفما كان وضعها او تعريفها فانهُ يرجع الى المعنى الاصلي للكلمة (وهو الشديد الصلب من كل شيء) لانّ العربدّ هو صفة لها في الاصل فانهم قالوا غضبٌ عِربدٌّ اي شديد وقال الشاعر: «ولقد غضبنا غضباً عِربدّا» ومن ذلك ما انشد ابن الاعرابيّ:

اني اذا ما الامر كان جِدّا ولم اجد من اقتحامٍ بُدّا

لاقي العِدى في حيّةٍ عربدّا

فاتضح ان العربدّ صفة في الاصل مطلقاً ثم استقلّت بالدلالة على نوع من الحيات موصوف بصلابتهِ وشدَّتهِ. ولو لم يكن العربدّ صفةً وملموحٌ فيهِ معناهُ الاصلي لما صحّ وقوعهُ هذا الموقع

ثانياً ان الدأب والعادة هما واحد في المعنى كما هو ظاهر ومعناهما يرجع ايضاً الى المعنى الاصلي للعربدّ الذي هو الشدّة والصلابة وعليهِ فاذا فسرت العربدّ بالعادة او الدأب فلا يفهم بهما الّا العادة المتصلّبة والشديدة التي لا يلوي عنانها شيء. وهي بهذا المعنى كالجماح للفرس يؤيدهُ ما جاء في القاموس نفسهِ مادّة عَرْبَدَ حيث فسّر « ركبتُ عِرَبدي » بقوله «مضيت فلم الوِ على شيء» وقال صاحب التاج: ركب عرَبدّهُ وعصودّهُ اذا ركب رأسهُ فم يلوِ على شيء ولم يعرّج

امّا عدم الموافقة المعنويّة بين الكلمتين فقد صار واضحاً ظاهراً بعد البيان السابق لانك متى قابلت بين المعنى الاصلي للكلمة وهو الشديد من كل شيء وبين الكلمة

اليونانية ἕρπετός التي معناها الزاحف والمتسلّق عرفت ان معنى هـذه لا ينطبق على معنى تلك فينتج من كل ما تقدّم ان لا موافقـة لفظيّة ولا معنويّة بين الكلمتين وان دلالة العربد على الحيّة او العـادة مجازية ترجع الى المعنى الحقيقيّ الاصليّ كما عرفت (١ (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

وكان الاب يوحنا رئيس دير مُرت تقلا مع انهُ شيخ بالخامسة والسبعين من سنّهِ يحافظ كل المحافظة على الصيامات بأسرها سواء كانت مفروضة من الكنيسة او من قانون رهبانيّتهِ ولذلك لم يكن يخلّ بشيءٍ منها بل يبالغ فيها. ثمَّ انهُ بالرغم عن خشونة عيشهِ وشدَّة تقشُّفاتهِ كان بشوش الوجه كثير المؤانسة للرهبان مرؤوسيهِ ولغيرهم من الناس واما الفقراء فقد كان يحبهم محبـة خاصةً ويجزل لهم الصدقات. وكان في علائقهِ مع عظماء الارض وقورًا حازمًا ولكن مع لطف ودماثة اخلاق. يرقُّ لمن اصابهُ الدهر بحوادثهِ فيخاطبهُ بما لا مزيد عليهِ من الاكرام ولم يأتهِ قط منكوب الَّا واسعفهُ بما استطاع اليهِ سبيلًا مع الاعتذار لهُ عن عدم مقدرتهِ على اكثر من ذلك

وكان في سنوات الخصب يأخذ من غلال الدير ما يكفي لمعيشة الرهبان ويخصص البـاقي للمحتاجين والفقراء من ايّة امّة كانوا. ولهذا كان المذكورون من مسيحيين واسماعيليين ونصيريّة يأتون افواجًا الى باب الدير طالبين السماح لهم بالاقامة في املاكهِ ليخلصوا من ناب الفقر ومظالم الوجهاء في تلك الناحية فكان يجيب سؤلهم بكل قبول مُفيضًا عليهم كنوز شفقتـهِ وواضعًا تحت تصرفهم ما لهُ من المعارف الطبيّة. ولمَّا فشا

١) انَّ ملاحظات حضرة الاب ميخائيل حويس على اشتقاق لفظة عربد من العربية لا تخلو من دقَّة نظر على انَّنا لا نرى في تعريبها شيئًا يخالف قوانين الالفاظ المنقولة عن اليونانية (راجع ما كتبنا في المشرق ١: ٨٣١ و ٨٣٤ ثم ٢: ٢٤٧ في الحاشية). فلا يبعد ان تكون معرَّبة عنها. والله اعلم ل. ش

الطاعون في سورية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر جعل ديره كمستشفى للمصابين اذ اخذ هو ورهبانهُ يخدمونهم نفساً وجسماً بما لا مزيد عليهِ من العناية والرحمة حتى ذهب الكثيرون من الرهبان شهداء الغيرة والمروءة

وبالنظر الى هذه الفضائل والاعمال العظيمة انتشر صيت الرئيس المشار اليهِ وعلت كلمتهُ في كل الجهات المجاورة حتى ان جميع السكان في كل من جبل عكار وجبل اللكام وجبل لبنان كانوا ينزلونهُ منزلة قديس ويجلّونهُ ويعتبرونهُ كملك وكان هو مع ذلك وديعاً متضعاً كأنهُ يجهل فضل نفسهِ ولا يعلم بشيء من تلك السمعة المستطيرة والوجاهة الكبيرة اللتين اكسبتهُ اياهما محامدهُ واحساناتهُ الى ذوي البأساء

وكان اذا اقبل على الصلاة ومناجاة الخالق عزَّ وجلَّ فضّلها على كل خير في الدنيا فكانت تمرّ عليهِ الساعات الطوال دون ان يفتكر في الرقاد. وكثيرًا ما كان اخوتهُ الرهبان متى هبوا صباحًا يجدونهُ جاثياً أمام الهيكل مثلما تركوه بعد صلاة نصف الليل. اما الغنى الذي يطمح اليهِ الناس وينضون ركاب الجد لاجل تحصيلهِ فكان يمقتهُ مؤثرًا عليهِ الفقر والحاجة ولهذا لم يرضَ قط ركوب الخيول الاصيلة التي كان منها عدد غير قليل في اصطبل الدير مهدى اليهِ من مقدمي الجبل وامرائهِ بل كان اذا عانى سفرًا الى النواحي المحيطة بالدير لاجل نشر بشارة الانجيل يذهب ماشياً او يركب حمارًا

ولمَّا دخل الاب يوحنا الى قاعة الضيوف بادر الرسول فوقف اجلالًا وقبَّل يديهِ ثم جثا سائلًا اياه ان يصلّي على رأسهِ. فبعد ان سألهُ الاب عن سفرهِ واستعلم منهُ عن اخبار المقدَّم رزق الله قال لهُ الرسول:

ان سيدي ومولاي المقدَّم رزق الله يلثم يديك ويقدّم لابوتك واجبات الاحترام ولمَّا كان قد نُكب بوفاة شقيقهِ المقدّم عبد المنعم فهو يلتمس منك ومن سائر الرهبان الصلاة من اجلهِ. وبما ان الشعب اللبناني باسرهِ قد اختارهُ ليكون خلفًا لشقيقهِ المذكور في المقدَّمية يرجو من ابوتك ان تتكرَّم عليهِ بزيارةٍ لانهُ يريد في مبادئ حكومتهِ ان يرتشد بمشوراتك ونصائحك الحكيمة. وهو يعلم حق العلم كم تأبى التداخل في المسائل الدنيوية وكم يشقّ عليك ترك ديرك والانقطاع عن معيشة المطالعة والتأمل غير انهُ يتوقع منك ان لا تضنَّ عليهِ باسعافك ونجدتك في هذا الوقت الصعب والزمن الحرج. واذا شاءت ابوّتك ان تتكرَّم بقراءة هذه الرسالة المخطوطة بيد المقدم رزق الله عرفتَ

منهـا صوابيَّة طلبهِ الذي يعود بلا ريب الى مجد الله

٤

قال الرسول هذا الكلام واخرج من جيبهِ رسالةً عليها من خارج ختم المقدَّم رزق الله ودفعها الى الاب يوحنا الذي بعد ان اجال طرفهُ فيهـا ظهرت على وجههِ امائر الحزن الشديد فتنهد وبكى حتى سقطت دموعهُ على خدّيه مبلّلةً لحيتـهُ البيضاء الطويلة ثم صرخ قائلًا :

يا لشقائك يا لبنان وماذا حلَّ بايمان اجدادك الصلحـاء آه كيف دخلت الذئاب الخاطفة الى حظيرة الشاء

فلمَّا سمع الرهبان كلام رئيسهم اخذهم الرعب والقلق فتجمَّعوا حولهُ وسألوهُ باحترام ان يخبرهم عن داعي حزنهِ . فاجابةً لالحاحهم قرأ لهم نصَّ رسالة المقـدَّم رزق الله

وكانت تشتمل على اخبار مؤلمة تمزق القلوب وتفتّتها حسرةً على سلامة الايمان لانَّ المقدَّم انبأ فيها الاب يوحنا الذي علّمهُ وهذّبهُ وكان بمقام والدهِ ان اليعاقبة الذين ابعدهم اخوهُ وشتَّتهم ومنعهم عن نشر تعاليمهم الفاسدة بين اهالي لبنان اخذوا من بعد وفاة اخيـهِ المذكور يرفعون روءوسهم فاستقدموا من القدس الشريف احد اساقفتهم المدعو ديوسقوروس (١ وانتشروا في اكثر نواحي الجبـل يبثون سموم عقيدتهم الملتوية وقد استولوا على ثلاثة اديار ويُخشى ان تزيد صولتهم ويتسع نفوذهم فيعسر كبحهم . وختم المقدَّم رسالتهُ بقولهِ انهُ مستعدّ لتضحية كل نفيس محافظةً على سلامة الايمان الكاثوليكي وتوطيـدهِ غير ان الظروف تقضي عليهِ بان يستعمل كل احتراز ممكن لسببـين مهمَّين: اولهما ان ابن اخيهِ قد اظهر ميلًا عظيماً للشيعة اليعقوبيَّة . وثانيهما ان سلطتهُ لم تكن قد توطدت على اركان راسخة لان نائب طرابلس (٢ ابى ان يعترف بترقيتـهِ الى مقام المقدَّميَّة زاعماً انهُ قد تلقى اوامر من مصر بعدم اقرارهِ في هذه الرتبة . وقد صرَّح ان ذلك كلهُ ناتج عن مساعي اليعاقبة اعدائهِ ولذلك يسأل الاب يوحنا ان يذهب اليهِ لكي يمدّهُ بنصائحهِ الحكيمة

وكانت في اسفل الرسالة كتابة أخرى باللسان الافرنجي هذا تعريبها :

---

١) تاريخ الموارنة للدويهي ١٣٩ ٢) راجع صبح الاعشى للقلقشندي

« لا تتأخر عن القدوم الينا لان مجد الله يستدعي حضورك واملي عظيم انك تضحي طمأنينتك الشخصية في سبيــل الديانة · اخوك بالرب فرا غريفون الفلمنكي الراهب الفرنسيسي قاصد الكرسي الرسولي· من محبسة مار سركيس في بشرّاي »

فلمَّا فرغ الاب يوحنا من قراءة الرسالة التفت الى الرهبان المحيطين بهِ قائلًا: « ماذا ترون ايها الاخوة الاحباء هل بعد ثلاثين سنة صرفتُها في الوحدة استطيع ان اقتحم ضوضاء العالم وهياجهُ او ليس الاحرى بي ان اسمع وصيَّة الانجيل « فاترك الموتى يدفنون موتاهم » أبدوا لي رأيكم ايها الاخوة وخلِّصوني من الحيرة التي انا واقع فيها

امَّا الرهبان فقــد اجمعوا على القول بانهُ لا يستطيع فقط بل يجب عليهِ ان يسارع لنجدة الديانة المهدَّدة· ثمَّ زاد احد متقدّمي الرهبان على كلمات الباقين قولهُ: « كيف تقدر على الارتياب متى كان رجل فاضل قديس مثل فرا غريفون يدلُّك على ما يجب عملهُ ؟ ·وقد كان في امكانهِ ان يأمرك امرًا باسم الكرسي الرسولي ولكنهُ رأى ان الظروف ومحبتك للكنيسة هي سبب كافٍ · فاذهب اذًا يا ابتِ لان الله هكذا يريد »

فاثَّرت كلمات الراهب في الاب يوحنا ذاهبةً من قلبهِ كل مذهب واعتبر ان الله اوضح لهُ ارادتهُ بفم الراهب المذكور فالتفت الى الرسول قائلًا:

تسافر غدًا وتبشِّر مولاك بقدومنــا ونحن نلحق بك مجدّين في السير على قدر ما تسمح لنا الشيخوخة بالسرعة

— ان مولاي قد امرني ان اعود في صحبة ابوَّتك محافظةً عليــك ووقاية لك من الاخطار · ولا يخفى عليك ايها الاب المحترم انهُ لا امان في الطرق التي نمرُّ عليها· وقد حرَّضني الكثيرون عند قيامي من برج صافيتا ان ألازم الحذر والانتبــاه فقد بلغهم ان زمرة من خيالة الاسماعيليين خرجت من قلعة مصياد واقامت الكمائن على طول الطريق اصطيادًا لابناء السبيل

— لا بل ترجع يا ولدي حالًا الى مولاك المقدَّم في بشراي لانني واثق بان الله تعالى اذا كان معنا لا نخاف من احد حسب آية داود النبي التي رتلناها في صلاة هذا المساء بعينهِ· ثمَّ اننا نحن الرهبان المساكين اي شيء نخشاه من قطاع الطرق· وفضلًا عن هذا فاني اعرف امير قلعة مصياد وقد عالجت بكر اولادهِ وباذن الله شفيتهُ من مرض عضال. واماَّ النصيريَّة فانهم كثيرًا ما يزورون كنيستنا المشيَّدة على اسم القديس جرجس ويأتون

اليهِ بتقادمهم وفي اغلب الاحيان ينذرون لهُ ابكار قطعانهم حتى بناتهم ايضاً ثم يشترونها منهُ بالدراهم التي يؤدونها بكل امانة لكنيسة الدير. وفي كل سنة يتجوَّل رهباننا في قراهم ليجمعوا نذورهم للقديس (١ وعلى ذلك فأرِح بالك من هذا القبيل واذهب الان فارقد مطمئناً لانك آتٍ من محلّ بعيد ومضطرّ ان تعود اليهِ غداً

فقبل الرسول يد الاب يوحنا ووضعهـا على رأسهِ وتنحَّى وذهب الاب المذكور مع رهبانهِ الى الكنيسة لاقامـة صلاة الليل. وكانت الزوبعة في ذاك الحين تزيد هياجاً واحتداماً والريح تتضاعف شدَّة وهبوباً والامطار تسقط سيولاً جارفة يصاحبها قصيف الرعود التي كان لصداها زمجرة هائلة في الوهاد القريبة من الدير

وكانت تراتيل الرهبان تتغلَّب في بعض الاوقات على صوت الزوبعة. فتتصل الى آذان المسافر الذي ما لبث ان تسلَّط عليهِ النعـاس فنام مستسلماً للاحلام وما عاد يسمع لا اصوات الصلاة ولا زمجرة الرياح

٥

ولمَّا لاحت انوار الفجر على ذرى الجبال التي قامت من فوقها قُبب مزارَيْ النبي متَّى والنبي صالح كانت الظلمة مخيّمةً بعـدُ على وادي حصن سليمان ودير القديسة تقلا كأنَّهُ راقد ما بين الغابات المحيطة بهِ من شجر السرو والشربين. ففي تلك الساعة فُتحت بوَّابة الدير فخرج منها الخيال الذي كان قد دخل في الليلة السابقة فبعد ان سقى فرسهُ من العين الصافية النابعة في جوار المحل بادر الى امتطائها عائداً الى برج صافيتا. وكانت الزوبعـة قد هدأت وارسلت غابات الصنوبر عرفاً عطرياً منعشاً فكان الخيَّال يستنشقهُ بلذة وهو ينشد الاغنية التي سبق لهُ انشادها بالامس :

لبنانُ ملجا النصارى مأمن الرهبانْ   حصنٌ حصين وحامي حوزة الايمانْ
الحسن فيهِ تجمَّع وارزهُ فتَّانْ   وماؤهُ كوثريّ واهلهُ شجعانْ

وما كان غير قليل حتى قُرعت الاجراس فوقف الخيال ورسم علامة الصليب باحترام ثم نزل في شِعب ضيّق كثير الانحدار مع وعورةٍ

وفي الوقت نفسهِ امتلأت كنيسة الدير انواراً وعلت فيها التراتيل والتسابيح وبدأ الرهبان بتلاوة صلاة الصبح

١) تاريخ وديانة النصيريَّة للمسيو دوسُّو

وكانت هذه الكنيسة فسيحة الارجاء جميلة الشكل على نسق الكنائس المارونيَّة القديمة اي انهـا كانت منقسمة الى ثلاثة اسواق ينتهي كل واحد منها بحنيَّة وقد صوَّروا الله الصباؤوت في الحنية المتوسّطة جالسًا على عرش العظمة كما رآهُ النبي حزقيال ومن حول العرش اربعة حيوانات رمزيَّة مع الملائكة وقوفًا يقدّمون لهُ البخور في مباخر من ذهب ويترنّمون لهُ بالتسابيح والتماجيد

وكان المذبح منصوبًا في وسط الخوروس وهو عبارة عن بناء مستقيم الزوايا تعلوهُ قبَّة جميلة المنظر على اربعة اعمدة في رأس كل عمود تمثال يشخّص الملائكة وفوق القبة تفاحة من ذهب وفوق التفاحة صليب

وكان الخوروس مفصولًا عن الدار بدربزين من خشب ذي نقوش وثقوب على مثال الشبكة وقد فُتحت فيهِ ثلاثة ابواب في مقابلة الاسواق الثلاثة لاجل الدخول منها الى القدس . وكان الدربزين مزَّينًا بصور كثيرة على الاسلوب البيزنطي تمثل السيد المسيح والعذراء المباركة والرسل مع القديسين المعروفين في جبل لبنان

وكان سقف الكنيسة مع جدرانها من داخل مصورًا بصور بديعة بينها كتابات كثيرة سريانية خُطَّت بالقلم الاسطرنجيلي وكان يتدلى من السقف بسلاسل من نحاس مُذهب قناديل كثيرة من الفضة مع عدد من بيض النعام . ولم يكن في اسواق الكنيسة من زينة سوى ما تقدَّم ذكرهُ لانها كانت خاليةً فارغة لا مقاعد فيها ولا كراسي . وقد نُصب بالقرب من الدربزين كرسي للرئيس ولهذا كان الرهبان مدَّة صلواتهم الطويلة لا يستندون الى غير العكاكيز التي هي عبارة عن عصي طويلة تنتهي بخشبة معترضة (١

هذه هي من داخل كنيسة حصن سليمان التي كانت في القديم معبدًا لاله الشمس ثم تحوَّلت الى هيكل للاله الحق على اسم القديس جرجس

فلمَّا تمت الصلاة لبس الرئيس غفارة كبيرة مع سائر ملابس القدس وشرع في تلاوة القدَّاس الالهي على موجب الطقس السرياني القديم يعاونهُ اثنـان من الرهبان لابسان بطرشيلين طويلين فكان يقول الالحان السريانية بوقار وجلال والرهبان يجاوبونهُ

١) راجع منارة الاقداس للدويهي ١ : ١٠٣ و ١٠٤ و ١١٣ و ١٢١ — والمشرق ٣ — كنائس لبنان القديمة

على ذلك. ولمّا حان وقت التناول اقتربوا الى المذبح فاتخذ الرئيس ملعقة صغيرة من الذهب وقرّبهم سرّ الافخارستيا المقدّس تحت الشكلين (١

وفي ختام القداس ترغوا ايضاً ببعض انغام سريانية ورتلوا شيئاً من المزامير ثمّ خرجوا من الكنيسة واحداً بعد آخر ذاهبين الى الاهتمام باعمالهم اليومية التي كانت عبارة عن فلاحة الارض ونسخ الكتب العديدة السريانيَّة

واذ ذاك همَّ الاب يوحنا بالسفر فهيَّأ في الحال ما يلزمهُ وامر ان يؤتى بالحمار الذي كان لهُ عادة بركوبهِ. واذ ذاك حضر شاب فخرَّ راكعاً على قدمي الاب المذكور وسألهُ بالحاح ان يأذن لهُ في مصاحبتهِ

وكان الشاب من بلاد جبيل اتى من بضعة اشهر الى الدير منساقاً اليهِ بما سمع عن الاب يوحنا من العلم الجزيل والقداسة الرائعة. وكان اسمهُ جبرائيل بن القلاعي (٢

ومع انهُ قد اتى الدير ناوياً ان يعتنق الحياة الرهبانية اقام فيه كل تلك المدة مختبرًا دعوتهُ ولذلك استمرَّ لابساً ملابس العوام لانهُ كان يودّ قبل الجزم بالامر ان يستشير فرا غريفون ويعمل بموجب نصيحتهِ وبما ان الاب يوحنا كان يحبهُ كثيرًا نظرًا لما تزيّن بهِ من الاوصاف الحسنة رضي عن طيبة خاطر ان يصحبهُ في رحلتهِ هذه

وكان ابن القلاعي كما تقدم القول شابًا غضَّ الاهاب ومع حداثة سنّهِ كانت قد عرضت لهُ بليَّة تستحقّ الذكر وهي انَّهُ لمَّا كان وحيدًا لابوين من ذوي الثراء واليسار خطبا لهُ ابنة من ذوات قرباه جميلة المنظر. فلمَّا وافت ليلة العرس واحتشدت النساء حول الصبية المخطوبة يجلونها حسب عادة اهل البلاد حدث ان احداهنَّ ادنت اليها من غير انتباه قنديلًا فعلق اللهيب باطراف منديلها فسرى الى سائر ملابسها وتسارعت النساء اليها لاطفاء النار فما قدرنَ على شيء وهكذا ماتت الصبية بعد ساعة من احتراقها ما بين آلام مخيفة تتفطَّر لها المرائر حزنًا واسفًا

فلمَّا أُصيب جبرائيل بهذه البليَّة التي جرحت اعزّ عواطفهِ واحبَّها اليهِ زهد في الدنيا وودَّعها وداعًا ابديًّا وفي اليوم التالي غادر سرًّا وطنهُ لحفد ذاهبًا الى جبل اللكام

---

١) راجع مقالة المشرق المعنونة فرا غريفون (١ : ٥٩) ثم كتب الموازنة الطقسية من مخطوطة ومطبوعة ٢) تاريخ الدويهي ٢١٣

وكان الرئيس قد اقام الاب جرمانوس وكيلًا عنهُ في ادارة شؤون الدير مدَّة غيابهِ ولذلك كرَّر عليهِ قبل السفر ما كان قد اوصاهُ بهِ قبــلًا من العناية بالفقراء والمحتاجين واضافة المسافرين واكرامهم مع اكمال نسخ الكتاب الذي كان قد بدأ هو نفسهُ بنسخهِ. وكان تأليفًا تاريخيًا جزيل الاهميَّــة لاحد قدماء كتبة الموارنة المعروف بقيس الماروني وموضوعهُ اصل الدنيا والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم مع ذكر اخبارهم وهو ينتهي بذكر خلافة المكتفي (١). وبما ان نسخهُ كانت قد عزَّت كثيرًا لم يتوصَّــل الرئيس الى نسخةٍ منهُ الَّا بعد الجهد والمشقَّة والبحث الكثير فابتاعها بثمن غالٍ وابتدأ بنسخها

وبعد ذلك غادر الدير مع رفيقهِ وما كان غير قليل حتى غابا عن الابصار ما بين اشجار الغاب (ستأتي البقيَّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

المطبعة الوطنية ثم اللبنانية ثم السليمية

٨ (المطبعة الوطنيَّة) ظهرت هذه المطبعة بعد المطبعة الخاصيَّة بزمن قليــل انشأها الخواجا جرجس شاهين سنة ١٨٥٥ وكان ابتاعها من المعامل الاوربية فاشتغل بها مع الخواجا حنَّا جرجس الغرزوزي سنة ١٨٦٨ وبقيا في شركتهما مدَّةً ثمَّ انفصلا واشترك جرجس شاهين مع اسكندر مسك وسليم تلحوق ولم تطُل شراكتهم. امَّا الخواجا حنَّا الغرزوزيّ فانشأ مطبعة بما حصل لهُ من قسمتهِ مع جرجي شاهين ودعاها بالمطبعة اللبنانية ونشر فيها المطبوعات على حسابهِ

ثم اشترى بقيَّة ادوات المطبعة الوطنيَّة واتمَّ عدَّة كتب كانت تلك المطبعة باشرت في نشرها ولذلك ترى قسماً منها باسم المطبعة الوطنية وقسماً باللبنانية. وفي سنة ١٨٧٢ تولَّى امر المطبعة سليم افندي نقولا مدوَّر فسمَّاها باسمهِ السليميَّة وطبع فيها نحو ثلاث

١) المسعودي: كتاب التنبيه والاشراف (ص ١٥٣)

سنين. ثمّ باع قسماً منها للطائفة الاورثذكسيّة لمطبعتهم المعروفة بالقديس جاورجيوس. ونقل القسم الآخر الى دمشق سنة ١٨٧٤ وصارت بعد مدّة الى يد محمّد افندي الحفنيّ

وهذه قائمة اخصّ الكتب التي طُبعت في هذه المطابع على حسب تاريخها:

(المطبعة الوطنية) ١ً قصّة الاميرة عادلايدة برونسفيك ترجمها عن الايطالية المعلم ميخائيل نخر (١٨٦٥. ص٢٠٤) = ٢ً قصّة جنفياف تعريب ميخائيل جهشان (١٨٦٥). ثمّ تكرّر طبعها مرارًا = ٣ً قصّة علي الزئبق. ولم يتم منها الّا قسم = ٤ً سيرة عنترة بن شداد العبسي في نحو ٣٠٠٠ صفحة. طُبع منها قسم في المطبعة الوطنية سنة ١٨٦٥ وتمّ طبعها في المطبعة اللبنانية سنة ١٨٧١. ثمّ جُدّد طبعها في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٣ ثم آخرًا في مطبعة الاداب سنة ١٨٩٥ = ٥ً كتاب البدر المنير في اصول حساب الزنجبر للمعلم سليم غالية (١٨٦٥. ص٤٠) = ٦ً قصّة الزير ابي ليلى المهلهل (١٨٦٦. ص ١٤٥) = ٧ً ديوان الزناتي خليفة (١٨٦٦. ص ١٨٣) = ٨ً مقالتان في الحسد ومحبّة القريب للشماس يوسف عقل اللبناني (١٨٦٧. ص ٤٣) = ٩ً كتاب نخبة الآداب لتنوير ألباب الفتيان والشباب للمعلم ايواني بابادوبولس (١٨٦٧. ص ١٥٦) = ١٠ً تزيين نهاية الارب في اخبار العرب لاسكندر آغا ابكاريوس (١٨٦٧. ص ٤٠٨) = ١١ً سيرة نابوليون الاول انكولونل كاليغاريس (Calligaris) وهي طبعة ثانية منقولة عن طبعة باريس ١٨٥٦ وطُبعت في المطبعة الوطنية سنة ١٨٦٨ (ص ٤٣٧) = ١٢ً تاريخ اسكندر ذي القرنين المكدوني عن ترجمة قديمة (le faux Callistène) (١٨٦٨. ص ١٥٦) = ١٣ً ديوان الفارض ضبطهُ القس لويس صابونجي (١٨٦٨. ص ٦٥) = ١٤ً قصّة قيس بن الملوّح العامري وهو مجنون ليلى (١٨٦٨. ص ٨٨) = ١٥ً كتاب اللامعة في شرح الجامعة للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٩. ص ١٣٧). = ١٦ً الردّ القويم بقلب سليم لسليم تلحوق اللاتيني مذهبًا ردًّا على الارشمندريت غبرائيل جباره (١٨٧٠. ص ٥١). وبعض كتب اخرى لم نقف عليها

٢ (المطبعة اللبنانية) ١ً الصحيفة الرضية اللاعية في اعدام الديانة العبرانية (١٨٦٩. ص ٥٥) = ٢ً حسن السلوك في واجبات اللياقة والادب (١٨٧١. ص٣٧) = ٣ً كتاب مصباح العصر في تواريخ شعراء مصر للمعلم اسعد منصور المضيحي (١٨٧٢. ص ٧٣) = ٤ً ديوان القمر المشرق في بلاد المشرق من نظمهِ (١٨٧٢. ص ٤٨) — وقد جُدّد في هذه المطبعة طبع عدّة قصص وروايات كسيرة بني هلال وتغربتهم وتتمّة قصّة علي الزئبق وسيرة عنترة وغير ذلك من حكايات وقصائد ومراثي

وهذه المطبعة اللبنانيّة بطلت بضع سنين لمّا اشترى ادواتها سليم افندي نقولا مدوَّر الّا انّ صاحبها حنّا افندي غرزوزيّ انشأ نحو سنة ١٨٨٠ مطبعةً ثانية دعاها ايضاً باللبنانيّة ثمّ زاد في ادواتها وابتاع آلة مطبعتنا البخاريّة القديمة فاشتغل بها ابنهُ جرجي نحو عشر سنوات وهي الآن في يد الخواجا يوسف صادر تُدعى المطبعة العلميّة. والمطبوعات التي في هذه المطبعة اللبنانيّة المستحدثة هي الآتية:

١ً كتاب وقائع تلماك . طبعة ثانية نقّحها وضبطها شاهين عطيّة (١٨٨٥ . ص ٤٣٩) = ٢ً ديوان جمال الدين ابن نباتة المصري (١٨٨٦ . ص ٦٤) = ٣ً ديوان ابن هانئ الاندلسي (١٨٨٦ . ص ٢٢٣) = ٤ً تاريخ الرومانيين لنجيب ابراهيم طراد (١٨٨٦ . ص ١٧٢) = ٥ً تاريخ الدولة المكدونية لهُ (١٨٨٦ . ص ٢٣٠) = ٦ً العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين طرفة وزهير وامرئ القيس نقلًا عن طبعة لندرة (١٨٨٦ . ص ١٣٠) = ٧ً قصَّة الامير حمزة جلوان في اربعة اجزاء بقلم الخواجا نخله قلفاط (١٨٨٦—١٨٨٨ . ص ١٠٩٦) = ٨ً تراجم بعض اعيان دمشق للشيخ عبد الرحمان ابن شاشو (١٨٨٦ . ص ٢٣٠) = ٩ً السحر الحلال (١٨٨٦ . ص ٦٤) = ١٠ً تاريخ روسيا في اربعة اجزاء منسوق بقلم نخله قلفاط (١٨٨٦ — ١٨٨٨ . ص ١٠١٥) = ١١ً مصباح الافكار في نظم الاشعار للمعلم شاكر شقير اللبناني (١٨٨٨ . ص ٨٨) = ١٢ً تنزُّه العباد في مدينة بغداد للمعلم نابوليون ماريني (١٨٨٨ . ص ١١٩) = ١٣ً كتاب الكلم النوابغ للامام ابي القاسم الزمخشري . نشرهُ وحلَّ الفاظهُ اللغويَّة الشيخ محمَّد الكستي (١٨٨٩ . ص ٤٣) — ولعلَّهُ طُبع غير ذلك من الكتب التي فاتت عنَّا اسماؤها . وفي هذه المطبعة نشرت مجلة الصفا في سنتيها الثانية والثالثة ١٨٨٧ و ١٨٨٨) ثمَّ ابتاع صاحب الصفا لنفسهِ مطبعة خصوصية طبع بها نحو سنتين ومن كتب هذه المطبعة كتاب القسطاس في علمي العروض والقوافي لاحمد افندي اللبابيدي (١٣٠٧ — ١٨٨٩ . ص ٤٠)

٣ (المطبعة السليميَّة) هذه اسماء مطبوعاتها البيروتيَّة :

١ً المرقاة في مبادئ الصرف والنحو للمعلم شاكر شقير اللبناني (١٨٧٢ . ص ٥٦) = ٢ً ديوان الشيخ مصطفى افندي البابي (١٨٧٢ . ص ٢١٣) = ٣ً الموشحات المصباحيَّة لمصباح افندي رمضان (١٨٧٣ . ص ١٦) = ٤ً ديوان ابي فراس الحمداني (١٨٧٣ . ص ١٥١) = ٤ً قصَّة الراعي في بقعة سالو باري (١٨٧٣ . قطع صغير ص ١٠٤) = ٥ً منظومات الجنديّ (١٨٧٣ . ص ١١٩) . ثمَّ جُدِّد طبعهُ في مطابع أُخر = ٦ً ديوان احمد بن ابي قاسم الحلوف الاندلسي . طُبع اولهُ في بيروت وتمَّ طبعهُ في دمشق (١٨٧٣—١٨٧٤ . ص ٢١٣)

٤ (المطبعة العلمية) هذه قائمة مطبوعاتها :

١ً شواهد ابن عقيل للشيخ قطّه العدَويّ (١٨٩٠ ص ١٤٠) = ٢ً مطبوخ المكتبة العمومية من السنة ١٨٩٢ الى ١٩٠١ معرَّب عن الارمنيَّة بقلم حضرة الاب الخوري سوكياس چريان الارمني = ٣ً مغني المتداعين عن المحامين لجان نقولا نقّاش الجزء الاول (١٨٩٢ ص ٩٤) امَّا الثاني فطُبع فيها سنة ١٨٩٥ (ص ١٥٦) = ٤ً كتاب تعليم القراءة العربية لابناء المدارس الكاثوليكية جمع يوسف صادر (١٨٩٢ . ص ٣٢) = ٥ً ديوان الشيخ عمر اليافي (١٣١١— ١٨٩٣ . ص ١٩١) = ٦ً كتاب اصول الطبخ ليوسف صادر (١٨٩٣ ص ١٢٠) = ٧ً تعليم القراءة العربية (١٨٩٤ . ص ٢٨) = ٨ً زبدة الصنائع والفنون جمعهُ يوسف صادر (١٨٩٥ ص ١٩٩) = ٩ً الشجيمة (السريانية) ١٨٩٦ . ص ٥٠٨) = ١٠ً كليلة ودمنة ١٨٩٦ . ص ٢٦٤) = ١١ً رواية الجهلاء المدَّعين بالعلم (١٨٩٧ . ص ٣٢) = ١٢ً رواية حسناء بيروت

قلم« مؤلف الكلام الحيّ» (١٨٩٨ . ص١٩٧) = ١٣ً تسعة تأمُّلات استعدادًا لعيد مار مارون (١٨٩٨.ص ١٦) =١٤ً خدمة القداس الالهي بحسب الطقس الماروني (١٨٩٩. ص ٢٢). = ١٥ً القلادة الذهبية في المنتخبات التهذيبيَّة جمعهُ سليم (١٨٩٩ ص١٠٤) – ١٥ً برنامج جميَّة طوبيًّا البار وبرنامج اخوات الشفقة المارونيتين. وفي هذه المطبعة تطبع مجلّتا ثمرات الفنون والمحبة

وهذه كتب اخرى طُبعت في هذه المطبعة دون تاريخ :

١ً سُلَّم القراءة العربية (ص٤٢) = ٢ً الاناجيل الاربعة منقولة عن طبعتنا = ٣ً الزهرة اللبانية في مبادئ تعليم القراءة السريانيــة للمعلم منصور الحكيم = ٤ً كتاب شهر حزيران المخصص بعبــادة قلب يسوع الاقدس للخوري بولس مناسا القسطاوي (ص١٧٥) = ٥ً الشهر المريمي لهُ (ص٢٣٨) = ٦ً تعريب الصلوات الموجودة في الشحيمة السريانيــة بقلم الخوري انطونيوس شهوان القسطاوي والقس عبد المسيح الحلبي (ص٢٥٦) = ٧ً كتاب ترويض الاذهان في تقويم البلدان لسليم صادر (ص٣٠٠) = ٨ً مختصر منهُ (ص١٧٤) = ٩ً كتاب الترجمان الفرنسويّ باللفظ العربي ليوسف صادر (ص١٧٦) = ١٠ ترويض الالباب في علم الحساب (ص ٨٠) = ١١ً مختصرهُ (ص ٤٨). ومما طُبع ايضًا في هذه المطبعة عدَّة قصص وروايات طُبعت سابقًا في المطبعة الوطنيَّة والمطبعة اللبنانية

٩ (المطبعة السريانية) أُنشئت هــذه المطبعة في بيروت سنة ١٨٦٥ على يد طائفة السريان. وكانت حروفها نضرةً شبيهةً بالحروف العربية المسكوبة في النمسا وكانت اكثر مطبوعاتها اوراق تجاريَّة. ومما طُبع فيهــا كتاب اصول القراءة العربيَّة والتهذيبات الادبيَّة للقس لويس صابونجي (سنة ١٨٦٦. ص ٥١٠) وكنّا ذكرناهُ سهوًا في جملة مطبوعات المطبعة الشرقيَّة لحنا النجار. وهــذه المطبعة نُقلت بعدئذٍ الى دير الشرفة في لبنان وطُبــع فيهــا كتاب خدمة القداس حسب الطقس السرياني (سنة ١٨٧٩. ص ١٩)

١٠ (مطبعة المعارف) كان منشئ هذه المطبعة الفاضــل الهمام خليل افندي سركيس سنة ١٨٦٧ واتخذ لها الحروف الاميركيَّة والانكليزيَّة. ولمّا اكمل معدّاتها تشارك معهُ في استثمارها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٨. فاشتغلت ثماني سنوات الى ١٨٧٦ حيث فُسخت الشركة. فانشأ خليــل افندي سركيس مطبعتهُ المعروفة اليوم بالمطبعة الادبية وبقيت مطبعة المعارف في ملك المعلم بطرس البستاني وبنيهِ فطبــع فيهــا عدَّة كتب الى ان أُبطلت نحو سنة ١٨٨٨. وهذه قائمة مطبوعاتها التي امكنّا الوقوف عليها:

١ً قسم من قطر المحيط (١٨٦٩. ص٢٤٥٢) = ٢ً الجزء الثــاني من قاموس محيط المحيط

للمعلم بطرس البستاني (١٨٧٠) امّا الجزء الاول فطبع في المطبعـة الاميركانية مجموع صفحاته ٢٣٠٨ = ٣ْ صحيفة الجنان انشئت اول عام ١٨٧٠ وظهرت الى سنة ١٨٨٥ = ٤ْ صحيفة الجنَّة كان ايضاً ظهورها في اول عام ١٨٧٠ وانقطعت سنة ١٨٨٥ . وكان متولي هاتين الجريدتين سليم افندي البستاني ثمَّ اخوهُ نجيب = ٥ْ الجُنينة انشئت ايضاً سنة ١٨٧٠ وكانت يومية ولم تطل مدَّتها = ٦ْ رواية تليماك للمعلم سعد الله البستاني (١٨٧٠.ص ١٣١) = ٧ْ كتاب الفرقدين (١٨٧١.ص ١٠٣) = ٨ْ كتاب النسق البهج في اللغة الانكليزيَّة . عرَّبهُ يوسف الحوري اسباط (١٨٧١ . ص ١٨٤) = ٩ْ كتاب تاريخ حرب الحبش والانكليز (١٨٧١.ص ٣٠٠) = ١٠ْ طوارق الحدثان في تاريخ مكسيمليان (١٨٧١.ص ١٣٠) = ١١ْ التحفة الانيسة في النوادر النفيسة لحنَّا افنـدي ابكاريوس ثلاثة اجزاء (١٨٧١-١٨٧٦ . ص٤١٥) = ١٢ْ درّ الصدف في غرائب الصدف لفرنسيس فتح الله مرَّاش (١٨٧٢.ص١٢٨) = ١٣ْ كتاب المرآة الجليَّة لهيئة القلب الداخليَّة مزيَّن بعشر صور (١٨٧٢.ص ٨٠) = ١٤ْ كتاب رشدة الطلاب في صرف ونحو اللغة العثمانية لفارس افنـدي الحوري (١٨٧٢ . ص ٤٣٠) = ١٥ْ الدر المنتخب للقديس يوحنَّا فم الذهب (١٨٧٢ . ص ٢٣٦) = ١٦ْ شرح ابن عقيل على الفيَّة ابن مالك (١٨٧٢ . ص٣٣٦) = ١٧ْ شرح ابيات شواهد ابن عقيل (١٨٧٢ . ص ١٩٤) وكلاهمـا طبع بعدئذٍ في المطبعة الادبيَّة ١٨ْ مقامات الحريري مع شرح الفاظها اللغويَّة (١٨٧٣ . ص ٥٦٤) . ثم جُدِّد طبعهـا في المطبعة الادبيـة = ١٩ْ ديوان فتح الله مرَّاش المعروف بالمرآة الحسناء (١٨٧٣ . ص ١٤٨) = ٢٠ْ كتاب التحفـة السنيَّة في تاريخ القسطنطينية (١٨٧٣ . ص ٣٠٩) = ٢١ْ مدخل الطلَّاب الى فردوس لغة الاعراب لسليم افندي تقلا (١٨٧٣.ص ٢٧١) . = ٢٢ْ انتقـاد عليهِ لرشيد شاهين الحوري في كتاب دعاهُ كشف النقـاب عن مدخل الطلَّاب (ص١٦) = ٢٣ْ كتاب فصـل الخطاب للسيد جرمانوس فرحات (١٨٧٣.ص ١٥٦) = ٢٤ْ كتاب العقود الدريَّة في تاريخ المملكة السوريَّة لالياس ديب مطر (١٨٧٤ . ص ١٩٢) = ٢٥ْ كتاب تاريخ اورشليم اي القدس الشريف لخليل افندي سركيس (١٨٧٤ . ص ٣٠٩) = ٢٦ْ قرعة الاثمار في كشف الاضمار (١٨٧٤.ص٨) = ٢٧ْ دائرة المعارف. طُبع منها في مطبعة المعارف ثمانية اجزاء (١٨٧٦ - ١٨٨٥) = ٢٨ْ كنز لغات وهو قاموس تركي وفارسي وعربي . للشيخ فارس افندي الحوري (١٨٧٦.ص٣٨٠) = ٢٩ْ شجرة التوت ودود الحرير لاسعد اسحاق ثابت (١٨٧٦.ص ٥٢) = ٣٠ْ كتاب رجال السياسة والمالية والتجارة لسليم افندي البستاني (١٨٧٩.ص٤٠) = ٣١ْ تاريخ فرنسا الحديث لسليم افندي البستاني (١٨٨٤ . ص١٠٤٠) = ٣٢ْ قصَّة روبنسن كروزي (الجزء الثاني ١٨٨٥) وكان الجزء الاول طُبع سابقًا في المطبعة الاميركيَّة = ٣٣ْ قصة سعيد وسعدى = ٣٤ْ رأس صخرة الشيطان = ٣٥ْ قصة فيروزشاه بقلم نخله قلفاط اربعة اجزاء (١٨٨٧ . ص ١٢٤١) = ٣٦ْ قصَّة متيلدة ترجمة سامي افندي القصيري جزءان (١٨٦٥ . ص ٤٠٧ و ٣٦٧)

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DES ROIS DES PERSES
par Abou Mansour Abd al-Malik al Taâhlibi
texte arabe publié et traduit par H. Zotenberg, Paris 1900 L- 758

غُرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

من جملة الطُرف الادبية التي قدَّمها العلماء لمعرض باريس في السنة المنصرمة كتاب جليل القدر تولَّت نشرهُ المطبعة الوطنيَّة الفرنسيَّة فجعلتهُ كتحفة نفيسة تجاري بها المطبوعات الشرقيَّة التي تسعى الدول الاجانب في طبعها . امَّا الكتاب فهو غُرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم لابي منصور الثعالبي عُني بنشرهِ ونقلهِ الى اللغة الافرنسيَّة العلامة م. زوتنبرغ ناظر المطبوعات في مطبعة باريس الوطنيَّة واحد افاضل الادباء المستشرقين الذين احرزوا لهم بتآليفهم العديدة اسماً مستفيضاً . وهذا الكتاب الجديد كان مسجىً في اكفان النسيان فاحياهُ العالم المذكور واستحق بذلك شكرًا جزيلًا لاسيَّما ان الكتاب يتضمَّن الفوائد الجمَّة التي لم يدوّنها في العربية غير الثعالبي من اخبار قدماء الفرس وملوكهم مع ذكر آدابهم وحكمهم وتواريخهم وسُنَنهم ورسومهم وحروبهم ومحاسنهم ومقابحهم أخذ ذلك عن كتب فارسيَّة وعربية سبقهُ اليها غيرهُ فسقطت على اكثرها يد الضياع . وقد بيَّن المسيو زوتنبرغ في مقدَّمة الكتاب التي تناهز الخمسين صفحةً ما لهذا التأليف من الخواصّ وما لصاحبهِ من الفضل في وضعهِ كما انَّهُ رجَّح كون الثعالبي لم يعرف كتاب شاهنامه للشاعر الفارسيّ فردوسي الشهير الذي ظهر قبلهُ بسنين قليلة . امَّا ترجمة هذا التأليف فتدلّ على دقَّة نظر صاحبها وسعة علمهِ بلغتنا العربية فادَّى معانيهِ بكل امانة الَّا اماكن قليلة شعريَّة فالتبست عليهِ . وليس الكمال الَّا لله

دفاع پلڤنا

تأليف عظم زاده حقّي

طُبع في القاهرة في مطبعة الترقي (١٣١٨-١٩٠٠.ص١٤٢)

اصبح اسم الغازي عثمان باشا منذ دفاعهِ عن پلڤنا مرادفًا للبطل الصنديد والاسد القسور اقرّ لهُ بهِ نفس اعدائهِ يوم رأوا فيهِ من الهمَّة القعساء والبسالة الفائقة ما حمل

الغراندوق نيقولا ان يصافحهُ قائلًا: « اهنئك من صميم الفؤاد على دفاع بلفنا فانك اتيت بعمل عظيم سيخلد لك ذكر الفخر في صفحات التاريخ الى الابد ». فكان لهذه الكلمة صدًى في قلوب كثير من العثمانيين الذين ارادوا ان يزيّنوا تاريخهم بوصف هذا الدفاع الجليل فيتركوا لأبنائهم مثلًا شريفًا يأتسون بهِ عند مسيس الحاجة. من جملتهم احمد جمال بك في اللغة التركيَّة والفريق مظفر باشا بالفرنسيَّة. فلم يشإِ الكاتب الاديب عظم زاده حقي ان تُحرم العربيَّة كتابًا يذكّر ابناء العرب بوقائع بلفنا فصنَّف هذا التأليف وصدَّرهُ بنظر عام في الحرب التي دارت رحاها سنة ١٨٧٧ بين الدولة العليَّة والدولة الروسية ثمَّ استوفى الكلام عن بلفنا التي اضحت كمركز لكل حركات جيوش الدولتين في بلغارية وبيَّن ما احرزهُ لهُ الغازي عثمان باشا في دفاعهِ عنها من المجد المؤثل بشهامتهِ ومعرفتهِ بالآداب الحربية. وقد روى المؤلف كل ذلك بطريقة سهلة يُستشفُّ من ورائها روح الحميَّة الوطنية. وفي اول الكتاب خارطة تقرّب للقارئ إدراك الحركات العسكريَّة. فنشكر لمؤلف هذا الكتاب حرصهُ على مفاخر الوطن ونتمنى لتصنيفهِ رواجًا

تساعية لاكرام القديس انطونيوس الكبير

عُني بطبعها حضرة الاب الفاضل القس افرام الديراني

طُبعت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٠. ص ٧٧

كان هذا الكتاب قد طُبع سابقًا فنفد طبعهُ. واذ رأى حضرة الاب الفاضل القس افرام الديراني قرب عيد القديس انطونيوس ابي الرهبان اراد ان يسهّل لهم الاستعداد لحفلة عيدهِ فجدَّد طبع هذه التساعيَّة واضاف اليها عدَّة فوائد تزيد ثقة الرهبان بشفيعهم القديس وتعبُّدهم لهُ. والكتاب مطبوع بالكرشوني متقن الطبع لهُ غلاف جميل يزيّنهُ

Baal-Arvad

d'aprés la numismatique des rois phéniciens d'Arvad

par le D^r Jules Rouvier, Paris 1900 *pp.* 15

بعل ارواد وفقًا لما جاء في مسكوكات ملوكها الفينيقيين

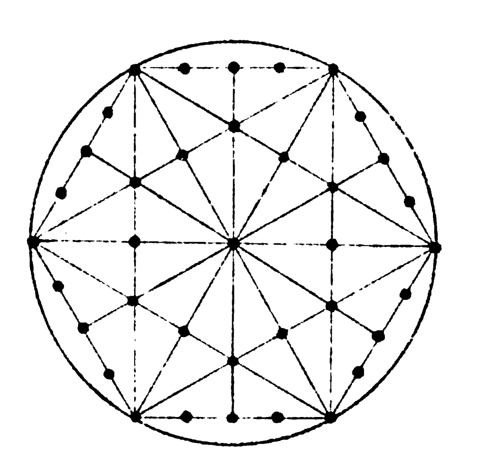
هي مقالة افرنسية حسنة للدكتور جول روڤيه بحث فيها عن معبود اهل ارواد الفينيقيَّة وهو المعروف ببعل ارواد فبيَّن خواصَّهُ المفرزة لهُ استنادًا الى النقود القديمة التي ضُربت في تلك المدينة قبل عهد الاسكندر واستنتج من ذلك انَّ هذا الاله هو الصنم

داجون الذي كان يعبده اهل عسقلان على صورة سمكة ولمّا فتح اليونان بلاد فينيقية حوّل اهل ارواد معبودهم الى معبود آخر بحري شبيه بهِ عند اليونان وهو پوسيدون ل.ش

العدد الاول من « المجلة الصحيّة » مجلةٌ طبيَّة صحيَّة تصدر في القاهرة مرة في الشهر رئيس تحريرهــا الدكتور اديب زيَّات. مديرها الصيدلي نجيب غناجه

شذرات

حلّ اللغز الهندسي الوارد في العدد السابق ارسل لنا حضرة الاب الفاضل والرياضي البارع الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورا العــامرة حلّ اللغز الهندسي الذي اثبتناهُ في العدد السابق. وهذه صورتهُ الهندسيَّة تغني عن شرحهِ



فلا يخفى ان الصفوف ١٨ لان الاضلاع ٦ ومجموع الاوتار ٩ حسبما يؤخذ من مبادئ الهندسة والقوائم ٣ فيكون المجموع: ٦+٩+٣ = ١٨ صفًّا. امَّا عدد التلاميذ فهو: على المسدَّس الخارجي ٦+(٥—١) = ٢٤ وعلى المسدس الداخلي: ٦ (٣—١)= ١٢ وفي المركز تلميذ واحد فالمجموع ٢٤+١٢+١=٣٧ تلميذًا

اللغز الرياضيّ قد حلَّ كثيرون هذا اللغز فنؤجل الى عدد آخر ذكر اسمائهم مع صورة الحلّ حسابيًّا وجبريًّا

تحيَّة السنة الفضيَّة للكليَّة اليسوعية نظم جناب الشاعر الاديب المعلم يوسف ابو سليمان في نسبة يوبيل كليَّتنا الفضيّ قصيدة عامرة الابيات لم يسمح لنا ضيق المكان باثباتها فنجتزئ بذكر بعض محاسنها. واوَّلها:

قه برجٌ شاغُ البنيَانِ بالفضل بات موطَّد الاركانِ

الى ان قال يصف تعلّق معلّمي الكلّيّة بالكرسي الرسوليّ :

هذي اصول الدين قد رسخوا بها مأخوذةً عن اصلها الروماني
محفوظةً عن بطرس ذاك الصفا راعي الرعاة وصخرة الايمانِ
أو ما دريتَ بأنهم حرّاسها يفدونها بالروح والابدانِ
فشعارهم مجـد الاله وشأنهم خير النفوس بخيبة الشيطانِ

ثمّ قال في الذوات الذين تخرّجوا فيها :

كم من بطاركةٍ ربوا بربوعها فغدوا يُشار اليهمِ ببنانِ
كم من اساقفة غذوا بلبانها كم كاهنٍ منهـا وكم ملفانِ
كم جهبذٍ كم عاقل منها بدتْ احكامـهُ تحكي نهى لقمانِ

ولهُ في جريدة البشير ومجلة المشرق :

هذا البشيرُ بها تراهُ روضةً غنّاء عاطرةً كعرف لُبانِ
نشرُ الحقيقـة دأبهُ لا يثني عن دحض قول جاء بالبهتانِ
ومجلّة في الشرق اشرق نورها فتقشّعت منهُ دجى البُطلانِ

وقال في الختام :

يا دارُ ابقاك العـليُّ منيعةً وعزيزة ما اشرق القمرانِ

﴿ خليل عبد النور وحامد الموصلي ﴾ بعد ان حلّت الروضة جيدها بقلادة صاغتها يد الشيخ حامد الموصلي كما نوّهنا بهِ في عددنا السابق لم تجد لهذه القلادة واسطةً افخر من طرفةٍ مستطرفة ابدعها يراع « جناب الاديب البارع خليـل افندي عبد النور من جونية ». فأيم الحقّ انَّ من اطّلع على هذه الرسالة لم يعد يبقى لهُ ادنى ريب في ان طبعة بحث المطالب الجديدة أنست الطبعات السابقة بمحاسنهـا لا ينقصها شيء. من اسباب الكمال وانها بلا مراء هي النسخة الاصليّة التي خطّتها يـمين المطران جرمانوس فرحات الطاهرة قنعنا ام لم نقنع. هدانا الله الى صراطهِ المستقيم بنور عبد النور

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاب الفاضل ف. ش. عن بعض اوامر للمجمع المقدس في مكان وطريقة توزيع سرّي القربان والتوبة هل يخطئ الكاهن في اهمالها

توزيع سرّي التوبة والقربان

ج للمجمع المقدَّس في هذا الخصوص صنفان من الاوامر. فمنها ما هو موجب لازبٌ (præceptivum) يُخطئ من ينقضـهُ خطأً مميتًا او عرضيًا حسب الموضوع

والاحوال. ومنها ما هو لارشاد الكهنة (directivum) يقتضي الامتثال لهُ الّا اذا دعا داعٍ صوابي للعدول عنهُ. امّا اذا أُهمل استهتارًا وسبَّب اهمالهُ للمؤمنين شكًّا فيمكن الكاهن ان يقع في وصمة خطيئة لا تتجاوز في الغالب الخطأ العرضيّ

س وسأل من صيداء الاديب ي. ا. لاي سبب جُعل بدء السنة في غرَّة كانون الثاني

ابتداء السنة في اول كانون الثاني

ج قد اجبنا على هذا السؤال في المشرق (١ : ١٤٢) فليُراجع

س وسأل احد وجوه الترالة الفرنسوية في الثغر: ما لتقويم البشير لم يذكر كمطبوخ الارمن ١ً خسوف القمر الجزئي في ٣ نيسان القادم. و٢ً كسوف الشمس الحلَقي الذي سيرى في الاستانة في ١١ تشرين الاول

خسوف القمر في ٣ نيسان وكسوف الشمس في ١١ تشرين الاول

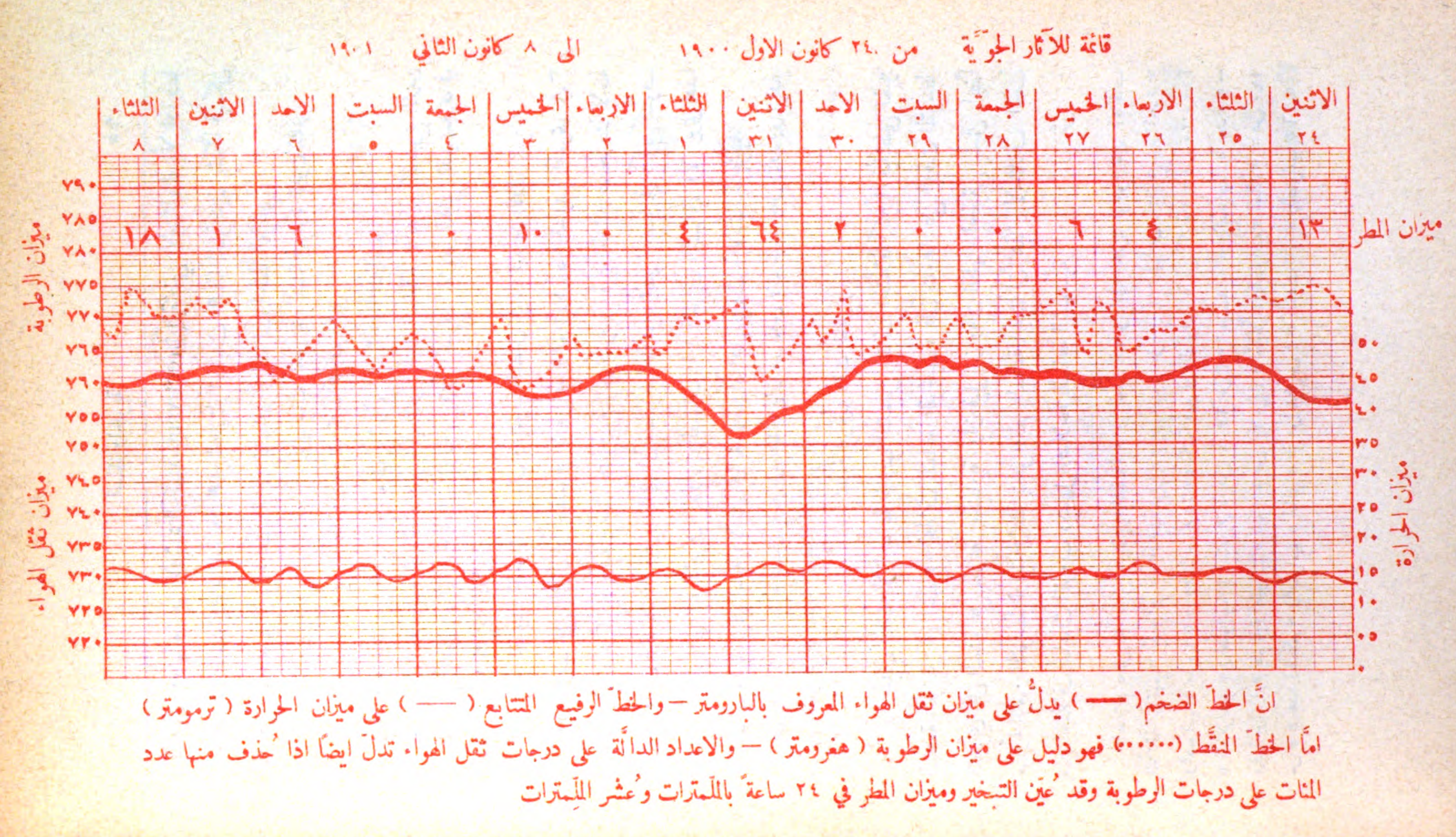
ج نجيب على الاول انَّ مطبوخ الارمن قد وهم في ذكرهِ الخسوف القمريّ في ٣ نيسان ولعلَّهُ اراد ٣ ايار وفيهِ يحدث خسوف قمري ضرب تقويمُ البشير صفحًا عنهُ لأَنهُ لا يُرى بالعين المجرَّدة — وعلى الثاني انَّ مطبوخ الارمن مخطئٌ ايضًا في ذكرهِ كسوف الشمس الحلَقي في ١١ تشرين الاول. والصواب ١١ تشرين الثاني ولا يُرى هذا الكسوف حلقيًا لا في آسيَّة ولا في اورَّبة. وسيراهُ اهل بيروت والاستانة جزئيًا

س وسأل جناب الفاضل ميخائيل افندي ليان سركيس لاي سبب جعل الاوربيون اول ساعتهم الظهر لا في المساء كما يفعل الشرقيّون

بدء الساعة الفرنجيَّة وقت الظهر

ج سبب ذلك لانَّ ساعة غروب الشمس تختلف اختلافًا كبيرًا. فيقتضي تغيير الساعة العربية كل اسبوع. بخلاف الساعة الفرنجيَّة فانَّ بناءها على الوقت المتوسّط فتجري كل السنة على سرعةٍ متساوية. وان قيل انَّ وقت الظهر الحقيقي يسبق ايضًا مرارًا الزمن المتوسط او يتأخر عنهُ بنحو ربع الساعة اجبنا انَّ هذا الاختلاف اخفّ من اختلاف ساعات الغروب ويسهل اصلاحهُ بالساعة الشمسيَّة ل. ش

اصلاح بعض اغلاط: ذكرنا في الصفحة ٨ من العدد السابق اسماء بعض الوجوه بغير الالقاب اللائقة برتبهم « كرفمتلو حنَّا افندي عورا » والصواب « عزَّتلو » - وفيها س ١٤ : « مدير الحرد » والصواب « مديرا » - وفيها س ١٨ : « وكتبة قلم » والصواب « من كتبة » = ص ١٠ س ٢٤ « تستفزُّهم » والصواب « يستفزُّهم » ص = ١٢ س ٢ « يعيد لهُ » والصواب « يعدلهُ » — وفيها س ١٧ « بفم » والصواب « بغم » = ص ١٣ س ٢ « خيالاً » والصواب « خبالاً » = ص ١٤٠ س ٥ « هذا الحكم » والصواب « الحلم » = ص ٣٨ س ١ « السبت ١٢ » والصواب « ١٦ »



انَّ الخطَّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) اماَّ الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



رواية ابن الاعرابي عُني بضبطهِ وتعليق حواشيهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان الاخطل بلغ طبقة لم يبلغها الّا القليلون من شعراء عصرهِ كجرير والفرزدق حتى قاسهُ اهل النقد والبصيرة بافاق شعراء الجاهلية . وكانت اوشكت يدُ الضياع ان تذهب بديوانهِ لولا نسخة جليلة حفظت في خزانة كتب بطرسبرج وهي التي تولى طبعها الاب صالحاني باكثر ما امكن من الاتقان وذيَّلها بحواشٍ عديدة تزيل ما في الديوان من المشاكل اللغوية والتاريخية مع ذكر الروايات المختلفة التي وردت في كتب الادباء المطبوعة والخطيَّة فجاء هذا الديوان كدرَّةٍ فريدة ليس لها ثانٍ

(قطع ٨ عدد صفحاته ٤٠٠)

س ف قيمة البريد)

تمَّ طبع اربعة اجزاء كل جزء بغلاف ٥ ٤٠

Le Diwan d'Alhtal.

Grand in-8°, 4 fasc. XIII — 400 pages, 1891-92.

Edité et enrichi de notes

par

Le P. A. Salhani S. J.

Si nous en croyons un célèbre critique musulman, il n'a manqué à Ahtal pour être le premier des poètes arabes que d'avoir vécu un seul jour avant l'apparition de l'Islam. Ce jugement est aussi flatteur pour le poète chrétien que pour l'époque injustement flétrie sous le nom de *barbarie* (*Gahilyiat*).

Malgré le mérite que suppose une pareille appréciation, confirmée par des Orientalistes de renom, le Diwan d'al-Ahtal était cependant devenu introuvable en Orient. Heureusement que la Bibl. de St. Pétersbourg en possédait un exemplaire de la plus haute importance avec un commentaire assez riche. Une copie de ce Ms. faite par le fameux R. Hassoun étant tombée entre les mains du P. Salhani, il crut faire œuvre agréable aux arabisants en l'éditant après l'avoir fait confronter sur l'original.

L'éditeur a joint au commentaire ancien dont le texte est enrichi, des notes grammaticales et historiques, et recueilli les vers épars çà et là en divers auteurs ou dans les anciens lexiques. Ce travail lui a fourni des variantes nombreuses, des additions importantes et a éclairci plusieurs difficultés.

La publication de ce *Diwân* et son exécution typographique ont valu à l'éditeur et à notre imprimerie de grands éloges. Il est en effet bien peu d'ouvrages orientaux publiés avec un pareil luxe, même en Europe.

Les tables de ce *Diwân* sont en préparation

		Fr,	affr
Broché	chaque *fascicule*	5 »	0,40

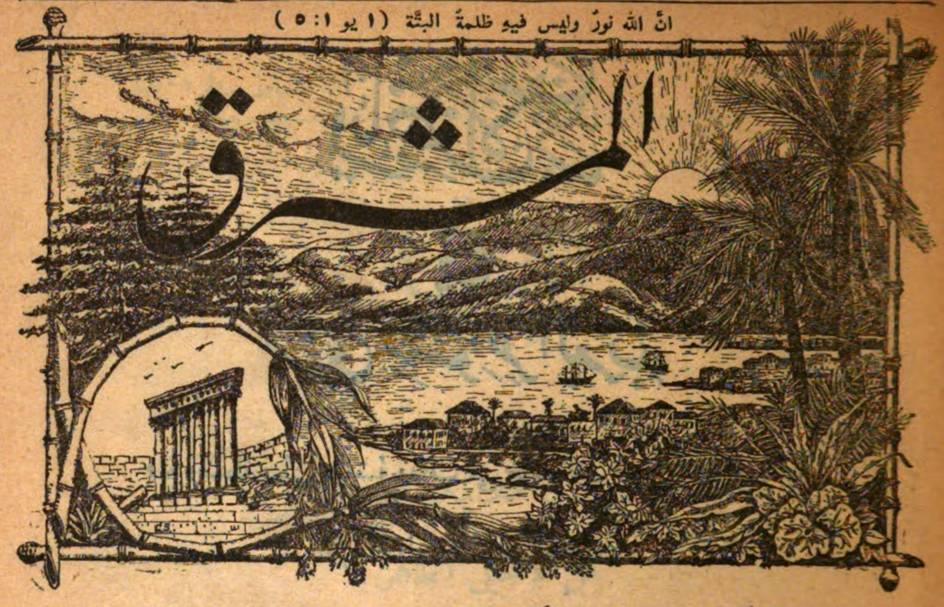


وكلاء المشرق ومحلّات الاشتراك لسنة ١٩٠١

الاسكندرية	الخوري جرجس فرج صفير
الاسماعيلية	انطون افندي الخوري مطر
اوستراليا	الخوري يوسف الدحداح المرسل الماروني
البترون وقضاءوها	اسكندر افندي اسطفان المزرعاني « البترون »
البرازيل	الخوري يعقوب صليبا المرسل الماروني
شمالي البرازيل	يوسف افندي ف . ن ضاهر
بغداد	الاب انستاس الكرملي
بورسعيد	بطرس افندي الياس رابيل
بيروت	المطبعة الكاثوليكية
«	كل اصحاب مكاتب بيروت نخصّ منهم بالذكر الافندية : خليل الخوري مدير المكتبة الجامعة . انطون كنعان مدير المكتبة الشاملة . موسى صفير مدير مكتبة المعارف . عبدو يني صاحب المكتبة السورية . سليم نصر صاحب المكتبة الادبية
جزين واقليمها	ابرهيم افندي ابي سمراء غانم « بكاسين »
حلب وولايتها	اومير افندي حكيم
حمص	الامير حافظ شهاب
دمشق الشام	الخواجه حبيب نعمة الله ثار
دير القمر (المديرية)	مخائيل افندي عيد البستاني « دير القمر »
زحله	ايوب افندي صائغ
صيدا	توما افندي كيال
طرابلس الشام	المسيو نابوليون بيرو
طنطا	الخوري اثناسيوس دبس
العجم	القس افرام اسطيفان الكلداني « في سنا »
عكّار وجهاتها	ابرهيم افندي عبد الجليل في عندقت
القدس الشريف	ابرهيم افندي يزبك . الخوري يوحنا خليل في بطريركية اللاتين
كسروان	دير الاباء اليسوعيين « غزير »
لبنان (شماليّه)	الخوري مخائيل عيسى الخوري « بشرّي »
لبنان (مركز المتصرفية)	محمد افندي ابي عزّ الدين « في بتدين او بعبدا »
ماردين	الخوري افرام احمر دقته
المتن	ناصيف افندي الرغزغي « بكفيا »
مصر (القاهرة)	امين افندي هندية في مكتبته
المنصوره	القس جرجس الرزي
الموصل	القس بطرس نصري
مونتيفيديو	الخواجا اسكندر صافي
الولايات المتحدة	الخوري يوسف يزبك

السنة الرابعة العدد ٣ ١ شباط ١٩٠١

انَّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنّية

بإدارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 3 (1 Février 1901)

فهرس العدد ٣

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

رياض الأدب
في
مراثي شواعر العرب

جمعهُ وضبطهُ وعلّق حواشيهُ ووقف على طبعهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الاول (شواعر الجاهلية)

ان لنساء العرب في الرثاء المعاني الرقيقة والالفاظ الشجية التي من شأنها ان تثير الاشجان وتقدح في القلوب شرر النيران حتى ان كثيرًا من الادباء فضَّل شعرهنَّ في هذا الباب على شعر فحول الشعراء . هذا وان جامع هذه القصائد قد كان ألحق اول طبعتهِ لديوان الخنساء بمراثٍ لنيف وستين شاعرة من شواعر العرب الّا انهُ قد اكتشف بعد ذلك على مقاطيع كثيرة احوجتهُ ان يفرد لهذه المراثي كتابًا قائمًا بذاتهِ يكون دستورًا لمن احبَّ مطالعة هذه القصائد البديعة (قطع ٨ عدد صفحاته ١٥٧)

بغلاف .. ٣٠٠ ٤٠

Les poétesses arabes.

In-8, 157 pages, 1897.

Par le P. L. Cheikho S. J.

Dans sa première édition d'*al-Hansâ'*, le P. Cheikho avait ajouté au Diwân de cette poétesse, de petits fragments élégiaques d'une soixantaine d'autres femmes arabes. Ces poésies étaient précédées de quelques détails historiques sur celles qui les avaient composées. Depuis lors de nouvelles recherches ont permis à l'auteur de décupler les matériaux dont il disposait. Il peut ainsi présenter aux Orientalistes un ouvrage à peu près complet sur l'histoire des poétesses arabes depuis la fin du V[e] siècle jusqu'à ces derniers temps. Cette publication paraîtra en quatre fascicules d'environ 150 pages chacun, comprenant les quatre grandes périodes de l'histoire arabe. Le 1[er] fascicule a paru ; il contient en dix chapitres les notices de 71 poétesses antéislamiques.

	Fr.	affr.
Broché	3 »	0,40

المشرق

نسخ عربية قديمة في الشرق

من الانجيل الطاهر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

قد بلغت الدروس الكتابية في اوربة مبلغاً يقضي بالعجب فانشأ علماؤها من كاثوليك وغيرهم المجلات الخصوصيَّة ووضعوا التآليف المسهبة التي اماطت القناع عن عدَّة معضلات كانت تعتاص على الائمَّة انفسهم. الَّا ان هذه الابحاث عن الاناجيل المقدسة اوسع مجالًا واكثر عائدةً لانَّ الاناجيل من اقوى اركان النصرانية يستند اليها المدافعون عن صحَّة الدين المسيحي فيبيّنون ان يد الفساد لم تسطُ عليها مع كثرة ما تداولتها ايدي النسَّاخ في كرّ الدهور واذا وقع بين النسخ بعض اختلاف فما ذاك الَّا امر عرضي لم يمس جوهر الكتاب بشي.

هذا وان في لغتنا العربيَّة نفسها نسخاً لا يحصيها عدّ شاعت في بلادنا الشرقيَّة في توالي الاجيال كان يرتقي بعضها الى الزمن الذي سبق الهجرة. لنا في ذلك ادلَّة لامعة في التاريخ القديم. منها ان عدَّة قبائل من العرب اخذت تدين بالنصرانية منذ اواخر الجيل الرابع بعضها في العراق كالعباديين وبعضها في بادية الشام كغسَّان وبعضها في اليمن والحجاز كبني الحرث واهل نجران. فلا يقبل العقل انَّ هذه القبائل العديدة بقيت نحو ٢٠٠ او ٣٠٠ سنة دون ان يطَّلع اصحابها على الاناجيل الطاهرة في اللغة العربيَّة. أفليس عن بني غسَّان وانجيلهم قال النابغة :

مجلَّتهم ذات الاله ودينهم قويمٌ فلا يرجون غير العواقبِ

ومن هذه الدلائل ايضاً ما جاء في شعر بعض الاقدمين كأُميَّة بن ابي الصلت

وعدي بن زيد وغيرهما من شعراء النصرانيّة في الجاهليّة فانك ترى في دواوينهم اشارات واضحة الى نصوص من الانجيل بل قطع مطوّلة من التوراة كما سنبيّن ذلك ان شاء الله في مقالة أخرى فهذه الاشارات كلها تدلّ على ان اصحابها كانوا يعرفون حق المعرفة اسفار العهد الجديد وانها في ايديهم وعلى الاقل في ايدي زعمائهم

ثمّ لنا برهان ثالث وهو ما ورد في بعض التواريخ الاسلاميّة القديمة كالاغاني (٣: ١١) وجاء فيه عن ورقة بن نوفل انهُ « قرأ الكتب » وانهُ « كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله ». فقولهُ « بالعبرانية » دليل على ان الانجيل لم يُكتب بعد بالحرف العربي بل « بالعبرانيّة » يريد السريانيّة الشائعة في فلسطين والبلاد المجاورة لها — وكذا جاء عن البرّاق انهُ كان تعلّم تلاوة الانجيل على احد الرهبان (شعراء النصرانية ١ : ١٤١) — وفي سيرة الرسول لابن هشام (طبعة اوربة ص ١٤٩—١٥٠) نصوص اخرى من الانجيل بالعربية نقلها ابن هشام عن محمد بن اسحق . وتراهُ هناك قد استشهد بالآية الواردة في انجيل يوحنّا (١٥ : ٢٦) على هذه الصورة: « فلو قد جاء المَنْحَمّنا هذا الذي يرسلهُ الله اليكم من عند الرب وروح القسط الخ » وفي لفظتي « منحمنا » و« روح القسط » ما يدلّ على انّ الترجمة العربيّة التي يشير اليها نُقلت عن النسخة السريانيّة الفلسطينيّة السابق ذكرها

ومن البراهين المقنعة ايضًا انّ القرآن ذكر الانجيل مرارًا وقال عنهُ انّ فيهِ نورًا وهدًى ففي اشارتهِ الى الانجيل ومضمونهِ دليل بيّن على انّ هذا الكتاب كان معروفًا عند العرب منقولًا الى لغتهم (١

على انّ هذا التعريب القديم للانجيل المقدّس اخذتهُ يد الضياع لمّا شاعت بعد ظهور الاسلام ترجمات محكمة . واوّل نقل جاء ذكرهُ في التاريخ اثبتهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسي بالسريانيّة (طبعة ابلوس ولامي الجزء الاول ص ٢٧٥) فروى هناك ان الامير عمرو بن سعد بن ابي وقّاص ارسل فاستقدم اليهِ البطريرك حنّا اليعقوبي (٦٣١—٦٤٩) وامرهُ بان ينقل لهُ الانجيل الى العربيّة بشرط ان يحذف منهُ ما يختصّ باسم المسيح الاله والعماد والصليب . فاجابهُ حنّا انهُ يفضّل الموت على ان يترك منهُ ياء او نقطة . فلمّا رأى عمرو عزيمتهُ قال: اذهب واكتب كما تشاء

(١) راجع ايضًا قاموس الاسلام Hughes : *Dictionary of Islam*, p.630

وما مرَّ على هذه الترجمة زمن قليل حتى تعدَّدت الترجمات العربيَّة وانتشرت في كلّ انحاء المشرق. وممَّن بحثوا عن هذه النسخ العربية واصلها وتاريخها العلامة الشهير المتفنن اغناطيوس غويدي (١ في مقالة مستوفية طُبعت سنة ١٨٨٨ بيَّن فيها ما تحتويهِ الخزائن الاوربيَّة من نسخ الانجيل القديمة فقسمها الى ستة اقسام

فالقسم الاول مدارهُ على النسخ المترجمة عن الاصل اليوناني. وهذه النسخ عديدة منها نسخة في المكتبة الواتيكانيَّة يرتقي عهدها الى القرن الثامن للمسيح. والذين سعوا في هذه الترجمة هم رهبان دير القديس سابا بقرب القدس الشريف. وفي ديرهم نسخ قديمة محفوظة فيها حتى الان وكذلك في دير الصليب المجاور للقدس

والقسم الثاني يتضمَّن النسخ المنقولة الى العربيَّة عن الاصل السرياني المعروف « بالبسيطة » اقدمها النسخة التي وصفها غلدميستر (٢ ورقى عهدها الى ما بين سنتَي ٧٥٠ و ٨٥٠

والقسم الثالث يحتوي النسخ القديمة المترجمة عن الاصل القبطيّ المنفيّ (memphitique) او المصلحة عليهِ بعد نقلها من اليونانيَّة

القسم الرابع وهو الاوسع يشتمل على النسخ التي قوبل فيها بين الترجمات القبطيَّة والروميَّة والسريانيَّة السابق ذكرها فدُوّن احسن ما فيها. وصارت هذه الترجمة مفضلة على ما سواها لسلاسة عبارتها. واصل هذه النسخ من مصر عُني بتنسيقها احد مشاهير الامة القبطيَّة في القرن الثالث عشر وهو ابن العسَّال. فنالت هذه الترجمة من الشهرة ما انسى الترجمات السابقة. وجعل قوم من الذوات يتقفَّون آثار ابن العسَّال فيعيدون الترجمة على هذه النسخ الاصليَّة فتارة يقتربون الى الترجمة السريانيَّة وتارة الى الروميَّة او القبطيَّة على اختلاف اجناسهم ونَزعاتهم. والنسخ المنتظمة في هذا القسم الرابع عديدةٌ في خزائن الكتب الشرقيَّة الاوربيَّة كُتب بعضها في زمن ابن العسَّال او بعدهُ بقليل

القسم الخامس مرجعهُ الى النُّسخ المحلَّى متنها بالسجع او التي سعى اصحابها في تنقيح عربيَّتها وتهذيب لغتها دون مراعاة الضبط والامانة التامَّة في الترجمة. فمن هذه النسخ نسختان في الواتيكان كُتبتا في القرن العاشر للميلاد ولعلَّ صاحبهما هو احد

---

١) راجع Reale Academia dei Lincei, 1888

٢) Gildemeister : *De Evang. in arabicum e simplici syriaca translatis*

الاطباء النصارى الذين خدموا الخلفاء العبَّاسيين في بغداد — وتلحق بهذا الباب ترجمة عبد يشوع الصوباوي اسقف نصيبين النسطوري المتوفى سنة ١٣١٨ وترجمة يعقوب الدبسي الماروني سنة ١٦٩١

والقسم السادس والاخير يتضمَّن بعض النُّسخ التي تُرجمت عن اللاتينيَّة في بلاد الاندلس اشهرها ترجمة اسحاق ڤيلاسكس القرطبي انجزها سنة ٩٤٦٠ ومنها نسختان قديمتـــان احداها في لندرة والاخرى في مونيخ. الَّا ان هذه النُّسخ لا تهمُّنا في هذا البحث الحاضر

فممَّا تقدَّم يلوح للقارئ حرص الاجانب على جمع النُّسخ العربية القديمة من الاناجيل المقدسة وما يرون في درسها من الفوائد. ولعلنا اذا بحثنا في مكاتب الخواص في اصقاعنا الشرقيَّة وجدنا نسخًا شتى من الاناجيل المخطوطة يصحُّ نظمها في سلك كلٍّ من هذه الاصناف السابق ذكرها. وتأييدًا لقولنا نثبت هنا ما عثرنا عليهِ في ابحاثنا الخصوصيَّة

القسم الاول — وجدنا في مكتبة القبر المقدس للروم الاورثذكس في اورشليم نسخةً قديمة منقولة من الترجمة الروميَّة ترتقي على ظنّنا الى القرن العاشر اصلها من دير القديس سابا وهي انيقة الكتابة

ويؤخذ من قائمة الكتب الخطّيَّة المحفوظة في طورسينا (١ انَّ من هـــذه الترجمة نسخًا أخرى قديمــة مسطَّرة على رقّ الغزال خطُّها اشبه بالخط الكوفي كُتبت في القرن العاشر وما بعده

القسم الثاني — في مكتبتنا الشرقيَّة اربع صفحات من ترجمة ططيانوس المعروفة بدياطاسارون (διὰ τεσσάρων اي سياق الاناجيل الاربعة) وجدت في عام ١٨٨٨ في دير اللويزة. واشتهر ططيانوس المذكور في اواخر القرن الثاني للميلاد وهو تلميذ القديس يوستينوس الشهيد. ومن اعماله الجليلة انهُ نقل سيرة المسيح عن الاربعة الاناجيل وسبكها بعضها سبكًا حسنا بحيث جعل رواية الانجيليين الاربعة كرواية واحدة متناسقة كما فعل حضرة الاب يوحنَّا بلو اليسوعي في كتاب القلادة الدريَّة. وكان ططيانوس وضع كتابهُ بالسريانيَّة (وقيل باليونانيَّة) نحو سنة ١٨٠ للمسيح لكنيسة الرها فشاع تأليفهُ الى اوائل القرن الخامس ثمَّ أُبطـــل استعمالهُ بامر ربولا اسقف الرها (٤٣٥ +) والقي في زوايا

(١ Studia Sinaïtica III, Catalogue of the arabic Mss.

النسيان حتى لم يبقَ منهُ اليوم في الاصل السرياني نسخة صحيحة اللهمَّ الَّا بعض مقاطيع نشرها العلماء . لكن الله لم يسمح بفقد هذا الاثر الجليل الذي نُقل الى العربية وبلغنا منهُ نسختان كاملتان بلا تاريخ كانت احداهما في مكتبة الواتيكان والثانية عند الاديب الوجيه حليم دوس غالي في القاهرة اهداها الى مجمع انتشار الايمان سنة ١٨٨٤ فنشر السيد اوغسطينوس شياسكا (Ciasca) هذه الترجمة عن النسختين سنة ١٨٨٨ وقدَّمها لامام الاحبار لاون الثالث عشر في نسبة يوبيلهِ الكهنوتي . وفي ختام هذه النسخة ما نصُّهُ (طالع الصورة الشمسيَّة) :

تمَّ الانجيل الذي جمعهُ ططيانوس وسمَّاهُ بدياطاسارون يعني اربعي من اربع بشائر الرسل الاطهار الاربعة الانجيليين الاخيار عليهم السلام نقلهُ القس الحبر (لعلَّهُ الحبير) العالم ابو الفرج عبد الله بن الطيب رضي الله عنهُ من السرياني الى العربي من نسخة بخط غيسى (والصواب عيسى) بن عليّ المطيب (والصواب المتطبب) تلميذ حنين بن اسحق رحمهما الله امين

فينتج من هذه الخاتمة انَّ معرب الدياطاسارون هو ابو الفرج عبد الله بن الطيّب المؤلف اليعقوبي الشهير المتوَفى سنة ١٠٣٤ . فتكون هذه الترجمة العربيَّة من اوائل القرن الحادي عشر . ولكن في خاتمة الصفحات الاربع التي لدينا ما يبيِّن ان هذه الترجمة العربيَّة اقدم عهدًا . وهذا حرفها :

كمل بمعونة الله الانجيل المقدس الذي جمعهُ ططيانوس من الاناجيل الاربعة المعروف بدَدَيا طاسارون (كذا) والحمد لله كما هو اهلهُ ووليُّهُ والمجد لله دائمًا ابدًا سرمدًا . وكان الفراغ منهُ لستٍّ وعشرون (كذا) ليلة خلون من ايب سنة ثمان واربعون (كذا) والف للشهداء وافق من الشهور العربية الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة اثنان وثلثون (كذا) وسبع مائة للهجرة العربية (١٣٣٢م) بسلام من الربّ امين

وفي الصفحة التالية ما نصهُ وقد جعلنا بين هلالين ما سقط من الاصل :

ومما نسخهُ بخط يدهِ لنفسهِ ا (لمسكـ) ين الفارق في بحار الخطايا والذ(نوب) الجامع لكل العيوب ابو البركات ابن ابي اا (َحَيْـ) ر . . . . وكتبهُ في القلاية المعمورة البطريركية ممَّا نُ(قا)ت هذه النسخة من نسخة بخطّ الاب الفاضل القس المكرَّم الراهب الناسك اللابس الشكل الملاكي انبا يوحنَّا ابن المؤتمن المعروف بابن الشيخ احد كهنة بيعة القديس مرقوريوس بدير شهران رزقنا الله شفاعة الشهيد مرقوريوس وبركة صلاة القس المذكور . ذكر فيها في آخرها انهُ نقلها من نسخة بخط القس الفاضل سمعان الناسخ . . . وذكر سمعان المذكور انهُ نقلها ايضًا (من نسـ)خة بخط الاب الفاضل الاسقف انبا (اشوعيـ)اب اسقف فوّه وهو ابن الُمحَبِرك وذكر الاب اش (وعيـ)اب انهُ نقلها من نسخة عتيقة جدًا (   ) بمدينة الله (   ) وانهُ فرغ من (والباقي قد تلف)

فيظهر من هذه الخاتمة انَّ الترجمة العربيَّة تناقلها اربعة من النسَّاخ عاش كل واحد منهم دهرًا بعد الآخر وان الاول منهم نقل نسختهُ عن نسخة « عتيقة جدًّا » وذلك « بمدينة الله » اعني انطاكية. أفلا يجوز ان نستنتج من هذا القول انَّ الترجمة العربيّة كانت قبل القرن الحادي عشر اعني قبل ابي الفرج ابن الطيّب. لاسيما اننا لم نجد في قائمة كتب ابي الفرج المذكور ذكر ترجمتهِ لدياطاسارون ططيانوس (١

ويلحق بهذا القسم الثاني من الترجمات العربيَّة المنقولة عن السريانيَّة نسخة تحفظ في دار اسقفيَّة اليعاقبة في القدس وهي منقولة عن ترجمة توما الحرقلاني اسقف منبج

القسم الثالث — من النُّسخ العربيَّة المترجمة عن القبطيَّة الموجودة في المشرق نسخة قديمة كُتبت سنة ١٥٠٠ للاسكندر (١١٨٩ م) تخصُّ جناب الشيخ الفاضل الاديب جبرائيل الخلّع في الاسكندريَّة (٢. وفي اخر هذه النسخة يقول الكاتب:

نُقل من نسخة تاريخها يوم الثلثه (كذا) لاثني عشر خلت من توت سنة ست وسبعين وتسع مائة للبيعة وهي سنة سبعمائة لذاقليطيانوس الموافق لعشر ليال خلونَ من ربيع الاول سنة سبعين وثلثمائة للهجرة نُقل من نسخة بخط اندراوس قسطنطين وهو ابو عيسى رضي الله عنهُ

القسم الرابع — قد اسعدنا الحظ من زمن قريب على اكتشاف نسخة قديمة من هذه الترجمة التي صنَّفها ابن عسَّال ونقلها من النُّسخ المتعدّدة التي سبقت زمانهُ. وهذه الطرفة وجدناها في بيت الوجيه الفاضل ابراهيم افندي ابن المرحوم الطيّب الذكر بشاره الخوري. ولمَّا كانت هذه النسخة عزيزة الوجود لا يُعرف لها شبيه الّا نسختان في خزانتي كتب ميلان (Cod. Ambros. 47) واكسفرد (Bodl. Uri XXIV) رأينا ان نصف هذه النسخة وصفًا شافيًا فنقول انَّ طول الكتاب المذكور ٢٣ سنتيمترًا في عرض ١٦ يتضمَّن ٤٤٣ صفحة ولكل صفحة ١٥ سطرًا. وقد فُتح بالبسملة محلَّاةً بالذهب. ثم يليها مقدَّمة طويلة (ص١—٢٠) هذه اولها:

اما بعد فان أَولى ما قُدّم امام الكلام المتقن الفصيح. وافتُتح بهِ القول البليغ الصحيح. شكرُ الله المطلِل (المظلّل) الساتر. الناطق القادر. الحي القاهر. الذي نبَّه القلوب على ذكره. وهدى

١) راجع في هذا الشان رسالة ادرجناها في المجلة الاسيوية الفرنسوية J.A. Série IX t.x. pp. 301-307 — وقد نقلنا عن ترجمة الدياطاسارون قطعةً ادرجناها في مجموعنا العربي للمدارس الاوربيَّة Elementa Grammat. arab. cum Chrestomathia. p. 203

٢) ومماَّ اقتطفناهُ من هذه النسخة مثل العبد السوء في كتابنا الاول من علم الادب (ص ٢١١). ومثل العذارى الحكيمات والجاهلات في مجموعنا لمدارس اوربَّة السابق ذكرهُ (ص٢٠١)

الالسن الى حمدهِ وشكرهِ . نحمده على ما اولانا من جميـل آلائهِ. ونعترف لهُ على ما اتانا بهِ من جزيل نعمائهِ. ونقدّس اسمهُ الكريم تقديساً واجباً لما اطلعنا عليهِ من اسرار الايمان بتوحيد جوهره وذاتهِ. وتثليث اقانيمهِ وصفاتهِ. ونمجده تمجيدًا وافياً على ما منحنا بهِ من نفي الشبهات عنا بما اتى بهِ في انجيلهِ المقدس الذي تظاهرت آياتهُ. وجرت معجزاتهُ. فسبحانهُ جلَّ جلالهُ وتعالى ذكرهُ وكالهُ . . .

وبعد هذه المقدمة سبعة ابواب كلها فوائد عن غرض الانجيـل المقدس ومنفعتهِ ومرتبتهِ وسمتهِ ونسبتهِ واستنادهِ وفصولهِ. وهاك ملخّص الابواب المذكورة . (فغرض) هذا الكتاب الشريف تعليم البشر طريق الحياة الابديَّة بمعرفة الله تبارك وتعالى وتوحيد جوهرهِ وتثليث اقانيمهِ وتجسُّد كلمتهِ. (ومنفعتهُ) ارشاد البشر الى الخلاص بمثـال وتعاليم ابن الله المتأنس. (ومرتبتهُ) مداومة قراءتهِ وصرف الهمَّـة في حفظ قوانينهِ والتمسُّك بهِ علماً وعملاً. والقيام بفرائضهِ قولًا وفعلاً. (وسمتهُ) ومعناهُ البشرى. واصل اسم الانجيل من اليونانية دُعي بذلك لانهُ بشَّرنا بالسبب في حلول كلمة الله بجنسنا وحلول الروح القدس علينا وفينا. (ونسبتهُ) الى الله عزَّ وجلَّ لانهُ هو الموحي بهِ لاربعـة من الكتَّاب اثنان منهم من رسل الرب الاثني عشر وهما متَّى ويوحنَّا واثنان من تلامذة الرسل وهما مرقس تلميذ بطرس ولوقا تلميذ بولس وكتبوا في اقاليم متباعدة وازمنـة مختلفة. (واسناد) هذا الكتاب الكريم وقصدهُ الاجتذاب الى تهذيب العقل ليقوّم الكلامُ الالهي ما فينـا من صورة الله تقويمًا صادقًا بالادراك العقلي الذي هو راس كلّ فضيلة فنصير مستعدين لقبول الروح القدس. امَّا (فصولهُ) فان كل واحد من المبشِّرين الاربعة فصَّل في كتابهِ خلاف فصول غيره من طريق التطويل والاختصار غير ان المعاني والآيات والامثال والشواهد والوصايا قصدُ الجميع فيها واحد (١

ثمَّ اتبع ابن العسال هـذا الفصل (ص٢١ — ٣٢) بقوانين الكاتبين الفاضلين أُمونيوس واوسابيوس. وهذه القوانين هي عبارة عن عشرة جداول مفيدة جدًّا تتضمَّن ما اتفق فيهِ ١ً المبشِّرون الاربعـة. ثمَّ ٢ً متَّى ومرقس ولوقا. ٣ً ومتَّى ولوقا ويوحنَّا. ٤ً ومتَّى ومرقس ويوحنا. ثمَّ ٥ً متى ولوقا. ٦ً ومتى ومرقس. ٧ً ومتى ويوحنَّا. ٨ً ومرقس ولوقا. ٩ً ولوقا ويوحنَّا. ثمَّ ١٠ً ما انفرد بهِ كل واحد من المبشِّرين

١) وكذا تجد تقسيم الفصول في النسخ القديمة مُختلفًا جدًّا ليس كما هو اليوم في اناجيلنا المطبوعة. وليس في اختلاف هذه التقاسيم كبير امرٍ

وبعد هذه الجداول تبتدئ الاناجيل وقد صدَّر الناسخ كلَّ انجيل بصورة صاحبه مع الحيوانات الرمزيَّة الاربعة التي شاهدها حزقيـال وهي الانسان لمتَّى والاسد لمرقس والثور للوقا والنسر ليوحنَّا. وكذلك في مقدمة كلّ انجيل ملخّص ترجمة كاتبه مع ذكر عدد فصول انجيله عند الاقباط وكما في الترجمة السريانيَّة لابن الطيب . وهذه مقدَّمة انجيل متى باختصار (ص ٣٣):

هذا هو الانجيل الطاهر والمصباح الزاهر انهار ماء الحياة وكنز النجاة

الحمد لله منزل الانجيل. ومحقق الترتيل. بالآيات الباهرة من كل رسول. والمعجزات القاهرة لكل العقول. فاوضح به حقيقة الايمان. وفضح به طغيان الشيطان. ونقل خليقة الله الى عبادته بعد عبادتهم الاوثان. ونهج به المنهج المؤدي الى الحياة الابدية . . . وهذا الكتاب الطاهر . . . كتبهُ اربعة من الحواريين ببلاد متباعدة وفي ازمنة متخالفة وهم متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا. (متَّى المصطفى) ويسمى لاوي ترجمة اسمهِ المصطفى وهو من سبط ايساخار ومن مدينة النصاره (الناصرة) واسم ابيه دوقو واسم امّهِ كاروتباس كتب بشارتهُ باللغة العبرانية بدايتها بفلسطين وتمامهـا بالهند لمَّا طُردت التلاميذ من ارض اليهود في السنة الاولى منـذ ملك اقلوديوس وهي السنة التاسعة للصعود المقدس وكانت شهادتهُ بمدينة بسبري رجمًا في الثـاني عشر من بابهْ ودُفن في ارطاجنَّة قيسارية (كذا) . . .

ثمّ عدَّد ابن عسَّال تقاسيم الفصول كما هي موجودة في بعض النُّسخ. وقد اكتفى هو بذكر التقاسيم التي وجدها في النسخة القبطيَّة التي اعتمد عليها اعني عشرين اصحاحًا مقسمة الى ٨٥ فصلًا ذكر فهرسها بالتفصيـل (ص ٣٤–٤١) وقال في آخره: « وفصول القبطي في غير هذه النسخة مائة وفصل واحد . . . وفصول الرومي ثمانية وستون »

ثم ألحق هذا الفهرس بجدول صغير (ص٤٢) كتبهُ بحرفين اسود فاحمر. فصَّل فيه العلامات التي اصطلح عليهـا في كتابهِ. وهذه الاصطلاحات حروف تدلّ على النسخ العربية التي راجعها ابن العسَّال ليصنع ترجمتهُ المذكورة. وهذا جدولهُ كما ترى وقد جعلنا الحروف التي كتبها بالاحمر بين هلالين

ذكر ما تدلّ عليه العلامات التي في هذا الانجيل المقدس

القبطي (ق) الرومي (مي) السرياني (س) القبطي والرومي (قر) القبطي والسرياني (قس) الرومي والسرياني (سر) العبراني (١ (ع) بعض القبطي (عق) بعض الرومي (عر) بعض السرياني

١) اعلم انّ نصارى اورشليم وفلسطين وما وراء عبر الاردن كانوا يتكلمون بلغـة تدعى



يوحنا

فهذه ثالث دفعة ظهر يسوع لتلاميذه إذ قام من
الموتى الفصل الخامس والاربعون
فلما أكلوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يوناه
أتحبني أكثر من هؤلاء قال له نعم يا رب أنت تعلم
أني أحبك قال له ارع خرافي ثم قال له مرة ثانية
يا سمعان بن يوناه أتحبني قال له نعم يا سيد أنت
تعلم أني أحبك قال له ارع غنمي قال له أيضا مرة
ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبني فحزن بطرس لأنه قال
له ثلاث مرات أتحبني فقال له أيها الرب أنت عارف
بكل شيء وأنت عالم أني أحبك قال له يسوع ارع
غنمي الحق الحق أقول لك إنك وأنت شاب
تشد ذاتك وتمشي حيث تريد وإذا
شخت فتبسط يديك ويشدك آخر ويحمل
إلى حيث لا تريد وهذا قاله يعلمه بأية ميتة يمجد الله

صفحة من كتاب الاناجيل لابن العسَّال
(راجع المشرق ٤: ١٠٢–١٠٧)

خاتمة الدياطاسارون عن نسخة خطّيَّة وُجدت بعض صفحاتها
في دير اللويزة (راجع المشرق ٤: ١٠٠–١٠٢)

(عس) ليس في القبطي (قلا) ليس في الرومي (ملا) ليس في السرياني (سلا) فقط (ط) والذي ركّب من ذلك نحو القبطي فقط (قط) والرومي فقط (مط) والسرياني فقط (سط) بعض القبطي والرومي (عقر) بعض القبطي والسرياني (عقس) بعض السرياني والرومي (عسر) القبطي والسرياني فقط (قسط) وبقيّة التركيبات مثل هذا. الرومي وبعض السرياني (ممس) القبطي وبعض الرومي (قمر) الرومي وبعض القبطي (معق) القبطي وبعض السرياني (قمس) واربعة نُقط بالاحمر (علامة الفصول الصغار) ونُقطة واحدة حمراء (علامة الاستيخن ١)

فمن هذا الجدول يظهر ما كان من الفضل العظيم لابن العسّال الذي جمع نسخًا لا تُحصى من الاناجيل ليقابل بينها ويستفيد منها جميعًا وينقل ما وجد بينها من الاختلافات ليقف القارئ بنظرة واحدة على كل النُسخ العربيَّة الشائعة في زمانهِ. فهذا الشغل يستوجب ثناء عظيمًا على صاحبهِ الذي باشر في عهدهِ بعمل لا يأتيهِ في ايامنا الّا فطاحل العلماء وقد رسمنا هنا صفحة من هذا الانجيل ليرى قرّاؤنا طريقة ابن العسّال عيانًا ويكون لهم إلمام بترجمتهِ العربيَّة

وينتهي انجيل متى في الصفحة ١٣٨. وفي آخرهِ تاريخ كتابة هذه النسخة يؤخذ من قولهِ: «كملت بشارة متى المصطفى في الثامن عشر من شهر امشير سنة الف وتسع وثلثين للشهداء الاطهار» وهي توافق سنة ١٣٢٣ للمسيح

ويليهِ انجيل مرقس «المُجتبَى» قال ابن العسال في ترجمتهِ:

كان اسمهُ اوَّلًا يوحنًّا كما ذكر لوقا في الابركسيس واسم امهِ مريم وهي اخت برنابا مدينتهم قبرص وهو من السبعين تلميذًا وكان بكرًا كتب انجيلهُ بالرومي الافرنجي (٢ بمدينة رومية في السنة الرابعة من ملك اقلوديس قيصر بعد الصعود باثنتي عشرة سنة وبشَّر بها معلّمهُ بطرس رئيس الحواريين اولاً بمدينة رومية. وبطرس لمَّا جعل مرقس بطريركًا على الاسكندرية ومصر واعمالها وخمس (كذا) المدن وهنَّ برقة وزلَّا وزويلة واوجلة وسترّيَّة وافريقيَّة. والحبشة والنوبة كان وصول مرقس الى الاسكندريَّة في السنة السابعة من ملك اقلوديوس فبشَّر بهذا الانجيل وكان يمضي الى خمس (كذا) المدن ثمَّ يعود الى الاسكندريَّة فعند عودهِ اليها آخر دفعة وكان عيد الفصح وثب عليهِ عبدة الاصنام فجعلوا في عنقهِ حبلًا من ليف وسحبوه على حجارتها حتَّى تقطَّع لحمهُ فتوفي في آخر يوم من برموده من السنة الرابعة عشر من ملك اقلوديس قيصر...

عبرانية لانَّها كانت مشتقة من العبرانية القديمة وهي في الحقيقة السريانية الفلسطينيَّة. وكانت الاناجيل قد نقلت الى هذه اللغة وقد وجد منها العلماء في عصرنا قسمًا كبيرًا نشروهُ بالطبع. وكان البعض في القرون السابقة نقلوا هذه الترجمة الى العربية كما يظهر من جدول ابن العسَّال

١) الاستيخن لفظة يونانية يُراد بها تمام المعنى

٢) يريد اللاتينية وهو قول غير ثابت. والصواب انَّ مرقس كتب انجيلهُ باليونانية

وعقَّب ابن العسَّال هذه الترجمة بذكر فصول مرقس وفهرست هذه الفصول. لكنَّهُ سقط من هذا الفهرست واوَّل الانجيل نحو ١٠ صفحات. وانتهاء انجيـل مرقس في الصفحة ٢٠٨ يليهِ انجيل لوقا (المُرتضى) وهذه ترجمة حالهِ:

كان لوقا طبيباً بانطاكية وصار تلميذاً لسيدنا من جملة السبعين المختارين. وهو وكلاوبا اللذان ظهر لهما سيدنا يوم القيامة في طريق عمواس وصار بعد الصعود تلميذاً لبطرس فلمَّا انتُخب بولس رغب ان يكون معهُ فصـار تلميذاً لهُ وكتب انجيلهُ باليوناني بالاسكندرية في السنة الرابعة عشرة من ملك اقلوديوس قيصر وهي آخر ملكهِ وذلك بعد الصعود المقدس باثنتين وعشرين سنة فبشَّر بهِ بولس اولاً ثمَّ بشَّر بهِ لوقا بعدهُ بماقدونية وتوفي شهيدا برومية في الثاني والعشرين من بابه». ثم ذكر الفصول وفهرستها.

وينتهي انجيل لوقا في الصفحة ٣٣٥ يليهِ انجيل يوحنَّا «مكمِّل البشرى» قال ابن العسَّال في ترجمتهِ:

هو يوحنا ابن زبدى احد الاثني عشر واسم امّهِ ثاوفيلا ثمَّ سُمّيت مريم وهو من سبط زابولون ومن بيت صيداء كتبها (بشارتهُ) باليوناني بمدينـة افسس في السنة الثامنة من ملك نيرون بن اقلوديوس الذي قتـل بطرس وبولس برومية في السنة الثالثة عشرة من ملكهِ وهي بعد الصعود بخمس وثلاثين سنة وكانت كتابتهُ اياًها بعـد الصعود بثلاثين سنة وبشَّر بها اوَّلاً في بلاد اسيا ثمَّ بافـس واقام بها سبعاً وعشرين سنة.... ولمَّا ملك طرايانوس اقام يوحنا في ايَّامهِ ست سنين ومات بها في رابع طوبه ودُفن بها وكانت حياتهُ مائة وسنة واحدة. وكان اوصى قوجير تلميذهُ ان لا يُعلم احدًا بموضع قبرهِ فلم يعلمهُ احدًا... وقيل انَّ يوحنَّا املى ابوغالمسيس (كذا. يريد ابوكاليبسيس اي كتاب الرؤيا) على قوجير». ثم ذكر الفصول وفهرستها

وبداية انجيـل يوحنَّا في الصفحة ٣٤٦ ونهايتهُ ص ٤٤٣. ولعلَّهُ قد سقط في آخر الكتاب صفحة او صفحتان كان ذكر فيهما الكاتب تاريخ نسخهِ وغير ذلك من الفوائد كما هي عادة النسَّاخ

وان سألنا القارئ وما الذي حملنا على نسبة هذا الكتاب لابن العسَّال ومن كان ابن العسَّال المذكور اجبنا ان الدكتور اغناطيوس غويدي بيَّن ذلك بشواهد صادقة تنفي كلَّ ريب. منها شهادة احد المؤلفـين المصريين الذين كانوا بعد زمانهِ بقليل وهو ابو البركات فانهُ ذكر في كتاب مصباح الظلمة (ص ٢٢٣ من النسخـة الواتيكانيَّة): «النسخة التي ترجمها الشيخ اسعد ابو الفرج ابن العسَّال». امَّا ترجمة حياتهِ فقد ذُكرت في العدد ١١٨٨ من البشير (٣٠ تموز سنة ١٨٩٥) يُستفاد منها انَّ صاحب تأليفنا كان اسمهُ اسعد ابو الفرج هبة الله ابن فخر الدولة ابي الفضل (ويروى المفضَّل) ابن مؤتمن

الدولة ابي اسحق ابراهيم ابن ابي سهل. ولهذا الكاتب الجليل تآليف نفيسة اشهرها كتاب « مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين » منهُ نسخة قديمة غير كاملة في مكتبتنا الشرقيَّة وقد اشتهر ابن العسال في اواسط القرن الثالث عشر للمسيح وكان تأليف كتابهِ في مقابلة الاناجيل سنة ١٢٥٠ (١

ومما يلحق بهذا القسم الرابع انجيل كُتب منذ نحو اربعمائة سنة تزينهُ صورة الاربعة الانجيليين بألوان رائعة يحدق بها اطار محلّى بذهب وزهور وجدناهُ في ماردين في سفرنا اليها سنة ١٨٩٥. صفحاتهُ ٢٨٠ لكل صفحة ١٩ سطرًا وهو مكتوب بخط كنائسي مُشرق هذه فاتحتهُ:

الحمد لله الذي هدانا بتوفيقهِ بعد الظلالة (الضلالة) والعما. وبصَّرنا وارشدنا بعد الهلكة والردا (والردى). وانار عقولنا بحكمتهِ البالغة ونواميسهِ الواضحة. واعطانا الحجَّة الباهرة وجلا عنَّا الشبهات بما اتى به في انجيلهِ المقدس المنير التي تظاهرت براهينهُ وبهرت عجائبهُ واعجزت هباتهُ واعلت (وعلت) آياتهُ. سبحانهُ وجلَّ جلالهُ ولا اله غيره

وبعد هذه الفاتحة ترجمةُ متى كما اوردها ابن العسَّال لا تختلف الّا في بعض الكلمات وكذلك في اول بقيَّة الاناجيل الّا انجيل لوقا الذي سقطت صفحة ترجمتهِ. وقبل ترجمة مرقس مقدَّمة هذا اولها :

اللهم أعِدنا من الريب فيما عُقدت عليهِ قلوبنا واستنارت بهِ عقولنا وصفت اليهِ اذهاننا واتحدت بمكارمهِ كافتنا وثبتت على اساسهِ جماعتنا. . . . هب يا ربّ للمجهول اسمهُ الظاهر تقصيره وعجزهُ السلامة في ما نصَّهُ من ترجمة انجيلك المقدس الذي الهمتَ مرقص رسولك البشارة بهِ بروح قدسك المحي . . .

ونظن ان هذه الترجمة احدى التراجم التي شاعت في الشرق بعد ابن العسَّال في سوريَّة بين الملكيين وفيها مسحة من الترجمة السريانيَّة (١ الّا انها نُقّحت على الترجمة

١) وكان لابن العسال اخوان فاضلان يعرف الاول بالشيخ الصفي ابي الفضائل صنَّف ايضاً عدة كتب منها القوانين البيعيَّة وهو مجموع جليل جمع فيهِ قوانين الجامع البيعية منذ اوائل النصرانية الى ايَّامهِ ومنها كتب خُطب دينية طُبع في القاهرة سنة ١٨٨٧ في المطبعة الوطنية. وكتاب الصحاح في جواب النصاح استنسخناهُ عن نسخة قديمة في بيت الوجيه قابس بك القبطي. والثاني اسمهُ المؤتمن ابو أسحاق ابن فخر الدولة صنَّف نحو سنة ١٣١٨ للمسيح معجماً عربياً قبطياً سمَّاه السلَّم المقفى والذهب المصفَّى

٢) يظهر ذلك من تقسيم الفصول وترجمة الانجيليين وصورة بعض الاعلام كأليشابع بدلاً من اليصابات وغير ذلك. امَّا التصاوير فهي من يد بعض الملكيين

الروميَّة (١ وهذا مثال من هذه النسخــة :

امَّا مولد يسوع المسيح (ف)كذا كان . لمَّا خُطبت مريم امّهُ ليوسف قبــل ان يعترفا (كذا) وجدت حبلى من الروح القدس. وكان يوسف خطيبها صدّيقًا ولم يُرد ان يشهرها وهمَّ بتخليتهــا سرًّا. وفيما هو مفكّر في هذا اذ ظهر لهُ ملاك الرب في الحلم قائلًا : يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك فان الذي تلدهُ هو من الروح القدس وستلد ابنًا ويدعى اسمهُ يسوع وهو يخلص شعبهُ من خطاياهم...

وقد رأينا ايضًا في مكتبة عين تراز نسخة خطّيَّة بتصاوير كهذه نظنُّها انها كالنسخة التي تقدم وصفها ليست ترجمة الاصل الرومي فقط بل فيها تنقيحات واصلاحات مأخوذة عن الترجمة القبطيَّة والسريانيَّة. وهــذا يظهر في اكثر النُّسخ التي استعملتها الكنائس السوريَّة

القسم الخامس — وهو القسم الذي يتضمَّن التراجم العربيَّة المسجَّعة فلا نعرف منهُ في الشرق الّا ترجمة عبد يشوع الصوباوي المتوفَّى سنة ١٣١٨ للمسيح. ففي مكتبتنا الشرقيَّة منها نسخة حديثة نقلناها عن نسخة تخصّ الاديب الفاضل نزيل لندرة اسكندر صيفي ولا نعتبر هذه الترجمة اعتبارًا كبيرًا لما فيها من التصنُّع وزخرفــة الكلام. وفي مجموعنا لمدارس اوربة مثال من هذه الترجمة (ص ١٩٤)

وممن اهتمُّوا بالترجمات الفصيحة في اواخر القرن السابع عشر ابو المواهب يعقوب ابن نعمة بن بطرس بن ابي الغيث الدبسي الماروني مذهبًا الطرابلسي اصلًا الحلبي مولدًا. فانَّهُ اخذ ترجمة مار عبد يشوع الصوباويّ ونقَّحها فاخرجها على قالب جديد وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة من ترجمتهِ قال في المقدَّمة :

« فقفوتُ اثرهُ (عبد يشوع) ضاربًا في حافرتهِ ممتطيًا شِملَّة عزمتــهِ ولكنني اعرضتُ عن اساجيعهِ التي قصدها والزيادات التي تورَّدها وجريتُ بها نثرًا على الاتّساق. على ما خلَّدوهُ (كذا) المبشرون بطون الاوراق. وابتدأتُ من الاول على التَّبَع. مع مقدمات اربع. لكل من الانجيليــين مقدمة. يحوزها (؟) مَن تقدَّمه . وذلك في عهد الاب الفاضل. والحبر الكامل. البطربرك المكرَّم. والطو باوي المفخم. مار اسطفانس بطرس الانطاكي رفع الله درجتــهُ في علّيين وشاد بعلمهِ وعملهِ اركان الدين واعاد علينا من غزير بركاتهِ. وانفذ فينا صالح دعواتهِ. الموافق لتاريخها سنة الف وستمائة وواحد وتسعين للسيد المسيح »

١) راجع ما قالهُ العلّامة غويدي في هذا الشأن في مقالتهِ Le Traduzione degli Evangeli in Arabo p. 22-23, Roma 1888

وهذا مثال من ترجمة الدبسي (الفصل الثاني من متى):

فلمّا فاءوا تراءى ملك الرب في الحلم ليوسف قائلًا قُم فخُذ الصبي وامَّهُ وافزع بهما الى مصر وكن ثمَّ الى ان اقول لك فانَّ هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكهُ . فنهض هاربًا وأسرى بالصبي وامهِ الى مصر ليلًا ومكث هناك الى وفاة هيرودس ليتمّ المقول من الرب في صُحُف النبي القائل: ان من مصر دعوت ابني . وهيرودس اذ تبيَّن من المجوس هزءًا وامتهانًا غضب جدًّا وارسل فقتل جميع الولدان بيت لحم وسائر حدودها ممَّن لهُ حولان فما دون كحسب الزمان الذي تحقّق عندهُ من المجوس

هذا ما وقفنا عليهِ من امر النسخ الخطيَّة القديمة التي تُحفظ في الشرق من الاناجيل المقدسة المكتوبة باللغة العربيَّة . على اننا لا نشك في وجود نسخ أُخر عند الخاصَّة لاسيما الأُسر القديمة العهد كما وفي بعض الاديرة والكنائس فنستنهض همة الادباء ليفيدونا عنها ما استطاعوا ولهم منَّا الشكر سلفًا

ترقّي فن المناطيد

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

كأَني بالانسان لا يعدُّ ذاتهُ ملكًا على الخليقة اذا ما اعتاص عليهِ قسم من المملكة التي عهد الله اليهِ امرها . ولذلك بعد ان ذلَّل البسيطة واستولى على البحار فبلغ اقاصيها وادرك قعرها لاستخراج دررها ثم نزل الى اعماق الارض لتعدين معادنها تراهُ اليوم لا يقرّ لهُ قرار حتى يملك على الجوّ ويتصرَّف فيهِ كيفما شاء ليباري الطيور في طيرانها كما جارى الاسماك في سباحتها

وليس من شأننا هنا ان نذكر تاريخ المناطيد والاختبارات العديدة التي كرَّرها الانسان مرَّة بعد مرَّة ليخوض في ميدان السماء فان ذلك يؤدي بنا الى الاسهاب المملّ . وانما ثبت لعلماء العاديَّات انَّ احد اصدقاء افلاطون يُدعى ارخيتاس اول من اختبر في القرن الرابع قبل الميلاد ترقية الاجرام الصلبة في فضاء الجوّ فاصطنع حمامة من الخشب اطارها بحركات ميكانيكيَّة فكانت تحلّق في الجوّ وتحط على الارض جاثمة

ولمَّا ترقَّت العلوم الآلية وتحريك الاثقال عند العرب سعى بعض علمائهم في الطيران باجنحة صناعيَّة يديرونها بأدوات ابتدعوها بذكاء عقولهم وتوقُّد اذهانهم من ذلك ما

اخبر المقّري عن احدهم وهو ابو القاسم عبّاس بن فرناس « انهُ احتال في تطيير جثمانهِ وكسا نفسهُ الريش ومدَّ لهُ جناحين وطار في الجوّ مسافة بعيدة »— وفي زمان ابن فرناس المذكور اشتهر في بلاط ملوك الروم عالم آخر عربي طار بازاء مالك القسطنطينيَّة عمانوئيل كُمنان فألقى بنفسهِ من اعلى برج المدينة وكان جعل لهُ ثوبًا ضافيًا في ذيلهِ أسلات خفيفة فكان الثوب اذا ما طار صاحبهُ انتشر كشبه المظلة وسندُ الطائرُ في الهواء · وفي سنة ١٦٧٠ ألَّف الاب فرنسيس لاَنا اليسوعي كتابًا في السياحة الجوّيَّة وتركيب المناطيد وجهَّز منطادًا افرغهُ من الهواء ليرتفع في الجوّ فكان لاكتشافهِ شهرة كبيرة

غير ان هذا الفن العجيب لم ينتظم في سلك الاكتشافات العمليَّة ألَّا سنة ١٧٨٣ بهمَّة احد العلماء الافرنسيين اسمهُ يوسف مُنغلفيار الذي وجد طريقة سهلة لنفخ المناطيد بالهيدروجين الذي لا يكاد يتجاوز ثقلهُ نصف ثقل الهواء · ومذ ذاك الحين دخلت المراكب الجويَّة في طور جديد فاضحى الصعود الى طبقات الفلك العليا شيئًا عاديًا يتجدَّد في كل سنة في حواضر الدول الكبرى · بل اتخذت كل دولة في عسكرها شرذمةً مختصة بركوب المناطيد في آونة الحرب

ألَّا ان غاية ما يطلبهُ العلماء منذ مئة سنة ان يتمكَّنوا من ادارة المناطيد وتدبير حركاتها رغمًا عمَّا يعترضها في سيرها من عوارض الرياح · وان كان هذا السرّ لم يقف عليهِ تمامًا جهابذة العلم ألَّا ان مساعيهم لم تذهب سدًى فانَّ كثيرين من ركَّاب هذه المراكب يستطيعون الآن ان يوجّهوا سفينتهم الجويَّة حيث شاؤوا فيُنزلونها في نقطة معلومة وهذا نجاح عظيم اصابهُ المحدثون بعد الاختبارات العديدة

وفي فصل الصيف السابق دعت مدينة باريس الى سباق جويّ اصحاب المناطيد وجعلت اخطارًا لمن ينزل منهم في قرية تبعد عن باريس نحو ثلاث ساعات · وكانت المناطيد مثقَّلة كلها باوزان متساوية · وكان المتسابقون اثني عشر ربح ثلاثة منهم جوائز سنيَّة · واستحقَّ الجائزة الاولى المسيو جوفروا انزل منطادهُ في مكان لا يبعد عن الهدف المقصود ألَّا اربعمائة متر · وكان بُعد الثاني والثالث عنهُ نحو ٨٠٠ متر

وما مرَّ على هذا السباق الاول اسبوع حتى عيَّنت مدينة باريس جوائز أُخر لمن ينزل في ساحة قرية ثانية ابعد من الاولى ولم تُثقل المناطيد بالاوزان كالمرَّة الاولى بل أُطلقت الحرّيَّة لكل راكب ان يدبّر مركبتهُ الهوائيَّة كما يشاء · فانجلى هذا السباق الثاني

عن نتائج ارضى من السباق الاول وترل في المكان المعين سبعة مناطيد ولم يته عن المقصود غير خمسة وذلك مع اعتكار الجوّ وصعوبة الانحدار بين بيوت القرية واشجارها لئلا تتخرَّق المناطيد ويُصاب اصحابها باذى. وكان السابق الاول الكنت دي لا ڤو. تلقَّاهُ اهل القرية التي ترل فيها بما لا مزيد عليهِ من الترحاب والحفاوة

فهذه الاختبارات الجديدة بيَّنت جليًّا للحكومة الفرنسويَّة ما بلغ اليهِ فن المناطيد من النجاح وكيف يمكنها الاستعانة بها في ضرورات الحرب ونقل الاخبار من مدينة يحاصرها العدوّ او رَصد حركاتهِ الى غير ذلك من الفوائد التي تظهر لاول وهلة. فسبحان الذي يفتح للانسان وسائل جديدة لادراك اغراضهِ ونوال حاجاتهِ لاسمهِ المجد الى منتهى الادهار

حصار المرسلين

في دار اسقفيَّة باكين

معرَّب عن الجريدة اليوميَّة التي حرَّرها السيِّد فاڤيه اسقف باكين (تتمَّة)

(السبت ٢١ تموز) قلَّت مؤنتنا. واذا بالغنا في الاقتصاد امكننا ان نثبت خمسة عشر يوماً — حاول بعض المتنصرين ان يخرجوا الى حانوت يبعد عنَّا نحو ٢٠٠ متر ليأتوا بزاد منهُ الَّا ان البوكسر تصدَّوا لهم في طريقهم وارجعوهم أصفار الايدي

(الاحد ٢٢ منهُ) توالت علينا طلقات البندقيَّات طول الليل ليمنعنا العدوّ عن الخروج لطلب القوت فجُرح اثنان من النصارى الصينيين وفُقئت عين احد البحَّارين اليسرى برصاصة خرقتها فاستقرَّت وراء الاذن — انذرنا احد الرقباء المتنصِّرين بان زمرة من البوكسر يحفرون خندقاً وراء الحائط المعروف بالاصفر فصعد للحال اربعة من جنودنا ورموهم بالرصاص فقتلوا منهم نحو عشرين نفراً كان من جملتهم رجلان من ذوي الرتب — عند المساء جادتنا السماء بمطر غزير فاضطرَّ جنودنا ان يبارحوا قُترهم التي تسترهم من قنابل العدوّ

(الاثنين ٢٣ منهُ) كان صباحنا رائقاً — عند العصر هجم علينا أُلوف من

البوكسر مع الجنود النظاميَّة وكان النفير يدعوهم الى النزال والابواق تحرّضهم على القتال — وكانت حملتهم علينا من ثلاث جهات شمالًا وشرقًا وجنوبًا. فصبرنا على كرَّتهم هذه وليس في يدنا الَّا ما سبق وصفهُ من الاسلحة اعني ٣٠ بندقية من طرز لوبل مع عشر بندقيات للبحارة الايطاليين وكنا سلَّحنا خمسة من الاخوة او الدارسين الصينيين الذين لم يُرقَّوا بعد الى الدرجات الكنسيَّة ببندقيات الذين قُتلوا او جُرحوا في الوقائع السابقة. ثمَّ همَّ البوكسر مع كهنة الاصنام والجنود النظامية ان يتسلَّقوا اسوارنا معًا وهم اكثر من ألف. فرمتهم حاميتنا بالرصاص وقتلت منهم ١٥٠ وولى الاخرون مدبرين الَّا انَّ فرقة الامير توان فار فائرُها وتنمَّرت غيظًا علينا فافرغت كل قراطيسها على بابنا الكبير مدَّة ساعةٍ تامَّة فرمتنا باكثر من ٥٠٠٠ بندقية من طرز موزر دون ان يُقتل منَّا احد. ثمَّ دقَّ النفير بعد ذلك نحو الساعة ٩ مساء ورجع عنَّا العدوّ منتكصًا مخذولًا

(الثلاثاء ٢٤ منهُ) عاد العدوّ الى المخاتلة رجاء ان يغرُّونا فنفتح لهم ابوابنا. وذلك اننا رأينا شرذمةً من البوكسر على رؤوسهم العمائم وفي وسطهم المناطق الصفر وهم ناشرون العلَم الفرنسوي. فاضحكتنا سذاجتهم مع ما نحن عليهِ من الحزن والبلاء — الساعة ٤٧ صات النفير ثانيةً ليكرّ البوكسر علينا لكنَّهم احجموا عن قصدهم خوفًا من ان ندحرهم كأمسِ — جُرِح في النهار ثلثة من قومنا النصارى — أُنذرنا بحفر لغم جديد من جهة الجنوب فخربناهُ — رأينا من اعالي كنيستنا قومًا يتزاحمون فوق سور المدينة وهم ناشرون الرايات نهارًا ومستصبحون بالمصابيح ليلًا

(الاربعاء ٢٥ منهُ) قضينا هذا النهار بالهدوّ والسكينة فانتهز المتنصرون الفرصة ليخرجوا الى البيوت المجاورة ويحرقوا بعضًا منها كان العدوّ يختفي وراء شُرفاتها ليرمينا بالرصاص — رأينا البوكسر يحفرون خنادق عميقة وراء السور الاصفر ولم نعلم ما غايتهم من ذلك فاطلق جنودنا عليهم البنادق وصرعوا منهم عشرة

(الخميس ٢٦ منهُ) سمعنا الساعة ١ ليلًا صوتًا كصوت الرعد فانتبهنا مذعورين وظننَّا انَّ لغمًا انفجر تحتنا — الَّا اننا بعد قليل وقفنا على حقيقة الامر فعرفنا ان احد البوكسر استخفى فبلغ جدار منزلنا الشرقي ورمى عليهِ قنبلة ضخمة تفجرت دون ان يحصل منها اذى — الساعة ٣ مات احد كهنة جماعتنا اللعازريَّة وهو الاب شاڤان

178

كان أُصيب منذ ايّام في مرقبهِ برصاصة مسمومة فجُدِر من جرّاء ذلك بالجدري الاسود فذهب فريسة الداء

(الجمعة ٢٧ منهُ) انتعش الرجاء في القلوب لاننا كنّا نسمع عن بُعد اصوات المدافع من جهتي الجنوب والشرق. فنؤمل وصول عساكر الدول لخلاصنا. وكنّا نرى اسهماً ناريّة تتصاعد في الجوّ من جهة السفارات فنحتسبها علامات بين السفراء والجنود القادمة لنجاتنا لان الانسان سريع التصديق لما يرجو وقوعهُ

(السبت ٢٨ منهُ) زاد همّنا بامر المعاش. فأجمعنا على ان نبالغ في الاقتصاد ولا نعطي كل رجل الّا ربع كيلو (٧٨ درهماً) من الطعام آملين بهذه الطريقة ان نقاوم حصار العدوّ عشرة ايام — الساعة العاشرة استأنف العدوّ ضربنا بالمدافع وكان مدفع منها على نحو مئة متر فقط من حيّنا فاطلق جندنا بنادقهم على طوبجيّتـهِ فصرعوهم. بيد ان العدوّ لم يرعوِ فابعد المدفع عنّا ولم يزل يقذف علينا القذائف الختّافة حتى قذائف الحجارة بدلًا من الرصاص فاستدللنا بذلك انّ مؤونتهُ الحربيّـة قد نفدت — بلغ في الليـل عدد القنابل التي رمانا بها العدوّ ٣٥ قنبلةً فضلًا عن عدد لا يحصى من البندقيّات

(الاحد ٢٩ منهُ) لم ينفك العدو كامس الغـابر عن ضربنا بالقنابل حتى بلغ عددها ١١٥ امّا البنادق فلا يحيط بعددها احصاء وقد سقطت من جرّائها كل شُرف دارنا وجُرح ثلاثة من المتنصرين جرحاً مميتاً

(الاثنين ٣٠ منهُ) ساءت ليلتنا. فان العدو واصل ضربنا بلا انقطاع. ومنذ الساعة ٧ صباحاً اخذت المدافع تدكّ اسوارنا بينما كانت الجنود النظاميّة تصلينـا نارًا حامية حتى تمكّنوا اخيرًا من فتح ثلمةٍ في السور فوثب اليها جمٌّ غفير من البوكسر ليعبروها وفي ايديهم رُزَمٌ من الاعشاب المبلولة بغاز البترول كانوا يضرمونها فيلقونها على حائطنا الشمالي. وكنت ترى في حومة القتال ضابطنا هنري يقتحم صفوف العدوّ كاسد يسخر من الموت وحولهُ ١٢ من جنودهِ يضارعونهُ باسًا ومروءةً فجندلوا بحرابهم وبنادقهم مئين من البوكسر حتى ردُّوهم خائبين خاسرين. وفي اثنـاء ذلك أصابت رصاصةٌ اثنين من البحّارة فجرحتهما ثمَّ نفذت في عنق ضابطنا العزيز وكان اذ ذاك على صقالة فحاول النزول عنها فاصابتهُ في جنبهِ رصاصةٌ ثانية من طرز موزر وكانت كلتا الضربتين

قاضيةً مميتةً ومع هـذا كان الضابط منتصباً يحرض جنده بالصوت حتى خانته قواه فسقط بين ذراعي كاهن اسرع الى ترويده بالاسرار المقدَّسة فجاد بنفسهِ الطاهرة بعد ٢٠ دقيقة ومات كمسيحي حقيقي وجندي باسل . فيا لله ما امرَّ ما كانت ساعة وفاته . فاننا في شهري حصارنا لم نبكِ الّا في ذلك اليوم المشؤوم الذي فقدنا فيهِ سندنا وترسنا . امَّا جنودهُ فكانوا يذرفون الدموع السخينـة ولم يبقَ بوفاتهِ من يأمر عليهم الّا جاويش يدعى الياس . لكن السيد جولين اخذ يطيّب قلوبهم ويقوي عزائمهم ويذكرهم بما قالهُ لنـا ضابطهم يوم عيدهِ انهُ لا يموت الّا اذا قرب الخلاص فنصبح في غنًى عنهُ . فلا شك ان نفسـهُ دخلت في مقرّ الابرار بين طغمات الملائكة ليحرسنا مع شفيعي الجنود جرجس وموريس الشهيدين — وفي هذا النهار ضُرِبنا بمئة وخمسين كرة من المدافع

(الثلثاء ٣١ منهُ) رشقنا اليوم البوكسر بسهام اناطوا اليها نسخاً عديدة من كتابة هذا تعريبها : « ايها النصارى المتضايقون في حيّ يَيتنغ الذين برَّح بكم الجوع حتى اصبح مأكلكم ورق الاشجار ما لكم تقاومونا بهذه الشدَّة وانتم على الرمق . عمَّا قليل ستفنيكم عن بكرة ابيكم مدافعنا ولغومنا . لقد خدعتكم شياطين اوربة فارجعوا الى ديانتنا القديمة وسلمونا زعيمكم السيد فاڤيه ورفقتهُ فتحظوا بالامان وتسدُّوا جوعكم وان لم تجيبوا الى انذارنا سنقطّعكم ارْبًا اربًا انتم ونساءكم وبنيكم » — الّا ان المتنصّرين سخروا بوعد البوكسر ووعيدهم ولم يعيرهم احد اذنًا صاغية مع ان قوت كلّ واحد لا يتجاوز وزنهُ ٣٠٠ غرام — بلغ عدد المدافع التي أُطلقت علينا ٧٦ لم يُصب احد بشرّها لكن سقوف حيّنا صارت كلها مثقوبةً كالغربال

(الاربعاء ١ آب) اتانا اليوم البوكسر من جهة الشمال منذ الساعة ٦ صباحًا لكنَّ عددهم بين ٣٠٠ او ٤٠٠ فقط فدحرهم جنودنا بعد ان قتـلوا منهم نحو ٥٠ رجلًا — ثم سمعنا من جهة هيكل اللاما جلبةً عظيمة مع اصوات البندقيات فعلمنا انهُ حدث خصام بين البوكسر والجنود النظامية فاضطرّ الجنود الى ان يرموا بعض البوكسر بالرصاص

(الخميس ٢ منهُ) قلّلنا اليوم اقساط الطعام للنصارى ولنا ايضًا رغمًا عن ضعف قوانا مكتفين ببُلغة العيش فقط راجين من الله ان يفتح لنـا باب الفرج قريبًا . ومن المآكل التي يتتبَّعها قومنا الكلابُ التي تأتي الى جوار سورنا لتأكل جيف

البوكسر فكانوا يصطادونها ويقتاتون بها مع اوراق الشجر واصول النباتات — قد بلغنا فصل الامطار والمطر مع ذلك قليل لعلَّ الله سمح بذلك ليأتينا المدد وتبقى طريق تيان تسين مسلوكةً

(الجمعة ٣ منهُ) اضحت اليوم ضربات العدوّ نادرة جدًّا كأنَّ البوكسر شُغلوا عن مراقبتنا — ارتأى البعض منَّا ان نخرج ليلًا لطلب الرزق في الحوانيت المجاورة. ولكن خفنا على حياة جنودنا البحَّارين. ولعلنا نفعل اذا لم يبقَ لنا طعام البتة

(السبت ٤ منهُ) نهارنا هادئٌ كالايام السابقة. امَّا الليل فعاد العدو الى ضربنا بالبنادق لعلمهِ بان الجوع بلغ منَّا مبلغهُ وهو يريد ان يصدّنا عن الخروج للارتزاق. بيد انَّ البعض من اصحابنا الصينيين خاطروا بحياتهم سدًّا لجوعهم فانسلُّوا الى البيوت المجاورة واتوا بشيء من الارزّ المحترق الذي وجدوهُ بين الردم. فبئس الحال حالنا

(الاحد ٥ منهُ) لا همَّ لنا سوى القوت. فلعمري ان الانسان يحتمل ضرب الرصاص والقنابل والمدافع ولكن لا يقوى على احتمال الجوع — عدنا فوزنَّا بدقةٍ كلَّ ما بقي لدينا من المأكول فوجدناهُ لا يتجاوز ٧٠٠٠ لبرة (٣٥٠٠ كيلو) فعزمنا ان نقتسم ذلك على سبعة ايَّام فنعطي في النهار ١٠٠٠ لبرة فقط فيكون نصيب الواحد (ونحن ٣٠٠٠) ثلث لبرة. ورجاؤنا في الله وطيد انهُ لم ينقذنا الى هذه الساعة لنضحي فريسة الجوع بل يأتينا المدد في هذا الاسبوع

(الاثنين ٦) لم يصبر على الجوع بعض الصينيين المتنصرين فخرجوا طالبين الطعام الَّا انهم وقعوا في ايدي العدوّ الذين اسروهم وقادوهم ليقطعوهم اربًا اربًا فساءنا امرهم كما حزنَّا لبليَّة احد بحارتنا الذي فُقئت عينهُ اليمنى برصاصة وهو واقف على بابنا الكبير ليحرسهُ. فصار جنودنا العور ثلاثة

(الثلاثاء ٧ منهُ) سمعنا عن بعد ضرب المدافع شديدًا — لم يعد يراقبنا البوكسر والجنود الصينيُّون الَّا مراقبة خفيفةً جدًّا فذاك يقوّي املنا بقدوم جيش مخلّصينا — اضعف الجوع قوى قومنا فتراهم شاحبي اللون خُسف الوجوه لا يكادون يبدون حراكًا — ولو رجع العدوّ لمحاربتنا لما قوي على دفعهِ ٢٥ راجحًا بين الخمسمائة

(الاربعاء ٨ منهُ) لا يقلق راحتنا شيء الَّا بعض ضربات الرصاص — أُصيب

احد النصارى الصينيين برصاصة بينما كان متسلقاً على شجرة ليجمع ورقهـا ويقتات بهِ فسقط كطائر نشبهُ الصيَّاد

(الخميس ٩ منهُ) لم تزل نترقَّب حركات البوكسر الذين تهدَّدونا باللغوم — فمن ثمَّ خرج قومنا رغماً عن الخطر الى شرقي بابنـا الكبير فوجدوا لغماً كبيرًا اسرعوا الى إبطالهِ. ولكن قُتل في اثناء العمل احد أنصارنا وجُرح اثنان

(الجمعة ١٠ منهُ) لم يبقَ لنا طعام الَّا ليومين. فافرزنا لحاميتنا بغلةً و ٢٠٠ كيلو من الارزّ ليمكنهم ان يدافعوا عن حيّنـا مدَّة عشرة ايام. امَّا المرسلون والراهبات فلم يرضَ احد منهم ان يدَّخر لهُ قسطاً فضلًا عن بقيَّة النصارى الحاصرين معنا وكلّهم يهتفون بصوت واحد انَّنا نختار الموت مع ابنائنا الروحيين واعلَّ نصيبهم حتى الان كان افضل من نصيبنا لانهم يأكلون ورق الشجر وذاك امرٌ لم نعتدهُ نحن — أنقصنا اقساطَنا الى حدّ ٦٠ غراماً لكلّ شخص في النهار ليمكنَّا ان نعيش ٦ ايَّام اخرى. امَّا الماء فعندنا منهُ كفايتنا وهو يصلح لقوام الحياة مدَّة — عند الظهر استأنف البوكسر ضربنا بالمدافع من جهتي الشمال والشرق فرمونا بنحو ٥٠ ضربـة. الَّا انهم لم يحسنوا الضرب — رأينا نحو الساعة ٣ منطاداً مربوطاً يتصاعد الى الجوّ من جهة الجنوب. فزاد املنا في الخلاص وشيكاً

(السبت ١١ منهُ) رُمينا اليوم بنحو ٦٠ ضربة مدفع. الَّا انَّ القذائف عجيبة في بابها فبدلًا من كرات الرصاص قذفنا العـدوّ بقطع من القدور الخزفيّة وبالآجرّ والمسامير والحجارة — في مساء النهار اكتشفنا لغماً جديدًا عند بابنا الكبير فردمناه

(الاحد ١٢ منهُ) الساعة ٢٫٧ انفجـر لغمٌ افظع من اللغوم السابقة في دير الراهبات فكان صوتهُ كانقضاض الصاعقة. فاسرعنا الى ثمَّ لنرى ما دهمنا من الاهوال فوجدنا انَّ الراهبات كنَّ يسمعنَ ساعتئـذٍ القداس في معبدهنَّ مع اكثر بناتهنَّ ولولا ذلك لذهبنَ جميعاً فريسة هـذا اللغم الجهنمي. الذي جعل قسماً من ابنيتنا في تلك الجهة خراباً يباباً وفتح فوهةً يبلغ عمقها سبعة امتار وقطرُ سعتها ٤٠ مترًا ودُفن في هذا القبر المهول خمسة من البحَّارة الايطاليـين مع ضابطهم ثمَّ ٨٠ صينيًّا من النصارى في جملتهم ٥١ طفلًا لقيطاً — ولمَّا رأى البوكسر نجاح عملهم اقتحموا علينا من هذه الطريق الجديدة ليفتحوا حيَّنا فاسرع البحارة الفرنسويون وتصـدَّوا لهم فقتلوا منهم نحو خمسين

وهزموا الباقين. اقبح هزيمة لكنّ رصاصةً من بندقيّاتهم كانت اصابت رئيس اخوتنا المريميين المدعو جول اندراوس بينما كان يسعى في خلاص امرأة صينيّـة ابتُليت بالردم فسقط لساعتهِ ميتاً. وكان هذا الراهب رجلًا فريد السجايا اظهر في ايام حصارنا شهامةَ الابطال وبذل نفسهُ في خير الجمهور وخدمتهم — وبعد هرب البوكسر اخذنا نشتغل في انقاذ المصابين باللغم فاستخرجنا الضابط الايطالي اوليڤياري بين حي ومَيت ولنـا الامل في شفائهِ. وكذلك وجدنا اثنين من البحّارة الايطاليين الّا ان جروحهم لم تترك املًا في شفائهم — اقمنا بعض البحّارة الفرنسويين لحراسة دير الراهبات لئلا يقتحم علينا العدوّ من ثمَّ بعد ان فتح في سورنا معبرًا طولهُ ٧٠ مترًا. وضرب المدافع متواصل منذ الساعة ٧ صباحاً فتجاوز عدد مراميها المئة — بلغ السكّين العظم

(الاثنين ١٣ آب) قد اضنك الجوع قوانا وكُنّا في قلق عظيم بيدَ ان ضرب المدافع الذي يطرق آذاننا عن بعد يترك لنا شيئاً من الأمل — الساعة ١١ انفجر لغمٌ آخر في دير الراهبات لكنّهُ والحمد لله لم يُفجعنا بمصيبة كبرى لان العدو لم يبالغ في حفره — عند المساء سمعنا البوكسر يصرخون: « قد قدم شياطين اوربّة فان قُضي علينا بالموت متنا الّا انكم ستهلكون قبلنا جميعكم » — الساعة ٤ قُتل احد بحّارتنا الصناديد اسمهُ روبرس برصاصة خرقت جبينـهُ — لم يبقَ لنا من المؤونة الّا بُلغة يومين وهو بئس الزاد

(الثلاثاء ١٤ منهُ) نرجّح حدوث حرب عوان بين الصينيين والعسكر الاوربية لأننا نسمع دويّ المدافع وهزيم القنابل وصفير البنادق من جهة الجنوب الشرقي. ثمَّ رأينا من برج كنيستنا ان الاعلام الصينيَّة نُزعت عن اسوار المدينة — الساعة ١١ تواتر صوت القذائف فرأينا جماهـير عن الناس يولون الادبار او ينقلون امتعتهم — انتعشت امالنا رغمًا عمّا يكتنفنا من الاخطار ويُلقى علينا من القذائف لاننا تحققنا ان الجيوش المتحالفـة اتت لنجدتنا وهي تحاصر باكين فبشّت لهـذا المنظر وجوهنا بعـد كسوفها وتحركت شفاهنا بالنُطق بعـد سكوتها — الساعة ٥ مساء رأينا بنظّارة قويّة خمسة من الضبّاط الاجنبيين مع احد البحّارة يشيرون الى الشرق بعلامات اصطلاحيَّة وميَّزنا ليس بعيدًا عنهُ الراية الاميركية تخفق في الجوّ — دام صوت البنادق الى الساعة ٩ مساء وقد رأينا قومًا يحملون بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ جريح من جرحى الصينيين

(الاربعاء ١٥ آب عيد انتقال البتول العذراء الى السماء) عند الفجر رأينا النّار تلتهم احد ابواب باكين شرقاً — دويّ المدافع لم يكفّ من الساعة ٧ الى الساعة ٩ فالمرجّح انَّ الجيوش الاوربيّة تهجم على البلدة — امّلنا الى الساعة ٩ مساء في نجاتنا ذلك اليوم ولكن تبيَّن لنا اخيرًا انَّ العذراء الحنونة التي ادخلت في باكين الجنود المتحالفة يوم عيدها ستنقذهم الى نجاتنا في صباح النهار التالي ان شاء الله. لم يبقَ لنا من الزاد سوى ٢٠٠ كيلو تُقسم على ٣٠٠٠ شخص كانَّ العناية الالهيّة عدَّت كلَّ حبوب الارز اللازمة لمعاشنا. تبارك اسمهُ عزَّ وجلَّ

(الخميس ١٦ منهُ) ما كدتُّ انتهي من تقدمة الذبيحة الطاهرة الساعة ٦ صباحاً فاخذتُ اتلو فعل الشكر اذ طرقت آذاننا اصوات البنادق شديدةً من جهة الجنوب ولم تزل تتزايد وتقرب منّا شيئاً فشيئاً الى الساعة ٨ حيث صارت على مسافة ٣٠٠ متر فقط وراء سور المدينة الامبراطوريّة المدعو سي هوا. وكان هذا الباب الذي منهُ يُدخل الى شارع بلاط الامبراطور موصدًا يُدافع عنهُ ١٥٠٠ جندي كلهم مسلّحون باسلحة سريعة الدك ووراء الباب حواجز مصنوعة من اكياس الارزّ المتينة. وكان جمٌّ غفير من البوكسر والجنود النظاميّة تخفّوا في البيوت المجاورة ووراء الشرفات ليطلقوا من ثمّ بنادقهم على القادمين

فصعد قوم من اصحابنا على سور حيّنا رجاء ان ينظروا الجنود الذين وراء الباب السابق ذكرهُ. فقال بعضهم انهم الاوربيون وقال غيرهم بل هم صينيون فصارت عوامل الرجاء والخوف تتنازعنا — وعلى كل حال امرتُ النفير ان يدقّ ثلاث مرّات اللحن الفرنسوي المدعوّ (La casquette du père Bugeaud). ولكن لم يُجبنا احد ولم نسمع صدًى لبوقنا من خارج الباب الّا ان الجنود الصينية الواقفة في الداخل حيّتنا بعدد لا يحصى من القذائف. وانفجرت قنبلة عند اقدامي ولولا اني اسرعت وتستّرتُ وراء عمود كان بقربي لقُضيَ عليَّ — وما مرَّ على ذلك نصف الساعة حتى جاءني مُسرعاً صيني نصراني شجاع كان تسلّق الى سور المدينة الامبراطوريّة فقال: « الجنود القادمة اوربيّة بلا مراء وقد رأيتُ ضابطاً لابساً لبساً ابيض وعلى عينهِ الشرائط الذهبيّة »

وكنّا في صباح النهار نشرنا علماً افرنسياً كبيرًا طالبين المدد السريع فلمّا سمعتُ قول الصيني تقدمت الى مدير مدرستنا الاكليريكيّة وطلبتهِ بان يجعلوا علماً آخر من

جهة الشمال ففعلوا ودقوا النَّفير ثانية فللحال اتى الضابط الذي رآه الصيني الى جهة سورنا فمددنا لهُ سلّماً رقيهُ بسرعة وكان ضابطاً يابانيًّا فصافح يد النائب الاسقفي واول ما سألنا: « هل يمكنكم ان تفتحوا لنا باب المدينة الصفراء (الامبراطوريَّة) »

قلنا: انَّ هذا ليس ممكن لقلة عددنا

فاجاب: كونوا مطمئنين فها انا أُحطّم الباب تحطيماً

قال هذا ثمَّ كرَّ راجعاً وراء الحائط. وفي الوقت ذاتهِ رأينا جنوداً لابسين لبساً ازرق كانوا يسرعون الى جهتنا ومعهم المدافع. فلم يبقَ لنا ادنى ريب في ان الجند فرنسويون وانهم رأوا العلم الفرنسويّ فاسرعوا كالبرق الى صوبهِ ثمَّ نصبوا السلالم من جهتهم ونحن نصبنا غيرها من جهتنا. وما كان كلمحة العين اذ دخل حيَّنا خمسون جنديًّا من فرقة مَرتي (Marty) يتقدمهم قائدهم الباسل. وكان اليابانيون في اثناء ذلك يتسلقون جدارنا من جهة الجنوب وكسروا احد مصراعي باب المدينة الصفراء فساعدتهم الطوبجية الفرنسويون الواقفون فانجزوا العمل وشيكاً دون ان يكترثوا لبنادق الصينيين ثم هجم جنودنا على الحواجز من جهة الباب. وكانت فرقة القائد مَرتي التي دخلت حيَّنا اسرعت الى اكبر هذه الحواجز من وراء فأزالتها بعد ان احرقت البيوت التي التجأ اليها الجند الصينيون وقتلت المدافعين عنها بالاسلحة البيض

وهكذا تمَّت هذه المعركة العظيمة التي قُتل فيها ٨٠٠ رجل من البوكسر او من الجنود النظاميَّة. اماَّ نحن فلم نفقد الَّا رجلين فقط وجُرح ثلاثة احدهم القائد مرتي. ودقَّت ساعة النَّجاة فاذا هي العاشرة صباحاً. وكان سفير فرنسة الهمام المسيو پيشون اسرع الى حيّنا قبل ذلك بربع الساعة ومعهُ الفريق الكبير الجنرال فراي (Frey). فحدّث عن فرحنا ولا حرج فكنَّا نعانق بعضنا بعضاً ونهنئ انفسنا بالخلاص ودموع البهجة تنهمل من اعين الجميع. وزاد فرحنا اننا نجونا على يد جنودنا الفرنسويين

(تمّت)

(المشرق) هذه جريدة السيد الجليل فافيه اسقف پاكين التي تتقرُّ لها الجوانح تأثيراً كتبها مياومةً مدَّة ذلك الحصار الذي انست فجائعهُ ما دوَّنهُ المؤرخون سابقاً في بطون التواريخ فالحقُّ يقال انهُ لولا معجزة باهرة من يمينهِ تعالى لما نجا قوم ضعفاء من المرسلين والراهبات واليتامى والنساء مع رجال لم يعتادوا الآداب الحربية اللهم الَّا اربعين منهم ولمّا استطاعوا ان يقوموا في وجه الوف

ومئات الوف من الجنود المنتظمة والمردة العفاريت الذين لم ينقصهم شيء من اسباب النهب والقتل والحريق. ويكفي مجرَّد قراءة هذه الاسطر لتسويد وجه النشرة الاسبوعية التي لم تأنف آخرًا ان تنسب الحرب الصينية الى هؤلاء المرسلين الذين دأبهم السلم ونشر لواء الدين امتثالاً لامر الرب حيث قال: «اذهبوا وتلمذوا العالم اجمع واكرزوا بالانجيل لكل الخليقة». ولولا ضيق المكان لاتينا بشواهد لا تحصى من وجوه البروتستانت انفسهم ينفون عن المرسلين الكاثوليك حيثما كانوا كلَّ الغايات البشريَّة لاسيما السياسية بينما هم يقرُّون لمرسليهم بطلب هذه الاغراض السافلة كما جاهر بذلك آخرًا سالسبوري في حفلة جمعت زعماء الجمعيات البروتستانية في لندرة

وكان ينبغي علينا لنستوفي اخبار هذا الحصار ان نعرّب هنا رسالات مئين من المرسلين تبيّن ما نالهم من النكبات في مدَّة السَّنة المنصرمة الَّا اننا نكتفي بان نقول انَّ جميعهم احتملوا بالصبر الجميل كلَّ البلايا التي دهمتهم وقد قُتل منهم جمٌّ غفير دون ان يسطّر يراعهم كلمة واحدة تُشعر بروح الثورة او الانتقام من اعدائهم بل ذكر السيد فافيه ان كثيرين من الصينيين الوثنيين بعد دخول الجيوش المتحالفة عنوةً الى باكين التجأوا الى دار المرسلين فدافع المرسلون عن حياتهم ومالهم. وما لا يمكننا ضرب الصفح عنهُ ما ابداهُ النصارى الصينيون من ربط الجأش والبسالة الغريبة والثبات في دينهم مع انَّ عدد القتلى منهم بلغ نحو ٦٠٠٠٠ بخلاف الذين نصَّرهم الدعاة الاميركيون والانكليز فانَّهم أبدوا من الفشل وخور القلب ما اظهر جليًّا للعيان ان تنصُّرهم كان كالبناء المبنيّ على الرمل

وممَّا يسرنا اثباتهُ هنا انَّ الحبر الاعظم تحفَّى بالسيد فافيه ورحَّب بهِ ايَّ ترحاب لمَّا قدم في الشهر الماضي الى عاصمة الكثلكة. وان الحكومة الفرنسيَّة جازتهُ باشرف ما عندها من الامتيازات اعني انَّها رقَّتهُ الى رتبة جوقة الشرف وكذلك كافأت الرهبانيات الكاثوليكية الفرنسويَّة في شخص احد رؤسائها

ويجدر بنا ايضًا ان نذكر هنا الرسالة الاسقفيَّة التي كتبها السيد فافيه الى رعيَّتهِ من النصارى الصينيين بعد خروجهم من الحصار ليركنوا الى السلم ولا يأخذوا مال احد من الصينيين الوثنيين الهاربين من باكين بعد دخول الجنود المتحالفة ويمنع من اعطاء الحلة كلَّ من تجاوز اوامرهُ. امَّا التعويض عمَّا فقدهُ النصارى في هذه الحرب فان السيد فافيه يقوم بذلك على حسب سُنن العدل والانصاف

دوائر السريانية في لبنان وسوريَّة

بقلم القس يوسف حبيقة البسكنتاوي اللبناني

أمرٌ لا يختلف على صحَّتهِ اثنان ألا وهو كون اللغة السريانية كانت في غابر الحين ممتدةً منبسطة في آفاق لبنان وسوريَّة ضاربةً اطنابها مرسلة افنانها الباسقة الى كل فجّ وصوب

بحيث كانت اللغة الوحيدة المحيطة بقطر سوريّة احاطة السوار بالمعصم تترطّب ألسنة الاهلين بعذب كلماتها العريقة بكامل الاعتبار يشهد بذلك ما بقي منها من التآليف البيعية الثابتة والمستعملة في الشرق الى اليوم الناطقة بمكانة هذه الدرّة اليتيمة. وما زالت هذه الزهرة منوّرة الى ان هبّت عليها اعصار الغيار فاذوتها وذلك بتملُّك الرومان الشرق ونشرهم لغتهم فيهِ فدثر مجد السريانية تحت مطاوي هاتيك الاجيال والتقلُّبات الدولية ولم يبقَ منها الّا القليل الى ان دخل الاسلام وادخل لغتهُ العربيّة التي هي اليوم الذي تؤمهُ الخواطر في يومنا هذا والمنتجع الذي ينتجعهُ ادباء هذا العصر في مفاوز سوريّة وكافة بلادنا الشرقيّة فاندرست السريانية ايّما اندراس وكادت تدخل في خبر كان ولولا بقاء النزر القليل من كلماتها التي تنطق بها العامّة في الانحاء السوريّة شاهداً عدلًا على ان هذه اللغة كانت متأصلةً بحيث لم تقوَ غِيَر الحدثان على استئصال عروقها عن شأفتها لكنّا نقضي عند الاخبار عمّا كانت عليهِ من المجد في سالف الاعصار ان ذلك من التماويه

ولذا خدمةً لعالم العلم حدتني مروّتي الخامدة الى تأليف بعض فصول عن هذه الكلمات الدارسة انشرها تباعاً في مجلة المشرق الغراء التي يأتي مديروها الافاضل بالخدم الجليلة لاعلاء منار لواء العلم ورفع منار الفهم

فآمل من كرم شمائل وشيمَ من يطالعون مقالاتي هذه ان يضارعوا طير النحل ويقعوا على ما استعمل منها فيلذذون رضاب معارفهم بما حلي منها وطاب سابلين ستار المعذرة على ما لعلهم يرونهُ لاختلاف التفاتات البصائر مستبذًلا مبدوءا حيث لا تُبنى شريعةٌ على ادماج العامّة لهذه الكلمات او قلبها او تحريفها او ابدال حرف بآخر او نقلهِ لمحلّ الاخر او قطعهِ او زيادتهِ على ما يستخفّ اللسان ويُؤثر الذوق فاقول آخذاً عضد المولى عونًا لي

فمن ذلك قول الام لرضيعها تعويدًا لهُ على النطق « أبّا أبّا أبّا » فما هذه اللفظة الّا كلمة « ܐܒܐ » بالسريانية ومعناها الاب ويعودونهُ عليها باديَ بدءٍ لشديد حاجتهِ لكلاءة ابيهِ لهُ بعد امهِ

ومن ذلك اذا دخل احدهم الى مأتم او محفل فيهِ كهنة يقول « بارك يا سيد يا آبهاتنا » « ܒܪܟܘ ܡܪܝ ܐܒܗܬܐ » وما هذه الّا كلمة « ܐܒܗܬܐ » جمع « ܐܒܐ » للاباء الروحيين.

ويقولون: « يا سيد » بالافراد كانهُ كبيرهم محصور بهِ بقيّة الاباء

ومن ذلك قول الاولاد بينما يلعبون « إه إه قتعوها » يقصدون بذلك المزح والهرج وما هذه الّا مقلوب « ܐܗܐ ܐܗܐ » المكرَّرة. والمعنى زهْ زهْ فلنهرب

ومن ذلك قول الام لولدها ردعاً لهُ وتخويفاً من ان يمسّ شيئاً يؤذيه « أو. وَا وَا ». فلفظة « او » (ܐܘ) سريانية وهي كلمة وعيد ولفظتا « وا وا » هما نفس لفظتَيْ ܘܝ ܘܝ ويل ويل. والمعنى ان مسست ذلك الشيء المؤذي فويل ثم ويل لك

ومن ذلك قولهم عند الترحم والاشفاق على موجوع « اه يا حرام » فهذه لفظة « ܐܘܗ » سريانية معناها الاشفاق والمعنى التشكّي ممّا اصابك واودُّ لو لم يكن

ومن قولهم عند التشفي « آخ منك » فهي كلمة « ܐܚ » وخلاصة المعنى: ليتني انال غرضي منك فاخمد ما اضطرم في احشائي من نار التوجُّع منك

ومن ذلك قول الولد لتربهِ عندما يقرعهُ بالكلام: « إسطَم » فما هذه الّا كلمة « ܐܣܛܐ » حائط « ܘܡܠܛܐ » مكلّس أُدمجتا ببعضهما فصارتا « اسطم ». والمعنى سدٌ فمك ليصير كحائط مكلس فلا يعود يستطيع النطق ولا ببنت شفة

ومن ذلك قول كبير البيت لذويه ردعاً لهم عن مخالطة اهـل الصلف والكبر « هالمتألّهين لا تجيْ صوبهم » فهي كلمـة « ܡܬܐܠܗܝܢ » السريانية. والمعنى حذار من ان تقرب هؤلاء القوم لئلا تغوى كما غوي آدم بالشيطان الذي احبَّ ان يتألّه فسقط

ومن ذلك قول الحماة لكنّتها او الكنة لحماتها تكشف لها بما انطوت عليهِ مطاوي قلبها « كلّك إلمْ . أَيْيشك هل الاليمة ». فهاتان الكلمتان هما « ܐܠܡܐ » الحقـد والكيد و « ܐܠܡܬܐ » صاحبة الحقد والمكيدة

ومن ذلك قول الولد لامّهِ « أيتين بتعملي لي غنباز » فان هي الّا « ܐܝܬܝܢ ܕܝܢ » ادغموا الدال بالتاء وهذا مستفاض واسقطوا الياء الساقطة لفظاً

ومن قولهم مدحاً لرجل: « ناسوتهُ مليح » فهي كلمة « ܐܢܫܘܬܐ » بمعنى ان هذا الرجل صاحب انسانية

ومن قولهم « ذهبوا ليشاوروا اراكنتهم ». فما هي الّا كلمة « ܐܪܟܘܢܐ » ومعناها الزعيم والكبير. واصلها الاول من الرومية

ومنـهُ قولهم لاحد ما استخفافاً بهِ : « يا بَهلي » وهي في السريانية « ܒܗܠܐ »

ومعناها الابله يدلُّون بذلك على سخافة عقلــهِ

ومن ذلك قولهم: « رُحنا عند فلانٍ وجئنا على البُقْ » وهي « ܒܘܩ » ومعناها الخلو والفراغ. فكأنَّهُ يقول قصدناهُ على ان يعطينا شيئاً فخبنا وابنا فارغين

ومن كلامهم: « اذهب ابحُن لنا فلاناً » وهي الامر من « ܒܚܢ » فحص وكاشف. فيذهب ويرجع قائلًا بحنتهُ « ܒܚܢܬܗ » اي عرفت كلّ ما في قلبهِ

ومنهُ « الحواش » او « البحواش » وهي ܡܚܘܫܐ الجراك وهو قضيب ثخين للخبَّازة بهِ تحرّك ما في التنُّور من الجمر لتحميهُ حتى يصير صالحاً لانضاج الخبز جيدًا

ومن ذلك البِقْسة « ܦܩܣܐ » وهي الحِبرة يأخذها الولد معهُ الى المدرسة ليكتب بما فيها من الحبر وتكون من الخزف عادةً او من نوع آخر كالصيني

ويقولون عند التفصيل في الاخبار: اول بند وثاني بند وثالث بَنــد الخ. وهي « ܒܢܕܐ » الفصل (١

ومن كلام الام لولدها كفًّا لهُ عن الحركة في غير وقتها: « باسم الصليب حاج تبعط ». وهي « ܬܒܥܛ » من ܒܥܛ لَبَط وبَطِر ورمح

ومن صلواتهم البواعيث « ܒܥܘܬܐ » واحدها باعوت « ܒܥܘܬܐ » طلبة طلبات وهي ابيات لماري يعقوب السروجي وغيره تاتي عادةً آخر الصلوات

وتنتهر الام ولدها قائلةً: « حاج تغدّف يُمتك الله » وهي « ܬܓܕܦ » من « ܓܕܦ » جدَّف وشتم وذلك تخويفاً لهُ من عاقبة الشتائم. وهذه المادة تتداولها السنة عامتهم تقريباً

ومن حثّ الاب لابنهِ ليتدارك اعمالهُ « بُني قُمْ جهجه الضوء » وهي « ܓܗܓܗ » انبلج الصبح واضاء

ومن ملاطفاتهم بعضهم بعضاً قولهم: « تفضَّل الى جَوًّا » فهي « ܓܘܐ » ومعناها داخلًا اي ادخل يا صاح داخل البيت

ويبيّنون شدَّة ما اصاب احدهم ممن اهانهُ بقولهم: « جَرجَرهُ حتى اجاب لهُ العما » وهي « ܓܪܓܪܗ » من « ܓܪܓܪ » جرَّر وسحب

١) والمرجَّح انَّ اصل لفظة البَنْد من الفارسية . وجاء كذلك في اليونانيَّة βάνδον بمعناها (المشرق)

وكذا « عمل لهُ كرة ايا كرة » وهي من « ܟܪܐ ܟܪܐܐ » صاح بهِ وانتهرهُ زاجرًا .

ومن مفاكهاتهم : « فلان عَقلاتُهُ مدوّدين » وهي « ܡܕܘܕܐ ܡܕܘܕܝܢ » اعني مضطر بين متقلقين

ومنهُ قول الفلاح لجارهِ : « زرعاتك دلّيلين » وهي « ܕܠܝܠܝܢ » اي متفرقين هنا سنبلة وهناك سنبلة وثمَّ اخرى فالواحدة تنادي الاخرى

ومن قولهم : « دلف بيتنا وترّل فيهِ الدّلف » من « ܕܠܦ » وكف وقطر « ܕܠܦܐ » الوكف والقطر وذلك لكثرة المطر

ومن عوائدهم يقولون : « دَندلنا ابننا ليعيش على رأسهِ اخوه » وهي « ܕܢܕܠܢ » من « ܕܢܕܠ » دلّى وارسل . وتفصيل هذه العادة هو انهُ اذا رُزق احدهم ولدًا ولم يعد يعيش من يتعقّبهُ من الاخوة يأخذ ولدهُ المحكي عنهُ ويصعـدهُ الى سطح الكنيسة وهناك يحلِّفهُ الحضور بمار اليـاس النبي ثلاثًا على انهُ لا يأكل من مقادم الخراف وروسها مطبوخًا (وهي تُعرف عندهم بالغمّة) الى ان يصير لهُ اخ يقدر ان ينحر الكراز (وهو تيس المعز) فيقول : « وحق ماري الياس لا آكل من المقادم ولا من الرأس حتى يصير اخي يذبح الكراز » . ثمَّ يخيّرونهُ ماذا يريد علاوةً على ميراثهِ من ابيهِ فيتخيَّر ما يشاء انما لا يأخذ شيئًا بالفعـل وعندئذٍ يضعونهُ في سلّ او ما شاكل ويدلّونهُ الى الحضيض ويصعدونهُ ثلاثًا ومنهم من يتفآل من احدى جهات الكنيسة ومنهم من يتشآم ومثل ذلك التدلي من فوهة البئر الى اسفلها

ومن اعيادهم الدنح « ܕܢܚܐ » وهو الظهور والاشراق وهو عيد اعتماد السيد لهُ المجد وظهورهِ للعالم

ويقولون : « إدعرهُ بهذا الدكش » وهي من « ܕܟܫ » طعن . . وكذا إدقرهُ تعرفهُ من « ܕܩܪ » وَخز اي آلهُ تعامهُ

ومن اقوالهم : « طلعت هبلةُ الماء » وهي « ܗܒܠܐ » بخار وذلك اذ يسخن ويغلي

ومنها قول الرجل لامرأتهِ : « اعطي هذا الفقير زَوار من قمح » من « ܙܘܪܐ » حفنة وهي قدر ما يملأ راحتي الانسان

ومنها ان بعضهم يقول لابنه : « لا تأكل لحمًا بايدك لئلا ترّفرّ ثيابك وحالك » وهي « ܐܬܦܪ » من « ܦܪ » وسخ ودنس

ومن كلماتهم المشهورة اذ يصلون « شَخلِف اللحن » وهي الامر من « ܡܫܚܠܦ» غيّر وبدّل اي لحّنهُ على غير نغمة

ومنها : « قُل هذه الحسّاية » من « ܚܘܣܝܐ » مسامحة وهي صلاة طويلة دُعيت كذلك لانَّ المسامحة تُطلب بها من الله الغافر ومنها جمعة الحاش « ܚܫܐ » الم . وهي سبة الالام دعيت كذلك لتـألُّم السيد لهُ المجد فيها

ومنها الختّام « ܚܘܬܡܐ » الختام وهي قطعة تختم بها الصلوات وبها اختم مقـالتي هذه (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

٦

وكان قصر المقدم رزق الله في اجمل موقع من لبنان بالقرب من منبت الارز القديم في وادي بشرّاي الذي يسبي الابصار بحسنهِ (٢ فهناك عيون باردة تتسلسل من الثلوج الكللة لهام الجبال القريبـة فتتفرَّع الى جداول غزيرة تسقي تلك الاراضي الخضرة او تتجمَّع الى احواض طبيعية في تجاويف الصخور . وهناك اشجار عظيمة تبسط اغصانها في كلّ جهةٍ وناحيةٍ فتارةً ترسلها الى بعيد وطوراً تسمق بها نحو السماء كانها اهرام من الخضرة

فتَحتَ هذه القبة الناضرة تشيَّدت منازل المدينة مرصوصةً بعضها فوق بعض على دارةٍ صغيرة وقد اشرفت عليها قُبَب الكنائس الكثيرة وقصر المقدَّم وسائر قصور الامراء

---

١) ربَّ معترض يقول ان اكثر هـذه الكلمات تنطبق على اصولها العربية . . . فليعلم حرسهُ المولى ان الكلمات التي تطابق بعضها في هاتين اللغتين لا يحصرها عدٌّ مثل ܓܒܠܐ قَتَل ܩܛܠ اكل ܐܟܠ اسر ܐܣܪ قيظ ܩܝܛܐ مطر ܡܛܪܐ حي ونحوها ممَّا يربو على الالوف المؤلفة فلا يبعد ان تكون استقرضت كلٌّ من الاخرى والسيادة للاقدام وانا جمعت ما تلوَّح وتلمَّح لي انهُ اقرب لى السريانية منهُ الى العربية فان كنت اخطأتُ فعفو اهل العلم والادب اسبق والَّا فالمرء مطالب بما عندهُ

٢) ليكيان في الشرق المسيحي

بني عمّهِ. والى الشمال الشرقيّ صخور كلسية بيضاء قد انتصبت في الجوّ بهيئة عموديّة ونُقرت فيها معابد ومحابس عديدة منقوش على ابوابها رسم الصليب المقدَّس (١ وابهج هذه المعابد واعظمها رونقاً كنيســة مار سركيس وهي كلها منقورة في الصخر (٢. وقد اغتنم القوم وجود نتوء خفيف في الصخر فبنوا بعض غرف يقيم فيهـا الان راهب من قانون الآباء الكرمليين. وفي القرن الخامس عشر كان فرا غريفون ورفيقهُ فرا فرنسيس (٣ قد اتخذا هذه الغرف نفسها محلًّا للسكنى وقتما كانت الشؤون الرسولية لا تستدعيهما الى التجوال في لبنان

امَّا المقدَّم رزق الله فكان قــد شيَّد قصرًا فسيحًا في الطرف الغربي من بشرَّاي عند مدخل وادي قاديشا وكان الى جانبهِ من احدى الجهات منحدَر خفيف يضمّ الصخر الذي قام عليهِ القصر الى دارة الجبل ومن الجهة الاخرى كان لهُ سور عالٍ ينتهي بصخر عظيم منتصب عموديًّا فوق هوَّة هائلة جدًّا. وقد عُني البناؤون ففتحوا للقصر في انحائهِ الاربعة طيقانًا وشبابيــك تُطلّ عددَ الساعات على مناظر مختلفة الاشكال ومشاهد تفتن العين وتسبي البصر مثل هوَّة وادي قديشا وغابة الارز مع كثير من الحدائق والمروج النضرة

وكان اذا جاء الصيف انتشرت في تلك الانحاء مشاهد الخصب والريف فتتصل الاثمار بالقطاف والزروع بالدياس. واذا دنوت من ابواب المنازل المعلَّقة في جانب الجبل رأيت الدوالي مشتبكةً على شجر السنديان والجوز ومرسلةً فوق المجازات والمعابر اقواسًا من الخضرة

وكان للقصر المقدَّم باب مقبَّب يؤدي الى باحة داخلية وفوق الباب صورة اسد منقوش وهو شعار اتخذهُ الامراء في سوريَّة من عهــد السلطان بيبرس (٤ وامَّا الاسوار فقد بُنيت من حجارة ضخمة تضاهي حجارة الأبنية التي شيَّدها الجبابرة القدماء. وكان في وسط الباحة المذكورة فسقيَّة من الرخام الابيض باربعة عمد من الحجر المانع اتوا بها من خواب احد الهياكل القريبة. وكانت هذه الباحة عادةً مجتمعًا للخيل والحمير والجمال. فالخيل

١) بروكارد والدويهي ٢) المشرق ٣. كنائس لبنان القديمة
٣) المشرق ١. فرا غريفون ولبنان
٤) راجع مجلة المجمع المصري Institut égyptien سنة ١٨٨٠ ص ٨٣ . والمشرق ٢ : ٢٠

الاصيلة المختصة بمشايخ الجبل تُربط وحدها في حلقات من الحديد مغروسة بالحيطان وكانت مزيَّنة بالسروج المذهبة والحلي الفضيَّة على رؤوسها واعناقها . والى جانبها تُربط خيل التجَّار الوافدين من طرابلس والبترون ثمَّ الحمير المختصة ببعض الرهبان وحول الفسقية تبرك الجمال وتتناول علفها من اكياس ملأى بالكرسنة تُفرش امامها ثم تأخذ في الاجترار رافعةً اعناقها الطويلة ومُسمعةً اصوات الجلاجل المعلقة فيها

وكان المكارية والجمَّالة يجلسون بالقرب من دوابهم يتجاذبون اطراف الحديث او يلعبون بالمنقلة تقطيعاً لساعات الانتظار الطويلة وكانت امركة وقتئذٍ محجوبةً بغياهب الخفاء . فلم تكن قد جادت على العالم بمنحة التبغ لاجل تدخينهِ في ساعات الفراغ

وقد شوهد اذ ذاك في احدى زوايا الباحة رجل غريب الحركات علاهُ الوسخ وركبتهُ القذارة الكريهة وكان لهُ انف احجن اشبه بالقوس وذؤابتان تنوسان ابدًا فوق صدغيه فكان كل من يراه يظنّ انهُ يهودي ويتقوَّى ظنّهُ بذلك اذ يعلم انهُ يُدعى نثنائيل . ولم يكن احد يعرف سبباً لاقامة هذا الرجل هناك الَّا انهُ قد سعى مرارًا في مواجهة الامير غير ان الامير كان يجاوب دائماً انهُ يكره مقابلة المرابين . ومع هـذا فان المذكور لبث منتظرًا دون ان يظهر ملالةً او مساءةً من اقوال التهكُّم والاستهزاء التي يسمعها من المكارية والخدم . وكان جامدًا ساكناً كالجارح من الطير يرصد الفرصة للانقضاض على الفريسة وفي مدّة اقامتهِ الطويلة بباحة القصر لم يكن يغفل عن ملاحظة الواردين والذاهبين باهتمام لا مزيد عليهِ . وهذا كل ما كان في امكانهِ عملُـهُ لانَّ نظرهُ كان محجوبًا برواق يفصل هذه الباحة الاولى عن الباحة الثانية التي في اقصاها قام القصر الحاوي معاهد الامير رزق الله وأسرتهُ

امَّا هندسة القصر المذكور فمتداخلة مختلطة فقد كانت فيـهِ قناطر على النسق العربي القديم وحنايا على النسق الغوطي صنعها البنَّاؤون الافرنج الذين رمَّموهُ في مـدة حروب الصليب . وكانت في واجهتهِ بعض افاريز ضاعت معها مساواة الخطوط وأُقيمت عليها رواشن رشيقة يتخيَّلها الناظر منتصبة في الهواء وقد ارتبط بعضها مع بعض بعمد صغيرة من الرخام الابيض . امَّا داخل القصر فكان عبارة عن قاعات فسيحـة مبلطة بانواع مختلفـة من المرمر وفوق القاعة الوسطى قبة من الزجاج الشفاف وبواسطة

الدار الواسعة تتصل كلّ اقسام هـذه البناية العظيمة الجامعة بين اوصاف قصر وقلعة ومتنزّه

٧

وكان أنّ الربيع في هـذه السنة وفد على اعالي لبنان قبل اوانهِ لان ريحًا حارة شرقيّة ما زالت تنفخ اياماً عديدة متوالية حتى اذابت الثلوج من وادي بشرّاي فبدأت الاشجار تكتسي باوراق واثمار واخذت شقائق النعمان النابتة على ضفاف النهر المتعوّج تفتح كؤوسها مستقبلةً شمس اذار المنعشة وبخور مريم يزين الصخور والسطوح بورقهِ الجميل. وكانت الجبال القريبة تلمع ساطعةً وهي تتقطّع بين مسافة واخرى بنُكَت كبيرة سوداء اعني بهـا اشجار الارز والعذر والشربين كانت قد القت عنها الكفن الابيض الذي اندفنت تحتهُ مدَّة الشتاء بطولهِ

وكان القوم في قصر بشراي في حركة واضطراب لان السعـاة من رجّالةٍ وخيّالة كانوا بين دقيقة واخرى يخرجون منتشرين في الطُرق والشعاب المؤدية الى هذه المدينة الصغيرة. ولم يكن من سبب لهذه الحركة سوى الاب يوحنا الذي بلغهم خبر مجيئهِ منذ ايّام لكنّهُ لمّا ابطأ قلقت الافكار عليهِ فسار الخيالة فرقاً فرقاً يطلبونهُ حتى التقت بهِ كوكبة منهم عند زغرتا فاعادت احد افرادها على عجل لكي يبشر الامير بقرب من قد طالما توقّع قدومهُ

وكان ذاك النهار في قصر بشرّاي اشبه بيوم عيد بل اعظم فاستقبلوا الاب يوحنا بما لا مزيد عليهِ من التجلّة غير ان القادم بالنظر لما تحلّى بهِ من التواضع العميق والفضائل المسيحية الحقة التي سبق بيانهـا ودَّ لو لم يحصل لهُ شيء من ذلك ولو كان في امكانهِ اجتنابهُ لما تأخر

ومن بعد وصولهِ صرف عدَّة ايام في مداولات طويلة مع المقدَّم رزق الله ولم يكن بينهما ثالث غير فرا غريفون وقد قرَّر الثلاثة اتخاذ ما يلزم من التدابير الفعَّالة منعًا لغارة البدعة اليعقوبيّة على الجبل. ثم ان الاب يوحنا وفرا غريفون أفهما المقدم رزق الله الذي كان حتى ذاك الاوان مترددًا ان وحدة الايمان هي اوكد واحسن وسيلة لحماية لبنان وانهُ اذا استولى الانقسام على العقول والضمائر لا يلبث ان يظهر اثرهُ في الخارج فيبـذر في كل محلّ بذور الشقاق

ولقد ذهب هذا الكلام كل مذهب في عقل المقدم ورآهُ صواباً لاسيّما وان الغاية التي كان يهتم بها في جميع اعماله واجراءاته هي ان يجعل الوحدة سائدة بين اللبنانيين جميعاً موارنة كانوا او ملكيين بنوع ان يصير الكل شعباً واحداً رغماً عمّا بينهم من الاختلافات العرضيَّة

والحق يقال ان هذه الاختلافات كانت في تلك الايام طفيفة بالنسبة الى ايامنا الحاضرة لان الطائفتين كانت لهما لغة واحدة طقسيَّة وهي السريانيَّة فضلاً عن خروجهما من اصل واحد ارامي

غير انَّ المساعي في احكام عرى الوحدة كانت لسوء الحظ تلاقي المعارضات والمقاومات من قبل بطاركة القسطنطينيَّة الذين كانوا يحاولون نشر لواء سلطتهم في سوريَّة . فلاجل التوصل الى هذه الغاية رأوا انهُ لا يكفي إبعاد الملكيين عن الغربيين بل يجب ايضاً ابعادهم عن كل ما ليس لهُ اصل يوناني بحت ومن ثمَّ اعلنوا الحرب على اللغة السريانيَّة في سوريَّة وعلى ليتورجيَّة القديس يعقوب التي عيبها الوحيد عندهم انها لم تكن مستعملة في القسطنطينيَّة (١

وبينا كان البطاركة المذكورون ينسجون هذه الدسائس كان المقدم رزق الله يحرض الملكيين سكَّان الكورة وسائر اخوانهم المنبثين في بلاد جبيل والبترون (٢ على ان يعترفوا بمجمع فلورنسة الحديث ويرسلوا وفداً من قبلهم الى رومية

واحب المقدم رزق الله ان يقوي الامتزاج بين طوائف لبنان فعمد الى تزويج احد كبار اخصائهِ المسمَّى زين مع وريثة احدى العائلات الملكيَّة الوجيهة في لبنان وعرض هذا الخاطر على كلّ من فرا غريفون والاب يوحنا فاستحسناهُ وحثَّاهُ على اتمامهِ

غير انَّ المقدَّم كان قلقاً من جراء تصرف ابن اخيهِ عبد المنعم الذي تظاهر بالميل الى ضلال اليعاقبة (٣ ووقف كحجر عثرة في سبيل سلطة عمهِ فخاف عمهُ عواقب مقاومتهِ واطلع الاب يوحنا على ما كان. فذهب الاب يوحنا الى عبد المنعم وكان عمهُ قد سمَّاهُ مقدَّماً لجبيل فوعدهُ هذا بقطع كل علاقة مع اليعقوبيَّة وحلف لهُ على الاناجيل المقدسة انهُ يحافظ على الامانة لعمهِ وعلى ايمان اجداده (ستأتي البقيَّة)

١) راجع في المشرق (٣: ٢٧٢) شهادة تيودور بلسامون وغيرهِ ٢) الدويهي ٢٠٧
٣) الدويهي

بيت لحم وداود الثاني

بقلم حضرة الاب الفاضل القس بولس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

بين الرموز النبويَّة الخاصَّة بالتوراة دون غيرها من الكتب البشريَّة الرمز المعروف بالشخصي. والمراد بذلك ان الله اقام احد اشخاص العهد القديم ليصوّر في نفسهِ ويمثل في اطوار حياتهِ شخصاً آخر يأتي بعدهُ في العهد الجديد. ولمَّا كان المسيح المحور الذي يدور عليهِ العهد العتيق كلّهُ بل هو غايتهُ القصوى كما بيَّن ذلك الرسول بولس في رسالتهِ الى اهل كولوسي (٢: ١٧) فقد شاء الله الموحي بهـذه الاسفار ان يرمز اليهِ باشخاص عديدين اختلفوا زمناً ومكاناً واعمالاً ومناقب بحيث مثَّل كلٌّ منهم شيئاً من هـذا الانموذج الالهي فهذا شخَّصهُ بتحريرهِ شعب الله من العبودية وذاك بادخالهِ بني اسرائيل الى ارض الميعاد وغيرهُ بملكهِ المجيـد او اسرارهِ وهلمَّ جرًّا فاضحى بذلك آباء العهد القديم واولياؤُهُ وانبياؤُهُ رموزًا الى ما كان المسيح مزمعاً ان يعملهُ في نظام آخر اهمَّ من النظام الماديّ والزمني

غير انَّ من طالع تواريخ العهد القديم لا يرى شخصاً اقرب الى المسيح من الملك داود ليس فقط لانهُ كان اباً لهُ بالجسد بل ايضاً لانهُ قد صوَّره في حياته كلهـا حتى في ادق أطوارها اللهمَّ الَّا في ذنوبهِ ولهذا ترى الاسفار الالهيَّة تدعو المسيح مرارًا باسم داود على الاطلاق قال النبيّ هوشع (٣: ٥): « وبعد ذلك يرجع بنو اسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويهابون الرب ». وكذا في حزقيال (٣٤: ٢٣): « وأُقيم عليها (اي غنمي) راعياً واحدًا ليرعاها وعبدي داود يكون في وسطهم رئيساً »

ولو سمح لنا المقام لتتبَّعنا في هذه العجالة اوجه المشابهة بين داود والمسيح فردًا فردًا ليتيقَّن القارئ انَّ المسيح من حيث ناسوتهِ هو بالحقيقة داود الثاني. غير انَّ ضيق المكان يضطرُّنا الى ان نقتصر هنا على المشابهـة الاولى اي اتفاقهما في المولِد فانَّ لكليهما مسقطَ رأس واحـد فحظيتْ بيت لحم موطن الملك داود بشرف اسمى اذ صارت فضلًا عن جميع بلاد المعمور محلَّ ولادة من هو نهاية شوق الشعوب وانتظار الامم طرًّا

فكون داود مولودًا في بيت لحم امرٌ يعرفهُ الجميع (راجع سفرَي راعوث والملوك الاول) واماَّ انَّ المسيح كان عتيدًا ان يولد في البلدة عينها وقد وُلد فيها حقًّا فهاك ما اخبرنا به الانجيلي متى (٢ : ١) :

ولمَّا وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية . . . اذا مجوسٌ قد أقبلوا من المشرق الى اورشليم قائلين : اين المولود ملك اليهود . . . فلماَّ سمع هيرودس جمع كلَّ رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح . فقالوا لهُ : في بيت لحم اليهودية لانهُ هكذا كُتب بالنبي (ميخا ٥ : ٢) : « وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لستِ الصغيرة في رؤساء يهوذا لانَّ منك يخرج المدبّر الذي يرعى شعبي اسرائيل

ولكن ما كادت هذه الفقرة تبرز من قلم متَّى الرسول حتى قام المعترضون وقعدوا وصوَّبوا اليها سهامهم منذ القديم الى ايَّامنا هذه غايتهم ان يكسفوا الاشعَّة الساطعة التي تنير الدين النصرانيَّ الَّا انهم لم يزيدوهُ بذلك الّا لمعانًا ومجدًا لأن حظَّ كتاب الله كحظّ كنيستهِ التي انشأها فكما ان الكنيسة تخرج من اضطهادات الغاصبين اقوى واثبت كذلك يخرج كتاب الله اجمل وأبهى من اعتراضات الجاحدين

يرى المعترض في كلام متى امرَين يرينانهِ اولهما انَّ بين رواية متى لنبوَّة ميخا واصلها العبراني تناقضًا واضحًا فانَّ النبيَّ يقول (٥ : ٢) : « وانت يا بيت لحم افراتة انك صغيرة في أُلوف يهوذا ولكن منك يخرج لي الذي يملك على اسرائيل » . اماَّ متى فيقول : « لستِ صغيرةً في رؤساء يهوذا » . فبين كلام ميخا السلبي وكلام متى الايجابيّ تناقض . اماَّ الامر الثاني فهو انَّ متى أطلق هذه النبوَّة على المسيح مجاَّنًا بدون ادنى حجَّة ولا قرينة . فاذا فنَّدنا هذين الاعتراضين ثبتت قضيَّتنا

١ لا تناقض بين نصّ آية النبي ميخا وروايتها في انجيل متَّى

يسوغ لنا ان نلاحظ قبل جوابنا على هذا الاعتراض بأنَّ متى لم يثبت آية ميخا النبيّ في انجيلهِ عن لسانهِ بل عن لسان الكهنة والكتبة كما يتضح من قولهِ عنهم : « فقالوا لهُ » . فان وُجد اذن بين قولهم وقول النبيّ ميخا خلاف فهم المؤاخذون بذلك لا متَّى . وكما انَّ ناقل الكفر ليس بكافر فبأولى حجَّة لا يُسأل ناقل الغلط بغلطهِ . هذا ولو انصف المعترض لرأى في ذلك برهانًا جديدًا على صدق متَّى وخلوّهِ من الاغراض لأنهُ لمَّا كان في وسعهِ ان يصلح قول الكتبة والكهنة ويرجعهُ الى اصلهِ بكل سهولة فيسلم من غائلة الاعتراض آثر ان يوردهُ على صحّتهِ بالتدقيق دون ان يكترث لما من

شأنهِ ان يجلب عليهِ التثريب والملامة. فأي دليل اوضح على أنهُ لم يخفْ لومة لائم وانهُ مطمئن البال مستوثق بعروة الحقّ

على اننا مع ذلك لا نتردَّد في القول بانهُ لا خلاف بين رواية متَّى وآية النبي ميخا سوى ان رؤساء الكهنة والكتبة لم يرووا نصّ النبي بحرفهِ بل بموجب المعنى الذي يُتحصَّل منهُ. وليس في ذلك تناقض البتَّة لاسيَّما اذا اعتبرنا انَّ هذه عادة جارية عند علماء اليهود كما ترى في ترجومهم عينهِ فهناك عدَّة تأويلات تُلخَّص بها آيات الكتاب المقدَّس على نحو ما ورد في فصل متَّى الرسول الذي نحن في صددهِ. ولا غرو لانَّ المقصود من آيات الاسفار الالهيَّة ليس هو لفظها المادّي بل معناها المحتوي على كلام الله. قال القديس اوغسطينوس (في الكتاب الثاني من موافقة الاناجيل ١٢ : ٢٨) : « لا يجب ان نعتبر في الفاظ الانجيل الّا المقصد الذي جُعلت هذه الالفاظ كواسطة للتعبير عنهُ. فاننا لا نكذّب من نقل معنى كلامٍ سمعهُ وان لم ينقلهُ بعين الالفاظ المقول بها. والّا اضحينا عبيد الالفاظ كأن الحقّ مقيَّد ببعض الحركات والحروف. فالصواب يطلب ان نتتبَّع المقصد ليس فقط في الالفاظ بل وفي جميع علامات النفس ». نعم ما قال اوغسطينوس ومن ثمَّ فها نحن نثبت انهُ ليس من فرق بين قول الكهنة والكتبة وقول النبي ميخا

اعلم انَّ قصد النبي هو هذا: « انت صغيرة بالحقيقة يا بيت لحم في قرى يهوذا ولكن لانَّ مدبّر شعب اسرائيل سيخرج منك فلست بصغيرة بل تفوقين جميع المدن مهما كانت كبيرة وعامرةً ». فهذا المعنى عينهُ قد عبَّر عنهُ الكتبة والشيوخ في قولهم: « وانت يا بيت لحم يهوذا لستِ بصغيرة لأنهُ منك يخرج المدبّر » فستحوز هذه البلدة شرفًا لا مزيد عليهِ لانَّ رئيسها يحظى بمقام سامٍ بين رؤساء ألوف يهوذا (طالع سفر الخروج ١٨ : ٢١ والعدد ١ : ١٦ والقضاة ٦ : ١٥) وعليهِ فمهما كانت بيت لحم صغيرة في ذاتها يحقّ لها ان ترفع رأسها فوق جميع مدن العالم لانها ستكون مسقط رأس المسيح الذي هو رجاء سائر الشعوب

فترى من ثمَّ ان الكهنة والكتبة قد اوردوا المعنى المستخلص من آية النبيّ والفرق بينهم وبين ميخا انَّ النبيّ لم يصرّح بالنتيجة بينما هم صرَّحوا بها علانية. فليحكم القارئ المنصف ان كان تناقض في ذلك مطلقًا

٢ بكل صواب اطلق القديس متّى آية النبي ميخا على المسيح

فبعد هذه التوطئة يمكننا ان نثبت انّ القديس متّى اصاب اذ اطلق هذه النبوّة على المسيح . ولنا في ذلك سبعة براهين

١ برهاننا الاول تقليد اليهود — وهو يظهر بديهيًّا من جواب رؤساء الكهنة وكتبة الشعب الوارد هنا . فلعمري لو لم يكن شائعًا عند اليهود في تقليد ذلك الزمان انّ نبوّة ميخا تدلّ على مكان ولادة المسيح لما امكن هؤلاء ان يستشهدوا بها على الفور لمّا سألهم هيرودس: اين يولد المسيح . وزد على ذلك انّ اليهود معاصري القديس متى لو لم يكن هذا يقينهم لانكروا عليهِ حتى آية ميخا فضلًا عن اختصاصها بالمسيح

وممَّا يؤيد قولنا شهادةُ الترجوم الكلداني الذي يعتبرهُ اليهود اي اعتبار وفيهِ جاء شرح آية ميخا كما ترى: « منكِ يخرج امامي المسيح ليباشر السلطة في اسرائيل ». والتقليد المسيحي موافق لتقليد اليهود تمامًا كما لا يخفى ونستغني بشهادة مار افرام لسان مشرقنا حيث قال: « ان النبيّ يشير بهذه الآية الى ولادة الرب بحسب الجسد الذي من البتول في بيت لحم افراثة »

٢ البرهان الثاني من كون كلام ميخا النبيّ يطلق على شخص يكون انسانًا وإلهًا معًا ولمَّا كان ذلك خاصًّا بالمسيح وحدهُ ينتج انّ النبوّة هي عن المسيح

وأنَّ آية ميخا تدلّ على شخص هو انسان ذلك لا يحتاج الى بحث طويل لان في سياق كلامهِ ما يدلّ على الولادة البشريَّة حيث قال (٥ : ٣) : « لذلك يتركهم الى حين تلد الوالدة فترجع بقيَّة اخوتهِ الى بني اسرائيل ويقف ويرعى بعزَّة الرب الخ » فذكرهُ الولادة والاخوة يدلّ بلا مراء على بشريَّة المولود وانهُ انسان حقيقيّ

امَّا كونهُ الهٌ حقيقي ايضًا فاشار اليهِ النبي في العدد السابق حيث قال عن المولود المذكور: « وخروجهُ منذ القديم منذ ايام الازل » كأنَّ النبي يقول: ان المدبّر الذي اتنبَّأ عن مولدهِ في بيت لحم ليس مبدأ حياتهِ من هذه البلدة بل لهُ ولادة أُخرى ازليَّة قبل الزمان . قال مار افرام: « لم يقل (النبيّ) انهُ منكِ « يصير » بل « منكِ يخرج » خروجًا بالجسد وامَّا من حيث هو إله منذ الازل فليس خروجهُ منكِ وانَّما صدورهُ من اللاهوت منذ القديم ومنك هو واحد » . وهذا القول يوافق ما جاء في سفر الامثال (٨ : ٢٨) عن ولادة الحكمة الازليَّة المكنى بها عن ابن الله في حضن ابيهِ حيث قال: الرب اقتناني

(اي اولدني) في بدء طرقهِ . . من الازل مُسحتُ . . . ولدتُ حين لم تكن الغمار (١»

واعلم ان الاصل العبراني لا يروي « خروجهُ » بالمفرد بل « مخارجهُ » كما ترى في ترجمة الاباء اليسوعيين . وقد رأى المفسرون في استعمالهِ صيغة الجمع سرًّا فيدلُّ بذلك على ان الابن يصدر من الاب على الدوام بولادة متواصلة وتدوم الى الابد بلا انقطاع طبقًا لما ورد في انجيل يوحنا « في البدء كان الكلمة . . . وهذا كان قديمًا عند الله . ولا تقل انَّ النبيّ لم يقصد ذلك لانَّ سامعيهِ لم يمكنهم ان يدركوا شيئًا من هذه المعاني السامية . أجبنا انَّ غيرهُ من الانبياء كانوا سبقوهُ الى مثل ذلك ووصفوا المسيح المقبل بالطبيعة الالهيَّة كما ترى في المزمور الثاني حيث يقول الله للمسيح : « انت ابني وانا اليوم ولدتك » . وفي المزمور ٤٤ : « عَرشُكَ يا الله الى دهر الداهرين . . من اجل ذلك مسحك الله » فترى هنا ان الماسح هو الله والمسيح المخاطب هو الله ايضًا وعرشهُ ثابت الى دهر الداهرين (وقس عليهِ المزمور ١٠٩ : ٣)

ولعلَّ نبوَّة اشعيا (٩ : ٦) هي اوضح ممَّا تقدَّم قال : « قد وُلِد لنا ولد . أُعطي لنا ابنٌ وتكون الرئاسة على كتفهِ ويدعى اسمهُ عجيبًا مشيرًا الاهًا قادرًا أبا الابد رئيس السلام » . ولهذه الآية شأن عظيم فاذا قابلها احد مع آية ميخا لا يشك في انَّها اختها . فالصبي الذي « وُلد لنا » في اشعيا هو « المولود في بيت لحم » في ميخا . والذي ستكون لهُ الرئاسة في اشعيا هو « المدبّر » في ميخا . والذي يدعى « إلهًا قديرًا (אל גבור وهو في التوراة اسم مخصوص بطبيعة اللاهوت) ابا الابدية رئيس السلام » في اشعيا هو ذاك الذي « خروجهُ من القديم منذ ايَّام الازل ملك السلام » في ميخا . ومن كانت هذه صفاتهُ هو انسان والهٌ معًا وما هذا الَّا المسيح الذي دعاهُ اشعيا « عمانوئيل ملك السلام

١) ومن هنا يظهر بطلان اعتراض من زعموا ان اللفظة العبرانيَّة (יצא) لا يلزم منها فهم الولادة — فنجيب انَّ معناها الخروج بالعموم وانَّما كثيرًا ما أتت بمعنى الخروج بالولادة (طالع سفر التكوين ١٧ : ٦ و ٢٥ : ١١ والخروج ٢١ : ٢٢ والملوك الثاني ٧ : ١٢ الخ) . امَّا دلالة هذا الفعل هنا على الولادة فتظهر من سياق كلام النبي اذ جعل علاقة بين خروج مدبّر اسرائيل من بيت لحم بعد ضيقة شعب الله و (بين) ولادة الوالدة فربط بين القولين باللام السببيَّة فقال : « لذلك يتركهم الى حين تلد الوالدة » فتعيَّن اذن معنى الخروج للولادة . وزد على ذلك انَّ النبيّ ذكر في العدد ذاتهِ ولادة هذا المدبّر السمويَّة كما ترى فيلزم اذن انَّ المراد بالخروج في الفقرة الاولى ولادتهُ الارضية

الذي سيجلس على كرسي داود الى الابد» . وبهذا يبطل زعم بعض المفسرين الذين شرحوا هذه المخارج الازليَّة بقدم الاصل والنسب الشريف وهو قول باطل لان عائلة داود وسبط يهوذا ليسا باقدم من سائر الاسباط

٣ البرهان الثالث على انَّ هذه النبوَّة تشير الى المسيح هو ان الوالدة التي ذكرها ميخا في آيته هي ام المسيح . اعني انها العذراء (העלמה) التي قال عنها اشعيا انها ستلد ابناً وتدعو اسمهُ يسوع (راجع مقالتنا عن هذه النبوَّة في المشرق ٣ : ١١٠٥).فاذا قابلنا آية ميخا مع آية اشعيا ظهر ذلك ظهور الشمس . واوَّلًا يقول ميخا ان هذه الولادة ستكون علة خيرات وسعد عظيم وهكذا في اشعيا ستكون ولادة عمانوئيل من « العلمه» عربون النجاة والفلاح . ثانياً لان الكلام في كلتا الآيتين عن والدةٍ معهودة تلد شخصاً معروفاً يكون مدبّر اسرائيل وراعيهُ ومخلّصهُ من الضيق . فالمراد اذن بالوالدة العذراء ام المسيح . قال مار افرام: قولهُ " يتركهم الى حين تلد الوالدة » معناهُ انَّ الله يسلّمهم الى الضيق والبلاء الى زمان ولادة البتول

وان اعترض علينا احد بانَّ بعض المفسرين فهموا بالوالدة المذكورة في ميخا الكنيسة وغيرهم جماعة الامم وغيرهم ايضاً بابل عند اطلاقها سبيل اسرائيل من الاسر.اجبنا انَّهُ لا الكنيسة ولا جماعة الامم ولا بابل يمكنها ان تُدعى والدة على الاطلاق الّا اذا دلَّ على ذلك سياق الكلام . وفي هذه الآية لا ذكر لهؤلاء البتَّة . وكذلك لا يراد بالوالدة صهيون كما زعم البعض وقد جاء ذكرها في الفصل السابق لانَّ النبي قد ذكر ان المولود مدبّر اسرائيل يخرج من بيت لحم فكيف يناقض نفسهُ بنفسهِ . وان قيل اراد بصهيون عموم شعب اسرائيل انتقض معنى الآية فصار كما ترى : يترك الله شعب اسرائيل حتى تلد صهيون اي شعب اسرائيل . وهذا هذرٌ لا معنًى لهُ . فصحَّ اذن انَّ الوالدة المذكورة في هذه النبوّة هي ام المسيح ومولودها هو عمانوئيل الملك ومدبّر اسرائيل

٤ البرهان الرابع على دلالة هذه الآية على المسيح انَّ المولود في بيت لحم الذي ذكرهُ ميخا سوف يجمع شتات الشعب الاسرائيلي وهو امر خاص بالمسيح — اعلم انَّ ميخا بعد قولهِ انَّ الله يترك شعبهُ الى الزمان الذي فيهِ تلد الوالدة ذلك المدبر في اسرائيل اردف قائلًا: « فترجع بقيّة اخوتهِ الى بني اسرائيل » يريد بذلك انَّ هذا المدّبر يجمع شتات بني اسرائيل وما تفرّق من الأمة اليهوديَّة الى شعب واحد وهو امر مختص

بالمسيح كما هو ثابت في تقليد اليهود منذ القديم الى يومنا هـذا فتراهم ينتظرون المسيح ليجمعهم من اربع اقطار المسكونة ويضمّهم الى واحد. وهكذا ورد في اسفار الانبياء. قال حزقيال (٣٤: ١٣) عن لسان الرب يكلّم بني اسرائيل تحت استعارة الغنم « وأُخرجهنَّ من الشعوب واجمعهنَّ من الاراضي . . . وارعاهنَّ في جبال اسرائيل » ثمَّ دلَّ على راعيهنَّ المسيح بقولهِ (ع ٢٣): « واقيم عليهـا راعياً واحداً فيرعاها داود عبدي . . وانا الرب اكون لهم إلهاً وعبدي داود يكون في وسطهم رئيساً » (طالع ايضاً الفصل ٣٧ ع ١٦). وكذا في نبوّة ارميا (٣: ١٧—١٨) وبقيّة الانبياء . . ويوافقهم المسيح في الانجيل حيث قال (متّى ١٥: ٢٤): « لم أُرسَل الّا الى الخراف التي ضلّت من بيت اسرائيل ». ولا يخفى انَّ بشارة الانجيـل كانت معدَّة لليهود اولًا ومنهم كان اول المسيحيين ولمّا رفضوا البشارة انتقلت منهم الى الامم (طالع اعمال الرسل ١٤: ٤٦)

٥ البرهان الخامس على انَّ هذه الآية قيلت في المسيح كونهـا تدلّ على خاصة اخرى من خواصّ المسيح وهي أنَّهُ الراعي الصالح الموعود بهِ في العهد القديم — قال النبيّ ميخا عن مدبر اسرائيل المولود في بيت اللحم (ع ٤): « ويقف ويرعى بعزَّة الرب وبعظمة اسم الرب إلههِ » اعني انهُ بعد جمعهِ غنمهُ في حظيرة واحدة يتولى بنفسهِ قيادتها كالراعي المتيقّظ الحازم ويُرتعها في اخصب المراعي ويذبّ عنها العدوّ وبما انهُ متسلّح بعزَّة الرب واسمهِ العظيم فلا يمكن ان تتلف غنمة من قطيعهِ — والحال انَّ هذه الرعاية الصالحة تنطبق مع ما جاء عن المسيح في الانبياء كما رأيت في آية حزقيـال السابق ذكرها. وكذلك في اشعيـا (٤٠: ١٠ — ١١): هوذا السيّد الرب يأتي بقوة . . . يرعى قطيعهُ كالراعي يجمع الحملان بذراعهِ ويحملها بحضنهِ ». ومثل هذا كثير في الانبياء حتى انهُ كان شائعاً عندهم بل في معتقد جميع اليهود انَّ الراعي كناية عن الملك العادل الحكيم البار اي المسيح المخلّص. وقد حقق المسيح في نفسهِ هـذا الامر حيث قال (يوحنا ١٠: ١١): انا الراعي الصالح. الراعي الصالح يبـذل نفسهُ دون خرافهِ ». وقال الملاك لمريم (لوقا ١: ٣٢): « وسيعطيـهِ الرب الاله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد »

٦ البرهـان السادس يؤخذ من كون المولود في بيت لحم مزمعاً ان يذيع وينشر مجـد الله بين الامم. وذلك ايضاً من خواصّ المسيح — قال ميخا بعد ذكره راعي

اسرائيل (ع ٤): « حينئذٍ يتعاظم (الله) الى اقاصي الارض » والمعنى انَّ الله سيكون معروفًا ومعبودًا بين شعوب الارض والامم كلها بواسطة هذا المدبّر المولود في بيت لحم. ولا يجهل احد ان ترجيع الامم الى معرفة الله من خواص المسيح بل هي قاعدة مطَّردة في تفسير العهد القديم ان كل ما يدلّ على نشر الديانة الحقيقيَّة خارجًا عن تخوم اليهودية والشعب الاسرائيلي يشير الى مجيء المسيح والغاء العهد القديم المحصور في امَّةٍ واحدة وكان الله وعد ابراهيم بذلك حيث قال لهُ: « لا كثرنَّ شعبك كرمل البحر وبزرعك (اي المسيح المولود من ذرّيتك) تتبارك جميع قبائل الارض ». وفي الانبياء شواهد لا تحصى على ذلك. قال اشعيا (٤٩: ٥–٦) عن لسانهِ تعالى للمسيح: « قال الربّ الذي جبلني من البطن عبدًا لهُ لأردَّ يعقوب اليهِ... قليل ان تكون لي عبدًا لتقيم اسباط يعقوب... اني قد جعلتك نورًا للامم لتكون خلاصي الى اقاصي الارض » — و يوافقهُ ما جاء في العهد الجديد (يوحنا ١١: ٥١–٥٢): « تنبأ (قيافا) ان يسوع كان مزمعًا ان يموت عن الأمَّة. وليس عن الأمَّة فقط بل ليجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد ». ولذلك ارسل الرب تلاميذهُ ليبشروا في العالم اجمع ويعلّموا كل الامم طريق الخلاص

٧ البرهان الاخير على اختصاص هذه النبوَّة بالمسيح انها تدلّ على صفة أخرى من صفات المسيح المفرزة لهُ وهي كونهُ ملك السلام — قال ميخا (ع٥): « ويكون هذا سلامًا » وفي الآية السابقة قال عن بني اسرائيل « وسيكونون ساكنين » فالسكون هو مرادف للراحة والطمأنينة فيكون المعنى ان شعب الله سيحصل على السلم والراحة من اعدائهِ تحت رعاية هذا الراعي الصالح وملك السلام. وفي قولهِ « سيكون سلامًا » اشارة الى سليمان الملك الذي مثّل المسيح بالسلام (راجع المزمور ٧١) — امَّا كون السلام من خواص المسيح فهو اشهر من ان يحتاج الى برهان قال اشعيا النبي عن عمانوئيل (٩: ٦–٧): « ودعي اسمهُ... رئيس السلام لنموّ الرئاسة ولسلامٍ لا انقضاء لهُ ». وقد وصف ميخا (٤: ١) هذا السلام بتفصيل قال: « ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يوطَّد في رأس الجبال... ويجتمع اليهِ امم كثيرون ويقولون هلموا نصعد الى... بيت اله يعقوب وهو يعلمنا طرقهُ... ويحكم بين الشعوب... ولا ترفع امَّةٌ على امَّةٍ سيفًا ولا يتعلّمون الحرب من بَعد الخ ». وكل هذه اوصاف السلم (١

١) وفي الفصل الذي نحن بصددهِ اشارة أُخرى الى هذا السلام حيث قال ميخا (٥: ٥):

فهذه البراهين كلها كما ترى لا تُبقي ادنى شكّ في انّ القديس متى اصاب في انجيلهِ اذ اطلق بعد رؤساء الكهنة والكتبة هـذه النبوّة على المسيح ويجوز بل ينبغي لنا ان نستشهد بها على صحّة اعتقادنا (١

مطبوعات شرقية جديدة

Le temple de Vénus a Afka

par le Dr Jules Rouvier, Paris 1900, *pp.* 35

هيكل الزهرة في افقا

ان المولعين بتاريخ اصقاعنا السوريّة لا يسعهم الّا الثناء على من يستنفدون ما لديهم من القوى في اوقات الفراغ للبحث عن عاديات بلادنا وكشف النقاب عن

« واذا أتى اشور ارضنا . . . نقيم عليهِ سبعة رعاة وثمانيـة امراء » فدلّ بذلك على الامان الذي ينتشر في ايّام المسيح الذي لا يبطلهُ عدوّ مهما كان قويًّا . وقد كنّى عن هذا العدوّ باشّور لانّهُ كان وقتئـذٍ من الدّ اعداء شعب الله . وذكرهُ للسبعة الرعاة والثمانية الامراء كناية عن وفرة الوسائط لدفع العدوّ وكسر شوكتهِ . وعدد السبعة في الكتاب دلالة على الكثرة والقوّة فاذا أُضيف اليهِ واحد رمز عن عدد لا يُحصى

١) ومن الاراء المخالفـة لرأي آباء الكنيسة اجمالاً قولٌ ذهب اليهِ تاودورس المصيصي احد المتشيّعين لآريو فانهُ زعم انّ نبوّة ميخا المذكورة هي عن زَرُبّابل . وكذا ارتأى ابن العـبري اليعقوبي انّ معناها الحرفي عن زربّابل والمعنى الروحي عن المسيح وكلاهما في ضلال مبين والصواب انّ معنى هـذه النبوّة الاول عن المسيح وعنهُ فقط . ولا يمكن مطلقًا ان تُطلق على زربّابل لانّ زربّابل لم يولد في بيت لحم بل في بابل وقت الجلاء كما هو معلوم ويظهر ذلك من اسمهِ الذي معناهُ « زرع بابل » . وعبثًا يحتج المعـترض بقولهِ : « انّ زربابل من ذريّة داود فيُحسب بذلك كانهُ مولود في بابل » . لانّهُ اولاً لا يقال عن رجل انّ مولدهُ في مصر ان كان احد اجداده وُلد فيها . ثانيًا ان سلّمنا بذلك كيف تصح بقيّة النبوّة عن زربّابل . هل يا ترى يصحُّ ان يقال فيهِ « انّ مخارجهُ من القديم منـذ الازل » وان تدعى والدتهُ « الوالدة » على سبيل التخصيص والعهد . واين يُقرأ عنهُ انّهُ « رجّع شعب اسرائيـل الى اخوتهِ » وانهُ « اذاع مجد الله بين الامم حتّى اقاصي الارض » وأيُّ سلام ملك في زمانهِ ليدعى « ملك السـلام » . . . فهيهات اذن ان يقال انّ هـذه النبوّة كانت عن زربّابل وكلّ ما يمكن ان نسلم بهِ ان زربّابل كان رمزًا شخصيًّا عن المسيح لمّا عاد بني اسرائيل من الجلاء الى اورشليم . وذلك لا يؤخذ من منطوق هذه النبوّة بل من باب آخر

مشكلات تواريخنا المبهمة. ومنهم الدكتور جول روڤيه الذي يتحفنا المرَّة بعد المرَّة بكتشفاته العلميَّة فتزين بذكرها صفحات المشرق. والطرفة التي نفيد قراءنا عنها اليوم مقالة له مطوَّلة بالفرنسيَّة عن اخربة افقا في لبنان. ومن تصفَّح هذه النبذة المستملحة تبيَّن ما لصاحبها من دقة النظر والمعارف الجمَّة فتراهُ وقف على عدَّة فوائد جديدة فاتت المؤلفين السابقين الذين كتبوا في هذا الصدد. وقد استعان ببعض النصوص التاريخيَّة القديمة وخصوصاً بفحص النقود العاديَّة التي لهُ بمعرفتها اليد الطولى فاستخلص من ذلك ما يزيدنا علماً بأصل هيكل افقا الشهير ومدَّة دوامهِ وزمن خرابهِ. ولعلَّ بعض هذه النتائج المبنيَّة على المسكوكات القديمة يناظرهُ في صحَّتها علماء العاديَّات كما انهم يستريبون بما كتبهُ جناب المؤلف عن موقع بحيرة افقا المقدَّسة. وعلى كل حال لا نظنّ ان احداً منهم ينكر عليهِ ما اوضحهُ باجلى بيان عن خراب هيكل افقا النهائيّ اعني سقوطهُ لزلزلة حدثت في القسم الآخر من القرن السادس للميلاد. وممَّا اعجبنا في هذه المقالة الجليلة العوائد ما رواهُ الدكتور روڤيه عن تعبُّد العامَّة في ايَّامنا لبعض ينابيع العيون يحرقون فيها البخور ويضيئون لها الشمع ويتوسلون بمياهها لشفاء عللهم وهلمَّ جرًّا

Der Islamische Orient
von M. Hartmann, Berlin, 1900 p. 102
الشرق الاسلامي

سبق ذكرنا لمجلة الابحاث الشرقيَّة التي انشأها الاستاذ المتفنن المسيو مرتين هرتمن وقد اطَّلعنا على القسمين الثاني والثالث من هذا المجموع المفيد فوجدناهما يدوران على مواضيع ذات شأن عظيم في عهدنا كالصين وعدد المسلمين فيها وما لهم هناك من النفوذ مع نبذة من تاريخهم القديم والحديث الى غير ذلك من التفاصيل المفيدة والملاحظات الدقيقة. وكنا وددنا لو صان المؤلف نفسهُ عن بعض التعابير التي تبخس المرسلين حقوقهم ولا نراها صحيحةً البتَّة ه. ل

شذرات

حلّ اللغز الرياضي الوارد في المشرق ٤ : ٤٣٠ قد حلَّ هذا اللغز حسابيًّا كثيرون من قرائنا هذه اسماؤهم على حسب تاريخ ورود الحلّ الخواجات

اسكندر ابراهيم طراد وانطون مسابكي ويوسف مشحور وانطانيوس قشقجي والابوان الفاضلان الخوري جبرائيل رزق مرهج والقس طوبيًا مبارك الرشماني اللبناني — واحسن جواب بلغنا حسابيًا كان او جبريًا هو لحضرة الاب الرياضيّ الفاضل الخوري جبرائيل رزق مرهج نثبتهُ على لفظهِ لفوائدهِ :

جوهر السؤال يعود الى هذا : ما معدودٌ لسبعة اذا قُسم على ٢ او ٣ الخ حتَّى ٦ يبقى واحد؟ فينتج انهُ اذا حذف هذا الباقي اي واحد يكون ما يبقى من العدد قابلًا للانقسام على ٢ و ٣ الخ حتَّى ٦ او على حاصلها ٢×٣×٠٠×٦ وباولى حجة على معدودها الاصغر ٢×٥×٦=٦٠ ولكنَّهُ اذا قسم على ٧ يبقى ٦ فلنرَ اي عدد نبني بهذه الشروط الاخيرة لانهُ اذا تعيَّن يكفي ان يضاف اليهِ واحد تعيينًا للعدد الاصلي . بما ان الباقي من قسمة المعدود الاصغر ٦٠ على ٧ انما هو ٤ لا ٦ فلا يصلح ان يكون هو العدد المجهول لكن لا بدَّ ان يكون من اضلاعهِ ولا يمكن ان يكون من اضلاعهِ ايضًا ٧ او احد معدوداتها لانهُ لولا ذلك لقبل الانقسام عليها وكان الباقي صفرًا لا ٦ حسب الشرط الاخير وقصارى الكلام ان العدد المجهول مركَّب من ضلعين احدهما ٦٠ والاخر مجهول يجب تحديده بنوع ان الحاصل اذا قسم على ٧ يبقى ٦ لا ٤ ولذلك نلاحظ ان ٦٠ مركَّب من قسمين احدهما ٥٦ معدود لسبعة ولا يزال كذلك مهما كان الضلع المجهول والاخر ٤ اوَّليٌّ بالنسبة اليها ولا بد اذًا ان يكون الباقي متأتيًا من حاصل الضلع المجهول بالقسم الثاني اي ٤ لا غير . وبهذه الملاحظة تتسهل المسألة ويكفي تعيين هذا الحاصل وقسمتهُ على ٤ فيخرج الضلع المجهول . بقي اذًا ان نجد معدودًا لاربعة اذا قُسم على ٧ يبقى ٦ او بعبارة اخرى اذا حذف منهُ ٦ كان الباقي معدودًا لسبعة . فمعدود اربعة المطلوب مركَّب اذًا من جزئين الاول ٦ والاخر مجهول معدود لسبعة ومجموع الجزئين معدود لاربعة وبما ان الباقي من قسمة ٦ على ٤ هو ٢ فيجب ان يبقى ٤−٢=٢ من قسمة الجزء الثاني على ٤ فهو اذًا ايُّ معدود كان لسبعة بشرط ان يكون شفعًا غير قابل الانقسام على ٤ . ومن هذا يظهر ان للمسألة جوابات لا يحصى عددها . واذا قدَّرنا اصغر معدود لسبعة بموجب الشرط الاخير اي ٢×٧=١٤ كان معدود ٤ المطلوب ١٤+٦ = ٢٠ وهو المتأتي عنهُ الباقي . فالضلع المجهول يكون حسبما تقدّم ٢٠/٤=٥ ومعدود سبعة الذي يعود اليهِ جوهر المسألة يكون (٥×٦٠) + ١ = ٣٠٠+١ = ٣٠١ وهو عدد الليرات . ولو قدَّرنا معدودًا آخر لسبعة مثلًا ٦×٧ = ٤٢ لكان معدود ٤ المطلوب ٤٢ + ٦ = ٤٨ والضلع المجهول ٤٨/٤ = ١٢ وعدد الليرات (١٢×٦٠) + ١ = ٧٢٠+١ = ٧٢١ وقس عليهِ الى ما لا نهاية لهُ

(الحلة الجبريَّة) لنفرض ان العدد المجهول هو كَ فيظهر من شروط المسألة انَّا اذا حذفنا منهُ واحدًا يكون الباقي معدودًا لمعدود ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ الاصغر اي ٦٠ فيستنتج اذًا من المسألة هذه المعادلات

(١ً) (كَ−١)/٦٠ = نَ (الحرف نَ دلالة على الخارج الصحيح حسب الشروط)

(٢ً) كَ/٧ = مَ (الحرف مَ دلالة على خارج كَ على ٧ وهو صحيح ايضًا)

(٣ً) بالجبر في (١ً) ومقابلة ك : ك = ٦٠ ن + ١

(٤ً) بالتعويض في (٢ً) عن ك بقيمتها في (٣ً) لنا بعد الجبر: ٦٠ ن + ١ = ٧ م

(٥ً) بمقابلة م والقسمة : م = $\frac{\text{٦٠ ن + ١}}{\text{٧}}$ = ٨ ن + $\frac{\text{٤ ن + ١}}{\text{٧}}$ ولكن بما ان م هو صحيح كما تقدم فيجب ان يكون الجزء الثاني من الخارج اي $\frac{\text{٤ ن + ١}}{\text{٧}}$ صحيحاً فلنعبر عنهُ بالحرف د فيكون لنا (٦ً) م = ٨ ن + د ثمَّ

(٧ً) ٤ ن + ١ = ٧ د

(٨ً) بمقابلة ن والقسمة : ن = $\frac{\text{٧ د − ١}}{\text{٤}}$ = د + $\frac{\text{٣ د − ١}}{\text{٤}}$ = د + دَ بالتعبير عن $\frac{\text{٣ د − ١}}{\text{٤}}$ بالحرف دَ دلالة على انهُ صحيح لان ن صحيح كما تقدَّم في (١ً)

(٩ً) يستنتج من (٨ً) $\frac{\text{٣ د − ١}}{\text{٤}}$ = دَ

(١٠ً) بالجبر ومقابلة د والقسم لنا د = $\frac{\text{٤ دَ + ١}}{\text{٣}}$ = دَ + دً بالتعبير عن $\frac{\text{دَ + ١}}{\text{٣}}$ بالحرف دً دلالة على انهُ صحيح لما تقدم شرحهُ

(١١ً) يستنتج من (١٠ً) دَ + ١ = ٣ دً

(١٢ً) بمقابلة دَ لنا دَ = ٣ دً − ١

(١٣ً) بالتعويض في (١٠ً) عن دَ بقيمتها في (١٢ً) لنا د = ٣ دً − ١ + دً = ٤ دً − ١

(١٤ً) بالتعويض في (٨ً) عن د دَ بقيمتيهما في (١٣) و (١٢) لنا: ن = ٤ دً − ١ + ٣ دً − ١ = ٧ دً − ٢

(١٥ً) بالتعويض في (٣) عن ن بقيمتها في ١٤ لنا: ك = ٦٠ (٧ دً − ٢) + ١ = ٤٢٠ دً − ١١٩ فيتضح من ذلك ان المسألة سيَّالة لها جوابات لا يحصى عـددها. وللحصول على اجوبة صحيحة ايجـابية يكفي ان نقدر للحرف دً ايَّ عدد صحيح ايجابيّ اردنا من ١ الى ما لا نهاية لهُ. واذا قدرنا :

دً = ١ ٢ ٣ ٤ ٥ الخ الى ما لا نهاية لهُ يكون لنا:

ك = ٣٠١ ٧٢١ ١١٤١ ١٥٦١ ١٩٨١ الخ الى ما لا نهاية لهُ

❧ معلومات وعدد الكاثوليك ❧ روت معلومات في عدديها الاخيرين « استاتيستيق » اي لائحة تتضمَّن اقسام الديانات الشائعة في المعمور مع

عدد تبعة كلّ منها نقلت ذلك عن مجلة « روو ده لسلام » فادَّعت ان عدد الكاثوليك في العالم ١٠٥,٠٠٠,٠٠٠ وهو لعمري عدد قليل لا يبلغ نصف عدد الكاثوليك. وقد بيَّن عدَّة كتبة مدققين في عهدنا نقلًا عن اضبط السالنامات الرسميَّة ان هذا العدد لا يقلّ عن ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ بل هو ازيد ايضًا ومجلة التمدن المسيحيّ المعروفة بتدقيقها وسعة علم كتبتها جعلت هذا العدد ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠

علماء الرهبان قرأنا في مجلات علميَّة ما اتاهُ بعض مشاهير الرهبان في السنة المنصرمة من الاعمال الشريفة. منهم حضرة الاب ا. ل. ديلاتر (Delattre) من الاباء البيض اكتشف في مدفن قرطاجنة القديمة عددًا لا يُحصى من العاديَّات كالتماثيل والدُّمى والحليّ الثمينة والكتابات وآلات الموسيقى واشياء اخرى كثيرة يرتقي عهدها الى تاريخ الفينيقيين الذين ابتنوا تلك المدينة الشهيرة — ومنهم الاب شيل (Scheil) الدومينيكيّ الشهير الذي ألَّف في السنة المنصرمة كتابًا جمع فيهِ ما وجدهُ من الكتابات الاشوريَّة القديمة في شوشن من اعمال العجم. وهذه الكتابات غاية في الاهميَّة اقدمها كُتبت في القرن السابع والثلاثين قبل المسيح للملك مَنستو إرلا. وبينها ايضًا كتابات عَيلميَّة للملك هَمُورابي معاصر ابراهيم الخليل يذكر فتوحاتهِ في بلاد فارس وغير ذلك من الاكتشافات الجليلة — ومنهم الاب ارلهْ (Ehrle) اليسوعيّ الذي تحفَّى بهِ العلماء في انكلترَّة والمانية ومنحوهُ عدَّة امتيازات للخدم الجليلة التي اداها للعلوم في المكتبة الواتيكانيَّة التي هو اكبر نظَّارها ومتولّي نشر نفائسها

اسئلة واجوبة

س سألنا المعلم الاديب حنَّا يوسف الخوري أيجوز للعامي اذا توفي احد السراة الافاضل ان يؤبّنهُ في الكنيسة

تأبين المتوفين

ج لا يسوغ للعوام ان يؤبّنوا احدًا في الكنيسة ١ً لانَّ التأبين الكنسي داخل في حيّز الخطب الدينيَّة والخطب الدينيَّة مخصوصة برجال الدين كما لا يخفى. ٢ً لانَّ الكنيسة هي المكان الرسميّ لاقامة الاسرار وارشاد المؤمنين. ولا يجوز لاحد ان

يُقيم الاسرار او يرشد المؤمنين الّا اذا فوّض اليهِ رؤساء الدين السلطة على ذلك بعد قبول الدرجات الكنسيَّة

س وسألنا حضرة الخوري الفاضل قسطنطين باشا ان نفيده عن زمان يحيى بن سعيد الانطاكي وتآليفهِ

يحيى بن سعيد الانطاكيّ

ج يحيى بن سعيد الانطاكيّ كان نسيباً لسعيد بن البطريق كما روى ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ٨٧) لهُ كتاب دعاهُ تاريخ الذيل لانهُ ذُيّل بهِ تاريخ نظم الجوهر لابن البطريق وبلّغهُ الى سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) وهذا التاريخ طُبع في بطرسبرغ سنة ١٨٨٣ مع ترجمة روسية وفهارس ولا نعرف كتاباً آخر ليحيى الانطاكي المذكور كما اننا نجهل سنة وفاته

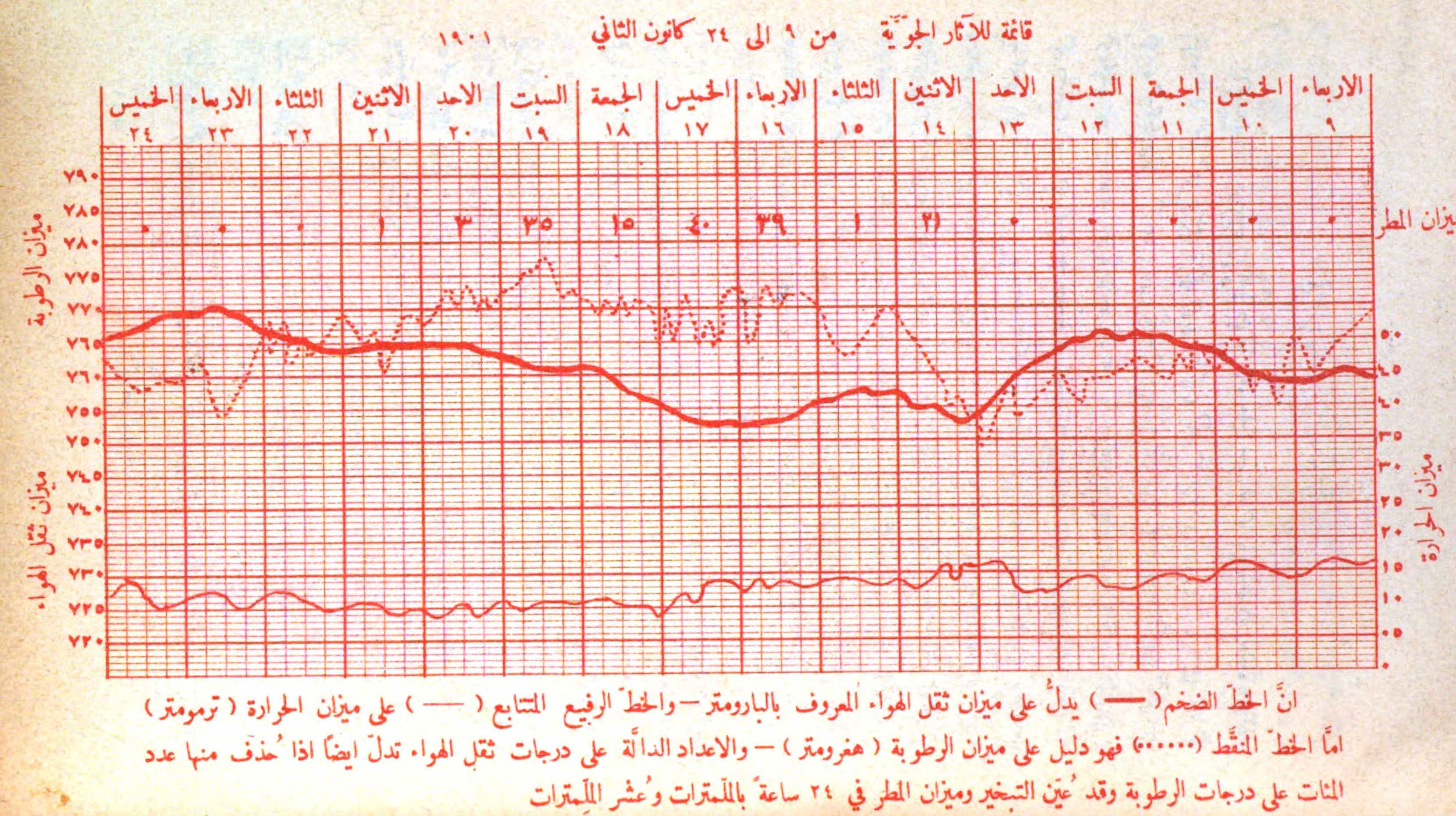
س وسألنا حضرة الاب لبّه اللعازري من عين طورا : ١° اين يوجد تاريخ صيدنايا . ٢° ماذا جرى لصورتها العجائبية . ٣° هل أُقيم عليها اساقفة كاثوليكيون بعد المطران ناوفيطوس . ٤° وهل للروم الارثذكس مطران على صيدنايا حالياً

صيدنايا وتاريخها وصورتها العجائبية

ج نجيب على (الاول) انهُ ليس لصيدنايا تاريخ خاصّ . الّا ان البشير في عددهِ ١١٨٧ (٢٤ تموز ١٨٩٥) قد جمع شيئاً من اخبارها . وللاب بوارهِ اليسوعي في كتابهِ « الاكليل المثلّث » نبذة في تاريخ صورتها العجائبيَّة . وكذلك للاب مرتينوس اليسوعي في اخبار معابد العذراء في لبنان . ونجيب على (الثاني) انَّ الروم الكاثوليك الملكيين يزعمون ان ناوفيطوس لمّا اضطرَّهُ اعداؤهُ الى الخروج من صيدنايا اخذ معهُ الصورة العجائبيَّة الى رومية . امّا الروم الاورثذكس فيدَّعون انها لا تزال في كنيستها محجوبةً عن العيان وانَّ الذي يحاول فتح الباب الحاجز دونها يصاب بشلل في يدهِ . ونجيب على (الثالث) اننا لا نعرف مطراناً كاثوليكيّاً اقيم على صيدنايا بعد ناوفيطس غير الخوري اندراوس الحلبي رسمهُ البطريرك كيرلّس طاناس سنة ١٧٣١ فدُعي اكليمنضوس وتوفي في دير القمر سنة ١٧٨٤ . ونجيب على (الرابع) ان الروم الارثذكس ليس لهم حالياً مطرانٌ مقيمٌ في صيدنايا بل لم نجد بينهم من يُعرف بمطران صيدنايا ل . ش



قائمة للآثار الجويّة من ٩ الى ٢٤ كانون الثاني ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



رواية ابن الاعرابي عُني بضبطهِ وتعليق حواشيهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان الاخطل بلغ طبقة لم يبلغها الّا القليلون من شعراء عصرهِ كجرير والفرزدق حتى قاسهُ اهل النقد والبصيرة بافلق شعراء الجاهلية . وكانت اوشكت يدُ الضياع ان تذهب بديوانهِ لولا نسخة جليلة حفظت في خزانة كتب بطرسبرج وهي التي تولى طبعها الاب صالحاني باكثر ما امكن من الاتقان وذيّلها بحواشٍ عديدة تزيل ما في الديوان من المشاكل اللغوية والتاريخية مع ذكر الروايات المختلفة التي وردت في كتب الادباء المطبوعة والخطيّة فجاء هذا الديوان كدرّةٍ فريدة ليس لها ثانٍ (قطع ٨ عدد صفحاته ٤٠٠)

	س	ف	قيمة البريد
تمّ طبع اربعة اجزاء كل جزء بغلاف		٥	٤٠

Le Diwan d'Alhtal.

Grand in-8°, 4 fasc. XIII — 400 pages, 1891-92.

Edité et enrichi de notes

par

Le P. A. Salhani S. J.

Si nous en croyons un célèbre critique musulman, il n'a manqué à Ahtal pour être le premier des poètes arabes que d'avoir vécu un seul jour avant l'apparition de l'Islam. Ce jugement est aussi flatteur pour le poète chrétien que pour l'époque injustement flétrie sous le nom de *barbarie* (*Gahilyiat*).

Malgré le mérite que suppose une pareille appréciation, confirmée par des Orientalistes de renom, le Diwan d'al-Ahtal était cependant devenu introuvable en Orient. Heureusement que la Bibl. de St. Pétersbourg en possédait un exemplaire de la plus haute importance avec un commentaire assez riche. Une copie de ce Ms. faite par le fameux R. Hassoun étant tombée entre les mains du P, Salhani, il crut faire œuvre agréable aux arabisants en l'éditant après l'avoir fait confronter sur l'original.

L'éditeur a joint au commentaire ancien dont le texte est enrichi, des notes grammaticales et historiques, et recueilli les vers épars çà et là en divers auteurs ou dans les anciens lexiques. Ce travail lui a fourni des variantes nombreuses, des additions importantes et a éclairci plusieurs difficultés.

La publication de ce *Diwân* et son exécution typographique ont valu à l'éditeur et à notre imprimerie de grands éloges. Il est en effet bien peu d'ouvrages orientaux publiés avec un pareil luxe, même en Europe.

Les tables de ce *Diwân* sont en préparation

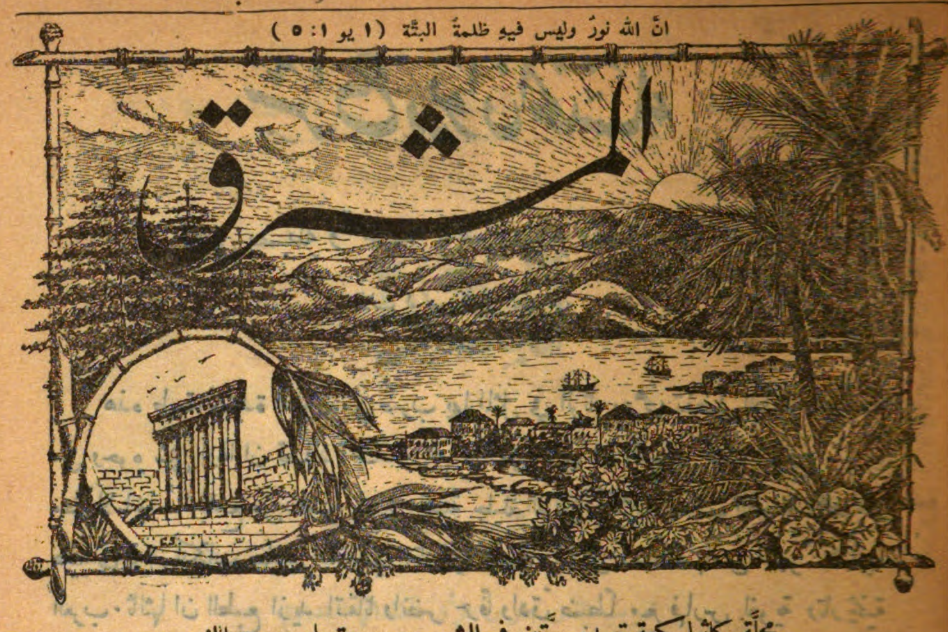
		Fr.	affr
Broché	chaque *fascicule*	5 »	0,40

وكلاء المشرق ومحلّات الاشتراك لسنة ١٩٠١

الاسكندرية	الخوري جرجس فرج صفير
الاسماعيلية	انطون افندي الخوري مطر
اوستراليا	الخوري يوسف الدحداح المرسل الماروني
البترون وقضاؤها	اسكندر افندي اسطفان المزرعاني « البترون »
البرازيل	الخوري يعقوب صليبا المرسل الماروني
شمالي البرازيل	يوسف افندي ف . ن ضاهر
بغداد	الاب انستاس الكرملي
بورسعيد	بطرس افندي الياس رابيل
بيروت	المطبعة الكاثوليكية
	كل اصحاب مكاتب بيروت نخصّ منهم بالذكر الافندية: خليل الخوري مدير المكتبة الجامعة . انطون كنعان مدير المكتبة الشاملة . موسى صفير مدير مكتبة المعارف . عبدو يني صاحب المكتبة السورية . سليم نصر صاحب المكتبة الادبية
جزين واقليمها	ابرهيم افندي ابي سمراء غانم « بكاسين »
حلب وولايتها	اومير افندي حكيم
حمص	الامير حافظ شهاب
دمشق الشام	الخواجه حبيب نعمة الله شارّ
دير القمر (المديرية)	مخائيل افندي عبد البستاني « دير القمر »
زحله	ايوب افندي صائغ
صيدا	توما افندي كيال
طرابلس الشام	المسيو نابوليون بيرو
طنطا	الخوري اثناسيوس دبس
العجم	القس افرام اسطيفان الكلداني « في سنا »
عكّار وجهاتهُ	ابرهيم افندي عبد الجليل في عندقت
القدس الشريف	ابرهيم افندي يزبك . الخوري يوحنا خليل في بطريركية اللاتين
كسروان	دير الاباء اليسوعيين « غزير »
لبنان (شماليهُ)	الخوري مخائيل عيسى الخوري « بشرّي »
لبنان (مركز المتصرفية)	محمد افندي ابي عزّ الدين « في بتدين او بعبدا »
ماردين	الخوري افرام احمر دقنه
المتن	ناصيف افندي الرغرغي « بكفيا »
مصر (القاهرة)	امين افندي هندية في مكتبتهِ
المنصوره	القس جرجس الرزي
الموصل	القس بطرس نصري
مونتيفيديو	الخواجا اسكندر صافي
الولايات المتحدة	الخوري يوسف يزبك

175

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كليّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 4 (15 Février 1901

فهرس العدد ٤

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

شرح ديوان الخنساء

اعتنى بضبطهِ وتصحيحهِ وجمع رواياتهِ وتعليق حواشيهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

هذه طبعة جديدة لديوان من ضُرب بها المثل في الرثاء. وهي تفضل الطبعة السابقة من وجوهٍ شتى اولها ان قصائد الخنساء اتمّ واكمل. ثانيها ان الديوان كلهُ مشروح شرحاً مطوّلاً اخذهُ الجامع من خمس نسخ قديمة جليلة الفائدة كثيرة النكت اللغوية واضاف عليهِ في ذيل الكتاب تفاسير جمة ادبية وتاريخية وجغرافية نقل قسماً منها عن اشهر كتّاب العرب. ثالثها ان الطبع ازيد اتقاناً وانضر حرفاً وادقّ ضبطاً مع فهارس لغوية وتاريخية

(قطع ٨ عدد صفحاته ٣٨٨)	س	ف	قيمة البريد
بغلاف		٧	٨٠
بنصف قماش	٨٠	٧	

Commentaires sur le diwân d'al-Hansâ.

Édités pour la 1re fois et complétés par le P. L. Cheikho S. J.

Édition critique avec Supplément et Tables,
in-8°, XXVIII-388 pages, 1895-1896.

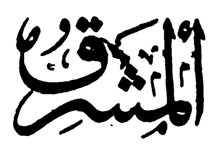
La douleur d'*al-Hansâ'* sur ses deux frères *Sahr* et *Mu'âwiah* tués dans des *razzias*, a passé en proverbe parmi les Arabes. Une centaine d'élégies, inspirées par ces événements mémorables et conservées jusqu'à nous, ont fait ratifier le jugement des contemporains en assurant à *Hansâ'* le premier rang parmi les poètes élégiaques.

Ces poésies recueillies en un *Diwân* ont été publiées chez nous il y a quelques années. Mais l'éditeur n'avait alors à sa disposition qu'un seul Manuscrit convenable pour faire ce travail. Ayant trouvé quatre autres Manuscrits au Caire et à Berlin, il en a profité pour donner une *édition critique* de cet ouvrage, accompagné d'un commentaire perpétuel sur le texte. Ce commentaire est en grande partie l'œuvre d'anciens scoliastes rapportés dans les Mss. sus-mentionnés, en particulier celui du Caire (م) ; le reste est de l'éditeur.

Dans un **Supplément** de 120 pages, l'éditeur a ajouté des notes additionnelles, des variantes et des gloses d'un nouveau Manuscrit trouvé à Mossoul enfin neuf belles **Tables** : philologique, géographique, littéraire, etc.

	Fr.	affr.
Broché.	7 »	0, 80
Cartonné, ...	7,80	

174



اللفوف الهندية

تعريب القس بطرس عزُّو الكلداني البغدادي

انَّ من سرَّح طائر بصره في بلاد الشرق يرى فيها من غرائب الامور ما لا يراهُ في غيرها من انحاء المعمور. ولعلَّ الاصقاع الهنديَّة وحدها تشتمل على ما يقضي بالعجب العجاب. فانَّ فيها من العادات المألوفة ما تحتار لهُ الألباب

وممَّا قد تميَّزت بهِ تلك البلاد طبقات اهلها التي دعاها الفرنج باسم كَست (castes) يقابلها في العربيَّة لفظة اللفّ جمعها لُفوف. قال صاحب القاموس: «اللفّ بالكسر الصنف من الناس». واللفظة الفرنجيَّة اصلها من اللغة البورتغاليَّة خُصَّت بهذه الطبقات من الهنود. وقد قرأتُ لاحد الرحَّالين فصلًا حسنًا في تعريف هذه اللفوف وخواصّها كتبهُ باللغة الانكليزيَّة بعد ان عاش في الهند مدَّة طويلة وسبر اخبار سكَّانها وفحص عن احوالهم وتحفَّى في السؤَال عن اسرارهم فاحببتُ تعريبهُ ليطَّلع اهل بلادنا على ما في تلك النواحي من النحل والملل. قال الكاتب:

اللفوف المشهورة في الهند منذ قديم الزمن اربعةٌ كبار وهي: البراهمة. ثمَّ الكشاتريَّة او الرجاهيَّة. ثمَّ الوَيْسية او اصحاب الاملاك والتجار. والصُّدرة او الفلاحون والمعدّنون

ولكلّ هذه اللفوف وظائف خاصَّة لا يعانيها الَّا اصحابها. فللبراهمة الكهانة والفرائض الدينيَّة المختلفة. وللكشاتريَّة الخدمة العسكريَّة مع جميع فروعها. وللوَيسية نظارة الاملاك والتجارة وتربية المواشي. وللصدرة العبوديَّة العموميَّة

وقبل ان نذكر ما يمتاز بهِ كلّ لفٍّ على سواه يحسن بنا ان نعدّد الصفات العموميّة التي تشمل اللفوف اجمالًا

واعلم اوّلًا انَّ كلّ لفّ من هذه اللفوف الاربعة الكبرى يقسم الى لفوف ثانويَّة كثيرة حتى انهُ يصعب على الباحث ان يستقصي عددها بالتدقيق والسبب في ذلك انَّ هذه الاقسام تختلف باختلاف الاماكن فاذا وُجد مثـلًا لفٌّ في هذا الاقليم فليس من اللازم اللازب ان يوجد من جنسهِ في اقليم آخر

مثال ذلك البراهمة تراهم في جنوبي الهند يُقسمون الى ثلاثة او اربعة اقسام كبار ويتشعّب كل قسم منهم الى عشرين شعبة على الاقل. ثمَّ لكلّ شعبة فروقٌ تمتاز بها عن اختها ايَّ امتياز حتى انهُ من المحال ان يختلط الرجل بآخر ان لم يكن من شعبتهِ ولاسيما الزواج فلا يقرن احد ابنتهُ الّا برجل من شعبتهِ

وكذلك يُقسم الكشاتريّة والوَسية الى اقسام كثيرة وهـذه الاقسام الى اقسام أُخرى. وهذان اللفّان قليلا الوجود في الهند الجنوبيَّة غير انَّهما وخصوصًا الكشاتريّة يكثرون في الهند الشمالية. والبراهمة يزعمون انَّ لفّ الكشاتريّة الحقيقي لا وجود لهُ البتة وانَّ العشيرة المسمّاة بهذا الاسم انَّما هي نسلٌ مختلف عمَّا يدَّعون

ولفُّ الصدرة ايضًا ذو فروع عديدة لا تقـلّ عن ١٨ لفًّا رئيسيًّا تحتهـا نحو ١٠٨ فروع ادنى منهـا منزلة. وهؤلاء الصدرة اكثر عددًا من سائر اللفوف الاربعة العظام وهم بالحقيقـة مُجتمع الاهلين وينضمُّون الى نفاية كلّ اللفوف فيضحون نحو تسعة اعشار سكّان الهند. وهم الذين حصروا فيهم على التقريب جميع اشغـال الصنائع والاعمال اليدويَّة

وهذا اللف ينقسم الى فروع وشعب ممتازة لا يفي بها احصاء. ولهم اقسام لا توجد الّا في بعض المقاطعات الهنديّة او بعض المدن. ففي اقليم تاميل مثلًا ترى لفوفًا لا تجدها في اقليمَي مايسور او دقان منها: مودلّي (اي لفّ الرئيس او التاجر العظيم الاعتبار) واكاميادي (اي سَدَنة الهياكل والقصور) ونتَّامان (اي لفّ الفـلاحين) وتوتيار (اي العملة) واودّياك (اي الفخّارون) وقاليـين (اي الصيَّادون) الى غير ذلك من التشعُّبات العديدة

فترى من ثمَّ انَّ لفوف الصدرة يقومون بجميع الاشغال الضروريَّة للجماعات المتمدنة

منهم البستانيون والرعاة والحاكة والصاغة والحدادون وصنعة المعامل والمعدنون والزياتون والحلاقون والغسالون. الا ان الزراعين منهم معدودون في مرتبة اعلى من سواهم كأنّ فنّ الزراعة يخوّلهم شرفاً و يرفعهم على بقيّة لفوف الصدرة السابق ذكرهم. وعليهِ فانك ترى الفلاّح من الصدرة ينظر الى المحترفين بغير حرفتهِ بعين الاحتقار فيعتبرهم ادنى منزلة منهُ ويأبى مواكلتهم

ومن هؤلاء الصدرة لفٌّ يعرف بالترسيين لا تجدهم في غير قطر تراڤنكور يبيحون باشتراك النساء. وفي اقليم ناراڤا من لا يجيز ذلك الّا بين الاقارب وهم يُدعون توتيارس. ومنهم قوم يسمون نامبوري يزوجون بناتهم قبل سنّ البلوغ ويعدّون عاراً للفتاة ان تموت قبل الزواج

ومنهم لفٌّ اسمهُ الكلرُوس مهنتهم السرقة يرتزقون بالنهب والسلب لا يخجلون من ذلك ويدَّعون انَّ عملهم حقّ شرعي ورثوهُ من اسلافهم اباً عن جدّ وهم يسكنون في اقليم ماراڤا ويطوفون في ضواحيهِ ويقتنصون حيواناته. وحكّام هذا القطر يعالِنون الكلرُوس في سوء عملهم ويجلُون حرفة السارق ولا يرون فيها من الشين والعار ما يراهُ غيرهم من البشر. وليس لهم حجّة لتذكية انفسهم في ذلك الّا كونهم تعلّموا السرقة من اجدادهم فصارت بالتسلسل عملًا مباحًا ولم يعودوا يستحيون منها. واذا سُئل احدهم عن حالتهِ وشعبهِ اجاب: اني سارق ومن لفّ الكلرُوس. وهذا اللفّ شهير بين الصدرة واكثر انتشارهِ في انحاء مامورا

و يوجد في اقليم مايسور لفٌّ يُدعى « مورسا اوكالا ما كلو » لهم شريعة غريبة وهي انهُ يتحتّم على الام اذا دفعت ابنتها الكبرى للزواج ان تقطع ابهامها وسبّابتها وخنصر يدها اليمنى. واذا كانت الام ميتةً لزمت السُّنّة امّ العريس. واذا كانت هذه ايضاً متوفّاة وجب الامر على الام الادنى قرابةً من العريس او العروس

وفضلًا عن ذلك ترى في انحاء أُخر عوائد ذميمة شائعة بين الصدرة لا تقلُّ خرافةً وجنونًا عمّا سبق ذكرهُ. بل لا تكاد تجد لفًّا منهم لم يشتهر ببعض الامور الغريبة والاحتفالات الخاصّة والسنن المستقبحة التي يستمسكون بها ويستوثقون بعراها. ولهم جمعيات تسنُّ عليهم مثل هذه السُّنن في اطوار حياتهم ومعاهداتهم المدنية ويفرضون عليهم فرائض مختلفة بخصوص تقاطيع ثيابهم وألوانها وكيفيّة لبسها وصوغ حليّهم ونوع تزيين

اجسادهم بها . فمنهم من يمتاز بحفلات الاعراس والجنازات ومنهم من يتفرَّد بالازياء الخاصّة ونشر الاعلام المُعلمة والرايات الملوَّنة لا يحملها سواهم . ومهما ظهرت هذه العوائد والسُّنن والحفلات مضحكةً لا ترى اللفوف الاخرى تشمئزّ منها او تحتقرها . والشريعة تفسح لكل واحد ان يتبع في ذلك اهواءهُ دون مانع وعائق بشرط ان لا تخلّ بقواعد الآداب . ولا حقّ ان يعترض لفٌّ على لفٍّ في مثل هذه الامور او ينتقد هذه الاعمال على اصحابها ولو ناقضت رأساً اعمالهُ وعوائدهُ الخاصّة

على ان بعض هذه العوائد التي يجري عليها لفوف الهنود اذا اعتبرها المنصف وجدها مجحفةً بسنن الاداب لا يرى ذو البصر النقّاد وجهاً لعذرها ولذلك أصون قلمي عن ذكرها لما في وصفها من العثرة للطباع السليمة

امّا المُسكرات والمشروبات الكحوليّة التي لا يستحلّ شربها عقلاء الهند قاطبة فانّها مباحة لساكني جهات الهند الشرقيّة وغاباتها الفسيحة وللصدرة . فتراهم يعاقرون الخمرة ويكرعون جهاراً العرق والبرندي الانكليزي وعصير النخل المعروف عندهم بالتُدّي . ولسكّان هذه الانحاء خمّارون يقصدونهم كلّ يوم بالمدام قدر حاجتهم فيأخذون منهم اجرة خدمتهم في اوان الحصاد قدراً معلوماً من البرّ . وهذه المشروبات محظورة على براهمة تلك الانحاء يبسلهم قومهم اذا جنوا هذه الجناية فيحرمونهم ويرذلونهم من جماعتهم الّا انهم يستبدلون شرب المسكرات بالافيون وان كان استعمالهُ محظوراً في غيرها من الاقطار فيعدُّون ذلك اخفّ جرماً

ومن لهُ خبرة في احوال الهند وبحث عن هوائها ومستنقعات بطائحها يرى انَّ استعمال شيء من المشروبات الروحيّة والافيون ضروري لحفظ الصحة وصون الجسم من الاوبئة والعفن المستولي على تلك الاصقاع الّا انَّ اهل الهند غير الذين سبق ذكرهم لا يحترمون شريعتهم في ذلك ولو ادّت بهم الى التلف لأنّهم يعدُّون هذه الشريعة من اشرف شرائع التمدُّن الهندي

وللفوف الصدرة الذين يسكنون في اعالي جبال كارنتيك عادةٌ غريبة مستهجنة فانهم رجالًا ونساء يقضون حياتهم في حالة قذرة لا يغسلون ثيابهم البتة واذا لبسوا الثوب لا ينزعونهُ عنهم حتى يصير اسمالًا وهم يلبسون هذه الثياب ليلًا ونهاراً وقد اعتادت نساؤهم مسح ايديهن بها فيعلوها القذر وتنبعث منها الروائح الكريهة .

والعجيب في ذلك انهم يرعَون هذه العادة السيّئة تديُّناً وعبادةً واذا حملت الجسارة احدهم على غسل ثيابهِ المتدثّر بها قضت عليهِ الشريعة بالحرم والنبذ من اللف. وسبب هذه العادة الهمجيَّة قلة الماء في تلك الانحاء لانهُ لا يوجد في ذلك الاقليم الّا غدران قليلة راكدة المياه فاذا أُبيح لهم غسل الثياب فيها فسدت للحال وانتنت

هذا وفي بعض فِرَقهم عوائد أُخرى دينيَّة مكانيَّة منها انَّ في جهات مايسور يكرّم الهنود يوم الاثنين من كل اسبوع كما يكرّم المسيحيون يوم الاحد. فلا يحلّ للقرويّين في ذلك اليوم ان يزاولوا الاشغال الاعتياديَّة لاسيا الفلاحة واستخدام الثيران والبقر وذلك اكراماً للبقرة « باساڤا » احدى آلهاتهم الخاصَّة التي يعبدونها. وعليهِ فانَّ الاثنين هو يوم راحة لمواشيهم اكثر منهُ لنفوسهم

واكرام البقرة شائع في الهند في الانحاء التي كثر فيها تبعة الإلهة سِيڤا المعروفين باللِنكايات وهم يبالغون في حفاوة البقر ويجلُّون عبادتها ويسعون في نشر اكرامها بين غيرهم من اللفوف الهنديَّة

ومن عادات الهنود الثابتة انَّ الأُسر الشريفة منهم لا يقترنون بالزواج مع العشائر التي ليست من اصلهم ولذلك تراهم لا يزوّجون اولادهم الّا في الطبقات التي تناسلت منهم وكلّما كانت القرابة بينهم أدنى كان عقد الزواج اسهل. فالايّمُ من الرجال لهُ ان يقترن باخت امرأتهِ المتوفّاة وهكذا العم بابنة اختهِ وابن العم البكر بابنة عمتهِ البكر وهؤلاء كلهم لهم حقّ وثيق بالاقتران فيما بينهم وليست حجّتهم في ذلك الّا داعي القرابة واذا ارادوا امكنهم ان يمنعوا ايًّا كان عن مزاحمتهم ويطالبوه بحقوقهم ولو كانوا طاعنين في السن عاجزين عن الزواج او مبتلين بالمرض او الفقر. ولهم في هذه الامتيازات طرائق عجيبة يُضحك منها لا حاجة الى ذكرها

ولحرصهم على هذه الامتيازات ترى البراهمة بالهند يبحثون بحثاً مدققاً في معرفة ما يدعونهُ « كوترام » وهو الاصل الذي عنهُ خرجوا منهُ ويجدُّون في الوقوف على « الموني » اي العابد الذي منهُ تناسلوا لئلا يصيب زواجهم خلل في اختلاط النسب

اما الهنود الذين لا يجدون في اقاربهم الخصوصيين زواجاً يناسبهم فيتحتَّم عليهم ان يعقدوا النكاح مع بني لفهم وان كانوا من فرع آخر ولكن لا يُباح لهم ان يتزوَّجوا مع الغرباء الذين ليسوا من لفهم في اي حال كانت. بل لا يجوز لمن ينتمي الى احد

اللفوف في اقليم ما ان يعقد زواجاً مع فرع آخر من لفّهِ اذا كان في ايالةٍ اخرى . مثال ذلك انَّ لفّ اليديار التاميلي لا يقترن بالزواج مع البيلا التاميلي ولو كان اصلها واحدًا

على انَّ اشهر اللفوف الاربعة في الهند كما سبق القول هو لفّ البراهمــة ودونهم الكشاتريّة او الراجا ثمَّ الوَنسية او التجار ثمَّ الصدرة او الفلاحون. وهذه اللفوف لا تزال في جدال عنيف لتبيّن ايها الاعرق في الشرف فتحقّ لهُ الرئاسة على غيرهِ. والظاهر انَّ اللفين الاولين قد فقدا تقدُّمهما اللهمَّ الَّا في الكتب القديمة التي تجعل اسماءهما قبل الصدرة . امَّا الصدرة فيعتــبرون انفسهم في عيشتهم الخارجة اقدم من لفّ الوَنسية وارفع مقاماً

وممَّا ذكرهُ الكتبة عن شِعب الوَنسية انَّ نساءهم قبيحاتُ المنظرِ ليس بينهم امرأة جميلة. وهــذا امرٌ مستفيض لم اتحقّقهُ بنفسي لكنَّ نساء الوَنسية غنيَّات يعوّضن عن جمالهنَّ بالاصفر الرنّان

امَّا البراهمة فبعض اللفوف لا يعتدُّونهم في طبقة عليا من الشرف فالپنجالا مثلًا وهو لفٌّ كبير يأبون الاقرار برئاسة البراهمة وينظرون اليهم بعين الاحتقار وان كانوا هم ايضاً معدودين بين طبقات الصدرة الدنيَّة

هذا وليس بامرٍ سهل ان نعيّن النظام والترتيب بين اللفوف الثانويَّة فترى بعضها معتبرًا في اقليم ومحتقرًا في اقليم آخر على حسب ثروة اصحابها وتقلُّدهم المناصب والرتب وعظم شأنهم. واذا حُكِم في اقليم رجل من احد اللفوف صار لفُّهُ معتبرًا ولو كان دنيًا من وجه آخر

ومجمل القول انَّ اللفوف التي تُعــدّ اشرف من سواها هي التي اتخذت الاغتسال ديدنًا واكثرت من التوضّآت الشرعيَّة وامتنعت عن اكل الحيوانات وحافظت على قوانين الزيجة ونظاماتها المرعيَّــة حفظاً مدقّقاً واقتصَّت من النساء اذا خرقنَ سُنن الآداب فحجرت عليهنَّ حجرًا شديدًا. وكذلك تُعتبرُ اللفوف شريفةً اذا ما اعتصمت بعاداتها الجدّيَّة الخاصَّة وجرت على امتيازات فرقتها وداومت عليها بثبات متواصل

امَّا البراهمة فيتظاهرون اكثر من سواهم بحفظ هذه السنن الإرثيَّة ويبالغون في الطهارة الخارجيــة ويواظبون على الاستحمام المتداوم ويمتنعون عن اكل اللحم ويحملهم رياؤهم على نبذ ما كان لهُ مبدأُ الحياة حتى انهم يعدُّون غلّات الارض نفسها نجسةً قذرة

حسبا تسوقهم الى ذلك اغراضهم الشخصيَّة وتعلّمهم اعتقاداتهم الباطلة. وما يريدون بكل ذلك سوى اعتبار القوم والسيطرة على بقية اللفوف

ثمَّ انَّ للهنود فضلاً عن تقسيم اللفوف تقسيماً آخر يختلف على اختلاف الشيع الدينية . واكبر شيعةٍ عندهم شيعة سيڤا وشيعة وِشنو وهما تُقسمان الى شيع كثيرة العدد

وبعض هؤلاء يمتازون بعلامات موسومة على جباههم او على اماكن اخرى من تقاطيع اجسامهم على هيئات شتى. ومنهم كثيرون يتنكَّبون حبلًا رفيعًا يجعلونهُ على كتفهم الايسر ويوصلونهُ بابطهم الايمن وهذا امرٌ شائع في لفّ البراهمة والكشتاريَّة والوَيسية والپانجالا حتى انهُ يتعذَّر تمييز بعضهم عن بعض

ومن التقاسيم الشائعة اليوم بين لفوف اهل الهند الحزبان الشهيران بالحزب الايمن والحزب الايسر. يُقسم اليهما سكّان الهند الجنوبيَّة ولا ترى لهما اثرًا في الهند الشمالية ويغلب على ظني انَّ هذين الحزبين حديثا الوجود لم ينتشرا في جنوبي الهند الّا من عهد قريب والدليل على ذلك انك لا تجد في كتب الهنود ما يشير اليهما. ولعلَّ اصحاب الفتن وذوي الغايات فرَّقوا كلمة الاهلين ودسُّوا بينهم الشحناء والتباغض حتى اتَّسع الخرق بينهم واستشرى الفساد فعمَّ كلَّ الهند الشرقية وصار اغلب القوم من احد هذين الحزبين. فالحزب الايمن يشتمل على لفّ الوَيسية والپانجالا وبعض لفوف الصدرة السافلة وكثير من التجار والعملة لاسيَّما عملة الجلود الذين يُعتبرون كاقوى سند لهذا الحزب ولذلك يفتخرون باسم « انصار الحزب الايمن ». امَّا الحزب الايسر فيضمُّ لفوف الصدرة العليا والپيريا

والحقّ يقال انَّ الفتن متواصلة بين هذين الحزبين فهما لا يكفَّان عن المشاجرات والخصام ويذكيان نيران المشاحنة والثورة حتى انَّ كثيرًا ما تُفضي هذه المنازعات الى سفك الدماء. ومن اعتبر دواعي هذه الفتن لا يرى في الغالب الّا بعض الامتيازات الطفيفة يدَّعيها حزبٌ على آخر فتضطرم لذلك بينهم جذوة الحقد والبغضاء. وترى الهندي الذي طُبع على الجبن والفشل يصبح اذ ذاك شهمًا باسلًا يعدو الى الموت عن طيبة خاطر ويعدّ فقد الحياة اشهى اليه من الصبر على ارتفاع خصمه. وربَّما تفاقم الامر وبلغ الى حالة من الحدَّة لا تستطيع جنود الحكومة من تلافيهِ الّا بعد الجهد الجهيد

واطلاق المدافع على القوم . غير انَّ القوَّة الجبريَّة لا تشفي ادواء القلوب واذا استتبَّ الصلح زمناً يسيرًا فيبقى وميض النار كَمِيناً تحت الرماد يستثير دفينَهُ ادنى الاسباب. فلعمري لقد ساء من رأى للهند تقدُّماً في حكمتها ودينها ولو عاين ما ينجم عن هذه اللفوف والطبقات المتباينــة من الشرور المتفاقة لما تردَّد في تقريع حكمائها الاقدمين الذين زرعوا الريح فجنى ابناؤهم الزوبعة. فهيهات بين هذا التمدُّن الهندي ونتائجهِ الوخيمة وبين التمدن المسيحي المبني على روح التواضع والسلم الذي الَّف القلوب وجمع الامم في الحب والمساواة فلم يبقَ بين اصحابهِ كما قال الرسول (كولوسي ٣ : ١١) : « لا يوناني ولا يهودي . . ولا عبد ولا حرّ بل المسيح هو كلّ شيء وفي الجميع »

في اعمار الاباء الاوَّلين

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري يوسف العلم

ما زال البعض يسألون عن أعمار الآباء الاوَّلين كآدم واولادهِ ان كانت مدَّتها كما ذكرها موسى الكليم عليهِ السلام في سفر التكوين والبعض الآخر لا يخجلون من تخطئتهِ او تأويل كلامهِ الى خلاف معناه بزعمهم انَّ السنة التي ذكرها لم تكن الَّا مدَّة وجيزة عبارة عن شهر ثلاثين يوماً تقريباً محتجـين بانهم لا يرون الآن من يعيش تلك السنين الطوال التي عاشها اولئك الآباء وان ذلك مخالف للمبادئ الطبيَّة . فطلب اليَّ بعض الاصحاب جواباً شافياً على ذلك بحيث لا يبقى بعدهُ مجال للسؤال والاعتراض فمن ثمَّ رأيت اجابةً للطلب ان أبسط البيّنات الدامغة على صحة كلام موسى وسلامة تعبيره من تأويلهِ الى خلاف معناهُ

فاقول (اولًا) انَّ موسى الذي ذكر ان آدم مثلًا عاش تسعمائة وثلاثين سنة وشيتاً عاش تسعمائة واثنتي عشر سنة وآنوش عاش تسعمائة وخمس سنــين الى غيرهم من اولئك الآباء قد اراد بالسنة اثنى عشر شهرًا وبالشهر ثلاثين يوماً نظير حسابنا الآن . لانهُ بعد ان ذكر اعمار اولئك الآباء في الفصل الخامس من سفر التكوين اتى في الفصل السابع وما بعدهُ من السفر المذكور على ذكر الطوفان وهنــاك ابان عن عدد ايام السنة والشهر فقال (تك ٧ : ١١—١٢ و ٨ : ٤—١٣) :

« في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منهُ انفجرت ينابيع الغمر العظيم وانفتحت كوى السماء وكان المطر أربعين يوماً وارمعين ليلةً في ذلك اليوم دخل نوح وعائلتهُ الى الفلك . . . . وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه واستقرَّ الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منهُ على جبال أراراط وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر. وفي اوَّل يوم منهُ ظهرت رؤوس الجبال وحدث من بعد اربعين يوماً أنَّ نوحاً فتح طاقة الفلك وأرسل الغراب فلم يَعُد ثم أرسل الحمامة لاول مرَّة ثم لبث سبعة ايام أُخر وأرسلها لثاني مرَّة ثم لبث سبعة ايَّام أُخر وأرسلها لثالث مرَّة . . . وكان في السنة الواحدة والستمائة (من حياة نوح) في الشهر الاول في أوَّل الشهر أن المياه نشفت عن وجه الارض وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر خرج نوح وعائلتهُ من الفلك . . . »

فهذا كلام موسى لا يترك مجالًا للتأويلات ولا التباس فيهِ ولا ابهام لانَّ موسى قد أبان عن السنة وشهورها وعن الشهر وأيامهِ وذكر النهار وذكر الليل حيث قال اوَّلًا انَّ الطوفان وقع في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر . ثمَّ قال انَّهُ « بعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه وانَّ الفلك استقرَّ في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منهُ » لنزول الطوفان فالمائة والخمسون يوماً عبارة عن خمسة اشهر فأضفها الى الشهر الثاني المذكور يكن الشهر السابع الذي استقرَّ فيهِ الفلك على جبال أراراط. ثمَّ ذكر الشهر العاشر بقولهِ: « وكانت المياه تتناقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر » وذكر اربعين يوماً لتناقص المياه. ثمَّ ذكر انَّ نوحاً أرسل الحمامة ثلاث مرَّات بين كل مرة منها والاخرى سبعة أيَّام جملتها واحد وعشرون يوماً فاضفها الى الاربعين يوماً يحصل منها شهران تتمَّة الاثني عشر شهراً وهي سنة كاملة وقد رأيت ان موسى ذكر انَّ الطوفان كان ابتداؤهُ سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منهُ. ثم ذكر « انهُ في السنة الواحدة والستمائة (من حياة نوح) في الشهر الاول نشفت المياه وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين جفَّت الارض وخرج نوح وعائلتهُ من السفينة »

فمن بعد كل هذه التوضيحات هل يحتاج السائل الى زيادة بيان ليعلم ان السنة والشهر واليوم المذكورات في الكتاب المقدَّس عن اعمار اولئك الآباء الاولين هي كالتي عندنا الآن

اقول (ثانياً) انَّ موسى ذكر في الفصل الخامس من سفر التكوين من جملة اولئك الاباء الاولين ان مهلائيل عاش خمساً وستين سنة وولد يارد وان اخنوخ عاش خمساً

وستين سنة وولد متوشلح. فلو كانت السنة الواحدة من تلك السنين عبارة عن شهر تقريباً كما يريد ان يتأوّلها بعضهم لكان كلٌّ من مهلائيل واخنوخ ابن خمس سنين وخمسة اشهر لمّا ولدا ولديهما يارد ومتوشلح. ثمّ ان موسى نفسهُ ذكر في الفصل الخامس والعشرين من السفر المذكور انّ ابرهيم مات شيخاً ممتلئاً من الايام وانّ ايّامهُ كانت مائة وخمساً وسبعين سنة فاذا اعتبرنا هذه السنين شهوراً كما يزعم البعض كانت ايام ابرهيم اربع عشرة سنة وسبعة اشهر فهل تُعدّ هذه المدة شيخوخةً وامتلاءً من الايام. . . ؟

اقول (ثالثاً) امّا ما يوردهُ المعترضون من الحجّة بانهم لا يرون الآن من يعيشون تسعمائة سنة نظير اولئك الآباء وان تلك الاعمار الطويلة الموردة في الكتاب مخالفة للمبادئ الطبيّة فهو مردود بانّ الحياة البشريّة ليس لها مقياس واحد ولا الاعمار لها مقدار واحد. وها اننا نرى الناس الان لا يعيشون كلهم عمراً واحداً بل منهم مَن يعيش عشر سنين مثلًا ومنهم مَن يعيش مائة وثلاثين سنة فالنسبة بين هذا وذاك من جهة العمر كالنسبة بين اناس هذا العصر واولئك الآباء الاوّلين ومَن ترى يقول بان التفاوت الحاصل بين عمر من يعيش عشر سنين وعمر من يعيش مائة وثلاثين سنة من اهل هذا الزمان هو مخالف للمبادئ الطبية ؟

هذا ولا يخفى على البصير المتديّن ان للعناية الالهيّة في تدبير هذه الخلائق اسراراً تأتيها بحسب مقتضيات الازمان والاحوال. فالاولون قد أُتيح لهم ان يعيشوا طويلًا لغاية تكثير النسل وتوطيد اركان العمران ونشر الديانة والعبادة الالهيّة والمعارف الضروريّة لتدبير الحياة البشريّة هذا فضلًا عن حسن بنية اجسامهم وتعففهم في المعيشة فلو لم يعش آدم معهم ويعيشوا هم معهُ زمناً طويلًا لما تأتّى لهُ ان يبثّ بينهم ما كان المولى قد زانهُ بهِ من الحكمة والمعارف منذ يوم نشأتهِ. فائمّة العلماء قد اجمعوا على ان آدم الاب الاول لم يوجد في هذا الوجود في حالة الجهالة اي صحيفة غير مكتوب عليها شيء كما يوجد باقي الناس بل زانهُ مولاهُ جلّ جلالهُ من يوم برأهُ بالحكمة والعلم. وبيانهُ انّ آدم سمّى الحيوانات باسمائها على ما قال الكتاب في الفصل ٢ من سفر التكوين : « فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرّيّة وكلّ ما دعا بهِ ذات نفس حيّة فهو اسمها ». اي انّ آدم عرف مزايا هذه الخلائق وطباعها ووضع لها اسماء مطابقة

لما قال كَلْمِتْ عند هذه الآية :« ان تسمية آدم لهذه الحيوانات باسمائها ضرب من استعمال ولايته عليها ووضعهُ اسماً مطابقاً لكلٍّ منها يستلزم معرفة سامية فيهِ ليتسنى لهُ ان يعرف طبائعها وخصائصها توصُّلاً الى وضع اسماء مناسبة لها. ولذلك قد اخذ الفلاسفة الاقدمين العجبُ العجاب من علوّ حكمة من اخترع اولًا تلك الالفاظ واجراها على تلك المخلوقات مسمّياً كلّاً منها باسم مناسب لها . قال يوسيفوس : انَّ تلك الاسماء التي بها سمّى آدم الحيوانات كانت عبرانيَّة لانَّ اللغة العبرانيَّة فيها مطابقة عظيمة بين تلك الاسماء ومسمَّياتها (١ »

وقال القديس توما اللاهوتي : لقد أبدع الانسان الاول من الله عالماً بجميع الاشياء التي من شأن الانسان ان يتعلَّمها اي جميع ما يقدر الانسان ان يعرفهُ بالقوَّة الطبيعيَّة لكن لمَّا كان تدبير الانسان لحياتهِ وحياة غيرهِ لا يستلزم ما يمكن معرفتهُ بالقوَّة الطبيعية فقط بل معرفة ما لا تصل اليهِ المعرفة الطبيعية ايضًا من وجه انَّ حياة الانسان متَّجهة الى غاية فائقة الطبع كأَن لا بدَّ لنا في تدبير حياتنا من معرفة عقائد الايمان. ومن ثمَّ فالانسان الاول قد تلقى من معرفة هذه الامور ما كان ضروريًا لتدبير الحياة الانسانية باعتبار تلك الحال واماَّ سائر الاشياء التي لا يمكن الانسان معرفتها بالاجتهاد الطبيعي ولا هي ضروريَّة لتدبير الحياة البشريَّة فالانسان الاول لم يعرفها وذلك كافكار الناس والحوادث المستقبلة وبعض الامور الجزئية كعدد حصى النهر ونحو ذلك . فالانسان الاول اذًا حصل لهُ علم جميع الاشياء بالصور المفاضة من الله ولم يكن ذلك العلم مع هذا مغايرًا في الحقيقة لعلمنا بقياس ما انَّ العينين اللتين وهبهما المسيح لذلك الاعمى لم تكونا في الحقيقة مُغايرتين للاعين التي اصدرتها الطبيعة. وكما خلق الانسان منذ الابتداء كاملًا في الجسد قادرًا على التوليد كذلك وُجد كاملًا في معارفهِ لتدبير حياتهِ وحياة غيرهِ ولقد كان واجبًا ان يكون لهُ من حيث كان الانسان الاوَّل شيء من الكمال لا يقتضي لسائر الناس. انتهى بتصرُّفٍ قليل (المبحث ٩٤ في حالة الانسان الاول)

---

١) لا يعدُّ العلماء قول يوسيفوس في اسماء الحيوانات بالعبرانية كحجَّة قويَّة وقد ثبت اليوم انَّ اللغة العبرانية فرع من لغاتٍ اقدم عهدًا

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٢١ً دخول النصرانية في لبنان

لهذا البحث علاقة طبيعيَّة مع بحثنا السابق عن كنائس لبنان القديمة فلا يسعنا الّا الخوض فيهِ هنا

روى رينان في كتاب بعثة فينيقية عن الموارنة انهم يدَّعون كون الوثنيَّة لم تشعْ في وطنهم مطلقاً وهذا افتراء في حقّ اهل لبنان الذين لم يذهبوا الى مثل هذا القول الباطل. وكيف يا ترى يزعم اللبنانيون بذلك وكل انحاء جبلهم تنطق بشيوع عبادة الاصنام في القرون الغابرة وفيهِ من آثار التوثُّن ما سبق وصفهُ في مقالاتنا

وما لا مرية فيهِ انَّ لبنان كبلاد الشام جمعاء كان يدين بالشرك بل بقي لعزلة موقعهِ ينوء تحت عبء الوثنيــة مدَّةً بعد ان ارسلت النصرانيَّة اشعَّتها على سوريَّة اجمالًا وعلى فينيقية خصوصاً وكانت مدنها الساحليَّة على طريق دعاة الدين المسيحي فنالوا من انواره حظّاً وافياً قبل سواهم

١ً لبنان واول مبشريه

ارتأى بعض الكتبة انَّ المسيح وطئ ارض لبنان واستندوا في تأييد رأيهم على آيتَيْ متى (١٥ : ٢١) ومرقس (٧ : ٢٤) حيث ورد عن الرب لذكرهِ السجود انهُ ذهب الى تخوم صور وصيداء. غير انَّ هــذا الموضع لا يصرّح بذكر الطريق التي سلكها المسيح وقد زادنا القديس مرقس في الفصل ذاتهِ ايضاحاً اذ قال (٧ : ٣١) : « انهُ خرج من تخوم صور ومرَّ في صيداء وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل ». فان الطريق التي تؤدي توّاً من صيداء الى المدن العشر تمرّ في مُنعطف لبنان جنوبي شرقي صيداء فتبلغ النبطيَّة او جوارها عابرةً على نهر الليطاني عند الجسر المعروف اليوم بالقعقاعيَّة فتنتهي الى جنوبيّ شرقيّ بلاد بشارة . وهــذه الطريق تسير عليها السابلــة الى يومنا والطبيعة نفسها ترشد اليها. فلهذا الرأي كما ترى سندٌ ولا حرج على من يقول بهِ

وللكتبة المحدثين قول آخر او تقليد محليّ يزعمون بموجبهِ انَّ السيد المسيح لم يدخل

فقط صيداء بل بلغ ايضاً حتى ثغر بيروت. والتقليد المذكور اثبتهُ في القرن الخامس عشر احد الزوَّار الالمانيين يُدعى برَيتنباخ (راجع المشرق ١: ١٩١). ثمَّ اوردهُ كوارزميوس في كتاب وصف الاراضي المقدسة (١ وذكرهُ احد ادباء الالمان في مقالة طبعها سنة ١٦٩٢ عن بيروت وآثارها. ولعلَّ هذين الاخيرين نقلا ما قالهُ برَيتنباخ. وهذا التقليد على ما نظنّ ليس بثبت لا نرى وجهاً لتوفيقهِ مع ما رواهُ الانجيليون

لكنَّ الله منح بيروت نعمة أُخرى يحقّ لاهلها ان يفتخروا بها نريدُ احتلال القديس بطرس هامة الرسل في ربعها. وهو امرٌ يقبلهُ العقل ويؤيدهُ النقل. اماَّ العقل فلأَن بطرس الصفا انتقل غير مرَّة من اورشليم الى انطاكية فترتب عليهِ ان يجتاز في بيروت وهي اذ ذاك من اعظم مدن فينيقية شأناً. اماَّ النَّقل فلنا منهُ شهادة قديمة تُعزى الى تلميذ بطرس الرسول وخلفهِ في كرسيهِ البابوي القديس اقليميس وردت في كتاب الابحاث والميامر (٢. وهو تأليف قد اختلف العلماء في كاتبهِ الَّا انهم يتفقون على كونهِ سبق اوائل القرن الثالث

وفي الكتاب الموما اليهِ فوائد أُخر عديدة عن تاريخ النصرانيَّة في فينيقية والانحاء المجاورة لمدنها الساحليَّة الَّا اننا لا ننقل عنهُ غير ما نراهُ راهناً مقرَّرًا توافقهُ الشواهد القديمة (٣. ومن ذلك ما جاء عن جبيل (٤ انَّ الرسول الهامة اقام لها اسقفاً حنا مرقس احد تلامذتهِ وكان المذكور ولد في اورشليم وهو نسيب للقديس برنابا (٥ وفي بيتهِ نزل بطرس الرسول لمَّا انقذهُ الرب من ايدي هيرودس (٦. فسقَّفهُ على جُبيل كما تشهد على ذلك السنكسارات الشَّرقيَّة اليونانيَّة والسريانيَّة والمارونية فضلًا عن الكلندار الروماني الذي ذكر عيدهُ في ٢٧ ايلول. والمؤرخون الاقدمون يوافقون في ذلك الآثار الطقسيَّة

فمن ثمَّ تكون اسقفيَّة مرقس المذكور الأَثر الاول لدخول النصرانية في لبنان لأَن

١) راجع كتابهُ Elucidatio Terræ Sanctæ

٢) طالع مجموع آباء اليونان لمين الجزء الاول والثاني

٣) وقد عدلنا عن ايراد هذه الامور ليس فقط لانَّ مؤلف كتاب الابحاث مشتبَهٌ فيهِ بل لاسباب اخرى يؤدي بنا ذكرها الى الاطالة ٤) وقد ذكر عن بيروت انَّ القديس بطرس سام لها اسقفاً يدعى كوارتُس ٥) راجع رسالة القديس بولس الى اهل كولوسي (٤: ١٠) ٦) اعمال الرسل (١٢: ٢١)

جُبيل كما اشرنا الى ذلك في المشرق (٣: ٢٩١) كانت مرتبطة بلبنان ارتباطاً غير منفصم بل كانت معدودة منهُ داخلةً فيهِ كما ترى في عهدنا. وبما انها كانت محاطة بعدَّة هياكل مقدَّسة تشرف عليها من الآكام والرُّبى المجاورة لاسيا هيكلي افقا والمشنقة (المشرق ٢: ٥٩٩ و ١١٢١) فكان الفينيقيون يعدُّونها مثل كعبة دينهم يحجُّون اليها من اقطار بعيدة فيتمِّمون فيها مناسكهم الدينيَّة التي باشروها في هياكل لبنان ويكرمون بزيارتها ادونيس والزهرة

هذا ولا نعلم ما نالهُ اول اساقفة جبيل من النجاح في تتمة رسالتهِ المقدَّسة. ولا غرو انَّهُ لقي في دعوتهِ عوائق شتى حالت دون رغائبهِ الخلاصيَّة. وممَّا لا يُنكر انَّ في ذلك الوقت عينهِ اذ بزغت شموس النصرانيَّة في اقطارنا الشَّرقية صار للدين الوثني نهضة جديدة في لبنان فانَّ تاريخ بناء بعض هياكل الاصنام فيهِ يرتقي الى ذلك العهد كهيكل فقرا (المشرق ٣: ٦٠) وغيرهِ. ولم تزل الوثنيَّة في عزّ وترقٍ في مطاوي القرن الثاني للمسيح وفي اوائل القرن الثالث

واشتدَّ ازر الدين الوثني في لبنان بملك الامبراطور الروماني ادريان الذي زار لبنان في بدء القرن الثاني وسكن مدَّة في جبيل. وكان هذا القيصر من عبدة الزهرة يظهر لها التجلة والاكرام وقد بنى لها في رومة معبداً كبيرًا وادخل عبادتها في بيت لحم لمعاكسة النصرانيَّة. ومن آثارهِ الباقية في لبنان الكتابات العديدة التي وصفها اصحاب العاديَّات وذكرناها في مقالاتنا المرَّة بعد المرَّة. ولا نشكّ انهُ حجَّ الى معابد الزهرة وادونيس خصوصاً في افقا ودير القلعة (١ كما انهُ شيَّد بعض الهياكل ورمَّم غيرها لاسيَّا في جُبيل وكانت تُعدّ في ايَّامهِ كاحدى حواضر المدن وامَّهاتها

وجرى خلفاء ادريان على سنَّتهِ فعزَّزوا في لبنان الشرك والتوثُّن كيف لا وبعضهم كانوا وُلدوا في لبنان او المدن الملاصقة لهُ نخصّ منهم بالذكر اسكندر ساويرس الذي كان مولدهُ في هيكل الزهرة في عرقا. ولذلك ترى كثيرًا من الآثار الدينيَّة الفخيمة التي تزيّن لبنان حتى يومنا هذا قد شُيّدت في ذلك العهد منها هيكلا بعلبك وحصن سليمان في جبل النصيريَّة. تشهد على اصلها كتب المؤرخين. وفي لبنان مباني أُخرى

١) ولعلَّ النصب الذي وصفناهُ في المشرق (٢: ١٢٢) قد اقيم حفاوةً بهِ لمَّا زار هذا المعبد

غيرها يُجهل تاريخها والارجح انَّها بُنيت في الوقت عينهِ لما فيها من الشبه مع ابنية ذلك العصر كحصن صافيتا في الضنية وناوس قرب كسبا و بزيزا في الكورة وغير ذلك ممَّا سنورد ذكرهُ في مقالاتنا

وهذه الغيرة التي نراها في عبدة الاوثان في اوائل النصرانيَّة تدلُّ دلالةً واضحة على انَّ المشركين في لبنان أبوا الَّا ان يدافعوا عن آلهتهم لئلَّا تحطّهم ديانةُ المسيح عن مقامهم الرفيع الذي بلغوا اليهِ سابقًا

ولكن دعنا نستوفي اخبار النصرانيَّة في لبنان في اواخر القرن الاول. افادتنا التآليف المنسوبة الى القديس اقليميس انَّ القديس بطرس احتلَّ طرابلس واقام عليها اسقفًا يدعى مارون. وهذا الامر ذو شأن لا نرى في صحّتهِ التاريخيَّة مشكلًا وان كان مدوّن هذا الخبر زاد فيهِ من الاوصاف الوهميَّة ما لا يقبلهُ العلم الصادق. ويسرُّنا ان نرى في ذلك العهد اسقفًا جليلًا يتيمَّن قراؤنا الموارنة باسمهِ وقد اشتهر في مدينة تطلُّ عليها تلك الجبال التي صارت بعدئذٍ مهد طائفتهم العزيزة

ومن الآثار النصرانيَّة التي ترتقي الى القرن الاول استشهاد القديس تادَّاوس الذي روى عنهُ الرواة الاقدمون انهُ رُجم في بيروت لاجل الايمان. وفي تعريف الشهيد المذكور رأيان مختلفان فزعم البعض انَّهُ احد تلامذة الرب السبعين وذهب غيرهم الى انهُ هو الرسول يهوذا او تدَّاوس اخو يعقوب البار. ويصعب علينا جزم الامر لقلة الادلَّة. وانما جاء في تاريخ البطريرك ساويرس (راجع المشرق ٣: ١٠٠٤) انَّ بيروت كانت تحتوي كنيسةً باسم القديس يهوذا اخي يعقوب البار في القرن السادس (١. وهذا لعمري اثرٌ حسن يشهد بقدم التقليد عن القديس يهوذا المذكور

٢ نزاع النصرانية والوثنية

يحصل من فصلنا السابق انَّ لبنان لم يُحرم من نعمة النصرانيَّة منذ القرن الاول من تاريخها. ولا جرم انَّ الدين المسيحي نما في القرنين التاليين. الَّا انَّ الآثار القديمة لا تكاد تفيدنا عن شؤونهِ شيئًا فنظنّ انَّ نموَّهُ كان بطيئًا لما تصدَّى لهُ من العوائق من قبل المشركين الذين كانوا اتَّخذوا هذا الجبل كمعقل لدينهم فبنوا فيهِ الهياكل العديدة

١) طالع Revue de l'Orient chrétien, Opuscules maronites 1899, p. 565

وشيّدوا الآثار الدينية فلقوا في اخلاق الجبليين وطباعهم الفظّة ما قوّى روح التعصب بينهم. وعلاوةً على ذلك نرى الشيع الوثنية ليس في الشام فقط بل في كل انحاء المعمور قد التجأت الى مشارف الجبال بعد ان دحرتها النصرانية في المدن العامرة وسفوح البلاد لنا شاهد على ذلك في جبل برجيلوس المعروف في يومنا بجبل النصيريّة فانّ سكانهُ اصرُّوا على وثنيّتهم الى القرن الخامس مع انّ هذا الجبل دون لبنان في علوهِ واسهل منهُ مرتقىً

وهذه الملاحظات العمومية عمّا لقيتهُ النصرانية في طريقها من العثرات يؤيدها التاريخ القديم الذي لم يذكر الدين المسيحي في لبنان الّا نادرًا. وكذلك الآثار الكتابيّة فانّ الوثنيّة منها كثيرة امّا النصرانيّة فهي قليلة جدًّا. فكل ذلك دليل واضح على ما نال ديانتنا المقدَّسة من المقاومات والمدافعات قبل ان ترسخ مبادئها القويمة في ارض لبنان حتى صارت في توالي الاعصار عصمةً للدين لاسيَّما بعد ان توطنت هذا الجبل الطائفة المارونية المعروفة بحماستها الدينية

وفي عهد الملك نومريان القيصر الروماني (٢٨٣—٢٨٤) تشرَّف لبنان بوفاة احد ابنائهِ شهيدًا وهو الطبيب طليليوس (لعلهُ ܛܠܝܠܐ اي مظلّل ومحمي) وكان استشهادهُ في قيليقيا وممّا ورد في ترجمة حياتهِ انهُ قال للحاكم لمَّا طلب منهُ نسبهُ: «اني أُدعى طليليوس ومولدي في لبنان واسم ابي بريكوكيوس (لعلهُ ܒܪܝܟܐ اي مبارك) وهو نصراني واحد ضبَّاط الجيوش. وتدعى امي روميليانا واخي يوحنا وهو شماس (١)». فحكم الوالي على طليليوس بقطع الرأس بعد ان مثَّل بهِ واذاقهُ مرَّ النكال الّا انَّ الله عزَّ وجلَّ اشهر قداسة عبدهِ بما اجترحهُ من المعجزات الباهرة على قبرهِ حتى ذاع اسمهُ في اقاصي الشرق

ومن النصّ السابق يصحّ لنا ان نستنتج انَّ النصرانيَّة كانت اخذت في الامتداد في لبنان منذ اوائل القرن الثالث لاننا نرى العيال فضلًا عن الافراد يدينون بدين المسيح. وكذلك وجود شمّاس في أسرة لبنانيَّة يدلُّنا على وجود الرُّتب الكنسيَّة وكلُّ ذلك لا يقوم الّا بكنائس منتظمة. ثمَّ انَّ اسماء المذكورين الّا واحدًا منها آراميَّة الاصل فذلك بيّنةٌ على انَّ لغة اللبنانيين لم تزل بعد آراميَّة اي سريانية

(١) راجع اعمال القديسين البولنديين في ٢٠ ايار

ولا بُدَّ هنا من ملاحظةٍ على موقع لبنان الذي ذكرهُ الشهيد طليليوس فنقول انهُ لا يدلّ ضرورةً على لبناننا الحالي وانَّ اسمهُ كان في ذلك العهد يشمل الجبال الواقعة في شمالي النهر الكبير فإن لم نجد في معرض قول الكتبة الاقدمين ما يزيل الشبهة يصعب علينا ان نستدلّ على جهتهِ المنويَّة

وفي سنة ٢٩١ للمسيح زان الله باكليل الاستشهاد هامة فتاةٍ من عذارى جُبيل تدعى اكويلينا قصفها المتعصبون كغصن رطيب وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة . وقد اخبر البولنديُّون (في اعمال القديسين اليوم ١٣ من حزيران) انَّ نصارى المدينة جمعوا ذخائرها المقدَّسة فدفنوها بمزيد الاكرام ثمَّ تعدَّدت العجائب على قبرها . الّا ان عبادتها اليوم قد اندثرت فلم يبقَ لها ذكرٌ بين مواطنيها وهو امر غريب لولا ان التاريخ ينبئنا بنقل جسمها الطاهر الى القسطنطينيَّة في القرون التابعة فاصابت هناك من تعبُّد الاهلين ما فقدتهُ في وطنها

وقد ارتأى الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخهِ المخطوط عن لبنان (ص ٢١٣١) ان ذكر الشهيدة اكويلينا قد امتزج في كرّ الاعصار باسم قديسة أخرى تعرف ببرَّتينا التي يكرّمها اهل جُبَيل اكراماً عظيماً وفي جوار بلدتهم معبد شيَّدوه على اسمها يحجون اليه من كلّ أوب والزوَّار يأخذون من ترابهِ شيئاً فيتبركون بهِ . واكثر ما يأتيهِ المؤمنون في أيَّام قطف دود القزّ

وتشرَّفت ايضاً طرابلس في ذلك العصر بشهدائها منهم الشهيدان مغداليتيس (راجع البولنديين في ١٢ حزيران) ولوسيان او لوسيوس (راجع السنكسار الروماني في ٢٤ كانون الاول) . ولا نعرف من امر لوسيوس المذكور الّا اسمهُ كما صرَّح بذلك العلماء البولنديون . وعندنا انَّ لوسيوس المذكور هو القديس الذي يكرمهُ اهل لبنان منذ زمن قديم باسم القديس نوهرا او نهرا . وليس نوهرا (ܢܘܗܪܐ اي نُور) سوى ترجمة اسمهِ اللاتيني في السريانية وفي السنكسار الماروني في تاريخ ٢٢ تموز ما معناه : « في هذا اليوم نحتفل بجهاد الشهيد لوجيوس (ܠܘܩܝܘܣ) وكان اصلهُ من منهور (كذا) من بلاد العجم فطاف البلاد وبشَّر بالايمان في المسيح حتى بلغ مدينة البترون في بلاد فينيقية فمات فيها شهيداً . وهو شفيع المصابين باوجاع العيون ولذلك دعاهُ السريان بلغتهم نوهرا اي نورًا وهذا معنى اسمه لوجيوس »

وليس في هذه النبذة ما يناقض قول الاقدمين بان لوسيوس استشهد في طرابلس وطرابلس كما لا يخفى تُعدّ من اعمال فينيقية ولعلّ قرب موقع البترون وطرابلس جعل البعض يذكرون وفاتهُ في احداهما دون الأخرى ثم لا نرى التقليد المحليّ على رأي ثابت في ذلك لانّ اهل سمار جُبَيل يدَّعون بانّ استشهاد القديس نوهرا كان في قريتهم ولهم بئر يزعمون انهُ أُلقي فيهِ فغرق. ويؤيدون زعمهم بكتابة سريانية في جدار كنيستهم. ولكن غاية ما يستفاد من هذه الكتابة انّ احد افاضل الكهنة مدفون في هذا المكان ولم يبقَ لاسم هذا الكاهن اثر. وسنعود ان شاء الله الى وصف هـذه الكتابة عند ذكرنا سمار جُبَيل (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

٨

وكان في جملة الكبراء اللبنانيين النازلين وقتئذٍ في قصر بشرّاي زَين مقدَّم البترون وهو من ابطال الجنود أظهر كثيرًا من مآثر البسالة رغمًا عن حداثة سنّهِ. وكان عظيم القامة مفتول العضل قوي الساعد نادرةً في الشجاعة والاقدام وقد ضمَّ الى هذه الاوصاف استقامة الضمير وكرم الطباع فكانت الرعيَّة في امارتهِ الصغيرة تحبـهُ وتحترمهُ وكان هو يعاملها باللطف والعدل

وقد رغب ان يصون قومهُ من غارات التركمان المقيمين في قلعة المسيلحة بوادي نهر الجوز فرمَّم من مالهِ سور البترون وقلعتها التي من بناء الصليبيين. ولاجل هذه الغاية عينها وتمكين سبل الاتصال مع اعالي لبنان وحماية وادَيي دوما وتنورين المشهورين بخصبهما انزل جنودهُ في مركز قلعة الحصن فوق بشعلة ومار يعقوب وهكذا ايضًا فعل بقلعة سمار جبيل

فهذه الاعمال كلها مع ما تحلّى بهِ المقدَّم زين من الاوصاف التي مرَّ بيانها جعلتهُ اخلص الاعوان واوفاهم لمقدَّم مدينة بشرّاي فحبًّا بمكافأة اخلاصهِ ورغبـةً في توثيق

عرى الاتحاد بين الطوائف النصرانيَّة في الجبل احب الامير رزق الله ان يزوّجهُ براحيل احدى البنات المثريات في البـلاد. وكانت تنتمي الى اسرة كبيرة من طائفة الملكيَّة يرتقي اصلها الى عيلة افرنجيَّة تُعرف بعيلة لامبرياك (١ كانت في ايام حروب الصليب قد حكمت مدينة جبيل. وكان للابنة المذكورة شقيق اسمهُ موسى يقيم لدى بطريرك الملكيَّة الانطاكي الذي رقَّاهُ الى درجة ارشيدياكون اي رئيس شمامسة (٢

وكانت راحيل آيةً في حسنها وانموذجاً مكمَّلًا في فضائلها المسيحيَّة لان ابويها عُنيا كل العناية بتربيتهـا وتعليمها وتهذيب عقلها. وكانا يقيمان اكثر ايام السنة في طرابلس وكانت في طرابلس مدارس مشهورة واساتذة اهل علم وصيت فكانت راحيل تدرس عليهم. ثمَّ ان شقيقها الارشيدياكون الذي كان من عداد العلماء الفحول (٣ تمم تثقيفها وتنويرها بالمعارف فجاءت أفضل بنات جنسها في ذلك العصر. وما عدا اللغة الافرنجية كانت تجيد التكلم باليونانيَّة والعربيَّة فضلًا عن إلمامها بعلم الفلك والرياضيات

وقد طلب الامير رزق الله الى الاب يوحنَّا ان يبارك هذا القران ويقوم بحفلة الاكليل ولمَّا كان هذا الرجل القديس صديقًا لاسرة لامبرياك اجاب الطلب وتمَّت الحفلة بابهـة عظيمة ورونق ما عليهِ مزيد ودامت الاعياد والافراح اياماً بلياليهـا. وكان كلٌّ من العروسين لائقًا بالآخر كأنهُ لم يصلح الَّا لها وهي لم تصلح لسواهُ

وفي مدَّة الحفلة كلها كان واقفاً بالقرب من راحيل ابوها وهو شيخ جليل القدر عبث البياض بلمَّتهِ ودلَّت ملاحهُ على شرف حسبهِ فما زال هـذا الشيخ يذرف الدموع حتى انتهت صلاة الاكليل فحينئذٍ فتح ذراعيهِ وضمَّ العروس الجديدة قائلًا لها:

— يا ابنتي العزيزة قد اقترنتِ بمن كنت تحبينهُ وقد نجزت الآن مهمَّتي

ثم رفع يدهُ الى العلاء فقال: انَّ والدتكِ المسكينة تنتظرني فوق فباسمها وباسمي اباركما جميعاً

فقاطعتهُ راحيل وانطرحت بين ذراعيهِ قائلةً:

دع عنك يا والدي العزيز هذه الافكار المقلقة فها قد اجتمعنا الآن اثنين على محبتك

١) وكانت تدعى ايضاً « جبْلة » باسم مدينـة جبيل التي حوَّلها الافرنج الى هذه الصورة (راجع تأليف دوكانج Ducange)

٢) المشرق ١: ٦١ ٣) المشرق ١: ٦١ و ٦٢

واحترامك وسترى مني ومن زين اجزل الوداد لمن هو افضل الوالدين فبدد اذًا غيوم الانزعاج عن بالك

غير انَّ سليل اسرة لامبرياك لم يقوَ على الانعتاق من التأثير الذي اصابهُ ألا بعد حين ثمَّ ارسل نظرة حبٍ والديَّ في محيًا ابنتهِ المُشرق بالجمال وعينيها الزرقاوين وغدائرها المنعقدة كاكليل من ذهب فوق جبينها الوضّاح وبعد ان قبّلها بحنوَّ اب شفيق قال لها:

يا عزيزتي ويا عزائي الوحيد في ايام نكبتي كوني مباركةً يا ابنتي واللهَ تعالى اسأل ان يحفظكِ ويحميكِ

وفي اليوم التالي عاد الى قصبة اميون في ناحية الكورة حيث كان يقيم مدة الصيف وكانت البركة التي جاد بها على ابنتهِ راحيل آخر بركاتهِ عليها لان ايامهُ لم تَطُل بعد ذلك كما سترى

امَّا العروسان فانهما بعد تتمّة الحفلة أقاما زمنًا قصيرًا في دار المقدَّم رزق الله ثمَّ ودَّعاهُ وذهبا الى البترون. وامَّا الاب يوحنا فسأل الامير ان يأذن لهُ في العودة الى ديرهِ فتمنَّع في بادئ الامر وحاول كثيرًا ان يبقيهُ لديهِ ولمَّا رأى ان لا فائدة من الحاحهِ التزم بالقبول واصحب الاب يوحنًا بكثير من الهدايا والنفائس. على انَّ الراهب القديس كان كلما شاهد في طريقهِ فقيرًا او محتاجًا أعطاهُ ما يكفي لسدّ حاجتهِ ومن ثمَّ لم يصل الى دير مُرت تقلا الا وكان قد وزَّع جميع ما نفحهُ بهِ المقدَّم رزق الله من الصلات على البائسين. وممَّا يحق ذكرهُ بنوع خاص هو انَّهُ قبل وصولهِ ببضع ساعات الى الدير شاهد رجلًا ملقىً على الطريق مثخنًا بالجراح فبعد ان عالجهُ بما استطاع اليهِ سبيلًا اعطاه حمارهُ ليركبهُ وكان آخر شيء قد بقي معهُ. ثم انهُ بالرغم عن شيخوختهِ ارتقى الطريق المؤدية الى ديرهِ وهو فرح محبور

امَّا جبرائيل بن القلاعي الذي رافقهُ فانهُ بقي في بشرَّاي وعملًا بمشورة فرا غريفون سافر بعد ذلك الى القدس الشريف حيث انتظم في سلك الرهبان الفرنسيسيين (١. نعم انَّ جبل لبنان خسر هذا الشاب الغيور على صحّة الايمان ولكن الى حين لانهُ عاد اليهِ فيما بعد وكان من جملة عمد الديانة فيهِ واركانها العظام

١) الدويهي: تاريخ الموارنة

امَّا رهبان دير القديسة تقلا فانهم قابلوا رئيسهم المكرَّم بغاية الفرح والتبجيل غير انهُ كان يكره الاكرام ويعدّه منافياً للروح الرهباني ومن ثمَّ عاد الى مسلكهِ السابق كأنهُ لم يكن شيء. ممَّا كان فجعل يقضي اوقاتهُ في الصلاة والمطالعة والعمل. وليقينهِ انَّ الراهب لا يجوز لهُ ان يهتم بامور الدنيا التي هجرها تحاشى محادثة مرؤوسيهِ عمَّا عرض من الحوادث في سفرهِ الى لبنان فكانوا اذا طارحوهُ الاسئلة عن شيء. من ذلك يجاوبهم محرضاً ايَّاهم على الصلاة من اجل نجاح الديانة والاتحاد ما بين المسيحيين وهذا كل ما كانوا يسمعونهُ منهُ

٩

كان على مسافة ساعة من دير مرت تقلا رابية من الصخر مرتفعة في الجوّ بشبه الصومعة فعلى هذه الرابية انتصب قصر عظيم يدعى «القليعة» يرتقي تاريخهُ الى حروب الصليب. وهو من عداد القلاع التي تشيَّدت من طرابلس حتى وادي العاصي فوق مضايق الجبال وقد بقي منها الان برج صافيتا وحصن الاكراد كانموذجين يدلّان على ما كانت عليهِ من القوَّة

غير ان القصر الذي نحن في صددهِ لا يُقاس بالقلعتين الاخيرتين ولا يُشبَّه بهما. وكانت ايدي الخراب قد عملت فيهِ اثناء حوادث الرواية التي نكتبها لكنَّ ابراجهُ كانت قائمة وقتئذٍ تطلّ على جميع ما حولها من الضواحي. وكان في وسطهِ بناية عظيمة تشتمل على منازل الامير واعوانهِ وخدمهِ وغرفة فسيحة للسلاح مع معبد لقضاء الفروض الدينيَّة

وقد حُفرت في جوانب الصخر الذي قام عليهِ القصر مخازن عديدة وصهاريج كبيرة وحُوّط الكل بسور منيع تقطعهُ الابراج المدوَّرة. وكان هناك مضيق يربط تلك الصومعة الصخريَّة ببقيَّة الجبل وفي ذاك المضيق حُفر خندق عميق وأُلقي على الخندق جسر نقَّال يُرفع ويوضع على حسب المشيئة وشُيِّد في اعلاهُ حصنان قويَّان لا يُرامان

امَّا الزينة في داخل القصر فكانت بسيطةً وكالحةً على حدّ امثالها من قصور امراء ذلك العهد ببلاد اوربَّة فكان فرش القاعات لا يزيد على الطنافس الثمينة مع مجموعات من الاسلحة تذكارًا للانتصارات الماضية. وبما ان قصر القليعة قد بُني لحماية مضيق بيت الشمس المؤدي الى وادي العاصي كان اشبه بقلعة منهُ بقصر ولذلك لم يكن في

داخلهِ شيء من الزخارف واسباب الاسراف التي اشتمل عليها قصر بشرّاي. وكان يقيم فيهِ جوسلين اخصّ اصحاب الناحية (١ واعظمهم اقتداراً وكان هذا من سلالة الفوارس الافرنج القدماء الذين استوطنوا قبلًا هذه الجبال وقد ورث عن اجداده الغربيين اخلاق الحدَّة والاستشاطة والاستعانة في كل حادثة بالسيف. ولم يكن ذلك لشجاعة او بسالة فيهِ بل لانهُ كان حقوداً محبّاً للانتقام. وعلى هذه الطريقة كان يجري مع اتباعهِ ومع الضعفاء بالاجمال. امّا اذا آنس من خصمهِ شدَّةً ومقاومة وعرف ان القوَّة لا تجدي نفعاً فكان يلجأُ الى الحيلة والخداع

وكان فاسد الاخلاق طمّاعاً الى الغاية لا يفتر عن الاعتداء على جيرانهِ ضامّاً املاكهم الى املاكهِ الواسعة قاصداً من ذلك توسيع دائرة ثروتهِ التي كانت من قبل عظيمة غير انها اصبحت الآن عقيب فحشهِ واسرافهِ الجنوني مرهونة عند بعض المرابين من اليهود في طرابلس الشام

ومع ذلك لم يجسر على الاعتداء على اوقاف الكنائس والاديار خوفاً من بطش المقدَّم رزق الله الذي لم يكن يصبر على شيء من هذا القبيل لا عملًا بعواطف دينيَّة تردعهُ. وكيف ينقاد الى صوت الديانة وكان قبلًا قد انقاد الى الشيعة اليعقوبيَّة آملًا ان يستعين بها على انفاذ مطامعهِ ونيَّاتهِ الخبيثة

وكان جوسلين هذا واجداً على رئيس دير مرت تقلا حانقاً عليهِ وسببهُ ان المزارعين في اراضيهِ كانوا يفرّون منها افواجاً لما يلقون من سوء معاملتهِ ويذهبون الى اماكن أُخرى لاجل المساقاة فيها لكنهم كانوا يؤْثرون الاقامة في اراضي حصن سليمان حيث كان الاب يوحنا يعاملهم كأولادهِ. وبناء عليهِ عزم جوسلين المذكور ان يثأر لنفسهِ من الاب يوحنا فوضع يده على قطعة قريبة من قصر القليعة كان جدّه قد وهبها لدير القديسة تقلا واحتج بعدم صحَّة الهبة وارسل رجالهُ فاستولوا عليها بالقوة

وكان الاب يوحنا كريماً حليماً يهب كل ما في وسعهِ للسائلين ويُعنى اعظم عناية بتخفيف بلايا البائسين ويُسعفهم على دفع غارات الحاجة جهد امكانهِ حتى انهُ اقصى الفقر اقصاء عن جيرة الدير كلها. امّا اذا خاصمهُ احد في حقوق الدير واملاكهِ فكان

١) كان هذا الاسم جارياً عند اللبنانيين في مبادئ القرن الخامس عشر. راجع تاريخ الموارنة للدويهي ص (١٣٢)

شديدًا حازمًا لا يتنازل عن شيء منها لانهُ كان يعد كل ما للدير من املاك نصيبًا لله ووقفًا للفقراء ويعتبر نفسهُ مدبّرًا لها ومطالبًا بالمحافظة عليها فضلًا عن انهُ كان يرى ان اقلّ تهامل في امرها هو مخالف لنيّات الواهبين الذين وقفوها على الكنيسة غير مريدين اصلًا إلحاقها باملاك الظالمين المستبدين

ولهذا احتجَّ احتجاجًا حازمًا على اعتداء جوسلين ولمّا رأى انَّ احتجاجهُ لم يجدِ نفعًا لزم السكوت غير انهُ اثناء اقامتهِ في بشرّاي اطلع الامير رزق الله على اعمال جوسلين الذي كانت تكاثرت الشكايات من ظلمهِ وعسفهِ فجاء عملهُ الاخير مسعرًا لغضب الامير رزق الله الذي عزم في هذه المرَّة على تأديبهِ وايقافهِ عند الحد المرسوم له. وعليهِ اكّد للاب يوحنا تأكيدًا صريحًا بانهُ سينظر في المسألة ويردّ لهُ الملك المغصوب فسار الاب من عنده ممتلئًا ثقةً بحسن المآل وقد قيل في الامثال الانسان يفكر والله يدبّر وقيل ايضًا ان المستقبل لله وحدهُ فبيدهِ كل شيء.

١٠

— اعلم ان جوسلين رجل مقتدر فاحترز منهُ يا صاح. ففي هذا الزمان الذي نحن فيهِ لا بدَّ من ان نحسب حسابًا مهمًّا لصاحب قصر القليعة فانهُ يستطيع متى شاء ان يفرض علينا كل ما يريد من التكاليف والمشاق ويمنعنا من رعاية مواشينا في جميع اراضيهِ فحياتنا اذًا وشرفنا ايضًا وكل شيء لنا هو بين شفتيهِ. واكرّر عليك القول انهُ رجل مقتدر ومرهوب

بهذا الحديث كان يتكلّم في غابات النبي شيت راعٍ قديم الأيام اسمهُ سركيس مخاطبًا رفيقًا لهُ اسمهُ عبد الله أصغر سنًّا منهُ فهذا لمّا سمع كلام صاحبهِ اجاب قائلًا:

اعترف لك انَّ جوسلين رجل مقتدر ولا اعارضك أصلًا في انّهُ مرهوب ومخيف. امّا كونهُ عادلًا فهو امر آخر. واعلم ان اميرنا ومولانا رزق الله هو رجل حازم للغاية لا يقوى شيء على الاعتراض في سبيل مقاصدهِ ولم نسمع ان احدًا حتى الان يشكو من عدلهِ وامّا جوسلين فالكل . . .

— ألا تعلم ان جوسلين ينتمي الى اعرق واشرف أسرة في البلاد وانَّ اجدادهُ جاؤوا من نحو اربعمائة سنة من وراء البحار فاتخذوا هذه الارض وطنًا جديدًا. ثمَّ انهُ غنيّ جدًّا . . .

— وماذا يهمّ الغنى والثروة وقد قال الامير « ان أحقر رعاياه يساوي اغنى وايسر مقدَّم تحت سلطته ». وما ذلك الّا لانهُ يريد العدل لا غير

— وكيف تعمل اذا كانت لك ارض محاذية لاراضي جوسلين فامر هذا اتباعهُ ليلًا بان يغيّروا مواقع الحدود فمن اين تسترجع ارضك أما تكون قد خسرتها وتصير مضطرًّا الى الصبر على البلوى دون ان تجسر على رفع صوتك بالشكوى

— وكيف يقدر على عمل كهذا. وهب اني لا املك صكوكًا ووثائق تثبت ملكيَّتي فمن اين لهُ وثائق تعارضها ؟ هذا فضلًا عن ان الناس كلهم يشهدون باني ورثت الارض من آبائي واجدادي

— لا يتجاسر احد على الشهادة لك لان خوفهم من جوسلين يُسكت كل لسان عن ان ينطق بالصدق. أو لم يكن مع الاب يوحنا وثائق تؤيد ملكيَّتهُ فايّ شيء نفعتهُ ؟ أما ان اهل جبل اللكام كلهم يشهدون لهُ ولكن ماذا اجداهُ ذلك هل وقف حاجزًا في سبيل مطامع جوسلين ؟. هذا وعليك الآن ان لا تنسى خطيبتك فاني عالم باهتمامك بها فضحِّ كلَّ شيء في سبيل استردادها

— لا ريب انَّ اختطافها من أقبح الشناعات وافظعها ألم يبقَ اذًا في جبل اللكام رجال من ذوي المروءة والاستقامة ام هل كفَّ الامير رزق الله عن الولاية. هل ماتت شرائعهُ وهجع عدلهُ. اننا من قديم نعرف لنا الحقّ في الاحتطاب من غاباتنا غير انَّ خطيبتي دخلت سهوًا منها في حمى جوسلين فاذا كانت قد اقترفت بذلك ذنبًا فكان عليهِ ان يلزمها بالغرم. ولكنهُ بدلًا من هذا كلهِ حبسها في سجنهِ وحتى الان لم يحاكمها. ولمَّا عرف انها خطيبتي اراد في بادئ الامر ان يرهبني ثم انهُ لمَّا رأى انها جميلة احبَّ أن يغويها مريدًا ان ينزعها مني. وهل تظنّ اني اصبر على عملهِ ؟

— وماذا عسى ان تعمل ؟

— سترى ماذا أعمل لاني اذا لم أُنصف غدًا اشخص حالًا الى المقدَّم رزق الله في لبنان فانهُ شديد على المذنبين وقد قضى من مدَّة بالاعدام على اثنين من المشايخ لتجرؤهم على سلب ابناء السبيل. واخبرني احد اقاربي الذي عاد مؤخرًا من بشرّاي انهُ نسف برج مقدَّم ايطو نسفًا لانهُ كان يصادر المسافرين ويلصهم. وليس جوسلين باكبر من ان ينفذ فيهِ عدلهُ. ولعلَّهُ يظنّ ان ابتعادنا عن لبنان يمنع المظلومين عن ايصال صراخهم

الى اميرهم العادل. ولكني سأريه عكس ما يتوهَّم. ثم ان الاب يوحنا الذي هو ابو جميع المظلومين وعدني بالمساعدة

— الله ومار جرجس يعينانك

ثم التفت الراعي فرأى ان قطيعهُ من الماعز قد تشتَّت وتبدَّد فالتمس العذر من رفيقهِ وبعد ان ودَّعهُ وتمنى لهُ التوفيق ذهب الى جمع الماعز وغاب عن الابصار مختفياً ما بين اشجار الغاب

امَّا الراعي عبد الله فانهُ ذهب في اليوم التالي الى قصر القليعة فوجد الابواب موصدةً كجاري العادة فطلب من الحراس ان يرخّصوا لهُ بمواجهة جوسلين فصدّوهُ واشبعوهُ ضربًا. فصمَّم حينئذٍ على الذهاب الى لبنان فحمل عصاهُ ولفَّ بعض ارغفةٍ في فوطةٍ ترَّنز بها وسار في طريقهِ وهو ممتلئ رجاء واملاً في عدالة المقدم رزق الله. وكان قد ترك وراءهُ اعزَّ الاشياء على قلبهِ اعني خطيبتهُ وقطيعهُ فكان تذكارهما يجدّد قواهُ في سفرهِ الطويل الذي لم يُعانِ اعظم منهُ كل حياتهِ

١١

وكان وصولهُ الى بشرَّاي يوم الاحد بعد خروج القوم من سماع القدَّاس الالهي في كنيسة مار سابا اكبر كنائس تلك المدينة. وكان المقدَّم رزق الله في جملة القوم غير انهُ خرج آخر الجميع يصحبهُ بعض الكهنة ومشايخ الجبل وامرائهِ. فبعد خروجهِ جلس في ظل سنديانة كبيرة نابتة قدام الكنيسة وكانت هذه عادتهُ كل ايام الاحاد اي انهُ يجاس لسماع ظلامات الشعب بنفسهِ فكان كل احد يحقّ لهُ ان يتقدَّم اليهِ ويعرض لهُ ظلامته دون وسيط فيفحص في الحال دعواهُ وينصفه. فلمَّا ابصر الراعي الامير رزق الله جالساً والناس يتقدَّمون اليهِ عارضين لهُ امورهم شفاهًا تقدم في جملة الناس. فقال لهُ الامير بعذوبةٍ : ما هي حاجتك

فقال: ان تنصفني ايها الامير من السيد جوسلين الذي غصبني ملكي واختطف مني خطيبتي

فقال الامير : اجلس — واشار الى حجر كبير بالقرب منهُ — وأَخبرْني بالتفصيل عن امرك

امَّا الراعي فامتثل الامر وجلس وكان خائفًا مذعورًا لكنهُ ما لبث ان تشدَّد

وتشجّع واخذ يقصّ على المقدّم رزق الله حكايته من اولها الى آخرها مازجاً ايّاها بتفاصيل عديدة خالية من الفائدة شان العامّة في اخبارها

وكان المقدم يسمع بانتباهٍ واصغاء كل كلمة دون ان يقاطعهُ بشيء من حديثهِ المملّ فلمّا اتمَّ الكلام سكت هنيهةً ثمَّ قال :

— تقدَّمت لي شكاوي عديدة على السيد جوسلين فان كان ما قلتهُ صحيحاً وثابتاً فاني غير متأخر عن عقوبتهِ . ولكنك اذا كنت تخدعني وتغشني فاعلم انَّ قصاصك يكون عظيماً

— اني خاضع لكل قصاص تقضي بهِ ايها الامير

— كفى اننا سننصفك . فعُدْ الآن الى بلادك وتصبَّر والزم الصمت ... وعليَّ الباقي . لكن اوصيك وصيَّةً واحدة وايّاك مخالفتها اذهب بعد اسبوعين الى قصر القليعة وقفْ على بابهِ يومياً . أفهمتَ . بعد اسبوعين . . لا تطلب مزيد شرح

وحينئذٍ قبّل الراعي يد المقدم وتنحى ولمّا لم يبقَ احد من ذوي الحاجات دخل المقدَّم الى قصرهِ يتبعهُ موكب من المقدَّمين والامراء وكانوا جميعاً من اتباعهِ وقد استدعاهم في ذلك اليوم لاجتماع فائق العادة فلبَّوا كلهم دعوتهُ ما خلا السيد جوسلين

(ستأتي البقيَّة)

حلُّ مُعقَّدات

لحضرة الاب العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

١ً (الطارمة) جاء في المشرق (٣ : ١١٢٤) ما نصهُ : « ورَصدنا اياهُ كان خلال الطارمة (؟) » هكذا بعلامة الاستفهام اثر كلمة الطارمة . قلتُ : الطارمة عندنا كلمة معروفة مشهورة يُراد بها المشى المفتوح الوجه او المشرف على الدار في الطبقة الاولى منها (galerie ouverte) ويراد بها المشى المبني حوالي صحن الردهات الكبرى (galerie des bas-côtés d'une mosquée) وربَّما وُضع مشبَّك منعاً لدخول ضياء الشمس الباهر للعيون (véranda) وكانت هذه الطارمات تُبنى من الخشب في الزمن القديم ويُقام في احد طرَفيها او وسطها بناء مقبَّب . وامَّا اليوم فتبنى من الخشب

والآجرّ. وعلى الاوّل جاء في التــاج: « الطارمة بيت من خشب. فارسيّ معرّب. نقلهُ الجوهري. زاد الازهري: « كالقبّة. وهو دخيل » اه. قلتُ: هو دخيل فارسيّ وفارسيّتهُ « طارم » ومعناهُ الكوخ المبني بهيئة القبة والقبّة نفسها (١. والطارمة عند الملاحين: حجرة في مؤخر المركب (rouf *ou* carrosse ; dunette) (٢

٢ً (تعريب الفاظٍ تجاريّة شائعة عند الفرنج راجع المشرق ٣: ١١٠٣)

manifester des marchandises عَهِد بضائع او بمال (٣
ouvrir un crédit à qqn. فتح اعتمادًا او باب اعتمادٍ لاحد
lettre de crédit كتاب ورسالة اعتماد (٤
à forfait قطعيّ, مقطوع forfait مساومة, معاملة قطعية
spéculer ضارَبَ spéculation مضاربة
Réserver bon acceueil à une traite استعدّ لقبول حوالة
protêt احتجاج (٥ protester une lettre de change احتجّ على السُّفتجة (٦
Poids brut *ou* net وزن الكُلِّ ووزن الاصليّ bénéfice brut *ou* net ربح مجمل وربح خالص
sucre brut وسكّر (خام) سكّر غير مصفًّى
lettre chargée كتاب مُثْقل (٧

١) بالفرنسيّة cabane ; hutte à toit arrondi *ou* voûté, voûté, dôme, coupole

٢) وجاء في الص ١١٢٥ « تقدّم الحساب في الزمــان (كذا) الوقت المرصود » اي ان الحساب الذي كان قد حسبهُ الراصدون سبق الوقت الذي تحقّقوهُ من الرصد جُنيهة من الزمان.. وجاء في تلك النص ايضًا: « كان اكثر ما انكسف من قطر الشمس خمس اصابع ونصفًا على حسب التحزّي (?) » بعلامة الاستفهام اثر لفظة التحزّي. والتحزّي التقدير والخرص وهي لفظة شائعة عندنا في تقدير عدد النخل. وكذلك شائعة عندنا لفظة الخَرْص والخرّاص

٣) وفي اللغــة: عَهِدتهُ بمال: عرّفتهُ بهِ. ونقل المعنى الى التعريف لصاحب المركب بيّن واضح فصيح

٤) من اصطلاح المعاصرين. ولهُ وجهٌ فصيح ومعنى صريح

٥) وقد يستعمل التجار اللفظة الفرنجية بروتستو ونحن في غنًى عنها

٦) والسفتجة يسميها التُّجار الهوليصة او البوليصة او البوليجة وهي فرنجيّة معرّبة

٧) والبغداديون يقولون: محمَّل او فيهِ دراهم غير ان لفظة المُثقل اصحّ. لان التُّجار اول ما ابتدأوا في ارسال الدراهم الى المُرسل اليهِ كان بوضع دراهم او دنانير خفيفة الوزن ومن ذلك اشتقاق اللفظة. وعليــهِ وان بدّلت الدراهم بالاوراق او الحوالات فلا بأس بابقاء اللفظة على اصل وضعها واستعمالها

recommandée متعهّد (١ , مسجّل affranchie خالص الاجرة
traite (كمبيالة (٢) حوالة ; lettre de change (بوليصة(٣) سفتجة (بوليسة.بوليجة) ;
remise تسليم ; mandat; امر بالدفع ; billet ورقة ; effet سند, وثيقة assurer des mar-
chandises ضمان بضائع (٤ assurance sur le vie (٥ استعهاد ; prime d'assurance ;
(بيمة (٦) اجرة الضمان او بدل الاستعهاد ; agio (باش (٧) قرق فلوس ; agiotage اتجار
بالاوراق

٣ (الطَّراحة) وجاء في المشرق (٣: ٧٦٥ و ٧٧٧) ابدال لفظة الطَّراحة بالحُشيَّة او النضيدة. قلتُ: ان هاتين اللفظتين وان كانتا تُصلحان للمعنى المطلوب من لفظة الطرَّاحة فلا أرى سبب نبذها او ابدالها بلفظة اخرى. لان الطراحة ليست عاميَّة كما صرّح بها صاحب محيط المحيط بل هي مولدة قديمة لا بل عربيَّة فصيحة. وقد استعملها ابن العبري في كتابهِ تاريخ الدول (ص٤٩٣) من طبعة الاب صالحاني اليسوعي اذ قال هناك: «ولمَّا وصل الكتاب الى الملك الصالح ووقف عليهِ وضعهُ تحت طرَّاحتهِ». وقال المقريزي في كلامهِ عن الدواوين ما نصهُ بحرفهِ: «... ديوان الجيش وفيهِ مستوفٍ اصيل لا يكون الَّا مسلماً ولهُ مرتبة على غيرهِ لجلوسهِ بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس ولهُ الطرَّاحة والمسند» اه. امَّا كونها فصيحة فقد قال صاحب التاج: «طرح لهُ الوسادة القاها وطرحوا لهم المطارح والمفارش الواحد مطرح كمفرش» اه. وعليهِ فقولك

١) من تعهَّد الشيء اذا تفقَّدهُ وتحفظ وجدَّد العهد بهِ. وذلك نظرًا الى ما يُبذل من الاعتناء الخصوصي للرسائل المتعهدة. ويجوز لك ان تسميها بالرسائل المسجلة لان هذا النوع من الرسائل يدوَّن عددهُ في سجلٍ للبحث عن سبب فقده عند الحاجة

٢) افرنجيَّة استعملتها التُّجار ٣) مرَّ ذكرها

٤و٥) ويسمّي التجَّار الضمان بالسيكورتا وهي لفظة ايطالية. وفي الكُتُب التي يرجع اليها في هذا الموضوع. الضمان: الكفالة وهو اعمُّ منها كما يظهر من تفسير انواع الضمان الذي منها ضمان البيع وهو كون المبيع مضموناً بالثمن سواء كان مثل القيمة ام اقلّ ام اكثر. والضمان خاص بالاشياء كالبضائع وسائر العروض والاموال. واما ضمان النفوس فيسمَّى «بالاستعهاد». وقال اللغويُّون: استعهد فلاناً من نفسهِ: ضمَّنهُ حوادث نفسهِ. ولا تبدل اللفظة بالاخرى كما فعل صاحب الضياء اذ سمَّى مطلق الضمان (السيكورتا) بالاستعهاد وهو خطأ واضح لا يحتاج الى التصريح بهِ

٦) البيمة لفظة بغدادية عاميَّة محدثة مصحفة عن بريمة الافرنجيَّة. واذا اردت تعيين لفظة تُناسب الضمان فقُل قيمة او اجرة الضمان. اما «الاستعهاد» فتسبق بلفظة «بدل» لان النفس لا تُباع ولا تُقيَّم ولا تُوجر فتقول «بدل الاستعهاد»

٧) لفظة عاميَّة بغدادية محدثة فارسية الاصل

طرّاحة كقولك سجّادة. وهذه ليست مولّدة كما ذكرها صاحب محيط المحيط اذ قال « والسجّادة عند المولّدين الطنفسة وبعضهم يقول سدّاجة » قال هذا بعد ان ذكر انّ: « السجّادة مؤنث السجّاد والخمرة. كانهُ نسي ان من معاني الخمرة المسجدة وهي حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليها المصلي تُعمل من خوص النخل وتُرمل بالخيوط. سُميت بذلك لانها تستر الارض عن وجه المصلّي (محيط المحيط في خ م ر) فنقل معنى الحصيرة التي يسجد عليها الى الطنفسة التي يُسجد عليها أولا شيءٌ معهود في اللغة من باب اطلاق المقيَّد. وعليهِ فسجّادة عربيّة فصيحة واما سدّاجة فهي عاميّة لا مولّدة كما يؤخذ من كلام صاحب محيط المحيط. وامّا اللغة الثانية المسموعة والمنقولة الينا فهي سُجّادة بضمّ السين كما نصّ عليها السيد المرتضى في المستدرك. فارجع اليهِ ان شئت التحقيق (ستأتي البقيّة)

سكّان المرّيخ

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ما لاحت انوار العصر الجديد حتى بشّرتنا بعض الجرائد والمجلات باكتشافٍ عظيم عدّوهُ احسن مفتتح للقرن العشرين وتفاءلوا بهِ ولا تفاؤل اهل القرن الخامس عشر باكتشاف اميركة. وان سألت ما الخبر أجبناك: افرح وتهلّل ايها الانسان فانك لست وحدك منفيًا في فضاء الجوّ ولك رفقةٌ مثلك يعيشون في الافلاك التي تراها عينك في حلكة الليل ولعلّك عمّا قريب تباحثهم ويباحثونك وتكشف لهم اخبار ارضك كما وهم يكشفون لك ما انطوى من اخبارهم العجيبة

وكأني اراك ايها القارئ العزيز تهزّ برأسك متهكّمًا فتقول: واي دليل على ذلك فانّ المشرق واصحابهُ لم يعوّدونا حتى الآن على الافك والكذب. قلتُ: وما كنتُ ايضًا لأصدّق خبرًا مثل هذا حتى وجدتهُ في عدّة نشرات ولم تأنف جرائدنا الشرقيّة من ذكرهِ فطلبتُ مثلك بيّنة على صحّة هذا القول ولم ازل اقصّ آثار الرواة لعلّي ابلغ اوّل حلقة من هذه السلسلة المتواصلة فوجدتُ انّ منبع الخبر من اميركة. فسُرّي عني لعلمي بانّ العالم الجديد هو ايضًا عالم العجائب فصمّمت على السكوت وانا عارف بانّ اراجيف

كهذه لا تلقى قلبًا واعيًا. ولكن ما مرَّ عليَّ بعض ايام حتى فهمت أنني اتّهمتُ الاميركيين هذه الدفعة تهمةً باطلة وان ما رووا كان صحيحًا في اصلهِ الّا انَّ ارباب الجرائد تأولوا لهُ تأويلات اخرجتهُ الى حيز الترّهات . وهاك صادق الخبر

لمَّا كانت ليلة ٨ كانون الاول انبأ المسيو دوغلاس في مرصد اريزونا من الولايات المتحدة زميلهُ المسيو بكرنغ في مرصد هاروَرد بظاهرةٍ عجيبة عاينها في سيارة المريخ. فنقل المكتب العام الموجود في كِيلْ هذا الخبر كمألوف عادتهِ واعلم بهِ بقيَّة المراصد الاوربيَّة بلسان البرق. وكان منطوق النبإ التلغرافي على هـذه الصورة: « قد حدث في الشاطئ الشمالي من البحر الايكاري (احد انحاء المريخ) ظواهر نوريَّة ساطعـة دامت ٧٠ دقيقة ». فما اطلعت الجرائد على هذا الكلام الوجيز حتى اسرعت الى تدوينهِ وهي لا تعلم شيئًا من اصطلاحات الفلكيين فقالت: « قد اتحف اهل المرّيخ كرتنا الارضيَّة بارسال انوار كهربائيَّة اليها ». وبين المعنيين كما ترى بون شاسع

فكان لهـذا النبإ البرقيّ في القلوب وقع كبير وخاضت الجرائد في مجال الاوهام وكرّروا ما كتبهُ بعض اصحاب الاقاصيص عن سكّان السيارات بل بلغ الهوس بالبعض الى ان شرعوا يبحثون على طريقةٍ لمخابرة هؤلاء الاخوان المجهولين فمنهم من ارتأى ان يزرعوا غابات كبرى في مجاهل افريقية او مفاوز اميركة ليرى المريخيون اشكالها الهندسية ويعرفوا بذلك اننا ادركنا وجودهم. ومنهم من اقترح اصطناع نظَّارة مقرّبة اضخم من كل النظَّارات السابقة لرصد حركاتهم ووضع اشارات من الالوان المختلفة لنخابرهم كما يتخابر اهل البحر عن بُعد. ومنهم من حاول منذ اختراع التلغراف بلا سلك ان ينصب ساريًا يبلغ علوهُ الف متر لمراسلة اصحابنا المريخيين فنصبر على النوى ريثما يجد احد العلماء مركبة جوّيَّة تسمق بنا يومًا ما الى سطح هذه السيَّارة كما اخبر القصاص جول ڤرن عن القمر

ولقائل يقول قد عرفنـا انَّ ما رواهُ كتبة الجرائد كذبٌ حنبريت ولكن ما هـذه الظواهر النوريَّة التي لاحت للمسيو دوغلاس في مرصد أريزونا أفيكون معلولٌ بلا علةٍ

نجيب انَّ هذه الانوار المرّيخيَّة قد شاهدها العلماء منذ نحو ٤٠ سنة ثمَّ عاينوها المرَّة بعد المرَّة الّا انَّ احد ائمَّة الفلكيين في فرنسة المسيو پروتين (Perrotin) اكثر من رصد المرّيخ في سنة ١٨٩٢ في مودون (Meudon) فوصف هذه الانوار واخذ منها

رسوماً فحصها فحصاً مدققاً أدّى بهِ الى تعريف اصلها وسببها فقال ما ملخّصهُ: «ان في طبقات سيّارة المريخ العليا غيوماً متجمّدة الدقائق لعلوّها فاذا انارت الشمس باشعّتها هذه السحب انعكس نورها الى ارضنا فظهرت للراصدين على اشكال شتى تترجرج مع حركة الغمام». وهو رأي لا يخلو من الصواب يقرّبهُ الى الفهم ما نراهُ على سيّارتنا نفسها من تراكم السُحُب في اعالي الفضاء وانعكاس اشعّة الشمس عنها في بعض فصول السنة فلو وُجد في المريخ راصد يرصد احوالنا الجويّة لرأى ما نراهُ منهُ في مستوقد نظّارتنا المكبّرة. وقال غيرهُ بل الاحرى ان يُقال انّ الانوار ناجمة عن انعكاس اشعّة الشمس عن قمم جبال المرّيخ واطوادهِ الباسقة التي تنتصب في عنان السماء كجبال حملايا في ارضنا او أعلى والحركات المرصودة ناجمة عن تنقل المريخ ودورانهِ حول الشمس حسبما تقع اشعّتها على اقسامهِ المختلفة

وهنا مسئلتان لاحقتان بموضوعنا احببنا ان نعرضهما على القرّاء ونبحث فيهما مليّاً. الاولى عموميّة هل من مانع يمنع عن القول بان للنجوم والسيّارات سكّاناً. والثانية خصوصيّة هل يمكن بشراً مثلنا ان يسكنوا المريخ

نجيب على الاولى انّ هذا بحثٌ تجاذب اطرافهُ كبارُ العلماء فوضعوا فيهِ التآليف العديدة فمنهم من اثبت ومنهم من انكر. فالمثبتون يرون انهُ من المحال انّ أُلوف الوفٍ من الاجرام الفلكيّة التي اكثرها يفوق ارضنا عظماً وشأناً تبقى خاوية خالية من احياء ناطقين يخلقهم الله ليسبّحوهُ في هذه الافلاك كما يسبّحهُ عبادهُ على الارض. يقولون انّ كرتنا ليس لها من الخواص ما يفرزها عن غيرها ليصطفيها الله ويجعلها سكناً لخلقهِ دون سواها. او ليس اجدر بجلالهِ تعالى ان يجعل في هذه العوالم مخلوقات ناطقة تجارينا في الاعمال الشريفة لاسيما خدمتهِ عزّ وجلّ؟ ولعلّ صاحب المزامير اشار الى هذه الحقيقة حيث قال (١٨: ٢): «ان السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديهِ»

هذه اخصّ الادلّة التي يستند اليها بعض الكتبة ومنهم كاثوليكيون اورثذكسيون لا شبهة في ايمانهم. لكنّ المنكرين يبطلون هذا القول ببراهين اخرى فيقولون انّ كل هذه تخيلات وهميّة لا صحّة لها وانهُ لا يسوغ لنا ان ننسب الى الله افكارنا البشريّة فانهُ تعالى حرٌّ كما انهُ حكيم يفعل ما يشاء وكما يشاء. فلا حاجة ان يصنع ما نراهُ نحن

الأحسن فكفاهُ عزَّ وجلَّ ان يظهر في ارضنا كنوز مواهبهِ واسرار نعمهِ فان فضّل عالمنا على غيرهِ فما ذلك الّا ليكشف لنا شيئًا ممّا يستطيع ان يفعلهُ وقدرتهُ لا يحصرها حاصر . امّا قول النبي داود فيصدق ايضًا مع خلوّ الاجرام السماويّة من السكّان او ليس الجماد يسبّح الله حسب طبيعتهِ فضلًا عن انّ البشر اذ يطلقون طائر الفكر في هذه النجوم الزواهر ويبحثون عن صفاتها لا يتمالكون من تمجيد الله فيها . فيصرخون مع صاحب الزبور (مز ١٤٨ : ١—٣) : سبّحوا الله في الاعالي ... سبّحيه ايتها الشمس والقمر سبّحيهِ ايتها الكواكب

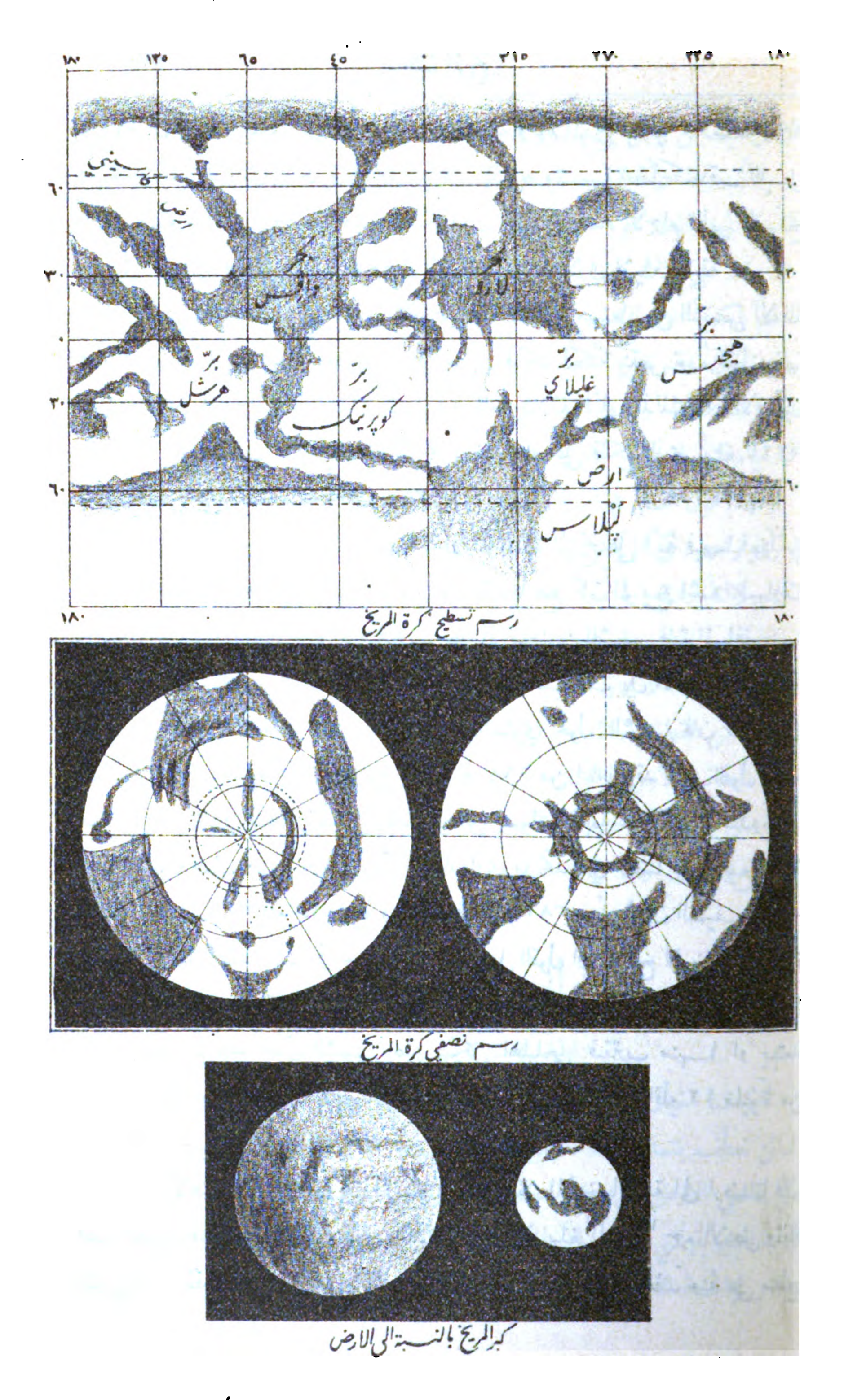
فترى من القول السابق انّ لكلا الرأيين سندًا لا يمكن احدًا ان يبتّ فيهما حكمًا . وغاية ما ينبغي للكاثوليكي ان يعتقدهُ سواء قال بوجود مخلوقات ناطقة في الاجرام العلويّة او لم يقل انّ سكّان هذه الكواكب ليسوا من نسل آدم وانّنا لا نعرف ما هم عليهِ بالنسبة الى معرفة الله ووحيهِ واسرارهِ

وان تخطّينا الى المطلب الآخر اعني هل يمكن لبشر مثلنا متصفين بخواصنا الجنسيّة والنوعيّة ان يعيشوا في المرّيخ اقتضى لنا ان نورد قبل الجواب على ذلك شيئًا من احوال المرّيخ لنقابل بينها وبين شؤون ارضنا فنقول :

انّ المرّيخ اول السيّارات العليا التي تدور خارج فلك الارض مع دورانها حول الشمس . واوّل ما يستلفت النظرَ اليهِ في هذه السيّارة لونها الاحمر ولذلك قد اعتبر الاقدمون المرّيخ كالهِ الحرب للونهِ الدموي . لكن من يرصد سطح هذه المتحيّرة بالنظّارة الكبرى يرَ لها ايضًا بقعًا سودًا ونكتًا رماديّة او ضاربة الى الخضرة امّا القطع المحمرّة فقد اجمع العلماء على انها قارات المرّيخ وبرّهُ كما انهم قدّروا انّ بقعهُ السود والخضر هي اوديتهُ وبحورهُ . وللمرّيخ عند قطبيهِ فسحتان مختلفتا الكبر لهما بياض ساطع رجّح الفلكيون كونهما مسافات متسعة يتغلب عليها البرد القارس والجليد والثلوج الغراء . والدليل على ذلك انّ هذه المفاوز تتقلّص وتقصر في بعض الفصول بقوّة اشعة الشمس التي تذيب منها قسمًا . والجليد والثلج وبحور المياه كلّ ذلك دليل واضح على انّ للمرّيخ جوًّا كجوّنا يحيط بهِ فتتوالى عليهِ الظواهر الجويّة التي نراها في ارضنا كالهواء والغيم والمطر وغير ذلك

ومن خواصّ المرّيخ التي تقرّبهُ الى الارض انّ بين دورانهما على محورهما تشابهًا .

72



رسم تسطيح كرة المريخ

رسم نصفي كرة المريخ

كبر المريخ بالنسبة الى الارض

فانَّ دوران الارض يوميًّا يتمُّ باربع وعشرين ساعة ويوم المريخ بنحو ٢٤ ساعة و ٤٠ دقيقة. فتكون النواشئ الجوّيَّة الناتجة عن هذا التشابه متناسبة ايضًا كتعاقب الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها وطلوع الكواكب فانَّ كل هذه الاجرام تظهر للمرّيخ كما تظهر لنا وفي اوقات مناسبة للاوقات التي تعبر علينا الّا في اشياء طفيفة

وزد على ذلك انَّ المرّيخ كثيف كالارض لهُ مثلنا نورٌ مستعار من الشمس الّا انهُ لا يُكسف عنّا البتة كسوفًا تامًّا لوقوعهِ خارجًا عن فلكنا لكنَّهُ ينقص نورهُ فقط ويظهر محدَّبًا اذا كان في التربيع فيُرى مثل القمر قبل تمامهِ بثلاثة ايَّام ولذلك كان الاقدمون يلقّبون المرّيخ بالاحدب. ويُشبه ايضًا المرّيخ ارضنا بميلهِ على فلكهِ الذي يبلغ ٢٤° ٥٢َ وميل الارض على سطح منطقة البروج ٢٣° ٢٧َ

هذه اخصّ الوجوه التي تتشابه بها سيَّارتنا سيَّارةَ المرّيخ على انَّهُ فيهما ايضًا من الاختلافات العظيمة التي تجعل بينهما بونًا شاسعًا مع كون المرّيخ اشبه السيارات بارضنا كما سبق. واوَّل هذه الاختلافات بُعد المرّيخ عن الشمس فان المسافة بينهما تبلغ ٢٢٧ الفَ الف كيلومتر وهي لا تتجاوز ١٤٩ الفَ الفٍ بين الارض والشمس. فينتج عن ذلك اختلافات اخرى كطول دورانهِ السنويّ حول الشمس فانَّ سنتهُ قرب ضعف سنتنا لانها تدوم ٦٨٧ يومًا من ايَّامنا او ٦٦٨ من ايَّامهِ وقد سبق القول انها اطول من ايامنا. وكذلك يزيد كلُّ فصل من فصولهِ الاربعة على فصولنا فيدوم نحو خمسة اشهر ونصف وليس بين الفصول من التساوي ما نجدهُ في ارضنا فانَّ ربيع المريخ وصيفهُ يدومان ٣٠٦ ايام امَّا خريفهُ وشتاؤهُ فيبلغان ٣٨١ يومًا. ثم انَّ الصيف والشتاء في جهة الشمال اشدّ منهما في جهة الجنوب ومجمل القول ان المرّيخ لا ينالهُ من حرارة الشمس الّا ثلث حرارتنا

ويدور المرّيخ حول الشمس على شكل اهليلجي فيقترب منها او يبتعد حسب أطوار سنتهِ بحيث يصبح الفرق بين معظم بعدهِ عنها واقلّهِ ٤٢ مليونًا من الكيلومترات

ومن الاختلافات الواقعة بين المرّيخ وكرتنا صغر المرّيخ بالنسبة الى ارضنا فانَّ قطرهُ نصف قطر ارضنا بنيّف قليل وكذلك جرمهُ لا يبلغ الّا ١/٧ جرم الارض وثقلهُ النوعي ١/٩ ثقلها فيحصل من ذلك ان الثقل على سطح المرّيخ اخفّ منهُ على سطح

الارض فيمكن لرجل يرفع بيده في ارضنا ٣ اواق ان يحمل ٩ لو وُجد في المرّيخ

امّا سرعة حركة المرّيخ في دورانها حول الشمس فهي ايضًا اخفّ من سرعتنا فانها بالنسبة الى ارضنا نحو ٨/٢ سرعتها

وزد على ذلك انّ المرّيخ ليس لهُ قمر يدور حولهُ كقمرنا فيلطّف سواد ليلهِ الدلهمّ لكنّ نور الشمس ينعكس من ارضنا اليهِ فيرى من نورها فوق ما نرى من نورهِ ضعفين. وقد تفرّد ايضًا المرّيخ بشبه تُرَعٍ او خلجانٍ تُرى فيهِ كأنّها الجداول المتّسعة قدّر العلماء رُحبها بالوفٍ من الاميال وسرُّها لا يزال مكنونًا حتى اليوم فقيل انّها مياه تمتدُّ في بعض الاوان وتجزرُ في أُخرى. وقيل انّها غابات واحراج والله اعلم

فهذا قول مجمل في احوال المرّيخ ووجوه التشابه والتباين التي بينهُ وبين ارضنا. فهل يا تُرى لو وجد في المرّيخ بشرٌ مثلنا لا يختلفون عمّا نحن فيهِ في ارضنا من حيث النفس والجسم والتأثيرات الحسيّة استطاعوا ان يعيشوا كما نعيش نحن في سيّارتنا ؟

فجواب العلماء على هذا السؤال بالايجاب لانّ المرّيخ لا ينقصهُ شيء من اللوازم الجوهريّة لعيشة الانسان كالهواء والماء. ومن المحتمل ان يكون ايضًا فيهِ النبات للقوت وان لم يمكن القطع بذلك. ولكن لا غرو انّ الحياة تكون في المرّيخ كثيرة الاوجاع عديدة المصائب لاجل الاختلافات التي عاينّاها بين الارض والمرّيخ. وعلى كل حال انّ ابحاثًا مثل هذه لا يمكنها ان تكون إلّا افتراضات وتخيّلات محضة تشغل عقول البشر دون فائدة كبرى. والله المرشد لعبادهِ

اليوبيل الجديد

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

افادتنا اخبار رومية العظمى بان امام الاحبار بعد ان ختم اليوبيل القرني في امّ المدائن تعطّف بتمديد هذا الزمن الميمون لجميع العالم الكاثوليكي لينال كلّ المؤمنين حتى اقاصي الارض من بركاتهِ حظًّا وافيًا. وقد عرّب البشير الاخير (٤ شباط ١٩٠١) البراءة البابويّة التي تمنح لسائر المعمور هذه الهبات الروحيّة والنعم الخلاصيّة وعمّا قليل سينشر نيافة القاصد الرسولي السيد الجليل كرلوس دوفال منشورًا في هذا الخصوص

ليعلن بهِ اليوبيل المذكور ويحـدّد زمانهُ وشروط اكتساب غفارينهِ. فانتهزنا نحن ايضاً هذه الفرصة لنبحث في مجـلة المشرق بحثاً علمياً موجزاً عن اليوبيل وتاريخهِ وخواصهِ وشروطهِ العموميَّة فنقول وعلى الله الاتكال

١ اليوبيل قبل المسيح

اعلم انَّ للامم والشعوب مواسم وأعياداً كما للافراد فمنهـا سنويَّة ومنها ما يعود بعد ردهة من الدهر كل خمس سنوات او عشر سنـين او عشرين سنة يختلف ذلك على اختلاف الاقطار والازمان. فكان لقدماء الكلدان مظاهر انشأها ملوكهم واحتفلوا بها في بعض السنين بافراح عظيمة غير مألوفـة وكان الملوك يمنحون رعاياهم من النعم الفائضة والسوابغ الجزيلة ما يجذب اليهم القلوب ويزيد الناس تعلُّقاً باريكتهم

وكذلك نرى عند قدماء المصريين عيدًا اشبه باليوبيل كانوا يقيمونهُ للفراعنة اذا ما بلغوا السنة الثلاثين من ملكهم. وهو اكتشاف حديث وقف عليهِ علماء العاديَّات المصريَّة وبيَّنهُ آخرًا المعلم غيليوم شپيغلبرغ (١ في مقالة لهُ في هذا الصدد. وكان هذا اليوبيل المصري يدعى « عيد الذَّنَب » يريدون ذَنَب ابن آوى. لان ابن آوى كان عند المصريين اشارةً الى الملك وجلوسهِ على منصَّة الملك وكانوا يتخذون لذلك اذناباً لبنات آوى يأتزرون بها او ينشرونها كرايات يتيمَّنون بها

وكان للقديونيين ايضاً نوع من اليوبيل يعود في ازمنة محدودة تُمنح فيهِ للعيـال القديمة امتيازات خاصَّة وتستردُّ الأسر الشريفة قسماً من املاكها السابقة اللهمَّ اذا فقدتها لحدثان الدهر ليس لجناية اقترفتها. ولعلَّ ليكورغس مشترع اللقديونيين اخذ هذه السنَّة من الشريعة الموسويَّة كما سترى

على انَّ الله عزَّ وجلَّ لم يحرم شعبهُ من هذه النعمة الجزيلة. والحق يُقال ان الربَّ سنَّ على اسرائيل اليوبيل المقدس على طريقة تفرَّد بها شعب الله بحيث يصحُّ القول انَّ اليوبيل من خواص الشريعة الموسويَّة وامتيازاتهِ العجيبة. وما اسم اليوبيـل عينهِ الَّا لفظة عبرانيَّة (יובל) معناها التهليـل ونشيد الفرح من فعل يَبل (יבל) اي رفع عقيرتهُ ناشدًا (٢

(١ راجع العدد الاول من السنة الرابعة من مجلة Orient. Litteratur - Zeitung IV, 1901 p. 16

(٢ وجاء في مجلة المحبة في عددها ٦١ ص ٩٥٨ ان اليوبيل « معناها الحقيقي قرن الكبش » وهو تأويل غريب في بابهِ

وكان هذا اليوبيل يرجع بعد سبع سبوت من السنين اي كل خمسين سنة (راجع سفر الاحبار ٢٥ :٨ وسفر العدد ٣٦ :٤) وكانوا يفتتحونهُ في اول السنة العبرانيَّة اي في هلال تشرين الاول ويدوم عاماً كاملاً. وكان الكهنة يعلنون بهِ في كل تخوم اسرائيل وينفخون بالابواق الفضيَّة المقدسة في يومهِ الاوَّل المعروف بيوم الكفَّارة. وللسنة اليوبيليَّة رسوم واحكام منها ما يتفق مع رسوم السنة السبتيَّة العائدة كلَّ سبعة اعوام ومنها ما يختص بالسنة اليوبيليَّة وحدها. فالرسوم التي تشمل السنتين كانت الامتناع عن زرع الارض وترك اثمارها للفقراء ثمَّ استماع شريعة الربّ في عيد المظالّ (تث ٣١ :١٠ — ١٣) وتأجيل استقضاء الديون. امَّا الرسوم الخاصَّة باليوبيل فكان اولها اعتاق كلّ العبيد الاسرائيليين ثمَّ اطلاق كلّ الديون والمسامحة بها. ثمَّ اعادة الاملاك المنتقلة بالبيع والشراء وغير ذلك الى اصحابها الاولين لتبقى الاسباط في الحدود التي عيَّنها لها موسى كليم الله عليهِ السلام ولا تختلط العشائر ولا تزيد ثروة الخاصة فيلتهم بعض المتمولين انصباء العامَّة

واستمرَّ شعب اسرائيل جاريًا على احكام الله في امر اليوبيل حتى زمن الجلاء البابليّ ولا نرى بعد ذلك اثرًا لليوبيل الموسوي لما طرأ على بني يهوذا واسرائيل من الطوارئ وتقلُّب الاحوال فلم يَعد يمكنهم ان يجروا على فرائضهِ الَّا القليل منهم

٢ اليوبيل في العهد الجديد

لكنَّ الله الذي اصطفى كنيستهُ لتقوم مقام الشعب الاسرائيلي واتاح لابنائها النعم الروحيَّة بدلًا من المواهب الزمنيَّة المعطاة لليهود جعل ايضاً للنصارى يوبيلًا اي يوم بهجة وفرح يفوق اليوبيل الموسوي الذي لم يكن سوى رمز عن اليوبيل المسيحي كما كان العهد العتيق رمز العهد الجديد وصورتهُ (راجع الرسالة الاولى لاهل كورنتس ف ١٠ ع ١١)

نعم انَّ اليوبيل الحديث لا يأمر بإراحة الارض عن زرعها واعتاق العبيد واعادة الاملاك لاصحابها الاوَّلين وكل هذه انعامات جسديَّة ماديَّة زائلة ليس تحتها طائل كبير وانما يتيح ما هو فوق ذلك فانَّهُ يُصلح الانسان مع الله وينقذهُ من رقّ عبوديَّة الخطيئة ويعيد لهُ ما فقدهُ بذنوبهِ من الحقوق السامية كسكون الروح القدس في قلبهِ بالنعمة والانتفاع باستحقاقات المسيح واوليائهِ والتمتُّع بحقوق ابناء الله ووراثة ملكهِ السماوي

وان قيل وهل المسيح انشأ بذاتهِ هذا اليوبيل الجديد وهل من اثرٍ لهُ في الاناجيل المقدَّسة . اجبنا انَّ اليوبيل كما سترى مسامحةٌ وصفحٌ وغفران وكلُّ ما كان على هـذه الصفة قد سلَّمهُ الرب لكنيستهِ يوم قلَّد بطرس هامة الرسل مقاليـد ملكوت السماوات ثم وعدهُ انَّ كلَّ ما يحـلهُ او يربطهُ في الارض يكون محلولًا او مربوطاً في السماوات (متى ١٦ : ١٩) . ولمَّا كان بطرس قابل الموت ينتهي حكمهُ بالوفاة مع انَّ الكنيسة باقية الى منتهى الدهر دون ان تقوى عليها ابواب الجحيم اقتضى الامر ان يكون السلطان المعطى لبطرس ليس مخصوصاً بهِ شخصياً بل فوَّض لهُ كأس الكنيسة المنظور يدوم في خلفائهِ الجالسين شرعيًّا على كرسيهِ بعدهُ اعني الاحبار الرومانيين . وعليـه فحقٌّ لرؤساء الكنيسة الرومانيَّة ان يقرّروا هـذا اليوبيل ويحدّدوا نعمهُ ويبيّنوا شروطهُ فيحلُّوا او يربطوا كما شاءوا عملًا بامر الرب

وقد ارتأَى الاب پتاڤيوس الشهير ان الرُّسل اقاموا مباشرةً بحفلاتٍ شبيهة بحفلات اليوبيل كما انهم منحوا الغفران عن آثام اقترفها المجرمون من المؤمنين (طالع ٢ كو ٢ : ١٠) . ومما لا يُشتبه فيهِ ان زيارة رومة وكنائسها الملكيَّة عُدَّت منذ القرون الاولى من النصرانيَّة كاقرب الوسائط للتكفير عن الذنوب . لنا في اقوال بعض الآباء واعمالهم ما يشهد لنا على ذلك شهادة صدقٍ (١

ألَا ان الاثر الاول الذي انبأ بهِ التاريخ عن اقامة يوبيل نظامي حافل يرتقي الى السنة ١٠٠٠ لمَّا فتح البابا سلفيسترس الثاني كنوز النعم الروحيَّة للشعوب النصرانيَّة بعد ان اصاب الناس من الهلع والخوف ما اصاب لتوقُّعهم انتهـاء العالم في تلك السنة . فلبَّى المسيحيُّون دعوة الحبر الروماني وتقاطروا أفواجاً من كلّ فجّ وأوب الى المدينة المقدَّسة ليتبرّكوا بزيارة قبرَي الرسولين بطرس وبولس ويربحوا النعم التي جاد بهـا الكرسي الرسولي على من قام ببعض المبرَّات من أصوام وصدقات وصلوات

ومنذ ذلك الحين جرت عادة الشعوب في افتتـاح كل قرن جديد ان يتألبوا في ام المدائن لاداء المناسك الدينيَّة وربح الغفران عن الآثام بالتوبة النصوح . لكنَّ ائمَّة الاحبار لم يصدروا في ذلك براءة يستند اليها الخلف ويتخذونها كقاعدة يُرجع اليها في هـذا الصدد . فبقي اليوبيل القرني كتقليد يُعلم بهِ الاباء ابناءهم الى أن وقعت السنة ١٣٠٠

١) راجع مكتبة العلامة فرّاري Ferrari : *Bibl. canon.* s. v. *annus sanctus*

ففي غرّتها قدم رومة عدد غفير من الزوار لينالوا الغفران عن خطاياهم كما سمعوا عن اجدادهم في القرون السابقة. فلمّا رأى البابا بونيفاس الثامن جموعهم نشر براءتهُ الشهيرة « Antiquorum » اثبت فيها التقليد القديم الناطق بالنعم الممنوحة في مفتتح كلّ قرن جديد لمن يزور كنائس رومة العظمى. ثم قرَّر الشروط المفروضة لنوال هذه المواهب السنيَّة وكان اخصها القدوم الى رومية والصلاة في امهات كنائسها

فما بلغت هذه البراءة مسامع النصارى حتى قام المؤمنون من الخافقين ويمّموا المدينة المقدسة جماهير مجمهرة لاكتساب الغفران اليوبيليّ وقد شهد اصدق المؤرخين ان معدَّل الزوَّار الذين دخلوا رومية في تلك السنة لم يقلوا في كل يوم عن مئتي الف. ومن اعجب الامور انهُ لم ينقصهم جميعاً مع كثرتهم شيء من اسباب المعاش. واهتمّ الحبر الروماني بالّا يعوزهم شيء وانفق عليهم من مالهِ الخاصّ (١

ولمّا رأى احد خلفاء بونيفاس الثامن ما نجم من الخير العميم للمؤمنين من جرَّاء يوبيل سنة ١٣٠٠ احبَّ ان يجدّد هذه الحفلة بعد نصف قرن تشبُّهاً باليوبيل الموسوي الواقع في كل ٥٠ سنة. ثم استطال المؤمنون هذه المدة وطلبوا من اوربان الثامن ثم من بولس الثاني فاجابا الى ملتمسهم وجعلها الاول في كلّ ٣٣ سنة اكراماً للسنين التي قضاها المسيح على الارض وحصرها الثاني في مدَّة كل ٢٥ سنة اي في ربع كل قرن. وهي العادة الجارية اليوم حافظت عليها الكنيسة منذ القرن الخامس عشر (٢

١) وعليهِ فلا صحّة البتّة لما كتبتهُ « المحبة » في هذا الصدد (٢ : ٩٥٩) قالت نزع الله من قلب اصحابها روح البغض للكنيسة الكاثوليكية : « وكان ذلك الاحتفال سبباً لاستدرار الحسنات والهبات فتجمّع منها قدر عظيم وذلك ما حمل الالمان على تسمية تلك السنة سنة الذهب (وهذا لم يَقُلْهُ الّا بعض البروتستانت اعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة ولم يقولوه عن هذه السنة بل عن يوبيل آخر بعده) وكأنّ ذلك الدخل الوافر (وقد رأيت انهُ لم يكن دخلٌ بل نفقات وكلَف) راق في اعين القائمين بذلك الاحتفال فعقدوا النيَّة ان يجدّدوهُ كلّ قرن . . . » وفي مقالتنا ما يشهد بان اليوبيل سبق السنة ١٣٠٠

٢) ومن اليوبيل الديني اشتقّ الملوك والعظماء والجمعيات اليوبيل المدني الذي جرى في ايَّامنا فمنهُ ما يقام كلّ مئة عام وهو اليوبيل القرني ومنهُ ما يحتفل بهِ كل ٧٥ عاماً وهو اليوبيل الالماسي او كلّ ٥٠ عاماً وهو اليوبيل الذهبي او كل ٢٥ عاماً وهو اليوبيل الفضي. كما جرى في السنة المنصرمة للحضرة السلطانية لمّا جرت تلك الحفلات الشائقة بفرصة جلوسها المأنوس على اريكة بني

ثمَّ رأى الاحبار الرومانيون الاجلاء ان كثيرين من المؤمنين لا يمكنهم مهاجرة بلادهم وترك اشغالهم لزيارة مدينة رومة فاخذوا مُنذ عهد البابا نيقولا الخامس ينعمون باليوبيل على كل النصارى المنبثين في اربع خوافق المسكونة بعد الاحتفال بهِ في رومة الشريفة. وربَّما اعلنوا باليوبيل لجميع المؤمنين دون ان يعقدوا حفلتهُ في رومة كما جرى في عصرنا لمَّا توالت على الكنيسة الرومانيَّة المحن والاضطهادات فانَّ آخر يوبيل أُقيم في رومة قبل يوبيلنا الحالي وقع في سنة ١٨٢٥ حضرهُ لاون الثالث عشر وهو في ريعان الشباب

ثمَّ اعلم انهُ يوجد ما خلا هذا اليوبيل العادي الذي يقع في سنين محدودة يوبيل آخر خارق العادة يمنحهُ رأس النصرانيَّة وحبرها العظيم في بعض الازمنة منها اليوبيل الذي يتكرَّم بهِ كلّ بابا جديد لسائر المسكونة بعد جلوسهِ المأنوس على المنصَّة البطرسيَّة استمطارًا لنعمهِ تعالى على الحبر الجديد

ومن اليوبيلات ما يجهر بهِ الاحبار الرومانيُّون عند مسيس الحاجة لردّ غضبهِ تعالى ودفع البلايا والطاعون والزلازل وغير ذلك من الاحوال الحرجة التي تستدعي التوبة والاعمال الصالحة

٣ً الرتب الدينية الجارية في حفلة اليوبيل

لافتتاح اليوبيل في مدينة رومة رتب شائقة وطقوس بهيَّة اعتادها خلفاء هامة الرسل رأينا ان نذكر شيئًا منها بالتلخيص

يكون افتتاح اليوبيل عادةً في بيرامون عيد الميلاد ويدوم الى مثلهِ من قابل. فاذا حان الوقت المعيَّن توشَّح الحبر الاعظم بافخر حلاهِ البابويَّة ولبس التاج المثلَّث المرموز بهِ عن ملء سلطانهِ وحُمل في منصتهِ. ويسير امامهُ موكب عظيم من حرسهِ السويسري بسيوفهم المشهورة وشُرطهِ الحبريَّة وحجَّاب بلاطهِ وجماعة امرائهِ الشرفيِّين وجماعات أُخر عديدة خاصَّة بخدمتهِ ولكلِّهم ملابس رسميَّة يختصون بها من سُتر وسراويلات وطيالس وقلانس واسلحة غاية في الابهة تأخذ بابصار الناظرين. ثمَّ يتبع هؤلاء جمهور الاكليروس القانوني وغير القانوني ثمَّ رؤساء الرهبانيَّات ثم الاساقفة ورؤساء الاساقفة

عثمان منذ ٢٥ سنة. ومن غريب الامور انَّ البروتستانت الذين كانوا سابقًا يندِّدون بالكنيسة الرومانية لاقامتها اليوبيل اتخذوهُ ديدنًا كغيرهم

والبطاركة ولفيف الكرادلة كلٌّ بحسب مرتبتهِ ثمَّ امام الاحبار نائب المسيح ويحضر هذه الحفلة كل السفراء ومعتمدي الدول لدى الكرسي الرسوليّ فضلًا عن اعيان جميع الملل النصرانيَّة

واذا انتهى الموكب المذكور من البلاط الفاتيكاني الى السُّلَّم الملكي بازاء كنيسة مار بطرس قابلَ بابَها الكبيرِ الذي لا يُفتح الَّا في سنة اليوبيل · وفي فتحهِ اشارة الى المسيح الرب الذي قال (يوحنا ١٠ : ٩) : « انا هو الباب ان دخل بي احد يخلص » · ولفتح الباب المذكور طقس خصوصي وصلوات يتلوها الحبر الاعظم بجلال ثم يطرق باب الكنيسة ثلاث دفعات بمطرقة ذهبيَّة وهو يقول في اثناء ذلك آيات من الكتاب المقدَّس كقول داود : « افتحوا لي ابواب العدل حتى اذا دخلت امجّد الرب واعظّمهُ » وآيات أُخر بمعناها · فللحال يحضر العملة فيهدمون الباب بسرعة وقداسة البابا ينتظرهم جالسًا على عرشهِ فاذا انتهوا من العمل تقدَّم كردينالان وغسلا عتبة الباب بالماء المصلى عليهِ ثمَّ يترنم البابا بمزمور داود « سبّحوا الرب ايها الامم » فيتمّمهُ جوق المرتلين بعدهُ

وبعد ذلك يخلع البابا تاجهُ ويمسك بيمناهُ الصليب المقدَّس وبيسراهُ شمعةً مضيئة ويجثو راكعًا على عتبة الباب يصلّي مليًّا بينما ينشد المرتلون تسبحة الشكر · ثمَّ يقوم قداسة الحبر الاعظم ويدخل من الباب المقدَّس وحدهُ وامام الجميع ويدخل على اثرهِ لفيف الكرادلة وجميع اصحاب الرتب والمناصب ثمَّ الشعب المسيحي الذي يبلغ عادةً بين الخمسين الفًا والمئة الفًا · وفي تلك الساعة تُقرع كلّ اجراس المدينة المقدَّسة فيحصل من اصواتها الرنَّانة تأثير عظيم في القلوب

وعند بلوغ الحبر الاعظم صحن الكنيسة يتقدَّم اليهِ كبار متوظفي الاخويَّات الرومانيَّة فيعهد اليهم بحراسة الباب المقدَّس طول مدَّة السنة اليوبيليَّة ويلقي عليهم خطابًا ليبيّن لهم عظم شأن هذه المهنة · ثم يواصل سيرهُ الحافل الى الهيكل الكبير فيمنح منهُ البركة الرسوليَّة لجميع الحضور وهكذا تتمّ هذه الحفلة الجليلة

وفي ختام السنة اليوبيليَّة حفلة ثانية مثل هذه فيقفل الباب المقدَّس وذلك انَّ الحبر الاعظم يُلقي بمالج ذهبي شيئًا من الكلس على عتبة الباب المقدس ويجعل فوقهُ قطعًا من الآجر المذهَّب يُنقش عليهِ الشعار البابوي مع تاريخ السنة المقدَّسة · ثم يرسم الصليب ثلاثًا ويضع على الآجرَّة الوسطى صندوقة مختومة حاوية الانواط التذكاريَّة التي تُضرب

تذكارًا لليوبيل . وهذه الانواط تمثِل على احد وجهيها صورة الحبر الاعظم وفي اطارها آية من الكتاب المقدَّس كقول يعقوب في سفر التكوين: « هذا بيت الله وباب السماء » وفي الوجه الآخر تاريخ اليوبيل . وفي ختام هذه الحفلة يُعلن الاب الاقدس بغفارين اليوبيل لكل النصرانيَّة

٤ً في تعريف الغفران اليوبيلي وخواصهِ

بقي علينا ان نعرّف حقيقة الغفران اليوبيلي وخواصَّهُ وشروطهُ المفترضة على مكتسبيهِ . ولا بُدَّ لذلك من بعض مقدَّمات نجعلها كتوطئة لبيان عظم نعمة اليوبيل فنقول انهُ لامر راهن اكيد ان المؤمن اذ اجترح خطأً مميتًا يفقد محبة الله ويستوجب العذاب الابدي في النيران الجهنميَّة فينبغي لهُ ليعود الى نعمتهِ تعالى ان يقرَّ بذنبهِ منيبًا الى الله ومتأسفًا على ما صنع وقاصدًا القصد الثابت بألّا يعود الى خطيئتهِ . فاذا نال من الله بواسطة الكاهن المأذون الحلّ من خطيئتهِ غفر لهُ الرب الاهانة التي ألحقها بعزَّتهِ تعالى لمَّا تعدَّى وصاياهُ . ولكن للخطيئة تبعةً فيبقى على الخاطئ ان يفي لعدل الله وفاء زمنيًا باعمالهِ المبرورة وتقشفاتهِ الاختياريَّة في هذه الحياة او بعذابات موقَّتة في الحياة الاخرى . ألا ترى انَّ الرب لمَّا رأى توبة داود عبدهِ بعد قتله اوريَّا وزناهُ غفر لهُ خطيئتهُ . الّا انهُ لم يسامحهُ بالعقاب اللاحق بهذه الخطيئة اذ ضرب ابنهُ المولود لهُ من بتشابع امرأة اوريَّا (طالع سفر الملوك الثاني ١٢ : ١٣—١٤)

ثمَّ ان الخاطئ بخطيئتهِ لم يهن الله تعالى فقط بل ألحق بالكنيسة التي هو احد اعضائها ضررًا يجب عليهِ ان يتلافاهُ بالقانون المفروض عليهِ وكان هذا القانون صارمًا جدًّا في اوائل الكنيسة وربَّما كان الخاطئ يُنفى مدّة سنين طويلة عن جماعة المؤمنين لا يجوز لهُ ان يشاركهم في الاسرار

فالكنيسة المقدسة عملًا بالسلطان الممنوح لها من المسيح وضعت لابنائها وسائط يمكنهم ان يستعينوا بها للوفاء عن تبعة الخطيئة سواء كان بازائها او بازاء الله

امَّا كون الكنيسة تستطيع ان تتجاوز عن التأديبات القانونيَّة التي هي فرضتها فذلك امرٌ واضح لانَّ المشترع يمكنهُ ان يتصرَّف بشريعتهِ كيفما شاء . فاذا غيَّرها او لطَّفها او ابطلها فلا حرج عليهِ في ذلك

امَّا كونها تستطيع ايضًا ان تزيل تبعة الاثم التي تلزم الخاطئ بازاء الله فذلك ايضًا

ليس في ادراكهِ عظيم امر ونحن نعلم انَّ المسيح سلَّم لكنيستهِ سلطاناً تاماً لتحلَّ وتربط وان حلّها وربطها لا يكونان « على الارض » بازاء جماعة المؤمنين فقط لكن ايضاً « في السماء » اعني قدام الله. أعطى المسيح بطرس الصفا وخلفاءهُ « مفاتيح ملكوت السماوات » فان لم يستطع بطرس وخلفاؤهُ ان يفتحوا باب ملكوت السماوات لمن شاءوا ويغلقوهُ لمن شاءوا اصبح السلطان الممنوح لهم عبثاً وسخريَّة. وكل ذلك لا يتم الَّا بان يغفروا الخطايا ويزيلوا تبعاتها بازاء الله ايضاً

فينتج من هذه الملاحظات انَّ للكنيسة حقًّا ان تضع الغفارين وتصفح عن الخطايا وتزيل تبعاتها وتتجاوز عن العقابات الزمنيَّة اللاحقة بها واذا نكر احدٌ على الكنيسة هذه السلطة ابطل كلام الرب نفسه

وهذا صفحُ الكنيسة وتسامُحها بالذنوب وتبعاتها يمكنهُ ان يكون جزئيًّا وهو الغفران الذي ندعوهُ غير كامل او يكون تامًّا وهو الغفران الكامل

وما اليوبيل الَّا صنف من الغفارين الكاملة لكنَّهُ يمتاز عن الغفران الكامل الاعتيادي ببعض الامور: (اولًا) بكونهِ اعمَّ لانهُ يشمل كلَّ النصرانيَّة فيزيد بذلك مفعولهُ لما بين المؤمنين من رباطات الحبّ والاخاء واقترانهم جميعاً بشركة القديسين. (ثانياً) بكونهِ اعظم لانَّ الحبر الروماني يمنح في وقت اليوبيل للكهنة امتيازات لم يمنحهم ايَّاها في وقت آخر فيمكنهم ان يحلُّوا عن بعض الخطايا المحفوظة للاساقفة ولرأس الكنيسة نفسهِ. وكذلك يسوغ لهم ان يفسحوا في ما يختصّ بالنذور البسيطة وموانع الزواج الخفيَّة والتأديبات الكنسيَّة. (ثالثاً) بكون مفاعيلهِ اصدق واوثق. لانَّ الغفران اليوبيليّ لا بُدَّ لهُ من استعداد واعمال صالحة كما سترى قريباً وكل ذلك من شأنهِ ان يهيّئ المؤمن لربح نعمتهِ الجزيلة فينال منها قسماً اوفى على حسب استعداده

٥ً في الشروط المفروضة لربح غفران اليوبيل

لمَّا كان الغفران اليوبيلي من اعظم نعم الله لعبادهِ تحتَّم عليهم ان يستقبلوا هذه المنَّة بالشكر وعرفان الجميل. ولكن ساء ظنُّ الذين يحاولون ربح هذه النعمة دون اتمام الشروط المفروضة للوصول اليها. وهذه الشروط تختلف تبعاً لمشيئة الحبر الاعظم الذي يمنح اليوبيل. ولكن عادةً يفرض الاب الاقدس بالاعمال الآتية :

اولًا الاعتراف للكاهن والندامة الحقيقية عن كل الخطايا. وهو شرط لازب لا يمكن ربح غفران اليوبيل دونهُ

ثانيًا التقرُّب الى المائدة المقدَّسة. واعلم انَّ الاعتراف السنويّ والتناول الفصحيّ لا يكفيان عادةً لنيل اليوبيل

ثالثًا زيارة بعض الكنائس في ايَّام يعيّنها الاسقف المحلي

رابعًا الصلاة على نيات الحبر الاعظم لرفع شأن الكنيسة واستئصال الهرطقات والسلام بين الملوك الكاثوليكيين وخلاص الشعب المسيحي

وربما زيد على هذه الشروط فرائض اخرى كالصوم والصدقة على الفقراء وحضور المواعظ والارشادات وغير ذلك مما يُعرف من منطوق البراءة البابويَّة

فممَّا تقدَّم ترى انَّ الغاية من إقامة اليوبيل انَّما هي تطهير الضمائر من ادرانها بندامة خلاصيَّة وتجديد روح الايمان في القلوب وتنشيط المؤمنين في سبيل التقى والاعمال الصالحة لينهضوا نهضةً جديدة ويواصلوا مسيرهم الى غايتهم القصوى التي لاجلها خُلقوا ويتاجروا بالوزنات التي أُعطيها كلٌّ منهم فيسمعوا في يوم الدين من فم الديَّان: «هلمَّ ايها العبد الصالح الامين وادخل فرح سيّدك» متَّعنا الله بهذه النعمة بشفاعة اوليائهِ القديسين امين

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب المنتخبات الكنسيَّة في السيرة القدسيَّة

تعريب القس الفاضل عبد الاحد جرجي السرياني

سبق لنا في المشرق (٢ : ٤٤) ذكر تأليف الموقَّر توما الكمبيسي صاحب الاقتداء بالمسيح. وقد اثنينا هناك على حضرة الاب الفاضل عبد الاحد جرجي الذي اتحف الشرق بترجمة هذه المصنفات التقويَّة التي يُغني اسم مؤلفها عن اطرائها. وقد اطَّلعنا اليوم على جزئين آخرين انجزت نشرهما مطبعة الموصل للمرسلين الافاضل الآباء الدومينيكيين. واحد هذين الجزئين يتضمَّن كتاب مناجاة المرء نفسهُ (ص ٣٣٦) تراهُ اذا تصفَّحتهُ اشبه شيء بكتاب الاقتداء بالمسيح كأنهما قُدَّا من اديم واحد. يمزج كاتبهُ بين التعليم

والنوافذ القلبيَّة والصلوات التقويَّة. امَّا الجزء الآخر فيحتوي تأمّلات توما الكمبيسي في أجلّ اسرار حياة المسيح (ص ٤٠٠) اعني اسرار فرحهِ وآلامهِ ومجدهِ. وهو من اجود ما كُتب في هذا المعنى نحضُّ المؤمنين وخصوصاً الكهنة على اقتنائه والهذيذ بموادهِ. امَّا تعريبُ الكتابين فبسيط كما يليق بمثل هذه الكتب وفي عبارتهِ رقَّة وانسجام

ميمر مار يعقوب السروجي في الايمان بالسريانية

عُني بطبعهِ وشرح الفاظهِ حضرة الخوري جرجس السبعلاني

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين. سنة ١٩٠١ ص ١٧

هذه المقالة السريانيَّة وضعها مار يعقوب السروجي لتفنيد نسطور وقولهِ الكفري في المسيح وامّهِ الطاهرة. وهي عبارة عن ٢٠٠ بيت من الشعر المتين الذي احرز لصاحبهِ بين السريان لقب «كنّارة الروح القدس». وكان الاوربيُّون لنفاسة نصّها الرائق وموردها الشائق قد ترجموها سابقًا الى اللاتينيَّة فاحبَّ حضرة الخوري الفاضل جرجس السبعلاني ان ينشرها بالسريانيَّة ويشرح ما فيها من غامض الالفاظ. فنشكرهُ على خدمتهِ هذه للّغة السريانيَّة ونتمنى ان يكون عملهُ دافعاً جديدًا لدرس مآثر السريان وآدابهم ل. ش

شذرات

اكتشاف الدكتور بلس في تلّ سانت حنَّة — زار مدرستنا الكليَّة يوم الاربعاء الماضي ٦ شباط الدكتور بلس الذي منذ عشرين سنة احرز لهُ ذكرًا طيّباً بين العلماء والاكتشافات العديدة التي اجراها في انحاء فلسطين كلاكيش والقدس الشريف وتلّ زكريّا. وممَّا افادنا انَّهُ سيستأنف الحفر قريباً في انحاء أُخر ولهُ الامل الوثيق ان يجد من العاديَّات ما يفيد العلوم اجمالًا والدروس الكتابيَّة خصوصاً. وبهذه النسبة استحسنا ان ننقل عن البشير ما كتبهُ الى هذه الجريدة مراسلنا في القدس بخصوص اكتشافات الدكتور في تلّ المعروف بتلّ سانت حنَّة قال يروي ما اخبرهُ بهِ رفعتلو شوكت افندي الخالدي المعيَّن رفيقًا للدكتور بلس:

ان تل سانت حنة من اراضي قرية بيت جبرين التي تبعد عنها خمس عشرة دقيقة وهي تابعة لقضاء خليل الرحمٰن عليهِ السلام من لواء القدس الشريف وهذا التلّ عبارة عن مدينة كاملة طولها ١٩٠ مترًا وعرضها ١٢٠ مترًا وكان فوقها التراب بثخانة متر واحد وعدد بيوتها ١٥٠ بيتاً وجميعها حسنة البنيان مكلّسة بالشيد. منها قلعة حسنة الاستحكام يظهر انها كانت للجنود وحمّام

عمومي . وطرق المدينة واسعة منتظمة كانها على الطرز الجديد من فنّ هذا العصر متقنة غاية الاتقان وهي محاطة بسورين وبين الاول والثاني عشرة امتار ولكل سور باب واحد يفتح من جهة الشرق وهي من آثار الروم بعد اسكندر الكبير . وفي ذاك الوقت لمّا دخل الرومان هذه البلاد وُضعت اساس هذه المدينة على اساس قديم كان موضوعاً في عصر سيدنا ابرهيم عليهِ السلام . ووجدنا داخل هذه المدينة جملة آثار منقولة منها جرار كبيرة وصغيرة وسروج وصحون من فخّار احمر واصنام من رصاص مكتوفة الايدي والارجل كحالة الاسرى ومقاييس ومكاييل وموازين عليها كتابة يونانية ومسكوكات منقوشة عليها الطيور التي تشابه النسر . وعلى بعض ايدي الجرار مكتوب بالاحرف العبرانية واليونانية هكذا : « للملك حبرون » يعني خليل الرحمن « للملك زيف » « للملك ممشط » وهي اسماء ملوك ذلك العصر . ووجدنا ايضاً ألواحاً من حجر ابيض ملكي اي طري مكتوب عليها باللغتين العبرانية واليونانية ولم يتمكّن احد من معرفتها نظرًا لصغر حجم الحرف . وعثرنا في تلك الاراضي قرب السور على قبر قديم داخلهُ تمثال امرأة من فخّار طولها عشرون سنتيمترًا وهي حسنة وواقفة وعلى جانبها الايمن كرسي من حجر موضوع عليهِ زهر طاولة للعب النرد . ووجدنا ايضاً اقراطاً (حلقاً) من ذهب وقنينتين زجاج طول الواحدة سبعة سنتيمترات . وقد اعلمنا بالاكتشاف المذكور جناب صاحب العطوفة حمدي بك مدير المتحف الهمايوني فصدر امره بحفظها

* تحامل المحبّة * كانّ مجلّة المحبة رضيت من المحبة باسمها ومن تصفّح كلّ عدد من اعدادها لا يرى في كلام اصحابها الّا التحامل على الكنيسة الكاثوليكيّة . ولا نطلب شاهدًا آخر على قولنا سوى ما كتبتهُ في عددها الاخير (ص٣٧) عن الرهبنات في فرنسا « وفي مقدّمتها شركة الجزويت » فانّخصت خطاب والدك روسو واثبتت « براهينهُ وادلّتهُ » وكلها اوهن من نسيج العنكبوت ولو كانت المحبة صادقة لقرّرت ايضاً تفنيد هذا الخطاب فانّ كثيرين من اعضاء الندوة الفرنسوية فنّدوهُ جملةً جملةً وحرفاً حرفاً وبيّنوا أراجيفهُ المرجفة فما للمحبّة سكتت عن كلّ ذلك ألعلّها تجهلهُ . ثم ذكرت « مليار الرهبنات » ونسيت ان تقول انّ هذا ايضاً كذب محض وانّ الكاثوليك اثبتوا من السجلّات الرسميّة انّ الرهبنات كلها لا تملك ثلث هذا المبلغ بحيث اذا قُسم هذا المال بين كلّ فرد من أفرادها لا ينال الواحد ٤٠٠٠ فرنك أفيرضى احد كتبة المحبة لنفسهِ بمثل هذه الثروة الطائلة . ثمَّ وان سلّمنا بانّ الرهبنات تملك مليارًا فما هذا بالمقابلة لما يملكهُ الستون الفاً من اليهود الفرنسويين اعني ٨٠ مليارًا . وزد على ذلك انّ الرهبان لا يملكون ما يملكون للتجارة او بذخ العيش بل يصرفونهُ كلّهُ في سبيل الخير فهذه مدارسهم ومستشفياتهم وميابتهم وجمعيّاتهم الخيرية لا تخلو منها قرية من قرى فرنسة وناهيك بما نشاهدهُ في بيروت عياناً عن ايضاح ما هو اضوأ من الشمس . امّا ما قالتهُ المحبّة في « شركة الجزويت » وفظائعها فلا نظنّ انّ احدًا من أعيان الروم الاورثذكس في البلدة يصادق عليهِ وأكثرهم من تلامذتنا يفتخرون بتعليمنا ولا يزالون يشرّفونا بتسليم اولادهم وافلاذ اكبادهم لتهذّبهم في العلوم والاداب . أفيُجنى من الشوك عنب او من العوسج تين . — وان حدّقت المحبة الى بعض كتبتها رأتهم ايضاً من تلامذتنا (راجع المشرق ٤ : ٩) فكيف سوّلت لها نفسها ان تجرح شعائرهم بما دوّنتهُ في صفحاتها . وان قالت انّها كتبت ما كتبت بعلمهم او بإيعازهم لم يبقَ الّا ان نردّد قول الشاعر :

أُعلّمهُ الرماية كلّ يوم فلمّا اشتدّ ساعدهُ رماني

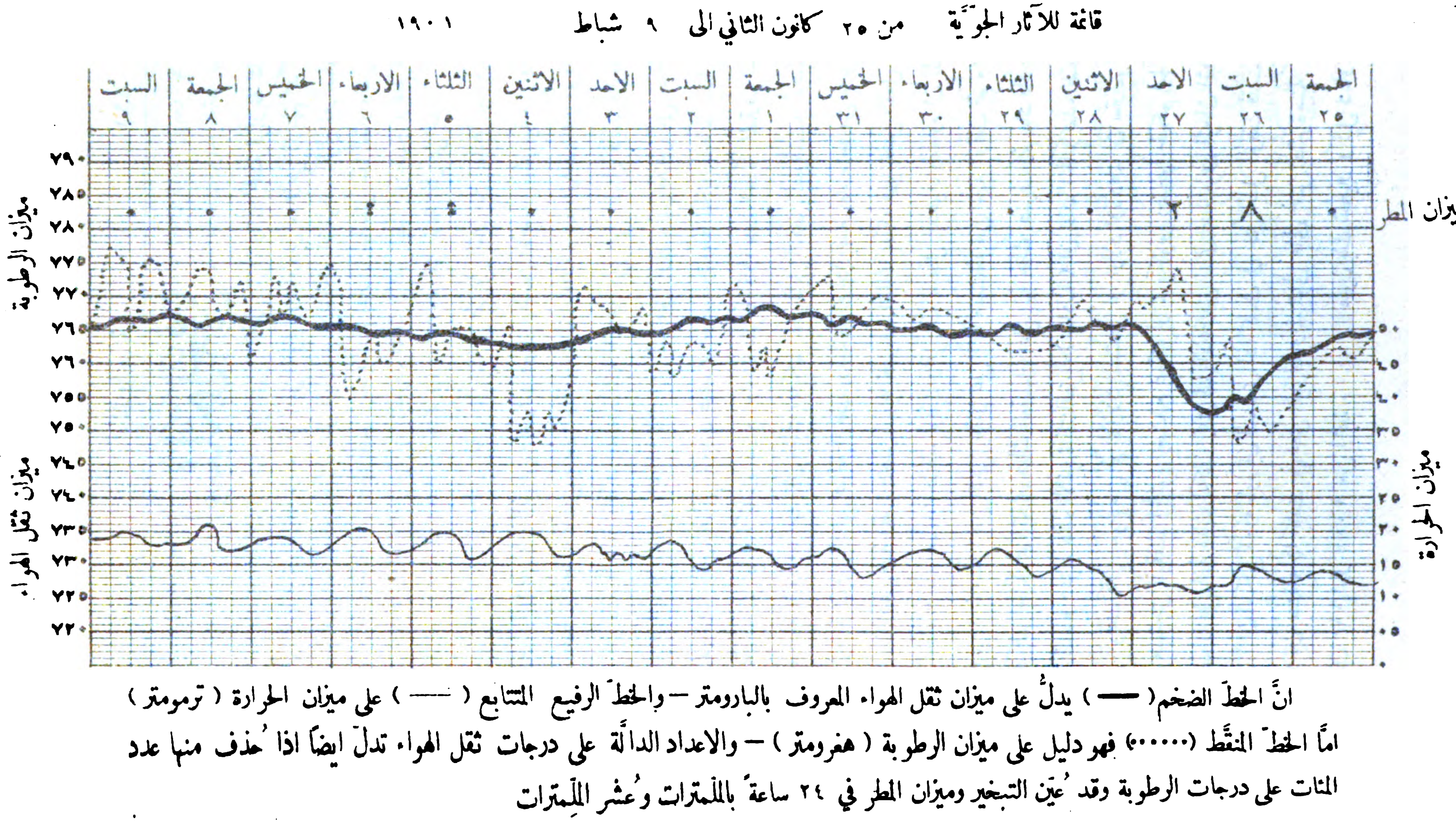
أسئلة وأجوبة

س سألنا من صيداء احد القراء جواباً على السؤال الآتي : امرأة وقفت خمسة قراريط شائعة شراكة الغير على نفسها ثم على زوجها من بعدها ثم على اخوتهِ الاحياء ومن بعدهم على ذريّتهم الذكور وبعد هذا رجعت عن وقفها وحكم الحاكم باتفاق الرأي مع الاعضاء بفساد الوقف لكونهِ غير مستوفي الشروط ثم اعترض مستحقو الوقف فحكم عليهم و بعد الحكم اشتروا منها بعض هذا العقار وتصرفوا بهِ ثم باعوهُ الى اولادهم واولادهم تصرَّفوا بهِ كتصرف المالك وكذا ايضاً الواقفة وجميع هذا بموجب النظام والشريعة فهل الى اولادهم من بعدهم واولاد اولادهم حق الاعتراض على هذا ؟

ج نجيب (اولًا) انَّ وَقف العقار على النفس ثم على الغير من بعدها تعاقباً لمن الامور الجائزة المشروعة اذا كان على مصرفٍ موءبد وضمن الاصول الشرعيَّة . — واذا كان الوقف حصَّةً شائعة فالقاضي يقاسم الواقف . (ثانياً) اذا رجع الواقف عن الوَقف وكان الوقف غير لازم فالحاكم يحكم بعدم صحَّتهِ لان ما بُني على الفساد فاسد فالوقف المحكوم بعدم صحَّتهِ لا يكون لازماً . (ثالثاً) انَّ لمستحقّ الوقف ان يعترض على حكم الحاكم مبيّناً الاسباب الشرعيَّة التي توجب صحة الوقف ولزومهُ لكنَّ للحاكم ايضاً ان يردَّ تلك الاعتراضات فيما اذا كانت غير واردةً شرعاً . فاذا منع الحاكمُ المعترضَ من دعواهُ كان حكمهُ لازماً فيما اذا كان ذلك الحكم غير قابل للنقض لمطابقتهِ الاصول الشرعيَّة . (رابعاً) ان من ادَّعى صحَّة الوقف واستحقاقهُ اذا اقدم بعد منعهِ من دعواهُ على شراء ما كان ادعى انهُ وقف فتصرف بهِ تصرُّف المالك بملكهِ فهو بنفس الفعل قد رضخ لحكم الحاكم وسلَّم بعدم صحَّة الوقف واقرَّ انهُ مبطلٌ بدعواه ومعلوم ان المرء موءاخذ باقرارهِ . (خامساً) من ادعى بعقار على انَّهُ مستحقهُ من جهة الوقف ثم مُنع من دعواهُ بحكم الحاكم ثم اشترى ذلك العقار على انهُ ملكٌ صرف ثمَّ عاد فادَّعى الاستحقاق لا تسمع دعواهُ هذه الاخيرة للتناقض . (سادساً) ان حكم الحاكم بعدم صحة الوقف يبطل الوقف فلا يسوغ من ثمَّ لاولاد المستحق او اولاد اولادهم ان يعترضوا . (سابعاً) ان مستحق الوقف المحتوم بعدم صحَّتهِ لو لم يكونوا رضخوا لحكم الحاكم باشتراهم العقار على انهُ ملك لكان يحق لهم الاعتراض لدى عدم مرور الزمان اثباتاً لصحَّة الوقف (ان امكن) . ومعلوم ان الدعوى اذا كانت في حقّ اصل الوقف فتسمع الى ست وثلاثين سنة واذا كانت في حق المرتزقة والمستولي فالى خمس عشرة سنة كما جاء في المادتين ١٦٦٠ و ١٦٦١ من المجلة

انطون بك شحيبر وكيل دعاوي

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٥ كانون الثاني الى ٩ شباط ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

ملاحظات

الاولى ان المجلة تخصص ثلث صفحات من غلافها البرّانيّ للاعلانات باجرة معلومة فالصفحة الخارجيّة اجرتها ١٢ فرنكاً. ونصف الصفحة ٦ فرنكات و ٥٠ سنتيماً. وربع الصفحة ٢ ف و ٥٠ س. وثُمن الصفحة فرنكان. امّا الصفحتان الاخريان فاجرة الصفحة ٨ فرنكات. ونصف الصفحة ٤ ف و ٥٠ س. وربع الصفحة فرنكان و ٧٥ س. وثُمن الصفحة فرنك و ٥٠ س. وكذا تكون اجرة صفحات أُخر في داخل المجلة يمكن زيادتها عند الحاجة

الثانية من اراد ان يصدر اعلاناً في نفس المجلة باواخرها فليخابر ادارة المجلة رأساً

الثالثة انّ ما يرسل من الكتابات والرسائل المتعلّقة بامور المجلة ينبغي ان يكون موقعاً بالامضاء خالص الاجرة معنوناً باسم « حضرة مدير مجلّة المشرق ». واذا كانت هذه المراسلات برسم الطبع فهي لا تُردّ سواء طُبعت او لم تُطبع

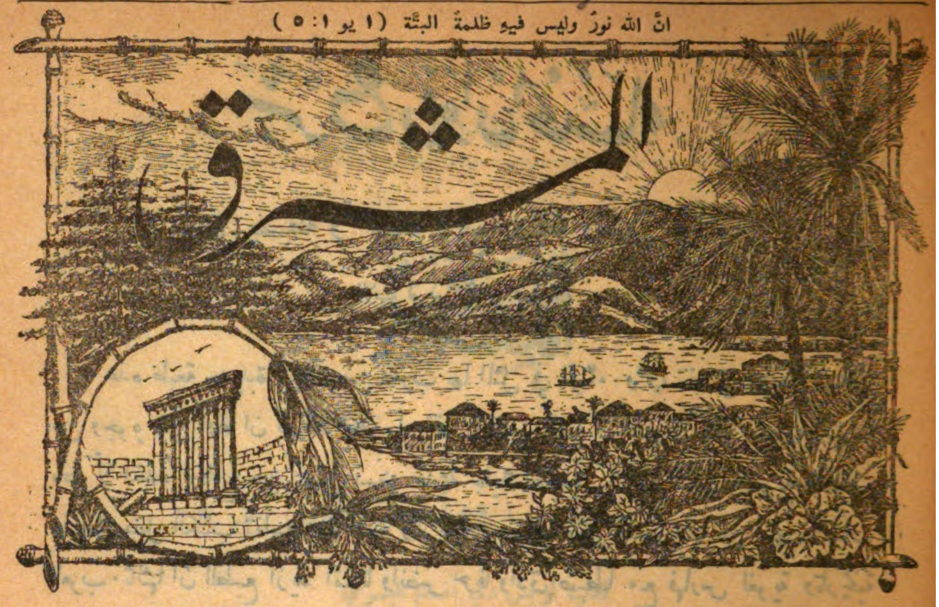
وكلاء المشرق ومحلّات الاشتراك لسنة ١٩٠١

الاسكندرية	الخوري جرجس فرج صفير
الاسماعيلية	انطون افندي الخوري مطر
اوستراليا	الخوري يوسف الدحداح المرسل الماروني
البترون وقضاؤها	اسكندر افندي اسطفان المزرعاني « البترون »
البرازيل	الخوري يعقوب صليبا المرسل الماروني
شمالي البرازيل	يوسف افندي ف . ن ضاهر
بغداد	الاب انستاس الكرملي
بورسعيد	بطرس افندي الياس رابيل
بيروت	المطبعة الكاثوليكية
«	كل اصحاب مكاتب بيروت نخصّ منهم بالذكر الافندية : خليل الخوري مدير المكتبة الجامعة . انطون كنعان مدير المكتبة الشاملة . موسى صفير مدير مكتبة المعارف . عبدو بني صاحب المكتبة السورية . سليم نصر صاحب المكتبة الادبية
جزين واقليمها	ابرهيم افندي ابي سمراء غانم « بكاسين »
حلب وولايتها	اومير افندي حكيم
حمص	الامير حافظ شهاب
دمشق الشام	الخواجه حبيب نعمة الله شارّ
دير القمر (المديرية)	مخائيل افندي عيد البستاني « دير القمر »
زحله	ايوب افندي صائغ
صيدا	توما افندي كيال
طرابلس الشام	المسيو نابوليون بيرو
طنطا	الخوري اثناسيوس دبس
العجم	القس افرام اسطيفان الكلداني « في سنا »
عكار وجهاتهُ	ابرهيم افندي عبد الجليل في عندقت
القدس الشريف	ابرهيم افندي يزبك . الخوري يوحنا خليل في بطريركية اللاتين
كسروان	دير الاباء اليسوعيين « غزير »
لبنان (شماليهُ)	الخوري مخائيل عيسى الخوري « بشرّي »
لبنان (مركز المتصرفية)	محمد افندي ابي عزّ الدين « في بتدين او بعبدا »
ماردين	الخوري افرام احمر دقنه
المتن	ناصيف افندي الرغزغي « بكفيا »
مصر (القاهرة)	امين افندي هندية في مكتبتهِ
المنصوره	القس جرجس الرزي
الموصل	القس بطرس نصري
مونتيفيديو	الخواجا اسكندر صافي
الولايات المتحدة	الخوري يوسف يزبك

١٦٥

السنة الرابعة العدد ٥ ١ آذار ١٩٠١

انَّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كليَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 5 (1 *Mars* 1901

فهرس العدد ٥

طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠١

شرح ديوان الخنساء

اعتنى بضبطهِ وتصحيحهِ وجمع رواياتهِ وتعليق حواشيهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

هذه طبعة جديدة لديوان من ضُرب بها المثل في الرثاء٠ وهي تفضل الطبعة السابقة من وجوهٍ شتى اولها ان قصائد الخنساء اتمّ واكمل٠ ثانيها ان الديوان كلهُ مشروح شرحاً مطوّلًا اخذهُ الجامع من خمس نسخٍ قديمة جليلة الفائدة كثيرة النكت اللغوية واضاف عليهِ في ذيل الكتاب تفاسير جمة ادبية وتاريخية وجغرافية نقل قسماً منها عن اشهر كتّاب العرب٠ ثالثها ان الطبع ازيد اتقانًا وانضر حرفًا وادقّ ضبطاً مع فهارس لغوية وتاريخية وقد قابل العلماء هذا العمل بما لا مزيد عليهِ من الاستحسان

(قطع ٨	عدد صفحاته ٣٨٨)	س	ف	قيمة البريد
بغلاف			٧	٨٠
بنصف قماش		٨٠	٧	

Commentaires sur le diwân d'al-Hansâ.

Édités pour la 1re fois et complétés par le P. L. Cheikho S. J.

Édition critique avec Supplément et Tables,
in-8°, XXVIII-388 pages, 1895-1896.

La douleur d'*al-Hansâ'* sur ses deux frères *Sahr* et *Mu'âwiah* tués dans des *razzias*, a passé en proverbe parmi les Arabes. Une centaine d'élégies, inspirées pa ces événements mémorables et conservées jusqu'à nous, ont fait ratifier le jugement des contemporains en assurant à *Hansâ'* le premier rang parmi les poètes élégiaques.

Ces poésies recueillies en un *Diwân* ont été publiées chez nous il y a quelques années. Mais l'éditeur n'avait alors à sa disposition qu'un seul Manuscrit convenable pour faire ce travail, Ayant trouvé quatre autres Manuscrits au Caire et à Berlin, il en a profité pour donner une *édition critique* de cet] ouvrage, accompagné d'un commentaire perpétuel sur le texte. Ce commentaire est en grande partie l'œuvre d'anciens scoliastes rapportés dans les Mss. sus-mentionnés, en particulier celui du Caire (م); le reste est de l'éditeur.

Dans un **Supplément** de 120 pages, l'éditeur a ajouté des notes additionnelles, des variantes et des gloses d'un nouveau Manuscrit trouvé à Mossoul enfin neuf belles **Tables** : philologique, géographique, littéraire, etc.

	Fr.	affr.
Broché.	7 »	0, 80
Cartonné	7,80	

169

المشرق

التليفون وملحقاته

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

التليفون من اعجب مخترعات العصر المنصرم واكثرها جدوى لما يُستفاد منهُ من ترويج المعاملات وتوثيق عرى الائتلاف والتحابّ مع توفير اسباب ترقية الهيئة الاجتماعيَّة فانهُ ليس فقط يقرب المسافات القاصية كما يفعل التلغراف بل يحيي امامنا اشخاص الاحباب فيشعر بهم القلب وان لم ترَهم العين. وذلك انَّ التليفون ينقل الينا اصواتهم فتميّز الاذن كل نبرات لهجتهم وتنتعش بذلك كلّ عواطف الوداد وتتلطَّف حرقة الفراق ويجتمع شمل الاصحاب رغماً عن شتاتهم فيصبحون كأنَّهم وراء ستار تتوجَّس مسامعنا اصواتهم العزيزة لا ينقصنا سوى العيان

تاريخ التليفون

التليفون لفظة يونانيَّة مركَّبة من لفظتين « τῆλε » بُعد و « φωνή » صوت وهو عبارة عن آلة لنقل الاصوات الى مسافات بعيدة. والآلة المعروفة اليوم بهذا الاسم انَّما هي ثمرة أبحاث عديدة واختبارات متوالية شأن كلّ الاكتشافات العلميَّة التي تبدو ضئيلة ثمَّ يجدُّ العلماء في تحسينها الى ان يبلغوا بها الى كمالها

ومن عجيب الامور انَّ العامَّة تنبَّهوا منذ زمن مديد الى وضع آلة بسيطة كانوا يتخذونها للمكالمة عن بُعد. وممَّا اخبر المسيو ادمند اندره الذي اوفدتهُ الحكومة الفرنسويَّة سنة ١٨٧٦ الى غرناطة الجديدة في اميركة الجنوبيَّة انَّهُ وجد بين سكَّان تلك البلاد آلة صغيرة كانوا يدعونها « فونوسكو بيو » يستعملها احداثهم كألعوبة ليباحثوا بعضهم عن بُعد. وهي تتركَّب من خيط طويل ينتهي طرفاهُ الى اطارين

بُسط عليهما رقّ غزال او جلد خنزير فيُدخل الخيط في ثُقب ويُعقد في وسط الاطارين فيتكلّم المتكلّم في احدهما ويسمع السامع في الآخر ثم يتناوبان وربّما كانت المسافة بينهما نحو خمسين قدماً. وكان قبلهُ الطبيعي سودر (Sudre) اشار الى ارباب الحكومة الاميركية سنــة ١٨٢٧ ليتخذوا تلغراف الخيط في الجيش ليبلغ القواد اوامرهم الى الضباط بهذه الواسطة (١

وهذه الآلة شاعت بعد مدَّة بين احداث باريس فدعوها « تلغراف الخيط ». ولعل الفرنج نقلوا هذه الأُلعوبة بعــد ذلك الى بيروت. فانَّ صبيانها قبل عشرين سنة كانوا يتلهَّون بمثل هذه الآلة ولا يزال المَثل حتى اليوم يُضرب في الجهَّال فيقال: « يشبه الزعران اللي بيحكوا بالخيطان »

ومن المظنون انَّ هذه الآلة هي التي ارشدت العلماء الى وضع التليفون ونقل الاصوات الى امكــنة بعيدة الّا انهم عمدوا الى ما هو أنقل للاصوات اي المعادن

وكان ارباب الطبيعة لحظوا انَّ الصوت لا يفقد شيئاً من قوتهِ اذا نفــذ في انبوب معدنيّ ولو بلغ طولهُ اميالاً. ثمَّ اكتشف الاميركي پاج (Page) سنة ١٨٣٧ انَّ جوزةً من الحديد اذا توالى عليهــا فعل المغناطيس فجرى فيها مجراهُ وأُبطل دفعاتٍ عديدة سُمع لها صوت رنَّان. ويُقتضى لذلك ان يزيد عدد هذه الهزَّات المغناطيسيَّة على ١٦ هزَّة في الثانية. فدعا العلماء هذه الاصوات المعدنيَّة « الموسيقى الغلفانيَّة »

ثمَّ زاد الطبيعيّ « دى لا ريف » شدَّة هــذا الرنين المعدني بان بدل الجرز الحديدية باسلاك معدنيَّة طويلة فاجازها في محور مكبَّات الجاري الثانويَّة الملفوفة بسلك معدنيّ معتزل

فكان هذا الاختراع داعياً لوضع آلات أُخرى دعوها المهزَّات الكهربائيَّة (vibra-teurs électriques) كان يُسمع لها ألحان موسيقيَّة بفعل الكهرباء. ثمَّ وجد العلامة الفرنسوي شرل بورسويل (Bourseul) انَّ هذه الاصوات يجوز نقلها من مكان الى آخر مهما طال السلك المعدني. فجهَّز سنة ١٨٦٢ الالماني فيليب ريّس (Reis) آلةً نقل بها الالحان الموسيقيَّــة وأصوات الغناء الى مسافة بعيدة . وكان في اول الامر

١) وقيل انَّ بعض الاميركيين بدل الخيط بسلك معدني فسُمع الصوت على مسافة كيلومتر ونيّف

عمد الى بطاريَّة كهربائية ثمَّ جعل بقرب هـذا المجرى حاجزًا معدنيًّا وكان يغني بقرب هذا الحاجز بحيث يمسّ الحاجز الاسلاك عند اهتزازهِ بقوَّة الصوت فتجري اليهِ الكهرباء او تنقطع عنهُ بسرعة عجيبة. وكان يُسمع في اثناء ذلك صدى الصوت او الغناء في جرزة الحديد المغنطة المتصلة بالبطاريَّة

ومن ثمَّ يتركَّب تليفون رَيس من قسمين: الباعث الذي يُطلَق امامهُ الصوت فتهتزّ بهِ جُلَيدة او صحيفة يجري باهتزازها المجرى الكهربائي من البطاريَّة او ينقطع. ثمَّ القابل وهو يتركَّب من جرزة حديديَّة رفيعة حولها ملفٌّ من الاسلاك المعدنيَّة فاذا برز الصوت من الباعث سُمع من القابل . وبين القابل والباعث شريط يجمع بينهما يجوز ان تجعل طولهُ ما شئت

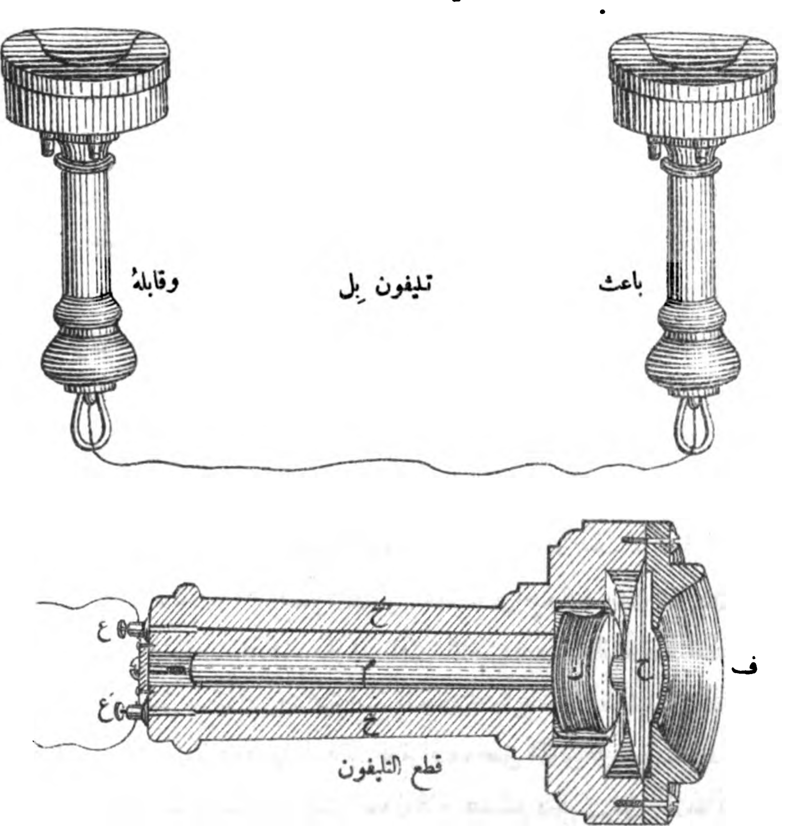
على انَّ تليفون رَيس لم يصلح الَّا لنقل اصوات الدوزان او السلَّم الموسيقيّ فكان يُسمع منهُ الغناء دون الالفاظ ومن ثمَّ لم يفِ بغرض التكلّم ولذلك لم ينتشر انتشارًا كبيرًا ولم يكترث لهُ كثيرون من الطبيعيين

ولمَّا كانت سنة ١٨٧٦ اقام الاميركيُّون معرضًا في فيلدلفيا وكان من جملة العارضين رجل يُدعى غراهام بِلّ (G. Bell) انكليزي الاصل اميركيّ المنشأ قدَّم لعمدة المعرض آلة زعم انها تنقل الكلام بين الامكنة المتباعدة. وايَّد زعمهُ باختبارات علنيَّة فجعل آلتهُ في مدينة بُستون ووصلها باسلاك التلغراف وجعل القابل في مدينة مَلدن والمسافة بينهما ٩ كيلومترات فصار يباحث احد زملائهِ فيسمع ويجيب على كلامهِ حتى لم يبقَ في صحَّة اكتشافه ادنى ريب. وكذلك جدَّد الاختبار بين مدينتيْ بستون وسالم (Salem) والمسافة بينهما ٢٢ كيلومترًا فسُمع الصوت جليًّا في كلتا المدينتين

وفي منتصف سنة ١٨٧٧ قدَّم المسيو بلّ آلتهُ المكتب العلمي في باريس ولبقيَّة الجمعيَّات العلميَّة في اوربَّة فاتَّفقت آراء الجميع على استحسانها والثناء على صاحبها

امَّا تركيب هـذا التليفون فكما يأتي: تؤخذ صفيحة من الحديد المطرَّق (ح) فتجعل في قعر فوهة (ف) ووراء الصفيحـة المذكورة يوضع جُزء من الفولاذ المغنط (م) وعلى هذا الجرز مكبَّة (ك) لُفَّ حولها سلك معدنيّ يحجزهُ خيط حرير يُناط طرفاه (خ خَ) بنصبتـين من المعدن (ع عَ) مُثبتتين في غلاف الخشب الذي يصون الآلة . ويُربط بالنصبتين السابق ذكرهما سلكان معدنيَّان باي طول كان ينتهيان

الى آلة ثانية تشبه تماماً الآلة التي وصفناها



فاذا اراد احد ان يحادث رفيقاً لهُ اخذ الالة وتكلّم فيها بصوت عادي فللحال تتحرّك الصفيحة بتموُّجات الهواء الناتجة عن الصوت. والصفيحة باهتزازها تحدث في مغناطيس الفولاذ تمغنطاً مختلفاً يحدث بسببهِ مجرًى ثانوي في المكبَّة وهذا المجرى ينتقل الى السلكين و ينتهي الى الآلة الثانية التي هي في يد السامع وهو مُلصقها باذنهِ. وتجري في هذه الآلة كل الاهتزازات التي جرت في الآلة الاولى ويتمغنط بذلك فولاذها والفولاذ بتمغنطهِ يهزّ الصفيحة فيُسمع منها الصوت تماماً. فاذا فهم السامع معنى كلام المتكلّم واراد الجواب كفاهُ ان ينقل الآلة من اذنهِ الى فيهِ فيتكلّم عند فوهتها بينما يسمع لهُ المتكلّم الاول بوضع الآلة في اذنهِ. وعلى هذه الطريقة يصبح الباعث قابلًا والقابل باعثاً وذلك لانَّ بالسلكين اللذين يوصلان الباعث والقابل تتمّ دائرة المجرى

الكهربائي. وان شئت امكنــك ان تكتفي بسلك واحد بشرط ان توصل الآلتين بالارض فتصبح الارض متممة لهذه الدائرة الكهربائيَّة كما ترى في التلغراف الكهربائي

فترى مما سبق انَّ تركيب التليفون مبنيٌّ على خواصّ المجرى الثـانوي الذي ذكرهُ المشرق مرارًا (١ : ٧ و ١٠ ثمَّ ٢ : ٦٧٣ و ٦٧٤) فنحيل قرَّاءنا الى مراجعة ما قيــل هناك لادراك هذا المبدإ الطبيعي المتعدّد الفوائد

ومن خواصّ تليفون غراهام بِلّ انهُ شديد الحسّ يُشعر باخفّ ركز ويتأثر بادنى مجرًى من الكهرباء حتى انهُ اذا مرَّ بقربهِ مجرًى آخر كهربائي كمجرى التلغراف مثلًا سُمع لهُ صوتٌ كصوت البَرَد الساقط على الزجاج وربَّما اختلط لهذه الجلبة صوت المتكلّم فلا يعود يُسمع الَّا لغط او لا يُسمع البتة. ومن اراد التكلُّم بالتليفون لا يحتاج الى رفع الصوت وانَّما ينبغي لهُ ان يُحسن اللفظ فتكون لهجتهُ واضحة جليَّة وكذلك يمكن كثيرين من السامعين ان يسمعوا صوتًا واحدًا صدر من الباعث ويكفيهم لذلك ان يوصلوا شرائط بسلكَي التليفون و يعددوا آلاتهِ القابلة

وما بشَّرت الجمعيَّات العلميَّة باكتشاف التليفون حتى اقبل عليهِ الناس في اوربَّة واميركة ايَّ اقبال وعقدوا الشركات لاستثماره وحاولوا تحسينهُ والزيادة في اتقانهِ

واول ما أُجري على هذا التليفون من الاصلاحات ان الاستاذ غُورّ (Gower) لحظ ان احد قُطبي الجرزة المُمغنطة يبقى دون فائدة فـلوى الجرزة على شكل نصف دائرة فصار القطبان يتأثران باهتزازات الصفيحة التي تمسهما في قعر الفوهة

ومن الاصلاحات التي اجراها ادسون (Edison) انهُ قوَّى الباعث فجعل لهُ بطاريَّة تمكّنهُ من تبليغ الصوت الى مسافات بعيدة. امَّا القابل فهو نفس القابل الذي استعملهُ بِلّ

وفي مقالة تابعة نصف الآلات التي اخترعت بعد التليفون لتزيدهُ فائدةً . وفي ما قلناهُ عن هذه الاداة العجيبة مــا يبيّن حكمة الخالق الذي اودع في الطبيعة اسرارًا مكنونة يفتخر العلماء باكتشافها. وفي وصف التليفون قال بعض المحدثين :

يوشوش في الآذان ما قد روَوا لهُ	فقد هذَّبتهُ الكهرباء لها الفضلُ
وما البرق الَّا دونهُ وهو مسرعٌ	لذاك بهِ للقول قد يحسن النَقْلُ
هزالٌ ولا سقمٌ ووَعيٌ ولا عقلٌ	ونطقٌ ولا فهمٌ وسعي ولا رجلُ
فكم أولدت بنتُ العلوم بدائعًا	لها النفعُ جمٌّ مذ.. تأملها العقلُ
فلا زال بحر العلم يحوي جواهرًا	ولا زال في ذا اليمّ غوص الملا يحلو

(نسيب الطبيعة)

حلُّ مُعقَّدات

لحضرة الاب العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي (تابع لعددٍ سابق)

٤ً (مرادفات) وطُلب من قرّاء المشرق (٣: ٧٦٦) وضع مرادفات لكل من الالفاظ الآتية: كونسول. بيرو. طوان. سينمتوغراف. فيرادف كلمة console «حاملة» كما هو مشهور عندنا. ولهُ وجه فصيح لان العرب يسمُّون الارجل: الحوامل. وما ذلك الّا لانها تحمل الانسان كما نصَّ على ذلك صاحب التاج. والكونسول هي بمنزلة الارجل للرفّ او نحوه لانها تحملهُ

ويرادف كلمة بيرو bureau «المكتب» اذا أُريد بهِ المحلّ الذي تُقضى فيهِ الشؤون التي تحتاج الى كتابةٍ: واذا أُريد ببيرو منضدة الكتابة او ما يُصان فيهِ الكتب والرسائل ونحوها فهو «قِمطرٌ»

ويرادف كلمة طوان التركية لفظة «رفيف» العربيَّة بمعنى السقف. ناقلين معناهُ الى هذا السقف الذي تُنضَّد فيهِ الألواح او الاخشاب بحيث يصدر عن مجموعها ونضيدها منظر اشبه شيء بمنظر الثغر الرفّاف وهو الثغر الذي يرفُّ كالاقحوان لما فيهِ من الاسنان المُنضَّدة البيضاء المتلألئة الشبيهة بشرفات الاقحوان (راجع التاج في مستدرك مادة ر ف ف)

ويرادف كلمة سينمتوغراف او كينمتوغراف cinématographe «الرسوم او الصور المتحركة» وهو معنى اللفظة. ومثلها: «الصور او الرسوم الروحانيَّة كما قالوا: «الآلات الروحانيَّة» لحركة داخلية فيها (راجع المشرق ٣: ٦٢٢). واذا اردت لفظةً واحدة فقل: «المُنسِّمات» من نسَّم نسمةً اذا احياها بالعتق وهنا يحيي النسمات بالحركة. وهذا الوضع مأخوذ من مقيسات اللغة فلا تتعجب. ومثل ذلك كثير فيها. وان شئت اتيتك بما تعجزك قراءتهُ

٥ً (الصدفة) وجاء في المشرق (٢: ٨١٥): «انَّ لفظة الصدفة اي hasard وان لم ترد في المعاجم فقد استعملها بعض كتبة المشهود لهم بالبراعة ولعلنا في فرصة اخرى نأتي بنصّ كلامهم». ثمَّ نسي المشرق ايراد تلك النصوص قلتُ: الصدفة اسم مصدر من فعل صادف كما انَّ الأُلفة اسم مصدر لفعل ائتلف. وقد وردت في مؤلفات الشيخ

محمد عبده المصري احد ائمّة العربيّة الاعلام في هذا العصر قال في مقدّمة نهج البلاغة (طبعة سنة ١٣٠٧ ص٢) ما نصّهُ: « وبعد فقد اوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة صدفةً بلا تعمّل » اه. وقال ايضًا شارحًا هذه العبارة: « اتفق لي في عنفوان الشبيبة خُلُقٌ سجيح » من المقامة الخمريّة لبديع الزمان (ص ٢٣٦ من طبعة الآباء اليسوعيين) بما نصّهُ: « عنفوان الشبيبة اول الشباب. والخلق السجيح: اللين السهل. واتفق لهُ ذلك لانّ عادة عنفوان الشباب الخرق والجري على غير رفق فتحلّيه بالخلق السجيح وهو في رَيعان الشباب يشبه ان يكون من الاتفاق والصدفة » اه. وكفى بشهادة الشيخ آيةً وسندًا ممّا لا حاجة الى ذكر نصوص اخرى

٦ً (اصل كلمة صفراغون) كثيرًا ما خدعت الظواهر الخارجيّة او الحسيّة القوى الباطنيّة او العقليّة. ومثل هذا الامر قد وقع في اصل كلمة صفراغون فان ظاهر لفظها استدرج العلامة لكلير الى القول بانها من ossifraga واستزلّ حضرة القس البرّ جبرائيل قرياقوزة الى القول بأنّها آرامية وهي في هذه اللغة ܨܦܪܓܘܢ اي طائر ذو ألوان او ملوّن على ما أوّلهُ (المشرق ٣: ٩٥٧). ثمّ اورد وصف هذا الصفراغون وأغرق فيهِ حتى اوضح لنا انهُ طائر آخر. ولهذا وجب علينا ان نذكر معربًا ما جاء في الطبعة الاخيرة من معجم بُويّه العلمي التي تولى تصحيحها جماعة من جلة العلماء حتى تتأكّد ان حضرة الكاتب لم يكن من الصائبين وان كنتُ اودّ ان يكون منهم. فقد جاء في الكتاب المذكور تحت مادة صفراغون ما معناهُ:

« الصفراغون جنس من الطير من رتبة العصافير السِّنِّيَّة المنقار من فصيلة الهوازج تشمل طُوَيْرات دقيقة المنقار مُذرَّبتهُ ومخرزيّتهُ وساقها حُمشٌ وذنبها واجنحتها قصيرة. وفي ايام القيظ تأوي الى الغابات الفيناء والى شطوط الانهار. وفي الشتاء الى ثقوب الحيطان والمواطن المظلمة » اه

قلتُ: والسِّنِّيَّة المنقار لا تاكل الّا الحشرات ومن ذلك اسمها الثاني آكلة الحشرات وعليهِ فقول حضرة القس الهمام: « ويرد هذا الطائر الى تلك النواحي (يريد قرى الموصل واطرافها) بكثرة عظيمة قبل أوان الحصاد بقليل لالتقاط الحبوب من السنابل وهو يضرّ بالزرع كثيرًا » (وقد رأيتَ من وصفنا انهُ مفيد للزروع بما انهُ يأكل الحشرات وانهُ في وقت الحصاد اي ايام القيظ يلازم الغابات ومن هناك اكلهُ) ثمّ قال حضرتهُ: « ولذلك يخرج الاهالي لطردهِ وزجرهِ بطرقٍ مختلفة » وهو قول لا يوافق هذا الطائر.

كما لا يوافقهُ الوصف التالي: « ويوجد على ظهر هذا الطائر وذنبهِ ألوان مشرقة لمّاعة بديعة الاشكال » والحال انَّ لون هذا الطائر اكثر ما يكون ادكن مع طريقتين سوداوين ليس الّا. ونظنّ ان القس المحترم لم يرَ الطائر وجاء بهذا الوصف حملًا على اشتقاق اللفظة وتثبيتاً لمدّعاهُ. ثمَّ زاد على ما تقدّم قولهُ: « وحسب زعمهم انهُ يأتيهم من جبال آثور اي كردستان الشامخة الممتدة في تلك الاقطار. وقيل انهُ يعشّش في سهول اراضيهم وبقاعها » والصواب انهُ لا يعيش الّا في ثقوب الحيطان كما مرَّ بك ومنهُ اسمهُ عند اهل سوريَّة سكسوكة الحيطان. ومنهم من يُسمّيهِ غنمة او امّ نوح. ثمَّ قال مناظرنا: « ويعشّش بين تلك الاشواك والادغال الملتفّة الموجودة هناك بكثرة وعند اشتداد الحرّ يرحل الى حيث أتى ». (كذا. وفي كل ذلك من الاضطراب ما لم نستطع ان نهتدي الى معرفة هذا الطائر وعلى ايّ ينطبق هذا الوصف فلعلّ الموصوف يبقى مجهولًا الى ما شاء الله)

هذا وازيد حضرة القس الفاضل اني لم اجد في المعاجم الآراميَّة المطوّلة ذكرًا لكلمة « ܨܦܪܓܘܢ » أفتكون من مخترعاتهِ ولعلّهُ رأى مشابهة بينها وبين كلمة صفراغون فظنّ انها عصاً من تلك العُصَيَّة. لكن ألم يعلم رعاهُ الله ان المشابهة في التركيب او اللفظ ليس دليلًا كافياً للقول بوحدانيَّة أوَ يحتاج هذا الكلام الى اثبات او تأويل ثمَّ كيف يمكن لليونان ان يأخذوا كلمة عن الآراميين في عصر لم يكن هؤلاء مشتغلين في مثل هذه العلوم ولم يؤلفوا فيها شيئاً. وهل يمكن ان يسمُّوا باسم آرامي طائرًا يكثر في بلادهم وهو عندهم يُعدُّ بالآلاف. ثم واين الوصف الذي وصفهُ من وصفهِ الحقيقي. وزد على ما تقدَّم ان المعنى الذي تكلّف لهُ في وضعهِ لا يمكنهُ ان ينطبق على الطائر الموصوف كما رأيت. فكيف بعد ذلك يقول ان صفراغونا آرامية الاصل

نظرٌ في الميزان التجاري

بقلم الاديب جان پهلوان محاسبه جي البانق العثماني في بغداد

قبل ان اشرع بالخوض في هذا المضمار. الذي كثر فيهِ العثار. وثار لهُ الغبار. عنَّ لي اعتراضٌ تولّد من نفس البحث الذي اتخذتهُ موضوعي في تسمية العلم العائد اليهِ.

ان المحدثين يعنون بقولهم الاقتصاد السياسي العلم المسمّى بالافرنجية « économie politique » الباحث عن انتظام وتركيب الهيئة الاجتماعية البشريّة وعن لوازمها الخصوصيَّة والعمومية والوسائط المؤدية الى اقتنائها وعن الآفات التي تعبث بحركة هذا المجموع الانساني واسبابها والدواء الشافي لاستدراك شرّها . فلا شكَّ انهم من دون ان يدقّقوا النظر في اساس هذا العلم قد اقبلوا على تعريب « économie » بالمعنى الذي يتبادر الى الخاطر لاول وهلة وهو التوفير او الاقتصاد . ولا مردّ على ما في هذه التسمية من الخطإ لانَّ بلفظة « économie » يُراد هنا النظام او التدبير

ورُبَّ مناقش يعترض عليَّ قائلًا ان الاقتصــاد يعني ايضًا الاستقامة في الامر فيصحّ فيهِ تعريب « économie » ولكن لا يخفى ما في ذلك من التعسُّف والتكلُّف الظاهرَين . فالارجح على ظني الاتفاق على تسمية هذا العلم التدبير السياسي كما وجد ذلك في كتب العرب المؤلفة في هذا الموضوع

في اوهام اصحاب الميزان التجاري

من الاوهام التي توغّلت في كثيرٍ من العقول وما تمكّنت بعد انوار علم التدبير السياسي من قشع ظلماتهــا هو الاعتقاد بان زيادة واردات بلد « importation » على صادراتهِ « éxportation » يكون سببًا لافتقارهِ وبعكس ذلك اذا زادت إخراجاتهِ على ادخالاتهِ عظمت ثروتــهُ . لانهُ على زعمهم اذا زادت الواردات (والفرق بين الواردات والصادرات هو الذي يسمّيهِ ارباب هــذا العلم بالميزان او الرصيد التجاري) اقتضى سدّها من نقود البلد فذهب خسارةً بلا عوض . وقصدي تسفيه هذه الافكار وتفنيدها بعدّة براهين

في نشأة التبادل والمقايضة

ان من تتبّع الانسان في كل أطواره رآهُ في القدم يقوم بذاتهِ بكلّ ما كان يكفل معيشتهُ من دون ان يفتقر الى غيرهِ لإكمال حوائجهِ وذلك إمّا بزرع وإمّا بقَيض الحيوانات فيغتــذي بلحمها ويكتسي بجلودها الى غير ذلك من اسباب المعيشة وقد تمكّن رويدًا رويدًا من تسهيل طرقها بقوة العقل الذي وضعهُ فيهِ البارئ تعالى سواء كان باهتدائهِ الى اختراع بعض الادوات او باستخدامهِ العناصر الطبيعيَّة وانتفاعهِ منها . فكثرت اسباب المعاش وعظمت وتفرّعت حتى اصبح من كان يحرث الارض لا يهتمّ بعمل الحراث ولا

بامر لباسهِ ومسكنهِ فيعرض غلّات ارضهِ أو قسماً منها على عامل الحراث وناسج الثياب فيقايضهما بهِ وما تبقَّى عنده ُ يذخره ُ للايام العسرة. وعلى هذا الوجه كلما نما الناس وازدادت طرق معيشتهم تفرَّقوا وتشعَّبوا في أعمال يدهم وفكرهم فصار كل فرع قائماً بذاتهِ ثمَّ جاء من هذا كلّهِ الصناعات والحِرَف التي نراها اليوم قد ملأَت أطراف المسكونة

ومن أعمال الله العجيبة في الطبيعة انهُ جعل في المكان الواحد خواصّ حرمها الثاني وخوَّل الثالث منافع لم تجدها في الرابع فامتازت كل بقعةٍ بفوائدها واختصّ قاطنوها ببعض الصناعات او الاعمال الى غير ذلك. وبتمهيد الطرق وتسهيل المواصلات حصل ايضاً التبادل بين بلادٍ وبلاد فاصبحت الأُمَّتان تتبادلان كما يتبادل الرجلان. وغنيٌّ عن البيان ان المقايضة لا تحصل الّا باشياء تساوي بعضها في القيمة وكل من المتقايضَين يرى فائدةً وربحاً في التبادل

وما يقال عن الفردين يقال عن الشعبين والشعوب. فبالبلاد التي يحسن في تربتها نموّ البن تُرسل بما ربا عندها الى بلاد أُخرى تجلب منها ما حُرمتهُ هي او ما افتقرت اليهِ وهذا ما يُدعى بالصادرات والواردات. ومن ذلك ينتج ان البلاد لا يدخلها الّا بمقدار ما يخرج منها اذ ليس من المحتمل ان الشعوب تبعث ببضائعها الى شعوب اخرى مجاناً وبلا عوض. فقد ثبت اذاً ان الادخالات تساوي ضروريًّا الاخراجات فلم يبقَ محلٌّ لاوهام اصحاب الميزان التجاري

في ماهية وظيفة النقود في العالم

قد قلتُ انَّ المتبعين لرأي الميزان التجاري يزعمون ان البلد الذي تزيد ادخالاتهُ على اخراجاتهِ يسدُّ الرصيد او الميزان بنقود رنَّانة فيفقدها وتكون لهُ خسارةً مأسوفاً عليها. لانهم يحسبون ان النقود هي أساس الثروة بل الثروة الوحيدة للأمَّة. فمع انكاري دخول النقود في التبادل بين بلدين الّا بمبلغ طفيف اريد هنا ان ابيّن سخافة هذا الادعاء

ان الذين يذهبون هذا المذهب هم الذين يجهلون ماهية النقود ولم يعرفوا ما هي وظيفتها في الهيئة الاجتماعيَّة. وهذا بحثٌ يستوعب موضوعاً برأسهِ ولربَّما استأنفتُ الكلام وأفردت لهُ ان شاء الله مقالةً مخصوصة. غير اني أقول بوجه الاختصار ان حركة

الجمعيّة البشريّة لاجل اقتناء مأكولها ومشروبها وملبوسها هي عبارة عن تبادل خدمات او بضاعات كما بيّنتُ اعلاه. فالفلّاح يعطي مقدارًا من مُغلّهِ الى الخيّاط ليأخذ لهُ ثوبًا ومقادير أخرى الى صانعي سائر ما يحتاج او يرغب اليهِ. فبتكاثر أنواع الخدمات والصناعات كثرت ايضًا المبادلات فاقتضى الحال ايجاد طريقة لتسهيل هذه المقايضات وازالة كل عقباتها. إذ انهُ من الصعب إنْ لم اقل من المستحيل ان يتصوّر الفلّاح مقدارًا ما من الحنطة يساوي ثوبًا ومنجلًا ورطلًا من اللحم وكوة عربةٍ الى غير ذلك. وكذلك ان الخيّاط يحفظ في ذاكرتهِ ان ثوبًا يساوي مقدارًا ما من الاشياء المتعدّدة التي يحتاج اليها. هذا فضلًا عمّا يحصل في امر التبادل من المشقّات وضياع الوقت فانهُ كان ينبغي للفلّاح ان يحمل مقدارًا من الحنطة الى الخيّاط ليبتاع ثوبًا والى الحداد ليشتري منجلًا وهكذا الى الجزّار وصاحب العربة. واذا اتفق ان احدهم لا يفتقر الى حنطة فعليهِ إمّا ان يذهب بها الى غيرهِ وإمّا ان يلتجئ الى ابتياع بضاعة توافق الذي رفض الحنطة

فهذه الصعوبات والمشقّات ادّت بالانسان الى اتخاذ بضاعة واحدة أُسًّا ومقياسًا عموميًا لسائر البضائع. اليها ترجع جميع القيَم عوضًا عن ان تكون كل بضاعة لصانعها قياسًا لقيم غيرها. فاتخذوا بضاعةً مقبولةً لدى الجميع بها يُبتاع كلّ نوع من الخدمات والبضاعات وهذا المقياس هو النقد. فيتضح من ذلك ان النقود هي الآلة المثلى للتبادل والتداول والبضاعة الفضلى من حيث جوهرها واذا سمّيتُها بالمخرج كما يسمّيهِ اصحاب علم الحساب فاكون قد اعطيتها كل حقها

فمن ذلك يتبيّن ان النقود ليست بالثروة الوحيدة بل انما هي قسمٌ منها ومن احسن اقسامها من حيث جوهرها وخواصها. فكما ندعو من كان عندهُ مبالغ جسيمة من النقود غنيًا ثريًّا هكذا يصحّ ان نسمي صاحب الاملاك الواسعة والاراضي الشاسعة او من كان عنده بضائع كثيرة ثمينة رجلًا غنيًا متمولًا. ومن أفضليّة النقود تولّد في العقول هذا الوهم انها هي الثروة الوحيدة. فبناء عليهِ اذا فرضنا ان بلدًا خرج منهُ مبالغ جسيمة من النقود (وهذا من المحال) أفليس يدخلهُ بدلًا من هذه النقود بضائع تساويها في الثمن فمن اين يا صاح تحصل الخسارة بخروجها. وليس خروج النقود من بلدٍ غير مضرّ بثروته بل انما وجودها في بلد بمبالغ عظيمة زيادةً عن اللازم يكون سبب خسارةٍ لها. لانهُ

حسب الناموس الطبيعي للعَرْض والطلب (La loi naturelle de l'offre et de la demande) ان كل ما كثر ذلّ وكلّ ما قلّ وندر عزّ وغلا. وذلك امر مشاهد بالاعيان لا يختلف في حقيقتهِ اثنان. فالبلد الذي يكثر فيهِ غلال الحنطة تكون الحنطة فيهِ رخيصة الثمن وهكذا تكون الحالة اذا كثرت فيهِ النقود فوق ما يُقتضى للتداول فتذلّ وتنزل اسعارها وتفقد من منزلة الابتياع (pouvoir d'achat) بحيث ان كنّا نشتري بالعشرين غرشًا ذراعًا من الجوخ لا نحصل بهذا المبلغ الّا على ثلثي او ثلاثة ارباع الذراع او اكثر حسب اهميَّة النقود

ومن اجلى الادلَّة على فساد رأي من يدعي ان خروج النقود من بلدٍ خسارة لهُ هو ان البلاد التي تكثر فيها معادن الفضة والذهب لا تفتقر بارسالها خارجًا بل انما ثروتها متوقفة على اخراجها

هذا وأعود الى اثبات إنكاري بامكانيَّة دخول النقود في التعاطي بين بلدين الّا بمقدار لا يُعبأ بهِ

ان الانسان يعمل ومن مصنوعهِ يبتاع ما يحتاج اليهِ وما تبقَّى لديه يدَّخرهُ نقودًا ام بصورة اخرى. فالبضائع التي نبعث بها خارجًا يدخلنا عوضها كذلك بضائع من دون ان يكون للنقود فيها دخلٌ اذ ان الانسان قد ساقتهُ الضرورة الى ايجاد طريقة اسهل من النقود للتبادل بين بلدين وهي السفتجة (بولصة) فتجري الاشياء على هذا المنوال. مثلًا ان تاجرًا في بيروت ارسل بشرانق الى صاحب معمل في ليون فيضحي الاخير مديونًا بقيمة هذه البضاعة وان تاجرًا من ليون قدَّم سلعةً من حرير الى صاحب مخزن في بيروت فهذا لكي يفي دينهُ الى تاجر ليون يأخذ تحويلًا او سفتجةً من تاجر بيروت على غريمهِ لتُدفع الى تاجر ليون وبهذه الصورة يكون قد جرى التبادل من دون انتقال في النقود

وقد سبق القول اني لا انفي امكانيَّة دخول النقود لسدّ رصيد الواردات والصادرات بمبلغ طفيف وذلك لاسباب شتى منها ورود مسافرين حاملين نقودًا او قلة النقود الغير الاعتيادية في بلدٍ فيوافق حينئذٍ جَلْبها اليهِ كما يناسب جلب سلعة نادرة الوجود. وعلى كلا الحالين فلا تُثلم حجارةٌ من اساس ادّعائي بان الواردات

توازي الصادرات لانَّ النقود هي نوعٌ من البضائع التي تتألَّف منها الثروة ليس الّا

نقص اللوائح الرسمية في الصادرات والواردات

ولا بُدَّ ممن يمتطي منبر الاعتراض فيدافع قائلًا تُرى وما عسى تكون اللوائح الرسميَّة الصادرة من الحكومات بعضها ينبئ عن زيادة الاخراجات وبعضها يُفصح عن زيادة الادخالات. أُجيب على ذلك ان هذه اللوائح يجب بالطبع ان تكون مغلوطة او غير كاملة لاسباب عديدة. منها: ١ً لعدم حساب النقود الداخلة والخارجة او ما ينوب عنها مثل البانقنوط والسفاتج التي يحملها المسافرون. ٢ً لعدم تقييد البضاعات المهرَّبة. ٣ً عدم الإقرار بقيمة كثير من السلع. ٤ً عدم الضبط في تعيين الاسعار ٥ً ان البضائع الصادرة تثمَّن بقيمتها في البلد الطالعة منهُ والبضائع الواردة تُحسب بالقيمة المعروفة في البلد الداخلة فيه وفي ذلك تبايُن عظيم اذ إنَّ البلد الذي يقدّم بضاعة يستوفيها بموجب القيمة المعروفة في البلد الداخلة فيهِ والسلع التي تدخلهُ يفيها بالسعر الجاري في البلد الخارجة منهُ

بيان اغلاط اصحاب الميزان التجاري باغلاطهم

هذا وان كان ما اثبتُّهُ كافيًا لردّ ضلال اصحاب الميزان التجاري لكن لزيادة في الايضاح احبّ ان أُبيّن شناعة اغلاطهم باغلاطهم

قد زعموا ان كلَّما زادت الاخراجات على الادخالات زاد البلد ثروةً وغنًى والعكس بالعكس. فلنفرض ان تاجرًا بالشرانق في بيروت ارسل من بضاعتهِ الى ليون بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة وان وكيلهُ قد باعها لسببٍ من الاسباب بالفي ليرة فقط وقدَّم لهُ عوضها حريرًا فعلى مذهب اصحاب الميزان التجاري وان كان التاجر البيروتي قد خسر الف ليرة لكن لسبب نقصان الادخالات عن الاخراجات ربحت بيروت الف ليرة. واذا عكسنا القضيَّة وفرضنا ان الشرانق بيعت باربعة الاف ليرة فيكون التاجر البيروتي قد ربح الف ليرة غير ان بيروت تكون قد خسرتها وعلى ذلك ان ما يربحهُ السكّان تخسره المدينة. فيستوجب اذن غنى بيروت خسارة تجّارها. وان لم يفتحوا لوجه الضرر بابًا لحذاقتهم وبراعتهم في الاشغال فالاجدر بهم ان يلقوا في البحر السلع الواردة الى ميناء بيروت قبل تقييدها

في سجلات الكمرك فيضحي ما تبتلعهُ الامواج ربحاً هنيئاً للمدينة . وهذه هي الواسطة الوحيدة لجعل الصادرات تُنيف على الواردات

فاذ قد ثبتت من كل الوجوه فظاعة أغلاط اصحاب الميزان التجاري ارى من المناسب ان آتي بملاحظة أخرى وهي ان كان من المستحيل ان تزيد الواردات على الصادرات فقد يصدف احياناً ان الاخراجات تزيد على الادخالات وذلك بجلاء عيالٍ غنيَّة و برحيل رجال العقل والذكاء او باقامة اصحاب الاملاك في الغربة وجلبهم غلاتها فهنالك تكون الخسارة العظيمة ليس بزيادة الواردات بل بنقصانها عن الصادرات

النتيجة

من نتائج هذه الاوهام الوخيمة انها أولدت بين الشعوب الشحناء والمراقبة . فالأُمَّة التي نتوهم انها قد أغرقتنا ببضاعتها نجعلها هدفاً لسهام القدح والقذع لتيقُّننا انها تسلب مالنا وتختلس ثروتنا كأن ما تُرسل بهِ الينا ليس لهُ قيمة ولا ثمن او كانَّ ما نقدّمهُ اليها لا ربح لنا فيهِ . وهذه الاوهام لم تكن تضرب اطنابها بين الرعيَّة فقط بل انها هجمت على عقول الحكَّام الذين بيدهم زمام امور الامم . ومن ذلك حصلت المشاحنات والمكاشحات الدوليَّة التي جعلت مبدأ سياستها الخارجيَّة تزييد اخراجات بلادها على ادخالاتها لعلمها ان من ذلك تتحصَّل ثروتها . فبنت الثغور والتخوم وضربت الرسوم الباهظة على الواردات ولكن فاتها ان كلما قلَّت الواردات قلَّت الصادرات . وتسلَّط عليها حبّ توسيع دائرة نفوذها والاستيلاء على املاك الشعوب الضعيفة واطئةً بارجلها حقوق الشعب وواجبات الامم . وللبلوغ الى هذه الغايات كثَّرت عسكرها وسلَّحت جنودها ولم تضنّ بجروبها . وان تُوقرهُ بالضرائب فرزحت الشعوب واستقوست تحت هذه الاحمال الجبال . ولا مشاحة ان قلتُ ان هذه الاوهام هي من جملة الاسباب بل ومن اقواها للشرور التي عبثت بالعالم . وكفى بذلك تبصرةً لأُولي العقول السليمة ولاصحاب المبادئ الصحيحة القويمة . والله يهدي من يشاء ان الله كان هاديًا

(المشرق) اثبتنا هذه المقالة بحرفها وان لم نوافق كاتبها في قولهِ عن تساوي الصادرات والواردات . وعندنا انَّ لاصحاب الميزان التجاري حججاً قويَّة للمدافعة عن رأيهم فان احبَّ احد قرَّائنا بسطها في مجلتنا اثبتناها

الطائر الخفّاق على اطلال العراق

لحضرة الاب البارع انستاس الكرملي البغدادي

١ً عقرقوف القديمة (لاحق بسابق راجع المشرق ٣: ٨٦٥)

قال اوليڤيار: «وعلى الباحث الاثريّ ان يرجّح انَّ هذا البناء مصمت بما انَّ المأكول منهُ من الجهتين الجنوبيَّة والغربيَّة يكاد يبلغ حشاهُ ومع ذلك فانهُ لم يُرَ فيهِ تجويف البتَّة. ومداميك اللَّبِن وأدماص القَضَض وأنضاد القصب موضوعة في الداخل نفس وضعها في الخارج. وترى فيهِ نفس الخُروق المربَّعة التي ألمعنا اليها فُوَيق هذا وفي الصفح الشمالي منهُ عند ثلثي سمكهِ فتحة اشبه شيء بباب. ولا جرم انَّها فُتحت لمَّا اراد المنقّبون البحث عن هذا الاثر الجليل. والدليل على ذلك ان حروف هذه الفتحة منحوتة نحتاً مُضرَّساً وليس فيها لَبنة صحيحة سالمة. وعلى بُعد ١٠٠ قدم من هذه الفتحة ونحو الجهة الجنوبيَّة نَشَزٌ سمكهُ بضع قامات يتحقق الناظر اليهِ انَّ ثَمَّ جدراناً متينة مبنية بالآجر وقد اعتبرناها بقايا ابنيةٍ سابقة ومن عهد الصرح بحيث انهُ من الممكن ان تكون عقرقوف موضع بلدة قديمة عاديَّة.

«وربَّ سائلٍ يسألني هنا: وما كانت الغاية من هذا الصرح؟ قلتُ: من المؤكَّد انهُ لم يكن قصرًا ولا معبدًا لا بل ولا حصناً. فلو كان يُرى على احدى صفحاتهِ آثار مرقاة يُصعد بها الى قمّتهِ او يُرى اثر باب هناك لدُفعنا الى الظن بان هذه المرقاة قد وُضعت في الداخل ولرجّحنا الرأي القائل بان هذا البناء كان مرصادًا يُرصد منهُ قدوم او هجوم العدوّ. ولعمرك ماذا عسى يكون اذن الغرض من بناء قد أُقيم على دَهاس وعلى بُعد ٦ ساعات من الفرات و ٤ ساعات عن دجلة و ٥ ساعات او ٦ عن سور سَميرام. ويبلغ سمكهُ ما يُربي على ١٠٠ قدم؟ أليس لكي يكون منظرةً يشرف منها البابليون على دنوّ اعاديهم منهم. أجل ان موقعهُ وارتفاعهُ في الجو صُعُدًا يمكّن الانسان من تسريح طائر ناظرهِ الى بُعد شاسع واطلاع اصحابهِ بعلامات عرفيَّة على ما يُرى عن بُعد. غير انهُ اذا عدل الرجل عن هذا الرأي مفكّرًا انهُ من العجب العجاب ان تُنفق المبالغ الطائلة على تشييد بناء ضخم ايّ ضخامة غايتهُ الاستشراف على العدوّ فما عليهِ بعد ذلك الّا ان يذهب الى المذهب القائل بان البابليين حذوا حذو المصريين في اقامة الصروح

تخليداً لذكر مشاهير ملوكهم ولدفن رفاتهم. فاقاموهُ على هيئة مربَّع عوضاً عن الهَرَمي لقصور هـذا الشكل عن مساورة الرياح ومقاومة الأمطار لما فيها من الموادّ الرخوة السريعة الانحلال. وعلى هذا الرأي يُرجَّح ان تلك القارات والقِفاف التي تكلّمنا عنها لم تكن الّا بقايا هيكل وبيوت سدنتهِ اقاموها حول ذلك البناء كما يُرى مثل هذه الابنية حول الاهرام (١)»

امّا كنّير (Kinneir) فيعتـبر هذا المكان موقع ستّاقي (Sittace) المذكورة في كتاب زينوفون وهي لا جرم من الواجب ان تكون واقعةً في تلك الديار. ويُقدّر ارتفاع عقرقوف ما يبلغ ١٩٠ قدماً وهو يرى رأي كير پورتر (Ker-Porter) انهُ من عصر أخربة بابل لكنّ بناءهُ أتمّ (٢

امّا بُكنكام (٣ الذي كان معهُ الأثري بلّينو (Bellino) فذهب الى ان شكلهُ في سابق الزمن كان هرمياً وقابل لبنهُ وقصبهُ بلبن وقصب تنّيس على مدالث النيـل (le delta du Nil)

امّا رفيقهُ بلّينو فقد ذهب الى ان عقرقوف مدفن ليس الّا. وقد فتّش فيهِ كير پورتر معلّلًا الامَل على وقوعهِ على كتابات مسماريّة فلم يجد شيئاً. وظنّ ان اغلب ابنية بغداد أُقيمت من اخربة عقرقوف (كذا بحرفهِ) كما انّ الحلّة وغيرها من المدن والقرى بُنيت هناك من أخربة بابل. ومن رأيه ايضاً انّ البناء الشاخص اليوم هو من اقدم ابنيـة الاشوريين وربّما كان برجاً من ابراج بعل كما كان يوجد منهـا في بلاد بابل وفي كلّ مدينة بابليّة بوجه العموم. وقد سمع بلّينو الترك يسمونهُ: «نمرود تيّه سي» (كذا)

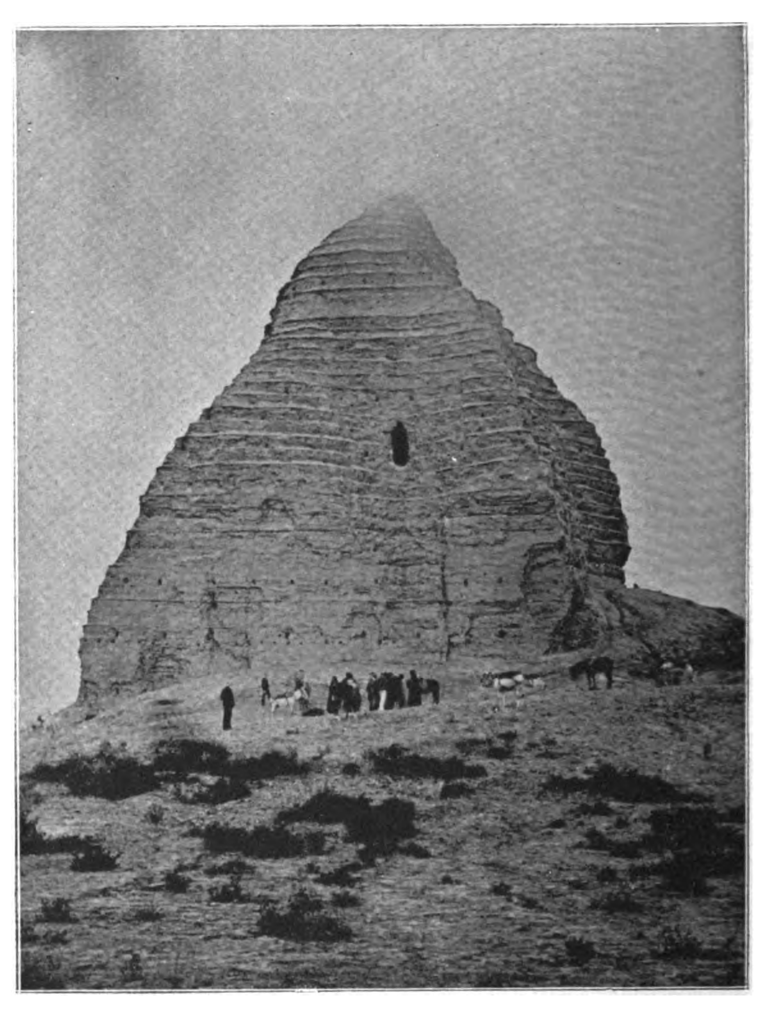
وممّا جاء من وصف عقرقوف الملاحظات التي ذكرها فرازَر (Fraser) الذي جاء بغداد مرّتين فقال مستنتجاً: بما انّ البنـاء البرجيّ الشكل مبنيّ من اللبن وان النبيثة المنبثّة عند حضيضهِ هي من قطع لبنهِ فان ذلك الصرح هو عبارة عن نواةٍ نُزع عنها قشرها. فقد وجد فيهِ طبقات متقابلة من القصباء في حالة رخصة اي رخوصة حتى ان جواد المعلم روس وهو احد رفاقهِ اخذ يعلفهُ بمنزلة التبن. ومرأى هذه الطبقات عن بُعد

١) Olivier : *Voyage...T. II, p. 432, 433, édit. in - 4°*

٢) Macd. - Kinneir : *Memor. of the Persian Empire, London* 1813-1814 ; p. 252 ; *Cfr. aussi* Ainsworth *: Researches in Babylon, Assyr. etc p. 175*

٣) اطلب Buckingham. - *Travels in Mesop. etc. p. 375, 401*

/٤٨



عَقَرْقُوف الحاليّة

يُظهِر البناء في مظهر مضرّسٍ. والبناء على ما هو اليوم لا شكل لهُ وفي جهتهِ الجنوبية فتحة وعلى نحو منتصف علوهِ غار لا يمكن ان يكون الّا مسكنًا لبنات آوى. وأصغرو رفاق فرازر سنًّا دخلوا غُرَيفة منحوتة في ذلك الغـــار. لكن التراب وجيشًا مجيَّشًا من الخفافيش باغتهم على غفلةٍ منهم فصدَّتهم عن رؤية شيء من الاشياء. وقد ذهب روس الى ان هذا الأطم قد أُقيم لمعرفة الجهات. وهذا ما يدعم ايضًا رأي كير پورتر. وفرازر لا يذكر اقيستهُ لكنهُ يذكر مقاديرِ واحد من المهندسين الايطاليين قائلًا انهُ وجد عقرقوف أعلى من برج نمرود من اخربة بابل (١

ونمسك عنان القلم عند هذا الحدّ من ذكر الشواهد بهذا الخصوص فانها لا تُحصى وان كانت نادرة الوجود. وانما انتقينا منها الشواهد القديمة ليقف القارئ على ان الافرنج كانوا ولم يزالوا من المحققين المدققين في كل امرٍ وعصرٍ. وفي كل آن ومكان. حتى انهُ لولا تفاصيلهم لما حصلنا على شيء من الفوائد والمعلومات عن هذا البناء الجليل لانهُ على شفا الزوال والاضمحلال. ولان العرب في ايام فتوحاتهم لهذه البلاد لم يذكروا شيئًا او ذكروا ما يكاد يكون كالعدم مع انهُ من الابنية التي تستوقف رغمًا عن اغضاء عيني الجائل في هذه الديار

٢ عقرقوف الحالية (القسم الثاني)

اذا سألتني ما معنى عقرقوف ؟ اجبتـــك على الفور: لا أعلم شيئًا. نعم ان العرب افاضوا في تفسير هذا اللفظ الغريب وتكلّفوا لهُ معاني مختلفة غير انها كلّها لا تتعدّى طور أضغاث الاحلام. ولهذا نسكت عن ذكرها صونًا لشرف مؤوّليها. امّا الافرنج فلم يبدوا بعد رأيًا بهذا الصدد لان الحرف ليس بعربي بل اشوريّ او كلداني وهو معروف قبل فتوح هذه البلدان على ايدي العرب. امّا آخر مَن وصف في ايّامنا هـــذا الصرح القديم فهو واحد من علماء الآثار الاميركيين في كتاب هذا عنوانهُ: Peters: *Nippūr, or Explorations and Adventures on the Euphrates. - First campaign, p.* 188,189 ولهذا فانّنا نلخّص عن هذا الكتاب ما لم يأتِ بذكرهِ

(١ Baillie Fraser : *Travels in Koordistan, Mesopot., etc. London 1840 in 4° vol. II, p. 163*

الافرنج الاسبقون ونعقّب كلام المؤلف بشيء مما حققناه بنفسنا لكي لا يفوت القارئ فائدة :

« انّ هذا التـل قائم على نشز وحوله كِسَر من الآجرّ والفخّار من جميع الاشكال مع قطع من الزجاج وعلى رأي هِلپرخت Hilprecht ان سمك هـذا البرج ٩٦ قدماً (١ . اما زواياه فتكاد تكون متجهة نحو الخوافق وليس فيه من الطاباق (٢ شيء . وانما هو مبنيّ من اللبِن طول الواحدة منهُ وعرضها ٣٨ سنتيمترًا ونصف سنتيمتر (٣ واللبن كلّهُ مستوٍ وليس محددًا من احدى الجهات كما في نُفَّر (٤ . ويُرى في الجهتين الجنوبية والجنوبيـة الشرقية من التلّ غاران صغيران وعند الجنوب والشرق والغرب يرى السائح آكاماً مختلفة القدر (٥ . وعند الجنوب « التّراجف » ووراءها « خَزْنابات » وفي الشرق « تلّ الذهب ». وفي الجهة الغربيّـة والشمالية الغربيَّة والشمالية آجام ومستنقعات عظيمـة يُطلق عليها اسم « هَور الحُصَيّ » (٦ واذا استشرق الناظر الاقطار المجاورة يرى تلالًا عديدة في جهات مختلفة وتُرعاً كثيرة تخدّ خدًّا وجهَ الارض ومرجعها الى قريب من عقرقوف . وكانت تُرى بغداد (٧ شيئاً قليلًا

١) كذا . والذي حقّقناهُ ١٠٢ وان شئت فقل ٣٤ مترًا

٢) هذا اسم الآجرّ عندنا وهو عربي من اصل اعجمي كالآجرّ

٣) كذا في الاصل المطبوع وقد قِسنا كثيرًا منها فوجدناها غير مفرغة في قالب واحد فمنها ما ألفينا تربيعها ٢٩ سنتيمترًا لا ٣٩ والبعض كان تربيعها ٣٠ سنتيمترًا ووُجدت طائفة منهـا قد نقصت عن ٣٩ لكن لم نرَ منها ابدًا ما أربى على ٣٠

٤) ولا تقل هذه الكلمة بصورة اخرى وهي بالافرنجية (Nippur)

٥) قلتُ : واسم التـلّ الذي في غربي عقرقوف « التلّ الابيض » وبجانبهِ تلول اخرى اسمها « التُلول السُّمر »

٦) قلتُ : وفي الاصل المطبوع : Khor-el-Hasai وهي كتابة واضحة الخطإ لان العراقيين يميزون بين الهَور والخَور كما يميزها اللغويون . فالهَور هو ارض واطئة يندفع اليهـا مياه غياض وآجام وانهـار فتتّسع vaste terrain bas sujet aux inondations واما الخور والبعض منا يقول الغَور فعلى معنيين فعرب خليج فارس يريدون بهِ الضَحضح او الضحضاح واما عرب العراق فيريدون بهِ المنخفض من الارض . واما قولهُ : « يُطلق عليهـا اسم هَور الحُصَيّ » ففيهِ نظر لان هناك هَورَين كلّ واحدٍ منهما منفصل عن اخيهِ انفصالاً بيّناً واسم الثاني : « هَور الدَّادَه » ٧) في يوم رحلة هلپرخت

في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة. واماَّ قُبب مَشهد الامام موسى الكاظم ومناورهُ فكانت تبين في الجهة الشِمالية الشرقيّة

« وبدون حفر وتنقيب لا يكاد يمكن ان يقال قولٌ شافٍ وافٍ ما كانت عقرقوف والى اي عصر ترجع. فقد وُجد ثمَّ آجرٌ مكتوب عليهِ اسم كوريكالزو Kurigalzu ويُظنّ انهُ كوريكالزو الثاني من دولة كوساكون Cossacon الذي ملك في بلاد بابل من سنة ١٣٠٦ الى ١٢٨٤ ق.م. وقد اختطَّ الموضع رجلٌ اسمهُ دُور كوريكالزو Dur-Kurigalzu. وقد شاع شيوعاً بين عدد عديدٍ من العلماء ان تلك الأخربة هي بقايا زقُورةٍ قديمة (١ لكن لم يتبيَّن لي ذلك كذلك في الرحلتين او الثلاث التي فحصتُ فيها عقرقوف بل أميل الى القول بانهُ بقايا برج قديم او حصن حصين كان يُقصد منهُ حراسة وسط الترعة العظيمة. وفي عهد الخلفاء العباسيّين ذُكر هذا التلّ باسم عقاقبة(٢ كأنّهُ علَم مهمّ واقع على الترعة بين الانبار وبغداد

« وفي موطن من مواطن تلك النواحي او في الجوار نحو الجنوب كانت تقوم سابقاً في عهد يوليان المارق مدينة مَدكمالاشا Madgamalacha التي كانت تصدُّهُ عن تقدُّمهِ الى قطيسفون بعد اخذهِ الانبار. وبعد ان قاومتهُ مقاومة الآئس القَنوط تغلَّب عليها ودوّخها وخرَّبها » اه التعريب

وزيادةً على ما مرَّ نقول: ومن الأهوار المشهورة: « قاع بَهلولي » وهو بازاء الحُصَيَ

١) راجع معنى الزقُورة وصورها في المشرق (٣: ١٠٥٢)

٢) قلتُ: ولا أرى كيف انقل هذه الكلمة الافرنجيَّة بهذه الصورة Akakuba فقد بحثت بحثاً طويلاً عن هذه الكلمة وممكنات كتابتها بالعربيَّة فرجعت عنها أخيب من القابض على الماء ولهذا أرى المسيو هلپرخت مع علمهِ الواسع في التاريخ واللغات الشرقية قد وهم وهماً بيّناً لانك اذا رجعت القهقرى الى صدر الاسلام ترى ان هذا التلّ كان معروفاً باسم عقرقوف (كتاب فتوح البلدان للبلاذري. طبعة دي غُوي De Goeje ص ٢٥٠) وفي يومنا هذا معروف ايضاً بهذا الاسم عينهِ. فكيف يمكن إذن ان يكون قد صُحّف في عهد العبّاسيين فقط ثمَّ رجعوا بهِ الى أصلهِ بعد ذلك. فهذا كلّهُ من البعيد. وعلى كلّ فاننا نلتمس من حضرة العلامة هلپرخت او من غيرهِ ان يفيدونا في أي مؤلَّف عربيّ يرى ان عقرقوف كان معروفاً باسم Akakuba. وقلنا « في مؤلَّف عربيّ » لاننّا نرتأي بان الاثري المشهور عثر على هذا الاسم في كتاب افرنجي العبارة. وكثيراً ما نرى الافرنج يصحّفون ويمسخون الالفاظ العربيّة لخلوّ لغتهم من حروفنا ولضعف جهاز صوتهم ونطقهم عن مجاراتنا في اللفظ »

ثمّ العقابيَّة ثمَّ الدادة (وقد ذُكر) ثمَّ ابو شجر وهو هور عقرقوف الحقيقي الخاصّ بهِ.
امَّا مياه هذه الاهوار فتأتي من الوشّاش (١ ومن قرمة الدوَّاية التي هي من فروع الفرات (٢

اما ارض عقرقوف فتزرع حنطةً وشعيرًا وماشًا وسمسمًا ولوبياء وشلجمًا (شلغمًا. ولا تَرِد على ذلك). والعرب الذين يتولون زراعة تلك الاراضي يُعرَفون باسم عرب (اي أعراب) سُهيل من بني تميم او عرب بني صالح. واسم شيخهم اليوم «الشيخ سُهَيل». واما النبات الذي ينبت من ذاتهِ في تلك الاراضي فهو السِّجِل وهو كثير غزير فيها ويُشبه القصب الدقيق ومنهُ أُخذ ما وُضع في تلّ عقرقوف ضمائمَ مستطيلة منضَّدة تنضيدًا. والقصب والشوَّيل والقُرقر والعِشرق والعاقول والبَرْبنت والثَّيل

وامَّا طيرُها فهو نُغَيج الماء (البجَع pélican) والشُّهَيْبيّ وغاق الماء والكرْسوع والعويدي واللقلق والقطا والغُرْغر والشِّورَ والعنّاز والصُّلَيْل والقنبر والدروج والسُّوّاد وطير الليل والخشّاف (مقلوب الخفّاش)

هذا ونقف عند هذا الحدّ من هذا الموضوع قائلين: في يوم ذهابنا الى عقرقوف وُجدت قِطَع من الآجرّ مكتوبة بالحرف المسماري وقد قدَّر العارفون بهذا الفن انها من عهد عَمُورَبي فيكون البناء قديمًا أقدم ممَّا تصوَّرهُ العلامة هلپرخت

الصداع او وجع الراس

للدكتور فيليب بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

كثيرًا ما يُدعى الطبيب لمداواة الصُّداع والصداع كما لا يخفى ليس بداء مستقلّ قائم بذاتهِ فلذلك احببتُ قبل ذكر علاجهِ ان ابحث في اسبابهِ

اسباب الصداع

للصداع اسباب عديدة لا بُدَّ للطبيب ان يتحقَّى في السؤال عنها ليداويها كما تقتضي الحال. فمن ذلك معرفة الصنعة او الحرفة التي يتعاطاها العليل فان كان دهَّانًا او

١) ترعة من ترع دجلة
٢) المراد بالقرمة عندنا الترعة. وهي وان عظمت يمكن سدُّها بطين النهر ومنهُ اشتقاق اللفظة

يشتغل بالالوان الكيمويَّة والدهون وما شاكلها ظهر بديهيًّا سبب العلة وتسنى للطبيب علاجها. وكذلك تفيد الطبيب معرفة احوال المريض السابقة كما لو أُصيب بالداء الزهري او بنوبات النقرس او البول السكري او الزلالي فان كل هذه الاسباب تستدعي علاجًا خصوصيًا. واذا لمس الطبيب رأسَ العليل فشعر لذلك بوجع خفيف فذلك دليل على انَّ سبب الصداع من الداء العصبي ولاسيما الروماتزم. واذا وُجد ارتفاعًا او انخفاضًا في الجمجمة كان سببهُ الورم ويعالج بالجراحة

ومن اسباب الصداع العلل التي تصيب النخاع الشوكي فيكون الصداع معها حادًّا مزعجًا ترافقهُ اعراض عديدة. امَّا الصداع الذي يحدثهُ التهاب اغشية الدماغ ويصحبهُ الكُتام اي التُخمة والقيء فهو قاتل لا محالة. وكذلك ترى الصداع يرافق الجدري والحمّيات التيفوديَّة والقرمزيَّة والملاريَّة وحمَّى الضنك وربَّما بقي بعد الشفاء منها في طور النقاهة

ومن الصداع ايضًا ما يكون ناتجًا من علة تطرأ على بعض الحواس كامراض العين والاذن والانف. ويُصاب الرأس بوجع اذا اعتلَّ الجهاز الهضمي ورافق علَّتهُ الكتام. وكذلك المسكرات فانَّ الافراط في شربها يولِّد الصداع. وامَّا وجع الرأس الذي يصيب النساء العليلات بالهستريا والرجال المبتلين بالنوراستينيا وداء النقطة فعلاماتهُ معروفة يسهل على الطبيب تشخيصها

علاج الصداع العمومي والوقاية منهُ

واذ قد علمت ايها القارئ اللبيب اخصَّ اسباب الصداع فبقي ان نبيّن الطرائق العلاجيَّة التي تشفي هذا الداء او تقي منهُ فنقول:

ان الرياضة البدنيَّة والاقتصاد في المأكول والمشروب والامتناع عن التدخين وشرب المياه المعدنيَّة من افضل الطرق لمعالجة الصداع. وكذلك تجنُّب الانفعالات النفسيَّة. واذا جاءت النوبة وصحبها القيء تعذَّرت النجاة منها وافضل دواء اذ ذاك للصداع الانتيپيرين (antipyrine) فيجرع العليل منها من غرام الى ٣ غرامات. وبعض الاطبَّاء يستعملون المخدرات كالافيون والحشيش والكينا والقهوين (caféine) وغير ذلك ممَّا لا يسعنا ذكرهُ في مقالة وجيزة مثل هذه. وكثيرون يلتجئون الى الماء البارد فيمزجونهُ بشيء من الخل وينضحون بهِ جبهتهم وهذه الوسيلة سهلة لا بأس من

استعمالها خصوصاً اذا كان العقل والجسم في الراحة . ومما اختبرتهُ من الوسائل لشفاء الصداع اني منعت المصدوعين عن القراءة والمطالعة بعد الأكل فزال صداعهم

واما وجع الرأس الذي ينتج عن الزهري فدواؤهُ الاستحضارات الزئبقيَّة واليودور وهي من خصوصيات الطبيب . وكذلك الصداع الناتج عن فقر الدم فدواؤهُ الحديد واستحضاراتهُ العديدة . وانجع دواء للصداع المسبَّب عن البول الزلالي شرب اللبن . ولمعرفة هذا الداء اعراض أُخرى غير الصداع منها الارق وعسر التنفس وانتفاخ الاجفان

ومن الصداع ما يكون عرضيًّا يحدث لمن يجلس في غُرف ضيقة تُشعل فيها النار فيفسد هواؤها بما يتكوَّن فيها من الحامض الكربونيك السامّ . وقد رأيتُ مصدوعين نتج صداعهم عن اختلال حدث لعيونهم فشفيتهُ بان فرضتُ عليهم استعمال النظَّارات (العوينات) التي تقصر نظرهم او تُطيلهُ او تقوّمهُ . ومن علامات الصداع الناتج عن الحمى الملارية انهُ يعود في اوقات معلومة وعلاجهُ بالكينا تؤخذ قبل نوبة الصداع بست ساعات على الاقل . هذا ما توصّل اليهِ الطبّ في شأن الصداع كتبتهُ ملخَّصاً

انتقاد على

الكلم اليونانية في اللغة العربية

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس (تابع لما سبق)

الدِّمص (راجع المشرق ٣ : ٣٤٨)

قال حضرة الاب انستاس في تعريفهِ : « هو كل عَرَق من الحائط خلا العرق الاسفل. تعريب δόμος »

اقول لا مرية ان كلمة دمص أعجمية وقد صرَّح بذلك غير واحد من اللغويين . والأوجه عندي انها معرَّبة عن كلمة ܕܘܡܣܐ (دمس) السريانيَّة ومدلول الكلمتين واحد وهو الساف في الحائط من حجارة او لبن . ومن طالع هذه المادَّة في المعجم السرياني رأى انَّ لها مشتقات وتصاريف خلافاً لغيرها . ولا يخفى ان الحرف الاخير من الكلمة اليونانيَّة ليس فيها اصلًا وانما هو علامة الإعراب ليس الَّا . اما الكلمة السريانية فاحرفها كلها أُصول

ثمَّ انَّ اكثر سكَّان لبنان وفلسطين يلفظونها ويكتبونها بالسين طبقاً لاصلها

السرياني وانت اذا اعتبرتَ ما تقدَّم قضيت بتخطئة المعاجم العربيَّة التي ذكرتها في مادَّة دمص . وعرفت ايضاً جهل ارباب تلك المعاجم ممَّن عزا كتابتها بالسين الى العامَّة ورأيت أن الصواب فيما قالتهُ العامَّة وجهلتهُ الخاصَّة لاسيما اذا عرفت ان الدال والميم والصاد لا تجتمع في كلمة عربيَّة . قال صاحب التاج نقلًا عن ابن فارس : الدال والميم والصاد ليس عندي اصلًا اي ليس بعربيّ فصيح . ناهيك عن ان كتابتها او لفظها بالسين ليس فيهِ ما يخلّ بقواعد المعرَّبات (١

وأذكر في هذا الصدد كلمة المدماك لأنَّا اذا ما سألنا بنَّائي بيروت ورازتهم (جمع رازٍ وهو في اللغة رئيس البنائين خاصةً) عمَّا يفهمون بها أجابونا هي في اصطلاحنا صفّ من الحجارة في الحائط . . فيظهر لنا ان دلالة هذه اللفظة من حيث المعنى هي نفس دلالة كلمة دمس على ما مرَّ واشتقاقها يقاربها ايضاً وعليهِ ارى انها مشتقَّة منها ايضاً اذ ليس في اصل هذه الكلمة شيء يؤيد عربيَّتها فهي اذًا تعريب مدماس بعد إبدال الحرف الاخير منها بكاف وهي لغةٌ لبعضهم . او لعلَّهم أبدلوا السين بالجيم اولًا قالوا في مدماس « مدماج » كما قالوا في ليل دامس « ليل دامج » ثم ابدلوا من الجيم كافًا قالوا « مدماك » كما قالوا في دمجت الارنب « دمكت » اي اسرعت في عدوها . هذا ولا اكثر من الإبدال في الكلمات التي عرَّبوها بل هو شأنهم ايضاً في كثيرٍ من الاحرف العربية القحّة على ما مرَّ بك في كلمة العربد (راجع المشرق ٤ : ٧٧)

وليست كلمة المدماك من بقايا آثار السريانيَّة في الديار الشامية كغيرها من الكلمات الكثيرة بل هي من الكلم التي تكلمت بها العرب قديمًا في العراق والحجاز وقد روى الاصمعي لبعضهم : ألا يا ناقض الميثا قِ مدماكًا فمدماكا

العَرَق (راجع المشرق ٢ : ٣٤٨)

هي بمعنى الدمس ايضاً قد قضى بتعريبها عن δρχος وانكر عليهِ حضرة المدقق الاب لنس تعريبها عن الاصل المذكور . . .

اقول : انَّ الكلمة بمعناها المذكور عربيَّة محضة وهي مأخوذة من العِرْق . ولا يخفى وجه ذلك على المدقّق الباحث في علم اللغة والاشتقاق على انَّ من تصفَّح هذه المادة يرى ان سائر مشتقاتها وتنوُّعاتها ودلالاتها بين لفظيَّة ومعنويَّة وحقيقة ومجاز ترجع الى

١) ارتأى بعض المستشرقين انَّ الدمص مشتقَّة من السريانية واصل اللفظة السريانية من اليونانية هـ . ل

اصل واحد في الاغلب الاعمّ وكذا الحكم في سائر المواد اللغويَّة اللهمَّ الَّا ما يتخلَّلها من غريب اللغات . ولعلَّنا نعود الى الكلام في هذا البحث في فرصة أخرى

وقد استعارت اللغة السريانيَّة قديمًا من شقيقتها العربيَّة فرعًا من مشتقات الكلمة المشار اليها . والعارية هي كلمة ܦܠܓܐ وقد وقعت في شعر القديس افرام قال:

ܡܢܗ̇ ܗܢܐ ܦܠܓܐ ܐܝܟ ܕܐܒܐ

وعرفها السريان كما عرفها لغويُّو العرب بانها خشبة توضع معترضة بين ساَفي الحائط لتربط خلالهُ

الفَلَج (راجع المشرق ٢: ٤٩٠)

بمعنى النهر الصغير قطع بتعريبها عن « πέλαγος » وعرَّف هـذه بالبحر والعباب والمياه الزائدة او الطاغية في النهر

اقول: ان مادَّة فلج التي ذكرتها المعاجم العربيَّة هي برمَّتها سريانيَّة لا حظَّ لها من العربية في شيءٍ كما ستعرف . والفلج هنا مأخوذ من ܦܠܓܐ مصدر ܦܠܓ فَلَجَ بمعنى شقّ والفلج هو في الاصل مَشَقّ في الارض وغيرها وقد غلَّبوهُ على ما يحدثهُ السيل او يجري فيهِ ويقابلهُ في العربيَّة الجدول او السريّ . والى هذه المادة ترجع كلمة الفالج للداء المشهور وقد جزم بتعريبها فقال حضرتهُ :

الفالج (راجع المشرق ٢: ٨٤٤)

« انها تعريب ἡμιπληξία باسقاط الصدر وابقاء العجز ومعناهُ المُصاب او المضروب بنصفهِ او شقــهِ . وليس عربيًّا كما توهمهُ جمهور اللغويين لانهُ لو كان عربيًّا فصيحًا مشتقًّا من فلجهُ بمعنى شقَّهُ فلجين اي نصفــهُ لكان حظ المعنى للنصف الواحد كحظِّ معناهُ للنصف الآخر والامر على خلاف ما يُظنّ »

اجيب : انَّ اللغويين قد اضطربوا في تحقيق هذه المادة ومعرفة وزن فعلها الثلاثي وتعديتهِ ولزومهِ الخ . وكل ذلك ادّعاء انها عربيَّة كما انهم اضطربوا في اشتقاق امثالها من الاحرف التي اخذوها من السريانيَّة ولوهمهم انَّها عربيَّة خبطوا في معرفة اشتقاقها خبط عشواء . وسأُفرد لذلك مقالة خاصة ازفها الى قراء المشرق الكرام قريبًا ان شاء الله . امَّا كلمة الفالج فقد صرَّح ابو عبيد وغيره ممَّن عُني بجمع ما تكلَّمت بهِ العرب من الكلام الاعجمي كالجواليقي والخفاجي وغيرهما انها مأخوذة عن السريانيَّة من كلمة «فالغا» وعرَّفوها بانها قفيز او مكيال ضخم وكذا فسروا ايضًا بيت النابغة الجعدي:

ألقي فيها فلجان من مسك دار   ينَ وفلج من فلفل ضرمِ

والصحيح ان المادة برمَّتها معرَّبة عن ܦܠܓܐ كما قدَّمنا ومعناه الشقّ والشطر. وعليهِ يكون تعريب الفالج عن ܦܠܓܐ وهو اسم فاعل ومعناهُ الناصف (١ اي الآخذ نصف الشيء او احد شقَّيهِ. وقول العامَّة « سقط عليهِ فالج » لمن أُصيب بهِ هو تعبير سرياني محض كما لا يخفى

امَّا قولهُ « فلو كان الفـالج من فلجهُ بمعنى شقهُ نصفين لكان حظ المعنى للنصف الواحد كحظ معناه للنصف الآخر ». فقد يصـدق في بعض الاعتبارات وليس على الاطلاق. فقد قالوا نصفتُ القدح اي شربت نصفهُ فما ثبت للنصف الواحد لا يصدق على النصف الآخر. وكذا قِسْ فلج وامثـالهُ. ومثل الفالج قالوا في الشقيقة فانهم عرَّفوها بانها وجع يأخذ نصف الرأس وهي من شقَّ كفلج

ألأمّ (راجع المشرق ٢ : ٤٩٠)

الأُمّ. لِأُم الدماغ وهي جلدة رقيقة يكون فيها الدماغ. قال: « انها معرَّبة عن (ἔλαμμ) فعرَّبوها اولًا ألأم بعد تجريد علامة الإعراب عنهـا ثمَّ تصوَّروا ان الألف واللام للتعريف الخ « ثمَّ قال « ان معنى الكلمة اليونانيَّة غطًى وليس في العربيَّـة اشتقاق يثبت ما تدلُّ عليهِ ». اه

اظنُّ انهم لم يتوهموا فيها كل هذا الوهم اذ ليست الكلمة بمشتقَّة اشتقاقًا بل هي من مصطلحاتهم فان العرب قد ألفوا ان يكنُّوا بالام عن كلّ ما انضم او أُضيف اليهِ اشياء كغيرهم من الامم وذلك على سبيل المجـاز. فقالوا أُمّ القوم لذؤابتهم او رئيسهم. وامّ النجوم للمجرَّة ومنهُ قول تأبط شرًّا :

يرى الوحشة الانسَ الانيس ويهتدي   بحيث اهتدى أُمُّ النجوم الشوابك

ومن ذلك ايضًا امّ القرى لمكة. وكذا قالوا ام الدماغ للجـلدة الجامعة لتلافيفهِ وليس تكنية جلدة الدماغ بالامّ عند العرب فقط فانك ترى ان لها في بعض اللغات تعبيرًا واحدًا كانها قد تُرجمت عن اللغة العربيَّة ترجمة لفظيَّة

ناهيك عن ان العرب قد يريدون بالأُم المسكن وقد ذكروهُ بين مدلولاتها وذلك لانها تكون مسكنًا للجنين فعلى هـذا يمكن لنا ان نقول ان المراد ايضًا بام الدماغ مسكنهُ ووعاؤهُ. فتأمل

١) وهذا رأي المستشرق فرنكل (Frænkel) في كتابهِ عن الالفاظ الارامية في اللغة العربية

القليف (راجع المشرق ٢ : ٤٩٠)

قال: « القليف الدنّ الذي قد فُضَّ عنهُ طينتهُ تعريب (καλωv) ومعناهُ الجرَّة والوعاء والآنية والسطل واجّانة الموتى ووعاء القرعة »

اقول ما القليف الّا صفة للدنّ المذكور وليست بموصوف البتة وهي لا تدل على الدنّ المذكور الّا اذا كان مقلوفاً اي مقشوراً عنهُ طينتهُ كما تعرف من تعريفهم لهُ. فالقليف اذاً فعيل بمعنى مفعول وصفة خلفت موصوفَها واستقلّت بالدلالة عليهِ. فتبصَّر

فهذا آخر ما سنح لي من النظر فيما نُشر في اعداد المشرق لسنتهِ الثانية تحت عنوان (الكلم اليونانيَّة في اللغة العربيَّة) لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي البغدادي ولم ارد فيما كتبتُ تفييلاً لرأي حضرتهِ ولا افتياتاً عليهِ وانَّما سعيت وراء الحقيقة التي ينشد ضالَّتها ولعلَّهُ كان مصيباً وكنت مخطئاً فيما قرَّرتُ وكتبت على مكانة العلم القاصر وفوق كل ذي علمٍ عليم

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

وكان المقدَّم رزق الله كريم الاخلاق مبغضاً للظلم وبما انهُ قبل ان يتولَّى المقدَّميَّة قد شاهد أفعالاً كثيرة منكرة من اهل العتوّ والكبرياء الذين يعتدون على الضعفاء ويهضمون حقوقهم فما صدَّق ان قبض على زمام الاحكام حتى يستخدم سلطتهُ في كفّ ايدي ذوي البغي ودفع ظلاماتهم فمن ثمَّ استدعى الى قصرهِ في بشراي جميع الامراء والمقدمين والمشايخ في لبنان وجبل عكَّار

وكان في جملتهم مقدَّما جبيل والبترون اللذان سبق شيء من خبرهما مع مقدمي ايطو والحفد والعاقورة. وكان مقدَّم العاقورة شيخاً وقوراً اشتعل رأسهُ بياضاً في مقارعة الابطال وكفاح الكماة وقد حمى لبنان نحو نصف قرن من غزوات الاكراد وعرب البقاع ونصيريَّة الضنية[١] بسطوتهِ وحسن محافظتهِ على معابر جبل المنيطرة التي منها كانت تهجم تلك العصائب على قرى الجبل

١) ابو الفداء

وكان الكل من مقدَّمين ومشايخ وأعيان لابسين خوذًا من الفولاذ الصقيل بعباءات مفوَّفة بالقصب تبين من تحتها صوارمهم في اغماد مرصعة بالنقوش وكريم الحجارة. وكان لتلك الخوذ المتلألئة والصوارم المذهَّبة والطيالس الحريريَّة والبرانس المبرقشة منظر بهيج باختلاطها بملابس الكهنة السوداء وثياب رؤساء الاديرة المنسوجة من الصوف الاسمر القاتم

فلمَّا احتشد الكل في ردهة القصر وجلسوا في اماكنهم دخل المقدم رزق الله يصحبهُ اسقف بشرَّاي وكاتب اسراره وفرا غريفون قاصد الكرسي الرسولي. وكان في اقصى الردهة مائدة وضع عليهِ المصلوب بين شمعتين مسرجتين وقبالته كتاب الاناجيل الشريفة مع سيف مسلول

فبعد ان طلب المقدَّم رزق الله من الاسقف ان يبارك الاجتماع نهض واقفًا والقى على الحاضرين الكلمات الآتية :

« بعد ان صارت اليَّ ادارة الشؤون على اثر وفاة اخي المرحوم وجَّهت همي كما تعلمون الى تأكيد سعادة الوطن ورفاههِ واتت مساعيَّ بما اروم من الثمرات كما تشاهدون لان جميع علائقنا مع جيراننا هي بحمد الله على غاية ما نروم ونشتهي. نعم ان نائب طرابلس أطاع في بادئ الامر اقوال الوشاة بنا وتظاهر بشيء من العداء لكنَّهُ ما لبث ان اعترف لنا باسم الحكومة المصريَّة بجميع الحقوق والامتيازات التي كانت للمقدمين سلفائنا وبناء عليهِ لم يبقَ عليَّ سوى ان أوطد اساس الاتفاق القديم بيننا وبين الطائفة الدرزيَّة وامراء الغرب (١ فاصبت بتوفيق الله نجاحًا حتى انهُ لم يقم خلاف بين الفريقين الَّا وتمكنَّا من تسويتهِ بالطرق الحبيَّة. وليس في جيراننا من يسلك خطةً معادية سوى النصيريَّة والمتاولة الذين كثيرًا ما تضطرنا الاحوال الى دفع غاراتهم علينا بالقوة

« هذا بشأن احوالنا الخارجيَّة غير ان احوالنا الداخليَّة تستدعي انتباهًا والتفاتًا خصوصيين. فقبل كل شيء أريد ان يملك الاتحاد التام بين الشعب اللبناني من اي طائفة ومذهب كان وليس لنا سوى هذه الطريقة حتى نكون اقوياء وقادرين على مقاومة جميع اعدائنا الخارجيين دون ان نرهب منهم بأسًا. وينبغي ان تعلموا اني اعتبر

١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

كل السكّان رعاياي واولادي سواء كانوا في جبل عكّار او في جبل لبنان في الساحل او في الجبة موارنة كانوا او ملكيين. نعم اني اشتهي ان يسود ايمان واحد في لبنان من اوله الى آخرهِ لان الايمان هو اعظم رابط للقلوب والاذهان ولاجل هذه الغاية عضدتُ وساعدت بكل مقـدرتي الارشيديا كن موسى الذي ارسلهُ غبطة بطريرك الملكيين الى رومية لاجل المداولة في مسألة الاتحاد مع قداسة ابينا العـام الحبر الاعظم وهي جارية الآن مجرًى حسنًا وعمّا قريب يسافر حضرة فرا غريفون الى المغرب تأكيدًا لنجاحها. ولا شك ان هذه المساعي كلها التي يقوم بها أُناس مستقيمون اصحاب ضمائر محبَّة للصواب لا يمكن الّا ان تلاقي نجاحًا بشرط ان لا نضع في طريقها عائقًا

«ان الشعب المسكين يرفع عقيرتهُ بالشكوى وهو مصيب في ما يشكو منهُ لانهُ يئن تحت اثقال التكاليف وليس من العدل كما تعلمون ان تكون جميع الامتيازات في جانب وجميع المغارم في جانب آخر. وبناء عليهِ لم يكن بدّ من توزيـع الحقوق والواجبات توزيعًا متساويًا وعادلًا. وهذا هو الوقت المناسب لذلك لاننا اذا لم نعمل اليوم طوعًا سيأتي يوم نعمل فيهِ جبرًا

وهنا انقطع المقدَّم هنيهةً عن الكلام وبعـد ان اجال نظرهُ في الحضور اتمَّ خطابهُ قائلًا:

«إعلموا اذًا يا أتباعي وأعواني الاحباء اني انّما جمعتكم هنا لنهتمّ بدفع النكبات والشرور الملمَّة بالوطن العزيز وبما اننا اولياء الشعب يتحتم علينا ان نبدأ باعطاء المثل فيجب ان نلقي في البلاد سلامًا اكيدًا سلامًا يريح المظلوم ويكفّ يد الظالم وقبل كل شيء أريد توطيد العدل على قواعد ثابتة الاركان. وها انا مستعدّ لاستماع آرائكم والتنقيب بالاشتراك معكم عن العلاج المفيد لازالة العلّة فتكلّموا اذًا ولا تكتموني شيئًا من افكاركم

فعندها نهض مقدم العاقورة اكبر السادة الحاضرين عمرًا فقال

اعلم ايها الامير اننا جميعًا قد استصوبنا خطابك وكلنا نريد إقرار الترتيب والنظام وتعزيز اركانهما بكل ما يلزم من الوسائل وعليهِ فاننا سلفًا نقبل بكل ما تراهُ موافقًا لبلوغ هذه الغاية

ثمَّ وقف المقدم زين فقال: اني ولو كنتُ أصغر الكل سنًّا ومن واجباتي ان التزم

السكوت امام هذا الجمع الموقر ارى مع ذلك ضرورةً تدفعني الى اعلان السرور الذي خامرنا من هذه المقاصد الحازمة التي عزمت على اجرائها وانا منذ الآن اتبرأ جهرةً من كل واحد ولو كان اخي يتجرأ على العبث بقواعد السلام التي عزمنا على وضعها . فاعتمد اذًا علينا ايها الامير واعلم ان جميع اتباعك من ورائك يقولون قولك ويؤيدون رأيك . او ليس هذا هو الصواب ايها الاخوة ؟

وقد تلقَّى الجميع هذه الكلمات الاخيرة باصوات الاستحسان مؤيدين صراحةً عواطف اكثريَّة الحاضرين . وكان بين هؤلاء قوم ميالون الى بقاء الامتيازات الجائرة على حالها لكنهم لم يجسروا على المجاهرة فلبثوا صامتين ومن ثمَّ فاذا تمَّ الاتفاق بين الكل لفظاً واستمرَّ في الضمائر ناقصاً فان بعض السادة اللبنانيين ممن يشبهون جوسلين في مظالمهم وسوء سيرتهم كانوا قد تواطأُوا معهُ ومع مقدم جبيل على التريُّث وانتظار الحوادث . غير انَّ المقدم رزق الله لم يكن يدري بشيء من ذلك فظَنَّ وقتئذٍ ان لبنان كلَّهُ اصبح في قبضة يديهِ يديرهُ كيف شاء

فلمَّا فرغ المقدم زين من الكلام قام الامير رزق الله فقال :

أُقسم بالله القادر على كل شيء انهُ لا يخرج احد من هذا القصر قبل ان يحلف بانهُ يعطي سلاماً وهدنة للشعب المسكين وان يحامي الضعيف ويعاقب الجرائم ايًّا كان مرتكبها مقدَّماً او شيخاً او وجيهاً او فردًا من العامَّة

قال هذه الكلمات ووضع سيفهُ على مخدَّة من الجلد كانت تجاههُ ثم اكمل الكلام :

— اقسم اني أُعاقب بالموت كلَّ من يعبث بهذا السلام . واذا كان بينكم من يأبى هذا القسم فينهض حتى نعرف من هم اعداؤنا او بالحري اعداء شعبنا . فقد مضى وقت الامتيازات وجاء الوقت الذي يتساوى فيهِ الكل امام العدالة والشريعة

امَّا الجماعة فقاموا كلُّهم مبهوتين من هول هذا الموقف ولم يفه احد منهم ببنت شفة فحينئذٍ خاطبهم المقدم رزق الله قائلًا :

اني لأفرح جدًّا برؤيتكم جميعاً متفقين معي ومن الآن فلتسقط كل هفوات الزمان الماضي ولتمت ولتصر نسياً منسياً وامَّا المستقبل فهو لنا

وحينئذٍ حلف الكل بين يدي اسقف بشرَّاي وفرا غريفون قاصد الكرسي الرسولي

على ذخيرة حقيقيّة من ذخائر الصليب لافظين كلمات القسم التي املاها عليهم سيدهم وولي امرهم مقدم بشراي

فلمّا فرغوا من القسم تناول الامير رزق الله سيفهُ فانتضاهُ قائلًا وتربة اجدادي لا بدّ من توطيد السلام وعلى صيانة الكنائس والاديار وعضد اليتيم والارملة وكل من يحتاج الى الاسعاف والمعونة. وقبل ان يتفرّق الحضور طرحت عليهم بعض التدابير التي يجب العمل بها في هذا الخصوص فاثبتها الجميع بخطوط ايديهم. ثم ان المقدمين ودعوا سيدهم ومضى كلّ الى مركز ولايتهِ وهو على يقين بان المقدم رزق الله يسهر على اعمالهِ وينتبه لكل دقيقة منها فاجرى العدل وسلك بالشعب سلوكًا حسنًا حتى صار الكل يدعون للمقدم رزق الله بالنصر والتأييد وطول العمر

وبعد ان انفضّ الاجتماع استدعى مقدّم بشراي احد كتبة اسرارهِ فاملى عليهِ امرًا الى السيد جوسلين بالحضور اليهِ في فرصة ثمانية ايام من بعد وصول الامر لاجل استجوابه عن بعض الشكاوي المقدَّمة عليهِ. غير ان جوسلين لم يحفل بالكتابة ولا بالى بها وكان جبل اللكام بعيدًا عن لبنان. ومع ذلك فانَّ المذكور ما لبث ان عاد اليهِ الانتباه فاخذ يتهيأ للحوادث ورمّم سور قصرهِ واستدعى رجالهُ لحمل السلاح

١١

وبعد مضي اسبوعين على الحوادث التي اتينا بذكرها قدم خيَّال طويل القامة فعبر الجسر النقّال الموصل الى قصر جوسلين وكان متلثمًا بكوفية كبيرة ومشتملًا بعباءة سابغة يتدلى من تحتها سيف عريض. فكان في هذه الهيئة شبيهًا بمشايخ البدو او بالحري بمشايخ الشيعة الاسماعيليّة الذين اعتادوا ان يفدوا المدَّة بعد المدَّة على سيّد القصر لاجل مذاكرتهِ في شؤون مختلفة

وكان الراعي عبد الله من مزار النبي شيت قائمًا عند باب القصر المذكور عملًا بالاوامر التي تلقَّاها فلمَّا شاهد الخيَّال ورأى الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا في صحبتهِ تبادر الى ذهنهِ انهُ المقدم رزق الله فاسرع لتقبيل يده لكنَّهُ ما لبث ان ارتدَّ باشارةٍ من الرجل المجهول

ثمَّ ان الخيال لمَّا وصل الى الباحة الداخليّة نزل عن ظهر حصانهِ بخفَّة ولباقة فجعلت الكلاب المربوطة هناك تنبحهُ وتهمّ بتقطيع السلاسل المقيَّدة بها لتصل

اليهِ. وما كاد يطأُ الارض حتى وفد احد الخدم فامسك باللجام فناولهُ الرجل المجهول قطعة من الفضة قائلًا لهُ:

خذ هذه لك واعلم اني غريب واريد مواجهة سيدك في شأن مستعجل يتعلق بهِ

فدخل الخادم مسرعًا الى القصر ثم عاد بعد دقيقتين قائلًا ان سيّدهُ جلس على الطعام ومتى كان في هذه الحالة لا يحب ان يواجه احدًا ولا يتحلحل لاحد حتى لو كان المقدم رزق الله بعينهِ قادمًا عليهِ

قال الغريب وقد مدَّ يدهُ الى منطقتهِ خذ ايضًا هاتين القطعتين من الفضة وعُدْ الى سيدك وقل لهُ اني آتٍ من قرية علما التابعة لامير بشرّاي وان الاسماعيليّة اغاروا عليها واسلموا الغلال الى النار فعليهِ ان يُسرع في ارسال نجدة واخبرهُ كذلك اني لا اقوى على الانتظار

فدخل الخادم وقد بهرهُ سخاء الغريب لكنَّهُ ما كذَّب ان عاد مسرعًا كالمرة الاولى فقال ان سيدي يقول بان الفلاحين في علما ليس لهم الَّا الصبر على ما جرى وانك يجب ان تعود هذا المساء لتفاوضهُ ثم قال ايضًا. . . .

وهنا وقف الخادم عن الكلام بغتةً كأنهُ عرف ان الذي سينقلهُ عن لسان سيده سيجرّ عليهِ وبالًا. فقال الخيَّال بكل سكينةٍ ووقار: لا بأس من ان تكمِل لنا مقال سيدك. فاجاب الخادم ان سيدي يقول انك اذا زدت في ازعاجهِ يُطلق عليك كلابهُ فتهشمك. فتبسَّم الغريب برصانة ثم كشف عن وجههِ واخرج قطعة من الفضة ونفح بها الخادم قائلًا: لا اسألك غير خدمة زهيدة تذهب الى جوسلين وتقول لهُ انَّ يَرسيفا هنا

فما نطق الخادم بهذا الاسم حتى اضطرب جوسلين وارتجفت اعضاؤهُ لان مقدم بشراي كان معروفًا بالاسم المذكور عند الشعب ولذلك التفت الى الخادم فقال لهُ: كذبت واردت خداعي فان الغريب لم يقل لك شيئًا من هذا. وهمَّ في الوقت نفسهِ بالنهوض غير ان السكر كان قد عمل فيهِ فوقع على كرسيهِ

— لم اخترع شيئًا من عندي يا سيدي فانهُ قد قال لي صريحًا قل لسيدك ان يرسيفا هنا وفي الحال رفع اللثام عن وجههِ فرأيت فيهِ مخايل المقدم رزق الله بن جمال

الدين. ثم ان قامتهُ الطويلة تدل عليهِ دلالةً كافية وكذلك غمد السيف المرصّع بالجواهر والمتدلي من تحت عباءتهِ المخطَّطة لا يمكن ان يكون الّا لهُ

امّا جوسلين فزادهُ هذا الكلام ارتعاشاً وبدّد عنهُ نشوة الخمر وفيما هو يهمّ باعطاء الاوامر لادخال الغريب انفتح باب الغرفة بغتةً ودخل منهُ الخيَّال يصحبهُ الاب يوحنا.

(ستأتي البقيّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت — المطبعة الادبية

ذكرنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤ :٨٩) اصل هذه المطبعة واشتراك صاحبها الفاضل خليل افندي سركيس مع منشئ مطبعة المعارف منذ سنة ١٨٦٨ ثمَّ تفرُّدهُ بالشغل سنة ١٨٧٣. فاخذت المطبعة الادبيَّة مذ ذاك العهد تتقدَّم وتتحسن ادواتها ومعدَّاتها وتتوسَّع دائرة اشغالها باتساع دائرة العلوم في البلاد الشاميَّة

وكانت احرف هذه المطبعة عند نشأتها من الشكل الاميركاني فصنع لها صاحبها الحرف المعروف بالاسلامبوليّ حفر امَّهاتهُ جناب الشيخ اللغوي ابراهيم اليازجي ثمَّ الحرف الفارسيّ وقد حفر امَّهاتهُ المعلم قسطنطين البيطار الدمشقيّ والحرف الثلث الكبير وقد حفرهُ الاديب نجيب سركيس ومن هذه الحروف ما هو مزدان بالحركات. وكذلك قد جُهّزت هذه المطبعة باجناس كثيرة من الحروف الافرنجية

امّا الادوات الطبعيَّة فمنها طابعان سريعان تُنشر بهما الكتب والجرائد. ومنها طابعان آخران يُداران بالرجل مختصَّان بطبع السفاتج (البوالص) والاعلانات التجاريَّة ومطابع أُخر للبطاقات يضاف اليها ادوات لتجليد الكتب وتذهيبها ومساكب للحروف

وفي هذه المطبعة تُنشر جريدة لسان الحال التي ظهرت في عالم الصفاحة عام ١٨٧٧. امّا الكتب التي طُبعت فيها من لدن نشأتها فكثيرة نورد هنا ما امكننا الوقوف عليهِ وقد قسمناها حسب موادّها تابعين الحروف الابجديَّة

١ (الكتب الدينيَّة) ١ً اقتداء الكاهن بالمسيح للاب يوسف فراسينتي عرَّبهُ الخوري دمتريوس زبَّال (١٨٨٨ . ص ٢٣٨) = ٢ً الانجيل المقدَّس بقطع صغير. ثم بحرف مشكل = ٣ً تحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني (١٨٩٦ . ص ٥٧) = ٤ً التيبكون جمعهُ الخوري فيلبّس ملوك (١٨٩٦ . ص ٤٣٥) = ٥ً خدمة السبت العظيم (١٨٩٩ . ص ١٣١) = ٦ً خدمة القداس الالهي = ٧ً الخلاصة اللاهوتيَّة لمار توما عرَّبها المطران بولس عوَّاد. ٤ اجزاء = ٨ً دليل الفردوس وهي مواعظ الخوري افرام ابيض السرياني = ٩ً الرسائل الجليَّة في البراهين على اخص العقائد المسيحيَّة للخوري سابا (١٨٧٩ . ص ١٧٦) = ١٠ً السواعية للروم الكاثوليك عُني بطبعها المطران جرمانوس معقد (١٨٩٠ . ص ٦٦٧) = ١١ً شرح التعليم المسيحي للمطران بطرس الجريجيري (١٨٨٦ . ص ١٦٦) = ١٢ً صلوات = ١٣ً عقود الجمان في شرح قانون الايمان للمطران انطون قندلفت جزءان (١٨٨٣ . ص ٩٦٠) = ١٤ً القلادة الدرية في شرح الوصايا الالهية لهُ (١٨٩٩ . ص ٤٨٨) = ١٥ً المعيشة الهنيَّة في الحياة النسكيَّة للقس افرام الديراني (١٨٩٩ . ص ٧٤٣) = ١٦ً الكلام الحيّ مواعظ المطران جرمانوس معقَّد (١٨٩١ . ص ١٨٩) = ١٧ً مجموع بعض فروض لكنيسة الروم الكاثوليك (١٨٨٦ . ص ١٣٠) — ١٨ً مختصر الاكطويخس (١٨٩٠ . ص ١٥٣) = ١٩ً المسيحي العابد (١٨٨٦ . ص ١٨٦) = ٢٠ً المعاني الصحيحة في شرح طقس الذبيحة للمطران جرمانوس معقَّد (١٨٨٩ . ص ٦٨) = ٢١ً المعيّد للروم الكاثوليك . وللروم الاورثذكس = ٢٢ً المُغرم بعبادة مريم (الشهر المريميّ) تعريب القس افرام الديراني (١٨٩٩ . ص ٥٠٨) = ٢٣ً منارة الاقداس في تفسير القداس للخوري يواكيم مطران (١٨٨٨ . ص ٦٠٣) = ٢٤ً الميناون للروم الكاثوليك . عُني بطبعهِ الخوري اغناطيوس معقَّد . جزءان (ص ٨٠٣) — الجزء الثاني منهُ للروم الاورثذكس (١٨٨٢ . ص ٥٤٣) = ٢٥ً نبراس الكاهن للمطران باسيل قندلفت (١٩٠٠ . ص ٢٩٩)

وهذه بعض كتب دينيَّة اسلاميَّة طُبعت في المطبعة الادبية : ١ً الاجوبة الجليّة في العقائد الدينية لرجب محمد جمال الدين البيروتي (١٣٠٠ . ص ٣٥) = ٢ً الاساس في الفقه على المذهب الشافعي لمحمد يحيى طيَّاره (١٣٠٠ . ص ١٠٠) = ٣ً الانوار المحمديَّة في المواهب اللدنية للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني (١٣١٠ . ص ٦٣٣) = ٤ً الطائل في الفيوضات والدلائل للسيد محمد علي القبَّاني (١٣١٢ . ص ٢٤٠) . وبعض كتب أُخرى كتحفة العابدين والرسالة الحميدية والاربعين حديثًا والرسالة الحنفية والمجالس الرفاعية والمظاهر الكمالية ووسائل الوصول

٢ً (مبادئ القراءة والصرف والنحو والمنطق) ١ً الاجرومية مع اعرابها = ٢ً نظم الاجروميَّة = ٣ً الاجوبة الوفيَّة في المسائل الصرفيَّة لابراهيم افندي سركيس (ص ٦٤) = ٤ً الإعراب عن قواعد لغة الأعراب لرشيد عطيّه الجزء الاول (١٩٠٠ . ص ٢٢٠) = ٥ً اعراب جوهر الفرد = ٦ً الف باء = ٧ً الفيَّة ابن مالك مع شرح ابن عقيل = ٨ً شرح الالفيَّة باللغة الفرنسويَّة لنوغوبار (١٨٨٨ . ص ٣٤٩) = ٩ً شرحها بالايطالية للمسيو ه. ڤيتو (١٨٩٨ . ص ٦+٢٥٠) = ١٠ً الايساغوجي في المنطق = ١١ً التحفة الادبية في القراءة العربية للقس بطرس الجديدي (١٨٩٩ . ص ٨٤) = ١٢ً تعليم مبادئ القراءة العربية = ١٣ً سلاسل

القراءة ستَّة اجزاء (١٨٩٨—١٩٠٠ . ص ٥٣٠) = ١٤ً سلَّم القراءة = ١٥ً شرح ابيات الارجوزة = ١٦ً عقود الدرر في شرح شواهـد المختصر للمعلم شاهين عطيَّه (١٨٨٧ . ص ١٦٣) = ١٧ً مختصر ارجوزة الصرف = ١٨ً مختصر كتاب نار القـرى للشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٨٢ . ص٢٩٦) = ١٩ً مدارج القراءة لجرجس همَّام ستَّة اجزاء (١٨٨٩—١٨٩٣ . ص ٧٧٥) = الولد الكاثوليكي

٣ (الكتب الادبية واللغويَّة والدواوين) ١ً الاشراق في مكارم الاخلاق = ٢ً اطباق الذهب لشرف الدين الاصفهاني مع شروح للشيخ يوسف النبهـاني (١٣٠٩ . ص ١١٢) = ٣ باكورة نظم الامير شكيب ارسلان (١٨٨٧ . ص ٩٣) = ٤ً التحفـة الانيسة ثلاثة اجزاء (١٨٧٧—١٨٨١ وكُرّر طبعهُ) = ٥ً التهانئ البلديَّة في المحامد الخالديَّة (١٨٩٤ . ص ٨٣) = ٦ً ثاني المطران بولس بصبوص = ٧ً الجليس الانيس وهو ديوان سليم دي بسترس (١٨٨٧ . ص ٧٨) = ٨ً الحكمة وفصل الخطاب جمعهُ السيد عبد الغني رمضان (١٣١٠ . ص ٩٣) = ٩ الخواطر في اللغة للعلم جبر ضومط (١٨٨٦ . ص ١٣٢) = ١٠ً الدرَّة الفريدة في الدروس المفيدة لسليم كسَّاب . جزءان (١٨٨٣ . ص ١٤٤ و ١٦٠) = ١١ً الدرَّة اليتيمة لابن المقفَّع مصححة بقلم عزتلو الامير شكيب ارسلان (١٨٩٧ . ص٤٦) = ١٢ً دفع الاوهام بقلم ابن سلام (تخطئة مقالة الشيخ اليازجي في لغة الجرائد ١٣١٧ . ص٦٤) = ١٣ً دليل الهائم في صناعة الناثر والناظم جمعهُ شاكر البتلوني (١٨٨٥ . ص ١٩٨) = ١٤ً ديوان ابن سهل الاشبيلي (١٨٨٥ . ص ٤٨) = ١٥ً ديوان ابن معتوق (١٨٨٥ . ص ٣٢٩) = ١٦ً ديوان ابي تمام الطائي مع شروح للمعلم شاهين عطيَّة (١٨٨٩ . ص٤٦٣) = ١٧ً ديوان ابي العلاء المعرّي وقف على طبعهِ شاكر شقير اللبنـاني : سقط الزند (١٨٨٤ . ص ١٢٨) وضوء السقط (١٨٨٤ . ص ٥٠) = ١٨ً ديوان ابي فراس الحمداني وقف على طبعهِ نخله قلفاط (١٩٠٠ . ص ١٦٠) = ١٩ً ديوان ترجمان الافكار للشيخ أبي الحسن الكستي (١٢٩٩ . ص٢٣٤) = ٢٠ً ديوان التلعفري صحَّحهُ السيد محمد الانسي (١٣١٠ . ص٥٤) = ٢١ً ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة من نظم محمَّد الميقاتي (١٣٠٤ . ص ١٣٦) = ٢٢ً ديوان السيد الشريف الرضي صحَّح جزءهُ الاول الشيخ احمد عبَّاس الازهري والثاني محمَّد افندي اللبابيدي (١٣٠٧ . ص ٩٨٦) = ٢٣ً ديوان عزَّتلو نقولا افندي نقَّاش (١٨٧٩ . ص ١١٣) = ٢٤ً ديوان عثمان باشا = ٢٥ً ديوان منية النفس في اشعار عنـتر عبس = ٢٦ً ديوان ابن الفارض طبعات متعدّدة (١٨٨٦ . ص ١٣٢) = ٢٧ً ديوان فتح الله مرَّاش (١٨٧٨ . ص ٥٨) = ٢٨ً رسائل ابي العـلاء المعرّي مع شروح للمعلِّم شاهين عطيَّة (١٨٩٤ . ص٣٣٦) = ٢٩ً سجع الحمامة في ديوان المعلم بطرس كرامة (١٨٩٨ . ص ٤٠٠) = ٣٠ً سفر الدموع (١٨٩٩ . ص ١٢٣) = ٣١ً الشرح الجليّ على بيتي الموصلي (١٣٠٢ . ص ٣٥٣) = ٣٢ً الصادح والباغم لابن الهبارية (١٨٨٦ . ص١٤٣) = ٣٣ً كليلة ودمنة نقَّحهُ الشيخ خليل اليازجي (١٨٨٨ . ص ٢٦٤) = ٣٤ً كنز النـاظم ومصباح الهائم لسليم افندي عنحوري (١٨٧٨ . ص ١٨٠) = ٣٥ً مثلَّثات قويدر مع ترجمتها الى الايطالية للمسيو ه. ڤيتو (١٨٩٨ . ص٣٢+٤١٧) = ٣٦ً مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي = ٣٧ً مراثي الشيخ

خليل اليازجي – والياس صانع – وحنَّا المنحوري (١٨٩٠. ص ٤٨) = ٣٨ً المعين. كتاب المعلم الشيخ سعيد افندي الشرتوني (١٨٩٩. ص ٢٢٥) = ٣٩ً مقامات الحريري (١٨٨٦ و ١٨٨٨. ص ٥٦٤) = ٤٠ً مقدّمة ابن خلدون (١٨٧٩ و ١٨٨٦. ص ٥٥٦) = ٤١ً من غاب عنهُ المطرب لابي منصور الثعالبي صحّحهُ محمَّد افندي اللبابيدي (١٣٠٩. ص ١١٨) = ٤٢ً منظومات الجنديّ = ٤٣ً الندى الرطيب في الغزل والنسيب لسليم شاهين سركيس (١٨٨٦. ص ١٨٤) = ٤٤ً نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي (١٨٨٣ ص ١١٦) = ٤٥ً نزهة الافكار في أطايب الاشعار (ص ١٦٠) = ٤٦ً نفح الازهار في منتخبات الاشعار لشاكر البتلوني (١٨٨٠. ص ١٣٦) = ٤٧ً نهج البلاغة مع شروح للشيخ محمد عبده جزءان (١٨٨٥. ص ٢٥٤ و ١٥١)

٤ (الكتب التاريخيَّة) ١ً تاريخ اسكندر الكبير (١٨٨٦. ص ١٤١) = ٢ً تاريخ اميركا لبطرس شحاده جزءان (١٨٨١. ص ١٨٨ و ٩٢) = ٣ً تاريخ بعلبك لميخائيل موسى الوف البعلبكي (١٨٨٩. ص ٩٣) – ترجمتهُ بالفرنسويَّة (١٨٩٠. ص ١٤٢) = ٤ً تاريخ سوريا لجرجي افندي يني (١٨٨١. ص ٥٣٦) = ٥ً تاريخ القدس (١٨٨٠. ص ٢٠٩) = ٦ً التاريخ المقدس بالفرنسويَّة والعربية لميخائيل عبد الله غبريل (١٨٩٨. ص ٢٣٩) = ٧ً تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء للدكتور بيشوف (١٨٨١. ص ١٦٣) = ٨ً الدرّ النظيم في التاريخ القديم لابرهيم سركيس (ص ١٤٣) = ٩ً الروضة الزاهية في تاريخ العوالم الماضية لفرحان حمّاده (١٨٧٩. ص ٢٩) = ١٠ً القصارى في حلّ ثلاث مسائل تاريخيَّة للسيد اقليميس داود (١٨٨٧ ص ٩٣) = ١١ً مختصر تاريخ طائفة الروم الكاثوليك (١٨٨٤. ص ٢٢٣) = ١٢ً مختصر تاريخ اليونان للخوري ميخائيل الوف (١٨٨٩. ص ٢٢٢) = ١٣ً موجز التاريخ الكنسي لهُ (١٨٩٠. ص ٢٣٢)

٦ (الكتب العلمية والرياضيَّة) ١ً الاجوبة الرضية في المسائل الحسابيَّة = ٢ً الاجوبة الوافية في اصول الجغرافية لابراهيم افندي سركيس (ص ١٦٠) = ٣ً الايضاح على مقالات اقليدس في الهندسة لجرجس همّام (١٨٨٨. ص ١٢٤) = ٤ً ترويض الالباب في علم الحساب لسليم صادر (١٨٩٣. ص ٨٠) طبع مرارًا = ٥ً كتاب الحساب العقلي لمسّ اليزا افرت (١٨٩٠. ص ٧٢) تكرَّر طبعهُ = ٦ً دائرة المعارف. الجزء التاسع (١٨٨٧. ص ٧٢٦) = ٧ً الروض النرجسي في الحساب المدرسي لفرحان الياس (١٨٨٥. ص ١٧٧) = ٨ً رياض الالباب في رياض الحساب لامين الخوري (١٨٨٥. ص ٤٨) = ٩ً غصن البان في تخطيط البلدان لسارة هلق (ص ٤٧) = ١٠ً لحة الناظر في مسك الدفاتر للمعلم ظاهر خير الله (١٨٨٤ ص ٦٨) وفي آخره رسالة ترويض المُباشر في مسك الدفاتر (ص ١٦) = ١١ً مختصر الجغرافية للخوري فازو بالفرنسويَّة (١٨٩٦. ص ٢٤٨) = ١٢ً مدخل الطلّاب في علم الحساب لظاهر خير الله (١٨٨٢. ص ٨٠) = ١٣ً مرقاة الطلّاب في فنّ الحساب (١٨٠٠. ص ٠٠٠) = ١٤ً مطوَّل في الحساب لنعمة شديد يافث التبشراني (١٨٨٦. ص ٤٠٧) = ١٥ً النقش في الحجر للدكتور ك. ڤان ديك ثمانية اجزاء (١٨٨٦–١٨٨٩. ص نحو ١٠٠٠)

٦ً (الكتب الصناعيَّة والفنيَّة) ١ً استاذ الطبَّاخين طُبع مرتين = ٢ً الامراض

الزهريَّة للدكتور ابراهيم مطر (١٨٨٥. ص ١٥٦) = ٣ً الحقائق الجسمية والدقائق الصحية للآنسة هيلانة (البارودي (١٨٩٤. ص ٣٠٣) = ٤ً خير الاغراض = ٥ً السوار الحلى في تدبير الاعلا للدكتور اسكندر البارودي (١٨٩٧. ص٢٨٨) = ٦ً كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي (١٢٩٩. ص ١٣٠) = ٧ً كشف النقاب عن انواع الشراب لرشيد غازي الصيرفي (١٣٠٦. ص ١٧٤) = ٨ً المرشد الخبير في تربية دود الحرير للدكتور اسعد سليم (١٨٩٩. ص ٧١) = ٩ً مرشد العيال في تربية الاطفال للدكتور سليم جلخ (١٨٨٦. ص٢٠٨) = ١٠ً مقالة في الدفتيريا = ١١ً منتخبات الصناعة في فن الزراعة لبشاره نحوُّل (١٨٨٤. ص ٢٧٦) = ١٢ً منتهى المنافع في انواع الصنائع لرشيد غازي الصيرفي (١٨٩٦. ص ١١٠٤) = ١٣ً المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي لاسبيردون منسّى (١٩٠٠. ص ٧٣) = ١٤ً النجوم المشرقات في تدبير المسكونات لرشيد غازي الصيرفي (١٣٠٥. ص ١٧٥)

٦ (القوانين الشرعيَّة) ١ً الدستور . ترجمة نوفل افندي نعمة الله نوفل جزءان (١٣٠١. ص٥٨٠ و ٥٩٥) = ٢ً شرح قانون التجارة = ٣ً شرح قانون الجزاء = ٤ً شرح قانون المحاكمات الحقوقية = ٥ً شرح المجلة لسليم افندي باز = ٦ً قانون اصول المحاكمات ترجمة عزتلو نقولا النقّاش (١٨٨٣.ص١٢٩) = ٧ً قانون الاستملاك = ٨ً قانون التجارة الالماني العام . عرَّبهُ الاستاذ مرتين هرتمان (١٨٨٧. ص ٧+١٤٠) = ٩ً المجلَّة عني بترجمتها الشيخ احمد عبَّاس (١٣٠٢. ص ٢٦٩)

٧ (الروايات والرحل والاخبار) ١ً الف ليلة وليلة . اربعة اجزاء (١٨٨٠–١٨٨٢ . ص ١٦٦٦) = ٢ً الف يوم ويوم عرَّبهُ عن الفارسيَّة المعلم جرجس نوفل (١٨٨٦) لم يُتمَّم = ٣ً رحلة خليل سركيس الى الاستانة واورُبَّا واميركا (١٨٩٣. ص ١٤١) = ٣ً كتاب تحفة الزمان في اخبار الملك زادبخت بن شهرمان لاسعد ابي صوَّان (١٨٨٢. ص ١٦٠) = ٤ً روضة الازهار في منتخبات الفكاهات والاخبار تعريب جرجس نوفل (١٨٨٦. لم يتمَّم) = ٥ً سيرة بني هلال = ٦ً سيرة عنترة بن شدّاد . ستة اجزاء (١٨٨٣–١٨٨٥. ص ٢٦٣٥) = ٧ً قصَّة علي الزيبق = ٨ً مائة حكاية وحكاية لتخلي افندي قلفاط (١٨٧٩. الجزء الاول ص١٣٦) = ٩ً مجنون ليلى = ١٠ً الملك سيف بن ذي يزن – ثمَّ روايات عديد معرَّبة كرواية جنفياف (١٨٧٨. ص١٠٨) ورواية المسيو ليكوك او بوليس باريس (ص ٣١٠) ورواية البطلين (١٨٨٩. ص١٨٧) ورواية السرّ الخفي (١٨٨٩. ص١٤٥) وزهرة الحب (١٨٨٩) ورواية المروءة والوفاء ورواية عتليا وغير ذلك ممَّا ليس في ذكرهِ كبير فائدة

٨ (اللغات) ١ً اصول التدريس (عربي وتركي) = ٢ً اعراب فرنسويّ = ٣ً الف باء فرنساوي للشيخ خطَّار دحداح (ص ٧٩) = ٤ً اولندورف لنسيب عبد الله = ٥ً الايضاحات الوفية (بالتركيّ) = ٦ً تحفة الاخوين (عربيّ وانكليزي) = ٧ً التحفة الحميدية في اللغة العثمانية لمصباح افندي اللبابيدي (١٣١٤. ص ١٨٠) = ٧ً التحفة الوطنية في قواعد اللغة الايطالية ليوسف يواكيم (١٨٨١. ص ٢٠٠) = ٨ً الطوالع السعدية في آداب اللغة الانكليزية لخليل مخائيل

سعد (١٨٧٦ . ص ١٣٠) = ٩ً غراماطيق اللغة الفرنسويَّة لنرتلو غطَّاس افندي (١٨٨٥ . ص ١٩٩) = ١٠ً قاموس فرنساوي وعربي = ١١ً الكنوز الابريزية في متن العربية والانكليزية لسليم كساب وجرجس همام (١٨٨٨ . ص ٨٠٣) = ١٢ً مبادئ القراءة (انكليزيّ عربي) = ١٣ً مكالمات عربي وانكليزيّ = ١٤ً الهديَّة الشرقية في اللغتين العربية والانكليزية

وكتب اخرى غيرها لم نتحقق موادَّها . وفي هذه المطبعة تُطبع او طُبعت مدَّةً بعض جرائد ومجلات كالطبيب والرئيس والمنار وسالنامات وروزنامات وغير ذلك ممَّا يشهد بتقدّم هذه المطبعة والخدمات العديدة التي يؤديها صاحبها الفاضل للمعارف والآداب

(ستأتي البقيَّة)

مقام يوسف البارّ بين الاولياء الاطهار

نبذة لاهوتية للاب بولس جوون اليسوعيّ

كتبها بنسبة وقوع شهر آذار المخصَّص بذكر القديس يوسف الجليل

ان التعبُّد لخطيب البتول الطاهرة وابي المسيح بالذخيرة قد بلغ منذ خمسين عاماً مبلغاً عظيماً في العالم المسيحي حتى لم يعد اليوم احد من المؤمنين في انحاء المعمور يفصل اسمهُ الجليل عن اسمي يسوع ومريم الكريمين . ولا غرو فانَّ من اعتبر يوسف المختار مع حليلتهِ المجيدة والطفل الالهي الذي وُكل الى حراستهِ وجد فيهم ثالوثاً ارضياً يمثل لنا احسن تمثيل ذلك الثالوث العلوي الذي لا يقبل انفصالًا . وعليهِ فقد ابى النصارى ألَّا ان يكرموا يوسف البار اكراماً ممتازاً لم يؤدوا بهِ الى غيرهِ من الاولياء القديسين . بل ارشدهم تقاهم الى ان يفضّلوهُ على كل من سواهُ ويثقوا بهِ ثقتهم باقرب الشفعاء من عرشهِ تعالى بعد البتول الطاهرة . فمن ثمَّ قد تلقَّى الشعب المسيحي باصوات الاستحسان ورنَّات الفرح ما كتبهُ لاون الثالث عشر المالك سعيداً في حقّ يوسف الجليل حيث قال علناً في براءتهِ الصادرة في ١٥ آب سنة ١٨٨٩ : « لا ريب انَّ يوسف فاق جميع الابرار فبهرهم برتبتهِ السامية ومناقبهِ السنيَّة وتزلَّف ببرارتهِ دونهم الى مثال الفضائل وقدوتها البتول العذراء الجليلة خطيبتهِ »

فنعم القول وما غايتنا في هـذه اللمعة الوجيزة ألَّا ان نثبتهُ بالادلَّة الراهنة ليرى

المؤمنون ان تعاليم الكنيسة كلها مبنيّة على اساس الحق توحى اليها من مصدر اليقين وينبوع الصدق عزّ وجلّ

١

ولكن يترتب علينا قبل ان ندعم بالبرهان هذه الحقيقة في عظم شأن القديس يوسف بين اولياء الله ان نتلافى مشكلين يمكن البعض ان يعترضوا بهما علينا في هذا الصدد

فالاعتراض الاول نأخذهُ من نفس الانجيل الكريم حيث ورد في متّى (١١ : ١١) ولوقا (٧ : ٢٨) انَّ بين مواليد النساء ليس من احد اعظم من يوحنَّا المعمدان. فيقول المعترض ان هذه العظمة التي نسبها الرب ليوحنَّا المعمدان ليست عظمة بشريَّة وانَّما هي عظمة ادبية فائقة الطبيعة اعني القداسة فاذن فاز يوحنَّا الصابغ بقصبة السبق في ميدان القداسة على يوسف البار

قلنا ان هذا المشكل لا يُحلّ الّا بمراجعة كلام الانجيل ليظهر من نفس القرائن ما هو معنى قول الرب في هذه الآية :

يخبرنا متى في الفصل المذكور ان يوحنا اوفد من حبسهِ اثنين من تلاميذهِ ليسألا يسوع: أهو المسيح الموعود ام ينبغي ان يُنتظَر غيرهُ . وانما يوحنَّا فعل ذلك لا لشكوك بدا لهُ في امر المسيح بل ليرشد تلاميذهُ ويعرّفهم المسيح الذي شهد لهُ يوحنا غير مرة. فيسوع ادرك مراد المعمدان فقال لتلميذَيهِ اذهبا وقولا ليوحنا ما رأيتما وسمعتما . . . وبعد مضيّهما اغتنم يسوع الفرصة ليبيّن فضل العهد الجديد على العهد العتيق الذي انتهى بيوحنا المعمدان. ولبيان ذلك اخذ في إطراء الصابغ فذكر ثباتهُ (متى ١١ : ٧) ثمَّ زهدهُ بملاذ العالم (١١ : ٨) ثمَّ جعلهُ نبيًّا وافضل من نبيّ (١١ : ٩) لان الله عهد اليهِ بان يكون ذاك الملاك الذي تنبأ عنهُ ملاخي (٣ : ١) فاختارهُ ليتقدَّم امام وجه مسيحهِ الآتي ليعدَّ طرقهُ (متى ١١ : ١٠) ولذلك يحقّ ليوحنا بان يُدعى اليًّا (متى ١١ : ١٤) كما دعاهُ الملاك لمَّا ظهر لابيهِ زكريًّا (لوقا ١ : ١٧) فهو لكل هذه الصفات ارفع رتبة واعلى مقاماً من كل اولياء العهد القديم وبهذا الوجه يصحُّ فيهِ ان يُدعى اعظم مواليد النساء (متى ١١ : ١١)

فبعد ان اطنب المسيح لذكرهِ السجود في شخص يوحنَّا وفضائلهِ ورتبتهِ الشريفة

انتقل الى ذكر العهد الجديد وبيّن فضلهُ على العتيق فقال (متى ١١ : ١١ ولوقا ٧ : ٢٨) « وانا اقول لكم ان الاصغر في ملكوت الله اعظم من يوحنَّا » . فملكوت الله كما لا يخفى استعارةٌ تطلق مرارًا في الانجيل الطاهر على الكنيسة التي انشأها المسيح وبالاجمال على العهد الجديد . ومعناها هنا ظاهر لانهُ لو اراد المسيح الدلالة على ملكوت السماء وجنَّة الخلد لجعل يوحنَّا آخر القديسين وهو خلاف ما يريد المعترض . فصحَّ اذًا ان المراد بقول المسيح انَّ رتبة يوحنَّا في العهد القديم اعظم من رتب الآباء والانبياء الذين سبقوهُ . ولذلك لم يَقل القديس لوقا (٧ : ٢٣) على وجه الاطلاق « انهُ لم يقم بين مواليد النساء اعظم من يوحنا المعمدان » بل خصَّص فقال : « ليس في مواليد النساء نبيٌّ اعظم من يوحنَّا »

ومحصَّل القول انَّ المسيح لم يقابل بين يوحنا وجميع القديسين كما ظنَّ بعض المفسّرين بل قابل اعظم رتبة في العهد القديم وهي رتبة يوحنَّا مع رتبة اي مسيحي كان فلا غرو ان حالة هذا اعظم من حالة الاول لانهُ بالعماد يصير ابنًا لله واخًا للمسيح ووريثًا لملكوت السماوات . كما لو قلتَ مثلًا ان في الملك النباتي ليس شجرة اعظم وابهى من النخلة . ومع هذا لو قابلت هذه الشجرة باصغر الهوامّ والهمج لوجدتَ رتبة هذه افضل من رتبة النخلة لانَّ الهوام يخُصون الطور الحيوانيّ وهو اعظم من الطور النباتيّ

فهذا التفسير قد سبق اليهِ القديس كيرلُّس الاسكندري وغيرهُ من آباء الكنيسة وايدوهُ بالبرهان . ومن الحجج التي احتجُّوا بها ايضًا انَّ المسيح لو اراد بقولهِ المذكور تفضيل قداسة يوحنَّا على كل اولياء الله لكان كلامهُ مخلًّا بشرف العذراء البتول سلطانة جميع القديسين وكان يوحنا المعمدان ارفع منها مقامًا وهو امرٌ لم يرضَ بهِ احد من النصارى البتَّة . فصحَّ اذن انَّ هذه الآية لا تمسّ في شيء شرف القديس يوسف

امَّا (الاعتراض الثاني) على سموّ مقام يوسف البار بين مصفّ الابرار فهو يستند الى التقليد الكنسي فيقول البعض : « اننا لعالمون انَّ آباء الكنيسة الاقدمين قد اثنوا على قداسة يوسف الجليل وبرّهِ و بتوليتهِ الدائمة (١ ولكن لا نراهم صريحًا يُشيدون

١) راجع ما كتبهُ المشرق في اثبات بتولية القدّيس يوسف وشهادات آباء الكنيسة اليونانية في ذلك (٣ : ٣٨٠ و ٤١٣ و ٥١١ و ٤٨٦)

بمحامدهِ الى حدّ انهم جعلوهُ اعظم كلّ الاخيار القديسين بعد مريم البتول

جوابنا على هذا الاعتراض الثاني ان الآباء الاولين لم يصرّحوا بكثير من العقائد الدينيَّة التي استلمتها الكنيسة من ايدي الرسل الحواريين فان هذه العقائد مع صحَّتها لم تتضح جليًّا الَّا بعد زمن طويل على مقتضى الحاجة اليها عندما استدعت الاحوال إماطة حجاب الخفاء عنها. ألا ترى مثلًا ان كل مجمع من المجامع العمومية كشف القناع عن بعض الحقائق الخفيَّة التي لم تظهر علانيةً قبل اوانهِ. فان مثل عقائد النصرانيَّة كمثل الجنين الذي يحتوي بالقوة كل خصائص الرجل الكهل التام الخلقة ولو يُقتضى مرور بعض الزمن لظهور اعضائهِ وكمال بنيتهِ

ولنا مثال على ذلك في ما صنعتهُ الكنيسة في أيامنا لمَّا اشاعت بعقيدة خلوّ العذراء من شائبة الخطيئة الاصليَّة في اول ما حُبل بها في احشاء والدتها القديسة حنة. وهو معتقد اتفقت الكنيسة الغربيَّة والشرقيَّة على الايمان بهِ صريحًا بعد ان اعتقدتاهُ على وجهٍ غير صريح في القرون السابقة. وكذا قل عن سموّ فضل القديس يوسف الذي يعتبرهُ الآن الشعب المسيحي كرأس الابرار بعد البكر الطاهرة. فان مقامهُ كان في بدء النصرانيَّة محجوبًا فلم يزل ينقشع عنهُ غيهب الخفاء حتى ظهر في أيامنا كما هو حقيقة اعني قديسًا جليل المقام رفيع الشأن بل اعظم اولياء الله

فلا حرج اذن ان لبَّى الكرسي الرسولي دعوة جمهور كبير من الاساقفة والامم الكاثوليكيَّة الذين طلبوا من المجمع الفاتيكاني ان يخوّل القديس يوسف اكرامًا خصوصيًّا ويجعل عيدهُ حافلًا في كل الكثلكة ويمنحهُ في الطقوس والرتب الالهيَّة المقام الاول بعد العذراء عليها السلام. وهذه العريضة كان أمضاها سنة ١٨٧٠ ثمانية وثلاثون كردينالًا و ٢١٨ اسقفًا

ولمَّا كانت سنة ١٨٨٧ سعى بعض الكهنة بانشاء رقيم آخر بمعنى السابق ختمها ٦١٠ اساقفة و ٣٢ كردينالًا وكل رؤساء الرهبانيَّات. وهذه العريضة تلقَّاها الكرسي الرسولي بما تستحقهُ من الالتفات والاعتبار حتى انهُ ليس بمستبعد انَّ امام الاحبار يصادق عليها بعد حين وينصّب يوسف البارّ تنصيبًا رسميًّا فيُعدّ ليس فقط كشفيع اوَّل لكنيسة الله بل ايضًا كاوَّل الاولياء بعد البتول

٢

فبعد هذه المقدّمات يسوغ لنا ان نتخطّى الى بيان القضيّة التي اخذنا على نفسنا اثباتها اعني انَّ المقام الاول بين اولياء الله يحقّ ليوسف لا لسواهُ . واكتفي لذلك ببيّنتين صادقتين لا ريب فيهما (١

واوّل برهان نسند اليهِ صحّة مقالنا الشرف الجزيل الذي نالهُ يوسف القديس بان يكون ابًا للمسيح

أجل ان يوسف الجليل لم يُولد المسيح كما يُولد الآباء ابناءهم ولم يكن يوسف اباهُ بالطبيعة لان المسيح بحيث هو انسان لا أب لهُ كما انهُ لا أمَّ لهُ بحيث هو اله . ولكن أترى ذلك كافيًا ليُحرم يوسف شرف الابوَّة الحقيقية بالنسبة الى يسوع . لا لعمري

وان سأل سائل ماذا نفهم بهذه الابوَّة الحقيقية . اجبنا انَّ الحقيقي خلاف المجازي فبقولنا اذن ان يوسف ابٌ حقيقيٌّ للمسيح نريد انَّ ابوّتهُ ليست بابوَّةٍ خياليَّة خارجيَّة كما ندعو ابًا من يربّي الولد ويهذّبهُ او يقوم لهُ بمقام ابيهُ الطبيعيّ . فانَّ هذه الابوّة اسميَّةٌ مجازيَّةٌ لا تكفي لشرف يوسف البار

وليست ايضًا ابوّة يوسف ابوَّةً شرعيَّة محضةً مبنيَّةً على التبنّي القانونيّ بازاء الشريعة فتخوّلهُ حقوق الاباء نحو ابنائهم . كلاَّ بل ليوسف ما هو فوق ذلك . لهُ بالنسبة الى الرب الاله ابوَّةٌ صحيحة صادقة مختصة بهِ وحدهُ يجوز ان ندعوها ابوَّةً ادبيَّة . قال العلامة سواريس : « قد نال يوسف ابوَّةً فعليَّةً بالنسبة الى المسيح لولا انهُ لم يُنسِلْهُ بالولادة »

وما يؤيد صحّة هذا القول ان اقتران يوسف بمريم كان اقترانًا شرعيًّا تامّ الشروط بحيث حصل كلاهما على حقوق الأزواج ولو انّهما نذرا عفّتهما لله وامتنعا طوعًا عن الاستمتاع بهذه الحقوق المتبادلة

وعليهِ ان شاء الله ان يقوم بنفسه نحو البتول العذراء مقام يوسف فيظلّلها بقوتهِ العليَّة ويُحلّ عليها روحَهُ القدوس لتلد ابن الله بلا رجل أفليس ليوسف ان يعتبر هذا المولود

١) قد ظهر في اوربا عدّة تآليف في هذا الموضوع نخص بالذكر مصنَّفات عديدة للاب « ماریاني » طُبع معظمها عند ليكوفر (Lecoffre) سنة ١٨٩٧

كخاصته يجمعهُ واياهُ روابط من العواطف الابويّة كما نراها في احنّ الاباء واصدقهم حبًّا نحو ابنائهم

وزد على ذلك ان الله عزّ وجلّ يعامل اولياءهُ القديسين بحكمةٍ عجيبة ولطف سامٍ لا يكلفهم امرًا مغايرًا لطباعهم. فلما اختار تبارك اسمهُ يوسف البار ليقوم بأود المسيح مدَّة ثلاثين سنة فيقيتهُ ويهتمّ بكل حاجاتهِ ويكابد لاجلهِ المشقات ويدفع عنهُ البلايا اقتضى الامر بان يربطهُ والمسيح برباط وثيق لا يتوقف على مودَّة عرضيَّة وتسميةٍ شرعيَّة بل يخلق فيهِ روحًا جديدًا وهو روح اعطف الاباء

وعلاوةً على ذلك كان يوسف مختارًا من الله الاب ليقوم بازاء المسيح مقامهُ في الارض وهذه لعمري رتبةٌ شريفة ليس لها شبيه تجعل يوسف مماثلًا للاب السماويّ. فاوجب ذلك ان يعطي اللهُ الآبُ يوسفَ نائبهُ شيئًا من روح ابوّتهِ الالهيَّة الفائقة كل مدارك البشر التي بموجبها يولد كلمتهُ وابنهُ الحبيب وصورة جوهرهِ منذ الازل

فهذه الاعتبارات تزيل كل ريب في ابوة يوسف الحقيقية. ولذلك نرى الانجيل لا يرتاب في تسميتهِ ابًا للمسيح وكذا تدعوهُ البتول العذراء نفسها (لوقا ٢: ٤٨)

قال يوستينوس الشهيد في القرن الثاني للمسيح: «قد احبَّ الله ان يُعطي ليوسف ابنًا مولودًا من قرينتهِ ولو لم يتناسل منهُ». وقال كورنيليوس الحجريّ: «ان المسيح ثمرة زيجة يوسف ومريم. فلما وُلد في عهد اقترانهما صار خاصتهما كليهما كما يخص الابن اباهُ وامهُ معًا. والسبب في ذلك واضحٌ لانَّ يوسف اضحى بالزيجة متملكًا جسد البتول فكل ثمرٍ منها هو ملكهُ حسب الشرع. وان اعترضتَ قائلًا ان مولد يسوع لم يكن على الطريقة العاديَّة فاذًا ليس ليوسف عليهِ حقوق الابوة اجبتُكَ ناكرًا نتيجة القياس لانَّ مولد المسيح ولو لم يكن على الطريقة العاديّة انما كان على طريقة شرعيَّة موافقة لحكمتهِ تعالى الذي لهُ ان يخترق سنن الطبيعة لغايةٍ اهلةٍ بجلالهِ. ألا ترى انهُ لو اتت ارضك بثمارٍ أنبتها الله دون زرع كانت هذه الثمار خاصتك وملكك فهكذا يصحّ ليوسف ان يدَّعي بابوّةٍ صادقة حقيقية نحو المسيح ولو ولد من البتول خطيبتهِ بقوَّة الروح القدس دون زرع بشريّ

فالنتيجة من القول السابق ان رتبة يوسف اجلُّ الرتب واعلاها مقامًا بعد رتبة امّ الله. ولكن هذه الرتبة تستدعي قداسةً موازيةً لها وتستلزم فضائل سامية تناسبها

فثبت اذن ان قداسة يوسف تفوق قداسة جميع الابرار دون استثناء

اما البرهان الثاني الذي يوضح قضيَّتنــا و يبين تقدُّم القديس يوسف على جميع القديسين فمستندهُ على ان يوسف داخلٌ في طور سرّ التجسد الالهي فيستحقُّ من هذا القبيل ان يُعَدَّ اعلى مقاماً من اي قديس كان الّا البتول مريم

اعلم ايها القارئ اللبيب انَّ لعالم النعمة اطواراً كما انَّ لعــالم الهيولي طبقاتٍ مختلفة وقد قال الرسول (افسس ٤ : ١١) : انَّ الله جعــل بعضاً انبياء وبعضاً مبشّرين وبعضاً رعاةً ومعلمين لاجل تكميل القديسين ولعمل الخدمة و بنيان جسد المسيح » . فهذا البنيان العجيب الذي اشار اليــهِ الرسول في هذه الآية يبيِّن باجلى برهان ما في عالم الروحيَّات من الدرجات والرتب المتفاوتة ولكن اذا حدَّقنا ببصرنا الى جمــاعة المؤمنين وجسد الكنيسة الادبي وجدنا طوراً آخر يفوق هــذه المراتب السابق ذكرها . وهو الطور المختص برأس هذا الجسد الرمزيُ وما هــذا الرأس الّا المسيح كما اثبت ذلك بولس الرسل حيث قال فيهِ (كولوسي ١ : ١٥و١٨) : « هو صورة الله الغير المنظور.. وهو رأس جسد الكنيسة » وقال ايضاً (افسس ٥ : ٢٣) : « انَّ الرجل هو رأس المرأة كما انَّ المسيح هو رأس الكنيسة »

فان كان لرأس كل جسمٍ رتبةٌ عليا بالنسبة الى هذا الجسم فكم بالحريّ يكون رأس الكنيسة بالنسبة الى جسده الروحيّ . وهذه الرتبة التي تختصّ بالمسيح دون سواه تدعى رتبة اتّحاد طبيعتيهِ الجوهريّ باقنوم ابن الله (ordre de l'union hypostatique)

ولكن هذه الرتبة المختصَّة بالله الكلمة قد ينال منها شطراً كل من شاركهُ في هذا السرّ العجيب وعلى قدر مشاركتهِ لهُ . فالمقــام الاوَّل كما لا يخفى لمريم العذراء اذ ان منها استمدَّ المسيح جسده الطاهر فصارت بمولده منها امَّ الله حقيقة لانَّ في المسيح اقنوماً واحداً قائماً في طبيعتين

امَّا المقام الثــاني فهو يحقُّ بلا ريب للقديس يوسف لانَّ سرّ التجسد « كما سبق الله وقضى بهِ » لم يمكنهُ ان يتمَّ دون يوسف كما انهُ لم يمكن وقوعهُ دون مريم . وذلك لانَّ الله لانجاز هذا السرّ العظيم لم يختر فقط بتولًا بل اختــار بتولًا مرتبطة بعلائق الزيجة (راجع متى ١ : ١٨ — ٢٠) . والزيجة هذه التي تذهل عقول البشر لم يمكنهــا ان تمَّ الّا بواسطة رجل وما هذا الرجل سوى يوسف البــار ذي العفة الملائكيَّة . فان

زيجتهُ بالعذراء الطاهرة وعفَّة كليهما كانتا امرين لازبين موجبين لتجسُّد ابن الله . قال القديس توما شمس المدارس: « قضى الله بعنايتهِ الرَّبانيــة ان يُعقد القران بين مريم ويوسف ليولد تحت كنفهما الطفلُ الالهُ ». وقال سوارس: « قد رتَّب الله هذه الزيجة العجيبة ليتمَّ بواسطتها سرّ التجسُّد الالهي »

هذا ولا احد ينكر انَّ عظمة مريم العذراء تأتيها من كونها داخلة في رتبة اتحاد ابن الله بالناسوت البشري . ولكن كيف يسوغ ان يُحرم يوسف من هذا الشرف الاثيل ولولاهُ كما قيل لم يشاء الله ان ينجز سرّ الفداء البشري

واذا قابلنا بين رتبة يوسف هذه ورتبة يوحنَّا المعمدان او رتبة الرسل وجدنا بينهما بوناً عظيماً . وذلك ان يوحنَّا السابق وتلامــذة المسيح اقتربوا من شخصهِ الكريم وخدموهُ خدمةً صادقة وهيَّأوا لهُ الطريق ودعوا الناس اليهِ وشهدوا لهُ شهادةً صادقة لم يستنكفوا معها عن سفك دمائهم لاجلهِ . ولكن اين هذه الخدمة التي غايتها رفع شأن المسيح وتعزيز ملكهِ من خدمة يوسف الذي شارك الثالوث الاقدس في ايجـاد سرّ التجسُّد وتتمَّتهِ أليس طورهُ اعلى من طورهم ؟ لا مشاحَّة في ذلك . وقصـارى الكلام نقول انَّ يوسف الجليــل فاق برتبتهِ السامية كل الانام الّا البتول بل فاق الملائكة انفسهم لانَّ ليس منهم احد نال ما نالهُ اذ قرَّبهُ الله من شمس البرّ ومصدر كل صلاح فجعلهُ في مقام دونهُ كلُّ مقام دخل في طور سرّ التجسُّد مع العذراء مريم وبدخولهِ اضحى مرتبطاً باللاهوت نفسهِ ارتباطاً جليلًا خوَّلهُ شرفاً لا يُماثل

فيرى القــارئ مما سبق انَّ الكنيسة اذا اثبتت عقيدة تقدُّم القديس يوسف على سائر اولياء الله لا تفعل شططاً وانهُ ليس على المؤمنين من حرج اذا التمسوا شفاعة هذا البار وقدَّموهُ في عباداتهم على كلّ من سواهُ . نفعنا الله بادعيتهِ وصلوات جميع اوليائهِ الاطهار امين

مطبوعات شرقية جديدة

بلوغ الارب في احوال العرب

للعلّامة الفاضل السيّد محمود شكري آلوسي زاده

الجزء الثالث طُبع في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣١٨ صفحاتهُ ٤٧١

يسرُّنا ان نكرر مرَّة ثالثة (راجع المشرق ٢: ٥٢٣ و٣: ٢٣٦) الثناء العاطر

على هذا التأليف الجليل الذي لم يأتِ الشرقُ بمثلهِ حتى الآن. وهذا الجزء الثالث من بلوغ الارب ليس هو في شيء دون اخويهِ السابقين اودعهُ صاحبهُ من بلاغة التعبير وطلاوة الانشاء وحسن التقاسيم وغزارة المواد ما يغني عن مطالعة كتب عديدة تراها اذا استخلصت لبابها كثيرة السقط قليلة الجدوى. وممَّا يشتملهُ هذا القسم مذاهب شتى لقدماء العرب وخرافات عديدة جروا عليها

ثم يلي ذلك ذكر علومهم من شعر وخطابة وانساب وتاريخ وهيئة وكهانة وطبّ مع وصف اعلامهم ومشاهيرهم في كل هذه العلوم. وأتبع المؤلف هذه الابواب بفصول في معارف العرب وفنونهم وصنائعهم كالريافة والمراماة والنضال وعلم الانواء والملاحة والكتابة والحدادة والحياكة الى غير ذلك ممَّا يعزُّ وجودهُ في اكثر التآليف القديمة جمعهُ المؤلف الاديب بهمَّة لم يثنها السأم ولم يكلَّها الملل. ونحن نأمل انَّ جناب السيّد لا يضنّ علينا قريباً بفهارس موسَّعة تضاعف فوائد الكتاب وتجعلهُ تامَّ الأُهبة مثالًا في الكمال

كتاب قانون المبتدئين

عُني بطبعهِ حضرة القس افرام الديراني احد مدبري الرهبانية الحلبيَّة المارونية

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠١ ص ١٠٠

نحضُّ كل الرهبان على مطالعة هذا الكتاب فانهُ وان كان يحتوي خصوصاً على قوانين تعليم المبتدئين وتدريب الطالبين الّا انهُ يتضمَّن ايضا عدَّة فوائد وارشادات تصلح لجميع الرهبان وهو مطبوع بالحرف الكرشونيّ ل. ش

شذرات

كتابٌ عزيز الوجود — افادنا الشيخ العلَّامة محمود شكري الالوسي عن كتاب نفيس وقف عليهِ في بغداد يدلُّ على ما للعرب من الفضل بالعلوم الطبيعيَّة. واسم هذا الكتاب « تنقيح المناظر لأُولي الابصار والبصائر » مدارهُ على علم المناظر والمرايا المحرقة يشتمل على نحو ٧٠٠ صحيفة يرتقي خطهُ الى زمن مؤلفهِ وعليهِ تصحيحهُ كُتب سنة ٧٠٨ ه المولى المحقّق والفاضل المدقق الشيخ كمال الدين ابي حسن الفارسيّ وقد لخص بهِ كتاب ابن هيثم في المناظر وكان في جلدين

ضخمين وهو فصيح الانشاء بليغ التعبير سهل المأخذ اشكالهُ متقنة . لهُ خطبة مطوّلة اوّلها « باسم الله الرحمان الرحيم . الحمد لله نور الانوار . ومظهر عجائب الاسرار . وواهب السمع والابصار . ومكوّر النهار على الليل والليل على النهار الخ » . والكتاب يقسم الى سبع مقالات تشتمل على فصول كثيرة . ١ً في كيفيَّة الابصار بالجملة . ٢ً في تفصيل المعاني التي يدركها البصر وعللها وكيفيَّة ادراكها . ٣ً في اغلاط البصر في ما يدركهُ على استقامةٍ وعللها . ٤ً في كيفيَّة ادراك البصر بالانعكاس عن الاجسام الصقيلة . ٥ً في موضع الخيالات وهي التي ترى في الاجسام الصقيلة . ٦ً في اغلاط البصر في ما يدركهُ بالانعكاس وعللها . ٧ً في كيفيَّة ادراك البصر بالانعطاف من وراء الاجسام المشفَّة المخالفة لشفيف الهواء

اصلاح سَهو — قلنا في عدد سابق (المشرق ١٨٩) انَّ الميمر الذي عُني بطبعهِ الخوري الفاضل جرجس السبعلاني هو ليعقوب السروجي وهذا سهو واضح والصواب انهُ ليعقوب الرهاويّ المعروف بمفسّر الكتُب كما نصَّ عليهِ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (١: ٣٥٣) والقس جبرائيل القرداحيّ في كتابهِ الكنز الثمين (ص ١٨) . ويا حبَّذا كان متولي هذه الطبعة الجديدة صدَّر كتابهُ بترجمة المؤلف وقدَّم عليها توطئة لتعريف فحواها وظروف كتابتها

تاريخ شهداء الصين — كتب لنا حضرة الاب ا . ج كيرلُّوس :

بما ان التواريخ عادةٌ أَلِفها الناس منذ القديم وركنوا اليها لدى وقع الدواهي والملاهي وتزول الافراح والاتراح رغبتُ مع علمي بقصر باعي في فنّ القريض بوضع تاريخ لاولئك الابطال الذين نقل الينا مشرقكم الاغرّ ما قاسوا في بلاد الصين لحاماتهم عن ذمار الدين من الجور والاضطهاد في ساحات القتال والجهاد فتخليدًا لذكرهم وتعظيمًا لقدرهم ندوّن ما ابقوا لنا بعد استشهادهم من حميد الآثار ليردّدها ابناء العصور مدى الادهار :

ثارت غبار الوغى فوق الملا وغدا ... مستنقع الموت مضمار الصناديدِ
خير الرجال اتت ظهر البخار علَت ... إبن السماء تحت رفقًا بمؤودِ
حدًّا لذا الظلم فاجعل للبري حمًى ... يحميهِ من وثبات الذئب والسيدِ

قالوا فآبى فخاضوا الغمرَ فاحتكمت　اسياف كفرٍ باعناق لهم غيدِ
جهادكم يا كماة الدين أدهشنا　وموتكم دونهُ ضربٌ من العيدِ
جدتم حياةً وذا تاريخ حبكمُ　والجود بالنفس اسمى غاية الجودِ

١٩٠٠

اسئلة واجوبة

اسئلة نقترحها على قرّاء المشرق

من اي كلمة او كلمات مقطوعة الالفاظ الاآتية ١ً حروف القسم التي يصدَّر بها اسم الجلالة: واللهِ وباللهِ وتاللهِ فما اصل الواو والباء والتاء فيها. ٢ً ياء الضمير في المتكلم نحو كتابي: ٣ً اللام الجارَّة الدَّالة على الاختصار. نحو للهِ الحمد والجنّة للمؤمن

س وسأل آخر ما معنى لفظة «بشخانة» الواردة في الكتب الكنسيَّة

البشخانة

ج معناها الكلَّة او الناموسية. وهي مركَّبة من لفظتين اعجميَّتين «بشه» بموض «وخانه» بيت ولعل المراد بها في الكتب المذكورة مظلَّة القربان

س وسأل بعض المستفيدين عن اشتقاق لفظة «قرطجنّة» هل اصلها منحوت عن «قرطاجة نوفا Carthago nova» كما زعم الهلال (١٩٠٠ ص ١٦٣)

اصل اسم مدينة قرطجنَّة

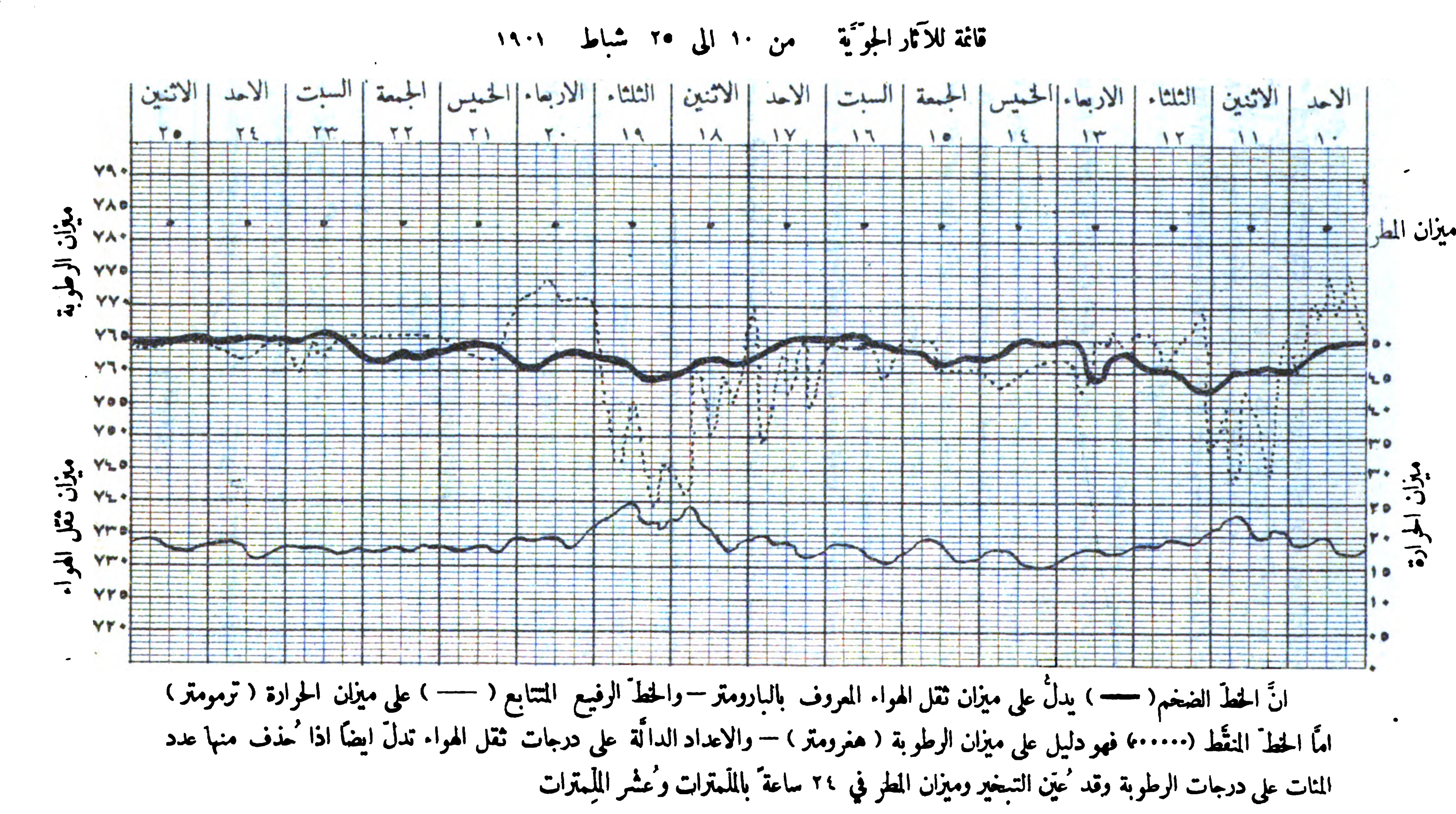
ج اسم قرطجنة اشتقهُ العرب من قرطاجة «Carthago» اما النون الزائدة فهي نون التصريف اللاتيني. فان العرب لمَّا فتحوا افريقية سمعوا العامة يدعون المدينة «Carthago» في حالة الرفع بل «Carthagine» في حالة الجرّ وهي لغة الشعب العامية فدعا العرب «قرطجنة» وعليهِ فلا وجه لتأويل الهلال

س وسأل من دير القمر القسّ نعمة الله الشهابيّ هل قوس قزح كان قبل الطوفان لانَّ الربّ جعلهُ علامة عهد بانهُ لا يغرق الارض فيما بعد

قوس قزح

ج قوس قزح ناشئة جوّيَّة طبيعيَّة تحدث في الهواء عند وقوع اشعَّة الشمس في الغمام اذا تمَّت بعض الشروط (راجع مقالة المشرق في هذا المعنى) امَّا حدوثها قبل الطوفان فلا شكَّ فيهِ. وهذا لا يمنع كون الله اتَّخذ هذه الظاهرة الطبيعيَّة لتكون هي الشاهد على العهد الذي ابرمهُ الله مع البشر بألَّا يغرق الارض ثانيةً. ومثل هذا يجري حتَّى بين الناس الذين يجعلون شيئاً وضعياً كشاهد على صدق كلامهم　ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة   من ١٠ الى ٢٥ شباط ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملِّمترات

ملاحظات

الاولى ان المجلة تخصص ثلث صفحات من غلافها البرّانيّ للاعلانات باجرة معلومة فالصفحة الخارجيَّة اجرتها ١٢ فرنكًا. ونصف الصفحة ٦ فرنكات و ٥٠ سنتيما. وربع الصفحة ٢ ف و ٥٠ س. وثُمن الصفحة فرنكان. امَّا الصفحتان الاخريان فاجرة الصفحة ٨ فرنكات. ونصف الصفحة ٤ ف و ٥٠ س. وربع الصفحة فرنكان و ٧٥ س. وثُمن الصفحة فرنك و ٥٠ س. وكذا تكون اجرة صفحات أُخر في داخل المجلة يمكن زيادتها عند الحاجة

الثانية من اراد ان يصدر اعلانًا في نفس المجلة باواخرها فليخابر ادارة المجلة رأسًا

الثالثة انَّ ما يرسل من الكتابات والرسائل المتعلّقة بامور المجلة ينبغي ان يكون موقعًا بالامضاء خالص الاجرة معنونًا باسم « حضرة مدير مجلّة المشرق ». واذا كانت هذه المراسلات برسم الطبع فهي لا تُردّ سواء طُبعت او لم تُطبع

الفرائد الدرّيّة

في

اللُّغَتَيْنِ ٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلْإِنْكِلِيزِيَّةِ

للاب يوسف جبرائيل حوّاء اليسوعي

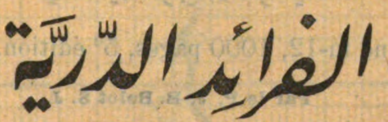
بقطع الثمن صفحاتهُ ٩٢٤ سنة ١٨٩٩

يشتمل هذا القاموس على كل الالفاظ العربية التي يتضمنها معجم اللغتين العربية والافرنسية لحضرة الاب يوحنا بلو اليسوعي ملحقة بتفسيرها الى اللغة الانكليزية تفسيرًا في غاية الضبط والدقة حتى جاء هذا المعجم من افضل الكتب للانكليزي الراغب في تعليم العربية وللعربي الذي يترجم من العربية الى الانكليزية. وقد عني المؤلف بايداعهِ اكثر الاصطلاحات العلميَّة والاوضاع الفنيَّة والسياسيَّة وغيرها حتى يكون وافيًا بحاجة المطالع من كل الوجوه

ثمنهُ بغلاف ٢٠ فرنكًا

ثمنهُ مجلد ٢١ فرنكًا

Arabic english Dictionary.



في اللغتين الانكليزية والعربية

In-8°, XIV— 910 pages.

Par le P. J. Hava S. J.

Faciliter aux personnes parlant l'anglais l'étude de la langue arabe comme le P. Belot l'a fait pour celles qui comprennent le français, tel a été le but de l'auteur. Même méthode, à peu de chose près, même abondance de matières, même format et mêmes avantages typographiques.

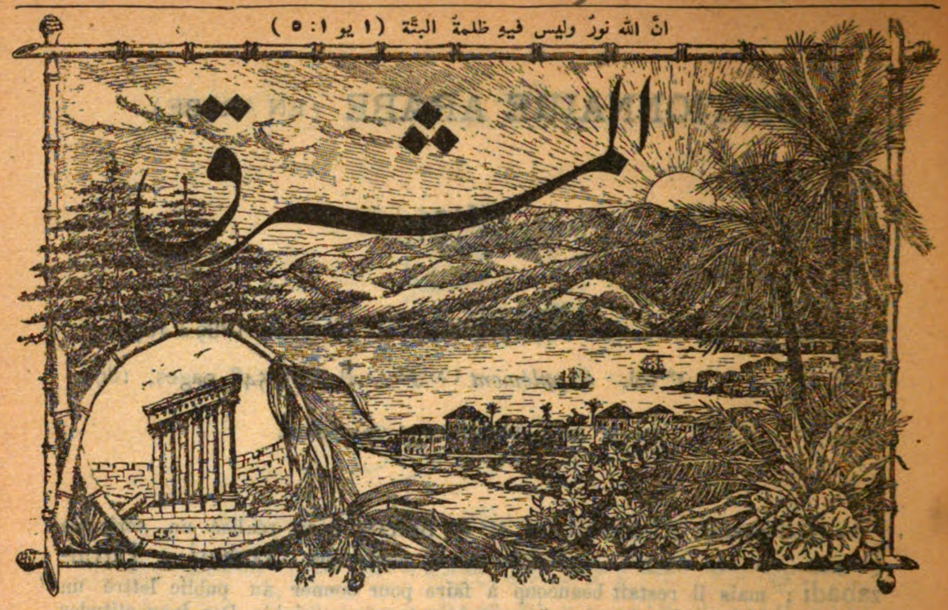
Cet ouvrage n'est pas une simple traduction du précédent. L'œuvre est personnelle. Tout en suivant les traces de son devancier, l'auteur a pris pour base de son travail le grand lexique de Lane comblant bien des lacunes laissées par ce fameux orientaliste. Il a aussi, consulté les ouvrages publiés en ces dernières années et utilisé nombre de travaux récents pour déterminer le sens précis de plusieurs termes techniques. Son expérience personnelle lui a permis d'enrichir son dictionnaire d'un nombre considérable de mots empruntés aux dialectes de Syrie et d'Egypte.

	Fr.	affr.
Broché	20	1,55
Reliure percaline tranche jaspée, titre doré	21	1,70

164

السنة الرابعة العدد ٦ Semitic Library ١٥ آذار ١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلَّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 6 (15 *Mars* 1901

فهرس العدد ٦

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

DICTIONNAIRE ARABE (EN ARABE).

أقرب الموارد

In-8° jésus, 2 vol. ens. 1054 pages à trois colonnes, 1889 à 1890.

» 3° vol. *Supplément* (ذيل اقرب الموارد), 548 pages, 1893.

Par Mr Saïd al-Khoury al-Chartouni.

Le Dictionnaire Al-Moḥiṭ de Mr P. Bostani avait réalisé un véritable progrès sur les œuvres similaires de ses devanciers Ǵauhari et Firouzabadi ; mais il restait beaucoup à faire pour donner au public lettré un ouvrage complet, plus concis et en même temps maniable. Des inexactitudes nombreuses, le manque d'ordre, des digressions fréquentes et hors de propos déparaient l'ouvrage du savant Libanais. Le Dictionnaire Aqrab ul-Mawarid comble ces lacunes diverses. L'auteur exploite les riches mines du Lisân ul ʿArab et du Taǵ ul ʿArûs encore inédits du temps de Bostani et de quelques lexiques manuscrits de notre Bibliothèque Orientale ; il ajoute à cela le fruit de ses connaissances très étendues de la langue arabe.

Dans un *Supplément* de 548 pages, Mr Saïd complète encore son travail d'où il avait élagué un certain nombre de mots ou de locutions plus rares ou moins décentes pour garder à son œuvre son cachet de Dictionnaire classique. Il y fournit aussi une nouvelle contribution de mots tirés des meilleures sources, mais omis par les anciens lexicographes. Cette partie supplémentaire se termine par un excellent travail, celui d'un tableau détaillé des erreurs reproduites par ses devanciers dans leurs Dictionnaires. Mr S. Chartouni corrige ces fautes d'après les autorités les plus graves en y joignant quelques remarques.

Si le Dictionnaire de Mr Chartouni a beaucoup de mérite pour le fond, il n'a pas moins de valeur pour la forme : on y trouve de l'ordre, de la méthode, de la sobriété et de la précision dans les explications, plusieurs perfectionnements typographiques qui seront certainement appréciés par les arabisants peu habitués à des livres exécutés avec tant de netteté et d'élégance.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	10 »	1,50
Demi-reliure mouton chagriné, tranche jaspée	—	12 »	1,70
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	—	15 »	

Supplément :

	Fr.	affr.
Broché	10 »	1,30
Demi-reliure mouton chagriné, tranche jaspée	12 »	
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée.	15 »	

المشرق

البُطاحيّ والبعوض (١

نبذة للدكتور الياس الحاج احد التلامذة المتخرّجين في مكتبنا الطبيّ

البُطاحيّ او داء البطائح مرضٌ وباليّ يصيب غالباً الذين يسكنون قريباً من مستنقعات المياه ووطاء الاراضي والبطائح الغائرة. وهو داء قديمٌ ورد ذكرهُ في القسم الثالث من كتاب الاوبئة لبقراط فيصفهُ هذا الطبيب الرئيس كعدوى شائعة في ايامه

(انتشارهُ) ومما لا يُنكر انَّ البُطاحيّ داء يشمل اكثر بلاد المعمور قلّما تجد بلدًا لم ينلهُ أذاهُ وان تعدَّدت اسماؤهُ على اختلاف مواطنهِ فيدعوهُ البعض حمّى المستنقعات والبعض داء البطائح ويُعرف في بعض البلاد بالملاريا وفي غيرها بالآفة الوبائيّة. ومدلولها كلها على مرضٍ واحد

وهذا الداء لم تنجُ منهُ بلادنا الشاميّة بل تراهُ يفتك في انحائها الشتَّى لا يغلبهُ في كثرة مضارّهِ وسوء عقباهُ غير التدرُّن القاشي في مدننا الكبرى. بيد انَّ انتشار هذا الداء في الغور وسهول الشام اكثر منهُ في سواها فارض البقاع مثلًا قد نزل فيها هذا الضيف المشؤوم فلم يدع منها قريةً سليمةً كذلك بطحاء عمّيق فان المستنقعات التي فيها مركزٌ للوباء تنتشر جراثيمها المُعدية بين اهل تلك الاصقاع (٢

وان توقلتَ مشارف لبنان ترى البُطاحيّ ضاربًا اطنابهُ في قرى يبلغ ارتفاعها

١) قد فسّر حضرة الاب المدّقق الفاضل انستاس الكرمليّ معنى هذه الكلمة في المشرق (٢ : ٢٠٩) ورأى انها توافق المرض المعروف بالتيفوس او الحمّى التيفوئيديّة. ولعلّها ادلّ على الامراض الوبائية الناجمة عن وخم المستنقعات التي يدعوها الفرنج (impaludisme) وقد اطلقناها هنا على هذا المعنى الخاص

٢) وقد سمعنا انَّ اصحاب هذا المُلك من وجهاء السراسقة يسعون الآن في تجفيفهِ

نحو الف متر كجزّين وعين تراز وشحتول. وليس اسم « زوق الخراب » سوى اشارة الى فتكاته الذريعة بين اهل تلك القرية واذا توسّمتهم لاحت لك على وجوههم من علامات السُّهام والهزال ما دلّك على ثقل وطأة الداء بينهم

ولا تخلو من البُطاحيّ مدننا الساحليَّة. فان جونية مثلًا قد عشّش فيها الداء واذاق اهلها مرّ نكالهِ. وان اعتبرت بيروت وجدتَ ضواحيها موبوءَةً بهذا المرض الذي رسخ قدمهُ من البوشريَّة الى نهر بيروت. وترى قريتي الحدث والشيّاح خاضعتين لحكمهِ. بيد ان بجوار بيروت محلًّا آخر يحبُّ الاهلون التردُّد اليهِ ويقضون فيهِ آونة البسط والراحة ولو نظروا اليهِ بعين التبصرة لوجدوهُ أوبل مكان واصلحهُ للبُطاحيّ نريد الضبيّة وشواطئ نهر الكلب فان الاصابات الوبائيَّة فيها عديدة. والكلُّ يعلمون انَّ في الصيف الماضي ذهب كثيرون من اهل بيروت ضحايا جهلهم لمَّا احبُّوا السُّكنى في تلك الارباض فما مرَّ عليهم زمن قليل حتى صرعهم الداء واتلف حياتهم

(أسباب داء البطاحيّ) لهذا الداء اسباب عموميَّة لا ارى حاجةً الى ذكرها هنا فاضرب عنها صفحًا

وما هو مقرَّر لدى الجميع انَّ بين البُطاحيّ والسهول الغائرة والاراضي الوطيئة علاقةً لا تُنكر. وليس وجود المستنقعات امرًا لازبًا لانتشار الداء وانما يكفي الحلول في ارض رطبة ندِيَة لا تجري فيها المياهُ جريًا منتظمًا حتى ترى ثمَّت آثار الداء لانَّ الجراثيم في مثل هذه الامكنة راتعةٌ منعَّمةً مرفهةً لا تنتظر الَّا فرصةً مناسبةً لتحمل بخيلها ورجلها على العدوّ فتذيقهُ العلقم

وكان كثير من العلماء ينسبون العدوى لفساد الهواء اذ يتنسَّم الانسان جراثيمهُ الوخيمة التي تدخل في رئتهِ وتنتشر من ثمَّ في دمهِ. وزعم غيرهم ان انتقال العدوى يكون بالماء يشربهُ الشارب فيُبلى بنقاعيَّاتهِ الموبوءَة

واليوم قد اتَّضح لارباب العلم جليًّا انَّ ناقل جراثيم الداء انَّما هي هامَّة بغيضة لا تكتفي بان تلسعنا ببضعها حتى تنفث في دمنا هذا السمّ الناقع. وما هذه الهامَّة سوى البعوض (البرغش)

ومما يُذكر فيُشكر انَّ احد اهل بلادنا الدكتور عبد الله جبُّور من اوَّل الذين سبقوا فعرفوا علَّة الداء وكيفيَّة انتقالهِ الى الانسان. وقد رأينا في احد اعداد مجلَّة

« الطبيعة » الفرنسويَّة شاهدًا على هذا الامر الناطق بفضل اهل الوطن وهو كتاب ارسلهُ الدكتور المومأ اليهِ الى المقتطف سنة ١٨٨٤ هذه صورتهُ :

لقد شاهدتُ امتداد الحمَّى الملاريَّة في راشيَّا مرَّتين في خريف سنة ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلمتُ انَّ من الاسباب الكبرى التي تحمل سمَّ هذه الحمَّى من نبات المستنقعات هو البعوض المعروف بابي فاس. فالشخص الذي تمكَّن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمَّى الملاريَّة ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء. وهذا الامر لا ينكرهُ عاقل في قضاء راشيَّا. فمن اراد ان يقي نفسهُ من هذا الداء فليصنع لسريرهِ كلَّةً تمنع دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات »

هذا ما كتبهُ احد مواطنينا قبل ١٦ سنة وقد اثبت آخرًا العلمُ الراهن صحَّة قولهِ فبيَّن ما للبعوض في نقل عدوى البطاحيّ من سوء العمل. ودونك ملخَّص ما توصَّل العلماء في يومنا فاكتشفوهُ بعد الاختبارات المتواترة

كان الاقدمون منذ عهد عهيد يزعمون بانَّ مسبّب حُمَّى المستنقعات جراثيمُ حيَّة تدخل في جسم الانسان فتفسدهُ وهو رأي بعض مشاهير الرومان الذين كتبوا بعد تاريخ الميلاد بقليل كفيتروف وڤارون وكولومال الَّا انهم لم يمكنهم ان يعللوا رأيهم بحجج مقنعة فبقي قولهم حدسًا وتخمينًا

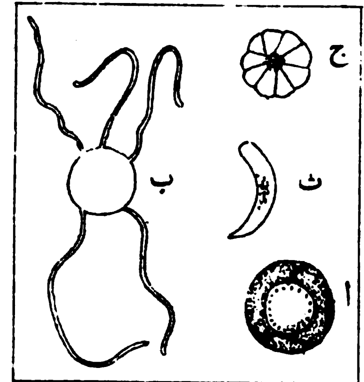
وظن المحدثون انهم وجدوا العدوّ لمَّا أرتهم النظَّارات الكبرة ما في مياه المستنقعات من الحيَيْوينات والنقاعيَّات التي لا يعرف عددَها الَّا الله. ومنهم من كان يزعم انَّ هذه الدويبات تنشأ من طحلب الماء فتنبثُّ في الهواء وتدخل بالتنفُّس في الرئة ومنها تمتزج بالدم. بيد انَّ هذه الآراء كلها كانت بلا سند حتى قام سنة ١٨٨٠ المسيو لڤران (Laveran) وبيَّن بادلَّة لامعة انَّ علَّة البطاحي انما هي جراثيم آليَّة من الصنف المعروف عند العلماء باسم بروتوزوار (protozoaires) من فصيلة الهيماتوزوار (hématozoaires) وهي غاية في الصغر لا يتجاوز احدها ٢٨/١٠٠٠ من المِلِّمتر مختلفة جدًّا بحركاتها

ولهذه الفصيلة اربعة اصناف ذات صور شتى فمنها ما هو كرويّ الشكل (les corps sphériques) تراهُ كالزجاج الشفَّاف لا لون لهُ يسبح في مصل الدم او يمتزج في كريَّاته الحمراء. ومنها ما هو خيطيّ الشكل فدعوهُ لذلك سوطًا (flagella) وربما تعدَّدت هذه السياط وارتبطت بالجراثيم الكرويَّة السابق ذكرها وبها يمتاز جرثوم البطاحيّ. وقد ارتأى الدكتور كوخ انَّ هذه الآليات هي الذكور تلتقح

بها الاناث . وبعضها هلاليُّ الشكل في وسطها نكتةٌ سوداء . وبعضها اخيرًا ورديُّ الهيئة يتقسَّم الى اقسام كرويَّة كشبكة مستديرة

وهذه الجراثيم مع اختلاف صورها تجري في سوء عملها جريًا واحدًا . فانها اول ما تظهر في كريَّات الدم الحمراء تكون كتجويفات دقيقة ثمَّ تنقطع فتصبح كالسياط ونموُّها هذا لا يتمُّ الَّا بافتقار دم المصاب بها . وقد تحقَّق الدكتور لفران انَّ هذه الجراثيم موجودة في دم كل المبتلين بالحمَّى الملاريَّة لا تراها في سواهم وانها اذا توارت لسبب من الاسباب تماثل صاحبها الى الصحَّة

وهنا يوقفنا القارئ فيقول : عرفنا علَّة البطاحي ولكن هل يتولَّد هذا الجرثوم في جسم الانسان او يسري اليهِ من الخارج ومن هو ناقل هذا الضيف الثقيل



نجيب انَّ جرثوم الحمَّى الملاريَّة موجود مباشرةً في المستنقعات والامكنة الرطبة والبطائح المنخفضة الَّا انهُ لا يصيب المرء باذًى اذا استنشق الانسان هواء تلك المستنقعات ما لم يتوسط بين دم الانسان وتلك الميكروبات الوبيئة وسيط مشؤوم . وما هذا الوسيط الَّا البعوض فانهُ كما سبق القول هو ناقل

ا الجراثيم الكرويَّة ب « السوطية ث « الهلالية ج الورديَّة

العدوى الى جسم الانسان الصحيح . والجرثوم ينشأُ فيهِ امَّا من امتصاصهِ ايَّاهُ من المستنقعات توًّا ومعلوم ان البعوض يجعل بيضهُ في الماء وفيهِ ينمو ويتحوَّل الى شبه عُصيَّات صغيرة ثمَّ تنشأُ لهُ اجنحةٌ فيطير . وامَّا بان يرشف البعوض دمَ رجلٍ أُصيب بالبطاحي فيبتلع معهُ اصل المرض ويحطُّ على جسم سليم فينفث فيهِ جرثومة الداء .

وان شئتَ ان تتبَّع البعوض لترى باي طريقة يُنفذ فينا هذا السمَّ القتَّال اشرتُ اليك ان تقرّب اليهِ يدك اليُسرى ليمتصَّ دمها بينما تأْخذ نظَّارةً بيدك اليمنى وتراقب حركاتهِ وهو يتنجَّع مرعاهُ الخصيب و يشرب دمك من مجاريهِ فان اصابك بعض الالم فاصبر عليهِ أُجرةً لما تستفيدهُ من رصد حركاتهِ

فأوّل ما يفعل البعوض اذا حط على جلدك ان يُخرج من خرطومهِ ابرةً غاية في الدقة يجسُّ بها اربعة او خمسة امكنة من سوامّهِ ليتعرَّف ايُّها أليق بغايتهِ واسهل لضربة حسامهِ فلا يلبث ان يفضّل بينها موضعًا فيبزلهُ بمبضعهِ كاحذق الجرَّاحين

واذا صبرت على هذا الالم الخفيف رأيت ابرة البعوض تتقوَّس وتنشب في اللحم الى ان يكاد رأس الهامَّة يمس الجلد. ثم ينفث الحيوان من لعابهِ نقطة صغيرة فيجريها الى الجرح ليمنع تجمُّد الدم ويتمكَّن من امتصاصهِ هنيئًا مريئًا. وهذا اللعاب من نفس تركيبهِ هو سمٌّ موْذٍ فاذا اتصل بالدم شعر الانسان بحكَّة والتهاب في مكان لسع البعوض

ولكن هذه النفثة السامَّة ربما كان فيها ايضًا جرثومة الحمَّى الملاريَّة فتمتزج بالدم فيصبح الشرُّ شرَّين شرٌّ خفيف وهو الوجع الناجم عن لسع البعوضة وشرٌ اعظم وهو التسمُّم بسمّ البطاحيّ. واذا دخل العدوُّ في دم الانسان حدّث عن نكباته ولا حرج. فان جرثوم الداء يجري الى العروق ويتكاثر فيها ولا يلبث المصاب ان يشعر بنوبات الحمَّى

بيد انهُ ليست كلّ ضروب البعوض ناقلةً لباشلُوس حُمَّى المستنقعات وانما البعض منها فقط يأتي بهذه السيِّئة. وان سألتَ وهل يوجد سبيل الى معرفة الجاني. قلتُ نعم وقد سبق الدكتور جبُّور وذكر انَّ اسم الصنف الموْذي يعرف عند العامَّة بابي فاس. امَّا بلسان العلم فيُسمَّى انوفالس (anopheles) الَّا انَّ وصف خواصهِ يوَدّي بنا الى الاطالة فنكتفي بذكر خاصتين يسهل على القارئ ان يميز بهما ناقل العدوى من غيره: الاولى ان النواميس المُعدية لا يُسمع لها طنين كاخواتها المعروفة فلا بأس منها اذن. والثانية انَّ البعوضة المألوفة اذا حطَّت على حائط او غير ذلك كان جسمها على شكل عمودي بالنسبة الى الحائط بخلاف المُعدية فانَّ جسمها يكون على خطّ موازٍ للحائط. وممَّا ثبت ايضًا ان الصنف الوبائي من البعوض لا يلسع كلُّهُ بل اناثهُ فقط دون الذكور. ولعلَّ الاناث تحتاج الى الدم البشري لتقف بيضها الذي لا يقل كل مرَّة عن ٢٠٠ بيضة تجعلها البعوضة على وجه الماء. ولولا عناية الله الذي يسلّط عليها الوفًا من الاعداء كالطيور والاسماك لَنما عددها بالتوالد بعد ايَّام قليلة نموًّا غريبًا فاصبحت كذرَّات الهواء

(الطرائق لاتّقاء الوباء) بقي علينا بعد وصف العدوّ الجاني وكيفيَّة انتقال

جراثيم الداء الينا ان نبيّن الوسائط لاتقاء العدوى. وليس لذلك طريقة اولى من معاكسة هذا العدوّ وابطال مساعيهِ وذلك باتخاذ الذرائع الواقية من البعوض. والبعوض يمكن التصدّي لهُ امَّا بان يُمنع نقفهُ وذلك بان تُزال الاحواض المجاورة للبيوت وتجفَّف المستنقعات والمياه الراكدة لانَّ البعوض لا ينقف الَّا في الماء الراكد وتُزرع الاشجار التي من شأنها اصلاح الهواء كالاوكالپتوس. وامَّا باتلاف فراخ البعوض بعد نقفهِ اذا لم يمكن ازالة الاحواض فيُسلَّط عليهِ السمك الذي يأكلهُ اكلًا ذريعًا. واذا كانت الاحواض قليلة الاتساع امكن قتل صغار البعوض فيها بصبّ شيء من البترول او من القطران على وجهها فيستنشقهما دودُ البعوض ويهلك

امَّا البعوض التامّ البنية فالوقاية من لسعهِ سهلة. وذلك انَّ اكثر ما يؤذينا لسعهُ مدَّة الليل فاذا أُحيط الفراش بناموسيَّات وكلل ناعمة النسيج خاب املهُ ولم يمكنهُ ان يتوصَّل الى فريستهِ

والدليل على انَّ الناموسيَّات كافية للوقاية من البطاحيّ بدفعها اذى النواميس انَّ الفعلة الذين اشتغلوا في الصيف الماضي في ترميم جسر نهر الكلب أُصيبوا كلهم بالحمَّى الملاريَّة لانهم كانوا ينامون معرَّضين للسعات البعوض لا يسترهم شيء من وخزها بخلاف المهندسين الذين نجوا جميعًا من هذه الآفة لانهم كانوا ينامون والكلل تصونهم من شرّ هذا الهمج. فلا يخف اذن اصحابُ الاملاك الموبوءة بالحمَّيات ان يلازموا اراضيهم فلا بأس عليهم من عدواها بشرط ان يتَّقوا أذى البعوض

امَّا الذين دهمتهم الحمَّى الملاريَّة فلا نعرف لمعالجة دائهم دواء احسن من الكينا تُعطى لهم بكمّيَّات واوقات مختلفة على حكم الطبيب

والكينا لا تُعطى فقط عند انقطاع الحمَّى بل اذا اطبقت ايضًا على العليل ولزمت جسمهُ فانَّ المداواة بها حينئذٍ امرٌ محتوم. ولو ظنَّ البعض انَّ في ذلك ضررًا يزعمون « انَّ الكينا تحرق المريض » لأنهُ على قولهم « الكينا حامية » وان سلَّمنا بان « الكينا حامية » افلا يعلمون انَّ الحديد بالحديد يُفلح ولا يُغلب العدوّ الَّا بعدوّ من جنسهِ اوكقول المثل الدارج « لا يشيل المرّ الَّا الامرّ منهُ »

وعلى كل حال فليعلم الجمهور انَّ الكينا لا بأس منها ويجوز تلافي الحمَّى بها قبل وقوعها لتنشيط الجسم وتقويتهِ

هذا ما رأينا ايرادهُ في هذه الاسطر الوجيزة افاد الله بها اهل الوطن الاعزّاء

التليفون وملحقاتهُ

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

(تابع للعدد السابق)

الميكروفون

ما كاد الناس يقضون العجب من اكتشاف التليفون وعجائبهِ حتى بشَّر العلماء باختراع آلة أُخرى ضاعفت فوائدهُ. مرادنا الكلام عن الميكروفون الذي ابدعهُ احد ارباب الطبيعة في انكلترة يدعى هيوغس (Hughes) سنة ١٨٧٨

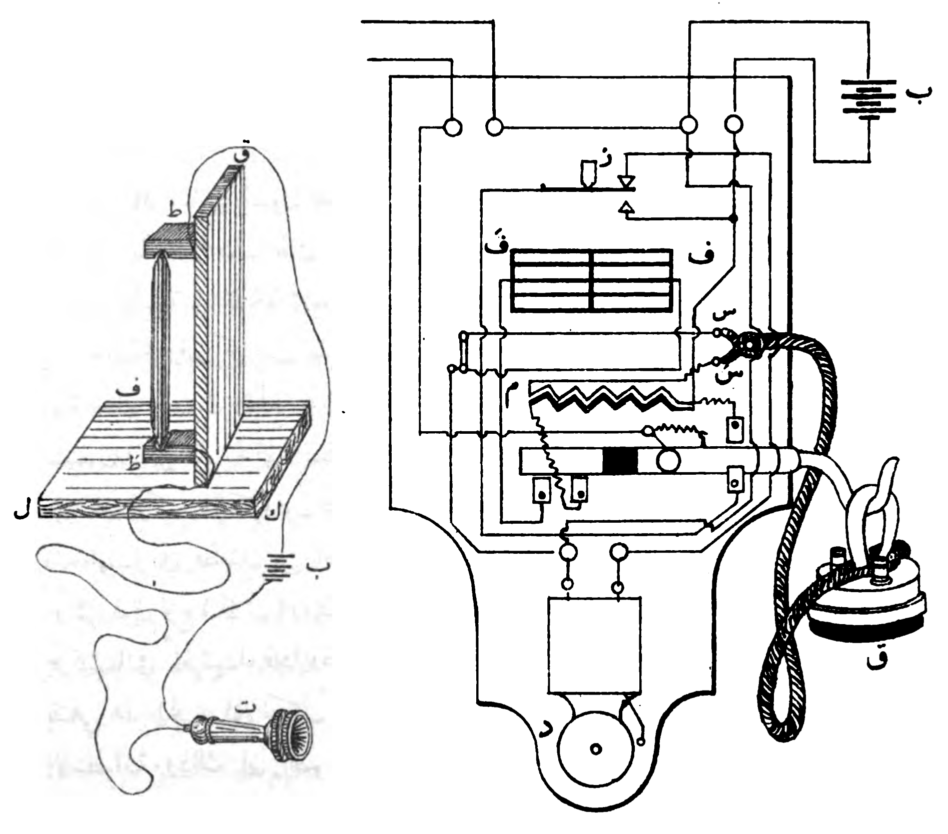
والميكروفون كما يدلُّ عليهِ اسمهُ (μικρός صغير و φωνή صوت) عبارة عن اداة تعظّم الصوت وتبلّغ بهِ الى الانحاء القاصية واكثر استعمالهِ ان يتّخذ كباعث للتليفون فينقل صوتهُ الى المسافات البعيدة

امَّا تركيب الميكروفون فكما يأتي: خذ اسطوانة من الفحم (ف) محدَّدة الطرفين واجعلها في قطعتين من الفحم مقعَّرتين (ط طَ) تُناطان بقائمة عموديَّة (د م) تُركز فوق لوح (ك ل). وينبغي لطرفي الاسطوانة ان لا يُثبتا في مكانهما بل تسهل حركتهما في نُقرتيهما. فاذا وصلتَ قطعتي الفحم بمجرى بطاريَّة كهربائيَّة (ب) بحيث ينتهي هذا المجرى الى مكبّ التليفون (ت) سُمع في التليفون كل صوت تبرزهُ امام الاسطوانة. وذلك انَّ الصوت يضرب الهواء فتُحدث تموُّجاتهُ حركات مختلفة في الاسطوانة وهذه الحركات تغيّر قوَّة مغناطيس التليفون فتحدث في صفيحة التليفون اصواتًا شبيهة بالاصوات البارزة امام الاسطوانة (راجع الشكل الاول ص ٢٤٨)

وهذه الآلة مع بساطتها غاية في الدقة تُشعر بأدنى الحركات واخفّها بل تُحيلها الى جلبة عظيمة وذلك ليس فقط في الصوت البشريّ بل ايضاً في اي صوت كان فاذا مشت مثلًا ذبابة على اللوح الذي يسند القائمة المثبت عليها الميكروفون سُمع لمشيها صوت ضخمٌ في التليفون وكذلك اذا وقعت كُرة صغيرة من القطن فانَّ صوت وقعها يبلغ الى اذن السامع كالضوضاء العظمى

ويُستعمل الميكروفون بان يُجعل على منضدة وتُوضع من تحتهِ انسجةٌ كالوسادة

لئلَّا تؤثّر فيهِ الاهتزازات الواردة اليـهِ من الاجسام المجاورة لهُ. واذا تكلَّم المتكلم امام الميكرفون ولو على مسافة ثمانية امتار احسَّت الآلة بالصوت ونقلتهُ الى التليفون



الشكل ٢ تركيب الباحث في ميكروفون آدر

الشكل ١ الميكروفون مع التليفون

وقد زاد بعض الطبيعيين في عدد الاساطين فمنهم من اتَّخذ اسطوانتين فاكثر. وجعلوا الميكروفون على هيئاتٍ شتَّى بلغ عددها مئتي تجهيز مختلف لكنَّها كلَّها مبنيَّة على مبدإٍ واحد. ومن الضروري اذا توفَّر عدد الاساطين ان يُجمع بينهـا لتكون حركاتها منتظمة متساوية

وممَّن اصاب السَّهم المعلى في تجهيز ميكروفون هيوغس وجعلهُ في غاية الصلاح والسهولة لنقـل الاصوات المسيو كليمان آدر (C. Ader) احد مهندسي شركة التليفون

العامّة في فرنسة. وآلتهُ اليوم شائعة في كل اقطار اوربّا

فالباعث في هذه الآلة يتركَّب من عشر اساطين فحم او ١٢ تجعل كالمشبَّك على صفَّين خمساً خمساً او ستّاً ستّاً (ف ف) تتأثَّر اطرافها بالحركة الواردة اليها من صوت المتكلّم فتتعاكس بحركاتها مجاري الكهرباء. وقد اتخذ المسيو آدر هذه الطريقة لتقوى بها الاصوات وذلك لتعدّد حركات الاساطين الفحميَّة. وهذا الميكروفون يجعل وراء لوحة من خشب الشوح تكون لهُ بمنزلة الغطاء. ويُضاف اليهِ مكبّ (م) ذات مجرًى ثانوي لتعزيز الاصوات فضلًا عن البطاريّات (ب) المولّدة للكهرباء في كل هذا الجهاز

فاذا تكلَّم احد امام لوحة الخشب اهتزَّت وباهتزازها تحرَّكت الاساطين الفحميَّة وتولَّدت مجارٍ كهربائيَّة متعاكسة تنتقل بواسطة الاسلاك (س س) الى التليفون القابل (ق) فتتجدد فيهِ هذه الاصوات بعد تمغنط فولاذهِ واهتزاز صفيحتهِ كما شرحنا سابقًا (راجع الصفحة ١٩٦). ويلحق بهذه الآلات دقّاق (د) او مُنبِه كهربائي يدقُّ اذا ضغط المتكلِّم على زرّ عندهُ شبيه بزرّ الباعث (ز) فيسمعهُ المخاطب الواقف عند القابل ويعرف انهُ مطلوب للحديث (راجع الشكل الثاني)

فالميكروفون كما ترى يقوم اليوم مقام الباعث ولم يَعُد تليفون «غراهام بلّ» مستعملًا بهذه الصفة وانما يستعمل بصفة قابل مع بعض التحسينات التي جوَّدهُ بها قوم من ارباب الطبيعيات كالاساتذة غوِّر وادسون وبلاك وكروسلي. وغاية هذه التحسينات المتوالية ان ينقل الصوت الى مسافات بعيدة. ومن اراد تبليغهُ الى امكنة قريبة يمكنهُ ان يكتفي بتليفون «بلّ» فانهُ مع وفائهِ بالمرام رخيص الثمن يباع الباعث والقابل معاً باقلّ من عشرة فرنكات

قد اشرنا سابقًا الى سرعة انتشار التليفون بعد اكتشافهِ الّا انَّ تقويتهُ بالميكروفون عمَّمت استعمالهُ في كل البلاد المتمدنة ولم يمرّ على تاريخ وضعهِ ثلاث سنوات حتى بلغت في اميركة وحدها اسلاك التليفون ١٣٠٠٠٠ سلك

وفي معرض الكهرباء سنة ١٨٨١ بيَّن المسيو آدر ما يؤديهِ الميكروفون من الخدمات ليس للافراد فقط بل للجمهور ايضاً فانهُ جمع باسلاك تليفونيَّة بين ملعب باريس الكبير والردهة المختصَّة بالصنائع والفنون فأسمع زوَّار المعرض كلَّ النغمات والآلات الموسيقيَّة التي كانت تطرب مسامع الجمهور في الملعب مع انَّ المسافة بين

المحلين تبلغ كيلومترًا . ثم أُنشئت الشركات في فرنسة لتعميم استعمال التليفون ليس فقط بين اهل مدينة واحدة بل بين مدن مختلفة حتى أربى اليوم مجمل طول اسلاكها المستعملة على ١٠٠٠٠ كيلومتر . ويقوم التليفون مقام التلغراف وهو يفضل التلغراف من اوجه عديدة

ولا يزال المهندسون وارباب الصنائع يبتدعون طرائق جديدة لتسهيل استعمال التليفون كي يتمكَّن شخص واحد من مخابرة كل من اراد ليس فقط في مدينة معلومة لكن في اي مدينة شاء مع ما يحول دون ذلك من المصاعب . فدونك ما اخترعوا

لشركة التليفونات العامة مراكز في اكثر المدن فان اراد احد اهل مدينة ان يكلم شخصاً معلوماً من مدينة اخرى جاء المركز واستدعى الشخص المقصود بواسطة عامل مركز تلك المدينة . فاذا جاء تباحث الشخصان ما شاءا باجرة معلومة

ولكن ان اراد الشخصان المذكوران ان يتجاذبا الحديث مرارًا في النهار امكنهما ذلك دون ان يخرجا من بيتهما بشرط ان يُمدَّ سلك تليفونيّ بينهما وبين المركز فيعلم المسيو « ا » عامل المركز انهُ يريد ان يخابر المسيو « ب » في مدينة مقصودة فينبهُ هذا العامل عميلهُ في تلك المدينة وهذا يعلم المسيو « ب » . ثم يوصل العاملان في المدينتين اسلاك تليفون المسيو « ا » والمسيو « ب » . فيتباحثان طالما شاءا واذا انتهيا من حديثهما اشارا الى العاملين بان يقطعا الاسلاك

ومن المعلوم انَّ المدن الكبرى كباريس ولندرة لا يكفيها مركز واحد يفي بحاجة الجمهور . فقد جُعل لكل قسم من هذه الحواضر مركز خصوصيّ

ومن التحسينات التي اجراها اصحاب الشركات التليفونية انهم اضافوا للمراكز آلة جديدة اخترعها احد الاميركيين تُمكن المشتركين ان يباحثوا ايَّ انسان شاؤوا في اي مدينة كانت واي وقت ارادوا دون واسطة عملة الشركة ولا خطر على اكتشاف اسرارهم . وهذه الآلة يدعونها التليفون ذا الجهاز المتبدّل (auto-commutateur) وهي احدى طرائف عصرنا شاعت منذ زمن قريب في الولايات المتحدة ثم استعملها الانكليز والالمان ثمَّ الفرنسويون

التليفون الصائت

التليفون العاديّ لا يسمعهُ الاَّ شخص واحد بالصاق القابل في اذنهِ . الاَّ انهُ في بعض الاحوال يحتاج المتكلم ان يبلغ كلامهُ الى كثيرين كصاحب معمل لكل

عمّاله وركّاب لبجاريه جميعاً دون ان يستدعي المتكلم شخصاً واحداً. فقد توفّق احد العلماء الفرنسيين المسيو غليار (Gaillard) الى وضع آلة تأتي بهذا المقصود فسماها التليفون الصائت (téléphone haut - parleur) لان صوت المتكلم يبلغ الى مسامع كل الحضور دون وسيط. وان اراد المتكلّم ان يوجه كلامهُ الى شخص واحد من الحضور كلمهُ و يبقى الباقون في شغلهم . فهذه الآلة كما ترى كثيرة الفوائد لاسيما في معاهد الجيوش وفي المعامل الكبرى والمكاتب العمومية او الدولية

التلغرافون

هذه الآلة ظهرت لاول مرّة في العام الماضي في معرض باريس اخترعها احد علماء الدنيمرك المسيو ڤلدمار پولسن (V. Poulsen) من مهندسي كوپنهاك. والتليغرافون عبارة عن آلة تدوّن الصوت وترقّهُ ولذلك دُعيت بهذا الاسم المركّب من كلمتين يونانيّتين معناها « كتابة الصوت »

وذلك ان المتكلم يقول ما يريد بازاء فوهة التليفون فالجاري الكهربائيّة الناتجة من اهتزازات الصوت تنتقل الى اسلاك تليفونية وتنتهي الى قابل. والقابل عبارة عن قطعة من مغناطيس كهرب يتحرك بقرب صفيحةٍ من النيكل او الفولاذ ملفوفة حول اسطوانة. فاذا بلغ الصوت الى الاسطوانة دارت وتدوّن الصوت على الصفيحة تدويناً كهربائياً لا ترى لهُ العين اثراً. وان شاء احد استماعهُ ادار الاسطوانة فسمع الصوت المرقوم فيها. ويجوز تكرار ذلك مراراً عديدة. وكذا آلات الطرب واصوات الغناء تنطبع في الالة بحيث يمكن استماعها مرّات متوالية و بعد زمن طويل. وان اراد احد ان يمحو هذه الكتابة الكهربائيّة ليبدلها بغيرها امكنهُ الامر بلا عناء بان يجيز عليها مجرًى كهربائياً

وهذه لعمري آلة من ابدع ما توصّل الى اكتشافهِ عقل الانسان. فلا مراء انها عمّا قليل تؤدي للهيئة الاجتماعيــة خدمات جليلة تتحقق بها آمال مخترعيها فسبحان الخالق الذي وفّر في الطبيعة اسباب الهناء لعباده. تبارك اسمهُ وعزّ قدرهُ. وان كان الشكر واجب على الانسان لكل نعمهِ تعالى فلعلّهُ اوجب في التليفون وملحقاتهِ وفيهِ من العجائب ما فيهِ حتى انّ الطبيعي الشهير السر تُمسون لم يتمالك اول مرّة سمعهُ في معرض فيلادلفيا ان يصرخ: « قد رايت اليوم اعجب كل العجائب »

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (راجع المشرق ٣ : ٣١٨)

٩٣ (الأسّ) بمعنى الاصل اظنها من توافُق اللغـات لا من المعرّبات وهي باليونانيَّة οὐσία وقد وردت ايضًا في بعض كُتُب مؤلفي الروم (usia) وهذه لا شكّ مأخوذة من تلك

٩٤ (الإرّيس) بمعنى الأكّار اظنُّها مشتقة من فعل يوناني ὀρύσσω بمعنى أكر الارضَ وحفرها . وربّما كانت من توافُق اللغات (١

٩٥ (العُنْقُر) براء مهملة في الآخر . هو اصل القصب وقيل اول ما ينبت منهُ وهو غضٌّ . والبرديُّ . وقيل ما دام ابيض . وقيل كل اصل نباتٍ ابيض الواحد عُنقُرَة (من جمهور اللغويين) قلتُ هي معرّبة عن ὄρογκος وباللاتينيَّـة urruncum وشرحها كيشرات بما حرفهُ : partie inférieure de l'épi (Quicherat)

٩٦ (العَرْقَصة) بمعنى الرَّقص تعريب ὄρχησις بمعناهُ (danse, ballet, pantomine) ويصحّ ان يُعنى بها ما يُسمّيهِ اليوم الافرنج (orchestre) المشتقة من هذه الالفاظ عينها مع زيادة علامة الاسمية عندهم اي ὀρχήστρα ويُراد بها عندهم مكان العَرْقَصة اي المُعَرْقص وجماعة الراقصين او المُعَرْقِصون(٢ اذ يجوز لنا ان نشتقّ من الالفاظ الاعجميَّة الفاظًا عربيَّة على ما جاء في المزهر (١ : ١٣٨)

٩٧ (العُقْبُول) وتجمع على عَقَابيل وارادوا بها : الشدائد وبقايا العلّة والعداوة والعِشق وما يخرج على الشفة غِبَّ الحمّى وهي تعريب εἰσβολή معناها شدَّةُ الحمّى

---

١) هذا توافُقٌ في اللفظ ليس الّا . ويجوز القول عمومًا انّ اسمًا عربيًّا لا يشتقّ مادةً من فعل يونانيّ لان ذلك يقتضي من الفكر والتروّي ما لم يعتدهُ الجمهور . فاذا نقل الناس كلمة نقلوها بصورتها الماديّة ه . ل

٢) اشتقاق العُنقر والعَرْقصة كما رواه حضرة الاب انستاس يوافق القاعدة التي اثبتناها في المشرق (١ : ٨٣٤) ه . ل

وهجوم المرض(١ . فعمّم العرب المعنى ثم اطلقوها على ما يخرج على الشفة لان بعد الحمّى لا تخلو هذه البثور من الخروج. وايضاً من باب تسمية المُسَبَّب باسم المسبِب او تسمية المعلول باسم العِلّـة . امّا قلبُ السين قافاً فهو معروف في المعرّبات. ومثلهُ في الاوّل قِنْدَأْو واصلهُ سِنْدَأْو والاثنان مستعملان في العربية. وفي الآخر غرنوق والاصل غرنوس γέρανος وهذه العُقْبُول من امثال الالفاظ التي قُلِبت فيهـا السين قافاً في الحشو. ثم لمّا جُمعت على عقابيل صحّفوها وقالوا: ٩٨ً (عقّابيس) ثم هذه ايضاً صُحِّفت فقالوا: ٩٩ً (عبَاقيس). فتأمّل ولا تغفَل

١٠٠ً (العُبْقُس والعُبْقوس). و١٠١ً (والعُنْبُص والعُنْبوص). و١٠٢ً (العُنْقُص والعُنْقوص) « التاج في معالمها ». كلها بمعنى العَرَنقصان فقُطِعت منها كما ورد كثير مثلها ثم صُحّفت وقد مرَّ بك انها معرَّبة (راجع العدد ٧١)

١٠٣ً (القَرْن) بمعنى مائة سنةٍ او الوقت من الزمان تعريب χρόνος بمعناهُ بل بمعانيهِ العديدة ان في العربية وان في اليونانيّة (٢

١٠٤ً (القُنْبَض) « بنون بعد القاف » وهذه النون في الكلمة اصليّة بخلاف ما قالهُ اكثر اللغويين واكثر الصرفيين (التّاج) وفسّروها الحيَّة. قُلنا والاصحّ انهـا ضربٌ من الحيّات خبيث وهي تعريب σηπεδων وقد نقلوا النون من الآخر ووضعوها بعد القاف. وقد مرَّ بك قلب السين قافاً. وهي حيّة اذا عَضّت الآدميَّ اوقعت في جسمهِ الفساد والانحلال (sipède)

١٠٥ً (القِنْدَأْوُ) و١٠٦ً (السِنْدَأْوُ) و١٠٧ً (الفِنْدَأْوُ) و ١٠٨ً (العِنْدَأْوُ) الاصل في كل ذلك: السِنْدَأْوُ معرّب σίντης في حالة الجرّ اي σίντου ويدُلُّكَ على انها معرّبة غرابة الوزن وخلوّ اصل الكلمة من معنًى تتفرّع منهُ هذه الصيغة او يصدر عنهُ هذا الاشتقاق. ولهذا ترى اللغويين والنحويين والصرفيين في آراء مختلفة واقوال مختلقة ويحسُنُ بنا ان نورد طرفاً منهـا لتتعوّد أُسلوب جدلهم ولترى ما في كلامهم من

---

١) ان صحّ اشتقاق هذه الكلمة من اليونانيّة فالاولى ان يقال انّ الذين عرَّبوهـا نقلوها عن ἐκβολή تصحيف εἰσβολή ومثل هذا التصحيف كثير ه. ل

٢) ليس هذا الاشتقاق بثبْت. لانّ اللفظـة اليونانيّة تدل على زمن محدود ثمّ لانّ تعريب χ بحرف القاف ممّا لا تتذكر لهُ مثلًا ه. ل

المجازفة والتحكّم والتقوّل والتفنّن في ضروب التأويل والتعليل ممّا يذهب بكَ الى الاضاليل لا الى سواء السبيل. فمن ذاك ما قالهُ صاحب التاج وننقلهُ بحرفهِ: القِنْدَأْوُ كفِنعَلو اي بزيادة النون والواو فاصله « قدأ » ومحلهُ هذا وهو رأي بعض الصرفيين. وقال الليث: « ان نونها زائدة والواو فيها صلة » وقال ابو الهيثم: « قِنداوة فِنعَالة » قال الازهري: « والنون فيها ليست باصليّة ». وقال قوم: « اصلهُ من قند والهمزة والواو زائدتان ». وبهِ جزم ابن عصفور ولذا ذكرهُ الجوهريّ وغيرهُ في حرف الدال: السيّئ الغذاء والسيّئ الخلق والغليظ والقصير من الرجال وهم قِنْدَأْوُون. وقيل هو الكبير العظيم الرأس الصغير الجسم المهزول. والقِنْدَأْوُ ايضًا الجريء المُقدِم (التمثيل لسيبويهِ والتفسير للسيرافيّ) والقصير العنق الشديد الرأس (قالهُ الليث). وقيل هو الخفيف والصلب. وقد همز الليث: جَمَلٌ قِنْدَأْوٌ وسِنْدَأْوٌ. واحتجّ بانهُ لم يجيْ بناء على لفظ قِنْدَأْوٍ إلّا وثانيهِ نون. فلما لم يجيْ هذا البناء بغير نون علمنا ان النون زائدة فيها. كالقنداوة بالهاء في الكل ممّا ذكر. وفي عبارتهِ هذه تسامح فان الصحيح ان السيء الخلق والغذاء والخفيف يقال فيها بالوجهين. واماً ما عدا ذلك فالثابت فيهِ القِنْدَأْوُ فقط. واكثر ما يوصف بهِ الجمل. يقال: جمل قِنْدَأْوٌ اي صُلبٌ وناقة قِنْدَأْوة جريئة. قال شَمِرٌ: « يُهمز ولا يُهمز. والجَرْيُ هو السرعة. وقد قال في عبارة: والجَرِيء المُقدِم فلا يقال انّ المصنف غفل عما في الصحاح « ناقة قندَأْوة سريعة » كما زعمهُ شيخنا. ووهم ابو نصر الجوهري فذكرهُ في حرف الدال المهملة بناء على ان الهمزة والواو زائدتان كما تقدّم. وهو مذهب ابن عصفور وانتَ خبير بان مثل هذا لا يُعَدُّ وهمًا فليتأمّل ». اه بحرفهِ

وقال في ترجمة العِنْدَأْوَة: « العِنْدَأْوَةُ كفِنْعَلْوَةٍ فالنون والواو والهاء زوائد. وقال بعضهم: فِعْلَلْوَة والاصل « قد أُميتَ فعلهُ ولكن اصحاب النحو يتكلّفون ذلك باشتقاق الامثلة من الافاعيل وليس في جميع كلام العرب شيء يدخل فيهِ الهمزة والعين في اصل بنائهِ الّا عِنْدَأْوَة وامَّعة وعباء وعفاء. وعماء. فاماً عظاءة فهي لغة في عظاية. وأعا في لغة وعا. كذا في لسان العرب فلا يقال مثل هذا لا يُعَدّ زيادة الّا على جهة التنبيه كما زعمهُ شيخنا » العَسَر محركة وهو التواء يكون في الرجل. وقال بعضهم: هو الخديعة ولم يهمزهُ بعضهم. والجفوة والمُقدِم الجَرِيء يقال: ناقة عِنْدَأْوَةٌ وقِنْدَأْوَة وسِنْدَأْوَة (قلتُ وزد قِنْدَأْوَة بمعناها كما ذكرها اللغويون باسرهم) اي جريئة حكاهُ

شمّر عن ابن الاعرابي كالعنداو بغير هاء . والمكر . . . وقال اللحياني : العنداوة ادهى الدواهي وفي المثل : « ان تحت طِرّيقَتِك . . . العِنداوة » . . . يقال هذا للمطرق الداهي السِكّيت والمطاول ليأتي بداهية ويشدّ شدّة ليثٍ غير متّقٍ (اه مع حذف ما عُوّض عنهُ بنقطٍ) . وقد ذكر مثل هذا الكلام او ما هو بمعناهُ في الفِنداوة والسِنداوة فاكتفينا بما تقدّم

وخلاصة المعنى راجعة كلها الى معنى الكلمة اليونانية σίντης ومعناهُ الخرِب والمدِمر واللِصّ والداهية والجريء المُقدِم الآتي بالشدائد والبلايا . وهي مشتقة من فعل وهو بلسانهم σίνομαι يؤيد معنى المشتقات منهُ

ولم يكتفِ العرب بما تقدّم ذكرهُ من التصحيف فان السِنْدَأوَ صُحّفت ايضاً ١٠٩ً (السَنْدَأْبُ) و ١١٠ً (السِنْدَر) و ١١١ً (السَنْدَر) و ١١٢ً (السَنْدَريّ) الى غير ذلك مما يبعد رويدًا رويدًا عن الاصل . امّا من انّهم اطلقوا هذه الصفة على الجمل والناقة اكثر من اطلاقهم لها على الانسان فلأنّ هذه الدابة اذا ساء خُلقُها خرِبت ودمرت اكثر من الانسان كما هو مشهور عنها (١

١١٣ً (الكَنْعَد) و ١١٤ً (الكَعْنَد) كجعفر ضرب من السمك (عن الدميري ولم يذكر الثانية احدٌ من اللغويين) . وقال في التاج : الكَنْعَدُ سمك بحريّ ١١٥ً (كالكَنْعَت) وارى تاءهُ بدالًا اه . و ١١٦ً (العَنْكَد) وقال في التاج ايضاً : « العَنْكَد ضربٌ من السمك البحريّ كما في اللسان وغيره » اه . وذكر هذا السمك صاحب المحيط المحيط وقال : ١١٧ً (العَنْقَد) بقافٍ عوضاً من الكاف . فهذه اربع لغاتٍ راجعةٌ الى اصلٍ واحدٍ دخيلٍ يوناني وهو χάννη فقيل فيها " كَنعت " ثمّ " كَنعد " ثمّ البواقي . والمعاقبة بين السين والتاء والدال ليست غريبة فمثلهُ القَلَقَنْد والقَلْقَنت والقَلَقْدِيس تعريب χαλκάνθη واسم هذا السمك بالفرنسية (serran) وباللاتينيّة serranus

غير ان اصحاب البلاد التي يغمرها بحر فارس والبحر الاحمر يسمّون سمكاً آخر بهذا الاسم ايضاً ومنهُ اسمهُ الافرنجي اي (canade) المسمّى باللاتينيّة العلمية

---

١) ما ذكرهُ حضرة الاب انستاس في القنْدَأو والسندَأو لا يخلو من الغرابة وفيه بعض نظر ه . ل

(gasterosteus spinachia) والمسمَّى بالفرنسيَّة العلميَّة (épinoche gastré)
اي السَّفُّور الشوكيُّ البطن

١١٨ً (الأَرْبَدُ) قال السيّد المُرْتَضَى: « الارْبَدُ حيَّة خبيثةٌ وقيل ضرب من الحيَّات ». وقال الدميريّ: « ضربٌ من الحيَّات يعضّ فيرْبَدّ منهُ الوجه . . . » قُلنا الارْبَدُ والعِرْبَدُ من اصل واحد وهو ἑρπετός اليونانيّ . غير انَّ العِرْبَدّ قد ابتعد عن هذا الاصل اكثر من الارْبَد الموافق كلَّ الموافقة لمأخذهِ . (راجع العربد في المشرق ٢ : ٣٤٧ العدد ٤) .

١١٩ً (الخُرْصُ) بمعنى الغصن والقناة وجريد النخل وعُوَيد محدَّد الرأس يُغرس في عُقَد السقاء والرمح وعود يُخرج بهِ العسل (عن اللغويين) تعريب χάραξ

١٢٠ً (الخِرْطيط) تعريب χάραξος وبالفرنسيَّة (charaxe) وهي فراشة منقوشة الجناحين (القاموس) . وهذه الفراشة تكثر في سورية وجزيرة العرب وبلاد العجم واغلب وقوفها على شجرة القطلب والعفار وقلبت ξ او x طاء كما في قرطاط واصلها (cortex)

١٢١ً (الخُرْطال) حبٌّ او هو الهرطمان تعريب χάρταριον ومعناهُ الكلأ والعلف وكل ما يؤكل وبالاخصّ انواع الحبوب والقطانيّ

١٢٢ً (السِّنِمَّارُ) قال التاج: « السِّنِمَّارُ بكسر السين والنون وشدّ الميم القَمَر . عن ابي عمرو . وقال ابن سيده: « قمرٌ سِنمَّارٌ مُضيءٌ » . حكي عن ثعلب . وقال يونس: « السِّنمَّار رجلٌ لا ينام بالليل وهو اللصُّ في كلام هُذَيل لقلَّة نومهِ » . وقد جعلهُ فِنِعْلَالًا وهو اسم روميّ وليس بعربيّ لان سيبويهِ نفى ان يكون في الكلام سِفِرجالٌ . فامَّا سِرِطْرَاط فَفِعِلْعَالٌ من السرط الذي هو البلع » اه بحرفهِ . قلتُ وقد اصاب سيبويه بقولهِ: « ليس بعربيّ » وهو بالروميَّة σινάμωρος ومعناهُ اللصّ

١٢٣ً (الخَوَى) بمعنى الوطاء بين الجبلين لعلَّهُ من موافقات اللُّغات وهو في اليونانية χάος بمعناه تقريبًا

١٢٤ً (الخَوَاء) بمعنى الهواء اظنّهُ كالسابق وهو بالروميَّة χάος ايضًا

١٢٥ً (اللُّجَيْن) قال الاب هنري لامنس اليسوعيّ اللغويّ المتفنن في كتابهِ المترجم بالفروق (في حاشية ص٢٥٧) ما نصُّهُ: « اللُّجَيْنُ جاء مصغرًا كالثُّرَيَّا والكُمَيت

وليس لهذا التصغير وجهٌ. ولذلك ذهب بعض علماء الافرنج الى انهُ ليس بعربيٍّ بل هو تعريب (lagena) » اه. قلنا: ونحن ايضاً نذهب مذهب الافرنج لكن لا نجسُرُ ان نقول انهُ معرَّب (lagena) او λάγηνος لما في ذلك من التكلُّف والتعسُّف ما لا يخفى على عاقل لان معنى هذا الحرف القارورة (bouteille) والُمصاية (flacon) والحَوْجلَة (carafe) فايَّة صلةٍ معنويَّة تربط لفظة القارورة بكلمة الفضة. ولكننا نقول بانها تعريب ἀργεινός ومعناهُ الابيض اللمَّاع ثم سُمّيت بهِ الفضــة من باب التغليب. ومن هذه اللفظة اشتق اللاتين لفظتهم (argentum) والفرنسيس (argent) فتأمَّل وحرِّر التعريب (١

١٢٦ً (القُوق) قال الدميريُّ: القوق بالضمّ طائر طويل العنق. قالهُ في العُباب. قلنا هو معرَّب κῆξ, κῆκος قُلبَت فيهِ الياء واوًا كما في قربوس واصلــهُ قربيس κρηπίς والقُوق ضرب من الغوَّاص او من زُمَّج الماء ولهُ لغات باليونانية منهــا: καύηξ و καύαξ و κῆυξ

١٢٧ً (الخُخْخُعُ) قال محبُّ الدين الزبيديُّ: « الخُخْخُعُ كهُدْهُدٍ اهملــهُ الجوهريُّ ». وقال ابن دُرَيْدٍ: « نبتٌ وليس بثبتٍ » او شجرةٌ وهو قول ابن شميــل ذكرهُ في كتاب الاشجار. وذكر الازهريّ في ترجمة « عُهعُخ » انهُ شجرة يُتَداوى بها وبورقها. قال: وقيل هو الخُخْخُعُ. وقد تقدَّم. قال ابن شميل: قال ابو الدقيش: هي كلمة معاياة ولا اصل لها » اه بحرفهِ. قلنا ان هذه الكلمة وان كانت كلمة معاياة فان لها اصلًا وهذا الاصل هو الاصل اليونانيُّ (٢ وهو κίκι ومعناهُ الخروع. واماَّ ١٢٨ً (العُهْعُخ) فهو تصحيف الخُخْخُع. قال الزبيدي في هذه المادة ما بعضهُ: العُهْعُخ بالضمّ وقيــل كدِرْهَم وقيل كجُنْدَب . . . شجرة يُتَداوى بها وبورقها ». واما قولهم « شجرة الخُخْخُعَة تحمل سنة خُخْخُعَتَين وسنة خُخْخُعَة » فلا يُراد من ذلك ايراد حقيقة اذ تحمل اكثر من خخخعة بل طلباً للمعاجزة وللمعاياة

١٢٩ً (اللِيَاء) قال الدميريُّ: « اللِيَاء سمكةٌ في البحر يُتخذ من جلدها الترسة

١) قد تركنا في كتاب الفروق العهدة في اصل هذه اللفظة على المستشرقين فليراجع كتاب (Die aram. Fremdwörter im Arabischem. p. 130, 152) اما رأي حضرة الاب انستاس فنرى فيهِ بعض التعسُّف ه. ل

٢) واللفظة اليونانية شرقية الاصل ه. ل

فلا يحيك فيها شيءٌ من السلاح ولا يقطع. وفي الحديث: ان فلانًا اهدى لرسول الله (صلعم) بودّان لياء مُقَشَّى. ومنهُ حديث معاوية (رضه) انهُ دخل عليهِ وهو يأكل لياء مُقَشًّى » اه بحرفهِ. قلتُ: ان اللياء المذكور في هذا الحديث هو هذا الشيء الذي يُشبه الحِمّص لا السمكة. قال السيد المرتضى الزبيدي: «وفي الحديث دخل على معاوية وهو يأكل لياء مُقَشَّرًا» وفسَّرهُ كما فسرناه. لان هذه السمكة لا تصلح للاكل بل ومحرَّم اكلها على المسلمين اجمعين لانها من جنس القِرْش والكلمة يونانية وهي فيها λαμια بمعناها فاسقط العرب منها الميم كما هو من عاداتهم اذ لا بُدَّ من ان يشوّهوا الكلمة الاعجميَّة عند افراغها بالقالب العربيّ. وهي نفس ١٣٠ً (اللِما) الذي ذكرها المعلّمان البستاني في محيط المحيط والشرتوني في اقرب الموارد لكن لم نقع على اثرٍ لها في كُتب اللغويين اخوتهم. ومن اعجب العجائب اننا رايناها مذكورة في المعجم الفرنسي العربي المطوَّل للاب بلو مقابلةً لكلمة (raie) الفرنسيَّة اذ ذُكِرَت هناك بهذه الصورة: سمك تُرسيّ الشكل. سمك اللمأ. ورَنك. ولم نجد للوَرَنك ذكرًا ايضًا فقد ذكر الشرتوني في باب التنبيه: (ص ٥٣٤) انهُ نقل الورنك بهذا المعنى عن محيط المحيط. وهذا اخذها عن فريتغ الذي نقلها عن كتاب وصف الحيوانات للمعلّم فورسكَل

١٣١ً (القَلَنسُوَة(١) لو قلنا للقارئ ان القلنسوة معرَّب ἐκκλησία بمعنى البيعة والكنيسة لاخذهُ العجب العُجَاب ولقال عنا اننا نرمي الكلام على عواهنهِ. لكن دعنا يا هذا نمدُّ نفَسَنا و بعد ذلك اعترض علينا بما يبدو لك

ان سبب تسمية القلانس بهذا الاسم الذي معناهُ في الاصل الكنائس او الهياكل هو لانَّ رؤوس هذه الهياكل في الايام القديمة كانت تُبنى على هيئة مخروطٍ حتى اذا هطلت الامطار لا تضرَّ بها. وكان اليونان والرومان قبل المسيح وبعدهُ يقيمون اغلب الاحيان هذا النوع من الهياكل فوق الجبال والتلال ونحوها. فسمَّى العرب الاولون هذه العَمْرَة او هذه القُبَّعة التي توضع في الرأس باسم هذا الضرب من البناء من باب المشابهة فكانهم قالوا باديءَ بدء عَمْرَة او قبَّة كالقَلَيسية. ثم اكتفوا باللفظة الاخيرة استغناء بمعناها عمَّا يسبقها من الالفاظ كما قالوا الصنبور والسعدانة وكبش القوم

١) اثبتنا هذه اللفظة وقول حضرة الاب انستاس في اشتقاقها تفكهةً للقرّاء ليس الّا ه. ل

وثورهم الخ. من هذا الباب ولهذا السبب عينهِ. ثم عُرّبت ἐκκλησία فقيل قُلَيسَة بالتخفيف او قُلَيسَّة بتشديد الياء. ولا عجب من حذف الهمزة في الاول بعد الشواهد التي اوردناها سابقاً. ولمّا اصبحت بهذه الصورة اي قُلَيسَة قالوا انها عربيّة مُصغَّرة وانها مأخوذة من القلس اي الارتفاع. قال الزبيدي في شرح كلمةٍ تشبه اللفظة التي نتكلم عنها اي القُلَّيس ما حرفهُ: «القُلَّيس كقُبَّيط بيعة للحبش كانت بصنعاء اليمن بناها ابرهة وهدمتها حِميَر. وفي التهذيب هي القُلَّيسة». وقال الدميري ولا يضرّك عليهِ رجلٌ لانهُ افرغ كنانة هذا الموضوع ما نصّهُ (في كتاب حياة الحيوان ٢: ٢٠١): «والكنيسة التي بناها ابرهةُ بصنعاء تسمّى القُلَّيس مثل القُبَّيط سُمّيت بذلك لاجل ارتفاع بنائها وعلوّها. ومنهُ القلانس لانها في اعلى الرؤوس. يُقال تقلّس الرجلُ وتَقَلْنَس اذا لبس القَلَنسُوَة. وتقلَّس طعاماً (كذا. ولم ارهُ في كُتُب متن اللغة) اذا ارتفع من معدتهِ الى فيهِ» اه. قلنا ولا يخفى على القارئ ان القُلَّيس تعريب آخر للفظة اليونانية المذكورة فتصرف بها العرب وجعلوها باسم علَم للبيعة التي بناها ابرهة. فقس الشبيه على الشبيه

قلنا ولما صارت اكليسية قُلَيسَة او قُلَيسَّة اي بصيغة التصغير اخذ العرب يتحذلقون في ذكر مكبَّرها فقال قوم هي القَلَنسُوَة وزادت جماعة القُلَنسِيَة وذكر آخرون معهما القَلَنسُوَة واوصلهما فريق الى الاربع وهذه الرابعة هي القَلساة. واضاف البعض على ما تقدّم القلنيسة وجمعوا القلنسوة على قلانس وقلانيس وقلَنسٍ وقلاسٍ وقلاسيَ (عن جمهور اللغويين). وعوضاً من ان يذكروا ان اصل وضع هذه الكلمة كان التصغير صرّحوا بالخلاف. وممّا يثبت قولنا انها وضعت في الاصل مصغرةً ثم وضعوا بعد ذلك مكبَّرها الادلّة الآتية: ١ً الاصل معرَّبة عنهُ بالوجه الذي قدّمناهُ. ٢ً ان ورود تصغير هذه الكلمة بوجهين متقاربين ناشيء من اعجميتها لا من عربيّتها. فان قلتَ قُلَيسَّة بتشديد الياء فانك تعربها من اليونانيّة لان الشدَّة او كما يقول الاعاجم النَّبرة (accent) هي على الياء ἐκκλησία. وان قلتَ قليسة بتخفيف الياء فانك تعربها عن اللاتينيّة والنبرة فيها على الحرف الثالث اي (ecclésia). والاصحُّ اللغة الاولى لان اللاتين اخذوا لفظتهم عن الاغريقيين. هذا وانت ترى ان التصغير في هذه الكلمة عرضيٌّ لا اصليّ ولهذا اخذ العرب يتساءلون في ما عسى ان يكون مكبَّرها. وهو دليلنا

الثالث. ٣ً وتوصُّلاً الى معرفة ذلك اخذوا يقيسونها على غيرها من الاوزان والموزونات وكما ان صيغتي فُعَيْلِيَّة وفُعَيْلِيَة تأتيان لفَعَنْلُوَة وفُعَنْلِيَة وفَعْلُوَة وفَعْلاة وفَعْنِيلة عدَّدوا لها جميع موزوناتهنَّ لجهلهم الموزون الاصليّ. ومن ذلك لُغات قَلَنْسُوَة المختلفة للتي ذُكرت بُعَيد هذا ٤ً والآراء ايضاً قد تضاربت في جمعها كما رأيتَ

هذا ما اردنا ان نبينهُ في هذا الصدَد مجتزئين بايراد ما اوردناهُ غير ذاكرين اراء العرب والافرنج في هذه اللفظة خوفاً من ايراث الملل في القرَّاء ١)

١٣٢ً (الصَوْمَعَة) قال القاموس: « الصَوْمَعَة كجوهرة: بيتٌ للنصارى كالصَومع لدقةٍ في رأسهِ » اه. قال سيبويهِ: الصَومَعة من الاصمع يعني المحدَّد الطرَف المنضمّ » اه. وقال التاج: « والعقابُ صومعةٌ لارتفاعها ابدًا على اشرف مكان تقدر عليهِ. هكذا حكاهُ كراع منوَّنًا ولم يقل صومعة العقاب. ومن المجاز: الصومعةُ: البُرْنُسُ... وذروة الثريد وجُثَّتُهُ. وقيل تُسمَّى الثريدةُ صومعةً اذا حُدِّد رأسها وسُوِّيت ». اه مع خذف ما عُوِّض عنهُ بالنُقط. قلتُ نعم انَّ الصومعة بمعنى البُرْنُس من المجاز. وهذا المجاز قد نُقل من صومعة الراهب التي كانت تُبنى كالقُلَيْسيَّة محدَّدة الرأس. وهذا دليل آخر يؤيد رأينا في اصل معنى القَلَنْسوة اي انها نُقلت الى معنى الكُمَّة الطويلة المحدَّدة الرأس مجازًا لا وضعًا. غير ان الفرق بين الصومعة والقلنسوة ان الصومعة معروفة عند العرب في المعنى الوضعيّ المجازيّ. واما القلنسوة فمعروفة عندهم بالمعنى المجازيّ فقط. واعلم ان الصومعة نفسها بمعنى بيت الراهب المُسنَّم يونانيَّة ايضًا وهي في هذه اللغة σεμνεῖον فحُذفت منها النون كما حُذفت من عرنقصان فقالوا فيها عَرقصان وفي عَرَنْتَن قالوا فيها عَرْتَن. (راجع التاج مادة ع ر ق ص)

١٣٣ً (القُلْقَاس) يونانيتها κολοκάσιον, κολοκασία

١٣٤ً (الصَعْف) شراب لاهل اليمن من العسل. وقيل هو ماء العنب يُشدخ فيُطرح حتى يغلي والكلمة يونانيَّة اي σαπρίας فحُذفت منها الراء لانها من احرف الذلاقة. وكذا فعل الرومان لان الصَّعْف يُسمَّى عندهم (sapa) ولعل العرب اخذوها

١) وعندنا ان أصل قلنسوة ليس ما ذكره حضرة الاب انستاس بل هي لفظة calantica كما ذكرناهُ في كتاب الفروق (ع ٦٧٨). وكذا قُل عن اللفظة الآتية « صومعة » إلّا إنَّ أصل هذه لا يزال مجهولاً ه. ل

عن هؤلاء وليس عن اولئك(١ ومعنى الصعف عندهم ماء العنب يُشرح ويُطرح حتى يبقى منهُ نصفهُ او ثلثاهُ

(١٣٥ً الصِيرُ) بمعنى الصَحْناة (saumure) او سميكات مملوحة يُعمل منها الصحناة مقطوعة من σαπέρδης وباللاتينيَّة (saperda) بمعناها

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢١ً دخول النصرانيَّة في لبنان (لاحق بسابق)

واول ناسك ورد ذكرهُ في لبنان عاش في عهد القيصر ديوقلسيان واسمهُ إرَسمس وكان مولدهُ في انطاكية العظمى وسُقِّف على مدينــة لم يُعرف اسمُها. فلمَّا امتحن ديوقلسيان المسيحيين بالاضطهاد ترك إرَسمس كرسيَّهُ الاسقفيّ وتوقّل في لبنان وتعبَّد لله في احدى مغاورهِ وبقي على ذلك سبع سنين حتى ألهمهُ الله ان يعود الى انطاكية ليثبت المؤمنين في الايمان ففعل واستشهد اخيرًا في ايطالية (٢

وكانت مدارس بيروت في تلك الاثناء تنير بتعاليمها العالم الرومانيّ. وكان كثير من النصارى يزدحمون في معاهدها ليأخذوا العلم عن ائمَّتها. اشتهر في جملتهم القديس غريغوريوس صاحب العجائب والقديس اثينودورس في النصف الاوَّل من القرن الثالث. وممَّن اشار اليهم التاريخ في عهد ديوقلسيان شهيدٌ في مقتبل العمر يُدعى افيان او أمفيان كان اصلهُ من ليقيــة ودرس في بيروت ثم استشهد سنة ٣٠٥ في قيساريَّة فلسطين ولهُ من العمر ٢٠ سنة فقط (٣ . وفي ايَّامهِ مات في سبيل الايمان في انطاكية الكاهن

١) ونرجّح انَّ العرب اخذوها عن اليونان لا عن الرومان لانَّ الالفـاظ المشتقَّة في اللغة العربيَّة عن اللاتينيَّة قليلة كما بيَّنَّا ذلك مرارًا. واذا دخل شيء منهـا فلم يدخل الَّا بواسطة اليونانيَّة ل. ه.

٢) راجع اعمال القديسين البولنديين في ٢ حزيران

٣) راجع اوسابيوس في تاريخ شهداء فلسطين واعمال البولنديين في ٢ نيسان

زينوبيوس وكان اصلهُ من صيداء وقد روى اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٨ ع ٣) انَّهُ كان طبيبًا وانهُ اتقن الطبَّ حتى برَّز فيهِ

واخذت النصرانيَّة بعدئذٍ تقوى وتنتشر في مدن فينيقية الساحليَّة حتَّى ان الأُسَر الشريفة نفسها صارت تدين بدين المسيح. وقد انبأنا التاريخ بذكر شابّ بيروتي كريم المحتد اسمهُ بَنفيل كان درس على اشهر اساتذة وطنـهِ حتى اضحى نسيج وحدهِ في العلوم الدنيويَّة لكنَّهُ آثر عليها درس الاسفار المقدَّسة فانتقل الى قيسارِيَّة حيث رُقي الى درجهِ الكهنوت وانشأ لهُ مكتبة حافلة بالتآليف القديمة. وكان موتهُ استشهادًا سنة ٣١٠ (١

وفي ذلك العهد ايضًا ألمع التـاريخ الى بعض النصارى الذين حكم عليهم المتعصبون بتعدين معادن لبنان. والمرجَّح انهم أرادوا بهذه المعادن مناجم الحديد التي اشتهرت في بعض المعاملات لاسيما البترون وكسروان والمتن الى اواخر القرون المتوسطة. وفي ذكرها بين اعمال الشهداء ما يوقفنا على تاريخ المعادن في لبنان

على انَّ النصرانيَّة لم تلبث بعد هذه المحن ان تنتصر على اعدائهـا فخرجت ظافرةً ممجَّـدةً على يد قسطنطين الكبير ودخلت في طور جديد ولم تزل مذ ذاك في ترقٍّ متداوم بينما كانت الوثنيَّة تتقهقر وتهبط حتى درست آثارها وانقشع ظلامها

لكنَّ عبادة الاصنام أبت ان تنكص على الاعقاب دون المدافعـة والنزاع. فانَّ الشرك بقي زمنـًا طويلًا حتى بعد تنصُّر قسطنطين وربَّما سعى في ردّ غارات دين المسيح. وكان كثيرٌ من عبدةِ الاوثان لم يزالوا يتردَّدون الى هيـاكل الآلهة الباطلة. وكان سدَنتها يُعرفون علانية باسم كهنة الاصنام تدلُّ على ذلك كتابةٌ وُجدت في دوما جاء فيها ذكر كاهن يُدعى كاستور يلقِّب نفسهُ بكاهن الله الطبّ اسكولاب وإلهة الصحَّة

وقد اثبتنا في مقالة سابقة عن افقا انَّ قسطنطين الملك دمَّر هيكل الزهرة فيها. والظاهر انَّ الوثنيين انتهزوا الفرصة في عهـد يليان الجاحد ليجدِّدوا بناء هذا المعبد

١) راجع التاريخ الكنسيّ لاوسابيوس (ك ٨ ع ١٣) واعمال القديسين للبولنديين في ١٦ شباط و ١ حزيران وكتاب القديس ايرونيموس في المشاهير (العدد ٧٥)

فانّا نرى عبدة الاصنام في القرن الخامس للمسيح يحجّون اليـه لاقامة مناسكهم الدينيّة (١

وان تتبّعنا التقاليد الشائعة في بلاد الشام وجدنا من الآثار ما يعزوهُ اللبنانيّون الى القديسة هيلانة امّ قسطنطين كبعض البروج المبنيّـة على ساحل البحر يزعمون انّها اقامتها لتبلّغ ابنها اخبار الاراضي المقدَّسة واكتشاف الصليب. الّا انّنا بيّنا انّ هذه التقاليـد لا صحّة لها (راجع المشرق ٣: ٢٨٩) وانّ هذه البروج شُيّدت بعد ايّام الصليبيين لمراقبة الساحل وردّ غزوات الفرنج. ولم تك هيلانة لتحتاج الى مثـل هذه البروج لمخابرة ابنها مع ما كان لديها من البريد برًّا على السكك الرومانيّة ومن السُّفن بحرًا وهي تستطيع ما شاءت ان تراسل ابنها في وقت وجيز. ثم انّ التاريخ يفيدنا عن امّ قسطنطين انّها قدمت فلسطين بحرًا وآبت راجعةً كذلك دون ان تتلبّث في مدن فينيقية وتزور لبنان

وممّا لا شبهة فيهِ انّ الدين النصرانيّ كان فاز السهم المعلّى في الساحل الفينيقيّ في اواسط القرن الرابع مع ما تخلّف فيهِ من بقايا الوثنيّة فضلًا عن جماعة من اليهود كان اكثر سكناهم في بيروت وصيداء. وقد روينا في مقالتنـا عن الزلازل في بيروت (المشرق ٢: ٩٧١) انّ عددًا غفيرًا من المشركين طلبوا العماد بعد زلزلة ٣٤٩ لكنّ ارتدادهم كان عن الخوف فعادوا بعد زوال الخطر الى ضلالهم وابدعوا شيعـةً خلطوا فيها الدين المسيحي والوثني وابتنوا لهم معبدًا اقاموا فيهِ رتبهم المستهجنة

ولم يمضِ على ذلك زمن يسير حتى اقام الله لكنيستهِ انصارًا اجتذبوا اهل الضلال الى النصرانيّة بامثـالهم اكثر منهم بكلامهم. وإنّ هؤلاء الّا النسّاك والحبساء الذين أوَوا الى مغاور ثم الى اديرة اضحت بهمّتهم كمنائر سطع منهـا ضياء الدين المسيحي فبدَّدت ظلام الوثنيّة تمامًا

في مبادئ العيشة الرهبانيّة في لبنان

قال القديس ايرونيموس في ترجمة القديس هيـلاريون (ع ١٤): «لم يعرف احد من اهل الشام ناسكًا قبل هيلاريون» فمن ثمّ يظهر ان إرَسْمُس الذي سبق لنـا ذكرهُ مات ولم يقتدِ بنسكهِ احد الى عهد القديسين انطونيوس الكبير وهيلاريون وليس

١) راجع مقالة الدكتور ج. روفيه المنونة Le temple de Vénus à Afka, p. 15. 16

هذان الناسكان هما اللذان انشأا العيشة النسكيّة في لبنـان كما يروي تقليد بعض اللبنانيين خلافًا للتاريخ الصادق . وزد على ذلك انَّ القديس انطونيوس لم يخرج قطّ من القطر المصريّ . والصواب انَّ مثلَهما حمل نصارى الشام على التشبُّه بهما

ولا غرو انَّهُ بُوشر مذ ذلك العهد بانشاء المحابس في لبنان بيد انَّ التاريخ لم يذكر من امرها شيئًا لقلّة اعتبارها . وانما روى اخبار مناسك أُخرى تُدعى مندرة (μάνδρα) ومعناها حظيرة الغنم كان العبَّاد يجتمعون فيهـا تحت رئاسة بعض اكابرهم يدعونهُ لذلك ارشيمندريتًا اي رئيس المندرة . وربمـا كانوا يدعون ايضًا هذه المناسك لورا (λαύρα) او قينوبيون (κοινόβιον) ومعناهما المُنتدى وا لمجتمع . وكان اسم المندرة شائعًا في مصر وجنوبيّ فلسطين امَّا الاسمان الآخران فاشتهرا في سوريَّة . ولعل مَنْدَرة احدى مزارع البقاع بجوار تعنايل اشتقَّت اسمها المذكور من دير كان سابقًا بقربها (١

ولو تقصَّينا آثار الكتب التاريخيَّة لوجدنا ذكر بعض هذه الاديرة القديمة الراقيـة الى اواخر القرن الرابع واوائل الخامس . منها عدلون بين صيداء وصور ليس بعيدًا من صَرْفند . فان فيها عند البحر صخرًا عاليًا حُفر فيهِ نحو ٢٠٠ كَهْف . ولعـلَّ هذه المغاور كانت في باديء الامر مدافن للموتى ولكن لدينا من الادلَّة ما يحملنا على القول انَّ الرهبان اتَّخذوها لهم كمساكن أووا اليها . من ذلك ما ترى فيها من شارات النصرانيَّة وفيها صهاريج محكمة الصنع ومراقي متقنة يُصعد منها الى طبقات المغاور العليا وتجمع بين القلالي . ومن اعتبر هذه المساكن الغريبة لا يشكُّ في انَّ الرهبان وحدهم امكنتهم الإقامة فيها ويؤيد ذلك ما دوَّنهُ المؤلفون في تراجم بعض الآباء انَّهم كانوا يعيشون في المقابر . وهذه المقابر كانت عبارة عن مغاور مختلفـة الكبر اتخذها الاقدمون لموتاهم . والمرجَّح عندنا ان عدلون من هذا القبيـل فعسى ان يجد العلماء نصًّا تاريخيًّا يزيل عنَّا كلَّ شبهة في الامر

وليس بمستبعد ايضًا ان الاغوار المنقورة في الصخر في وادٍ مطلّ على بلاد البقاع بقرب قرية فرزل شماليَّ زحلة كانت مآوى للسيَّاح . يُستدل على ذلك بدلائل عديدة .

١) وكذا دُعيت بعض المدن في اوربَّا باسماء الاديرة المجاورة لها مثل موتيار او موستيار Moustier او Moutier في فرنسة ومُنستر Munster في المانية الخ وكلُّها مشتقَّـة من monasterium اي دير

وهذه الكهوف تشبه في ترتيبها مغاور عدلون والاهلون يدعون موضعها الحبيس ويزعمون استنادًا الى تقاليد قديمة انّ سياح القرون الغابرة سكنوها وفي سفح هذه المغاور جدولُ ماء صافٍ يترقرق سائحًا

ومن جملة الاماكن التي يُشار اليها بالشواهد المنقولة انّها كانت في سالف الزمان كمعاهد للرهبان مغارة عند قرية هرمل على مقربة من اكبر روُوس نهر العاصي. ولهذا التقليد اثرٌ في كتبة القرون المتوسطة كابي الفداء والقلقشندي وغيرهما وهم يدعون هذا المكان باسم مغارة الراهب. والموارنة يدعونها «دير مار مارون». ولا يزال الجبل المطلّ عليهــا مع الاملاك المجاورة لها خاصّة رهبان لبنان الانطونيانيين وكان يسكن البعض منهم هذا المكان قبل عهدنا بزمن قليــل مع انّ سكّان هذه الايالة كلهم من المتاولة. وهؤلاء يعرفون هذه المغاور باسم القصور وما لا ريب فيهِ انّ الناس تحصّنوا فيها سابقًا يُستدلُّ على ذلك بما اقاموه من الابنية في مدخلها للمدافعة عنها فزادوها منعةً على حصانتها الطبيعيّة

ومغارة الراهب تفوق مغاور عدلون وفرزل بمحاسنها. وكانت في الاصــل طبيعيّة سكنتها كما يظهر قبائلُ عاديّة في الاعصار السابقة التاريخ ولعل هذه القبائل فضّلتها على سواها لحسن موقعها قرب نهرٍ كبير. الّا انّ الخَلَف حسّنوا عمل الطبيعة وأضافوا اليهِ منتدياتٍ نقروها في الصخر على احسن هندام مع قبّة ذات حنيّة مقوّسة ودرجٍ داخلي يُصعد منهُ الى الطبقات العليا وبئر عميق الغور يبلغ الى مياه النهر. وكل ذلك منحوت في الصخر الاصمّ

ومن المنازل التي احتلّتها في العهد القديم نسّاك لبنــان وادي قزحيًا والقاديشا. وبقايا العيشة الرهبانيّة فيهما ظاهرة حتى الآن صبرت على الأيّام وتقلّبات الدهر. وكان بعض الرهبان يعيشون فيهما عيشة عموميّة فيجتمعون للصلاة والشغل في كهوف واسعة منقورة في الصخر ترى واحدًا منهــا اكبر من سواهُ في وسط الوادي. وبعضهم كانوا يفضلون العزلة التامّة فيعيشون منفردين في مغــاور صغيرة متفرّقة في جانبي الوادي منحوتة في صخورهِ منها ما يجري عندها ينابيع صافية ومنهــا ما يُحدق بها النبات. وكلّها غاية ما يُرام لعيشة العبّاد

وفي بهرة وادي قاديشا دير قنّوبين تعريب (κοινόβιον) يعزو التقليد المحلي بناءَهُ

الى الملك ثاودوسيوس الكبير. والامر ممكنٌ الّا ان النصوص التاريخيَّة لا تفيدنا في ذلك علماً. وعلى رأينا ان ثاودوسيوس منشئ هذا الدير ليس هو القيصر الشهير بهذا الاسم بل احد كبار اباء الطريقة النسكيَّة. وقد عُرف بهذا الاسم في ذلك العهد رجلان عظيمان تكرمهما الكنيسة بين اولياء الله. احدهما ثاودوسيوس الانطاكي انشأ في قيليقية ديرًا كبيرًا والآخر اصلهُ من قبادوقية اشتهر في فلسطين وابتنى ديرًا واسعاً تقاطر اليهِ الرهبان من كل فجّ وأوب كان بينهم يونان وارمن وصقالبة. ولا جرم بانَّ السوريين واللبنانيين تتلمذوا لهُ ايضاً. وكان ثاودوسيوس المذكور قسّمهم اقساماً على حسب اصلهم ليسبّحوا الله في لغاتهم المختلفة وساسهم الى ان توفّي في اوائل القرن السادس ولهُ من العمر ١٠٥ سنين. ومن اطلع على ترجمة هذا القديس لا يرى فيها صريحًا انهُ قدم لبنان ولعلَّهُ زار هذا الجبل في رحلتهِ الى مقام سمعان العمودي (١. ولكننا نعلم من تاريخهِ انَّ تلامذتهُ انشأوا اديرةً عديدة في انحاء شتَّى. فلا نرانا نتجاوز حدود الحق ان قلنا عن احدهم انهُ احتلّ قنّوبين فأسّس فيها ديرًا نسبهُ الناس بعدهُ الى القديس ثاودوسيوس استاذهِ ثمَّ اشتبه الاسم على الخالف فظنُّوا انَّ المنشئ هو ثاودوسيوس الكبير الذي اشتهر بتقواه وتذكرهُ الكنيسة اليونانيَّة في عداد قديسيها. وما يؤيد هذا الرأي أنّنا نرى الطائفة المارونيَّة تكرم ثاودوسيوس ابا الرهبان اكراماً خصوصيًّا وتعدّهُ بين مشاهير النسَّاك (٢. وهذا لعمري شاهد واضح على انَّ اسمهُ كان ذائعاً في لبنان (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت قد مُدَّت في وسط الغرفة التي دخلها المقدَّم مائدة الطعام وعليها ألوان واشكال من اللحوم بينها قناني الخمر المعتقة وقد جلس حولها عدد من الرجال والنساء يقهقهون وينطقون بالاحاديث الغير المهذبة

---

١) راجع اعمال البولنديين في تاريخ ١٦ كانون الثاني (ص ٦٨٠)

٢) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ٣٢)

على ان جوسلين لمَّا شاهد المقدَّم قد دخل عليهِ في هـذه الحالة من الافراط في المأكل والشراب رغماً عن ايام الصيام الكبير التي يجب ان ينقطع فيهـا المسيحيون لاماتة الحواس اراد ان يعتذر فصدَّهُ الرجل المجهول باشارة منهُ وقال:

أبيت ان تذهب الى بشرَّاي فتبرئ نفسك من الشكاوي المرفوعة عليك فجئتُ انا بنفسي لانظر في الامر ولكني اقسم لك انك لن تكون مسرورًا من تنـازلي للحضور اليك

فقال جوسلين وهو يتلعثم في الكلام: لا انكر سيدي اني قد قصَّرتُ وتهاملت ولكن الشؤُون والاعمال الكثيرة حالت دون رغبتي. وانت تعلم ان ناحيتنا هـذه قائمة في اطراف البلاد ومكتنفة من كل الجهات بالاعداء فلم يكن يسهل عليَّ مفارقة قصري دون التعرض للاخطار. ولولا وجودي في هذه الظروف والاحوال لكنتُ بادرت من زمان مديد الى بشرَّاي تقديمًا لواجبات خضوعي واخلاصي وفنَّدت بسهولةٍ كل ما عزاهُ الوشاة اليَّ من الشكاوي والتهم واوضحت براءتي منها لسيدي المقدم ولكن البعدُ جفا والبعيد دائماً متَّهم

فاجاب المقدَّم رزق الله قائلًا: اني عالم بان الشكاوي المرفوعة عليك هي كلها اكيدة. ففضلًا عن كونك أفسد واردأ رجل مسيحي وصفوهُ لي قد تصدَّيتَ للايتام والارامل وسلبتهم املاكهم وما اكتفيت بهذا حتى تعرَّضت لاوقاف الكنائس والاديار فغصبتها جورًا وظلماً

فاراد جوسلين ان ينكر ذلك لكن الاب يوحنَّا الذي كان في صحبة المقدم افحمهُ باظهار الحقيقة فلم يستطع الَّا ان يقول: أردّ كلَّ شيء... امَّا املاك دير القديسة تقلا فكنت اظنها غير ثابتة للدير بصكوك قانونيَّة فغلطتُ وها انا الآن اعوّض عن غلطي وأُرجع للدير اضعافها...

— يا لك من كذوب. ألم تعتدِ من مدَّة قريبة على شاب مسكين وتسلبهُ حقله. او ما تعلم اي شيء من القصاص تفرضهُ شرائعنا على مثل هذا الاعتداء ؟. والآن أحضر الصبيَّة اليتيمة التي زججتها في سجنك عدوانًا

فهنا صرخ جوسلين وهو يرتعش قائلًا: اعلم يا سيدي انها قد ارتكبت جرماً كبيرًا... قطعت حطباً من أحراجي

— اذا كانت قد فعلت ذلك فانهُ ذنبٌ لا يستوجب سجناً . وغاية ما يترتب على فاعله جزاء نقدي . ومع ذلك أحضرها لنستنطقها . ألم تعلم اني في الاجتماع الاخير بمدينة بشراي قد قررتُ اخذ جميع الايتام تحت حمايتي

— لم اكن عارفاً بشيء من هذا لاني لم اقدر على حضور الاجتماع المذكور

— كفَّ عن الكذب والخداع فلسوف تعلم اليوم ان العدل ينال الكل . اسرع اذًا بانفاذ اوامري

ولمَّا رأى خدَم جوسلين اضطراب سيدهم علموا اخيرًا ان الغريب الذي دخل عليهِ هو المقدم رزق الله المشهورة صولتهُ وعدالتهُ وبادروا في الحال فاحضروا الصبيَّة وكانت صفراء اللون ممتقعة الوجه دامعة العين. فلمَّا وقع بصرها على الاب يوحنا اشرقت على وجهها امائر الفرح واستبشرت بالنجاة : والتفت اليها الامير فرآها بارعة في الجمال كثيرة الادب والحياء. فقال لها : تكلمي يا ابنتي بلا خوف فقد صرت حرةً وسننصفك ونسلّمك الى من تحبينهُ

وهنا قطع جوسلين كلام المقدم وقال: كنت مزمعاً ان أخلي سبيلها . . .

فقالت الصبية : صدق يا مولاي لكنهُ عرض عليَّ شروطاً . . .

— وما هي الشروط التي طلبها هذا الظالم حتى يفرج عنك ؟

فحينئذٍ التحف وجه الصبيَّة بالاحمرار فخفضت بصرها وبعد ان تردَّدت هنيهةً اجابت قائلةً : لا اجسر على بيان الشروط التي تطلب ايضاحها

— اذًا كانت هذه الشروط اثيمةً فما هو جوابك عليها ؟ قال هذا مخاطباً جوسلين ولكن جوسلين خرَّ على ركبتيهِ وقد عمي بصرهُ وحلَّ بهِ من الخوف ما لا يوصف وقال:

— لا تعاقب ضعفاً بشريًّا ايها الامير فاني متأهب لكل تعويض تفرضهُ

— نعم انهُ لا بدَّ من التعويض وها انا ارشدك الى الوجه اللازم فاصغَ اليَّ : بما انهُ ليس لك اولاد يرثونك تقيم هذه الصبية وريثة لك فتوصي لها بكل احراجك وسائر املاكك في موقع النبي شيت . أدخلوا كاتب القصر الى هنا

وفي الحال أُحضر الكاتب فكتب صكًّا قانونيًا مستجمعاً لكل الشروط فوقَّعهُ جوسلين وشهد عليهِ المقدم رزق الله والاب يوحنا ثم دفع الصك الى الصبيَّة التي اصابتها الحيرة من هذا الحادث الغير المنتظر . وفي الحال سالت دموعها على وجنتيها وبادرت

الى يدي المقدم رزق الله لتقبلهما فقال لها: هـذا هو التعويض الذي حكم العدل باعطائك ايَّاهُ

وما كاد يتمّ هذه العبـارة حتى اخرج من تحت عباءتهِ حبلًا قويًا وقال مخاطبًا جوسلين :

اذا كان هذا الحبـل لا يضع اليوم حدًّا لحياتك الاثيمة فان ذلك بفضل الاب يوحنًا هذا الرجل البار القديس الذي شفع بك مع كونك اضطهدتهُ واراد ان يرافقني الى هنا حتى يتأكّد صفحي عنك فعسى ان لا ينـدم على هذه المكرمة التي لا تستحقها انت

ولمّا كان الحاضرون يرتجفون خوفًا ورعدة من هذه الكلمات وقد كاد الدم يجمد في عروقهم خرج المقدَّم رزق الله من الغرفـة فركب حصانهُ ولحق بهِ الاب يوحنًا وغاب كلاهما عن الابصـار وراء الصخور التي كانت تحجب الطريق المؤدية الى القصر بينما كلّ الذين حضروا المشهد كانوا مقيمين في اماكنهم كأنهم تسمَّروا بها تسميرًا

١٢

وكان بعد مرور بضعة اسابيع ان الزروع في سهول البلاد واعاليهـا أخذت تصفرُّ متهيئةً للحصاد. اما اهالي لبنان فكانوا جميعًا جذلين ومحبورين بحكومة المقدَّم الجديد ومساعيهِ في تعميم العدل على الرفيع والوضيع والغني والفقير وكان الاجتماع الذي عقده في قصره قد بدأ وقتئذٍ بان يُعطي ثمراته. غير ان تلك الحال لم يكن ممكنًا دوامهـا طويلًا لان الانسان لا يقدر ان يقوّم في شهر أوَدًا استمرّ قرونًا وادهـارًا. فكان انهُ لما عاد المقدَّم رزق الله من جبل اللكام الى مقرّ ولايته اجبرتهُ الظروف على قتـال بعض اعداء ملّتـهِ الذين هبّ لنجدتهم جم غفير من اوباش الناس المقيمين في بلاد بعلبك (١

اما جوسلين فعندما عرف الخبر ورأى ان الحرب قد شغلت مولاهُ عن الاهتمام بامور الحكومة عمـد ان يعود بالحيلة الى ما كان قد اجبره الخوف على تركهِ. فجمع بعضًا من الرهبان اليعاقبة الذين ابعدهم المقدم رزق الله عن لبنان وادخلهم في حمايته مثل موسى بن عطية والقس نوح البقوفاوي الذي كان قبلًا مقيمًا بالفريديس في ارض

١) اخبار الاعيان ١٦٦

بان وعيسى وابن شعبان من قرية حردين وموسى واخيه يوحنا ولدي ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي وجرجس من لحفد وموسى من قرية موسى وغيرهم ممن رهبهم ديوسقورس الاسقف اليعقوبي (٢

ولم يحمل جوسلين على ذلك لا تعصُّب ديني ولا اقتناع بصحة البدعة اليعقوبية لانهُ لم يكن يهتم الَّا بصوالحهِ ومنافعه الخصوصية بل اراد ان يستخدمهم في غاياتهِ الفاسدة لعلَّهُ يستطيع يوماً ان يدرك بواسطتهم ثاره من رئيس دير القديسة تقلا. ولما كان المذكورون يعلمون ان ابعادهم من لبنان كان خصوصاً بتحريضات الرئيس الموما اليهِ لم يكن من الموجب لحثهم على معاونة جوسلين لانهم بقضاء وطره يدركون هم ايضاً مآربهم

ولذلك كان جوسلين يقول انهُ اذا قدر على شفاء غليله من الاب يوحنا يملّكهم دير حصن سليمان فكان طمعهم في امتلاك هذا الدير الغني مع بغضتهم للديانة الكاثوليكية ورغبتهم في اخذ الثار يدفعهم الى اختراع كل الوسائل الممكنة لاهلاك هذا الرجل القديس

وكان اصعب شيء لديهم ان يجدوا سبباً واضحاً يسوّغ لهم في الظاهر انزال الانتقام بمن ابغضوه لانهم ما كانوا يريدون فقط ان يميتوا ضحيتهم بل ان يشنّعوا صيتها وسمعتها ايضاً

وفي ذات يوم وقد انتصف النهار وجلس جوسلين في الردهة الكبرى من قصر القليعات يحفُّ بهِ الرهبان اليعاقبة السابق ذكرهم أُدخل اليهِ الاب يوحنا مكتوفاً مهاناً وكان قد ارسل رجاله الى الدير فاتوا بهِ عنوة لاجل محاكمتهِ امام قضاة جائرين لا يريدون حقًّا بل انتقاماً يلبسونهُ ظاهر الحق. وكان في الدير راهب من الاخوة اسمهُ جناديوس قد تضايق من القوانين الرهبانيَّة التي كان الرئيس يحافظ عليها كثيرًا. فهذا أغراه جوسلين بالمال والوعود الحسنة فأخذ يتهم الاب يوحنا انهُ كان يتظاهر كذبًا ونفاقاً بالاصوام والصلوات. والاماتات ويعيش في السرّ عيشة شهوانيَّة فاسدة. ثم اتهمهُ بانهُ رئيس ظالم يعامل مرؤوسيه بالقساوة ولا يعرف الشفقة على الفقراء وغاية ما يهتمّ بهِ حشد الاموال توسيعاً لدائرة املاكه

٢) الدويهي ١٤١

وكان في وسع الاب يوحنا ان يريهم لمّتهُ البيضاء ويستشهد على حسن سيرته بجميع اخوانه الرهبان وسائر اهالي الناحية. وكان يستطيع ايضاً ان يُخجل الراهب جناديوس ببيان رذائله وعيوبه ويذكّره بالمساحات المتواترة التي تعطّف بها عليهِ ويطلب منهُ ان يدل على الاموال التي حشدها. وكان في الحقيقة قد انفقها كلها على الفقراء غير انهُ أبى ان يقول شيئاً من ذلك بل فضل السكوت والصمت تشبُّهاً بمعلمه الالهي لمّا وقف امام هيرودس. واخيرًا لمّا الحّ عليهِ قضاة الظلم ان يحتجّ عن نفسهِ قال هكذا :

اني قد اقترفت خطايا كثيرة ولكنني في الحقيقة لم آتِ شيئاً مما شكيت بهِ

فقال القضاة : أتقرّ اذًا بجريمتك وتعترف بعجزك عن رد التهم المنسوبة اليك ؟

— لا ازيد شيئاً على ما قلتهُ فافعلوا بي ما بدا لكم

وفي الحقيقة لم يكن ليجديهُ الدفاع نفعاً لانهُ لم يكن قادرًا على ان يُحضر الى تلك المحكمة الظالمة شهودًا يبرئونهُ لا الفقراء الذين اسعفهم بالسرّ ونشلهم من وهدة الحاجة ولا المرضى الذين شفاهم ولا الاموات الذين دفنهم ولا مرؤوسيهِ الرهبان الذين يعرفون طويته وتقواه وقداسته امام الله تعالى. وفضلاً عن ذلك فقد كان عارفاً بان قضاتهُ مصمّمون على الحكم عليهِ فمحاولة الدفاع عن نفسه عبارة عن اهتمامه بامر لا طائل تحته . اما تلك المحكمة فانها حكمت باتفاق الآراء بجريمته واسقاطه من مقام الرئاسة والقضاء عليهِ بالسجن المؤبد

وكان على مسافة ثلاث ساعات من شرقي قلعة مصياد مركز صولة الشيعة الاسماعيليّة كنيسة قديمة مشيدة على سطح الجبل. ولم يبقَ اليوم منها سوى حيطانها الخارجيّة مع قسم من الدهليز لان القبة قد انقضّت والعمد انقلبت فامتلأ من حطامها صحن الكنيسة حيث نبتت بعض اشجار من التين والدوالي البرّيّة والسنديان وغير ذلك

وكان على شمال الكنيسة سلسلة من البيوت الصغيرة بُنيت كلها على هندسة واحدة اي ان العتبات العليا مع الملابن كانت جميعها من حجر واحد وقد نقش على كل عتبة في ضمن دائرة رسم صليب. وكل بيت من هذه البيوت لا يدخلهُ الهواء ولا النور الّا من نافذة صغيرة في اعلاه ومجموع هذه الخرب يدعى دير الصُّلَيب (١. والحق يُقال انهُ

١) مجلة الشرق المسيحي ١٩٠٠

كان ديرًا او مجموعةً من القلالي يرتقي تاريخها الى العهد البيزنطي . امَّا الكنيسة التي كانت قائمةً في القرن الخامس عشر فانها كانت قد أُهملت قبل هذا التاريخ بزمان كما ان الرهبان لمَّا رأوا نفوسهم معرضين كل ساعة لغزوات البدو والشيعة الاسماعليَّة هجروا قلاليهم التي ما عادت تصلح بعدهم الَّا ملاجئ لرعاة الماشية وقت الامطار

فالى هذا المكان الذي تقدَّم وصفهُ نقل جوسلين الابَ يوحنا رئيس دير القديسة تقلا موقتًا ان لم يمت جوعًا لا بد ان يموت بايدي البدو وهكذا يخلص منهُ

واقام الاب يوحنا هناك اياماً عديدة لا يقتات بغير اثمار من التين يقطفها من الاشجار التي كان الرهبان القدماء قد غرسوها في دير الصُّلَيب . وكان من وقتٍ الى آخر يأتيه بعض الرعاة الذين في جيرة المحل برغيف من الخبز وكأس من اللبن لانهُ كان يشفق عليهِ اذ يراه شيخاً كبيرًا اصفر اللون ناحل الجسم . غير ان ذلك لم يكن يجري الَّا نادرًا لان جوسلين كان اوصى التركمان المقيمين في مزرعة الحمام القريبة من هناك ان يحافظوا على عدم مخالطة الشيخ المنفي لاحد . وقد قامو بما اوصاهم بهِ حق القيام ولولا اعتياد الاب يوحنا الاصوام الطويلة لكان مات جوعاً (ستأتي البقيَّة)

عيد البشارة

نبذة في قدم هذا العيد وبعض ما يلحق بهِ

لحضرة الاب الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش من مرسلي الكريم

لقد تفرَّد القديس لوقا بين الانجيليين بوضوح العبارة في كلامهِ على سرّ البشارة ولذا جزم المفسّرون بانهُ تلقَّى عن مريم البتول نفسها تفاصيل ظروف هذه المعجزة التي تفوق طور العقول . وليس من غرضنا الآن ان نأتي بشرحٍ وافٍ عمَّا يختصّ بهذه العقيدة بل جلُّ قصدنا من هذه المقالة ان نبحث تاريخيًا عن قدم هذا العيد في الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة ثم عن يوم الاحتفال بهِ والمكان الذي تمَّ فيهِ سرّ البشارة

١ قدم هذا العيد

ذهب البولنديُّون ووافقهم البابا بناديكتوس الرابع عشر على ان هذا العيد يرتقي الى ايَّام الرسل ولكن هذا القول ردَّهُ بعض من العلماء واستصعبوا الجزم بهِ لزعمهم ان

الكنيسة مكثت حقبةً طويلة في الاجيال الاولى تقتصر على الاحتفـال باعياد قليلة كعيد القيامة المجيد وعيد البنديكستي اي حلول الروح القدس. غير انهُ قد تقرَّر لدى العلماء الآن انَّ البشارة من اقدم الاعياد البيعيَّة. وما لا شُبهة فيـهِ انَّهُ كان يعمّ الكنيسة شرقًا وغربًا منذ اوائل الجيل الخامس بل سبق ذكرهُ قبل ذلك في تآليف الاباء. منهم القديس غريغوريوس العجائبي (١ الذي اشتهر في اواسط القرن الثـالث فانَّ في مجموع اعمالهِ ثلاث خطب عن بشارة الملاك للبتول نُسبت لهُ ولا شكَّ في انَّها قديمة جدًّا. ومنهم القديس بروكلس (٢ تلميذ يوحنا فم الذهب واحد خلفائه على كرسي القسطنطينيَّة ففي خطبتهِ الخامسة يتكلَّم باسهاب على بشارة الملاك للبتول. واستنتج العلماء انهُ فسَّر اقوال الانجيل على الشعب يوم عيد البشارة اذ صوَّب غرضه بنوع خاص الى هذا الموضوع وافتتح كلامه مصرحًا بان حفلة ذلك اليوم دعتـهُ الى الكلام في شانهِ

وممَّا يؤيد ايضًا ما تقدَّم خطبة باسيليوس السلوقي رئيس اساقفة السويدية (٣ فانهُ في الخطبة الـ ٣٩ من خطبهِ يتكلَّم عن بشارة الملاك لمريم ويثبت كونها امّ الله ولولا ضيق المجال لكنا نأتي بفقر مشبعة من خطب هؤلاء الافاضل

ثمَّ ان القديس افرام شماس الرُّها الذي ولد سنة ٣٢٠ وتوفي سنة ٣٨٩ قد الف ميمرًا على هيئة محاورة بين مريم والملاك. وهو مثبت في اخر صلوة الفرض الذي ترتلهُ كنيستنا المارونيَّة في تذكار هذا العيد ويفتتح الكلام (٤ بابتهال خاشع الى قوة الابن الذي حملهُ الحبّ على ان يحلَّ في حشا مريم طالبًا ان يهبه نطقًا وكلامًا وافيًا ليحسن الكلام

١) راجع أعمال الاباء اليونان لمين (المجلد ١٠ ص ١١٤٢–١١٧٣)

٢) ولد سنة ٣٩٠ وسُقّف على قسطنطينية سنة ٤٣٤ وتوفي سنة ٤٤٦ وقد جُمعت خطبهُ في مجموع اعمال الآباء اليونان وهي تبلغ ٢٢ خطبة (راجع المجلد ٣٥ لمين ص ٣٤٢)

٣) ارتقى الاسقفيـة سنة ٤٤٠ وحضر مجمع قسطنطينية سنة ٤٤٨ ورذل مع الآباء تعليم اوطيخا. غير انهُ في السنة التالية لمَّا حضر مجمع افسس اللصّي حكم بتنزيل فلافيانوس خوفًا من ديوسقوروس. ولمَّا التأم المجمع الخلقيدوني انطرح على اقدام الآباء طالبًا المغفرة عن زلتهِ فقبلهُ الآباء في شركة الكنيسة وتوفي شيخًا على ما يُظن سنة ٤٥٨ ويُنسب لهذا الاسقف ما عدا خطبهُ ترجمة القديسة تقلا اولى الشهيدات

٤) ܫܘܒܚܐ ܠܚܝܠܐ ܕܚܒܐ ܓܪܗ ܠܥܘܒܐ ܕܒܬܘܠܬܐ ܕܢܬܠ ܡܠܬܐ ܘܡܡܠܠܐ ܕܢܡܠܠ ܥܠܘܗܝ

في هذا الموضوع ثم يصف امرِ الاب للابن كي ينحدر لخلاص جبلتهِ ثم أمره لجبرائيل بان يذهب لبشارة مريم . ثم يتفنَّن بفصاحتهِ المعتادة في تاليف المحاورة بين البتول والملاك وبعد الجدال وتسليم البتول بقولها « انا امة الرب » : يقول الملاك : ارفعي رأسك ايتها البتول وليطرب جنانكِ فرحًا ايتها العذراء لان بكِ السماء تنفتح والارض بابنكِ تنتعش (١ . ثمَّ تعود البتول الى الجدال مع الملاك عن سبب تفضيلهِ اياها على غيرها مع ان العالم مملوٌ من بنات الملوك الى غير ذلك من المعاني الجليلة والتصوُّرات الخاشعة.
وقد ضمَّن اكثر هذه التصوُّرات السعيد الاثر البطريرك يوسف اسطفان في رتبة الميلاد التي ألَّفها بطريقة مسهبة واختصرها المطران نقولا مراد عندما طبع كتب رتبنا في رومية. وقد وقعت تحت يدي النسخة الاصلية بخط المؤلف من مدة قصيرة. فاذا بها تختلف عن الرتبة المطبوعة فانهُ يورد بين كل طلبة قطعة من ميامر القديس افرام نهمل ترتيلها الآن . وقد جاء ايضًا ذكر هذا العيد في تآليف بعض الآباء كالقديس اثناسيوس الاسكندري والقديس يوحنا فم الذهب والقديس كيرلُّس الاسكندري وغيرهم ممَّن يطول بنا ذكرهم . ولكلهم خطب وميامر تدل على قدم الاحتفال بهذا العيد الشريف وانهُ ان لم يرتقِ الى عهد الرسل فهو بلا مشاحَّة قريبٌ الى زمانهم

٢ في يوم حفلة هذا العيد

هلمَّ بنا الآن نبحث عن مسألة أُخرى في صدد عيد البشارة اعني يوم حفلة هذا العيد. وبديهيٌّ انَّ الكنيسة جمعاء تحدّد ذكرهُ اليوم في ٢٥ آذار . فهل يا ترى لذلك سبب او هو مجرَّد اصطلاح اتفقت عليهِ الكنيسة ؟
جوابنا ان بين هذا العيد وعيد ميلاد الرب علاقةً واضحة فانَّ يوم ميلاد المسيح واقع كما لا يخفى في ٢٥ كانون الاول فترتَّب وقوع عيد البشارة في ٢٥ آذار ليكون بين العيدين تسعة اشهر وهو الوقت اللازم ليتمَّ حمل البتول بابن الله الكلمة قبل ان تلدهُ . وان قيل وهل من ادلَّة على انّ المسيح لذكرهِ السجود وُلد في ٢٥ كانون الاوَّل اجبنا انّ للكنيسة في ذلك تقليدًا متواترًا يتصل بعهد الرسل كما بيَّنهُ المشرق (١ : ٣٣٣) في ردّهِ على الهلال فلا حاجة الى التكرار

---

١) ܪܘܡܝ ܪܫܟܝ ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ ܘܚܕܝ ܠܒܟܝ ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ ܫܡܝܐ ܕܒܟܝ ܗܘ ܐܬܦܬܚ ܘܐܪܥܐ ܒܒܪܟܝ ܡܬܢܝܚܐ

على أننا نجد في الآثار البيعيَّة شواهد صريحة على احتفال الكنيسة بعيد البشارة في ٢٥ آذار منها التقاويم الكنسيَّة القديمة في الطوائف الشرقيَّة والغربيَّة · ومنها نصوص بيّنة وردت في التاريخ القديم وفي اعمال الآباء.

قال القديس اوغسطينوس في الفصل الخامس من كتابهِ الرابع في الثالوث وناهيك بقولهِ من شاهد جليل:

« انهُ لامرٌ ثبتٌ بأنَّ المسيح حُبِل بهِ في ٢٥ آذار كما تروي الكنيسة ذلك مستندةً الى شهادة الاقدمين (١ »

وقد جاء مثل هذا القول في خطبة القديس غريغوريوس الكبير الحبر الروماني في عظتهِ عن بشارة البتول. وكذا ورد في الكرونيكون الاسكندري قال: « وفي ٢٥ آذار على حسب تاريخ الرومان تعيّد الكنيسة الكاثوليكية الرسولية وفقًا لتقليد الآباء عيدَ بشارة الملاك الى العذراء الطاهرة والدة الله » (٢

ويؤيد ايضًا ذلك انَّ ميلاد يوحنا المعمدان واقع في ٢٤ حزيران وفقًا لتقليد شائع في كل الكنائس فيكون بينهُ و بين عيد البشارة ثلاثة اشهر ويصحُ بذلك قول الملاك للعذراء مريم (لوقا ١ : ٣٦) عن حبل اليصابات: « وهذا الشهر السادس لتلك المدعوَّة عاقرًا »

٣ ذكر المكان الذي تمَّ فيهِ سرّ البشارة

بقي الآن ان نبحث عن المكان الذي قبلت فيهِ البتول البشارة ونشفع ذلك بلمحة تاريخيَّة عن بيت الناصرة. ان قول لوقا الانجيلي يدلُّ صريحًا بان مريم كانت مخطوبة لرجل اسمهُ يوسف وان الملاك أُرسل الى الناصرة · غير ان قول الانجيلي « الى الناصرة » لا يفي بالمقصود تامًا فالبعض يذهبون الى ان الملاك حيَّا البتول اولًا بالقرب من عين ماء حيث كانت تستقي وانهُ لم يبشرها بالحبل الّا بعد رجوعها الى منزلها وقد بنى الروم كنيسة على اسم الملاك جبرائيل عند العين المذكورة ولكن ليس دليلٌ

١) Christus sicut a majoribus suscipiens Ecclesiæ custodit auctoritas, octavo kalendas Aprilis conceptus creditur (l. IV *de Trinitate* c. 5)

٢) الّا ان المجمع الطليطلي في اسبانية امر سنة ٦٥٧ باقامة هذا العيد في ١٨ كانون الأول خلافًا لبقية الكنائس. وكان سبب نقلهِ لهذا اليوم انَّ عيد البشارة كثيرًا ما يقع في الصوم وربما وقع في جمعة الآلام فلا يمكن الاحتفال بهِ كما يليق

راهن على صحة هذا التقليد وكلام الانجيلي لا يشعر مطلقاً بانهُ حيَّاها خارجاً عن منزلها بل جاء في آية لوقا (١ : ٣٨) : فلمَّا دخل اليها الملاك . والتقليد الراهن الآن بعد الاكتشافات التي اجراهــا الفرنسيسكان في بستانهم من بضع سنوات ان محل منزل البتول هو داخل ديرهم . ولافادة القرَّاء نلخص عن معجم الخوري مين « في الزيارات المقدسة » تاريخ المنزل المقدس وما جرى عليــهِ من الحوادث الى تاريخ نقلهِ باعجوبة الى دلماثيا ومنها الى لوراتّا حيث هو الآن . وملافاةً لضجر المطــالع نكتفي ببعض الافادات ونحيل القرَّاء الى مروج الاخبار وفيهِ كلامٌ مُسهبٌ بشأن شهادة علماء الآثار في ذلك العصر الذين أُرسلوا الى الناصرة لتحقيق الاعجوبة

نقول انهُ في السنة ٧١ للتاريخ المسيحي اجتــاح الرومانيُّون اليهوديَّة واستسلموا للنهب والقتل فاصبحت اليهوديَّة ميدان حرب سالت فيهِ الدماء انجراً واصاب مدينة الناصرة مصاب غيرهــا من المدن فاصبحت خربةً حقيرة كما شهد القديس ايرونيموس وهو شاهد عياني . غير انَّ المؤمنين ما زالوا يعرفون الاماكن التي تمت فيها اسرار فدائنا ويكرمونها بالزيارات المتواصلة . فلمَّا ان هدأ الاضطهاد وظهر قسطنطين شيَّدت امه القديسة هيلانة الكنائس في الاماكن المقدسة ولم تهمل الناصرة فبنت فيها هيكلاً عظيماً وحفظت داخله منزل البتول واتبعت في بنائهِ الهندسة التي اتخذتها في بناء كنيسة القبر المقدس . وقد شهدت الاكتشافات التي جرت في المحل المذكور في الجيل ال ١٧ لما اراد الآباء الفرنسيسكان بناء هيكل جديد واكتشافاتهم التي أجروها مؤخرًا ان الاطلال هي من هندسة الجيــل الرابع (اي من العهد الذي شيدت فيهِ القديسة هيلانة هذا المعبد) وممَّا يؤيد هذا القول انهُ من الجيل الرابع وبقي الى سنة ١٢٦٣ التي خرب فيها هذا البناء سلسلةٌ غير منفصلة من التقليد حفظها لنا الزوار المشهورون الذين زاروا هذا المكان حسب تاريخ ازمنتهم وكلهم بمنزلة سحابة من الشهود يشهدون لما نحن في صدده

ففي الجيل الخامس القديستان بولا واستاكيا المشهورتان الوارد ذكرهما مرارًا في كتابات القديس ايرونيموس . وفي الجيل السادس انطون دي پليزَنس المعروف بالشهيد يظهر الدهشة من جمال وعظمة هندسة البناء . وفي الجيل السابع اركولف (Arculfe). وفي الجيل الثامن يوحنا الدمشقي . وفي الجيل نفسهِ يخبرنا القديس ولبالد (Willibald)

ان الاعداء تهددوا بهدمهِ وان المسيحيين دفعوا لهم مبلغاً فعدلوا عن مقصدهم . وفي الجيل التاسع يوحنا كاليبيت (Calybite) . وفي الجيل ال ١٢ يوحنا فوكاس ثمَّ تنكراد . ولما ان حاصر الافرنج اورشليم كان البناء قائماً فاصابه النهب ولم يُنقَض بل زاد الافرنج في رونق بهائهِ كما يشاهد الآن من الاثار الباقية في ساحة دير الاباء الفرنسيسكان . وفي الجيل ال ١٣ القديس فرنسيس الاسيزي والكردينال يعقوب دي ڤيتري (Vitry) بطريرك اورشليم الذي احتفل باقامة الذبيحة هناك يوم عيد البشارة سنة ١٢٢٨ وقال فوقاس ما ملخصه : « وفي الناصرة المنزل الذي قبلت مريم فيهِ البشارة » . وقال الكردينال : « انهُ احتفل مرارًا باقامة الذبيحة في البيت حيث بشر الملاك مريم » ومن هذه العبارة يُفترَض وجود البيت داخل الكنيسة على مثال ما توضع ذخيرة ثمينة داخل صندوق

وسنة ١٢٥١ زار هذا المعبد القديس لويس ملك فرنسة وتقرب هناك يوم عيد البشارة (١ وبعد عشر سنوات اي سنة ١٢٦٣ هدم هذه الكنيسة الشهيرة ملك من دولة المماليك في مصر . اماً البيت المقدس فنُقل باعجوبة باهرة الى دلماثيا سنة ١٢٩١ وتاريخ الانتقال مع ما جرى من الدقة في البحث عن صحة الاعجوبة قد دوَّنهُ صاحبهُ في مروج الاخيار في العاشر من كانون الاول

ونكتفي بايراد شهادة رجل شرقي عُرف بقداسة السيرة والصدق ذكرهُ المؤرخ مرتوريللي وهو جرجس بنيامين الماروني اسقف اهدن الذي تنزَّل عن الاسقفيَّة ودخل اليسوعية سنة ١٧١٤ . فهذا الحبر شهد انهُ لما كان بعد اسقفاً زار مرارًا الناصرة ومكان المنزل المقدس وانهُ في ٣٠ ايلول سنة ١٧٣١ زار معبد لوراتا وشاهد الحجارة فوجد ان هيئتها وطبيعة تركيبها ونوعها يتفق اتفاقاً تاماً من كل الاوجه مع الحجارة التي رآها بعينهِ في الناصرة . واقسم يميناً على ما قرَّر وامضى بخط يدهِ شهادة على صحة اقرارهِ في ٣١ ايلول سنة ١٧٣١

كفى بما اوردناه برهاناً على قدم العبادة لمريم البتول والاحتفال باعيادها وحكمة الكنيسة وترويها في اثبات المعجزات بعد البحث الدقيق كما يظهر جليًا لمن طالع مروج الاخيار ويظهر من ثمَّ ان عبادة مريم البتول نشأت مع الكنيسة ولا تزال حيَّةً معها .

١) راجع تاريخ فرنسة للعلّامة دانيال

كانت في الكنيسة في ظلمات الدياميس كما يرى في معبد القديسة بريشلّا من التماثيل الدالّة على قدم تكريمها وظهرت للملا بعد ان خرجت الكنيسة منتصرةً على اعدائها وستثبت مع الكنيسة مدى الدهر

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ١٤)

الفصل الرابع (١

في وضع مطلق الحروف

قيل انّ اوّل من وضع الخطوط والكتب كلّها آدم (عم) كتبها في طينٍ وطبخهُ (٢ وذلك قبل موتهِ بثلثمائة سنة . . . وقيل اخنوخ وهو ادريس (عم) . وقيل انها أُنزلت على آدم في احدى وعشرين صفيحة . وقضيَّة هذه المقالة انَّها توقيفيَّة علَّمها الله تعالى بالوحي . والمقالتان الأُوليان محتملتان لأن تكون توقيفيَّة وان تكون اصطلاحيَّة وضعها آدم او ادريس (عم) على انهُ يُحتمل ان يكون بعض ذلك توقيفي علَّمهُ الله تعالى بالوحي وبعضهُ اصطلاحي وضعهُ البشر واحدًا وجماعةً فيصير الخلاف فيهِ كالخلاف في اللغة هل هي توقيفيَّة او اصطلاحيَّة على ما هو مقرَّر في علم الاحوال والله سبحانهُ وتعالى اعلم

الفصل الخامس

في وضع الحروف العربيَّة

. . . جاء عن ابن عبَّاس (رض) انَّ اوَّل من وضع الحروف العربيَّة ثلاثة رجال من بَولان قبيلة من طيّ نزلوا مدينة الأنبار . وهم مُرار بن مرَّة واسلم بن سدره وعامر

١) فضّلنا ان نقسم هذه النخبة الى فصولٍ ليسهل على القارئ مراجعتها . امَّا في « كتاب صبح الاعشى » فللتقاسيم اسماء عديدة كالجمل والطرف والمسالك والاصول والفصول وغير ذلك ممَّا يضيع فيهِ القارئ

٢) الكتابة على الآجرّ كانت شائعة في بلاد بابل واشّور . وقد اكتشف منها المحدثون عددًا لا يحصى منها ما يرتقي عهدهُ الى نحو ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح

ابن حدرة (١ اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطَّعة وموصولة ثمّ قاسوها على هجاء السريانيَّة. فامَّا مرار فوضع الصُّور. وامَّا أسلم ففصل ووصل. وامَّا عامر فوضع الإعجام. ثمَّ نُقل هذا العلم الى مكّة وتعلّمهُ من تعلّمهُ وكثُر في النـاس وتداولوهُ. ونقل الجوهريّ عن شرقيّ بن القُطـاميّ انَّ اول من وضعهُ رجال من طيّ منهم مرار بن مرّة وانشد عليهِ:

تعلَّمتُ باجاد وآل مرامر ٢) وسوَّدتُ اثوابي ولستُ بكاتبِ

قال الجوهريّ: وانَّما قال «آل مرامر» لأنَّهُ كان قد سمَّى كلّ واحدٍ من اولادهِ بكلمة من ابي جاد (يريد الحروف الابجديّة) وهم ثمانية. وذكر غيرهُ نحوهُ فقـال: «اوَّل من اخترعهُ والَّف حروفهُ ستَّة اشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن ادَد وكانت اسماؤهم ابجـد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت (٣ فوضعوا الكتابة والخطّ على اسمائهم فلمَّا وجدوا في الالفاظ حروفاً ليست في اسمائهم ألحقوها بهـا وسمَّوها الروادف وهي الثاء المثلَّثة والخاء والذال والظاء والغين والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجمَّل. ثمَّ انتقل عنهم الى الانبار واتصل باهل الحيرة وفشا في العرب ولم ينتشر كلّ الانتشار الى ان كان المبعث». وعن هشام بن محمد عن ابيهِ قال: اخبرني قومٌ من علماء مصر انَّ اوَّل من كتب الكتاب العربيّ رجل من بني النضر بن كنانة فكتبتهُ العرب حينئذٍ. وقضيَّة هذه المقالات انَّها اصطلاحيَّة..

ثمَّ اول ما ظهرت الكتابة العربيَّة بمكّة من قِبَل حرب بن اميَّة... قيل لابن عبَّاس: من اين تعلَّمتم الهجاء والكتاب والشكل. قال: علَّمناهُ حربُ بن اميَّة. قيل:

١) وردت هذه الاسماء الثلاثة في كتب العرب على هيئات مختلفة. قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص٢٢٣): «علَّم (بشر بن عبد الملك اخو أُكَيدر صاحب دومة الجندل) خطَّنا هذا اهل الانبار وكان اسمهُ الجَزم وتعلَّمهُ من مُرامر بن مرَّة واسلم بن جَزَرة». وجاء في ذيل الكتاب «قال الشرقيّ بن القطاميّ اول من كتب بخطّنا هذا سلمة بن جَدَرة قالهُ الامير». وروى ايضاً: «عامر بن جدَرة». وجاء في كتاب اللمعة في علم الخط للمفتي (من مخطوطات مكتبتنا الشرقية ص١٠): «انَّ اوّل من وضع الحروف العربيَّة ثلاثة رجال من يولان (كذا والصواب بَولان) نزلوا مدينة الانبار وهم مراد (كذا) بن مرَّة واسلم بن سدرة وعالم (كذا) بن حدرة»

٢) كذا. وفي صحاح الجوهري (طبعة بولاق) رُوي: آل مرامر. ونظنُّهُ الصواب

٣) ليس هذا القول ثبتاً فانَّ حروف المعجم العربيَّة مأخوذة من لغات أُخر ساميَّة سبقتها. ونجد هذه الحروف في الفينيقيَّة والعبرانيَّة والكلدانيَّة القديمة والسريانيَّة الخ

ومن اين عَلِمهُ حرب بن اميَّة . قال : طارئ طرأ علينا من اليمن . قيل : من اين علمهُ ذلك الطارئ . قال : كانت بالوحي لهود (عم)

وذكر ابو عمرو الداني في كتاب التنبيه على النقط والشكل نحوهُ . وقيل اوَّل ما ظهرت الكتابة باليمن من قِبَل ابي سفيان بن اميَّة عمّ ابي سفيان بن حرب . واتتهُ من قِبل رجل من اهل الحيرة . قال اهل الحيرة : اخذناها من اهل الانبار . وقال ابو بكر بن ابي دؤاد عن عليّ بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلَّم بشر بن عبد الملك الكتابة من اهل الانبار وخرج الى مكّة وتزوَّج الصهباء (١ بنت حرب . وقيل انَّهُ لمَّا تعلَّم ابو سفيان بن حرب الخطّ من ابيهِ تعلَّمهُ عمر بن الخطاب (رض) وجماعة من قريش وتعلَّمهُ معاوية بن ابي سفيان من عمهِ سفيان

امَّا الاوس والخزرج فقد روى الواقدي بسندهِ الى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربيَّة قليلًا في الاوس والخزرج وكان يهوديّ من يهود ماسكة (٢ قد علمهُ فكان يعلّمهُ الصبيان فجاء الاسلام وفيهِ بضعة عشر يكتبون . منهم سعيد بن زُرارة والمنذر بن عمرو وأُبيّ بن كعب ومعن بن عديّ وابو عبس بن كبير واوس بن خولي وبشير بن سعد . قال صاحب الابحاث الجميلة في شرح العقيلة : والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنهُ استُنبطت الاقلام التي هي الآن (٣ . وقد ذكر ابن الحسين في كتابهِ في قلم الثلث انَّ الخط الكوفي فيهِ عدَّة اقلام مرجعها الى اصلين هما التقوير والبسط . (فالمقوَّر) هو المعبَّر عنهُ الآن باللين وهو الذي تكون عراقاتهُ (كذا) وما في معناها منخسفة منحطَّة الى اسفل كالثلث والرقاع ونحوها . (والمبسوط) هو المعبَّر عنهُ الآن باليابس وهو ما لا انخساف ولا انحطاط فيهِ كالمحقَّق . وعلى ترتيب هذين الاصلين الاقلام الموجودة الآن . ثمَّ قد ذكر صاحب اعانة المنشئ انَّ اول ما نُقل الخط العربي من الكوفيّ الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن في اواخر خلافة بني أُميَّة واوائل خلافة بني عبَّاس

١) وروى ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٣) : الصُّهَيا . وورد في ذيل الكتاب : انها الصُفيًا بنت الحارث بن حرب وانَّ امها صفيَّة

٢) نظنّ الصواب « ماسحة » من بطون الازد

٣) وقد وجد العلماء في زماننا خطوطاً عربيَّة سبقت الخط الكوفي . ولعلنا نعود الى هذا المبحث الجليل

قلتُ على انَّ كثيرًا من كتَّاب زماننا يزعمون انَّ الوزير ابا عليّ بن مُقلة هو اوَّل من ابتدع ذلك وهو غلط . فانّا نجد من الكتب بخطّ الاوَّلين فيما قبل المئتين ما ليس على صورة الكوفيّ بل يتغيَّر عنهُ نحو هذه الاوضاع المستقرَّة وان كان هو الى الكوفي أميل لقربهِ من نقلهِ عنهُ . قال ابو جعفر النحَّاس في صناعة الكتَّاب : يقال انَّ جودة الخطّ انتهت الى رجلين من اهل الشام يقال لهما الضحَّاك واسحاق بن حمَّاد وكانا يخطَّان الجليل (وكانهُ يريد الطومار او قريبًا منهُ) . قال صاحب اعانة المنشئ : وكان الضحَّاك في خلافة السفَّاح اوَّل خلفاء بني العبَّاس واسحاق بن حمَّاد في خلافة المنصور والمهديّ . قال النحَّاس : ثمَّ اخذ ابراهيم (يعني الشجري) عن اسحاق بن حمَّاد الجليل واخترع منهُ قلمًا اخفّ منهُ سمَّاهُ قلم الثُلُثَين وكان اخطَّ اهل دهرهِ بهِ . ثم اخترع من قلم الثلثين قلمًا سمَّاه قلم الثُلُث . قال صاحب الابحاث الجميلة : واخذ يوسف اخو ابراهيم الشجري القلم الجليل عن اسحاق ايضًا واخترع منهُ قلمًا ارقّ منهُ وكتبهُ كتابة حسنة فأعجب بهِ ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون وامر ان تُحرَّر الكتب السلطانية بهِ ولا يُكتب بغيرهِ وسمَّاه قلم الرئاسيّ . قال بعض المتأخرين : واظنهُ قلم التوقيعات . قال النحَّاس : ثمَّ اخذ الاحولُ عن ابراهيم الشجريّ الثُلُثين والثلث واخترع منهما قلمًا سمَّاهُ قلمَ النِصْف . وقلمًا اخفّ من الثلث سمَّاه خفيف الثلث . وقلمًا متَّصل الحروف ليس فيهِ شيء ينفصل عن غيرهِ سمَّاه المسلسَل . وقلمًا سمَّاه غبار الحَلْبَة وقلمًا سمَّاهُ خطّ المؤامرات . وقلمًا سمَّاه خطّ القصص . وقلمًا مقصوعًا سمَّاه الحوائجي . (قال) وكان خطُّهُ يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان وكان عجيب البري للقلم . وكان وجه النعجة (كذا) مقدَّمًا في الجليل . (قال) وكان محمد بن معدان (يعني المعروف بابي زَرْجان) مقدَّمًا في خطّ النِصف . وكان قلمهُ مستوي السِنَّين . وكان يشق الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف ويعطف مثل ياء ويصل (كذا) وكل ياء من يساره الى يمينهِ بعرض النصف لا يُرى فيهِ اضطراب . وكان احمد بن محمَّد بن حفص المعروف بزاقف اجلّ الكتَّاب خطًّا بالثلث وكان ابن الزيَّات في ايَّام ابن طولون وزير المعتصم يعجبهُ خطهُ ولا يكتب بين يديهِ غيرهُ . وانتهت رئاسة الخطّ بمصر الى طبطب المحرِّر جودةً و إحكامًا . قال النحَّاس : وكان اهل مدينة السلام يحسدون اهل مصر على

طبطب وابن عَبْدَكان يعني كاتب الانشاء لابن طولون ويقولون: بمصر كاتب ومحرّر ليس لامير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما .

قلتُ ثمَّ انتهت جودة الخطّ وتحريره على راس الثلثمائة الى الوزير ابي علي محمد ابن مقلة واخيه ابي عبد الله قال صاحب اعانة المنشئ: وولّدا طريقة اختراعها وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربوهما وتفرَّد ابو عبد الله بالنسخ والوزير ابو علي بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف واجاد تحريرها وعنهُ انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها ولله درّ القائل:

سبق الدمعُ في المسير المطايا اذ روى من احبّ عنهُ بقلّهْ
واجاد السطور في صفحة الخـــدّ ولم لا يجيد وهو ابن مُقلهْ

وقال الآخر: تسلسل دمعي فوق خدّيَ اسطرا ولا عجبٌ من ذاك وهو ابن مقلهِ

ثمَّ اخذ عن ابن مقلة محمد بن السمساني ومحمد بن اسد وعنهما اخذ الاستاذ ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب وهو الذي اكمل قواعد الخطّ وتممها واخترع غالب الاقلام التي اسسها ابن مقلة ولمَّا مات رثاه بعضهم بقولهِ:

واستشعر الكتَّابُ فقدك سالفًا فجرت بصحَّة ذلك الايَّامُ
فلذاك سوَّدت الدويُّ وجوهها اسفًا عليك وشُقَّت الاقلامُ

وممَّن اخذ عنهُ محمد بن عبد الملك واخذت الشيخة المحدّثة الكاتبة زينب الملقَّبة بشهدة ابنة الابرى. وعنها اخذ امين الدين ياقوت. وعنهُ اخذ الوالي وعن محمَّد بن عبد الملك الجمعي وعليـــهِ كتب العفيف وعن العفيف اخذ ولده الشيخ عماد الدين. ويقال انهُ كان كابن البواب في زمانهِ. وعن الشيخ عماد الدين بن العفيف اخذ الشيخ شمس الدين بن ابي رقيبـــة محتسب الفسطاط وهو ممَّن عاصرناهُ. واخذ عنهُ شيخنا شمس الدين محمد بن علي الزفاوي المكتب بالفسطاط (؟) وصنف مختصرًا في قلم الثلث مع قواعد ضمهـــا عليهِ في صنعة الكتابة احسن فيهِ الصنيع وبهِ تخرَّج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري محتسب مصر ونظم الفية وسمها بالعناية الربَّانية في الطريقة الشعبانيَّة لم يُسبَق الى مثلها ثم توجه بعــد ذلك الى مكة ثم الى اليمن والهند ثم عاد الى مكة فاقام بها ونبغ. قلت وقد عُلم ممَّا تقدَّم ذكرهُ ان القاب الاقلام من الثلثين والنصف والثلث وخفيف الثلث والمسلسل والغبار قديمة وان وقع في اذهان كثير من الناس انها من مخترعات ابن مقلة وابن البواب فمن بعدهما (ستأتي البقيَّة)

شذرات

الملاحة في المستقبل قال البشير: انَّ عبور البحر الاتلانتيكي في اربعة ايام اصبح في افتتاح القرن العشرين موضوع الامل عند ذوي الخبرة في البنايات البحريَّة واصحاب شركات البواخر التي تسافر ما بين اوربة واميركة

امَّا فريق المتفائلين فيقولون بانهُ من الامور الممكنة ولكنهُ يستلزم تغييرًا مهمًّا في البنايات البحريَّة مثال ذلك ان الباخرة « دوتشلاند » البالغة سرعتها ٢٣ عقدة اذا اردنا ايصال سرعتها الى ٣٠ عقدة يجب ان نودعها قوة محركة تعادل ٨٣ الف حصان مع ان قوتها الحالية هي ٢٣ الف حصان لا غير

وقد حسبوا ان اقامة مثل هذه الآلات الضخمة وتجهيزها بحاجاتها من الفحم يقتضي باخرة عظيمة لا يقل طولها عن ٩٣٠ قدمًا ومحمولها عن ٤٠ الف طن ونفقتها من الفحم كل يوم عن قيمة مائة الف فرنك. فاذا تيسر للناس يومًا ان يحلُّوا هذه المعضلة امكن الراكب ان يسافر من ليفربول يوم الاربعاء من سبَّة الآلام فيصل الى نيويرك يوم عيد الفصح

قوَّة الباخرة دوتشلاند انَّ الادوات البخاريَّة التي في هذه السفينة كافية لترفع في ١٤ دقيقة من الزمن برج ايفل الى ٣٠٠ متر في الفضاء

تحسين الفونوغراف لم ينسَ القرَّاء ما كتبهُ المشرق (٢: ١٠٨٣) في الفونوغراف: وممَّا ورد هناك انَّ للفونوغراف خُنَّة كريهة يسعى العلماء في إزالتها. وقد افادتنا المجلاَّت العلميَّة آخرًا ان المسيو پَتْرِه (Pattré) واخوتهُ تمكَّنوا من وضع آلة تمثّل الاصوات البشريَّة من نطق وغناء ومعازف لا يشكُّ من يسمعها انَّها هي الاصليَّة تمامًا. وفونوغرافهم مبنيٌّ على المبادئ التي شرحناها الَّا انَّ الادوات التي يتركب منها اتمُّ صنعًا وادقُّ احكامًا لاسيا حاجز البلّور المدوِّن للصوت فانهُ آيةٌ في بابهِ اصطنعهُ اصحابهُ بعد الحسابات النظريَّة المدقَّقة والاختبارات العديدة وهكذا حُلَّ هذا المشكل الذي كان يصدُّ كثيرين من استعمال الفونوغراف لتدوين الاصوات. ومن خواصّ الحاجز المذكور انهُ يمكن تركيبهُ مع ايّ آلة فونوغرافيَّة كانت فيحسّنها

قوس طيبار يوس قيصر هذا القوس كان من ابدع بنايات

رومية القديمة امر طيباريوس بتشييدهِ ذكرًا لانتصار جرمانيكوس ربيبهِ على الجرمانيين. وكان الدهر قد اخنى على هذا البناء فدرس آثارهُ. وقد اكتشف بقاياهُ في اوائل هذه السنة مديرو العاديّات في رومية. والعلماء يبنون على هـذا الاكتشاف آمالًا طيّبة لمعرفة أحياء رومية في ايّام القياصرة الاوّلين لانّ هذا القوس كان قائمًا في احدى مراكز المدينة

الحبر الاعظم والفنون — ألّف تحت هـذا العنوان احد علماء الفرنسيس اسمهُ بويّه داجان (Boyer d'Agen) كتابًا ذكر فيهِ ما للحبر الاعظم لاون الثالث عشر من الفضل في تعزيز الفنون كالنقش والتصوير. ووصف خصوصًا ترميمهُ لمعاهد بورجيا الشهيرة التي موقعها في الواتيكان وكانت هذه المعاهد في اواخر القرن الخامس عشر معدودةً كاحدى عجائب رومية لما فيها من الطرائف البديعة التي قام بعملها پيروجين بيتّو (Pérugin Betto) احد ائمة المصوّرين قبل رافائيل استدعاهُ البابا اسكندر السادس فقام بهذا العمل احسن قيام في مدّة ١٣ سنة وخلد اسمهُ بهذا الاثر الجليل. الّا انّ هذه المعاهد كانت أُهملت منذ ثلاثة اجيال وبارت محاسنها الى ان جدَّدها الحبر الاعظم الحالي على اتمّ ما يُرام من الهندام فعادت اليوم الى بهائها القديم يتقاطر الناس الى زيارتها ويثنون على همّة ذلك الشيخ الجليل الذي لا يفوتهُ شيء من الامور الشريفة

المقتطف والجغرافية — قد احسن المقتطف اذ وصف في مقالتهِ المُعنونة ضرر المطابع (ك ٢ ١٩٠١ ص ٥٢) ما ينجم من المضارّ بطبع بعض الكتب القديمة او تعريب التآليف الاجنبيَّة دون ان يشار الى ما فيها من السخائف والاغلاط (وقد استثنى الكاتب اليسوعيين من هذا الحكمِ فنشكرهُ على ثنائهِ). وكنّا وددنا لو ابتدأ المقتطف وكحل عينيهِ بهذا الدواء في مقالةٍ أُخرى ادرجها في العدد ذاتهِ (ص ٤١) عنوانها «الجغرافية عند المغاربة». وما هذه النبذة سوى تعريب مقالة افرنسيَّة قديمة غير مستوفية فانّ المعرّب لم يجتزئ بانهُ دوّن اغلاطها بل اضاف عليها اغلاطًا جديدة. فمن ذلك انّهُ روى اعلام كثيرٍ من المشاهير على صورة يُرثى لها. واوّلها «كورتامبر الشهير» (ص ٤١) الذي حاول تعريبهُ وهو يريد كورتَنبر (Cortambert). وان راجعت الصفحة ٤٤ وجدت من ذلك عجائب فانهُ مسخ اسم بنيامين التودلي

(B. de Tudela) « بنيامين الطليطلي » . ورُويسبروك (Ruisbroeck) « برو بريكس » وبرَيتنباخ (Breitenbach) « بِبريدنباش » وبُردينونه (Pordenone) « ببورتنو » . وبُلدِنساله (Boldensele) « ببالدنسان . كما انَّهُ صحَّف اسماء البلدان فجعل (ص ٤٥) بلاد القبجاق « كابتشاك » والوادي الكبير « كاد الكفير » (ص ٤١) وهو من غرائب النقل أنسى تعريب « صلاح الدين » « بسلادينوس » . وكذلك جنوة عرَّبها (ص ٤٤) « جين »

امَّا الاغلاط الوضعيَّـــة فعديدة ايضاً نكتفي بذكر ما كتبهُ (ص ٤٢) عن « دليل انطونين المنسوب للامبراطور المعروف بهـــذا الاسم » مع انَّ انطونين صاحب الدليل عاش ٤٠٠ سنة بعد انطونين الامبراطور . وزد على ذلك ان كاتب هذه المقالة اهمـــل اشياء كثيرة جديرة بالاعتبار كفسفياء مادبا المكتشفة حديثاً وهي تنبئ بفوائد جغرافية عديدة . وكذلك لا ترى صاحب هـــذه المقالة يذكر من جغرافيي العرب غير الشريف الادريسيّ وقـــد سبق الادريسي قومٌ من المشاهير كياقوت والهمذاني وابن خرداذبه واليعقوبيّ وابن الفقيه والمسعودي والدمشقي وغيرهم لا يسع مجلةً علميَّة مثل المقتطف ان تجهلهم او تضرب عنهم صفحاً

معنى عَقر قوف في اثناء بحثي عن آثار عقرقوف كنتُ قد نقَّبتُ عن معنى هذه اللفظة ثمَّ سألتُ جماعةً معدودة من مشاهير علماء العاديَّات غير اني لم أفز بشيءٍ راهن يُعبأ بهِ او يُنزَّل منزلةً جديرة بالذكر والاعتبار . هذا وقد رأيت صاحب مراصـــد الاطلاع يقول (راجع المشرق ٣ : ٨٦٧) : « عقرقوف وهو « عقر » أُضيف الى « قوف » فصار مركَّباً » كانهُ يريد بذلك قَصْر الرجل المعروف باسم قوف . لان معنى عقر بالعربيَّة القصر او المتهدّم منهُ وهو يناسب حالة هذا البناء . امَّا قوف فلم يسمع بهِ اذ لم نجد في مطاوي تنقيرنا ملكاً او رجلاً عظيماً تسمَّى بهـــذا الاسم . ولعلَّ الزمان يكشف لنا ذلك في المستقبل

امَّا الآن فيسوغ لنا في هذه التضاعيف ان نتبع رأياً آخر فقد ذكر لي حضرة القس جبرائيل قرياقوزة في مباحثة جرت بيني وبينهُ ان عقرقوف آراميَّة الاصل ومعناها : « قواعد الاساطين » لان ܥܩܪܐ فيهـــا « الاصل » و « القاعدة » لكل شيء و ܩܘܦܐ « السواري او العمد » ويشهد على صدق ذلك ان جماعة من السيَّاح الافرنج ذهبوا الى عقرقوف

قبل عقود من السنين فوجدوا ثمَّ تيجان عمدٍ وقواعد اساطين مختلفة الهيئة فحملوا منها الى بغداد ما شاؤوا . ومن عدادهم كان الاديب هنري زنوبودا فنقل الى بيتهِ تاج عمود في منتهى اتقان الحفر والنحت . وعليهِ فيكون هذا الهيكل قديم العهد كما دلّنا على ذلك قطع الآجرّ المكتوبة التي وُجدت عند قاعدة هذا الصرح الجليل . ثمَّ في ايَّام الآراميين وسطوتهم وانتشار لغتهم في هــذه الاصقاع قبل ظهور الاسلام لُقب بهذا الاسم امَّا جهلًا لاسمهِ الاصليّ وامَّا من باب شهرة علاماتهِ وفصولهِ التي تميّزهُ عن سائر الابنية كما هو معهود في العامَّة اذ يُسمّون الاشياء باسماء مميّزاتها كما في : « ذات ابواب وذات المنار وذات حج » ونحوها والله اعلم

اسئلة واجوبة

اقتراح

هذه اسئلة يقترحها العلامة الفاضل الشيخ شكري افندي الآلوسي على قرَّاء المشرق إن احبَّ كاتبٌ الجواب عنها افسحنا لهُ المجال في صفحات مجلّتنا والَّا اجبنا نحن عليها

١ً من الواضع لحروف الهجاء العربيــة على هذا الترتيب المعلوم اليوم بين الناس . ٢ً ما سبب هذا الترتيب وعلّتهُ . ٣ً ما سبب اهمال المهمل منها واعجام المعجم ولِمَ كانت العلامات كذلك ولم تعكس او لم يكن لها علائم آخر غيرها . ٤ً ما اقسامها وصفاتها . ٥ً ما سبب وضع هذه الاعلام لها وهل كانت متفقة الاواخر كما اتفق اوائلها بحيث تكون الاواخر كلهــا على منهج واحد ولِمَ اتفق البعض منها في ذلك واختلف البعض الآخر . ٦ً هل هذا الترتيب متداول بين جميع الامم اولهم وآخرهم ام لا . ٧ً ما سبب كتابة اشكالها في الخط على هــذه الصورة المعلومة في الخط العربي أهو اصطلاح ام توقيف واذا قلنا بالاصطلاح فمن هو اول من اصطلح على ذلك . ٨ً ما سبب اتحاد البعض منها في الشكل الخطّي مع تباعد المخرج واختلاف ذلك مع القرب فيهِ . ٩ً ما سبب اختصاص كلّ حرف بشكلهِ . ١٠ً ما سبب إزالة التباين بالنُقَط الثلاث . ١١ً ما سبب اختلاف تلك النُقط

س سألنا من عجلتون جناب الشيخ بشاره الخازن . ١ً أيصلح لحلّ الحرير ماء الآبار كماء البِرَك المعرَّض للشمس والهواء . وهل من فرق بين المائين . ٢ً ما هي الطرائق النافعة لكرّ الحرير

الماء المناسب لحلّ الحرير — كرُّ الحرير

ج نجيب على (الاول) انَّ ماء الآبار يصلح لحلّ الحرير لانهُ يُحسن تحليــل مادَّتهُ الغرويَّة (grès) لولا انَّ هــذا الماء ينقصهُ شيء من الدقائق الآليَّة كالطحلب وغيرهِ التي من شأنها ان تليّن الخيوط بازالتهــا ما في الماء من الموادّ الكلسيَّة . ووجود

هذه الدقائق في ماء البُرَك يجعلها اصلح لحلّ الحرير. لكن هذا الخلل يسهلُ تلافيهِ بان يجعل شيء من هذه الآليّات في الآبار — نجيب على (الثاني) انَّ حسن كرّ الحرير متوقف على انتقاء الفيالج (الشرانق) وحذاقة العملة وسخونة الماء والمناسبة بين درجة حرارتهِ في الآنية وسرعة حركة الدواليب لتمتدّ الخيوط امتداداً تامًّا. ودرجة سخونة الماء تكون عادةً بين ٧٠ و ٨٠ درجة من ميزان السنتيغراد امَّا سرعة حركة الدواليب فبين ٨٠ و ١٢٠ دورة في الدقيقة الاديب سليم افندي اصفر

س وسأَل من عكا جرجس شاهين افندي عطية ان نفيدهُ ما نعرف عن سليمان بن الحسن الغزّي

سليمان بن الحسن الغزّي وديوانهُ

لدينا في مكتبتنا الشرقيَّة ثلاث نسخ مختلفة من ديوان هذا الشاعر وجدناها في بيروت وحلب والموصل. وهي تتضمَّن نحو ٢٠٠ قصيدة في موادّ دينيَّة شتى لكنَّنا حتى الآن لم نحصل على شيء من اخبار ناظمها. وغاية ما يستخلص من الديوان انَّ صاحبها كان نصرانيًّا من طائفة الروم. والمرجَّح انهُ كتب قبل ٣٠٠ سنة. ولم نجد لديوانهِ ذكرًا في مجموع المخطوطات الشرقيَّة في المكاتب الاوربيَّة

س وسأَل الخوري جبرائيل زين مدير مدرسة عين القصير ما معنى آية لوقا (٢ : ٢٣): كما كُتب في ناموس الرب انَّ كل ذكر فاتح رحمٍ يُدعى قدوس الرب» افتُطلق على كل بكر مولود في كل الامم كما يؤخذ من منطوقها ؟

شرح آية لوقا (٢ : ٢٣)

ج يؤخذ معنى آية لوقا من سفر الخروج (١٣ : ٢) حيث ورد صريحًا ما نصُّهُ: «قدّس لي كلّ بكر كلّ فاتح رحمٍ من بني اسرائيل» فقولهُ «من بني اسرائيل» لا يُبقي شكًّا في الامر لانَّ لوقا اشار الى آية سفر الخروج (راجع سفر اللاويين ٢٧ : ٢٦)

س وسأَل جناب المعلم حنَّا يوسف الخوري: ما معنى كلمة «كلش» في لغة العامة وهل اصلها عربي ام هي كلمة اعجمية

شرح لفظة كلش

ج كنَّا وددنا لو زادنا السائل اين سمع هذه الكلمة وماذا يفهم بها العامَّة. فانهُ محتمل ان تكون «كَلَش» تصحيف «كلا شيء» فيقال في بعض جهات لبنان «فلان من الناس الكلش» يريدون «من الاوباش». ولعلها معرَّبة من التركيَّة «كَلَش» بمعنى الاقرع فنقلوها للدلالة على السفلة —. وكَلَش في جهات اهدن يراد بها عمامة تعتمُّ بها نساء تلك الانحاء ولا نعرف اصلها — وكَلَشَ يكلشُ يستعملها الباعة بمعنى غَرَف وأخذ الشيء جزافًا. ويُقال للنَّهم في الاكل كلش الرغيف كلشًا ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٦ شباط الى ١٠ اذار ١٩٠١

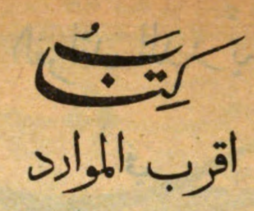
	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
	٢٦	٢٧	٢٨	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ميزان المطر	٠	٤	٧	٥	٠	٠	٠	٠	٦	١٦	٠	٠	٠

ميزان الرطوبة: ٧٩٠ ، ٧٨٥ ، ٧٨٠ ، ٧٧٥ ، ٧٧٠ ، ٧٦٥ ، ٧٦٠ ، ٧٥٥ ، ٧٥٠

ميزان ثقل الهواء: ٧٤٥ ، ٧٤٠ ، ٧٣٥ ، ٧٣٠ ، ٧٢٥ ، ٧٢٠

ميزان الحرارة: ٥٠ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٥ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ٢٠ ، ١٥ ، ١٠ ، ٥ ، ٠

انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات



اقرب الموارد

من تاليف حضرة الاستاذ الفاضل سعيد افندي الخوري الشرتوني

هو معجم (قاموس) عربي في زهاء ١٥٠٠ صفحة كبيرة في كل صفحة ثلاث اعمدة وفي كل عامود ٤١ سطرًا وحروفهُ جميلة دقيقة

وهذا المعجم من اغزر المعجمات مادَّةً فقد حوى من اصول اللغة وفروعها ما لم يحوه كتاب من كتبها المتداولة فضلًا عمَّا رُصع فيهِ من الامثال وغرر كلام البلغاء ودرر عبارات الفصحاء من اهل اللسان مضافرة على الاستظهار وهدايةً الى وجه الاستعمال

وليس لهذا القاموس ضريب بين المعجمات العربية في قرب التناول وسعة المادة . ولقد توفر مؤلفهُ المشار اليهِ على مراجعة كتب ائمة اللغويين الذين بهم يُقتدى وباقوالهم يهتدى من مثل ابن منظور صاحب اللسان والزبيدي صاحب التاج والزمخشري صاحب الاساس والراغب صاحب المفردات والفيومي صاحب المصباح والمطرّزي صاحب المغرب متحرّيًا الوقوف عند اقوالهم اذ لا معوَّل الَّا على منقولهم ولا اعتماد الَّا على مقولهم فهم ائمة اللغة وقضاتها

وثمنهُ ٢٠ فرنكاً

ذيل

اقرب الموارد

للمؤلّف نفسهِ

يتضمن ذيل اقرب الموارد البالغ عدد صفحاتهِ ٥٤٨ صفحة ثلاثة امور هي من الاهمية بمكان . الاول ما كان قد اهملهُ المؤلف وذهله من الكلم الوارد في كتب اهل اللسان . والثاني كل ما فات اصحاب المعجمات تدوينه في مواضعه استخرجهُ المولف اثر المطالعات الطويلة من تصانيف البلغاء ودواوين الشعراء او من كتب اللغة التى دوّنت ذلك في غير مادته . والثالث جدول مطوَّل يشتمل على بيان الاغلاط التي وقعت في معجمات المتقدمين مع اصلاحها بنقول الثقات من اهل اللسان فاصبح « اقرب الموارد » بهذا الذيل اوسع المعجمات العربية واكملها . اما طبعهُ فانهُ لا يقل اتقانًا عن سائر المطبوعات التي تصدرها مطبعتنا الكاثوليكية

وثمنهُ بغلاف ١٠ فرنكات

وثمنهُ بنصف جلد ١٢ فرنكًا

الفرائد الدرّيّة

في

اللُّغَتَيْنِ العَرَبيَّةِ والإنكليزيَّةِ

للاب يوسف جبرائيل حوّا اليسوعي

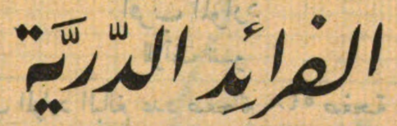
بقطع الثمن صفحاتهُ ٩٢٤ سنة ١٨٩٩

يشتمل هذا القاموس على كل الالفاظ العربية التي يتضمنها معجم اللغتين العربية والافرنسية لحضرة الاب يوحنا بلو اليسوعي ملحقة بتفسيرها الى اللغة الانكليزية تفسيرًا في غاية الضبط والدقة حتى جاء هذا المعجم من افضل الكتب للانكليزي الراغب في تعليم العربية وللعربي الذي يترجم من العربية الى الانكليزية. وقد عني المؤلف بايداعهِ اكثر الاصطلاحات العلميّة والاوضاع الفنيّة والسياسيّة وغيرها حتى يكون وافيًا بحاجة المطالع من كل الوجوه

ثمنهُ بغلاف ٢٠ فرنكًا

ثمنهُ مجلد ٢١ فرنكًا

Arabic english Dictionary.



في اللغتين الانكليزية والعربية

In-8°, XIV— 910 pages.

Par le P. J. Hava S. J.

Faciliter aux personnes parlant l'anglais l'étude de la langue arabe comme le P. Belot l'a fait pour celles qui comprennent le français, tel a été le but de l'auteur. Même méthode, à peu de chose près, même abondance de matières, même format et mêmes avantages typographiques.

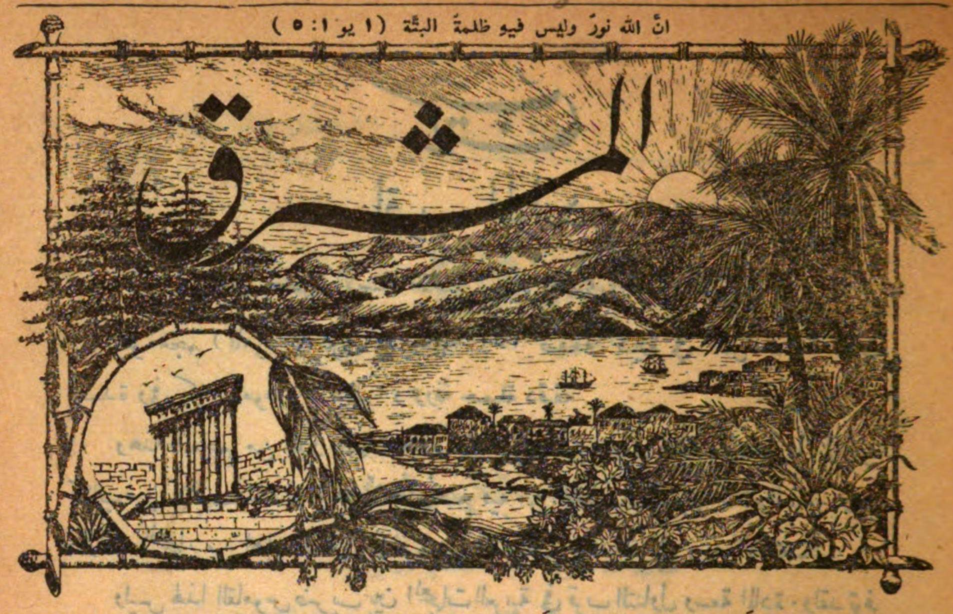
Cet ouvrage n'est pas une simple traduction du précédent. L'œuvre est personnelle. Tout en suivant les traces de son devancier, l'auteur a pris pour base de son travail le grand lexique de Lane comblant bien des lacunes laissées par ce fameux orientaliste. Il a aussi, consulté les ouvrages publiés en ces dernières années et utilisé nombre de travaux récents pour déterminer le sens précis de plusieurs termes techniques. Son expérience personnelle lui a permis d'enrichir son dictionnaire d'un nombre considérable de mots empruntés aux dialectes de Syrie et d'Egypte.

	Fr.	affr.
Broché	20	1,55
Reliure percaline tranche jaspée, titre doré	21	1,70

159

السنة الرابعة العدد ٧ ١ نيسان ١٩٠١

انَّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلَّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

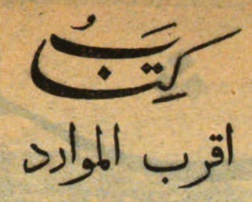
REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 7 (1 *Avril* 1901)

فهرس العدد ٧

طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠١



اقرب الموارد

من تاليف حضرة الاستاذ الفاضل سعيد افندي الخوري الشرتوني

هو معجم (قاموس) عربي في زهاء ١٥٠٠ صفحة كبيرة في كل صفحة ثلاث اعمدة وفي كل عامود ٤١ سطرًا وحروفهُ جميلة دقيقة

وهذا المعجم من اغزر المعجمات مادَّةً فقد حوى من اصول اللغة وفروعها ما لم يحوه كتاب من كتبها المتداولة فضلًا عمَّا رُصع فيهِ من الامثال وغرر كلام البلغاء ودرر عبارات الفصحاء من اهل اللسان مضافرة على الاستظهار وهدايةً الى وجه الاستعمال

وليس لهذا القاموس ضريب بين المعجمات العربية في قرب التناول وسعة المادة . ولقد توفر مؤلفهُ المشار اليهِ على مراجعة كتب ائمة اللغويين الذين بهم يُقتدى وباقوالهم يُهتدى من مثل ابن منظور صاحب اللسان والزبيدي صاحب التاج والزمخشري صاحب الاساس والراغب صاحب المفردات والفيومي صاحب المصباح والمطرزي صاحب المغرب متحرّيًا الوقوف عند اقوالهم اذ لا معوَّل الَّا على منقولهم ولا اعتماد الَّا على مقولهم فهم ائمة اللغة وقضاتها

وثمنهُ ٢٠ فرنكاً

ذيل

اقرب الموارد

للمؤلف نفسهِ

يتضمن ذيل اقرب الموارد البالغ عدد صفحاتهِ ٥٤٨ صفحة ثلاثة امور هي من الاهمية بمكان . الاول ما كان قد اهملهُ المؤلف وذهله من الكلام الوارد في كتب اهل اللسان . والثاني كل ما فات اصحاب المعجمات تدوينه في مواضعه استخرجهُ المولف اثر المطالعات الطويلة من تصانيف البلغاء ودواوين الشعراء او من كتب اللغة التى دوَّنت ذلك في غير مادته . والثالث جدول مطوَّل يشتمل على بيان الاغلاط التي وقعت في معجمات المتقدمين مع اصلاحها بنقول الثقات من اهل اللسان فاصبح «اقرب الموارد» بهذا الذيل اوسع المعجمات العربية واكملها . اما طبعهُ فانهُ لا يقل اتقانًا عن سائر المطبوعات التي تصدرها مطبعتنا الكاثوليكية

وثمنهُ بغلاف ١٠ فرنكات

وثمنهُ بنصف جلد ١٢ فرنكًا

المشرق

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني

اعتاد الافرنج ان يضعوا لكل بلدٍ قانونًا صحيًا بالنسبة لموقعهِ وآثاره الجويّة وطبيعة تربتهِ وتربة جوارهِ وعوائد الاهلين وطريقتهم في المعاش فيرتشد بهِ السكّان لحفظ صحّتهم ووقايتها من الطوارئ الممكن اتقاؤها. ولا حاجة لاثبات منافع هذا القانون لانها اضحت مقرَّرة بما نال من الفوائد الصحيّة كلّ من راعى هذه القوانين. وقد حدت الغيرة بالمرحوم الدكتور بوّيه الى وضع قانون صحيّ لبيروت غير انهُ توخّى في مقالتهِ الاشارة الى الاصلاحات الصحيّة من حيث الاشغال العمومية ممّا يُناط بالهيئة البلديّة وعلى ظنّي ان الغرض المهمّ في مثل هذا الموضوع انما هو الافصاح في تدريب الافراد والعائلات عن الوسائل الصحيّة اللازم اتباعها بالنسبة الى الحالة الحاضرة بعد ايراد ما حسن منها واثبات ما ساء. وذلك الغرض الذي اقصد في هذه العجالة

موقع بيروت

لا مشاحّة ان وضع بيروت من ابدع المواقع وقلّما ذكر اربابُ الرِحَل مدينة ساحلية فازت من امتيازات الطبيعة ما احرزتهُ بيروت من بحرٍ معترض امامها في الجهة الشماليّة فاشرفت عليهِ ومن سهول خصبة ومروج يانعة اكتنفتها من جهة الشرق ومن غابات صنوبرٍ قائمة في جنوبها اشبه بتاج يكلّل هامتها ومن ادعاص رمالٍ متلبدة في غربيها

ومن عجيب خواصّها انهـا مستندة من جهة الشرق والجنوب الى جبال تأتزر بالسحب وتعتمّ بالثلوج شتاء وصيفًا لا يفصلهـا عن حضيضها سوى حقول امتدّت في طول ثمانية كيلومترات وعرض كيلومتر واحد او ثلاثة. ومن ورائها ارتفعت نِعافُ لبنان

مثل الحصون المشيَّدة كأَني بالطبيعة اقامتهـا لتقي بيروت من صبارَّة الشتاء فتحبس عنها الزمهرير وتذخر الثلوج على قُننها حتى اذا تضرمت هواجر الصيف اصبحت تلك الجبال ملجأً لسكَّان بيروت فينتعشون بهوائها العليل ويترطَّبون بمائهـا السلسبيل ناهيك عن بهجة مناظرها وكثرة مراقيها ممَّا يوفّر اسباب الصحَّة والهناء

امَّا مركز بيروت الجيوغرافي فهو في الدرجة ٣٣° والدقيقة ٧َ والثانية ٥٠ً طولًا في شرقيّ سَمت باريس والدرجة ٣٣° والدقيقة ٥٤َ والثانيـة ٢٧ً عرضًا في شمالي خط الاستواء . وشكلها كشبه جزيرة مثلَّثة الزوايا نطحت قمتها في البحر وهي المعروفة برأس بيروت وامتدَّت قاعدتهـا غربًا فشرقًا الى حيث تندمج بحضيض لبنان . وقد تقوَّر ساحلها الشمالي حول البحر فتكوَّنت منهُ فرضةٌ بديعة في شكل نصف دائرة . وفي تلك الفرضة يصبّ نهر بيروت المعروف عنـد الاقدمين بنهر ماغوراس . وهذا النهر يجري شرقيَّ المدينة في مسيل موازٍ لسلسلة لبنان على مسافـة ثلاثة كيلومترات فاذا بلغ الجسر الواصل بين بيروت والحدود اللبنانيَّـة يأْخذ من ثمَّ بالانفراج شيئًا فشيئًا حتى مصبّهِ ويتشعَّب الماء جداول فمنهُ ما يسيح في تلك الارباض فيحوّلها الى أَنواضٍ وأَنهاء ومستنقعات تتوفّر فيها الجراثيم الملاريَّة . فهذه وتلك التي تنبعث من تحقُّن مياه السقي في الجوار تفسـد الهواء وتنشر الحمَّى الملاريَّة التي تضرب اطنابها في تلك الضواحي كما هو معلوم . وما تبقَّى من تلك الجداول يجري في مسيلهِ فيصبّ في البحر وذلك في أَيام الشتاء والربيع اذ يكون الماء فائضًا . امَّا في الصيف فقد تنضب المياه او تركد في بُرَك آسنة . ولإصلاح هذا الخلل الصحيّ الحاصل من تكوُّن المستنقعـات يكفي ان يُقام سدٌّ محكم فيحصر الماء ويدفعهُ في مسيل مخطوط لا يتعدَّاهُ فيحصل من ذلك زوال الانبعاثات الملاريَّة وتتحسَّن الصحة في المحلات المجاورة

وعلى مقربة من ذاك المصبّ شاطئ الدورة وهو خلوٌ من الصخور وقاعهُ مفروش بالرمل الناعم قد يصلح ضحضاحهُ لحمَّامات بحريَّة لو كانت تلك المحلة جيدة الهواء

امَّا بنايات بيروت فانها قائمة على ربوة تتحدَّر تحدُّرًا خفيفًا من شأْنهِ ان يساعد كثيرًا في تحسين الصحة بانطلاق الخنادق والاقنية لو تمَّ ترتيبها حسب المرام . وقد شغلت المدينة مساحة ذلك النجد من اعالي تلال الاشرفية وكثبان رأس بيروت حتى شاطئ البحر . ثمَّ تتطمئنّ الارض في هذا المنحدر فيحصل منها جوف قامت فيهِ بيروت

القديمة ومن حولها تنظَّمت احياء حديثة فيهـــا من البنايات العظيمة بل من الصروح الفخيمة ما تُفاخر بها بيروت اتقنَ المدن الاوربية. غير انَّ شوارعها منحطة عن هندام مساكنها فمنها شارعان كبيران احدهما يشقّ المدينة من الشكنة الى النهر غربًا فشرقًا والثاني يقدها من الجنوب الى الشمال وهو طريق الشام وهذان السبيلان يتصلَّبان على ساحة البرج ومنهما يتفرَّع او اليهما يُفضي مُجمـــل دروب المدينة بعد ان تخطَّها في كل جهاتها وتقسمها الى ترابيع متعدّدة. وكلّ يعلم افتقار هذه الطرق للترميم غير انَّ هذا العمل لا يجدي نفعًا ولا تحصل الفائدة منهُ الَّا اذا حفرت خنادق رحبـــة على طرفي الطريق مع استيفاء شروط بنائها وتشييدها وتغطيتها فتجري فيهـــا سيول الشتاء والاقذار ويتم بذلك حفظ الطريق من الخراب الوشيك وصَون الصحـــة العمومية من اضرار الانبعاثات الفاسدة

واذا طمح البيروتيُّون الى بلوغ حدّ الاتقان وارادوا التناسب بين رونق ابنيتهم ورحب ازقَّتهم فيُقتضى اذ ذاك تصفيحها بالبلاط فتتمّ الفائدة الصحية بمنع الغبـــار والاوحال حقَّق الله الآمال

وتحت طريق النهر لجهة محطَّة السكة الحديديَّة قد امتدَّ بسيطٌ ضيّق على سيف البحر حيث الحجر الصحيّ وهو ينتهي بصخور تنتصب عموديًا فوق البحر علوُّها نحو عشرين مترًا تتأ لَّف من طبقات ترتفع فوق بعضها بانحناء قليل من الغرب الى الشرق بين ان ساحل رأس بيروت مركَّب من صخور تقف عند سطح الماء. امَّا قرار المدينة فمعقةٌ كذَّان وسطحهُ في الغالب رمل وصَلصال

ولبيروت كما لاخواتها من المدن العريقة في القدم مدينة قديمة وأُخرى حديثة. فالقديمة واقعة في مربَّع يحدُّهُ طريق النهر جنوبًا والحديقة الحميديَّة مع ما يليها الى البحر شرقًا والطريق النافذة من الشكنة الى البحر غربًا والبحر في الشمال وهي تبدو لناظرها كركام خرائب لا شكل لها. وما من احد الَّا ويعلم ضيق ازقتها واعوجاج معابرها وتراكم اقذارها وتداعي مساكنها. غير ان من تأمَّل نسق بنيانها وتبيَّن شؤونها الصحيَّة حكم انهـــا لا تخلو من بعض الصلاح من حيث البرودة الحاصلة من انعقاد ازقتهـــا وظلّ معابرها وقد يشعر العابر في شوارعهـــا ايام القيظ تلطُّفًا في الحرارة يرتاح لهُ البدن. ولو تيسَّرت مع ذلك النظافـــة التامَّة لكانت تفي بالمرام الَّا انَّ الاوساخ في تلك المحـــلة قد

تكاثرت حتى يتكرَّه المارَّة من الاجتياز فيها

امَّا هندام المساكن المستحدثة من حيث موافقتها للمبادئ الصحيَّة واستخدام غرفها لاعمال المعيشة فسنذكرهُ بعد الكلام عن آثار بيروت الجويَّة لانهُ تتوقف على معرفتها نتائج صحيَّة جمة

آثار بيروت الجويَّة

حرارتها

غنيٌّ عن البيان انَّ اول ما تلزم معرفتهُ من الآثار العلويَّة في جنب موضوعنا انما هو معدَّل الحرارة السنوي وللوصول الى هذه النتيجة جمعنا قوائم من مصادر شتى وقابلناها ببعضها فاستنتجنا منها معدلًا معلوماً لكلّ حالة جويَّة فوجدنا ان معدَّل الحرارة لعموم السنة تبلغ الدرجة الواحدة والعشرين وثلاثة اعشار الدرجة (٢١٫٣) والفرق بين حمارَّة الحرّ وصبارَّة القرّ يتهادى بين ست او ثماني درجات وقلما يكون الفرق أزيد من ذلك. فيظهر ان حرارة بيروت منتظمة في استوائها شائقة في اعتدالها والفضل لا ريب لموقع بيروت الطبيعي على ساحل البحر واكتناف الجبال بها. وقد يُستنتج من ذلك لاوَّل وهلةٍ ان هواء بيروت مفيد للامراض الصدريَّة نافع لها بما فيهِ من الاعتدال. وفي الحقيقة ليس الامر كذلك لسبب ارتفاع درجة الرطوبة الى الستين او الخمس وستين ولا يخفى ان الهواء اذا كان مشبعاً رطوبةً يعرقل تبخُّر الرئتين وذلك عكس المرغوب لشفاء امراضها

وممَّا لحظهُ اصحاب الآثار الجويَّة في بيروت ان ارتفاع الحرارة يوافقهُ هبوب الريح الغربيَّة والغربيَّة الجنوبية التي تغلب عليها في شهور القيظ وخصوصاً شهر تموز فتراها تتصاعد في سلم الارتقاء رويدًا رويدًا كلما قابلت فصل الحرّ فتبلغ معظمها في شهر تموز وكلما اقبل فصل البرد هبطت تدريجًا واقلّ ما يكون هبوبها وتقلُّبها في كانون الثاني غير ان هذه الريح يغلب هبوبها على سواها كما نبيّن في كلامنا على احوال الارياح

وقد تدوم الحرارة مدَّة اربعة او خمسة شهور من حزيران الى تشرين الاول في ارتفاع مستمرّ تكون لهُ في شهر آب وَقدةٌ مبرّحة وقد تبلغ حمارَّتها الدرجة الثلاثين او الثانية والثلاثين فيكاد لا يطيقها البدن بسبب الرطوبة المرافقة لها. ثمَّ تأخذ بالهبوط

من شهر تشرين الاول فما بعد حتى تبلغ الدرجة السابعة او العاشرة . واذا تحرَّينا معدَّل الحرارة لكل شهر على حدةٍ عند الظهر وجدناها كما يلي :

الشهر	معدَّل الحرارة	الشهر	معدَّل الحرارة
كانون ٢	١٢° ,٢″	تموز	٢٩° ,٧″
شباط	١٣° ,٧″	آب	٣٠°
آذار	١٧°	ايلول	٢٨°
نيسان	٢١°	تشرين ١	٢٥° ,٢″
ايَّار	٢٥° ,٩″	تشرين ٢	٢٢°
حزيران	٢٨° ,١″	كانون ١	١٤° ,٤

وممَّا يجدر بنا ذكرهُ ان المرء يحسّ ببردٍ قارس يشمل بدنهُ وان وقفت الحرارة عند الدرجة الخامسة او السادسة فوق الصفر وهــذا البرد يشعر بهِ حتى الغريب الصَّرِد الذي اعتاد احتمال البرد الشديد في بلادهِ (ستأتي البقيَّة)

الدخيل في اللغة العربيَّة

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس

ممَّا لا يندّ عن نيّرة الخبير ان الكلم الاعجميَّة قد دخلت العربيَّة منذ ازمان لا يُمكن تعيينها بتحقيق بيد انَّنا بتساهل نلاحظ ذلك بثــلاثة اعتبارات او ادوار تاريخيَّة . . .

فالدور الاوَّل وان اعتاص علينــا تعيينهُ لتوغُّلهِ في القدم ولجهلنا حقيقة تاريخ أحوال العرب في عصرهم الاوَّل يمكننا ان نقول انَّ ما تسرَّب فيــهِ من الدخيل الى اللغة العربيَّة كان شُواية لا يُؤبَه بها . لان احوالهم المعاشيَّة والسياسيَّة كانت في ذيَّالك الزمن في أبسط ادوارها واحوالها وتصوُّراتهم كانت مقصورة على ما يقع عليهِ طائر النظر في بلادهم وقد ارتجلوا لهُ ثمَّت من الاسماء ما شاؤُوا وارادوا ممَّا ضاقت عن استيعابهِ صفحات المعاجم . فمن ذلك اوصاف الابل مثلاً فانهم قد وضعوا لكل عضو او صفة فيها او حالة لها اسماً مخصوصاً حتى كاد مجموعها يفوق الالوف عدًّا ولا تتصفَّح مادَّةً

في المعاجم العربيَّة دون ان تستنشق ذفر الإبل فيها ومع ان اللغــة لم تكن في ذلك العهد إلّا في مهد طفوليّتها اي غير بالغة من الغنى بالفاظها ودلالاتها وتنوُّعاتها مبلغها الحاضر فقــد كانت كفيَّةً ليحوكوا من الفاظها بُرودًا يُلبسونها قدود معانيهم تلك الساذجة

امَّا الدور الثـاني فيبتدئ من القرن الرابع ق م ايَّام أزهرت دولة الحميريّين في جنوبي العربيَّة. ثمَّ من نُزوح القبـائل العربيَّة عن البلاد اليمنيَّة بعد سيل العرم في أواسط القرن الثاني ب م ومخالطتهم الاعاجم في جالياتهم

وبديهيٌّ انَّ الحضارة واتساع نطاق التجارة ومُخالطة الامم الغريبة اللغة لهي اعظم الذرائع لإدخال الألفاظ الاعجميَّة كما لا يخفى

ولا نكير ان مسمَّيات كثيرة اعجميَّة قد ارتجل العرب او وضعوا لها بداءةً اسماء عربيَّة تدلّ عليهــا. بيد ان ذلك كان بعضًا من كلّ اذ لم يكونوا ليأنفوا من تعريب الاعجمي او استعماله كما يتأفَّف كثير من ادباء هذا العصر من استخفَّتهم حميَّة التعصب للغة العربيَّــة وفاتهم انَّ الاولين انفسهم قد عرَّبوا اكثر الاعجميّ واستعملوا كثيرًا من الدخيل غير المعرَّب ممَّا كان قد سقط عليهم وكثر دورهُ على السنتهم كما ترى في اشعارهم القديمة

وفي هذا الدور الثاني قد انساب الى اللغة من الدخيل اكثر ما انساب اليها منهُ في الدور الاول. ومع هذا فلم تكن بعدُ قد اعترضت السنتَهم عُقلةٌ ولا تحيَّفتها حكلة ولبث اللسان العربي في هذا الدور ايضًا صحيحًا فصيحًا في البلاد العربيَّة وذلك الى ما قبل ظهور الاسلام

امَّا الدور الاخير فيبتدئ منذ اواسط القرن السابع فصاعدًا والذي قيِّض فيهِ للدخيل ان يُغير بخيلهِ ورَجْلهِ على ربوع العربيَّة امتداد فتوحات العرب الاسلام ممَّا كان مدعاةً لفشوّ اللَّحن وسائر معايب اللسَن على السنتهم. ولمَّا تغلغــل الامويُّون والعباسيون في مشارق الارض ومغاربها وتأيَّد سلطانهم على بلاد الاعاجم واستحكمت عُرى الاتّصال بينهم في اثنــاء القرنين الثامن والتاسع وكاد السمع يختلف أُصول ملكة الفصاحة الراسخة في السنتهم حتى خيف على اللغــة ان يستشري في جسمها الفساد وينغلق باب المفهوم من القرآن على اهلهِ في مستأنف الزمن ثارت حميًّا الغيرة الدينيَّة في رؤوس فريق

من ارباب الفضل فاستنفروا لها من بهم الكفاية الى سدّ هذه الثلمة وتداركُ رتق ذاك الفتق - فهبَّ لذلك لفيف من لغويي الكوفة والبصرة وهم اعاجم اصلًا غير انّهم كانوا قد ارتضعوا من اللغة افاويق درّها وربوا في حجرها فبرّوها بان دوّنوا ما اقدرتهم على جمعه الهمّة ممّا تخيّروهُ من كلام القبائل التي كانت ملكةُ السنتها بلّةَ الفصاحة . فكان ما احرزوهُ من أعلاقها النفيسة برضًا من عِدّ وقُلًّا من كثر وقد تخلّلهُ مئات من كلم اللغات الاجنبيّة وحوشيّها ممّا كان قد كثر دورهُ على السنتهم . على انهُ لا شين عليهم فيما اندرج في كلامهم من الدخيل والمعرّب فهذه معاجم لغات الاعاجم فانها قد رحُبت بكثير من الغريب عنها حتى لا تكاد تخلو مادّةٌ من موادّها الّا وترى فيها بين متفرّعاتها الاصليّة لفظةً او اكثر منهُ لا تجمع بينهما وشائجُ رَحِم ولا تمتُّ اليها بلُحمة قُربى او نسب . وكما انهُ قد تطرّق الى اللغة العربيّة طوائف من كلم اللغات الاعجميّة كالسريانيّة والفارسية والروميّة الخ ترى ايضًا مئات من الكلم العربيّة في اللغات المذكورة وغيرها قد عجّمتها الاعاجم وحوّلوها الى مناحيهم ومناحيهم (١

امّا الدخيل الذي دوّنوهُ فيرجع في الاغلب الاعمّ الى الالفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتهم وهو ينحصر في اربعة انواع لا خامس لها

١ً الأعجمي الذي سقط اليهم وهو غير موافق لأبنيتهم وأبقوهُ على صورتهِ الاعجمية او غيّروهُ قليلًا ليخفّ لفظهُ على ألسنتهم واكثر هذا النوع من اسماء الاعلام والألقاب الدوليّة والمعادن والعقاقير والاصطلاحات البحريّة والمكاييل ونحوها ممّا لم يألفهُ العرب او انتهى اليهم من الاجانب ويلحق بهذا النوع اسماء المخترعات الحديثة كالفونوغراف والتلغراف والترمومتر الخ

٢ ما غيّروهُ منهُ ولم يُلحقوهُ بأبنيتهم . ولمّا كان الدخيل من هذا النوع قد اعتور اكثرَهُ القلبُ والابدال وتوفّر فيهِ التصحيف والتحريف كان لا بُدَّ للباحث في تحقيق اشتقاقهِ وإعادتهِ الى نصابهِ من بسطة علم ووفرة اضطلاع في اللغات الاعجمية والّا كان كمن يضرب في ترّهات البسابس او ينفخ في غير ضرَم ولذا ترى كثيرين من لغويي

١) نقترح على الادباء من أرباب القلم ان يخوضوا عباب هذا الباب ويأتونا بجاتيك الفرائد التي تطاولت بها اللغة العربية على غيرها من اللغات في سالف عهدها . (قلنا) انّ المستشرقين قد طرقوا هذا الباب وقد وضعوا عدّة كتب في ذلك ونكتفي هنا بذكر كتاب الاب ه. لامنس اليسوعي المعنون Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe (المشرق)

العرب وفريقاً من الادباء المحدثين قد اضطربوا في تحقيق الفاظ كثيرة دخيلة لجهلهم معرفة تلك الاصول التي أُخذ عنها

٣ ما حوَّلوهُ عن مناحي الاعجميَّة وأَلحقوهُ بابنيتهم ومن هـذا النوع طوائف عديدة في المعاجم العربيَّة نُبّه الى عجمة بعضها لفيف من اللغويين وقد جمع عنهم شيئاً من ذلك ابو منصور الجواليقيّ في كتابهِ المعرَّب من الكلام الاعجميّ (طُبع في ليبسيك سنة ١٨٦٧) وزاد عليهِ الإمام شهاب الدين الخفاجيّ في كتابهِ شفاء الغليل (طبع في مصر سنة ١٢٨٢هـ)

٤ ما وافق منهُ ابنيتهم ولم يغيّروهُ. ومن هذا النوع الاخير والذي قبلهُ موادُّ عديدة في العربية قد التحمت بكلامهم التحام اللُّحمة بالسداة ووقع كثير منهـا في الاشعار المرويَّة عن الاقدمين منهم ممَّن يُرجَع اليهم. واكثرها يشتقّ من السريانية والفارسيَّة وقد دبَّ الدخيل من الاولى من بلاد الجزيرة وشمالي العربية حيث كانت السريانية لغة هاتيك الارجاء ومن الثانية من بلاد العجم شرقي العربية على ان ما دخل اللغـة من السريانيَّة لهو اكثر ممَّا دخلها من الفارسية. قال ابو بكر: قد دخل في عربيَّة اهل الشام (يريد سوريَّة) كثير من السريانية كما استعمل عرب العراق اشياء من الفارسية

ومن تصفَّح معاجم اللغتين العربية والسريانية يجد فيها موادَّ كثيرة متقابلة بينها مشاكلة معنويَّة في اكثر مشتقَّاتها وتصاريفها بحيث يتعذَّر عليـهِ الحكم بايّ اللغتين سبقت الأُخرى فاخذت هذه عنها

ولا لُبسة انَّ البحث في تحقيق اصل هذه الموادّ لهو من ادقّ المباحث اللغويَّة ولذا ندر من قرع بابهُ من ارباب اللغات. وقد علمتُ موَّخرًا ان احد المستشرقين من العلماء الجرمانيين قد عانى سلوك هذه الشقَّة فالَّف لذلك كتابًا سنة ١٨٨٦ بحث فيـهِ عن اصل كلمات كثيرة زعم ان العرب اخذتهـا عن السريانية غير انهُ قد وهمَ في تحقيق كثيرٍ منها

وقد ضرب لغويّو العرب عن التنبيه الى عجمة المعرَّبات المشار اليها ولوهمهم انهـا عربية محضة تمحَّلوا لها اشتقاقًا عربيًّا غريبًا

فمن ذلك كلمة « الدمية » وهي سريانية محضـة لم ينبه الى عجمتها احد ولجهلهم اصلها الاعجميّ اضطربوا فيها. قال الليث في تعريفها: هي الصورة المنقوشة من الرُّخام.

وقال غيره انها من العاج. وآخر انها الصورة عامّةً. وقال ابو العلاء في اشتقاقها سُمّيت دُميةً لانها كانت اوّلاً تُصوَّر بالحمرة فكأنها أُخذت من الدم. وجاء في الروض تسمّى الاصنام دُمى لان الدماء تُراق عندها تقرُّبا . . .

وما الدمية الّا سريانية كما قدّمنـا معرَّبة عن ܕܡܘܬܐ (دموت) وهي الصورة والصنم كيف كانا. وليس اشتقاقها من الدم كما وهموا بل من ܕܡܐ وفعلهُ ܕܡܐ معناه ماثلَ وصوّر وشبّه

على انّ بحثنا عن اشتقاق هـذه اللفظة وتعريب العرب لها يؤدي بنا الى تأييد حقيقـة تاريخيّة هي ان العرب قد اتّخذوا العبادة الصنميّة توًّا عن السريان. والدمى بمعنى الاصنام وعبادتها قد عُرفت قديمًا في الجاهليّة. ومن أيمانهم بها قولهم: « لا والدُمى » اي وحق الآلهة المعبودة . وقد وقعت الدمية في بيت من قصيـدة للنابغة الذبياني حكَم الشعراء في سوق عكاظ قال:

او دميةٌ من مرمرٍ مرفوعـة بُنيت بآجرٍّ تُشاد وقرمدِ (١

ومن ذلك كلمة « الأيل » فقد عرّبها العرب قديمًا عن السريانيّة ولم ينبهوا اليهـا وحوّلوها عن وزنها الاعجمي الاصلي الى وزن قِنَّب وخُلَّب وسَيِّد وبعض الاعراب يلفظونها الأجل فيبدلون من الياء جيمًا. وتمحّلوا لها اصلاً عربيًا قالوا: انما سُمّي الوعلُ ايّلاً لانهُ يؤول الى الجبال فيتحصّن فيها. وهو تعليل ساقط كما يظهر بادنى تأمّل

اما اشتقاقها من السريانيّة فمما لا شبهة فيهِ وهي معرَّبة عن ܐܝܠܐ (أيل) واصل اشتقاقها من ܐܝܠܢܐ معناهُ الغصن والفنَن وعليهِ يكون المراد بالأيل الحيوان ذو القرون ولا يخفى ان الأيل بانواعهِ ذو قرون متشعّبة متفرّعة كاغصان الشجر. ولا يستغربنَّ القارئ هذه التسمية فهي ترجع بنا الى اوّل نشأة اللغات

١) كذلك الصنَم والصنَـمَة والنصمة معرَّبات عن السريانيـة ايضًا وهي بمعنى واحد وقد اضطربوا في اصل اشتقاقهـا اضطرابهم بالدّمية وامثالها فمرَّب الاولى ܨܠܡܐ (صَلَم) معناه صورة وصنم. فابدلوا من اللام نونًا ويؤيد اشتقاقها من السريانية وجود فعلهِ ܨܠܡ معناه صوَّر ومثَّل. والصنم كالدمية لفظًا ومعنًى وليس لهُ في العربية اصلٌ يفيـد معناهُ. وذكر ابن الاعرابي النَصَمة والصَنَمة وفسَّرها بالصورة التي تُعبَد. والصنمة والنصمة اذًا بمعنًى. وما اللفظة الثانية الّا نفس الاولى قدّموا النون على الصاد إمّا ميلاً لتخفيف اللفظ او للتفنّن فيهِ وامثال هذا كثير في العربية كالجبذ والجذب والبشغ والبغش بمعنى المطر الخفيف

وبديهيّ ان اللغات منذ اوّل عهدها كانت قليلة الالفاظ ضيّقة دائرة التعبير عن معاني الناطقين. وكان المتكلّمون بلغة يستخدمون من الفاظها ما وافق منها للدلالة على ما يرونهُ ولم يكن قبلًا في ذهنهم. فالمكسيكيّون مثلًا قد سمّوا الماعز اوّل عهدهم بها «كواكوا وتنتسون» يريدون بها الحيوان ذا القرون واللحية. وترجمتها حرفيًّا «رأس شجرة شفة شعر». فارادوا برأس الشجرة القرون وبشفة الشعر اللحية. وكثير من امثال ذلك في سائر اللغات

ومن ذلك «العربون». وهو ان تشتري سلعة وتدفع الى صاحبها شيئًا على انَّهُ ان أُمضي البيع حُسب العربون من اصل الثمن والّا كان لصاحب السلعة ولا حقّ لك في استرجاعهِ. وقد اختلف اللغويّون في مجرَّدهِ فذكرهُ ابن الاثير في مادَّة «عرَب» اعتبارَ انّ النون زائدة. وأشكل على صاحب التاج فاوردهُ في مادَّة عَرَب ايضًا متابعةً لابن الاثير ولفريق آخر من اللغويّين. ثم ذكرهُ في مادَّة عربَن ايماء الى قول من قال باصالة النون. على انّ الذين ذهبوا الى القول الاول قد تمحّلوا لهُ اصلًا غريبًا فقال بعضهم انهُ مشتقّ من التعريب الذي هو البيان لانهُ بيان للبيع. وفي لسان العرب لابن منظور: سمِّي بذلك لان فيهِ اعرابًا لعقد البيع اي اصلاحًا وإزالة فساد لئلا يملكهُ غيرهُ باشترائهِ. وقد اسند قولهُ الى ما جاء في حديث عُمر وهو ان عاملهُ اشترى دارًا للسجن باربعة آلاف وأعربوا فيها اربعمائة اي أسلفوا

والذين قالوا باصالة النون صرَّحوا بانهُ حرف اعجمي انّما عرَّبتهُ العرب وصرَّفوا منهُ فقالوا عَربَنتُ بالشيء اي أسلفتُ

وزعم بعضهم انهُ من الأُربة وهي العقدة وعلى هذا تكون عينهُ مبدَلة من الهمزة وعلَّلوا لهُ قالوا سُمّي أربونًا لانَّ بهِ يكون انعقاد البيع. ولم ينتهِ اختلافهم فيهِ عند هذا الحدّ فقط بل قد تمادى بينهم الخلاف في حقيقة لفظهِ على تسعة اقوال فقالوا هو: العَرَبون والعُربون وفيهما بالاسكان والعُربان والعَربان والعُرَّبان والأُربون والأُربان. وزاد بعضهم لغةً عاشرة فقال هو الرَّبون ونسبهُ غيرهُ الى العامَّة انها خفَّفتهُ من أربون باسقاط الهمزة. وقد جاء في السريانية ايضًا ܪܗܒܘܢܐ رهبون او رعبون وعلى هذا يلفظها جلّ عامّة اللبنانيين انّما يبدلون الهاء منها بعين غالبًا وقد تتعاقبان في لفظ بعضهم لقرب مخرجهما

والكلمة يونانيةُ الاصل بهذا المعنى معرَّبة عن ἀρραβών وليس لها اشتقاق ترجع

اليهِ لا في السريانية ولا في العربية كما رأيت خلافاً لليونانية(١). وممّا يُرادفها من العربي الفصيح لفظة المُسْكان والعامّة تقول مَسكة واشتقاقهما من المَسْك. وممّا يرادف العربون ايضاً السَلَم والسَلَف بالتحريك فيهما

ومن ذلك ايضاً كلمة « الزبون » جاء في القاموس: الزبون الغبي والحَريف مولَّد. وفي الصحاح: ليس من كلام اهل البادية

اقول انَّ الزبون بالمعنى الاول هو فارسي ومعناهُ بالفارسيَّة الضعيف الاخرق والسخيف العقل. امَّا بمعناهُ الثاني فهو سرياني معناهُ البائع. والشرَّاء. وقول التجَّار « لي زبائن » مأخوذ منهُ. فالكلمة بمعناها الاخير معرَّبة عن ܙܒܘܢܐ وفعله ܙܒܢ شرى وباع ضدّ. وقد ورد في بعض المعاجم ان الزَّبن هو الشراء والبيع فكأنَّهُ عُرِّب بمعنييهِ. وقد علمتَ ان الزبن باعتبار اصلهِ السرياني هو البيع والشراء مطلقاً. امَّا العرب فلمَّا جهلوا اصلهُ هذا تضاربت آراؤهم في تعريفهِ فقالوا: هو بيع كل ثمر على شجرهِ بتمر كيلاً. او هو بيع الرُطب في رؤوس النخل بالتمر كيلًا (أُطلق في القول الاول قيِّد في الثاني). او هو بيع جُزاف لا يُعرف كيلهُ ولا عددهُ ولا وزنهُ بمسمًّى من مكيول او موزون او معدود. او هو بيع معلوم بمجهول من جنسهِ. او بيع مجهول بمجهول من جنسهِ. او بيع المُغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيهِ الغبن...

وقالوا في اشتقاقهِ انهُ من الزَّبن بمعنى الدفع. وهو اشتقاق غريب كما لا يخفى

ومن ذلك ايضاً « الظُهر » وعرَّفوه انهُ ساعة الزوال. وزعموا انَّهُ عربي مأخوذ من ظهيرة الشمس وهي شدَّة حرّها. وهو زعم باطل كما اظنّ لانهُ لو كان اشتقاقهُ من الظهيرة بمعنى الهاجرة لامتنع ان نقول ظهرًا لمنتصف نهار فصل الشتاء والربيع والخريف لانهم منعوا ان يُقال ظهيرة لغير أيام القيظ على ما افاد ابن الاثير وابن سيده. ناهيك عن ان الظهر والظهيرة ليسا في شيء من معاني الحرّ والأُوار اصلًا. امَّا الظهر فهو سرياني ودلالتهُ الاصلية النصف والوسط مطلقاً فيقال: ܛܗܪܘܗܝ ܠܠܝܐ نصف الليل كما يقال ܛܗܪܘܗܝ ܐܝܡܡܐ نصف النهار و ܛܗܪܘܗܝ ܝܪܚܐ نصف الشهر فهو اذًا بمثابة ܦܠܓܐ (نصف) غير انهُ فيما بعد صار علماً بالغلبيَّة لمنتصف النهار وذلك عند إطلاقهِ

١) يردّ هذا القول انَّ لفظة عربون وردت في العبرانية قبل اليونان في سفر التكوين (٣٨: ١٧، ١٨، ٢٠) كما ان لفظتي « دُمية وأيل » تكرَّرتا في الاسفار المقدسة قبل السريانية (المشرق)

ومما مرَّ بك تعرف الفوائد المُكتسبة من هذه الابحاث فانها تطلعك على الدلالة الاصليَّة للكلمة وتوقفك على حقيقة لفظها وتتجلى لديك بعض الحقائق التاريخيَّة التي كانت تُغشّيها ظلمات القدم وغير ذلك من الفوائد اللُغَويّة

تسريح الابصار
في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

ترقّي النصرانية في القرن الرابع

حان ان نعود الى تاريخ انتشار النصرانية في لبنان بعد استطرادنا الى ذكر مبادئ العيشة الرهبانيَّة فيهِ

لمَّا تبوَّأ قسطنطين الكبير منصَّة الملك اخذت قدم النصرانيَّة ترسخ في لبنان ولعلَّها كانت طمست آثارَ الوثنيَّة لولا بدعة آريوس التي بذرت في قلوب المؤمنين وخصوصاً بين الاساقفة بذر الشقاق والنفور فجعل الآريوسيون يفرغون كنانة الجهد في مطاردة الرعاة الاورثذكسيين ومعاكستهم لا يهمُّهم شيء من امر الوثنيين وانارتهم بضياء الايمان. بل كان المشركون يزيدون تباعدًا عن الكنيسة لما يرون في احبارها من تفرُّق الكلمة في اكبر عقائد النصرانيَّة اعني لاهوت المسيح ومساواتهُ لابيهِ في الجوهر

امَّا مُلك جليان الجاحد فأولى الوثنيَّة انتصارًا لم يكن في حسبان اهلها. فاستأنف المشركون فتح الهياكل المُقفلة ورمّموا ما تهدَّم من المعابد. والمرجَّح انَّ هيكل الزهرة في افقا جُدّد بناؤهُ في ذلك العهد كما أُصلح قسمٌ من معبد المشنقة (١) وعاد الوثنيُّون فاحتفلوا باسرار ادونيس اي تمُّوز بأُبهة عظيمة كمألوف عادتهم سابقًا. ونال بيروتَ نفسها اضطهادُ عبدة الاصنام فانَّ الكنت مغنوس قدم هذه المدينة ومعهُ فريق من الجند واليهود فاخربوا كنيستها الكبرى ولا غرو ان كنائس لبنان اصابها ما اصاب كنيسة بيروت من حريق ودمار

(١) راجع بحثة فينيقية ص ٢٨٦

ولكنَّ الله اللطيف بعبادهِ جازى وشيكاً جليان على كفره واقام خلفاً لهُ يُثيان وكان رجلاً تقيّاً مبغضاً للشرك فأمر الكنتَ مغنوس بان يشيّد كنيسة بيروت على نفقته ولولا حلم الملك لقطع رأسهُ واصاب الجزاء عمّا جنت يداهُ من الآثام العديدة

وممَّن اشتهروا في ذلك العهد ناسك لا يزال ذكرهُ مكرَّماً في لبنان وهو القديس موسى الحبشي الذي اختارتهُ ماوية ملكة العرب اسقفاً لقومها وسامهُ القديس اثناسيوس الاسكندري فتولّى رعاية العرب المقيمين في شبه جزيرة سينا وفي جنوبي فلسطين

ولمَّا صار زمام الملك الى يد ثاودوسيوس الكبير أُصيبت الوثنيَّة في سواد قلبها فانَّ هذا العاهل الشهير امر كبير قوَّاده سنة ٣٨٤ بان يُقفل هياكل الاصنام ليس فقط في لبنان بل في الشرق باسره. وفي سنة ٣٩٢ في العشر الاول من تشرين الثاني سنَّ شريعة ثانية كان مؤدَّاها ان تُبطل عبادة الاوثان فلم يتجاسر الوثنيون على مقاومة السلطة. لكنَّ بعضاً منهم ثبتوا على عاداتهم ومارسوا دينهم خفيةً في القرى المنفردة والجبال القاصية. وكان القياصرة مع ذلك لم يهدموا هياكل الاصنام بل اكتفوا بان يبطلوا فيها المناسك الدينيَّة. والدليل على ذلك ان الدستور المعروف باسم ثاودوسيوس يتضمَّن عدَّة شرائع سنَّها الملوك النصارى تقضي بمعاقبة الذين يسعون في خراب الهياكل الوثنيَّة وكانت غايتهم بذلك ان يحافظوا على آثار الاقدمين لحسن هندستها (١ وكانوا في الغالب يخصّصون هذه الابنية لخدمة الدين الحقيقي فيجعلونها كنائس مسيحيَّة (٢. الّا ان ذوي الامر اضطرُّوا في بعض المواطن الى استعمال القوَّة الجبريَّة وتقويض المعابد الوثنيَّة خصوصاً في بلاد فينيقية ولبنان. فمن جملة الابنية التي اجاءتهم الاحوال على نسفها زونُ الزهرة في افقا لانَّ سَدَنتهُ كانوا اتخذوهُ كماخور يجترحون فيهِ الفحشاء وافظع الارجاس باسم دينهم الباطل

ومن بدء القرن الخامس للمسيح لمَّا استوى القديس يوحنا فم الذهب على كرسي

١) راجع P. Allard : *L'art païen sous les empereurs chrétiens*

٢) راجع كتابات سورية وحوران لوادنغتون (ع ٢٤٩٨). ومن الهياكل التي جعلها النصارى كنائس هيكل بعلبك المعروف باسم تريليتون (Trilithon) وكنيسة مار يوحنَّا في دمشق المعروفة اليوم بالجامع الاموي

القسطنطينيّة (٣٩٨—٤٠٧) اراد ان يستأصل من لبنان شأفة الشرك فارسل قوماً من دُعاة الدين ليرشدوا اهل لبنان الى طريق الهدى (١ وقد لاقى هؤلاء المرسلون في تنفيذ دعوتهم مشاكل عديدة فطرد الاهلون بعضاً منهم وقتلوا آخرين. على انَّ هذه المعاملة السيئة لم تكن لتثني عزائمهم فواصلوا الانذار والتبشير وبالغوا في ملاطفة السكّان حتى اجتذبوهم الى عبادة الاله الحقيقيّ. وممّا اتخذوا من الوسائل لإبطال الاثنيّة انهم جعلوا لاهل لبنان الاعياد واقاموا المواسم احتفاء باسرار الدين النصراني الطاهرة فعدلوا بهم عن الحفلات الوثنيّة الى العبادات والمناسك الخلاصيّة

تنظيم الكنائس في لبنان

وفي مطاوي هذا القرن الخامس جُعِلت كنائس لبنان على نظام قانوني فقُسمت الى قسمين كنائس فينيقية الساحليّة وكنائس فينيقية لبنان وفقاً للتقسيم المدني الذي جرى عليه اولاً ديوقلسيان (راجع المشرق ٣ : ١١٠٣). وقد ذكرنا هنا هذا التنظيم ازالةً للالتباس لانَّ الكراسي الاسقفية اصابها بذلك بعض التغييرات وعُدَّت من ايالةٍ غير التي كانت معدودةً منها سابقًا. وما يهمّنا نحن في مقالاتنا عن آثار لبنان انّما هي فينيقيّة الساحليّة امّا فينيقية لبنان فانها كانت تشمل الجبل الشرقيّ ومنعطف لبنان من جهة الشرق وعليهِ فانها لا تدخل في حيّز مباحثنا

وجُعلت صور رأس ولاية فينيقية الساحليّة واضحى كرسيّها لهذا السبب متقدّماً على بقيّة كنائس الولاية فدُعي لذلك بالكرسي الاوّل (πρωτόθρονος) في بطريركيّة انطاكية وجُعلت تحت حكمهِ كراسيّ اسقفيّات عديدة نذكر من جملتها ما لهُ علاقة مع لبنان الحالي وهي : ١ً صيدا. ٢ً برفيريون والمدعوّة اليوم النبي يونس وتدعى ايضًا برجا موقعها بين بيروت وصيدا. (٢. ٣ً جُبيل او بيبلوس. ٤ً البترون او بُتريس . ٥ً غيغرتا (٣. ٦ً ترياريس (Trierès) وهي المسمّاة اليوم

١) راجع تاريخ تاودوريطس (ك ٥ ع ٢٩) ورسائل القديس يوحنّا فم الذهب(ع١٢٣، ١٢٦) الّا انَّ هذه الرسائل مع ذكرها لبنان لا يظهر منها جليًّا أيُرادُ منها لبنان الحالي او جبال النصيريّة ولعلّ المقصود منها هذه الجبال

٢) وسنعود الى ذكر آثارها

٣) امّا موقع هذه المدينة فسنبيّنهُ ان شاء الله

أنفة (١. ٧ً طرابلس. ٨ً عرقا (٢. ٩ً اورثوسياس (٣. اماً بيروت فمع كونها واقعةً في ولاية صور الكنسيَّة كانت مستقلةً عنها. ورُقي اسقفهــا الى مرتبة مطران ولكن لم يكن اساقفة تحت حكمهِ (٤

وهذا ولا نشكُ في انَّ بعض قرى لبنان الكبرى كاهدن وبشرَّاي واميون (في الكورة) كان لها رؤساء روحيُّون من درجة الخورفسقفوس. وكانت هذه الرتبة شائعة في ذلك العصر. ولنا شاهد في ما ذُكر عن القديس باسيليوس اسقف قيساريَّة انهُ كان تحت امره خمسون خورفسقوفاً الَّا انَّ هــذا المنصب الكنسي ابتذل لكثرة شيوعهِ فامتزج بدرجة رُعاة القرى. وما اسم « الخوري » الَّا اشتقاقٌ من اسم الخورفسقوفس

وفي هذا العهد ايضاً انتظمت الطقوس الكنسيَّة المهمَّة الى ان صارت بعد زمن على هيئتها التي نألفها اليوم. وممَّن ساعدوا على تنسيق هذه الطقوس بعض القديسين الاجلاء كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس باسيليوس الكبير الَّا انَّ هذه الطقوس لم تُنسِ ما كان سبق اليهِ القدماء من الرُّتب الدينيَّة كالطقوس الرسوليَّة والرُّتب التقليدية منها الليتورجيا الشريفة المنسوبة الى القديس يعقوب وغير ذلك

اماً اللغات الكنسيَّة فكانت محصورة في اللغتــين اليونانيَّة والسريانيَّة ولم تشع اللاتينيَّة كلغة طقسيَّة وانَّما كانت لغة الدولة الرسميَّة فقط. وقد استعملها اهل بيروت مدَّةً ثمَّ انحصرت في ضمن مدارسها الفقهيَّة الشهيرة. الَّا انها أُهملت شيئاً فشيئاً حتى أُبطل استعمالها وكانت كنائس المدن الساحليَّة تؤثر في طقوسها اللغة اليونانية اماً كنائس الجبل فكانت السريانية هي الغالبــة على ألسنة كهنتها (راجع المشرق ٣: ٢٦٧). وزادت السريانية انتشارًا في لبنان لمَّا صارت السيطرة فيهِ للطائفة المارونية

انتصار النصرانية نهائياً على الوثنية في لبنان

بعد وفاة القديس يوحنَّا فم الذهب قدم لبنان من مدينة الرها احد النسَّاك فتوطَّنهُ

١) هذا الصواب وليس كما ورد في المنار (ص ١١٤ من السنة ١٩٠٠) انَّهــا « حصن ساحلي شمالي طرابلس ربَّما القليعات » ٢) واخربتها تُعرف الى اليوم بهذا الاسم

٣) تدعى اليوم اورتوزي بجوار نهر البارد

٤) خلافاً لما جاء في مقالة المنــار السابق ذكرها (ص ١١٤). وهذه المقالة تستدعي عدَّة اصلاحات. نقول ذلك رعاية للحق مع ما نعرفــهُ من فضل كاتبها الذي اختبرنا لطفهُ يوم زرنا دير البلمند

وجعل يسعى في هداية اهلهِ الوثنيين. ذكر ذلك البولنديون في تاريخ ١٤ شباط. ولعل المراد بلبنان في ترجمة الناسك المذكور انّما هو جبل عكّار لانّ النصّ الوارد فيهِ اسم هذا العابد يشير الى مدينة حمص. وهي كما لا يخفى مجاورة لجبل عكار

وكذلك تكرَّر ذكر لبنان في ترجمة حياة القديس سمعان العمودي فانَّ راوية اخبارهِ يقول عنهُ انهُ انجز هداية اهل لبنان فرجَّعهم الى الدين القويم بما اصطنعهُ من المعجزات الباهرة. لكنَّنا هنا ايضاً لا يمكننا القطع بان المراد بلبنان الجبل المعروف اليوم بهذا الاسم. ونحن نعلم انَّ هذا القديس اشتهر في ولاية حلب في الجبل المسمَّى اليوم بجبل سمعان. على انَّ الذي يُمعن النظر في اقوال مؤرخيهِ لا يرى ما ينفي لبناننا الحالي لان الزوَّار كانوا يتقاطرون الى عامود القديس من بلاد بعيدة فكان العرب يأتونهُ من اقاصي البادية ليستمعوا تعاليمهُ. ثمَّ انَّ اوصاف لبنان في تواريخ هؤلاء الكتبة توافق جبلنا منها ذكر الغابات والوحوش الضارية ومعابد الاصنام وتعلُّق الاهلين بعبادتها بحيث لا يرذلون خدمتها الّا بعد نظر العجائب التي تجري على يد القديس سمعان. فكل هذه الاوصاف تصدق عن جبل لبنان الحالي. غير انَّ اسم لبنان وحدهُ ليس بكافٍ لنجزم بهذا الامر وقد قلنا سابقاً انَّ هذه التسمية كانت تشمل في القرنين الخامس والسادس جبالًا أخرى

وان قال قائل انَّ المراد بلبنان انَّما هو لبناننا الحالي لأنهُ ورد في اثناء ذكر لبنان اسمُ احدى قراهُ وهي قرية انداريس (Andaris) الموافقة لقرية عين دارا في مقاطعة العرقوب الشمالي. اجبنا انَّ هذه الموافقة بين الاسمين ليست مقرَّرة ثمَّ أنهُ يُحتمل ان ضيعةً تدعى عين دارا اشتهرت سابقاً في جبال غير لبنان الحالي ممَّا كان يُعرف ايضاً باسم لبنان كجبل النصيريَّة وجبل الشيخ. فترى من ثمَّ انَّ هذه الافادات ليست بكافية لتدوين هذه الاخبار في تاريخ النصرانية في لبنان

ولمَّا ظهرت البدعة النسطوريَّة وجدت في بعض اساقفة لبنان صدًى لتعاليمها الفاسدة. فانَّ افرادًا منهم انحازوا لحزبهِ. وفي بيروت التأم المجمع الذي حكم على ايباس اسقف الرها احد انصار نسطوريوس. وكان ذلك حسب منطوق اعمال المجمع « في بيروت المدينة الفائقة الجمال في دار اسقفها الحديثة بجوار الكنيسة الجديدة المقدَّسة »

١٥٧

امّا بدعة اوطاخي فكان لها في لبنان عاقبة اوخم من النسطوريَّة ففشا سمُّها في بلاد الشام وألحقت باهلها مدَّة زمن مديد اضرارًا لا يُسبر لها غور. وكان اوستات اسقف بيروت تشيَّع جهارًا لاوطاخي. فجازاهُ ملك الروم بان اصدر براءةً ورد فيها انهُ «يخوّل مدينة بيروت المزدانة بالفضائل اسم حاضرة (métropole) مع الامتيازات التي تُعطى لأُمّهات المدن». فظنَّ اوستات انَّ رقيم القيصر كافٍ ليمدَّ سلطتهُ الروحية على اساقفة جبيل والبترون وطرابلس وغيرها من الاسقفيات الواقعة في شمالي فينيقية الساحلية. الّا ان مطامعهُ رُذلت بعد زمن قليل في عهد مرقيان الملك

وقد تعطَّر لبنان بفضائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس للمسيح نخصُّ منهم بالذكر القديسة مطرونا وُلدت في اسيا الصغرى ثمَّ اقامت ديرًا في حمص وانتقلت اخيرًا الى بيروت فانارت جمًّا غفيرًا من النساء الوثنيات بانوار الايمان

ومنهم القديس ربولا السُّمَيساطي قدم بيروت في ايّام الملك زينون ثمَّ تعبَّد لله في جبال لبنان المعتزلة. وجاء في تاريخ قديم (راجع اعمال القديسين للبولنديين ١٥ شباط ص ١٢٦) «انَّ ربّولا المذكور شيَّد بمساعدة زينون القيصر ويوحنا حاكم بيروت ديرًا كبيرًا في وسط الجبل. وكان يعيش مع رهبانهِ بين الجبليين وهم وقتئذٍ متسكّعون بظلمة الوثنية فعرض عليهم اسرار الديانة وردَّ حججهم واجتذبهم الى الدين القويم الّا نفرًا قليلًا منهم». فيؤخذ من هذا الكلام انَّ عبادة الاصنام لم تُطمس بعدُ آثارها في لبنان نحو مئة سنة بعد ثاودوسيوس الكبير

ولعلَّ القارئ يسأل وما هو الدير الذي عمَّرهُ ربّولا الراهب؟ قال الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخ لبنان (ص ٢٣٨٩ من تاريخهِ المخطوط): «ان الدير الموما اليهِ هو دير القمر». لكنّنا لا نرى على اي حجّة بنى الاب مرتينوس زعمهُ هذا. وغاية ما نعرف عن دير القمر ان ذكرها ورد في تاريخ الصليبيين ولكن هذا ليس ببرهان مقنع. لاسيما اننا نرى في لبنان قرًى غيرها دخل في تركيب اسمها اسم الدير فيصحُّ فيها قول الكاتب المنوَّه بهِ وبعضها ليس بعيدًا عن بيروت لان النص يشير الى دير قريب منها

وزادت بدعة اوطاخي انتشارًا في سوريَّة لمّا ظهر ساويروس الانطاكي. وكان المذكور قضى سنين عديدة من عمرهِ في بيروت حيث درس الفقه ثمَّ تعمَّد في طرابلس (١

(١ راجع المشرق ٣: ١٠٠٢ وكتاب الاب نو Opuscules maronites II, 49 *seqq.*

وصار بطريركاً دخيلاً على انطاكية وتفانى في نشر الشيعة الاوطاخية. لكن الله اقام لدينهِ الحقّ محامين يدافعون عنهُ لاسيما في عداد الرهبان. والكنيستان الشرقية والغربية تحتفلان في ٣١ تموز بعيد ٣٥٠ راهباً قُتلوا في سبيل الايمان سنة ٥١٧. كان المبتدعون كمنوا لهم يوماً وهم سائرون الى كنيسة القديس سمعان العمودي التي موقعها في جبل بركات شماليّ غربي حلب. وقد ذكرناهم هنا لانّ اللبنانيين يقيمون لهم عيداً حافلاً ولو كان استشهادهم قد جرى خارجاً عن لبنـان وعن فينيقية. وانّما اصلهم كان من ولاية سوريّة الثانية التي حاضرتها افامية (قلعـة المضيق) وموقعها شمالي فينيقية لبنان. امّا فينيقية لبنان هـذه فقد سبق ان حاضرتها كانت مدينة حمص وانّها تشمل قسماً من لبنان الشرقي ومعظمها داخل في فينيقية الساحلية

وكان هؤلاء الشهداء ينتمون الى دير مار مارون. وكان هذا الدير مبنيًّا في جوار افامية في وادي نهر العاصي (١. قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراق (ص ١٦٣) يعرّف موقعهُ انهُ: « شرقي حماة وشَيْزَر ذو بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبـان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضـة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتـواتر الفتن ..... وهو بقرب من نهر الأُرنط نهر حمص وانطاكية ». ولدينا العريضة اليونانية التي ارسلها رهبان هذا الدير للبابا هرمزداس يخبرونهُ باستشهاد اخوانهم وقّعوا عليها بما نصُّـهُ: « نحن الحقراء الارشيمندريين ورهبان سوريّا الثانيـة ». امّا رئيسهم فقد وقّع الرقيم كاتباً: « انا ارشيمندريت مار مارون ». فممّا سبق ترى ما كان لهذا الدير من الخطورة والشأن وعدد الرهبان. امّا الاسباب التي حملت الموارنة على اكرام هؤلاء الشهداء فهي ثلاثة ذكرها صاحب مروج الاخيار: « اولًا لانّ اكبر اديار هؤلاء الشهداء الطوباويين كان معروفاً باسم القديس مارون وارشيمندريت الدير هذا كان اسمهُ اسكندر وهو اوّل من امضى الرسالة التي رُفعت الى البابا هرمزداس القديس. ثانياً لانّ كثيرين من هؤلاء القديسين كانوا يتشجّعون على الثبات في الايمان والاستشهاد امام ذخيرة هامة القديس مارون الثمينة التي كانت بهـذا الدير. وثالثاً بما انّ هؤلاء الرهبان القديسين كانوا اشجع المناضلين عن الايمان الكاثوليكي الذي يغـار لهُ الموارنة غيرةً لانهم كانوا

١) راجع كتاب الاب نو السابق ذكره (ج ٢ ص ٢٣)

خاضعين اتمّ الخضوع لكرسي هامة الرسل. والطائفة المارونية تفتخر بانها تقتفي آثارهم في ذلك »

وقبل ذلك بزمن قليل (سنة ٥١١) كان الملك انستاس طرد من القسطنطينية عددًا غفيرًا من الراهبات المستقيمات الايمان فقصدنَ لبنان واتخذنَهُ لهنَّ سكنًا وعطَّرنَهُ بعرف فضائلهنَّ. وفي اختيارهنَّ لبنان للعزلة دليل على انَّ اهلهُ كانوا يرذلون الشيعة الاوطاخية

والارجح انَّ كنيسة دير برفيريون (اليوم برجا او النبي يونس) بُنيت في ذلك القرن السادس. وكذلك كنيسة القديس فوقا على مشارف الجبل (١. وقد ورد ذكر هاتين الكنيستين في تاريخ الابنية للمؤرخ بروكوب. وكان بانيهما الملك يوستنيان الذي اشتهر بغيرتهِ على بناء الكنائس. وليس بمستبعد انَّ اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم تشيَّدت في عهده او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بنائهِ. مثال ذلك كنيستا اهدن وكفر شليمان اللتان تشبهان كل الشبه الكنائس البوزنطية المنسوبة الى هذا الملك. ولعلَّ كنيسة حدتون المهدومة التي ذكرناها في المشرق (٣: ١٠٢٢ و ١٠٢٦) من هذا القبيل فيكون بناؤُها سبق دخول الموارنة في لبنان. لنا في تأييد قولنا بعض الحجج منها وجود كتابتين يونانيَّتين الواحدة اكتشفها رينان واكثر حروفها مطموسة والاخرى وقف عليها الفقير كاتب هذه الاسطر (٢ وفي كلتيهما ما يشير الى قدم هذه الكنيسة. ومنها الطرز الهندسي والنقوش وضروب الفسيفساء فانَّ كلَّ ذلك يلمع الى عهد يوستنيان

فترى ممَّا تقدَّم انَّ النصرانية في القرن السادس لاسيما اواخرهُ لم تملك فقط في المدن الساحلية بل بان شأوها على كل اخصامها في لبنان. وكانت مدينة بيروت حافلة بالكنائس (٣ واهلها معتصمين بحبال الدين. وكذلك تفيدنا ترجمة البطريرك ساويروس السريانية ان العاملة اللبنانية المجاورة لبيروت كانت مستوثقة بعروة الدين. وهناك اشتهر احد الرهبان العاموديين الذي كان يسكن في قرية قريبة من البلدة لم يُذكر اسمها. وكان هذا

---

١) راجع بروكوب (ك ٥ ع ٩). على ان بروكوب بقولهِ « مشارف الجبل » لم يذكر لبنان وانَّما يؤخذ ذلك من قرينة كلامهِ لانهُ ذكر الجبل بعد ذكر برفيريون والساحل الفينيقي

٢) راجع مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٩ ص ٥٦٥ , ٥٦٩ ٣) راجع المشرق ٣: ١٠٠٤

الراهب شديد التمسُّك بالدين الاورثذكسي يدافع عن الايمان الكاثوليكي مدافعة الشهام. ومماَّ روي عنهُ انَّ بعض اشياع اوطيخا من الطلبة الذين اتوا من الاسكندريَّة الى بيروت ليدرسوا الفقه زاروهُ يوماً فلامهم عن تشبُّثهم بتعاليم الهراطقة. وفي خبر هذه الواقعة ما يُشعر بانَّ الشيعة اليعقوبية لم تُفرد بعدُ لاصحابها كنيسةً في بيروت

ومن الشواهد اللامعة الدالَّة على انتشار النصرانية في لبنان العيد الحافل الذي أُقيم فيهِ لمَّا عاد هرقل ظافرًا ومعهُ الصليب المقدس الذي انقذهُ من يد الفرس. فأُقيم في لبنان حفلات بهيجة جعلها اللبنانيون سنَّةً لهم يعيدون ذكرها في كلّ عام في ١٤ ايلول

ألا انَّ هرقل الملك كسف شيئاً من بهاء انتصارهِ بما اعارهُ من المساعدة لهرطقة المونوتليتيين اي القائلين بالمشيئة الواحدة في المسيح. فكانت هذه المضافرة الملكيَّة سبباً لفشوّ هذه البدعة في سوريَّة وخصوصاً في وادي العاصي. لكنَّ هذا الوباء لم يَسْرِ حتى لبنان وكفاهُ بذلك شرفاً

وممَّن تصدَّوا لهذه العدوى القديس صوفرونيوس الدمشقيُّ الاصل بطريرك اورشليم. وقد زعم البعض انهُ وُلد في لبنان في قرية بسري. وهو قول تردهُ الادلَّة العديدة كالميناون والبولنديين (في تاريخ ١١ اذار) بل يفندهُ القديس صوفرونيوس نفسهُ في قصيدة لهُ وردت في مجموع اعمال الآباء (مين ج ٨٧ ص٣٤٢١) قال عن نفسهِ انهُ من مدينة دمشق التي تكلّلها قممُ لبنان (Λιβανοστέφανος) فقاوم هذا الاب القديس الجليل الشيعة المونوتليتيَّة التي جعلت الدولة اليوزنطية على قاب قوسين من هلاكها في سوريَّة. لكنَّ الله كفى لبنان شرَّها وجعل مذ ذاك هذا الجبل معتصماً لاذت باهدابهِ الديانة الكاثوليكية الى يومنا

(ستأتي البقيَّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوسف تاني الماروني

(لاحق بسابق. راجع المشرق ٣:٥٨٦)

في ألعاب الاحداث

لأحداث اهل لبنان عدَّة ألعاب ترى البعض منها شائعاً في بلاد غير بلادنا والبعض

١) مجلَّة الشرق المسيحي ١٨٩٨ ص ٢٨٠

الآخر تفرَّد بها صغارنا وهي تنبئ على طباعهم. وقد احسن من قال انَّ لا شيء يعرِّف ما يكون عليهِ الولد من السجايا والخصال في مستقبل الايَّام كما يدلُّ عليهِ اللعب اذ هو يسترسل الى ملذَّاتهِ وينهمك في ملاهيهِ التي تروق لهُ

١ (الركوب على العصا) هي لعبة شائعة في اربع خوافق المعمور. ذكرها الشاعر اللاتيني (١ كلهاةٍ كان يرتاح اليها اطفال الرومان. ولعلَّ احداث لبنان أُولَع بهذا اللعب من غيرهم لكثرة القصب في بلادنا وربَّما اخذوا لذلك «شلح قرعٍ» اي عرقةً لطولهِ. فترى الصغير يركب جوادهُ كالفارس المغوار ولا يبرح سائرًا في طريقهِ وهو يركض فرسهُ يقودها بيمينهِ ويستحثُّها بعصاه الى ان تخور قواه او يتحطَّم مركوبهُ فيكفّ عن السير بعد ان راض جسمهُ احسن رياضة

٢ (الجمال) هو لعبٌ رأيتهُ للاولاد في بعض القرى. يعمدون الى حجر يشبه اعلاهُ سنام الجمل فيربطونهُ ويجرُّونهُ وراءهم بجلبة عظيمة حتى ينتهوا الى بيت صغير بنوهُ من الحجار والملاط فيُدخلون فيهِ جملهم ليبيت فيهِ. ولذلك دعوا هذا اللعب بالجمال. والجمال عندهم لعبٌ آخر ايضًا وهو ان يحني احدهم ظهرهُ فيطفر عليهِ رفقتهُ ولا يزال ينهض الى ان ينتصب تمامًا فيقفز عليهِ الآخرون او يعجزون عن الوثوب فيحنون ظهرهم بدلهُ

٣ (الدوش) ومن العابهم الشائعة الدوش (٢ وكان قدماء العرب يدعونهُ الطَّث (palet) والدُّوش عبارة عن حجر مستدير يرمون بهِ حجرًا آخر كرويًا كالليمونة يسمُّونهُ النُّكرة. وكيفيَّة لعبهم بهِ ان يجعلوا النُّكرة في موضع معلوم ثمَّ يرمي كل واحد من اللاعبين دوشهُ اقرب ما امكنهُ من النكرة. فالذي زاد اقترابًا منها بدأ بضربها فان اخطأ النكرة ضربها غيرهُ من اللاعبين. وان اصابها فأزالها عن مكانها عدَّ مقدار الاقدام التي جرَّتها النكرة. ثمَّ يضربها ثانيةً من الموضع الذي وقف فيهِ بعد ضرب دوشهُ ادواش اللاعبين ولا يزال يعدُّ قدر الأقدام الى ان «يُفطم» اي يخطئ النكرة فيصير الدور الى غيرهِ او يبلغ عددًا من الأقدام معيَّنةً بها ينتهي « الدقّ ». ويكرّرون ذلك ما شاؤوا

١) راجع شعر هوراس: (Equitare arundine longa, H. II, S. 3, 246)

٢) الدوش كلمة عاميَّة نرجح ان اصلها من السريانية ܕܫ اي داس ووطئ. يؤيد ذلك مثل يقولهُ العامَّة: لا تأخذ الدنيا دَوْش. اي لا تعبث بالامور كمن لا يبالي اين تدوس قدمهُ

٤ (الكعاب) للعب الكعاب (osselets) طرائق كثيرة. منهـا « القلبة » وهي ان يسعى اللاعب في قَلب كعب رفيقهِ من وجهٍ الى آخر فان فعل كان هو الرابح. و « الأشطبا » لعبةٌ تُضرب فيها كعاب مصفوفة فاذا قذف اللاعب احدها الى مسافة اقدامٍ معلومة كان الفائز. و « الخيطا » او الخوطا » (١ يفوز فيها من اخرج كعابَ رفاقهِ كعباً كعباً من دائرة يخطُّونها في الارض

ولأوجه الكعاب عندهم اسماء معروفة فيسمون الرأس « سلطانًا » وعكسـهُ « قيطاً » وجانبهُ المقوَّر « جورًا » والمحدَّب « ظهرًا ». ومن اصطلاحاتهم انَّ اللاعبين اذا مرَّ بهم ولد لا يشاركهم في اللعب يقولون لهُ « جُورك » يعنونهُ بذلك ان « ينتش » الكعاب فيذهب بها

٥ (الطقَّة والابرة) ومن العابهم الطقَّة والابرة. وطريقتها ان يأخذ احدهم عودًا صغيرًا يدعونهُ « ابرةً » ويركز طرفيهِ على حجرين ثم يقذفهُ بعصاً يدعى طقَّـة ابعـد ما امكنهُ. فيتلقَّاهُ لاعبٌ آخر فيرمي بهِ نحو الحجرَين فاذا سقطت الابرة بقربهما على مسافـة اقصر من الطقَّة ربح والَّا قاس الضارب المسافة من الحجرين الى الابرة ثمَّ ضربها ثانية على احد طرفيها فترتفع فيقذفها بالطقة وهلمَّ جرًّا. وعلى صاحب الطقة ان يردَّ الابرة بعصاهُ عند ما يحاول اللاعب الاخر ان يرميها عند الحجرين. وللصغار كلمات مضحكة اصطلحوا عليها في لعبهم فيقولون: « طقة تبري. ثنتين تجري. ثلثة تسقط. حدُّها يلقط خرم الابرة ». هذا الى الخمسة ثمَّ يستعملون الاعداد المعروفة من الخمسة فما زاد ومنهم من يبدل اسم الاعداد باسماء الشهور والاثمار فيقولون: « تموز تشرين. ايش نأكل العنب والتين الخ ». وهذا النمط الاخير أَنِسهُ اولاد البقـاع حيث تكثر الاثمار المشهورة بجودتها

٦ (الخواتم) ولهم لعبٌ يقال لهُ الخواتم. وذلك انهم يختارون لهم بينهم ولدًا شديد الساعد جريَّ الفؤَاد يدعونهُ « أمًّا » ويعهدون اليهِ القيام بحاجاتهم كالامّ تُعنى بحاجات اولادها. ثمَّ يختارون ولدًا آخر يجعلونهُ بيَّاعًا ويحمّلونهُ سلَّة يملأُونها خرقًا وحجارة وغير ذلك من رذالة المتاع فيمشي وهو ينادي: « خواتم خواتم » فيجتمع اليهِ الأولاد ويصرخون الى امهم: « ياامي بدّي خاتم ». فيأتي البيَّاع وتشرع الام تساومهُ ثمن الخواتم

١) من السريانية ܚܘܕܪܐ اي دائرة

وتشتري لكلّ ولد خاتماً . فاذا انتهى يطلب البائع حقهُ فتسوّفه اداء حقهِ وتماطلهُ تارةً بحجّة وتارةً باخرى الى ان تفرغ كنانة حيلها . فاذا لم تستطع الاحتجاج جاهرت بنكران الحقوق وابت الدفع . فحينئذٍ يرفع الاولاد بعقيرتهم ويصرخون: « معنا معنا (اي دراهم) وما نعطي » . فيحاول البيّاع ان يمسكهم فيلتجئون الى ذرى امهم فتحامي عنهم . والبياع لا يزال يدور حولهم حتى يمسكهم واحداً واحداً ولا ينجون من مخالبهِ حتى يغرموهُ مبلغاً من النقود على زعمهم وهي حصى يحوّشونها من الارض

٧ (اللاقوط) وبعضهم يدعوهُ اللاقوش لعب تختلف انواعهُ في كل جهة من جهات لبنان . ومجمل ما يقال فيهِ انَّ اللاعبين يأخذون لهم عدداً من الحصى يضعونها على الارض الّا حصاةً يقذفها اللاعب الاول في علٍ ثم يأخذ بسرعة من الارض احدى حصاها ويلقف الحصاة الملقاة في الهواء قبل سقوطها وهكذا يفعل بالثانية والثالثة الى ان يأتي عليها جميعاً . وان سقطت منهُ الحصاة المقذوفة عُدَّ خاسراً وصارت النوبة الى آخر — ويكثرون من المصاعب في جمع الحصى فيجمع بعضهم منها الثنتين والثلاث سويَّةً . وربَّما اقتضى عليهِ جمعها كلها قبل تلقّي الحصاة المرميَّة — ومنهم من يفرض على اللاعب شروطاً مختلفة كما ان يضرب صدرهُ او يبوس يدهُ قبل ان يجمع الحصى ويتلقَّف الحصاة المقذوفة . ومنهم من يلتقط الحصى وعلى ظهر يدهِ حصاة يمنعها من ان تسقط على الارض الى غير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

٨ (الدَّلك) ولكن أحبُّ الالعاب الى صغار لبنان لعب الدَّلك . وهما دَلكان دَلكٌ كبير ودَلك صغير . فالكبير هذا نظامهُ : ينقسم الاولاد الى قسمين قسم النازلين وقسم الطالعين . فيجلس الطالعون على حجارة او يتربَّعون على الارض الَّا واحداً منهم يدعى الحامي فيجدّ في اثر الطالعين ويطاردهم ويحاول ان يأسر ولو واحداً منهم فان امكنهُ ذلك ربح . امَّا الطالعون فيهجمون حيناً بعد حين على فرقة النازلين الجالسين على الارض فيضربونهم ولا حقّ لهؤلاء ان يدافعوا عن انفسهم الَّا انهم يصرخون: « دَلك دَلك » استغاثةً بالحامي لكي يُسرع فيمسكهم ان امكنهُ . وفي بعض الاحيان يغيّر الطالعون « حُلاّسهم » اي زيّهم لئلا يعرفهم النازلون فمنهم من يسوّد وجههُ بالسناج (الشحَّار) ومنهم من يقلب ثيابهُ او يلبس قبعة رفاقهِ الى غير ذلك ممَّا يحجبهم عن نظر النازلين . وعلى المحامي ان يعرف احداً منهم فاذا عرفهم عُدُّوا من الخاسرين . امَّا

الدلك الصغير فلا يغيّر الاولاود فيهِ ازياءهم وانّما يكتفون بان يهجموا على النازلين فيضربونهم الى ان يمسكهم المدافع

٩ (العصا والعصيَّة) يجتمع زمرة من الاولاد في هذا اللعب ويصفُّون عصيَّهم على الارض بحيث تبعد الواحدة عن الأُخرى قليلًا فيجعل اللاعب يحجل (يحلج) اي يقفز على رجل واحدة فوق العصي المذكورة دون ان يمسّها . فاذا انتهى الى آخرها عاد فطفر حاجلًا بين كل صفَّين من العصي فان لم تعثر رجلهُ بواحدةٍ منها ثمَّ قفز آخرًا فوقها جميعًا كان الظافر . وان عثر قُضي عليهِ ان يركز عصاهُ في الارض فيصوب رفاقهُ عصيّهم اليها ويرشقونها رشق السهام فينكّصونها وربَّما يكسرونها . ولكلٍّ منهم حقّ بان يجرّد عصاهُ الى عصا المغلوب على عدد الدورات التي لم يدُرها الخاسر حاجلًا

١٠ (السبرْكة) هي احدى الألعاب التي يلتذّ بها الصبيان في لبنان فيكثرون منها . واول ما يصنعون انهم ينقسمون رهطين رهط نازل ورهط طالع . فالنازل يدافع عن « السبرْكة » وهو حجرٌ يجلس عليهِ احدهم فيجتهد رهط آخر يدعى طالعًا ان يصل الى الجالس ويلطمهُ ويتملَّك على الحجر فاذا تمكَّن احدهم منهُ كان الغالب هو ورهطهُ . ويجري بين الرهطين هجوم ودفاع يؤسر من الفريقين قوم حتى يفوز احدهم بالسبركة . امَّا كيف يؤسر الرهط النازل فبأن يمرّ احد الطالعين بينهُ وبين السبركة . واذا مرَّ بين اثنين او اكثر من النازلين عُدَّ الذين عن يمينهِ أسرى فيكفُّون عن اللعب . اما الطالعون فإسرهم بان يصفعهم احد النازلين قبل ان يمسُّوا السبركة او يجتازوا بين اثنين منهم . ولا يزالون على هذا المنوال حتى يفوز الطالعون بالسبركة او يؤسَروا جميعًا فتكون الدولة عليهم

١١ (مقرعة الميدان) طريقتها بان يجتمع الاولاد ويقتسموا الى عصابتين . ثم يجعلوا بينهما عصًا يغرزونها في الارض وعلى رأسها خرقة او قبعة (طربوش) . فيتقدَّم ولد من احد الفريقين وبيده مقرعة فيقول للفريق الآخر : من لها ؟ اي مَن منكم يُقدم الى العصا ويأْخذ القبعة التي فوقها ويعود سالمًا الى رهطهِ ؟ فيجيب احدهم انا ويسرع الى العصا المركوزة فينزع عنها القبعة ويجدُّ في ان يرجع الى قومهِ قبل ان يصفعهُ صاحب المقرعة فان نجا منهُ كان فائزًا والَّا تحمَّل ألم الصفع الى ان ينضمَّ الى رهطهِ . ثمَّ يأتي ثانٍ من فرقتهِ ويعرض على آخر من فرقة الاخصام ان ينزع القبعة فيفعل كما فعل الاول وهلمَّ جرًّا حتى ينتهي عدد اللاعبين

(ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٣

ان معرفة الجميل من اجلّ الفضائل واحلاها والواجب ان تكون منزّهة عن شين المنفعة غير ان الأَثَرَة كثيرًا ما تفسد هذه الفضيلة المحسوبة من اجمل المحاسن البشريّة في القلب

ولا ريب ان معرفة الناس امر متعسّر لا بل متعذّر في ايام الرخاء وامتداد بساط الهناء. فاذا اتاك الحظ ورفعك الى الدرجات العالية فلا تنتظر من اكفائك غير المبادرة لقضاء رغائبك والاستعداد للعمل باشارتك. فهل تعدُّهم في هذا الحال اصدقاء لك وهل تستطيع اعتمادًا على بقاء ولائهم راسخَ الاركان وهل يمكنك ان تنتظر منهم معرفة الجميل. كلّا ثم كلّا لانهُ اذا غفلت عنك السعادة يومًا واشتغل عنك الحظ بغيرك لا ترى من هؤلاء الناس الذين كنت تحسبهم اولياء غير إعراض وصدّ ولو كنت قد اغرقتهم في بحر فواضلك او تعرّضت للاخطار حبًّا بهم وما ذلك الّا لأنّهم ما عادوا يرجون منك خيرًا كما انك ما عدت اهلًا لتملقاتهم واساليب خداعهم. وبناء عليهِ فهم يتركونك حاملين بخورَهم الى اشخاص آخرين

غير ان عبد الله الراعي الذي مرّت عليك حكايتهُ لم يكن من هذا الصنف من الناس فانهُ حالما درى بسجن الاب يوحنا في قصر القليعات طفق يأتي كل صباح فيجلس قريبًا من باب القصر متجسّسًا الاخبار عن المحبوس الكريم الذي احسن اليهِ وبالرغم عن الاهانات والشتائم التي يسمعها من الحراس لم يكن يملّ من الوقوف عند الباب محمولًا على هذا كله بعاطفة معرفة الجميل

غير ان احد الحراس شفق عليهِ يومًا وقال لهُ: انك تضيع وقتك ايها المسكين عبثًا لان الاب يوحنا ليس هنا

— بحياة ابيك لا تغشني بل قل لي الحقيقة بتمامها

— الامر كما قلت لك بالتمام لان الاب يوحنا ترك القليعات من ايام عديدة

— واين هو الآن ؟

—كفاك سؤلًا فقد اخبرتك بما فوق اللازم. ثم اغلق البـاب في وجه الراعي المسكين وهو يقول: اوشك هذا الفـلاح الغليظ ان يعرضني للخطر ولكن من حسن الحظّ انهُ لم يسمعني احد

فلما علم عبد الله ان المحسن اليـه خرج من القصر رأى من الواجب عليهِ ان يهتمّ بنجاته من ايدي مضطهديه لاعتقادهِ ان كلّ ما اصاب الاب يوحنا من سخط جوسلين كان بسبب انتصاره لهُ ودفاعه عن حقوقه. فعقد العزم لادراك غايتهِ على خطة صعبة المراس وعرة الملتمس تحول دون البلوغ اليها عوائق واخطار. ولعـل الراعي المسكين لم يفطن لشيء من ذلك او انهُ فطن ولم يشأ ان يرجع عن مطلبه لانهُ كان يرى اعزّ شيء لديه السعي في خلاص ذاك الرجل البار الذي اصطنع اليهِ

وكان بعد مدَّة أن انتشر الخبر بين اهالي الناحية بأن الاب يوحنا نُقل الى الجانب الثاني من الجبل في جهة مدينة حماة ولم يكن يشقّ على عبد الله ان يشخص الى حماة او الى ابعد منها اذا اقتضت الحاجة غير انهُ لم يكن يعرف المدينة المذكورة بل غاية ما كان يعلم لمَّا كان في قرية مريمين يرعى المواشي عند احد كبار المشايخ النصـيريَّة ان هذه المدينة هي على مسيرة يوم من القرية المذكورة

فاذ ذاك حمل عصاه وتناول زوادة من الخبز المرقوق ولفَّها بمنـديلٍ وتزنَّر بهِ ثم ودَّع امرأته وسار على بركة الله ينشد مطلبه. وكانت امرأته عالمةً بمراده فلم تتعرَّض لهُ وكيف تصدّه وما حان لها ان تنسى انَّها لولا وساطة الاب يوحنا لما نجت من مخالب جوسلين الرجل الشرس

وقد عرَّج عبد الله في سفره على قرى عين الشمس والسنديانة وعين الخلاقين وشميسة وفندارة وكان في كل منها يبحث عن الاب يوحنا بحثًا دقيقًا فكان الكل يجاوبونه بانهم لم يروا لهُ وجهًا. وعلى فرض انهم شاهدوه ما كان احد ليتجرأ على إخباره مخافة ان يعرّض نفسه لسخط جوسلين وعقابه

ولما كان سائرًا في الغـابة المتسعة الكائـنة بين قريتي بيت الشمس والسنديانة نجا دون ان يعلم من خطر عظيم. فان الغابة المذكورة كانت في القديم كما هي في ايامنا الحاضرة ملجأً للُصوص وقطـاع الطرق. فبينما هو يمشي في شِعْب ضيّق مترنمًا بانشودة

تعلّمها قبلًا من الرعاة النصيريّة دون ان يعرف شيئًا من معناها وهي:

يا خليليَّ إن تكون عليلا ظامئَ القلب والفؤاد غليلا
اشرب الخمر انَّ فيها شفاء حيث كان مزاجها زنجبيلا
واذا ما شربتها وهي صرفٌ كل داء يعود عنك رحيلا
انها في كؤوسها تتلالا في الدياجي تعدُّها قنديلا
ان موسى الكليم لمَّا رآها في دجا اللَّيل والركام هطيلا
قال انّي آنستُ جذوة نارٍ جانب الطور في ضياء شعيلا
ايها العاذل البليد فكفَّ اللوم عني وأمهلني قليلا
ما ترى الكاس كيف يجلى بجنح م الليل بين الندمان بالترسيلا(١

وكان وراء الاشجار التي على حاشية الطريق نصيريّان من قطاع السبيل يرقبان كل حركة وايديهما على مقابض سيوفهما فلما شاهدا عبد الله قال احدهما لرفيقه :

— ها قد اتانا الصيد

— فقال الآخر انهُ لصيد عجيف لا يستحق ان نبلّ ايدينا بدمه. ولو لم يكن كيسهُ فارغًا لما كنت تراهُ يمشي بطيئًا فرحًا فهو بلا ريب نصراني من رعاة الماشية في هذا الجوار لا يجدينا سلبهُ نفعًا

— هبْ انهُ كما تقول. فبودّي لو انحرهُ نحرًا مجازاة لهُ على قلة حظنا في هذا اليوم. لهِ يالهُ يومًا مشؤومًا لم أرَ انحس منهُ قرُب الظهر ولم يمرَّ في هذا الطريق احد من المسافرين

— ألا تعلم ان هذا اللعين جوسلين مذ حبس الاب يوحنا ذهل الزوّار طريق حصن سليمان. فاذا كنت تريد ان تشفي غليلك من احد فاشفهِ من جوسلين. ولكن.. أنصت...

— ها أنا منصت...انهُ يُغنّي

— الا تسمع كلامهُ؟ أليس هو من شعر مولانا الشيخ الخصيبي او الشيخ صارم؟

— اي والله الحقّ معك هو أخ لنا.......! وحسنًا فعلتَ بتوقيفي عن إغماد السيف في قلبه ولولا ذلك لكنت قتلتُ ابن ديني وارتكبت المحارم

ثم ان اللصين خرجا من وراء الاشجار فحياهما عبد الله فردّا عليـهِ التحيّة وسألاهُ

١) الباكورة السليمانية (ص ٧٠)

عن المكان الذي يقصدهُ فقال : قرية مريمين لمشاهدة الشيخ خضر

– اذًا تذهب الى العيد ؟

– دون ريب . قال هذا ولم يعلم اي شيء هو العيد المحكي عنهُ ولكن سترى انهُ سيعلمهُ عن قريب

وفي مساء النهار وصل الى بعرين (١ وهي مدينة صغيرة واقعة في منحدر رابية وفي اعلاها قلعة ضخمة من بناء الصليبيين وفي اسفل القلعة اقبية كثيرة كانت مخصصة بالسجون فدخلها محتجًا بزيارة احد معارفه وبعد ان جال في كل انحائها خرج متأكدًا ان الاب يوحنا غير محبوس فيها . غير انهُ لم يقنط بل استأنف المسير قاصدًا مريمين من امهات قرى النصيرية

١٤

فبعد نزوله من جبل بعرين وصل الى السهل الكائنة فيهِ قرية رافنية التي كانت في ايام الرومانيين بلدة مزهرة ناجحة غير انها اليوم خراب يباب لا يأويها سوى البوم . وفي جنوبيها الغربي سلسلة جبال معتدلة الارتفاع ليس فيها نبتة خضراء يستريح البصر اليها ووراءها قرية الطاعونة يأهلها قوم من الفقراء المناكيد وعندها يتخدَّد السهل . وكان في تلك الايام قفرًا صامتًا لا يُسمع فيهِ صوت ولا فيهِ ديَّار لانَّ ايام الحصاد كانت قد انتهت

والواقف في اول السهل يشاهد من بعيد صفًا من الروابي وهو جبل اللكام ثمَّ صفًا آخر اقلّ ارتفاعًا يدعى جبل الحلو وفي سفحهِ خضرة نضرة تعارض بمنظرها قحولة السهل وتلتذ العين بمشاهدتها وهي غوطة مريمين التي تُعدّ من اقدم المدن السوريَّة وقد ردّد التاريخ ذكرها في القرن الرابع عشر قبل المسيح(٢ . امَّا الآن فصارت مركزًا للزراعة لا يخلو من بعض الاهميَّة

وقد وصل اليهِ عبد الله الراعي عند مغيب الشمس ولم يكن في ملابسهِ ولا في منطقهِ شيء يفرقهُ عن النصيريَّة فانهُ لكثرة تردُّدهِ عليهم كان قد تعلَّم لهجتهم وصار يستعمل كل اصطلاحاتهم ويقول مثلهم في كل امر « اي والله ولا والله » . وكثيرًا ما قبل التوبيخات والقوانين الصارمة على هذا القسَم الباطل من معرّفهِ الاب جرمانوس

١) ياقوت والمقريزي الخ ٢) الكتابات المصرية القديمة , دوسّو: رحلة سورية الخ

الساكن في حصن سليمان. وكان يتلقى ذلك كلهُ بخضوع واخبات غير ان العادة السيئة قد تغلّبت عليهِ فصارت فيهِ كطبيعة ثانية بحيث انهُ ما اجتمع مرة مع الرعاة النصيريَّة الَّا اقبل على الحلف نظيرهم وقد اتصل ايضاً الى معرفة العلامات التي يتعارف بها اهل هذه الشيعة

فلمَّا وصل عبد الله في مدخل القرية لاقى ولدًا صغيرًا فسألهُ عن الشيخ خضر مولاه السابق فاجابهُ انَّ الشيخ قد خرج من منزلهِ للاحتفاء بالعيد

الَّا انَّ الراعي لم يحترز من هذه الكلمة الاخيرة وظنَّ انها تعني احتفالًا اعتياديًا كعرس او نحوه فمن ثمَّ شكر الولد النصيري وسار الى الجهة التي دلَّهُ عليها

وكان قد دخل الليل وقتئذٍ واعتكرت الظلمة فضلَّ الراعي في طرق القرية وكثيرًا ما زلَّت قدمهُ في الوحول واوشك ان يقع في المياه الجارية على جوانب السبيل او في وسطهِ. وتعذّر عليهِ الاستعلام عن مقام الشيخ لان كل البيوت التي مرَّ عليها كانت موصدةً لا يظهر فيها نور قنديل حتى يتخيَّل من يراها انها مقفرة لا ساكن فيها فاخذهُ العجب من هذا السكوت الغير المألوف في مثل تلك الساعة الغير المتقدّمة من الليل وانتهى بهِ السير اخيرًا الى الطرف الجنوبي من البلدة. وبينما هو يهمّ بان يعود على اعقابهِ راجعًا اذ لمح بيتاً منيرًا كان قد فُتح بابهُ في تلك الساعة لدخول بعض الواردين اليهِ

فقال عبد الله في نفسهِ: قد نجوت والحمد لله من المصاعب فهذا هو «المنزول» دون ريب ابيت فيهِ الليلة وغدًا اسعى في مشاهدة الشيخ خضر. ثم انهُ تقدَّم الى ناحية البيت المذكور فلمَّا وصل قريباً من الباب تصدى لهُ رجلان من الاشداء منعهُ الظلام عن مشاهدتهما والقى عليهِ احدهما المسائل الآتية:

— شاش عمّك كم دور ؟

اما عبد الله فبهت من السؤَال المذكور ولكنهُ ما لبث ان عاد اليهِ الانتباه وفطن انهُ تائهٌ وانَّ البيت الذي توهمهُ «منزولًا» هو الخلوة التي يعقد فيها النصيريَّة اجتماعاتهم السريَّة وان العيد الذي ظنهُ عرساً هو عبارة عن احتفال ديني فتجلّد وعلم انهُ اذا اظهر عدم معرفة فهو مقتول لا محالة لانَّ النصيريَّة كما هو معروف لا يشفقون على كل

غريب عنهم يحـاول كشف اسرار ديانتهم ولذلك تظاهر بكونهِ نصيريًا واجاب على السؤال بقولهِ :

— ستة عشر دورًا

فقال النصيري: ان عطش عمك فمن اين تسقيهِ ؟

— من عين العلويَّة

— ان ضاع عمك فاين تلاقيهِ ؟

— بالنسبة

— اربعة واربعتَين وثلاثة واثنين وقدرهم مرَّتين في دينك اين ؟

— بالمسافرة (١

ودامت هذه المحاورة بين الاثنين نحوًا من ثلاث دقائق. غير ان عبد الله لمَّا كان قد اظهر في بادئ الامر تردُّدًا رأى الثاني من البوَّابين الذي كان ساكتًا ان الامتحان غير كافٍ فمن ثمَّ القى على عبد الله مسائل أُخرى وهي:

لي قريب فهل تعرفهُ ؟

— ما اسمهُ ؟

— اسمهُ الحسين

— هو ابن حمدان بلا ريب

— بل هو الشيخ الخصيبي

ومن حسن حظ عبد الله ان السائل وقف عند هذا الحد ولو انهُ اطال السؤال لانكشف الامر وقُتل الراعي المسكين لا محالة ولذلك سُرّي عنهُ ما اعتراهُ من الغم عند ما اذن لهُ بالدخول قائلًا ادخل الآن ايها الاخ باسم « عين ميم سين » فانهُ ما بقي احد غيرك لاجل الشروع في العيد

وكان عبد الله يعرف ان « عين ميم سين » هي الحروف الابتدائية من اسماء الاقانيم الثلاثة التي يتألَّف منها ثالوث النصيريَّة (٢. وهبْ انهُ يجهلهـا لم يكن ليجترئ في ذلك الظرف الحرج على الاستفهام عنهـا. غير انهُ كان يسأل نفسهُ كيف تكون خاتمة هذا الحادث معهُ

١) الباكورة السليمانية ودوسّو تاريخ وديانة النصيرية ٢) الباكورة

وفي الوقت نفسهِ فُتح الباب السري ودخل عبد الله الى قاعة فسيحة منارة بعدد من الشموع فرأى النصيريَّة قاعدين الحُبى (عاقدين اليدين فوق الركبتين) وكلهم سكوت وفي آخرهم كان قاعدًا ايضًا مثل قعودهم ثلاثة اشخاص متوشحون بملابس بيضاء من قدامهم الى رؤوسهم. وكان هؤلاء الثلاثة لا يتميَّزون فقط بملابسهم بل ايضًا بضخامة عمائمهم البيضاء بينما ان سائر الحاضرين كانوا جميعًا لابسين كوفيات وعاقدين فوقها العقالات

ونظر عبد الله في الثلاثة المذكورين فرأى ان اوسطهم هو الشيخ خضر الذي كان يقصدهُ فارتعد وارتجف. ثمَّ انَّ الشيخ المحكي عنهُ ارسل نظرة غضب على عبد الله فزاد عبد الله خوفًا وقال في نفسهِ: الليلة التي منيَّتي هنا. وكان كلما مرَّت دقيقة يتوقَّع ان ينقضَّ عليهِ النصيريَّة ويعاقبوهُ على جسارتهِ. غير انهُ رأى ان لا بدَّ من التجلد فجلس في أخريات الناس وجعل يرقب بطرف عينهِ حركات الحاضرين ليعمل مثلها

(ستأتي البقية)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت (تتمَّة)

١٢ (مطبعة جمعية الفنون) هذه اوَّل مطبعة اسلامية ظهرت في بيروت وكان متولي انشائها صاحب الفضل والهمَّة سعادتلو عبد القادر افندي قبَّاني في غرَّة ١٢٩٢هـ (١٨٧٤) وكان نال امتيازها باسم «مطبعة جمعيَّة الفنون» واستحضر ادوات الطباعة اولًا من لندرة. وفي ربيع الاول سنة ١٢٩٢ اصدر فيها جريدته «ثمرات الفنون» فيكون قد مرَّ عليها اليوم نيف و٢٦ سنة في خدمة الوطن. وفي سنة ١٨٨٩ زاد عليها آلةً يصحُّ تدويرها على البخار ابتاعها من الخواجا جرجي الغرزوزي. وقد طُبع في هذه المطبعة بعض تآليفات نسرد اسماء ما نعرف منها على حسب تاريخها:

١ً كتاب الهجاء لتعليم الاطفال للسيد عبد القادر افندي قبّاني .(طُبع مرارًا ١٢٩٢ . و١٢٩٧الخ . ص ٦٤) = ٢ً كتاب المبادئ لتمرين الاطفال (طُبع مرارًا . طبعتهُ السابعة ١٣٠٦ . ص ١١٣ . الثامنة ١٣١٠ . ص ١٥٥) = ٣ً كشف الارب عن سرّ الادب . نظم الشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٢٩٣ . ص ٦٥) = ٤ً كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب لجار الله الزمخشري مع شرحهِ للسيد الشيخ يوسف افندي الاسير (١٢٩٣ . ص ٧٣) = ٥ً ديوان البُستي (١٢٩٤ . ص ٨٥) = ٦ً كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين ابي الفتح ابن الاثير (١٢٩٨ . ص ١١٤) = ٧ً ابداع الابداء لفتح أبواب البناء للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٢٩٩ . ص ١٣٥) — ٨ً ديوان ابن النبيه (١٢٩٩ . ص ٩٠) = ٩ً ديوان ابي نواس (١٣٠١ . ص ٥٢) = ١٠ً ديوان اشعار الحماسة (١٨٨٩ . ص ٢٥٠) = ١١ً رواية بريطانيكوس مرّبها جرجس افندي بليط (١٨٨٩ . ص ٩٦) . الى غير ذلك من الكتب العلميَّة والاداريَّة والقوانين والنظامات

وهذه المطبعة صارت اليوم الى يد يوسف صادر ودخلت في جملة ادوات مطبعتهِ المعروفة بالعلميَّة التي مرَّ ذكرها

١٣ (مطبعة بيروت) انشأها سنة ١٨٨٥ جناب الاديب الهمام عزتلو محمَّد رشيد افندي الدنا . وابتاع ادواتها من مطبعتنا الكاثوليكيَّة . وفي آذار من سنة ١٨٨٦ اصدر جريدة « بيروت » وكانت تبرز مرَّتين في الاسبوع يوم الاثنين والاربعاء . وهي الان تصدر مرَّة واحدة يوم الاثنين يحررها سليم افندي عبَّاس الشلفون . ثمَّ اقتنى صاحب هذه المطبعة مسكبًا للحروف الاسلمبولية وقد نشر بعض الكتب المفيدة هذه اسماء ما وقفنا عليهِ منها حسب تاريخ نشرها :

١ً مختصر في الجغرافية لفضل الله فارس ابي حلقة (١٣٠٦—١٨٩٠ . ص٢٢٦) = ٢ً هداية السائل الى انشاء الوسائل للسيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣٠٦ . ص ٢٠٨) = ٣ً الاجوبة الجليَّة في الاصول الصرفيَّة لمحمد بك تلحوق (طبعة ثانية ١٨٩١ . ص ٩٦) = ٤ً ديوان ناصح الدين الارَّجاني صحَّحهُ وفسَّر الفاظهُ احمد بن عبَّاس الازهري (١٣٠٧ . ص ٤٥٢) = ٥ً كلمات في علم الروايات لحكمت شريف = ٦ً تاريخ دولتلو جودت باشا . مترجم عن التركيَّة (المجلَّد الاول ١٣٠٨ . ص ١٤ + ٤١٢) = ٧ً هداية الامم وينبوع الآداب والحكم لعزتلو عبد الرحمان ناجم افندي (١٣٠٨ . ص٧ + ٥٨٤) = ٨ً بغية المشتاق لتهذيب الاخلاق لعثمان بن احمد العُسيلي (ص ٣٢) = ٩ً كتاب البسط الوافر في حساب التاجر للسيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣٠٨ و ١٣١٠ . ص٨ + ١٤٠) = ١٠ً البديعية المسمَّاة ترجمان الضمير للحاج عبد القادر افندي الحسني (١٣٠٩ . ص١٩) = ١١ً ديوان خطب ابن نباتة مع شرحهِ للشيخ طاهر افندي الجزائريّ (١٣١١ . ص ٨+٥٢٨)

156

١٤ (مطبعة الولاية الرسميَّة) كان انشاء هذه المطبعة بعد مطبعة بيروت بزمن قليل في اواخر سنة ١٨٨٥. واصل ادواتها من باريس. امَّا احرفها فمنها قسم صُبَّ في مسكبنا وقسمٌ آخر استجلبتهُ الولاية الفخيمة من الاستانة والنقوش وخلافها من المانيا. وفي هذه المطبعة تُنشر جريدة «بيروت الرسميَّة» كان اوَّل ظهورها سنة ١٨٨٨ وهي قسمان قسمٌ تركي وقسمٌ عربي. وفي هذه المطبعة تُطبع اوراق النظامات والشروط والامتيازات ودفاتر الحكومة والاوراق الرسمية الى غير ذلك كاوراق التجارة وما شاكلها

١٥ (مطبعة الآداب) مرَّ على هذه المطبعة عشر سنوات بنيّف. انشأها سنة ١٨٩٠ الاخوان الاديبان امين افندي الخوري وشقيقهُ خليل افندي صاحب المكتبة الجامعة. اشتريا ادوات المطبعة اللبنانية لجرجي افندي الغرزوزي مع حروفها سنة ١٨٨٩ واضافا اليها آلة مطبعة المعارف التي يمكن تحريكها بالبخار وآلة ثانية باريسيَّة كثيرة السرعة للاشغال التجاريَّة. واتسع نطاق هذه المطبعة حتى بلغ مدَّةً عددُ عملتها ٢٧ عاملًا وفيها طُبعت اوَّلًا جريدة الاحوال (١٨٩١ — ١٨٩٣) وكانت تصدر مرَّتين في الاسبوع ثمَّ صارت يوميَّة كما سيأتي في ذكر مطبعة الفوائد. امَّا احرفها فمن مسكب المطبعة الادبية لخليل افندي سركيس. وفي سنة ١٨٩٨ قُسمت المطبعة قسمين نُقل احدهما الى الاسكندرية وبقي الثاني في بيروت. وكلتاهما تُعرف باسم مطبعة الآداب. وقد نُشرت في هذه المطبعة كتب عديدة اكثرها روايات وقصص نذكر منها ما نرى في ذكرهِ فائدة. وهي بنفقة صاحب المكتبة الجامعة وتُطلب منهُ :

١ً انشاء المكاتيب بالعربي لامين افندي الخوري (١٨٨٩. طبعتهُ السادسة ١٨٩٨. ص١٩٢) = ٢ً مختصرهُ (ص ٦٤) = ٣ً المبتكر او انشاء المكاتيب فرنسويّ وعربي لهُ (١٨٨٩. ص ٢٧٢) = ٤ً جامعة الآداب لهُ (١٨٨٩. ص ٩٦) = ٥ً مبادئ القراءة الفرنسويَّة بصور لهُ (طبعتهُ الرابعة ١٨٩٧. ص ٩٦. وهو الان يُنقَّح في مطبعتنا) = ٥ً غيرهُ اوسع وأعلى طبقة ص ١٢٦) = ٦ً تلياك بالفرنسويّ مع قاموس صغير (ص ٢٣٠) = ٧ً مختصر الفراماطيق الفرنسوي للمعلم يوسف افندي حرفوش (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٨. ص ١٠٨) = ٨ً رياض الالباب في رياض الحساب لامين افندي الخوري (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٢. ص ٦٤) = ٩ً فردوس السرور لانشراح الصدور لهُ (اربعة اجزاء. ص ١٩٣) = ١٠ً الجامعة او دليل بيروت (١٨٨٨—١٨٩١. طُبعت في المطبعة الادبية اولاً ثم في مطبعة الآداب) = ١١ً كتاب الاجرومية مع اعرابها (طبعة ثانية ١٨٩١. ص ٩٦) = ١٢ً النفحة العطريَّة في حالتنا العلميَّة لبشاره افندي زلزل (١٢٩١. ص ٤٠) = ١٤ تعليم مبادئ القراءة (١٨٩٢. ص ٣٢) = ١٥ً عشيَّة الاحد (١٨٩٢. ص ٣٢) = ١٦ً كتاب

الزبور الالهي (ص ٣٥٦) = ١٧ ديوان صفي الدين الحلي (١٨٩٢. ص ٥٣٨) = ١٨ الدلالة في علم المنطق لاحمد الشميطلي البيروتي (١٣٠٧. ص ٣٦) = ١٩ جلاء الغامض في شرح ديوان الفارض بقلم امين افندي الخوري طُبع في المطبعة الادبية ١٨٨٦ و ١٨٨٨. ثم في مطبعة الآداب (١٨٩٤. ص ٢٤٦) = ٢٠ جامعة القوانين المدنية (١٨٨٩–١٨٩٣. ص نحو ١٠٠٠ تتضمن القانون الاساسي والمحاكات الجزائية وقانون الجزاء الهمايوني ونظام البوليس واصول المحاكات الحقوقية ونظام الاجراء وتعريفة الرسوم والتمغة وقوانين التجارة والبلدية والابنية ونظام لبنان الخ وكل جزء يباع ايضاً على حدة) = ٢١ قصّة علي الزيبق (١٨٩٠–١٨٩٩. ص ٤٨٠) = ٢٢ كتاب سيرة بني هلال (١٨٩٤–١٩٠٠. اجزاؤها ٢١ وصفحاتها نحو ١٤٠٠) = ٢٣ رحلة بني هلال (١٨٩٤–١٨٩٨. اجزاؤها ١٥. ص نحو ٨٠٠) = ٢٤ سيرة عنتر بن شدّاد (ستّة اجزاء ١٨٩٣–١٩٠١. ص نحو ٣٠٠٠) = ٢٥ ديوان عنتر (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٨. ص ٩٦) = ٢٥ قصّة الزير (١٨٩٤–١٨٩٨. ص ٣٧٢) = ٢٦ ديوان الزير (ص ١٥٢) = ٢٧ قصّة مجنون ليلى (ص ٦٤) = ٢٨ رفيق العثماني وهو قاموس تركي وفارسي وعربي (ص ٣٣٦) = ٢٩ كنز اللغة العثمانية (١٨٩٧. ص ١٣٦) = ٣٠ كتاب مطابقة العلم لسفر التكوين للقس ميخائيل شحود الرومي الكاثوليكي (ص ١٢٤) = ٣١ الظل الوارف في معرض العلوم والمعارف لهُ (ص ٣٦٨) = ٣٢ مختصر التعليم المسيحي (١٨٩٧. ص ٦٤) = ٣٣ مختصر التعليم المسيحي للاباء اللعازريين (ص ١٦٠) = ٣٤ كتاب مائة حكاية بالفرنسوي والعربي (ص ٨٢) = ٣٥ المعاملات القانونية (ص ٦٤)

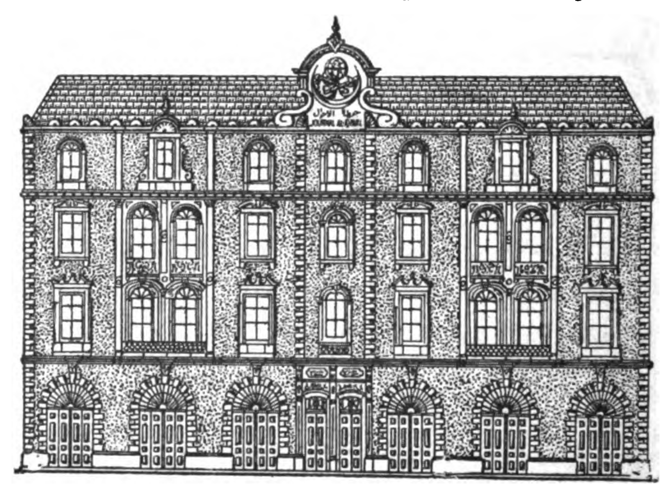
وقد ظهر في هذه المطبعة غير ذلك من رسالات علمية كرسالة في الاقتصاد لامين افندي الخوري ورسالة في الهواء الاصفر للدكتور ب. زلزل ورسالة في الفوطوغرافيا وطُرفة الطرف لخليل افندي زينيَّة وروزنامة سنويَّة ١٨٩٠–١٩٠١ مع روايات معرَّبة عن الفرنسية ككيروبا والفتى المهاجر للخوري ميخائيل دلّال وقصص عديدة يبلغ مجموعها نحو الثلاثين لا طائل في ذكرها

١٦ (مطبعة الفوائد) أسَّسها صاحبها الفاضل خليل افندي البدوي سنة ١٨٩١ نسبة للجريدة التي احرز امتيازها بهذا الاسم عام ١٨٩٠ وفيها تطبع جريدة الاحوال التي كانت منذ تشرين الاول سنة ١٨٩١ تصدر مرَّتين في الاسبوع ثم صارت تصدر يومياً في عام ١٨٩٣ ولا تزال يوميَّة حتى اليوم وهي اوَّل جريدة يوميَّة في سوريَّة « بارادةٍ سنية » ويصدر منها ايضاً عدد اسبوعي كبير يوم الاحد جامع لخلاصة اخبار الاحوال اليوميَّة

ويُطبع فيها مجلة شهريَّة اسمها الرئيس لصاحبها ومحرِّر علميَّاتها الدكتور لويس الخازن والاستاذ ابرهيم افندي الحوراني. وتصدر منها ايضاً نشرة سنويَّة باسم يوميَّة الاحوال مشتملة على زهاء اربعمائة صفحة توزَّع هديَّة في رأس السنة لجميع المشتركين.

وفيها محرّك غازي لتحريك آلاتها وهي اول مطبعة في سوريّة اقتنت محرّكًا بالغاز لترويج اشغالها وتطبع جميع انواع الكتب والاوراق التجاريّة باللغات العربيَّة والتركيَّة والفارسية واليونانيَّة والفرنسويّة وسائر اللغات الفرنجيَّة. وهي تصب الحروف في مصبها الخاص منذ سنة ١٨٩٦

وفي العام الماضي انشأ صاحبها بنايةً فخيمة على شارع المرفإ الكبير ذات اربع طبقات بديعة الهندسة يقال انها كلفتهُ نيفًا وستة آلاف ليرة اقام فيها المطبعة وادارة الجريدة وهذه صورة واجهتها الشرقيَّة



Établissemants du journal ALAHWAL بناية جريدة الاحوال

اما اخصّ المطبوعات التي نُشرت في هذه المطبعة فدونك اسماءها مسرودةً على ترتيب السنين :

١ً رواية شيطان المال معرَّبة بقلم خليل افندى البدوي (١٨٩١ ص ١٨٠) = ٢ً رواية الفتاة السيبرية تعريبهُ (١٨٩٢ ص ٨٠) = ٣ً تاريخ بابل واشور تأليف جميل افندي نخله مدوَّر (١٨٩٣ ص ١٢٨) = ٤ً رواية مرآة الشهامة تعريب امين افندي الحلبي (١٨٩٤ ص ١٨٤) = ٥ً رواية جزاء النادر ورواية الفقيد الموجود تعريبهُ (١٨٩٥) = ٦ً رواية خطف الابنتين بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩٦ ص ٢٣٤) = ٧ً الدرجات المدرسية في تعليم اللغة الفرنسوية لهُ (١٨٩٦ جزءان ص ١٠١ و١٠٣) = ٨ً سبيل الصلاح للسيد الجليل جرمانوس معقَّد مطران اللاذقية (١٨٩٦ ص ١٠٢) = ٩ً لورد وفتاتها لسيادتهِ (١٨٩٦ ص ٩٦) = ١٠ً زاد العابد مشتمل على صلوات تقال في مدارس الساليسيان (١٨٩٦ ص ٩٥) = ١١ً الحق الوضاح

في الجواب على المصباح للسيد ثاوفيلوس انطون قندلفت (١٨٩٦. ص ٢١) = ١٢ً رواية وردة الربيع بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩٧. ص ٢٠٤) = ١٣ً النبراس لسامع القداس بحسب الطقس اليوناني باللغتين العربية والفرنسويّة لهُ (١٨٩٧. ص ٣٥٢) = ١٤ً الاكطويخوس مذيلًا بالتقويم الكنسي لمعرفة الاناجيل والرسائل والالحان (١٨٩٧. ص ٣٩٣) = ١٥ً كتاب علم حفظ الصحّة مزيّن بصور تأليف الدكتور امين افندي الجميّل جزء اول (١٨٩٧. ص٣٨٤) = ١٦ً سجلّات لتدوين اسماء المتعمدين والمتزوجين والمتوفين ضبطًا للتواريخ وضع خليل افندي البدوي (١٨٩٧ كل سجل ص ١٠٠) = ١٧ً طريقة جديدة لتعلم مبادئ اللغة اليونانية لهُ (١٨٩٨. ص ٣٨) = ١٨ً الشعاع الساطع في حرفة الزارع للقس بولس عازار الحلبي (١٨٩٨. ص٩٧) = ١٩ً علاجي بالماء البارد للخوري سيباستيان كنيب معرَّب بقلم الخوري يوحنا الحائك (١٨٩٨. ص ٥٩٣) = ٢٠ً شرح مختصر لخدمة القدّاس الالهي عن الروسية بقلم السيدة عفيفة متري عبده (١٨٩٨. ص ٣٠) = ٢١ً الدليل الى مرادف العامي والدخيل تأليف رشيد افندي عطية (١٨٩٩. ص٣٦٤) = ٢٢ً نظامنامه مرفأ بيروت باللغتين الفرنسويّة والعربية قطع كبير (١٨٩٩ ص١٩) = ٢٣ً كراس عن الطاعون في جدة باللغة الفرنسوية تأليف الدكتور فريد بك ابرهيم احد اطباء المحجر الصحّي في بيروت = ٢٤ً التحفة الملية في التهاني البطريركية عني بجمعها قيصر افندي بوبز واسكندر افندي الخوري (١٨٩٩. ص٢٣٢) = ٢٥ً البنديكستاريون يشتمل على ترتيب وطقوس الايام من احد الفصح الى احد جميع القدّيسين ترجمة جديدة عن الاصل اليوناني لخليل افندي البدوي قطع كبير (١٩٠٠. ص٣١٣) = ٢٦ً رواية ابن الغريب لهُ (١٩٠٠ ص ٢١٠) = ٢٧ً سمت المراسلة تأليف المعلم فارس يمين انطون الشبابي الماروني اللبناني (١٩٠٠ ص ١٣٠) = ٢٨ً نزهة الالباب في رياض الاداب بالشكل الكامل رتّبهُ وطبعهُ خليل افندي البدوي لاجل تقويم القراءة العربية في المدارس الابتدائية (١٩٠٠. ص ٢٠٨). وغير هذه عدّة روايات ومناشير وكراريس ومطبوعات مختلفة اضربنا عن ذكرها

١٧ (المطبعة الانسية) تأسست في مدينة بيروت سنة ١٣١٢ هـ(١٨٩٥م). مؤسسها ومدير اشغالها عزتلو محمد سليم افندي الانسي صاحب جريدة «روضة المعارف» وهي تحتوي على مكبس كبير ومطبعة صغيرة لبطاقات الزيارة وغير ذلك. واستعملت من اول امرها الاحرف الاميركانية ثم استحضر مديرها الاديب من مدّة اربع سنوات طاقين من الاحرف الاسلامبولية من معامل دار السعادة العلية ومن باريس الاحرف الافرنسية المختلفة والنقوش المتنوّعة. وطبعت هذه المطبعة على نفقتها عدّة كتب تصوفية وادبية وقصص تاريخيّة ودواوين شعريّة ولا زال مديرها مجدًّا على توسيع نطاقها وتنظيمها واستحضار آلة كبيرة تدور على البخار لرواج الاشغال وسرعة الاعمال وهذه اسماء مطبوعاتها التي نشرتهُ على ذمّتها المكتبة الانسيّة المؤسسة سنة ١٣٠٨

١ً البسط الوافر في حساب التاجر تأليف عبد الباسط افندي الانسي (طبعة ثانية ١٣١٠.

ص١٦١) = ٢ً ديوان التلعفري المتوفى سنة ٦٧٥–١٢٧٧م (١٣١٠. ص ٧٢) = ٣ً ديوان ابن مليك الحمويّ المتوفى سنة ٩١٧–١٥١٢ م (١٣١٢. ص ٢١٠) = ٤ً ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق لابن العربي المتوفَّى ٦٣٨–١٢٤١م (١٣١٢. ص١٩٧) — ٥ً كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧–١٤٣٣م (١٣١٢. ص١٦٨) = ٦ً ديوان كشاجم المتوفى سنة ٣٥٠– ٩٦١م (١٣١٣. ص ١٨٨) = ٧ً ديوان النحاس الحلبي المتوفَّى سنة ١٠٥٢–١٦٤٠ م (١٣١٣. ص ١١٢) =٨ً ديوان المورد العذب للسيد عمر الانسي البيروتي المتوفَّى سنة ١٢٩٣–١٨٧٦م (١٣١٣. ص٢٤٨) = ٩ً اطواق الذهب للزمخشري (طبعة ثانية ١٣١٤. ص ١١٢) = ١٠ً تأسيس المباني في اللسان العثمانيّ (تركيّ وعربي) تأليف عبد الباسط افندي الانسي (طبعة ثانية ١٣١٥. ص ٢٠٨) = ١١ًهداية السائل الى انشاء الرسائل لهُ (طبعة ثالثة ١٣١٥. ص ٢٠٨) = ١٢ً ديوان الشاعر المجيد مهيار الديلمي (الجزء الاول ١٣١٥. ص٣٥٢) = ١٣ً ديوان ابن سنان الخفاجي الحلبي المتوفَّى سنة ٤٦٦–١٠٧٤م (١٣١٦. ص ١١٦) = ١٤ً ديوان ابي المظفر محمد الاموي الايوردي المتوفى سنة ٥٥٧–١١٦٢م (١٣١٧. ص ٣٨٢) = ١٥ً ديوان الامامين الوتري والطرانفي (طبعة ثانية ١٣١٧. ص ٦٤) = ١٦ً ابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب تأليف عبد الباسط افندي الانسي (١٣١٨. ص ٥٥٠)

هذا آخر ما امكننا جمعهُ من تاريخ فن الطباعة في بيروت وقد يوجد ايضاً فيها بعض مطابع تختص بنشر الاوراق التجاريَّة كمطبعة الخواجا جرجي مكر يشتغل بها منذ نحو ١٥ سنة ومطبعة الخواجا عيد جدعون ظهرت منذ نحو ١٠ سنين. والمطبعة الكلية للخواجا ابرهيم الترمساني وظهرت من نحو خمس سنوات. ومطبعة الثبات للخواجا اسكندر الخوري وظهرت العام الماضي. وكان لبنكرتن الانكليزي مطبعة ايضاً نشر فيها بعض كتب دينيَّة بروتستانية لا نرى فائدة في ذكرها لعدم رواجها

(ستأتي البقيَّة)

الصفا براكينهُ وكتاباتهُ

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

اذا ما تجاوز السائر الغوطة التي تلوح في خضرة حدائقها الغنَّاء دمشقُ الفيحاء كانها الدرة المكنونة في الزبرجد وصل بعد مرحلة يوم من جهة الجنوب الشرقي الى كورة غريبة المنظر تُدعى اللَّجا

واللجا عبارة عن مسطَّح مربَّع الشكل مستطيل تكسيرهُ عشرة اميال طولاً في

ستّة عرضاً يعلو فوق البقاع المجاورة بعضَ امتارٍ امّا اصل هذه الرُّبى فانّما هي حُمَمٌ مصهورة قذفت بها براكين جبال حوران في سالف الاعصار. ونبات هذا الصقع قليل ليس فيهِ سوى ما يفي بقوت المواشي. ومن سبر غور هـذه التربة وجد سُمْك موادّها البركانيَّة نحو ٢٠٠ متر تحتها الصلصال والموادّ الكلسيَّة. وقد عملت في وجهها العوامل الجوّيَّة فنخرت صخورها وخدَّت فيها الاخاديد وفتحت لنيرانها الباطنيَّة فوّهات تفجّرت منهـا الحمم وانبعثت الأبخرة. فمن سار في وسطها لا يرى الّا اللاجج العميقة والوهاد الغامضة والفجاج الضيّقة تُشرف عليهـا التلال المتكوّنة من صُهارة البراكين ولهذه التلال مغاور عديدة وصِهاء رحبةٌ تتخلّلها. ولكثرة مضايق هذه البـلاد ومخانقها اتخذها الناس منـذ الزمن القديم ملاذًا كانوا يلتجئون اليهِ من شرّ اعدائهم ولذلك دعوها « اللجأ ». ولمّا قدم قبل ستين سنة ابرهيم باشا بعساكره الى الشام فتتح منهـا ما فتح عاد منكوصاً خائباً لما لقيهُ من المقاومة بازاء هذا الحصن الطبيعي

هذا وان بين تلال اللجا وصخورهِ فُروجاً فسيحة قد بُنيت فيها القرى وغُرست المزارع والبقول ينال منها سكّان تلك النواحي بُلغة عيشهم

فاللجا كما ترى لا يعدم ما هو ضروري لقوام الحياة وان كان عيش الاهلين ليس برَغد منعَّم. ولكن ان سرت ميمّماً شرقيَّ اللجا دائرًا حول جبل حوران او جبل الدروز بلغت بعد قليل صقعاً لا يجد فيهِ الانس شيئاً يُمسكون بهِ رمقهم لجدبهِ وهو القطر المعروف « بدائرة التلول » او « تلول الصفا » وربّما دُعي « الصفا » اقتصارًا. وهو عبارة عن عدد لا يحصى من التلال القليلة الارتفاع وكلها كارض اللجا المتكوّنة من الحمم البركانية واذا قابل الناظر بين الكورتين تخيّل ان تلال الصفا حديثة الانفجار بالنسبة الى اللجا كأن الموادّ الناريّة والأبخرة الغـازيّة لم تُشعر باهوالها الّا منذ عهد قريب فاستحقّت اسمها الاعجمي المنذر بالويلات ودُعيت « طراخون » (Trachone) اي الارض المستوحشة. وهو الاسم الذي عُرف بهِ اللجا وجبل حوران عند الاقدمين (راجع انجيل مار لوقا ٣ : ١). ومساحة « الدائرة » المذكورة نحو ١٢٠٠ كيلومتر مربَّع تنتصب تلالها المخروطة بنحو ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر فوق بسيط الاصقاع المجاورة التي يبلغ معدَّل ارتفاعها ٥٠٠ متر فوق سطح البحر

وحجارة الصفا سوداء مستديرة الشكل تلمع كالمعدن الذائب. ومن عاين فوّهات

براكينهِ يخال لهُ انَّها تقذف حتى الان سيولًا من المواد المصهورة . واذا عبر الراحل من تل الى آخر على قناطر تجمع بينهما ظنَّ انَّ انهارًا من النيران المتَّقدة تسيل من تحتهِ . ومُجمل القول ان منظر هذه البلاد مريع يحسب زائرها انَّ نيرانها لم تُطفأ بعد

والصفا قسمان قسم شمالي يُدعى « الضِرْس » وقسم جنوبي خُصَّ باسم الصفا . ومن اتى الصفا من الجنوب الشرقي يجتاز وسط معاملة كثيرة البقايا البركانيَّة تُدعى « الخشبة » مساحتها عدَّة كيلومترات . وفي شمالي قسم الصفا الجنوبي جبل يدعى « ابا غانم » لهُ قُنَنٌ مسنَّنة من الحمم تشبه نديف القطن كانها لهيب النار يميل بها الريح . وفي وسط الصفا جبل آخر اسمهُ زُنَيتعا او صُنَيتعا وهو ايضًا بركان قديم خرب قسم من جوانبهِ الخارجة فلم يبقَ منهُ الَّا مدخنتهُ تسندها بعض السواري المشرفة على هوَّةٍ عميقة . وعلى وجهه ترى صفائح من الزجاج وتضاريس من الحمم تنتصب فتزيّنهُ بأطرافها المروَّسة . وبين الجبلين المذكورين اعني ابا غانم وزنيتعا تلَّان آخران مخروطا الشكل يدعيان مَراتي وواسط

ومن غريب الامور انَّ اغلب فوَّهات الصفا البركانيَّة لا تتفتح عند قمَّتها بل على جوانبها في سَمك التلال . فترى من ثمَّ اغوارًا مستديرة الشكل عرضها نحو ٣٠٠ متر في عمق ٢٠ الى ٥٠ مترًا . وبعضها تراها في عزلة عن اخواتها وبعضها متصلة لا يفصل بينها الَّا جدران رقيقة من الزجاج الاحمر او الاسود الضارب الى الحمرة . وفي بعض الحالَ ترى للحُمَم اخاديد متوازية طولها بضع مئات من الامتار

وان سأل سائل وهل للحياة من اثر في هذه الانحاء . قلنا انَّ هذه الارض الجلحاء لا تنبت الَّا صنفًا من البَهَق الرماديّ اللون تراه يلتصق بالحجارة السوداء وتحسبهُ عن بعدٍ انَّهُ منها

الَّا انَّ في شمالي غربي هذه المقاطعة وفي جنوبها الشرقيَ ترى بعض التلال تنفرج فتنبسط في خلالها بطاحٌ يبذر فيها الاعراب بعض البذور . وقد عملت ايضًا عواملُ الطبيعة في هذه الصخور والتلال فتفتَّت منها جانب بقوَّة الامطار والرياح فسالت دقائقها الى البطائح المنخفضة والقيعان . والمياه تتجمَّع في هذا الوطإ فيخصب المكان ويصير منتجعًا للمواشي حتى في أبَان القيظ . امَّا في غير هذه البطائح فتنضب المياه بين مسامّ الصخور البركانيَّة حتى تبلغ طبقة الصلصال الذي عمل فيهِ عامل النار فحوَّلهُ الى موادَّ متبلورة . وليس مسيل ماء الَّا في منعطف الجبل الواقع في شمالي غربي الدائرة في القسم المعروف

حروف الهجاء العربيَّة	حروف لغة بلاد الصفا القديمة	امثلة لكتابات الصفا
ا		
ب		
ج		
د		
ه		
و		
ز		
ح		
ط		
ي		
ك		
ل		
م		
ن		
س		
ع		
ف		
ص		
ق		
ر		
ش		
ت		
بن		
عل		

بالضرس. فانَّ هناك غارًا طبيعيًّا وسَّعتهُ يد الانسان يخرج منهُ جدول ماء يقصدهُ اهل البادية وهم يدعونهُ عين ام النيران

وكذلك ترى في رَدهات الصخور الطبيعيَّة التي سبق ذكرها لاسيَّما في جبل سَيس وقانع اي نُقَرًا يجتمع فيها الماء في السنين الكثيرة المطر ويتكوَّن منهُ احواض او بُحيرات تدوم اشهرًا وتسقي الوديان فتنعشها وتزكي نباتها وتنوّرها بالزهور والى هذه الغدران تتقاطر طيور الماء

واكبر هذه الاحواض اسمهُ الرُّحبة وهو كواشٍ يمتدّ في وسط تلك البلاد المقفرة على مسافة ٢٤ كيلومترًا طولًا في ١٥ عرضًا تجري اليهِ السيول من الرُّبى المجاورة. ولهُ منظر تقرّ لهُ العين لاسيَّما اذا قابلتَ بين ربعهِ والقفر الجدب الذي يكتنفهُ. واهل البدو يزرعون في الرحبة الذرة والشعير والحنطة فتغلّ لهم الغلال الكثيرة في الواحد مئة او ١٢٠. وكان الرومان يعرفون هذه الاماكن الخصبة فاقاموا بقربها قصورًا او حصونًا لردّ غزوات العرب. ومن زار تلك البلاد وجد اخربة هذه البنايات مع عدَّة كتابات نقشها عليها الجنود الرابطون فيها او الاهلون الذين لاذوا بجاهم كما سترى (١

٢

ولكن اذا كانت بلاد الصفا غريبة في تركيبها الجيولوجي يقصدها لذلك السُّيَّاح فانَّها ليست باقلّ شأنًا من قبيل المعارف اللغويَّة. وذلك انك ترى في عدد لا يُحصى من الصخور البركانيَّة كتابات خُطَّت بقلم مجهول طالما حاول كشف مكنونهِ العلماء الى ان توَصَّل العلامة يوسف اللاوي (J. Halévy) الى قراءة حروف هجائهِ منذ نحو عشرين سنة. ولكنَّ مساعيهُ الحسنة لم تفِ بتمام المرغوب فلذلك باشر في ربيع سنة ١٨٩٩ عالمان فرنسويَّان فاضلان رحلةً جديدة لفحص تلك الكتابات. فكانت نتيجة سفرهما تأليف كتاب نفيس برز آخرًا الى عالم الوجود فدوَّنا فيهِ ما تيسرت لهما معرفتهُ (٢

١) قد نقلنا وصف بلاد الصفا عن كتابنا المخطوط في جغرافية سورية. واستعنَّا بكتاب المسيو دوسو الوارد ذكرهُ كما اننا راجعنا ما كتبهُ البارون فون اوپنهيم (ج ١ ص ٢١٣-٢٥٢) في رحلتهِ التي عرَّفها المشرق (٣: ٧١٦) ومقالة الدكتور ستوبل (Stübel) في المجلة ZDPV, XII, p. 255

٢) وهذا اسم الكتاب Voyage archéologique au Ṣafâ et dans le Djabel ed-Drûz par R. Dussaud et Fr. Macler, *Paris* 1901 pp. 227 avec pl. XVI et une carte

امَّا موضوع هذه الكتابات فهو يختلف الَّا انَّ الغالب عليها اسماء اعلام: « فلان ابن فلان ». يتقدّمها اسم راقم الكتابة « لفلان ». وكثير من هذه الاعلام هي اسماء آلهة قديمة اشهرها الاله « ايل » ثم الاله « سين » وغير اسماء لم يتحقق العلماء صحّتها حتى الآن

امَّا حروف لغة الصفا فانَّ اشكالها متوسّطة بين لغتي الفينيقيين والحميريين. وخطوط هذه الكتابات غير متقنة تبتدئ سطورها من اليمين الى الشمال ثمَّ تعود من الشمال الى اليمين كانَّ اصحابها لم يتبعوا في ذلك قانونًا او ارادوا مراعاة تقاطيع الصخور. ومنها ما يصحبهُ تصاوير غريبة في غاية البساطة تمثّل فرسانًا برماحهم او ابلًا وغير ذلك (راجع الصفحة ٣٢٨)

وما يحقّ لهُ الاسف انك لا تجد تاريخًا لهذه الآثار وانما يُعلم من شأنها انها لم تسبق اوائل القرن الثاني للمسيح والارجح انها خُطَّت في اواسط هذا القرن. ولا يجوز تأخيرها الى ما بعد القرن الرابع لانَّ النصرانيَّة وقتئذٍ كانت انتشرت في بلاد الصفا ولا تجد في هذه الخطوط شيئًا يُشعر بدين المسيح. فالعلماء يتردّدون اذن في تعريف زمنها بين القرنين الثاني والرابع للميلاد

ولا علاقة بين اصحاب هذه الكتابات وقبائل غسَّان التي لم تدخل هذه البلاد الَّا بعد ذلك العهد. كما انك لا تجد في هذه الكتابات ال التعريف الذي كان شائعًا في لغة غسَّان. وهي ملاحظة تحدو بنا الى تعريف لغة الصفا وكتاباتها

وما تقرَّر لدى العلماء انَّ هذه اللغة احدى اللهجات العربيَّة لها شبه باللغات المستعملة في شمالي جزيرة العرب واكثر الاسماء الواردة في هذه الكتابات تجدها في اللغة العربية « كشقلان ومُناءم واسلم وملك وسعد ومحارب ولبيد ومَعن ». وفيها كما في العربيَّة وزن افعل التفضيل وصيغة التصغير وبعض حروف الجرّ كعلى الخ

ومن خواص هذه اللغة ان اداة تعريفها ليست « ال » كالعربيَّة بل الها (ה) كالعبرانيَّة. وكذلك ترى في لغة الصفا اصولًا ثلاثية لا اثر لها في المعاجم العربيَّة. الَّا اننا لا يمكننا ان نبرز في حقيقة لغة الصفا حكمًا الى ان يجمع منها العلماء قسمًا اوفر يشتمل على غير الأعلام فيمكنهم التحري والبحث عنها

وعلى كل حال لا يسعنا الَّا الثناء على الكاتبين السابق ذكرهما وهما قد تمكنا بعد

الجهد الجهيد وضروب الاتعـاب من جمع ما جمعا وفي كتابهما عدد وافر من هذه الكتابات شرحاها شرحاً مستوفياً واضافا الى ذلك تدوين حروف الهجاء كما نقلناها عنهما (راجع ص٣٢٨) مع رسوم هذه الخطوط كما وجداها في الصخور

امَّا القسم الثاني من تأليفهما (ص ١٣٧—٢٢٧) فانهُ يتضمَّن كتابات أُخر يونانية ولاتينيَّة ونبطيَّة وقفا عليها في جبل الدروز او جبل حوران ورسما صورها ولهما ايضاً عدَّة تصاوير شمسيَّة بديعة . وفي هـذا القسم قد استدركا على العلاَّمة وادنغتون في اشياء كثيرة ووفَّرا كثر الكتابات التي اكتشفها هذا العالم الشهير . وممَّا يؤخذ من مضمون هذه المكتوبات انَّ سكَّان تلك البـلاد كانوا من قبائل عربيَّة كما تدل عليهِ اسماء الاعلام المذكورة في هذه الخطوط . فترى من ثمَّ ما يفيد درس الآثار الحجريَّة القديمة وكيف يؤدي بنا الى الاطلاع على تاريخ الاقدمين

ونختم هذه الاسطر شاكرين للمؤلفين مسعاهما ومثنين على الخدم الجليلة التي ادَّياها للعلم بنشر تأليفهما وهما قد تحايدا فيهِ الاوصاف الباطلة والاخبار المسهبة ليجعلاهُ اثرًا علمياً بحتاً يُرجع اليهِ في تاريخ سوريَّة الشرقيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

البنديكستاريون

او طقوس الكنيسة اليونانية من احد الفصح الى احد جميع القديسين

ترجمة جديدة عن الاصل اليوناني لخليل افندي البدوي (مطبعة الاحوال ١٩٠٠ . ص ٣١١)

يسرُّنا ان نرى الكنائس الكاثوليكية تهتمّ بنشر كتبهـا الطقسيَّة فتسدّ بذلك خللًا عظيماً يؤسف لهُ . والبنديكستاريون الذي نحن بصددهِ كان طُبع سابقًا في مطبعة القبر المقدس الَّا انَّ ترجمتهُ لم تكُ مضبوطة فيها من ركاكة العبارة ما لا يخفى على ذي ذوق . فذلك ما حدا بالاديب الهمام جناب خليل افندي البدوي ان يعيد طبعة هـذا الكتاب بعد مقابلتهِ على الاصل اليوناني ومعارضتهِ على الترجمات العربيَّـة الخطّيَّة والمطبوعة التي امكنهُ الحصول عليهـا . وقد جرَّدهُ عن بعض الاضافات والشروح التي كانت زيدت على الاصل بلا داعٍ صوابي منها ما جاء عن اولاد القديس يوسف وفنَّدناهُ

في المشرق (٢: ٤٣١). فنحثّ اذن اخوتنا الروم الكاثوليك ألّا يعتمدوا في صلواتهم على غير هذه الطبعة الجديدة كما انّنا نلتمس من غبطة السيد البطريرك والسادة الاساقفة ان يفرضوا بها في كل كنائس رعاياهم. ولنا الامل الوثيق ان متولي نشر هذا الكتاب يشفعهُ بغيرهِ من الكتب الطقسيَّة ولا يضنّ بشيء من الوسائل ليجعلها مستوفية الشروط من حيث الترجمة واتقان الطبع

Guide de l'arabisant en Algérie et en Tunisie

الدليل لمتعلّم اللغة العربية في المغرب والمملكة التونسية

طُبع في الجزائر في مطبعة جوردان سنة ١٩٠١ ص ٣٢ (القسم الاول)

تشكَّلت في مدينة الجزائر لجنة من ادبائها لدرس اللغات العامّيَّة الدارجة في المغرب والجزائر تحت نظارة العلامة الشهير ل. ماشويل (L. Machuel) فاهدتنا القسم الاول من الفصول والمقاطيع التي نوت نشرها في اوقات معلومة فتفصفَّحناها واستحسنا طريقتهُ الموافقة للغرض المقصود اتمَّ الموافقة لانها تحتوي صكوكًا وعرائض ورسالات واغاني كما يكتبها الآن اهل تلك البلاد. وقد أُضيف اليها ترجمة افرنسيَّة غاية الدقة مع عدَّة ملاحظات لغويَّة. فنشكر مساعي هذه الجمعية ونتمنى لنشرتها رواجًا عظيمًا

Encheiridion Confucianum

da Dr G. Gabrieli, Roma. 1901 pp. 218

خلاصة تعليم كونفوشيوس

قد كثر في ايّامنا درس كتب الشرق الاقصى. فانَّ العلماء لم يدعوا حالًا من احوال الهنود والصينيين الّا وبحثوا فيها رجاء ان يجدوا شيئًا جديدًا يتحفوا بهِ الاوربيين. والدكتور غبرائيلي مولع بدرس آداب الصينيين وديانتهم ذكرنا لهُ سابقًا تأليفًا من هذا القبيل. واليوم قد اهدانا كتابًا آخر جمع فيهِ حكم كونفوشيوس واقوالهُ الشهيرة في الدين والفلسفة والآداب والسياسة والتهذيب جمعها من تآليفهِ التي يتداولها الصينيون وترجمها الى اللغة الايطاليَّة. وقد صدَّر كتابهُ بترجمة هذا الفيلسوف وما ابقى من الآثار بين مواطنيهِ الذين يعبدونهُ عبادتهم لآلهتهم الباطلة. ومن تصفَّح هذا الكتاب يرَ بين اقاويل هذا الفيلسوف وآيات الانجيل بونًا هو ابعد من السماء عن الارض ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ منشور غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي. طُبع في الشرفة سنة ١٩٠١

٢ يوميَّة الاحوال لسنة ١٩٠١ (راجع المشرق ٣: ١٨٨)
٣ الروايات الشهريَّة. يتولى طبعها يعقوب افندي جمَّال في القاهرة
٤ طُرف عن الكنائس الشرقيَّة للدكتور غبرئيلي بالايطالية (١٩٠١. ص ١٣)

شذرات

رد السهم — لم تسمح لنا حتى الآن الفرصة لردّ سهمٍ صوَّبهُ الى مدرستنا الكليَّة صاحب الهلال في عددهِ الصادر في ١٥ كانون الثاني (ص ٢٤٠) فشكا منها انَّها تدرّس العلوم العليا كالطبيعيَّات والرياضيَّات والطبّ بالفرنسيَّة لا بالعربيَّة. وهي شكاية باطلة لانَّ هذه الدروس العليا لا يتعلَّمها الَّا طلبة استعدُّوا لها بالدروس الثانويَّة واخصّ الدروس الثانويَّة درس اللغة الفرنسويَّة التي توفَّرت فيها الوسائل لاتقان هذه العلوم فضلًا عن الترقّي المتداوم فيها كالتآليف العديدة والمجلات العلميَّة ومشاهير الاساتذة ممَّا تفتقر اليهِ لغتنا العربيَّة. ونشير على المعترض ان يراجع فصلًا مطوَّلًا كتبتهُ مجلةٌ يجأها الهلال ويطنب في وصفها وهو المقتطف ورد ذلك في سنتهِ التاسعة عشرة (ص ٢١٥). وفي كلامهِ جواب مقنع لا يُبقي شكًّا لمرتابٍ. ولنا في كليَّة الاميركان في بيروت والمدارس الاميريَّة في مصر مثالٌ باهر على صواب فعلنا فان هذه المدارس بعد ان علَّمت هذه العلوم العالية في العربيَّة عدلت الى اللغات الاوربيَّة لمزيد صلاحيَّتها لهذه الدروس. على ان ذلك لا يمنع التبحر في لغتنا العربيَّة واقتباس فوائدها وتقديرها حقّ قدرها فضلًا عن اننا لا نرى الذين تخرَّجوا في مدارسنا اقلّ من غيرهم تأليفًا في العربيَّة وكفى بهذا دليلًا على بطلان حجَّة الهلال ل. ش

الفِطَحْل — وردنا من مدينة السلام كتاب للشيخ بعيث الخضري ينتقد فيهِ على جواب للشيخ ابراهيم افندي اليازجي ذكرناهُ بالحرف لفوائدهِ:

سأل احد المستفيدين مجلة الضياء سؤالًا هذا نصُّهُ (٣: ٣٠٨): « يستعمل كتَّابنا كلمة « فَطاحل » بمعنى كبار العلماء. فهل لهذا الاستعمال اصلٌ في اللغة ». فأجاب الضياء «... واماَّ استعمال « الفطاحل » بالمعنى الذي ذكرتموهُ فهو من مواضعات العامَّة (كذا) ولا شيء منهُ في كتب اللغة » (!). قلتُ: ليس ذلك من مواضعات العامَّة بل هو من مواضعات الفصحاء والبلغاء. قد استعملوهُ بهذا المعنى من باب المجاز. لان من معاني الفِطَحل

« الضخم من الإبل » فنقلوهُ الى معنى العظيم او الكبير من العلماء كما نقل العرب القدماء مثل ذلك في كثير من الالفاظ. من ذلك « الكَبش » قال في التاج: « ومن المجاز الكبش: سيّد القوم وقائدهم ورئيسهم. وقيل كبش القوم حاميتهم والمنظور اليهِ منهم. . ويُقال: هو كبش الكتيبة اي قائدها. وهم كباش الكتائب » اه

ومن هذا القبيل ايضاً « الوَعل ». فان معناهُ موضوع في الاصل للحيوان المشهور ثم نُقل الى معنى الرجل الشريف (عن جمهور اللغويين). ومن هذا الباب « السِنَّوْر ». فانَّ الاصل فيهِ القطّ او الهرّ ثم نقلوهُ الى معنى سيد القوم ورئيسهم (عنهم ايضاً). ومن نوع هذا المجاز ايضاً « الفَحل » فان المعنى الاصلي فيهِ موضوع لفحل الإبل ثمَّ نُقل الى معنى الراوي ويُجمع على فُحول ومعناهُ الرُّواة. وكذلك يقولون « فُحول الشعراء » للغالبين بالهجاء مَن هاجاهم (ملخَّص عن التاج والقاموس) ومن هذا الاستعمال المجازي « القِنعاس » فان معناهُ في الاصل معنى الفِطحل بتمامهِ. قال في التاج: « القنعاس. . . هو من « الإبل » العظيم « الضخم ». . . والقِنعاس الرجل الشديد المنيع قال جرير:

وابنُ اللَّبونِ اذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْل القناعيس » اه

ومن ذلك ايضاً « القرم » فانهُ في الاصل الفحل ثم نُقل الى السيد المعظَّم من الرجال (جمهور اللغويين). قلتُ: ولو رجع الشيخ الى كتاب العرف الطيِّب وتأمَّل ما تولى طبعهُ لرأى في ص ٣٠٠ هذا البيت:

ولكنَّا نُداعب منك قَرماً تراجعتِ القُروم لهُ حِقاقا

وقد جاء شرحهُ هناك ما ننقلهُ بحرفهِ هنا: « القَرم الفحل من الجمال... والحِقّ. . الذي دخل في الرابعة من سنيهِ. . . اي ولكنَّا قُلنا ذلك مداعبةً لك. وانَّما نحن نداعب منك ملكاً تتصاغر في جنبهِ كبراء الملوك كالحِقاق في جنب الفحول » اه. هذا ولو اردنا ان نستقري هذا النوع من المجاز. لفات الحصر وتعدَّاهُ وجاز. لكن اكتفينا بهذه الاسطر الوجاز. إشارة الى خطإ الشيخ وما في صدرهِ على « فطاحل » الكتبة من الحزاز

قمرا المرّيخ — قلنا في مقالتنا عن المرّيخ أنهُ ليس لهذا السيَّار قمر يلطِّف نورهُ في لياهِ ثمَّ قرأنا بعد ذلك فصلاً مطوَّلاً للاب فرّاري اليسوعي الفلكيّ الشهير اثبتهُ في مجلة التمدن الكاثوليكي (سنة ١٨٧٩ ج ٣ ص ٣٧٩) اوضح فيهِ اكتشاف قمرَين لهذه المتحيّرة. رصدهما العلاَّمة اصاف هال (H. Hall) لاول مرة في آب

من سنة ١٨٨٧ في مرصد واشنطون فدعا الاول دَيموس (Δειμός) اي خوفًا والآخر فوبوس (Φόβος) اي رعبًا يدور الابعدُ منها بنحو ٣٠ ساعة و ١٨ دقيقة. والثاني بسبع ساعات و ٣٩ دقيقة غير ان هذين القمرَين صغيران جدًّا لا يُطَّلع عليهما الَّا بالآلات الرصديَّة القويَّة يبلغ قطر الواحد منهما ١٢ كيلومترًا والآخر عشرة كيلومترات فقط. هذا واذا اعتبرت ان مسافة الابعد عن سطح المرّيخ تبلغ ٢٠١١٦ كيلومترًا والثاني ٦٠٥١ فهمت انَّ النور المنعكس عنهما للمرّيخ هو زهيد جدًّا بحيث لا تكاد تتلطَّف ظلمة ليلة المريخ كما قلنا ل. ش

لغزٌ لحضرة الاب الياس جبارة اليسوعي يُطلب حلُّهُ نظمًا

ما اسمٌ ثلاثيّ الحروف جمالهُ ... يسبي عيون الوامق الولهانِ
ربٌّ لهُ تعنو قلوب عبيدهِ ... فيديرها ببنانه الفتّانِ
فلذا تراهم نصب عرشهِ ركّعًا ... يترنّمون بذكرهِ الرنّانِ
ولوصلهِ ما الجور يردع طالبًا ... والكفر يعمي عروة الايمانِ
وقفوا لخدمتهِ عزيزَ حياتهم ... كنز النفوس الغاليَ الاثمانِ
فانالهم تأخير رأس حروفهِ ... كأسًا يذيقهم شجى الاحزانِ
يا عابديهِ ألا ارعووا عن غيّكم ... وأنفوا شعار الذلّ والطغيانِ
فلئن صدرتم عن حماهُ غدا لكم ... املٌ بنيل المجد والاحسانِ
املٌ اتى لغزي بهِ مستبشرًا ... مذ حلَّ اولَّهُ محلّ الثاني
نشبًا فضنكًا ثمَّ خيرًا يُرتجى ... لغزي حوى والسرّ فيهِ دانِ
فاليك يا ذا اللبّ سرّي بُح بهِ ... فهدتك رؤياهُ جزا الشكرانِ

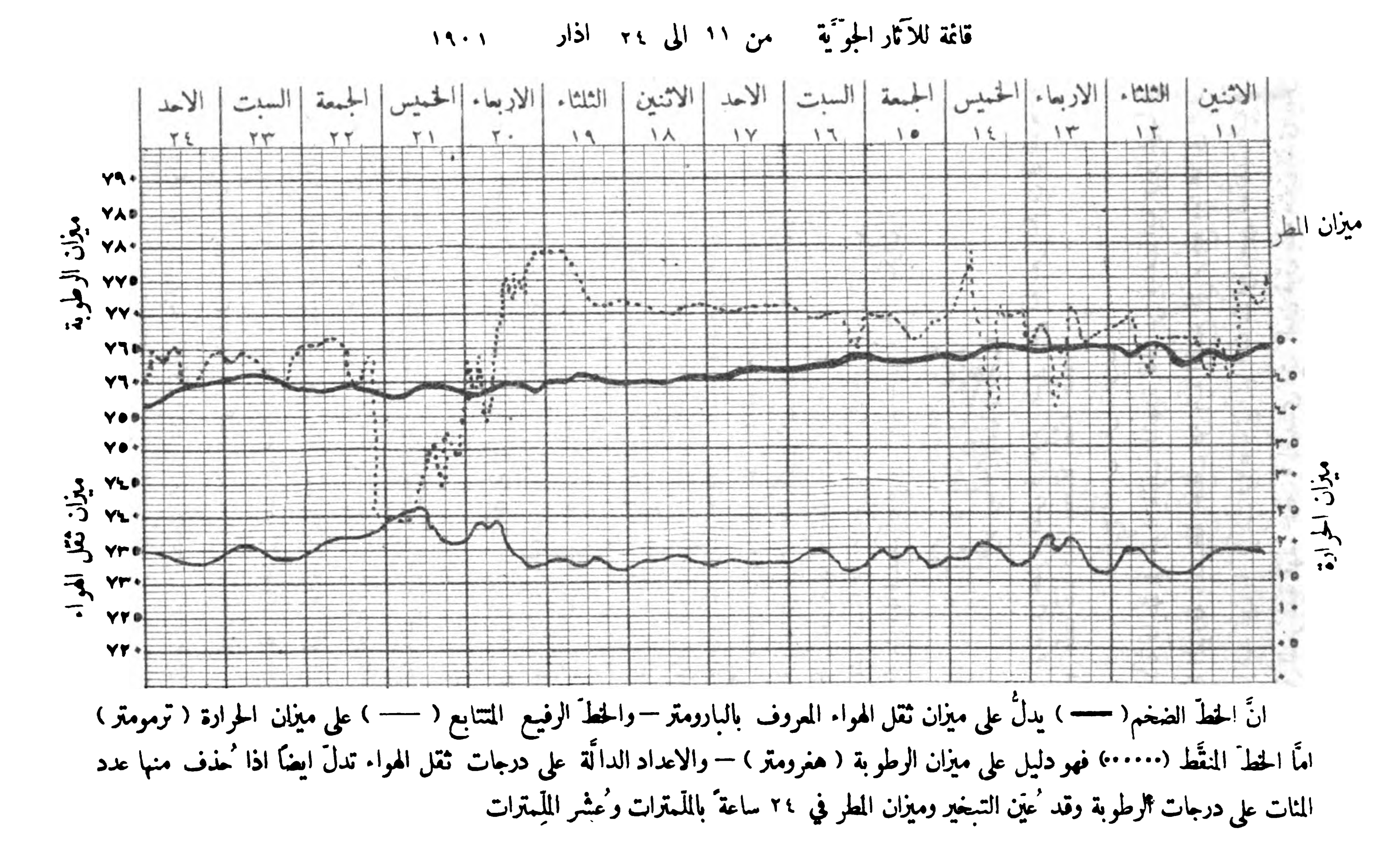
اسئلة واجوبة

س سأل من موصل حضرة القس قرياقوس مخوق معنى آية سفر التكوين في النسخة السريانية (٤٩ : ٢٢) ܒܪܐ ܪܒܐ ܝܘܣܦ ܒܪܐ ܪܒܐ ܘܢܥܘܠ ܥܠ ܫܘܪܐ

شرح آية من سفر التكوين

ج هذه الآية داخلة في نبوَّة يعقوب الشهيرة قالها عن يوسف ابنهِ وروايتهـا في النسخة السريانيَّة المعروفة بالبسيطة تختلف عن بقيَّة النسخ التي مرجع معناها الى « ان يوسف كغصن نما عند عين ماء فزكت فروعهُ حتى انَّها امتدَّت فوق سور استندت اليهِ». امَّا معنى الآية في السريانيَّة فهذا حرفهُ: « إصعدي ايتها العين فوق بناء متين الذي يعلو سورًا » والفرق بين الروايتين عظيم كما ترى. ولا يبعد انَّ النسخة البسيطة محرَّفة ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ١١ الى ٢٤ اذار ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

DICTIONNAIRE ARABE (EN ARABE).

أقرب الموارد

In-8° jésus, 2 vol. ens. 1054 pages à trois colonnes, 1889 à 1890.

» 3° vol. *Supplément* (ذيل اقرب الموارد), 548 pages, 1893.

Par Mr Saïd al-Khoury al-Chartouni.

Le Dictionnaire Al-Moḥiṭ de Mr P. Bostani avait réalisé un véritable progrès sur les œuvres similaires de ses devanciers Ǵauhari et Firouzabadi ; mais il restait beaucoup à faire pour donner au public lettré un ouvrage complet, plus concis et en même temps maniable. Des inexactitudes nombreuses, le manque d'ordre, des digressions fréquentes et hors de propos déparaient l'ouvrage du savant Libanais. Le Dictionnaire Aqrab ul-Mawarid comble ces lacunes diverses. L'auteur exploite les riches mines du Lisân ul ʿArab et du Taǵ ul ʿArûs encore inédits du temps de Bostani et de quelques lexiques manuscrits de notre Bibliothèque Orientale ; il ajoute à cela le fruit de ses connaissances très étendues de la langue arabe. Dans un *Supplément* de 548 pages, Mr Saïd complète encore son travail d'où il avait élagué un certain nombre de mots ou de locutions plus rares ou moins décentes pour garder à son œuvre son cachet de Dictionnaire classique. Il y fournit aussi une nouvelle contribution de mots tirés des meilleures sources, mais omis par les anciens lexicographes. Cette partie supplémentaire se termine par un excellent travail, celui d'un tableau détaillé des erreurs reproduites par ses devanciers dans leurs Dictionnaires. Mr S. Chartouni corrige ces fautes d'après les autorités les plus graves en y joignant quelques remarques.

Si le Dictionnaire de Mr Chartouni a beaucoup de mérite pour le fond, il n'a pas moins de valeur pour la forme : on y trouve de l'ordre, de la méthode, de la sobriété et de la précision dans les explications, plusieurs perfectionnements typographiques qui seront certainement appréciés par les arabisants peu habitués à des livres exécutés avec tant de netteté et d'élégance.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	10 »	1,50
Demi-reliure mouton chagriné, tranche jaspée	—	12 »	1,70
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	—	15 »	

Supplément :

	Fr.	affr.
Broché	10 »	1,30
Demi-reliure mouton chagriné, tranche jaspée	12 »	
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée.	15 »	

الفرائد الدرّية

في

اللُّغَتَيْنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْكِلِيزِيَّةِ

للاب يوسف جبرائيل حوّاء اليسوعي

بقطع الثمن صفحاته ٩٢٤ سنة ١٨٩٩

يشتمل هذا القاموس على كل الالفاظ العربية التي يتضمنها معجم اللغتين العربية والافرنسية لحضرة الاب يوحنا بلو اليسوعي ملحقة بتفسيرها الى اللغة الانكليزية تفسيرًا في غاية الضبط والدقة حتى جاء هذا المعجم من افضل الكتب للانكليزي الراغب في تعليم العربية وللعربي الذي يترجم من العربية الى الانكليزية . حد عني المؤلف بايداعه اكثر الاصطلاحات العلميّة والاوضاع الفنيّة والسياسيّة وغيرها وفقي يكون وافيًا بحاجة المطالع من كل الوجوه

ثمنه بغلاف ٢٠ فرنكًا

ثمنه مجلد ٢١ فرنكًا

Arabic english Dictionary.



في اللغتين الانكليزية والعربية

In-8°, XIV— 910 pages.

Par le P. J. Hava S. J.

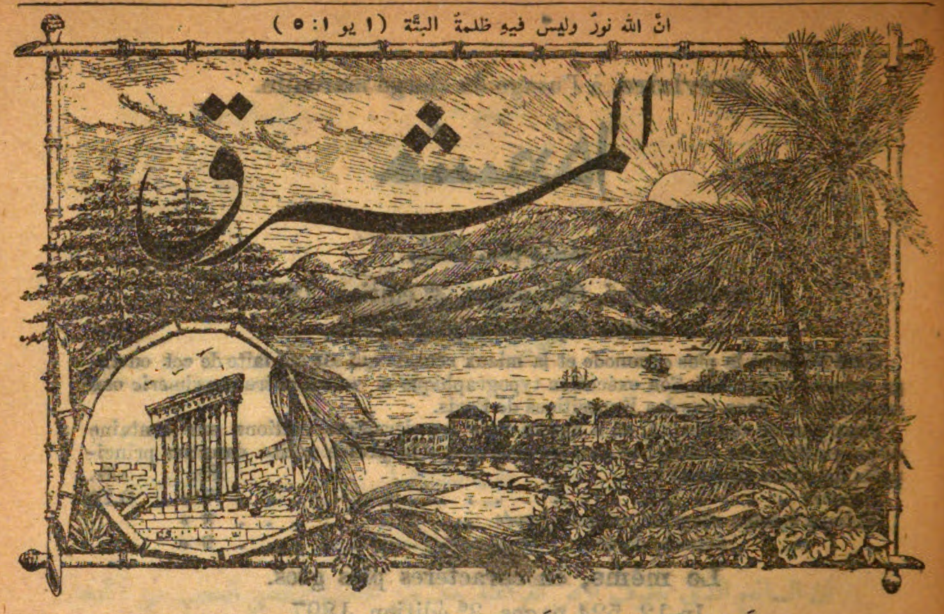
Faciliter aux personnes parlant l'anglais l'étude de la langue arabe comme le P. Belot l'a fait pour celles qui comprennent le français, tel a été le but de l'auteur. Même méthode, à peu de chose près, même abondance de matières, même format et mêmes avantages typographiques.

Cet ouvrage n'est pas une simple traduction du précédent. L'œuvre est personnelle. Tout en suivant les traces de son devancier, l'auteur a pris pour base de son travail le grand lexique de Lane comblant bien des lacunes laissées par ce fameux orientaliste. Il a aussi, consulté les ouvrages publiés en ces dernières années et utilisé nombre de travaux récents pour déterminer le sens précis de plusieurs termes techniques. Son expérience personnelle lui a permis d'enrichir son dictionnaire d'un nombre considérable de mots empruntés aux dialectes de Syrie et d'Egypte.

	Fr.	affr.
Broché	20	1,55
Reliure percaline tranche jaspée, titre doré	21	1,70

154

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلَّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كليَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

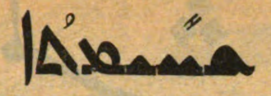
Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU Nº 8 (15 *Avril* 1901)

فهرس العدد ٨

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Bréviaire, à l'usage du clergé maronite.



ܕܡܕܒ̈ܪܐ ܢܘܗ̈ܪܐ ܕܡܕܒܚܐ

In-32, carré, 605 pages, 3ᵉ édition, 1897.

Édition imprimée en rouge et noir.

C'est l'édition la plus commode et la mieux réussie qui ait été faite de cet ouvrage souvent réimprimé. Son exécution typographique a valu à notre imprimerie une médaille d'or dans une des Expositions de Paris.

Pour plus de commodité, on a ajouté dans les dernières éditions une centaine de pages tirées du Rituel ; ce sont les prières que le prêtre récite dans ses principales fonctions sacrées.

	Fr.	affr.
Brochée	7 »	0,20
Reliure mouton chagriné, tranche jaspée	8 »	
— *tranche dorée*	9 »	

Le même, en caractères plus gros.

In-12, 524 pages, 3ᵉ édition, 1897.

Broché	7 »	0,55
Reliure mouton chagriné, tranche jaspée	8 »	

Ebed-Jesu Sobensis Carmina Selecta
ex Libro « Pardisus Eden. »

ܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢ

Edidit ac latine reddidit P. H. Gismondi S. J.

Petit in-8°, 125 pages, 1888.

Le *Jardin de Délices* est un des ouvrages les plus remarquables de ʿAbd-Yachû as Sûbâwî, évêque de Nisibe († 1318). C'est une œuvre littéraire analogue à celle des *Séances de Harîrî* que l'auteur a voulu imiter en syriaque. L'Abbé Cardahi en a publié la 1ʳᵉ partie avec des notes arabes ; la 2ᵉ reste inédite. En même temps que cette publication voyait le jour, le P. H. Gismondi avait la chance de découvrir deux Manuscrits du même ouvrage dans les bibliothèques du Liban. Il eut l'idée d'en faire un choix pour les Orientalistes d'Europe et publia à cet effet dix des plus belles séances, dont quatre : (XXIX, XXXVII, XLII, L) sont tirées de la deuxième partie. Son texte *complètement vocalisé* est accompagné au bas des pages d'une traduction non moins élégante que fidèle. A la fin de l'ouvrage se trouve un *Appendice* où l'on a consigné un choix de *Scholia* dont l'auteur avait enrichi son travail.

Broché	3 »	0,40

المشرق

آثار النصرانية في هياكل مصر الوثنية

للاب ميخائيل جوليان اليسوعي

ان السائح الذي يطوف ارض الفراعنة يُفتَن من محاسنها ويقضي العجب من آثارها. ولكن لا شيء يستوقف ابصارهُ كالهياكل العظيمة التي شيَّدها قدماء المصريين لاصنامهم ومنها ما يرتقي تاريخهُ الى ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ سنة فانهُ يجد في هندستها وبديع نقوشها ما ينطق بلسان حالهِ عن تقدُّم الاقدمين وارتقائهم في معارج الفلاح

١

على ان من دقَّق النظر في هذه المآثر الجليلة التي تُرى في الصعيد لا يلبث ان يكتشف فيها على بقايا الدين المسيحيّ الذي غلب الوثنيَّة واستولى على معابدها فابقى للقرون المتوالية آثارًا تنبئ بانتصاره وتُشيد بظفرهِ على شرك الامم. وهذه البقايا عبارة عن صلبان محكمة النقش نُقِرت على ابواب الهياكل مع رموز دينيَّة وكتابات وتصاوير رسمها الزوَّار ومذابح وعمَد بل ترى كنائس كبرى مع ما يلحق بها من البنايات كالمقاوه ومنازل الكهنة وربَّما رأيت اديرة داخلة في حيزها

وان طلبتَ لهذه الآثار تاريخًا يوقفك على زمانها خاب أملك لولا انَّ تاريخ احوال المملكة الرومانيَّة يرشدك الى المرام. فان ثاودوسيوس الكبير في اواخر القرن الرابع كان شرع الشرائع وامر باقفال هياكل الاوثان او تخصيصها بالمنافع العموميَّة فتملَّكها المؤمنون وجعلوها كنائس عبدوا فيها الاله الحقيقي الى ظهور الاسلام. ثمَّ اخنى عليها الزمان فصارت مأوى للبومة والغربان

فهذه هي الابنية التي اسعدنا الحظ بزيارتها فوجدنا فيها الآثار المسيحيَّة التي سبق ذكرها وحاولنا وصفها في هذه اللمعة الموجزة

وان سألنا السائل ما بالنا خصّصنا بالذكر بلاد الصعيد واضربنا عن مصر السفلى . اجبنا انَّ هياكل « الدلتا » لم يبقَ منها الّا النزر القليل لما اصابهـا من صروف الدهر فتضعضعت اركانها وانفرطت قلائدها وذلك لتتابع الحروب التي انتشبت نيرانهـا في هذا القسم من القطر المصري ولعَيث كثيرين من السكان بهـذه الآثار النفيسة فانَّ مصر السفلى ليست بغنيَّة بمقالع الحجارة بل لا ترى فيها اثرًا للصخور الكلسيَّة . فلمَّا رأى الاهلون انَّ هياكل قدماء المصريين مهملة لا يتولى احد حراستها اخذوا ينقلون منها لابنيتهم الجديدة ما توصَّلت اليـهِ يدهم حتى لم يبقَ بعد حين من هياكل الاسكندريَّة وتنيس وبوبسطة (تلّ بسطة) الّا ردمٌ من الحجارة التي لا تصلح للكلس وينفيها البُنـاة كبعض السواري وقطع من التماثيل المنحوتة من الحجر الصوّان . وما لنا نذكر الاعصار السالفة فانَّنا رأينا رأي العيان في انحاء مصر السفلى والفيوم بل على مقربة من القاهرة قومًا من الفعلة يجدُّون في تحطيم حجارة ابنية قديمة مزينة بالنقوش والكتابات الهيروغليفيَّة لينقلوا قطع هذه الآثار الى اتون من النـار فيتخذوا منها كلسًا لعمائرهم المستحدثة . وفي قولنا هذا ما يدحض شكايةً كثيرًا ما وجَّهها بعض الكتبة الى نصارى مصر انهم ابادوا آثار الاقدمين وخربوا هياكلهم بغضًا بدين الاوثان . وغاية ما نعلمهُ من امرهم انهم هدموا فقط هيكل سيرابيس في الاسكندريَّة لان عبدة الاصنام بعد ان أثاروا ثورة هائلة في المدينـة واراقوا الدماء سيولًا تحصنوا في ذاك الهيكل فامر ثاودوسيوس بهدمهِ سنة ٣٨٩ ففعلوا . ولعلَّ النصارى اذ ذاك ارادوا الاشتفاء من الوثنيين بتقويض بعض معابدهم الّا ان فعلهم هذا كان عرضيًا وابقوا من معابد المصريين قسمًا كبيرًا . والدليل على ذلك ما اخبر بهِ ثاوفيلكتوس عن هيكل السعد (Tycheum) الذي بقي في الاسكندريَّة الى القرن السابع سالمًا مع ما كان يزينهُ من التماثيل والاصنام

ولنا ايضًا دليل آخر على انَّ هذه المعابد لم يقوّضها كلها قدماء النصارى وهو انَّ البعثة الفرنسويَّة العلميَّة التي قدمت مصر مع بونابرت قبل مئة سنة وصفت عدَّة هياكل قديمة ورسمت صورها وهي اليوم اطلال خربة . فان صحَّ ذلك في زمن قريب من ايامنا فما قولك في ١٣ جيلًا متوالية توفرت فيها اسباب الدمار وقامت الحروب على ساق . بل ما قولك بالزلازل التي ابادت ما لم تقوَ على خرابهِ ايدي البشر وما ظنُّك بالنيـل الذي تعدَّى مرارًا حواجزهُ الطبيعيَّة فخرَّبت مياههُ بطغيانها ما خرَّبت من مباني القدماء .

ولا حاجة الى شاهد بعيد على صحّة قولنا فانّنا في الخريف الماضي زرنا هيكل عمّون في الكرنك ورأينا ردهتهُ الجليلة ذات السواري التي قال عنها بعض الكتبة انها احقّ من غيرها بان تُعدّ بين سبع عجائب المعمور فوجدنا ١٣ عمودًا منها كانت قد سقطت ومئين من الفعلة يسعون في ترميم ما خُرب منها . فسألت المهندس عن سبب سقوطها فأجاب : « اننا عاينّا قبل سنتين انّ البحيرة المقدسة التي تبعد عن هذه الردهة نحو ١٥٠ قدمًا قد اخذ ماؤها في النضوب حتى هبط سطحها في يوم واحد نحو ٦٠ سنتيمترًا دون ان يعلم احد سبب ذلك . وفي اليوم التالي هبطت هذه العواميد مع ما يستند اليها من الحجارة المنقوشة والافاريز البهيّة وكادت تقوّض الباب الكبير . وبعد الفحص الدقيق وجدوا ان حجارة الاساس الرمليّة كان اصابها النطرون واثّرت فيها الرطوبة فتفتّت دقائقها »

٢

ولكن دعنا نعود الى ذكر هياكل الصعيد مع وصف الآثار المسيحيّة التي عاينّاها في جملة تلك البقايا الماثلة حتى يومنا

لا غرو ان النصارى الذين اهتدوا في مصر الى الدين المستقيم بعد ضلال الشرك كانوا ينظرون الى هياكل الاصنام بعين البغض والمقت لاسيّما انهم كانوا يرون انّ الابالسة خزاهم الله استغووا العقول بمحاسنها الباهرة وهندستها البديعة . ولعلّ بعضهم فكّروا في هدمها لئلا تكون عثرةً لمواطنيهم الّا ان البصيرة وحكمة العقل ادّيا بهم الى ما هو اصلح لشؤونهم واجدر بالمعارف التاريخيّة فطهّروا هذه الهياكل وخصّصوها بخدمتهِ تعالى . فانهم وجدوا في عظمتها وجمالها ما يسمق بهم الى معرفة الاله الحقّ ويثير في قلوبهم عواطف الحب لعزّتهِ تعالى

ثمّ اعاد النصارى النظر في الكتابات التي كانت تزيّن الهياكل فوجدوها مع ما فيها من اضاليل الشرك تتضمّن عددًا وافرًا من الحقائق التي اوحى بها الله الى البشر الاوّلين وتشهد بذلك عن صحّة الدين النصراني . فمن ذلك الاقرار بالاله الخالق والاشارة الى الثالوث الاقدس وذكر الدينونة . ولكل هذه الحقائق تصاوير تبرزها للعيان فترى مثلًا في الدينونة الاله جالسًا للحساب . وبيدهِ ميزان في احدى كفّتيهِ قلبُ الميت وفي الاخرى ريشة نعام تمثّل العدل (١ . وبقرب الميزان الهٌ آخر يدوّن نتيجة الوزن

١) اعلم انّ للريشة وللعدل في لغة قدماء المصريين لفظةً واحدة . ولعلّ ذلك هو السبب

ثمَّ يقود الميت الى الديان العظيم اوزيريس وهو جالس على عرشهِ فيحكم الحكم الفصل في جزاء النفس او عقابها الابدي. امّا النفس فهي ممثَّلة بصورة طائر ذي يدين يبسطهما للصلاة او طائر ذي رأس بشري

ثمَّ انَّ النصارى وجدوا في اكرام اجدادهم لاجساد الموتى ما يثبت ايمانهم بالقيامة. فان قدماء المصريين كانوا لا يدَّخرون وسعاً في تطهير الجسم وتحنيطهِ ودفنهِ وصيانتهِ من كلّ يد اثيمة كأنَّهم يؤمّلون انَّ النفس تعود قريباً الى بيتها السابق فتحييهِ. وربَّما صوَّروا نفساً على شبه طائر يرفرف حول الميت طالباً ان يعود اليهِ فيجتمع بهِ (١

وكان النصارى يرون في جملة هذه التصاوير ما يذكّرهم بالارواح المجرَّدة والملائكة العلويين فانَّ الاله « كا » هو حارس الانسان في الحياة والمدافع عنهُ بعد الموت وكانوا يصوّرونهُ على مثال ذراعين ممدودين الى السماء. ومن هذه الارواح من يقوم بحراسة المدن والممالك كما يعتقد النصارى

وممَّا كان من شأنهِ ان يزيد نصارى القبط حرصاً على حفظ آثار اجدادهم رؤية شكل الصليب في التصاوير المصريَّة. فانك تجد هذه العلامة منقوشة في الهياكل المصريَّة على هيئاتٍ شتَّى منها الصليب المزدان بالعروة في رأسهِ (croix ansée) كان النصارى يجدون في شكلهِ ذكر صليب فاديهم بينما كان الوثنيون يعتبرونهُ كآية الحياة. ولبعض هذه الصلبان المصريَّة ذراعان يحملان صولجان الملك والسلطة. وغيرها يمسك بها احد الالهة او الكهنة فيقرّبها الى شفاه الميت ليقبلها قبل وفاتهِ. ومن هذه الصلبان ما يدخل في الكتابة المصريَّة فيدلّ على لهجات ومقاطيع لفظيَّة. ومنها ما هو مرسوم في وسط دائرة دلالة على انَّ الكلمة التابعة اسم علم لمدينة

فالنصارى لدى مشاهدتهم آلة الخلاص منقوشة في كل الكتابات المصريَّة أبوا ان يطمسوا هذه الآثار مع ما فيها من صور آلهة مصر السمجة (٢

---

١) ترى مثل هذه الصورة في هيكل اوزيريس الصغير لتمثيلهم العدل بصورة الريشة وهيكل اوبت الملاصق لهيكل خُنسو في الكرنك

٢) والدليل على ان النصارى استخدموا صور الصليب التي رسمها قدماء المصريين انك ترى في مدافن «واش الخرجا» عدداً وافراً من هذه الصلبان يزينها على جوانبها الحرفان اليونانيان AΩ الدالّان على المسيح ولاهوتهِ اضافهما النصارى الى صلبان قدماء المصريين لمَّا التجأوا الى هذا الواش في ايَّام الاضطهاد

٣

ثمَّ انَّ من يسرّح طائر البصيرة في هياكل قدماء المصريين يرَ انَّ النصارى احسنوا بحفظها وتخصيصها لدين الاله الحقّ لانَّ تركيب هذه الهياكل يوافق حقَّ الموافقة شواعر العبادة المسيحيَّة . وذلك ان الهيكل المصري هو مبني عادةً على صورة مربَّع مستطيل الشكل ذي ثلاثة اقسام : الدار والرواق والمقدس . وعلى جانبي مدخل الهيكل برجان عظيمان او هرمان مسطَّحان يقومان على ركنَيْنِ مربَّعين فالزائر لا يبلغ هذا المدخل حتى يغوص نظرهُ في الدار والرواق وينتهي الى المقدس

والدار مكشوفة للسماء يحدق بها بعض الاحيان في باطنها سقيفة ممتدَّة الاروقة . امَّا الرواق الذي امام باب المقدس فهو عبارة عن قاعة فسيحة لها سقف منقوش يستند الى سَوارٍ عديدة . والرواق المذكور منفصل عن المقدس بجدار ضخم وفي وسط الجدار باب يُدخل منهُ اليهِ . وهذا المقدس يتركَّب من بناية صغيرة مكعبة تحيط بها على شكل دائرة غُرَف لسدَنة الهيكل مع لوازم خِدَمهم يفصلها عن المقدس معبرٌ مستدير الشكل ضيِّق المجاز

وكان لهذا المقدس بابٌ واحد يجعلونهُ فيهِ على سواء البناء ومحورهِ . وكان الفرعون نفسهُ لا يَلِجهُ الَّا في ايام معلومة يرتأي بدخولهِ في وسطهِ انه يحتلّ منزل اللاهوت . امَّا دار الهيكل فكانت تمثِّل لهم العالم كما انهم يعتبرون الرواق الذي يفصل الدار عن المقدس كمكان متوسّط بين اللاهوت والدنيا . وكان القدماء من المصريين يزعمون انَّ مركز الحياة في المقدس يُنشئها آلهتهم فيهِ ثمَّ يوزّعونها للعالمين في رواق الهيكل حتى اذا بلغت الدار تنتشر فيها وتنمو بين البشر . وعلى ذلك تدلُّ الكتابات المخطوطة في جدران هياكل الصعيد . وكان الوثنيون يكثرون النقوش والتصاوير في مقادس هياكلهم ويزينونها بالسواري ويسقّفونها بصفائح الحجارة يصوّرون عليها البروج الفلكيَّة وكواكب السماء

ولمَّا صارت هذه الهياكل في ايدي النصارى جعلوا كنائسهم في اروقتها وتركوا المقادس للكهنة ليسكنوها ويقيموا فيها بعض الاسرار التي لم يحبوا كشفها للجمهور . امَّا الدار فأبقوها للمجتمعات الكبرى والمواكب الدينيَّة والطوافات العيديَّة الحافلة

ولم يبيدوا النقوش والكتابات التي وجدوها في تلك الهياكل العاديَّة بل اكتفوا بان حجبوها لوقتٍ عن ابصار المؤمنين ونعمَ ما فعلوا فانهم بحفظهم ايَّاها لم يحرمونا عددًا وافرًا من الشواهد التاريخيَّة التي تمكَّن علماء عصرنا من قراءتها فجاءت مؤيدة لعدَّة

اخبار انكر صحّتها الكفرة قبل عهدنا ونسبوها الى الروايات الخرافيّة مع ورودها في الاسفار المقدّسة . امّا طريقة النصارى في اخفاء هذه الكتابات دون اتلافها فبأن عمدوا الى طَليها بالكلس الذي لا تزال آثارهُ باديةً في تجاويف الخطوط المنقورة في الحجارة . وربّما طلوها بالملاط ونقشوا فوقها النقوش الحسنة كما ترى هيكل القصور الكبير بالكرنك في ممشى تحوتمس الثالث . وخلاصة القول ان النصارى لم يطمسوا شيئاً من الكتابات المصريّة التي وجدوها بعد ان صارت في حوزتهم اللهمَّ الّا في هيكل دندرة الذي حوّل المسيحيُّون ردهتهُ الكبرى الى بيعة فانّهم سَحَوْا بعض كتاباتهِ في الجدار المقابل للمذبح وفي الستة العواميد المجاورة للجدار

هذا فعلُهم في المقدس امّا الاروقة التي كان يجتمع فيها المؤمنون فانّ النصارى لم يفسدوا منها الّا التصاوير السَّمجة التي وجدوها فيها وكان كثير من هذه النقوش تمثّل اشخاصاً في هيئات مغايرة للآداب فأزال النصارى منها ما رأوهُ منافياً للحشمة دون ان يمسُّوا باقيها . ولعلهم بذلك ارادوا ايضاً ان ينجزوا أوامرهُ تعالى في كتاب الخروج حيث قال : لا تصنع لك منحوتًا ولا صورةً ممّا في السماء من فوق ولا ممّا في الارض

امّا الدمى والانصاب والتماثيل المجسَّمة التي كان قدماء المصريين اقاموها في تلك الهياكل لاصنامهم فانّ النصارى لم يروا وجهاً لحفظها بل اتلفوا تلك الارجاس وحطّموا منها ما استطاعوا . ولا تثريب في ذلك عليهم لانّ اكثر آلهة المصريين كانت على اشكال غريبة ورؤوسها رؤُوس حيوانات مستقبحة فكسّر النصارى تلك التماثيل او شوَّهوها بقطع هاماتها كما فعلوا في « مدينة ابو » التي اتخذوا دار هيكلها كنيسةً لهم. وكذلك في هيكل رعمسيس بالكرنك فانّ المسيحيين حزُّوا رأس اوزيريس كبير آلهة المصريين في كل تماثيلهِ كما انهم القوا تمثال رعمسيس الثاني ونصفوهُ بحذاقة عجيبة بحيث لم يُبقوا اثرًا للمقراض. وهذا التمثال آية في الكبر والضخامة كان طولهُ ١٧ مترًا ونصف متر وثقلهُ نحو الف الف كيلوغرام ودائرة شلوهِ نحو ١٢ مترًا

٤

بعد هذه اللمحة العموميَّة هلمَّ بنا نستقري كنائس الصعيد التي وجدنا آثارها في هياكل قدماء المصريين

(كنيسة دندرة) كان موقعها في رواق الهيكل القديم وهذا الرواق ردهة واسعة

علوّها ١٥ مترًا يزينها ٢٤ عمودًا وعلى العواميد اكلّةٌ تمثّل الاله هاتور مع رأسهِ البقري. اما المذبح فكان مركزهُ على شمال الداخل موجّهًا الى الشرق. وتحت هذه الردهة سربٌ مظلم متسع الجوانب كثير النقوش جميلهــا فلم يمكنّا الوقوف على غاية المصريين من ابتنائهِ واتقان زينتهِ. وليس في هذا السرب ما يدلُّ على انَّ القدماء كانوا يقيمون فيــهِ الفرائض الدينيَّة لاننا لم نجد فيهِ اثرًا للمشاعل

وكان هيكل دندرة في وسط مدينة كبرى يدعوها اليونان تَنتيريس لم يبقَ منها اليوم سوى اطلالها وردومها. ثمَّ اهتــدى اهلها ودانوا بالنصرانيَّة فصارت مقامًا لاحد الاساقفة. ومنذ اربع سنوات اذ كان الفلاحون يحفرون بين هيكل دندرة الصغير المعروف بالميلاد ومَخرفة هيكل هاتور اكتشفوا تحت ركام النطرون بقايا كنيسة بديعــة الشكل مدخلها بجوار هيكل الميلاد اما حنيَّتها فتواجهُ المشرق وهي ملاصقة لمخرفة الهيكل. وكانت هذه الكنيسة المتينة البناء حسنة الموادّ من الطرز اليوناني او البوزنطي ترى في بابها الكبير نقوشًا مُحكمة الصنع وكان لها على جوانبها معابد تكتنفها وفي جدرانهــا كوًى جميلة وحتى اليوم لم تُنزع عنها الانقاض المحيطة بها

(كنيسة القصور) اتخذ النصارى لهم في القصور كنيستين بنوا الواحدة منهما بناء تامًّا وجعلوها بين ساحة رعمسيس الثــاني وصفّ عواميد امينوفيس الثالث من جهة النيل. اما الكنيسة الثانية فجعلوهــا في الرواق ذي العواميد الثمانية الواقع بين الرواق الكبير والمقدس. واقاموا بازاء باب المقدس القديم حنيَّة على شكل نصف دائرة وأمام الحنيَّة عامودين عظيمين من الطرز القورنثي. وكل ذلك باقٍ حتى الآن الّا انَّ المذبح قد هُدم. ولا ريب في انَّهُ كان منصوبًا في الحنيَّة الصغرى ليكون مواجهًا للمؤمنين وهم وقوف تحت القنطرة الوسطى من الرواق الكبير او في وسط الدار. وعليهِ فانَّ المذبح كان في جهة الجنوب الغربي وذلك بخــلاف القاعدة الشائعة في اوائل الكنيسة بان يُنصب المذبح من جهة الشرق. ولعلَّ المصريين لم يعتبروا هــذه السُّنَّة كامر لازب في عهد ثاودوسيوس. ولنا على ذلك شاهد آخر في كنيستي فيلة التي ابتناهما النصارى وجعــلوا مذبحيهما من جهة الشمال

وجدران هذه الكنيسة في القصور مطليَّة بالملاط ومزّينة بنقوش وصور بعض القديسين وغير ذلك من الرموز المسيحيَّة وهي متقنــة التصوير ليس كما زعم دليل بديكــر

(Baedeker) الذي وصفها بتصاوير خشنة . وبينها صورة رأس غاية في الجمال استحسنهُ احد اساتذة المانية حتى انهُ عوَّل على الرجوع الى القصور لفحص دقائقهِ قبل ان يُمحى اثرهُ . والحق يقال انَّ هذه التصاوير معرَّضة للتلف رأيناها في هذه السنة فوجدناها قد تشوَّه حسنها عمَّا كانت منذ اربع سنوات

والفضل في اكتشاف هذه كنيسة القصور القديمة مع تصاويرها العجيبة عائد للمسيو مسپرو الذي ازال عنها ما كان يطمرها من الردم والخرابات سنة ١٨٨٦ ونقض دير حضرات الآباء الفرنسيسين المبني فوق هذه العاديَّات واعاضهم منهُ بملك آخر اوسع واحسن موقعًا ابتنوا فيهِ ديرًا جديدًا مع مقام للراهبات ومدارس للاحداث . ثمَّ واصل المسيو مسپرو الحفر فوجد ما عدا الكنيسة حجرتين كبيرتين وغير ذلك من الابنية التي كانت لاحقة بالكنيسة . على انَّ قسمًا من هذه العاديَّات لا يزال مطمورًا تحت جامع قائم هناك عند زاوية ساحة رعمسيس الكبرى من جهة الشمال الشرقي

وفي جوار الكنيسة عند الرواق الكبير ترى ركنًا عظيمًا نُقشت عليهِ كتابة لاتينيَّة هذه صورتها :

Fortissimo Ac Piissimo || Imperatori Domino Nostro Flavio Valerio Constantino || Pio Felici Invicto Augusto || Valerius Romanus Et Alcaupius Dux || Legionis Et Thebarum Utrarumque || Libenti Animo Ejus Semper || Dicatissimus

فيستفاد من هذه الكتابة (ومثلها في اللاتينيَّة نادر في مصر) انَّ الركن كان منصوبًا عليهِ تمثال قسطنطين الكبير اقامهُ اكرامًا لهذا الملك الظافر الجليل ڤاليريوس رومانوس ألكوبيوس والي الصعيدَين ومقدَّم الفرقة الجنديَّة

(كنائس الكرنك) اذا اجتزنا من القصور الى الكرنك وجدنا ثمَّت ايضًا كنيستين تشيَّدت احداهما في هيكل خنسو وهو اول هيكل يصادفهُ السائر اذا خرج من القصور . وكان موقعها في رواق الهيكل وهناك صليبان جميلان نُقرا في الصخر يشيران كما نظن الى مقام المذبح اعني على شمال المدخل

وبازاء الرواق درجٌ صاعدٌ رسم بقربهِ حجَّاجُ النصارى تصاوير شبيهة بتصاوير وادي القطَّب على طريق جبل سينا وهي تمثّل جمالًا على ظهرها هوادج وفوق الهوادج صلبان ومع هذه الصور اسماء اعلام بالقبطيَّة او اليونانيَّة كبطرس وبولس وغيرهما . ومما

ارشدنا اليهِ هناك متولي امر العاديات من آثار الوثنيَّة مخابئ في الصخر كان يدخلها سرًّا كهنة الاصنام ليتكلّموا فيها و يوهموا الزوَّار انَّ آلهتهم هي الناطقة

وكان مقام الكنيسة الاخرى في بلاط تحوتمس الثالث الذي يجاور هيكل عمون الكبير وكان موقعها ايضاً في ردهة العواميد المستطيلة التي تُعرف بممشى تحوتمس . فقد صوَّر النصارى على العواميد تصاوير عظيمة تمثِّل القديسين . منها صورة « أبا شنودي » احد مشاهير السيَّاح سكن في الدير الابيض بقرب سوهاج . امَّا بقيَّة الاسماء فاكثرها قد بادت آثارها لم نتثبَّتها

ومن الآثار ايضاً كُوًى عاينّاها في العواميد تُجعل فيها القناديل وكذلك رأينا في الجدران محزَّاتٍ كانوا يُثبتون في خلالها الحواجز (الشعريات) . امَّا المذبح فاسندوهُ الى الحائط الشمالي . وللعواميد روُّوس اكلَّة مخروطة الشكل غريبة المنظر . ومع ذلك يحسن بنا القول انَّ هذا المعبد كان من ابهى الكنائس التي امكن النصارى في مصر ان يخصِّصوها للاله الحق

٥

واذا عبرنا النيل الى مدافن ثيبة وجدنا ايضاً على ضفَّتهِ الاخرى كنائس واديرةً اتخذها النصارى الاقدمون لدينهم في هياكل المصريين . منها الهيكل المقام كمدفن للملكة هَتاسو وهو يعرف بدير البحري واسم الدير يشير بلا مراء الى ما كان عليهِ في ايام المسيحيين . لكن العلماء الذين تولَّوا في عهدنا ترميم هذا الهيكل القديم لم يدعوا فيهِ من آثار الدير شيئاً ولا جرم انهُ كان محاطاً بسور عالٍ على مثال اديرة القرون السالفة . وقد بقي من هذا السور بقايا تدلُّ عليهِ

وترى ليس بعيدًا من هذا السور عند زاوية الهيكل الشماليَّة صلباناً نُقشت على جدرانهِ القديمة وعلى روُّوس اكلَّة يونانيَّة هناك فاستدللنا بذلك على انَّ النصارى اتخذوا لكنيستهم الردهة الكبرى المعروفة بردهة عمون وهي في دهليز قريب من الهيكل . وفي جوار هذا الدهليز معبد امامهُ دارٌ وفي وسطهِ مذبحٌ . وليس بين كلّ الآثار المصرية القديمة مذبح سواهُ . وهذا المذبح على شكل صفَّة من الحجارة مربَّعة لا زينة لها غير اطناف ناتئة حولها وكان يُصعد الى هذا المذبح بدرج وعرض المذبح المذكور نحو ثلاثة امتار في علوّ متر ونصف

(كنيسة دير المدينة) واذا سرتَ من دير البحري ثلاثة ارباع الساعة جنوبًا بلغتَ « دير المدينة » وهذا الدير يلاصق الجبل كدير البحري وكان قديمًا هيكل للاصنام جميل البناء فجعلهُ الرهبان ديرًا كما يشير الى ذلك اسمهُ. الَّا انهُ لم يبقَ منهُ غير دائرة سورهِ. وعلى وجه الهيكل كتابات نصرانيَّة عديدة توقفنا على اسماء كثير من رهبان الدير كُتبتْ في عهدهم او بعد وفاتهم هذا مثال بعضها:

« انا بطرس الكاهن ابن ابا بولس الكاهن ابن القديس ابا پينيروس الشهيد » = « انا بولس المتوفَّى في ٤ برمهات » = « انا متى الراهب » = « مرقس الامين » . . .

الى غير ذلك من الاسماء مع تاريخ يوم الوفاة. وبازاء هذه الاعلام صفيحة عليها كتابة تفيـدنا انَّ عدد المقبورين في ذيَّاك المدفن ٢١ ميتًا. وبذيل الكتابة تاريخ سنة ٢٣٠ و ٢٥٠ للشهداء. وهي توافق سنة ٥١٣ و ٥٣٣ للمسيح

وفي داخل الهيكل كتابات وتصـاوير لقدماء المصريين لم يمسَّها الرهبان باذًى مع ما يتخلَّلها من المناظر المستقبحة والصور التي يستنكف الزائر من القاء النظر اليها

وهنالك ايضًا هيكل رعمسيس الشهير (Ramesseum). ومع ما استولى عليهِ من الخراب يمكن الوقوف على آثار كنيسة كان قدماء النصـارى اقاموها في رواقهِ ذي العواميد الفخيمة

(كنيسة مدينة ابو) ولكن لنا في « مدينة ابو » من الآثار المسيحيَّة ما يستوقف الابصار اكثر من الهيكل السابق. فانَّ الانقاض المحدقة بهـا تدلّ على مدينة عامرة كان يسكنها النصارى في القرن الخامس. ولمَّا لم يجد هؤلاء المؤمنون في بَهْو الهيكل القديم مقامًا كافيًا لعددهم الغفير اختاروا لكنيستهم الدار التي امام ذلك البهو. وهذه الدار الرحبة تبلغ مساحتها ١٦٠٠ متر تكتنفها اروقة فسيحة. وهي تدعى اليوم منتدى الاعياد لان جدرانها تمثِّل اعياد رعمسيس الثالث وحفلاتهِ

والنصـارى نقضوا الركن المركزي لينصبوا مكانهُ المذبح ثمَّ احاطوه في وسط الدار بصفوف من ابهى عمد الرخام وجعلوا فوقها غِمـاء فصارت من ابهى الكنائس. على انَّ اكثر هذه الاعمـدة قد بادت لم نجد منها الَّا ١٥ عمودًا من الطراز اليوناني او البوزنطي مع الاكلَّة التي تزين رؤوسها وهي مدحورة عنـد حائط الهيكل الجنوبي. وكان عددها الباقي منها نحو الثلاثين الَّا انَّ المهندسين الذين عُهد اليهم ترميم الهيكل

القديم ازالوها دون ان يأخذوا رسم الكنيسة . وقد وجدنا في ما بقي منها آثارَ نقوش جميلة . بل كان احد هذه العواميد ملوَّنًا بالوان مختلفة وهو الآن مصونٌ في احدى القاعات المجاورة

والخارج من هذه الكنيسة يدخل في رواق مزدان بالسواري يجد فيهِ جوَّنًا من الصوَّان نرجح كون النصارى اتخذوهُ للعماد . وهذا الرواق مع الردهة التي تليهِ والمقدس اللاحق بهما يحدُّهما شمالًا عدَّة حُجَر تستند الى السور الخارجي كان يسكنها خدمة الكنيسة ولكل حجرة بابٌ ينفذ في السور . وهذه الابواب اليوم مسدودة تُرى آثارها من الخارج وعَتباتها العليا تزينها الصلبان المنقوشة فوقها . ولمَّا فتح النصارى هذه الابواب كانت تربة السور اعلى من بلاط الهيكل كما يظهر ذلك بالمقابلة . واليوم قد زاد ارتفاعها

(كنيسة ادفو) لم يوجد بين الهياكل المصريَّة معبد صبر على آفات الزمان كهيكل ادفو الشهير . ولعلَّهُ احسن اثر بقي من عهدهِ . والنصارى الاقدمون جعلوا كنيستهم في رواقهِ الكبير الذي تنبسط الدار امامهُ . ولا شكَّ انَّ تلك البيعة كانت من افخم الابنية واجملها . امَّا مذبحها فكانت وجهتهُ الى الشرق . ومن الآثار الباقية هناك معبدان كان الوثنيُّون شيَّدوهما لآلهتهم واسندوهما الى حائط الدار فلم ينقضهما النصارى

(كنائس فيلة) لا بُدَّ من الاسراع الى زيارة كنائس هذه الجزيرة قبل ان تتمَّ ترعة النيل التي تُقام اليوم في وسط الشلاَّلة الاولى فاذا نجز هذا العمل يرتفع سطح مياه النهر على سواء الجزيرة وتبيد آثارُها الشهيرة اللهمَّ الَّا هيكلها الكبير الذي يسعى المهندسون في وقايتهِ من طغيان المياه . وقد آثرت الحكومةُ ابتناء الترعة في هذا المكان حذرًا من التكاليف الباهظة التي يوجبها هذا العمل لو بُوشر بعيدًا عن مقاطع الصوَّان في اعالي الجزيرة

وفيلة المذكورة (Philæ) جزيرة صغرى لا تُربي دائرتها على الف متر وكان لها مع صغرها خمس كنائس اثنتان في باطن الهيكل وثلاث في خارجهِ . والسبب في ذلك كثرة النصارى الذين كانوا يتقاطرون الى فيلة فضلًا عن انَّ المؤمنين قديمًا لم ينصبوا في كل كنيسة الَّا مذبحًا واحدًا ولم يقيموا على كل مذبح الَّا قداسًا واحدًا كما هو شائع اليوم في الكنائس اليونانيَّة

وكانت فيلة قبل عهد الميلاد مزارًا يتقاطر اليهِ الوثنيُّون من كل انحاء الصعيد والنوبة ليعبدوا فيهِ إلهتهم ايزيس. ولمَّا انبعثت انوار الدين المسيحي في مصر اعتصب عبدة الاوثان في هذه الجزيرة وقاوموا مدَّةً دعاة الدين النصراني ولم يذعنوا لاوامر ثاودوسيوس لوقوع مدينتهم في اقاصي الصعيد ولتغاضي الولاة عنهم. ودامت الحال الى عهد يستنيان فانَّ هذا الملك استأصل بقايا الشرك في سنة ٥٥٢. واقام لفيلة اسقفًا ودشَّن هيكلها فخصَّصهُ برأس الشهداء القديس اسطفانوس. وثبت فيها الدين المسيحي مدَّة قرون طويلة بعد الفتح الاسلامي

وآثار النصرانيَّة في هيكل جزيرة فيلة وافرة. فاذا اجتزتَ مدخلها الاثير على شمال صفَّ اعمدتها بلغتَ ساحةً عظمى فواجهتَ منها المدخل الثاني الذي يؤدي بك الى هيكل الإلهة ايزيس وفي شمالك هيكل « الميلاد » الصغير. فجعل النصارى الهيكلَ الكبير كنيسةً والهيكل الصغير معبدًا

والمعبد يُستدلُّ عليهِ بعدَّة صلبان تراها في جدران الحُجَر الثلاث التي يتركَّب منها المعبد المذكور. والكتابات الهيروغليفيَّة قد مُحقت من الحجرة الوسطى او طُليت بالملاط ولعلَّ النصارى فعلوا ذلك لوقوع المذبح فيها. وهذه الحجرة لا يزيد طولها على ٤ امتار في عرض ٣ منها

امَّا الكنيسة الكبرى فترى على جانبي بابها الواقع تحت المدخل الثاني صليبين ينبئان بقداسة المكان. فكان موقع الكنيسة الموأ اليها في دار الهيكل وفي ردهتهِ ذات العواميد وترى اليوم في اطناف السواري التي في الدار ثقوبًا كانت تُناط بها حبال يمدُّون عليها استارًا تحجب عن المؤمنين اشعة الشمس. وترى ايضًا في المعبر عند مدخل الردهة العامودية بعض صور مسيحيَّة اتلفها الزمان وهذه الصور تمثّل يمينًا في الجهة العليا مدينة اورشليم وتحتها السيد المسيح بين ملاكين احدهما على يمينهِ مستلًّا سيفهُ والآخر على شمالهِ حاملًا شبه صليب. ولعلَّهما الملاكان ميخائيل وجبرائيل اللذان تعتبرهما الكنيسة الشرقيَّة كحارسي جسد المسيح

وفي الردهة المذكورة المذبح وبيت القربان فالمذبح عبارة عن مكعَّب من الصوَّان في مقدَّمهِ صليبٌ منقوش تحيط بهِ دائرة. امَّا بيت القربان فهو منقور في الجدار الشرقي يزينهُ عمودان صغيران على جانبيهِ ولهُ واجهة مستديرة في وسطها صليب ونقوش

١ كنيسة فيلة الكبرى ٢ آثار كنائس فيلة ٣ احدى كنائس فيلة ٤ آثار أخرى من كنائس فيلة

وفي وجهي الباب الذي يفصل الرواق عن المقدس كتابتان يونانيَّتان يُستفاد منهما ان الذي قام بهذا المشروع الصالح وتشييد الكنيسة في هذا المكان انَّما هو « الاب الكلّي الطهر والمحبوب من الله ابا ثاودوروس ادامهُ الله على حراستها (١ »

والمظنون ان ثاودوروس المذكور هو اسقف فيلة الذي تولى رعاية المؤمنين فيها سنة ٥٧٧

وهناك ايضًا على جانب الباب ترى امرأة ماسكة بيدها صليبًا كانها تعرضهُ للسجود. وصورة المرأة كانت داخلة في جملة نقشٍ قديم فجعل النصارى في يدها هذا الصليب تبرُّكًا

وبينما كنَّا نفحص هذه النقوش اذ رفعنا الرأس الى ما فوق الباب فرأينا عند عتبتهِ العليا اسم البابا غريغوريوس السادس عشر (٢ فاستبشرنا برؤية ذكر امام الاحبار ونائب المسيح على الارض كانَّ هذا الاسم الميمون شمل برئاستهِ السامية العالم القديم والعالم الجديد اذ دُوّن في هيكل قديم حوَّلهُ النصارى الى كنيسة خلَّد الله رئاسة الاحبار الرومانيين الى منتهى الادهار

امَّا الكنائس الثلاث التي بُنيت في فيلة خارج الهيكل فكلُّها في شمالي الجزيرة. وكانت احداها تابعةً لدير موقعهُ في رأس الجزيرة الشمالي قد طُمست اليوم آثارها. وكانت الثانية وراء حنيَّة الهيكل الكبير تبعد عنهُ نحو ٣٠ مترًا ولها آثار باقية وهي حسنة البنيان متوسطة الكبر ذات ثلاثة اسواق وحنيَّتها متجهة الى الشمال بميلة الى الشمال الشرقي. وترى لها كتابة يونانيَّة خُطَّت في حائطها المواجه للمذبح

وكانت لفيلة كنيسة ثالثة اوسع من الاولين تُرى بقاياها شرقًا على بعد بعض

---

١) هذا نص الكتابة الاولى Και τουτο το αγατον εργον εγενετο επι τον οσιω-τατον πατρον ημων επι Απα Θεοδωρον. υπο εαυτου διαφυλαξη επι μηκιστον χρονον وهذا نصّ الكتابة الثانية Ευ τουτο εργον εγενετο επι του θεοφιλεστατου πατρος ημων Απα Θεοδωρου του επισκοπου

٢) وقد ورد اسم البابا في صدر كتابة ايطالية حفرها الوفد الروماني سنة ١٨٤١. وهذا الوفد كان يتقدمهُ السيدان كمبريني وتُستي ارسلها الاب الاقدس لينقلا من مصر الى رومة ما تكرَّم بهِ محمد علي باشا خديوي مصر من الرخام لبناء الاعمدة التي أُقيمت بعدئذٍ في كنيسة مار بولس الملكيَّة خارج السور. والرخام نقلهُ الربان انطونيو كافي في سفينة تُدعى فدلتا (La Fedelta) اتى جا من نهر التيبر الى اول شلّالات النيل

خطوات. وهذه الكنيسة كانت ايضاً مثلّثة الاسواق متجهة الى الشرق

واعمدة هذه الكنائس الثلاث التي وجدها المهندسون في اخربتها قد نُقلت الى الساحة الممتدَّة امام دار الهيكل الكبير وراء صفوف اعمدته الشرقية. فلمَّا فحصناها وجدنا بينها نقوشاً جميلة من طرز البناء اليوناني او البوزنطي. وأثار فينا نظرُها الاسفَ على خراب الكنائس التي أُقيمت فيها هذه الاعمدة وهي كانت تنبئ بمعارف قدماء النصارى في الهندسة فضلًا عن انها تنطق عن تقاهم وعبادتهم. امَّا عهد هذه النقوش فخيل لنا انها معاصرة لنقوش كنيسة دندرة

وممَّا اطلعنا عليهِ هناك تمثال طولهُ نحو القامة وهو يمثّل شخصاً يضمّ فوق صدرهِ سعَفًا من النخل وبيدهِ الأُخرى يمسك قطعة من دولاب محدَّد. فتبادر الى ذهننا ان هذا تمثال القديسة كاترينا الاسكندريَّة الشهيدة. نفعنا الله بصلواتها وقوَّى المصريّين بايمانها (تمَّت)

بحيرة لوط والمدن الخمس

لحضرة الاخ يوسف كليس احد معلمي مدرسة الايتام في بيت لحم

لمَّا كانت هذه البحيرة اكبر بحيرات فلسطين وسوريَّة يؤمّها السُيَّاح والزوار لخطورة شأنها في التاريخ القديم شاقني الاطلاع على احوالها فزرتها في هذه الاثناء مع فريق من اهل الادب لاستكشاف ما هنالك فاحببتُ ان اضمّن رحلتي اليها موجز تاريخها ووصفها في هذه المقالة التي ازفّها الى قراء مشرقكم الأنور فاقول:

ان موقع هذه البحيرة في الجنوب الشرقيّ من القدس الشريف في مسيرة ١٨ ميلًا في وطاءٍ من الارض يسمّيه الكتاب غور السدّيم. ويرجح الآن انها تغطّي جانباً عظيمًا من المدن الخمس التي امطرها الله نارًا وكبريتًا (ص١٩ من سفر التكوين). وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب ٥٠ ميلًا وعرضها نيّف و ١٠ اميال وهي منخفضة عن سطح البحر المتوسط ١٣١٦ قدمًا ولمَّا كانت هذه البحيرة مَفرغة لمياه غزيرة لانخفاض مكانها كما قدمنا وكان لا منفذ لها ظاهر ولا يبدو فيها أثر من زيادة مائها او نقصانهِ تضاربت في امرها آراء العلماء. ونحن ذاكرون لهم رأيين مرجّحين الثاني منهما على الاول

قال الفريق الاول ما خلاصتهُ: ان غوْور ارض هذه البحيرة وانخفاضها الزائد جدًّا

واكتناف الجبال التي تشدّ على مُختَنقها لَهو مجلبةٌ للوديقة التي تُبخِّر من مائها يومياً كميَّةً تعادل الكمِيَّة التي تجري اليها

قلنا ان ما ينشأ عن هذه البحيرة بسبب شدة الحرّ من بخار وافر وضباب متكاثف متكاثر لا ننكرهُ. كيف لا وانَّ بخارها كثيرًا ما ينشأ عنهُ مطر يروي ارض فلسطين. فينتشر ضبابها منتشرًا ويغطّي سطحها وارباضها على مسيرة اميال ؟ بيد انهُ يستحيل تحويل كل الماء الذي يصير اليها بخارًا او ضبابًا على ما افاده وعلَّلهُ ذوو التحقيق من علماء هذا الفن. ولا يخفى انهم قد عدَّلوا كميَّة الماء الذي يأتيها يوميًّا من الاردن وحدهُ بما يربي على ٦ ملايين طونيلاتو (tonellata) (١ فكم كان يبلغ قدرهُ لو اضفنا الى هذه الكميَّة مياه الغدران والجداول ومجاري الاودية التي تجري اليها أيَّام الشتاء من اكثر جهاتها لاسيما نهر الموجب الذي يأتيها من منحدرات الجبال التي تلي شرقيها فانها لعمري كميَّة لا سبيل الى تحويلها بخارًا مهما تعاظمت هنالك شدَّة الحرّ

وقال الفريق الثاني وهو الراجح على ما نظنّ انهُ لا بدّ لها من سرَب سُفليّ تصبّ منهُ في عمق احد البحور التي لم يُعلم الى الآن غور لججها تمامًا. ورقبوا الماء الذي تخسرهُ سنويًّا بالتبخير وبذهابهِ في السرب المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذي يأتيهِ . وقد رصدها في الشتاء الماضي بعض المدققين فأيّد هذا الرأي اذ ظهر لهُ فيها نقص بيّن استدلّ عليهِ من انحسار مائها وتقهقرهِ عن سواحلها وشطآنها عن ذي قبل

واما خواصّ مائها فليس لهُ ثقل واحد معلوم لأنهُ يختلف في الكثافة والمرارة باختلاف مواضعهِ منها. فحيث يدخلها ماء الانهار والسواقي فاقلّ ثقلًا ومرارةً من غيرهِ. وعلى وجه العموم يُعدَّل ان في كلّ مئة جزَّة من مائها او في كل مئة رطل منهُ خمسًا وعشرين جزَّة او رطلًا من الاملاح المعدنيَّة ذائبة فيها. وهي لكثرة املاحها لا حياة فيها لحيوان البتة. ومعلوم ان مياه البحار لا تفوق املاحها عادةً الاربعة بالمئة

واعظم جزء بين موادّها المذكورة هو كلورور الصوديوم (chlorure de sodium) وهو ملح الطعام فانَّ فيها منهُ نحوًا من ثلاثة ارباع باقي المواد التي فيها ككلورور المغنيسيوم (chlorure de magnésium) وكبريتات الكلس (sulfate de chaux) والمغنيسيا (magnésie) وغيرها من موادّ أُخر قاريَّة وزفتيَّة وكلها تولد فيها تلك المرارة

---

١) الطونيلاتو الف ليتر

والكراهة وهي مع ما فيها من فرط هذه المواد الغروية وكثرة ما ينشأ عنها من الضباب والابخرة لا تزال صافية رائقة تستبهج النواظر بجمال رُوائها غير ان الأيدي تتجافى عن لمسها لانها تذَر فيها أثرًا زيتيًّا. ولا ندحة لمن خاض فيها من ان يتطهَّر بُعيد ذلك بماء عذبٍ زلال والَّا لا يلبث زمنًا قليلًا حتى تجوش في جسمهِ حكَّة تُهيّج فيهِ البثور كما جرى للكثيرين. واكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمّون فيها على مقربة من مصبّ الاردن في تخمها الشمالي حيث يتمكّنون بُعيد ذلك من الاغتسال في ماء الاردن

ولثقل ماء هذه البحيرة يطفو فوقها ما يرسب في غيرها ولذا لا حذر فيها على من لا يحسن السباحة فانهُ يعوم ولو رُبطت كلتا يديه وراء ظهره

واما عمقها فيبلغ في الجهة الشماليَّة نحوًا من ٤٠٠ متر وفي الجنوبيَّة ٦ امتار وما بينهما يختلف باختلاف مواضعها اختلافًا تدريجيًّا. وبالاجمال فهي تصلح لتسيير البواخر الصغيرة وبلغنا من عهد قريب ان الحكومة السنيَّة قد منعت باخرتين صغيرتين لبعض الاجانب كانتا تمخران ماءها واصدرت ارادتها السنيَّة مرخصة لشركة عثمانيَّة ان تسيّر فيها مراكب صغيرة تقريبًا للمواصلات التجاريَّة وتسهيلًا لسكَّان هاتيك الاطراف ولمن لزمها من السيَّاح والزوَّار

ولا يخفى ان مساحةَ طولِها التي لا يمكن ان يطويها الراجل او الراكب باقلّ من ٢٠ ساعة تجتازها الباخرة بمدة لا تتجاوز ثلاث ساعات فضلًا عمَّا وراء ذلك من تخفيف المشقَّة وتوفير اسباب الراحة

واما ارياف هذه البحيرة فكلّها بلاقع خالية من السكَّان والدور والشجر ولا يقيم فيها الَّا بعض الاعراب التعمريين وذلك في فصل الشتاء

والجبال الوعرة تكتنفها الَّا الجهة الشماليَّة الشرقيَّة منها فانها ساحل فسيح الارجاء بيد انهُ عقيم البقعة غيرُ حيّ التربة تغطيهِ قشرة ملحيَّة جعلت ارضهُ سباخًا فهي لا تنبت الَّا حيث تجري فيها المياه الحلوة. ونباتها لا يُنتفع بهِ وهو في الغالب الحلفاء والأَباءة والزأرة وما شاكلهُ من النبات المائي. وقديمًا كان ينبت في جوار هذه البحيرة وارياقها نوع من الشجر يُعرف ثمرهُ بالعنب السامّ او العنب المرّ فكان ظاهرهُ بهيّ المنظر الا ان داخله كان نتنًا عفنًا مملوءًا رمادًا وبخارًا وقد اشار اليهِ موسى في تثنية

الاشتراع (٣٢: ٣٢) قال: « من جفنة سدوم جفنتهم ومن كرم عمورة عنبهم عنب سم وعناقيدهم من مرارة »

والى اليوم ترى اكثر ثمار هاتيك الارض المجاورة لها نضيرة شهيَّة غير انك اذا ما قطفتها تحوَّلت بيدك الى غبار ورماد. على انَّ هذه الارض وان لم تصلح الآن لتنبيتها وتشميرها فهي صالحة لاستخراج المعادن فانها كثيرة فيها غنيَّة بها كالحُمَّر والنطرون والكبريت وزيت البترول الخ. وحبذا لو تنتبه الدولة الى ذلك فتنشئ ثمَّة المعادن والمعامل والمالح وتكفي البلاد موءُنتها التي تستبضعها من ارض اجنبيَّة بافحش ثمن. ولا يخفى ما ينتج ايضاً بذلك للدولة من الفوائد الادبيَّة والماديَّة

بقي علينا ان نروي في مقالتنا هذه الاسماء المشهورة بها هذه البحيرة وبيان موقع المدن الخمس منها

امَّا البحيرة فانها دُعيت باسماء عديدة فهي تُعرف:

١ بحيرة لوط نسبة الى لوط ابن اخي ابرهيم الذي انجاه الله مع آله من سدوم احدى المدن الخمس التي امطرها الله ناراً وكبريتاً

٢ البحر الميت لانَّ مياههُ لا تغتذي بها الحيوانات المائية اذ لا حياة لها فيها كما عرفت ولسكون مائهِ في اكثر الفصول ولا موج فيهِ الَّا في ايام قلائل حين تعبث بهِ ايدي العواصف فيهيج ويثور غضبهُ لذلك

٣ البحيرة المنتنة لانها تنبعث عنها غالباً رائحة خبيثة وذلك لوفرة موادها المعدنيَّة

٤ بحيرة الملح اعتباراً لمائها الاجاج فالمادة الملحية فيهِ وافرة جداً وسكان هاتيك الجهات يستخرجون منهُ سنوياً ملحاً يسدّ عوزهم

٥ بحيرة الزفت لكثرة موادها الزفتية والقاريَّة وكثيراً ما ترى بعض هذه الاجرام طافية فوق صفحات مائها يخالها الناظر عن بُعد ثيراناً لا روءُوس لها

٦ البحر الشرقي لمقابلتهِ للبحر المتوسط لكونهِ غربيَّهُ

٧ بحيرة البرّيَّة والسهل لانها في برّيَّة قاحلة وشمالها الشرقي سهل فسيح

٨ بحيرة سدوم اعتبارَ انها محلّها على الرأي الارجح

امَّا موقع المدن الخمس التي اشرنا اليها في صدر مقالتنا وهي سدوم وعمورة وصبوئيم وادمه وزغر فبين علماء الآثار اختلاف فمنهم من جعلهُ في الجهة الجنوبية من البحيرة حيث السهل الخراب ومنهم مَن زعم انهُ في الجهة الشماليَّة حيث السهل القاحل الكبريتي الممتدّ منها الى اريحا. على انهم وان اختلفوا في ذلك فهم مجمعون رأياً على ان موقعها بجوار هذه البحيرة وان جانباً منها تعلوهُ مياهها الراكدة

وما يمكننا ان نقولهُ عن هذه المدن هو انها كانت قبل ان شملها الخراب الالهي حافلةً بالسكّان متردّيةً ثوب الحضارة والمدنيّة. ويخبرنا الفصل الرابع عشر من سفر التكوين ان كلًّا من هذه المدن كانت قاعدةً لملوك جبابرة فضلًا عن ان موقعها الطبيعي يستدعي ان تكون زاهرةً غنّاء مزدهيةً بجمال موقعها مفتونةً بجنانها وغياضها المُدهامّة غنيّة بوفرة مائها وخيراتها لان نهر الاردن العظيم كان يتشعّب في غورها الزكيّ التربة سيولًا فيسقي ارباضها ورياضها وحدائقها التي كانت ولا شك تفوق جنات الشام كثرةً وخصبًا (راجع تك١٣: ١٠)

واخيرًا يمكننا ان نقول ايضًا ان تحضُّر هذه المدن قديمًا وتألُّب السكّان فيها قد حملا ابرهيم الخليل على ان يتقدم الى العلي مسترسلًا في كلامهِ مكررًا طلبةُ اليهِ تعالى ان يعفو عنها (تك١٨). غير انهُ لمّا كان الفساد قد شمل سكّانها وكان جميعهم قد سكروا بلذّة الاثم حتى لم يعد فيها بارٌّ سوى لوط وآلهِ انتقم الله من اهلها بان أمطر المدن وواديها الجميل نارًا وكبريتًا من السماء فألهب ما كان هنالك خزينًا مُعدًّا من البراكين الناريّة التي تعجّلت دمارهم فطبّق ماء الغور الراكد تحتها وجه هاتيك الارض فساخت بهم خاسفةً وظهرت البحيرة على ما نراها اليوم

الفوز بالمراد في تعريف حبّة بغداد

لجناب الدكتور نابوليون ماريني (تعريب حضرة شقيقهِ الاب انستاس الكرملي)

١ اللفظة ومرادفاتها وأصولها اللغويّة

في بغداد نوع من مرض الجلد يخرج بهيئة حبّة صغيرة ثم تعظم. واكثر مجيئها على الوجه وفي خروجها فيهِ تشوّههُ. وسُمّيت حبّةً من باب المشابهة. وأُضيفت الى بغداد لكثرة ظهورها في دار السلام. وقد ظنّ البعض ان لفظة «الحبّة» بمعنى هذا النوع من البثرة اي bouton ليست عربية. قلنا: هي عربيّة وعربيّتها فصيحة لانها مأخوذة من باب المشابهة والمشابهة من المحاسن اللغويّة وبالاخصّ من المحاسن اللغويّة العربيّة. وانت تعلم ان باب المشابهة واسع. وقد استعملها اطباء العرب بهذا المعنى كما تتحقّقهُ من تعريفهم البُرّة اذ قالوا عنها انها «حبّة كبيرة كالعِلكة» الخ «وحبّة بغداد» هي التسميّة التي يُسمّيها بها الاطبّاء المحدثون كما قالوا في الفرنسيّة bouton de Bagdad.

واماً اهل الزوراء فلا يعرفونها الّا باسم « الأُخت » ولها وجهٌ فصيح. وذلك انَّ هذه الحبَّة لا تخرج وحدها بل يكون معها غالباً حبوب اخرى متجاورة او متباعدة تشبهها كلّ الشبه وعليهِ فتكون كلّ واحدة منها أُختاً للثانية. وهذا المعنى هو من معاني الأُخت في العربيـة الفصحى. اماً العرب الاقدمون فقد سمَّوها « عُدًّا او عُدَّة » اذا ظهرت في الوجه. قال الزبيدي: « العُدّ والعُدّة بضمّهما بثر يكون في الوجه. عن ابن جنّي. وقيـل هما بثر يخرج في (وفي بعض النسخ: على) وجوه المِلاح » اه. ومعناها الاصلي مأخوذ من مادّة ع د د التي يغلب فيهـا معنى « الجمع » على حدّ ما يُرى في معنى الرومية add(ere) كأنها من موافقات اللغـات. وعليهِ فمعناها يُشير الى انها تكون غالباً ما يزيد عددها على الحبَّـة الواحدة. ويُقال لها عند اطبَّاء العرب المولَّدين « البُرَّة » قال في كتاب الرحمة (ومثلهُ في كتاب تسهيل المنافع): « البُرَّة حبَّة كبيرة كالعِلكة تنبت معها حبوب كثيرة مشتبكة اي مختلفة. سبب ذلك اختلاف المأكول والمشروب والمسكن في البلاد الوبيئة ». ومعنى البُرّة القَمحة وسبب تسميتها هي المشابهة ايضاً كما في الحبَّة. وقد سمَّاها البعض باسم « التوتة ». وهي ايضاً من باب المشابهة لانها تكون حمراء وتكبر حتى تكون بحجم التوتـة اي الفِرصادة. هذا ولو اردنا ان نتتبَّع اسم هذا المرض الجلدي في كلّ البلاد التي يتكلّم اهلها بالعربيـة لاختلفت وتعدَّدت باختلاف المواطن والمدائن. ولهذا نقف عند هذا الحدّ. (الى هنا من كلام المعرّب)

٢ً تعريفها الطبي

ما حبَّة بغداد وما أدراك ما هي ؟ — على ما قالهُ أُنّا (Unna) و بروق (Brocq) وغيرهما من علماء الامراض الجلديَّة تقيُّحٌ يصيب الفرد من الناس مستقـلّ بنفسهِ وموضعهُ الجلد. وعليـهِ فالأُخت منطوية تحت مَطوى علم الامراض الجلدية وليس لها تعلّق بداخل نظام الاعضاء. وهذه الحبَّة تنتقـل بالعدوى على رأي جماعة وهي غير مُعدية على رأي الفريق الآخر. اماً العلة المحدثة لهذه العُدّة فانّ الابحاث لا زالت قوادمها متصلةً بخوافيهـا طلباً لها. وهي لم تزل الى يومنا هذا خافيةً فتّاكةً شاكيةً شائكة كمن « يلذع ويصئي »

غير انَّ أبحاثي قد ادّت بي الى نتائج تُذكر فتُحسب. خلاصتها: ان بُرَّة بغداد هي

لا جرم من الامراض العفنيَّة وتُعدي الغير بنفسها وفيها أُحيَّاء (١ (مكروب) والعدوى فيها من جوهرها وفتكها محصور في الجلد لا غير. وهذه التوتة ليست فقط خللًا بسيطًا خارجيًّا يحدث في الجلد كما يظنهُ الى يومنا هذا المشتغلون بعام الامراض الجلدية بل هي ايضًا من عداد الامراض الداخليَّة. وهاءنذا أُثبت ذلك بالبيّنات الصادقة والبراهين الناطقة

٣ً هل الحبَّة البغدادية او الأُخت مُعدية ؟

إي. ولا شك في هذه الحقيقة. وناقل هذه العدوى هي الحشرات. وذلك انني لمَّا كنت طبيبًا للمستوصف الكاثوليكي في بغداد أتجه لي ان استقصي البحث عن هذه الأُخت وبقيتُ زمنًا طويلًا اتتبَّع فحصها وأُمعن في استكشاف امرها وسرّها وتزعتُ في قوسها حتى لم يبقَ لي منزع فعسى هذا السعي يفيد القراء ويوقفهم على الحقيقة بوجه الوضوح والجلاء. امَّا الادلَّة على ذلك فكثيرة منها :

ان المصابين بهــذا العُدّ كانوا يجاوبونني جوابًا واحدًا كلَّما سألتهم عنهُ وهو : ان التقيُّح حصل عقيب وَخز حشرة. امَّا المشكيّ عنهُ في إحداث هذا التشويه فهو البعوض او الجرجس وفي الغالب الذبابة وفي النادر البرغوث. واوَّل اثر يحدثهُ الوخز ويستافت نظر الموخوز هو حكَّة شديدة. والدليل الثاني ان وجودِ الهوامّ المذكورة في هذه الاصقاع مدة ثلاثة فصول من فصول السنة يُوضح لنا كلّ الوضوح الاصابات المتعدّدة بهــذا الداء في تلك الفصول اكثر من وقوعها في الشتاء. بخلاف ما يذهب اليهِ لاڤران (Lavran) القائل بان « الحبَّة تُرى من شهر ايلول الى شهر شباط ومنذ شهر كانون الاول او شباط لا يكاد يُرى اصابات جديدة حتى الخريف التالي». على ان لاڤران لو

١) الأَحيَّاء تعريب مكروب. وقد جاء في المشرق ١ : ٥٤٦ انهُ: « قــد تقرَّر اليوم انَّ الباشلوس او المكروب ليست حُيَيوينات بل جراثيم آليَّة كالفطر » لكنَّنا قرأْنا في كتب تبحث عن هذا الموضوع ان الاراء لا زالت متباينة. ومهما يكن من الامر فان تفسير اللفظة بما يؤدي معناها حقّ التأدية بالعربية ممَّا لا يخلّ بنواميس التعريب. وكما ان الافرنج ابقوا لفظة المكروب مع تحقُّقهم انها ليست حيَّة (اذا فرضنا انها ليست من الحييوينات بشيء) كذلك نُبقي تسمية « الاحياء » عليها اتباعًا للوهم ان كان ثمَّ وهمٌ. على حدّ ما يقال غابت الشمس وغابت النجوم مع ان الحقيقة ليست كذلك على رأي العلماء في هذا اليوم كما لا يخفى عليك. انتهى قول المعرِّب

(المشرق) لم تنكر انَّ للمكروب او الباشلوس حياةً. وانما حياتهُ نباتيَّة لا كحياة الحيوان

توغّل في أبحاثهِ لحقّق انّ التلقيح يحدث في فصلي الصيف والخريف. وان التقيّح الذي يبدو في الخريف او الشتاء ليس الّا نتيجة الحضانة التي اغضى الطرف عنها. وهي مع ذلك غير منكرة. وهذه الحشرات تمتصّ السمّيّة من الاخوات المتقيّحة وتنقلها الى الاصحّاء فتلقّحهم اياها

ومن هذه الادلة ايضاً ان هذه البرّة تظهر في أغلب الاحايين على المعاري وليس من الممكن ان يحدث العفن في تلك المواطن بواسطة وسائل الهواء او المعدة. ولندع المسيو كرّادو Carrado احد اطبّاء الصحّة في حلب يتكلم قليلاً. قال: «... ومهما بذلتُ من البحث في هذه عشر السنوات فقد ثبت لديّ ان الحبّة لا تظهر على مستورات البدن. ولم اتوفق الى العثور بواحد يفيدني عن السبب. فقد قيل لي دائماً ان البرّة لم تُرَ في تلك المواطن (١»

هذا وان السمّيّة لا تنتقل على يد نوع واحد من الحشرات بل على يد انواع شتى. منها ما ذكرناهُ فويق هذا ومنها وسائط اخرى يمكن بها انتقال العدوى كتقبيل شخص مصابٍ بحبة متقيحة لشخص آخر سالم منها. او وضع قطنة على حبّة متقيّحة ثم اعادة وضعها على جرح دامٍ او ذي قيح في شخص ثانٍ ليس فيهِ هذه الحبّة. فتنتقل اذ ذاك اليهِ بواسطة العدوى. وهذا التحقيق ينافي كل المنافاة ما قرّرهُ كرّادو الطبيب المذكور الذي يذهب في المسئلة الى ان «العدوى لا تنتقل الّا بنوعٍ واحد من الحشرات وبنبات خصوصي مجهول في هذا اليوم ومنتشر في البلاد التي تحدث فيها هذه الحبّة» . وقد رأيتَ وهنَ مدّعاهُ ممّا تقدم من الشرح. واليك الآن تتمة كلامهِ بنصهِ الحرفيّ معرّباً قال: «والجهلة لعلم الطب يستصعبون في نفوسهم ادراك هذا الامر وهو كيف ان وَخزة حشرة تُوجد في حلب فقط او في سائر البلدان التي يوجد فيها نفس هذا الداء وان كان بدرجات متفاوتة تفعل هذا الفعل مع انهُ يوجد مثل هذه الدويبة في بلاد أخرى ولا تحدث نفس هذه الاحداث. فالجواب عن هذين السؤالين انهُ بموجب ما بذلتُ من البحث في هذا الصدد قد تحقق وجود هذه الحشرة في آسية كلها مع ان الحبة لا توجد الّا في حلب وفي بعض مدن أخرى قليلة. وينسب ذلك الى وجود نباتٍ

(١ راجع Revue médico-pharmaceutique de Constantinople. N°. 7, p. 97, année 1891

مجهول اليوم . اذ ان نباتات هذه الاصقاع في نهاية الغنى . ومن هذا النبات تمتصّ الحشرة جرثومة الداء وبعد ان تُدخلهُ في جسم الصحيح البدن يطرأ عليهِ الطارئ المشؤوم (١ » اه

وتحقيقي يخالف ايضاً مذهب من ينسب تلك الحبة الى الماء والهواء والازهار والنخيل ونحو ذلك من هذا القبيل . ولهذا أُعيد الكلام لمزيد التأكيد : ان حبَّة بغداد او العُدَّة مرضٌ معدٍ وتنتقل عدواهُ الى حيث تذهب جراثيمهُ وعلى من تقع عليهِ من الآدميين مهما كان موطنهُ او عمرهُ . وعليهِ فالبُرَّة ليست من الامراض التي تصيب الفرد من الناس ولا من جنس القِرأة (٢ اي المرض المتوطّن كما يظنهُ البعض او كان يظنّهُ . لان الجرثومة الممرّضة تنتقل وتظعن الى شأوٍ بعيد . وقد رأينا ما يثبت كلامنا هذا ان الطبيبين بوانه (Boinet) وديپره (Déperet) لاحظا الحبة على اناس لم يتغرّبوا عن فرنسة ابداً لكنّها انتقلت اليهم بالعدوى عند مجاورتهم الجند المصابين بها من الآتين من تونس (٣

بقي عليّ ان اذكر عاملاً آخر من عوامل العدوى وهو من الاهمّية بمنزلة رفيعة ولهذا أُشبع الكلام عنها

ان اغلب المصابين بالأُخت هم الوِلدان . واذا بلغت العُدَّة طور التقيّح علتها جُلبةٌ ثخينة وهي تسقط كلما خلفتها جلبةٌ جديدة . واذا سقطت يبست وصارت هباءً منثوراً مبثوثاً في الهواء . ثم ان هذا الذرّ الحاوي الجراثيم اليابسة يتساقط على جرح او قرحةٍ او سحج او خدش او نحو ذلك او غيرهِ من انواع تفرّق الاتصال . وعلى هذا الوجه يَقري الانسان ضيفاً ولا يدري بهِ واذا مضت ايام وهو على هذه الحالة شعر بهِ وللحال يشعر ايضاً بثقل وطأتهِ . واذ ذاك يراهُ يعدُّ شيئاً كثيراً من اطنابهِ في غضّ إهاب ويغدو ذلك

١) راجع المجلة المذكورة في عددها السابع

٢) القِرأة هي ما سمّاهُ بعض كتبة هذا اليوم بالمرض المتوطّن (endémie) ونستدل على ذلك من كلام الاصمعي اذ قال : « اذا قدمتَ بلاداً فمكثت بها خمس عشرة ليلة فقد ذهبت عنك قِرأة البلاد وقرءُ البلاد » (اه عن التاج بحرفهِ) . فيؤخذ من ذلك ان القرأة هي الوباء الخاص بالبلاد المتوطن بها كما يتّضح من أدنى تأمّل

٣) راجع Traité de médecine et de thérapeutique pat Brouardel, Gilbert et Girode, T. III, p. ٩٠٩

تفرُّق الاتصال قرحة سيرها سيرُ الأُخت وفصولها فصول هذه الحبة. وهي من هذا القبيل تشبه الجدري. وعلى مثل هذا الوجه تُفسَّر كيفيَّة ظهور العدَّة على بعض الناس وهم لا يعرفون كيف وصلت اليهم. والتحقيق الآتي يكون لك بمنزلة دعامة تدعم بهِ يقينك

اخذتُ شيئًا من الجلبة (القشرة اليابسة) وحللتها بالمقطَّر ثم لقَّحتها غلام صيدليَّتي وافرغت كل وسعي في اتخاذ الوسائط المضادَّة للتعفُّن فظهرت على جلدهِ بَثرة ثم انتقلت من طور الى طور على حد ما يُرى في الاخت الاعتياديَّة من التطويرات (١ من التهاب وتقيّح وندب غير ان شفاءها تمَّ قبل ان يتمّ شفاء الاخوات الطبيعية والمُميّز الاعظم لحبة حلب هو انها لا تُحدث ابدًا اكتظاظًا في الغدد وان بلغ امتدادها مبلغًا عظيمًا

وزد على ذلك ان سُمّية الحبة الحلبية تبقى فيها ما شاء الله وهذا الامر يجهلهُ اغلب الناس. ولهذا يجب على الممرّضين ان يغسلوا جميع الامتعة والألبسة التي اتخذها المصاب بالعدَّة والّا فان المرض يبقى منزويًا الى ان يحين لهُ فرصة فيثب ولا وثبة الظليم الجافل فهو اذن « مُخرنبقٌ لينباع. ومُجرَمّز سيمدُّ الباع »

وللعدوى طور حضانةٍ طويلة المدَّة فاذا حدث تلقيح الجرثومة لجسم ووافقتهُ الظروف والاحوال يظهر فيهِ الفساد بصورة بثرة واحدة او بثور متعدّدة متجاوزة او متباعدة ولا يصحب ذلك كلهُ شيء من العواقب الوخيمة كما يُرى في سائر انواع العفونات وبالعكس فهذه العفونة ترجع بعض الاحيان على عقبها مدحورة اذا كانت الدوافع (٢ عن ذلك المحلّ شديدة الباس صعبة المراس. ثمَّ يحدث باثر تلك الموقعة بثرة

١) جمع تطوير مصدر طوّره اي نقلهُ من حالةٍ الى حالة ومن هيئة الى هيئة ومنهُ قول التاج في كلامهِ عن الخضر: « وقد أُعطي قوَّة التطوير في اي صورة شاء » وهذه اللفظة من مستدركاتي على دواوين اللغة

٢) الدوافع وبالفرنسية Phagocytes ou phagocytose كُريّات جوالة تنتقل في خلال انسجة البدن وتهجم على ما يفاجئ الجسم من الأُحياء الاعداء محافظة على سلامة الصحّة من الخطر والضرر. وقد سمّاها الضياء (٣: ٢٢٦ و٢٢٧) « بالرواعي » من رعى الشيء اذا حفظهُ. لكننا رأينا في هذه التسمية خللًا وهو زيادة معنى آخر على معاني الرواعي الكثيرة في حد ذاتها. ولهذا فضّلنا عليها كلمة « الدوافع » وهي اوفق ايضًا للمعنى لما في اشتقاقها من تأدية معنى وظيفتها الحقيقة الاصليَّة اذ لا تملّ من المدافعة عنهُ بانتباه وتيقّظ كلّما نابتهُ نائبة

ضعيفة لا يُلتفت اليها وتبقى بضعة اسابيع لا تؤذي المصاب بهـا بشيء يذكر . بخلاف ما يؤكدهُ بعض الاطباء بانهُ من اللازم اللازب ان تدوم كل حبة سنة واحدةً بدون زيادة ولا نقصان

هذا واني لا اختلق هذه الأقاويل بل اليك بحرفهِ المعرَّب ما قالهُ بهذا الصـدد حضرة المسيو كَرادو : « ومهما زعم الزاعمون انَّ الحبة تنتقل من طور الى طور في مدَّة سنة واؤكد كل التأكيد ان هذه المدة قد تتردَّد بين ١٠ شهور و ١٨ شهرًا » . وهذا لا ينفي قولي الاول اي انها قد تدوم بعض الاحيان ٢٤ شهرًا او ٣٠ او ٤٠ (١

٤ هل تُلقَّح الحبَّة البغدادية ؟

نعم تُلقَّح ودونك الاختبارات التي تدعم هذه الحقيقة وقد اصبحت اليوم لديَّ من الحقائق الراهنة . قد اخذت شيئًا من المِدَّة عن بَثرةٍ أمَرٍ ثمَّ لقَّحتها لاربعة من جيراني فكانت فيهم النتيجـة واحدةً اي ظهرت فيهم أعراض مرضيَّة واحدة وهؤلاء الاربعة كانوا ممن أُصيبوا بالعدَّة في صغرهم

واول هؤلاء الاربعة كان الخواجا يوسف كُمُش فألقحتهُ المِدَّة في ساعده الايمن في ١٣ شباط سنة ١٨٩٦ وما مضى على البُرَّة ٢٤ ساعة الّا وظهرت بثرة ثمَّ تحوَّلت نفطةً وكان لون جُلبتها اسمر ادكن وبعد ١٠ أيام برئت بالتمام

وكان الثاني الخواجا نصوري جرجس ولقحتهُ في ذلك اليوم عينـهِ في معصمهِ وظهرت عليهِ نفس الظواهر التي ظهرت في الاول . الّا ان الادوار الثلاثة من التهاب وتقيُّح ونَدَب بانت فيهِ أتمَّ البينونة وطالت مدَّتهـا وكانت الجلبة اثخن من الجلبة الاولى وأمسك بالحبَّة . وكان لونها اغبر على سمرةٍ وشُفي منها بالتمام في اليوم الثاني من شهر آذار من تلك السنة

وكان الثالث زِنّيا هرمز وكان تلقيحهُ في ١٨ شباط سنة ١٨٩٦ في الجانب الوحشي من معصمهِ الايمن وفي اليوم الثاني ظهرت نفَّاطة محاطة بهالة حمراء وكانت الجلبة سريعة السقوط وشُفي منها في ١٢ من الشهر التالي من تلك السنة

وكان التلقيح الرابع لعجوز في ساعدها وكانت الاعراض نفس الاعراض التي رُئيت

١) راجع المجلة الطبية الصيدلية أي : Revue médico-pharm. de Const. N°. 6, p. 98, ann. 1891

في الاشخاص المتقدم ذكرهم الّا ان مدة الشفاء طالت عليها

ومما ذكرناهُ الى هنا يثبت لك ان تلقيح العدّ هو امرٌ مقرَّر وليس فيهِ ادنى ريب وزد على ذلك انَّ هِكمَن (Hickmann) يشهد لك بالامر في كتاب الطب والعلاج لانهُ زاول التلقيح للحيوان بل وللانسان ايضاً وفازت اختباراتهُ بالقدح المعلَّى (١

امَّا تلقيح الاصحاء تفاديًا من هجمة العدَّة على حرّ الوجه بكمال العدة فلا اظنهُ يفضي الى الغاية المطلوبة. واني لم اجرّب ذلك على احدٍ. لان البغاددة لا يستسلمون الى مثل هذا النوع من عَجْم العود ولا الى هذا الضرب من التحوّطات الصحيَّة. لان العدّ ليس سيء المغبَّة في عيونهم مع انهُ ظهر لي وبان ووضح للعيان انَّ البرَّة تمتدّ امتدادًا عظيماً في امزجة المبرودين (٢ (اي الليمفاويين) لا بل وقد تضرّ بالمجموع العضوي اذا كان المصاب بالتوتة لطيفاً نحيفاً وتُضعف فيهِ الدم ويتولَّد عن هذا الضعف هزال محسوس. فعلى مثل هؤلاء الناس تشاهد التغيّرات العظمى التي هي من نتاج التعفن وحدهُ لأنك اذا اسفَفْت النظر في تلك الاعراض لا تتمالك من ان تكون من حزبنا مقاوماً الحزب الثاني القائل بان حبة بغداد ليست من اثر عفونة (الباقي للآتي)

تاريخ دير مار انطونيوس الملقَّب بقزحيَّا

نبذة تاريخيَّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري

اقتطفها من تاريخ مخطوط للطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات
وأضاف اليها عدَّة فوائد مع ملخَّص تاريخ الدير الى أيامنا

قال المطران جرمانوس فرحات في تاريخهِ: وفي سنة ١٧٠٨ (اي بعد تأسيس الرهبنة بثلث عشرة سنة) اخذ الرهبان اللبنانيون ديرًا في جبة بشرَّاي في جانب الوادي المقدس على اسم القديس مار انطونيوس الكبير يلقَّب بقزحيًا. وهي لفظة سريانيَّة (اصلها ܟܢܙܚܝܐ) معناها كنز الحياة. وهو دير مشهور في بلاد الشرق بالعجائب والآيات ولاسيما بشفاء المعترين من الارواح الرديئة من كلّ ملة ومذهب تقصدهُ الزوَّار من كلّ مكان

١) راجع كتاب الطب والعلاج اي: Traité de médecine et de thérapeutique. T. III, p. 909

٢) راجع المشرق ١: ٥٤٧ في الحاشية الموسومة بالرقم «١»

للشفاء والتبرُّك وتشهد الامم الغريبة بعجائبهِ. والمعلم كارانيوس اللاتيني ذكر هذه العجائب شهادةً على صحَّة دين المسيح في كتابهِ المسمى صقيل المرآة ردًّا على بعض الملحدين

وكان تسليم هذا الدير الى الرهبان في شهر تموز من يد المطران يوحنا حبقوق الذي كان متوليًا عليهِ. وكان على شكل محبسة وفيهِ كنيسة ومغارة يسكنهُ كاهن وراهب معتوه. وذلك في عهد البطريرك يعقوب عوّاد وعن يدهِ. والرهبنة عمرتهُ بخلاف ما كان. واقتنت لهُ املاكًا واثاثًا وتكلَّفت عليهِ حينئذٍ مبلغ ٢٥٨٦٧ قرشًا (١

ويظهر ان هذا الدير قديم. قال البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخهِ: انهُ في سنة ١٤٧٢ كان مترئسًا على دير قزحيا القس جرجس الاهدني فسيم خوريًّا بردوطًا (٢

قال فرحات وفي هذه السنة (اي سنة ١٧٠٨) عملوا (اي الرهبان اللبنانيون) المجمع العام في شهر آب قبل اوانهِ وذلك لاجل الاخوة الذين ارسلوهم الى رومية. وثبتوا فيهِ الاب عبد الله قراألي رئيسًا عامًا. وجدَّدوا فيهِ بعض فرائض تخصّ المدبّرين ورؤساء الاديرة والمبتدئين وامروا فيهِ بتجديد النذور مرّة واحدة في السنة وان يكون نهار عيد القديس يهوذا الرسول الواقع في ١٩ حزيران لان ليلة عيده تثبَّت القانون (٣. وحدَّدوا بألّا يدخل المجمع العام الّا اصحاب الدرجات المقدسة. ولم يقيموا رئيسًا خاصًّا لدير مار انطونيوس قزحيا لانّ ابتداءهُ كان عسرًا جدًّا. ولذلك لم يوجد من هو كفوءٌ لهُ الّا الرئيس العام فلبث فيهِ يدبّرهُ. وهو مع ذلك يزور الديورة الاخرى. لانَّ من عادة هذه الرهبنة ان يتفقَّد رئيسها العام جميع اديرتها مرة كل سنة. وان تعذَّر فيرسل نائبًا عنهُ كما انَّهُ من العادة ايضًا ان كل دير يقيم بذاتهِ رئيسهُ الذي يتصرَّف بتدبيرهِ متكفِّلًا بهِ. والكل يرجع الى الرئيس العام لانهُ المحرِّك الاول

وفي سنة ١٧١٠ وقيل ١٧١٣ حصل خسارة كبيرة على دير قزحيا من عيسى حماده

١) وكان وقتئذٍ رئيسًا عامًا على هذه الرهبنة الاب عبد الله قراألي الحلبي المؤسّس الاول للرهبنة. الذي أُقيم فيما بعد مطرانًا على ابرشية بيروت سنة ١٧١٦. هذا وسيأتي في محلهِ ذكر زيادة عمارهِ وتغيير كنيستهِ وتجديدها اولًا وثانيًا

٢) راجع شرح هذه اللفظة في المشرق (٢: ٦٤٩ الحاشية ٥)

٣) حيث كان ذلك قبل تثبيت القانون من الحبر الروماني فبعد تثبيتهِ منهُ صار هذا تجديد النذور نهار عيد ابينا مار انطونيوس الواقع في ١٧ كانون الثاني كرسم الفرائض

حاكم جبة بشرّاي فانّهُ أخذ وديعة البطرك يعقوب التي كان اودعها عند الرهبان قبل عزلتهِ التي كانت في هذه السنة ذاتها. اما الوديعة فعبارة عن دراهم مبلغها خمسة اكياس (١

وذلك انَّ البطريرك كان اخذ من الرهبان ورقة بكميَّة الدراهم وكيفيَّتها. وبعد عزلتهِ اخذ اولاد اخيهِ الورقة منهُ واعطوها الى عيسى المذكور وكلَّفوهُ باخذ الدراهم بالقوَّة الجبريَّة من الرهبان فجاء الى دير قزحيا حيث أُودعت الدراهم واخذ الوديعة بتمامها بموجب الورقة التي اخذها من أقارب البطرك الذين اوهبوهُ اياها بغير رضى المطارين والرهبان والموارنة وبيت الخازن

وفي سنة ١٧١٢ ابتدأوا في عمار محبسة مار بيشاى جانب دير قزحيا وكانت محبسة صغيرة خربة فعمَّروها ووسَّعوها ونقروا فيها مغارة وعلوها كنيسة على اسم مار يوحنا الرسول. وكان معاش هذه المحبسة على دير قزحيا لانها تحت طاعة رئيسهِ. فالمعاش واحد والرئيس واحد لا يتميَّز مكان عن مكان بشيء ما (٢. قال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٦ ان الخوري يونان المتريتي رئيس مار انطونيوس قزحيا نقض قلّد الحبس (اي المحبسة) وجدَّدهُ. وزاد على مذبح مار بيشاى مذبحين آخرَين احدهما على اسم السيدة والآخر على اسم مار جبرائيل رئيس الملئكة (٣

واماَّ محبسة مار ميخائيل فلم تكن اقل قدميَّة بل ربَّما هي اقدم من غيرها. قال الدويهي: وفيها (اي سنة ١٤٩٥) عمر القس بركة البقوفاني محبسة مار ميخائيل بقرب قزحيا وكانت سابقاً حظيرة للمعزى واستحبس بها الى نهاية حياتهِ الطاهرة. وقال ايضاً: وفي سنة ١٦١٧ توفّي الخوري ميخائيل الاهدني الذي اخذ السكنى بمحبسة مار ميخائيل التي عمرها اولاً القس بركة البقوفاني. ثم خلفهُ القس موسى اليموني ثم القسّ يعقوب من برناسا (٤ من معاملة البترون ثم القسّ ميخائيل ثم جبرائيل ثم الخوري ميخائيل المقدَّم

١) والكيس خمس مائة قرش

٢) ويظهر ان هذه المحبسة كانت أقدم من الدير

٣) ثم يقول الدويهي وار عجيب في ذخيرة مار بيشاى. انهم نقلوها مرات من المحبسة الى دير مار انطونيوس فكانت ترجع من ذاتها الى موضعها

٤) وبرناسا خالية الآن من العمار والسكان وهي من املاك دير سيدة ميفوق

ذكرهُ وكلهم من اهدن وبعد وفاة هذا خلت الحبسة

قال فرحات: وفي سنة ١٧١٤ امتلك (١ الرهبان اللبنانيّون مطحنةً عظيمة على نهر ابي علي في زاوية طرابلوس في ارض قرية كفرحورا بجانب الجسر الذي تحت دير كفتين وكانت مهجورة لا صاحب لها وانّما تُلقَّب بطاحون الشيخ. فأخرج الرهبان فيها وفي الاراضي التي حولها حججاً وفتاوى شرعيّة وتملّكوها وجدّدوا عمارها وتكلّفوا عليها نحو الفي قرش. وغرسوا اراضيها كلها وملكوا معها ايضاً بستان بُطَيش عند حدود ارضها. وكان الساعي في اقتناء هذه الاملاك كلها احد ابناء هذه الرهبنة وهو القس توما اللبودي الحلبي الذي كان واسع العقل حسن الفطنة والمعاشرة فصيح اللسان وكان يومئذٍ وكيل الرهبنة العام. وكان انتهاء تجديد هذه المطحنة في السنة الآتية

ثم يقول وفي سنة ١٧١٤ أُقيمت دعوى على مطحنة نهر ابي علي خاصّة دير قزحيا (٢ من محمد باشا والي طرابلوس واقام وكيلاً عنهُ بالوقفة الشرعيّة الشيخ مصطفى افندي. ومن طرف دير قزحيا أُقيم وكيلاً الاب جبرائيل فرحات. ومن بعد المحاقّة والمشاجرة والكشف والبيان قد ثبت الحق الشرعي لدير قزحيا. وأُخرج الحكم بوجه الوكيل مصطفى افندي المذكور. وحينئذٍ تصرّف الرهبان بالمطحنة التصرّف المطلق واتقنوها جيدًا. وقد نظم ابن فرحات شعرًا نُقر على عتبتها يعلن ذلك وهو:

لله طاحونٌ بزاويةٍ بدت نجماً يدور السعد بين فراشها
لقد اعتنى ببنائها وعمارها رهبان لبنانٍ لدور معاشها

وفي سنة ١٧١٤ رجع البطريرك يعقوب الى كرسيهِ منصورًا بمؤازرة قداسة البابا اقليميس الحادي عشر. فانّ هذا الحبر ارجعهُ الى كرسيهِ وامر الطائفة بطاعتهِ لانهم عزلوهُ دون امرهِ. فاطاعت الموارنة حالاً اوامر قداستهِ والكرسي الرسولي. وفي هذه السنة عملت الرهبنة مجمعاً عاماً في دير مار انطونيوس قزحيا وثبتوا فيهِ الاب عبد الله قراألي رئيساً عاماً ايضاً فادّى الطاعة للسيد البطريرك في دير قنوبين كالعادة

ثم بعد انتهاء هذا المجمع بعشرة ايام سقطت قطعة كبيرة من الجبل الذي فوق دير قزحيا نصف الليل على الدير فهدمتهُ. وقُتل تحت الردم راهبان احدهما القس يوسف

١) كذا في الاصل. ونظنّ ان امتلاك الرهبان للمطحنة كان سنة ١٧٠٥. وهذا اقرب لما يأتي ٢) وهي الان خاصة وظيفة العام من زمان

يتّى الحلبي (احد مؤسسي الرهبنة) والآخر الاخ رافائيل زوق مصبح وهو من طائفة (عائلة) الحواقة. فسبّب ذلك حزنًا عظيمًا في الرهبنة وخسارة كبرى

وفي سنة ١٧١٦ عمّر الرهبان اللبنانيون دير قزحيا الذي كان انهدم كما ذُكر احسن ممّا كان عليهِ اولًا فكان خرابهُ سبب عماره. وفي هذه السنة اقام الرئيس العام قراألي رهبانًا حُبساء في محبسة مار بولا (١ ووضع لهم قوانين ورسومًا يسلكون فيها (تحت طاعة الرئيس وعلى حساب ديرهِ). وفيها سيم الاب عبد الله الرئيس العام مطرانًا على بيروت وأُقيم نائبًا عامًا عوضهُ الاب جرمانوس فرحات (ثم أُنتخب رئيسًا عامًا ثلاثة مجامع ثم سيم مطرانًا على حلب سنة ١٧٢٥ وسيامة كليهما بيد البطريرك يعقوب عواد)

وفي سنة ١٧٢٣ اخلى الرهبان اللبنانيّون دير قزحيا وذلك لاجل نوائب الزمان وزيادة المال عليهِ. وبعد شهر وقيل شهرَين من خروجهم منهُ ارسل الحاكم يطيّب خاطرهم ورفع الظلم عنهم. وصار المرتب على الدير كل عام خمسمائة قرش وعشرين قرشًا وعشرة شنابل(٢ حنطة وعشرة شنابل شعير. فرجع الرهبان الى ديرهم كما كانوا

وفيها صار المجمع العام في دير قزحيا فانتُخب الاب ميخائيل اسكندر الاهدني رئيسًا عامًا وهي ابتداء رئاستهِ العامّة. وفيهِ اضافت الرهبنة الى قانونها ثلثة ابواب تتمّة للثانية عشر بابًا وهي التواضع الذي صار نذرًا رابعًا. والمحبة الاخويّة. والصبر. وفيهِ صار الفحص عن جميع الفرائض المفروضة قبلًا من المجامع العامّة ومجامع المدبّرين فاثبتوها. واثبت في تلك السنة البطريرك يعقوب الابواب الثلثة المقدم ذكرها

وفي سنة ١٧٢٥ صار ضيق على البطرك يعقوب من غير المؤمنين لاجل اسباب حدثت من ابن اخيهِ وبعض اقاربهِ وغيرهم من جبل لبنان فهرب البطرك المذكور الى دير قزحيا واختبأ هناك نحو شهرين. وبهذه المدة حضر الى دير قزحيا احد مشايخ الخوازنة يسمّى عبد الله ليقضي بعض اشغال تختصّ بالسيد البطريرك وغيرهِ. وحين اراد الخروج من الدير التقى ببعض اعيان من بيت حماده جملتهم ثلثون رجلًا. وكان هو وحدهُ فائتمروا عليهِ وامسكوهُ لاجل حكمهِ على ناحية من بلاد عكار وقد كان بيت حماده يدّعون ان البلاد ميراث لهم. فخرج الرهبان وخلّصوهُ من بين ايديهم وصرفوهُ بالسلامة

١) وهي الحبسة القائمة الان قبليّ الدير المذكور ٢) الشنبل ستّة وقيل ثمانية أمداد

وفي هذه السنة ايضاً ابتدأ الرهبان اللبنانيُّون باستعمال نزع الاسكيم عن رؤوسهم في خدمة الاسرار المقدسة وتناولها. وسببهُ هو انهُ لمَّا طلب المجمع المقدس رهباناً لدير مار بطرس ومرجلين في رومية أُمروا بعد حضورهم بان يساووا بقيَّة الرهبانيَّات في خلع الاسكيم عن رؤوسهم كما ذُكر. فقدَّموا العرض لرئيسهم العام الاب ميخائيل اسكندر يخبرونهُ بذلك . ومن حيث انَّ ذلك كان أرب الكثيرين من هذه الرهبانيَّة وخاصَّةً مؤسسها المطران عبد الله فحدث انَّ السيد البطريرك جاء الى دير قزحيا لامرٍ ما وهناك منح الاجازة والانعام بخلع الاسكيم لجميع الرهبان اللبنانيين. وذلك بسعي المطران عبد الله المرقوم والمطران جرمانوس فرحات و بحضورهما. وهذه صورة الانعام بالحرف :

يعقوب بطرس البطريرك الانطاكي

وَجهُ تحريره هو انهُ حضر قدَّامنا اولادنا الاعزاء القس ميخائيل رئيس الرهبان اللبنانيين العام مع البعض من الرهبان المذكورين. وذكروا لنا ان رهبانهم في رومية التزموا أن يكشفوا الاسكيم عن رؤوسهم في القداس الالهي ووقت أخذ الشامسة القربان كعادة اهل الغرب وغيرهم. وطلبوا منَّا أن يفعلوا ذلك ليبقى رهبانهم جميعاً متساوين في الطقوس. فتكلَّمنا مع البعض من اخوتنا المطارين ورأينا ان ذلك موافق وغير مضادّ الصواب فاعطيناهم الاذن بذلك بخاطرنا ومنحناهم البركة تحريراً في ٢ ت ٢ سنة ١٧٢٥ مسيحيَّة

وفي هذه السنة انتقل لرحمتهِ تعالى القس انطونيوس الباني وقد كان حبيساً في وادي قزحيا. وهو اول حبيس توفي من هذه الرهبنة. وكان قام في الحبسة عشر سنين منها ست سنين يلازم عمل اليد خارج القلاية في الاوقات المعيَّنة في القانون الذي رتَّبهُ لهم المطران عبد الله منشئ هذه الرهبنة. وبعد ذلك اقام اربع سنين لا يخرج خارج القلاية الّا لتقدمة الاسرار الالهيَّة لا غير

وفي سنة ١٧٢٦ اشتكى ابن اخي البطريرك على عمّهِ المذكور الى حاكم طرابلوس. فارسل الحاكم ٣٠٠ جندي لكي يقبضوا على البطريرك فهرب الى دير مار اليشاع واختبأ هناك. فحضر العسكر وأمسكوا الرئيس العام والمدبّرين واستباحوا الاموال وتكلّفت الرهبنة بهذه الحادثة ١٢٠٠٠ قرش

وفي سنة ١٧٣٨ تملّك الرهبان اللبنانيُّون مكاناً موقعهُ في الوادي المقدس يسمَّى

دير حوقا على اسم والدة الاله الكلّي طهرها قريبًا من قزحيًا . وكان في الابتداء متحدًا بدير قزحيًا ثم صار ديرًا على حدته . امَّا الآن فهو يخصّ دير قزحيًا وهو كنيسة رعيَّة لمزرعة حوقا التي تخصّ هذا الدير بكل املاكها ويخدمها كاهنٌ منهُ

ودير حوقا هذا هو قديم قد بناهُ ابن الصبحا من كفرصغاب . قال البطرك اسطفان الدويهي في تاريخ سنة ١٧١٥ يونانيَّة (الموافقة لسنة ١٥٠٦ م): سارت العساكر الى فتح جبة بشرّاي فاحرقوا البيوت ودكوها الى الارض . وضربوا اهالي حصرون وكفرصارون . واشار اليهم ابن الصبحا المذكور ان يجرُّوا ماء نبع بشراي على قلعة حوقا ففعلوا وملكوها بقوَّة الماء فأذنوا لهُ ان يلبس عمامة بيضاء يانس وان تقوم العبيد بخدمتهِ . ثم اناب ابن صبحا الى الله وتاب عن سوء فعلهِ وعمَّر سيدة حوقا لسكنى الرهبان وهو بالقرب من البرج الذي كان في الشير

وقال ايضًا في سنة ١٦٢٤ اقام البطرك يوحنا الاهدني مدرسةً لتعليم الاولاد في دير سيدة حوقا لافادة الطائفة وامر بان يُرسل الذين يفضلون غيرهم بالعلم والاداب الى مدرسة رومية . وقال ايضًا في تاريخ سنة ١٦٣٢ ان فرنسيس من بيت جلياق (Fr. de Galaup) من مدينة اكوينا (Aix) الفرنساوي الجنس زهد في الدنيا وترك استاذيَّة قسطول (Chasteul) واستحبس في دير سيدة حوقا قرب دير قنوبين

وقال في تاريخ سنة ١٧٣٨ : وفي شهر حزيران توفّي في رومية الحبيس سركيس بن الرز مطران دمشق ولهُ من العمر ٣٦ سنة . وكان قد درس في رومية ونسك في محبسة دير قزحيًا . وعُني بطبع الشحيم ووقف تركتهُ لاجل اسعاف الطائفة . وقال فرحات في هذه السنة اي سنة ١٧٣٨ عقد الرهبان اللبنانيُّون مجمعًا عامًّا وثبَّتوا فيهِ الاب توما اللبودي رئيسًا عامًّا عليهم . وكان وقتئذٍ في رومية بشان اثبات المجمع اللبناني

وفي سنة ١٧٤٠ م وُجه بيولردي الى رهبان دير قزحيًا ودير مار اليشاع هذه صورتهُ بالحرف :

صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى دير قزحيا ومار اليشاع والسكان بهم وفي مزارعهم بوجه العموم . والثاني نخبركم بان فخر المِلَّة المسيحية عمدة الدولة الفرنساوية محبنا القنصل بون انهى لنا انهُ متوهم عليكم من طرفنا والتمس لكم استمالة خاطر ورضًا . فبموجب التماسهِ اصدرنا هذه البيولردي وارسلناهُ اليكم . فبحال وصولهِ ووقوفكم على فحواهُ تكونون طيّبين القلب والخاطر وتتأيدون في اشغالكم واعمالكم وايراد ديركم فلا يجيّ الّا كل خير عليكم . رأيّ الله امان

رسولهِ ثم رأينا تعملون بموجبهِ ولا خلافه واعتمدوه غاية الاعتماد في ١٠ شوال سنة ١١٦٠ الموافقة للسنة اعلاه م (مكان الختم)

وفي سنة ١٧٤١ توجَّه المقدم احمد ابن المقدَّم محمد الايعالي طالباً ابن حسين ديب القزلباش ليقتلهُ. فمرَّ بقرية العربة المختصة بدير قزحيا فحرق العمار الذي بها وكان سبعة أقبية يعلوها سبع خزائن وفوقها بيوت فاحترق كل ما كان فيها من الحبوب والنحاس وأواني الفضة والامتعة. وهكذا الدبس والزيت والخمر وغير ذلك مما يساوي قيمة الفي قرش. فحينئذٍ توجَّه الرئيس العام الاب توما لبودي الى مدينة طرابلس وعرض الامر الى سعادة الوزير مصطفى باشا فصدر امرهُ بالمرافعة الشرعيَّة لدى القاضي مع خصمهِ المذكور. وغب المرافعة والكشف ظهر الحق للرئيس العام. لكن اخيرًا دخل المصلحون فيما بينهما وأعطي لهُ ثمانمائة قرش

هذا ما كان من تاريخ دير قزحيا قبل قسمة الرهبنة الى حلبيةٍ وبلديَّة لبنانيَّة وكان ذلك سنة ١٧٦٨. واكثر ما تقدَّم من هذا التاريخ منقول عن تاريخ السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات الشهير وقد انتهى من تحريرهِ سنة ١٧٣٢ وهي سنة وفاتهِ (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ثمَّ انهُ بعد قليل أُوصد البــاب وبدأت الحفلة فجيءَ الى امام الشيوخ الثلاثة الجالسين في صدر الخلوة بشموع جديدة مع ورق ريحان وشيء من المحلب ومبخرة. واذ ذاك قام احد النصيريَّة وكان صاحب البيت واشار الى احد الحاضرين فقام وقبَّل يد الامام ويد النقيب الذي عن يمينهِ والآخر الذي عن شمالهِ وبعد ان وضع يديهِ على صدره خاطب الحاضرين قائلًا:

— الله يمسيكم بالخير يا اسيادي ويصبِّحكم بالرضا والسعادة هل ترضوني خادمًا لكم في هذا العيد المبارك على كيس صاحب العمل الشيخ علي الله يبارك عليهِ (١

١) الباكورة

فاجاب كل الجماعة قائلين: نعم

ثمَّ انَّ النصيري الذي رضي بهِ الحاضرون خادماً للعيــد قبَّل الارض احتراماً لهم وطاعةً واخذ بيديهِ من ورق الريحان ففرَّق على الجماعة وهو يتلو الصلاة المسماة عندهم « سطر الريحان » وقد تلاها الحاضرون من بعــده واخذوا من ذلك الورق وفركوا بهِ ايديهم وشمّوا رائحتهُ. امَّا عبد الله فعمل بالتدقيق مثلما شاهدهم يعملون

وبعد ذلك اخذ خادم العيد طست ماء والقى فيهِ محلباً وكافورًا وقرأ صلاة عندهم يسمُّونها « قدَّاس الطيب » ثم سكب على يد الامام قليلًا من الماء المطيَّب وادار الطست على الجماعة فكان كل منهم يأخذ منهُ قليلًا في حفنتهِ ويمسح بهِ وجههُ

ثم انَّ الخادم المذكور تنــاول المبخرة ووقف قائمًا وقرأ الصلاة المعروفة عندهم « بقدَّاس البخور » فلمَّا انهاها بخَّر الإمام وكل الجالسين على يمينهِ ويساره. وكان عبد الله يراقب ذلك فقال في نفسهِ: حقًّا انهم يفعلون كما نفعل في كنائسنا

ثمَّ انهُ لم يلبث ان زاد عجبهُ من حركة ثانية قام بها خادم العيــد فانهُ تناول كأس خمر ووقف قائمًا وقرأ صــلاة اخرى ومن بعدها ناول الكأس الى الإمام وملأ كأسين غيرها وناولهما الواحدة للجالس على اليمين والثانيــة للجالس على اليسار ومن بعد ذلك أديرت كؤوس أخرى على الجلاس الذين كانوا عند تناولها يتبادلون تقبيل الايدي

فلمَّا فرغ خادم العيد من هذا كلهِ عاد فوقف في وسط الغرفة ووضع يديهِ على صدره وبعد ان طلب المسامحة عن اغلاطهِ وهفواتهِ قبَّل الارض ورجع فجلس في موضعهِ

وهنا تأتي نوبة الامام في الكلام فيسأل الجماعة هــل يرضونهُ شيخًا لهم وسيدًا ثم يتلو صلاة التبروءُ ويُلحقها بصلوات اخرى سواها واخيرًا بعد ان يمزج الخمر التي في كأسهِ بالخمر التي في كؤوس جيرانهِ يضع شفتيهِ عليها فيمتصُّ قليلًا وحينئذٍ يتناول الحاضرون ما في كؤوسهم (١ وهم يترنمون باشعارٍ للشيــخ محمد بن كلازو:

ذكرتُ زمانًا كان لي قبل مهبطي ... ففاضت دموعٌ من عيوني بحسرةِ
على طيب أيَّامٍ تبدَّل عزُّها ... بذلٍّ ومن بعد الامال بخيفةِ
فكنَّا بدار العزِّ في درج العلى ... نسيرُ مع الاملاك في كل روضةِ (٢

وقد طالت هذه الحفلة حتى قريب نصف الليــل ومن بعدها أُطفئَ قسم من

١) الباكورة ص ٣٦–٤٣
٢) راجع هذه القصيدة في الباكورة (ص ٦٣) واكثر أبياتها مكسورة

الشموع ورُفعت المبخرة وكؤوس الخمر واتى صاحب البيت بقدر كبير من النحاس عليهِ ألوان واشكال من الاطعمة والحلويات فتقدَّم الحاضرون واخذ كل منهم نصيباً ثم ذهب كلّ واحد في سبيلهِ صامتاً

وارتبك عبد الله وتبلبل في امره ولم يعرف كيف يعمل وحتى لا يعرفهُ احد لفَّ ذقنهُ بطرف كوفيَّتهِ حتى يختفي قسم من وجههِ وهمَّ بالخروج. غير ان الشيخ خضر اشار اليهِ ان يلحق بهِ. امَّا الراعي فلبى الاشارة وسار طائعاً وهو على يقين بدنو الساعة المحتومة والاجل المبرم. فلمَّا وصل الاثنان الى وسط القرية حيث كانت الشوارع مقفرةً من الناس التفت الشيخ خضر الى عبد الله فقال لهُ:

ماذا عملت ايها الجاهل هل سئمت الحياة. اوَ ما تعلم العقاب المعدّ لمن يحاول الاطلاع على اسرار ديانتنا ؟

فاجابهُ عبد الله شارحاً لهُ الاسباب التي ساقتهُ الى الخلوة مثلما تقدَّم بيان ذلك فقال الشيخ:

افرح لانك صادفتني بل لانك ايضاً قد سافرت للبحث عن آثار الاب يوحنا الرجل البارّ الذي تجلُّهُ وتكرّمهُ كل طائفتنا نظرًا لما لهُ علينا جميعاً من الفضل والمعروف. والآن فأحسنُ مشورةٍ استطيع ان أُلقنك ايَّاها هي ان تغادر مريبين في الحال دون توقُّف ولا تردُّد فانهُ اذا طلع عليك صبح الغد وانت باقٍ عندنا يعرفك الناس ولا استطيع دفاعاً عنك. واعلم ان غير واحدٍ من جماعتنا قد ارتابوا في امرك لما شاهدوا على وجهك وفي حركاتك من آثار الارتباك وقت اجتماعنا في الخلوة. ومتى عدت الى حصن سليمان اذهب الى الرهبان وقُل لهم ان جوسلين نفى الاب يوحنا الى أخوبة دير الصُّلَيب. ولا تطلب مني مزيد بيان بل اسرع في الهرب

امَّا عبد الله فما صدَّق انهُ نجا من الورطة التي وقع فيها ففرح بخلاصهِ من وجه ومن وجهٍ آخر ادرك الغاية التي اتى من اجلها وهي انهُ عرف المحل الذي حُبس فيهِ الاب يوحنا

واذ ذاك قبَّل يدي الشيخ خضر وبادر لمغادرة قرية مريبين وبالنظر الى خفة مشيهِ وحسن معرفتهِ بطرق جبل الحلو وصل صباح اليوم التالي عند طلوع الشمس الى المضيق الواقع غربي عين الشمس وبعد مسيرة ساعة ادرك دير القديسة تقلا فاخبر الرهبان

عن المكان الذي أبعد اليهِ الاب يوحنَّا رئيسهم . فلطَّف خبرهُ شيئًا من مرارة حزنهم وتأسُّفهم

١٥

وكان في دير القديسة تقلا راهب اسمهُ جومانوس يحب الاب يوحنَّا محبةً عظيمةً ويقدّر قدر فضائلهِ فلما علم بمحلّ منفاهُ اخذ يرسل اليهِ من مدَّة الى اخرى بواسطة عبد الله الراعي ما يحتاج اليهِ من القوت مع بعض الكتب حتى يتسلى بها في خلوتهِ الموحشة . وهذا كل ما كان في وسعهِ عملهُ مساعدةً لرئيسهِ المحبوب ومع ذلك فقد كان يفعلهُ تحت ستار الخفية محترزًا كل الاحتراز من ان يدري مضطهدو الرئيس البارّ بشيء منهُ

امَّا عبد الله الراعي فقام بالامر خير قيام ومن ذاك الحين طفق يسوق قطيعهُ الى ناحية دير الصُّلَيب واذا لم يقدر في بعض المرَّات على الذهاب يكلّف احد اصحابهِ من الرعاة النصيريَّة بايصال ما يحملهُ من المآكل الى الاب يوحنا . وكان اذا تشكَّت امرأتهُ من تكرُّر غيبتهِ عن البيت يقول لها : ان الاب يوحنَّا قد اخلص لنا الوداد ولولا وساطته لكنتِ صرتِ الى اسوإ حال فلا يسوغ لك ان تتضجري من اي شيء كان نعملهُ لمساعدتهِ

— انك لتنطق بالصواب فاذهب كلما شئت وابذل ما في امكانك واننا لو اهرقنا آخر نقطة من دمنا في سبيل نجاتهِ لا نقوم الَّا بالواجب علينا

ولا نعلم هل درى جوسلين بالمساعدات التي كانت تصل الى الاب يوحنا من وقت الى آخر ؟ او هل رأى ان معيشتهُ في منفاهُ لم تبلغ من المرارة الدرجة التي يشتهيها ؟ بل غاية ما اتَّصلت اليهِ معرفتنا هي انهُ في ذات ليلة وفد زمرة من الخيَّالة دهموا الاب يوحنا في قلايتهِ بينما كان راقدًا ثم ايقظوهُ بعنفٍ واركبوهُ حصانًا واخذت الخيل تُحضر بهم طول مدَّة الليل وقسمًا من صباح اليوم التالي . وكان ذاك الشيخ المسنّ كلما تماهل في المسير بسبب النعاس وشدَّة اللغوب يوجّه رفاقهُ من البدو اسنَّة رماحهم فينخزون بها ركوبتهُ فتطير بهِ جريًا . وعلى هذه الصورة قطعوا سهل بعرين وناحية الحولة المخصبة وغوطة مريين الخضلة ونحو الساعة العاشرة من الصباح وصلوا الى خربة التين وهي على طريق العربات الممتدَّة الآن بين طرابلس وحمص

والى يسارهم على مسافة ساعتين وراء ستر كثيف من الاشجار نابتة على حواشي النهر العاصي كانت تبين ابراج القلعة ومآذن حمص متلألئةً تحت انوار الشمس. وامامهم كان ينبسط سهل «الوعر» تكثر فيهِ الحجارة السوداء

وبعد راحة قليلة استأنف الخيَّالة المذكورون سيرهم ومالوا في سفرهم نحو الشرق متحايدين مدينة حمص. وكان على مسافة عشرة كيلومترات من هذه المدينة بحيرة تدعى بحيرة قدَس (١ وتسمَّى اليوم بحيرة قطينة طولها ثمانية عشر كيلومترًا ومتوسّط عرضها اربعة او خمسة كيلومترات وفي جنوبها سهل مكسوّ بالخضرة الناضرة تشقُّهُ الجداول والاقنية المتفرّعة من العاصي. وقد برزت في قلب السهل من بين الاشجار والنبات الخضل قمَّةٌ تتوّجت بقبة بيضاء على اسم النبي مَند. وقصا السهل مسدود بروابي لبنان وجبال عكَّار التي تختلف مشاهدها متلوّنة بالازرق او الاحمر الوردي على حسب ساعات النهار وترتفع رؤوسها شامخةً في الجوّ ومتعمّمةً بالثلوج الدائمة التي تتألّق تحت انوار الشمس

وعند ضفَّة البحيرة الغربيَّة مستنقعات واسعة تأتي اليها قطعان الجواميس فترعى ما بين منابت القصب المرتفعة ولا سكَّان الَّا في الضفَّة الشرقيَّة المتكوّنة من تعاقب الأتربة والارياف الصغيرة فانهُ فوق الصخور المطلة على البحيرة او بالقرب من جون هناك مستدير قامت بعض قرًى لها منظر كالح عبوس بما فيها من المنازل الواطية المبنيَّة بحجارة بركانيَّة سوداء. امَّا في القرن الخامس عشر فقد كانت اوفر اناقةً لان غابات الدفلي والرمان والساج والخلاف وغيرها من الاشجار كانت تزيل بعض الشيء من عبوسة منظرها وجفائهِ

ففي وسط هذا الاطار اللطيف الناضر الذي تقدَّم وصفهُ كانت تتألق مياه البحيرة. وكانت في الجهة الجنوبيَّة على مسافة كيلومترين من مصب العاصي فيها جزيرة تدعى تلّ التين اكتست ارضها بالاشجار والنباتات حتى صارت اشبه بطاقة زهور فوق بساط من الماء. وهي بيضيَّة الشكل يبلغ طولها نحو ثلاثمائة متر في عرض مئتين تقريبًا وفي ناحيتها الغربيَّة رابية مخروطة الشكل تغوص قاعدتها في مياه البحيرة وحتى الآن

١) ياقوت وابو الفداء

لا تزال فيها آثار بنايات عتيقة كانت في القرن الخامس عشر محفوظةً بهيئة صالحة لايواء الناس

والسكّان على ضفّة البحيرة ما برحوا حتى اليوم يأتون هذه الجزيرة فيزرعون فيها بعض النباتات والاشجار والحبوب ويذهبون اليها على جسورةٍ مشدودة بدلًا من القوارب التي كان يتخذها القدماء لهذه الغاية. غير ان اتصاليَّاتهم مع الجزيرة كثيرًا ما يعرض لها التقطُّع لان الريح الغربيَّة التي تمرّ في وادي النهر الكبير تهبّ عامَّة السنة تقريبًا كإعصار شديدٍ يثير مياه البحيرة وتشتدّ خاصةً في ايام الصيف فتتعالى الامواج لاطمةً بغير انقطاع لسدّ الجزيرة الشماليّ وضفافها

وكانت ضواحي بحيرة قدَس في ما خلا ايام العواصف المتقدم بيانها ذات منظر عجيب يسبي الابصار بحسنهِ لان الالوان تمتزج بالنور امتزاجًا مذهلًا وكل شيء يكتسي بحلة من الغبار الذهبي الدقيق تحت جوّ مشرق ومعتدل معًا فكان لهذا المنظر تأثير بليغ لا يقوى قلم على وصف جمالهِ الباهر. ومن دواعي الاسف ان المبالغة في قطع الغابات والاحراج ذهبت بمثل هذا المشهد الفتّان الساحر للعقول

ولا ريب ان القارئ يتوهَّم بعد هذا الوصف ان الجزيرة كانت آهلةً بوجوه باشّة تتنعَّم برأى المياه الهادئة الرأاقة وان تلك الضواحي التي تأخذ بمجامع القلب عامرةً بأناس انتفت الهموم من قلوبهم وفارقتهم دواعي الغم واسبابهُ. غير ان ما اتصل بنا من اخبار جزيرة قدس يصوّرها باشنع الهيئات ممثِّلًا اياها كسجن ومنفىً تفيض فيهِ دموع الاحزان وتكثر التنهُّدات والهواجس المقلقة. فانهُ في هذه الجزيرة القفراء أُلقي الاب يوحنا ضحيَّةً لغضب جوسلين وحقدهِ ومن ذلك الحين انقطعت اخبارهُ وظن الناس انهُ قد مات وكلهم قالوا بان صاحب قصر القليعة هو الذي تسبَّب بموتهِ مضيفًا بذلك اثمًا جديدًا الى سابق فظائعهِ المنكرة (ستأتي البقيَّة)

التساهل الديني

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

من اعظم آفات العصر التي ابتلانا بها التمدُّن الجديد منذ ربوعهِ في بلادنا انتهاكُ حرمة الآداب والحرص على حطام الدنيا ولذّاتها. فلمَّا رجح في قلب الانسان حبُّ

العاجلة خفّ فيهِ اكتراثهُ للآجلة . والاستخفاف بالآخرة لا يكون الّا من نقصٍ في الدين وتلك الطامّة الكبرى تذهب بالعاجلة والآجلة معاً

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

على انَّ قلة الدين لا تظهر فقط بالعدول عن فرائضهِ اللازبة او بالمجاهرة بالكفر بل كثيرًا ما تبدو للعيان بطرائق خفيّة تتستّر برداء الصلاح . فتارةً يدعي اصحابها انهم استضاؤوا بانوار التمدن وتارةً يدَّعون انَّ الدين يحسن بالاحداث والنساء . وحيناً ينسبون اهل التقى الى التعصّب وطورًا يزعمون انَّ الكهنة يبالغون في اطراء الدين لأغراض شخصيّة الى غير ذلك من الحجج الواهنة التي يستمسك بها هؤلاء الملحدون رجاء ان يردُّوا عنهم سهامَ الملامة او يخدعوا السذَّج فيستميلوهم الى آرائهم الفاسدة

ولعلَّ اقبح ما جاء من هذا القبيل زعمٌ تشدَّق بهِ بعض الزنادقة وتناقلهُ عنهم الاغرار وهو ان ثبت لا يلبث ان يطمس معالم كل دين وينقض ركن كلّ ادب ألا وهو مبدأ التساهل الديني . وما ادراك ما التساهل الديني ؟ فانهُ سمٌّ ظاهرهُ دسم او صلّ لين اللمس يذيق الموت الاحمر

فقبل الخوض في هذا البحث لا نُدحة من تحديد هذا التساهل وبيان غثِّهِ من سمينهِ فنقول:

اوّلًا لا ننكر انَّهُ يترتب على تبعة الاديان على اختلاف نزعاتهم ان يعيشوا بالتحابّ والالفة وان يتعاضدوا في كل ما يؤول الى خير وطنهم ويتضافروا في نجاح امورهم الزمنيّة ويتكاتفوا في ترقية الهيئة الاجتماعيّة في العلوم والاداب والصنائع والفنون

ثانياً ليس لاحد ان يعترض لآخر فيجبرهُ كرهاً على اتباع دينهِ ولو تحقّق بلا ريب صحّة دينهِ وفساد دين غيرهِ . كما انهُ يتحتم عليهِ بألّا يستطيل في عرضِ آخرَ ويندّد بشخصهِ لأختلاف دينهِ

ثالثاً يُقتضى على ارباب الامر والنهي الّا يكرهوا رعاياهم على التديُّن بدين خاصّ وعليهم ان يسهروا على راحتهم ويصونوا حرّيتهم تماماً ما لم يتخذ بعضهم الدين كوسيلة لإلقاء الشغب وبذر الفساد ورمي الفتن فانَّ للحكومة حقًّا ان تضع حدودًا

لمثل هذا التطاول وتقصّ من جناح المتـدين

هـذا التساهل الديني الذي نسلّم بهِ ولا يأباهُ احد من الكاثوليك بل من كلّ اصحاب الاديان. لكنَّ الذين ينادون بهذا التساهل لا يكتفون بما سبق وانَّما يريدون ان يعتبر كلُّ انسان بقيَّة الاديان اعتبارهُ لدينهِ ولا يحاول ان يقنعهم بصحَّة معتقدهِ. وهم يبنون زعمهم على مبدأين باطلين يثلّان ركني الهيئة الاجتماعيَّة اعني الدين والادب

(فالمبدأ الاوَّل) الذي يسند اليهِ هؤلاء القوم قضيَّتهم هو انَّ الاديان ينافي بعضها بعضاً فيثبت هـذا ما ينكرهُ ذاك. فالأولى اذن ان يعتقد كلُّ واحد ما شاء في باطن قلبهِ ولا يكترث لما يؤمن بهِ غيرهُ لانَّ دينه ودين غيرهِ سيَّان في الصحَّة او الكذب

فهذا المبدأ كما ترى كلّهُ شطط يؤدّي بقائلهِ من اي دين كان الى الكفر توًّا اذ لم يبقَ لاحد ندحةٌ ان يدافع عن دينهِ او يثبت صحَّتهُ بل لا يجوز لهُ ان يجاهر بوجود الاله عزَّ وجلَّ او يقرّر حقيقة القيامة او يثبت كيان حياة اخرى لانَّ هذه الحقائق ايضاً ينكرها الملحدون والزنادقة كما ينكرون خلود النفس ويعلّمون بانهُ ليس من فرق جوهريّ بين الانسان والبهيمة بل انَّ الانسان والبهيمة لا يختلفان عن المادَّة جوهريًّا

ثمَّ ان هذا المبدأ الكفري يقوّض بنوع خاصّ ديانتنا المسيحيَّة وتعاليم الانجيـل الطاهر. فان ابن الله علّمنا طريق الخلاص وكرَّر مرارًا لتلاميذهِ « ان السماء والارض يزولان وكلامهُ لا يزول » ثم ارسل تلاميذهُ الى العالم اجمع « ليبشّروا بكل ما علّمهم مهدّدًا بالهلاك كل من لم يؤمن ». وكذلك اثبت رسلهُ للمؤمنين انهُ يقتضى عليهم بان يستمسكوا بتعاليمهم ولا يتركوها « ولو اتاهم ملاك من السماء يبشّرهم خلاف ذلك ». ثمَّ مات هؤلاء الرسل كما مات ربُّهم شهداء ايمانهم وفضَّلوا انواع العذاب على جحودهِ الى ان تغلّب هذا الايمـان على الدول والممالك وثبت مع ما اصابـهُ من المحن والاضطهادات وهو اليوم اقوى من امس وسيبقى غـدًا كما هو اليوم « لأن ابواب الجحيم لن تقوى عليهِ ». فكيف يأتينـا هؤلاء الكفرة ويبشّرون بالتساهل الديني كانَّ ديننا بضاعةٌ نتاجر بها ونتصرَّف بها كمتاع الدنيـا. فللهِ من جهل هؤلاء لامور الدين لا يعرفون منهُ حرفهُ الاول بل قبحاً لهم ما اشدَّ كفرهم واعمى قلبهم

هذا وان فحصنا مبدأهم السابق فحصاً منطقيًّا لوجدناهُ اوهن من نسيج العنكبوت يقولون ان الاديان تتناقض وتتضارب فاذن كلها باطلة. أفلا ترى ناشدتك الله انَّ هذا

القياس سفسطي وانَّ النتيجة اوسع من المقدمات. فكم من الامور التي تكاثرت فيها أقوال الناس وآراؤهم المتباينة أفذلك دليل على انهُ ليس لها وجه صوابيّ فان صحَّ هذا القول لا اظنّ يثبت من الحقائق الّا النزر القليـــل فتسقط اشرف العلوم واصدقها كعلم الكلام وعلم الفلسفة وعلم التاريخ وليس بين كلّ هذه العلوم حقيقةٌ واحدةٌ الّا جحدها بعض الناس. فكذلك حقائق الدين فانَّ جحود بعض الجهّال لها لا يثبت كونها فاسدة. أفيبطل كون الله واحدًا لانَّ الصيني او الهندي يدين بالشرك ويعبد الاصنام ؟ او ليس يثبت مجيء المسيح لانَّ اليهودي ينكر علينا ذلك ؟ فليحكم المنصفون وليبكم الجاحدون

وان اعتبرنا (المبدأ الثاني) الذي يعتصم بهِ اصحاب التساهل الديني وجدناهُ ليس باقل فسادًا من الاوَّل. يقولون انَّ كل الديانات حسنة وليست هي الّا هيئات عرضية يعبد بها البشر إله الطبيعة

فمرجع هذا القول الى ان كلّ الديانات اختراعات بشريَّة ليس لبعضها فضــل على الآخر. لانهُ كيف يمكنها ان تكون من الله وفيها من التناقض ما فيها. او يستطيع الله ان يوحي بالوقت نفســهِ لاهل اوربة انهُ واحد ولاهل الشرق الاقصى انهُ متعدّد او يوحي للمسيحي انهُ مثلَّث الاقانيم ولغــير المسيحيّ انهُ متفرّد الاقانيم كما هو متفرّد الجوهر. فمن قال اذن انَّ كلَّ هــذه الديانات هي حسنة لا بُدَّ ان ينسبها الى البشر وينكر في الوقت ذاتهِ الوحي الالهيّ. وعليهِ فــلا يبقى للانسان الّا ان يستسلم لكل اهواء قلبهِ لانهُ يجد في بعض هذه الديانات ما يزكّي بهِ اميالهُ المنحرفة ويتبرأ من كلّ شهواتهِ فيرجع الى كلّ فظائع الوثنيَّة وآثام المشركين. وقانا الله من هــذه الارجاس وصاننا من القول بمثل هذه الترَّهات

وكنّا وددنا لو سمح لنا المكان ببسط هذا البحث وبيان اكاذيب اصحاب التساهل الديني وتفنيد اقوالهم الفاسدة غير ان كثرة المواد في هــذا العدد من المشرق تضطرنا الى ان نجتزئ بما تقدَّم شرحهُ ونختمهُ ببعض ما كتب ذلك السيد الجليــل والكاتب الضليع جمال الدين الافغاني في رسالتهِ عن الدهريين (ص ٢٢) وفي كلامهِ شهــادة حسنة على ما نحن في صددهِ. قال عن النيشريين اعني اصحاب التساهل الديني :

هؤلاء جحدة الالوهيَّة في اي امَّة و باي لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس هــذا القصر المسدس الشكل. قصر السعادة الانسانيَّة . . . . . اعاصير أفكارهم تدكدك

هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط بهِ من عرش المدنية الانسانيَّة الى ارض الوحشيَّة الحيوانيَّة

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدُّوها اوهامًا باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا ان لا حق لملَّة من الملل ان تدعي لنفسها شرفًا على سائر الملل اعتمادًا على اصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان تعتقد أنها ليست اولى من غيرها بفضيلة ولا اجدر بمزيَّة ولا يخفى ما يتبع هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالي كما تقدم بيانه

فنعم القول وبئس من ينكرهُ. وهو احسن جواب لكرّاسة حديثة طُبعت في نيو يورك لا نذكر اسم صاحبها انفةً وانَّما نأسف على الجمعيَّة الخيريَّة المارونيَّة في تلك المدينة حيث اذنت لمثل هذا الخطيب ان يلقي خطبتهُ في التساهل الديني بين قومٍ من الكاثوليك من شأنهم ان يعدُّوا الدين افضل كنوزهم. فأيمُ الله لو لم تكسبنا المهاجرة الى اميركة غير هذه الآفة لحقَّ لنا ان نرثي لبنان ونستنزف على بهائهِ المفقود دموع عيوننا

شَذَرَات

حلّ اللغز الذي اثبتهُ في العدد السابق من المشرق حضرة الاب الياس جباره قد حلَّ هذا اللغز كثير من الادباء ذكرنا ابياتهم حسب تاريخ ورودها:

١ يا راهبًا من افضل الرهبانِ ... يا ساميًا بالعلم والعرفانِ
يا راغبًا في كسب كلّ فضيلة ... يا زاهدًا (بالمال) ذي الطغيانِ
الغزتَ فيما قد زهدت بهِ ولم ... تحفل سوى بعبادة الرحمانِ
(فالمال) ربٌّ للورى مستعبدٌ ... (فيديرهُ بسنائهِ الفتّان)
وهو الثلاثيّ الذي بجمالهِ ... يسبي فؤاد الهائم الولهان
واذا جعلت الرأس منهُ مؤخرًا ... ألمًا غدا بل مغرسَ الاحزانِ
واذا وضعت القلب موضع رأسهِ ... فجعلت (اوَّلهُ محلَّ الثاني)
فترى بهِ (املًا) ولولا فسحة ال ... آمال ضاق العيش بالانسان
ولقد نُعيتُ الناس عن شغفٍ بهِ ... لتردَّ عنهم نقمة الديَّانِ
لكنَّما الاعداء تسلبنا الهدى ... فتتيهُ في البيداء كالعميان
اعداؤنا شهواتنا انضمَّت بها ... لذا وعالمُنا الى الشيطانِ
فالاصفرُ الرنَّان ساد على الورى ... فازال نور الحسن والاحسانِ
ذبح الفضيلةَ والعدالة والتقى ... طعن الشهامةَ والعلى بسنانِ
فصمَ القلوب فيا لهُ من مُفسدٍ ... فصل العيالَ وعاث في الاكوانِ
والالفة الغرّاء من تغريرهِ ... تحكي الحمام ينوح في الاغصانِ

وبهِ الخيانة وطّدت اطناجا والندر صار معزّز الاركانِ
ان رمت تنجو من مخالبهِ لكي تقضي حياتك ناعماً بامانِ
فاجعل لنفسك ليس كنز المال بل حبَّ الاله وخدمة الانسانِ

لجناب انطون بك شحيبر وكيل دعاوى

٢ يا ملغزاً في المال مـالَ فؤادهُ عنهُ ومالَ الى حمى الرحمـانِ
الخالق الازليّ والفرد الذي وجبت عبادتهُ على الانسانِ
كم عاقل لام الورى في قلبهِ وبدون قلبهِ ملَّ من لهُ عانِ
ويح ابن آدم كيف يكفر نعمةً جاءتهُ للاصلاح والاحسانِ
فالمال للانسان عدّة عيشهِ ليقوم بالتمجيد والسبحانِ
لكنَّهُ يثنيهِ عن غاياتهِ ويقول عنهُ آلة الطغيانِ
بل انت تظلم يا ابن آدم بعد أن فرَّطتَ بالاجحاف والنكرانِ
فالمال مثل السيف ان جرَّدتهُ لطوارق الايّام والحدثانِ
يحمي الذمار مشرَّفاً ومكرَّماً واذا انتحرتَ بهِ فانت الجاني

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني

٣ يا من لـهُ بالعلم خير مكانِ وسما بحكمتهِ على الاقرانِ
الغزت باسمٍ لا يزال مكرماً وكانَّهُ في الكون ربٌ ثانِ
لولاهُ ما عاش الانام ولم يجز زيد على عمرو خصال رهانِ
نيطت بهِ الآمال من عبدانهِ في ذا الزمان لنيل كل اماني
يدعُ الجبان لدى الوقائع ضيغماً والعيّ يجعلهُ فصيح لسانِ
لام الورى في قلبهِ من حازهُ من غير بذلٍ منهُ للاحسانِ
وظُنت توطئةً لهُ لكنَّما بالمال لغزك ظاهرٌ لعيانِ
فاليـك مني ما طلبت وانني لا ابتغي في حلّهِ شكراني

للشمَّاس يوحنَّا الخوري العنداري احد اساتذة مدرسة الحكمة الزاهرة

٤ الغزت بالرب الذي يُلقي الأولى دانوا لهُ في هوَّة النيرانِ
هل يختفي عن اعين ترتادهُ والمال في الأكوان ربٌ ثانِ

لجناب عيسى افندي اسكندر معلوف

٥ يا طالبًا للحلّ لغزاً قـد اتى بمجلَّةٍ للعلم اضحت مشرقا
الغزت في « مالٍ » فإنْ أخرت رأ س حروفهِ « الم » بدا فيهِ الشقا
ثانٍ بهِ ان قـد بدلت باوَّل « امل » غدا منهُ الشفاء محقَّقا
قد رقَّ شعرك في طلاوة وضعهِ والمعنى راق بهِ فؤادهُ رونقا

لجناب ميشل افندي الياس سماحه

٦ يا ملغزًا باسمٍ ثلاثيّ سبى بجمالهِ وسنائهِ الفتّانِ
المال لغزك قد يُرى امـلٌ بهِ بقيام اولهِ مقام الثاني
وجعولي المٌ لدى تأخيرهِ من وقعهِ قد غبتُ عن وجداني
لجمالهِ قـد كان كلٌّ عاشقًا من عصبة الفقراء والاعيانِ
منهم لقد عبدوهُ ثانيَ رجمهم شططًا كمثل عبادة الاوثانِ
والبعض يحسبهُ الالهَ بذاتهِ يا ويلهم من سخطة الديّانِ
انَّ الحصول عليهِ امرٌ واجب وبدونهِ لا عيش للانسانِ
والنفس ما خلصت بغير وجودهِ من شرّ جهل حقائق الايمانِ
لولاهُ ساد الجهل في الدنيـا وما في ذا الكلام سوى جليّ بيـانِ

لجناب نخله افندي يوحنا نصر

٧ ألغزت في اسمٍ شاق اهل زماني فتجرَّعوا غصصًا من الاشجـانِ
حجوا لكعبتهِ وشدُّوا رحلهم من شاسع الاقطار والبلدانِ
وتراكضوا وتسابقوا وعدوا الى مغناهُ رَسْلًا مثل خيـل رهانِ
مالوا وما ملّوا وقـد ذلُّوا فهم عشّاق شائق قدّهِ الفتّانِ
لله مولًى ذكـرهُ ساد الورى بسنائهِ يسبي حجى الانسانِ
هو «المال» أخّر رأسهُ وجزاهم «المًا» ينغّص راحة الابدانِ
هاموا بحبّهِ خالعين عذارهم واعتاضوا عن خلد البقاء بفاني
مهدي بهِ «املٌ» جليٌّ في الملا «مذ حلَّ اولهُ محلَّ الثاني»
يا جامعًا للمال مِلْ عنهُ فرا حتهُ ضنًا ورجاهُ خيب اماني

حلمي مصري احد تلامذة صفّ البيان في كلّيتنا

٨ يا سائلي عن لفظة عمّيتهـا انّي ألبي سوءل من يستخبرُ
اللغز «مالٌ» والحريص يعزّهُ فيزور يومًا ثم يومًا يهجرُ
حتّى اذا تمَّ البعاد اناله تأخيرُ رأس عند رجلهِ يُنظرُ
«المًا» عظيمًا فادحًا فيهِ الضنى والدمع منهُ على فراقهِ يقطرُ

ميشال بيطار تلميذ الصفّ الثالث فيها

٩ يا طالبًا تفسير لغزٍ مبهمٍ عن حلهِ سأجيب بالبرهانِ
اللغزُ «مالٌ» والانام تحبّهُ فهو لهم ربٌّ جليل الشأنِ
ان قلتَ ذا «أمل» فصحّ حقيقةً مذ حلَّ اولهُ محلَّ الثاني
«ألمٌ» يصير اذا تأخّر رأسهُ فيذيق طالبهُ شجى الاحزانِ

يوسف حنا السوداء تلميذ الصف الخامس فيها

جواب لسؤالٍ اصل حروف القسم وياء المتكلّم واللام الجارّة
اقترحناهُ في مجلة المشرق (٤ : ٢٣٩)

جوابٌ أوّل لحضرة القس الفاضل مبارك ثابت اللبناني :

طالعت العدد الخامس من مشرقكم الاغرّ من السنة الحاليَّة فرأيتُ فيهِ سؤالًا بشأن حروف القسم اقترحتموهُ على القراء ولمَّا لم يتصدَّ للاجابة احد رأيت ان أصوّب الى الغاية سهم الاجابة فان اصمى فهو والَّا فقد تطيش سهامٌ فاقول: لي في حروف القسم قولان

١ ان اصل قولهم: واللهِ « اقول وشهادة الله عليَّ ». لان معنى القسم استشهاد الله. ثم حُذف المضاف وبقي المضاف اليهِ مجرورًا وبقيت الواو دليلًا على المحذوف وحذف لفظ « عليّ » لتعلُّق معناهُ بشهادة المحذوفة فصار الكلام « واللهِ » وتنوي الحذف فاعتُبرت الواو جارَّة لنيابتها عن الجار المحذوف وهو المضاف. واصل قولهم: تالله. « اقول وشهادة الله عليَّ ». حذف من الكلام ما حُذف مع« والله » الَّا التاء من شهادة فصار الكلام « تالله ». واصل قولهم بالله: « بشهادة الله عليَّ ». فالباء في « بشهادة » هي بمعنى الواو في « وشهادة » حُذف من الكلام ما حُذف مع والله فبقيت الباء كما بقيت الواو فصار « بالله »

٢ اذا قلنا ان القسم هو استدعاء الله للشهادة ساغ لنا ان نقول ان اصل: والله « اقول واستدعي شهادة الله عليّ » حُذف كل ما بعد « اقول » الَّا الواو ولفظ الجلالة. وان اصل: تالله. « اقول واستدعي شهادة الله عليَّ ». حُذف كل ما بعد « اقول » الَّا تاء الشهادة واسم الجلالة. وان اصل بالله: « اقول باستدعاء شهادة الله عليَّ » حُذف كل ما بعد اقول الَّا الباء واسم الجلالة وهذا الوجه قريب من الاول

ولي فيها وجه ثالث ضعيف وهو ان هذه الحروف بقايا ضمائر محذوفة على تقدير ان القسم المحذوف مبتدأ واسم الجلالة المجرور خبر فيكون اصل: والله « قسمي هو الله » حُذف ما قبل الواو فجرَّت لان الاصل في الحروف ان تجرّ

امَّا ياء الضمير في المتكلّم في نحو« كتابي » فلا مانع من ان يكون الاصل فيها: « كتابٌ ملك لي». حذفت لفظة «ملك» اختصارًا لدلالة حرف اللام عليها فصار« كتابٌ لي» ثمَّ حُذفت اللام تخفيفًا فصار كتابي وقد ذكر ذلك النحاة. وامَّا اللام الجارَّة الدالَّة على الاختصاص في قولنا: « لله الحمد » فاظن ان اصل الكلام: « خصَّ الله لنفسهِ الحمدَ ». ثم حُذفت « النفس» اختصارًا فدخلت اللام على المضاف اليهِ فصار: « خُصَّ الحمد لله » ثم حُذف الفعل لدلالة اللام عليهِ ثمَّ قُدّم لفظ الجلالة لتحقُّق الاختصاص فكان لله الحمد

جوابٌ ثانٍ لجناب الاديب يوسف افندي فاخوري

١ من اي كلمة او كلمات مقطوعة الألفاظ الآتيــة المصدّر بها اسم الجلالة: والله وبالله وتالله. اجيب ان اصل هذه العبارات اقسم بالله واقسم والله واقسم تالله او والله قسمي وتالله قسمي. والاحرف هي احرف جرّ فالباء مشتركة بين القسم وغيرهِ والواو والتاء مختصتان بهِ. وقد اجازوا ذكر فعل القسم مع الباء لانها امُّ الباب وامهات الابواب يُتوسَّع بها ما لا يتوسَّع بغيرها. والتاء لا يُجر بها الّا لفظ الله فتقول: تالله لأفعلنَّ. وقد سُمع جرُّها لربِّ مضافًا الى الكعبة. وسُمع ايضًا تالرحمن. وقيل انهم قالوا تحياتك وهذا غريب. ولا بُدَّ للقسم من جواب يربط امَّا باللام او بإِن اذا كان الجواب خبريًا وامَّا اذا كان منفيًا فيربط بالاداة الداخلة عليهِ واكثر ما تكون ما وتكون إن ولن ولا. ويربط بألّا ان لم يكن شيء مما ذكر ولا اظن احرف القسم مقطوعة من الفاظ مستقلة فان قلنا انَّ الواو هي حرف من فعــل اصلهُ ادعو الله لاستشهدهُ عليَّ بكذا واستلفتُ الرحمن الى كلامي واطلب الله شهيدًا عليَّ فبقيت بعد حذف ما تقدَّمها من الاحرف وجُرَّ بعدها الاسم لانَّ المجرور مفعول بهِ غير صريح لطُلب الينـــا ان نُقيم ادلَّةً بيّنة او نورد كلامًا للمتقدمين في هذا الشأن وليس لنا شيء من ذلك في كتب اللغة او النحو او الصرف. ومثل هذا ان قلنا اصلها « وَعد الله » لوجب ان نبرهن على صحَّة القول برهانًا لا يُردّ ولا نجد بدًّا من الرجوع الى ما نصَّهُ ائمة اللغة من انَّ الواو والبــاء والتاء حروف جرّ فالواو والتاء تختصَّان بالقسم والباء تشترك فيهِ وفي غيرهِ

٢ ما اصل ياء الضمير في كتابي. قلتُ: اصل العبارة « كتابٌ لي » لان الإضافة هنا معنويَّة للملك واذا كانت للملك او لشبههِ كانت بمعنى اللام فلمَّا حُذفت اللام صارت « كتابُني » فأصبحت من باب المضاف والمضاف اليهِ فطرح التنوين تخفيفًا صارت « كتابُي » فلم تصح الياء بعد ضمة أُبدلتْ كسرة. ولذلك قلنا في اعرابها منع من ظهور الحركة اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة رفعًا ونصبًا وجرًّا وان حُركت الياء في حالة النصب فحركتها للتشبيه بحركة الياء الاصليَّة وما المراد من ظهور الفتحة عليها كونها اصبحت ملقى للاعراب كالتاء في نحو الضاربة

٣ اللام الجارَّة الدالَّة على « الاختصاص نحو لله الحمد » و « للمؤمن الجنَّة ». قلتُ اصل العبارة الحمد مختصّ بالله والجنَّة مختصة بالمؤمن فلاختصار العبارة ادخلوا اللام

عليهِ التي هي للملك او لشبههِ كما في قولهِ « لله ما في السماوات وما في الارض » انتهى

الصفراغون — اتانا كتاب لحضرة الاب جبرائيل قرياقوزة الكلداني البغدادي ينتقد على جواب حضرة الاب انستاس الكرملي بخصوص اصل هذه اللفظة (راجع المشرق ٤ : ٩٥٧,٧٣٢ و ٤ : ١٩٩) . فاقتصرنا بالاشارة لئلا يطول الجدال دون افادة كبرى للقرَّاء .

علم الضياء — اكتشف صاحب الضياء غلطةً طبعيَّة وقعت في الطبعة الاخيرة من كتاب القواعد الجليَّة بغياب مؤلفهِ فكان ورد في الصفحة ٢٢ من الجزء الاول : « وَجهَ يَوْجُهُ ايجهُ » والصواب « وَجَأَ يَوْجَأُ إيجاً » فقام المنتقد وقعد وملأ صفحتين من ضيانهِ شتمًا للاباء اليسوعيين وتشنيعاً على « تآليفهم المشحونة من الاغلاط الفظيعة والتهورات الشنيعة التي لا يُعفى منها احد ممن ساقهُ الغرور الى دخول مدارسهم » . فبيَّن الشيخ بذلك لكل ذي عينين ما جُبل عليهِ من الادب والانصاف وسموّ المدارك

مطبوعات شرقية جديدة

NANKIN PORT OUVERT
par le P. L. Gaillard s, j., Chang-hai 1901, p. 483

لم يمضِ علينا سنة منذ نعت لنا اخبار باكين وفاة احد مشاهير المرسلين اليسوعيين الاب لويس غليار الذي احرز لهُ بتآليفهِ عن الصين شهرة مستفيضة بل يصح ان يُقال فيهِ انهُ ذهب شهيد العلم . قدم باكين قبل الحوادث المفجعة التي حدثت في الصيف الاخير بشهرين لينجز فيها تأليفاً مهماً وضعهُ في تاريخ نانكين فانكبَّ على البحث والتفتيش انكباباً اتلف صحَّتهُ بعد شهر من الزمان فتوفي بين ايدي السيد فاڤيار اسقف باكين والآباء اللعازاريين الذين لم يدَّخروا وسعاً في شفائهِ . امَّا الكتاب الذي الَّفهُ فقد نجز اليوم طبعهُ وهو في الحقيقة طرفة تبقي لصاحبها ذكرًا مخلَّدًا . والكتاب يتضمَّن فضلاً عن آثار مدينة نانكين اغنى مدن الصين واوسعها تجارةً تاريخَ كل المخابرات الدوليَّة منذ عهدة تيان تسين الى سنة ١٩٠٠ ثمَّ اخبار المرسلين الذين دخلوها منذ اواخر القرن السادس عشر الى عهدنا مع لمحة عن كلّ احوال المدينة في ايَّامنا . وفي الكتاب عدَّة تصاوير جميلة محكمة الصنع ورسوم دقيقة . وهذا التأليف قد طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في شنغ هاي وهو القسم الثامن عشر من مطبوعاتهم عن الصين ل . ش

أسئلة وأجوبة

س سألنا الاديب ي. جميّل هل صحيحة هي المعجزة التي يدعي بها بعض الطوائف بخصوص ظهور النور في قبر المسيح يوم السبت العظيم

النور في قبر المسيح

ج لا صحة لهذه المعجزة كما يشهد كل المؤرخين منذ نيّف واربعمائة سنة. ولا نظن ان احدًا من عقلاء الناس يصدقها. وكفى على ذلك برهانًا انَّ مصطنعي هذه الاعجوبة يختفون عن العيان لاجرائها. امَّا النور الذي يوقد بالقبر فانهُ يوقد على الطريقة العاديَّة

س وسأل الاديب ل. لطفي هل عُرفت اميركا قبل كريستوف كولمب وان لم تُعرف كيف وصل اليها بنو آدم

اكتشاف اميركا ودخول بني آدم اليها

ج اجبنا على هذين السؤالين في المشرق (٢ : ٢٨٦) وزدنا عليهما انَّ النصرانيَّة دخلت اميركة قبل كريستوف كولمب لاسيَّما اميركة الشماليَّة فليُراجع

س وسأل حضرة الاب نعمة الله خوري حدتون اين اخذ القديس بولس في رسالتهِ الى العبرانيين (٩ : ٤) قولهُ عن تابوت العهد انهُ كان يتضمَّن ما خلا لوحي العهد كما جاء في اسفار العهد القديم (لاو ١٦ : ١٢ عدد ١٧ : ١٠ والملوك الثالث ٨ : ٩) عصا هارون التي ازهرت

عصا هارون في تابوت العهد

ج اخذ القديس بولس قولهُ هـذا عن تقليد متواتر كان شائعًا بين اليهود. ولنا على ذلك شاهد صدق في قول ربَّانيـين شهيرين لاوي بن جرسون وابربانيل وكلاهما يثبت قول الرسول في رسالتهِ المذكورة ل. ش

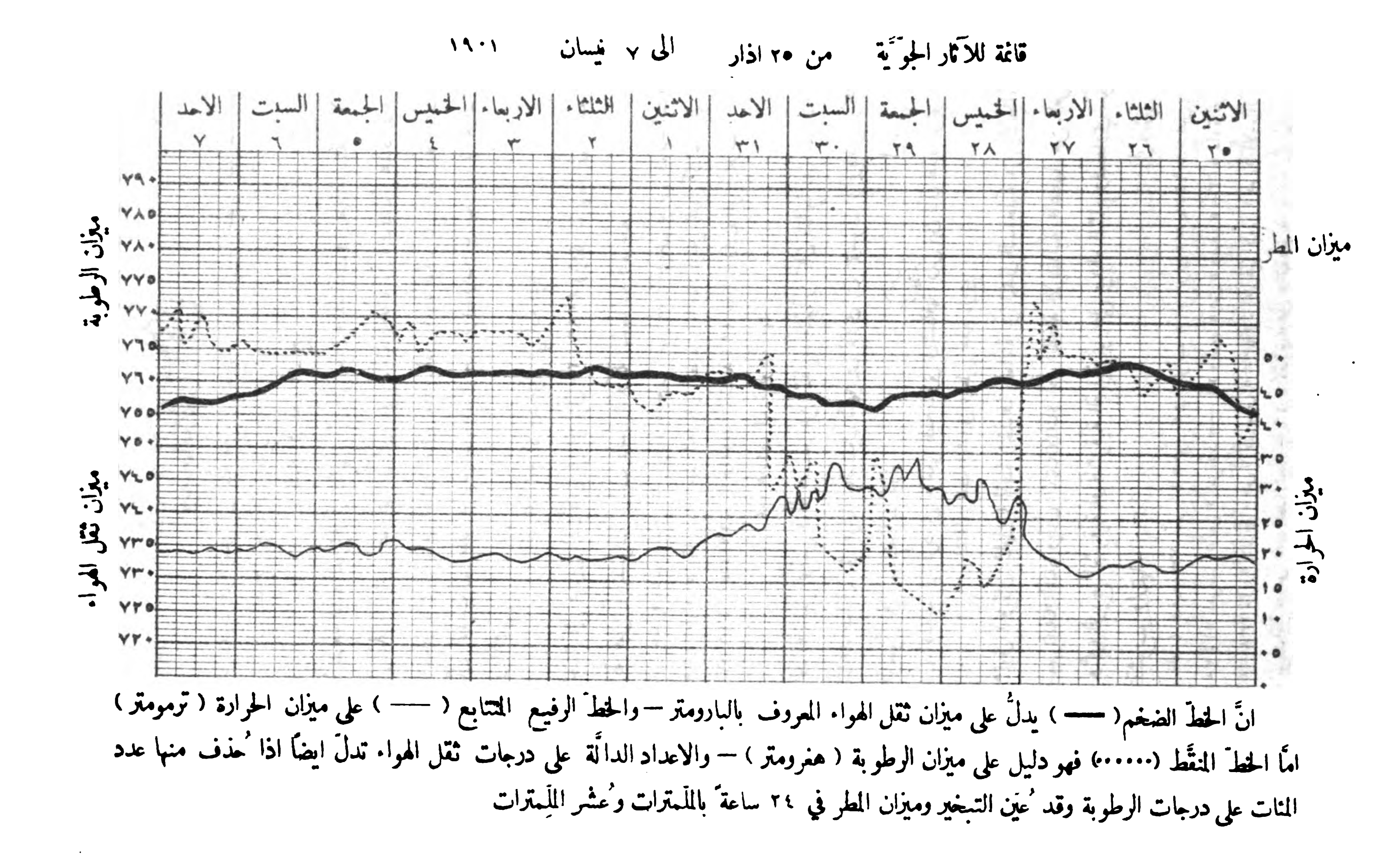
س وسأل الاديب ح. قرداحي ما معنى لفظة شلوق واشتقاقها. ومن اين تأتي هذه الريح

اشتقاق لفظة الشلوق وتعليل هذه الريح

ج الشلوق (ويقال شلوك) لفظة اخذها العامَّة في المدن الساحليَّة من الايطاليين وهي في لغتهم scilocco ويقال scirocco امَّا اللفظة الايطاليَّة فاصلها من العربيَّة « شرقيّ ». وهي الريح الشرقيَّة او الشرقيَّة القبليَّة تمرّ على بيداء الشام وصحاري سورية المتوسطة فتتشرَّب حرارتها ل. ش

(اصلاح غلط) صفحة ٧٣ سطر ١٦ « قرَّر » والصواب « التي قرَّر » = ٧٤ : ٩ « ادقش » ص « ارقش » = ٧٨ : ١ « العرندر » ص « العرندد » — ١٠ « وضعها » ص « وصفها » — ٢٢ « مادة عَرْبَة » ص « عَرْبَد » = ١٣٨ : ١٦ « لآريو » ص « لآريوس » = ١٤٣ : ١ « يقيم الامر » ص « الاسرار » = ٢٠٠ : ١٥ « بوحدانيَّةِ » ص « بواحدانيَّتهِ » — ١٩ « تقدُّم » ص « تقدَّم »

قائمة للآثار الجويَّة من ٢٥ اذار الى ٧ نيسان ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (━━) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

SANCTI GREGORII THEOLOGI

LIBER CARMINUM IAMBICORUM.

ܟܬܒܐ

ܕܡܐܡܪ̈ܐ ܕܗܘ ܩܕܝܫܐ

VERSIO SYRIACA ANTIQUISSIMA, E COD. VAT. CV.

Pars prima, in-8°, XII-175 pages, 1895.

Edidit P. J. Bollig S. J.

Pars secunda, in-8° IV- 60 pages, 1896.

Edidit P. H. Gismondi S. J.

Cette traduction syriaque des *Vers iambiques* de St Grégoire de Nazianze est certainement antérieure au 10e siècle, comme on peut le déduire du *Colophon* qui termine l'ouvrage, apporté au monastère de Scété en 932 par Moïse de Nisibe. Mais ce n'est pas assez ; Assemani et le savant éditeur de ce livre, le regretté P. Bollig, le faisaient remonter, jusqu'au VIIe, voire même à la fin du VIe siècle. L'abbé Chabot, dans un compte-rendu sur cet ouvrage, publié dans le Journal Asiatique (Mai-Juin 1898 pp. 542-546) croit avoir reconnu le véritable auteur de cette traduction. Ce serait un moine nommé Rabban Gabriel contemporain du patriarche Nestorien Timothée 1er (778-820).

Quand au fond de l'ouvrage, nous avons peu de chose à ajouter à ce qu'en dit l'éditeur dans sa Préface. En jetant un coup d'œil sur la table comparative entre le texte syriaque et l'original grec, on verra facilement que le traducteur n'a pas suivi l'ordre des *poèmes iambiques*, et ne les a pas reproduits intégralement.

Le Musée Britannique, si riche en *Codex* syriaques, comble en partie cette lacune. Un MS. de cette Bibliotèhque contient en effet la traduction d'une partie des hymnes de St Grégoire, due, croyons-nous, à la même plume que celle de l'auteur du MS. romain. Le P. H. Gismondi, le savant professeur de l'Université Grégorienne, a bien voulu, après la mort du R. P. Bollig, se charger de cette seconde partie du travail, et la mener à bonne fin. Une liste des *Errata* qui s'étaient glissés dans la 1re partie a été jointe à celle-ci.

Pour l'édition de ce livre nous avons fondu nous-mêmes de nouveaux types *estranghélos*, d'après quelques photographies des meilleurs et des plus anciens Manuscrits de la *Bibliothèque Nationale* de Paris.

	Fr.	affr.
1re *Partie, brochée*	14	0,65
2e *Partie*	5 »	0,50

Abécédaire.

ܡܠܦܢܘ ܠܛܠܝܐ ܠܠܡܠܦܢܘܬܐ

In-2, 36 pages, 4e édition, 1895.

Par Mr Mansour al-Hekaïem.

Outre les premiers éléments de lecture syriaque, on trouve dans cet Abécédaire les prières et un certain nombre de psaumes.

	Fr.	affr.
Broché	0.35	0,10
Cartonné.	0,50	

الفرائد الدرّية

في

اللُّغتين العربيَّةِ والإنكليزيَّةِ

للاب يوسف جبرائيل جوّاء اليسوعى

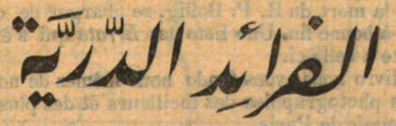
بقطع الثمن صفحاتهُ ٩٢٤ سنة ١٨٩٩ .

يشتمل هذا القاموس على كل الالفاظ العربية التي يتضمنها معجم اللغتين العربية والافرنسية لحضرة الاب يوحنا بلو اليسوعي ملحقة بتفسيرها الى اللغة الانكليزية تفسيرًا في غاية الضبط والدقة حتى جاء هذا المعجم من افضل الكتب للانكليزي الراغب في تعليم العربية وللعربي الذي يترجم من العربية الى الانكليزية· حد بني المؤلف بابداعه اكثر الاصطلاحات العلميّة والاوضاع الفنيّة والسياسيّة وغيرها وقتى يكون وافيا بحاجة المطالع من كل الوجوه

ثمنهُ بغلاف ٢٠ فرنكًا

ثمنهُ بجلد ٢١ فرنكًا

Arabic english Dictionary.



في اللغتين الانكليزية والعربية

In-8°, XIV— 910 pages.

Par le P. J. Hava S. J.

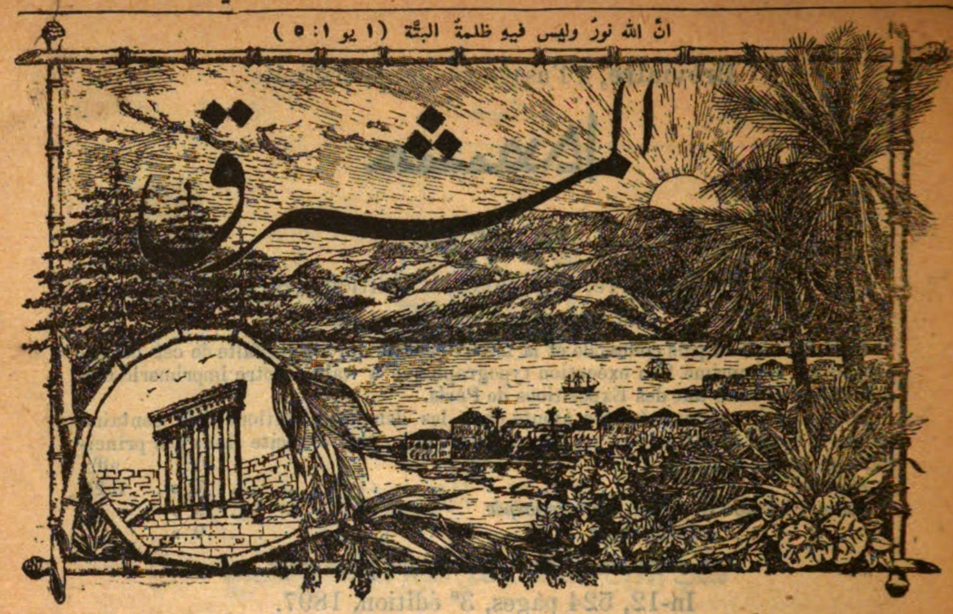
Faciliter aux personnes parlant l'anglais l'étude de la langue arabe comme le P. Belot l'a fait pour celles qui comprennent le français, tel a été le but de l'auteur. Même méthode, à peu de chose près, même abondance de matières, même format et mêmes avantages typographiques.

Cet ouvrage n'est pas une simple traduction du précédent. L'œuvre est personnelle. Tout en suivant les traces de son devancier, l'auteur a pris pour base de son travail le grand lexique de Lane comblant bien des lacunes laissées par ce fameux orientaliste. Il a aussi, consulté les ouvrages publiés en ces dernières années et utilisé nombre de travaux récents pour déterminer le sens précis de plusieurs termes techniques. Son expérience personnelle lui a permis d'enrichir son dictionnaire d'un nombre considérable de mots empruntés aux dialectes de Syrie et d'Egypte.

	Fr.	affr.
Broché	20	1,55
Reliure percaline tranche jaspée, titre doré	21	1,70

السنة الرابعة   العدد ٩   ١ أيار ١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كليَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 9 (1 *Mai* 1901)

فهرس العدد ٩

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Bréviaire, à l'usage du clergé maronite.



In-32, carré, 605 pages, 3[e] édition, 1897.

Édition imprimée en rouge et noir.

C'est l'édition la plus commode et la mieux réussie qui ait été faite de cet ouvrage souvent réimprimé. Son exécution typographique a valu à notre imprimerie une médaille d'or dans une des Expositions de Paris.

Pour plus de commodité, on a ajouté dans les dernières éditions une centaine de pages tirées du Rituel ; ce sont les prières que le prêtre récite dans ses principales fonctions sacrées.

	Fr.	affr.
Brochée	7 »	0,20
Reliure mouton chagriné, tranche jaspée	8 »	
— *tranche dorée*	9 »	

Le même, en caractères plus gros.

In-12, 524 pages, 3[e] édition, 1897.

Broché	7 »	0,55
Reliure mouton chagriné, tranche jaspée	8 »	

Ebed-Jesu Sobensis Carmina Selecta

ex Libro « Pardisus Eden. »

ܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢ

Edidit ac latine reddidit P. H. Gismondi S. J.

Petit in-8°, 125 pages, 1888.

Le *Jardin de Délices* est un des ouvrages les plus remarquables de ʿAbd-Yachû as Sûbâwî, évêque de Nisibe († 1318). C'est une œuvre littéraire analogue à celle des *Séances de Hariri* que l'auteur a voulu imiter en syriaque. L'Abbé Cardahi en a publié la 1[re] partie avec des notes arabes ; la 2[e] reste inédite. En même temps que cette publication voyait le jour, le P. H. Gismondi avait la chance de découvrir deux Manuscrits du même ouvrage dans les bibliothèques du Liban. Il eut l'idée d'en faire un choix pour les Orientalistes d'Europe et publia à cet effet dix des plus belles séances, dont quatre : (XXIX, XXXVII, XLII, L) sont tirées de la deuxième partie. Son texte *complètement vocalisé* est accompagné au bas des pages d'une traduction non moins élégante que fidèle. A la fin de l'ouvrage se trouve un *Appendice* où l'on a consigné un choix de *Scholia* dont l'auteur avait enrichi son travail.

Broché	3 »	0,40



المشرق

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم افندي الدحداح

لمّا كان من اهمّ فروض الوطنيَّة احياء ذكر اعاظم رجال الوطن وكبار اصحاب الفضل والعلم وجب علينا ان ننشر سيرة هذا الرجل العظيم الذي تُعدّ وفاتهُ خسارةً على الوطن والعلم والفضيلة. ولكن قبل الإقدام على ذلك نرجو من القرّاء الكرام ان يسمحوا لنا بإيراد لمعة عن حال لبنان وأُسرة مشايخ بني الدحداح توطئةً لما نسردهُ ممّا وصلت اليهِ معرفتنا القاصرة عن حياة واعمال الفقيد الذي يحقّ للشرق ان يفتخر بمثلهِ

١ً لبنان قبل سنة ١٨٤٠ واسرة مشايخ بني الدحداح

ان منشأ هذه الاسرة هو قرية العاقورة الواقعة في اعالي جرود لبنان في مقاطعة جبة المنيطرة من المعاملة الشماليَّة المعروفة باسم معاملة طرابلس حسب تسمية الاقسام اللبنانيَّة القديمة (١. امَّا الآن فهذه القرية هي اهمّ قرى ناحية جرود جبيل التي احدثها في قضاء كسروان دولة متصرف لبنان الحالي في اوائل عهده بالمتصرفيَّة

١) لا يخفى انهُ قبل سنة ١٨٤٠ كان لبنان يُقسم الى معاملتين كبيرتين احداهما الشمالية وهي المعروفة بمعاملة طرابلوس والثانية الجنوبية كانت تُعرف بمعاملة صيداء. والفاصل بين الاثنتين الوادي الذي يبتدئ في أعالي الجرود بين كسروان والفتوح وينتهي في البحر المتوسط تحت الجسر المعروف بجسر المعاملتين في شمالي جونيه. وقد كانت معاملة طرابلس تتألف من المقاطعات الآتية: الزاوية. جبَّة بشرَّاي. الكورة. القويطع. بلاد البترون. بلاد جبيل. جبَّة المنيطرة. الفتوح. وامَّا معاملة صيداء فكانت تشتمل على: كسروان. القاطع. المتن. الغرب. الشحّار. اقليم الخرّوب. المناصف. الجرود. العراقيب. الشوفَين. اقليم جزّين. اقليم الريحان. زحله وقسم من البقاع الشرقي.

وقد جاء في « اخبار الاعيان » (ص١٠٩) ان جدّ هذه العائلة هو الشيخ جرجس الدحداح وانهُ « في سنة ١٣٧٥ توفي المقدَّم غزال القيسي الماروني مقدَّم العاقورة بلا عقب فورثتهُ ابنتهُ زوجة جرجس الملقَّب بالشدياق » (١. والمقدم غزال هو من بقيَّة المقدَّمين المَرَدة الذين استمروا في اعالي البلاد محافظين على حرّيَّة التصرف تحت سيادة الولاة والحكَّام. وكانت سوريَّة مع لبنان وقتئذٍ خاضعين لسلاطين مصر وبقيت كذلك حتى سنة ١٥١٥ اذ أزال السلطان سليم الاول العثماني دولة السراكسة واخضع سوريَّة ومصر وألحقها بالممالك الشاهانيَّة المحروسة

امَّا عن الشيخ جرجس الدحداح المشار اليهِ واصلهِ واعمالهِ ومحلّ وفاتهِ فلا يذكر التاريخ شيئاً مطلقاً. والذي اعرفهُ انهُ لم يبحث احد عن ذلك الَّا المرحوم الكونت رشيد في تآليف لهُ بقيت خطيَّة. ولا اعلم ماذا حلَّ بها بعد وفاتهِ ووقوعها بين ايدي الجهالهِ الذين يجهلون لغتنا العربيَّة

وزيادةً في الايضاح نقولُ انَّ في سنة ١٣٧٥ اي في ايَّام الشيخ جرجس كان البطريرك على الموارنة يوحنا الجاجي. وكان الحكم في الفتوح والمنيطرة وبلاد جبيل وبلاد البترون لمشايخ بيت حمادة الشيعيين ذوي السيطرة والقوة. وكان على جبة بشرّاي الحماديون ايضاً وفي بعض اقسامها مقدَّمون موارنة. والسهل (اي الزاوية والكورة) كان تابعاً لحكَّام طرابلس. امَّا معاملة صيداء فانَّها كانت خاضعة لامراء آل عسَّاف وآل سيفا الأكراد وكان غالب السكان فيها من المسلمين وقد اندثر العنصر المسيحي في كسروان وغزير منذ سنة ١٣٠٧. وكان الامراء المعنيون في الشوف والعراقيب والجرد. والتنوخيُّون في الغرب الاعلى والشحار والمناصف. وآل ارسلان في الغرب الاسفل وفي الساحل

وقد توفي الشيخ جرجس الدحداح تاركاً ولداً تزوّج ثم صار كاهناً باسم ميخائيل.

وقد كانت مدينة بيروت ذاتها تابعة لهذه المعاملة الجنوبية من قبل سنة ١٧٨٠. وتاريخ بيروت الذي نُشر في هذه المجلة لاحد الامراء التنوخيين يشهد بذلك. فان الامراء حكام بيروت وقتئذٍ كانوا جاعلين مراكز حكمهم في قرى الغرب

١) وقد وردت هذه العبارة في كتاب « تاريخ الطائفة المارونيَّة » للدويهي الذي عني بطبعهِ وتعليق حواشيهِ حضرة الاستاذ الفاضل رشيد افندي الشرتوني ولم يذكر فيها لفظة « الدحداح »

ومن الغريب ان سلسلة العائلة تذكر الخوري ميخائيل هذا ومن بعدهِ ستة كهنة(١ تناسلوا بالتتابع وكلّ منهم وحيد لابويه. فجرجس الدحداح الملقَّب بالشدياق صهر غزال القيسي ورث عمهُ سنة ١٣٧٥ وخلفهُ ابنهُ الخوري ميخائيل فالخوري يوسف فالخوري ابرهيم فالخوري حنّا فالخوري ميخايل فالخوري يوسف فالخوري جرجس فالشيخ يوسف سنة ١٦٧٥ وهذا لم يصر كاهناً. والعائلة حفظت سلسلة اولادهِ. وقد ورث عمَّهُ مالك ابا الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ وتوفي سنة ١٧٦٢ وقد رُزق من ابنة عمّهِ مالك اربعة اولاد وهم ابرهيم وسليمان وموسى ومنصور. ثم رُزق من زوجتهِ الثانية ابنهُ وهبة

فمن وفاة المقدَّم غزال سنة ١٣٧٥ وهو حمو اول شيخٍ من عائلة الدحداح الى وفاة المقدم مالك ابي الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ توجد فترة ثلاثمائة وخمس وعشرين سنة. فلا يُصدَّق ان هذه العائلة تسلسلت في هذه المدة الطويلة كاهناً عن كاهن كلّ منهم وحيد اهلهِ. ولا ريب انهُ كان لكل منهم او للبعض اخوة قد أُهمل ذكرهم في سلسلة العائلة امَّا لانقطاع ذرّية الواحد منهم عاجلًا واماً لكثرة الفروع المتشعّبة من تلك الاصول او لأن اولادهم ثبتوا في العاقورة بعد خروج الشيخ يوسف بابيهِ واولادهِ منها (٢ او لانهم هم نزحوا الى جهات مختلفة فلم يُلتفَت الى سياق نسبهم حتى نُسي مع الاعوام اسم اجدادهم انفسهم ولم تُحفظ الّا سلسلة الكهنة التي نسبق ذكرها. ولعلّها ناقصة كما قلنا

ومن وقف على اخبار لبنان في تلك الايام يرى ان العاقورة لم تكن حكومة واحدة

---

١) اعلم انَّ كتاب اخبار الاعيان لم يذكر بعد الخوري ميخائيل سوى خمسة كهنة وقد عددناهم ستة وفقاً لتقليد العائلة. ولعلّهُ فُقد من هذه السلسلة حلقات أُخر والله اعلم

٢) يشهد على ذلك كتاب صلاة وجد في كنيسة العاقورة مكتوب عليهِ بخط يد الخوري يوسف سادس هؤلاء الكهنة العبارة الآتية ندوّنها بحرفها : « انا الخوري يوسف خادم العاقورة المرسوم من السيد الذكر البطريرك يوحنا مخلوف بايَّام اينوشنسيوس البابا في رومية. قد تقرَّر كالهُ على يد احقر الناس واذلّهم يوسف باسم خوري ابن المرحوم الخوري ميخايل ابن الخوري حنّا ابن الخوري ابرهيم المكنّى بابن الدحداح من عروسة العاقورة. وكان عمر الكاتب المسكين ٤٧ سنة يوم كتب هذا الكتاب وهو وقفٌ لا رجوع فيهِ للقديسين المعظمين مرت مريم سيدة الحبل ومار الياس ومار ميخايل وجبرايل من تعبي وكدي وُقف صدقة مني وعن « اولادي » ووالديّ. ايّ من طمع عليهِ وسرقهُ ام غيَّرهُ يكون محروماً من الله والقديسين المذكورين يكونوا اخصامهُ وانا بريءٌ من خطيتهِ. سنة ١٦٤٩ »

خاضعة لمقدَّم او شيخ واحد بل انهـا كانت قسمين: احدهما ورثهُ بنو الدحداح من جدَّتهم ابنة غزال. والآخر ساد فيهِ غيرهم كما يشهد على ذلك ما جاء من انَّ المقدَّم خليل ابن مقلد بنى برجًا للقرية سنة ١٤٤٢ وان مالكًا اليمني شيخ العاقورة حرق المنيطرة سنة ١٥٣٤ وقُتل بعدئذٍ

ونحن في هذا الصدد يجدر بنا الالماع الى ان جميع أُسرات مشايخ الموارنة واكثر اهالي جنوبي لبنـان الموارنة هم من المعاملة الشماليَّة. فمشايخ آل دحداح نشأوا في العاقورة من قرى المنيطرة سنة ١٣٧٥ كما سبق القول عنهم. ومشايخ آل حبيش عُرفوا سنة ١٥١٥ في يانوح احدى قرى المنيطرة ذاتها. والشدياق سركيس جدّ مشايخ آل الخازن لم يُذكر اسمهُ الَّا سنة ١٥٤٥ اذ قيـل انهُ جاء من جاج احدى قرى بلاد جبيل للسكنى في كسروان

ولنعد الى الشيخ يوسف الدحداح سليل الكهنة المارّ ذكرهم. فانهُ وقعت عداوة بينهُ وبين هاشم العاقوري اليمنيّ الذي كان الحماديون يعضدونهُ فنزح بابيهِ واولاده من العاقورة الى عشاش احدى قرى الزاوية ثم الى طرابلس حيث تعلم هو وولدهُ ابرهيم اللغة التركية. وبعد ان توظّف عند الامير حسين حرفوش الشيعي حاكم بعلبك ثم عند الشيخ اسمعيل حماده الذي وهبهُ خمس قرى في مقاطعة الفتوح عاد الى العاقورة وخرج منهـا نهائيًا سنة ١٧٠٤ واتى لحفد في بلاد جبيل ثم انتقل منها الى الكفور في الفتوح وجاء في آخر الامر الى عرامون كسروان فاستوطنها. ويظهر ان والدهُ الخوري جرجس توفي في اثناء هذه الرحلات لانَّ التاريخ لا يذكر مجيئهُ الى عرامون

وعرامون هذه قرية من مقاطعة كسروان على حدود المعاملة الجنوبيَّة قد اختارها الشيخ يوسف ليكون في بلاد كثر فيها النصارى وساد فيها الحزب القيسي فيأمن جور الحكّام اليمنيين السائدين بشخص مشايخ حماده وامراء الحرفوش في المعاملة الشماليَّة. فضلًا عن ان هذه القرية نظرًا الى وقوعها على حدود مقاطعة الفتوح وقربها من معاملة طرابلس تمكّنهُ من السهر على القرى التي يملكها في الفتوح ومداومـة كتابة الاسرار واستلام زمام الاحكام عنـد مشايخ حماده المذكورين. ولم يمضِ عليهِ سنة في عرامون حتى ولّاهُ الشيخ اسمعيل حماده شؤون مقاطعة الفتوح باسرها وجباية الاموال الاميريَّة فيها وقد اعفاهُ من جميع الاموال هو واولادهُ وخدمهُ وشركاءهُ

ويوسف هو الذي اشار اليـهِ البطريرك سمعان عواد في ترجمة حياة البطريرك اسطفـان الدويهي اذ يسمّيهِ بيوسف العاقوري المارونيّ ويذكر عنهُ انّـهُ كان يجبي الاموال الاميريَّة في الفتوح من قبـل الشيخ اسمعيل حماده. وقد ورد ذلك في المقدمة التي في صدر «تاريخ الطائفة المارونيَّة» للدويهي فهذا الشيخ العاقوري الماروني هو احد اجداد بني الدحداح

وتوفي يوسف سنة ١٧٦٢ ودفن في حجرة خاصَّة في دار كنيسة عرامون. وكان قد رُزق كما رأيت انفًا خمسة اولاد ذكور هم ابرهيم (١ وسليمان (٢ وموسى (٣ ومنصور (٤ ووهبه (٥. ولمَّا كان لبني الدحداح شأن في لبنان وقد امتزجت اخبارهم باخبار حكامه وامرائهِ وجب علينـا من باب الايضاح ان نورد لمعة عن احوال لبنان في تلك الأيَّام كي نتمكَّن من استيفاء الكلام عن اولاد يوسف المشار اليهم وسلالتهم من بعدهم

كان الامراء المعنيون المسلمون المشهورون بالعدالة قد حكموا في الشوف والعراقيب والجرد مدة طويلة وظهر منهم ولاة يعرفهم الكرم والسيف كالامير فخر الدين مثلًا (٦

١) درس اللغة التركية مع ابيهِ واتقنها واشتهر بذكائهِ. وقد توفي قبل ابيهِ تاركًا ثلاثة اولاد ذكور وابنة. وانقرضت ذريتـهُ بموت المرحوم فيَّاض آخر ذكر من نسلهِ. توفَّاهُ الله في طرابلس سنة ١٨٨٣

٢) بعد ان ساعد اباه مدة حياتهِ في اشغال الفتوح وامور بيت حمـاده توفي طاعنًا في السن سنة ١٧٦٤. وهو الذي حضر المجمع اللبنـاني الماروني المنعقد في دير اللويزة سنة ١٧٣٦. وقد ورد سهوًا اسم سلُّوم الدحداح عوض سليمان في الطبعة العربيَّة الجديدة للمجمع المذكور المترجمة بقلم سيادة المطران يوسف نجم والمطبوعة سنة ١٩٠٠

٣) كان في عهد ابيهِ ترك المشايخ الحماديين وتقرَّب الى الامراء الشهابيين فدخل في معيَّة الامير منصور الشهابي حاكم معاملة صيداء. وقد انتفع اولادهُ من ذلك ونالوا الغنى والشهرة ولاسيما ابنهُ سلُّوم وحفيدهُ منصور بن سلوم كما سيأتي الكلام عنهم. توفي موسى سنة ١٧٧٨

٤) هو اعظم اخوتهِ قدرًا وابعدهم شهرة واقدرهم سياسة وحكمة. وهو مع سلوم ابن اخيهِ موسى المذكور آنفًا ومنصور بن سلوم فخر العائلة ورافعو لواء مجدها. كما سترى

٥) سيأتي الكلام عنهُ وقد توفي في مدة الخمس السنوات الاولى بعد الثمانمائة والالف

٦) وقد غلط كتبة الافرنج في نسبتهِ الى المذهب الدرزي. وربَّمـا كان سبب الغلط ما ورد في تآليف ابنـاء العرب وفرمانات الدولة العلية من تسمية فخر الدين بامير الدروز او امير جبل الدروز

وقد انقرضت سلالتهم بوفاة الامير احمد حاكم معاملة صيداء في ١٥ ايلول سنة ١٦٩٧(١ فانتخب كبراء لبنان (والاحرى كبراء معاملة صيداء) وريثاً لهُ ابن اختهِ الامير بشير الشهابي من راشيا. لكن الحكومة السنية لم تصادق على هـذا الانتخاب بل عيَّنت الامير حيدر شهاب (٢ من حاصبيا لانهُ ابن بنت الامير المتوفى واحقُّ بالارث. ولمَّا كان هذا قاصرًا أُقيم وصيًّا عليـهِ او كفيلًا لهُ الامير بشير المذكور حتى سنة ١٧٠٦ التي مات فيها الوصيّ واستقل بالحكم الامير حيدر فقامت عليهِ الاحزاب اليمنيَّة من امراء آل علم الدين وارسـلان ومقدَّمي بني الصواف المتنين ومحمود الهرموش فطردوهُ واستبدوا بالامر في لبنان الى سنة ١٧١١ حيث برز الامير حيدر من مخبَّاهِ ودعا اليهِ قومهُ وسار فيهم الى دير القمر عن طريق الجرود ليمنع اعداءهُ من الالتقاء والانضمام فبطش بهم في خراج عين دارا من العرقوب وفتك فيهم فتكًا ذريعًا وافنى آل علم الدين واتى دير القمر مركز حكومة المعاملة واباد الحزب اليمني فلم تقم لهُ قائمة ولم يعـد يُذكر لهُ اسم في لبنـان. ثم استقال من الحكم سنة ١٧٢٩ فورثهُ بكر اولاده الامير ملحم. وفي عهد هذا انقسم لبنان الى حزبين « يزبكي » برئاسة مشايخ آل عمـاد و « جنبلاطي » برئاسة بني جنبلاط. وفي سنة ١٧٥٤ اعتزل الامير ملحم فخلفهُ اخواهُ الاميران احمد ومنصور الى سنة ١٧٦٠ حيث انفرد بالسلطة الامير منصور

وقد سعى الشيخ سعد الخوري مربّي الامير يوسف واخوتهِ (٣ بايجاد وسيلة لينزع معاملة صيداء من يد الامير منصور ويجعلها في قبضة ربيبهِ الامير يوسف. ثم عدل عن مقصدهِ وعمل باشارة من (٤ قال لهُ ان يتخـذ الامير منصور عضدًا لهُ في استحصال معاملة طرابلس للامير يوسف. وهكذا قد تمّ فان الامير منصور سُرَّ من هذا الرأي

١) اي ثماني عشرة سنة بعد وفاة الشيخ ابي نوفل الخازن. فان الدويهي يقول (في الصفحة ٣٤٦ من تاريخ الطائفة المارونية) انَّ وفاة هذا الشيخ كانت في ١٣ آب سنة ١٦٧٩. فهذا النص وما ورد في التحريرات المسماة بالرسائل البانية (Lettres édifiantes) ينبئان بعدم بقاء ابي نوفل في قيد الحياة الى ما بعد انقراض المعنيين كما ورد في الصفحة ٢٥٩ من التأليف نفسهِ والمأخوذ عن جهل الشارح اسم مؤلفهِ

٢) هو جدُّ جميع الشهابيين اللبنانيين

٣) جميعهم اولاد الامير ملحم المعتزل

٤) الشيخ منصور الدحداح وذلك انتقامًا من الحماديين كما سيأتي

الآنل الى ابعاد ابن اخيهِ (١ عنـهُ واقناعهِ بمعاملة طرابلس عن معاملة صيداء. وسعى فحصَّل لهُ الفرمان من ايالة الشام وطرابلس. وفي سنة ١٧٧٠ تخلَّى لهُ عن معاملة صيداء ايضاً فاصبح لبنان كلهُ في يد الامير يوسف. وفي سنة ١٧٨٩ عُزل هذا الامير فاخذت الحكومة تتراوح بين ايدي الامير بشير قاسم عمر المعروف بالكبير او المالطي وبين اولاد الامير يوسف المعزول (٢ وبين الاميرين حيدر وقعدان. الى ان ثبتت اخيرًا في يد الامير بشير المذكور الذي لا تخفى اخباره ووقائع عهدهِ

وبعد عزلهِ خلفهُ ابن عمّهِ الامير بشير ملحم ثم عمر باشا. واخيرًا في سنة ١٨٤٣ انقسم لبنان الى قائمقاميَّتين: احداهما للنصارى من طريق الشام الى طرابلس. والثانية للدروز من الشام الى صيداء ما عدا دير القمر التي بقيت تابعةً لمدينة بيروت رأساً. وكان اول قائمقام على النصارى الامير حيدر ابو اللمع وعلى الدروز الامير احمد ارسلان. وجميع هذه الامور حديثة مشهورة لا نتعرَّض لذكر تفاصيلها

فنعود الان الى سياق الكلام عن الدحادحة ونقول ان الشيخ منصور رابع اولاد الشيخ يوسف العاقوري السابق ذكرهُ كان في حياة ابيهِ يدَهُ اليمنى وبعد وفاته تولى امور بيت حماده. ولكن لمَّا رأى منهم الغدر بعد موت الشيخ اسماعيل حماده وتعذَّر عليهِ اصلاحهم تركهم وسافر الى قبرس. وفي اثناء غيابهِ بيعت املاكه في الفتوح وفاءً لكفالتهِ بني حماده تجاه والي طرابلس. ولمَّا عاد من قبرس تداخل مع الشيخ سعد الخوري مربّي اولاد الامير ملحم واقنعهُ بالعدول عن مزاحمة الامير منصور الى الاستعانة بهِ على تحصيل معاملة طرابلس للامير يوسف. كما مرَّ آنفاً. ولمَّا نجح مسعاهما اعطى هذا الامير لمربّيه وكاخيتِهِ الشيخ سعد املاكاً واسعة في جبَّة بشرّاي. امَّا منصور فقد اعطاهُ قسماً كبيرًا من بلاد جبيل عهدة خصوصيَّة لهُ ولذريتهِ من بعده من غير شراكة احد فيها من عائلتهِ. ووهبه املاكاً شاسعة في بلاد جبيل والبترون والفتوح. منها دير البنات واراضي في سهل جبيل ودكاكين بوّابة جبيل ومستيتا واملاك في البوار

فدير البنات واراضي السهل اعطاها منصور وقفاً للرهبانيَّة البلديَّة المارونيَّة مشترطاً على رؤسائها قبول افراد ذريتهُ في الرهبانيَّة بدون مانع وحافظاً لنفسهِ ولأي كان من نسلهِ حقّ الرجوع بهذه الوقفيَّة واسترجاعها من الرهبانيَّة

١) الامير يوسف المذكور ٢) وهم حسين وسعد الدين وسليم

واماَّ دكاكين البوَّابة فقد وقفها على كنيسة سيدة جبيل . وسلّم املاك مستيتا(١ وقفًا الى دير سيدة الحقلة . وقد استمرَّت العلائق الحسنة بين سلالة الشيخ منصور هذا والمتولّين على اوقاف سيدة الحقلة حتى وضع يدهُ على هذه الاوقاف المثلَّث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج اذ كان اسقفًا على بعلبك(٢ . وكانت عوائد واصطلاحات خاصَّة محفوظة لسلالة الشيخ منصور في معاملتهم مع اصحاب الدير المذكور

اماَّ املاك البوار فقد وقفها على دير مار دوميط المشهور كما يثبت ذلك من حجج واوراق هذا الدير ومن العوائد الخاَصة المحفوظة في معاملة رئيسهِ لاولاد الشيخ منصور وسلالتهم (٣

ولماَّ تمكن الامير يوسف من حمل عمّهِ على الاعتزال سنة ١٧٧٠ واستقلَّ وحدهُ بالمعاملة جعل بني الدحداح في مقدَّمة رعاياهُ فاعطاهم مقاطعة الفتوح عهدة خصوصيَّة لهم مكافأة على حسن خدمتهم . وسلم اعمال مقاطعة الحماديين في المنيطرة الى وهبة اخي منصور . واحضر سلوماً وناصيفاً ولدي موسى فاقام الاول كاتباً في ديوانهِ مقرَّباً اليهِ والثاني رئيساً على المحاسبات وجباية الاموال الاميريَّة (٤

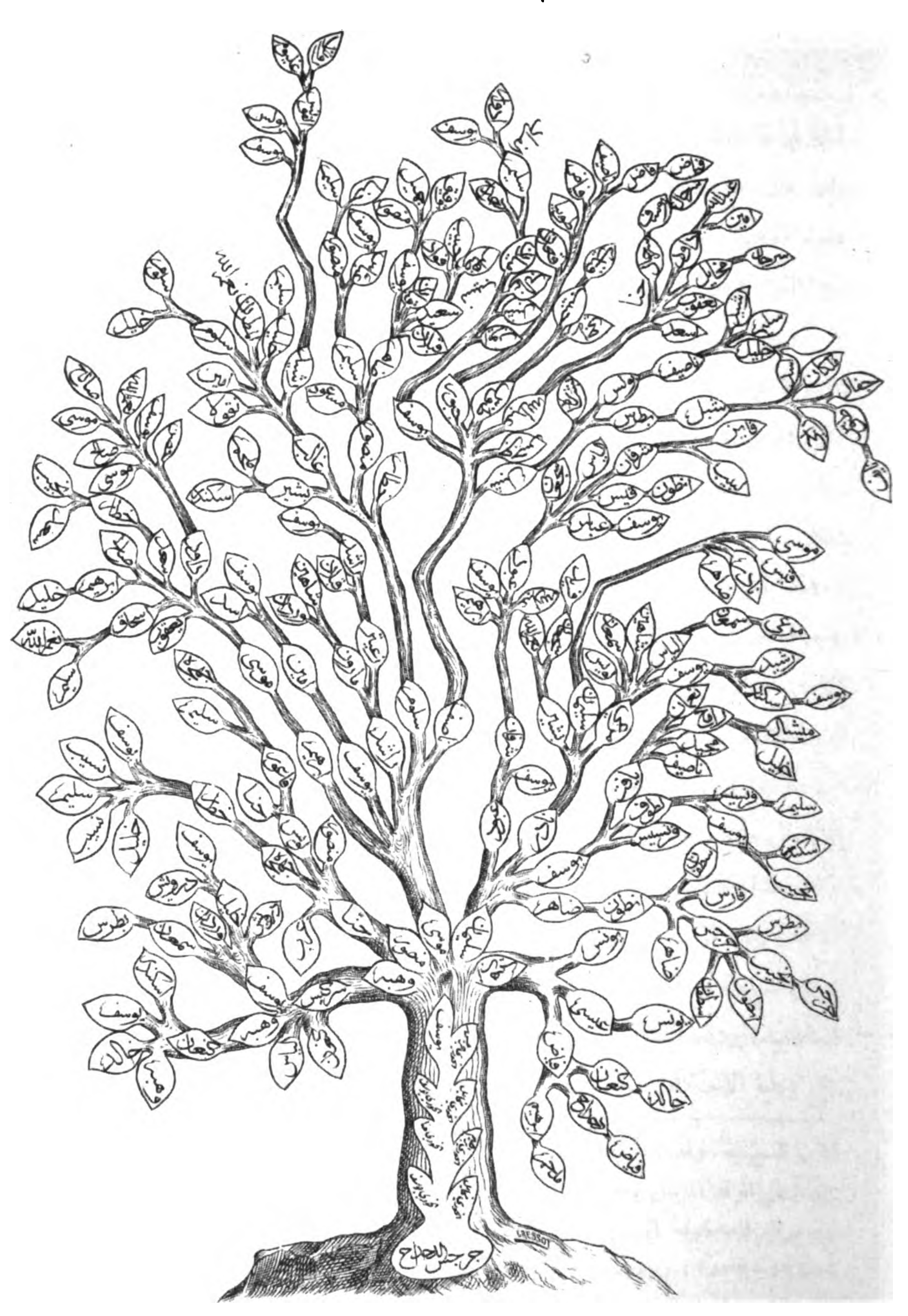
وتوفي منصور مؤسس مجد هذه العائلة سنة ١٧٨٠ تاركاً ولدًا وحيدًا اسمهُ حناَّ(٥

١) اعلم انَّ دير مستيتا اعطاهُ الامير يوسف الشهابي بواسطة الشيخين المرحومين منصور الدحداح وسمعان البيطار لعائلة بيت ديب من دلبتا ليكون تحت تصرّفها وولايتها

٢) وقد عادت اليوم باسم الكرسي الرسولي لاصحابها ٣) لم اذكر كلَّ الاوقاف التي وقفها جميع افراد العائلة الدحداحيَّة . ومن هذه الاوقاف ما هو بايدي العائلة كدير سيدة شويت ودير مار انطونيوس عين سجاع في الفتوح الذي يدبّرهُ الان الخوري الفاضل طوبيَّا الدحداح

٤) وقد اخطأ الخوري منصور الحتوني (واخطأ معهُ صاحب « بطل لبنان ») بقولهِ في مقدمة تاريخهِ ان عهدة الفتوح اعطاها الامير بشير الشهابي لسلوم الدحداح سنة ١٨١٤ . على حين انهُ يذكر في كلامهِ عن حكومة الامير يوسف انهُ اقطع الدحادحة مقاطعة الفتوح سنة ١٧٧٠ . فالمناقضة بين القولين ظاهرة . كما انهُ اخطأ في نفس المقدمة بذكره دير ومدرسة مار عبدا هرهريَّا في عداد اديرة كسروان . فلو نظر فيما اذا كان الدير واقعاً شمالي الوادي المؤدي الى المعاملتين ام جنوبيهِ لما فاته انهُ في الفتوح لا في كسروان . ولا شكَّ انهُ اختلط عليهِ الامر مماَّ كان يحدث من ادعاء البعض بان الدير المذكور تابع لكسروان ومحاولتهم نزع سلطة بني الدحداح عن مزرعة الدير واراضيه وكيف تمكَّن بنو الدحداح من اثبات حقوقهم والمحافظة على حدود مقاطعتهم رغماً عن معاكسة الأيّام لهم واتفاق السلطتين الدينيَّة والمدنية في لبنان ضدّهم

٥) حنا ولد سنة ١٧٦٢ وتوفي سنة ١٨٠٧ وقد ادار اعمال مقاطعتهِ دون المداخلة في شؤون



شجرة أُسرة الكونت رُشيد الدحداح

خلفهُ في مقاطعتهِ. وقد اشتهر من بعده اولاد اخيهِ الاربعة ناصيف وسلوم ويوسف وابرهيم. وبعد عزل الامير يوسف سنة ١٧٨٩ مضى على بني الدحداح عشر سنوات تقلبت فيها عليهم الاحوال بتقلُّب الاحكام بين الامراء حتى ثبتت في يد الامير بشير المالطي (كما سبق القول). وكان كلٌّ من هؤلاء الحكَّام يعين سلوماً واخوتهُ في ديوان الاحكام

ولمَّا استقـلَّ بالحكم الامير بشير المذكور عيَّن سلوماً كتخدا اي مدبّراً لاعمالهِ وناصيفاً على الاموال الاميريَّة في كسروان والفتوح وجبيل وسائر الجهة الشماليَّـة. ولمَّا كان قد عـيَّن اخاهُ الامير حسن حاكماً في غزير ومراقباً على اصحاب المقاطعات في كسروان وشمالي لبنان جعل عنده ابرهيم اخا سلوم كتخدا وقاضياً. واتخذ اخاه يوسف سفيرًا لهُ في مخابراتهِ مع الولاة ولاسيا والي عكَّا احمد باشا الجزار

وقد توفي سلوم في عرامون سنة ١٨٢٠ عن ثلاثة اولاد منصور وغالب وبشير. فكان لهُ مأتم عظيم اهتزَّ لهُ لبنـان واحتشد فيهِ الامراء والمشايخ واماثل الجبل من جملتهم الامير امين الذي حضر من قِبل ابيهِ الامير بشير. والشيخ بشير جنبلاط الذي جاء من المختارة بنفسهِ

وكان لمَّا شاخ سلوم تعـين ولده منصور معاونًا لهُ. فما زال هذا يتعاطى تدبير الاشغال حتى سنة ١٨٢٨ حيث سلَّم الامير بشير شؤون حكومته الى ولدهِ الامير الامين. وكان هذا اتخـذ منادماً لهُ الشاعر المشهور المعلم بطرس كرامة. فاعتزل الشيخ منصور الاعمال وعاد الى عرامون. وقد قضى هو وابوهُ في تدبير الاحكام مدة ٥٨ سنة اشتهرا فيها بالسياسة والخبرة والحزم والنشاط والصدق نحو اولياء الامور. وقد ترك كلٌّ منهما اسماً مجيدًا يردّدهُ اللبنانيون الى يومنا هذا متمثّلين بحسن تدبيرهما وسموّ مداركهما وسهرهما على رعاية الاحكام وصدقهما في الخدمة. وهما هما اللذان زانا حكومة الامير بشير.

لبنان العمومية. وقد اوفـدهُ الامير بشير قاسم عمر الكبير حاكم لبنان الى الاناضول سنة ١٧٩٩ رئيساً على الوفد المرسل ليقدم الهدايا والتقادم الى الصدر الاعظم. يوسف ضيا باشا فالتقاهُ في مدينة قره مرط فاكرمهُ الوزير وخلع عليهِ. ولخنًا هذا اربعـة اولاد منصور (+١٧٦٢) ولويس (١٧٨٨–١٨٣٢) وجهجاه ومرب. وكان جهجـاه (١٧٩٠ – ١٨٤٠) من مشاهير الرجال قاوم الامير بشير واتَّفق مع الدولة العثمانية لطرد الجيش المصري من الشام وبدّد شمل الامير مجيد حفيد الامير بشير في جبَّة بشرَّاي واسرهُ فائتمنت الدولة على خلوص عبوديتهِ وجهجاه والد جناب رفعتلو الشيخ خطار الدحداح وجدّ المرحوم الشيخ يوسف وسيأتي ذكره

وفي أيامهما كان عهدهُ عهد العدل والامان. وقد ترك سلوم رسالة خصوصيَّة بخط يدهِ يروي فيها سياحة الامير بشير الاولى الى مصر سنة ١٧٩٩ اذ جاء اليها الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا

اما منصور فانهُ بعد اعتزالهِ الاشغال سكن الدار العظيمة التي كان قد شيَّدها في عرامون ازاء بيت ابيهِ ولم يتداخل بعد ذلك بشؤون السياسة سوى اربع مرات: (الاولى) لمَّا استدعاهُ الامير بشير الكبير سنة ١٨٤٠ ليستشيرهُ في امر التسليم وترك العساكر المصريَّة. فاشار عليهِ بالطاعة فلم يذعن لاشارته بل عمل برأي بطرس كرامة فكان من امرهِ ما كان. (الثانية) لمَّا دعاهُ الامير بشير قاسم ملحم المعيَّن بدلًا من الامير بشير الكبير فلبَّى طلبهُ ونهض برجالهِ ولحق بجيش الامير لطاردة العسكر المصري حتى وصل الى البقاع. ومنها عاد الى بيت الدين ثم قفل راجعًا الى عرامون. (الثالثة) لمَّا تعيَّن عمر باشا بدلًا من الامير بشير الثالث فاتخذ مدبِّرَين احدهما مسيحي وهو الشيخ منصور الدحداح المذكور والثاني الشيخ خطار العماد الدرزي. وقد بقي الشيخ منصور في الخدمة مدة اقامة عمر باشا في لبنان. (الرابعة) لمَّا تعيَّن الامير حيدر ابو اللمع سنة ١٨٤٢ قائمقامًا على النصارى كما سبق القول فاتخذ الشيخ منصور بضعة اشهر مدبِّرًا ثم تركهُ وخاصمهُ واضطهدهُ زمنًا طويلًا

ومات الشيخ منصور في دارهِ بعرامون سنة ١٨٦١ في عمر اثنين وثمانين عامًا. وكان قد اقتنى املاكًا عظيمة وحصَّل اموالًا طائلة (١

فهؤلاء الثلاثة منصور الاول وسلوم وابنهُ منصور هم عظماء العائلة ورافعو لواء مجدها. وقد جرى على آثارهم كثيرون من اسرتهم فخدموا امراء البلاد وتولَّوا الاشغال فاشتهروا في كل عهد لاسيَّما في عهد الامير بشير الكبير حيث كنت ترى تقريبًا جميع مشايخ بني الدحداح في الوظائف. ففي بيت الدين كان امين بن يوسف وموسى بن ابرهيم ورُشيد بن غالب كتَّابًا للامير بشير. وفي غزير كان خليل بن غالب كاتبًا للامير عبد الله.

١) وهذا يخالف ما قالهُ صاحب تاريخ مقاطعة كسروان ويكفي لنقض دعواهُ ان نقول ان قسمًا من ثُلث تركته (بستان العصا في بلاد البترون) هو الان ثروة عظيمة في ايدي اولاد انجالهِ

وفي القاطمات كان لويس وجهجاه ابنا حنا حاكمين على بلاد جبيل. وزعيتر (١ وكيلًا على مشايخ الجبَّة ومرعي (٢ وكيلًا على مشايخ الكورة

ولمَّا انقسم لبنـان الى قائمقاميَّتين كما سبق القول كان الشيخ امين رئيس الكتبة عند الامير حيدر اوَّل قائمقام على النصارى وابنهُ الشيخ يوسف معاونًا لهُ. وكانا كلاهما شاعرَين بارعين. وقد اشتهر احدهما يوسف بخطّهِ واتقـانهِ التصوير. وهو الذي صنع للامير حيدر تاريخًا لبناء سراياه في بكفيا لم يزل منقوشًا الى يومنا فوق مدخلها. امَّا الشيخ امين فلهُ تآليف نفيسة منها رسالة كلها مراثٍ وحِكَم وضعها بعد فقدهِ ولدهُ يوسف المذكور سنة ١٨٥٠ في عنفوان الشباب. ويشهـد على مكانتهِ من الشعر والعربيَّة ما تبادلهُ من القصـائد المشهورة مع شعراء عصرهِ. ونحن نكتفي عن الكل بالاشارة الى ما ورد في ديوان استاذهِ الشاعر بطرس كرامة وديوان المرحوم المطران جرمانوس الشمالي وتوفي الشيخ امين سنة ١٨٧٣ ولهُ من العمر ٨٣

امَّا الشيخ موسى فكان قد سافر مع الامير بشير الكبير الى منفاه بمالطة ثم الى الاستانة العليَّة. وعاد منها الى لبنان سنة ١٨٤٥. وبعد وفـاة الامير حيدر تعيَّن عند خلفهِ الامير بشير احمد اللمعي مدبّرًا او كتخداء فاقام برئاسة الاحكام الى سنة ١٨٦٠ حيث كان عزل الامير وتشكيل المتصرفيَّـة. وكان مشهورًا في ايامهِ باسم « لسـان النصارى » ممتازًا بحزمـهِ ورصانتهِ وحكمتهِ وفصاحتهِ وطلاقة لسانهِ واقتدارهِ على اقناع سامعيه

وقد مات في بعلبك سنة ١٨٧٥ فشيَّد لهُ مدفنًا لائقًا حفيدهُ الشيخ حصن الذي كان قد انتظم في الرهبانيَّة البلديَّة باسم يوسف وعيّن وكيلًا اسقفيًا في بعلبك

وممن اشتهروا في هـذه الآونة ايضًا فرنسيس واخوه لطوف وطنوس الذي خلف اباهُ ناصيفًا على الاموال الاميريَّة

ومنذ سنة ١٨٥٠ اخذ مشايخ الدحداح يهجرون عرامون. فاستوطن فريق كبير منهم

١) زعيتر بن راشد بن موسى توفي سنة ١٧٤٢ وهو والد المرحومين راشد وقبـلان الذين اشتهرا في خدمة لبنان والدين وتوفيـا من بضع سنوات وجدّ الشيخ يوسف راشد احد مدراء لبنان حاليًا

٢) مرعي ولد سنة ١٧٨٢

ناحية الفتوح مقاطعتهم . وفريق ذهب الى بلاط في بلاد جبيـل حيث كان قد سبق اولاد وهبه فاستوطنوا هناك منذ الاول . والبعض منهم تفرّقوا في البلاد

واكثر دور مشايخ الدحداح اصبحت اليوم اديرة : فدار الشيخ منصور سلُّوم صارت دير مار نقولا المعروف بمدرسة العريّة . ودار الشيخ موسى اشتراها منهُ قعدان بك الخازن ثم صارت مع دار الشيخ امين ملكاً لابرشية بعلبك وكرسيًّا للاسقفيّة . ودار الشيخ طنوس اصبحت مدرسة المحبة

هذا ما ارتأينا ادراجهُ من اخبـار عائلة بني الدحداح حتى سنة ١٨٦٠ كتوطئةٍ لترجمة الكونت رشيد الدحداح (ستأتي البقيّة)

مقطعات شعريّة للشيخ احمد البربير

اختارها الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف

هو الشيخ العلّامة الاديب احمد افندي البربير اصل عائلتهِ من بيروت وكان مولدهُ في دمياط سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧م) ثم حضر الى ثغر الشام وتولى القضاء في بيروت في عهد الامير يوسف الشهابي ثمَّ استعفى واستوطن دمشق و بها كانت وفاتهُ سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١م) . ودُفن في الصالحية. ولهُ تآليف حسنة منها كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصـلي طبعهُ في بيروت الشيخ محمد افندي عمر البربير سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) . ولهُ شعر جيّد ذكرنا منـهُ شيئًا في ترجمة ميخائيل البحري (المشرق ٣ : ١٢-١٨) . امّا المقطّعات التالية فقد اختارها جناب الفاضل عيسى افندي اسكندر معلوف من نحو ٥٠٠ مقطّعة للشيخ المذكور استنسخها من هامش كتاب اسرار البلاغة المخطوط وجدهُ في مكتبة السيد غريغوريوس حداد مطران طرابلس للروم الارثوذكس وهي مكتوبة بخطّ المؤلف رحمهُ الله (المشرق)

١ ويومٍ تبسّم نوّارهُ ودمعُ السحاب عليهِ انسكبْ
رأت سُحبُهُ كاسهُ مترعًا فصارت تنقِّطها بالحَبَبْ

*

٢ نحن والله في نعيمٍ مقيمٍ بين سجعٍ وبين صوتٍ رخيمٍ
لم نجد عندنا اليك رسولًا غير ما هبَّ من لطيف النسيمِ
قد قضى غمّنـا فناح عليهِ كلُّ صوتٍ من الحمام نظيمِ
ولهذا لم ندرِ ما نحن فيـهِ من سرورٍ وعزّةٍ ونديمِ

أنعيمٌ في جنّةٍ ام خيـالٌ … في منامٍ ام جنّةٌ في نعيمِ

*

٣ قد رنّح الريحُ زهرَ الروض مبتسمًا … لمّا رآهُ غضيضَ الطرف فانتبها
والحلّ عقدُ جواري السُّحب فانتثرت … لآلئٌ منهُ اهدتها البحارُ لها

*

٤ ونهرٍ يبوح باسرارهِ … ويجري لضائع ازهارهِ
ترى ماءهُ ابدًا راقصًا … لتصفيق انواع اطيارهِ
فكم شكرتهُ الرياضُ التي … أزاهرُها بعضُ آثارهِ
جلبتُ المسرَّة من صفوهِ … وألقيتُ همّي بتيّارهِ

*

٥ وليلةٍ حسنتْ اوقاتها وصفتْ … نظيرَها ما رأت نفسٌ ولا وصفتْ
كأنَّ انجمها والجوّ يبرزها … جواهرالدرّ في بحر الظلام طفَتْ

*

٦ ليـلةٌ كالغراب قُصَّ جناحا … ليس يرجو الكئيب فيها صباحا
خافها اعزلُ السماكين حتى … صار ذا رعدةٍ والقى السلاحا

*

٧ دمشق دارٌ للهوى والنوى … وهي لمن يخشى العدى جُنَّهْ
كأنّها المرآة مصقولةً … تلوح فيها صورة الجنَّهْ

*

٨ دمشق حازت عنبًا … يُضرب فيـهِ المثلُ
كأنهُ لآلئٌ … يُصان فيها العسلُ

*

٩ نذيرِ شيبٍ منذرٌ بالذهابْ … فجدّد التوبةَ قبل الحسابْ
واحذر سطى جارح بازِ هوى … من هولهِ طار غرابُ الشبابْ

*

١٠ خيوط الشيب قد مُدّت بفَوْدي … ومدُّ خيوطها قِصرُ الحياةِ
اجادت غزلها ايدي الليالي … لتنسجهُ غدًا كفنًا لذاتي

*

١١ كم سبكنا الذُّهبان فيهِ مديحًا … فاستحـالت كطرق الحدَّادِ
والذي يغرس الثنا في سباخٍ … فكثيرٌ عليهِ شوك القتـادِ

*

١٢ صحبةُ الناس عُراها اصبحتْ غيرَ وثيقهْ
قد رأيناها مجازًا فاتخذناها حقيقهْ

*

١٣ لمَّا رأى الدينــارُ انَّ مقرَّهُ في ملكهِ مقدارُ طرفة عينِ
لاحت على خدَّيه صفرة وجههِ جزعًا واصبح وهو ذو وجهينِ

*

١٤ تقلَّد صمصامةً حدُّها يؤثّر في الصخر قدًّا وقطعا
لسانٌ جرى سمُّهُ كاللعاب ألم ترَهُ لابسًا سِلخ افعى

*

١٥ وابيضٍ راق العيــو نَ منظرًا ومخبرا
صحيفةٌ قد كتب اَلا م فِرندُ فيها اسطرا

*

١٦ طاول الرمحُ سيفَهْ فانثنى الرمح وانهزمْ
ولذا بات نادمــًا يقرعُ السنَّ من ندمْ

*

١٧ كانَّ خيولَ عسكرهِ رياحٌ اذا ما أعنقت يومًا وسارتْ
هي العقبان في كرٍّ وفرٍّ فلولا اللُّجم تمسكها لطارتْ

*

١٨ اضحى الزمان ينادي وليس حرفٌ وصوتُ
لا تنسَ في الدهرِ من لا ينساك وهو الموتُ

*

١٩ وعجبتُ من راياتهِ الحُمر التي شربتْ مرارًا من دم الاعداء
رفعت فجرَّت بحر جيشٍ خلفها وتولّعت بالنصب للاغراء

*

٢٠ اصبر لدائك يا اخي ودع القلاقة والضجرْ
فالله خالقنــا لديهِ م اشدُّ من هذا الخطرْ
واذا خشيتَ من العمى اصبحت ترضى بالعوَرْ

*

٢١ قد كاد يأكل نصلهُ سيفٌ تروعُ مقاتلهْ
« والنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكلهْ »

*

٢٢ مــذاكرةُ الالمعيّ الاريبِ حياة النفوس وموتُ الكُرَب
فجدَّ لتحصيلها واجتهــدْ فتلك مِسَنٌّ لسيف الأدبْ

*

٢٣ خذ درَّ ما في الكتب عن علّامةٍ سامي الهمم
فالحبرُ بحرٌ زاخرٌ والكتبُ اصداف الحِكَمْ

*

٢٤ على البرّ اجرى بحرَ جيشٍ عرمرمٍ اراناً عجيباً حــين ارغى وازبدا
جداولُ بيضٍ انبتت وردة الدما وعيدانُ سمرٍ اثمرت اروس العدى

*

٢٥ خير طِرْفٍ يسبق الطَّر ف وما ألطف لينَهْ
فهو بحرٌ في الفيــافي ورياحٌ وسفينهْ

*

٢٦ خفِ الصديق وان كا ن ألميًا وحُوًا
فالشمس تحييك نورًا وقد تميتك حَرًّا

*

٢٧ النفسُ جيّدُها كأبصر مقلةٍ وخبيثها كالمقلة العشواء
هذي تميل الى الضياء وهذه ما ميلها الّا الى الظلماء

*

٢٨ ان رمتَ نيل المعالي فأكرم الاخيارا
فليس يكبر الّا من صغَّر الدينارا

*

٢٩ لا تلحُ من يتشكّى انَّ التشكّي دواء
واوجع الضرب ما لا يكون فيه بكاء

*

٣٠ الفهم اسنى نعمةٍ في الفتى لانــهُ قاضٍ بلطف الطباع
دلَّ على عقل امرئٍ فهمهُ كما على الشمس يدلّ الشعاع

*

٣١ تبًّا لصورة دنيا شبيهةٌ بالخمره
من ذاق منها رآها مع اللذاذة مرّهْ
اياك والسكر منها وحسبك الموت سَكْرهْ

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما جاء في المشرق ٣ : ٧٧٢)

والكاتب الاديب كان في المقالة السابقة وصف الطور الثالث لتقلّب الشيعة الصابئيّة ودخول الآراء الفلسفية فيها . فاستتلي كلامهُ بقولهِ :

ألا ان هذه الفِرَق وان تعدَّدت شُعَبها وشِعابها واختلفت اسماؤُها والقابها فانها ترجع الى اربع فِرَق كبرى . وقد رأيتُ افضل متكلّمي الاشعريين سيف الدين ابا الحسن عليّ بن ابي علي الآمدي قد احسن تمييز هذه الفرق الاربع وفاق سائر كتبة العرب ومؤرخيهم في وصفها وإنعام النظر في تدقيق البحث عنها وذلك في كتابهِ الجليل المترجم « بكتاب ابكار الافكار » وهو غير مطبوع الى يومنا هذا وعزيز الوجود . ولهذا أُورد كلامهُ هنا بتمامهِ اولًا اثباتًا لدرر كلامهِ ومعرفة مقالهِ وثانيًا إقرارًا بفضلهِ وعلوّ مكان كمالهِ . قال ولله درُّهُ من قائل :

« الفرقة الاولى : « اصحاب الرُوحانيات » وقد يقال ذلك بالرفع (١ أخذًا من الرُوح وهو جوهرٌ . وقد يُقال بالنصب (٢ وهو حالة خاصَّة بهِ . وقد زعم هؤلاء ان اصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدَث (٣ وهو اجلّ واعلى من ان يُتوصَّل الى جلالهِ بالعبودية لهُ والخدمة من السفليّات وذوات الانفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات . وانّما يُتقرَّب اليهِ بالمتوسّطات بينهُ وبين السفليّات وهي امور روحانيَّة مقدسة عن الموادّ الجِرْمانيّة (٤ والقوى الجسمانية . والحركات المكانيَّة . والتغيّرات الزمانيَّة . في جوار ربّ العالمين . مجبولون على تقديسهِ وتمجيدهِ وتعظيمهِ دائمًا وسرمدًا . قالوا : وهم إلهتنا وارباننا ورسائلنا (٥ الى حاجاتنا . وبهم يُتقرَّب الى الله تعالى . وهي المُديرة للكواكب الفلكيَّة . والمدبّرة لها على التناسب المخصوص بحيث يتبعها انفعالات في العناصر السفليَّة وحركات بعضها الى بعض وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المُفضي الى التركُّب الموجب لتنوُّع المركَّبات الى أنواع المعادن والنبات

١) اي بضمّ الراء (رُوحانيَّات) ٢) أي بفتح الراء (رَوحانيَّات)
٣) قلتُ : وفي نسخةٍ الحدثان ٤) قلتُ : الجرمانية نسبةً الى الجِرْم
٥) وفي نسخةٍ : ووسائلنا بواو عوض الراء

والحيوانات وتصريف موجودات الاعيان من حالٍ الى حال ومن شانٍ الى شان الى غير ذلك من الآثار العلويَّة والسفليَّة. وزعموا انَّ الكواكب الفلكيَّة هي هياكل هذه الروحانيات (les éons) وان نسبة الروحانيَّات اليها في التقدير (١ لها والتدوير نسبة الأنفس الانسانيَّة الى ابدانها. وان لكل روحاني هيكلًا يخصُّهُ. ولكل هيكل فلكًا يكون فيهِ. وزعموا ان المعرّف لهم غارَميون (٢ وهَرمس اللذان هما اصل علم الهيئة وصناعة النجامة. وهَرْمس (٣ هو اوّل من قسَّم البروج ووضع اسماءها واسماء الكواكب السيَّارة ورتّبها في بيوتها وبيَّن الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل والتعديل واستقلَّ باستخراج اكثر الكواكب واحوالها وقيل ان غارميون هو شيث وهرمس هو ادريس عم (٤

« الفرقة الثانية: « اصحاب الهياكلُ » فانهم قالوا اذا كان لا بدَّ للانسان من متوسّط فلا بُدَّ من ان يكون ذلك المتوسّط ممَّا نشاهدهُ ونراهُ حتى نتقرَّب اليهِ. والروحانيَّات ليست كذلك فلا بدَّ من متوسّط بينها وبين الانسان. وأقرب ما اليها هياكلها فهي الآلهة والارباب المعبودة والله تعالى رب الارباب واليها التوسّل والتقرّب. فان التقرُّب اليها تقرُّبٌ الى الروحانيَّات التي هي كالارواح بالنسبة اليها. ولا جرم انهم دعوا الى عبادة الكواكب السبعة السيَّارة ثم اخذوا في تعريفها وتعريف احوالها بالنسبة الى طبائعها وبيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها ونسبتها الى الاماكن والازمان والليالي والساعات وما دونها الى غير ذلك. ثمَّ تقرّبوا الى كل هيكل وسألوهُ بما يناسبهُ من الدعوات فيما يناسبهُ من الاماكن والازمان واللباس الخاصّ بهِ والتختُّم بالخاتم المطبوع على صورتهِ. والهياكل عندهم احياء ناطقة بحياة الروحانيَّات التي هي ارواحها ومتصرّفة

١) وفي نسخةٍ: في التدبير

٢) وفي نسخةٍ آخرة: عاديمون. بعين في الاول عوضًا عن الغين المعجمة وبدالٍ عوضًا عن الراء. والاصح ان يقال اغاثاديمون. كما جاء في تاريخ الدول لابن العبري في الصفحة ١٢ من الطبعة الصالحانيَّة. وقد جاءت هذه الكلمة هكذا: عاذيمون بذالٍ معجمة في طبعة كتاب الملل والنحل للشهرستاني المطبوع على الحجر بالمطبعة العثمانية ص ١٥٢ وفي طبعة لندن ص ٢٠٢. اما اليوم فيسمّيهِ الصابئة دَيْمُون او دَيمانا (ܕܐܝܡܘܢܐ) ٣) ويسميهِ الصابئة الحاليون: هرمز (ܗܪܡܝܣ)

٤) قلتُ: ومذهب صابئة العراق في يومنا هذا هو مذهب هذه الفرقة بعينهِ لا ينقص عنهُ ذرَّة ولا يخالفهُ بشيء ولو كان زهيدًا

فيها . ومنهم من جعل هيكل الشمس ربّ الهياكل والارباب . وهذه الهياكل هي المدبرة لكل مـا في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكرهُ في تعريف مذهب الفريق الاول . وربّما احتجّوا على وجود هذه المدبّرات وانها احياء ناطقة بان حدوث الحوادث امّا ان يكون مستندًا الى حادثٍ او قديمٍ . ولا جائز ان يكون مستندًا الى حادث اذ الكلام فيهِ كالكلام في الاول والتسلسل والدَّوْر مُحالان فلم يبقَ الّا ان يكون مستندًا الى ما هو في نفسهِ قديم . وذلك القديم امّا ان يكون موجبًا بذاتهِ او بالاختيار . فان كان الاول فامّا ان يكون كل ما لا بدّ منهُ في ايجاد الحوادث متحققًا معهُ او انهُ متوقّف على تجدّد . فان كان الاوّل فيلزم قِدَم المعلول والقـدم علّتهُ وشرطهُ وهو محال . وان كان الثاني فالكلام في تجدُّد ذلك الامر كالكلام في الاول وهو تسلسلٌ . فلم يبقَ الّا ان يكون فاعلًا مختارًا وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار الّا الافلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها احياء ناطقة

« الفرقة الثالثة : « اصحاب الاشخاص » وهؤلاء زعموا انهُ اذا كان لا بدّ من متوسط مرئيّ فالكواكب وان كانت مرئيَّة الّا انهـا قد تُرى في وقتٍ دون وقت لطلوعها وافولها وظهورها وصفائها نهارًا . فدعت الحاجة الى وجود اشخاص مشاهدة نُصب اعيننا تكون لنا وسيلة الى الهياكل التي هي وسيلة الى الروحانيَّات التي هي وسيلة الى الله تعالى . فاتخـذوا لذلك اصنامًا مصورةً على صور الهياكل السبعة كل صنم من جسم مشاركٍ في طبيعتهِ لطبيعة ذلك الكوكب ودعوهُ وسألوهُ بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختُّم بما يناسبهُ والتخيُّر المناسب لهُ على حسب ما يفعـلهُ ارباب الهياكل الّا انها هي المعبودة على الحقيقة . وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الاصنام . ويُحتمل ان يكون اتخاذ الاصنام بالنسبة الى غير هذه الفرقة وتعظيمها لاتخاذها قِبلةً لعباداتهم . او لانها على صورة بعض من كان يُعتقَد فيهِ النبوَّة والولاية تعظيمًا لهُ . او لان قدماء ارباب الهياكل والاصنام وعلماءهم ركَّبوا طلاسم ووضعوها فيها وامروهم بتعظيمها لتبقى محفوظةً بها . والّا فاعتقاد الالهيَّة فيما اتخذوا صورًا من الاخشاب والاحجار وكونهُ خالقًا لمن صوَّرهُ ومبدعًا لما وجودهُ قبـل وجودهِ من العالم العلوي والسفليّ ممّا لا يستجيزهُ عقل عاقل . بل البداهة شاهدة بردّهِ وابطالهِ وان وقع ذلك معتقد البعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق لهُ من العوامّ منهم فلا يُلتفت اليهِ ولا معوَّل عليهِ

« الفرقة الرابعة: « الحلوليّة »(١ وهؤلاء زعموا انّ الإله المعبود واحد في ذاته وانهُ ابدع أجرام الافلاك وما فيها من الكواكب. وجعل الكواكب مدبّرًا لما في العالم السفلي. فالكواكب آباءٌ أحياء ناطقة والعناصر أُمهات. وما تؤديهِ الآباء من الآثار الى الامهات تقبلها بارحامها فتحصل من ذلك المواليد وهي المركّبات. والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخّص باشخاصها من غير تعدُّد في ذاتهِ وقد يظهر ايضًا في الاشخاص الارضيّة الخيّرة الفاضلة. وهي ما كان من المواليد وقد يتركّب من صفو العناصر دون كدرها. واختصَّ بالمزاج القابل الظهور الرب تعالى فيهِ امّا ذاتهُ واماً صفة من صفات ذاتهِ على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص. وزعموا انّ الله يتعالى عن خلق الشرور والقبائح والاشياء الخسيسة الدنيّة كالحشرات الارضيّة ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادةً ونحوسةً واجتماعات العناصر صفوةً وكدورةً. وزعموا ايضًا انهُ على رأس ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا الى ما لا يتناهى. وان الثواب والعقاب على افعال الخير والشرّ كل دور واقع لكن في الدور الذي بعدهُ في هذه الدار لا في غيرها

والصابئة على اختلافهم في المبادئ متفقون على وجوب ثلاث صلوات لهم والاغتسال من الجنابة ومسّ الميت وعلى تحريم لحم الخنزير والكلب والجزور وما لهُ مخلبٌ من الطير والسكر. وامروا بالنكاح بوليّ وشهود ونهوا عن الجمع بين امرأتين (٢ وعن الطلاق ألّا بحكم حاكم شرعيّ. الى كثير من الاحكام المشروعة في شرعنا هذا » اه كلام سيف الدين الآمديّ

وقد ذكر ابن خلدون هذه الفِرَق بعبارةٍ اخرى قال:

« ان الصابئة هم القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضيّة وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة. وتولّدت من مذاهبهم الحكمة الملطيّة. ومنهم أصحاب الروحانيّات وهم عبّاد الكواكب واصنامهم التي عُملت على تمثالها. امّا الحنفاء فهم

١) كذا في النسخة التي بيدي. وسماها ابن بطوطة بالحرّانيّة. وهو عندي اصحّ. وسماها الشهرستاني الحِزبانيّة وهو تصحيفٌ ظاهر مرغوب عنهُ. وزاد قائلًا: والحزبانية ينسبون مقالتهم الى عاذيمون وهرمس وأعيانا (كذا والاصح على ما نعلمهُ من كتبهم الحالية أنانا ܐܢܐܢܐ) واواذى (كذا والاصح اواثر) اربعة من الانبياء

٢) قلت هذا غير صحيح

القائلون بانّ الروحانيات منها ما وجودها بالقوّة ومنها ما وجودها بالفعل. فما هو بالقوّة يحتاج الى ما يوجده بالفعل ويقرّون بنبوة ابرهيم وانهُ منهم وهم طوائف منها: الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح. ومن قولهِ ان الحق بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابرهيم. ومنها: البيدانية اصحاب بيدان الاصغر. ومن قولهِ اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وان النبوة من اسرار الالهية. ومنها: القنطارية اصحاب قنطار (والاصح قينانية اصحاب قينان) بن ارفكشاد ويقرّ بنبوة نوح. ومنها: اصحاب الهياكل ويرون الشمس إله كلّ اله. والحرّانية. ومن قولهم: المعبود واحدٌ بالذات وكثير بالاشخاص في رأي العيان وهي المدبّرات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية الخيّرة العالمة الفاضلة» اه

وبين اسماء هذه الفرق واسماء الفرق التي ذكرها سيف الدين الآمدي بونٌ بعيد بيّن غير ان الفرق التي ذكرها هذا العلامة الاخير هي اصحّ لانها تنطبق على حقائق راهنة ومذاهب ذكرها اغلب المؤرخين والعلماء

٤ً طور ادخال آراء نصرانيّة فيها او الطور الاخير

بقي الصابئة دهرًا طويلًا ذاهبين مذاهب الفلاسفة العظام. خابطين فيها ولا خبط عشواء في حالك الظلام. حتى انتُضي نصل الصباح الانجيليّ. وبرز جبين المصباح الجليلي. بعد ان سبقتهُ تباشيرهُ بقليل من الزمان. بشخص الوليّ الاعظم يوحنّا المعمدان. الذي نفذت كلمتهُ في القوم. اذ لم يُرَ مثلهُ الى ذلك اليوم. لا بل وان السيد المسيح. طلب منهُ العماد بكلام جلي فصيح. فرأى البعض في ذلك علوّ منزلة الحَصُور. فوق منزلة المسيح الطاهر الطهور. وقد حاول الصابغ مراتٍ كثيرة. صدّ تلامذتهِ عن هذه الاوهام الكبيرة. فكأنهُ كان يضرب في حديد بارد. او يُوردهم شرّ الموارد. فلجأ الى وسيلة ظنّ انها تكون الضربة القاضية. وانها تفعل فيهم فعل السيوف الماضية. وذلك انهُ «ارسل اثنين من تلامذتهِ يقولون لهُ: أأنت الآتي ام ننتظر آخر» (متى ١١: ٣) وكما اننا نعلم العلم اليقين ان يوحنا لم يشكّ ساعةً بالوهيّة المسيح وبعثتهِ لفداء العالم. لم تكن اذن الغاية من هذا الاستفسار والاستخبار الّا تهذيب عقول تلامذتهِ الذين لم تنجع فيهم اساليب الكلام فأراد بهذه الواسطة ان يُري لبعض من تلامذتهِ الشاكّين المرتابين ان اعمال المسيح التي يراها الشاهدان رأي العيان انما هي آيٌ لا يأتيها الّا من كان نبيًّا عظيم الشأن او إلهًا حقيقيًّا لهُ ملء السلطان. على عناصر الارض والاكوان. واننا لا نشك في ان كثيرين من هؤلاء التلامذة المُتتلمذين ليوحنّا المعمدان بقوا على عماهم وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وانضمّوا بعد ذلك الى بعض المتشدّقين

المتفلسفين الذين أرادوا ان يجمعوا بين مخترعات ومبتدعات مخيَّلتهم وبين التعاليم الصحيحة وانتحلوا لهم اسم « مَنداني دْيَهيي » اي تَبَعة يحيي

وذلك انهُ لمَّا صعد المسيح الى السماء واخذ رسلهُ يبشرون بالانجيل قام وقتئذٍ واحد ممَّن آمن بابن الله واعتمد على ايدي الرسل واسمهُ سيمون ينشر وباء تعاليم فاسدة لان الحواريين لم يعطوهُ ذلك الذي ينال بهِ الانسان حلول الروح القدس على من توضع عليهِ ايدي المزوَّد بتلك القوَّة (راجع اعمال الرسل في الفصل الثامن) وكان من امرهِ انهُ فيما بعد ذلك غدا رأساً للشيعة المقوتة التي سُمّيت بعد زمانٍ باسم« الأدرية » (gnostiques). ثم جاء بعدهُ من حذا حذوهُ واقتفى اثرهُ من مثل كَرْبُكراس وباسيليد وڤالنتين وساتُرنين الانطاكي ومَيْندَر السامريّ فطبَقت مذاهبهم الشرق كلهُ واندفع وراءهم تلامذة يوحنَّا الضالُّون وادخلوا في معتقدهم شيئاً كثيرًا من آراء الأدريين واقوالهم الدينيَّة وسُننهم واحكامهم حتى أصبحوا ادريّين حقيقيين لا غير كما تشهد بذلك كتبهم الدينيَّة الحاليَّة. وكما ينطق بهذه الحقيقة الراهنة معنى اسمهم الحقيقي بلسانهم وهو « مَندايا » الذي معناهُ: « أدريُّون » كما سنثبتهُ في موضعهِ فيما يلي. وهو امر لم ينتبه اليهِ حتى الساعة علماء الافرنج وحكماء الشرق والكتبة عن الملل والنحل

وانما هؤُلاء التلامذة وقعوا في مهواة هذه المغواة لان ذلك من نتيجة اصحاب الضلال فانهم يتشبَّثون بكل بدعةٍ جديدة طلباً للحق الذي يشعرون بخلوّهم منهُ فتتعدَّد بينهم الاقاويل وتكثر فيهم الاضاليل ولا يمكنهم التثبُّت في صراط واحد لانَّ مثل هذا هو من خواصّ الحقيقة التي لا تكون الَّا واحدة ثابتة غير متزعزعة. ولهذا قام بينهم مُصلحون كثيرون وائمَّة عديدون حتى ازدادت بعد ذلك تلك الفرق ولم يكن من الممكن حصرها اذ كل واحدة تدَّعي بالحقّ والحقّ بريءٌ منها

هذا وكما ان في ديانة الادريين شيئاً كثيرًا من ديانة النصارى ظنَّ بعضهم انهم فرقة منهم حتى انهم سمَّوهم بنصارى يوحنا المعمدان (Chrétiens de St. Jean-Baptiste) لكن هذا خطأ وزلل لا بل خطَل جلَل ركب متنَهُ الافرنج ولم يقل بهِ احدٌ من ابناء الشرق الَّا باستنادهم على أقوال ابناء الغرب او نقلًا عنهم. وهذه التسمية لا تليق بهم ولا تحسن ولا هم ينتحلونها لنفسهم لانَّ « المسيحي » من آمن « بإلهيَّة المسيح لا بنبوتهِ » والحال ان المندائيين لا يؤْمنون لا بلاهوتهِ ولا بنبوتهِ ان استقرينا ديانتهم

في كتبهم الدينيّة. فكيف تجوَّز للبعض تسميتهم بالنصارى. اللهمَّ الّا أن يُقال انّما سمّاهم البعض بالنصارى لان اصل الادريين من النصارى فيكون ذلك حينئذٍ من باب تسمية الشيء باسم ما كان عليهِ في اصلهِ. قلنا: ان هذا التأويل وان كان جائزًا وجاريًا في الكلم اللغويَّة الّا انهُ لا يجوز في المصطلحات الدينيَّة اذ في مثل هذه الامور يجب التدقيق التـام والتحقيق الكامل. والّا اختلط الحابل بالنابل. ولم يُعرف العاقل من الجاهل. والمتديّن بدين الحقّ الصادع. من المتديّن الكاذب المموَّه بالظواهر الخوادع

هذا ونقف عند هذا الحدّ من الاطوار العظام. وهو الطور الاخير الذي انتهت اليهِ الصابئة في أُخريات الأيام. وفي ما نوردهُ بعـد ذلك من الكلام. امور تثبت ما اسلفناهُ من تعريف هذه الفرق او هذه الاقسام. ومن الله التوفيق الى سواء سبيل المرام

(ستأتي البقيَّة)

وصف الصين للقلقشندي

نبذةٌ تولى نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي

عثرنا في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي على نبذة في وصف مملكة الصين فاحببنا اثباتها هنا بنسبة الحوادث التي تجري اليوم في الشرق الاقصى. وجلُّ ما يُستفاد من هذه القطعة انّها تعرّفنا احوال الصين في بداية القرن الخامس عشر وقد ضمّنها المؤلف خلاصة ما وجدهُ في بعض كتب البلدان التي اشتهرت في زمانهِ واخذت قسمًا منهـا يدُ الضياع. امّا القلقشندي فقد مرَّ ذكرهُ في المشرق غير مرَّةٍ (٣: ٣١٠ و٤: ١٤) فلا حاجة للتكرار

مملكة القان (١) الاكبر

قال في التعريف (٢): وهو اكبر الثلاثة يعني ملوك الاقسام الثلاثة المتقدّمة الذكر (٣)

١) القان ملك التتار ويقال لهُ ايضًا الخان. وجاء في ابن العبري قاان بالفين هاويتين

٢) هو كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» للقاضي شهاب الدين ابي العبّاس احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري الدمشقي مولدًا وهو كتاب واسع ضمّنهُ مراسم الملك وما يتعلّق بهِ. وفي المكتبة الخديوية (٤: ١٢٩) منهُ نسخة. توفي مؤلفهُ في مصر سنة ٧٠٠ (١٣٠٠م)

٣) قسم القلقشنديّ مملكة توران الى ثلاثة اقسام كما في كتاب التعريف يشمل القسم الاول غزنة وبخارى وماوراء النهر والقسم الثاني بلاد خوارزم والقبجاق والقسم الثالث الصين والخطا ودعاه مملكة القان الاكبر

وهو صاحب الصين والخطا (١ ووارث تخت جنكزخان (٢. قال: وقد تواترت الاخبار بانهُ اسلم ودان بدين الاسلام ورقم كلمة التوحيد على ذوائب الاعلام. قال: وان صحّ وهو المؤمّل (٣ فقد ملأت الأمّة المحمديّة الخافقين وعمّرت المشرق والمغرب وامتدّت بين ضفتيّ البحر المحيط. قال في مسالك الابصار (٤: وهو القائم مقام جنكزخان (٥ والجالس على تختهِ. قال: وهو الخليفة على بني عمهِ من بقيّة ملوك توران من مملكة ايران وصاحب القبجاق وصاحب ما وراء النهر فاذا تجدّد في مملكة احد منهم مهمّ كبير مثل لقاء عسكر او قتل امير كبير بذنب او ما يناسب ذلك ارسل اليهِ واعلمهُ بهِ وان كان لا افتقار الى استئذانهِ ولكنّها عادة مرعيّة بينهم. وقد ذكر في مسالك الابصار عن نظام الدين بن الحكيم الطياري: انهُ لم يزل يكتب الى كل من القانات الثلاثة يأمرهم بالاتحاد والالفة واذا كتب اليهم بدأ باسمهِ قبلهم وان كتبوا اليهِ بدأوا باسمهِ قبلهم. قال: وكلهم مذعنون لهُ بالتقدّم عليهم. قال في مسالك الابصار: واهل هذه المملكة هم اهل الاعمال اللطيفة والصنائع البديعة التي سلّمت اليهم بها الامم وقد كُتبت الكتب عن احوالهم بما اغنى عن ذكرهِ. قال: ومن عادة المجيدين في الصنائع انهم اذا عملوا عملًا بديعًا حملوهُ الى باب الملك وعُلّق عليهِ ليراهُ الناس ويبقى سنة فان سَلِمَ من عائب اسدى الى صاحبهِ الاحسان وان عِيب عليهِ وتوجّه العيب وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب الى من عابهُ

وقد حكى المسعودى في مروج الذهب (٦ ان صانعًا صوّر عصفورًا على سنبلة في نقش ثوب كخا وعلّقهُ فاستحسنهُ كل من رآهُ حتى مرّ بهِ رجل فعابهُ باستقامة السنبلة لان العصفور من شأنهِ اذا وضع على السنبلة امالها. وحكى في مسالك الابصار عن بدر

١) سيأتي ذكر الخطا قريبًا

٢) فتح الصين قوبلاي حفيد جنكزخان سنة ١٢٦٠ م وبهِ ابتدأت عندهم الدولة المنغولية المعروفة بدولة يوان التي ملكت الى سنة ١٣٦٨

٣) لم يتحقّق هذا الامل فان امراء المغول في الصين مع ميلهم الى الاسلام تبعوا ديانة الصين القديمة

٤) مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار تأليفٌ وضعهُ ابن فضل الله الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ (١٣٤٨ م) في عشرين مجلدًا

٥) جنكز خان هو الفاتح الكبير الذي انشأ دولة المغول فتوفي سنة ١٢٢٧. راجع اخبارهُ في كتاب تاريخ الدول لابن العبري (ص ٢٩٥–٤٣٨)

٦) راجع ايضًا مجاني الادب ١: ١٣٦

الدين حسن الاسعردي ان بعض صنّاعهم عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكمخاوات الخطائية لا يشكّ فيها شاكّ ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منهُ. وحُكي عن الشريف حسن السمرقندي(١ انهُ كان بهذه البلاد فشكى ضرسهُ فاراهُ لرجل من الخطا فوضع يدهُ عليهِ فاخرج منهُ قطعة متأكِّلة ووضع مكانها قطعة من ضرس اجنبيّ ودهنهُ بدهن وامره ان لا يشرب ماء يومهُ فالتصق حتى صار كأنّهُ من اصل الخلقة الّا انّ لون الاول بيّن من لون الثاني. وذكر المقرّ الشهابيّ(٢ انهُ رآهُ لهُ بحضرة الشيخ شمس الدين الاصفهاني وجماعة من اهل العلم. قال بدر الدين حسن الاسعردى: ولقد رأيت منهم من هذه الاعمال ما يحار فيهِ العقل ويحصل الغرض منهُ في خمس جُمل

الجملة الاولى

فيما اشتملت عليهِ هذه المملكة من الاقاليم

واعلم ان هذه المملكة هي اوسع ممالك بني جنكزخان وافسحها جوانب واكثرها اقاليم واوفرها مدنًا غير انّها بعيدة المسافة منقطعة الاخبار فلذلك جُهلت اسماء اقاليمها وتعذرت الاحاطة باقطارها ونحن نورد منها ما شاع ذكرهُ في الآفاق وانتشر ونقنع من التفصيل بالجملة ونكتفي من البحر بالنُّغبة . والقول الجملي في ذلك انهُ يشتمل على اقليمين عظيمين

الاقليم الاول: الصين

قال في تقويم البلدان: وبهِ من جهة الغرب المفاوز التي بينهُ وبين الهند ويحيط بهِ من جهة الجنوب البحر يعني بحر الهند (٣ ويحيط بهِ من جهة الشرق البحر المحيط ويحيط بهِ من جهة الشمال ارض يأجوج ومأجوج وغيرها من الاراضي المنقطعة الاخبار عنّا. ثمّ قال: وقد ذكر اصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادًا كثيرة ومواضع وانهارًا وغيرها في اقليم الصين ولم يقع لنا ضبط اسمائها ولا حقيق احوالها فصارت كالمجهولة لنا لعدم مَن يصل من تلك النواحي من المسافرين الينا لنستعلم منهُ اخبارها فاضربنا عن

١) هو الشريف تاج الدين حسن بن جلال السمرقندي الوارد ذكرهُ آنفًا

٢) هو شهاب الدين صاحب التعريف الذي مر ذكرهُ (ص ٤٠٦)

٣) هذا باعتبار الهند الصينية قسماً من دولة الصين. وكلّ هذا الوصف نقلهُ المؤلف من تقويم البلدان لابي الفداء

ذكرها . وقد ذكر في مسالك الابصار عن الشريف تاج الدين حسن بن الجمال السمرقندي وهو من السفّار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجال بلادهُ وجاب آفاقهُ وجاس خلالهُ وجال في اقطارهِ انّ بالصين الف مدينة وانهُ دارَ الكبير منها قال: وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلدٍ الى بلد ومن قرية الى قرية

وقاعدة هذه المملكة (خَانْ بَالِق (١)) قال في تقويم البلدان: هي مدينة من اقاصي الشرق عند بلاد الخطا واقعة في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد: حيث الطول مائــة واربع عشرة درجة والعرض خمس وثلثون درجة وخمس وعشرون دقيقة وهي قاعدة مشهورة على ألسنة التجــار واهلها من جنس الخطا وعندهم معادن الفضّة . قال ابن سعيد: ويُذكر عن عظم هذه المدينة ما يستبعدهُ العقل . قال في مسالك الابصار نقــلًا عن الشريف حسن بن الجمال السمرقندي: ان مدينة خان بالق المذكورة مدينتان (٢ قديمة وجديدة . والجديدة منهما اسمها ديدو بناها ديدو آخر ملوكها فسمّيت باسمهِ والقان الكبير ينزل بوسطها في قصر عظيم يسمّى كوك طاق (٣ ومعناهُ بلغة المغل القصر الاخضر لان الطاق معناهُ عندهم القصر وكوك معناهُ الاخضر ومنازل الامراء حولهُ خارج القصر . قال: وهي مدينة طيبة واسعة الاقوات رخيَّة الاسعار ويجمد بها الماء في زمن الشتاء فيصير كالثلج فيُرفع الى ايَّام الصيف حتى يبرَّد بهِ الماء كما يُبرَّد بالثلج ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر (٤ وبها انواع الفواكه الّا العنب فانهُ قليل بها وليس بها نارنج ولا ليمون زيتون ثم يعمل بها السكّر وبها من انواع الزرع والجمال والخيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الاحصاء وبالصين مدن مشهورة سواها

منها (قَراقُوم (٥) هي مدينة في اقاصي بلاد الترك الشرقيّـــة ومعنى قراقُوم باللغــة التركية الرمل الاسود لان قرا في لغتهم بمعنى الاسود وقوم بمعنى الرمل . ويقع في

---

١) خان بالق من اسماء مدينة پاكين (راجع المشرق ٣ : ٧٤٥)

٢) پاكين الى يومنا هذا تقسم الى مدينتين المدينة التتارية او المغوليَّة والمدينة الصينية

٣) هذا القصر موقعهُ في وسط المدينة التتارية قد وصفهُ ابن بطوطة في رحلتهِ (٤ : ٢٩٧)

٤) والصواب انَّ الذي يشق المدينة ليس نهر بل ترعة كبيرة

٥) ويقال قراقرم ايضًا (ابن بطوطة ٤ : ٣٠٢) . وعلى هــذه الصورة اوردها الجغرافيون الاوربيُّون (راجع جغرافيَّة روكلو Reclus : *Nouvelle geog. universelle* VII 284

كثير من الكتب قراقُرم بابدال الواو راء وهو خطاء واتّما كتبت الواو بها بعد القاف دليلًا على الضمّة على عادتهم في ذلك وموقعها في الاقليم الثـالث من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول مائة وست وخمسون درجة والعرض خمس وثلثون درجة وخمس وعشرون دقيقة. قال: وهي كانت قاعدة التتر وفي جهاتها بلاد المغل وهم خالصة التتر ومنها خاناتهم. قال الشريف حسن بن الجمال السمرقندي: وفيها غالب عساكر القان الكبير وبها يعمل القماش الفاخر والصنائع الفائقة وغالب ما يحتاج اليهِ القان يستدعى منها لانها دار استعمال واهلها اهل صنائع فائقة. قال في مسالك الابصار: وهي قرية جنكزخان التي اخرجتهُ وعرّيستهُ التي ادرجتهُ

ومنها «الخنسا» (١) قال في تقويم البلدان: هي مدينة واقعة في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة. قال في تقويم البـلدان: حيث الطول مائة وخمس وستون درجة واربعون دقيقة والعرض ثمان وعشرون درجة وثلثون دقيقة. قال: وعن بعض المسافرين من بلادنا ان الخنسا في هذا الزمان اعظم فُرَض الصين واليهـا ينتهي وصول التجّار المسافرين من بلادنا. قال الشريف السمرقندي وطول الخنسا يوم كامل (١ وعرضها نصف يوم وفي وسطها سوق واحد ممتـدّ من اولها الى آخرها واسواقها مبلّطة بالبلاط وبناؤها خمس طبقات بعضها فوق بعض وكلها مبنيَّة بالاخشاب والمسامير. وشرب اهلها من الآبار واهلهـا في قشف عظيم وغالب اكلهم لحوم الجاموس والاوز والدجاج. وفيها الارزّ والموز وقصب السكّر والليمون وقليل من الرمان واسعارها متوسّطة ويجلب اليها الغنم والقمح على قلة ولا يوجد فيها من الخيل الّا ما قلّت عند اعيانها وامّا الجمال فلا توجد فيها البتة فان دخلها جمل تعجّبوا منهُ ونقل في مسالك الابصار ان بينها وبين جالق (كذا) بالق اربعين يوماً. وحُكي عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادي انهُ

١) هي مدينة هانغ تشيو (راجع المشرق ٣: ٨٤٦). ودعاها ابو الفداء في تقويم البلدان: خانقو. قال (ص ٣٦٣): خانقو المعروفة في زماننا بالخنساء

٢) وقد زاد ابن بطوطة على هذا الوصف فجعل (٤: ٢٨٤) طول هذه المدينة مسيرة ثلاثة ايام. وكذلك الرحّالة ماركو پاولو (١٢٥٣–١٣٢٣) استرسل في وصف هذه المدينة وهو يدعوها كنساي (Quinsay) ويذكر إن لها ١٦٠٠٠٠ بيت و ٣٠٠٠ حمّام و ١٢٠٠٠ جسر من حجر يقوم على حراسة كلّ جسر عشرة رجال فهذا الوصف مع ما فيهِ من الغلو يدل على خطر المدينة وعظم شأنها ودائرتها اليوم تبلغ ٢٠ كيلومتراً

وصل الى الخنساء. ووصف عظمة بنائها ومنعة رفعة مدينتها مع تشخُّط الاقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص الدقيق الجيد فيها وفي جميع تلك البلاد. قال: واهلها يتفاخرون بكثرة الجواري والسراري حتى انهُ ليوجد لاحد التجار واحاد الناس اربعون سرّيّة فما زاد على ذلك

ومنها « الزيتون(١) » قال في تقويم البلدان عن بعض المسافرين الثقات: هي بلفظة الزيتون الذي يُعصر منهُ الزيت وهي فُرضة من فُرَض الصين موقعها في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول مائة واربع عشرة درجة والعرض سبع عشرة. درجة قال: وهي مدينة مشهورة على السنة التجار المسافرين الى تلك البلاد وهي على خور من البحر والمراكب تدخل اليها من بحر الصين في الخور المذكور وقدرهُ نحو خمسة عشر ميلًا ولها نهر عند رأس الخور المذكور. وذكر في مسالك الابصار عن الشريف السمرقندي ان مدينة الزيتون على البحر المحيط وهي آخر العمارة. قال: وبينها وبين جالق بالق شهر واحد (التتمَّة لعدد آخر)

تدبير الصحَّة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

آثار بيروت الجويَّة

بردها

اذا ما سمعنا اهل الجبل يشكون في بيروت تباريخ بردها الشتويّ ويؤكدون انَّ لقرّها نفحاتٍ لا يشعرون بمثلها في قراهم ربَّما حملنا قولهم على الغلوّ والمبالغة مع انهُ لا يخلو من صحَّة لانَّ البرد في مواطنهم الجبليَّة يكون في الغالب ناشفًا لا ينفذ مسامّ البدن كبرد بيروت المشبَع رطوبة. وعلاوةً على ذلك ترى البيوت في لبنان مجهَّزة بالمواقد فيتقي الاهلون كَلَب الشتاء بالاصطلاء بالنار. امَّا بيروت فما دأب سكَّانها سوى ان يزخرفوا بيوتهم فتراهم يبتاعون من الأثاث والرياش ما ليس تحتهُ كبير امر فيجعلون منازلهم كمتحف يعرضون فيهِ عدَّة ادوات من آنيةٍ واصداف وتصاوير الى غير ذلك ممَّا يعدُّهُ اصحاب الذوق بهرجةً نافلة. وكان الاحرى بهم ان يفضّلوا في تجهيز

١) هي مدينة تسوتْنغ (راجع المشرق ٣: ٧٤٥)

البيوت ما يؤول الى امر الصحَّة كتدفئة المسكن مثلًا . وبهذا يحسنون الاقتداء بالفرنج الذين يقدمون في تأثيث دورهم ما فيهِ راحة البدن على اسباب الزخوف

واني ارى تدفئة البيوت في بيروت من الامور الضروريَّة لاتقاء الرطوبة الزائدة التي تحدث في هذه المدينة ولعلَّ هذه الواسطة احسن طريقة لإزالة النزلات الصدريَّة والزكام كما سنبيّن ذلك في كلامنا عن المساكن . والأولى ان تختار لذلك موقدةً (cheminée) تكون على شكل حاملة (console) فتفيد الصحَّة وزينة البيت معاً

ربيع بيروت طيّب والسماء في هذا الفصل صافية الاديم اللهمَّ إلَّم يتعدَّ الشتاء طورهُ ويجرّ ذيلهُ الى شهر ايار فيتكدَّر اذ ذاك صفو الربيع وهذا من نوادر الامور . وفي هذا الفصل تهبّ السموم او الريح الشرقيَّة التي يدعوها العامَّة « بالشلوق » وهي تدوم ايَّاماً وفي ابَّان هبوبها يصعد ميزان الحرارة حتى يبلغ ٣٠° الى ٣٣° الَّا انَّ الرطوبة تجفّ وتتنذر فتهبط الى الدرجة ٣٥° و ٤٠° اي نحو نصف درجاتها العاديَّة وكذلك يسقط البارومتر الى الدرجة ٧٤٥° . ولفحات السموم في بيروت اخفّ وطأةً منها في الجبل لرطوبة الهواء في جوار البحر

امَّا الخريف فالغالب عليهِ الحرّ الى ١٤ ايلول . وهو تاريخ يألفهُ الجميع لانقلاب الهواء فيهِ . وفي ذلك الوقت تُجاد الارض بالوسميّ اى المطر الاوَّل ثمَّ يكرّ الحرّ ثانية فلا يتلطَّف لظاهُ حتى يهطل الوليّ في اواسط تشرين الاوَّل . واذا كانت اواسط تشرين الثاني نزل المطر وابلًا ضخم القطر شديد الوقوع فيدوم الى اواخر شباط بفترات معلومة . وفي غضون ذلك ينفح القرّ ويشتدّ البرد

امَّا حرارة الصيف فقلَّما تتجاوز الدرجة ٣١° او ٣٣° الَا انها ثقيلة الوطأة لدوامها على ميزان واحد بالتقريب في شهر تموز وآب وايلول وتشرين وخصوصاً لاستواء درجة الحرارة في الليل والنهار فلا يكاد الفرق بين اعلى درجة الحرارة عند العصر واسفلها عند الفجر يتجاوز درجتين . فتوالي الحرارة على معدَّل واحد وكثرة الرطوبة الجويَّة التي تُندي الجسم بالعرق يضعفان البنية ويورثان البدن فقر الدم المعروف بأنيميا البلاد الحارَّة . وتحدث من جرَّاء ذلك بثور جلديَّة متنوّعة ويضطرب الجهازان الهضميّ والعصبي ويغلب الارق على النائم ويفقد المرء شهوة الطعام وذلك ممَّا يزيد الدم فقراً والانيميا قوَّةً

فحالة الهواء هذه هي التي تضطرّ اهل بيروت الى الفرار من وَقَدات حرّ السواحل للاصطياف في قرى لبنان الممتازة بطراوة جوّها وجودة هوائها وجميل مناظرها فضلًا عن انَّ كل بلدة تختصّ بمزيَّة معلومة توافق الامزجة على اختلافها. وبهذه النسبة نقترح على زملائنا الاطبَّاء القاطنين في انحاء لبنان الخوض في هذا الموضوع فيصف كلٌّ منهم ما خصَّ الله بهِ ناحيتهُ من المزايا ويرصدها رصدًا علميًّا مدقَّقًا مع بيان خواصّها الصحيَّة ليكون اهل المدن على بصيرة ويوجّه اطبَّاء بيروت عيالها الى الجهات التي يرونها افضل وانسب لامزجتهم

الرياح

يؤْخذ من رصد هبوب الرياح في بيروت انَّ للريح الغربيَّة فيها السهم المعلّى فانَّها غالبة عليها بنسبة الخمسين بالمائة. واكثر هذه الارياح هبوبًا نكباء الغرب والجنوب ثمَّ الدبور او الريح الغربيَّة ثمَّ نكباء الغرب والشمال امَّا بقيَّة الرياح فهبوبها يكون على الترتيب الآتي: الريح الجنوبيَّة فالشماليَّة فنكباء الشرق والشمال فالشرقيَّة وهي اقلّها هبوبًا. وهذا جدول يبيّن حالة الرياح وتواتر هبوبها. وهو نتيجة ٤٠٤٦ رصدًا اجراها اصحاب الخبرة في مدَّة اربع سنوات صباحًا وظهرًا ومساء

نكباء الجنوب	١٠٩٢	نكباء الشمال والغرب	٣٠٣
الدبور او الريح الغربية	٩٣٧	نكباء الشمال والشرق	١٩٤
الريح الجنوبية	٨١٦	الصبا او الشرقية	١١٢
الريح الشمالية	٥٩٢		

وهذه الرياح مع اختلاف مهبّها تكون في الغالب ليِّنة رخاء. واذا اشتدَّت قلَّما تكون عاصفةً. وان كانت الريح نافجةً فتنذر اذ ذاك بهطل الامطار الدرارة

ومن معرفة طبائع الرياح ومهابّها يمكن الوقوف على بعض القوانين الصحيَّة التي اهتدى الاهلون الى شيء منها بالسليقة الواقية منها. جعلهم المطابخ والمراحيض في الجهة الشرقية لئلا تنبعث روائحها الكريهة الى داخل المسكن لو وُضعت في جهة الغرب حيث تتغلَّب الريح الغربيَّة على سواها

واذ تقرَّر ذلك يتحتَّم على السكَّان ان يطلوا الجهة الغربيَّة من منازلهم بشيد يمنع الرطوبة او برواق يقي الحيطان من الامطار التي تأتي بها الريح الغربيَّة. ولهذه العلَّة ايضًا يحسن بالبلديَّة ان تغرس الاشجار في رمال رأس بيروت وتحوّل كثبان

الرمل فيها الى غابات تروق العين وتلطف أُوار الحرارة التي تحملها الريح بروردها على تلك الناحية حتى اذا بلغت البلدة رطّبت الابدان دون ان تثير في الجوّ الهبوات والغبار. ولذلك يترتَّب على الاهلين الّا يطرحوا نفاياتهم ويلقوا الاقذار على تلك الكثبان لانَّ رائحتها تنتشر في المدينة بهبوب الريح الغربيَّة عليها

امَّا الريح الشماليَّة فهي التي تُعرف في بيروت بالسماويَّة ولعلَّهم دعوها بذلك لصفاء السماء عند طلوعها . واكثر ما تهبّ هذه الريح في فصل الشتاء وهي مشهورة بأذاها والحقّ يقال انهُ في ايَّام نفحاتها تحصل النزلات على اختلافها كزكام الانف والحنجرة وشعب الرئة وغيرها . والسبب في ذلك اجتماع الرطوبة والبرودة فيها واذا هطل معها المطر دفعتهُ الى داخل البيوت من خلال الواجهات المطلَّة على البحر شمالًا

(ستأتي البقية)

شجرة القشطة

لجناب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر

القشطة احدى الاشجار المثمرة التي اتحفنا بها العالم الجديد اصلها من جبال الأند في اميركا الشماليَّة . وهي تُعرف بلسان العلم باسم انونا (anona cheirimolia) والفرنج يدعون شجرتها « anonier » او arbre à crême فعرّبها اهل بلادنا بشجرة القَشطة وكان اوّل دخولها في برّ الشام في القرن السابق غرسها المرحوم عبد الله باشا اولًا في بستانهِ المعروف بقصر البهجة قرب عكّا نحو سنة ١٨٣٠ ولعلَّهُ نقلها من مصر . ثم غرسها في بيروت الخواجا الياس منسَّى حيث تشيَّدت الآن كنيسة السيدة للروم الاورثذكس . وفي سنة ١٨٥٧ اتى الدكتور ابراهيم بك النجَّار بفسيلتَين من القشطة من مصر فغرس احداهما في جنينتهِ قرب كنيسة مار مارون واهدى الثانية جدّنا المرحوم بطرس اصفر فانتشرت من ثمَّ حبوب الشجرة واغراسها حتى شاعت في سواحل الشام

لشجرة القشطة ثمرة مستديرة الشكل مخروطة الرأس كالصنوبر وحجمها في حجم الليمونة الكبرى يبلغ وزنها ٥٠٠ غرام وازيد وقشرتها خضراء ذات تقاطيع وفلوس

جميلة تحتها مادَّة بيضاء قشطيَّة ممسَّكة طيّبة الذوق لذيذة الطعم . ضمنهـا غالباً بزرٌ كثير شديد السواد

وشجرة القشطة معتدلة الطول لها اغصان متدلّية وتربنها اوراق كبيرة تامّة بهيَّة الخضرة تضرب الى البياض في اسفلها . امَّا إنماء هذه الشجرة فبأن يُزرع بزرها في شباط من ١٥ منهُ الى آخر آذار فيذرّ في نيسان و يزكو . فان كانت الفسائل قليلة يمكن زرعها في التربة المعدَّة لها او تجعل في قحوف خزفيَّـة . امَّا اذا وضعتها في مغارس فلا بدَّ ان تُبعد كلُّ حبَّة عن اختها نحو ٣٠ سنتيمترًا وفي الربيع تُنقل الفسائل الى اماكنهـا والأولى ان يكون نقلها الى مغارس فسيحة رحبة . امَّا الاغراس التي مرَّ على نباتهـا سنتان فتُنقل في الربيع الى اماكنها مع المَدَرة المحيطة بها

واعلم انَّ الاغراس النابتـة من الحبوب تأتي باثمار طيبة الَّا ان جناها ألذُّ ذوقاً اذا طُعمت بطعم اشجار جيدة العنصر . ويحسن تطعيم الفسائل بعد سنتين بشقّها

وشجرة القشطة تأتي بثمرة او ثمرتين لثاني سنة غرسها في تربتها المخصوصة بهـا ولعلّها تبلغ احياناً ثلاث ثمرات او اربعاً . وفي سنتها السادسة يكون جناها من ١٥ الى ٢٠ ثمرة . وترى اذ ذاك الشجرة تبسق فتبسط افنانها لاسيما اذا وقيتها من نفحات الريح الشماليَّة وكانت تربتهـا غنيَّة سهلة الترشح وكثر سَقيُها في الصيف خصوصاً في اوان ازدهارها . فاذا بلغت السنة العاشرة من عمرها توفَّر ثمرها الى الخمسين او الستين ثمرة

وفاكهة القشطة تُباع الآن في اسواق بيروت في شهري تشرين الثـاني وكانون الاول يبلغ ثمن الواحدة منهـا ٢٠ بارة الى قرشين ونصف . وهي تُجنى في بعض حدائق البلدة من اشجار زاهية نامية . ومن استطعم هذه الثمرة لاول مرّة استطابها في الغالب ولا نشك في كثرة رواجها لو توفَّر مبيعها بنموّ مغارسها وهوادة اسعارها

وعندنا انهُ يحسن بارباب الفلاحة ان يوسّعوا نطاق زراعة هذه الشجرة بعـد ان تحقّقوا ما تأتيهم من الارباح وعرفوا مُجمل احوالها وكيفيَّة القيـام بامرها . ولا يصعب نقل ثمرها من مدينة الى أخرى مع وَفرة اسباب المعاملات . وانَّما يتحتم وقتئـذٍ قطف الثمر وهو اخضر جافٍ قبل ادراكهِ باسبوعٍ ونيّف فاذا بلغ المراد نضج وطاب وهو لا يصلح للاكل الَّا عند تمـام استوائهِ وذلك اذا فاح لهُ عرفٌ طيّب ولانت قشرتهُ

عند المسّ فتُفتح الثمرة وينزع عنها لبُّها الذي ينفصل بكل سهولة عن حبوبهِ العديدة الكبيرة

فمّا سبق ترى انّ القشطة من الأشجار التي يحقّ لاهل بلادنا ان يربّوها. ولكن هلمَّ بنا نبحث عن الارباح التي يمكن البستاني ان يأملها من زرعها. فلنفترض انك تخصص هكتارًا من عقارك لزراعة شجرة القشطة وانك تغرس في هذه المساحة ٢٠٠٠ نصبة فقط وهو عدد قليل بالنسبة الى سعة المكان. فان كان معدَّل الاثمار لكل شجرةٍ ٣٠ ثمرة تبيع الواحدة عشر بارات كان ربحك ١٥٠٠٠ قرشًا

فان خصمتَ من هذا المبلغ:

	قروش
١ً تكاليف الحراثة. ست دفعات في السنة او اثنا عشر يومًا بثمن ٣٦ قرشًا في النهار	٤٣٠
٢ً تسميد التربة بان تضع عليها كل خمس سنوات ٥٠ غرارة من زبل الغنم او الماعز بثمن ٦٠ قرشًا لكلّ غرارة. اي في السنة	٦٠٠
٣ً سقي الارض بالناعورة نحو	١٤٠٠

واذا زدت على هذه النفقات:

٤ً فائض راس المال الذي دفعتهُ لابتياع الارض بثمن ١٠٠٠٠ قرش اعني قرشًا لكلّ متر مربَّع. فان حُسب الفائض ٩٪ حصل	٩٠٠
٥ً فائض النفقات اللازمة لاقتناء اغراس الشجر مع ما يلحق من المصاريف من غرسها ونظارتها وكلفة الخراج الى زمن اثمار الشجرة	٨٠٠
	٤١٣٠

فان طرحنا هذا الخارج من المحصول كان الربح ١٠٨٨٠ وهو كما ترى كسب طائل مع اننا في حسابنا السابق كثَّرنا المصروف وقلَّلنا الربح

واعلم انّ لشجرة القشطة آفةً وهي الدودة البيضاء المدعوَّة بلسان العلم (Dacty-lopius) تتسلط على كبار الشجر فتضربها العفونة وتذهب بمحاسن الثمرة. وهذه الدودة تختفي في فصل الشتاء في شقوق القشرة وفيها تبيض ثمَّ تقي بيضها بمادّة غرويّة قطنيّة تفرزها من موخرها. فاذا نما الصغار سَرَوْا الى اوراق الشجرة ثمّ اجتازوا الى اثمارها فأفسدوها بسيالهم الابيض وببرازهم ومنهما تتكوَّن عفونة يدعونها فوماجين (fumagiene)

وهذه الدودة التي تصيب غير شجرة القشطة كالليمون والعنب يمكن اتلافها بان يُطلى الثمر بمزيج من عصير التبغ او البترول او كبريتات الحديد او كبريتات النحاس وكيفيَّة طلائهِ ان تأخذ صمامةً من الخرق تبلُّها بالمزيج فتطلي بهـا الثمرة او تنضحها بمضخَّة صغيرة. ومن الوصفات الحسنـة ان تمزج ٨ ليترات من البترول باربعة ليترات من



شجرة القشطة وثمرها

الماء و١٧٥ غراماً من الصابون فتسخّن اوَّلًا الماء الممزوج بالصابون حتى اذا غليا تصبُّهما في البترول وتمزجهما مزجًا حسنًا فترى على وجه المزيج رغوة كالزبد تتكاثف اذا بردت. فهذه الزبدة حسنة لقتل الدودة المذكورة. وان اردت استعمالهـا تصبّ عليها ماء باردًا فتنضحهُ على الشجرة

وفي الختام نوصي ارباب الزراعة بان يفردوا في بساتينهم محـلًّا لشجرة القشطة ألم يغرسوا منها عددًا وافرًا فتأتيهم في اواخر الخريف بثمر طيّب يأكلون منهُ وينتفعون بأرباحهِ

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٦

وكانت اجراس الكنائس في مدينـة جبيل تدقّ طول النهار والناس في الشوارع والأزقّة الضيقة بين ذهاب ومجيء متواصلين وكلهم بملابس العيـد وهم يزدحمون في ساحات البيَع وأفنيتها

وكان ذاك النهار موافقاً لعيـد انتقال السيدة العذراء. وقد جرت في مساء اليوم الذي قبلهُ زينات وتنويرات بهيجة وخصوصاً في قمم الجبال القريبة وجميع اديار الرهبان وكل الكنائس المشيَّدة على اسم البتول

وهذا العيد كما لا يخفى هو مكرَّم ومعظَّم جدًّا عند اللبنانيين غير انهُ في تلك السنة اكتسى رونقًا خصوصيًا لم يكن لهُ في مـا مضى وكل ذلك بسبب وجود فرا غريفون في المدينة. فان نائب الكرسي الرسولي المشار اليهِ احبَّ قبل ان يركب البحر من بيروت قاصدًا رومية ان يقف في جبيـل مدة قصيرة ويعظ مساء عيد السيدة في الكنيسة الكبرى المشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا

وهذه الكنيسة ترتقي الى عهد الصليبيين وكانت في القرن الخامس عشر باقيـة على طولها وهندستها الاصليين غير ان الذين تولوا ترميمها بعد ذاك قد احدثوا فيها بعض التغيير (١ وكانت مقسومة الى ثلاثة اسواق واسعة ذات دعائم كبيرة وعند البـاب الشرقي قبَّة للمعمودية انيقـة فكانت في ذاك الزمان اعظم بل اجمل هيكل في جبل لبنان الذي لم يكن فيهِ شبيه لهذه الكنيسة سوى كنيسة قرية معاد (٢ على ان هذه اذا كانت تشبهها من حيث الاناقة فقد كانت تقلّ عنها اتساعًا وعلوًّا

وقبل ان يحقَّ زمان الوعظ كانت قد غصَّت تلك الاسواق الثلاثة بالناس المتوافدين من عمشيت وادّه وبجديدات وبلاط والبوار وبرجا وسائر القرى القريبة لاجل استماع كلمات فرا غريفون الذي كان الجميع في جبـل لبنان يعرفونهُ ويجلونهُ. حتى ان اسمهُ كان أشيع بينهم من اسم الاب يوحنَّا رئيس دير القديسة تقلا لان هذا الاخير لم يكن يتذكرهُ سوى المتقدّمين في السن بخلاف الراهب الفرنسيسي الموما اليهِ فانهُ قـد اتى اعمالًا عظيمة في لبنان واحبَّ سكَّانهُ حبًّا فائقًا وقد طالما دافع وحاجَّ عنهم في اوربَّة وعلى الخصوص في رومية (٣ وكان الكل يعرفون ذلك ويتعجبون من فضيلتهِ واستقامة طباعهِ وسعة علمهِ. وكان يعرف اكثر لغـات الشرق مثل اليونانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة امَّا العربيَّة فكان يعبّر فيها بسهولة عظيمة عن افكارهِ ومقاصده الَّا انهُ كان في لهجتهِ شيء يبوح بكونهِ غريبًا عنها

ولمَّا اجتمع الشعب في الكنيسة اخذوا ينتظرون بذاهب الصـبر وفود واعظهم المحبوب ليسمعوا كلامهُ. امَّا الشَّاب عبد المنعم مقدَّم جبيل وابن اخي الامير رزق الله (٤

١) المشرق ٣: ٣٥١ و ١٠٣١ ٢) المشرق ٣: ١٠٢٢

٣) فرا غريفون ولبنان (المشرق ١: ١٢٤)

٤) تاريخ الدويهي ص ١٤٠

فابى ان يشارك الشعب في تقواه وبقي في قصره متشاغلًا بالشراب مع بعض رفقائهِ في لهوه . وكان المذكور واجدًا على فرا غريفون لسببين الاول كونهُ صديقًا لعمهِ الامير رزق الله والثاني توهمهُ فيـــهِ انهُ هو الذي اعلم الامير باتخاذه اليعاقبة تحت كنفهِ وحمايتهِ . وكان وقتئـــذٍ يراسل جوسلين ويخشى من فرا غريفون ان يطلع على اسرار مراسلتهِ ويعلن خيانتهُ

غير انهُ في يوم ذاك العيد العظيم ابى الّا ان يبوح بما كنَّ صدرهُ من النفاق وقلّة الاحترام للدين فاجاب الذين كانوا يدعونهُ الى الكنيسة لسماع خطبة فرا غريفون بقولهِ: ان الكلام لا يجدي ولا يفيد شيئًا وان كان واعظكم رجل تقوى فقولوا لهُ ان يصنع المعجزات

وكان يظن انهُ نطق بعبارة تدلّ على ذكاء وتوقد ذهن . وما كان كلامهُ في الحقيقة غير شاهد على وقاحتهِ وسلاطة لسانهِ . وعلى إثرها جلس للشراب مع رفقائهِ وندمائهِ

وفي تلك الاثنـــاء كان فرا غريفون قد شرع في الكرازة بكنيسة القديس يوحنَّا وجعل موضوع كلامهِ شرف العـــذراء القديسة وما اختصَّها بهِ الله من النعم والمواهب واطنب في ذلك طويلًا لانهُ كان يلتذّ بهذا الموضوع الذي كتب فيهِ مجلَّدًا برمَّتهِ (١ . امَّا الشعب فكان يسمع الوعظ بشوق وسرور ومع ما كان وقتئـــذٍ من شدة الحرّ لم يتحلحل احد من مكانهِ بل كان الجميع راغبين في الاستزادة من ذاك الكلام الشهي . وبعد ساعة من الزمان كانت الشمس قد مالت الى المغرب مرسلةً اشعَّتهـــا الى داخل الكنيسة من باب السوق الكبير الذي تُرك مفتوحًا

امَّا عبـــد المنعم الذي كان حتى الوقت المذكور مستمرًّا على الشراب واللهو مع رفقائهِ فنهض فجاءةً وقال:

— هلمَّ بنا ايهـــا الاصحاب نذهب الى الكنيسة تفنُّنًا في أنواع المسرّة . وليس كل يوم عيـــد السيدة وفوق ذلك لا يجمل ان يتوهَّم بنا الناس اننا نتهيَّب فصاحة غريفون

فعندها ضحك الكل متهقهين وصوَّبوا رأيهُ ومضوا وما كان غير قليل حتى وصل عبد المنعم الى باب الكنيسة مع ثلاثة من رفقائهِ فشقّ غابة الجمع المزدحم وتوجَّه نحو

١) راجع مكتبة المؤلفين من رهبانية القديس فرنسيس

الدرابزين ووقف ثمت تجاه الواعظ شامخ الانف يُرسل اليهِ نظرًا وقحًا. امَّا الواعظ فاتمَّ سياق الكلام كأنهُ لم يرَ للمذكور وجهًا غير ان تلك اللهجة الابويَّة الخرَّاقة التي كانت تُشيد بمدائح مريم ما لبثت ان انقلبت الى ضدهـا لان غريفون اخذ يتكلم على عدل الله تعالى والقصاص الذي اعدَّهُ لموقعي الشكوك واشياع الهراطقـة. ثمَّ رقَّق صوتهُ بغتةً فقال:

« ان من كان في سنّي لا تجوز عليهِ الخديعة ولا يستطيع ان يأمل طول الأيَّام. وها انا الآن على وشك سفرة جديدة عظيمة الاخطار رغبةً في منفعة طائفتكم واتمامًا لطلب غبطة بطريركم مار بطرس (١. ولا اعرف ايها الابناء الاحبَّاء هل يقسم لي الله ان اعود فاشاهدكم فبناء عليهِ اسألكم ان تسمعوا بانتبـاه صوت ابيكم الشَّفيق الذي يخاطبكم لآخر مرَّة. حافظوا على وديعة الايمـان التي سلَّمها اليكم اجدادكم الأمجاد. واياكم ان تتزعزعوا في نهجكم القويم بمسالك بعض الذين انقادوا لصوت الضلال... فان الناس يمضون ويموتون والحقيقة تبقى ولا تموت. كلاَّ انَّ ذراع الله لم تقصر وهو يعلم متى شاء كيف يعلن مقدرتهُ وقوَّتهُ للناس... »

وكان الشَّعب يسمع باصغاء عظيم هذه الكلمات المؤثرة. وكان غريفون يريد متابعة الوعظ غير انهُ سمع من اقصى الكنيسة بعض دمدمة ثم انقلبت الدمدمة الى صوت جهوري صـدر من كل الافواه في وقت واحد وكان الكل يقولون: « معجزة. معجزة. صدق فرا غريفون. السماء تؤيد اقوالهُ. لعنة الله على الهراطقة »

واي شيء حصل يا ترى ؟

كانت الشمس كما سبق القول على وشك الغيـاب ترسل اشعَّتها المائلة من الباب الكبير. غير ان نورها ظهر بغتـةً في كوة الحنية فائضًا على قدس الاقداس والخورس اللذين كانت الظلمة قبـل دقيقة خيَّمت عليهما (٢ وهكذا بانت من وراء الخطيب عاقدةً على رأسهِ اكليـلًا من نور. فلمَّا شاهد الشَّعب هذا المنظر العجيب تضاعفت هتافاتهم « معجزة. معجزة. غريفون هو يشوع ثانٍ »

وما استطاع غريفون ان يُسكت الشَّعب المتحمِّس الَّا بعد الجهد البالغ فلمَّا عاد اليهم الهدوء خاطبهم قائلًا:

---

١) تاريخ الدويهي والمشرق ١ : ١٢٦ ٢) راجع وادينغ وتواريخ رهبانية مار فرنسيس والمشرق ١ : ٦٠

« يا اخوة ان الله قد شاء دون ريب ان يكافئ ايمانكم فاليهِ ينبغي ان نرفع جزيل الشكر والحمد. واياكم ان تنسبوا للمخلوقات ما لا تجب نسبتهُ الّا للخالق جلّ وعلا. هلمّ الآن نسجد جميعاً مبتهلين الى الهنا الشفيق بان لا يحرم وطننا هــذا حمايتهُ الفريدة التي لم يضنّ بها عليهِ من قبل »

فما قال هــذه الكلمات حتى خرّ جميع الحاضرين جثيًا على الركب وجثا ايضاً عبد المنعم محمولًا من مثل الحاضرين بل مدفوعاً الى ذلك بقوّة داخليَّة واخذ فرا غريفون صورة العذراء القديسة فبارك بها جمهور السامعين بينما كانوا يترغون بنشيد الشكر

وبعد ذلك تفرَّق الجميع وفي كل قلب ما لا يوصف من التأثير. وما طال الوقت حتى انتشر خبر هذا الحادث العجيب في كل انحاء لبنان حيث بقي الاهالي يتذكرونهُ لمدة طويلة. امَّا فرا غريفون فاحبَّ لتواضعهِ ان يتخلَّص من تزاحم الشَّعب عليهِ فترك جبيل خفية في مساء اليوم المذكور ذاهباً الى بيروت حيث اقام ما بين اخوتهِ الرهبــان الصغار في ديرهم المعروف بدير المخلص (١

وكان عبد المنعم قد تأثر مما رأى وسمع لكنَّهُ لعنادهِ وإصراره عاد الى منزلهِ محاولًا ان يفسّر ذاك المظهر الخارق لعادة الطبيعة الذي شاهدهُ بعينهِ تفسيرًا ملتويًا وينسبه الى انخداع البصر. وقد ذهب ان مخيَّلة السامعين تهيَّجت بشــدَّة حرارة الجوّ فصوَّرت لهم كحقيقة ما كان ناتجًا عن غلط الحواس وخطائها لان كلمات الواعظ الفرنسيسي اختطفت عقولهم فظنوا انهم يشاهدون معجزةً

هكذا كان عبد المنعم يعلِّل هذه الحادثة لرغبتــهِ في عدم تصديقها او بالحري لاظهار الجلد والثبات على سوء اعتقاده تجاه رفقاء مسرَّاتهِ الذين شاهدوا كلهم كما شاهد هو وكما شاهد سائر اهالي جبيل ومن انضمَّ اليهم من القرى المجاورة ان الشَّمس بعد ان كانت على وشك الغروب عادت الى الشرق ودخلت من حنيَّــة الكنيسة. ولا ريب ان الاصرار هو اثمٌ قبيح ولكنــهُ يكون اقبح متى كان صاحبهُ يغمض عينيهِ عن مشاهدة النور كما فعل عبد المنعم الذي كان من جنس اولئــك الناس الذين قال عنهم سيدنا يسوع المسيح في انجيلهِ: « لا يؤمنون لا بموسى ولا بالانبياء حتى لو قام احد الاموات ايضاً فانهم لا يؤمنون »

(ستأتي البقيَّة)

١) المشرق ١ فرا غريفون

توحيد الحسابين

في بدء القرن العشرين

نبذة بقلم للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يَفتْ قرّاءنا ما كتبهُ في العام الماضي حضرة الاب كولنجت عن اصول الحساب السنوي (راجع المشرق ٣: ٢٢٥) وما طرأ عليهِ من الخلل في القرون الخالية ممَّا دعا مرارًا اصحاب الامر الى تلافيهِ وكان آخر اصلاح جرى على هـذا الحساب في اواخر القرن السادس عشر بهمَّة ذلك الحبر الهمام والبـابا الجليل غريغوريوس الثالث عشر فدُعي باسمهِ الحساب الغريغوري فلم يلبث هـذا الاصلاح ان انتشر في انحاء اوربة حتى في الممالك البروتستانيَّة ولم يتأخر عن المصادقة عليهِ غير الدولة المسكوبيَّة وبعض الدول الصغيرة الاورثذكسيَّة

وكانت الطوائف الشرقيَّة غير المتحـدة مع الكرسي الروماني قبل نصف قرن تأبى كل الاباء ان تنحاز الى الحساب الغريغوري كانَّ اصحابها لو فعلوا انبأوا بذلك عن بعض الخضوع لامام الاحبار ففضَّلوا معارضة الشَّمس بالعصيان من مسايرتهـا بالوفاق لئلا يُنسَب فعلُهم الى مجاراة نائب المسيح وأتباعهِ. وكانوا مع ذلك يحتجُّون ببعض الحجج التي من شأنها ان تصون عرضهم في هذا الخلاف العلمي. واقوى هـذه الحجج انَّهم يطيعون قانون المجمع النيقوي حيث قال: «انّنا نحكم حكماً فصلاً يجب على الكل ان يمتثلوا لهُ وهو ان يقام عيد الفصح في الاحد الاقرب للبدر الاول الواقع بعد الاعتدال الربيعي»

على انَّ الذين يستندون الى هذه الحجَّة لا يعتبرون الظروف والاحوال التي اوجبت اذ ذاك الكنيسة جمعاء ان تفرض هـذا الامر على ابنائها وهو استدراك ما وقع من الخلاف بين بعض الكنائس في آسيًا الصغرى وبلاد الجزيرة التي كان المؤمنون فيهـا يعيّدون الفصح مع اليهود في ١٤ نيسان قبل الاعتدال الربيعي فمنعتهم الكنيسة عن ذلك وحرمت من اصر منهم على عنادهِ

لكنَّ المجمع النيقوي بتحديدهِ المذكور لم يتعرَّض للفحص عن صحَّة الحساب اليولي الشائع في تلك الأيام او غلطهِ وانَّمـا جرى عليهِ الآباء على علاَّتهِ وتركوا امر اصلاحهِ

لزمن اوفق واحوال انسب لاسيا انَّ الغلط بين دوران الشَّمس والحساب اليولي لم يتجاوز في عهد المجمع النيقوي ثلاثة ايام

الَّا انَّ كرور الاعصار وتوالي القرون لم يزل يزيد في هذا التباين حتى بلغ في بدء القرن العشرين ١٣ يومًا وصار الاعتدال الربيعي لا يقع الَّا في ٢٢ اذار الشرقيّ بموجب الحساب اليوليّ مع اننا نرى جميعًا رأيَ العين انَّ هذا الاعتدال اي تساوي الليل مع النهار قد سبق هذا العهد وانهُ يقع في ٩ آذار

ولعلَّ قائلًا يقول او ليست طاعة المجمع المسكوني أولى من متابعة الحساب الفلكي ؟ اجبنا على ذلك انهُ لو كان لا ندحة من اختيار احد الامرَين لتحتَّم تفضيل أوامر الدين على سواها . ولكن هيهات ان يكون المجمع النيقويّ حكم بما يضادّ الحساب الفلكيّ وانَّما حتم فقط كما سبق القول بامرَين : اولهما أَلَّا يقام عيد الفصح مع اليهود . والثاني ان يُعيَّد الفصح في اوَّل احد يقع بعد البدر الاول من الاعتدال الربيعي

وهذان الامران ينفذهما تابعو الحساب الغريغوري فانهم لا يعيّدون الفصح مع اليهود لانَّ فصح اليهود يقع يوم بدر القمر نفسهِ ايَّ يوم كان . امَّا تبَعَة الحساب الغريغوري فلا يعيدون الفصح الَّا الاحد واذا وقع عيدهم يوم البدر وتوافق عيدهم وعيد اليهود معًا نقلوا العيد الى الاحد الذي بعدهُ . وبعكس ذلك نرى الفصحَين المسيحي واليهودي توافقا مرارًا بعد المجمع النيقوي قبل الاصلاح الغريغوري في السنين الآتية ٣٦٧, ٣٧٠, ٣٧٤, ٣٩٤, ٤٠١, ٤١٤, ٤١٨, ٤٢١, ٤٤١, ٤٤٥, ٤٦٥, ٤٩٩ كما بيَّن ذلك الكاهن العلامة نيقولا تلستوي مؤخرًا في جريدة روسيَّة

امَّا الامر الثاني فانَّ اصحاب الحساب الغريغوري وحدهم الآن يقومون بهِ بخلاف متَّبعي الحساب اليولي . لانَّ منطوق كلام المجمع ان يُقام عيد الفصح بعد « البدر الاول » من الاعتدال الربيعيّ والحال انك ترى الجارين على الحساب اليوليّ يعيّدون مرارًا عيدهم بعد « البدر الثاني » من الاعتدال الربيعي وذلك لانَّ الاعتدال الربيعيّ يتأخَّر في الحساب اليولي الى ٢٢ اذار الشرقي وكثيرًا ما يقع البدر الاول من الاعتدال الربيعي الصحيح قبل هذا التاريخ اعني في الثلاثة عشر يومًا السابقة لهُ فيعيد الشرقيُّون وقتئذٍ « بعد البدر الثاني » لا « بعد البدر الاوَّل » خلافًا لما سنَّ المجمع النيقويّ . فينتج من ذلك ان تبعة الحساب الغريغوري أمثل لاوامر هذا المجمع من تبَعة الحساب اليولي

ونضرب صفحًا عن حجج اخرى لا طائل تحتها يحتجّ بها اصحاب الحساب الشرقي فانّ السكوت عنها أسلم لشرف المتشبّثين بها . وانّما نقول اجمالًا انّ الكنيسة الكاثوليكيّة اصابت كل الصواب اذ ابدلت الحساب القديم وذلك امرٌ يقرّ بهِ كلّ من يرى رأي الصواب و ينقاد الى الحقّ من الشرقيين ولذلك ترى العلماء منهم في العصر المنصرم لم يزالوا يسعون في إبطال الحساب الشرقي ومجاراة العالم المتمدّن باتباع الإصلاح الغريغوري . فقبل السنة ١٨٥٠ قدَّم علماء المكتب العلمي في بطرسبورغ عريضة للقيصر بيَّنوا فيها وجوب اصلاح الحساب . الّا انّ مساعي العلماء زادت تواترًا واحتجاجًا منذ ٢٠ سنة فترى الفلكيين من الروس والبلغار والسرب والرومان واليونان يكرّرون المقالات في المجلات العلميّة ليقنعوا دولهم بمباشرة هذا المشروع قلّما يكون للسنة الدينيّة والمعاملات السياسيّة . وفي الخمسة الاعوام الماضية تأثّر اصحاب الامر من هذه الكتابات واعاروا لاقوال اصحابها اذنًا صاغية وكان السرب والبلغار والرومان على وشك إبدال حسابهم اذ اشار اليهم القيصر محامي الاورثذكسيَّة أنْ : « اربعوا على ظلعكم ولا تتجاوزوا طوركم الى ان يحكم الديوان الملكي في هذا الامر» . ثمّ تقدَّم الى المكتب الفلكيّ الروسي بان يبتكر طريقةً لحلّ المشكل . فما لبث اصحابهُ ان عرضوا على العالم الاورثذكسي مشروعًا صوَّب اليهِ اكثر العلماء الفلكيين سهام التنديد حتى في روسيًا فدعت حينئذٍ الدولة المسكوبية كل دول الصقالبة الى البحث عن الطريقة المثلى لوضع حساب يقوم مقام الحساب اليوليّ

فكان اوّل من لبّى هذه الدعوة المجلة العلميَّة الاورثذكسيَّة في بلغراد عاصمة السرب (Glasnik pravoslavne Tsrkve) فكتب فيها الاستاذ الفلكي مكسيم ترِبكوفيتش (M. Trpkovitch) مقالة في الحساب جديرة بان تُعدّ كطرفة من طُرَف الدهر وغرة في مفرق العصر . فانّـهُ بعد أن لخّص اصول الحساب السنوي وبيّن ما في البقاء على الحساب القديم من الشوائب العديدة استطرد الى الثناء على الإصلاح الغريغوري وخواصّهِ الفريدة وسهولة طريقتهِ . ثم اخذ يرتاد للدول الاورثذكسيَّة قاعدة جديدة يجري عليها الاورثذكس توافق بين الحسابين وتكون اكمل من الحساب الغريغوري بحيث تُصلح الغلط الطفيف الموجود في هذا الحساب [1] فوجد هذه القاعدة التي هي أفضل من

[1] راجع ما قال عن هذا الغلط حضرة الاب كولنجت (المشرق ٣ : ٢٢٠)

القاعدة الغريغوريَّة لأنَّها تُصلح غلطها فلا يكون الفرق بين حركة الشمس والحساب الَّا يوماً واحدًا في كل ١٥٠٠٠٠ سنة بدلًا من ٤٠٠٠ سنة. والمعلم المذكور استند في ذلك على معدَّل دوران الارض السنوي وفقًا للمكتب الفلكي في باريس الذي قرَّر بأرصاد متوالية تعديل هذا الدوران وهو ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٨ ثانية فحسبها بالكسور العشريَّة ٣٦٥,٢٤٢٢ وبنى على هذا الحساب قاعدتهُ العجيبة الآتي ذكرها

ولبيان فضل هذا الاختراع نعرض جدولًا يبيّن القاعدتين ليرى القرّاء كمال القاعدة الجديدة على القاعدة الغريغوريَّة (١

القاعدة الغريغورية	قاعدة الاستاذ تريكوفيتش
١ طول معدَّل الحساب السنوي على موجب رأي العلماء ٣٦٥ يوماً و ٥ س و ٤٩ً و ١٢ً (بموجب أرصاد ذلك العصر)	١ طول معدَّل الحساب السنويّ على رأي مكتب باريس الفلكي ٣٦٥ يوماً و ٥ س و ٤٨ً و ٤٨ً
٢ فيكون الزائد من السنة البولية ١٠ً و٤٨ً	٢ فيكون الزائد من السنة البوليَّة ١١ً و١٢ً
٣ عدد القرون اللازم ليصير هذا الكسر الزائد عددًا تامًّا هو « اربعة ». فيبلغ ٣ ايَّام كاملة كلّ ٤٠٠ سنة. اعني انهُ لا بُدَّ من حذف ٣ ايَّام كلّ اربعة قرون	٣ عدد القرون اللازمة ليصير هذا الكسر الزائد عددًا تامًّا هو « تسعة » فيبلغ ٧ ايَّام كاملة كل ٩٠٠ سنة. اعني انهُ لا بُدَّ من حذف ٧ ايَّام كلّ تسعة قرون
٤ واحسن ما يكون حذف هذه الايَّام في بدء القرون. فلا تُكبس الَّا « سنة واحدة » في بدء « اربعة » قرون متوالية	٤ واحسن ما يكون حذف هذه الايَّام في بدء القرون. فلا تُكبس الَّا « سنتان » في بدء « سبعة » قرون متوالية
٥ امَّا السنة المئوية التي يحسن كبسها فهي التي يُقسم مجموع اعدادها على ٤ دون باقٍ	٥ امَّا السنتان المئويتان اللتان يحسن كَبْسُها فهما اللتان يُقسَم مجموع اعدادها على ٩ او ٤ دون باقٍ
مثال ذلك السنين ٢٠٠٠ , ٤٠٠٠ , ٢٨٠٠ فانَّها تكون كبيسة لانَّ مجموع اعدادها يقسم يُقسم على ٤ دون باقٍ. بعكس ذلك السنين ١٩٠٠ , ٢١٠٠ , ٢٢٠٠ فانَّها لا تكبس لانَّ لمجموع اعدادها باقيًا بعد قسمتها على ٤	مثال ذلك السنين ٢٢٠٠ , ٢٧٠٠ , ٢٨٠٠ , ٤٥٠٠ فانها تكون كبيسة لانَّ مجموع اعداداها يُقسم على ٤ (٢٢٠٠ , ٢٨٠٠) او على ٩ (٢٧٠٠ , ٤٥٠٠) دون باقٍ. وبعكس ذلك السنين ١٩٠٠ , ٢١٠٠ , ٢٣٠٠ فانَّها لا تُكبس لانَّ لمجموع اعدادها باقيًا بعد قسمتها على ٤ او ٩

١) اخذنا هذا الجدول عن مقالة للاب تندبنى الراهب البرنبي الشهير كتبها في مجلة العلوم العموميَّة العدد (٤ من السنة ١٢ ص ١٧٦)

فترى من هـذا الجدول ما بين القاعدتين من الوفاق وما للمعلم تريكوفيتش من الذكاء في وضع هذه القاعدة الجديدة التي مع بساطتها تزيل الخطأ من الحساب بحيث لا تبقي لهُ اثرًا يُذكر الَّا بعد ١٥٠٠٠٠ سنة . فعسى ان تحظى هذه القاعدة قبولًا لدى العالم الاورثذكسي و يزول بذلك الخلاف بين نصارى جميع الامم في امر الحساب

وعلى كلّ حال اننا نؤكد لاخوتنا المنفصلين انَّ الحبر الاعظم مستعدٌ لكل ما من شأنهِ ان يسهل توحيد الحسابين ولنا في سعة افكارهِ مثال جميل في ما كتبهُ الكردينال رمبولا وزير قداسة البابا لاون الثالث عشر باسم سيّده منذ ثلاث سنوات لمدير المرصـد الفلكيّ في برلين . وكان الاستاذ المذكور وهو المعلم فرستر (Forster) الفلكيّ الشهير طلب نيابةً عن المراكز الفلكيّة الدوليّة هل الكرسي الرسولي يقبل ان يجعل حبًا بألفة القلوب عيد الفصح في يوم معلوم مثلًا الاحد الاول من شهر نيسان وذلك في كلّ السنين . فاجاب الكردينال رمبولا باسم الاب الاقدس في ٦ ايَّار سنة ١٨٩٧ : « انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لا تأبى ان تتلقّى هذا المشروع بعين الاعتبار اذا نتجت عنهُ منافع للأُلفة الاجتماعيَّـة ولم يحصل من جرَّائهِ مضارٌ لعالم الدين وتكون الدول صادقت عليهِ دون خوفٍ ان ينجم عنـهُ شقاق او نفور » فاعرب الكرسي الرسولي بجوابهِ هذا عن ارتياحهِ لخير الجمهور والكنيسة معًا . جبر الله القلوب بالحبّ والإخاء امين اللهمَّ امين

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ سورية

الجلّد الخامس يتضمَّن تاريخ سوريَّة في ايَّام الخلفاء الى نهاية القرن الحادي عشر

بقلم الحبر الجليل والمؤرخ الفاضل السيد يوسف الياس الدبس مطران بيروت المارونيّ

طُبع في بيروت في المطبعة العمومية سنة ١٩٠٠ ص ٥٨١

هذه مرَّة خامسة وفَّقنـا الله بان نثني على تأليف تزدان بهِ مكاتبنا وتفتخر لهُ بلادنا وضعهُ حبرٌ مفضال لم تضعف عزيمتهُ اعباء الرئاسة ورعاية الخراف الناطقة فاكتسب بتأليفهِ شكر جميع السوريين فضلًا عن ابناء ملّتهِ . ولا يخفى ما يستدعيهِ كتابٌ طويل

مثل هذا من دقّة النظر والابحاث المتعدّدة والمطالعات المملّة. فلم يستنكف سيادتهُ عن كل ذلك وتجرَّد لهذا العمل الجليل منذ نحو عشر سنوات بغيرة لا تعرف السأم. وقد جاء الجزء الجديد شاملًا للتاريخـين الديني والمدنيّ من القرن السابع للمسيح الى ختام القرن الثاني عشر مع ذكر مشاهير العلماء والكتبة من نصارى ومسلمين في سوريَّة. وقد استطرد المؤلف الفاضل الى امور كثيرة لها بعض العلاقة مع التـاريخ السوري. ومن الابحاث المسهبة التي دُوّنت في هذا الجزء اخبار اصول الطائفة المارونيَّة والمدافعة عن ارثذكسيَّتها المتواصلة فلخَّص سيادتهُ في تاريخهِ ما ألَّفهُ سابقًا في هذا الصدد. ونحن نوافقهُ تمامًا في ما كتبهُ عن براءة القديس مارون الناسك من بدعة المشيئة الواحدة (ص ٢٧١—٢٨٥) اذ لم تنشأ في عهدهِ هذه البدعة ويشهد على سموّ قداستهِ توادوريطس المؤرخ معاصرهُ. ولا نظنّ ان البطريرك كيرلُّس تاناس نكر ذلك (ص ١٧٨) فانَّ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخةً من عريضة رفعها الى البابا بناديكتس الرابع عشر يصرّح فيها جهارًا عن اعتبارهِ لهذا القديس واكرامهِ لصدورهِ وذكر اسمهِ في الميناون الكبير

THE GEOGRAPHY OF SYRIA
followed by the history of the original Maronite Church
compiled by Joseph Dahdah, *Sydney*, 1899, pp. 72

جغرافية سوريَّة وملخَّص تاريخ الطائفة المارونيَّة لحضرة الخوري يوسف الدحداح

احبَّ مؤلف هذا الكتاب ان يعرّف سوريَة واخبار الطائفة المارونيَّة لاهل استرالية حيث توفَّر عدد المهاجرين فضمَّنهُ بالانكليزيَّة نظرًا عن احوال سوريَّة وحدودها ومدنها وجبالها وانهارها ثمّ ألحق بهِ تاريخ الكرسي الانطاكيّ مع سلسلة البطاركة المارونيين كما نشرها حضرة الاستاذ العـلامة رشيد افندي الشرتوني. وقد اتسع المؤلف في ترجمة البطريرك السابق المثلَّث الرحمـة السيد يوحنَّا الحاج مع الاشارة الى انتخاب خلفهِ غبطة السيد الجليل مار الياس بطرس الحويّك متَّع الله برعايتهِ الطائفة المارونيَّة دهرًا مديدًا. وفي الكتاب عدَّة تصاوير حسنة

ԳՐԻԳՈՐ ԽԱԼԱԹԵԱՆՑ
ԳԻՐՔ ՄՆԱՑՈՐԴԱՑ ԸՍՏ ՀՆԱԳՈՅՆ ՀԱՅ ԹԱՐԳՄԱՆՈՒԹԵԱՆ

نسخة قديمة ارمنيَّة من سفر اخبار الايَّام: طُبعت في موسكو سنة ١٩٠٠

لا يخفى انَّ النسخة الشائعة بين الارمن من الاسفار المقدَّسة قد نُقلت من الترجمة السبعينيَّة في ايَّام القديس مسروب واضع حروف الهجاء في هذه اللغة. بيد انَّ المؤرخين

الارمن اثبتوا في تآليفهم انهُ سبقت هذه الترجمة ترجمة أخرى نُقلت عن الاصل السرياني أُهملت لما وقع فيها من الخلل حتى لم يكد يبقى لها أثر. الّا انَّ المعلم كريكور خلطيان وجد في دير مار يعقوب للارمن الاورثذكس في القدس ثم في دار الكرسي البطريركيّ في اشميازين نسختين ترتقي الاولى الى سنة ١٢٦٩ وفيها بعض الخلل والنقص والثانية الى سنة ١٦٣٥ وهي اكمل واضبط وكلتاهما منقولة عن الترجمة السريانية فقابل بينهما ونشرهما وعلّق عليهما التعاليق المفيدة وألحقهما بتصاوير شمسيّة تمثّل بعض صفحات النسختين فجاء كتابهُ مفيدًا لتاريخ الاسفار المقدسة في الشرق ل. ش

شذرات

تاريخ خطّي اوقفنا جناب الاديب القانوني سليم افندي باز على نسخة من تاريخ القس حنانيا منيّر الراهب الشويري نفيد القرّاء عنهُ اذا اطلعنا على اخبار مؤلفهِ. واليوم رأينا ان نقتطف منهُ نبذة عن مباني بيروت القديمة قال (ص٣٧):

لمّا عاد اهل بيروت اليها بعد الحروب الطويلة اخذوا يصلحون شيئًا من ابنيتها المتهدّمة. وما زالت كذلك الى ولاية الامراء التنوخيين فاقاموا بعضًا من ابنيتها وبنى الامير منذر الجامع المعروف باسمهِ حتّى الآن عند النوفرة وأفضت التوبة الى الامراء بني معن فبنوا البرج الكشّاف وخان الوحوش ودار الولاية والجامع المنسوب اليها. ثم الى الامراء بني الشهاب فاقام الامير ملحم خان الملاحة والامير يوسف قيساريّة الاروام والامير منصور القيساريّة المعروفة باسمهِ والامير علي قيسارية الصاغة والامير سليمان ابو اللمع قيسارية البارود والامير يونس القيسارية المعروفة باسمهِ والشيخ عبد السلام العماد القيسارية التي في رأس سوق العطارين والشيخ شاهين تلحوق القيسارية التي بالقرب من القيسارية العتيقة حيث قُتل ابن ملك البندقية (راجع المشرق ١ : ٣٢٣). وكانت القيسارية العتيقة لزوجة الامير أحمد الشهابي وكان يقال لها ام دبوس ولها البرج المستدير بجانب السور والبرج الذي يقال لهُ طاقة القصر كان للامير منصور وكان البرج الجديد الذي فوق طاقة القصر للامير مراد ابن الامير منصور وبالقرب منهُ دار للامير علي وتحتهُ دار للامير حسين وتحتها دار للامير بشير السمين متصلة بالمدينة بالقرب من باب البلد الذي يقال لهُ باب يعقوب الكسرواني وكان يعقوب ماردًا يقطع الطرق فقتل في نهر الكلب ودُفن في ساحة ذلك الباب ولهُ حكاية طويلة وكانت دار الولاية في الجبل ايام بني تنوخ

تعريب الفاظ تجاريّة امّا بعدُ ففي العدد الرابع من مشرقكم المشرق قد جاد علينا احد افاضل اللغويين تحت عنوان «حلّ معقدات» بتعريب بعض

الفاظ تجارية افرنجية. فدرءاً للالتباس وحباً باماطة لثام الشبهات عن محيا الحقيقة اتيت بهذه العجالة لابين الفروق التي قررها الاصطلاح والاستعمال اليومي في تعريب بعض من تلك الألفاظ:

إن remise, traite, lettre de change, effet تُطلق على مدلول واحد. غير ان lettre de change يُراد بها البوليصة بتجريد النظر عن كلّ ما يطرأ عليها وتعريبها سفتجة او كمبيو (١ — و traite (من فعل tirer) هي السفتجة بالنظر الى محرّرها ومُمضيها او بعبارةٍ افصح بالنسبة الى ساحبها (tireur) وتُسمَّى سحباً او مسحوباً (٢ — و remise هي السفتجة التي يقدّمها تاجرٌ الى تاجرٍ في بلدٍ آخر ويوافقها بالعربيَّة حوالة. وقد يستعملون لفظة acceptation ويريدون بها السفتجة التي قبلها المسحوب عليهِ (tiré) ولا بأس بتعريبها سفتجة مقبولة. اماً effet فدلولها اوسع اذ انها تُطلق على كلّ ما مرَّ بك وعلى صكوك الديون المتبادلة بين التجار. فتعريبها بحسب مدلولها المُطلق ورقة تجاريَّة (كما يقال ايضاً بالفرنسيَّة effet de commerce) وحصراً بالمعنى الاول سفتجة وبالمعنى الثاني سند او كمبيالة (٣ (ويرادفها بالفرنسيَّة بالمعنى الاخير billet à ordre). هذا وفي بعض الاحيان تستعمل الالفاظ المذكورة مجازاً

اماً ترجمة réserver bon accueil à effet بهذه الصورة: «استعدَّ لقبول حوالة» فلا اراها تفي بالمعنى المقصود والاصحّ ان يُقال «كرّم او شرف الحوالة بالقبول» او حازت الحوالة القبول حسب الحال. لانهُ على علمي ليس المراد بذلك الاستعداد للقبول بل انما مجرَّد القبول ... هذا ما تيسَّر اثباتهُ مع اقراري بعجزي (جان پهلوان)

١) من الايطالية cambio أي مبادلة. على أن هذه اللفظة يراد بها خصوصاً المعنى المقصود من change فيقال أسعار الكمبيو les prix du change أعني اسعار السفاتج

٢) من اصطلاحات أهل زماننا

٣) كذلك من اصلها الايطالي cambio. وقد استعملوا كمبيالة للدلالة على السند المحرَّر لامر (مثلاً اني فلان ملزوم ان أدفع لامر فلان) تمييزاً لهُ عن السند العادي المحرَّر من دون أمر (اني فلان ملزوم أن ادفع لفلان) وغنيٌّ عن البيان ان الكمبيالة هي معاملة تجاريَّة بل هي سلاح المتجر فتقع تحت سيطرة القانون التجارى أمَّا السند العادي فليس بشيء من ذلك ويخضع للاحكام المدنيَّة

حلّ اللغز السابق بعد طبع العدد الاخير من المجلة ارسل الينا حضرة الخوري المفضال يوسف العلم والخوري حنّا شلهوب من الكرك والمعلّمان الاديان يوسف ابو سليمان ونجيب افندي ملحم مشعلاني من زحلة حلّ اللغز الوارد في العدد ٨ غير انّ ضيق المكان يضطرُّنا الى ان نكتفي بذكر ابيات الخوري ي. العلم وهي:

اعجب بلغزٍ كم اغار لحلّهِ ... من جيش ارباب الدواية والقلَمْ
ما همَّ ناظمهُ غموضــةُ لفظهِ ... لكن بمغزاهُ سبى اهل الحِكَمْ
بثلاثةٍ من احرفٍ تركيبهُ ... ولكم معانٍ تحت مبناهُ تُؤَمّ
فاذا حذفت من الثلاثة واحدًا ... تلقى بُعَيد الحذف منهُ ما ولمْ
« املٌ » بهِ يُجبى ولكن مثلما ... يجبى المؤمّل في كراهُ اذا احتلمْ
« المٌ » بهِ يضني ولكن عندما ... عنت القلوب لملكهِ وجها احتكمْ
تدعوهُ ربًّا وهو صنع يديك من ... حجرٍ تطرّقهُ فقُل هذا صنمْ
فلأكسرنْ ساقيهِ ثمّت رأسهُ ... ولأشرينَّ بهِ الكرائم والعظَمْ
اهلاكهُ نفعٌ وفي ابقائهِ ... تلقى هلاكك والغواية والندمْ
خذ منهُ ما تحتــاج وانفق للورى ... ما زاد ليس المال مالك يا عدَمْ
قد جئتَ هذا الكون عريانًا فقُل ... من اين ما لك فيهِ او ماذا ولم (١
واذا رجعت الى ترابك يا ثرى ... اتجرُّ معك المال او تحيي الرمم
فالمال في الدارَين انفع نافعٍ ... عند امرئٍ في حسن مبداهِ انتظمْ
فاذا اردت بهِ السيادة سُد وكن ... للناس مغواثًا فتلفيهم خدَمْ
واذا اردت الملك في دار البقــا ... فلوجهِ ربك بذلهُ اوفى سلَمْ
يا صاحب العقل السليم اليك من ... لغزٍ ومغزاهُ فوائد تُغتنَمْ

لغزٌ آخر لجناب الدكتور حبيب درعوني يُطلب حلّهُ نظمًا

ما قولكم اهل النهى في ميّتٍ ... ايدي المنيّة دبَّجتهُ بصُفرةٍ
جسم بلا روحٍ وروحٌ حيّةٌ ... فيهِ لقد خُصَّت باعظم قدرةِ
فاذا فركت الجسم عادت روحهُ ... واذا تركت بعود ضيفُ الحجرةِ
واذا قطعت الرأس منهُ وروحهُ ... لاقت لها أُختًا لاوّل مرّةِ
نفرت وصارت تبتغي هربًا كأَنَّ ... فؤادها لم يدرِ حبَّ العترةِ
لكنّها تصبو الى اضدادها ... وتروح تجذبهم ولو من ذرّةِ
فاذا التقت في ضدّها أُلفتهُ كي ... تقضي لحاجات بكلّ مسرّةِ
من اجلها تطوي الفلاة بلمحةٍ ... وبنورها تزري بنور الغرّةِ
وتريك اعمالاً تزيدك فتنةً ... وخوارقًا تقضي عليك بحيرةِ
واذا عرى الانسان نابض غيظها ... أودت بهِ في قاع اعمق حفرةِ

(١ اشارة الى قول بولس الرسول « وماذا لك ولم تأخذهُ » اي كلّ ما للانسان هو من الله

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد افاضل الروم أصحيح انَّ للبابا حذاء رُسم عليهِ الصليب المقدس. فكيف استجاز ذلك احبار رومية وما اصلهُ

الصليب على حذاء الباباوات

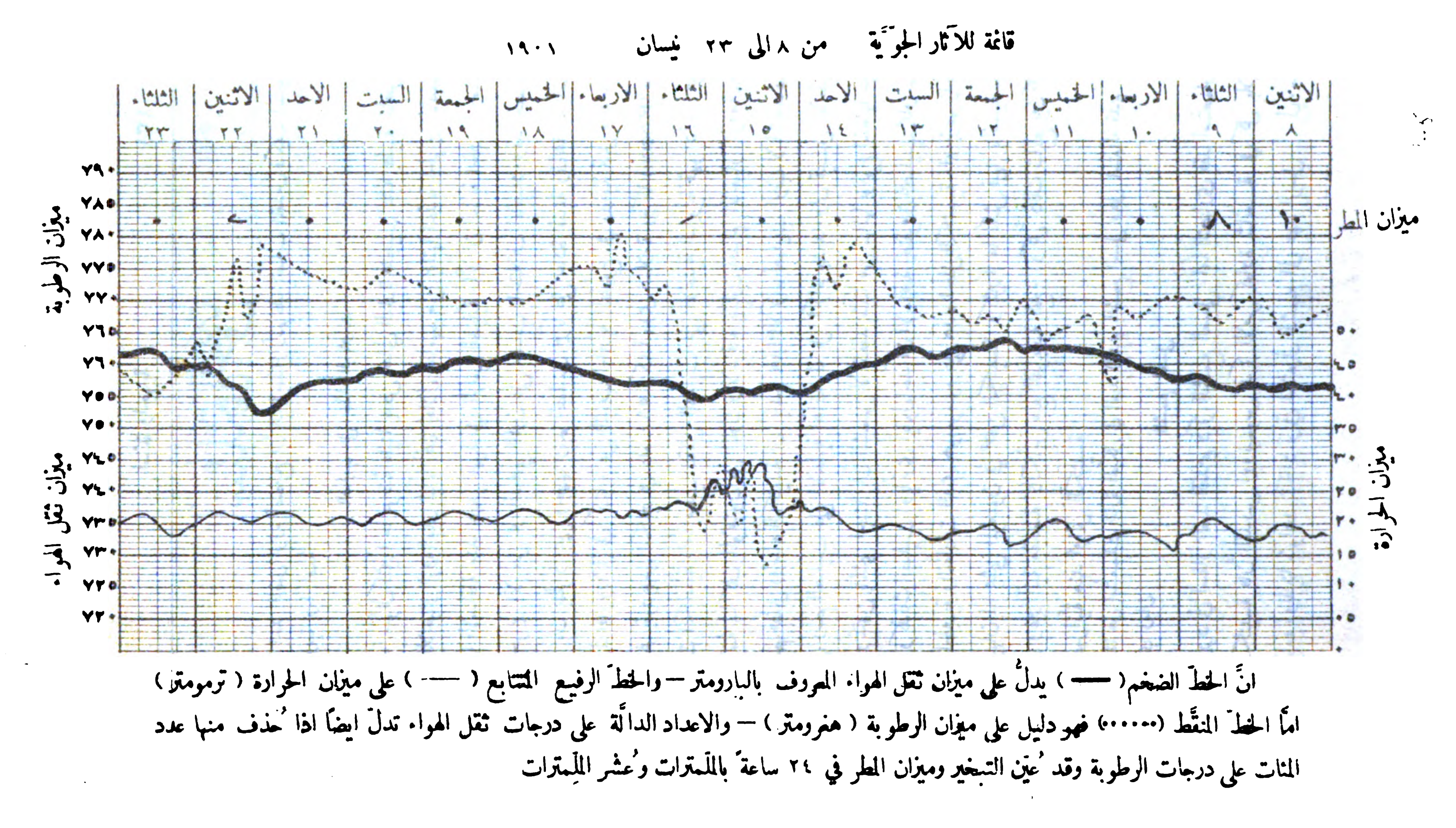
ج هذا سؤال كثيرًا ما عرضهُ علينا بعض اهالي البلدة فنجيب عليهِ بطيبة خاطر. لا خفاء انَّ للاحبار الرومانيين ثيابًا أهلة بجلال مقامهم من جملتها احذية الحرير الابيض التي استعملها الاساقفة منذ عهدٍ عهيد في الرتب الدينيَّة. الَّا ان احذية الحبر الروماني تكون من الحرير الابيض او الذهبي اللون على حسب اختلاف الاعياد. وقد خُصَّت هذه الاحذية بان يُطرَّز على وجهها رسم الصليب جريًا على عادة قديمة رقاها الكاتب المحقق بويار (Poyyard) في كتابهِ عن الثياب الحبريَّة المطبوع في رومية قبل مئة سنة الى القديس غريغوريوس الكبير في عام ٥٩٠ وكذا روى العلامة روكَّا (Rocca) من علماء العاديَّات الكنسيَّة. امَّا سبب نقش الصليب على الاحذية البابويَّة فهو دليل على اتضاعهم. لانهُ لمَّا كان المؤمنون بل الملوك والاساقفة يقبلون أقدام الاحبار الرومانيين لسموّ مرتبتهم فضَّل رؤساء الكنيسة ان يُقدَّم هذا الاكرام لصليب الرب لا لشخصهم فليس اذن في رسم الصليب على الاحذية اهانة لهُ بل اكرام جديد. وان قيل الاحذية تمسّ الارض وتُمتهن بالمشي اجبنا انَّ الشمس لا تفقد شيئًا من بهائها بوقوع اشعتها على امكنة ذليلة وكذلك الصليب. ويا تُرى أيقول احدٌ انَّ الاساقفة يحتقرون الصليب بجلوسهم على بدلاتهم الحبريَّة والغفارات الذي هو مرسوم على هذه الحلل الكنسيَّة. او يزعم زاعم ان الصليب يُهان لمَّا يمشي المؤمنون في صحن الكنيسة وكثيرًا ما نُقش فيها بالفسيفساء رسم الصليب وغير آنية مقدَّسة كالكأس مع القربانة الخ. وكلُّ ذلك شائع بين كلّ الطوائف النصرانيَّة منذ اوائل الكنيسة

س وسُئلنا هل استُعملت انارة الهيكل في العهد القديم بالشمع العسلي وهل استعمالهُ قديم في الكنيسة ومن اي زمان

الشمع العسلي

ج لم يرِد في اسفار العهد القديم ذكر الشمع العسلي. امَّا النصارى فقد استعملوهُ منذ اوائل الكنيسة فانَّ القديس ايرونيموس يذكر الامر كعادة شائعة في كلّ بلاد الشرق في ايَّامهِ. ولدينا شواهد تكاد ترقي استعمال الشمع الى عهد الرسل ل. س

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ نيسان ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

SANCTI GREGORII THEOLOGI

LIBER CARMINUM IAMBICORUM.

ܦܘܫܩܐ

ܕܡܐܡܪ̈ܐ ܕܗܘ ܩܕܝܫܐ

VERSIO SYRIACA ANTIQUISSIMA, E COD. VAT. CV.

Pars prima, in-8°, XII-175 pages, 1895.

Edidit P. J. Bollig S. J.

Pars secunda, in-8° IV- 60 pages, 1896.

Edidit P. H. Gismondi S. J.

Cette traduction syriaque des *Vers iambiques* de St Grégoire de Nazianze est certainement antérieure au 10e siècle, comme on peut le déduire du *Colophon* qui termine l'ouvrage, apporté au monastère de Scété en 932 par Moïse de Nisibe. Mais ce n'est pas assez; Assemani et le savant éditeur de ce livre, le regretté P. Bollig, le faisaient remonter, jusqu'au VIIe, voire même à la fin du VIe siècle. L'abbé Chabot, dans un compte-rendu sur cet ouvrage, publié dans le Journal Asiatique (Mai-Juin 1898 pp. 542-546) croit avoir reconnu le véritable auteur de cette traduction. Ce serait un moine nommé Rabban Gabriel contemporain du patriarche Nestorien Timothée 1er (778-820).

Quand au fond de l'ouvrage, nous avons peu de chose à ajouter à ce qu'en dit l'éditeur dans sa Préface. En jetant un coup d'œil sur la table comparative entre le texte syriaque et l'original grec, on verra facilement que le traducteur n'a pas suivi l'ordre des *poèmes iambiques*, et ne les a pas reproduits intégralement.

Le Musée Britannique, si riche en *Codex* syriaques, comble en partie cette lacune. Un MS. de cette Bibliotèhque contient en effet la traduction d'une partie des hymnes de St Grégoire, due, croyons-nous, à la même plume que celle de l'auteur du MS. romain. Le P. H. Gismondi, le savant professeur de l'Université Grégorienne, a bien voulu, après la mort du R. P. Bollig, se charger de cette seconde partie du travail, et la mener à bonne fin. Une liste des *Errata* qui s'étaient glissés dans la 1re partie a été jointe à celle-ci.

Pour l'édition de ce livre nous avons fondu nous-mêmes de nouveaux types *estranghélos*, d'après quelques photographies des meilleurs et des plus anciens Manuscrits de la *Bibliothèque Nationale* de Paris.

	Fr.	affr.
1re *Partie, brochée*	14	0,65
2e *Partie*	5 »	0,50

Abécédaire.

ܡܕܪܫܐ ܠܝܠܕܐ ܠܣܘܪ̈ܝܝܐ

In-2, 36 pages, 4e édition, 1895.

Par Mr Mansour al-Hekaïem.

Outre les premiers éléments de lecture syriaque, on trouve dans cet Abécédaire les prières et un certain nombre de psaumes.

	Fr.	affr.
Broché	0,35	0,10
Cartonné	0,50	

OUVRAGES ARABES

DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE.

9 La Bible des enfants.

الغصن النضير

Petit in-8°, 3 vol., 1er 183 pp. (9e éd., 1897), 2d 182 pp. (5e éd., 1893), 3e 193 pp. (2e éd., 1897).

Par le P. J.-B. Belot S. J.

C'est un recueil des principaux traits bibliques surtout de ceux qui font plus d'impression sur le jeune âge. On a cherché autant que possible à y conserver l'ordre chronologique et le texte même des Livres Saints La 1re partie contient les récits du Pentateuque. La 2e conduit le lecteur jusqu'au règne de Salomon. La 3e donne le reste des faits bibliques jusqu'à la fin du 2e livre des Machabées. C'est un excellent livre de lecture destiné à toutes les maisons d'éducation et principalement aux écoles primaires. De nombreuses gravures sont intercalées dans le texte.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	1 »	0,30
Cartonné	— —	1,50	

4 Abrégé d'Histoire Sainte.

مختصر التاريخ المقدس

In-18, 160 pages, 11e édition, 1896.

Par Lhomond.

Traduit en arabe par Michel Massabki.

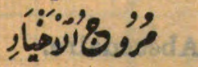
La traduction simple et élégante de ce petit livre si populaire en Europe a contribué pour une large part à la connaissance de l'histoire sainte en Orient. Les éditions nombreuses de cet ouvrage montrent quel accueil les directeurs des écoles continuent à lui faire.

Broché	0.40	0,15
Cartonné	0,60	

333 Le même, *avec le texte français au bas.*

Broché	0,50	0,20
Cartonné	0,75	

170 La vie des Saints, pour tous les jours de l'année.



In-4°, 925 pages, 3e édition, 1892.

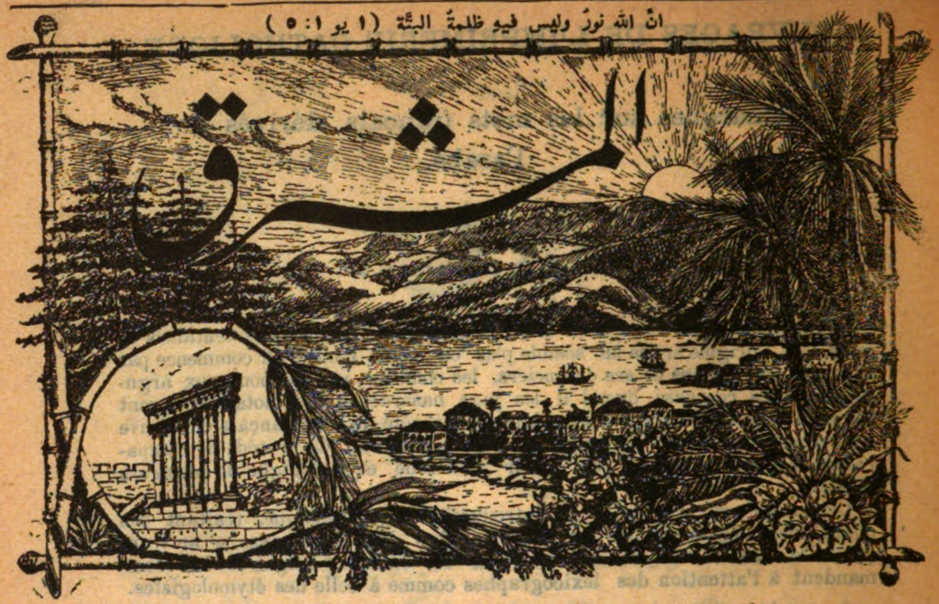
Par le P. P. Fromage S. J.

Le P. P. Fromage, à qui l'Orient chrétien est redevable de tant de livres utiles, a tiré cette « Vie des Saints » des ouvrages des PP. Ribadéneira et Croiset, en l'adaptant au goût des Orientaux. Les travaux récents des Bollandistes et d'autres hagiographes modernes ont été utilisés par le P. J.-B. Belot pour reviser et compléter l'œuvre du P. Fromage. Comme de juste, les Saints d'Orient occupent dans cette ouvrage une place importante.

Un beau volume orné de gravures.	Fr.	affr.
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	20 »	en colis postal
— — — — *dorée*	24 »	
— — — — *ornements dorés, tr. dorée*	27 »	
Demi-reliure, dos et coins en maroquin, ornem. dorés, tr. dorée	27 »	

السنة الرابعة العدد ١٠ ١٥ أيار ١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّية القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 10 (15 *Mai* 1901)

فهرس العدد ١٠

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe.

In-8°, LII — 314 pages, 1890.

Par le P. H. Lammens S. J.

L'auteur passe en revue dans leur ordre alphabétique quelques centaines de mots dont l'origine arabe lui semble plus ou moins fondée. Il commence par examiner les opinions de ses devanciers, les confirme par de nouveaux arguments, ou les repousse quand il les juge hasardées. Les mots arabes sont toujours *transcrits* en caractères latins, et à côté du mot français on trouve les termes congénères des autres langues *romanes*. Ce procédé de comparaison fait que ce travail peut servir à l'étude étymologique de plusieurs idiomes.

L'ouvrage est précédé d'une introduction ou *phonétique*, traitant des changements éprouvés par les lettres arabes dans leur passage au français. De nombreuses observations sur les dialectes vulgaires le recommandent à l'attention des lexicographes comme à celle des étymologistes.

	Fr.	affr.
Broché	5 »	0,55

245 Le livre des Arbres et des Plantes

كتاب النبات والشجر للاصمعي

In-8°, 48 pages.

Par al-Asmaʿi

Edité par le Dr A. Haffner

Cet ouvrage tiré comme كتاب الدارات de la Revue **al-Machriq** y a paru en articles successifs. Il offre un double intérêt aux Orientalistes sous le rapport de la Philologie et de l'histoire de la Botanique des anciens Arabes. Les noms scientifiques des plantes sont renvoyés en note et accompagnés de la description qu'en ont donnée les naturalistes anciens dans les grands lexiques arabes.

Broché	1 »	0,10

385 Diwan d'al-Hirniq sœur de Tarafah.

ديوان الخرنق اخت طرفة

Grand in-8°, 24 pages.

Par le P. L. Cheikho S. J.

Après al-Hansâ', les Arabes accordent la palme poétique à trois femmes célèbres du désert : al-Hirniq sœur du poète Tarafah, Amrah fille d'al-Hansa' et Laïla l'Ahialite. Les poésies de la première réunies en un *dīwān* éditées d'abord dans le recueil des Femmes Poètes viennent d'être publiées à part avec un appareil plus scientifique destiné surtout aux Orientalistes, d'après le Ms. du Caire.

	Fr.	affr.
Broché	1,50	0,05

المشرق

العلاج بالكهرباء

للدكتور نجيب افندي اصفر متولي المعالجة الكهربائية في مكتبنا الطبي
واحد أعضاء جمعية الطب الكهربائي في باريس

ليس العلاج بالكهرباء من الامور المستحدثة كما يزعم البعض فانَّ التاريخ ينبئ بان البشر اهتدوا الى هذه الطريقة العلاجيَّة منذ عهد عهيد قبل ان يوقفنا العلماء على حقيقة الكهرباء وخواصها العجيبة. وممَّا روى الطبيعي بلينيوس الاصغر انَّ نساء من سودان افريقية اعتدنَ في زمانهِ ان يغسلنَ اولادهنَّ في غدرانٍ ومستنقعات يسبح فيها السمك الرعَّاد وهو الكهربائي. ومن المعالجات التي وصفها للنقرس سكريبونيوس لَرغوس طبيب طيباريوس القيصر الروماني الاستحمام بمثل هذه المياه المتكهربة. بل يسوغ القول انَّ اهل الشرق أَلفوا المداواة بالكهرباء قبل هذين الكاتبين فان لبس قلائد الكهرب امر شائع عندنا بين النساء والاطفال جرى عليهِ الجمهور منذ القدم ونسبوا اليهِ خواص عجيبة لم يزل العامَّة حتى يومنا يطنبون فيها

بيد انَّ العلاج بالكهرباء لم يكن سابقًا على طريقة نظاميَّة مبنيًّا على مبادئ علميَّة راسخة كما أنَّهُ كان محصورًا في البلاد المتاخمة للبحر المتوسّط حيث يُلتقى السمك الرعَّاد. وليس منهُ في غير هذا البحر الَّا النزر القليل

هذا ولا نعدّد هنا ما طرأ على العلاج الكهربائي من التقلُّبات المتوالية وكيف بقي زمنًا طويلًا في ايدي بعض الاطباء الجاهلين الذين لم يحسنوا استعمالهُ او اتَّخذوهُ للمكر والشعوذة حتى كسدت تجارتهم وافتضح امرهم

واعلم انَّ من ادخل العلاج الكهربائيَّ في طور جديد العالمان الفاضلان دوشان دي بولوني (Duchenne de Boulogne) الفرنسي ورماك (Remak) الجرمانيّ وكلاهما

قد افرغ ما عندهُ من الحزم والهمّة الى ان توصَّلا الى وضع طريقتَين مشهورتين للمداواة بالكهرباء الواحدة اكتشفها الدكتور دوشان ودعاها « العلاج الفارادي » - (faradothérapie) باسم فارادي الكهربائي الشهير والاخرى سبق اليها ريماك فسمَّاها « العلاج الغلفاني » (galvanothérapie)

امَّا اليوم فقد كثر عدد الاطباء الذين يزاولون الطب بالكهرباء وسوف نورد اسماءهم في مطاوي كلامنا. وحسبنا ان نقول الآن انَّ المعالجة بالكهرباء قد اتَّسع نطاقها ايَّ اتساع بعد انحصارها زمنًا طويلًا في حيّز ضيّق لم يكد الأُساة يستعملونها في غير الاوجاع العصبيَّة

وقبل وصفنا طرائق العلاج الكهربائي وذكر الامراض التي يمكن مداواتها بهذا العامل الكبير لا نرى بدًّا من حلّ مشكل سابق اشتبه على الجمهور بل على بعض الخواصّ وهو صلاحيَّة الكهرباء للمعالجات الطبيَّة فانَّ قومًا يثبتون انَّ للكهرباء قوَّةً في نفسها كافية لشفاء الاسقام بينما ينكر ذلك قومٌ آخرون فيزعمون انَّ فعل الكهرباء متوقّف كلهُ على استهواء (la suggestion) المرضى واستهامتهم

نقول انَّ هذا البحث قد خاض احد ائمَّة الطب وهو الدكتور النطاسي دارسُنفال (d' Arsonval) احد اساتذة مكتب باريس قال:

« لقد اخذنا العجب ممن يزعمون انَّ قوَّة الكهرباء ليست في ذاتها وانَّما تكون بالاستهواء عند نفوذ المجاري الكهربائيَّة. ولكن هذا باطل لاننا نرى للكهرباء مفاعيل لا تُنسب الَّا لقوَّتها الخاصَّة. أفليس هي التي تنشّط التنفُّس في الانسان والحيوان السالَمين فيزيد استنفادهما للاكسيجين الحيي واخراجهما للحامض الكربونيك القاتل مع نموّ الحرارة المُنشئة ؟ أو ليس بفعل الكهرباء نرى المُصاب بآفة البول السُّكَّري ينقص في مائهِ السكَّر من ٦٠٠ غرام الى غرامات قليلة في ٢٤ ساعة ? هي الكهرباء توثّر في بعض الميكروبات فتغيّر خواصها وتحوّل سمَّها الى موادّ واقية يحسن التطعيم بها كما بيَّن ذلك العلَّامتان شارين وغينو (Charrin et Guinot). هي التي تشفي عدَّة امراض جلديَّة كالحزاز والقُوباء والبثور وغيرها تعالجها بالكهرباء بضعة أيام فلا يبقى لها اثر. وكذا الامراض العصبيَّة والفالج والصداع لا يغلبها الَّا عامل الكهرباء »

فصحّ اذن القول بعد كلام هذا الامام الشهير والاستاذ البارع انَّ في نفس

الكهرباء قوّةً عظيمةً شافية لا يُنكَر مفعولها . ويؤيد قولهُ شهاداتٌ عديدة لنُطس الحكماء كترييار (Trippier) وبرغوني (Bergonié) وابوستولي (Apostoli) وفيكورو (Vigouroux) ولوسركل (Lecercle) وشارين وغيرهم

وما يقضي منّا العجب اننا لا نزال بعد اختبارات هؤلاء المشاهير نسمع بعض الاطباء يندّدون باستعمال العلاج الكهربائيّ ويقولون: « قد عالجت المرض الفلانيّ بالكهرباء فلم استفد شيئاً ». الّا انّ طرائق العلاج بالكهرباء كثيرة منها ما يكون بالمجاري الثابتة ومنها ما يكون بالبطاريّات سلباً او ايجاباً . بعضها يتمّ على الطريقة الفاراديّة المتواصلة او المتوازنة وبعضها على الطريقة الفرنكلينيَّة بهيئة الشَّرر او الألسنة الناريَّة او النفخ او الاستحمام او الرشّ . ألعلّهم يظنُّون انّ الامراض تشفي على نمطٍ واحد من العلاج الكهربائي لقد ساء ظنُّهم فانّ المعالجات تختلف مع اختلاف الامراض ولكلّ صنفٍ من المجاري الكهربائيَّة مفاعيل خاصّة في الطبّ كما سترى

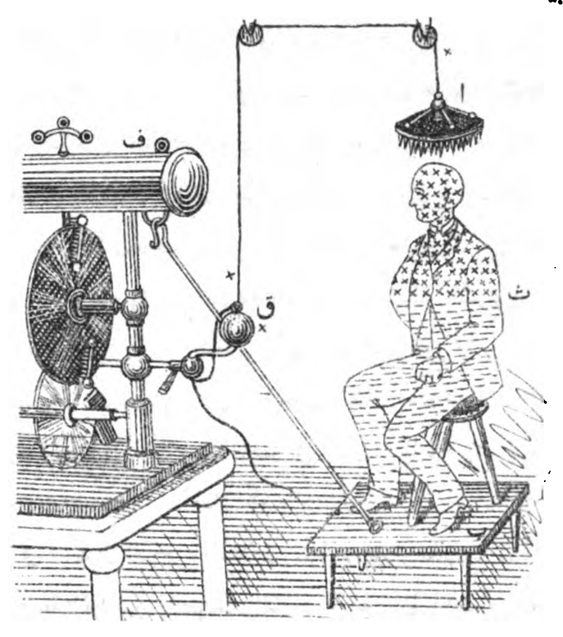
المجاري الكهربائيَّة الطبية

للمتطببين في استعمال الكهرباء ثلاث طرائق جروا عليها سابقاً وهي الطريقة الفرنكلينيَّة والطريقة الغلفانيَّة والطريقة الفاراديَّة . على انّ الحدثين تفنَّنوا في استعمال الكهرباء ومجاريها فمنهم من استخدم اشعَّة رنتجن ومنهم من طبَّب بالمجاري المتوازنة بواسطة الاهتزازات التليفونيَّة ومنهم من التجأ الى المجاري المتعاكسة الشديدة التواتر السريعة التقطُّع التي اكتشفها تِسلا (Tesla) . ونحن بعد ذكر الطرائق الثلاث السابق ذكرها نُلحق بها كلاماً عن مجاري تِسلا ونضرب صفحاً عمّا سواها لقلة استعمالها

١ً المعالجة بطريقة فرنكلين

هذه اول طريقة علاجيَّة بالكهرباء شاعت بين ارباب الطب ودعوها بالطريقة الفرنكلينيَّة (franklinisation) اشارةً الى العلامة الاميركي فرنكلين الشهير باختراعاته الكهربائيَّة . وهي تكون عادةً بالكهربائيَّة الساكنة (électricité statique) اي المتولِّدة بالفرك فهذه الطريقة العلاجيَّة اشبه بحمّام كهربائي يستحمُّ بهِ العليل . امّا الآلة المتّخذة لذلك فهي آلة الكهرباء الشائعة على اختلاف تجهيزها وهيئاتها . وكان فعلها سابقاً يحصل بالفرك كآلة رَمسدين (Ramsden) او ڤِنتر (Winter) ثمَّ استُعملت آلتا هُلتس وڤِمشورست (Holtz et Wimshurst) واليوم معوَّل الاطباء على آلة ڤمشورست وهي

التي رسمنا هنا صورتها . لها ادوات كثيرة لا نطيل الكلام في وصفها وانما نعدد مفاعيلها الطبيَّة



الاستحمام بالكهرباء الساكنة

ا باعث الكهرباء الساكنة الايجابي   ب لوح زجاج سلبي   ث حدود فعل الباعث الايجابي
ف خزانة الكهرباء السلبيَّة   ق خزانة صغرى للكهرباء الايجابيَّة

اعلم انَّ مفاعيل الكهرباء الساكنة تختلف حسب استعمالها فمنها ما يُداوى بهِ الجسم عموماً ومنها ما يُتَّخذ لعلاج احد اجهزة الجسد او عضو من اعضائهِ الخاصَّة

امَّا المفاعيل التي تعمُّ الجسم فمنها مسكِّنة ومنها منبِّهة ومنها مغذية

ولبيان ذلك قد افترض العلماء انَّ لخلايا الجسم العصبيَّة (neurone) مجرًى كهربائيًا خاصًا بهِ فاذا نفذت في الجسم الكهرباء الخارجيَّة تأثر المجرى الداخلي فتولَّدت فيهِ مجارٍ ثانويَّة او منعكسة حسب قوَّة الطلقات الكهربائيَّة واهتزازاتها . ولهذه التأثيرات فعلٌ طبيٌّ او فيسيولوجي لا يُنكَر غير انهُ يصعب تعيين مقدارهِ وكيفيَّة بلوغهِ الى الاعصاب بعد نفوذهِ اليها مجتازًا بالغلاف الجلدي الذي يسترها

وتظهر مفاعيل هذه الكهرباء ليس فقط بعملها في المجرى العصبيّ ولكن ايضًا في

الدوران الدموي وخصوصاً في الجهاز المحرّك للعروق والشرايين (appareil vaso-moteur) وذلك بسياق انعكاسات متواليــة فينتج من ذلك تأثير في الجهاز الهضمي والاعمال الغذائيّة

ومما تأكّد بالاختبار انّ الحمام الكهربائي الساكن يخفّف توتّر الشريانات بعكس الجاري السريعة التقطّع . فيسخن بذلك جسم العليل وتخفّ حركة دمهِ في الدوران وتزيد شهوتهُ للطعام ويزول اعتقـال البطن ويدرّ البول وتتحسن الوظائف الجلديّة وتكثر الافرازات وينمو الغذاء ويعود النوم للاجفان بعد الأرق ويتوارى ضعف الجسم والانيميا ويزيد مقدار كرّيات الدم الحمراء (hémoglobine) وتنقص بدانة الجسم المفرطة الى غير ذلك من المفعولات الحسنة

هذا ولستُ بزاعم انّ بالكهرباء الساكنة وحدها يمكن الحصول على النتائج السابق ذكرها لاني اعلم حقّ العلم انّ امراضاً كهذه تستدعي عوامــل اخرى وعلاجاً طويلاً . ولكن أيجوز للاطبّاء ان يحرموا مرضاهم ذوي الشرايين المتوتّرة من معالجـة فعّالة كالكهرباء . فالأحقّ بهم ان يضيفوها الى غيرها من التدابير الصحيّة التي يرونها انسب لحالة المرضى فيزيلون بذلك او يخفّفون أوصابهم لاسيّما بعد ان بيّنت اختبارات ائمّة العلماء عظم فوائدها وتبيّنّاها نحن ايضاً ولا نزال نتبيّنها كلّ يوم في المكتب الطبي الفرنسي

وما يزيدنا ثقةً في علاج الكهرباء الساكنة انّ مفاعيلها ليست توهّمات مبنيّة على المخيّلة والحدس بل هي ظاهرة للعيان يمكن تدوينها بالمقاييس فترى مثلاً بمقياس النبض (sphygmogramme) تصاعداً في توتّر الشرايين في ساعة الاستحمام بالكهرباء كما انّ العرَق يظهر في كفّ اليد وتنمو حرارة الجسم ببضع عشرات الدرجة ويسلس البول وكذلك يزيد التبادل بين موادّ الجسم بنفي المادّة البوليّة (l'urée) ومركّبات الفسفور . امّا الحامض الكربونيك السامّ فانّ المريض المُعالج بالكهرباء الساكنة يخرجهُ من فيهِ بالشهيق بكميّة اعظم من ذي قبل كما بيّن ذلك المعلم دارسنفال في مقالة قدّمها للجمعيّة البيولوجيّة سنة ١٨٩٢ واظهر جليّاً انّ تنفّس المرضى بقوّة هذا العامل يقوى ويسهل معاً

ومن نتائج اختبارات الدكتور ابوستولي في أيامنا انّ الاستحمام الكهربانيّ احسن علاج للهيستريا واورام الرحم . وهو امر لا ينكرهُ عاقل على هذا العلّامة ذي الشهرة الذائعة . وتزيد على ذلك ان هــذا العلاج احسن ما تُداوى بهِ الاوجاع العصبيّة عند

افراط الضغط الشرياني فانَّ المرضى لا يلبثون ان ينجوا ممَّا يلمّ بهم من التوعُّك والارق

وبالاجمال يسوغ لنا القول انَّ الاستحمام الكهربائي يفيد فائدة عُظمى ويُحسّن حالة المريض في فقر الدم وضعف الجسم والهزال والامراض العصبيَّة وتوعُّك المزاج وغير ذلك كما سترى (ستأتي البقيَّة)

الربيع في المشرق

بقلم الاديب يوسف افندي فاخوري معلم العربيَّة في المدرسة البطريركيَّة

برز الربيعُ فللتَ فيهِ رخاء وأراك من بعد الشتاءِ صفاء
زار الحمى ببهائهِ وجمالهِ متوشحاً ثوب الكمال رداء
وافى الثغور بحلَّة مخضرَّةٍ يختالُ عجباً مائساً خيلاء
والشمسُ ارسلتِ الشعاع فغازلت زهر الجنان مودَّةً وولاء
والوردُ لوَّنهُ الحياءُ بحمرةٍ حتى غدا كالارجوان حياء
والياسمين تكلَّلت غرساتهُ ببياض ازهارٍ تفوح شذاء
وبهِ الطهارة قد تصوَّر وجهها رسماً يسيل ظرافةً وبهاء
والزعفران تلوَّنت اشكالهُ من ازرقٍ يحكي السماء نقاء
او اصفرٍ زاهٍ واحمرَ زاهرٍ او ابيض كالاقحوان سناء
والاقحوان غطا المروج بزهرهِ يسبي النواظر بهجةً وضياء
والطير يشدو في الفياض مغرّدًا لحنًا يوقّعهُ الهزارُ غناء
وحمائم الاراك صاحت تشتكي بُعد الاليفة بكرةً ومساء
وبلابل الجنَّات ترسل لحنها صوتاً يردّدهُ الشجيُّ عزاء
والجوُّ يضحك والثغور بواسمٌ والماء يعذب ان وردتَ الماء
والبدرُ في وسط الكواكب قائمٌ يسري حثيثاً او يشقُّ فضاء
خلتَ الثغور وخلتَ حالة جوّها في الشرق ايَّام الربيع سماء

هي ثغورنا ثغور الشرق التي كانت تعرَّت من ملابسها الزهريَّة الخضراء. وتجرَّدت سهولها الفسيحة وقمم جبالها الشاهقة من حللها النباتيَّة في ايام الشتاء. قامت تكتسي ثوبًا جديدًا قشيباً. وتلبس حلّتها رداء اخضر عجيباً. وذكرت الخليقة عهد ايام سرور مضت رأتْ امثالها اليها مقبلة. فحنَّت اليها حنين أليف بان لهُ وجهُ خدنهِ الحميم. وقابلتها مرحبةً ثملةً برونق بهجتها لما شاهدتهُ في اصباحها وامسائها من آيات جمالها المنزلة. فطارت الى معانقتها شوقاً تلثم عارضيها والامل يقوّيها. والوصال يفرحها والحب ينعش نفسها

المائتة ويعزّيها. وما تذكّر اديمُ الارض حالةً كان عليها في فصل الشتاء من الجدب والقحول. وعرضها على ما هو عليهِ اليوم من الغنى والرزق المكفول. حتى ظنّ انهُ كان ممّن فقد الراحة فوجدها. وكن كادت تزول عنــهُ اسباب السعادة وهمٍ الى اركانها فوطّدها. جبالٌ نراها ضاحكة القلل كانت مغطاةً قُبيل الان بالثلوج والغيم يرسل اليها من براقعهِ السّجف السديل. واودية نشاهد خبوتها مبتهجةً تفتخر ببهاء خضرتها وترتاح الى خرير مائها الزلال. كانت من قبل ترغو وتزبد فيها الجاري وتُقذَف اليها الصخور من الروابي والتلال. سواقٍ وانهرٌ تنساب المياه فيها انسياب الافعوان فتلاعبهُ في الجنّات هزلًا وجدًّا. كان يوقفها في مجاريها تجليد سطح مائها فترتجف عناصرها عناءً وحردًا. هي ايّام اتاحت للنظر فرصةً بعد سلبها حرّيتهُ المطلقة وتقييده فأُعتق وسرح في الأَوداء والآكام. وراح يجول في البساتين و يرتقي الى اوج العــلاء وينخفض الى اصل العراء ويمرق من خلال الخمائل والآجام. سكوتٌ مستولٍ على اندية المعمور تبدّل بدويّ تتداولهُ الاسماع مسبّبٍ عن حركة العمّال. مجالاتُ رزقٍ واسبابُ معاش اتّسعت بعــد ضيقها ونُشرت بعد الفناء والزوال. ومرٌّ الصبا على العراء يداعبهِ وخرجت الطبيعة من اسر خمودها. ورجعت اليها نسمة الحياة فسهدت بعد هجودها. تجمّلها الكياسة والظرافة. وترافقها الرقّة واللطافة. تحيّيها ذُكاء بشعاعها ويعانقها ضياؤُها. وترسل اليها لعابها ويظهر عليها سناؤُها. ومولد النبات قد اختبر سر فعل الطبيعة بقدرة باريها. وأَنتجت الارض اعشابًا وغرساتٍ مثمرة فعظّمت الخلّاق جنّاتُها و براريها. وكلأُ الصحارى نقّطهُ الزهر الباهر. والسفوح كلّلها الاخضرار الناضر. والحقول شيّدت منازل فطرقت ابوابها البَهم تطلب اليها الضيافة. فرحّبت بها وتزلت عليهــا اهلًا ووجدت مكانًا رحبًا ولم تخشَ صدودًا او مخافة. مروجٌ نبتت فيها السنابل متواضعةً خافضة الرؤوس شأن الكامل. لا يجد الناظر في واحدةٍ منها تشامخًا ولا عظمة صفةَ الشهم العاقل. وقد ثقّلها الحبُّ وهبَّ عليها النسيم فهزّها طربًا. وكان لها حفيفٌ يملأُ النوادي جزلًا ويشفي من القلوب وصبًا. وتفتّحت اكمام الازهــار. وهلّت في الرياض الأَقمار. وجاء بكر الربيع الجوري وقام في وسط البساتين تعلو خدّهُ حمرة الخجل. يهدي الينا من عرفهِ شذا رائحة ذكيّة فتسرّ بهِ الاعين النّجل. وبان القرنفــل من خلال الرياحين متلوّنًا تفوح ريّاهُ العطريّة. والياسمين شقّ عليهِ بُعد الخليل فتاقت نفسهُ الى مشاهدة طلعتهِ البهيّة. فشكا الصدّ

والهجرَ وتضرَّع الى الندى فرطبهُ فتفتَّحت اقاره ورأينا مثال الطهارة في بياض زُهيراته النقيَّة. واستيقظ البنفسج وبدت اعينهُ فقرأنا فيها من النقاوة سُوَرًا. وقام النيلوفر في جوف الماء معجبًا بجماله يرينا من حسنه صورًا. وعادت الينا الطيور مغادرة اخاديرها اذ رأت غزالة شرقنا قد أذابت ثلوج آكامنا فقدمتْ مرسلةً رائدها اصواتها الشجيَّة. ونزلت على الرُّحب والسَّعة فحيَّتها المنازل والرياض الشرقية. فاتخذت لها مساكن في اشجارها ذات الأثمار الشهيَّة. وشيَّدت وكناتها في افنانها وباضت ثمَّ نقفت افراخها على ألوانها. فتنقَّلت في جناتنا ترّيح بشدوها عن الفكر العناء. ويقودنا تغريدها المطرب الى المسرَّة والصفاء. فاشجانا صوت الشحرور مغرّدًا. وراقنا ابو الحسن (الحسون) بجماله متفرّدًا. وسرَّنا صوت البلبل ارسل من ألحانه ضروبًا. فشنَّف آذانًا وسبى قلوبًا. واطربنا الهزار آمنًا فتكات الزمان. يغرّد متنقّلًا على افناننا فينسينا الاشجان. وهو كمن استهوتهُ سَورة الخمر الرحيق فاسكرتهُ واطربتهُ. فطاف الحدائق غير صامت هنيهةً كانَّ بهجة ازهارها استخفَّتْهُ وخلبَتْهُ. ولقد تخيَّلنا تغريد طيورنا العربيَّة. أصوات قوم ألفوا الغناء او الحانًا موقعة آليَّة. ولا بشرٌ هنالك فما تلك الَّا مخلوقات صغيرة تمجّد العلَّام البصير. تجيءُ وتذهب وتترقرق في الفضاء بقوَّة الخلَّاق القدير. وجاءتنا السنونو ترفُّ في سمائنا مبشِّرة بقرب ورود موسم الحرير. تشقّ الافلاك كحراب ناريَّة. سابحةً في الهواء باجنحة ابنوسيَّة. وتسمو الى مقرّ الجوزاء فتناطح صرح دراريها. مصدّقة ما قالهُ جمال الدين فيها:

وغريبةٍ خفَّت الى وكنٍ لها ... فأتت اليهِ في الزمان المقبلِ
فرشت جناح الآبنوس وصفَّقت ... بالعاج ثمَّ تفهقت بالصندلِ

فتلك هي احوال ايَّام الربيع في شرقنا المشرق تمثِّل الحداثة وطهارتها. وتلك مناظر الجوّ وصفائهِ في هذا الفصل تذكّر بالشبيبة وتصوّر غضاضتها. بدائع اوجدها الله تعالى فخبَّرت بقدرة صانعها. وخلائق افصحت عن حكمة مبدعها. واجابت اذ سألناها هل يدوم للمرء الصفاء: كلَّا لا دوام في عالم الفناء. ولا سعادة الَّا في دار البقاء. وتمثَّلت بقول بعض الشُّعَراء:

ألا نحن في دار قليل بقاؤها ... سريع تداعيها وشيك فناؤها
تزوَّد من الدنيا التُّقى والنُّهى فقد ... تنكَّرت الدنيا وحان انقضاؤها

الحياكة وموادّها واتقانها في زوق ميكائيل

بقلم حضرة الاب جبرائيل كيرلوس احد اساتذة مدرسة عينطورة العامرة

الحياكة صناعة متوغلة في مجاهل القدم ومعتبرة عند جميع طبقات الامم فهي لحياة قالب الاجسام البشريَّة كالقوت لقلبها تحاكي المأكل والمشرب ضرورةً ولزوماً في كل اوقات المعيشة وتشابههما غلظةً ورخاء بتنوُّع موادّها واختلاف اجناسها وتُنافسهما قيمةً وعظمةً بكيفيَّة صنعها ودقَّة حيكها. فكما انَّ للاشراف والمتموّلين من الناس والمتوسّطين والعامَّة منهم من المآكل والمشارب فنون الالوان هكذا لهم جميعاً في الحرير ضروبُ الحلل وفي الصوف والكتَّان وغيرهما صنوفُ الملابس وأنواع الثياب والانسجة. فلا عجب والحالة ما ذُكر اذا شاهدنا اصحاب هذا الفنّ في كل قطر ومصر يتنافسون بمصنوعاتهم ويتسابقون في ميادين اتقان نسجها واجادته. وبما ان غاية قصدنا التكلُّم عن مصنوعات زوق ميكائيل دون سواها فيجدر بنا قبل الأخذ بهِ ان نأتي على ذكر اهمّ موادّ الحياكة والالماع الى تاريخ نشأتها

١

ان اخصّ الاصناف التي تُصنع منها الانسجة انما هي الكتَّان والقنَّب والقطن من النبات والصوف والحرير من الحيوان

(فالكتَّان) نبات حَولي اصل منبتهِ في سهول آسيَّة الكبرى استجلبهُ الاوربيون منها الى بلادهم واحسنوا استعمالهُ زرعاً واستغلالاً. وقيل انَّ المصريين هم اوَّل من زرع الكتان واهتدوا الى عميم منافعهِ بواسطة إلهتهم ايزيس وما لبثت زراعتهُ ان عمَّت القطر كلَّهُ منذ أيام موسى وكثرت مداخيله وتوفَّرت وارداتهُ فاشتهرت معاملهُ وملأت صادراتها ممالك قياصرة الرومان في عهد ولايتهم

وممَّا يزيدنا تأكيدًا بان الكتان كان عموميًا في مصر هو اسراف اهلها في استعمالهِ اذ تبيَّن اليوم بواسطة نظَّارات « تمپسون وبان وديتروشه » بان لُحمة الاكفان التي كانت تحنَّط بها الاجسام من سفلة الشعب المصري القديم وسُداتها كانتا من الكتان وليس من القطن كما تُوهِّم بادئ ذي بدء استنادًا الى رأي بعض علماء العاديَّات المصريَّة

ولنا في اسفار العهد القديم في سياق كلامها عن جنس اوشحة الاحبار وارديتهم حجّة قاطعة و برهان ساطع لا يبقي مجالًا للريب في قدميَّة ما اثبتناه

(القِنّب) هو اشبه بالكتَّان جنساً وحياةً لا يختلف عنهُ سوى بعروقهِ التي هي اثقل واغلظ من عروق الكتَّان وامتن منهــا اتى بهِ الغربيون من الهند الشرقيَّة اصل منشإهِ الى بلادهم منـــذ زمن لا يُعرف بدوّهُ ولم يكن يستعمل ألّا للأشياء الغليظة كالقُلْس والحبال واستمرَّ كذلك الى منتصف الجيل الخامس عشر حيث نبَّهت كاترينة دي مديسيس ملكة فرنسة الافكار الى تحسين مصنوعاتهِ فعمل العَملةُ فكرهم في تلطيفها وتوصَّلوا الى نسيج الخَنيف منهُ (الجنفيص) والمشمَّعات وغيرهما

(القطن) هنديُّ الاصل اكتشف عليهِ اليونان في الجيل الخامس ق م حيث قال احد كتبتهم المشهورين والمؤرخين المدقّقين العالم هيرودوت بعد ان جاب ارض مصر وآسيَّة الغربيَّة سائحًا ما تعريبهُ: « انَّ الهنود لديهم نبات يثمر بدل الثمر صوفًا هو اجمل من أصواف الضأن وافضل منها يصنعون منهُ كسوتهم ». وقبل ابتداء النصرانيَّة بقليل كان قد ذاع هــذا الصنف في جزيرة بلاد العرب والاقطار المصريَّة ثم انتقل الى بلاد اليونان فايطالية في اوائل النصرانيَّة وتوفَّرت معاملهُ في العجم وارمينية واشتهرت ايّمـا اشتهار في الجيل الثالث عشر وكانت قبائل العرب تنشر زراعتهُ في افريقية كلما افتتحت فيها قطرًا وحلَّت من امصارها مصرًا وهي التي جلبت بزورهُ الى اسبانية في الجيــل التاسع واقتدى بها الاتراك في الرابع عشر فاستعملوهُ في جهات البانية ومقدونية ومهر بكيفيَّة نسجهِ بعض اهل البندقيَّــة وميلان فهاجروا منها الى بلجكة وانكلترة سنة ١٤٣٠ حيث اذاعوا هذا الفن وعلَّموهُ لألوف من سكَّان تلك الديار. امَّا فرنسة فلم يُتح لها الحظّ ان تتمتَّع بواردات هذا النوع قبل الجيل السابع عشر وقد كان الاميركان قبل دخول الاوربيّين في ديارهم يستعملون قطن بلادهم خصوصاً في انحــاء البرازيل والانتيل وكولمبيا

هذا ما كان من جنس النبات امَّا (الصوف) فهو مادَّة ليفيَّة تكسو جلود الشاء وغيرها كالنعام وبعض الحيوانات الشائعة في بلاد بيرو كما يستر الشعرُ المعزى والوبرُ الابلَ. اكتساهُ اول آبائنا منذ العصور الاولى بدلًا من تلك السُّتر الغليظة التي كانت تصنع من ورق الاشجار وقرَفها ومن جلود الايائل والظباء وما شاكلهما دفعًا لِسَبرات الشتاء

(الحرير) خيط يجمع بين الدقّة والصلابة بهِ ينسج دود القزّ فيالجهُ ومنزلتهُ من الانسجة منزلة الذهب من المعادن قد اكتشفت سلطانة من الصين على كيفيَّة تربية ديدانهِ وتسليك خيوطها وحياكتها سنة ٢٦٩٨ ق م فاقتدت بها رعاياها وجدُّوا في طريق استثمار هذا الفن ومكاسبه

فلما رأى ارباب الحكم ما وراء ذلك من المغانم الجزيلة تحفَّظوا بالأمر وسنُّوا شرائع مشدَّدة تقضي بالاعدام على ايّ حاول خيانة مصالح الوطن فاوقف الاجانب على مكنوناتهِ وفتح لهم بابًا ينسابون منهُ لاختلاس وارداتهِ. فنجحوا عملًا ونالوا املًا مكَّن مملكتهم من التنعُّم وحدها بمداخيلهِ الجليلة والتهادي بحللهِ الفاخرة اجيالًا عديدة

ففي سنة ١٤٠ ق م قيِّضت التقادير الى احد ملوك بُخارى الصغرى الواقعة في أواسط آسيَّة ان يتزوَّج باحدى الاميرات الصينيَّات التي عند التحاقها بحليلها والاجلاء عن مسقط رأسها أخبئت بزر الحرير بقلنسوتها غير هيَّابة الفضيحة ولا وكلة الموت ان اشتهر امرُها وظهرت خيانتها. فافلحت حيلةً وسلمت من هذا الخطر وهكذا امتدَّت صناعة الحرير الى الهند والعجم. ولم تدخل منسوجاتهُ الديار الغربيَّة الَّا بعد استظهار اسكندر ملك مقدونية على داريوس شاه العجم وذلك قبيل ال ٣٣٠ ق م

وبقي الرومان واليونان يبتاعون تلك البضائع الحريرَّية تارةً من الفينيقيّين الذين كانوا ينسجونها بعد استجلاب موادّها من الهند والعجم بطريق مصر والبحر الاحمر وطورًا من الفرس بطريق سوريَّة لان بزور القز والتوت لم تكن دخلت بعد الاقطار الرومانيَّة بسبب المراقبات الشديدة التي وضعتها الهند والعجم اقتداء برصيفتهما الصين

ولكن قِرابَ السنة ٥٥٢ او ٥٥٥ خاطر بالحياة راهبان من رهبانيَّة القديس باسيل وجلبا من احدى مدن اسيَّة الوسطى الى يوستينيانوس ملك القسطنطينيَّة بزور الحرير والتوت الابيض موضوعة في انابيب من القصب. فشكر لهما المليك الحكيم واهتمَّ بترويج هذا الصنف في انحاء ولايتهِ اهتمامًا لم يمضِ عليهِ الزمن اليسير حتى تكاثر جناه وتعدَّدت معاملهُ

ثم اخذت هذه الصناعة تنتشر تدريجًا في افريقية وايطالية وفرنسة الخ حتى بلغ ما تدرّ تجارتها في الحال الحاضرة في اربع جهات المعمور ما ينيف عن المليار من الفرنكات

ذلك مبلغ يبذل النفوسَ دون جمعهِ والحرص عليهِ اشدُّ البخلاء الحريصين ويصرف الحياة في سبيل صرفهِ اعظمُ المسرفين المبذرين

٢

لقد جاء في مطاوي الكلام ان الحياكة فنٌّ عُرف شأنهُ منذ العصور المتقدّمة ولم يُحرم قطر من البسيطة كلها الَّا مارسهُ اهلهُ ونبغ ما بينهم عُصَب تميَّزوا في اساليبهِ وفاقوا رصفاءهم باختراعات ابرزها الذكاء والجدّ الى عالم الوجود فاعترفت بها الاقوام وضربوا لذويها سرادق حمدٍ وثناء خلَّدت لهم في بطون التواريخ ذكرًا جميلًا

وقد صحّ ان اقطارنا الشرقيَّة عموماً والسوريَّة خصوصاً لم تعدم منذ القدم من دُهاة حاذقين بهـذه الصناعة كما رأينا في ما سبق من الحديث عن مصنوعاتهم ومعاملهم وواردتها الى البلاد الغربيَّة . امَّا اليوم وان فضل المغربُ المشرقَ ونال في هذا الميدان قصب الرهـان فانَّا نرى في منسوجات بعض ديارنا كدمشق وحمص وحلب ما يذكرنا بسالف عزّنا وغابر مجدنا ويحفظ لنا في أعين الاجانب مقاماً رفيعاً ويصون طيب سمعتنا بين ظهرانيهم . ولو كنتُ واقفاً على حقيقة فضل المتفنّنـين في تلك المدن المتقدمة وبراعتهم في هذا الفن لرسمتُ على صفحات الورق ألوان وشيهم وأنواع زركشتهم ولكنَّ مفاوز البعد ومخاطر القصور وصيانة الصدق في المقال قضت عليَّ ان اترك لصاحب البيت عرض ما فيهِ من السلع واطلاع عامَّة الناس عليها وخاصتهم مكتفياً بوصف منسوجات الزوق احدى قرى لبناننا العزيز فاقول:

تبعد الزوق عن البحر ثلاثة كيلومترات خطّاً مستقيًا موقعها بين فُرضة جونيـة ومدرسة عينطورا الشهيرة سكَّانهـا من الموارنة الَّا بعض عشراتٍ من الروم الملكيين فيها عدَّة اديار للطائفتين ودير واحد لراهبات المحبة اللواتي هنَّ كملائكة السلام لطفاً وعذوبةً ودماثةً يتعاطى اهلها التجـارة والصنائع وحراثة الارض بيد انَّ البعض منهم تفرَّدوا بفنّ الحياكة الذي اكسب هـذه البلدة شهرة بعيدة حملت ارباب « المشرق » الكرام ان يفسحوا لذكر ذويها في مجلَّتهم المعتبرة مقاماً يقدّرهُ قدرهُ الفهماء الاذكياء ويجلّ مكانتهُ العقلاء الفضلاء

امَّا دخول هذه الصناعة في الزوق فغير معلوم اجلهُ الَّا انَّ المعمّرين يروون انَّ اول من احترف هذه الحرفة أتى بها من حمص وعلَّم فئة من مواطنيهِ نسج الاعبئة والهمايين

(الأكبار) فاتّبعوا هذه الطريقة البسيطة مدّة سنوات طوال بيد ان المرحوم عبد الله ابي شقرا من نفس الزوق توفّق من زهاء خمسين سنة الى رسم العروق الافرنجيّة والاسطنبوليّة على النول بالملحم (الكوك) فاخذ عنهُ جماعة من بلدتهِ وجدّوا بنسيج انواع الحلل من قمع وأخرة ومناديل وكوفيّات وستائر (برادايات) ومناطق وضروب الأثاث إن فرشاً وإن كسوةً وكلها موشّاة ومطرّزة بخيوط فضيّة او ذهبيّة ومبرقشة بالألوان والرسوم المختلفة وفقاً لاذواق اهل العصر وأغراضهم . فتلقاها الجمهور بحسن الرضى واقبلوا على ابتياعها رغبةً واستنشاطاً فضاعفت الزوق الجدَّ وبالغت باتقان هذه المنسوجات فبسمت لجمال مصنوعاتها ثغور النبلاء وامّهات المدن في سوريّة ومصر حتى وفي الديار الاوربيّة وكثرت عليها المطاليب وتوفّرت لديها العملاء في كل صوبٍ وأوب فاثرى سكّانهم وعظم شأنهم وما زالوا يتسنّمون ذرى التقدم والحضارة حتى فغرت معامل الغرب افواهها وقذفت الى هذه الأقطار من صنوف امتعتها ما قرَّ لهُ اعين الاهلين وميّل خواطرهم الى استحسانهِ فقضى الغربي نفسهُ العجب من شدّة اعتقادنا بمقدرتهِ على العمل وميلنا المفرط الى تفضيل الجديد وتعزيز الغريب ونحن لم نحفل بتوقيف حركة تجارة الوطن وتقهقر اشغال اهلهِ بل اقبلنا نستورد من ادوات الاجانب مسرورين وهم يضحكون من جهالتنا ولسنا بمشعرين

ثمّ تتبّع آثار عبد الله المذكور المرحوم راشد ابي شاكر الديراني اصلاً والزوقيّ موطناً فبرع برسم اجناس العروق وانواع الرسوم وايقظ الافكار من غفلتها واحيا الهمم بعد ميتتها . وقد امتاز في هذه الأيام نخبة من عملة هذه البلدة كالمعلّم البارع يوسف بن عبدالله ابي شقرا وانطون مهنّا والياس ابي شقرا وسليم انطون ملحه وانطون سلّوم الدمياطي وخليل حنّا شاهين ليس فقط باحكام الحيك ومتانة المتاع بل باجمل الرسوم ودقّة الوشي والتطريز والتبرقش ففاقوا من تقدّمهم جميعاً تأنقاً وزخرفة وحاكوا مهرة المصوّرين بأن رسموا رسومهم نسجاً على المنسج بالملحم لا بالمنقش او التصوير الشمسي فاستوقفت بدائع حذقهم الابصار وادهشت غرائب ذكائهم البصائر فقصدهم محبو هذه الازيان وجاؤوهم أرسالاً من كل وادٍ وناد ليستصنع هذا رسمَ مليكه وذاك حبيبهِ وذلك صورة موضوع آمالهِ ومرجع امياله لتُرفع هدايا حمدٍ وشكر ورموزَ ودادٍ وحفظ ذكر . وقد اتحفني المعلّم يوسف عبد الله ابي شقرا إمام هؤلاء العملة باسماء كثيرٍ ممّن صنع رسومهم

على الطريقة المتقدّم ذكرها انما ضيق المقام لا يسمح ألّا بذكر ارفعهم منصباً واسماهم مقاماً ليقف القارئ على فضل الصانع واهميَّة صناعتهِ وهم: جلالة امبراطورَي النمسا والمانيا(١ الحاليين وحضرات نجل صدر الصدور العظام ابي الهدى ونجل الصدر الاعظم في الاستانة العليَّة والولاة الفخام ملجأ ولاية بيروت وسوريَّة ومتصرفيَّة لبنان وسليم باشا الملحمه وشقيقه نجيب وحرمهما وغبطة بطريركي الارمن والسريان السابقين

ولنا في ما رفعهُ اعاظم هذه الديار واعيانها من المنسوجات التي نحن بصددها كهدايا فاخرة لقداسة لاون الثالث عشر بنسبة يوبيلهِ الكهنوتي في جملتها صورتهُ الكريمة موشّاةً وكتقادم عبودية واخلاص للحضرة السلطانيَّة في عيد يوبيلها الفضيّ وهدايا اعانة ورأفة لسوق الشفقة في عاصمة ولاياتها المحروسة اكبر دليل على رفعة قدرها وسموّ مكانها

وخلاصة القول انَّ عَمَلَة الزوق اهل بان يصنعوا لكلٍّ ذوقهُ من المنسوجات الحريريَّة والصوفيَّة والقطنيَّة بسيطة كانت او معلمةً بانواع الخيوط ان فضةً وان ذهباً ومبرقشة باصناف الرسوم والتماثيل طبقًا لكل مذهبٍ وهوًى فعلى ابناء الوطن ان ينظر بعضهم الى بعض اين وكيفما كانوا نظرة توقي شأنهم وتعلي مكانهم لانَّ التعاضد في الامور موطد للقوَّة ومجلب للراحة موفر اسباب السعادة داعٍ الى السلام مبعد من البلاء مُدني من الكمال فان حفظناهُ ثبتت معاقل مجدنا في وجه كرَّات الطوارئ واستمرَّت أطواد عزّنا راسخة وقلاع سطوتنا عامرة وآثار فخارنا غير دارسة والّا نُسفت ودُكَّت وقُلعت ومُحيت اجارنا الله من شرّ الانقسام فهو القدير وبالاغاثة جدير

وصف الصين للقلقشندي

نبذةٌ تولى نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي (تتمَّة)

ومنها « السّيلى(٢» قال في تقويم البلدان: ويُقال لها سِيلا ورأيت في بعض الكتب سيلان بزيادة نون بعد اللام والالف . قال: وهي مدينة (٣ في اقصى الصين الشرقي خارجة عن الاقاليم الاول الى الجنوب. قال في القانون حيث الطول مائةٌ وسبعون درجة

١) ورسم جلالة امبراطور المانيا لم يزل حتَّى الآن في محل الفاضل الخواجا ليان سركيس

٢) السيلى توافق اليوم بلاد كوريا . وقيل ان العرب ارادوا بالسيلى بلاد يابان (راجع المسعودي ١: ٣٤٦)   ٣) والصواب ان كوريا شبه جزيرة مستطيلة

والعرض خمس درج وهي في اعالي الصين من الشرق جزائر الخالدات(١ في بحر الغرب لكن هذه معمورة بخصب بخلاف تلك

ومنها «جَمْكوت(٢» قال في تقويم البلدان: كذا وجدناها مكتوبة: واسمها عند الفرس جماكرد. قال: وهي مدينة في اقصى العمارة الشرقيّة خارجة عن الاقليم الاول من الاقاليم السبعة الى الجنوب. قال في الاطوال: وهي على خط الاستواء لا عرض لها. قال في تقويم البلدان: وهي على النهاية الشرقيّة مثلما يُحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربيّة. قال: وليس شرقي جمكوت عمارة اصلاً

ومنها مدن اخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط احداها مدينة ننجو(٣ وموقعها في الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة. قال في الاطوال: حيث الطول مائة وخمسة وعشرون درجة والعرض اثنان وعشرون وقد ذكر في القانون انها مستقرّ ملكهم

ومنها «خانقو(٤» وهي مدينة على النهر واقعة في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة. قال في القانون: حيث الطول مائة وستون درجة والعرض اربع عشرة درجة. قال في تقويم البلدان: وهي من ابواب الصين. قال ابن سعيد: وموقعها على شرقي نهر حمران(٥. قال ابن خردادبه: وهي المرفأ الاكبر وفيها الفواكه الكثيرة والبقول والحنطة والشعير والارز والعنب والسكر

ومنها «خانجو(٦» وهي مدينة على النهر واقعة في الاقليم الاول من الاقاليم

---

١) في هذا تصحيف والصواب كجزائر الخالدات. وهي رواية ابي الفداء في تقويم البلدان (ص ٣٦٧). وقد مرّ انّ بلاد كوريا كشبه جزيرة مستطيلة. ولعلّ العرب دعوها بالجزيرة كما قالوا جزيرة الاندلس لدخول قسمها الكبير في البحر — وكانت تلك البلاد اصبحت خراباً بعد الحروب المتوالية التي انتشبت فيها وسوء تدبير ملوكها ٢) لم يمكنّا الوقوف على حقيقة هذه المدينة

٣) كذا في الاصل. وصوابها ينجو كما وردت في تقويم البلدان لابي الفداء (ص ٣٦٤)

٤) يؤخذ من كلام القلقشندي وغيره من جغرافيّي العرب انّ خانقو اسمٌ لمدينتين مختلفتين وما هما في الصحيح الّا اسمٌ لمدينة الخنساء المذكورة سابقاً (راجع مروج الذهب للمسعودي ١: ٣٠٢) وكذا قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٣٦٣): «خانقو المعروفة في زماننا بالخنساء». وقد زعم ابن بطوطة (٤: ٢٩٥): انّ خانقو من اسماء پاكين. ونظنّ انّ في اسمها تصحيفاً

٥) «حمران» او «حمدان» كما سيأتي هو في الارجح النهر المعروف اليوم بالنهر الاصفر. وابو الفداء (ص ٣٦٥) قد دعاهُ نهر خمدان

٦) روى ابو الفداء عن ابن سعيد انّ هذه المدينة في الاقليم الرابع

السبعة . قال في الاطوال: حيث الطول اثنتان وستون درجة والعرض اربع عشرة درجة. قال في القانون: وهي من ابواب الصين

ومنها «سوسة (١» قال في تقويم البلدان وهي مدينة مشهورة كثيرة التجار متصلة العمارة بها يُصنع الفخّار الصيني الذي لا يفوتهُ ولا يعدلهُ شيء من اعمال الصين. قال: وهي على شرقي نهر حمدان

الاقليم الثاني بلاد الخطا (٢

وهم جنس من الترك بلادهم متاخمة بلاد الصين وقد ذكر في مسالك الابصار مدينة «قمجوهى» وقال: انها اوّل بلاد الخطا وانَّ منها الى جالق بالق (٣ اربعين يوماً بل ذكر ان مدينة جالق بالق التي هي قاعدة هذه المملكة (٤ من بلاد الخطا

الجملة الثانية
في معاملة هذه المملكة واسعارها

امّا معاملتها فقال في مسالك الابصار: حدَّثني الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطياري انَّ معاملتهم بقشور من لحا شجر التوت مطبوعة باسم القان فاذا عتق ذلك حملهُ صاحبهُ الى نوّاب هذا القان واخذ عوضهُ مع خسارة لطيفة كما يؤخذ بدار الضرب ممّا يحمل اليها من الذهب والفضة ليضرب بها (٥ . وذكر عن الشَّريف حسن السمرقندي انَّ فيها كبارًا وصغارًا فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد ومنها ما يقوم مقام درهمين ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم واكثر الى ثلثين واربعين وخمسين ومائة . وقد تقدَّم في الكلام على جالق بالق والخنسا ذكر ما بهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجملة الثالثة
في الطريق الموصّل الى هذه المملكة

قد حكى في مسالك الابصار عن الشريف تاج الدين السمرقندي انَّ من سمرقند

---

١) لم نجد لهذه المدينة ذكرًا على هذا اللفظ . ونظنّ انَّ القلقشندي اراد المدينة التي دعاها ابو الفداء في تقويم البلدان «سوكجو» وهي من مدن الصين الشمالية المدعوَّة «سوتشيو» او «سوكتشيو»

٢) بلاد الخِطا هي الصين الشماليَّة راجع رحلة ابن بطوطة (٤: ٢٩٤)

٣) من اسماء باكين

٤) اي المملكة الصينية

٥) وقد اخبر مثل ذلك ابن بطوطة في رحلتهِ لكنَّهُ ذكر بدلاً من ورق التون «دراهم الكاغد»

من بلاد ما وراء النهر الى نيلى (١ عشرين يوماً ومن نيلى المذكورة الى مالق (٢ عشرين يوماً ومن مالق الى قراجوجا الى قمجوهى الى خان بالق اربعين يوماً. ثم قال: ومن خان بالق الى الخنساء طريقان طريق في البرّ وطريق في البحر وفي كلّ من الطريقين من خان بالق الى الخنساء اربعون يوماً وذكر في الكلام على مملكة بيت بركة (٣ عن حسن الاربيلي انّ المسافر اذا سافر من جولان على شرقيها وصل الى مدينة قراقوم

الجملة الرابعة
في ذكر ملوكها

قد ذكر المسعودي في مروج الذهب عدَّة ملوك من ملوك الصين قبل الاسلام وبعدهُ اسماؤهم اعجميَّة لا حاجة بذكرها. والمقصود معرفة حالها في ايّام بني جنكزخان القائمين بها الى الآن... ثمَّ لمّا ملك جنكزخان اوصى بتختهِ المستولي فيهِ على هذا القسم من المملكة لولدهِ الصغير اوكداي ومات جنكزخان فاستقرَّ ولدهُ اوكداي في المملكة مكانهُ ثمَّ ابنهُ كيوك ثم مات فملك بعده منكوقان بن طولي بن جنكزخان ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة فملك بعدهُ اري بَكا ثم قبلي خان ثمَّ دمرتاق ثمَّ قرماي ثمَّ ترمي طبري ثمَّ قيان قان ثمَّ سندمرقان (٤ بن طولي بن جنكزخان وهو الذي كان في الايام الناصريَّة محمَّد بن قلاوون صاحب الديار المصريَّة ثم انقطع خبرهم فلم يُعلم من ملك

١) هي احدى مدن تركستان وقد ذكرها القلقشندي في الصفحة ١٤٧٨ قال: قال في مسالك الابصار هي اربعة مدن بين كلّ مدينة والاخرى فرسخ واحد ولكل واحدة اسم يخصُّها

٢) مألق هي احدى مدن تركستان. قال فيها القلقشندي (ص ١٤٧٨): « نقل عن الشيخ محمَّد الخجندي الصوفي وغيرهِ انَّ بها من الخيل والاغنام ما لولا موتان يقع فيها في بعض السنوات لما بيعت ولا وُجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتائجها »

٣) يريد مملكة القبجاق دعاها كذلك باسم دولةٍ ملكت عليها

٤) كانت وفاة جنكزخان سنة ١٢٢٧ م فخلفهُ اوكداي (ويقال اوكتاي) بعد سنتين ١٢٢٩ ومات سنة ١٢٤١ فتولى بعدهُ الملك ابنهُ البكر كيوك خان سنة ١٢٤٦ ومات سنة ١٢٤٨ فخلفهُ منكو بن طولي اخو اوكداي سنة ١٢٥١ وملك ثمان سنين. وهو الذى دعاهُ ابو الفرج ابن العبري في تاريخ الدول مونككا (ص ٤٥٦). خلفهُ سنة ١٢٦٠ اخوهُ قُبلاي. الّا انهُ عارضهُ في الملك اخوهُ الصغير اري بُكا دعاهُ ابو الفرج (ص ٤٩١) اريغبكا فدام الخصام بينهما ١٧ سنة حتَّى صار الامر كلّهُ في يد قبلاي وهو فاتح الصين (راجع العدد السابق ص ٤٠٧) ثمَّ خلفهُ حفيدهُ دمرتاق ويقال لهُ ايضاً « تمور » سنة ١٢٩٤ ومات سنة ١٣٠٧. امَّا « قرماي وترمي طبري وقيان قان وسندمرقان » فلم نجد لهم ذكرًا في تواريخ المغول ولعلَّهم غيَّروا اسماءهم فعُرفوا بأسماء صينيَّة

منهم. وملوك هذه المملكة من بني جنكزخان كفّار يدينون بتعظيم الشمس واقفون في الاحكام مع ياسة (١ جدهم جنكزخان المقدّم ذكرهُ في الفصل الاول قال في مسالك الابصار: ذكر لي الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطياري الكاتب البوسعيدي انهم على ما هم عليهِ من الجاهليّة على السيرة الفاضلة الشاملة لاهل مملكتهِ ومن يرد اليها. قال الشريف السمرقندي: ومن عجائب ما رأيت في مملكة هذا القان انهُ مع كفرهِ في رعاياهُ من المسلمين امم كثيرة وهم عندهُ مكرَّمون ومحترمون ومتى قتل احد من الكفار مسلماً قُتل القاتل الكافر هو واهل بيتهِ ونُهبت اموالهم وان قتل مسلم كافراً لا يُقتل بهِ بل يطلب بديتهِ. وديّة الكافر عندهم حمار لا يُطلب بغيرهِ (٢

الجملة الخامسة
في عسكرهِ

قال بدر الدين حسن الاسعردي التاجر: وهذا القان ذو عسكر مديد. قال: والذي اعلم من حالهِ انّ لهُ اثني عشر الف بازدار يركبون الخيل وعساكرهُ من المغل عشرون توماناً وهي مائتا الف فارس امّا من الخطا فمّا لا يحصى

الجملة السادسة
في ترتيب هذه المملكة

قال الشريف تاج الدين السمرقندي: وترتيب هذه المملكة انّ لهذا القان اميرين كبيرين هما الوزراء يسمّى كل من يكون في هذه الرتبة « جنكصان » ودونهما اميران آخران يسمّى كلّ منهما « ينجار ». ودونهما اميران آخران يسمّى كلّ منهما « زُوجين ». ودونهما اميران آخران يسمّى كلّ منهما « بُوجين ». قال ولهُ كاتب هو رأس كتابهِ يسمّى « يجور » (كذا) وهو بمنزلة كاتب السرّ في بلادنا. والقان يجلس في كل يوم في صدر دار

١) ياسة هي مجمل السُّنن التي سنّها جنكزخان وقد ذكر القلقشندي معظمها في كتابهِ (ص ١٢٨٦). وقد وردت هناك لفظة « ياسة » على صورة « باسته ». امّا ابن بطوطة (٤: ٣٠٠) فدعاها « يساق »

٢) دونك ما كتبهُ القلقشندي في محلّ آخر من تساهل بني جنكزخان في امر الدين (ص: ١٢٨٦) قال: « ومن عادة بني جنكزخان انّ كلّ من انتحل منهم مذهباً لم ينكرهُ الآخر ». وقال ايضاً (ص ١٢٨٧): « وامّا عادتهم في الادب كان من طريق جنكزخان ان يعظم رؤساء كلّ ملّة ويتّخذ تعظيمهم وسيلة الى الله تعالى »

فسيحة تسمَّى « اشن » بمثابة دار العدل عندنا ويقف الامراء المذكورون حولهُ عن اليمين وعن الشمال على مقادير رتبهم ورأس الكتَّاب المسمى « لنجون » (كذا) فاذا شكى احد شكوى او سأل حاجة اعطى قصَّتهُ رأس الكتَّاب فيقف عليها ثم يوصلها الى احد الاميرين اللذين يليانهِ وهما اصغر الكلّ فيقف عليها هو ومن معهُ ثم يوصلانها الى مَن يليهما في الرتبة وكذا الى ان تصير الى القان فيأمر فيها بما يراهُ. وذكر عن الشريف ابي الحسن الكربلاي وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد ان لهذا القان اربعة وزراء يصدرون الامر في المملكة كلها ولا يراجع القان الّا في القليل النادر. قال: واذا اراد القان ان يركب ركب في محفَّة ولا يظهر للناس الّا في يوم واحد وهو مثل يوم مولدهِ في كل سنة فانهُ يركب فرساً ويخرج الى الصحراء ويعمل بها من الاطعمة والسماطات ما يغمر الناس ويكون مثل يوم العيد عندهم

صفحة من تاريخ فرنسا

ردّ على مقتطف للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

ظهر في المقتطف (تموز ١٩٠٠ ص٢٧) مقالة تحت هذا العنوان « لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت » اسرعنا الى مطالعتها لعلنا نجد ما ترتاح اليهِ نفسنا من تاريخ فرنسة وطننا العزيز. لاسيما انّ الكاتب وعدنا « بان يكشف لنا النقاب عن الاسرار التي طمس عليها الدهر ». فما اشدّ ما كانت خيبة آمالنا اذ وقفنا على فصل اجدر بان يُنظم في سلك الخزعبلات بل في سياق الاكاذيب منهُ في سياق التاريخ الصادق

وقد ظنّ جناب المؤلف انّ كلامهُ يصيب وقعاً لدى قرَّاء المقتطف بقولهِ انَّهُ « عثر في احدى المجلاَّت الانكليزيَّة » على هذه الحكاية العجيبة كانّ كل ما تسطرهُ المجلاَّت الانكليزيَّة من الحقائق الراهنة التي لا يمكن نقضها. ويا ليت الناقل كان دلَّنا على اسم المجلة لنعرف مقامها بين المجلاَّت العلميَّة واوقفنا على اسم المؤلف لنتبيَّن ما هو عليهِ من التحقيق والتدقيق

ولعلَّك تسأل ما هذه الحكاية؟ او ليست هي من الروايات الخياليَّة والاقاصيص

الفريَّة التي يفكّه بها المقتطف قرّاءهُ ؟ اجبنا انّنا كنّا ارتأينا مثل هذا الرأي لولا ان الكاتب حاول تأييد مزعمهِ بشواهد تاريخيَّة من شأنها ان تخدع بعض السُّذَّج وتبخس من حقوق احد ملوك فرنسة الافاضل الذين شرّفوا بلدهم بفضائلهم السامية ومناقبهم الفريدة وهو الملك لويس السادس عشر. بل كفى بهذه الصفحة لو صدقت ان تسوّد وجه هذا الملك. وانّنا نعلم انّها لا تسوّد الّا وجه المجلة التي تثبت مثل هذه الروايات وهاك ملخَّص هذه المقالة :

زعم كاتب المقتطف ان لويس السادس عشر لمّا رأى ما صارت اليهِ امور المملكة بمساعي اصحاب الثورة استدعى خفيةً الى قصر التويلري في باريس حدَّادًا اسمهُ فرنسوا جامين (Fr. Gamain) واقتسرهُ على عمل مخبأة في جدار القصر ضمَّنها الملك اوراقًا ورسائل تشهد على خيانتهِ لشعبهِ « وتبيّن انَّ لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت دعيا (كذا) الالمانيين والنمساويين لغزو فرنسة » (ص٣٣) ولكن لئلَّا يُطلع جامين احدًا من رجال الجمهوريَّة على هذا السرّ جازاهُ الملك جزاء سنمّار فاشربتهُ ماري انتوانت قبل خروجهِ من القصر كأسًا مسمومًا. غير انّهُ نجا من السمّ فتمكّن بعد اسر الملك وزوجتهِ في سجن التمپل (Temple) من اخذ ثارهِ منهما فأطلع الوزير « رولان » على المخبـأة وانكشف السر المكتوم وحُكم على الملك بالقتل كمجرم. امّا جامين فجعلت لهُ الحكومة الثوريَّة مرتبًا سنويًّا قدرهُ الف فرنك قبضهُ الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٠٠

هذه خلاصة مقالة خليل افندي ثابت ألحقها الكاتب ببعض ملاحظات من شأنها ان تكذّب مؤرخي ترجمة الملك لويس وامرأتهِ قال: « ولا بدع اذا نسبوا اليهما جميع الفضائل حتى انَّ من يقرأ ما كتبتهُ هذه الفئة يخال انَّ في فرنسة لذلك العهد جوقًا من اللائكة حلَّ في التويلري مؤلفًا من الملك والملكة واخصَّائهمـا ومن تبقَّى من سكان المملكة ابالسة وسفّاكو دماء »

كلَّا يا جناب الكاتب المحقّق ان كتبة ترجمتَيْ الملك لويس والملكة ماري انتوانت لم يكونوا كما تزعم فانّهم يقرّون بمـا كان للملك ولقرينتهِ من النقائص لكنّهم غلّبوا محاسنهما وفضائلهما على ما وقع في حياتهما من الخلل وليس ذلك كما تظنّ ابتـداعًا منهم بل مراعاةً للحقّ ولو سكتوا هم لنطقت كل فرنسة بل العالم اجمع. قال في لويس معاصرهُ ملك بروسية فردريك الثاني عدوّ فرنسة: « انَّ هذا الملك رجل عاقل معتدل

في كل مساعيهِ فيهِ من الصفات مع حداثتـــهِ ما يندر وجودهُ في الشيوخ المحنّكين بالسياسة. فاهنئ فرنسة بهِ واغتني لها ان تحصل دائماً على امثاله ». وان اردتَ لأتيناك بشهادات كثيرين من اعداء لويس السادس عشر انفسهم يشهدون لهُ بالفضـــل. قال رولان الذي سعى بعدئذٍ بقتـــلهِ: « ان اعداء الملك لا يعرفونهُ. فهو رجل يطلب الخير لشعبهِ ومن قال فيهِ غير ذلك افترى عليهِ افتراء. لهُ سجايا طيّبة ومعارف واسعة وعقل صائب وذاكرة عجيبة »

امّا المؤرخون فكلّهم لسان واحد في الثناء على خلالهِ الحسنة مع كثرتهم واختلاف نزعاتهم واوطانهم واديانهم اليك اسماءهم: تيارس (Thiers) وكنتو (Cantu) ولاكريتل (Lacretelle) وغـــابور (Gabourd) وتان (Taine) وأليسون (Alison) ونتمان (Nettement) ودوروي (Duruy). نعم انهم ينسبون الى الملك الخوَر وضعف العزيمة والتردُّد في الامور ونحن ايضاً نقرّ بذلك ولكن اين هذه النقائص ممّا كتبهُ في حقّهِ مكاتب المقتطف اذ شنّع عليهِ فقال (ص ٢٨): « لم يكن الملك مفطوراً على ما يقرّبهُ من رعيّتهِ من الاخلاق فقد كان... خرق الرأي عنيداً في الصغـــائر جافياً يهلع فؤادهُ لذكر الثورة وكانت معاملتهُ لزوجتهِ سيئة... ولم يكن كريم الاخلاق ». فكل هذه الاوصاف تنافي الحقيقة بوجه مستقيم ولو اتينا بالشواهد على نقضها لما كفى كتاب ضخمٌ ليجمعها كلها. ومن اعمال هذا الملك الشهيرة انهُ كفَّ استعمال العقوبة لدَفع المجرمين على الاقرار بالحقيقة وأبطل بقايا الرقّ والعبوديّة في مملكتهِ وابتنى المستشفيات وجعل لكل مريض فيها فراشاً منفرداً واكثر من الصدقات لذوي البأساء والحاجات وأنشأ الشركات الخيريّة لمساعدة الفعَلة وفي شتاء سنة ١٧٧٦ لمّا اشتدَّ البرد القارس أوقد النيران في ساحات باريس وشوارعها العموميّة ليصطلي بها الفقراء الى غير ذلك من الاعمال الخطيرة التي شُحنت بها كتب التاريخ ولم تفُت احداً الّا جناب خليل افندي ثابت

وما قلناهُ عن الملك لويس السادس عشر قُلهُ عن قرينتهِ ماري انتوانت فانَّ ائمّة المؤرخين الصادقين كدي بوشان (de Bauchesne) ودي غنكور (de Goncourt) ودي فالو (de Falloux) وايمبرت (Imbert) وبيره (Biré) اخذوا عليهـــا ميلها الى الملاهي ونسبوا اليها خفة الطباع ولكنهم جميعاً يطنبون في محامدها وخصوصاً في لطفها ورقّة طباعها وعدلها وكرمها ويثنون على تقواها وصدق دخلتها وحبها لفرنسة وطنهـــا

الثاني. اما شجاعتها فبلغت الغاية القصوى اذ تحمّلت بصبر جميل كلّ المحن التي أحدقت بها وماتت ميتة الابطال كزوجها الملك وكلاهما يغفر بطيب القلب لرجال الثورة اعدائهما

هــذا ما قرأناهُ في كل التواريخ حتى في تآليف المعادين للويس السادس عشر وقرينتهِ. فانَّ كان المقتطف او مكاتبوهُ وجدوا في زوايا المكاتب ما ينافي ذلك فليعلمونا بهِ ونحن لا نأبى ان نبحث عن صحّتهِ ومعاذ الله ان نماحكهم في الباطل او نكابر الحقّ لنا او علينا

*

دَعنا الآن نعود الى جامين الحدّاد وما ادّعاهُ كاتب مقالة المقتطف من خيانة لويس السادس عشر لمملكتهِ وتسميم هذا الملك لجامين المذكور متفقاً في ذلك مع قرينته ماري انتونت. فنقول ان في هذه القضيَّة ثلاثة امور: (الاول) اصطناع خزانة سريَّة في قصر التويلري اودع فيها لويس السادس عشر اوراقاً ورسائل مهمّة. (الثاني) كون هذه الرسائل تبيّن خيانة الملك لويس لمملكتهِ واستدعاءَهُ للالمانيين والنمسويين لغزو فرنسة. (الثالث) تسميم الملك والملكة لجامين

اعلم انَّ (الامر الاول) لا خلاف فيهِ فانَّ الملك لويس السادس عشر اصطنع لهُ سفطاً من الحديد (armoire de fer) اودعهُ اوراقهُ السريَّة واستعان بحداد اسمهُ جامين ليجعل هذا السفط في خزانة في احد جدران قصرهِ بحيث لا يطلع عليهِ بشرٌ. وفي كل ذلك لا حرج على الملك فانَّ لكل الملوك اسرارًا يخفونها عن الغير لاسيا في ساعة الفتن والثورات لئلا يعبث بها اعداء الدولة. الّا انَّ لويس السادس عشر خُدع بجامين فكان يظنّهُ خلاًّ وفيًّا ولم يكن الّا صلاًّ خفيًّا يطلب لسيدهِ الموت وحيًّا. وقد اقرَّ كاتب المقالة بذلك (ص ٢٨) حيث قال بتلطيف العبارة: انَّ جامين «كان رجلاً فظّ الطباع غليظاً لا يميــل الى الملك رغمًا عن خدمتهِ الطويلة لهُ» وانهُ «كان جمهوريًّا لم يخشَ المجاهرة بآرائهِ» وانهُ طاوع الملك في عمل السفط «رغمًا عن شدَّة نزعتهِ الجمهوريَّة وعدم احترامهِ للملكيَّة (١»

١) كان جامين كتب فوق حانوت حدادتهِ هذين البيتين وفيهما شاهد جلي على سوء اخلاقهِ وشراسة طباعهِ وشدّة بغضــهِ للملوك:

Tyrans, tremblez que la foudre
Bientôt ne vous réduise en poudre.

اما (الامر الثاني) وهو انَّ سفط الحديد ضمَّنــهُ الملك لويس السادس عشر رسائل واوراقاً تنبئ بخيانتهِ لمملكتهِ واستدعائهِ الالمانيين والنمسويين لغزو فرنســة فهو قول كاذب لا صحة لهُ البتة. والدليل على ذلك انَّ اعداء الملك بعد ان حبسوهُ في سجن التمپل مع كلّ اسرتــهِ ودلَّهم جامين على سفط الحديد واطَّلعوا على كلّ اسرار الملك لم يجدوا ما كانوا يتوقَّعون من الشواهــد ليتمكَّنوا من قتلهِ قتلًا شرعيًّا ولذلك صرخ دانتون الدُّ اعداء لويس السادس عشر: «لا نريد محاكمة الملك بل قتلهُ»

وهنا فليأذن لنا جناب المناظر ان ننسخ لهُ فقرة ألحقها المقتطف بمقالتهِ (ص ٣٤) تفنّد زعمهُ. قال المقتطف:

«فصَّل المؤرخ أليسون الذي كتب تاريخهُ سنة ١٨٣٣ هذه الحادثة نقلًا عن مُنيه ولاكراتل وتيرس الذين كتبوا بُعيد الثورة فقال ان الملك رضي بمحاربة النمسا والمانية مكرهًا (من وزرائهِ) وعلم انَّ شعبهُ سيطالبهُ بذلك بعد انقضاء الحرب ولاسيما اذا عادت عليهم بالخسران فكتب آراءهُ ضدّ الحربِ وجعل وزراءهُ كلهم يمضونها ووضعها في هذه الخزانة ووضع معهــا كلّ الاوراق الرسمية التي يحسب انها تبرئهُ من كلّ تهمة اذا سيق الى المحاكمة كما كان يتوقَّع فافشى هــذا الحدَّاد (جامين) سرَّهُ وفُتحت الخزانة فلم يوجد فيها شيء يثبت عليهِ الخيانة لبلادهِ بل بالضدّ من ذلك وُجدت فيها اوراق تدل على اتّفاق وزرائهِ معهُ في كلّ اعمالهِ. وقد اذاع وزيرهُ رولان سرّ هذا (كذا) الاوراق حاسبًا انَّ الملك يتبرَّأ باذاعتها فكانت سببًا لهلاكهِ»

فهذا كلام مؤرّخ منصف صادَق عليهِ المقتطف. ولكن أما كان الاحرى بصاحب هذه المجلَّة الَّا ينشر مقالة صديقهِ خليل افندي ثابت وهو يعرف انها كذب محض لا صحَّة لها. فليعرف القرَّاء من هذا التناقض حسن مبادئ المقتطف وحرصهُ على الحقيقة

بقي (الامر الثالث) وهو تسميم الملك لويس السادس عشر وقرينتهِ ماري انتونت للحداد جامين لئلا يُطلع هــذا احدًا على سرّ الخزانة وسفط الحديد. ولكن هل بقي لاحد شبهة في هذا الصدد بعد ان وقفنا على صدق لهجة كاتب المقتطف وسعة معارفهِ التاريخيَّــة. وان كانت الخزانة السرّيَّة لم تتضمَّن شيئًا ينبئ بخيانة الملك كما سبق فيا ترى ما الحاجة للملك ولقرينتــهِ الى تسميم جامين وهما يعدَّانهِ عبدًا امينًا ولم يستخدماهُ في عمل سيّئ يوجب عليهما ملامًا

ثمَّ ايُّ صاحب عقل يصدّق مثــل هذه الحكاية ويفتي بصحَّتها مع ما نعلم من شهامة طباع الملك لويس وقرينتهِ وما خصَّهما الله بهِ من جودة الاخلاق الشريفة والفضل

السامي الذي يقرّ لهُ اعداؤهمـا . او كيف خطر على بالهما ان يسمّما رجلًا يكون موتهُ اقوى حجّة على قتلهما في ساعة كان اهل الثورة يطلبون لذلك سبباً خفيفاً دون ان يجدوهُ . ولو ارادا قتلهُ لفعلا ذلك خفيةً بيد احد الخدم او الجند ولم يدعا جامين يخرج من القصر بعد تسميمهِ بسمّ ذعاف

وان قيل انّ جامين ادّعى انهما سمّاهُ . اجبنا انّ دعوى رجل واحد لا تُقبـل في ايّ شريعة كانت فما قولنا في شكاية رجل اقرّ كاتب المقتطف بعقابحـهِ وشراسة اخلاقهِ وخيانتهِ لملكهِ

ثمّ انهُ لامرٍ معلوم انّ جامين لم يتظلّم من تسميم الملك والملكة لهُ الّا بعد قتلهما بستّة اشهر فما لهُ سكت عن هذه الفظيعة لاوّل مرّة بعد ان كشف سرّ سفط الحديد اذ كان لويس وقرينتهُ في الحبس . أفلا يظهر من سكوتهِ قبل وفاتهما انّ شكايتهُ محض اختلاق لا وجه لها من الصحة وانّما اراد فقط ان يكتسب راتباً سنويًّا يعيش بهِ

واغرب من ذلك ان الكتبة اعداء لويس السادس لم يجسروا حتى بعـد هذه السعاية ان يدوّنوا خبر تسميم جامين في كتبهم لعلمهم بكذبهِ فبقي السرّ مكنونًا حتى اطّلع عليهِ « في مجلة انكليزيّة » الكاتب المجيد خليل افندي ثابت فزيّن بهِ صفحات المقتطف

فيا لله من مؤرخين مدقّقين لا يخجلون ان ينقـلوا الى شرقنا العزيز كلّ اكاذيب البلاد الغربيّة وهم يزعمون انّهم يبعثون بيننا النور ويهذبون الاخلاق وليسوا في الحقيقة الّا مفترين وللفساد ناشرين

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقّق الشيخ سليم خطّار الدحداح

٢ شباب الكونت دحداح الى سنة زيجتهِ

رُشيد موضوع كلامنا في هذه المقـالة هو ابن الشيخ غالب ابن الشيخ سلّوم(١

١) قد مرّ في المشرق ذكر الشيخ سلوم بن موسى بن يوسف سليل الكهنة السبعة الذين منهم آل الدحداح . وخلّف سلوم ثلاثة اولاد وهم منصور (راجع المشرق ص ٢٩٢) وبشير الذي توفي سنة ١٨٣٩ عن ولدين ماتا دون عقب . وغالب ابي الكونت وقد توفّي سنة ١٨٤٠

الدحداح. وُلد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان في دار جدّهِ سلوم التي ورثها عنهُ ابوهُ وعمهُ بشير وموقعها اسفل قرية عرامون بالقرب من الجُدَيدة وامامها ميدان واسع كبير حسب العادة المرعيَّة حينئذٍ في دور الامراء والشيوخ. وفي هذه الدار وُلد لغالب بعد رشيد ابنهِ البكر خمسة اولاد وابنة واحدة وهذه اسماؤُهم: خليل وعبَّاس وسلوم وراحيل وامين ونقولا

وقد احسن والدا رشيد تربيتهُ وكان الشيخ والدهُ مشهورًا بحسن تهذيبهِ لبنيهِ وشدّة حرصهِ على آدابهم يؤثر العنف بهم على اللين والتراخي. وقد سلَّم اولادهُ الثلاثة الكبار اعني رشيد وخليل وعبَّاس الى شماس من جيرتهِ يدعى الشماس نهرا مراد (١ فاحسن هذا تهذيبهم وربَّاهم على حب الدين والفضيلة ونشطهم على اتباع مبادئ الشهامة الغريزيَّة في دمائهم. ولمَّا بلغوا السنّ الموافقة لدخول المدارس أُرسل رشيد الى مدرسة عين ورقة الشهيرة مع اخيهِ خليل. امَّا عبَّاس فأُرسل الى مدرسة انتشار الايمان في رومية

فبقي رشيد بضع سنوات في عين ورقة تعلم باثنائها اصول اللغة العربيَّة وفروعها واللغة الايطاليَّة ودرس الفلسفة والعلوم وبعد ان حاز قصب السبق على جميع اقرانهِ متفردًا بينهم بحسن ذكائهِ وتوقُّد ذهنهِ دخل مدرسة سيدة بزمَّار للارمن الكاثوليك فدرس فيها اللغة التركيَّة وبرع فيها. وكان شابًّا فصيحًا رزينًا عاقلًا

وفي سنة ١٨٣٨ قرَّبهُ اليهِ الامير امين ابن الامير بشير وعيَّنهُ في ديوان ابيهِ في بيت الدين كاتبًا لاسرارهِ. فقضى في هذه الخدمة سنتين او ثلاثًا اشتهر في خلالها ببراعتهِ وحذقهِ وامانتهِ فنال حظوةً ومكانةً في عين مولاهُ. وبعد نفي الامير عاد الى بيتهِ في عرامون. ثمَّ ذهب في معيَّة عمهِ منصور برجال الفتوح لنجدة الحاكم الجديد الامير بشير ملحم ومطاردة جيش ابرهيم باشا (كما سبق القول) فوصلوا الى البقاع ومن هناك عادوا الى بيت الدين. ثمَّ رجع الى بيتهِ ولم يقبل مأمورية ما. ولمَّا تعيَّن عمر باشا سنة ١٨٤٢ بدلًا من الامير بشير المذكور قرَّب اليهِ الشيخ رشيد وعرض عليهِ مأموريَّة فأَبى. ثمَّ رضي

١) وهو الذي تعلَّم الخط عند الشيخ مرعي الدحداح وتقيَّد بخدمتهِ. وفيما بعد اضطهدهُ الامير بشير الكبير بسبب الشيخ مرعي. ففرَّ من وجه الامير ودخل في مصاف الاكليروس فصار كاهنًا ثمَّ اسقفًا تحت اسم المطران نقولا مراد. وتوفي في رومية سنة ١٨٦٥

ان يتولَّى نظارة البكاليك اي الاملاك الاميريَّة في لبنان. وقد حصل وقتئذٍ من المسائل والاسباب ما دفعهُ الى ترك وظيفتهِ والرجوع الى موطنهِ حيث اقام زمنًا غير مديد

وفي تلك الاثنـــاء قبض اعداؤهُ على رسولهِ يوسف الكرياتي الغدراسي وسلبوه التحارير التي كان يحملها من الشيخ الى المثلَّث الرحمات البطريرك يوسف بطرس حبيش. فكان ما كان من نزول رُشيد الى غزير بسبعة من اقاربهِ المشايخ (١ وخمسين رجلًا من اهالي عرامون. وانفرادهِ بالبعض منهم للاحقة الاعداء حيث خلَّص منهم الرسول وجميع التحارير التي سلبوها. ثم توارى مع ذويه في الوديان والاماكن غير المأهولة. وقد حدث مع اقاربهِ ورفقائهم في غزير ما تغني شهرتهُ السيئة عن ذكرهِ في هذا المقام. فنجتزئ بالتلميح الى ان هـــذه الحادثة كانت العامل الأكبر لسفرهِ من هذه البلاد وبقائهِ في دار الغربة مدى العمر. فضلًا عن تشتُّت شمل اخوته وعموم المشايخ اقاربهِ

وكان بين هذه الحادثة وسفر رُشيد الى اوربة فترة ثلاث سنوات قضاها مختبئًا في مجاهل لبنان او في صيـــداء بخان الافرنج عند المسيو كونتي قنصل فرنسة. ومن جملة نوادرهِ في تلك الازمنة انهُ خرج من مخبَّاهِ في لبنان واتى قرية بتاتر واتفق مع المسيو نقولا پورتاليس على ان يدفع ذوي مناصب لبنان من امراء ومشايخ دروز وموارنة الى الاجتماع وانتخاب حاكم لبناني. فلبَّى الجميع نداءهُ واجتمعوا في المديرج وانتخبوا الامير اسعد قعـــدان (٢ الذي اصدر الامر إيذانًا بانتخابهِ. والشيخ هو محرّر هذا الامر كما حرّر ايضًا صكّ اتحـــاد الامراء والمشايخ من الطائفتين. ثم حضر مع الامير اسعد قعـــدان الى عاليه حيث احتفى بلقائهما مشايخ تلحوق. وقد تعيَّن حينئذٍ رُشيد كتخدا الامير او مدير اعمالهِ (تشرين الثاني ١٨٤٣). لكن عمر باشا لم يقبل بذلك. وفي ٢٠ كانون الاول من تلك السنة تفرَّق شملهم. ففرَّ الشيخ رشيد الى صيداء حيث بقي سنتـــين انصبَّ في خلالها على درس الشريعة والفقه على مذهب ابي حنيفة. ثمَّ استحضرهُ قنصل فرنسة في بيروت واعادهُ الى لبنان مشترطًا عليـــهِ عدم التعرُّض للامور. وقد تداخلت سفارة فرنسة بنـــاء على طلب مجمع انتشار الايمـــان فسعى

١) وهم خليل وسلوم (اخواهُ) وزعيتر وطنوس و بواس وسعد و يوسف بن امين

٢) والد الامير افندي شهاب المتوفَّى مؤخرًا في رئاسة مجلس ادارة لبنان

القنصل بتسوية الخلاف ومساعدة رُشيد واقاربهِ

وفي نهاية تلك السنة عاد من مرسيلية الشيخ مرعي الدحداح زائرًا الوطن بعد تغيُّبهِ عشرين عامًا عنهُ. ولمَّا كان لأخبار الشيخ رشيد علاقة بالشيخ مرعي احببنا ان نذكر لمعة من ترجمة هذا الاخير اقول:

ان الشيخ مرعي كان ابتدأ بصفة كاتب عند الامير حسن (١ في غزير ثم وكيلًا على مشايخ الكورة. ثم مدبّرًا عند الامير قاسم (٢ الذي خلف الامير حسن في غزير من ١٨٠٨ الى ١٨٢٠ حيث اضطر الامير بشير للسفر ثانيةً الى مصر. فبقي الامير قاسم في لبنان واتفق مع خصم ابيهِ الامير عبَّاس الذي اتخذ الشيخ مرعي كتخدا عندهُ في بيت الدين. فلمَّا رجع الامير بشير عزل ولدهُ الامير قاسم واقام بدلًا منهُ في غزير الامير عبد الله ابن اخيهِ الامير حسن وامرهُ بسجن الشيخ مرعي فسجنهُ. وقد تمكَّن هذا من الفرار واتفق مع الشيخ بشير جنبلاط (٣ وحزّب لهُ قسمًا من عائلتهِ واتاهُ برجال الفتوح نجدةً في « قومة المختارة ». فكان من امرهم ما كان من فرار الشيخ بشير ورؤساء احزابهِ الى جهات مختلفة بعد فشل اقوامهِ في السمقانيَّة وبعقلين والمختارة

امَّا الشيخ مرعي ففرَّ الى داخليَّة البلاد العثمانيَّة. فالقي القبض في حماة عليهِ وعلى ابن عمهِ جهجاه. ولكن انقذهما هناك المرحوم مخايل نصور كاتب المتسلّم ومدبّر اعمالهِ فانهُ ابقاهما في بيتهِ ضيفين كريمين مدةً ثمَّ اذن لهما بالانصراف الى حلب حسب رغبتهما وبواسطتهِ تمكَّن مرعي من الدخول في محل المسيو بيتشوتو اليهودي قنصل دولة اوستريا في حلب. وبعد حين لمَّا رآهُ بيتشوتو خائفًا على نفسهِ حتى في حلب من سطوة الامير بشير وقد امتحن خبرتهُ وذكاءهُ وسموّ مداركهِ ارسلهُ الى مرسيلية ليكون في محلهِ التجاري هناك

وبعد مدَّة ارسل مرعي يستدعي الى مرسيلية زوجتهُ واولادهُ فسافرت سنة ١٨٣٤ مع اولادها. وقد بقي مرعي من ١٨٢٥ الى ١٨٤٥ في مرسيلية حيث فتح لحسابهِ محلًا

١) وهو اخو الامير بشير الكبير
٢) بكر انجال الامير بشير الكبير
٣) وكانت وقتئذٍ اقطعت علائقهُ مع الامير بشير الكبير

تجاريًّا بعد اقامتهِ مدة وجيزة في محل بيتشوتو. ولبث محافظًا على عوائد جبل لبنان في ملبوسهِ وزيّهِ الشرقيّ. ولم يكن ذلك ليحطّ من شأنهِ بل زادهُ اعتبارًا في اعين الاجانب

وقد كان لهُ مقام رفيع عندهم نظرًا الى ما عرفوهُ عن وجاهة عائلتهِ وشأنهِ الخطير في امور لبنان. ولما وقعت مسألة ١٨٤٠ في الشرق استدعاهُ الملك لويس فيليب الى باريس وقابلهُ مرارًا عديدة هو ورئيس وزرائهِ المسيو تيارس الشهير ليستطلعا رأيهُ ويعرفا الحقيقة عن تلك الاحوال

وبعد ان سقط الامير بشير وزالت سلطتهُ عن لبنان وتأكّد ان لا خوف منهُ بعد اغتنم الفرصة التي طالما حنّت اليها نفسهُ وجاء سوريّة لمشاهدة الاوطان والاهل والخلان. فاقام مدّة وجيزة متمتّعًا بالوطن المحبوب بعد يأسهِ. ولمّا عزم على العود الى مرسيلية حيث كان قد ترك عائلتهُ وتجارتهُ استصحب معهُ الشيخ رُشيد لانهُ توسّم خيرًا ممّا رأى فيهِ من الذكاء والغيرة والاقدام والحكمة وسعة المعارف وثبت لهُ ان سوريّة ولبنان لم يعودا يصلحان لاقامتهِ فيهما. فسافر الشيخان في اواخر ١٨٤٥ الى فرنسة. فوصلا مرسيلية وتعيَّن رشيد كاتبًا في محلّ الشيخ مرعي ولم يعد من ذلك الحين الى وطنهِ. امّا الشيخ مرعي فانهُ عاد الى لبنان ثانية في ١٨٥٤ مع كل عائلتهِ ما عدا احد اولادهِ ابقاه في مرسيلية ليدير اشغالهُ. وتوفي في الكفور ١٨٦٨ ودُفن في مدفن اجدادهِ بكنيسة الكفور تاركًا ثلاثة اولاد ذكور وابنة (١

اما رُشيد فقد اقترن بمرتا ابنة مرعي وفي سنة ١٨٥٢ ترك محل عمهِ وادار اشغالًا تجاريّة في فرنسة لحسابهِ. ثمّ انشأ محلًا في انكلترة واستدعى اليهِ اخاهُ سلومًا ليساعدهُ في اعمالهِ وكان رغمًا عن اشغالهِ التجاريّة يتعاطى العلوم ويخدم الآداب والمعارف فطبع سنة ١٨٤٩ « قاموس المطران جرمانوس فرحات في مرسيلية بعد ان رتّبهُ وهذّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ وذلك بمعاونة المرحوم سمعان شقيق امرأتهِ. فاطنب في مديحهِ المجمع العلميّ الفرنساوي L'Académie واحسن صلتهُ

---

١) يوسف (١٨١٢-١٨٩١) هو والد عزتلو اسكندر بك الدحداح — والياس (١٨١٧) وهو لم يزل حيًّا — ولويس (١٨٣٦ — ١٨٩٠) — اما الابنة فهي مرتا قرينة الكونت رشيد موضوع المقالة (١٨٢٣-١٩٠٠). واماً اخوهم سمعان المحكى عنهُ في هذه المقالة بمساعدتهِ الكونت رشيد في طبع قاموس المطران فقد كان توفي سنة ١٨٥٢ قبل وفاة والدهِ

وانشأ فرعاً لمحلّهِ التجاري في بيروت سلّمهُ الى اخيهِ خليل. وقد تكلّلت اعمالهُ بالفوز والنجاح حتى سنة ١٨٥٧ التي حدثت فيها مسألة سقوط الحرير الهائلة فنزلت بهِ الى الحضيض وكان وقتئذٍ في انكلترة. فعاد للحال بعائلتهِ الى باريس واخذ يسعى ويجتهد لتعويض ما ذهبت بهِ الاقدار (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٧

كانت البترون في غابر الأيّام مدينة عامرة بالسكان قائمةً حول جون صغير ترسو فيهِ السفن. وكانت تُشبه مدن القرون المتوسّطة بازقّتها الضيّقة واسواقها المسقوفة وازدحام المنازل حول القلعة وهي دار المقدَّم. وقد اقامت على طول الساحل عدداً من أبراج المحافظة وشيّدت في السهل المجاور لها جملة قلاع حصينة حتى صارت مفتاحاً من مفاتيح لبنان الشمالي

ففي ذات يوم من شهر ايلول بينما كانت الشمس ترسل اشعّةً حاميةً على قصر المقدم زَين شُوهدت في احدى الغرف المطلّة على البحر امرأتان متشاغلتان بالغزل وهما صامتتان

وكان بعد قليل أنَّ الصغيرة توقّفت عن الغزل وقطعت خيط الصمت وخاطبت رفيقتها قائلةً: ألاحظتِ يا مريم مولاتنا راحيل؟

— ما معنى هذا السؤال؟ فانا نظيرك أراها كل يوم وانت تعلمين مثلي حسن خصالها ورفقها بجميع المتقيدين بخدمتها

— لم تفهمي يامريم مغزى كلامي. ألم تلحظي كيف انَّ أمارات الغمّ والنكد قد لاحت من بضعة ايّام على وجهها

— ولماذا تغتمُّ وهي صبيّةٌ جميلةٌ تملك ثروة واسعة وقد اظهرت من الحلم والرفق وسائر الخلال ما جعلها دانيةً من قلوب الكل في هذه المدينة التي اجمع اهلها على

احترامها ومحبتها. وفوق هذا كلهِ قد رزقها الله غلاماً ذكرًا يرث عهد ابيهِ زين والجميع في البترون يدعون لها بان تُرزق مع سلامة نجلها اولادًا آخرين عديدين تحيا فيهم فضائل القدماء من مقدَّمي البترون ومحامد البارونات من اسرة لمبرياك

نعم انَّ وفـاة والدها التي عرضت في الاشهر الاولى لزواجها قد احزنت فؤادها وادخلت عليهِ الغمَّ الشديد. غير انَّ من كانت مثلها وافرة العقـل ومتعلقة بالمبادئ المسيحيَّة لا تستسلم الى الحزن البليغ من جراء رزءٍ قد طالما انذرتها بهِ شيخوخة والدها وأسقامه الكثيرة. وفضلاً عن هذا كلهِ قد اتت بشقيقتها فهي عندها دائماً تتعزَّى بهـا وتتسلى بمشاهدتها عن فقد والدها

— الله يسمع منكِ يا مريم. ولكني ارى انَّ مولانا المقدَّم زين قد غيّر سلوكهُ منذ مدَّة مع عروسه لانهُ مذ وطئت حنَّة شقيقتها عتبة القصر قلَّ انعطافهُ الى زوجتهِ وتحوَّلت محبتهُ بكليَّتها الى أختها المذكورة

— انَّ هذا الانعطاف هو طبيعي وهو من قبيل الشفقة على ابنـة صبيَّة تيتَّمت في السادسة عشرة من عمرها ولم يبقَ من عاضدٍ ولا معين سواهُ فحملهُ الحنوّ على ان يأتي بها الى قصرهِ

— سمّي هذا الميل حنوًا او شفقةً ما شئتِ. نعم لا يبعد انهُ كان في اوَّل الامر كما قلتِ ولكنَّهُ انضاف اليهِ بعـد ذلك عاطفة أُخرى. وعلى كل حال فانَّ اهتمام زَين بامر اليتيمة لم يكن يجب ان يُنسيهُ واجباتهِ نحو قرينتهِ. وبناء عليهِ فانا اكرّر عليـك القول انهُ منذ دخول حنَّة على القصر قد جرى فيهِ تغيير مهمّ

— أرى انك يا فريدة تفتحين عينيك للنظر الى ما لا يعنيك وتكثرين من الكلام الهراء الذي لا يليق بصبيَّة في سنِك لاسيا بمن هي خادمة نظيركِ. ألا تعلمين انهُ يجب علينا ان نغمض اعيننا على كل شيء بل ان نكون عمياً نا لا نرى وصمًّا لا نسمع وبكماً لا نتكلّم؟ وبعد هذا وهذا لا يصح الحكم على ظواهر الاشياء لأنها خدَّاعة مضلّلة ولعلَّ ما لاحظتهِ هو ناتج عن الملالة والسأم من هنـاء العيش لانَّ طول السعادة يورث الضجر كالشقاء. ولذلك اكرّر عليك المقال انَّ مولاتنا في راحة ونعيم

— اتمنَّى لها من كلّ قلبي ان تكون سعيدةً منعَّمةً لانها من فُضليات النساء. ولكن لا اظن اني على غرور. أما لاحظتِ كيف انَّ زَيناً يكثر من البشاشة لحنَّة والحفاوة بها

ويجلس الساعات الطويلة متأملًا في الغزالة التي تلهو بها وكيف يقول لها انها تُشبه هذا الحيوان الشفيق في رقّتها ودماثتها ؟ وكان قبلًا لا يمضي يوم دون ان يخرج مع قرينته متنزّهًا على الخيل ويحب ان يشاهدها راكبة حصانها وهو يموج تحتها كأنهُ يفتخر بمن علَت ظهرهُ والآن قد اجتنب ذلك كلهُ وصار يقضي ايّامًا بكاملها يسمع ثرثرة صبيَّة في السادسة عشرة من سنّها

— صدقتِ يا فريدة ولكن ما العمل والرجال لا يثبتون على حال . ومع كل هذا فاني لا ارى في ما سردت من الامور شيئًا يوجب القلق والاضطراب

— اسمحي لي اذًا ان اذكّرك بامر آخر واسألك ان تصيخي الى قولي سمعًا : اما تعهد المقدم زَين لمّا حضرت حنَّة الى هنا بان يبحث لهذه الصبيَّة اليتيمة عن شابّ مهذَّب يزوّجها بهِ في اقرب فرصة . والآن كلما سألتهُ مولاتنا ان يعجل القيام بعهدهِ يجاوبها انهُ لا شيء يوجب الاسراع ومع ذلك فانَّ مولاتنا لا تظهر نفورًا منهُ بل هي مقيمة على محبتهِ وتأييد ودادها الصحيح لهُ . ومعاذ الله ان اشتبه في فضيلة شقيقتها حنة او ألقي عليها تبعة الحال التي صارت اليها مولاتنا لاني ما شاهدتها قط تتكلّم مع صهرها زَين الّا منخفضة النظر فضلًا عن انها لا تسعى اليهِ اذا لم يطلبها ولا تجرّئهُ بشيء من اقوالها او حركاتها

— انها ابنة طاهرة لا تعرف ما هو الشرّ

— صدقتِ ولكن ما هو الداعي لغياب المقدّم زَين كل هذه المدَّة الطويلة ؟ فقد زعم انهُ ذاهب الى بشرّاي اجابةً لدعوة المقدّم رزق الله واكّد انهُ يعود بعد ايّام قليلة وها قد مضى عليهِ الآن شهر من الزمان دون ان يرسل خبرًا فكيف لا نحسب سلوكهُ هذا قلة اكتراث بقرينتهِ

— لعلَّ امورًا غير منتظرة استدعت بقاءهُ في بشرّاي رغمًا عن ارادتهِ . ولا يخفاكِ انَّ الاحوال في شرقي لبنان ليست على ما يرام من السكينة لان عصائب العرب والتركمان والنصيريّة غزت في هذه الاثناء دير مار يعقوب وسلبت كل ما يخصُّهُ من الماشية وحاصرت الرهبان ايّامًا . ثم انَّ مقدّم جبيل لا يزال يدعي بملكيَّة قلعتَي معاد وسمار جبيل مع انهما من قديم الزمان تابعتان لمقدميَّة البترون . وبناء عليهِ ترين انَّ الاسباب التي

تستدعي طول غياب مولانا كثيرة ومن يُدرينا الآن هل يخوض غمرات القتال في المنيطرة او في البقاع . . .

— وبينما المرأتان المذكورتان في هذا الحديث وصلت مولاتهما فقطعتا الكلام وكانت طويلة القامة جميلة المحيَّا زرقاء العينين يدلّ ظاهرها على ما تجمّلت بهِ من كرم الخلال وسلامة الطويَّة فكان من الصعب على مَن ينظر اليها ان لا يشعر بانجذاب قلبهِ الى ظرفها المقرون بما لا مزيد عليهِ من اللطف والايناس. واذ ذاك قالت للمرأتين اللتين في خدمتها :

— في عزمي ان ازور دير القديس جرجس في الحميراء في بلاد الحصن حتى يمن الله عليَّ بواسطة شفاعتهِ بان يعود زوجي بالسلامة من سفرتهِ وبما ان غيبتي تطول بضعة ايام قصدت اخباركما حتى تلازم كلّ واحدة عملها . ثمَّ اتبعت ذلك بكلمة الوداع التي نطقت بها مصحوبة بالابتسام اللطيف على عادتها . امَّا المرأتان فاخذتا تنظران احداهما الى الاخرى متعجبتين وكلّ واحدة تقول في نفسها : اني جاوزت الحدّ المرسوم لي وما يدريني هل كانت زيارة مولاتي بمنزلة تنبيه لي على وجوب حفظ لساني . وما هو الغرض يا ترى من هذه الزيارة البعيدة ؟ وكيف عزمت مولاتنا على اقتحام اخطار هذا السفر الطويل ؟

كانت هذه الافكار تتردَّد في اذهانهما سرًّا وقد عزمت كل واحدة من الآن فصاعدًا على ان لا تتورَّط في حديث قد يمكن ان يجرّ عليها وبالًا

وكانت كنيسة القديس جرجس بالقرب من قلعة الحصن مكرَّمة وقتئذٍ في سوريَّة غاية الاكرام وكان قد انتشر بين الناس خبر العين الدوريَّة التي اشتهرت ايضًا في ايّام الفينيقيين وذاع عندهم امر الدير الكبير الذي يخصّ الملكيّين ويُحسب من اعظم الاديار في جبل اللكام (٢ فكان الجميع في بلاد عكّار وشمالي لبنان يقصدونهُ من كل فجّ وصوب وخصوصًا في ايّام السوق الكبيرة التي كانت تقام هناك في يوم عيد الصليب وكان يجتمع عدد غفير من الزوّار من كل امّة ونحلة

وعليهِ فلم يكن احد من الناس يستغرب هذه الزيارة الّا الخادمتين المتقدم ذكرهما تعجّبتا من إقدام مولاتهما عليها

١) ياقوت , رحلة سوريَّة لدوسو ٢) سفرنامه لناصري خسرو

ولمّا دخلت راحيل الى مخدعها خرَّت ساجدةً امام المصلوب وهتفت قائلةً: « ربّي والهي اعضدني وساعدني فانك عالم بطهارة نيّتي. قوّني على اجتياز هذه المحنة وضع في شفاه عبدك الكلام الذي يردّ السلام الى نفسي »

ثمَّ انّها تقدّمت الى سرير فيه طفل رضيع لم يمضِ عليهِ غير سنة واحدة من العمر فقبّلت جبينهُ قائلة : « نَمْ يا حبيبي بهناء والله اسأل ان تستمرّ جاهلًا الاحزان التي تعذّب قلب والدتك »

. . . .

وفي بدء الليل عند العشاء تقريبًا خرج من البترون خيّالان وذهبا في طريق طرابلس وكان اكبرهما قد ستر كل وجههِ بكوفيّة كبيرة من الحرير واشتمل ببرنس عريض وركب فرسًا من جياد الخيل عليها سرج من المخمل الاحمر

واماّ الثاني فكان احطّ مقامًا يجاوب بكل احترام على اسئلة رفيقهِ وكان الاثنان يوسعان الخطى فلمّا وصلا على مساواة طرابلس عند قبة الشيخ البدّاوي غيّرا فورًا طريقهما وتغلغلا في جبل عكّار (ستأتي البقيّة)

اكرم مثال في القديس يوحنّا دي لاسال

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

في ٢٤ أيار من السنة المنصرمة نال القديس يوحنّا دي لاسال منشئ جمعيّة المدارس المسيحيّة اعظم مجد يمكن البشر ان يفوزوا بهِ في هذا العالم فان قداسة البابا لاون الثالث عشر بعد الفحص القانوني عن سموّ فضائلهِ وبيان معجزاتهِ الباهرة خوّلهُ المقام الذي هو مختصّ باولياء الله ونظم اسمهُ في سجلّ القديسين وقدّم لهُ الاكرام الجدير بشأنهِ واقام لهُ في رومية العظمى اعيادًا بهيجة دامت ثلاثة ايام عُرضت فيها ذخائر وليّ الله وصورهُ لتكريم المؤمنين القادمين من اربع خوافق المعمور ثمَّ تكرّرت هذه الاعياد في كل الانحاء والاقطار حيثما حلَّ ابناء هذا القديس الجليل اعني في اكثر مدن العالم المتمدّن. وفي آخر هذا الاسبوع تحظى مدينتنا بيروت بمثل هذه الحفلات الشائقة ويسمع المؤمنون اطيب الثناء على قديس عظيم لم يكتفِ بان يخدم ربّهُ خدمةً نصوحًا بل

خلَّف بعدهُ سلالةً من ابنائهِ ورثوا عنهُ روحهُ الصالح وغيرتهُ المتقدة وتفانيهُ في سبيل الفقراء وتهذيب الاحداث وتعلُّقهُ غير المنفصم بالكرسي الرسولي. فرأينا نحن ايضًا ان ننتهز هذه الفرصة لنذكر بوجيز الكلام اعمال هذا القديس ونشير الى شيء من فضلهِ الاثيل الذي استحقَّ لهُ هذا المنصب السامي في كنيسة الله

*

في اليوم ٣٠ من شهر نيسان من سنة ١٦٥١ كنت ترى أُسرة من اعيان مدينة ريمس في فرنسة تدعى دي لاسال تألَّبت في كنيسة القديس هيلاريوس لتنصّر بالعماد ولدًا صغيرًا كان بكرَ والديهِ أنعم الله بهِ عليهما في ذلك النهار عينهِ فدعواهُ باسم صابغ الرب يوحنا المعمدان كانَّ الله اوحى اليهما انَّ هذا الصغير سوف يكون يومًا عظيمًا امام وجههِ ويرشد اقدام شعبهِ الى سبيلَ السلامة

وقد شعر والداهُ التقيَّان بعظم هذه المنَّة التي اتاحها الله لهما فقاما بتربيتهِ احسن قيام. وخصوصًا امهُ الصالحة فانَّها اعدَّتهُ وديعةً ائتمنها الله عليها فغرست في قلبهِ بذور الورع والتقى منذ نعومة اظفارهِ. وممَّا يخبر عنها انها كانت اذا سمعت طفلها يستهلُّ بالبكاء في مهدهِ تقرّب الى شفتيهِ صورة المصلوب فيسكت للحال وربَّما تضع بين يديهِ الصغيرتين سُبحة العذراء فيكفُّ الولد عن البكاء ويبسم وجههُ فرحًا. وحين قوي لسانهُ على الكلام كان اسم يسوع اول لهجة خرجت من فيهِ

ولمَّا ترعرع الفتى جعل العبادة دأبهُ فكنت تراهُ يبكّر الى بيت الله ويقضي في الكنيسة قسمًا من نهارهِ مستحوذًا بالصلاة او قائمًا بجانب المذبح يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الرتب الدينيَّة بحشمة عجيبة تقرُّ لها ابصار الحاضرين. وكان الله عزَّ وجلَّ يجذب اليهِ قلب الولد ويسمعهُ صوتهُ ويدعوهُ الى خدمتهِ. فاجاب الى هذه الدعوة قبل ان يدرك الحادية عشرة من عمرهِ وتنازل عن حقوق البكريَّة لاخوتهِ وخصَّص نفسهُ لخدمة الهياكل ولم يرضَ بميراثٍ غيرهُ تعالى. امَّا والداهُ فلم يحُولا بينهُ وبين مشيئتهِ عزَّ وجلَّ لعلمهما ان اعظم بركة للعيال المسيحيَّة ان يختار الله لهُ منها اولادًا ينقطعون لخدمتهِ ويزهدون في الدنيا وملاذّها

ثمَّ اخذ يوحنَّا دي لاسال ينكبُّ على تحصيل العلوم في كليَّة وطنهِ ريمس فافرغ جهدهُ في الدروس حتى برع في المعارف البشريَّة واصاب بين اقرانهِ السهم الفائز. فوقع

حبهُ في قلب رئيس الكليَّة الكاهن القانوني دوزه (Dozet) فاراد ان يتنازل لهُ عن حقوق القانونيَّة والراتب المتعلّق بها فخوَّلهُ الاسقف هذه الرتبة سنة ١٦٦٧ وادخلهُ في عداد القانونيين مع انهُ كان وقتئذٍ في مقتبل العمر لم يبلغ السابعة عشرة من سنهِ. وكان الكاهن الفاضل الذي انعم عليهِ بهذا المقام اوصاهُ بان يعيش في منصبهِ الجديد عيشة النسَّاك فجرى على وصيَّتهِ وصار قدوةً لكل من يعرفهُ

ولمَّا رأى رجل الله انهُ اتقن العلوم التي كانت كليَّة ريمس تعلّمها اتى باريس ليأخذ عن مشاهير اساتذة كليَّتها فتفرَّغ فيها للدروس العليا مدَّة سنتين واستعدَّ لدرجة الملفنة. وكان في تلك الاثناء مقيمًا في مدرسة سان سولبيس الشهيرة بين عدد غفير من الشبَّان الذين شرَّفوا الكنيسة بفضائلهم واعمالهم الخطيرة الَّا انَّ دي لاسال امتاز بينهم جميعًا واستلفت اليهِ بقداسة سيرتهِ كل الابصار

وفي اثناء دروسهِ ابتلاهُ الله بموت اعزّ اهلهِ ابيهِ وامّهِ فتحمَّل مصاب وفاتهما بتجمُّل وصبر لكنَّهُ اضطرَّ الى ان يعود الى موطنهِ ليقوم بوصاة والديهِ ويسوس اخوته. فدبَّر كل الامور بحكمة عجيبة وهو مع ذلك يعدُّ نفسهُ للكهنوت الذي رقاهُ الى رتبتهِ السامية اسقفهُ السيد لوتليار (Letellier) في كنيسة ريمس الكاتدرائيَّة في ٩ نيسان ١٦٧٨

فمذ ذاك اليوم تحوَّل يوحنا دي لاسال الى رجل جديد ومع انهُ كان يشار اليهِ سابقًا بالبنان لفضلهِ اضحى بعد نعمة الكهنوت كملاك متقمّص بجسد بشري. فجعل يعود المرضى ويسعف المساكين ويتردَّد على السجناء ولا يدع عملًا صالحًا الَّا يباشرهُ وكان يتمّم كل واجبات الكهنوت من كرازة وتوزيع الاسرار بغيرة لا تعرف مللًا حتى ردَّ كثيرين من الخطأة الى جادَّة الدين وسراط الفضيلة

*

لكنَّ الله عزَّ وجلَّ كان اصطفى الاب يوحنَّا دي لاسال لمشروع آخر اعظم خطرًا واعمَّ جدوى كان من شأنهِ ان يغيّر وجه فرنسة ألا وهو تهذيب اولاد الفقراء بمبادئ العلوم وتربيتهم وفقًا للتعاليم المسيحيَّة. فانَّ المدارس الابتدائيَّة كانت قبل زمانهِ بايدي اناس لم يتجرَّدوا لهذا العمل تمامًا او يطلبون منهُ الربح فلم يمكن الفقراء ان ينالوا من منافع التهذيب الَّا النزر القليل. وكانت مع ذلك الكنيسة في مجامعها لا تزال تشدّد

على رعاتها وتحرضهم على الاهتمام بتعليم الصغار من جمهور الشعب لئلّا تفسد آدابهم اذا أُهملوا ويعود سوء تربيتهم وبالًا على الهيئة الاجتماعيَّة. فوجَّه كثيرون من اهل الخير همّتهم الى هذا الامر الخطير الّا انَّ مساعيهم لم تعمّ كل الانحاء. وزد على ذلك انَّ اصحاب الاصلاح الموهوم من الكلوينيين كانوا بعد الحروب الدينيَّة افنوا قسمًا كبيرًا من الاوقاف التي كان حبسها ذوو المبرّات في سبيل تهذيب اولاد الشعب فلم يعد يمكن كثيرين من الاساقفة ان يقوموا بتكاليف المعلّمين

فلسدّ هذا الخلل دعا الله الاب يوحنَّا دي لاسال الى انشاء جمعيَّة المدارس المسيحيَّة لتكون كعين ساهرة تجري على نفوس الاحداث غيرَ فاترةٍ وتسقي كلّ البلاد بمياهها العذبة. على انَّ ولي الله لم يُقدم على هذا المسعى الجليل الّا خطوةً خطوةً مدفوعًا من يدهِ تعالى دون ان يقاوم في شيء ارادتهُ عزّ وجلّ

وكان الله قيّض لهذا الامر رجلًا غيورًا من اصحاب الخير يُدعى نيال (Nyel) كان يطوف فرنسة لينشئ في انحائها مدارس مجانيَّة للفقراء فاستدعتهُ امرأة فاضلة من ذوي الثروة اسمها ميلفر (Mme Maillefer) من قرابة القديس دي لاسال ليفتح مدرسةً في موطنها ريمس فاجاب الى دعوتها وباشر بالامر سنة ١٦٧٩

وبعد زمن قليل انضمَّ الى المسيو نيال معلّمون آخرون فاختاروا يوحنَّا ديلاسال كمرشد لهم ومساعد. فالقديس رغمًا عمَّا كان يقتضي ذلك منهُ من الايثار وتضحية النفس لم يأبَ ان يرجّح خير القريب على راحتهِ. لكنهُ ما دخل في هذه الطريق حتى تراكمت عليهِ الهموم وتزايدت الاتعاب. وكان هؤلاء المعلمون يأتونهُ من طبقات العامَّة معارفهم قليلة وفيهم من النقائص والطباع الفظّة ما اعتادهُ مثلهم. فتولّى القديس ارشادهم وكسب ثقتهم وجعل يجمعهم مرارًا ليعلّمهم اساليب تهذيب الاطفال ويزرع في قلوبهم فضائل المعلّمين المسيحيين حتى صاروا اهلًا بدعوتهم

ثمّ دعت الاحوال المسيو نيال الى ان يخرج الى مدينة أُخرى فصارت كلّ اعباء التدبير على عاتق الكاهن الفاضل وأخذ المعلّمون يعتبرونهُ كابٍ لهم ورئيسهم الخاصّ. فزاد حبهُ نحوهم فدعاهم الى مائدتهِ ثمّ ادخلهم بيتهُ وجعلهم ضيوفهُ بل كان يعيش بينهم كانهُ واحدٌ منهم. فادّى بهِ لطفهُ الى ان صار كالاناء المصطفى كلًّا للكلّ ليربحهم جميعًا للمسيح بل كان يخدمهم ويصرف عليهم من مالهِ ويعزّيهم في ضيقتهم ويعتني بتلامذتهم



القديس يوحنًا دي لاسال

منشئ جمعيّة اخوة المدارس المسيحيّة

الصغار حتى انهُ كان يتولى تعليمهم بنفسهِ اذا مرض احدهم

بيد ان هـذه العيشة القشفة أثارت عليهِ بعض اهلهِ واصحابهِ فهجروهُ ونقموا عليهِ واصابهُ من المحن العديدة والاضطهادات الجمّة ما كان كفوءا ليثنيهُ مرارًا عن عزمه ويفتَّ في ساعده. وكثيرًا ما كانت تأتيهِ البلايا والشدائد ممّن كان الاجدر بهم ان يساعدوهُ في اعمالهِ المبرورة فكان يحتمل كلّ ذلك بصبر جميل ويقتبل الاهانات دون ان ينبس بكلمة

وكان الله يسند عبدهُ بقدر ما يوسعهُ البشر الماً واحتقارًا. فيتجلى لهُ في الصلاة ويعزّيهِ ويملأ قلبهُ فرحًا وسرورًا ويبارك على جمعيّتهِ وينميها بالعدد والفضل حتى جعل اساقفة فرنسة يطلبون اليهِ ان يرسل الى مدنهم من ابنائهِ من يقوم بتهذيب اولاد الفقراء. فما لبث ان شاع اسمهم في كل انحاء الدولة

امّا القديس فكان همّهُ الاعظم ان يثبت بنيهِ ويقوّي في قلبهم روح التجرُّد والتفاني ولمّا رأى انهُ حان الوقت ليربطهم برباط النذور الرهبانيّة عرض عليهم ذلك فاجاب قسم منهم بطيبة الخاطر وابرزوا نذورًا موقّتة بين يديه

وكان يوحنا دي لاسال اوّل من يحافظ على هذه النذور ويمارسها بنشاط لا مثيل لهُ. فانَّ حبَّهُ للفقر قد بلغ بهِ الى ان تجرَّد عن كل اوقاف قانونيّتهِ والمال الموروث من والديهِ ففرّق كل ذلك على المساكين ولم يشأ ان يعطي شيئًا منهُ لاهلهِ او للجمعيّة التي انشأها ليزيد بذلك زهدهُ واتكالهُ على الله. فكان يأكل مع اخوتهِ خبز الصدقة الذي يستعطيهِ على ابواب المحسنين

امّا عفّتهُ فكانت تصيّرهُ شبيهًا بملائكة الله حتى انَّ كل من كان ينظر اليهِ او يقترب منهُ او يعترف عندهُ يشعر بمحبّة الفضيلة والرغبة في السيرة الطاهرة. ولمّا اتت اليهِ جدّتهُ لتعودهُ في مرض عضال كان اصابهُ لم يسمح لها ان تدخل غرفتهُ بل آثر ان يقوم من فراشهِ ليواجهها في الديوان البرّاني ليعلّم اولادهُ حبَّ الطهارة والقانون معًا

الّا ان الطاعة كانت فضيلتهُ الخاصّة كان يقدّمها على سواها لعلمهِ انها اسُّ الحيأة الرهبانيّة وكمالها. وقد اعطى في ذلك لبنيهِ امثالًا جليلة ساروا بموجبها فزادوا بذلك فضلًا. منها امتثالهُ لاوامر الكرسي الرسولي واخلاص طاعتهِ للحبر الروماني. وكثيرًا ما سعى اعداء الكنيسة لاسيا اليانسنيين ان يفصلوهُ وجمعيّتهُ عن نائب المسيح كما

فعلوا بجمعيّات أخر فوجدوا القديس في ذلك كالصخرة الصماء لا تلينهُ المواعيد ولا تخيفهُ ضروب الوعيد . والحقّ يقال انَّ هذا الذي جعل اعمالهُ مثمرةً نامية واخويَّتهُ مزهرة عامرة الى يومنا رغمًا عن طوارئ الدهر ونكبات الزمان

وما زاد عمل القديس ثباتًا انهُ وضع لابنائهِ قانونًا مملوءًا من الحكمة والتقى اثبتهُ بعد وفاتهِ الكرسي الرسولي. ومن اعمالهِ تنظيمهُ لدروس المدارس الابتدائيَّة في كل طبقاتها ووضعهُ اساس المدارس التعليميَّة (écoles normales) وقد صنَّف تأليفًا موجزًا لتهذيب اخلاق الاحداث وضمَّنهُ القواعد الادبيَّة التي يحتاج اليها الصغار (١. وله غير ذلك من المشروعات الجليلة التي يؤدي بنا شرحها الى الاطناب المملّ وفي ما سبق ما يكفي لبيان فضل هذا القديس

وكانت وفاة يوحنَّا دي لاسال في ٧ نيسان من سنة ١٧١٩ وقلبهُ طافحٌ بفرح سيدهِ الذي دعاهُ كالعبد الامين ليجازيهُ عن تجارتهِ الرابحة. فانهُ ما سمع الطبيب يخبرهُ بقرب ساعة موتهِ حتى صرخ: « يا لها من بشرى كنتُ انتظرها من زمن مديد » ثم قام من فراشهِ كأنهُ نسي اوجاعهُ وجثا راكعًا على الحضيض ليتناول جسد ربّهِ بما امكنهُ من الورع والتواضع. ولمَّا حانت ساعة النزاع اجتمع اليهِ بنوهُ وطلبوا منهُ بركة الاب لاولادهِ فقال: « اخوتي. فليبارككم جميعًا العليّ بيمينهِ. وهذه وصاتي اليكم اعتزلوا اهل العالم وحافظوا على قانونكم لتثبتوا في دعوتكم». ثم انقطع الى مناجاة الله وطال نزاعهُ فلمَّا كان عصر النهار فتح عينيهِ وبسط ذراعيهِ وحاول ان يقوم كانهُ يريد استقبال صديقٍ لهُ ثمَّ ضمَّ يديهِ واسلم روحهُ الطاهرة لخالقهِ يوم جمعة الآلام نحو الساعة التي مات بها الفادي

وما كاد ولي الله يودّع هذه الحياة الفانية حتى انتشر عرف فضلهِ وكرَّمهُ عزَّ وجلَّ بعمل المعجزات وارعوى اعداؤُهُ فاقروا بقداستهِ واخذ الكرسي الرسوليّ مذ ذاك الحين يبحث بحثًا شرعيًا عن فضائلهِ السامية وعجائبهِ الباهرة. ولمَّا لم يبقَ لاحد في ذلك ادنى ريب طوَّبهُ الحبر الرومانيّ في ١٩ شباط سنة ١٨٨٨ ثم تكرَّرت العجائب بشفاعة الطوباوي بعد ذلك وتبيَّن المجمع المقدَّس صحَّتها فعاد البابا لاون في السنة الماضية ورقَّى يوحنَّا دي لاسال الى رتبة القديسين الذين لا يمكن الارتياب في سموّ قداستهم ووجوب اكرامهم في العالم الكاثوليكيّ اجمع

١) وهذا الكتاب قد عرَّبهُ مؤخرًا بتصرُّف جناب يوسف افندي صفير وطبعهُ في بعبدا

ونحن بهذه النزهة نهنئ اخوة المدارس المسيحيّة الافاضل بالشفيع العظيم الذي نالوهُ من يد الرب ونتمنى لهم من صميم الفوءاد ان يداوموا على تقفّي آثار منشئهم الجليل فيزيدوا تحت لوائهِ نشاطاً في فلاحة كرم الرب (١

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

• المطابع في لبنان

انتهينا بايدهِ تعالى من تاريخ فنّ الطباعة في بيروت. فلا بدَّ ان نلحق المقالات السابقة بنبذة عن المطابع في لبنان. قلنا سابقًا انَّ فن الطباعة كان اول ظهورهِ في برّ الشام وذلك في دير قزحيا في وادي قاديشا حيث طبع اول كتاب بحرف سرياني وهو كتاب الزبور (راجع المشرق ٣: ٢٥١) ثمّ اتسعنا في ذكر مطبعة هذا الدير مع ما يختصّ بتاريخ مطبعة دير مار يوحنا الصابغ في الشوير (المشرق ٣: ٣٦٠)

ألا انهُ منذ أواسط القرن التاسع عشر أنشئت في لبنان مطابع جديدة لا نرى

(١) اعلم ان اخوة المدارس المسيحيّة يبلغون اليوم نحو ١٧٠٠٠ اخ مع المبتدئين الذين يطلبون الدخول في جمعيّتهم. ونصف هوءلاء الاخوة يهذّبون الشبيبة في فرنسة ولا يقلّ فيها عدد تلامذتهم عن ٣٠٠,٠٠٠ امّا الباقون فهم منتشرون في اربع قارات المعمور. وفي أقطار الشرق منهم عدد غفير. وقد اكتسبوا خصوصاً في مصر وفلسطين وسوريّة ثقة الجمهور بحسن تعليمهم وتربيتهم للاحداث. وقد ترأس عليهم منذ عهد القديس يوحنا دي لاسال ثلاثة عشر رئيساً هذه اسماؤهم مع تاريخ رئاستهم: ١ً الاخ برتلمي وكان تولى الرئاسة قبل موت القديس دي لاسال (١٧١٧–١٧٢٠) = ٢ً الاخ تيموتاوس (١٧٢٠–١٧٥١) = ٣ً الاخ كلوديوس (١٧٥١–١٧٦٧) = ٤ً الاخ فلورنس (١٧٦٧–١٧٧٧) = ٥ً الاخ اغاتون (١٧٧٧–١٧٩٥) تبعهُ الاخ فرومنس (١٧٩٥ ١٨١٠) ولم يُعدّ كرئيس عام وانّما كان كنائب لهُ = ٦ً الاخ جربود (١٨١٠–١٨٢٢) = ٧ً غليوم دي جيزو (١٨٢٢–١٨٣٠) = ٨ً الاخ انا كليت (١٨٣٠ – ١٨٣٨) = ٩ً الاخ فيليب (١٨٣٨–١٨٧٤) = ١٠ً الاخ جان اوليمپ (١٨٧٤–١٨٧٥) = ١١ً الاخ إرليد (١٨٧٥ – ١٨٨٤) = ١٢ً الاخ يوسف (١٨٨٤ – ١٨٩٦) = ١٣ً الاخ جبرائيل وهو الرئيس الحالي (١٨٩٦)

ندحةً في السكوت عنها مع ما ادّتهُ للآداب من الخدم المشكورة

١ (مطبعة بيت الدين ودير القمر) أُنشئت مطبعة بيت الدين نحو سنة ١٨٦٢ وكان الساعي بانشائها حنَّا بك الاسعد من مزرعة بيت ابي صعب في بلاد البترون. وكان للمذكور في بادئ الامر مطبعة حجريَّة طُبع فيها شرح المعلّقات للزوزني سنة ١٨٥٣ (ص ٢٤٠)

وبعد ان صارت متصرفيَّة جبل لبنان في عهدة المرحوم داود باشا استدعى سنة ١٨٦٣ المرحوم يوسف الشلفون ليساعدهُ على انشاء مطبعة في بيت الدين مركز المتصرفيَّة استحضرها من فرنسة. فأجاب المذكور الى سؤْلهِ ونظَّم المطبعة المعروفة باللبنانيَّة. وانشئت وقتئذٍ جريدة رسميَّة في حاضرة المتصرفيَّة باسم (لبنان) وتولى تحريرها المرحوم حبيب خالد من بعبدا وكتب فيها المرحوم الياس حبالين فصولًا نقلها عن الفرنسيَّة يتعلَّق بعضها بتربية القزّ. وكانت حروف هذه المطبعة من حروف مطبعتنا القديمة. ولمَّا رأى يوسف الشلفون مطبعة بيت الدين معدَّةً للطبع عاد الى بيروت (راجع المشرق ٣: ١٠٠٠) وتولى ادارة المطبعة ملحم بن ابرهيم النجَّار من دير القمر فبدل حروفها بالحروف الاميركانيَّة. ثمَّ رسم المرحوم حنَّا بك الاسعد حروفًا أُخرى ارسلها ملحم المذكور الى النمسة لتُصنع لها قوالب. وكان اول كتاب طُبع في بيت الدين كتاب كليلة ودمنة سنة ١٨٦٨ (ص ٣٤٦) نقلًا عن طبعة العلامة البارون دي ساسي المطبوعة في باريس سنة ١٨١٦

ثم انتقل ملحم النجَّار الى دير القمر وطبع هنالك كتاب ذبح البطلان بحدّ البرهان لمنصور باحوط ردًّا على جواب ميخائيل مشاقة على منشور البابا بيوس التاسع بخصوص المجمع المسكوني (سنة ١٨٦٩ ص ٧٨). وكتاب ملحة الاعراب وسبحة الآداب للامام الحريري عن نسخة تولَّى تصحيحها جناب جرجس افندي صفا (١٨٧١. ص ٥٦٤ بقطع صغير) وترجمة قاموس شبسال لفضول افندي البستاني تلميذ مدرستنا في غزير. طبع منهُ حرف الاول (A) بالفرنسويّ والعربيّ

ولمَّا كانت سنة ١٨٧٣ وكل صاحب الدولة رستم باشا ادارة مطبعة الحكومة اللبنانيَّة في بيت الدين الى الدكتور منصور باحوط بعد ان جلب لها حروفًا اميركيَّة فطبع فيها كتاب الفرائد السنيَّة في ايضاح الآجروميَّة تأليف القانوني الفاضل جرجس

افندي صفا (١٨٧٤. ص ٨١). ثمَّ كتاب في علم الحساب تأليف منصور باحوط مدير المطبعة (١٨٧٤. ص ٤١) ثمَّ كتاب فرائد الفوائد وهو معجم صغير في العلوم الطبيعيَّة والطبيَّة لهُ (١٨٧٤. ص ٣٢١). ثمَّ بحث المطالب في علم العربيَّة تأليف السيد جرمانوس فرحات (١٨٧٦. ص ٤٢٥) ثمَّ التعليم العسكري ترجمة الدكتور منصور باحوط بمعاونة مارون افندي البعقليني الَّا انهُ لم يكمل. وغير ذلك من روزنامات واوراق تجاريَّة وسالنامات. منها بالتركيَّة سألنامة جبل لبنان سنة ١٣٠٦ (ص ٩٢). ولم تزل هذه المطبعة في سراية بيت الدين لكنها لا تطبع الَّا الاوراق المتعلّقة بامور الحكومة

٢ (مطبعة طاميش) دير سيدة طاميش للرهبان البلديين أُنشئ سنة ١٦٧٣ يطلّ على وادي نهر الكلب في جنوبيهِ. ولمَّا كانت سنة ١٨٥٥ استحضر رهبانهُ على يد ابراهيم افندي الديراني آلة طبعيَّة مع ادوات أُخرى للتجليد والنجارة. ولم يكن للمطبعة مسبك وانما عُملت لها احرف عربيَّة. وبقيت هذه المطبعة تشتغل الى نحو سنة ١٨٨٢. ثمَّ بيعت ادواتها مع توابعها لقلة نفعها للدير وكثرة المطابع في بيروت. ثمَّ عُمل لها بعد ذلك احرف سريانيَّة فطُبع بها كتب قليلة. اما اسماء المطبوعات التي صدرت من هذه المطبعة فهذه قائمتها :

١ً اللاهوت الادبي للقديس الفونسوس ليكوري مجلدان (١٨٥٨–٨٦٢. ص ٧٢٠ و ١١٣٩) = ٢ً كتاب الدر المنظوم ردًّا على كراسة البطرك مكسيموس مظلوم للبطرك بولس مسعد (١٨٦٣. ص ٣٤٢) = ٣ً تاريخ الهرطقات ودحضها للقديس المذكور ترجمة المطران يوسف الدبس (١٨٦٤. ص ٨٣٣) = ٤ً كتاب حوادث الاعتراف للانبا خريسطوفوروس اليسوعي (١٨٦٦. ص ٣٥٠) = ٥ً كتاب فصل الخطاب في الوعظ ولوازمهِ وفائدتهِ للمطران جرمانوس فرحات (١٨٦٧. ص ٣٠٠) = ٦ً المثلَّثات الدريَّة شعرًا مع شرحها بمعنى روحي مفيد للمطران المذكور (١٨٦٧. ص ١٦٧) = ٧ً الشبيَّة وهي صلوات مختلفة نقلًا عن الكرشونيَّة (١٨٦٧. ص ٢٢٤) = ٨ً فرائض بعض مجامع الرهبنة = ٩ً مطبوخ اي حساب القمر وتوليده مجموع من الاب نعمة الله العراموني اللبناني (١٨٦٧)

والكتب السابقة طبعت بالحرف العربي. امَّا التي طُبعت بالحرف السرياني البلدي فهي :

١ً الشحيمة الكاملة = ٢ً ثم خدمة القدَّاس

٣ (مطبعة اهدن) تأسَّست هذه المطبعة في اواخر سنة ١٨٥٩ باسم المرحوم

رومانوس يمين شاركهُ في عملهِ الخوري الفاضل يوسف الياس الدبس (١ واحضرا آلة الطبع من اوربا. اما الاحرف فمن شغل رومانوس المذكور مع قسم من الحروف الاميركانية من بيروت (٢. وفي سنة ١٨٦٠ ظهر اول كتاب طُبع في هذه المطبعة وهو كتاب القلب المنسحق للاب يوحنا بطرس بينامونتي اليسوعي ترجمة المطران جرمانوس فرحات (ص٨٨) طُبع بنفقة الاب الخوري بولس موسى وشركائهِ على متنهِ الاصلي المطبوع برومية العظمى. وطُبع ايضاً فيها كتاب قوانين اخويّة الحبل بلا دنس (١٨٦٥. ص ١٦٠). وكتاب عبادة قلب يسوع مع اضافة صلوات الاستعداد والشكران نقلاً عن كتاب الرياضة اليوميّة المطبوع في رومية. ثم قسم من كتاب تفسير الانجيل للخوري يوسف الدبس لكنّهُ وقتئذٍ لم ينجز طبعهُ. ثمّ توقّفت المطبعة وبيعت موخَّرًا لرهبان دير قزحيا (٣

٤ (المطبعة العثمانية) تأسّست هذه المطبعة سنة ١٨٩١ مسيحيّة في شهر تشرين الثاني في بعبدا مركز متصرفيّة لبنان لصاحبها الفاضل جناب ابرهيم بك الاسود وهي المطبعة الاولى في لبنان التي تأسّست بارادة سنيّة في دائرتها مكتبة تحتوي على عدد وافر من الكتب العربيّة والاجنبيّة بهمّة ابراهيم بك الاسود. وفيها ٢٥ عاملاً بين كتبة ومرتّبي حروف وجباة وسعاة وخدَمة. وفيها وابور كبير متقن للطباعة و بضع مطابع صغيرة وفيها من الادوات ما يجعل لها مكانة مكينة بين المطابع المتقنة. وهي تطبع الكتب وجميع انواع المطبوعات بين عربيّة وتركية وافرنسيّة وانكليزيّة ويونانيّة وسريانية وفيها تُطبع جريدة لبنان لصاحب امتيازها المتقدم ذكرهُ ومجلتا النار والشمس وفيها طُبعت جريدة الصفا مدّةً مديدة. اما مطبوعاتها فسوف ننشر قائمتها في عددٍ قادم

(ستأتي البقيّة)

---

١) جاء في صدر كتاب عرفان الجميل لصاحب اليوبيل في ترجمة الحبر المفضال المطران يوسف الدبس (ص١٠) ما حرفهُ: «ومن مشروعاتهِ وقتئذٍ تأسيسهُ المطبعة العموميّة في اهدن عام ١٨٦٤ بشركة الخواجا رزق الله خضرا وقد نُقلت الى بيروت بعد ذاك على اثر حوادث عام ١٨٦٦» وهذا لا يوافق ما اخذناهُ عن اوثق المصادر وتاريخ مطبوعات اهدن التي هي في يدنا

٢) هكذا أفادنا حضرة الخوري يواكيم يمّين من اهدن والاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس ٣) عنهما ايضاً

مطبوعات شرقية جديدة

• NUMISMATQUE DES VILLES DE LA PHÉNICIE
par le Dr J. Rouvier, *extrait*, pp. 120 *avec VI planches*.
المسكوكات الفينيقية للدكتور جول روفيه

نوافق البشير في ما كتبهُ في عددهِ الاخير (١٣ أيار) عن المجموع النفيس الذي باشر نشرهُ الدكتور جول روفيه احد اساتذة مكتبنا الطبي. وغايتهُ ان يضع قائمة غاية في الضبط لكلّ مسكوكات المدن الفينيقيَّة. وهو لعمري مشروع عظيم يستدعي من المعارف والاتعاب ما لا يقوى عليهِ الّا رجل همة ونشاط مثل الدكتور المومأ اليهِ. وهذا القسم الاول الذي وقفنا عليهِ يؤيد ثقتنا بحسن العمل فانَّهُ يتضمَّن قائمة نقود مدينتي ارواد وبيروت وهي تحتوي وصف ٦١٩ قطعة رُسم بعضها بالتصوير الشمسي في ست صفحات. امَّا النقود فهي محفوظة في متاحف عديدة كمتحف باريس ومتحف المؤلف ومتحفي كليَّتنا والكلية الاميركية وعند بعض الخواص كسعادة قنصلي المانية وروسية في الثغر وللمؤلف في اثناء الكلام عدَّة ملاحظات دقيقة وتصحيحات الى غير ذلك من الفوائد. فنهنئ الدكتور روفيه على مباشرة هذا العمل الجليل ونتمنى ان يوفّقهُ الله الى تمامهِ بوقت قريب

MATERIALI PO KAZAK-KIRGIZKOMOU JAZIKOU
sobrannjye J. Laptebim, *Moskba*, 1900 pp 148
بحث في اللغة القزانية القرغزيَّة

هذا الكتاب وضعهُ المعلم الروسي ليتيف وهو يبحث فيهِ عن اللغة الشائعة بين احدى القبائل التتاريَّة الخاضعة لحكم دولة روسية. وقد ضمَّنهُ منها مقاطيع شعريَّة ونثريَّة وقصصاً وامثالًا ثم ألحق ذلك بملخَّص صرف ونحو هذه اللغة وختم كتابهُ بمعجم جعلهُ على ترتيب احروف الهجاء. واللغة المذكورة لغة تتاريَّة تقرب من التركية يتكلَّم بها نحو ١٥٠,٠٠٠ شخص والكتاب كلّهُ بالروسية ل. ش

شذرات

تاريخ آل معن والشوف قرأنا فصلًا حسناً حرَّرهُ الكاتب

الفاضل جرجي افندي ينّي في المقتطف (راجع عددي فبراير ومارس ١٩٠١) عن آل معن . وفي هذه المقالة من الفوائد ما لا يُنكر وان دخلها بعض الاغلاط كقول المؤلف (ص ١٠٥) : « انّ جدّ آل معن أيوب من سلالة الايوبيين ملوك بغداد » والصواب ان الايوبيين من سلالة ايوب وانهم لم يملكوا قط على بغداد . وكقولهِ ايضاً انّ الامير معن صاهر الملك النعمان (؟) . الى غير ذلك ممَّا لا نتعرَّض لهُ هنا . وانَّما نكتفي بتخطئة ما سطَّرهُ جناب الكاتب في الصفحة ١٠٧ بخصوص قطر الشوف انهُ كان في بدء القرن الثاني عشر « خرابًا يبابًا » . وهو كلام لا يوافق الحال فانَّ لدينا عدَّة تآليف للصليبيين ومناشير للباباوات واحكامًا للاساقفة وحججًا ترتقي الى ذلك العهد ورد فيها ذكر نيِّف وخمسين قرية من الشوف . وبعض هــذه القرى تدعى كزالًا (casal) وهو اسمٌ يدلّ على أمهات القرى . فيؤخذ من ذلك انَّ الشوف سكنهُ الاهلون قبل هذا العهد بزمن ليس بيسير

وكذلك لا صحَّة لما نقلهُ المؤلف عن اصل تسمية هذا القطر بالشوف من « انَّ اسم الشوف مشتقّ من شُفْ اي انظر» قالها امير تنوخي للامير معن . لانَّ اسم الشوف ورد في التآليف الســابق ذكرها قبل زمن الامير معن وهو مكتوب فيها على صورة Sscuff امَّا اصل هذا الاسم فلم يتفق عليهِ الكتبة الى يومنا ه . ل

كتاب جليل في الموسيقى هو كتاب الرسالة الفتحيَّة من « وقف المرحوم ابرهيم فصيح الحيدري على تكيَّة الخالديَّة » حسب عبارة الخاتم المختومة بهِ الصفحة الثانية منهُ . وقد كتب على الصفحة الاولى ما هذا حرفهُ منقولًا : « قد اشتريتُ هذا الكتاب في بلدة قسطنطينيَّة في السفرة الثالثة اليها . وانا الفقير السيد ابرهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي . وذلك سنة الف ومائتين وتسعين من الهجرة النبويَّة على صاحبها افضل السلام واكمل التحيَّة » . وقد كُتب عنوانهُ بقلم يختلف حبرهُ عن مداد سائر الكتاب هذا نصهُ : « هذا الكتاب (كذا) من علم الموسيقى لمحمد بن عبد الحميد اللادقي (كذا) رحمهُ الله تعالى رحمة واسعة »

وهو كتاب نفيس وخطهُ فصيح دقيق الحروف ومحــلّى باطار بماء الذهب يوازيه خطَّان اسودان دقيقان . طول الصفحة ٢٠ سنتيمترًا و٣ مليمترات في عرض ١٢ سنتيمترًا وطول المخطوط منها ١٥ سنتيمترًا في عرض ٧ سنتيمترات وفي كل صفحــة ٢٧ سطرًا وفي الكتاب ٥١ قائمة (اي ورقة) واليك فاتحة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم وعليهِ التكلان . — الحمد لله الذي اذاقنا حلاوة ألحان عنادل وَرْد جمالهِ (١ في دوائر روضات النبراء . بكمال قدرتهِ ورأفتهِ . وامدّ لنا شعبة اشجار محبّتهِ في ابعاد طبقات جنات الخضراء . بجلال عظمتهِ وسطوتهِ . وأجلى كُدورات قلوب الاحبّاء . بصياقل سماع زمزمة النغمات وايقاع النقَرات . كما أحيا الارض الميتة عن شدائد الشتاء . بإرسال آثار الربيع الذي يحيي الاموات . والصلاة على سيد الخَلق محمّد الذي كان مقام عشاقهِ في الحجاز والعراق محموداً . وآلهِ وصحبهِ الذين صار حال تابع قولهم وعملهم في الدارين مسعوداً . وبعدُ .... »

واليك ختام الكتاب باغلاطهِ :

« تمّت الرسالة الفتحيّة . بعون الله خالق السموات العلية . وقع الفراغ بعون الله تعالى من التحرير على يدي الفقير محمّد رشيد ابن حسن بن الشيخ محمد غفر الله لهم . في اليوم الخامس عشر من شهر محرَّم الحرام لسنة احدى وستين ومائة والف من هجرة لهُ العز والشرف والحمد لله وحدهُ »

وفي الكتاب حواشٍ كثيرة واشكال مختلفة للدلالة على الابعاد والمقامات ونحو ذلك . ومن خصائصهِ التي تفرّد بها هذا السِفر النفيس ذكر جدول واسع فيهِ : « تبيّن جميع الادوار المشهورة بنغماتها وابعادها معاً تيسيراً لمباحث اشتراك نغمها وطبقاتها واليك صورة سطر من هذا الجدول الغريب العجيب :

دائرة		اول	اول
١ عشاق		ع ٨ مد ما	ح ر د ا
		طب ط ط	ب ط ط

وقد صوّر كل نغمة بحرفٍ من الحروف الهجائيّة بعد ان شرح نغمة ذلك الحرف من موطنهِ على الخط ومسقطهِ فوقهُ او تحتهُ او بينَ بينَ كما ترى امامك على حدّ ما ترى عند الافرنج من علامات النغم (المعروف عندهم باسم النوط notes) ومن هذا نتحقّق ان هذا الكتاب لم يُنسج على منوالهِ وبديعٌ في اقوالهِ واشكالهِ

وقد اهداهُ ناسج بُردتهِ ومُنَمْنِم طرّتهِ : « الى السلطان ابن السلطان . السلطان بايزيد خان . ابن السلطان . محمد خان » . وقد ذكر سبب تسميتهِ بالرسالة الفتحيّة ما هذا نصّ كلامهِ : « ولمّا كان فتح مُغلقات ابوابها واقعاً في ازمنة اوائل فتوح سلطان زماننا سمّيتها بفتحيّة مناسبة لاسم معظم مأخذها شرفيّة » . ثم ذكر بعد ذلك ترتيب ابوابها فقال :

١) قلتُ : العنادل جمع عندليب وهو الطائر المشهور بحسن صوتهِ وأُضيف اليهِ الورد لانّ عندليب الورد اي المولود في أبّان الورد افصح من عندليب التمر اي المولود في ايّام التمر

« ورتّبتها على مقدّمةٍ وطرفين. بتوفيقٍ من الله رب المشرقين ورب المغربين. اما المقدّمة ففيها فصول ثلاثة :

الفصل الاول : في امور ستة منها : تعريف الموسيقى وما يستدعي تعريفهُ ومنها موضوعهُ ومنها واضعهُ ومنها غايتهُ ومنها شرفهُ ومنها وجهُ تسميتهِ

الفصل الثاني : في المبادئ الطبيعيَّة

الفصل الثالث : في المبادئ العددية والهندسيَّة

الطرف الاول : في علم التأليف وفيهِ خمس مقالات : (المقالة الاولى) : في تقسيم الدساتين ومباحث الابعاد الملائمة ونسبها المستخرجة من مقادير اوتارها . (المقالة الثانية) : في اضافات الابعاد بعضها الى بعض وفصلها وتنصيفها وتثليثها وتربيعها . (المقالة الثالثة) : في التأليف الملائم من الابعاد الصغار اللحنيَّة واسباب التنافر . (المقالة الرابعة) : في الادوار المشهورة وتشادي (؟) نغمها وطبقاتها على الاجمال والآوزات الستّ والشعب على رأي القدماء والاصطحاب المعهود بين الاوتار . (المقالة الخامسة) : في الالحان المستعملة المشهورة في زماننا هذا . او تاثيراتها بحسب خصوصيات الاشخاص والاوقات

الطرف الثاني : في علم الايقاع وفيهِ ثلاث مقالات : (المقالة الاولى) : في احوال الازمنة المتخلّلة واسبابها الموضوعة لها . (المقالة الثانية) : في أنواع الايقاع المستعمل عند المتقدمين . (المقالة الثالثة) : في أنواع الايقاع المشهور عند المتأخرين   كاتبه الاب انستاس الكرملي

❋ حلّ لغز العدد السابق ❋ وردنا حل اللغز المثبت في العدد السابق لكثيرين من الادباء نسرد هنا اسماءهم حسب تاريخ ورود قصائدهم : حضرة الاب جبرائيل رزق مرهج ثم حضرة الخوري الفاضل يوسف العلم ثم جناب الاديب نخله يوحنا نصر ثمَّ ستّة من تلامذة مدرستنا الكليَّة : الاخ بطرس سارة من البترون وتوفيق زبليط من طرابلس والشقيقان حلمي وثابت مصري من طنطا ويوسف حنا سودا من بكفيا وسليم خوري من يافا ثمَّ الشيخ قيصر أسعد الخوري احد تلامذة مدرسة الحكمة الزاهرة ثم الاديب شحادة سماحة تلميذ المدرسة الشرقية في زحلة ثم خمسة من تلامذة مدرسة مار يوحنّا مارون العامرة : جرجس عسّاف من شبطين وحنّا جرجس سارَّة من البترون ومارون حنّا من هينكفاع وميخائيل نعمة من غوما ولكلّهم شعر رائق لم يسمح ضيق المكان من إيراده فنكتفي بحلّهِ للابوين الفاضلين الاوَّلين الخوري ج . ر . مرهج ثم الخوري ي . العلم :

١ يا ملغزًا بالكهرباء وصفتَها ... وصفًا يدلّ على اتساع الخبرةِ
مدفونة في كلّ جسم ترتجي ... بثًّا ألا أبثها بمسّ الحفرةِ
سليبُها لوصال ايجابيها ... يبغي وكم عجب بجذي الالفةِ
ضدّان قد طلبا الاخاء فحينما ... ائتلفا ابادها الوصال بلحظةِ
سارت فقصّرت المفاوز واثنت ... تنبيك احوال الصديق بسرعةِ
اعجب بها من ميْتة بُعثت فلم ... تطق البقاء منغصًا بعذلةِ
فبدت وابدت الانام غرائبًا ... «وخوارقًا تقضي عليك بحيرةِ»

اتحاول التعداد تلك جسارةٌ ... احجم وقُل : فيها اصول القوّةِ
لا تقربنَّها انَّ في نيرانها ... رسُل المنيَّة تلتقيك بشدَّةِ ج . ر . م

٢ يجناك يا هذا للنزك سطَّرت ... وبأختها مدلولهُ يتقلَّبُ
قد كان بين يديك موتٌ كريمةٌ ... وحياتها وكما تشاء ترتَّبُ
فاذا امتَّ الجسم عاشت روحهُ ... وبذا مثالٌ للكمال مدرَّبُ
ما تلك في يجناك يا موسى وما ... هذي الغرائب عن قواها تعربُ
فطنتها العوبةً باصابعٍ ... مع انَّها اعجوبةٌ تُستغرَبُ
ونضدتَ من حبَّاتها لك سُبحةً ... والامر عندي ان تُسجل اوجبُ
هذي لعمري الكهرباء وانَّها ... لحقيقةٌ فيها الكلام مصوَّبُ
اختان موجبةٌ وسالبةٌ فلا ... تأليف بينهما وهذا المأربُ
الحرب بينهما تطير شرارها ... عند اللقا والرعد عنها يصخبُ
وصواعق تنقضُّ من موجاتها ... منها المصائب كالسحائب تسكبُ
اين المدافع والمدامع والوغى ... منها وقُل بل كيف صلحٌ يطلب
سبحان من جعل الغيوم ضياءها ... والبرق من ألحاظها يتلهَّبُ
روحٌ بخفَّتها وسرعة سيرها ... وورا مطاوي لطفها تتحجَّبُ
هذي مزايا الكهرباء وعصرها ... في كل يوم منهُ امرٌ اعجبُ ي . ع

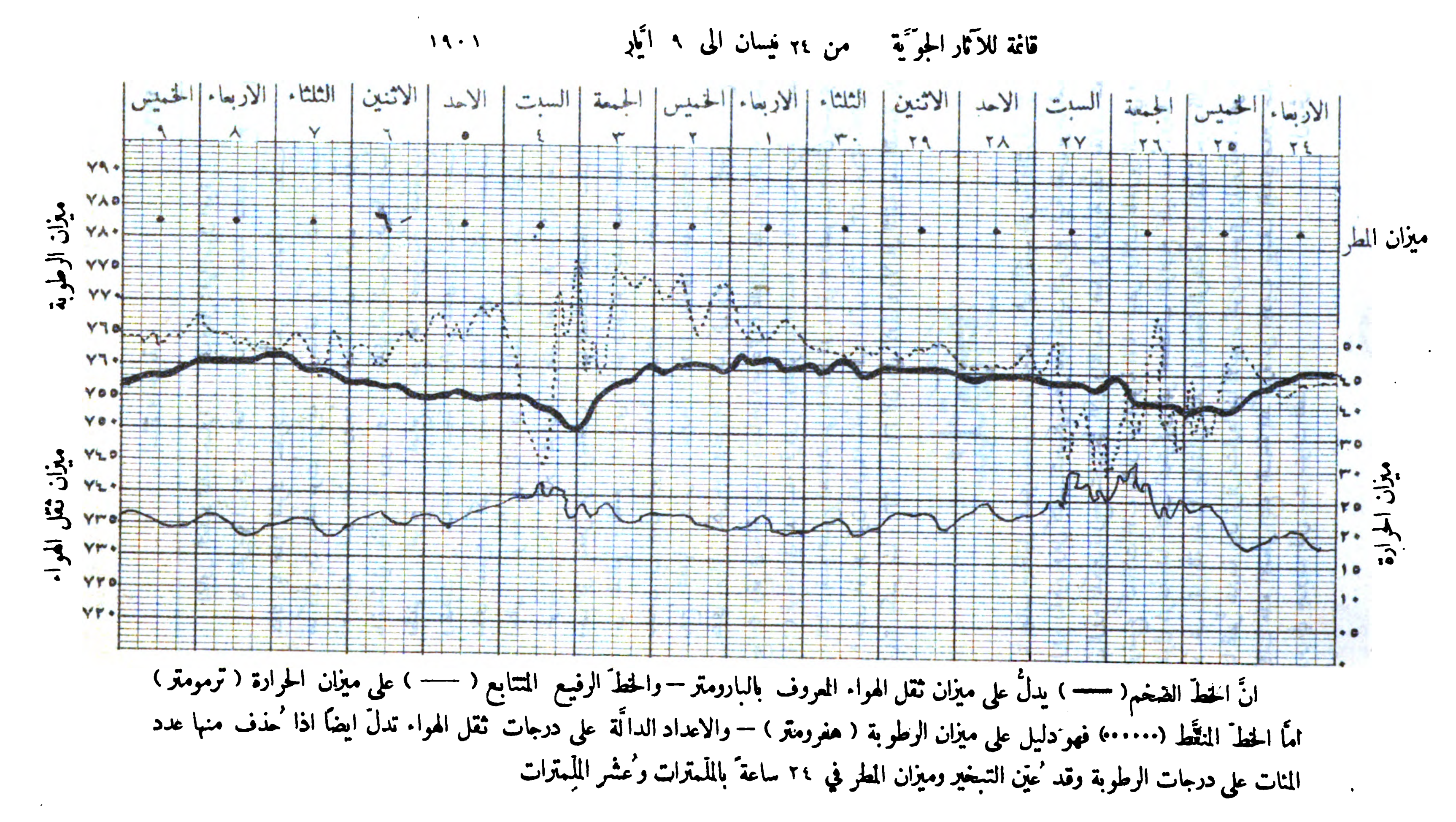
* تصحيح * وقع في مقالة توحيد الحسابين (ص٤٢٥) غلطتان نطلب الى القراء اصلاحهما : الاولى (س ١٦) قولهُ « في بعد سبعة قرون » والصواب « تسعة » . الثانيـة قولهُ : « السنتان المئويَّتان . . . اللتان يُقسم مجموع اعدادهما على ٩ او ٤ دون باقٍ » والصواب « اللتان يقسم مجموع اعدادهما على ٩ دون باقٍ او يكون الباقي ٤ » . مثالهُ ٢٠٠٠ , ٢١٠٠ , ٢٢٠٠ , ٢٣٠٠ , ٢٤٠٠ , ٢٥٠٠ , ٢٦٠٠ , ٢٧٠٠ , ٢٨٠٠ يكبس منها ٢٢٠٠ و ٢٧٠٠ لانَّ باقي الاولى ٤ ولا باقي للثانية بعد القسمة على ٩

اسئلة واجوبة

س سألنا جناب ميخائيل افندي اسطنبوليَّة من دمشق ما هي الكتب الغربية والشرقية التي ورد فيها تاريخ الروم الملكيين وهل كتاب التختيكون هو عين كتاب التواريخ المليَّة للقس يوحنا العجمي

ج ليس للروم الملكيين تاريخ منتظم حتَّى الآن وانما صدر فقط في اوربَّة عدَّة مقالات منفردة في هـذا الموضوع كمقالات الاب ميشال من اخويَّة الاباء البيض والاب غاغارين اليسوعي وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ . امَّا كتاب التختيكون فهو كتاب التواريخ المليَّة نفسهُ . وهنا نستغنم الفرصة بردّ تهمـة باطلة اتهمنا بها ناشر كتاب « الحجة الراهنة » في المقدَّمة حيث قال ان نسخة مكتبتنا تخصُّ مدرسة عين تراز استعارها منها الاب مرتينوس اليسوعي ولم يردَّها . وهو قول باطل فانَّ كاتب هذه الاسطر ابتاع النسخة المذكورة من الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس في بيروت قبل ست سنوات فقط ل . ش

قائمة للآثار الجوّيَّة   من ٢٤ نيسان الى ٩ ايّار   ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات

11 **Petites fleurs de la vie des Saints.**

قطف الازهار من مروج الاخيار

32 fascicules format petit in-12, 1895-1898.

Il est des Saints dont le culte est très populaire en Orient ou qui méritent d'y être plus connus. Pour favoriser la dévotion du public, on a eu l'heureuse idée d'extraire leurs notices du « volume de la Vie des Saints » en les complétant au besoin, pour les publier en différentes séries comprenant chacune un certain nombre de fascicules. La 1re Série se compose de 8 fascicules où sont contenues les Vies de N. S., de la Ste Vierge, des parents de N. S., une notice sur St Michel et les Anges Gardiens, sur St Jean Baptiste et St Elie, enfin les Vies des SS. Apôtres et Evangélistes. — La 2e Série comprend 11 fascicules renfermant les Vies des plus illustres Martyrs d'Orient et d'Occident. — La 3e Série, composée de 10 fascicules, est consacrée aux Vies des SS. Docteurs, des SS. Confesseurs, Pontifes et non Pontifes, et des Patrons de la Jeunesse. — Enfin la 4e et dernière Série donne en 3 fascicules les Vies des Saintes Vierges, des Saintes Femmes et des Pénitentes.

154 **HOROLOGION**

ou

Diurnal du rite grec.

كتاب مختصر السواعية الشرقية

In-32 raisin, 443 pages, 3e édition, 1895.

Ce livre renferme, outre les offices des différentes heures du jour, des conseils et des prières pour la confession et la communion, les psaumes de la pénitence, des visites au Très Saint Sacrement, les actes des vertus chrétiennes, les litanies du St-Sacrement, une méthode pour entendre la Sainte Messe, les calendriers des fêtes chômées selon le rite grec catholique, avec une table des fêtes mobiles jusqu'à l'année 1901.

	Fr.	affr.
Broché	0,80	0,20
Basane gaufrée, tr. jaspée.	1,40	
Mouton chagriné, tr. dorée, bleue ou rouge	2,10	
— *grain-long, ornements dorés, tr. dorée.*	3 »	
— *chagrin de coul., orn. dor., tr. ciselée, ou bleue et or, ou rouge et or*	3,20	
Velours gaufré, tr. dorée	3,20	
Chagrin de couleur, ornements dorés, tr. dorée.	4,20	
Chagrin de coul., orn. dor., tr. rouge et or, ou bleue et or .	4,75	

Les garnitures en imitation ivoire, sujets sculptés en relief et sujets avec riches incrustations, coins et fermoir comme le livre de prières N° 153.

444 **Rituel à l'usage des Syriens Catholiques.**

Petit in-12, 214 pages, 1872.

Ce Rituel contient en 31 chapitres, partie arabe, partie syriaque, les prières récitées par les prêtres catholiques de rit syrien dans les différentes fonctions de leurs ministères.

Il a été revu en 1866 par Mgr G. Schelhot plus tard patriarche de son rit

	Fr.	affr.
Broché	2 »	0,20
Demi-reliure.	2,50	

OUVRAGES ARABES
DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE.

9 La Bible des enfants.

الغصن النضير

Petit in-8°, 3 vol., 1er 183 pp. (9e éd., 1897), 2d 182 pp. (5e éd., 1893), 3e 193 pp. (2e éd., 1897).

Par le P. J.-B. Belot S. J.

C'est un recueil des principaux traits bibliques surtout de ceux qui font plus d'impression sur le jeune âge. On a cherché autant que possible à y conserver l'ordre chronologique et le texte même des Livres Saints La 1re partie contient les récits du Pentateuque. La 2e conduit le lecteur jusqu'au règne de Salomon. La 3e donne le reste des faits bibliques jusqu'à la fin du 2e livre des Machabées. C'est un excellent livre de lecture destiné à toutes les maisons d'éducation et principalement aux écoles primaires. De nombreuses gravures sont intercalées dans le texte.

	Fr.	affr.
Broché . . . . **chaque** *volume*	1 »	0,30
Cartonné . . . . — —	1,50	

4 Abrégé d'Histoire Sainte.

مختصر التاريخ المقدس

In-18, 160 pages, 11e édition, 1896.

Par Lhomond.

Traduit en arabe par Michel Massabki.

La traduction simple et élégante de ce petit livre si populaire en Europe a contribué pour une large part à la connaissance de l'histoire sainte en Orient. Les éditions nombreuses de cet ouvrage montrent quel accueil les directeurs des écoles continuent à lui faire.

Broché	0,40	0,15
Cartonné	0,60	

333 Le même, *avec le texte français au bas.*

Broché	0,50	0,20
Cartonné	0,75	

170 La vie des Saints, pour tous les jours de l'année.

مروج الاخيار

In-4°, 925 pages, 3e édition, 1892.

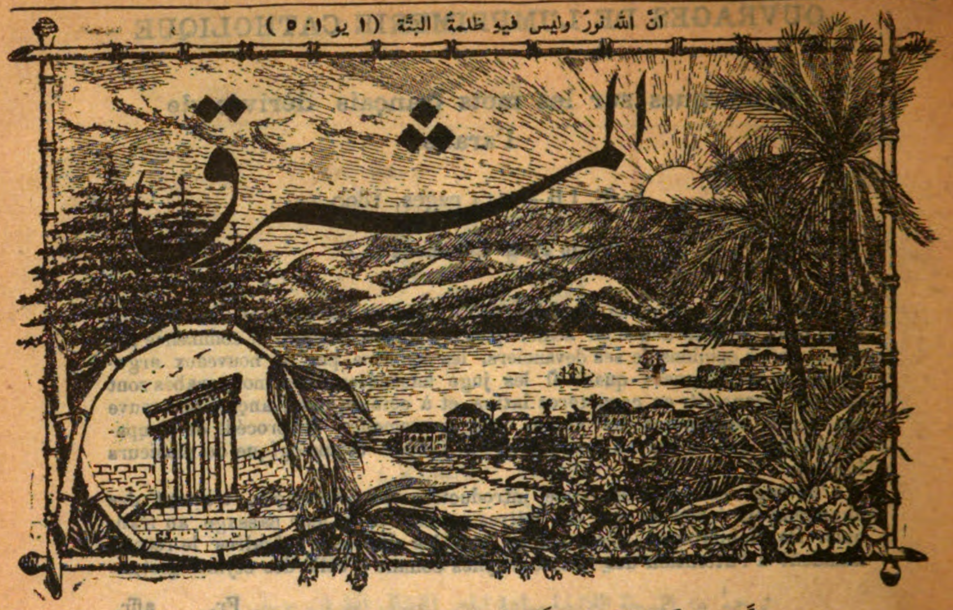
Par le P. P. Fromage S. J.

Le P. P. Fromage, à qui l'Orient chrétien est redevable de tant de livres utiles, a tiré cette « Vie des Saints » des ouvrages des PP. Ribadéneira et Croiset, en l'adaptant au goût des Orientaux. Les travaux récents des Bollandistes et d'autres hagiographes modernes ont été utilisés par le P. J.-B. Belot pour reviser et compléter l'œuvre du P. Fromage. Comme de juste, les Saints d'Orient occupent dans cet ouvrage une place importante.

Un beau volume orné de gravures.	Fr.	affr.
Relture mouton chagriné, tranche marbrée	20 »	en colis postal
— — — — *dorée*	24 »	
— — — — *ornements dorés, tr. dorée*	27 »	
Demi-relture, dos et coins en maroquin, ornem. dorés, tr. dorée	27 »	

السنة الرابعة العدد ١١ ١ حزيران ١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتَّة (١ يو ١ : ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كليّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 11 (1 *Juin* 1901)

فهرس العدد ١١

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe.

In-8°, LII — 314 pages, 1890.

Par le P. H. Lammens S. J.

L'auteur passe en revue dans leur ordre alphabétique quelques centaines de mots dont l'origine arabe lui semble plus ou moins fondée. Il commence par examiner les opinions de ses devanciers, les confirme par de nouveaux arguments, ou les repousse quand il les juge hasardées. Les mots arabes sont toujours *transcrits* en caractères latins, et à côté du mot français on trouve les termes congénères des autres langues *romanes*. Ce procédé de comparaison fait que ce travail peut servir à l'étude étymologique de plusieurs idiomes.

L'ouvrage est précédé d'une introduction ou *phonétique*, traitant des changements éprouvés par les lettres arabes dans leur passage au français. De nombreuses observations sur les dialectes vulgaires le recommandent à l'attention des lexicographes comme à celle des étymologistes.

	Fr.	affr.
Broché	5 »	0,55

245 **Le livre des Arbres et des Plantes**

كتاب النبات والشجر للاصمعي

In-8°, 48 pages.

Par al-Asmaʿi

Edité par le Dr A. Haffner

Cet ouvrage tiré comme كتاب الدارات de la Revue **al-Machriq** y a paru en articles successifs. Il offre un double intérêt aux Orientalistes sous le rapport de la Philologie et de l'histoire de la Botanique des anciens Arabes. Les noms scientifiques des plantes sont renvoyés en note et accompagnés de la description qu'en ont donnée les naturalistes anciens dans les grands lexiques arabes.

Broché	1 »	0,10

385 **Diwan d'al-Ḫirniq sœur de Tarafah.**

ديوان الخرنق اخت طرفة

Grand in-8°, 24 pages.

Par le P. L. Cheikho S. J.

Après al-Ḫansâ', les Arabes accordent la palme poétique à trois femmes célèbres du désert : al-Ḫirniq sœur du poète Tarafah, Amrah fille d'al-Ḫansa' et Laïla l'Aḫialite. Les poésies de la première réunies en un *dīwān* éditées d'abord dans le recueil des Femmes Poètes viennent d'être publiées à part avec un appareil plus scientifique destiné surtout aux Orientalistes, d'après le Ms. du Caire.

	Fr.	affr.
Broché	1,50	0,05

المشرق

المجمع اللبناني

المنعقد في سنة ١٧٣٦ بدير سيدة اللويزة

ترجمهُ عن النسخة اللاتينية سيادة الحبر الفضال المطران يوسف نجم
رئيس اساقفة عكا والنائب البطريركيّ الماروني

نبذة للمعلم رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير واستاذ الخطابة في كلّيّة القديس يوسف

قلّما تأتي الترجمة فصيحة بالعربيَّة متى التزم الناقل حرفيَّة الاصل المنقول عنهُ لانهُ في مثل هذه الحالة اذا لم يكن المترجم مقتدرًا كل الاقتدار المطلوب فلا بدَّ ان يبدو على العبارة ما يبوح فيها بركاكة او ضعف او يُشعر على الاقلّ بخروجها عن مناهج التراكيب البليغة · غير ان من يطالع المجمع اللبناني الذي نتكلّم عنهُ يرى مثلنا ان سيادة الحبر المفضال المطران يوسف نجم النائب البطريركي قد عُني بترجمتهِ على غاية ما يمكن من الفصاحة والسهولة بحيث يظن قارئهُ ان المجمع المذكور كُتب بالعربية بقلم كاتب مجيد لا بلغة اجنبيَّة وهذا منتهى الكمال في الترجمة

ولا يخفى انَّ نقل الكتب التي يكون مدارها على مادَّة مهمَّة تهذيبيَّة واعتقاديَّة وطقسيَّة كالمجمع اللبناني لا بُدَّ فيها مع الفصاحة من الوضوح التام حتى يتسهَّل لكل المطالعين من طبقات الاكليروس المختلفة فهمها من أيسر سبيل فلهذا اهتمَّ سيادة المترجم بجعل العبارة واضحة بيّنة الى حدّ ان القارئ لا يستطيع متى قرأها الَّا ان يفهمها كما لا يستطيع البصير اذا فتح عينيهِ الَّا ان يرى الاشياء التي يقع عليها بصرهُ

وقد ترجم سيادتهُ هذا المجمع عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدَّس سنة ١٨٢٠ وطبعهُ على نفقتهِ في السنة الماضية بمطبعة الارز في

جونية فجاء كتاباً ضخماً يحوي مع الذيل ٧٨٠ صفحة بقطع ربع فنشكر لسيادته اذًا على هذه الترجمة البالغة حدّ الاتقان كما نشكر لهُ ايضًا اهتمامهُ بطبعها ونحرّض كل اكليريكي ماروني بل كلّ محبّ للعلم الكنسيّ على اقتنائها ومطالعتها لانها هي الدستور الوحيد الذي بموجبهِ يتمشى الموارنة في كل شؤونهم الروحيَّة. هذا فضلًا عن انَّ احكام المجمع المذكور تقضي من باب الضرورة على كل اكليريكي ماروني بان تكون عندهُ نسخة من هذا الكتاب يرجع اليها عند الاقتضاء

وفي هذا المقام رأينا من الواجب ان نلمّ بشيء من تاريخ المجمع اللبناني ودواعي التئامهِ لفائدة المطالعين فنقول: انَّ المجمع المذكور كان انعقادهُ في ايّام رئاسة السيد البطريرك مار يوسف ضرغام الخازن الذي هو السادس والخمسون من بطاركة الموارنة والسابع عشر من الذين اقاموا في دير سيدة قنوبين وكان الباعث اليهِ رغبة البطريرك المشار اليهِ مع جمهور اساقفة الطائفة في اصلاح ما كان قد تدرّج خطأً الى التهذيب البيعي من الاشياء النادَّة عن وضعهِ وبهائهِ الاوَّلين. ولمَّا كان امضاء هذه الامور ممّا لا يتأتى التسليم بهِ من الجميع بالخضوع الواجب اذا لم يعزّز بالسلطة العامَّة المطلقة التي يحترم الكل احكامها رفعوا الى قداسة الحبر الروماني البابا اكليمنت الثاني عشر والى مجمع نشر الايمان المقدَّس وبعض ذوي النيافة كرادلة الكنيسة الرومانيَّة عرائض مؤرخة بين اواخر تموز واوائل آب من سنة ١٧٣٤ والتمسوا فيها بالحاح ان يُرسل اليهم في سوريَّة السيد يوسف سمعان السمعاني ثاني مستحفظي المكتبة الواتيكانية واحد رؤساء بلاط قداسة البابا المشار اليهِ كقاصد رسولي معزّز بما تقتضيهِ الحال من التفويضات تهذيباً واصلاحاً يأتيهما باسم الكرسي الرسولي مع مؤازرة السادة المنوَّه بذكرهم. وقد اوضحوا في عرائضهم المذكورة انهم يختارون السيد يوسف السمعاني لانهُ من ابناء طائفتهم وعارف بلغتهم وما يفتقرون اليهِ من الاصلاح وبالاخصّ لانهُ مشهور بدرايتهِ وواسع علمهِ وتقواهُ ومزيد خبرتهِ باحوال الشرقيين ولاسيما الطائفة المارونيَّة

امَّا قداسة الحبر الاعظم فتلقَّى التماسهم بالرضى والقبول واصدر اربع براءات: الاولى للسيد يوسف سمعان السمعاني بها يعيّنهُ بسلطتهِ الرسوليَّة قاصدًا من لدنه ولدن الكرسي الرسولي الى الطائفة المارونية مقلدًا ايَّاهُ من السلطة والتفويضات والامتيازات ما يُفوَّض ويُسند عادةً الى امثالهِ في هذه الخطَّة. والثانية للسيد المشار اليهِ بها يوليهِ حقّ لبس التاج

في المجمع والثالثة الى مار يوسف ضرغام الخازن بطريرك الموارنة بها يمدح حرصهُ على تمحيص وحدة الديانة الاورثذكسية وانماء التهذيب المقدس وتخليصه من الشوائب التي أوشك معها ان يُشفي على السقوط ويعلمهُ بتعيينهِ السيد يوسف السمعاني قاصداً رسولياً عن فرح قلب وطيبة خاطر. والرابعة الى رؤساء الاساقفة والاساقفة وهي في المعنى نفسهِ. وكذلك بعث مجمع نشر الايمان المقدس بثلاث رسائل الى البطريرك ورؤساء الاساقفة والاساقفة ورئيس الرهبان اللبنانيين الموارنة ومجمعهم العامّ وكلها تتضمَّن مديحاً عاطراً لايمان الموارنة وغيرتهم على صيانة التهذيب الكنسي

وفي الثاني من تموز ١٧٣٦ وصلت الرسائل المقدَّم ذكرها مع السيد يوسف السمعاني وكانت لتلاوتها بهجة ورنَّة بين الموارنة وعلى اثرها زايل السيد البطريرك كرسيهُ في دير قنوبين قاصداً كسروان واصدر امراً الى رؤساء الاساقفة والاساقفة وغيرهم من ذوي العلم والفضل في طبقة الاكليروس العالمي والقانوني ان يبحثوا في مقدّمات المجمع بدير مار سركيس الشهيد في قرية ريفون. وابتداء من اليوم الرابع عشر من ايلول بُدئ هناك بتلاوة الاوامر وعرضها للمذاكرة فنشأت بعض امور حالت دون البحث فيها بحرّيَّة فاوجب تيسير مجرى الامور في سياق الترتيب والنظام الى انطلاق السيد البطريرك مستصحباً رؤساء الاساقفة والاساقفة في ٢٦ ايلول الى دير سيدة اللويزة من معاملة كسروان وكان القاصد الرسولي مع بعض الرؤساء والمرسلين وغيرهم قد اعتزلوا هناك منذ ايام فراراً من المنازعات. فبعد ان صرفوا ثلاثة ايام يتطارحون كلّ ما هو مُعدّ ان يُقرَّر ويذاع في المجمع اتّفقوا اخيراً على عقد المجمع في اليوم الثلاثين من ايلول من السنة السابق ذكرها (١٧٣٦) في كنيسة دير سيدة اللويزة

وعلى اثر ذلك اصدر السيد البطريرك امراً بانعقاد المجمع وتقرَّر ان يكون موظّفوهُ على الترتيب الآتي: اولاً رقيب المجمع: اسطفان عوّاد السمعاني خوري الكنيسة البطريركية. ثانياً كاتبا الاسرار. الخوري الياس سعد والقس اسطفان ورد. ثالثاً القرّاء: الاب ارسانيوس الراهب اللبناني والشدياق يعقوب الحصروني والشدياق انطونيوس القسطاوي. رابعاً مديرا الرتب: الاب يواصاف الراهب اللبناني والشدياق منصور نجيم القسطاوي. خامساً المسجلان: جرجس حبيب الحاقلّي وابرهيم حرفوش. سادساً اللاهوتيون: الابوان يوسف ماريًا من سان رومولو ويوحنًا المعمدان من ڤينيولا وكلاهما

من رهبانيَّة الاصغرين الحافظــين. والابوان اكاتنجلوس رئيس دير غزير وتوسانوس رئيس دير بيروت من الرهبان الكبوشيين. والابوان يوحنــا توما الصليبي وايلديفنسوس الميلادي من الرهبان الكرمليين الحفاة. والاباء بطرس هدول وبطرس فروماج وانطونيوس ناخي الماروني من الرهبان اليسوعيين. والخوري يوحنًا مرقس والخوري سمعان سعيد الفغالي والخوري ميخائيل القرطبي والخوري ميخائيل غرسية من تلامذة مدرســة الموارنة في رومية. سابعاً البوَّابون جبرائيل من مصبح ورعد عوَّاد والياس غانم

وفي اليوم التاسع والعشرين من ايلول السابق انعقاد المجمع نُصب للسيد البطريرك عرش داخل نطاق الهيكل الى يمين المذبح وقبالتهُ عرش آخر الى الشمال. ويلي العرشَين الى الجانبين كرسيان للشمامسة وآخران لاثنين موازرين من المشايخ الخازنيين ثم نُصب منضدة يكتنفها مصباحان وعليها كتاب الاناجيل ووُضعت كراسي بهيَّة ذات مواطئ لروساء الاساقفة والاساقفــة وغيرهم من ذوي المقامات يقابلها كراسي أُخرى على هذا المنوال وجميعها تنظر الى المذبح. وجُعل في رحبة الهيكل بين الكراسي المذكورة ثلاثة كراسي حول مائدة مجلَّلة بالجوخ لرقيب المجمع وكاتبي اسرارهِ. ونُصبت مقاعد اقلّ زينة للاكليروس العالمي والقانوني وما بقي كان مشغولًا بمقاعد مهيَّأة للجمع الغفير من المشايخ الخازنيين والحبيشيّين وغيرهم

وفي يوم الاحد الثلاثين من شهر ايلول اجتمع السيد البطريرك والقــاصد الرسولي وروساء الاساقفة والاساقفة وروساء الرهبانيَّات العامون والخوارنة والقسيسون والرهبان والشمامسة والشدايقــة الى ردهة الدير الكبرى وبعد ان لبسوا جميعاً الحلل الحبريَّة والكهنوتية وغيرها من الشارات المقدسة كلّ بحسب درجتــهِ خرجوا من الردهة الى الكنيسة يتقدَّمهم الصليب البطريركي يليهِ الرهبــان ثم الشدايقة فالشمامسة فالقسوس فالخوارنة فروساء الرهبانيَّات العامون فالاساقفة فروساء الاساقفة ثم السيد البطريرك والقاصد الرسولي وهم يترنمون باللحن السرياني المعتــاد. وبعد الطواف بالكنيسة جلس السيد البطريرك والقاصد الرسولي في العرشين المعدَّين لهما وجلس سائر الحضور كلّ في مقامهِ وكان الى جانب عرش البطريرك اثنان وعشرون من روساء الاساقفة والاساقفة وروساء الرهبانيَّات والمدارس والاديرة وكهنة الرعايا. والى جانب عرش القاصد الرسولي اربعة وعشرون من روساء الاساقفة والاساقفة والمرسلين الكبوشيــين والاصغرين

واليسوعيين فعندها قام السيد البطريرك وبدأ بالقداس وبعد تلاوة الانجيل القى الاب بطرس فروماج اليسوعي خطاباً اوضح فيهِ شدَّة لزوم المجمع وما يترتَّب عليهِ من الفوائد وقد ذُكر نصهُ في الصفحة ٣٩ وبعد القدَّاس استوى السيد البطريرك على عرشهِ بالملابس البيعيَّة وكذلك القاصد الرسولي وبعد قراءة البراءات الاربع السابق ذكرها ابرزوا جميعاً وثيقة اعترافهم بالايمان الكاثوليكي ثم بدئت الجلسة الاولى ووليتها جلسة ثانية بعد الظهر وجلستان في اليوم التالي ومثلهما في اليوم الثالث فكانت الجلسات اذاً ستًّا وفي الاخيرة وقَّع جميع الآباء رسوم المجمع بتواقيعهم ومهروها باختامهم والقى سمعان عوَّاد رئيس اساقفة دمشق خطاباً في لزوم العمل بالاحكام التي تقرَّرت في المجمع. ومن جملة ما قال فيهِ: — وما احسنهُ قولًا — يجب علينا نحن معشر روسا الكنيسة ان ننعش الشعب الضعيف الساقط في الحضيض الموكول الى عنايتنا ونسير امامهُ بمثال الاعمال الصالحة... ولنجتهدنَّ في رعاية هذه الرسوم البيعيَّة من جهتنا اولًا ثمَّ من جهة مرؤُوسينا

ويشتمل المجمع على اربعة اقسام الاول في الايمان الكاثوليكي وتحتهُ خمسة ابواب. والثاني في الاسرار وتحتهُ اربعة عشر باباً. والثالث في الخدام والقسوس والرؤَساء ويتضمن ستَّة ابواب. والرابع في الكنائس والمدارس والاديار والترتيبات المجمعية وتحتهُ سبعة ابواب. ويلي هذه الاقسام التي تستغرق ٥٦٣ صفحة ذيل يشتمل على مئتين وصفحتين وفيهِ ثلاثة واربعون فصلًا في اغراض مختلفة يضيق المقام دون تعدادها يتبعها الرسائل المجمعيَّة التي رفعها البطريرك وروَساء اساقفة الطائفة المارونيَّة واساقفتها ورئيس رهبان القديس انطونيوس والمرسلون اللاتين الذين حضروا المجمع الى قداسة البابا ومجمع نشر الايمان بصدد مجيء السيد يوسف سمعان السمعاني وبصدد المجمع ويتبع هذه الرسائل براءة تثبيت المجمع

وكان عدد الاساقفة الذين حضروا المجمع اربعة عشر من الموارنة واثنان من السريان واثنان من الارمن والرئيسان العامَّان لرهبانية القديس انطونيوس ورهبانية القديس اشعيا كلٌّ منهما مع مدبّريهِ الاربعة وغيرهم من روَساء الاديار الحلَبيين والرهبان اللبنانيين ورهبان الطريقة القديمة المعروفين بالعبَّاد ثم نائب رئيس القدس وسائر الاراضي المقدَّسة وعدَّة من المرسلين الرسوليين من كل الرهبان القاطنين في سوريَّة

وفلسطين — وقد سبق تعدادهم — وجمٌّ غفير من الخوارنة وخدمة الرعايا والقسوس واللاهوتيين تلاميذ المدرسة المارونيَّة برومية وغيرهم من الاكليريكيين والرهبان مع حشد من المشايخ الخازنيين والحبيشيين وغيرهم من الاعيان والوجهاء. فجملة عدد الذين حضروا المجمع من الاكليريكيين ٦٢ ومن الاعيان ٤٩ وجملة الكل ١١١ شخصاً

وكان الحق ان ينعقد المجمع في دير سيدة قنوبين الكرسي البطريركي غير ان ما كان يحول دون انعقادهِ هناك من المحاذير اوجب التئامهُ في معاملة كسروان. وبعد انحلالهِ وانصرافهِ بادر السيد يوسف السمعاني الى تفقُّد الكنائس والاديار في اللبنانَين الغربيّ والشرقيّ مفقهاً كهنة الرعايا في مهنتهم وواجباتهم وواضعاً للرهبان والراهبات الشرائع والقوانين المطابقة لعاداتهم المرسومة حيث وجدها مفقودةً وحاضّاً الاساقفة على الاجتهاد الرعائي واجادة تدبير الاكليروس والعامّة وانشأ خمس رسالات مقدَّسة في خمس ابرشيَّات وامر بافتتاح المدارس في الديارات القائمة في هذه الابرشيَّات وخصَّص اربعة اديار لسكنى الراهبات منفصلة انفصالًا تامًّا عن اديار الرهبان

وكانت حالة الطائفة قبل المجمع على غير ما يشتهي المحب لانَّ القوانين القديمة لم تكن مرعيَّة حقّ رعايتها ولم يكن في الرؤساء كثيرون ممن يقضون واجبات خطَّتهم او يرعون طريقة التهذيب البيعي فجاء المجمع المذكور شافياً لكل تلك الادواء حاسماً لهذه العلل برمَّتها غير انَّهُ لمَّا اراد القاصد الرسولي انفاذ بعض هذه الاحكام من وجه الدقَّة عملًا برسوم المجمع المذكور وقع الخلف بينهُ وبين السيد البطريرك على كيفيَّة انفاذها وفي سنة ١٧٣٨ ارسل البطريرك الخوري الياس سعد الى رومية قاصداً من قبلهِ ليحتجّ عمَّا يدَّعيهِ السيد البطريرك فبعد ان الَّف قداسة الحبر الاعظم لجنة خصوصيَّة للنظر في هذه المسائل جزم بها اخيرًا جزماً باتًّا في براءة التثبيت المدرجة في خاتمة المجمع ومن مطالعتها يتبيَّن بجلاء كل ما جرى من هذا القبيل فلا حاجة الى بيانهِ هنا

هذه هي مشتملات المجمع اللبناني اوردناها بالاختصار ومن يمعن النظر فيهِ يرى ان السيد يوسف السمعاني افرغ كل نصب وجهد في تأليفهِ على ما يوافق حاجة بني طائفتهِ وقد صنَّفهُ في رومية قبل حضورهِ الى لبنان بالعربيَّة واللاتينيَّة مراعياً فيهِ احكام المجامع التي انعقدت قبلهُ في الطائفة كما يظهر ذلك من مواضع كثيرة فيهِ

وكانت قد طبعت النسخة العربية من هذا المجمع سنة ١٧٨٨ في دير القديس مار يوحنا الصابغ الملقب بالشوير من معاملة كسروان وتمَّ طبعها على نفقة الطيب الذكر الشيخ غندور الخوري قنصل فرنسة وقتئذٍ الذي وزَّعها مجاناً حباً بالخير العام. غير ان الطبعة المذكورة تختلف عن الطبعة الجديدة اولًا في انها لا تذكر شيئاً مما جرى قبل المجمع مع ان الجديدة دوّنت ذلك في ٤٨ صفحة . ثانياً ان في الجديدة كما قلنا ذيلًا يشتمل على مئتين وصفحتين وهذا لا وجود لهُ في الطبعة القديمة. ثم ان في المتن ايضاً بعض اختلافات بين الطبعتين وهي التي كانت سبباً لصدور اوامر الكرسي الرسولي بترجمة المجمع عن الاصل اللاتيني لانهُ هو المقبول وحدهُ والحائز التثبيت واما النسخة العربية السابق ذكرها فكان قد أُجيز العمل بها موقتاً لا غير

وكان بودّنا ان نبيّن الاختلافات المذكورة واحداً واحداً ولكن رأينا ان ذلك يؤدي بنا الى التطويل الذي لا يحتملهُ المقام فاكتفينا من ثمَّ بتعداد بعضها: اولًا ذكرت النسخة القديمة في جملة امتيازات السيد البطريرك بان يكون لديهِ اسقف او اثنان لاجل موازرتهِ في شؤون الكرسي والجديدة تزيد « على الاقل » مما يدلّ على ان البطريرك يستطيع ان يتّخذ اكثر من اسقفين لمعاونتهِ كما هو واقع الحال. ثانياً ان النسخة القديمة تجيز للسيد البطريرك قبل وفاتهِ ان يمنح حقّ التصويت لانتخاب البطريرك الجديد الى ستة من كهنة وشمامسة الكرسي البطريركي وليس لهذا البند وجود في الطبعة الجديدة. ثالثاً ان الطبعة الجديدة ذكرت رتبة تلبيس الراهبة من وجه ٥٠٨ الى ٥١٤ والقديمة لا تذكرها. رابعاً ان الطبعة الجديدة تذكر باباً برمّتهِ من وجه ٥٢٠ الى ٥٢٦ في الفروض الالهيَّة ونظام الخوروس وليس لهذا الباب اثر في الطبعة القديمة وهو يأمر بتعيين المرتلين من ذوي الاصوات الرخيمة وغير ذلك من الامور التي تحبّب الشعب الى حضور الصلوات وتدخل على قلبهِ الخشوع

بقي ان نبدي هنا ملاحظة وهو ان الطبعة الجديدة خلت من فهرس هجائي يعين على كشف الموادّ في مظانّها وهذا هو الشيء الوحيد الذي امتازت بهِ الطبعة القديمة

ولا ينكر ان المجمع اللبناني قد اتى الطائفة بفوائد عزيزة لانهُ وضع قوانين راهنة لسيرة الاكليريكيين وآدابهم وامر بانشاء المدارس لتثقيف الصغار والمترشحين للدرجات

المقدَّسة وعيَّن الدروس التي يجب ان يتعلَّموها وأبطل كلَّ ما كان من قد تدرَّج سهوًا او خطاء شيئاً فشيئاً الى تهذيب البيعــة واوجب على الرؤساء العناية بنشر الكتب المفيــدة للروح والآداب بين رعاياهم وامر برعاية الطقوس ونظام الخوروس والمرتلين والكنائس والمحافظة في الفروض على اللغة السريانيَّة التي كانت قد تركتها مطرنيَّــة حلب قبل ذلك العهــد بنحو اثنتي عشرة سنة الى غير ذلك ممَّا يضيق المقام عن تعداده . وبالجملة فانَّهُ أعاد التهذيب الشرقي القديم وقرَّر حدود السلطة البطريركية وعيَّن خطط وواجبات الاساقفــة وخدمة الرعايا ورسم القوانين والشرائع للرهبــان والراهبات كما كان يُنتظر من رجل فاضل في الغيرة والحكمة كالسيد يوسف السمعاني

وقد عمل رؤساء الطائفة بموجب رسوم المجمع واحكامهِ وظهر عن العمل بها خير كبير فبعد ان كان السواد الاعظم من الاكليريكيين غير متعلمين ولا عارفــين الّا اليسير ممَّا تندبهم اليهِ وظيفتهم كثر بينهم عدد المتفقهين بالواجبات والوعّاظ والمؤلفين الذين نشروا تآليف كثيرة آتت قومهم اعظم الفائدة وكلّ هذا بفضــل المدارس التي أُنشئت في الطائفــة بعناية البطاركة والمطارنة وسائر محبي الخير العامّ . على انهُ اذا كانت قد بقيت بعض امور في المجمع اللبنــاني لم يتيسَّر العمل بموجبها على الكمال والتدقيق لعدم استتبــاب كلّ الوسائل اللازمة فما زال غبطة سيــدنا البطريرك والســادة اساقفتنا الاجلاء يُعنون بتيسير الاسباب المفضية الى سهولة الجري عليهــا بالتدقيق اللازم فالله المسؤول ان يأخذ بايديهم فهم آباء هــذا الشعب الصغــير الموكول الى عنــايتهم وعلى اجتهادهم واسهارهم واتعابهم يتوقف نجاحه الروحي والزمني وما من أبٍ الّا ويحبّ بنيهِ حبًّا قلبيًّا ويعمل بحسب ما يطلب منهُ الحبّ

ولمَّا كنت قد وقفتُ بعد تتمّة هــذا الفصل على الرسالة التي بعث بها من طرابلس الشــام بعد اسبوعين من انصراف المجمع الاب بطرس فروماج اليسوعي الى وكيل الرسالة اليسوعيَّة في الشرق أحببت نشرها هنا لافادة المطالعين لانها تتضمَّن خلاصــة ما تمَّ وقتئذٍ من الاعمال وتُعدّد بعض ما كان قد تسرَّب الى التهذيب الكنسي من الامور المخالفة لوضعهِ ولكن بالنظر الى طولها اجّلتُ اشهارها الى عدد

آخر من المشرق. ولا يخفى ما لهذه الرسالة من الاهميَّـــة لأنَّ صاحبها كان شاهدًا عيانيًّا عارفًا حقَّ معرفة بلغة البلاد وعاداتها ومخالطًا للموارنة سنين عديدة فكان اذًا من الواقفين كل الوقوف على حالتهم

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم خطّار الدحداح (تتمَّةً لما سبق)

٣ الكونت رشيد الدحداح في فرنسة

ولمَّا قنط من التجـــارة وعرف سوء عقباها اقرأها الوداع ووقف نفسهُ على خدمة المعارف والعلوم. وكان شغلهُ بالتجارة قبل ذلك لم يصرف نظرهُ عن الآداب. فانَّهُ كان عثر على شرحَين مستوفيين احدهما للشيخ حسن البوريني والآخر للسيد عبد الغني النابلسي على ديوان الشيخ عمر الشهير بابن الفارض فوفَّق بينهما وطبع الكتاب في مرسيلية سنة ١٨٥٥ (ص٥٩٦). وقد صدَّر الاب بارجس الافرنسي هـــذه الطبعة بمقدَّمة افرنسيَّة اثنى فيها على همَّة الكونت. وهذه الطبعة لا تزال الى يومنا تفضل ما سواها من شروح هـــذا الديوان. ومن غرائب الامور انَّ هذه الطبعة جُدّدت بمصر بالمطبعة الخيريَّة اعاد طبعها جناب محمد الاسيوطي سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وسكت عن اسم الكونت الدحداح ودعاهُ « رُشيد بن غالب المجتني » وجعلهُ مسلمًا في فاتحـــة الكتاب. ولا نعلم كيف المذكور استجاز ذلك

ثمَّ حدا بالكونت رُشيد حبُّهُ للآداب الى ان انشأ جريدة عربية افرنسيَّة تولى ادارتها وتحريرها في باريس مدَّة ثلاث سنوات وسمَّاها « برجيس باريس » اي نَسر باريس. وقد خدم بها وطنهُ خدمةً نصوحًا. ولهُ فيها المقالات الخطيرة البليغة المعاني الفصيحة الالفاظ نتأسَّف من ان نطاق هذه المقالة لا يسمح بادراج فقرات منها. وممَّا نشرهُ وقتئـــذٍ تعريب مقالة سياسيَّة للمسيو دي لاكيرونيار (de la Guéronnière) احد مشيري الدولة في عهد نابوليون الثالث دعاها « كتاب التمثال السياسي » (ص ٥٦) لهُ في

اولّها مقدّمة افرنسية وفي آخرها قصيدة في مدح نابوليون هذا مطلعها :

ماذا على المنطي اعلى ذرى الدُّوَلِ حتى يفوق كرام الاعصر الاولِ

وقد ألحق هذه المقالة بنبذة ثانية (سنة ١٨٦٠) تحتوي بيان حسن حال فرنسة في عهد نابوليون (ص ٦٢) قدّمها لصاحب الفخامة الباي محمد الصادق في تونس

وقد اهتمّ في الزمن نفسهِ بنشر مجموعة اشعار حكميّة لاشهر شعراء العرب جعلها ابوابًا مختلفة حسب معانيها وسمّاها « طرب المسامع في الكلام الجامع » طُبعت في باريس سنة ١٨٦١ (ص ١٣٦)

وقد عادت عليهِ اشغالهُ العلميّة بالشهرة الواسعة وجعلتــهُ في مقدَّمة ارباب القلم. وقد ارتبط من ذاك الوقت بعلائق متصلة مع مشاهير ارباب المعارف من ابناء لغتنـــا العربيّة تشهد على ذلك مراسلاتهُ المتواترة مع المرحومَين صاحب السيف والقلم الامير عبد القادر الحسيني الجزائري ومنشئ الجوائب احمد فارس الشدياق وغيرهم من فطاحل اللغة وارباب العلم

وفي خلال السنة ١٨٦٢–١٨٦٤ تقرَّب الى سموّ باي تونس وكان هذا قد حضر الى فرنسة لاجل عقد قرض ومشترى اسلحة وذخائر حربيّة لدولتهِ. فدخل الشيخ رُشيد في معيَّتهِ وقد عيَّنهُ ترجمانهُ واعطاهُ سلطةً ونفوذًا لم يحصل عليهما قبلهُ احد من الاجانب في تونس. والحق يُقال انهُ لم يكن يرجو الباي ان ينال ما نال بواسطتهِ. فانهُ قد عقد قرضًا بشروط موافقة جدًّا لم يكن ليتأمل الحصول على بعضها. سيَّما وانَّهُ كان بينــهُ وبين فرنسة وقتئذٍ منازعات سياسيَّة وكانت الثقة بمالية تونس وادارتها قليلة جدًّا. فقــد توفَّر للباي بواسطة رُشيد الحصول على اسلحة وذخائر من احسن صنف بمبالغ زهيدة جدًّا بالنسبة الى مشترياتهِ السابقة فتقدَّم الى الشيخ بمبلغ عظيم جعلهُ هديةً منهُ لهُ مكافأةً على تعبــهِ ونشاطهِ وامانتهِ وصدق خدمته. واحبَّهُ كثيرًا واعلى منزلتهُ. وهو اول اجنبي مسيحي حاز ما حاز في تونس. ولهُ تحارير عن حالة تلك البـــلاد تشهد لهُ بالحمية والعدالة والغيرة والخبرة وعزّة النفس والشهامة.. وقد مدح الباي بقصيدة لامية مشهورة تربو على التسعين بيتًا عارض فيها معلّقة زهير الطائرة الصيت وتعرَّف في تونس بالشيخ محمود قبّادو التونسي وتمكنت بينهما عُرى الوداد

وسنة ١٨٦٤ عاد رُشيد نهائيًا الى فرنســة واستوطن باريس حيث اقتنى قصرًا

بديعاً تكتنفها جنّة غنّاء كان يستقبل فيها كبراء الشرق الذين كانوا يؤمُّون عاصمة الفرنسيس. وقد قسم دارهُ الى قسمين: الاول باثاث ورياش على الطرز الشرقي السوري وكان يقدّم لضيوفهِ فيهِ الخدمة على نسق عوائد لبنان. والثاني افرنسي الهيئة والعوائد. وفي هذا القصر اضاف الامراء المصريين انسباء المرحوم اسمعيل باشا

وفيهِ ايضاً استقبل المثلَّث الرحمات البطريرك بولس مسعد وهو عائد من احتفالات القديس بطرس القرنية برومية سنة ١٨٦٧ الى باريس لمقابلة نابوليون الثالث والتفرّج على معرض باريس العامّ. وكان بمعيَّة غبطتهِ كل من السيّدين المرحومين المطران بطرس البستاني والمطران يوحنَّا الحاج الذي مات بطريركاً والخوري نعمة الله الدحداح شقيق رُشيد والخوري حنَّا حبيب اللذين توفيــا بعد ان نالا الاسقفيَّة والخوري يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت حاليًا والشمامسة بطرس الخوري وخليل مارون وهما الان الخوري بطرس حنَّا الخوري الدلبتاوي والخوري بطرس مارون نائب ابرشية صيداء. وكان في خدمتهم عدد من الحشم والشمامسة. فنزلوا على الكونت رُشيد ضيوفاً كرماء لاقوا في قصرهِ من الحفاوة والاكرام ما يقصر عن وصفهِ القلم. وكانت الوزراء والسفراء وارباب الكهنوت يزدحمون في دارهِ لمواجهة غبطة البطريرك. وقد اطال في شرح ذلك سيــادة الراعي الفضال المطران يوسف الدبس في كتابهِ المعنون «سِفر الأَخبار في سفر الاحبار»

وفي تلك السنة انعم السعيد الذكر البابا بيوس التــاسع بلقب كونت روماني على الشيخ رشيد وعلى بكر انجالهِ وسلالتهِ من بعدهِ وذلك مكافأَةً لهُ على اعمالهِ المبرورة وخلوص خدمتهِ للكنيسة والوطن معاً. ثم عاد بعد مدَّةٍ قداسة الحبر الاعظم وشمل بهذه النعمة جميع اولادهِ وذريّتهم من بعدهم

وفي سنة ١٨٧٢ احرز الكونت رُشيد الدحداح شرفاً عظيماً اذ رقّى البطريرك بولس مسعد شقيقــهُ عبَّاساً (١ ثالث اولاد الشيخ غالب الى منصب الاسقفية وعيَّنهُ

١) ولد عبَّاس سنة ١٨١٨ وأُرسل سنة ١٨٣٢ الى مدرسة انتشار الايمان في رومية العظمى فدرس فيها مدَّة ١٣ سنة كلّ العلوم الاكليريكيَّة فبرع فيها ونال شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت وكان يتقن التكلُّم والكتابة بعدَّة لغات كالايطالية والافرنسية والانكليزية. امَّا اللاتينية فكان يُعدّ من كتبتها المتضلّعين. وفي آخر دروسهِ سامهُ كاهناً معلمهُ القديم المطران نيقولا مراد باسم نعمة الله. ولمَّا عاد الى سورية تولى تدريس اللغات الاجنبية في مدرسة عين ورقة الشهيرة مع مراقبة الدروس

على ابرشية دمشق فزان هذا الكرسيَّ بفضائلهِ لاسيما بنزاهتهِ وحبهِ للفقراء مدَّة ١٨ سنة وكان يقيم غالبًا بالدار البطريركيَّة يسعى في كلّ امور الطائفـة بجدّ ونشاط حتى ان غبطة البطريرك بولس كان يعدّهُ كيدهِ اليمنى لا يأتي امرًا دون مخابرتهِ. وكثيرًا ما دافع بحزمٍ واقدام عن حقوق البطريرك والاساقفة حتى فاز بالمرام. توفي رحمهُ الله في غرَّة تشرين الاول سنة ١٨٩٠ في دير سيـدة نسبيه للرهبان الموارنة البلديين وعمرهُ ٧٢ عامًا فصار لهُ مأتم عظيم ومناحة مؤثّرة وقد اخلف بدلًا من الثروة اسمًا ممجَّدًا وذكر فضائلهِ لا يزال شائعًا في كل بلادنا

امَّا الكونت رُشيد فلمَّا رأى ما نالهُ من الجاه والمقـام الرفيع قنع بما صارت اليهِ امورهُ ولم يعُد يطمع بالتجارة. وفي سنة ١٨٧٥ اشترى لهُ ولآلهِ الكرام على شاطئ بحر المانش فى الشمال الغربي من مقاطعة ايل وڤيلان (Ille-et-Vilaine) قريةً حقيرة مع ما يلحق بها من الاراضي المرملة الواسعة فانشأ فيها بلدةً لها اليوم شأن ولاهلها سعة وحسن حال تُعدّ من مرافئ فرنسة. وهي تدعى دينار (Dinard) فاجال فيها يد العمارة ووفَّر لها اسباب المعاش ووعَّر طريقًا للعربات واوصل اليها السكة الحديديَّة حتى صار يقصدها اهل الثروة من الانكليز وسواهم يقضون فيها فصل الصيف فادرَّ الله عليهِ بذلك اخلافَ الرزق ثمَّ شيَّد فيها صرحًا شاهقًا بديعًا دعاهُ قصر الضفّتين (château des deux rives) فسكنهُ وهجر مذ ذاك الحين باريس وانقطع الى العيشة الاهليّة بعيـدًا عن ضوضاء المدن الكبرى .

وكان مع ذلك لا يزال يأنس بالتأليف والمطالعة ويكاتب مشاهير زمانهِ من محبّي

فيها. ثمَّ اختارهُ البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٥ كاتبًا لاسراره فبقي في هـذه الرتبة الى سنة تسقيفهِ في شباط سنة ١٨٧٢. وهو الذي ترأس الوفـد الذي ارسلهُ السيد البطريرك عام ١٨٨٧ لتهنئة قداسة البابا لاون الثالث عشر في يوبيلهِ الكهنوتي. فنـال هو والسيدان المرحومان المطران بطرس البستاني والمطران يوسف الزغبي والخوري بولس بصبوص اسقف صيـداء الحالي من سموّ التفات امام الاحبار والكرادلة ما كان فخرًا للطائفة المارونية. وكان اثناء وجودهِ في رومية وتجولهِ في فرنسة موضوع ثناء الجرائد ومديح رؤساء الكنيسة. وهو اول من فاتح قداسة الحبر الاعظم بامر احياء المدرسة المارونية في رومية فاجاب البابا الى طلبتهِ واعلم غبطة البطريرك برضاهُ عن هذا المشروع العظيم الذي ما لبث ان خرج الى حيز الوجود. وقـد وفّق الله غبطة بطريركنا الحالي السيد المفضال الياس بطرس الحويك على اكمال هذا العمل الخطير في عهد سلفهِ المثلَّث الرحمات البطريرك يوحنَّا الحاج

اللسان العربي. ومن التآليف التي نشرها وقتئذٍ كتاب «قِمطرة طوامير» نشرهُ في باريس بعد طبعهِ في ثمينة سنة ١٨٨٠ (ص٩٤+٢١) ضمَّنهُ مقالات ادبيَّة وفوائد عديدة لغويَّة وهذا آخر ما انتهت اليهِ سلسلة مطبوعاتهِ. ومما نشرهُ قبل ذلك بمدَّة كتاب فقه اللغة لابي منصور الثعالبي طُبع في باريس سنة ١٨٦١ (ص ١٥+١٧٢) وهي اول طبعة لهذا الكتاب النفيس الذي جُدّد طبعهُ في مصر (١٢٨٤هـ) ثمَّ ضُبط في بيروت بالشكل الكامل في مطبعة الآباء اليسوعيين مع مقدّمات وملحقات وفهارس (١٨٨٥. ص ٢٨+٤٣٢)

وقد رزق الله الكونت رُشيد من قرينتهِ مرتا كريمة الشيخ مرعي خمسة اولاد روزا والفونس و بولس و يوسف وابنة توفيت صغيرة

فروزا هجرت العالم وتعبَّدت لله في رهبانيَّة الترابيستيَّات (Trappistines) فتوفَّاها الله في شرخ شبابها. والفونس وُلد سنة ١٨٥٣ وبعد ان قضى سنة ١٨٦٣ في مدرسة عين طورا أُدخل مدارس فرنسة فتخرَّج فيها وقد اشتهر بذكائهِ وشهامتهِ وعزَّة نفسهِ. وكانت ولادة بولس سنة ١٨٥٥ في لندرة وتخرَّج في مدارس فرنسة. اما يوسف فوُلد سنة ١٨٦٠. وهؤلاء الاخوة مع تضلُّع والدهم باللغة وشهرتهِ في كتابتها لم يتعلَّموا منها شيئاً

وقد سعى الكونت في سني عمرهِ الاخيرة بان يقرن بنيهِ بعائلات فرنسة الشريفة العريقة في الحسب كما انهُ عُني بتحسين ارزاقهِ واصلاح تآليفهِ التي لم يزل قسمٌ منها مخطوطاً من جملتها تاريخ كبير في مجلدات عديدة دعاهُ «السيَّار المُشرق في بوار المشرق» ونقل عنهُ نُتفاً في كتاب القمطرة (ص١٩ و ٢٢) ومنها ايضاً رسالة في فنّ المناظرات يُنيف عدد صفحاتها على الخمسين انشأها تحت عنوان «ترويح البال في القلم والمال» كان الكونت رُشيد فوَّض الى المرحوم الشيخ يوسف خطَّار الدحداح ان ينشرها بالطبع فاخذتها يد الضياع ولم نجد منها بين اوراقهِ غير المقدَّمة التي احبَّ الشيخ يوسف انَّ يصدّر بها هذه الرسالة. دونك ديباجتها:

الحمد لله. يقول كاتبهُ يوسف بن خطَّار بن جهجاه الدحداح اللبناني منشئاً التونسي موطناً قد اطلعني على هاتهِ المفاخرة. مؤلفها الذي لم تزل فُلك الاضاءة بمجاذيف اقلامهِ في بحر التهذيب ماخرة. وطروس آدابهِ بكؤوس الخندريس ساخرة. الشهم المحبوّ بالفلاح. الكونط رُشيد الدحداح. . . . فرأيتُ منها أُطروفة لطيفة المسلك. نفيسة المادّة والمسبك. تشهد لصاحبها بالتقدُّم في صناعة الانشاء.

والتقلّب في المقامات الخطابيَّة كيف ما شيء منهُ او شاء ....

وللكونت ايضاً غير ذلك من المراسلات النثريَّة والنظميَّة والمكاتبات الادبيَّة والتحارير اللغويَّة التي دارت بينهُ وبين مشاهير عصرهِ من نصارى ومسلمين لا يسمح ضيق المقام بذكرها

وكانت دار الكونت رُشيد في باريس ودينار منتجعاً لاهل الفضل يتقاطر اليها الاعيان لما يرون في صاحبها من اللطف والآداب وسعة المعارف ويشهد على عظم شأنهِ اعتبار اماثل فرنسة لهُ وقد احبَّ ثلاث من اكبر اسراتها مصاهرتهُ وقرن اصحابها بناتهم باولادهِ كما سيأتي

امَّا اهلهُ واقاربهُ فكان الكونت محافظاً على ودادهم يساعدهم في حاجاتهم ما استطاع وقد زارهُ منهم قوم في باريس ودينار نخصّ منهم بالذكر الشيوخ المرحومين اخاهُ سلُّوماً (١ وفيَّاضاً دحداح (٢ وقعدان (٣ و يوسف خطَّار (٤

١) ذهب الشيخ سلوم الى فرنسة لمساعدة اخيهِ في التجارة فبقي عندهُ ستَّ سنوات في فرنسة وانكلترة واحسن اللغة الانكليزيَّة . ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٥٦ وخلف بعدئذٍ اخاهُ خليل في مديريَّة الفتوح وساسها ١٧ سنة بالعدل والنشاط والحكمة . ثم قام باعباء هذه المديريَّة بعدهُ جناب رفعتلو الشيخ اسد الدحداح . وكانت وفاة الشيخ سلُّوم في ٣ ك ٢ من السنة الجارية ولهُ من العمر ٨٠ سنة

٢) زار المرحوم الشيخ فيَّاض دحداح الدحداح فرنسا سائحًا ليرى غرائب الغرب وبدائعهُ فسرَّ بهِ الكونت رُشيد لما وجد فيهِ من الذكاء ولحسن معرفتهِ للغة العربيَّة وانشاده اشعارها

٣) وهو الاب الجليل الخوري يوحنَّا الدحداح كان سافر الى باريس لبعض اشغال حالت الموانع دون قضائها ثم حضر من قبل الكونت الى مصر فلقي من خديويها الاسبق اسماعيل باشا تجلَّةً واحتفاء لما كان بينهُ وبين رُشيد من المودَّة وروابط الولاء

٤) تعيَّن هذا الشيخ ترجمانًا في دوائر حكومة تونس واخذ يكاتب الشيخ رُشيد فعرف الكونت من هذه المراسلات ما كان عليهِ يوسف من النجابة والبراعة في الكتابة والحَّ عليهِ بان يقدم عليهِ في باريس . فلبى دعوتهُ غير مرَّة . ولو عددنا الرسالات التي تبادلها الكونت والشيخ يوسف لأربت على المئة في مواضيع مختلفة تدلُّ كلها على قدرة كليهما في الانشاء ومعارفها الجمَّة . ولسوء الحظ قد تلفت اكثر هذه الرسائل عند وفاة الشيخ يوسف خطَّار . وللمذكور قصائد وصف فيها « قصر الصفتَين» وأُسرة الكونت ننشرها ان شاء الله في كتاب مطوَّل نذكر فيهِ اخبار لبنان عموماً والاسرة الدحداحيَّة خصوصاً . توفي الشيخ يوسف في غاية ايلول سنة ١٨٩١ وهو في عنفوان الشباب وكان قضى ٤ سنوات في تونس والجزائر وفرنسة ثم عاد الى وطنهِ بعد وفاة الكونت رُشيد باشهر قليلة فات مأسوفًا عليهِ من جميع معارفهِ

ولم يقصر الكونت حبَّهُ على اهلهِ واقاربهِ وانَّما كان يتحفَّى بكلّ السوريين الذين تسوقهم الاقدار الى باريس او دينار . لنا على ذلك شاهد في ما كتبهُ المرحوم الخوري لويس زوين في كتابهِ الفرنسوي المعنون « تذكار مسافر لبناني » فانَّهُ اثنى على الكونت واتسع في ما لقيهُ من الاكرام والحفاوة في قصر دينار الذي وصفهُ بابلغ عبارة

ومن آثار محبتهِ لوطنـــهِ انهُ كثيرًا ما كان يرسل الصدقات والحسنات لتوزَّع على فقراء لبنان . وقد استمرَّ سنين طويلة يُرسل المبالغ الوافرة الى اخويهِ المرحومين خليل ثم سلُّوم بعدهُ ليتحسَّنا بها على ذوي البأساء في عرامون مسقط رأسهِ وفي جهات الفتوح مقاطعة أُسرتهِ الكريمة . وربَّما كان يضيف الى الدراهم الاقمشة والحبوب والدقيق لسدّ حاجات المساكين . وقد وقف اوقافًا كثيرة على الاديرة والكنائس نخصّ منهــا بالذكر الاملاك التي حبسها على جمعيَّة المرسلين اللبنانيين وكان بينهُ وبين منشئها الطيّب الذكر المطران يوحنَّا حبيب صداقة عظيمة . واشترط على الجمعيَّة لقاء حُبستهِ تقدمة الذبيحة عن نيَّتهِ كل يوم مدَّة حياتهِ ولراحة نفسهِ وعن نيَّة اولادهِ بعد وفاتهِ

امَّا الذين كانوا احسنوا الى الكونت رُشيــد الدحداح في بعض امورهِ فكان شكرهُ لهم جزيلًا لا ينسى قط لهم فضلهم . اخبرنا الثقة انهُ لمَّا اضطرَّ الى الفرار بعــد حوادث سنة ١٨٤٢ التجأ في دلبتا الى الخوري الفاضل يعقوب الحاج ابي المثلَّث الرحمات البطريرك حنَّا الحاج ومكث عنــدهُ اسبوعًا مختفيًا ثمَّ طلب منهُ عند توديعهِ مبلغًا من الدراهم فاعطاهُ الخوري ٥٠٠ غرش ولم يعد ينظر غريمــهُ مذ ذاك الحين . فلمَّا كانت سنة ١٨٥٣ ارسل الكونت رشيد تحريرًا الى الخوري يعقوب يذكِرهُ بمعروفهِ ويشكر لهُ فضلهُ وكان ادرج طي الرسالة ٥٠٠٠ فرنك

بيد انَّ الذي شرَّف الكونت رُشيد فوق كل ذلك وزادهُ رفعةً رسوخهُ في الدين وتقاهُ العجيبة . فانَّهُ كان رحمهُ الله صحيح العقيدة شديد التمسُّك بالديانة الكاثوليكيَّة حريصًا على الامانة التي ورثهــا من اجدادهِ يفتخر بدينهِ ويناضل عن صحَّتهِ . ولهُ في ذلك كتابات عديدة توضح الامر باجلى بيــان منها ما اجراهُ في تونس لتعزيز ابناء دينــهِ

وبقدر تقدُّمهِ في السنّ كان يزيد تورُّعًا وعبادةً و يرشد بنيــهِ الى الاستيثاق بعروة الصلاح والتديُّن . ومن تقواهُ انهُ كان يخاف من النجاح العظيم الذي اصابهُ والتوفيق

الزائد في هذا العالم ومما كتبهُ الى المطران يوحنا الحبيب قولهُ: « انني خائف ان يكون الربّ قد نسيني فهذه السعادة التي انا حاصل عليها ترعبني اذ يظهر منها انَّ الله لم يَعُد يفتكر فيَّ واكتفى لي بهذه الدنيا »

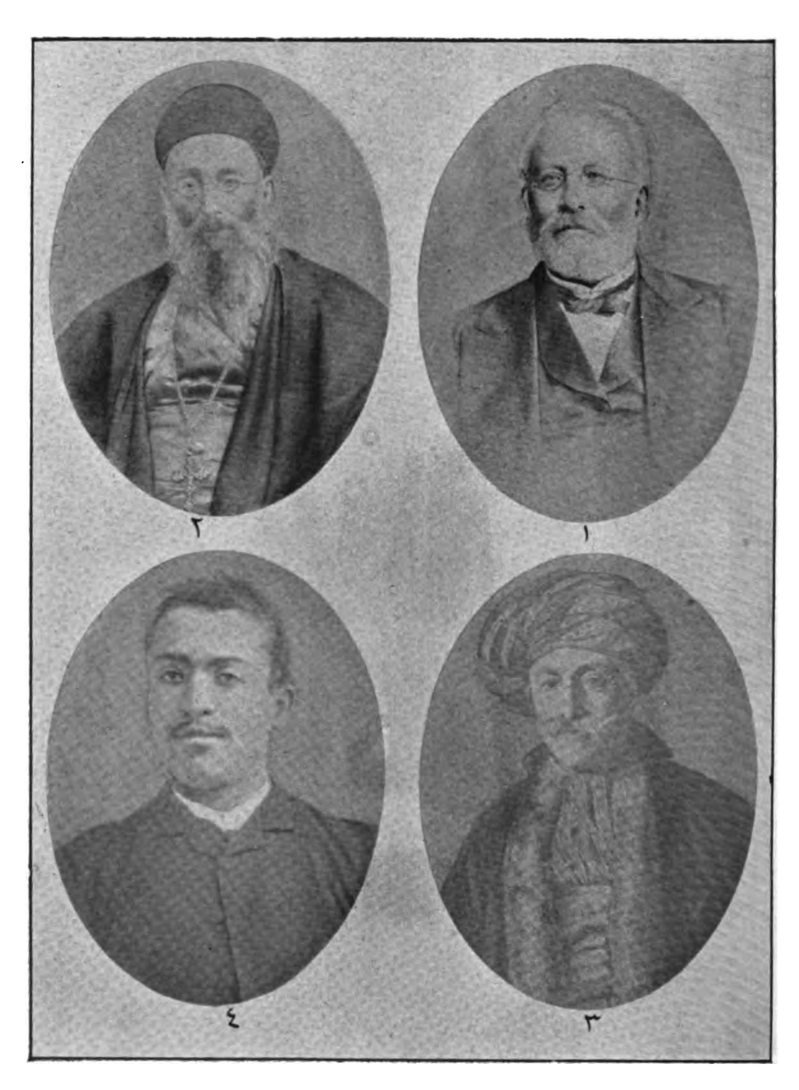
كلاَّ انَّ الله لم ينسَ عبدهُ فانَّ يدهُ تعالى حلَّت عليهِ واشعرتهُ مرارًا بان لا نعيم يدوم في عالم البوار فانهُ كان سنة ١٨٦٨ فقد اعزَّ اخوتهِ لديهِ المرحوم خليل الذي توفي بغتةً في الخمسين من سنّهِ. ثمَّ اتت النوبة بعد ذلك الى اهل بيتهِ ففقد ابنتهُ الثانية وهي في العاشرة من عمرها ثمَّ ابنتهُ روزا وهي بكر اولادهِ قصفها المنون غصنًا رطيبًا سنة ١٨٨٤ وهي في الثانية والثلاثين من عمرها. وقد سبق انها تعبدت لله في احد اديرة الراهبات فعاجلها الرب ليثيبها عن اعمالها المبرورة. لكنَّ هذه المصائب المتوالية فطَّرت كبد الوالدين الذين تجرَّعا هذه كأس الحزن بصبر جميل وباركا يد الربّ الذي يعطي ويأخذ كما يشاء

وفي ايلول سنة ١٨٨٨ فقد الكونت شقيقتهُ راحيل قرينة الشيخ الياس ابن عمّهِ مرعي ماتت ولم تبلغ الكهولة بعد مرض لم يمهلها سوى أيام قليلة دون ان يتوقَّع احد سوء عقباهُ. فكانت هذه الوفاة كصاعقة دوت في آذان شقيقها انذرتهُ بوفاتهِ القريبة

والحقّ يُقال ان الكونت كان منذ زمن مديد يستعدُّ لملاقاة ربّهِ شأن المسيحي الباسل ويكنز لهُ كنوزًا لا تفنى بالاعمال الصالحة. فلمَّا كانت اواخر سنة ١٨٨٨ اتى باريس لانجاز بعض اشغال خصوصيَّة وكان يشعر ببعض الضعف. فداهمهُ فيها المرض ولزم الفراش مدَّة اربعة اشهر وقاسى بصبر مضض اوجاعٍ لم ينجع فيها دواء. فسلَّم روحهُ خالقها متزوّدًا بكل أسرار الكنيسة نهار الاحد في ٥ أيار سنة ١٨٨٩ وهو لم يتمّ السادسة والسبعين من عمرٍ قضاهُ في خدمة الدين والعلم والاعمال الخطيرة والمشروعات الخيريَّة

وقد جرى لهُ مأتم حافل مشى فيهِ الاعيان وارباب المناصب. ولهجت وتفنَّنت في ذكر محامدهِ الجرائد الأوربيَّة. امَّا جرائدنا الوطنيَّة فاثنت عليهِ ثناء طيّبًا نخصّ منها بالذكر جريدة البشير الغرَّاء في عددها الصادر في ١٢ حزيران من السنة نفسها وجريدة المصباح المنير في ٢٧ تموز منها. وقد رثاهُ حينئذٍ الشيخ الفاضل شاهين ابو جبر الخازن بقصيدة عامرة الابيات طُبعت فتوزَّعت مع البشير اوَّلها:

137



١ الكونت رُشيد الدحداح ١٨١٢–١٨٨٩ ٢ المطران نعمة الله الدحداح ١٨١٨–١٨٩٠
٣ الشيـخ مرعي الدحداح ١٧٨٢–١٨٦٨ ٤ الشيخ يوسف خطَّار الدحداح ١٨٦٤–١٨٩١

ضياءٌ اورث الدنيا ظلاما ورزءٌ اعدم الرُّشد الاناما

وقال في ختامها مؤرخاً سنة وفاة المرحوم:

فتاهت ارضُ باريسَ افتخارًا وعزَّت اذ حوت شهماً هماما
غدا في ترجا كنزًا دفيناً وجاور في الثرى قوماً فخاما
فقلتُ مؤرخاً ذكراهُ توًّا الى باريس إحمل لي سلاما

ولم يزل اسم الكونت رُشيد حتى الآن دائماً في باريس ودينار يذكرهُ بالخير كل من عرفهُ

امَّا اولادهُ فتراهم محافظين على سُننهِ مقتفين بآثارهِ . وكان الكونت قد توفَّق الى ان يقرنهم الى العائلات الفرنسويَّة الشهيرة العريقة بالشرف . فتزوَّج ثانيهم بولس سنة ١٨٨٢ بالكونتة لودوفيز ابنة البارون دي لابورد من وجوه مقاطعة الماين (le Maine) وتولى صلاة اكليلهما في ايڤري ليڤيك (Ivry-l'Evêque) من مقاطعة السارت (Sarthe) اسقُف مدينة مان (le Mans) بحضور اعيانها ووجوه الولاية وكان احد شاهدي العريس دولتلو ناصر اغا سفير شاه العجم في باريس . وقد فاه الاسقف بهذه النسبة بخطبة انيقة اشار فيها الى محامد الأُسرتين وبارك العروسين مستمطرًا لهما غيوث النعم الروحيَّة والزمنيَّة (١ .

وعُقد لالفونس ابن الكونت رُشيد البكر في السنة التالية على كريمة المركيز دي فورنس (Fournès) وهي من أُسرة ترتقي الى اجداد شرفاء كانوا في خدمة هوغ كابيت جدّ ملوك فرنسة . لكنَّ الله دعاهُ اليهِ في اوائل السنة المنصرمة فتوفّي في ١٤ كانون الثاني ١٩٠٠ تاركاً ولدَين الكونت رولان والكونت غوليوم لا يتجاوز عمر الكبير ١٧ سنة

امَّا الاخ الثالث يوسف فتزوَّج سنة ١٨٨٥ بابنة المركيز دي مولتدو (Multédo) وكان متولّي صلاة الاكليل في باريس سفير الكرسي الرسولي في هذه العاصمة بحضور رئيس اساقفة باريس واعظم سراة فرنسا ورجال سياستها والسفراء

هذه لُمحة موجزة من ترجمة الكونت رُشيد وأُسرتهِ الكريمة وهي مع قصرها تبيّن للقرَّاء ما كان عليهِ الفقيد من المقام الشريف والمدارك الواسعة وما اداهُ لخير

١) جاء وصف هذا الزفاف في جريدة « اونيون دي لاسارت » وقد توسَّع الكاتب في الكلام عن العائلتين واختصر اعمال الكونت رُشيد واولاده وذكر نسب الآنسة دي لابورد

الدين والوطن من الخدم الجليلة (١. وكنَّا نودّ ان نختم مقالتنا هذه بذكر بعض ما كتبهُ عن الكونت رُشَيد وآل الدحداح بعض مشاهير الكتبة الاوربيين (٢ الَّا انَّ ضيق المكان يضطرُّنا الى ضرب الصفح عنها لفرصة أُخرى ان شاء الله

وداع القرن التاسع عشر

وترحيب بالقرن العشرين

بقلم الاديب يوسف مراد الخوري احد تلامذة مدرسة الحكمة الزاهرة

بين كرّ القرون والاعوامِ حادثاتٌ تمرُّ مرَّ الغمامِ
فزمان يمضي بنيل مرامٍ وزمان بغير نيل مرامِ

١) وقد ترك المرحوم خزانة كتب خطيَّة عربيَّة كان قد حصل عليها في اسفارهِ لاسيما في مدة وجودهِ في تونس ولندرة وهي الآن في دينار في ملك ولديه اللذين يجهلان اللغة العربية كما قلنا

٢) واخصّ هذه الشهادات ما ورد في كتاب المسيو پوجولا (Poujoulat : *Vérité sur la Syrie*, p. 54) عن المشايخ في لبنان عموماً ومشايخ آل الدحداح خصوصاً. قال عن الكونت رُشيد :

« هو مارونيٌّ غيور محبّ لنا شديد التعلُّق بالكثلكة قد اشتهر بثبات جنانهِ وجسارتهِ وحسن دفاعهِ من حقوق طائفتهِ وتفانيهِ في سبيل وطنهِ ». وقال في آخر هذه النبذة بعد الكلام عن الشيوخ الخوازنة والحبيشيين ما تعريبهُ : « ولكل من اهمّ أُسرات المشايخ في لبنان شهرةٌ خاصَّة يمتازون بها عن سواهم فقد اعتاد اللبنانيون ان يقولوا انَّ السيف لبني حبيش والكرم لآل الخازن وامَّا بنو الدحداح فقد امتازوا بذكائهم ومعارفهم ». ولا ناخذ على المؤلف الَّا قولهُ انَّ العائلة الدحداحيَّة تُقسم الى فرعَين وهي في الحقيقة خمسة فروع كما ترى في شجرة النسب (راجع الصفحة ٣٩٢)— وقد اثنى ايضاً حضرة الاب جليان اليسوعي في كتابهِ تاريخ الرسالة اليسوعيَّة (ج ١ ف ١٨) على آل الدحداح لكنَّهُ وهمَ في الفصل ١٨ بذكر الخوري « طوبيا حبيش » عند ذكره الاخ اليسوعي الفونس حيدر حبيش وهو يريد « الخوري طوبيا الدحداح نسيب والدة الشيخ حيدر حبيش الذي وُلد سنة ١٨١٨ وسُمي فيَّاضاً وسيم كاهناً باسم طوبيا سنة ١٨٤٣ بعد ان نبغ بين تلامذة عين ورقة · وقد خدم طائفتهُ في الاسكندريَّة بحكمة ونشاط مدَّة ٧ سنوات ومات سنة ١٨٤٩ في الوباء شهيد غيرتهِ ومحبَّتهِ للقريب. وقد اخذنا العجب من ناشر تاريخ الكنيسة المارونيَّة في مصر (في مجلة مار لويس قبل ١٠ سنوات) كيف سها عن ذكر الخوري طوبيا الدحداح مع شهرتهِ

هكذا مرَّ قرننا بسلامٍ   وانى غيرهُ فالف سلامِ
ايهـا الراحل الذي شيَّعتـهُ   زَفَراتٌ وأدمعٌ كالغمامِ
ليس من ينسى ما لفضلك فينا   من جميل يبقى أخا إعظامِ
كيف ننسى مآثرًا لكَ جلَّت   لم تزل نظريها بنشر الخزامِ
واختراعاتٍ للوجود تبدَّت   بعدَ كانت في حيّز الأعدامِ
لو دراهـا من القبـورُ طوتهم   جرت الروح منهم في العظامِ
فن الكهرباء تلقى ضياء   حاكيًا في الآفاق بدر التمامِ
وترى انوارًا لها في دجى الليل   م كشهب تشقُّ قلب الظلامِ
ومناطيدَ في الفلا تتعالى   فتحاكي بالسيرِ رشق السِهامِ
وقطاراتٍ خاطت الارض كالثو   بِ اذا ما يُخاطُ للاجسامِ
بصفيرٍ تخالهُ لحن عودٍ   وغناء من اطيب الانغامِ
وبخارٍ حاكى البخارَ من المر   جلِ مسدودَ الوجهِ فوق الضرامِ
ولدن تسري في الفيافي تراها   تحرق الارض من جرى الإقدامِ
كحبابٍ تنساب من فوق ارض   او لهيب يزداد بالاضرامِ
بتقاطيعَ خلتها حينَ تقطيعِ   م قريضي تقطيعَ دُرِّ النظامِ
وكذا التيلغراف قد مدّ سلكًا   فوق كل البلاد بالانتظامِ
وجبالًا وسط البحار اقامت   بين امواجها اعزّ قيامِ
ولدى شقّها العباب تُرى جا   مدةً لكن سيرها كغمامِ
ولدى اطلاق المدافع تلقى   من دخانٍ مخيّمٍ كظلامِ
ولها صوبٌ في المسامع هامٍ   وصداها مزعزع الآكامِ
تلك أيامٌ انبأتنا بأنّا   قد غدونا في احسن الايامِ
أينعت اثمار العلوم وامسى   م الدهر ذا ثغرٍ بيننا بسّامِ
وعقول الورى تسامت ونالت   ما غدا لا يرجى بلا الإلهامِ
عَلِمت ما تَضمَّنُ الشمسُ والبد   رُ وامسى ذا العـلمُ في إعلامِ
ورأت ما بين الكواكب ما قد   ظنّهُ الناس رؤيةً في منامِ
وسوى هذا ما يعزُّ على الأقلا   مِ تعدادهُ مع الافهامِ

كانت الناس قبل ذا القرن تحجو كل مفعول ما بهِ من حرامِ
وتظنّ الاملاك شيئًا مباحًا والعزيزَ المنيع ربّ المرامِ
فبدت أنوار العلوم وأمست تُقشع الجهل عن عقول الأنامِ
وغدت احوال الانام جميعًا دون هضمٍ تجري على الاحكامِ
واضاء الدين المسيحيُّ بدرًا ساطعًا في قلب الدجى والقتامِ
وتسامى في كل صقعٍ ولكن بكلام الانجيل لا بالحسامِ
وغدا لا يخشى الرزايا وقد حا زَ على صخرةٍ اجلَّ مقامِ
كيف يخشى العدى ولاونُ امسى طول هذا الزمان خيرَ إمامِ
عند يوبيل القرن اهمى علينا من نداهُ سحائب الانعامِ
وتعالى الدعاء منّا جميعًا ربّنا ايّدهُ على الأقوامِ
بانيًا للصليب في كل عصرٍ شامخاتٍ معزّزاتٍ سوامي
وليدُمْ بالمجد الاثيل لانّ م الدين يبقى بهِ حليف الدوامِ
ايها القرن ليس يعروك ذمٌّ بامور جرت لديك عظامِ
من حروب فيها الدماء أُريقت وهمى الدمع مثل بحرٍ طامِ
ونفوسٍ على ظُبى السيف سالت وصلاة السيوف فوق الهامِ
تلك ايّام قد مضت غير انّا في زمانٍ محافظٍ للذمامِ
في زمانٍ مدّ الامان رواقًا ورعى سرحانٌ مع الاغنامِ
في زمانٍ يعيش من رام خيرًا ويذوق الشريرُ كاس الحمامِ
في زمانٍ غابُ الغضنفر أمست دون خوفٍ مراتعَ الآرامِ
وغدا الليث حينَ سِلمٍ كظبيٍ والرشا آن الحرب كالضرغامِ
ايها الشيخ الراحل الآن عنّا ما على ما فعلتَـهُ من ملامِ
ان تكن قد نقَّصت شيئًا فذا القر ن جديرٌ في الدهر بالإتمامِ
او تكن قد جانستهُ فعلينا ان نبينَ الجناس بالادغامِ
رحت شيخًا لكنما الفضل فينا لم يزل عمرهُ كمرّ الغلامِ
كلُّ ما كان فيـك سوف نراهُ زائدًا ما بين الورى بالتمامِ

فعليك السلام عند وداعٍ نشرهُ ضاهى عرف نشر الخزامِ
وعلى القادم السلام ابتداءً وعلى اهليهِ اتى في الختامِ

دوام البتولية المريمية

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

ما زالت النصرانيَّة تحافظ على معتقد دوام بتوليَّة ام الله شرقًا وغربًا كما تسلَّمتهُ من الرسل الابرار وتشهد عليهِ آثار القرون الاولى بعد الميلاد حتى قام في الجيل الرابع هلبيديوس المبتدع وادَّعى انَّ البتول الطاهرة بعد ولادة ابن الله الكلمة فقدت بكارتها واولدت من يوسف اولادًا

فما نطق هلبيديوس بهـذا الزعم الفاسد حتى اخذت الحميَّة المؤمنين عمومًا وآباء الكنيسة خصوصًا فتصدُّوا لمن ثلم بلسانهِ الشرير شرف البتول مريم وفنَّدوا قولهُ بحجج دامغة نسفت البدعة نسفًا فلم تبقِ لها اثرًا. ومن تصفَّح أقوال الآباء في دحض الكافر يدرك من وقتهِ ما اثارتهُ تلك الهرطقة في قلوب المسيحيين من ثوائر النفور والبغض. فانَّ اوريجانس كان سبق ودعاها جنونًا ونعتهـا القديس امبروسيوس بالنفاق والقديس ابيفان بجسارة مفرطة وتجديف صريح وفيلسترجيوس بكفر لا يطاق. فلا بدع اذا كسدت حينئذٍ سوق هذه الشيعة المستحدثة وتلاشت مع مبدعها

غير انَّ هذه الجيفـة المنتنة أبت ان تبقى في قبرها فعاد اهل الاصلاح الموهوم واحيوها من رممها في القرن السادس عشر مع ما بعثوا من الاقاويل السفسطيَّة والترهات النفسيَّة

وان سأل السائل ماذا حمل لوتاروس واشياعهُ على نكران هذه الحقيقة. أجبنا ان هذا الراهب بعد نبذهِ نذر العفَّة واطلاقهِ العنـان لشهوات قلبهِ احبَّ ان يناضل عن صنيعهِ ليحسّنهُ في اعين الجمهور فنكر فضـل البتوليَّة على الزواج كما تعتقد الكنيسة بذلك. ولمَّا كانت بتوليَّة العذراء من اقوى الحجج لتأييد قول الكاثوليك وبيان شرف البتوليَّة التي زيَّن بها الله والدتهُ الطاهرة احبَّ ان يحيي بدعة هلبيديوس ويستند الى سفاسفهِ الباطلة اثباتًا لرأيهِ. وقد قام الكاثوليك بازاء لوتاروس كما فعل اجدادهم امام

هلبيديوس وابطلوا قولهُ وقول انصارهِ . وما كنّا نحن لنعود الى تفنيد هذه البدعة لعلمنا انّ كثيرين من البروتستانت يقولون اليوم بقولنا ويكرّمون البتول اكراماً عظيماً لو لم نرَ بعضاً من دُعاتهم في بلادنا يغوون البسطاء ويصوّبون في نشرتهم الاسبوعية سهام الطعن الى هذه العقيدة فاردنا ان نجمع في هذه النبذة الموجزة اخصَّ البراهين التي تنفي قول المبتدعين وتثبت ايمان كنيسة الله ثمَّ نردَّ على الاعتراضات التي لاذ بها اهل الضلال لتأييد زعمهم الفاسد

١

١ واوّل برهان نأتي بهِ لبيان بتوليّة العذراء بعد ولادتها كما كانت بتولًا قبل ولادة المسيح وفي ولادتهِ التقليدُ العامّ المتواصل المستوفى الشروط الذي يجعل هذه الحقيقة راسخة على صخرةٍ هيهات ان تزعزعها ريح اللدَد والمكابرة . فيا تُرى كيف قدرت هذه الحقيقة ان تنتشر في كلّ بلاد العالم في جميع الكنائس الشرقيّة والغربيّة معاً بلا استثناء وليس فقط عند الكاثوليك بل في كلّ الكنائس المنفصلة عنها لو لم تكن هذه الحقيقة مرتقيةً الى الرسل اخذوها قبل انفصالهم من مصدر واحد واستقوها من ينبوع واحدٍ لم تعكّرهُ آراء المبتدعين

وان قال الخصم انَّهُ تعليم مستحدث سألناهُ مَن مخترعهُ وكيف ادخلهُ في اعتقاد جميع المسيحيين دون ان يتعرَّض لهُ احد . بل رأينا بخلاف ذلك كلَّ المؤمنين نبذوا رأي هلبيديوس ظهريًا في اوّل بروزهِ . افليس هذا دليلًا كافيًا على انَّ الكنيسة في القرون الثلاثة التي سبقت زمن هلبيديوس كانت تعتقد بدوام بتوليّة العذراء . أفتكون كنيسة المسيح شردت عن الحق في اجيالها الاولى خلافاً لمواعيد المسيح عن ثباتها وخلافاً لرأي البروتستانت انفسهم

ولعلَّ المخالفين يقولون انَّ هذه القضيَّة مستندة الى التقليد ونحن لا نرضى بالتقليد لفسادهِ . اردفنا قولنا : أتنكرون كلَّ تقليد او بعضهُ فقط . فان قالوا : نرفضهُ كلَّهُ . اجبنا انكم بذلك تبطلون كلَّ الحوادث التاريخيَّة كوجود الاسكندر وفتوحات الرومان واكتشاف اميركة لأنها كلّها مبنيَّة على التقليد . وان قالوا : نرفض بعض التقليد ونقبل بعضهُ . سألنا ما هو التقليد المقبول أليس هو التقليد ذا الشروط التامَّة المبني على شواهد قديمة صادقة ؟ فلعمري ايّ حادث تاريخي جمع فيهِ هذه الشروط كتقليد بتوليَّة العذراء

الدائمة فترى الشهود عليـه حائزين اعظم ثقة مع كثرة عددهم واختلاف بلادهم وازمنتهم وترعاتهم ومذاهبهم. فنشدتك الله أنكذب النصرانيّة كلها مدّة تسعة عشر جيلًا ونعاند في الحقّ جهابذة العلم والدين اعني آباء الكنيسة واولياءها القديسين وشهداءها الابطال لنصدّق هلبيديوس ولوتاروس. فليحكم الحكَم المنصف

٢ البرهان الثاني نبنيهِ على مبدإٍ يقبلهُ كلُّ ذي عقل سليم وهو انَّ مريم العذراء هي امّ الله (كما يسلّم بذلك اشياع الاصلاح الموهوم) فلا بُدَّ اذن ان يوعز اليها كلّ ما هو افضل في النظام الادبي واكمل في حدود المخلوق. والنتيجة واضحة وان كنت في ريب من صحّتها أتيتـك بشهادة لا يمكن البروتستانات انكارها ألا وهي شهادة زعيمهم لوتاروس نفسهِ قال في شرحهِ نشيد البتول العذراء (ك ٩ ص٨٥ من طبعة ويتمبرج سنة ١٥٥٤) قال: « بناء على ذلك (اعني كون مريم امَّ الله) قد وهبها الله هذا المقدار من الخيرات الشريفـة الفائقة كل ادراك. لانهُ من ذلك يأتيها كل شرف وغبطة بحيث اضحت في الجنس البشري شخصاً فريدًا تعلو فوق الجميع ولا يساويهـا احد اذ قد اشتركت مع الآب بابن كهذا... فكلّ شرفها تتضمَّنهُ هذه الكلمة وحدها « ام الله » ومن يقدر ان ينعتها او يصفها بابلغ من ذلك ولو كانت لهُ من الألسن ما للارض من الزهور والنبات وللسماء من النجوم وللبحر من الرمال » انتهى قول لوتاروس الذي يبيّن جليًّا مبدأنا السابق انهُ يحقّ ان يُنسب للبتول كل ما هو اشرف وافضل. والحال انـهُ أفضل لشرف مقام مريم ان تبقى بتولًا لانَّ البتوليّة وفقًا لقول بولس الرسول (١قورنثوس ص٧) خيرٌ من الزيجة. فاذن لا بُدَّ من القول انَّ مريم حافظت على بتوليّتها الدائمة ومن قال خلاف ذلك يشين شرف العذراء الطاهرة وينسب اليها الدناءة كأنها بعد ان تشرفت بأن صارت والدة الله لم تحفل بابنٍ اشتركت بهِ مع الآب السماوي حتى ابتغت لها غيرهُ. وفي ذلك من العار ما لا يرضى بهِ للعذراء لوتاروس نفسهُ

ولنا في كتب لوتاروس شهادات أُخر نستنتج منها انَّ العذراء لم يُمكنها ان تفقد بتوليّتها. قال المذكور في تأليفـهِ المدعو « كير كنبوستيل » (طبعة ولش في هالّ سنة ١٧٤٥ المجلد ١١ ص٢٦١٦) ما تعريبهُ الحرفي: « جميع البشر حُبل بهم بالخطيئة نفساً وجسدًا الّا المسيح... اماَّ العذراء مريم فقد حُبل بها بالجسد بلا نعمةٍ ولكن بالنفس مفعمةً من النعمة وهذا معنى قول الملاك جبرائيل لها: مباركة انتِ بين النساء. فلو كانت

تحت اللعنة لما جاز ان يُقال لها: انت مباركة. ولقد كان من باب العدل ان تُصان هذه المرأة من الخطيئــة لانَّ المسيح كان مزمعاً ان يتّخذ لهُ منها جسداً بهِ ينتصر على كل خطيئة. وكلُّ ما هو مزيَّن بالنعمة الالهيَّة يدعى مباركاً وهذا هو معنى قولنـــا بدون خطيئة. . . » انتهى قولهُ. وعليهِ نبني هذا البرهان ان كان يحقّ للبتول على قول لوتاروس ان يُحبل بها بلا خطيئة وهو امرٌ تفرَّدت بهِ بين جميع البشر أفليس هو احرى بهـــا ان تبقى بتولاً على الدوام كما بقي كثيرٌ من النساء غيرها وهي تفضلهنَّ جميعاً. فما قول البروتستانت ؟

٣ البرهان الثالث — اخبر لوقا البشير انّ العذراء مريم لمَّا بشرها الملاك بانها تحبل وتلد ابناً اضطربت واعترضت قائلةً: « كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلًا » فهل من دليل اوضح على أنها كانت مصمّمةً في قلبها ان تحفظ بتوليّتها حتى في الزيجة وطول حياتها. ولكي تقف على حقيقة وقوَّة هذا البرهان عليك ان تعتبر انَّ البتول قالت ذلك وهي مقترنة بيوسف البارّ بزيجة شرعيَّة. ولا بأس من قول الانجيلي انَّها كانت مخطوبة لرجل اسمهُ يوسف. لانَّ الخطبة عند اليهود كانت تخوّل للرجل كلّ حقوق الزيجة حتى قبل ان تزفّ اليهِ خطيبتهُ وهذا يظهر واضحاً من سفر تثنية الاشتراع (٢٠: ٧ و ٢٢: ٢٣— ٢٨) ومن كلام القديس لوقا نفسهِ (٢: ٥) حيث تُدعى مريم « امرأة يوسف المخطوبة » ومن قول متى (١: ١٩—٢٠) وفيهِ دعا يوسف « رجل مريم » ومريم « زوجة يوسف » وذكر « تخليتها » وكلُّ ذلك قبل ان يذكر في العدد ٢٤ انَّ يوسف « اخذ زوجتهُ »

فصحَّ اذن انَّ مريم كانت عند ظهور الملاك لها « زوجةً ليوسف » فان كان ذلك كذلك ما معنى اعتراضها على الملاك واضطرابها لدى استماعها منهُ انها تحبل وتلد ابناً وقولها « اني لا اعرف رجلًا » أليس كلُّ ذلك دليلًا بيّناً على انها لم تقترن بالزيجة لتتمّمها يوماً وانَّها قصدت قصداً ثابتاً ان تبقى بتولاً الى آخر حياتها حتى بعد الزيجة. فبكل صواب استنتج الآباء من كلام مريم للملاك انها كانت قد نذرت بتوليّتها لله قبل الزيجة ولا يُفهم لقولها معنى الَّا اذا سلّمنا بذلك

هذا ومن اعتبر الغاية من زيجة مريم ويوسف العجيبة التي صرّح بها الملاك ليوسف (متى ١: ٢٠—٢١) يرى واضحاً انَّ هذه الزيجة الشرعيَّة لم يرتبها الله لاجل النسل بل ليكون يوسف حارساً لبتولية مريم ومعيناً لها في تربية ابنها الالهي لا غير. وان كان الامر

هكذا فلا يمكن ان تكون بتوليَّة مريم الَّا دائمة

٤ البرهان الرابع — نأخذهُ من دلائل شتى اوردها الآباء تبطل قول المبتدعين وتجعلهُ منافياً للعقل . قال فم الذهب: « انهُ غنيٌّ عن البرهان بانَّ ذاك الصديق (يريد يوسف) لم يجسر ان يمسَّ تلك التي عرف انها صارت امًّا بنوع إلهيّ وتشرَّفت بولادة عجيبة كهذه »

وقال القديس ايرونيموس يحاجُّ هلبيديوس: « وخلاصة الكلام اني اسألك: لماذا امتنع يوسف (من طلب حقوق الزيجة) الى يوم الولادة ؟ لا شكَّ انك تجاوب: لانهُ سمع الملاك يقول لهُ انَّ المولود منها هو من روح القدس . نِعم الجواب . ولكن ان كان يوسف لمجرَّد ايمانهِ بالروءْية لم يجسر ان يعرف زوجتهُ أفيكون تجاسر بعد ذلك ان يقترب الى هيكل الله ومقرّ الروح القدس ووالدة ربّهِ بعد ان عرف من الرُّعاة بانَّ ملاك الربّ نزل من السماء وقال لهم: وُلد لكم مخلِّص المسيح الربّ ومعهُ جنود سماويَّة تنشد بالتسابيح وبعد ان رأى سمعان الشيخ يعلن صفات الطفل يسوع وهو بين ذراعيهِ وبعد ان شاهد حنَّة النبيَّة والمجوس والنجم وهيرودس والملائكة وعجائب لا يحصرها عدد ؟ . »

ومثل القديس ايرونيموس تكلَّم جميع الآباء . وقد لخَّص شمس المدارس القديس توما اللاهوتي براهينهم في خلاصتهِ اللاهوتية في الفصل الثالث من البحث ٢٨ من القسم الثالث: « أنهُ لحقيق بان يُرذل بلا ريب ضلال هلبيديوس الذي تجاسر ان يزعم بانَّ يوسف عرف امَّ المسيح بعد ولادتها فاولدت مريم اولادًا أخر غيرهُ . اولًا لانَّ هذا القول يخلّ بكمال المسيح لأنهُ كما انَّ المسيح بحسب طبيعتهِ الالهيَّة ابن الله الوحيد لكونهِ ابنهُ الكامل بكل شيء . فهكذا كان حقيقاً ان يكون وحيد امّهِ لكونهِ ابنها الكامل بكلّ شيء . ثانياً لانَّ هذا الضلال يهين الروح القدس الذي جعل احشاء مريم كمقدس ليصوّر بهِ جسد المسيح وما كان ليسمح لرجل ان يهتكهُ بالمجامعة . ثالثاً يشين بمقام والدة الله وقداستها اذ ينبئ عن نكران جميل جسيم فيها حيث لم تكتفِ بابن كهذا وأذلَّت نفسها حتى فقدت بكارةً حفظها الله فيها بنوع عجيب . رابعاً لكان يُنسب ذلك الى جسارة عظيمة في يوسف لو حاول ان يدنّس تلك التي عرف بوحي الملاك انها حبلت من الروح القدس . ولهذا يجب القول على الاطلاق بانَّ امّ الله كما حبلت وهي عذراء وولدت وهي كذلك لبثت بتولًا الى الابد بعد الولادة

٢

بقي علينا ان ندحض الاعتراضات التي يوردها الاخصام لإثبات قولهم وهي ثلاثة يأخذونها من الانجيل ويزعمون انَّها تبطل حقيقة دوام بتولية العذراء

وقبل الجواب عليها نلاحظ: اولًا انَّ الانجيل الطاهر كُتب قبل ظهور البروتستانت بألف وخمسمائة سنة فلو كان فيهِ شيء ينافي دوام بتوليَّة العذراء. فالعجب انَّ المسيحيين القدماء لم يعاينوهُ ونراهم بالعكس يدافعون عن هذه الحقيقة ويرذلون من ينكرها. ثانيًا انَّ من اراد مطالعة كتاب قديم كما هو الانجيـــل ويريد شرحهُ لا بُدَّ ان يراعي اصطلاحات الزمان الذي كُتب فيهِ وعادات الشعب الذي قام بينهُ الكاتب ولا يجوز لهُ ان يفهمهُ على نسق الاصطلاح الحاضر. ولمَّا كان المسيحيُّون القدماء اقرب الى زمن المسيح والرسل ترتَّب القول بانهم ادركوا معنى الانجيل احسن من البروتستانت الذين قاموا بعد عهد اولئك المسيحيين بزمن طويل. فاذا فهمت ذلك قلنا:

انَّ (الاعتراض الاوَّل) الذي حاول اخصام بتوليَّة العذراء ان يتخذوهُ حجَّة لزعمهم وجدوهُ في قول الانجيلي متَّى (١: ٢٥) عن يوسف «انهُ لم يعرف مريم حتى ولدت ابنها البكر» فزعموا انَّ قولهُ «حتى ولدت» دليل على انَّ يوسف عرفها بعد ولادة ابنها. لكن هذه النتيجة باطلة: اولًا لان غاية الانجيليّ في هـــذا المكان ان يعلمنا انَّ مريم كانت عذراء قبل الولادة وانَّ ابنها يسوع من الروح القدس لا من يوسف. فهذا هو الضلال العظيم الذي كان يجب على الانجيلي ان يسبق ويستدركهُ ففعل بقولهِ انَّ يوسف لم يعرفها «حتى ولدت» فردَّ بذلك وَهم اليهود والملحدين واستشهد بآية اشعيا القائل انَّ العذراء تحبل وتلد عمَّانويل. امَّا كون يوسف عرفها بعد الولادة فذلك لم يكن ان يخطر على عقل مستقيم فلهذا لم يرَ القدّيس متى حاجةً الى التنويه بهِ لاسيما انَّهُ كتب انجيلهُ لليهود الذين كانوا شهودًا عيانيين على الامور التي كتبها وكانت مريم بعدُ في قيد الحياة ويعرف الكل انها باقية عذراء فلم يكن ليخيفهُ ان ينتجوا من عبارتهِ ما ينتجهُ البروتستانت. ثانيًا كذا فهم الآية قدماء الآباء. قال القدّيس ايرونيموس: قولهُ «لم يعرفها حتى ولدت» لا يدلُّ على كون يوسف عرفها بعد ولادة ابنها. وانَّما اراد فقط انَّهُ لم يعرفها قبل. ثالثًا ولنا في الكتاب الكريم امثال عديدة منها قولهُ (تكوين ٨: ٧) عن الغراب انهُ لم يرجع الى سفينة نوح «حتى نشفت المياه» فمن يستنتج من ذلك انهُ رجع بعد ما نشفت. وقولهُ

في المزامير (١٠٩ : ١) عن المسيح انهُ ينبغي ان يملك حتى يضع اعداءهُ موطئاً لقدميهِ. فهل يؤخذ من ذلك انهُ لا يملك بعد انتصارهِ على اعدائهِ. وامثال ذلك كثيرة (راجع ٢ ملوك ٦ : ٢٤ والمزمور ٧١ : ٧). رابعاً لا تستعمل دائماً لفظة «حتى» او ما يناسبها للدلالة على قطع حكم ما قبلها عمَّا بعدها. وذلك خصوصاً في اللغة العبرانيَّة واللغات السامية. أفلا نقول مثلاً انَّ زيداً كان مثابراً على الدرس تقيًّا ورعاً منذ نعومة اظفارهِ «حتى كهوليَّتهِ» أفذلك يبطل كونهُ لم يثابر على الدرس والتقى بعد الكهوليَّة. قال القديس ايرونيموس يمازح هلبيديوس: اذا قلنا ان هلبيديوس لم يَتُب حتى مات أفيصحُّ القول انهُ تاب بعد موتهِ؟

(الاعتراض الثاني) اخذهُ الاخصام من نصّ متَّى السابق ذكرهُ من لفظة «بكر» في قولهِ «حتَّى ولدت ابنها البكر» فيزعمون انَّ لفظة «بكر» تفترض اخوةً للمسيح. وعليهِ فلا يصحُّ القول بان مريم دائمة البتوليَّة. لكنَّ هذا القول مردود كالسابق لانَّ لفظة البكر تُطلق على اوَّل البنين سواءٌ كان لهُ بعدهُ اخوة او لم يكن. قال القديس ايرونيموس في تفنيد هلبيديوس: «اعلم انَّ البكر ليس هو فقط من بعدهُ غيرهُ بل ايضاً من ليس قبلهُ احد». وان كان هذا النصّ الانجيليّ هو الاصلي (لانهُ يُقرأ في بعض الترجمات «ابنها الوحيد» بدلاً من «ابنها البكر») فبقولهِ «ابنها البكر» قصد متَّى انَّ يشير الى ان مريم كانت عذراء لا ارملة»

وتؤيد الاسفار المقدَّسة شرحنا للفظة البكر وهي كثيراً ما روتها بهذا المعنى. أفلا ترى انَّ الله اوصى ان يُقرَّب لهُ كلّ بكر (خروج ٣٤ : ١٩ وعدد ١٨ : ١٥) ثمَّ صرَّح بمرادهِ فقال ان البكر هو كل ذكر فاتح رحمٍ. فان كان البكر هو فقط الذي لهُ اخوة كما يزعم البروتستانت لاقتضى الامر ان لا يقرَّب البكر حالاً بل يُنتظر حتى يتبعهُ اخ بعدهُ فان وُلد قُرّب الاوَّل والّا فلا. فترى الى اي نتيجة يبلغ اهل السفسطات في معاندة الحقيقة

بقي علينا حلّ (اعتراض ثالث) على بتوليَّة العذراء وهو ما ورد في الانجيل عن «اخوة الرب» فيزعم الاخصام انَّ هؤلاء الاخوة ولدوا لمريم من يوسف بعد ولادة المسيح. فجوابنا على هذا الاعتراض انهُ لامرٌ معلوم عند كلّ من لهُ إلمام بالكتاب المقدَّس وباصطلاح اللغة العبرانيَّة بل بعادات الشرقيين مطلقاً انَّ اسم الاخ والاخت لا

يُطلق فقط على المولودين عن اب واحد وامّ واحدة بل ايضاً على كلّ من كان من عشيرة وصُلب واحد وخصوصاً اولاد الاعوام. فاذا راجعت مثلاً سفر التكوين (١٤ : ١٦) ترى لوطاً يُدعى اخا ابرهيم وهو ابن عمه كما يظهر هناك. وامثال ذلك عديدة (راجع تك ١٣ : ٤ و ٢٤ : ٢٨ و ٢٩ : ١٢—١٥ و٢ ملوك ١٠ : ١٣) فلا ينتج من ذكر الانجيل لاخوة الرب انّ مريم ولدت غير ابن الله

وهنا كان بوسعنا ان نبيّن من الادلّة العقليّة والنقلية بل من نفس الانجيل ان الاربعة (يعقوب و يوسف او يوسي وسمعان و يهوذا) الذين ذكرهم مرقس (٦ : ٣) باسم اخوة الرب ليسوا في الحقيقة الّا ابناء اعمام غير انّ ذلك يقتضي فصلاً مطوّلاً لا يسمح بايرادهِ هذه المرّة ضيق المكان. ونكتفي بان نحيل القرّاء الى ما جاء في المشرق في ردّهِ على من زعم بان هؤلاء كانوا اولاداً ليوسف من امرأة غير العذراء (المشرق ٣ : ٣٨٠ و ٤١٣ و ٥١١) والصواب انهم اولاد حَلفا او كلاوبا من مريم المدعوّة بالانجيل (يو ١٩ : ٢٥) اخت امّ يسوع (يريد نسيبتها). والسلام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٨

على مسيرة يوم من الشمال الغربي لمدينة حمص مدينة صغيرة تدعى مصياد يقيم فيها ضمن سور قد تخرّب اكثره نحو الفين من الشيعة الاسماعيليّة في منازل واطية حقيرة منفصلة بعضها عن بعض بارض مملوءة من الأنقاض او حقول تبرز فيها بعض اشجار ضئيلة ونباتات حرقتها الشمس. وامّا شوارعها فجميعها ضيّقة كثيرة الاوساخ قلّما يمرّ فيها انسان فهي من المدن التي فارقتها الحياة والحركة من زمان طويل (١. غير انها لم تكن على الحالة التي ذكرنا في ايّام الرواية التي نقصّ الان حوادثها بل انها وقتئذٍ كانت حاضرة الاسماعيليّين ومقاماً لاميرهم (٢

على انّ هؤلاء الذين قبضوا من قبل مئتي سنة على ازمّة السيادة المطلقة بلا منازع

١) راجع رحلتنا الى بلاد النصيريّة ٢) ياقوت والدمشقي والقلقشندي

في جبل اللكام ووادي العاصي كانت قد تقلّصت سطوتهم من الاماكن المذكورة حيث كانوا قبلًا يحالفون تارةً ملوك الشرق وتارةً يعادونهم ذهابًا مع اهواء سياستهم. ولم يكن رؤساؤهم يشبهون في شيء امراءهم القدماء الذين كانوا يعدُّون انفسهم مستقلّين ويضيفون الى اسمائهم لقبًا يضيفونهُ الى « الدنيا والدين » مع انَّ لقبًا كهذا لا يليق الّا بالملوك (١ وحدهم وبالنظر الى تحصنهم في قلاع حريزة لا تُرام مثل مصياد والرصافة والخوابي والكهف والمنيقة والقدموس والعليقة استمرُّوا على معصية الخلفاء والسلاطين مدّة طويلة حتى رهبهم الشرق كلهُ وخاف تعدّياتهم وهجماتهم (٢

ولكن السلطان بيبرس اتصل اخيرًا الى قهرهم ووضع حدّ لسلطتهم فاستولى على مصياد وسائر القلاع التي تخصّ هذه الشيعة. وقد أثّر فيهم تأديبهُ ثمرًا نافعًا لانهم من ذاك الوقت صاروا اطوع لسلاطين مصر من بنانهم فكانوا يستخدمونهم في كل المهمّات الصعبة نظرًا لما عُرفوا بهِ من الشجاعة والاقدام (٣. وكان الاسماعيلي (او الفداوي كما جرت العادة قديمًا بتسميتهِ) قبل ان يذهب في احدى هذه المهمّات الخطرة التي قلّما يعود منها يتناول ثمن دمهِ فاذا اتفقت لهُ العودة كان الثمن لهُ والّا رجع الى عيلتهِ (٤ ثمّ ان سلاطين مصر كانوا يستخدمون الاسماعيليّين كعمّال سرّيين لهم فلذلك كان المذكورون مطّلعين على خفايا السياسة وغوامضها

وفي الشمال الشرقي من مدينة مصياد قلعة ضخمة قائمة على صخر مرتفع عن الارض بضعة امتار ومنحوت نحتًا عموديًّا لزيادة انحداره الطبيعيّ ورغبةً في جعل القلعة منفصلة عن كل ما سواها تمام الانفصال. وكانت للقلعة أسوار ثخينة مرتفعة مبنيّة من حجارة سمراء ولها بالمقابلة الى خضرة جبل اللكام منظر يأخذ بمجامع القلب فلا يتمالك الناظر الّا ان يشبهها بحيوان ضارٍ متجمّع على نفسهِ كأنهُ يحرس ذاك الوادي الخصيب وادي العاصي حياةَ سوريّةَ الشرقيّة وروحها المنعشة

وفي داخل القلعة بعد ان تجوز البوّابة المعقودة بالحجارة ترى طريقًا واسعًا ذاهبًا صُعُدًا يؤديك وانت راكب الى الطبقات المختلفة. وعلى اليمين والشمال غرف فسيحة لسكنى الامير وعيلته مع مساكن عديدة لاقامة الحامية. هذا هو المحل الذي اتخذهُ

١) مجموع الكتابات العربية لِفان بركم
٢) المقريزي
٣) القلقشندي
٤) ابن بطوطة والدمشقي

رؤساء الشيعة الاسماعيليّـة مقاماً لهم من قديم الزمان (١

. . . .

ففي ذات يوم من ايام الخريف وفـد صباحاً راهب من دير حصن سليمان فارتقى درج السلّم المنقورة في الصخر المؤدية الى مدخل قلعة مصياد. والظاهر ان وجود راهب في هذه المدينـة الصغيرة كان من الامور الخارقة العادة لانهُ كيفما سار كان يتبعهُ موكب عظيم من الاولاد ليتفرّجوا على ملابسهِ التي لم تسبق لهم رؤيتها

ولمّا وصل الراهب الى باب القصر ابى الحرّاس ان يأذنوا لهُ في الدخول فسألهم ان يستأذنوا من الامير ويقولوا لهُ ان الاب جومانوس يريد مقابلتـك فما كاد يطرق اذن الامير هذا الاسم حتى امر بادخالهِ دون تأخير وحينئـذٍ اوضح الراهب بوجيز الكلام غايتهُ من زيارة الامير الموما اليهِ ولا شك انّ القارئ يفطن ان هذه الغاية متعلّقة بالاب يوحنّا

امّا الامير الذي ما زال حافظاً عاطفة الامتنـان للاب المذكور على مداواة ولدهِ وشفائهِ فلم يقوَ على كظم غيظهِ من سلوك جوسلين. ثمَّ انهُ طيّب خاطر الاب جومانوس ووعدهُ بالتفتيش عن الاب يوحنّا والتنقيب عن مكان وجودهِ وفي الوقت نادى احد الجند قائلًا لهُ:

تذهب اليوم الى القليعة وتنخرط ما بين جنود جوسلين وتسعى جهد امكانك لمعرفة المكان الذي نُفي اليهِ الاب يوحنا فاسرع اذًا في الذهاب ولا ترجع الّا بعد ان تقوم بهذا الامر الذي يهمُّني نجاحهُ جدًّا

— سمعاً وطاعةً يا مولاي. قال الجندي هذا الكلام وقبّل ذيل ثوب الامير وسافر وفي اليوم التالي وصل الى قصر القليعة وتظاهر بانهُ شيعيّ من متاولة الهرمل وسأل قبولهُ في خدمة جوسلين الذي لمّا كان راغباً في تكثير الجنود عندهُ لحماية قصرهِ ورأى في الاسماعيلي المتنكر رجلًا مفتول العضل طويل القامة بادر سريعاً الى قبول الطلب بكل رضى وهشاشة

وما اقام هذا الغريب طويلًا مع الجنود الحامية لقصر القليعة حتى اكتسب مودّتهم

١) المجلة الاسيويّة سنة ١٨٧٧ و ١٨٩٧ ورحلتنا الى جبال النصيرية

وبينما هو يخوض في الحديث معهم ذات يوم اخبره احدهم انهُ كان في جملة الذين رافقوا الاب يوحنا الى منفاه الجديد وبعد قليل من الكلام عرف انهُ نُفي الى جزيرة بحيرة حمص. فاكتفى بما سمع ولم يزد في السؤال

وفي الليلة التابعة أُقيم الاسماعيلي خفيرًا على البرج المطلّ على مدخل القصر ولم يكن في الجهة الأُخرى المقابلة سوى جنديّ واحد سهران على الخفارة. فلمّا انتصف الليل تزلّج الاسماعيلي بواسطة حبـــل دلّاهُ على اسوار القصر وسار حتى وصل الى عين الشمس وذهب الى شيخ القرية وطلب منهُ فرسًا فتمنع الشيخ في بادئ الامر ولكن لمّا عرف انّ الطالب فداويّ من اتباع صاحب مصياد سارع الى قضاء كل مطاليبهِ

فلما صار الاسماعيلي المذكور في ظهر فرسهِ جدَّ محضرًا حتى قطع المسافة التي كانت تفصلهُ عن بحـيرة قدس باسرع ما يكون من الزمان واستفهم من الاهالي المقيمين بقربها عن الاب يوحنا وبعد ان تأكّد وجودهُ هناك عاد الى مصياد مخبرًا اميرهُ بنجاح مهمّتهِ

امّا الامير فانّهُ نادى في الحال احد الفداوية وامرهُ ان يسير الى جزيرة بحيرة قدَس حاملًا رسالة منـــهُ الى الاب يوحنا وقد قال لهُ في الرسالة المذكورة انّهُ مسرور جدًّا لكونهِ يستطيع ان يقدّم لهُ خدمة نافعة فعليهِ ان يتبع الرجل الذي يسلّمهُ الرسالة ويأتي بهِ الى مصياد او الى اى موضع آخر يعيّنهُ لهُ. وامّا الخفراء فانّهم لا يتعرّضون لهُ اصلًا متى عرفوا ان امير مصياد يطلبهُ

وعند ما وصل الفداوي الى جزيرة البحيرة واطلع الاب يوحنا على قصدهِ رأى من الاب المذكور مقاومة غير منتظرة فاجتهد ان يقنعـهُ في مغادرة سجنهِ فأبى وكان غاية ما طلب من امير مصياد ان يسهل للاب جرمانوس زيارتهُ المدّة بعد المدّة

١٩

كان الخفراء الذين عُيّنوا لحراسة الاب يوحنا يشدّدون المراقبة كثيرًا في بادئ الامر فما كانوا يأذنون للزوارق ان تقترب من الجزيرة التي حُبس فيها ولكنّهم ما لبثوا ان تراخوا بعد مرور بضعة اشهر لمّا رأوا اهتمام امير مصياد بشأنهِ وعدم احتيال السجين في وقت من الاوقات على الفرار فضلًا عن ان الاسقام والآلام الطبيعيّة والادبيّة كانت

قد اضعفتهُ كثيرًا وبسببها لازم الكوخ الذي وُضع فيهِ باعلى محلٍ من الجزيرة وقلَّما كان يخرج منهُ

وقد سبق الكلام ان الاب جرمانوس اتصل هذه المرَّة الى الاطلاع على مكان منفاه فكان ينفح الحقراء بشيء من النقود ويأتي لزيارتهِ مرَّة بالشهر في يوم معيَّن

وكان هذا الشيخ البارّ ينتظر اليوم المذكور بفارغ الصبر لا لأنهُ كان يتعزَّى بمشاهدة اخيهِ وصديقهِ في الرهبانيَّة بل خاصَّةً لان الاب جرمانوس كان يحمل اليهِ في حقٍّ من الفضَّة جسد الرب الذي يقوّيهِ على احتمال مكاره منفاه بعد ان كان قد حُرِم تلاوة القدَّاس الالهي من نحو سنة. وهذا هو السبب الذي من اجلهِ كان يشتاق لزيارتهِ ويحسب سلفًا الأيام التي تفصلهُ عنها. وكان اذا حلَّ يومها يخرج باكرًا من كوخهِ الضيق ويجلس على حجر هناك متطلِّعًا في الافق لعلَّهُ يشاهد من تاقت اليهِ نفسهُ. وفي ما خلا اليوم المذكور لم يرَهُ الحقراء قط في خارج كوخهِ بل انهُ كان يعاني معيشة الحبساء بكامل معناها حتى يمكن القول عنهُ انهُ دُفن حيًّا في محبسهِ

وجاء موعد زيارة الاب جرمانوس فأقام الشيخ القديس ينتظرهُ على غير فائدة ومرَّ الصباح مع جانب عظيم من المساء ولم يأتِ احد يعكّر صفاء وحدة السجين. ثمَّ ابتدأ الليل نازلًا من اعلى الجبال حيث تنتصب تلك القلعة السوداء قلعة حصن الأكراد. وكانت الشمس قد احتجبت وما عاد يُرى منها سوى انعكاسات ورديَّة تجوز في تضاعيف السحاب تاركةً لها حواشي واهدابًا ارجوانيَّة وذهبيَّة. وفي الجانب الآخر من الفلك ظهر القمر مصفرًّا حزينًا فوق رمال صحراء تدمر الموحشة. وكانت الطيور قد كفَّت عن التغريد وما بقي سوى العصافير في الاشجار متنازعة باعلى اصواتها على افضل الاغصان لمبيتها. وبدأت الخفافيش وقتئذٍ تخرج من مكامنها طائرةً في الجوّ ما بين ربوات من الحشرات المجنحة. وكان ذلك في مساء يوم حارّ من شهر ايلول

غير ان الاب جرمانوس ما ظهر لهُ اثر وباطلًا كان الاب يوحنَّا يحدّق بعينيهِ الضعيفتين في الافق... فانهُ ما كان يشاهد غير القفر الموحش.. كان كل دقيقة يُخرج رأسهُ من نافذة الكوخ ناظرًا الى مياه البحيرة وضفافها والاراضي المحيطة بها ويحبس نفسهُ متسمِّعًا ويتخيَّل في بعض الاحيان انهُ يسمع صوت مجذاف يضرب سطح الماء. وما كان ذلك في الحقيقة سوى زفير الامواج التي تتكسَّر على الشاطئ. نعم كانت العصافير تزقزق

والخفافيش تطير في كل ناحية غير انهُ لم يكن شيءٌ على وجه البحيرة سوى بعض من البطّ كانت تذهب لتبيت بين القصب الثابت على ضفة البحيرة

ولمَّا سئم الشيخ القديس من الانتظار اخذ يسأل نفسهُ عن عاقة الاب جرمانوس. ثم اطبق كتاب صلواتهِ قائلًا: ان هذا اليوم هو موعد قدومهِ فهل أُصيب يا ترى بنكبة في طريقـهِ أَو هل اضطرم غيظ مضطهديّ عليه ؟. ثم خرج متوكّئًا على عصاهُ وسار بخطىً مرتجفةٍ اثقلها وقر السنين متوجّهًا نحو الشاطئ فاقام يتطلَّع بامعان فما شاهد شيئًا فنادى فما كان غير السكوت جوابًا لندائهِ فأفعم فؤادهُ حسرةً وغمًّا وصرخ قائلًا ربّي والهي ماذا جرى ؟ اني صابر بكلّيَّة قلبي على ما اقاسي من الآلام والاضطهادات التي صارت نصيبًا لي منذ سنوات ولكن اسألك ان لا تسمح بانْ يقاسيها غيري لاجلي

(ستأتي البقيّة)

نيل الآمال في الرحلة الى قطب الشمال

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي مدرّس التاريخ في كليَّة القديس يوسف

كان اجدادنا يعدّون الرجل شديد البأس قويّ المراس. اذا ما باشر سفر خمسين ميلًا بعيدًا من مسقط الرأس. وكان الراحل اذ ذاك يقرئ الاحباب وداعًا. لم يكد يرجو من بعدهِ اجتماعًا. امَّا اليوم فقد تغيَّرت الاحوال. بتوفُّر وسائل الانتقال. واضحى السفر الى اقاصي المعمور من اسهل ما ينال. فكم نرى من رحَّالة يطوي البيد والصحار ويطوف البلاد والاقطار ويمخر غمار البحار فلا يقرُّ لهُ قرار حتى يرى رأْي الابصار. ما جمعهُ الله في ارضهِ من العجائب وكَنهُ من الاسرار. واذا عاد الى الاوطان اسرع الى وصف رحلتهِ وتدوين ما جرى لهُ من الاخبار

هـذا وقد كان بقي لآل عصرنا في بعض مجاهل افريقية ومفاوز اميركة وصرود آسيَّة واقاصي اوقيانيــة بلاد لم يعرفها العلماء حقّ العلم فقام رجال مقاديم صارمو القلب اثبــات الجأش وتجشموا المخاطر وخاضوا غمرات الاهوال حتى فازوا بالآمال وعادوا غانمين وفتحوا لاخلافهم طرقًا نهجوها بعدهم فوقفوا على سرّ تلك البلاد وتبطّنوا احوال قومها

ولمَّا لم يبقَ لصناديد القوم بلدٌ لم ترسخ فيهِ قدمهم طمحوا بالابصار الى انحاء لم يسكنها ديَّار ولا نافخ نار ألا وهي جهات قطبَي الارض شمالًا وجنوبًا. وانَّهُ لغنيٌّ عن البيان انَّ القطب المحوَر الوهمي الذي تدور حولهُ كرتنا دورًا تامًّا في كل اربع وعشرين ساعة. فطرفهُ المواجه للشمال يُدعى القطب الشمالي يقابلهُ من الجهة الجنوبيَّة القطب الجنوبي. امَّا الجهات التي تحدق بهذين القطبين فهي تُعرف بالاراضي او البحار القطبية وهي كلها مغطَّاة بالجليد الكثيف لشدَّة بردها وقلَّة نصيبها من حرارة الشمس في قسم كبير من السنة. وليس الصيف فيها اقلّ خطرًا من الشتاء لانَّ قطع الجليد الضخمة تتساقط من اعاليها او تدحوها المجاري البحريَّة فتصدم السفن التي تتجاسر وتبلغ تلك الجهات بعد الجهد الجهيد فتحطّمها او تحدق بها فتحبسها وتمنعها عن المسير. ولذلك لم يجسر احد قبل هذه السنين ان يخاطر بنفسهِ ويتهوَّر في هذه المهالك فضلًا عن ان تلك الانحاء لا نبات فيها يؤكل ولا حيوان يمكن صيدهُ اللهمَّ الَّا بعض الاسماك تدفعها المياه فتصل اليها مكرهةً

والعلماء يقدّرون انَّ بين القطبَين مع شبههما في قرس البرد وكثرة الجليد فرقًا كبيرًا فيرتأون انَّ القطب الشمالي بحرٌ متجمّد تحدق بهِ سواحل اميركة وآسية. امَّا القطب الجنوبي فيرجّحون بعكس ذلك انَّهُ برٌّ متجمّد تصدمهُ امواج البحار الجنوبية فتلقي على سواحلهِ قطع الجليد من كلّ صوب فتسوّرهُ بسور لا يتجاوز حدودهُ بشر

لكنَّ الانسان طُبع على الإقدام وهو يرى ان الارض كلَّها ملكهُ فلا يحسن بهِ ان يدع منها قسمًا دون ان يسرّح فيهِ طائر نظرهِ فمن ثمَّ اراد ان يطوّح بنفسهِ ولا ينكص راجعًا حتى يفوز بالمرام. وفي هذه اللمعة الموجزة نبيّن مساعي هؤلاء المغاوير الذين ركبوا التهالك ليزوروا القطب الشمالي. امَّا القطب الجنوبي والاسفار اليهِ فنرجئهُ الى مرَّة أخرى ان شاء الله

وقبل ان نورد بالتلخيص تاريخ الرحلات الشمالية لا بدَّ ان نقدّم للقارئ لمحةً عن جغرافية البلاد المجاورة للقطب الشمالي المؤدّية اليهِ فنقول:

انَّ القطب الشمالي تكتنفهُ سواحل العالم القديم والعالم الجديد على مثال اكليل او حلقة لا تكاد ترى في اتصالها انفصامًا الَّا من جهتين اعني جهة الاوقيانوس الباسيفيكي

حيث ترى بوغاز بيرنغ الفاصل اميركة وآسيّة وجهة الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اميركة واوربّة والفرضة بينهما اوسع

امّا المسافة الواقعة في هذه الدائرة الكبرى فتشغلها البحار والجزائر القطبية التي لا يعرف منها الّا شواطئها الجنوبية. منها ارخبيل السپتزبرغ وزَمبلة الجديدة وبرّ فرنتز جوزف وجزائر لياكور واورنجل (Wrangell) وارخبيل سيبرية الجديدة وفي شمالي اميركة ارخبيل باري (Parry) وبرّ بافين وبرّ غرانت (Grant) وبوغاز داڤيس والغروتلند ذات الجبال الشامخة التي تعلو فوق سطح البحر نحو ٢٠٠٠ متر وعلى قمة هذه الجبال وجوانبها سطوح كثيرة من الجليد يمسّ البعض منها سواحل تلك البلاد ولا يتخلّلها الّا غابات قليلة من الشربين والسنديان في منعطف الوديان

فتلك هي البلاد الشماليَّة التي حاول ارباب الاسفار ان يبحثوا عن اسرارها المكنونة ولم يزالوا في تقدُّم متواصل حتى بلغوا اليوم العرض الواقع في الدرجة ٨٦ ونصف فلم يبقَ لهم لبلوغ القطب سوى ٤٠٠ كيلومتر بل اقلّ

وكان اهل اسوج ونروج منذ القرون الوسطى استولوا على اسلندة والغروتلند واللبرادور فامتدَّت النصرانية الى تلك البلاد وقد مرَّ في المشرق (٢ : ٢٨٧) انهُ كان اساقفة للغروتلند في القرن الثاني عشر. ولمَّا كانت سنة ١٤٩٧ اجتاز لاوَّل مرَّة الرحَّالة البندقي سبستيان كابوت (S. Cabot) بوغاز داڤيس. وفي القرن السادس عشر تمكَّن الاخوان الانكليزيَّان كورتريال ان يبلغا مدخل بحر هودسن ثمَّ تبعهما داڤيس فدقّق البحث عن البوغاز المعروف باسمهِ. واكتشف في ذلك الوقت الهولنديّ بارنتس ارخبيل السپتزبرغ وبلغ زَمبلة الجديدة

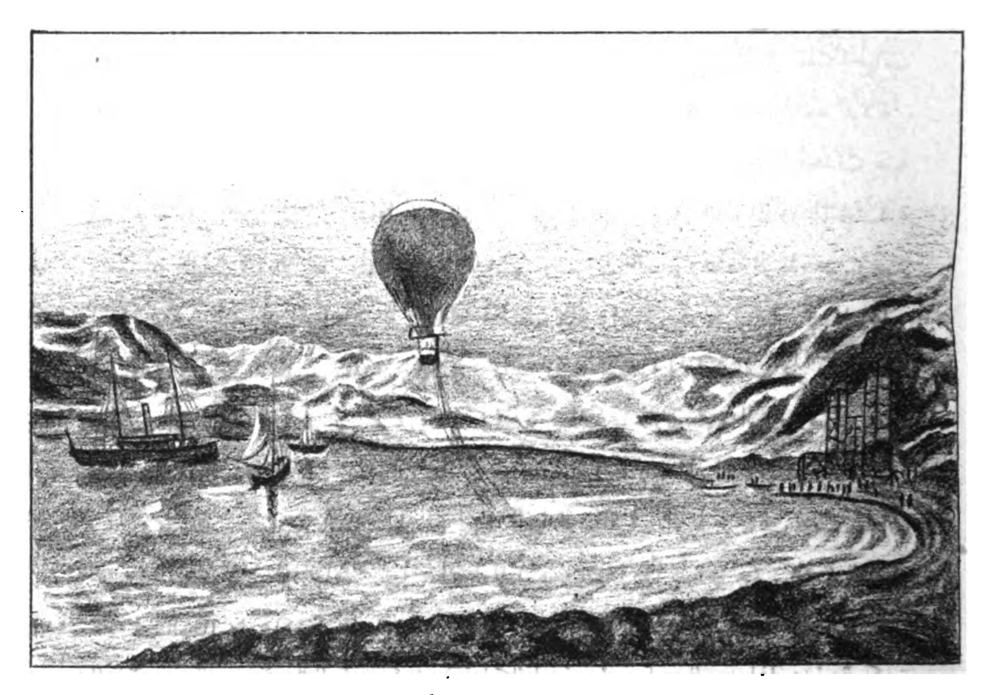
وفي القرن السابع عشر استوطن اهل دنيمرك بلاد الغروتلند واكتشف هُدسون على البحر الذي سمَّاهُ باسمهِ وكذلك بلغ بافين ترعة سميث (canal de Smith) في مدخل بحر بافين. وفي السنة ١٧٤٢ جعل اهلُ الثروة جزاء قدرهُ ٢٠٠٠٠ جنيه لمن يجد معبرًا بين اميركة والقطب الشمالي من جهة الشمال الغربي. فاشتهر حينئذٍ قومٌ من الرحَّالين كباري وروس (Ross) ويوحنَّا فرنكلين فاكتشفوا الاكتشافات المهمَّة لكنهم لم يطلعوا على المجاز المذكور وقد بقي سرّ هذا المعبر مكتومًا الى سنة ١٨٥٣ فاكتشفهُ ماك كلور (Mac-Clure) وكلّت (Kellet)

فما عُرِف خبر هذا الاكتشاف في اوربَّة حتى شمَّر عن ساعد الجدّ قومٌ معروفون برباطة الجأش وجُرأة المُقدَم كانغلفيلد (Inglefield) وكان (Kane) سنة ١٨٥٣ وهايس (Hayes) ١٨٦٠ وهال (Hall) ١٨٧١ ومارِس (Mares) ١٨٧٥ واسرعوا قاصدين القطب الشمالي توًّا بينما كان الاسوجي نُرْدنسكيولد (Nordenskiold) يخترق لاول دفعة الممرّ الواقع بين سيبرية والقطب

لكنَّ الذين برّزوا بشدَّة إقدامهم وبلغوا ما لم يبلغهُ غيرهم ثلاثة من كُماة الابطال

خارطة القطب الشمالي

اشتهروا في العشر الاخير من القرن المنصرم اعني الاسوجيَّين تانسن (سنة ١٨٩٣) واندره (١٨٩٦) ثمَّ الدوق دي ابروزة (١٩٠٠) احببنا ان تلخّص اخبار سفرهم ونبيّن غيرتهم على خدمة العلوم ورغبتهم في اكتساب السمعة الطيّبة



مركبة اندره الجوّيّة

أبحر نانسن على سفينة تدعى فرام (Fram) فساقها الى رأس الشمال وسار محاذيًا سواحل سيبرية حتى ادرك جزائر لياكور ومنها يَمَّم القطب على خط مستقيم فبقي سنتين لا يألو جهدهُ ولا يكفّ سعيهُ للفوز بالمرام. ولمَّا حبس الجليد مركبهُ وقلَّ زادهُ ونفذت مؤونتهُ برح ذاك البطل الهمام سفينتهُ في ١٤ من اذار سنة ١٨٩٥ بعد ان بلغت بهِ الدرجة ٨٤ من العرض. ثمَّ اختار لهُ رفيقًا يشبههُ بسالةً وحزمًا يوهنسن ملازمهُ فركب كلاهما المزالق تقودها الكلاب ومعهم من الزاد ما يكفيهم ١٢٠ يومًا فساروا على الجليد سيرًا حثيثًا وكانت المصاعب تشتدُّ بقدر ما يجريان الى الامام. فبعد اللتيا والتي قطعا بين جبال الجليد ٢٠٠ كيلومتر فادركا الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٢ بحيث لم يبقَ

بينهما وبين القطب الشمالي سوى ٤٠٠ كيلومتر

وكانت عزيمتهم مع ذلك لم تضعف غير انَّ خَوَر القوى ونفوذ الزاد اضطرَّاهما الى الرجوع القهقرى فرجعا بعد شقِّ النفس الى برّ فرنتس جوزف وفيهِ وجدا مركبًا اقلّهما الى رأس الشمال فما بلغاهُ حتى رأيا سفينتهما فرام وركّابها وكانت الرياح وقطع الجليد ساقتها الى برّ فرنتس جوزف وكانت بعثة الرحالة الانكليزي جَكسن نازلة في تلك الجهات فلمَّا نظروا سفينة نانسن ساروا بها الى رأس الشمال حيث وجدها صاحبها بعد عودتهِ

امَّا الاتعاب والهموم والمخاطر التي دهمت نانسن في مدَّة رحلتهِ هذه فحدّث عنها ولا حرج. فان البرد القارس اذاقهُ مرَّ العذاب. وكان انفرادهُ في هذه المفاوز المتجلدة وامتداد ظلمات ليل لا يقلّ طولهُ عن ستَّة اشهر وضروب السأم وقطعهُ الرجاء من وجود احياء يمدُّون اليهِ يد المساعدة كلُّ ذلك اكسف بالهُ واضاق ذرعهُ لكنَّهُ تجلد لهذه الضيقات وقابلها بقلب اشدَّ من الصخر واعدَّ نفسهُ سعيدًا اذ اكتشف طريقًا جديدة للقطب الشمالي وهي طريق مجرى المياه وقِطَع الجليد الجارية بقوَّة الرياح وموقع هذه الطريق شماليَّ برّ فرنتس جوزف سائرةً من سيبرية الجديدة الى الغرونلند

وممَّا حدث لسفينة نانسن قبل ان يعود اليها الرحَّالة انَّ الرياح كانت جرت بها الى جزيرة الدنيمركيين ثمَّ احاطت بها قِطَع الجليد فحبستها ايامًا طويلة حتى كادت تتلفها. غير انَّ البحَّارين تمكّنوا بعد شقِّ النفس من فك اغلالها وسَوقها الى شواطئ السبتزبرغ بقرب جزيرة الدنيمركيين. وبينما كانوا يمخرون عُباب البحر اذا بسفينة كبيرة لاحت لهم عن بُعد يخفق فوقها علمُ وطنهم النروج فتقرَّبوا منها واذا هي السفينة ڤِرْكو (Virgo) تقلُّ البعثة العلميَّة التي يترأسها المسفار الشهير المهندس أندره الاسوجي وهو سائر الى القطب الشمالي ولكن على طريقة جديدة وهي طريقة الهواء اي راكبًا بمركبةٍ جوّيَّة. فتبادل اهل السفينتين عبارات الولاء وتجاذبوا الحديث مليًّا وشرب اندره نخب نانسن وتمنى لاصحابهِ ان يروهُ عمَّا قليل سالمًا ثمَّ سارت كلّ من السفينتين في طريقها

فلندعنَّ الآن نانسن وسفينتهُ ولنصرفنَّ النظر الى اندره وبعثتـهِ. فانَّهُ بعد وداع اصحاب زميلهِ مال بمركبهِ الى جهة الشمال ونزل عند الدرجة ٨٠ في جزيرة الدنيمركيين واوَّل ما باشر فعلهُ انهُ ابتنى لهُ سقيفةً واسعة جعل منطادهُ ضمنها ليجهزهُ ويعدهُ لصعود الجوّ. لكنَّ الانواء والرياح المعاكسة التي ثارت تلك السنة حالت دون مرامـهِ فاضطرَّ

الى تأجيل مشروعهِ الى العام التالي حيث وافقت الرياح مرغوبهُ

فلمَّا كان اليوم ١١ من تموز ١٨٩٧ في ضحى النهار حضر اندره ورفيقاهُ ستزندبرغ (Strindberg) وفرنكل (Fraenkel) صلاةَ الأحد وبعد وداعٍ موثر للبحَّارين واصحاب البعثة العلميَّة الذين رافقوهم الى جزيرة الدنيمركيين ركب الثلاثة سفينتهم الهوائيَّة فما استووا فيها جالسين حتى امر اندره البحارين ان يقطعوا حبال المركبة ففعلوا فتصاعد المنطاد في اعالي الجوّ الى وجهة القطب الشمالي

امَّا البحارون واهل البعثة فلمَّا رأوا اصحابهم الثلاثة في الهواء رفعوا بعقيرتهم وسلَّموا على اولئك الابطال سلاماً اخيرًا واسرع البعض ووجَّهوا الى صوبهم آلة التصوير واخذوا رسمهم (راجع الصفحة ٥١٧)

امَّا الكرة الهوائيَّة فكانت تتهادى في الجوّ وتعلو شيئاً فشيئاً الى ان خطفها بُعدها عن عيان الناظرين وتوارت خلف الجبال . وكانت سرعتها في بدء صعودها ٣٥ كيلومترًا في الساعة بحيث لو سارت الى القطب دون عائق لادركتهُ بعد يومين . . .

الَّا انَّ الايام والاشهر والسنين قد مرَّت مذ توارى منطاد اندره دون ان يُسمع لهُ ولرفيقيهما من خبر . . . فلا مراءَ انهم ذهبوا ضحايا حبهم للعلم والبحث عن مكنون خفايا الكون . ولعلَّهم كانوا عادوا غانمين لو عرفوا قوانين مهبّ الرياح القطبيَّة واختلاف وَجهاتها الَّا ان ذلك لا يزال سرًّا مكتوماً

وآخر من اشتهر في الرحلة الى القطب الشمالي ابن اخي همبرت ملك ايطالية السابق وابن عم الملك فيكتور عمانويل الثاني وهو المعروف بدوق دي ابروزي فان هذا الامير في مقتبل الشباب احبَّ ان يجاري نانسن واندره في شهرتهما فركب في منتصف حزيران من سنة ١٨٩٩ سفينةً تدعى « نجمة القطب » نقلتهُ ورجالهُ من مرفإ كريستيانيا عاصمة النروج الى جهات القطب . وكان قسَّم بعثتهُ الى ثلاثة اقسام جعل كلّ قسم في مركب وربط المراكب الثلاث بعضها . فابحر الى مدينة اركنجل على سواحل روسيا ومنها الى جزيرة فرنتس جوزف وترك هناك قسماً من رجالهِ مع ما يحتاجون اليـهِ من الزاد ثمَّ واصل سيرهُ حتى بلغ بسفينتهِ الى الدرجة ٨٢ْ ومعهُ ٩ رجال و ١٣ مزلقة و ١٦٠ كلباً

لكنَّ الجليد تقوَّى عليها واتلف قسماً منها فاضطرَّ الدوق الى ان يبارحها ويخيِّم

على الجليد زمنًا طويلًا الى عيد الميــلاد وكان في اثناء ذلك يبحث عن احوال تلك البلاد كبردها وحرارتها ورياحها وانوائها وقوّتها المغناطيسيَّة وطبائع حيواناتها واسماكها ومجاري بحارها

ثمَّ ركب المزالق مرارًا واركبها رجالهُ فبعد المشاقّ والاخطار عاد ولم يبقَ معهُ الَّا ثلاثة رجال و ٦٠ كلبًا وكان قضى في تلك الجهات ١٠٤ ايَّام وكان تقدَّم في مسيرهِ الى الدرجة ٨٦ْ من العرض والدقيقــة ٣٣ حتى لم يبقَ بينهُ و بين القطب سوى ٣٥٠ كيلومترًا بالتقريب فـفــاز بقصب السبق على نانسن الَّا انَّ يدهُ جَلدت فاضطُرَّ الى ان يقطع منها اصبعين

وبينما نحن نكتب هذه الاسطر بلغتنا المجلات العلميَّة ان القبطان بِرنيار (Bernier) صمَّم العزم على السفر الى القطب الشمالي على طوفٍ من المطَّاط (الكاوتشوك) ثمَّ يركب مزالق تقودها ايايل الشمال (rennes) ونحن نتمنى ان هذه البعثة الجديدة تصيب المرمى ويعود رجالها سالمين يطلعون اخوانهم عمَّا اودعتهُ يد الله في تلك المجاهل فيكون اكتشافهم سببًا جديدًا يرقّي بالحاظ البشر نحو رب الطَّبيعة ويزيدهم حبًّا نحوهُ

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

• المطابع في لبنان (تتمَّة)

٣ (المطبعة العثمانية) هذه قائمة الكتب التي نُشرت فيها منذ نشأتها على حسب تاريخها:

١ً كتاب لسان غصن لبنان (١٨٩١ ص ٧٠) = ٢ً الجزء الاول من البصائر النصيرية في المنطق (١٨٩١ ص ١٦٠) = ٣ً كتاب انَّة الرثاء (١٨٩١ ص ٥٠) = ٤ً سحر العيون (١٨٩١ ص ٢٦٣) = ٥ً شذور العقيان في تقريظ جريدة لبنان (١٨٩١ ص ٧٩) = ٦ً المنهاج القويم وهو سلَّم القراءة العربية . ثلاثة اجزاء (١٨٩١ ص ١٦٠) = ٧ً التليد والطريف لجنــاب ابرهيم بك الاسود (١٨٩٢ ص ٥٥) = ٨ً الكتابة بحث تاريخيّ ادبيّ للاديب عيسى اسكندر معلوف (١٨٩٥ ص ٨٤) = ٩ً فلسفة الزواج لالياس افندي خليل توبني (١٨٩٥ ص ١٣١) = ١٠ً لمحة في ترشيح الماء لفيليب افندي مسك (١٨٩٥ ص ١٦) = ١١ً منهج

الصواب في علم الحساب جزءان (١٨٩٦. ص ٢١٠) = ١٢ الجزء الاول من ذخائر لبنان (١٨٩٦. ص٤٣٥) = ١٣ الخطابة (١٨٩٦. ص ١٤) = ١٤ الراعي الامين (١٨٩٦. ص ١٨٩) = ١٥ قصَّة الامير عامر الكناني (١٨٩٦. ص٦٤) = ١٦ تعليم مسيحي اورثذكسي (١٨٩٦. ص١٠٩) = ١٧ نفحة الطيب الذكيَّة (١٨٩٦. ص٢٢٨) = ١٨ الدليل المفيد للعالم الجديد لسجعان افندي عارج سعاده (١٨٩٦. ص ٢٤٩) = ١٩ آثار الاحزان في رثاء وتأبين المرحوم نقولا افندي نقَّاش (١٨٩٦. ص ٧١) = ٢٠ تلخيص الحقوق الموضوعة لسعادتلو كاظم بك افنـدي (١٨٩٦. ص ٣٥٨) = ٢١ الدرّ النظيم في ايضاح عقائد الايمان القويم لمكاريوس متروبوليت موسكا معرَّب عن اليونانية (١٨٩٦.ص ١٩١) = ٢٢ كتاب نفحة الطيب الزكيَّة في شرح غوامض طقوس الكنيسة الاورثذكسية جمعهُ الخوري نقولا يوحنَّا ايوب الناصري (١٨٩٦. ص ٢٣٧) = ٢٣ الخلاصة الشهيَّة تعليم مسيحي (١٨٩٧. ص ٢٤٤) = ٢٤ مختصر التعليم المسيحي (١٨٩٧. ص٢٣) = ٢٥ رواية تبرئة المتهم بقلم رشيد الحاج عطيَّة (١٨٩٧. ص٩٨) = ٢٦ خطرات الجنان (١٨٩٧.ص٦٦١) = ٢٧ الارب من غيث الادب (١٨٩٧. ص١١١) = ٢٨ العقد النظيم في اصل الروسيين واعتقادهم الايمان القويم لخليـل ابراهيم يدس ١٨٩٧. ص١٦٠) = ٢٩ درّ البكاء في عقـد الرثاء (١٨٩٧. ص ١٢٤) = ٣٠ الشذور الذهبيَّة في المواد الطبيَّة (١٨٩٧. ص٧٦٣) = ٣١ كتاب آداب البشر في الصغر والكبر للمعلم ميخائيل عبد الله غبريل (١٨٩٧. ص ١٩٣) = ٣٢ مرآة المعلمـين (١٨٩٨. ص ٩٣) = ٣٣ امّ الواجبـات في مختصر الصلوات (١٨٩٨. ص ٦٥٠) = ٣٤ الروضة المؤنسة في وصف الاراضي المقدَّسـة (١٨٩٨. ص ٩٣) = ٣٥ براقي الحساب (١٨٩٨. ص ٩٦) = ٣٦ مرقى المنارة في الحساب (١٨٩٨. ص٨٨) = ٣٧ صدى الوطنية (١٨٩٨. ص ٢٢) = ٣٨ غريب الدار (١٨٩٨. ص ٧٧) = ٣٩ كتاب التراتيل الروحيَّة (نقلًا عن طبعتنا ١٨٩٨. ص٧٦) = ٤٠ دليل لبنان (لسنة ١٨٩٨. ص ١٠٤ ولسنة ١٩٠١. ص٩٦) = ٤١ العقد الثمين في تربية البنين لخليل افندي يدس (١٨٩٨. ص ٢٣٨) = ٤٢ أقرب الوسائل الى انشاء الرسائل لرشيد افندي عطيَّة (١٨٩٨. ص٢٢٠) = ٤٣ المختار من رسائل ابي اسحاق ابرهيم الصابئ نقَّحهُ وعلَّق حواشيهُ الامير شكيب ارسلان (١٨٩٨. ص٢٢٨) = ٤٤ مغني اللبيب عن الطبيب للدكتورَين داود أبي شعر وامين ابي خاطر (١٨٩٨. ص٤٩٤+١٦) = ٤٥ مجالي الغرر لكُتَّاب القرن التاسع عشر لجامعهِ يوسف افندي صفير (١٨٩٨. ص ٢٧٢) = ٤٦ فاكهة الالباب في تاريخ الاحقاب للخوري بطرس شاعر (١٨٩٨. ص ١٦٦) = ٤٧ النظم الجميل في الشكر الجميل (١٨٩٨.ص٢٢) = ٤٨ الرحلة الامبراطورية (١٨٩٨.ص٢٣٠) = ٤٩ فلسفة البلاغة لجبر افندي ضومط (١٨٩٨. ص ١٦١) = ٥٠ ديوان الابيوردي. نشرهُ وناظر طبعهُ السيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣١٧. ص ٣٨٢) = ٥١ دليل المربي اللبناني (١٨٩٩. ص ١٦) = ٥٢ المغنَّى (١٨٩٩. ص٤٠) = ٥٣ السمر في قضاء اوقات السهر (١٨٩٩. ص٩٦) = ٥٤ كتاب الفروض والمواعظ والآداب (١٨٩٩.ص٨٠) = ٥٥ فرائد الفوائد (١٨٩٩. ص٢٨) = ٥٦ تربية دود القزّ لاسبر افندي شقير (١٨٩٩.ص٤٠) = ٥٧ مختصر انشاء الرسائل

(١٨٩٩ . ص ٨٢) = ٥٨ خدمة القدّاس الالهي عربي يوناني (١٨٩٩ ص ١٣٣) = ٥٩ كتاب الارج الزاكي في تهنئة البطريرك الانطاكي جمعهُ الخواجا امين خير الله ظاهر (١٨٩٩ . ص ١٦١) = ٦٠ المعين (جزء التلميذ) . تأليف العالم الفاضل الشيخ سعيد افندي الشرتوني (١٨٩٩ . ص ١١٣) = ٦١ تهذيب الاخلاق للقدّيس يوحنّا دي لا سال عرَّبهُ بتصرف يوسف افندي صفير (١٨٩٩ . ص ٩٦) = ٦٢ مصباح اللغتين لتعليم اللغة الفرنسويّة لسبع فارس معلوف (١٨٩٩ . ص ١٨٨) = ٦٣ مختصر التعليم المسيحي للروم (١٨٩٩ . ص ١٠٨) = ٦٤ رفع النوامض من اعمال الفرائض (١٩٠٠ . ص ١٦) = ٦٥ التعاليم السنية (١٩٠٠ . ص ١٧٥) = ٦٦ الشذرة المستطرفة في اصول الفلسفة (١٩٠٠ . ص ١٤٤) = ٦٧ رواية الشاب الجاهل السكّير (١٩٠٠ . ص ٤٨) = ٦٨ المسامرة في اضرار المهاجرة (١٩٠٠ . ص ١٦) = ٦٩ مراثي الحكيم ڤانديك (١٩٠٠ . ص ٢٧٨) = ٧٠ الآثار العدليّة لاسكندر افندي عبود (١٩٠٠ . ص ٢٨٤) = ٧١ الثغر الباسم في اقبال المواسم (١٩٠١ . ص ١٩) = ٧٢ رواية مرآة الوفاء وراموز الادباء (١٩٠١ . ص ١١٣) . هذا الى كتب أُخرى لم نقف على تاريخ طبعها مثل الشبية وشرح الصلوات الربانية ونزهة الطلّاب والحياة الانسانية والسواعية والمقامة الرومانية والقواعد الادبيّة وتاريخ الاقمار الثلاثة وشرح رائض الفرائض واقرار بيلاطس . وبعض روايات تخيليّة ليس في ذكرها كبير فائدة

٤ (المطبعة اللبنانيّة) كان ظهور هذه المطبعة في عالم الوجود سنة ١٨٩٤ أنشأها في بعبدا جناب الاديب الهمام خليل افندي طنّوس باخوس وجهَّزها بكل الادوات اللازمة واتّخذ لها الحروف المعروفة بالاسطنبوليّة . واخصّ ما يُنشر في هذه المطبعة جريدة الروضة . وقد طُبع فيها كتب قليلة هذا بيان ما نعرف منها :

١ كتاب مشهد الكائنات في الخالق والمخلوقات لخائيل افندي عبد الله غبريل (١٨٩٧ . ص ٣٤٢ + ٣٢) = ٢ كتاب الكنز الثمين في معرفة الصديق الامين للاستاذ جورج عون ابي خرما (١٨٩٧ . ص ٤٨) = ٣ مقالات علمية للمرحوم يوسف حبيب باخوس (١٨٩٨ . ص ٣١) = ٤ كتاب عبادة ماري انطونيوس للخوري يوحنّا كيرلّوس الماروني (١٨٩٨ . ص ٣٨٠ بحجم صغير) = ٥ كتاب الفاس القاطعة للاصول الباطلة لحضرة الخوري الفاضل بطرس الزغبي النائب الاسقفي على ابرشية قبرس (١٨٩٩ . ص ٣٨٠) = ٦ كتاب رياضة الكاهن ترجمة عن اللاتينيّة حضرة الاب الفاضل الخوري اغناطيوس جعجع الماروني (١٨٩٩ . ص ١٨٠ + ٤٣) = ٧ الجزء الاوّل من مختصر تأمّلات الاب لويس الجسري اليسوعي . تعريبهُ (١٨٩٩ . ص ٢٤٠) = ٨ كتاب الدرّ المنتقى لجيد ذوي التُقى تعريب حضرة القس افرام الديراني (١٨٩٩ . ص ٢٨٧) = ٩ كتاب صنيّ الاحداث للياس افندي طنوس الحويّك (١٨٩٩ . ص ١٢٤) = ١٠ كتاب بحث المطالب للمطران جرمانوس فرحات طبعة جديدة (راجع المشرق ٣ : ١٠٨١)

٥ (مطبعة الارز) ظهرت هذه المطبعة في جونية اول شباط سنة ١٨٩٥ بهمّة الاخوَين الفاضلين والشيخين الاديبين فيليب افندي وفريد افندي الخازن . وقد

استحضرا آلتها الجميلة من باريس . امّا حروفها فمن مطبعتنا ولها ايضًا حروف سريانيّة اصلها من مدرسة الشرفة في لبنان . وفي هذه المطبعة تصدر جريدة الارز لصاحب امتيازها ومنشئها الشيخ فيليب افندي . وهذا جدول مطبوعات هذه المطبعة حسب تاريخها :

١ً نبذة تاريخيّة في اصل البطريركيّة الانطاكيّة واصل الطائفة المارونيّة بقلم القس يوسف دريان الراهب الحلبي ١٨٩٦ . ص ٣٦) — ٢ً كتاب التعليم المسيحي لقدس البابا لاون الثالث عشر حين كان رئيس اساقفة تعريب المعلم ميخائيل غبريل (١٨٩٦ . ص ١٤٣) = ٣ً حياة بطل الدين والتمدُّن او تاريخ القائد دي لاموريسيار بقلم الاديب الشيخ سليم خطّار الدحداح (١٨٩٦ . ص ١٩٣) = ٤ً نابوليون الاوّل والمقابلة بينهُ وبين اعظم مشاهير الرجال . عرَّبهُ المذكور من تاريخ تيارس مع نبذة لهُ في المقابلة بين شارل الثاني عشر وبطرس الاول (١٨٩٧ . ص٣٧+١١) = ٥ً تاريخ الرهبانية الانطونيانية للقس عمانوئيل البعبداتي (١٨٩٧ . ص٥٩٩) = ٦ً كتاب الشبيَّة في الصلوات اليومية وغيرها بحسب طقس الكنيسة الشرقيّة المارونية للمعلم ميخائيل عبد الله غبريل (١٨٩٧.ص ٣٩٠) = ٧ً كتاب الشهر المريمي نقلهُ من الافرنسية الخوري بولس مَتّى (١٨٩٧. ص١٩٣) = ٨ً علاج السلّ والوقاية منهُ للدكتور لويس الخازن = ٩ً مثل ما يحدث هناك رواية عرَّبها الشيخ فريد الخازن = ١٠ً كتاب تنشئة الصغير للخوري كنيب تعريب القس افرام الديراني (١٨٩٩ . ص ٣٥٤) = ١١ً كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم جمعهُ القس افرام الديراني ١٨٩٩ . ص ٥٢٠) = ١٢ً لهجة الحق في تهاني غبطة بطريرك الشرق جمعهُ الاديب ابرهيم افندي عقل (١٩٠٠ . ص ٢٧٦ + ٤٠) = ١٣ً كتاب ابداء النفوس في اخصّ فرائض عامّة الاكليروس للشماس اسطفان ضوء . الجزء الاوّل (١٨٩٩ . ص ٤٧) = ١٤ً سيرة مار روكس للقس سمعان الخازن (١٨٩٩ . ص ٤٠) = ١٥ً المجمع اللبناني ترجمهُ عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية سنة ١٨٧٠ سيادة المطران الجليل الفاضل يوسف نجم مطران عكا والنائب البطريركي (١٩٠٠.ص٥٦٢) يلحق بهِ ذيل طويل (ص٢١٨) = ١٦ً كتاب اخويَّة الميتة الصالحة للاب برون اليسوعي عرَّبهُ الخوري نقولا صفير (١٩٠٠.ص ٢٢٨) = ١٧ً كتاب الدرّ المكنون في جميع انواع الصنائع والفنون جمعهُ فؤاد سمعان الخازن (١٩٠٠.ص٤٧) = ١٨ً كتاب تاريخ الكنيسة المارونية . ظهر في هذا الاسبوع . هذا الى كتب أُخرى وكراريس لم نطلع عليها . ومنها ما هو تحت الطبع كالحاش وقسطاس الاحكام وتاريخ جان درك نذكرها عند نجازها

٦ (المطبعة الشرقيّة) هذه المطبعة حديثة الوجود ظهرت في العام الماضي في الحدث بهمّة صاحب امتيازها الفاضل عبود افندي ابي راشد والخواجا انطون كنعان صاحب المكتبة الشاملة وقد احضرا لها مطبعة من معمل الوزه (Alauzet) مع آلات غيرها وجهَّزاها باجناس الحروف العربيّة والافرنجية . وهي مع حداثة نشأتها غاية في الاتقان . دونك بيان كتبها :

١ً الكلام الحي . للمطران الجليل جرمانوس معقَد . طبعة ثانية أُضيف اليها بعض رسائل المؤلف

(١٩٠٠ . ص ٣٠٤) = ٢ً الجامعة الكيماويَّة . تأليف سمعان تيان (١٩٠١ . ص٨٤) = ٣ً الاقوال الجوهرية في المواد الادبيَّة.للاخ جبرائيل ماريًا الحلبي المرسل الكبوشي (١٩٠١ . ص ٤٧) = ٤ً قطف الازهار من ربى الاخبار· للقس رافائيل جبري السرياني (١٩٠١ . ص ٣٩٠) = ٥ً وتحت الطبع كتاب رحلة الفيلسوف الروماني يتضمَّن سيرة المسيح للمطران جرمانوس معقد صفحاتهُ تنيف عن سبعمائة صفحة

انتهى ملخَّص تاريخ المطابع في لبنان يُضاف اليها مطبعة الصفا التي نُقلت الى عبيه منذ بضع سنوات وقد مرَّ ذكرها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب كشف النقاب عن مسائل ضياء الالباب

للاخ ديدكس سنان الحلبي الفرنسيسي

طُبع في مطبعة الارض المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين سنة ١٩٠١ (ص ٢٠٠)

كان حضرة الاب يواكيم الدعبول الناصري الفرنسيسي قبل ثلاث سنوات اتحف المدارس بكتاب مطوَّل في الحساب دعاهُ « ضياء الالبـاب في علم الحساب » (ص ١٨٣) جمع فيهِ اصول هذا العلم وفنونهُ المختلفة على طريقة السؤال والجواب وألحق كل باب بمسائل عديدة لتمرين الطَّلَبة . ولمَّا كان حلُّ هذه المشاكل لا يخلو من بعض الصعوبة لاسيَّما في اقسامهِ الاخيرة احبَّ حضرة الاخ ديدكوس سنان متولّي النظارة والتدريس في مدارس الآباء الفرنسيسيين في القدس ان يدَّخر للمعلّمين وقتًا فيفك لهم هذه المعضلات وقد دوَّن حلّها في هذا الكتاب الجديد الذي وسمهُ بكشف النقاب عن مسائل ضياء الالباب . وهو تأليف سهل العبارة قريب المأخذ جليُّ الحرف مُشرق الطبع متمّم لكل شروط الكتب المدرسيَّة . ولعلَّ الفائدة كانت اوفر في حلّ بعض المسائل العويصة لو دلَّ حضرة المؤلف على طريقة الحلّ بالتفصيل . وكذلك يُستحب في سياق الاعمال ان يُفرد لكل عمل سطرٌ فان من ينظر مثلًا صورة هذه الاعداد مع علاماتها ٣٥+٢٦ = ٦١ × ٦ = ٣٦٦ — ١٥ = ٣٥١ يظنّ لاول وهلة ان ٣٥ + ٢٦ تساوي ٦١×٦ وان ٦١×٦ تساوي ٣٦٦—١٥ فلو أُفرد لكل عمل سطر زال الالتباس . وهذه الملاحظات تعمّ اكثر كتب الحساب المطبوعة في بلادنا ولا تخلّ في شيء بقدر هذا التأليف ومنافعهِ الجمَّة ا . خ

مختصر تأملات روحية للاب الجسري

معرَّب عن اللاتينيَّة بقلم الخوري اغناطيوس جعجع

الجزء الاول . طُبع في المطبعــة اللبنانيَّة في بعبدا (١٨٩٩ . ص ٢٤٨ قطع ١٦)

قال حضرة معرّب هــذا الكتاب النفيس في مقدَّمتهِ: « من طالع هذا الكتاب قدَّرهُ حقَّ قدرهِ وكفى بهِ مدحاً ان موءلفهُ ذلك البــارع الشهير الاب لو يس الجسري سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة » والحقّ يقال ان الاب المذكور فاق اهل عصرهِ بتآليفهِ الروحيَّة التي اثمرت في النفوس من نِعم الخلاص ما لا يعلمهُ الَّا الله . ولذلك نُقلت كتبهُ من اصلها الاسباني الى جميع اللغات ولم يخلُ شرقنا العزيز من فوائد بعضها . منها كتاب قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت الذي طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩٥ . الَّا ان تأمُّلات هذا الاب الذي اعلنت الكنيسة سموّ فضائلهِ ودعتهُ مكرَّماً قد نالت من الاعتبار ما لم تنلهُ تآليفهُ العديدة . وكان الاب فروماج عرَّبها فطبع منهــا ثلاث مجلَّدات ضخمة في مطبعة الموارنة في حلب . الَّا ان هذه الطبعة قليلة الانتشار في برّ الشام فآثر حضرة الاب اغناطيوس جعجع تعريب ملخَّص هذه التأملات في ثلاثة اجزاء صغيرة لينال من منافعها كلُّ المسيحيين وخصوصاً الكهنة وارباب الدين . فنثني على همَّة المعرّب ونتمنى لكتابهِ رواجاً بين كل الذين يسعون بامر الآخرة

Etude sur les origines des Grecs Melchites
par Evangelos Hid clerc patriarcal de l'Eglise de Jérusalem.
Rome, imprimerie de la Propagande 1901,*pp.*23

بحث عن اصل الروم الملكيين للشماس بشاره عيد

الشمَّاس بشاره عيد شابٌ لاتيني الاصل من قرية « طيِّبة » تخرَّج اولاً في مأتم دون بلوني في بيت لحم ثمَّ عند الآباء الصهيونيين في القدس ومنذ بضع سنوات تحوَّل الى الطقس اليوناني الملكي وهو اليوم يتمم دروسهُ في مدرسة القديس اثناسيوس في رومية وفيها كتب جنــابهُ كرَّاسة يردُّ فيها على مقالة نشرها المشرق في العام المنصرم عن اصــل الروم الملكيين (٣ : ٢٦٧) زعم انَّ المشرق بقولهِ عن الروم الملكيين انَّ اصلهم من سوريَّة لا من اليونان ابتخس قدر هذه الطائفة الجليلة ودعا ابناءها الى الدخول في الطائفة المارونيَّة . وهي شكاية عجيبة بيَّنت لنا جليًّا ان موءلف الكرَّاسة ليس من

المناظرين الذين يستحقون جواباً لاسيَّما وانَّهُ ينسب الى كاتب مقالة المشرق التحريف والتزوير. امَّا كون الروم الملكيين سرياناً اصلاً ولغـةً فهو امرٌ لا يشكُّ فيهِ ائمَّة المستشرقين. وان اراد البراهين على ذلك فليطالع الشمَّاس مقالة العلامة السيد اقليميس داود في مقدَّمة كتابهِ اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانيَّة (ص ٤٠ — ٥٠ من الطبعة الحديثة) وكتاب القصارى لهُ ايضاً ومقالاتٍ أُخرى نشرها في اوربَّة ل. ش

شَذَرَاتٌ

تسبيع الدائرة وتتسيعها ورد الينا من كفرعقاب في تاريخ ٨ آذار كتاب لجناب الرياضيّ الاديب الياس معلوف هذا نصُّهُ بحرفهِ: قد قرأت مؤخَّرًا في الجرائد السوريَّة إطراءها على جناب اللوذعي الماجد المعلم ابرهيم الحوراني من حيث انهُ وجد الطريقــة لتسبيع وتتسيع الدائرة وان المعلِّم المذكور اعطى مهلة ستة اشهر للرياضيين لاجل حلّ هذه المسألة بحيث انهُ متى مضت الستة الاشهر المضروبة يحقُّ لهُ الحقُّ بالتفرُّد بحلِّهــا ومن ثمَّ تعود لهُ وحدهُ الجوائز المعطاة من الدول بهذا الموضوع. فلهذا قد اتيت بعريضتي اليكم لكي يحيط علمكم وعلم المعلِّم الآنف الذكر بانني قد حللتُها من زمن مديد ولموانع شتى لم ادرج ذلك الحلَّ فاقتضى الآن درجهُ وهاكم ملخَّصهُ:

معلوم عند الرياضيين انهُ متى عُلم ضلع الشكل ذي الاربعــة عشر ضلعاً المتساوية فلا يبقى إشكال في تسبيع الدائرة. ومثلهُ متى عُلم ضلع الشكل ذي الثمانية عشر ضلعاً المتساوية فــلا يبقى إشكالٌ في تتسيع الدائرة وهلمَّ جرًّا والحال ان الشكل المتساوي الاضلاع الاربعة عشر هذه معادلة ضلعهِ: ك^٣ − ك^٢ − ٢ ك + ١ = ٠ ومثلهُ الشكل المتساوي الاضلاع الثمانية عشر هذه معادلة ضلعهِ: ك^٣ − ٣ ك + ١ = ٠ وقس عليهِ

امَّا قيمة ك في المعادلة الاولى فهي ٤٤٥١‘ + وايضاً قيمة ك في المعادلة الثانية ٣٤٦٢‘ +.

وعليهِ تكون اذًا قيمة ضلع المسبَّع ٨٦٧٩‘ + وكذلك قيمة ضلع المتَّسع ٦٨٢٦‘ + الخ

هذا وعند الاقتضاء نعلن الطُّرُق والعمليَّات التي يجب اتباعها لحلّ هــذه المسائل العسرة المرام. وان شئنا ايضاً لامكننا بطريقة عامَّة ايجاد وحلّ معادلات جميع الاشكال ذوات الاضلاع المتساوية من اي عدد كانت فحبًّا بالاختصار اقتصرنا الآن على ما اوردناهُ

(المشرق) نظن ان صاحب الحلّ وَهِمَ بحلهِ وان واضع المسئلة يطلب ايجاد طريقة لتسبيع الدائرة وتتسيعها بالمسطرة والبركار

* اللغز الاخير الوارد في المشرق ص٤٣٠ * قد حلَّهُ ما عدا الذين دوَّنَّا اسماءهم في العدد السابق حضرة الاب الفاضل يوحنَّا شلهوب المرسل اللاتيني في الكرك والقس اغوسطين البستاني الراهب الحلبي والاب الياس جباره اليسوعي والاديبان يوسف الخوري بطرس من بجدرفل وفرنسيس الشمالي. وقد اتانا ايضاً نحو عشرين لغزاً جديدًا نوردها اذا سنحت الفرصة ان شاء الله

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الخوري نيقولا صفير: ١ً ما هي الاعمال المفروضة في الشهر المريمي لربح غفارينهِ وما هي هذه الغفارين. ٢ً هل تُحسب في وقت اليوبيل الزيارات للكنائس المعيَّنة اذا وجدها المؤمنون مقفلةً فصلُّوا على بابها الصلوات المفروضة

الشهر المريمي – وزيارة الكنائس المقفلة في زمن اليوبيل

ج نجيب عن (الاول) انَّ الكرسي الرسولي لم يفرض اعمالًا مخصوصةً لعبادة الشهر المريمي وانَّما يكفي ان تُكرَّم العذراء الطاهرة ببعض صلوات او افعال تقويَّة خصوصيَّة او عموميَّة كما يشاء المؤمنون. امَّا الغفارين الممنوحة لذلك فهي غفران ٣٠٠ يوم في كلّ نهار ثمَّ غفران كامل لمن داوم على هذه العبادة طول الشهر بشرط ان يعترف ويتناول القربان الاقدس ويصلّي على نيَّة الحبر الاعظم. وهذا الغفران الكامل يمكن ربحهُ في ايّ يوم شاء المؤمنون من شهر أيَّار وفي اليوم الاول من حزيران. نجيب على (الثاني) انَّنا نرجح صحَّة هذه الزيارات اذ لا شيء في منطوق المنشور البابوي ينفيها فضلًا عن انهُ يصعب على كثيرين ان يكرّروها لاسيَّما اذا كانت الكنائس بعيدة

س وسأل حضرة الاب الفاضل بولس ازرق رئيس دير صربا هل يُحتم على الرهبان بان يقدّموا صلواتهم القانونية على نيَّات المحسنين بحيث لا يجوز ان يشركوا غيرهم بالنيَّة

الفرض القانوني

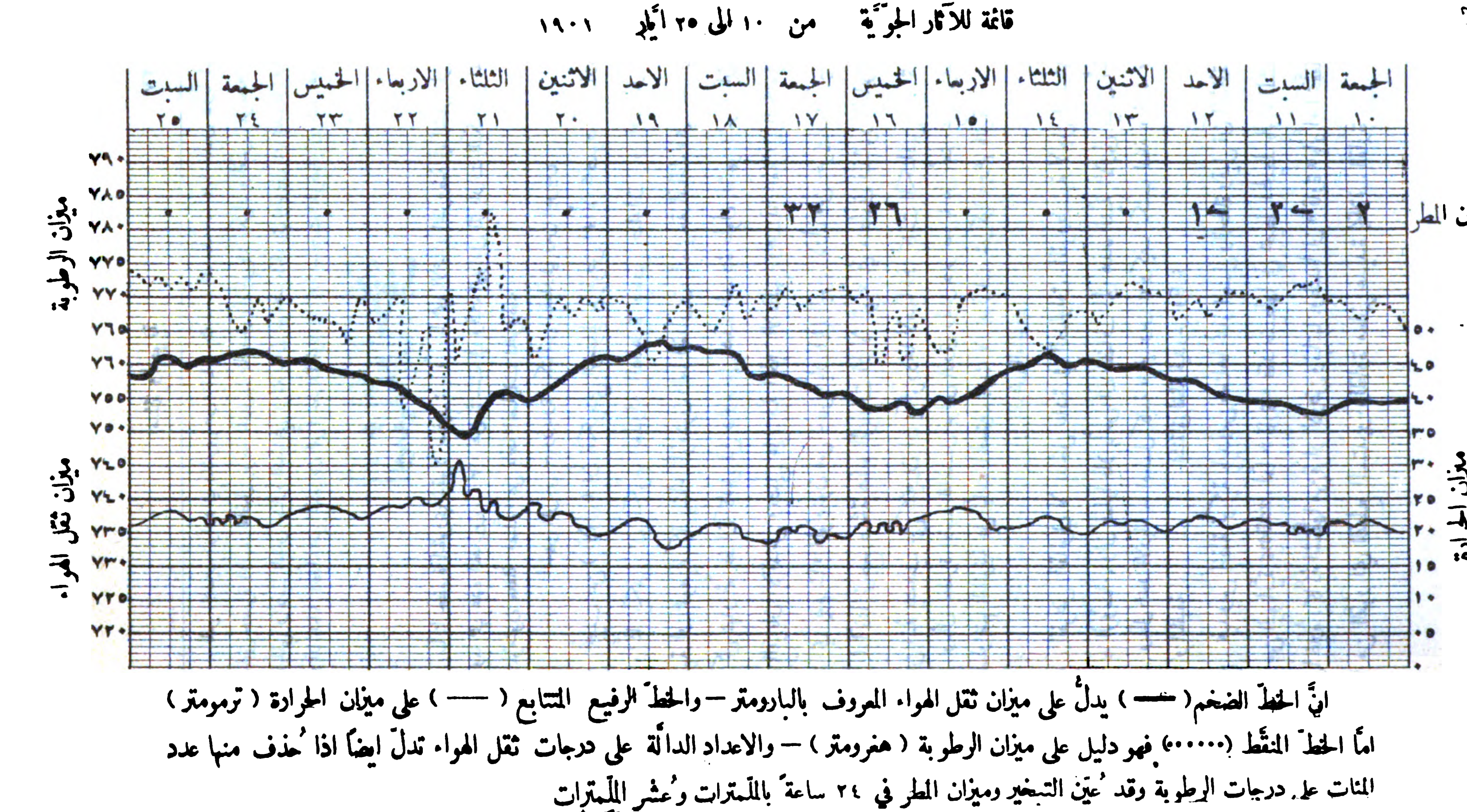
ج الفرض القانوني لا يدخل عادةً في الصلوات المفروضة لاجل المحسنين ما لم يصرّح بهِ الرؤساء. وان فعلوا فلا بأس ان تُضاف الى هذه النيَّة الاولى نيَّات أُخر ثانويَّة

س وسأل احد الادباء ما اصل كلمة « فيدوس » وكيف تكتب لفظة « قارة » أبالرَّاء المشدَّدة او الخفيفة

اشتقاق لفظة فيدوس وقارة

ج فيدوس لفظة تركية بايدوس معناها نجاز العمل والعطلة وقيل انَّ اللفظة التركيَّة مشتقَّة من اليونانيَّة παῦσις. امَّا « قارة » فقد ضبطها في محيط المحيط بالراء المشدَّدة ولم يضبطها غيره. كأنهُ اشتقَّها من قرار الارض وثباتها. وعندنا ان « قارة » بالرَّاء المخفَّفة ارجح اشتقاقًا من القَوْر اي القطع المستدير. وللقارة معانٍ عديدة بخلاف القارَّة ل. ش

قائمة للآثار الجوّية من ١٠ الى ٢٥ أيّار ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات

11 **Petites fleurs de la vie des Saints.**

قطف الازهار من مروج الاخبار

32 fascicules format petit in-12, 1895-1898.

Il est des Saints dont le culte est très populaire en Orient ou qui méritent d'y être plus connus. Pour favoriser la dévotion du public, on a eu l'heureuse idée d'extraire leurs notices du « volume de la Vie des Saints » en les complétant au besoin, pour les publier en différentes séries comprenant chacune un certain nombre de fascicules. La 1re Série se compose de 8 fascicules où sont contenues les Vies de N. S., de la Ste Vierge, des parents de N. S., une notice sur St Michel et les Anges Gardiens, sur St Jean Baptiste et St Elie, enfin les Vies des SS. Apôtres et Evangélistes. — La 2e Série comprend 11 fascicules renfermant les Vies des plus illustres Martyrs d'Orient et d'Occident. — La 3e Série, composée de 10 fascicules, est consacrée aux Vies des SS. Docteurs, des SS. Confesseurs, Pontifes et non Pontifes, et des Patrons de la Jeunesse. — Enfin la 4e et dernière Série donne en 3 fascicules les Vies des Saintes Vierges, des Saintes Femmes et des Pénitentes.

154 HOROLOGION
ou
Diurnal du rite grec.

كتاب مختصر السواعية الشرقية

In-32 raisin, 443 pages, 3e édition, 1895.

Ce livre renferme, outre les offices des différentes heures du jour, des conseils et des prières pour la confession et la communion, les psaumes de la pénitence, des visites au Très Saint Sacrement, les actes des vertus chrétiennes, les litanies du St-Sacrement, une méthode pour entendre la Sainte Messe, les calendriers des fêtes chômées selon le rite grec catholique, avec une table des fêtes mobiles jusqu'à l'année 1901.

	Fr.	affr.
Broché	0,80	0,20
Basane gaufrée, tr. jaspée.	1,40	
Mouton chagriné, tr. dorée, bleue ou rouge	2,10	
— *grain-long, ornements dorés, tr. dorée.*	3 »	
— *chagrin de coul., orn. dor., tr. ciselée, ou bleue et or, ou rouge et or*	3,20	
Velours gaufré, tr. dorée	3,20	
Chagrin de couleur, ornements dorés, tr. dorée.	4,20	
Chagrin de coul., orn. dor., tr. rouge et or, ou bleue et or .	4,75	

Les garnitures en imitation ivoire, sujets sculptés en relief et sujets avec riches incrustations, coins et fermoir comme le livre de prières N° 153.

444 Rituel à l'usage des Syriens Catholiques.

Petit in-12, 214 pages, 1872.

Ce Rituel contient en 31 chapitres, partie arabe, partie syriaque, les prières récitées par les prêtres catholiques de rit syrien dans les différentes fonctions de leurs ministères.

Il a été revu en 1866 par Mgr G. Schelhot plus tard patriarche de son rit

	Fr.	affr.
Broché	2 »	0,20
Demi-relture.	2,50	

OUVRAGES ARABES

DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE.

9 **La Bible des enfants.**

الغصن النضير

Petit in-8°, 3 vol., 1er 183 pp. (9e éd., 1897), 2d 182 pp. (5e éd., 1893), 3e 193 pp. (2e éd., 1897).

Par le P. J.-B. Belot S. J.

C'est un recueil des principaux traits bibliques surtout de ceux qui font plus d'impression sur le jeune âge. On a cherché autant que possible à y conserver l'ordre chronologique et le texte même des Livres Saints. La 1re partie contient les récits du Pentateuque. La 2e conduit le lecteur jusqu'au règne de Salomon. La 3e donne le reste des faits bibliques jusqu'à la fin du 2e livre des Machabées. C'est un excellent livre de lecture destiné à toutes les maisons d'éducation et principalement aux écoles primaires. De nombreuses gravures sont intercalées dans le texte.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	1 »	0,30
Cartonné	— —	1,50	

4 **Abrégé d'Histoire Sainte.**

مختصر التاريخ المقدس

In-18, 160 pages, 11e édition, 1896.

Par Lhomond.

Traduit en arabe par Michel Massabki.

La traduction simple et élégante de ce petit livre si populaire en Europe a contribué pour une large part à la connaissance de l'histoire sainte en Orient. Les éditions nombreuses de cet ouvrage montrent quel accueil les directeurs des écoles continuent à lui faire.

Broché	0,40	0,15
Cartonné	0,60	

333 **Le même,** ***avec le texte français au bas.***

Broché	0,50	0,20
Cartonné	0,75	

170 **La vie des Saints, pour tous les jours de l'année.**

مروج الأخيار

In-4°, 925 pages, 3e édition, 1892.

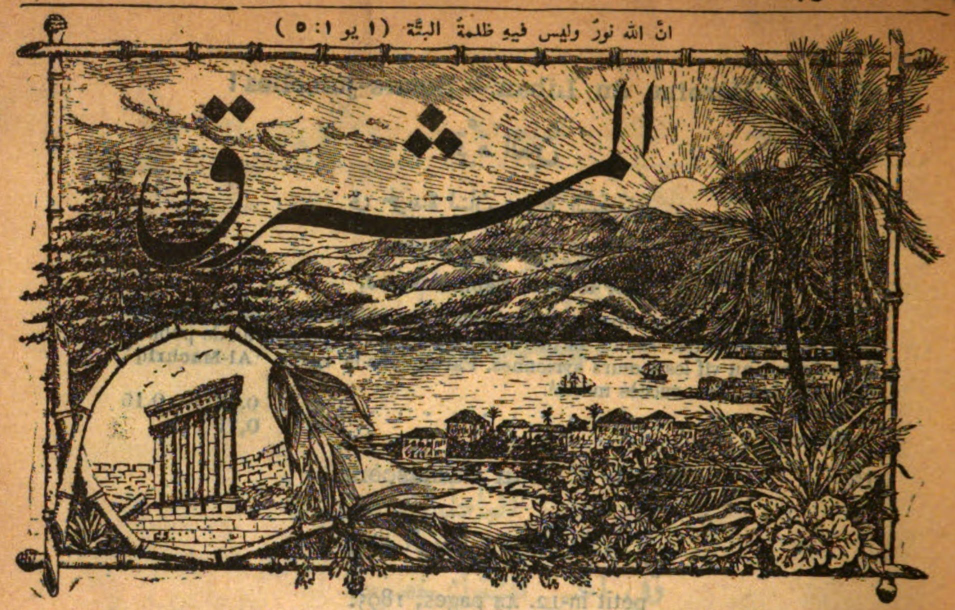
Par le P. P. Fromage S. J.

Le P. P. Fromage, à qui l'Orient chrétien est redevable de tant de livres utiles, a tiré cette « Vie des Saints » des ouvrages des PP. Ribadéneira et Croiset, en l'adaptant au goût des Orientaux. Les travaux récents des Bollandistes et d'autres hagiographes modernes ont été utilisés par le P. J.-B. Belot pour reviser et compléter l'œuvre du P. Fromage. Comme de juste, les Saints d'Orient occupent dans cet ouvrage une place importante.

Un beau volume orné de gravures.	Fr.	affr.
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	20 »	en
— — — — *dorée*	24 »	colis
— — — — *ornements dorés, tr. dorée*	27 »	postal
Demi-reliure, dos et coins en maroquin, ornem. dorés, tr. dorée	27 »	

السنة الرابعة العدد ١٢ ١٥ حزيران ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 12 (15 *Juin* 1901)

فهرس العدد ١٢

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

289 **L'Héroïne du Liban — Sœurs-jumelles !**

قرّة العين

في خريدة لبنان ورواية الشقيقتين

Petit in-8° 112 pages.

Par le P. H. Lammens S. J.

Ces deux petits romans ou *nouvelles*, réunis en un volume, inaugurent une série de romans intéressants et moraux que nous nous proposons de publier. Ils peignent au vif les mœurs syriennes. Parus dans la revue "**Al-Machriq**" ils y ont obtenu un succès mérité.

Broché	0,65	0,15
Cartonné	0,75	

12 **Vie de S^t Jean Damascène.**

ترجمة القديس يوحنا الدمشقي

petit in-12. 44 pages, 1895.

Par les PP. L. Huguet et L. Cheikho S. J.

Cet ouvrage a été composé d'après les biographies les plus anciennes du St Docteur avec quelques détails tirés des auteurs arabes. Deux photographies accompagnent le texte ; elles représentent, l'une les restes de l'antique demeure que la tradition assigne à la famille du grand Docteur, l'autre le tableau qui se trouve dans l'Eglise du Saint, au dessus de son autel ; c'est l'œuvre d'un peintre Lyonnais qui a reproduit le miracle de la Vierge en faveur de St Jean.

	Fr.	affr.
Broché.	0,50	0,05

128 EUCOLOGE

OU

Manuel du Jeune Chrétien

AU COLLÈGE ET DANS LE MONDE.

كتاب صلوات للشبّان واحداث المدارس

Par le P. J. F. Voilly S. J.

Petit in-16, 623 pages, dont 92 pages arabes, 1895.

Dans cette rédaction nouvelle de notre Eucologe on a eu surtout en vue de procurer aux jeunes gens un livre de dévotion pratique, où ils puissent trouver sous la main, avec les principaux exercices de la vie chrétienne durant le temps du Collège, un ensemble d'instructions et de conseils adaptés aux différents besoins de leur âme vers la fin des études et à leur entrée dans le monde. Signalons en particulier les diverses méthodes de prière vocale ou mentale, les pensées chrétiennes pour tous les jours du mois, différentes manières d'entendre la Ste Messe avec fruit, la pratique de l'examen particulier, de sages conseils pour sanctifier les actions ordinaires, se disposer à sa 1re communion ou à la réception fréquente des Sacrements, faire sa retraite annuelle, choisir un état de vie, etc. etc. Les cantiques, les offices des différentes fêtes, les heures des Congréganistes ont été revus et modifiés. La partie arabe est restée sensiblement la même.

Broché	1.75	0,45
Reliure mouton chagriné, tr. marbrée	2,90	
— — — *dorée*.	3,90	

المشرق

في الحواسّ الباطنة عموما

وفي الحسّ المشترك خصوصًا

بقلم الاب لويس رنزڤال اليسوعي

لم نكد نتفرَّغ من ادراج مقالتنا في تواصل الافكار (راجع المشرق ٣: عدد ٢٢) حتى حدَّثتنا النفس بمواصلة السير في ميدان الابحاث الفلسفيَّة بل الاحرى باستيفاء الكلام فيما لم نكن الّا لمَّحنا اليهِ من معرفة حواسنا الباطنة اثناء شرحنا لتواصل التصورات. فمن الظاهر الجلي لكل لبيب ان مقالًا مفردًا في باب من ابواب العلم ايًّا كان لا تعمّ فائدتهُ ما لم يُرجع الى مبادئهِ الاوليَّة ولم يُشفَّع بالادلَّة السهلة المأخذ القريبة المتناول

وها نحن نشرع اليوم في انجاز ما رغبت اليهِ النفس وهو الاتيان بابًا بابًا على حقيقة جميع حواسنا الداخليَّة مستهلّين بادناها رتبةً واقلها قدرًا اعني الحس المشترك

١ في تقسيم الحواسّ الباطنة

وقبل الخوض في غوامض المسألة لا نرى بدًّا من ايراد نبذة في تقسيم الحواس الباطنــة إزالةً لكل شبهة ورغبة في زيادة الوضوح. امَّا احسن وسيلة لبلوغ اربنا فهو نقل ما كتب القديس توما اللاهوتي في هذا الشأن قال (١:

« لمَّا كانت الطبيعة لا تمنع ضروريًّا وجب ان تكون افعال النفس الحاسَّة بقدر ما يكفي لحياة الحيوان الكامل فما امتنع من هذه الافعال اسنادهُ الى مبدإٍ واحدٍ فلا بدَّ لهُ من قوى متغـايرة.. وحياة الحيوان الكامل تقتضي ان يتصوَّر الشيء لا في

١) راجع الجزء الاول من الخلاصة اللاهوتيَّة البحث ٧٨ الفصل ٤ من ترجمة السيد المفضال المطران بولس عوَّاد

حضور المحسوس فقط بل في حال غيبتــهِ ايضًا والّا لما تَحرَّك الحيوان لالتماس شيء غائب لان تصوُّرهُ يستتبع حركتهُ. وبطلان هذا واضح خصوصًا في الحيوانات الكاملة التي تتحرك حركةً تدريجيَّة اذ انَّما تتحرك الى غائب متصوَّر. فاذًا يجب ان الحيوان لا يقبل فقط بالنفس الحسَّاسة صور المحسوسات (يعني بالمشاعر الخارجيَّة والحس المشترك) متى كانت حاضرة بل ان يستثبتها ويحفظها ايضًا (يعني بالخيال او المخيــلة). والقبول والحفظ في الجسمانيَّات يُسندان الى مبدئين متغائرين . . . »

فاذا ضربنا صفحًا عن المشاعر الخارجة ثبت من هذا الكلام المسجدي انَّ من الحواسّ الباطنة حاسَّتين تقبل احداهما المحسوسات وهي الحس المشترك والثانية تختزنها وهي الخيال. ولكن ألا يحتاج الحيوان الكامل الى اكثر من هاتين آلةً وعــدَّة لسدّ حاجاتهِ اليوميَّة؟ أفلا يُخلُّ بكرم الخالق لو ترك الحيوان غير عالم نفعهُ من ضرّهِ لا صارف يصرفهُ عمَّا فيــهِ شرُّهُ ولا هادي يهديهِ الى ما فيــهِ خيرهُ؟ فيا لتعاسة الحمَل إلّم يغرز بين الشاة التي يستقي منها ينابيع الحياة والذئب الجائع المقبــل لخطفهِ وكسر عظامهِ وكذلك بؤسًا لنا نحن البشر ان كنَّا لا نرى خطرًا في الحيَّة السامَّة الملتوية بين الزهور او ان كان منظر صخرٍ منقضٍّ على رأسنا من علٍ لا يُثير فينا تأثر التحفظ الذاتي الى غير ذلك من الامثال التي تدلُّ صريحًا على وجود حسّ غير الحواس المارّ ذكرها فشكرًا لفاطر الكائنات وحمدًا لباري الموجودات على انَّهُ لم يُهمل صنع عجيبة ولم يمنع عنهُ شيئًا من مقتضيات عيشتهِ لا بل غرز في طبيعة خلائقهِ الحيَّة غريزة يديهِ تنبئها بوجود الموافق لصالحها او المخلّ بهِ وترشدها الى دنوّ رسول الخير او زحف العدوّ الحامل المنيَّة بين انيابهِ او مخالبهِ

امَّا الحواس الخارجيَّة والحسّ المشترك فليسوا بشيء من هذا القبيــل لان الحواسّ انما تدرك ما يبرز للخارج من لونٍ وصوت الخ. والحسّ المشترك يقرن تلك الحواص بعضها او يفصلها اما الخيــال فيحفظها فاين نحن من كشف القناع عن النفع والضرّ والملاءمة والتنافر فتلك لعمري خواصّ ومزايا لا تبدو للعيــان ولا تطرق الآذان ولا تؤثر في اللسان بل انها معانٍ لا يستخرجها الّا حسٌّ فُطر لمثل هذا الكشف وجُهّز لاجلهِ وانْ هو الّا القوَّة المتوهمة (١ التي اوثرُ لها اسم « المقدِّرة » او « المخمِّنة » تقرُّبًا للفظة

١) قد اخذتنا الحيرة في هذا الموضوع من تباُين الكتبة واهل البحث في تسمية الحواس الباطنة

اللاتينيّة (vis æstimativa) الجارية في الاندية العلميـــة

فلنسمع ثانيةً شمس المدارس لنا في مقالهِ من الصراحة والبيان قال: « ثم لو كان الحيوان انمــا يتحرَّك لنا في المحسوس من اللذَّة والألم لم يجب ان يُثبت في الحيوان الاَّ تصوُّر الصور المدركة بالحس التي يلتذُّ بها او ينفر عنها لكن لا بُدَّ للحيوان من طلب اشياء والهرب عن اشياء ليس لموافقتها او عدم موافقتها للاحساس فقط بل لمنافع او مضــارّ اخرى ايضاً كما انَّ الشاة اذا رأت الذئب مقبلًا هربت منهُ ليس لسماجة لونهِ او شكلهِ بل لكونهِ عدوًّا طبيعيًّا لهــا او الطير يجمع الهشيم لا لالتذاذ حسّهِ بل لكونهِ مفيدًا لتعشيشهِ . فاذًا لا بُدَّ للحيوان من ان يدرك هذه المعاني التي ليس ينالها الحسّ الظاهر ولا بُدَّ لهذا الإدراك من مبدإٍ آخر لان ادراك الصور المحسوسة يحصل عن تأثير حسي بخلاف ادراك المعاني المذكورة . وعلى هــذا فادراك الصور المحسوسة انَّما هو الى الحسّ الخاصّ والحسّ المشترك . . . واستثبات هذه الصور او حفظها هو الى الخيال . . وتصوُّر المعاني التي لا ينالها الحسّ هو الى الواهمة وحفظها الى القوَّة الحافظة التي هي خزانة لهذه المعاني » . فتبيَّن من الكلام ان السابق الحواس الباطنة اربع الحسّ المشترك والقوَّة الواهمة او المتوهمة والمخيَّلة والحافظة ونحن نكتفي في مقالتنا هذه بتعريف الاولى

٢ً في تعريف الحسّ المشترك وبيان خواصهِ

هو مشعرٌ باطنيّ اليهِ تنتهي جميع افعــال الحواسّ الخمس ويُحدُّ ايضاً بانهُ قوَّة حسيَّة مركزيَّة مستوعبة لتأثيرات المشاعر الخمسة الخارجيَّة جامعة لها ومفرزة بينهــا ومقدِّرة ايَّاها فقد لاح من هذا التعريف ان للحس المشترك خواصّ عديدة ذات اهميَّة لانهُ بمثابة مركزٍ عامّ تنجذب اليهِ تأثيرات سائر الحواس فتسرع اليهِ بعد مرورها بالحواسّ الخمس وكاني بهِ محطَّة كبرى تنتهي اليهــا جميع الاسلاك المتشعبة بين المراحل الثانويَّة فلا قرار للقطارات السائرة عليها إلَّم تستقرّ في رِحى ذاك المجتمع الواسع الشامل . امَّا

ومنهم من يدعو الحسّ المشترك بالحسّ العــامّ والمصوّر والقوَّة المتصوِّرة ومنهم من يُلقّب القوَّة الحافظة لصور المحسوسات بالخيــال او الوهم والمدركة للمعاني الغير الظاهرة بالقوَّة المتخيّلة ونحن نرى خصوصاً في هذا الاسم الاخير تشويشاً بيّناً لقرب معنى لفظي الخيال والقوَّة المتخيّلة فاحببنا ان نخصص كل ما اشتق من الخيال كالمخيّلة والمتخيّلة بما يدعوهُ الافرنج imagination والوهم او القوَّة الواهمة او المتوهّمة نطلقهُ على القوَّة المقدِّرة او المفكّرة estimative, cogitative لان مدلول الوهم الظن والتخمين وما اشبههما

الاسلاك فهي أعصاب الشعور الحاملة لتأثيرات العالم الخارجيّ الى مركز الحس . وهكذا يُستكمل فعل الشعور بحيث يجمع الحيوان شتات محسوساتهِ ويضمّ نشرها

قال العلامة بوسويه : « مما يثبت لدينا بالاختبار اليومي ان من متفرّقات الطوارق التي تطرق ابواب مشاعرنا قد يُصبح فينا شيء واحد محسوس سيّما عند صدور الطُرّق من مصدر واحد وعليهِ فمتى ارى النار ذات لونٍ معلوم واحسّ بلفحاتها واسمع زفير توقّدها لم اقتصر على هذه افعال الاحساس الثلاثة بل اشعر ان منبع هذه التأثيرات كلها هي النار » . فتبيّن من هذا النصّ ما للحسّ المشترك من الفوائد الجليلة في حياة الحيوان فلولاه لكانت عيشتهُ مجموع انفعالات واحساسات دون علاقة معلومة تربطها ببعضها فلا احد ذا بصيرة ألّا ويزكن ما في ذلك من الخلل لتصرّفنا اليومي . ولاجلي بيان الامر فليُتَح لنا ان نتخيَّل حالة انسان قد حُرِم الحسَّ المشترك ولنسبر غور تعاستهِ في بعض الظروف . فهاك مثلًا رجلًا يصادف مغنّيًا يضرب بالعود في وسط جنّة فيحاء قد تأرّج عرف ازهارها الذكيّة في القضاء . فلا مشاحّة انّهُ يتأثر في اربع من حواسهِ لانهُ يرى المغني وما يحيطهُ من المحاسن الطبيعيّة ثم يسمع صوتهُ ورنّات آلتهِ المطربة ثم يلتذّ في بدنهِ بنسيم الصبا المتلاعب في الاغصان واخيرًا يستنشق رائحة الزهور العطِرة فما رأيك فيهِ ان كان معدمًا الحسّ المشترك أهو سعيدٌ ما بين كل هذه دواعي السرور والهناء ألا ينقصهُ آلة ثمينة من جهازهِ الانساني . اقول انا انّهُ يُعدُّ رغمًا عن تنعُّم كلٍّ من حواسهِ على حِدَتها اتعس البشر كافةً باعتبار انسانيّتهِ لانهُ يخلو من حاسّة تُعلمهُ انَّ الرجل الذي يبصرهُ جاسًّا العود هو الذي يسمع صوت ألحانهِ الشجيّة وان الروائح الطيّبة التي يستنشقها هي التي تفوح من اكمام الورد والخزام المائسة ما بين اخضرار النبات الى غير ذلك من الامور المستغربة التي من شأنها ان تجعل حالة هذا المسكين حالةً يُرثى لها . فهذه كانت حياتنا كلها لو لم ترزقنا يد الحكيم القدير قوّة داخليّة ترأب وتوحد انفعالات جميع حواسنا حتى تتبيّن لنا علاقة واضحة بين مدركات مشاعرنا على اختلاف افعالها الخاصّة

ولا يظنّنّ احدٌ اننا جرينا فيما تقدَّم مجرى المبالغة او ركبنا جواد التخيُّلات والاوهام كلّا وانّما هو عين الحقّ . وممّا يدعم قولنا في ضرورة هذا الحسّ الكريم وَهن احتجاج من ينكرون وجودهُ فينا لانهم ينسبون التحام احساساتنا وتمييزها امًّا للحواس الظاهرة

او للعقل او للضمير المتعقّل اي العائد على افعاله (conscience réflexe)· بيد انهُ لا احد من هذه الثلاثة يفي بالمرام فلم يبقَ الّا التسليم بوجوب آلةٍ اخرى مجهَّزة حق التجهيز لما نحن بصددهِ

قلنا اولًا ان المشاعر الخارجيّة لا يمكنها القيام بما نباشرهُ من جمع التأثيرات وافرازها وتقديرها والدليل واضح متبادر حيث كلّ حاسّة من حواسّنا انما تدرك محسوسها الخاصّ فالبصر يميّز الالوان والسمعُ الاصوات الخ ·· فمن المستحيل عليها ان تشعر بشيء من مدركات سائر الحواس· فأنّى للعين الشاخصة نحو الانسان ان تقول هذا الاحمرار وهذه الهيئة هما للرجل الذي تعي الاذن صوتَ لهجتهِ على اننا نفصل البصر عن المسموع او المشموم اي نفرز بين الابيض والشجي وبين المرّ واليابس ونُحسن نسبة تلك الخواصّ الى موضوع واحدٍ اذا ما انتمت الى واحد ونفرق بينها اذا رجعت الى كثيرين

هل يكون اذًا العقل البشري هو الجامع لشمل محسوساتنا والقاضي في اتفاقها او في تباُينها كلّا ثمّ كلّا وقبحًا لتعليم فلسفي ان تصدّى لاثبات مثل هذه القضيّة لان فيها من الفساد والبطلان الفاحش ما تستنكف منهُ النفوس وتأْنف مقشعرّةً. فكيف يتسنّى لقوّتنا العقليّة الروحانية العنصر الفائقة لجميع اطوار المادّيات والمتصرّفة بين المجرّدات والعموميّات ان تحكم في امر مادّي وخصوصي كفعل الشعور الحاليّ. نعم على عقلنا ان يأْتي بتحديد الحس والاحساس والمحسوس ويستقري كيفيّتها ويبحث في نواميسها لكنهُ من الجهل المُطبق ان يُنسب اليهِ ايُّ تداخل كان في استتمام اعمال الشعور

وعليهِ فلم يتبقَّ الّا ان نلتجئ الى الضمير ونعجم عودهُ وهنا لا بُدّ لنا من ايراد تقاسيم الضمير لئلا ينسبنا بعض القراء الى الغلوّ والافراط في التمسك بالمبادئ الفلسفيّة القديمة فنقول: ان الضمير لفة شائعة في اجناس مختلفة تطلق على عدة مسمّيات فاكثرها شيوعًا عند العامّة ما يرد بمعنى الذمّة اعني الضمير الادبي (conscience morale) المفتي في صلاح او فساد اعمالنا الحرّة وهو خارج عن موضوعنا الآن لا نطيل الكلام فيهِ· ومن الضمير ما سُمّي روحيًّا بسيكولوجيًّا (consc. psychologique) ويُقال لهُ ايضًا الادراك الباطني (perception intime) وهو عبارة عن قوّة توقف

النفس على افعالها وتقلباتها الحاضرة من افكار واحساسات وشعائر واعمــال اختياريّة كافةً. وهذه القوّة على قسمين باعتبار وجه ادراكها للافعــال الداخليّة فان وقفت على الأعمال النباتيّة او الحيوانيّة او العقلية بفعل مستقيم غير مميَّز قيل لها الضمير الابتدائي او المستقيم او الغير الصريح (conscience élémentaire, directe, confuse) وكثيرًا ما وُسمت حينئذٍ بالحس الباطني (sens intime) خصوصًا عند المحدثين (١). امّا إن أُطلق سراحها على افعــال العقل او على اعمــال المركَّب الانساني باستعمال الرويّة والتعقُّل اعني بفعــل الرجوع والانعكاس فقيل لها عندئذٍ الضمير العائد او المتعقِّل (consc. réflexe, réflexion psychologique) وما ذلك الّا الذهــن البشري المنطوي على نفسهِ بفعل اختصَّ بهِ دون غيرهِ تعجز عن ابرازهِ قوة من القوى الحيوانيّة

فلنأتِ الآن الى ما توخَّيناهُ من هذه التفاصيل عن معاني الضمير فان أُريد بهِ معناهُ الاخير اي الضمير العائد على فعلهِ فنحن ننكر صلاحيّتهُ للنهوض بما ينهض بهِ الحس المشترك ونرفضهُ بتاتًا اذ انهُ لا يفتأ والحالة هذه ان يكون العقل بعينهِ وقد سبق البرهان على نزاهة هذه القوّة السامية من كل اختلاط في اعمال المادة الآليّة. امّا اذا أُريد بالضمير نوعهُ الاسفــل اي الضمير الابتدائي فلا يمكننا ايضًا التسليم بكونهِ هو الحس المشترك لأنّا مهما احتجَّ بهِ اشياع هذا الزعم قد نرى في مذهبهم عدَّة مشاكل تصدُّنا عن المصادقة على قولهم وهي: اولًا ان الضمير قوّة باطنــة صرفة (faculté purement subjective) وعليهِ ان ملكها ومضمارها انما هي النفس مع ما يعتورها من التغييرات فلا وصول لهُ الى ما خارج عنا البتة ومن ثمَّ كيف تصحّ التسوية بينهُ وبين المشترك الذي دأبهُ ادراك ما هو مختلف عنا والحكم فيهِ. ثانيًا من المقرَّر ان الضمير ليس لهُ آلة لابراز فعلهِ لانهُ ليس هو الّا فعل النفس الحاضرة لذاتها من حيث هي جوهر حائز على حياة حيوانيّة وعقلية. قال القديس توما: «ان النفس لا تبرح تعقل ذاتها دون تمييز ولا تفكير فيما يخصها بل من حيث هي حاضرة لذاتها (٢)». اما الحس المشترك فقد اجمعت العلماء على انَّ لهُ جهازًا ومركزًا ولو لم يُتَّفق عليهما تمامًا. فأُرتج من هــذا

١) قلنا «كثيرًا» لان هذه التسميــة ترادف احيانًا تسمية الضمير اي الادراك الباطني عمومًا مستقيمًا كان او عائدًا

٢) راجع كتابهُ: lib. 2 Sent., dist. 39, q. 1. a. 1

الوجه ايضاً باب كل اختلاط بين الضمير الاولي والحس المشترك

قد بقي علينا ان نبسط الكلام في مقرّ هــذا الحسّ اي آلتهِ الخصوصيَّة دون الآلات الثانويَّة التي هي الحواسّ الخمس فوددنا لو قال العلم قَولهُ الفَصْل في هذا البحث لكن الامر عكس ذلك لأنّا نرى المولَّدين من الفلاسفــة قد نبذوا رأي الاقدمين في هذا الشأن الّا انهم لم يسندوا نتائجهم الى براهين قاطعة بل الى ادلَّة ترجيحيَّة تُبقي بعدُ مجالًا للريب والتنقيب. فهاك مذهب كبير فلاسفــة اليونان كما رواهُ آية حكماء العرب قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابهِ في النفس (ف ٧) وهو يذكر ارسطوطاليس: « امَّا سلطان المتصورة (يريد مركز المشترك) ففي التجويف المقدَّم من الدماغ واما سلطان القوَّة المتخيلة ففي التجويف الاوسط واما سلطان القوة المذكِّرة ففي التجويف المؤخر من الدماغ وامَّا سلطان القوَّة المتوهّمة ففي جميع الدماغ لاسيَّما في حيز المتخيلة منهُ ». فيظهر من هذا النصّ ان الاقدمين كانوا يقسمون الدماغ الى ثلاثة اقسام مخصصين اولها للحس المشترك

امَّا المحدثون فعنَّ لهم بعد الامتحانات والفحص المدقّق ان ينقــلوا مركز الحس المشترك او بالاحرى ان يوسّعوهُ فجعلوهُ لا في طائفة من الدماغ لكن في طول القطب او الخيط الدماغي الفقاري (l'axe cérébro-spinal) بداعي انَّ اعصاب الشعور لا يُحصر منهاها في الدماغ فقط بل يكون في النخاع ايضاً (moelle épinière). فممَّا غلب في رأي الطبيعيين انَّ من المادَّتين المتركب منهما الدماغ والنخاع يكون السهم الاوفر في اعمال الحس المشترك للمادَّة الرماديَّة (substance grise) والله اعلم

هذا ما مكَّننا قصر الباع وضيق المكان من ادراجهِ في شأن اغلظ حواسّنا الباطنة واقربها للظاهرة فرغماً عن وضيع رتبة هذا الحسّ نظرًا لمقام سائر رُصفائهِ من الحواس الداخليَّة كالمخيلة والذاكرة فقد لاح للمطالع ما ينجم منــهُ من الفوائد النفيسة في سلسلة حياتنا. فما قولك اذًا في اولائك المؤلفين الذين لا يرد في تآليفهم ولا ذكر هذه الآلة الكريمة فان كان هذا سهوًا منهم فلا عذر لهم وإن قصدًا « لتأتي مصنَّفاتهم منقَّحة ومجرَّدة من خرافات الاقدمين » كما يهمون فذنبهم اعظم اذ لا يتيسَّر لهم استبدال الحسّ المشترك بشيء من سائر القوى الحيوانية او الانسانيَّة فبئست الخطَّة خطَّتهم

تدبير الصحّة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

آثار بيروت الجويّة

الامطار

من جملة امتيازات بيروت الجويّة ان الفصول فيها مفصّلة معلومة ولكلّ فصل منها خصائصهُ المميّزة لهُ من هطول الامطار وانحباسها وارتفاع الحرارة وانخفاضها الخ. وعليهِ فترى الصيف تتسلّط فيهِ الحرارة وتنقطع الامطار قطعيًّا في مدَّة شهوره حزيران وتموز وآب ثم يليهِ الخريف وفيهِ يبتدئ المطر تدريجًا فيكون منهُ رشّ وطشّ في اواسط ايلول ثم طلٌّ ورذاذ في تشرين الأوَّل الى منتصف تشرين الثاني ومن ذاك التاريخ لغاية شباط يصبح المطر هطلًا وتهتانًا ثم يعود رذاذًا عند اقبال الربيع في شهور آذار ونيسان وايّار

ذلك مجمل الاحوال وقد يحصل بعض شذوذ كما رأيت في عامنا الجاري. ومن خواصّ المطر في بيروت ان يكون غزيرًا جودًا كما سبق القول فلا يكاد ينهمل حتى تصير منهُ سيول جارفة تضيق بها الخنادق وتطفو على الشوارع والساحات وهذه لعمري عناية من الطبيعة بالنظر لضيق الاقنية وانحطاطها وعلى ظني لو ان ظروف الطبيعة لم تساعد على دفع الاقذار وجرفها بغزارة الامطار وشدَّة انهمالها لكانت حالة المدينة الصحيَّة سيئة عاطلة برسوب الاوساخ الآسنة وتوفُّرها في القنوات والازقّة

وممّا تمتاز بهِ بيروت في ايام الشتاء انهُ بعد ان يكون السحاب اكفهرَّ واطبق والمطر انسكب وانبعق ترى الشمس أشرقت والسماء تألقت كأن لم يكدّر صفاءها غمام ولم يحجب زُهاءها سحاب وهذه المزيَّة غالبةٌ على اقطارنا السوريَّة عمومًا لكنَّها تبدو في بيروت بكل جلاء ولولاها لتعذّر تبخير مياه الامطار المتخلّلة في الارض وجدران المساكن وزادت رطوبة الجوّ عمّا هي فكانت زيادتها وبالًا على صحَّة الافراد والعموم. فتلك عناية ومثلها انتفاء الضباب عن بيروت وعدم وجودهِ على ساحل البحر. انما يتكاثف في وادي نهر الكلب فيغشي بكفيًّا ويتصاعد في وادي حمّانا فيظلّل صوفر وقد يبتدئ تكاثفهُ في الغالب على مساحة ثمانمائة متر فوق سطح البحر وقد يكون احيانًا في علوّ

ثلاثمائة متر وحينئذٍ لا يتجاوز السمائة مترًا صعودًا بحيث اذا انتصب المتأمل في اعالي لبنان يرى السهل مجلّلاً بالضباب تحت قدميهِ بين ان انوار الشمس تسطع حواليهِ. وفي ذلك دليل على برودة الهواء في ارتفاع قريب من بيروت. وقد يشعر الانسان بتلك البرودة شعورًا ظاهرًا اذا كان صاعدًا نحو بيت مري فوقف عند كوع من اكواع الطريق الملتفّ حول الآكمات فيحسّ بنسيم لطيف بارد ينعش قواهُ بعد خمولها بسبب حرّ المدينة

امَّا معدَّل كميَّة المطر لخمس وعشرين سنة فقد قوَّمها البشير من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٧ ثمَّ المشرق الى السنة الجارية فهي ٨٩٤ مليمترًا بمقياس المطر. واعلى درجة بلغها كانت مترًا و٣٠٦ مليمترات في سنة ١٨٧٧ ومترًا و ٢٧٠ م في سنة ١٨٨٣ ومترًا و٥٣ م في سنة ١٨٩٠. امَّا ادنى الدرجات فكانت ٥٨٣ مليمترًا لسنة ١٨٨٩. واليك معدَّل قياس المطر لكل شهر على حدةٍ مرتبًا بحسب الزيادة:

الشهر	مليمتر	الشهر	مليمتر
كانون الاوَّل	١٨٦,٧	تشرين الاول	٣٧
كانون الثاني	١٨١,٩	ايار	١٤,٣
شباط	١٥٩,٩	ايلول	١٢,٧
تشرين الثاني	١٤٨,٦	حزيران	٤,٣
آذار	٨٩,٧	تموز وآب	٠,٥
نيسان	٥٥,١		

وربَّ واقف على مقدار المطر السنوي في بيروت يظن انَّ الغمام كثيرٌ في سمائها والمطر متواصل الانهمال فيها انَّما الامر ليس كذلك فانَّ هذه الكمّيات الغزيرة تتوزَّع على أيام قلائل لا يتجاوز معدَّلها ثمانية واربعين يومًا في السنة فيتَّضح من ذلك ان الغمام فيها قليل وجوَّها صافٍ زاهٍ في قسم كبير من السنة حتى في ايام الشتاء. ولا حاجة للقول انَّ هذا الصفاء يكون معظم جلائهِ في الصيف

وممَّا يجدر بالذكر انَّ الحرارة وصفاء الجوّ وتواتر الارياح الغربية تسير بالتقارن فتراها تتصاعد شيئًا فشيئًا من كانون الثاني حتى تبلغ معظمها في تموز ثم تعود الى الهبوط تدريجًا حتى تبلغ قلّتها في كانون الاول. واذا قسمنا أيام السنة حسب حالاتها الجويَّة وجدنا ان ايام المطر يكون معدَّلها ٤٨ يومًا والأيام الظليلة بالغمام ١١٩ والأيام

الصافيـة ١٩٦ وهو تقسيم بديعٌ في جنب الصحة العامَّة والخاصَّة فتكون الطبيعة اذ ذاك قد جادت بكل ما يلزم لهذه الغاية ولم تُبقِ للانسان الَّا استخدام ما هيَّأت لهُ من الاسباب وجعلت بين يديهِ من المعدَّات لان اقتسام العناصر كما ذُكر يبيّن جليًّا كم نالت بيروت نصيبها من الشمس والنور واعتدال الفصول وانتظامها الخ

ثقل الهواء والرطوبة

ان ثقل الهواء في بيروت يستمرُّ في حالة واحدة فيقف عند الدرجة ٧٦٠ وعلى الخصوص في شهور الصيف ولا يتغيَّر تغيُّرًا بيّنًا الَّا اذا هبَّت السموم فيتنـازل حتى الدرجة ٨٤٥ ومثلهُ ميزان الرطوبة كما سبق القول فان هذه الريح الحارة تحدث فيهِ تغييرًا فينزل الى الدرجة ٣٥ْ بعد اذ كان يتهادى بين الدرجة ٦٠ و ٦٥ في الحالة العاديَّة وقد يدلُّ على ذلك الجفـاف تشقيقُ الاثاث الخشبيّة يوم تهب السَّموم كما لاحظهُ سكَّان بيروت من مدَّة وجيزة لمَّا نفحت علينا تلك الريح الحرور . وهذه الرطوبة لا شك شديدة لذلك ترى المصابـين بالامراض الصدريَّة كالربو والامفيزيما وزكام الشُّعب المزمن لا يوافقهم هواء بيروت بل يزيد غالبًا في حالتهم امَّا الارجاء الواقعـة وراء سلسلة لبنان في سهل البقاع والتي ما وراء جبل الشيخ من جهة دمشق الشام فهي في غاية الموافقة لهم

والآن اذ استوفينا الكلام على ما تستوجب معرفتـهُ من آثار بيروت الجوّيَّة في جنب موضوعنا لنطبق عليهِ قوانين الهيجين وندرب معيشتنا بمقتضى سنن الصحَّة صار لا بدَّ لنا من الاسهاب في وصف المسكن فنبيّن محاسنهُ ونشير الى خللهِ ومعايبهِ ووجوه اصلاحها (ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

بلاد البترون

من تتبَّع الآثار اليونانيَّة او الرومانيَّة في بلاد البترون لا يجد منهـا ما يجدهُ في مقاطعتَيْ كسروان وجبيل . وسبب ذلك ان موقع البترون في سفح جبال شاهقـة ابى الاقدمون ان يتخذوها كسكنى لهم اللهمَّ الَّا قليل منهم حتى ظهرت الأمَّة المارونية

فاستعمرت تلك الجهات وجعلتها كمركز انتشرت منهُ الى البلاد المجاورة. والدلائل التاريخيَّة المثبتة بذلك كثيرة نشير اليها في مطاوي كلامنا ان شاء الله

ولقلة الآثار القديمة في البترون ونواحيها علَّةٌ اخرى وهو بُعدها عن أُمهات المدن كبيروت وصيداء ووقوعها خارجاً عن دائرة امكنة الفينيقيين المقدَّسة كجبيل. ولذلك ترى في جنوبيّ لبنان ووسطهِ من الكتابات والاخربة ما لا تجدهُ في البترون وتوابعها

٢٢ مدينة البترون

البترون احدث عهدًا من جبيل وبيروت وكان الانكليزي كُندر (Conder) زعم أنهُ وُجد اسمها في مراسلات تلّ العمارنة (راجع المشرق ٣: ٧٨٨) الّا انَّ علماء العاديَّات فنّدوا هذا الزعم. وكذلك لو تصفحنا تواريخ الفينيقيين واليونان والرومان لما وجدنا عن البترون الّا النزر القليل الذي لا يُشفى منهُ غليل. وذلك دليل واضح على انها لم تكن ذات شأن خطير

على أننا لا نريد بذلك ان نبخس البترون حقَّها فانَّ هذه البلدة لا تخلو من البقايا والاطلال القديمة لولا انَّ الابنية الحديثة التي تعلوها اليوم لا تسمح بتقدير هذه الاخربة وتعريف تاريخها. ولنا ايضاً شاهد آخر على مقام البترون سابقاً وهي المسكوكات والنقود التي ضربها اهلها ايَّام استقلالها فترى لها تأريخاً خاصّاً بها كبقيَّة مدن الساحل. وقد بيَّن ذلك الدكتور جول روفيه في مقالتهِ عن تاريخ مسكوكات البترون (راجع المشرق ٢: ٤٧٦)

والشائع عن اصل هذه المدينة انَّ بانيها ايتوبعل ملك صور في القرن العاشر قبل المسيح كذا روى المؤرخ اليوناني ميناندر وصادق عليهِ يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير

ومن آثار الفينيقيين في هذه البلدة سورٌ متين نحتوهُ في الصخر الاصمّ من جهة البحر وقد بقي منهُ بقايا الى يومنا مع اعمال أُخرى تنطبق على ما نعرف من حذاقتهم في قطع الحجارة. ومنها ايضاً بعض قبور ونواويس قديمة كما ترى في غيرها من المدن الساحليَّة

ولا غرو انَّ الرومان بعد فتح سوريَّة شيَّدوا في البترون الابنية وجعلوها من القلاع الحريزة وازهرت في ايَّامهم الى ان خربت في زلزال سنة ٥٥٠ م

وقد بقي من عهد الرومان نقوش وقطع كتابات رأى منها رينان طرفاً كما اثبت ذلك في بعثة فينيقية (ص ٢٤٩) يقول انهُ وجدها في انقاض حصنها وقد بحثنا عنها فلم نشاهدها

امّا الحصن المذكور فقد شيّدهُ اصحابهُ في القرون المتوسّطة واتخذوا لبنائهِ ما عثروا عليهِ من الابنية السابقة. وقد ذكر العرب هذا الحصن منهم ياقوت الحموي في معجم البلدان (١: ٤٩٣) قال: «بَتْرون (١ بالتحريك والراء حصنٌ بين جُبيل وأنفة على ساحل بحر الشام». وقال الادريسيُّ (طبعة غلدميستر ص ١٧): «ومن مدينة جبيل على البحر الى حصن بترون عشرة اميال وهو حصن حسن»

وعلى مقربة من البترون في المكان المسمى مراح الشيخ ملعبٌ قديم من بناء الرومانيين لهُ مقاعد على شكل درج مستدير منحوتة في الصخر وكلُّ ذلك ظاهر حتى يومنا. وحول هذا الملعب قطعٌ من الرخام وحجارة منقوشة تراها مبثوثة في الارض يتخذها الاهلون للتكليس

وان سرتَ من البترون ليس بعيدًا عنها الى شمالي نهر الجوز ترى كنيسة قديمة تُدعى كنيسة مار يعقوب بُنيت بأنقاض هيكل قديم. وعلى بعض حجارتها كتابةٌ يونانيَّة طُمس اكثرها فلم يبقَ منها الّا حروف قليلة (٢

وعلى مسافة بضعة امتار من هذه الكنيسة من جهة الشمال الغربي كنيسة اخرى منتصبة فوق اكمة تعرف باسم «سان سابور» وهي لا تزال على حال مرضية تجد في بنائها ما يذكّر بطريقة الصليبيين في الهندسة. ولهذه الكنيسة عيدٌ يقيمهُ اهل البترون في اليوم ٦ من آب وهو يوم عيد التجلي. وعلى رأينا ان اسمها مصحَّف عن كلمتين افرنسيَّتين معناهما الطور المقدَّس (Saint-Thabor). امّا سبب اطلاق هذا الاسم على الكنيسة المذكورة فهو لانها كانت لاحقة بالدير الذي شيَّدهُ الصليبيون على جبل الطور. وكان لهذا الدير اوقاف عديدة واملاك واسعة منها في الكورة وقرب طرابلس (٣. نعم انَّ هذا المحلّ لم يُذكر في قائمة هذه الاملاك بيد ان اسم الكنيسة الاعجمي وشكل هندستها ووقوع عيدها في يوم التجلي كلُّ ذلك يؤيد رأينا. ومهما

١) كذا ضبطها ياقوت والادريسي. وفي تواريخ الصليبين «Le Bethoron» اما اليونان فكانوا يسمُّونها بُتريس (Botrys) وكان يُقيم فيها اسقف (راجع الشرق المسيحي للوكيان)

٢) راجع بثة فينيقية (ص ١٤٨)

٣) راجع المجلَّة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, X, 235)

كان من امر هذه الكنيسة لا شكَّ في انَّها تستحقّ الذكر لأَنَّها مثال حسن عن طريقة اهل لبنان في الهندسة الكنسيَّة

٢٣ سَمَر جُبيل

هي من اقدم قرى بلاد لبنان واعظمها شأْنًا من حيث آثارها موقعها شمالي جبيل وكانت في القرون المتوسّطة احد مراكز الملة المارونيَّة استوطنوها فتحصَّنوا فيها لردّ هجمات اعدائهم وفيها كنائس عتيقة ذكرناها سابقًا . الكبرى منها مشيَّدة على اسم القديس نهرا وهي حسنة البنيان يصلي فيها القوم حتى يومنا . وعلى جدارها الخارجي كتابة سريانيَّة ذهب الدهر بقسمٍ منها مُفادها انَّ كاهنًا قُبر هناك . امَّا اسم الدفين وتاريخ وفاتهِ فقد طُمسا . وكان رينان نقل هذه الكتابة سنة ١٨٦٠ (ص ٢٤) وقد اخذنا مؤَخرًا رسمها الشمسي فلم نكد نجد منها الَّا الفاظًا قليلة . ولسمر جُبيل كنيسة اخرى قديمة لم يبقَ منها غير ردمها

واول ما يستدعي اليهِ نظرَ الداخل في سمر جبيل قصرُها المبني فوق اكمةٍ . وجدران هذا البناء الجليل المائلة ترتقي الى الاجيال المتوسّطة فقط لكنَّ اركانهُ السفلى واساس بروجهِ وخنادقهُ المنحوتة في الصخر تدلُّ على قدم عهده وعظم اثرهِ وترى لمدخلهِ عتبةً ذات درجتين منقورة في الصخر . ولا يبعد ان الفينيقيين قاموا بهذه الاعمال فانَّهم كانوا مولعين بنحت الصخور كانَّ عزمهم اشدُّ صلابةً منها . وكانوا مع ذلك يجعلون الصخر كمقلع يتخذون منهُ حجارة ابنيتهم كالقلاع وغيرها . وفي داخل هذا القصر وعلى مقربة منهُ آبار وصهاريج عجيبة الصنع محكمة التجهيز بعيدة الغور كلها في الصخر الاصم لا نظنُّ انَّ الرومان مع جلدهم واعمالهم الجبريَّة تولّوا نقرها بانفسهم

وممَّا يرتقي ايضًا في هذا القصر الى عهد قديم النقوش التي يراها الزائر عند جهتهِ الشماليَّة في اسفل الصخر الذي أُقيم فوقهُ البناء . غير انَّ هذه النقوش دائرة يصعب تعيين زمنها ورسم صورتها

وفي سمر جُبيل آثار أُخرى من العاديَّات منها المدافن الواقعة في شرقي القصر . وقد كُتب باليونانيَّة فوق بعض قبورها انَّ امرأَةً عمرها ١١٠ سنوات دُفنت مع ابنها في قبر واحد وتاريخ هذه الكتابة في القرن الثالث للمسيح وهو حسن الرسم لا إشكال في قراءَتهِ . وفيهِ دليل على سنّ طاعنة قلَّ ما يبلغها الشيوخ المعمرون . امَّا البالغون سن

الثانين الى التسعين فعددهم ليس بقليل في لبنان تشهد على ذلك الكتابات منها كتابة لاتينيَّة محفوظة في كنيسة بيت خشبو يُستفاد منها انَّ بعض الشيوخ توفي ولهُ من العمر ٨٧ سنة (راجع ايضاً بعثة فينيقية ص ٣٨٥ و ٣٨٦)

فهذه الآثار التي وصفناها تنبئ بقدم سمر جبيل وخطورتها لكنَّنا لا نعرف شيئاً من تاريخها السابق ولعلَّها احدى القلاع التي خربها بُمبيوس عند فتحهِ بلاد الشام (المشرق ٢ : ٥٠٧) والله اعلم. وممَّا اثبتهُ الدويهي في تاريخهِ (ص ٢٠٢) ما حرفهُ : « وفي سنة ١٦٣٠ في الخامس والعشرين من تشرين الثاني نهار الاحد حدثت زلزلة مريعة. وفي الساعة الثالثة من الليل حلَّت في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الاوسط من جوانبهِ الاربعة وخرَّبت جميع ما كان في القبو التحتاني المركَّب على البئر »

هذا وفي بلاد البترون عدَّة امكنة تستحقّ الذكر لآثارها فانَّ الباحث يجد فيها من النواويس والنقوش ونحيت الحجارة ما هو دليل على اصلها القديم أخصُّها كفرحتنا ومسرح وشبطين وكفر شليان التي تكرَّر ذكرها غير مرَّة في اثناء مقالتنا عن كنائس لبنان والحقّ يقال انَّ العَمَلة الاقدمين قد احسنوا في هذه القرية نقر صخورها. من ذلك ثلاث حُجر نقروها في الصخر على احسن هندام وآثار آلات النحت فيها مع قدمها بيّنة كأنَّها نُقرت منذ زمن حديث

وممَّا عاينَّا في مسرح نقوش محفورة في الصخر اكثرها دارس مطموس بقي منها صورة ثور وبقرة مسنَّمة وموقع هذه النقوش فوق اقبية عتيقة. وقد شاهدنا ايضاً تمثال شخص يُرجَّح كونهُ امرأة وهي لابسة ثوباً رافلاً وفي يدها اليسرى رمَّانة وعنقود عنب

(ستأتي البقيَّة)

الطبّ في عهد الخلفاء وكتاب الفصول للرازي

نبذة للاب موريس كولنجت اليسوعيّ قرأها في مؤتمر مكتبتنا الطبي

انَّ في مكتبتنا الشرقيَّة عدَّة تآليف طبيَّة وضعها العرب نصفها ان شاء الله قريباً في مجلة المشرق وانَّما اخترتُ بينها كتاباً رأيتهُ احقّ بالذكر من سواهُ لأعرضهُ على مؤتمركم السنوي علَّهُ يوقفكم على شيء من احوال العرب الطبيَّة في ايَّام عزّهم. واسم

الكتاب المذكور «كتاب الفصول» لبقراط زمانهِ الحكيم النطاسيّ ابي بكر محمد ابن زكريّا الرازي احد ائمّة الاطبّاء في خلافة العبّاسيين

ولمعرفة فضل هذا الكتاب فليسمح لي الحضور بان اورد لهم لمحةً من تاريخ الطبّ في عهد الخلافة العبّاسيّة. لمّا ابتنى ابو جعفر المنصور مدينة بغداد بلغهُ ذكر جنديسابور احدى مدن العجَم وما لاطبّائها من الشهرة . وكان في تلك المدينة مدرسةٌ طبيّة وبيمارستان يدبّرهما النصارى وكان المتولي عليهما جيورجيوس بن جبريل بن بختيشوع. فانفذ المنصور اليهِ من يحضرهُ فحضر سنة ١٤٨ هـ (٧٧٥ م) بعد ان اوصى بامر البيمارستان ابنهُ بختيشوع. وكان الخليفة مصاباً بمرض وفسدت معدتهُ فعالجهُ جيورجيوس وتلطّف في تدبيرهِ الى ان رجع الى مزاجهِ الاوّل. فسرّ بهِ المنصور واراد ان يبقيهُ في بغداد فلم يزل جيوجيوس يلحّ عليهِ حتى أذن لهُ بالانصراف الى بلدهِ

لكن اطبّاء جنديسابور عظموا مذ ذاك الحين في اعين الخليفة واستصحب المنصور عيسى بن شهلاثا تلميذ جيورجيوس. ثمَّ قدم بغداد غيرهُ من الاطبّاء اشهرهم بختيشوع ابن جيورجيوس وجبرائيل ابنهُ خدما هارون الرشيد وحظيا عندهُ. واشتهر ايضاً في ذلك الوقت في بغداد ماسويه الصيدلاني وابنهُ يوحنّا. وفي ايّام يوحنّا بن ماسويه أنشئ في مدينة السلام اوّل مستشفىً وكلَ الخليفة امرهُ اليهِ فقام بتدبيرهِ احسن قيام

فلمّا رأى الخلفاء وكبار الدولة ما نجم عن هذا المستشفى من المنافع اخذوا يتنافسون في انشاء غيرهِ فكثرت المارستانات واتّسعت اعمالها وتوفّرت اوقافها وكثر الاطبّاء حتى انّهُ كان لاحدها عشرون طبيباً. ثمَّ بلغ خبرها الى انحاء المملكة فجعل العمّال والاعيان ينشئون مثل هذه المقامات في حواضر المدن كمصر ودمشق وانطاكية والقدس الشريف. ولا نكير انَّ هذه المستشفيات لم يكن ثباتها واتساع نطاقها دون مدارس يتلقّى فيها الطلبة مبادئ الطب ويتعلّمون اسباب العلاج وطرائق التمريض. وقد برز من هؤلاء الاطبّاء قومٌ اشتهروا بتآليفهم ومعارفهم الجمّة. وكان لبعضهم من التلامذة عدد غفير يتقاطرون اليهم ويأخذون عنهم ويصحبونهم في عيادتهم للمرضى. ومن طالع ما كتبهُ عن احوال الاطبّاء وتواريخهم ابنُ القفطي وابن جلجل وابن ابي اصيبعة في كتاب طبقات الاطبّاء وابن العبري في تاريخ مختصر الدول لأخذهُ العجب عن ترقّي فنّ الطب في ايّام الخلفاء وكثرة المؤلفات التى وُضعت في هذا العلم

ولمَّا كثر عدد الاطباء تخوَّف اصحاب الامر من ان يتخذ بعض المشعوذين هـذه الحرفة لمجرَّد الارتزاق دون ان يتقنوا مبادئ هذا الفنّ الجليل فتقدّم الخليفة القاهر الى طبيبهِ النطاسي سنان بن ثابت بأن يمتحن المتطبّبين ويمنع من التصرُّف كلَّ من لم يجدهُ كفوءًا لذلك ويطلق الى كلّ واحد منهم ما يصلح لهُ . قيل ان عدد هؤلاء المتطبّبين الذين كانوا في جانبي بغداد بلغ ٣٦٠ رجلًا سوى من استغنى عن هذا الفحص لشهرتهِ ومن كانوا في خدمة السلطان . وصارت مذ ذاك الحين محنة الاطبَّاء شـاهدًا على اقتدارهم وضمينًا على حسن تصرُّفهم كما تُطلب اليوم شهادة الطبيب قبـل ان يرخَّص لهُ بممارسة فنّهِ وهي الضامنة لنفوس العباد

ولو دخلنا احد هذه المستشفيات المدعوّة يومئذٍ « مارستانات(١) » لوجدنا انَّ العرب سبقونا الى اشياء عديدة من حيث تقسيم العاهات ومعالجاتهـا فكانوا افرزوا حُجَرًا لاصحاب الحمّيات ومحلّات للمصابين بادواء العين ومقامات للممترين بالجنون او للاعمال الجراحيَّة . وكان مديرو بعض هذه المستشفيات يجمعون في الليل من اصابهم الأَرَق ولم يكحل النوم اجفانهم ليخفّفوا عنهم مُضض السهاد اما باصوات المغنين واما بحكايات القصَّاصين . وكان لكل مستشفىً سجلّات يدوّنون فيها احوال المريض وانواب المرض عليهِ وقد بلغ الينا بعض هذه الارصاد في تآليف الاقدمين

امَّا طريقتهم في التعليم فكانت غاية في السذاجة فكان لكلّ معلم فنّ خاصّ بهِ يفكّ اسرارهُ لتلامذتهِ . وربَّما اتّخذ لتدريسهِ بعض الكتب الشهيرة من اليونان او ائمَّة الطب فيفسّرها لهم . وكان لكلّ مستشفى خزانة كُتب تتضمَّن تآليف مشاهير الاطباء وتعريب افضل ما وضعهُ اليونان كبقراط وجالينوس وديوسقريدس وكانوا يؤثرون مصنَّفات اليونان في الطب كما اقتصُّوا آثارهم في علم الهيئة والموسيقى والفلسفة . ولذلك تراهم يستشهدون بهم في مقالاتهم الطبيَّة ويجلُّونهم ايّ إجلال . وممَّا يُخبر عن جبرئيل ابن بختيشوع انهُ كان يسير مع الرشيد في بعض غزواتهِ حتى اذا وصـل الى بلاد الروم ليس بعيدًا عن قبر جالينوس استأذن الخليفة ليزور استاذهُ ويكرّم ضريحهُ . فاجاب الخليفة الى سؤالهِ وارسل معهُ الف فارس ليرافقوهُ

بيد انَّ العرب لم يقتصروا عن مراجعـة كتب اليونان بل أعملوا النظر ايضًا في

١) المارستان كلمة فارسيَّة معناها محلّ المرضى . ويقال بيمارستان

تصانيف السريان والعجم والهند. وان تصفّحنا ما نجا من ايدي الضياع الى يومنا رأينا المكاتب الكبرى في الاستانة العليّة وباريس ولندرة وڤينّة ومجريط وليدن ومصر حافلةً بالكتب الطبية. وفي مكتبتنا الشرقيّة كما سبق عدّة كتب طبّيّة نكتفي اليوم بذكر « فصول الرازي » منها

الرازي نسبةً الى مدينة الريّ من اعمال العجم اسمٌ عُرف بهِ كثيرون من مشاهير العرب الّا انّ اعظمهم شأنًا صاحب الكتاب الذي نحن بصددهِ واسمهُ ابو بكر محمّد ابن زكريّا وُلد في أواسط القرن التاسع للميلاد قال ابن العبري في حقهِ (ص ٢٧٤): «كان الرازيُّ في ابتداء امرهِ يضرب بالعود ثمَّ اقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيرًا والّف كتبًا كثيرة اكثرها في صناعة الطب وسائرها في المعارف الطبيعيّة ودبّر بيمارستان الريّ ثمَّ بيمارستان بغداد زمانًا. وكانت وفاتهُ سنة ٣٢٠ هجريّة (٩٣٢ م). وتآليف الرازيّ لا تكاد تُحصى منها في فنّ الموسيقى والرياضيات والطبيعيّات والكيميا لكنّهُ في الطبّ اشهر منهُ في غيرهِ. فلهُ تآليف عديدة في الجراحة وتدبير الصحّة والادوية وتشخيص الامراض والعلل الداخلية ورسالتان في الحصبة والجدري نُشرتا بالطبع ولهُ كتاب في المارستانات وتدبيرها. قال ابو الفرج عنهُ: « انهُ لم يكن يفارق النَسْخ امّا يسوّد وامّا يبيّض »

وكتاب الفصول هذا يدعى ايضًا المرشد ذكرهُ ابن ابي أُصيبعة في طبقات الاطباء. ونسختنا قديمة كُتبت سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة (١٢٨٢م) بخط نسخي غليظ حسن وفصولهُ بالحرف الاحمر طولهُ ٢١ سنتيمترًا في عرض ١٤ س لهُ جلد قديم منقوش يحتوي على ١٧٨ صفحة وفي كل صفحة ١٣ سطرًا. ونسخ هذا الكتاب نادرة جدًّا لم نجدْ لهُ ذكرًا في خزائن كتب اوربّة وقد وهم بروكلمان (Brockelmann p. 234) بقولهِ انَّ في لَيدن نسخة منهُ. وممّا يدل على اعتبار الاقدمين لهذا الكتاب بيتان قرّظهُ بهما احد مالكي نسختنا يُدعى سقرطون (؟) احمد قال:

لله درّك من طبيبٍ حاذقٍ آدابهُ في طبهِ ترضيني
اهدى الشفاء الى المسامع عندما قرأ الفصول عليَّ بالقانونِ

وكانت غاية الرازي بتأليف هذا الكتاب ما قالهُ في مقدّمتهِ ان يجعلهُ « مدخلًا الى صناعة الطب وطريقًا للمتعلّمين » ودعاهُ بالفصول معارضةً لفصول أبقراط وكان

وجد في فصول إمام الطب من « الاختلاط وعدم النظام والغموض » ما حداهُ الى وضع هذا الكتاب « فتحرَّى في ذلك للايضاح والتمثيل وترك الاغراق والوغول في الغوامض ممَّا يقع فيهِ الخلاف ويحتاج الى البحث والنظر »

ويلي المقدَّمة عدَّة فصول مرجعها الى ثلاثة اقسام يبيّن في الاول تركيب الانسان وصحَّتهُ وفي الثاني ما يطرأ على مزاجه من الامراض مع تعريف هذه الامراض وتشخيصها وفي القسم الاخير يذكر الادوية لعلاجها وفي اثناء الفصول كلها وصايا عديدة لتدبير الصحَّة

فلنختصر ما يقولهُ الرازي عن كلّ قسم من هذه الاقسام ليطَّلع القراء على تعليم قدماء الاطبَّاء وطرائقهم العلاجيَّة

١ في تركيب الانسان وصحَّتهِ

يقول الرازي (ص ٥ —١٧) انَّ « الانسان مركَّب من ثلثة اجناس وهي ارواح وجوامد وسوائل . فالارواح هي الابخرة التي فيـهِ . والسوائل هي اخلاطهُ الاربعة اي الدم والصفراء والبلغم والسوداء . والجوامد كالعظم والغضروف واللحم ونحوها — انَّ صحَّة البدن تقوم باعتدال الاخلاط وحسن المزاج ولا بُدَّ لذلك من امور كثيرة يعدّدها الرازي ويصفها اخصها الهواء والماء والغذاء

ثمَّ يصف الرازي انواع الاهوية (ص١٧— ١٥) كالهواء اليابس والرطب والحارّ والبارد مع اختلاف مهبّ الرياح ويذكر ما في كلّ منها من الخواصّ الموافقة للجسم او المنافية لصحتهِ . وكذا يفعل بوصف المياه وحالاتها كالثلج والجليد وانواعها من حارّ وبارد وعذب وحلو (ص٢٥—٢٨) . ثمَّ ينتقل الى تعريف الاغذية وضروبها ما يصلح منها لاعتدال البدن واستعمالها على طريقة الصواب . والغاية من هذه الاغذية ان تصون الحركة الدمويَّة والحرارة الطبيعيَّة . والقلب يتروَّح بانبساطهِ بان يجـذب هواء باردًا الى الرئة ويخرجهُ عنـهُ اذا سخن بانقباضهِ (ص ٩٦) . ويكون الهضم باستحالة الاغذية الى دم ومادَّة موافقة لبقاء البدن ونموّهِ لأنَّ « الغذاء اذا ورد المعـدة احتوت عليهِ وطبختهُ حتى يصير فيها شيئاً بمنزلة ماء الشعير الثخين الذي تسمّيهِ الاطباء الكيلوس ثمَّ انهُ يصير من هناك الى الامعاء فتمتصّ منهُ كامتصاص عروق الشجر موادّها من الارض ثم يحصل ذلك الكيلوس في العروق التي في لحم الكبد فيستحيل هناك دماً ويتولَّد فيهِ عند

الطبخ والاستحالة رغوة وهو المرار الاصفر وثفل وهو المرار الاسود. ثمّ انَّ المرار يجذب هذه الرغوة والطحال يجذب ذلك الدردي والكليتان تجذبان ما فضل فيه من الماء الرقيق فيبقى الدم نقيًّا وتندفع الفضلات من النوافذ

٢ً في الامراض وتشخيصها

الامراض هي الامور التي تُحدث بُطلان فعل الاعضاء او نقصانها او الوجع فيها لتغيُّر حدث لهُ. والوجع لا يكون الّا من تغيير الشكل والمزاج. وسوء المزاج علّتهُ تغلُّب احد الاخلاط الاربعة (ص٨١—٨٦). وان اعتبرنا الحمّيات (ص١١٤—١٢٤) « فعلّتها حرارة في القلب والدم. وهي امّا عرَض وهي المتولدة عن وجع اهاجها كالاورام والصداع وامّا مَرَض وهي المبتدئة من غير عَرَض اهاجها. والحمّيات التي هي أمراض ثلثة اجناس: حمى يوم. وحمى عفن. وحمى دقّ. فحمّى يوم تحصل من تسخين الارواح والاعياء والسهر والغمّ الخ. وحمّى العفن. ناتجة عن فساد الدم او عفونة الصفراء او البلغم. امّا حمّى الدقّ فهي التي تنحّف الاعضاء. وتكون امّا مبتدئة فلم تبلغ الى تنحيف الاعضاء. وامّا محتقنة وهي التي تحلّل رطوبات الاعضاء. وامّا ذبوليّة وهي التي تُفني اكثر رطوبات الاعضاء مع انطفاء الحرارة الغريزيّة»

ويكون تشخيص الامراض اي الاستدلال عليها (ص ٨٧ — ١٠٥) امّا بعلامات ظاهرة كاللون والضعف وفحص البول وامّا بجسّ النبض. مثال ذلك (ص٥٩) انَّ علامات زيادة البلغم البردُ في اللمس والكثرة في النوم والكسل. وعلامات زيادة المرارة صفرة اللون ومرارة الفم وجفافهُ وسرعة النبض. وعلامات غلبة الدم نفث الدم والاورام والحمّيات

امّا البول فيدلُّ حسنًا على حالة الدم. وينبغي ان يؤْخذ البول بعد انتباه العليل من نومه الاطول قبل ان يشرب شيئًا ويُفحص لونهُ وما يرسب منهُ. اذا كان الراسب ابيض برّاقًا دلَّ على نضج تامّ. واذا كان متعلّقًا ابيض دلّ على نصف نضج. وكلّ رسوب مخالف للّون الابيض فهو رديّ لانهُ يدلّ على فرط النضج الّا انَّ الاسود شرُّها (ص ٩٤)

وكما انّ البول يدلُّ على حال الكبد في حرّه وبرده كذلك النبض يدلّ على حال القلب في الحرّ والبرد من التهابهِ واعتدالهِ لانَّ الشرايين انّما تنبثُّ من تجويف القلب

الايسر ومنهُ تجري هذه القوَّة النابضة (ص ٩٦) فاذا كان سريعاً دلَّ على حرارة الدم الَّا بعد الطعام او الرياضة القويَّة . وان كان بطيئاً دلَّ على برودة الدم الَّا بعد الاستحمام

ولتشخيص الامراض دلائل عديدة مثال ذلك ان المحموم اذا اصابهُ في اليوم السابع قلق وتثُّوب وتقدَّمَ في اليوم الرابع رسوبٌ ابيض في بولهِ فلا بأس عليهِ . امَّا اذا تقدَّم في هذا اليوم بول اسود وساءت حال العليل خفتَ ان يتم ذلك السوء في اليوم السادس او اليوم الثامن (ص١٠٦)

ومن أعراض المرض البُحران وهو تغيير يحصل في حالة المريض وهو يكثر في اليوم السابع او الرابع عشر والعشرين . ويعتدل كونهُ في الخامس والتاسع والحادي عشر ولا يكاد يكون في سائر الأيام الَّا في السادس والثامن واذا كان فيهما كان رديئاً في اكثر الامر . والبحرانات تختلف مع اختلاف موضع القمر من الشمس (ص ١٠٧ — ١١٠)

٣ في الادوية وتدبير الصحَّة

انَّ للرازي فصولًا عديدة في تدبير الصحة . وقبل كل شيء يوصي بتدبير الطعام والشراب ويشير بالعدول عن المسكرات لاسيَّما « الحلوة التي تنشُّ وتغلي حتى تنفش عنها الابخرة » لكنَّ للشراب منافع في حفظ الصحَّة اذا اصاب الانسان موضعهُ ووقتهُ أعان على الهضم وأخصب الجسم وأدرَّ الفضول . واذا استُعمل بافراط اورث عِللًا كالرعشة والفالج والسكتة والخوانق والموت فجأةً والامراض الحارَّة واوجاع المفاصل (ص ٧١ — ٧٥)

الحمَّام يذهب مذهب الرياضة لانهُ يُعرّق الجسم ويوسّع المسامّ ويلين اللحم ويبسط الاعضاء المتشنِّجة وينضج الزكام والنزلات . الَّا انَّ للحمام مضارّ للبعض خصوصاً اصحاب الحميات والمصابين بداء القلب (ص ٣٧ — ٤١)

الحركة تسمِّن البدن وتجفّفهُ . ووقت استعمالها بعد الهضم التام وهي قبل الغذاء خير عظيم وبعدهُ شرٌّ عظيم . وينبغي ان يرتاض كل انسان بقدر احتمالهِ وقوّتهِ (ص٣٣) . ولا بدّ ان يكون الهواء دائماً في غاية الموافقة وينتفع اصحاب قرحة الرئة بالهواء البارد اليابس والمحمومون بالهواء البارد الرطب (ص ١٤٧) . ومن حسن قول الرازي هنا :

ألزم العليل في الامراض الحارَّة التبريدَ والترطيب ما امكن ودَعْ هذيان الاطبّاء وتصلّفهم بما ليس عندهم منهُ علم صحيح » (ص١٤٧—١٤٨)

واذا حلّ المرض فعلاجهُ التبديل والاستفراغ وتبديل المزاج. واعلم انَّ الطبيعة تجاهد العلل وتصارعها وتروم احالتها فمتى كانت قويَّة بالغة لم تحتج الى الطبيب ولذلك تسلم الامم القليلة الاستعمال للطب كالأكراد والاعراب ونحوهم من امراض كثيرة. لكن الاجود في هذه الحال ان يعينها الطبيب لتكون غَلَبتها العلل اسرع واقوى (ص١٤٠)

وممَّا يجب على الطبيب ان يُعنى بهِ كل العناية أن لا يُسقط قوَّة العليل بتغذيته واراحتهِ وسرورهِ والميل مع شهواتهِ التي تزيد في قوَّتهِ والمنع من الامور التي تغمُّهُ فأنها تنقص قوَّتهُ ويجب ان يُقبل في بعض الامراض اولاً على قطع سبب العلَّة وفي بعضها على تقوية القوَّة (ص ١٢٦)

امَّا الادوية لتفريغ الاخلاط الرديئة فهي اولاً الفصد امَّا في الكتف وامَّا في عرق الباسيليق او في الصافن او عرق النسا على حسب الامراض. وثانياً المسهلات لامراض الاعضاء العليا. ثالثاً المقيئات للاعضاء السفلى. وللرازي قائمة مطوَّلة ذكر فيها النباتات التي تصلح للمسهلات والقيء كالسقمونيا وغيرها. رابعاً المدرَّات لعلل الاعصاب والظهر والامراض الرطبة. خامساً المعرّقات

ثم يُعدّد الرازيّ ما يصلح لتنقية كلّ عضو كالاذن والعين والأنف (ص ١٢٩—١٤٠) وفي هذه الاقسام الفاظ كثيرة تعرف اصطلاحات الاقدمين يُستدلُّ على معناها بمفردات ابن البيطار

هذه خلاصة ما ورد في كتاب الفصول للرازي(١ مع وصايا عديدة حسنة لتدبير الصحَّة. ومن امعن النظر في هذا الكتاب وجد انَّ قدماء العرب مع تقصيرهم في امور كثيرة لم يدركوها او نقلوها على علَّاتها عن اليونان لم يخلوا من الدراية ودقَّة النظر في الطب وأنواع العلاج فيستحقون شكرنا لأنهم نهجوا لخلفائهم سُبُلاً اتَّبعوها بعدهم فبلغوا الطب مقاماً شريفاً. وانَّما الفضل للمتقدمٍ

١) اعلم انَّ جيرارد دي كريمونا الشهير نقل في القرن الثاني عشر الى اللاتينية كتباً عديداً للرازي من جملتها كتابان احدهما دعاهُ (liber divisionum) ونظنّهُ كتاب تقسيم الامراض والاخر (Aphorismorum libri sex) لا ندري أهو كتاب الفصول ام غيرهُ. والأرجح انهُ ليس هو

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

معنى لفظة «الصابئة» وما جاء من بعض مترادفاتها

ان سألنا العربَ ما معنى الصابئة. قالوا كلهم كلاماً مختلفاً في المبنى. موءتلفاً في المعنى واكثروا من التفاسير والتأويل. وفي كلّ ما نصُّوا عليهِ ليس ما يروي الغليل. او يشفي العليل. قال ابن القيّم العلاّمة في كتابهِ اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ما حرفهُ: «واصل دين هوءلاء (اي الصابئة) فيما زعموا انهم يأخذون محاسن ديانات العالم (ويقابلهُ بالفرنسيَّة بهذا المعنى éclectiques) ويُخرجون من قبيح ما هم عليهِ قولاً وعملاً. ولهذا سُمُّوا «صابئة» اي خارجين. فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيلهِ الّا ما رأوهُ فيهِ من الحقّ. وكانت كفّار قريش تسمّي النبي (صلعم): (صابئاً) والصحابة: «الصبأة». يُقال: صبأ الرجلُ بالهمز اذا خرج من شيء الى شيء. وصبا يَصبو (كدعا يدعو) اذا مال. ومنهُ قولهُ: «وإلّا تصرفْ عني كيدَهنَّ أصبُ اليهنَّ» اي أمِلْ. والمهموز والمعتلّ يشتركان. فالمهموز: ميل عن الشيء. والمعتلّ: ميلٌ اليهِ. واسم الفاعل من المهموز: «صابئٌ» بوزن قارئٌ. ومن المعتلّ: «صابٍ» بوزن قاضٍ. وجمع الاول: «صابئون» كقارئون. والثاني: «صابون» كقاضون. وقد قُرئَ بهما» اه.

وقال سيف الدين ابو الحسن الآمدي في كتاب ابكار الافكار ما حرفهُ: «والاشبه في تسمية هذه الطائفة «صابئة» لميلهم وانحرافهم عن سَنَن الحقّ في نبوّة الانبياء واتخاذهم آلهةً غير الله تعالى. اخذاً من قول العرب: صبا الرجل: اذا مال وانحرف» اه.

وقال في شفاء الغليل: «صابئٌ» بن لامك. علم اعجميّ وهو اخو نوح. اليهِ تُنسب الصابئة. قالهُ السهيلي». وقال في المصباح: «وصبأ من دين الى دين يَصبأُ مهموز بفتحتين خرج فهو صابئٌ. ثمَّ جُعل هذا اللقب علماً على طائفةٍ من الكفّار يقال انها تعبد الكواكب في الباطن وتُنسب الى النصرانيَّة في الظاهر. وهم الصابئة والصابئون.

ويدَّعون انهم على دين صابئ بن شيت بن آدم (١ و يجوز التخفيف فيقال: « الصابون » وقرأ بهِ نافع اه

هذاهو رأي العرب في اشتقاق لفظة الصابئة . امَّا الافرنج فقد ذهبوا الى غير هذا المذهب . قال نُوبَرِ في مقدَّمة كتاب « المصحف النـاصري » (٢ ما معرَّبهُ وقد نقل الكلام عن صاحب « كتاب لغة الصابئة وديانتهم »: ومن المرجَّح ان كلمة " الصابئة " مشتقَّة على ما قالهُ العرب من صَبَغَ (צבע) اي عمَّد وادخل في الماء » . قلتُ: وهذا الاشتقاق ليس ببعيد فان ما كان بالغين المعجمة في العربيَّة فهو في سائر اللغات الساميَّة بالعين المهملة ولمَّا كانت العين المهملة كثيرًا ما تُبدل من الهمزة وبالعكس كما بيَّناهُ غير مرَّة في المشرق كانت لفظة الصابئة بمعنى الصابغة من المحتمل . لكن يُردّ على هـذا العلَّامة وعلى من حذا حذوهُ واتبع رأيهُ ان لفظة الصابئة قديمـة وسُنَّة الصبغ مقتبسة من النصرانيَّة وهي لم تكن عندهم في الاطوار الثلاثة الاولى وعليهِ فهذا الاشتقاق غير صحيح وبالتالي غير مقبول . والرأي الآخر هو الذي ذكرهُ المقتطف (٢٣: ٨٧) بما حرفهُ: « وذهب نولدكي الى انهـا مشتقة من « صبَّ » الماء اشارة الى اعتمادهم بالماء لانهم يعتمدون كالنصارى » . قلنا: ويُردّ على نولدكي (ان كان هذا هو رأيهُ بالحقيقة) نفس ما رددناهُ على نُوبَر . وقد ذكر المقتطف في نفس تلك الصفحة رأيًا آخر قبل رأي نلدكي . قال: « وذهب جِسِنْيُوس العالم اللغوي الأَلماني ان كلمة صابئين مشتقة من صبأُوث العبرانيَّة اي جند السماء دلالةً على انهم يعبدون الكواكب » اه . وهو رأي مُحتمل لانهُ يُخرَّج على الرأي الآتي وهو :

ان الصابئة عندي مشتقَّة من « صَبَأَ » لفظة قديمـة من عهد أَن كانت اللغات الساميَّة لغةً واحدةً او لغةً مختلطةً ومشتركةً بين عامَّة الساميّين ومُصحَّفة عن « ضَوَأَ » التي قلبها العرب في اصلاحهم للغتهم الى كلمة « ضاء » ولا جرم انَّهُ وُجد زمان قبـل الزمان الذي دُوّنت فيهِ اللغة وقواعدها بقرون كثيرة امور لغويَّة « عربيَّة » تقرّبها من

١) وليس في ايدينا من الكتب تؤيد ان المسمى « صابئ » هو ابن لامك كما قالهُ في شفاء الغليل او ابن شيت كما يقولهُ الفيومي

٢) Matth. Norberg : *Codex Nasaraeus, liber Adami appellatus*. T. I, p. XIV, *nota* 13

سائر اخواتها السامية وهي اليوم قد فُقدت او قد أميتت او قد انقرضت او قد عَفَت آثارها ولم يبقَ منها الّا غيضٌ من فيض او قيضٌ من بيض. ولفظة الصابئة (١ هي من هذا القبيل فمعنى عبادة الصابئة اذن: عبادة الضائية اي الاجرام المضيئة وهي عبادة الكواكب والاجرام السماويَّة. ومثل ضاء: صَبأ. ومثل أضاء: أصبأ. وسائر المعاني العربيَّة المتفرّعة مأخوذة من نشوء الضياء. فتأمَّل

١) ومن هذه الكلمة نستنتج ثلاثة امور لغويَّة مهمَّة:

١ً كان العرب في قديم الزمن يتلفَّظون «ببعض» كلم الاجوف على اصولها كما هو الامر في بعض الفاظٍ يُنطق بها على هذا الوجه في اللغات الساميَّة من إرميَّة وعبريَّة وحبشيَّة. وشاهد اللغات الاخوات ليس بسَهل النقض. لكن لمَّا رأى العرب ان اللفظ يثقل على اللسان عند الجري على الاصل فضَّلوا على ذلك قلب الواو او الياء الفًا اذا كانتا مفتوحتين طلبًا للخفَّة في الكلام وحسن وقعهِ في الآذان. ولم يُحفظ الاصل الَّا في ماكان عينهُ مكسورةً كَعَوِرَ وعَوِزَ وهَيِفَ وغَيِدَ. او غير ذلك ممَّا هو مقرَّر في كتاب النحاة (راجع شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك ص ٤٢٦ و ٤٢٧)

٢ً كان للعرب الاقدمين حرفٌ قد فُقِد اليوم بالمرَّة من اللغة الفصيحة ولم يفقد من سائر اللغات الساميَّة وبعض اللغات العامّية العربية. وهذا الحرف هو الفاء المثلَّثة الفوقيَّة كحرف الـ V الفرنسية. ولمَّا كان هذا الحرف يُلفظ بين الباء والواو على رأيٍ وبين الفاء والواو على رأيٍ آخر وبين الفاء والباء على رأيٍ ثالث ضعيف كان الابدال بين هذه الأحرف ممَّا لا محيد عنهُ. والتمثيل في هذا الباب يدعم الرأي ويزيل الارتياب. ويُلقم المعترضين الحجر ويُنشف في افواههم الرضاب. فامثلة الابدال بين الباء والواو: طَهْبَل وطَهْوَل. نبَّهَ باسمهِ ونوَّهَ. الباشقُ والواشقُ. والبالُ والوالُ (ضرب من السمك). وامثلة الابدال بين الفاء والباء: السِفِنَّة والسِبِنَّة. الحِضْف والحِضْب. البِشْب والبِشْف. اليصب واليصف. والضِّنْفِس والضِّنْبِس. وامثلة الابدال بين الفاء والواو: أفشى الرجلُ وأوشى. وشَوصَل وشَفْصَل. وكذلك الواو والفاء الطفيَّتان

أجَل اننا لا نجهل ان الشيخ ابرهيم اليازجي قد انكر في الضياء (٢: ٦١٠) وجود حرف الفاء المثلَّثة الفوقيَّة عند قدماء العرب اذ قال: «والثاني (اي والموضع الثاني) وهو ما لم يُضطرُّوا اليهِ في وقتهم الحرف الذي بين الفاء والواو او بين الباء والواو فانهم يبدلون منهُ احد هذه الاحرف الثلاثة...» الخ. غير ان هذا الكلام تردهُ: ١ً الادلَّة السابقة. ٢ً شهادة احد أعلام النحاة وقد ذكرها الرضيّ في شرح الشافيـة إذ قال (في آخر ص ٣٥٠): «قولهُ: والفاء كالباء. قال السيرافي: هي كثيرة في لغة العجم وهي على ضربين: احدهما لفظ الباء اغلب عليهِ من الفاء (اي پ p) والآخر: لفظ الفاء اغلب عليهِ من الباء (اي ڤ V) وقد جُعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء الخالصين. قال: وأظن ان العرب انما اخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم ايَّاهم» اه. قلتُ: وقد رأيتَ ان الفاء موجودة في بعض اللغات السامية كالإرميَّة والصابئيَّة والحبشيَّة وعليهِ فوجود

والصابئة اذا تكلّموا بالعربية يُسمّون نفوسهم « صابئة » ويُحرّفون اللفظة ويُصحّفونها فيقولون: « صُبّة » والواحد منهم: « صُبّي » او يُسمّون نفوسهم « يحياويّة » والواحد منهم « يحياوي » نسبةً الى يحيى اي يوحنّا الحَصور لاعتقادهم انهم متمسّكون بطريقة يحيى وهي بريئة منهم. امّا اذا تكلّموا بلسانهم الصابئ فيسمّون نفوسهم: « مَندايا » والواحد منهم « مَندايي » ومن ذلك تعريب اسمهم بهمزةٍ بدلًا من الياء الاولى جريًا على الطريقة العربيّة

واذ قد فهمنا معنى اللفظتين الاولين بقي علينا ان نفهم معنى « مَندايا » فاذا سألنا حضرة الشيخ ابرهيم اليازجي فانّهُ لا يتوقّف من ان يقول ان معناها كما ذكرها حضرة الفاضل نيقولا السيوفيّ: « اي الاقدمون » (؟. كذا. راجع البيان ص٦٩). امّا المقتطف فقد نقل في (الجزء ٢٣ : ٨٩) عن القس صموئيل زويمر(S. M. Zwemer) البروتستاني رأيًا آخر قال: « ومن روح المجد(١ انبثق الاردن العظيم(٢ ثم خُلقت الحياة القديمة(٣ وهي معبودهم الحقيقي(٤ واليهِ يُصلّون واليهِ يُنسبون وقد صدر منهُ « مندا حياه » اي رسول الحياة (٥ وهو وسيطهم. وكل الذين يقبلون وساطتهُ همَ المندأون » اه (كذا)

الثاء المثلثة في العربيّة قديم جدًّا. واختلاط العرب بالاعاجم قديم بخلاف ما يتوهّمهُ اللغويون. فان المؤرخين في هذه المادّة اصدق وعليهم المعوَّل

٣) لم يكن للعرب في الزمان القديم حرف الضاد اذ لا اثر لهُ في سائر اللغات السامية. وانما ادخلهُ العرب لغتهم على تراخي العصور حتّى غدا من مميّزات لغتهم. وما يلفظ ويكتب اليوم بالضاد المعجمة كان يُلفظ ويكتب بالصاد المهملة. ولنا على ذلك ما عدا لفظة الصابئة القديمة ودليل اللغات الاخوات وجود الفاظٍ عربية تُقال بلغتَين بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة. وعليهِ فهي بالصاد على اللغة العربية القديمة وبالضاد على اللغة المُصلَحة. من ذلك: الحصب والحضب. والقصاقص والقضاقض. وناص نوصًا وناض نوضًا. وصئصئة وضئضئة. وانقاص وانقاض. وصلاصل الماء وضلاضلهُ. وانفاص وانفاض. وصمصم وضمضم. الى آخر ما هناك من الامثال الكثيرة التي ذكرها صاحب المزهر (١ : ٢٦٢ و ٢٦٣)

١) كذا. والاصح من « فَرْها » وهو المعبود الاعظم

٢) اعلم ان معنى لفظة الاردن عند الصابئة ليس علمًا لهذا النهر المعهود المشهور بهذا الاسم بل هو اسم معناهُ « النَهر » مطلقًا. وفي قولهم « النهر العظيم » الماء العَذب كلّهُ. وقولهُ: « انبثق » هو وَهم ظاهر لان المندائيين لا يُسلّمون بالانبثاق ولا يعرفونهُ. وانما يقولون « بانعكاسات صور الالهية » لا غير

٣) قلتُ وفي لسانهم: « هيّ قَدمايي » ومعناها « الحياة الاولى » لا الحياة القديمة

٤) كذا. وهذا وَهم آخر

٥) كذا. والاصح مَندا دْهَيّي. ثم ان ابا مندا دْهَيّي ليس هو « هيّ قَدمايي » بل روحاني آخر واسمهُ عندهم نْباط ومعناهُ: منبع الحياة

واذا سألنا غير من تقدَّم ذكرهم من المؤلفين عن معنى كلمة « مَندايا » يجيبنا كل منهم جوابًا غير جواب الآخر . امَّا الحقيقــة فهي ان لفظة « مندايا » مشتقَّة من فعل بلغتهم وهو ܡܕܐ وُيقابلهُ بالآراميَّة ܝܕܥ ومعناهُ عَلِمَ ودرى وعرِف وفَهِمَ . واسم الفاعل منها ܡܕܥܐ ثمَّ أُقحمت النون بين الميم والدال (وهم كثيرًا ما يفعلون مثل هذا) فصارت ܡܢܕܥܐ . ولمَّا كان حرف العين غير موجود بالصابئيَّــة فهم امَّا يبدلونها بحرف من احرف العلَّة او يحذفونها اعتباطًا بدون إبدال وعليهِ قالوا ܡܢܕܐ (مندا) وحاصل معناها : عارف او دارٍ . وبلفظة أُخرى « أدريّ (gnostique) . وهذا يدلُّك على ان المندائيَّة ليسوا الَّا ادريّين او فرقة من الادريين . وينقل الصابئة معنى لفظة « مَندا » من معنى الموصوفيَّة الى معنى الوصفيَّــة مطلقًا فيكون معناها ايضًا « الدراية والعلم والمعرفة » وبالفرنسيَّة « gnose » ومن ذلك روحانيهم المعروف باسم : « مَندا دْهيّي » اي معرفــة او دراية الحياة (la gnose de la vie)

ولك وجهٌ ثانٍ تقول بعدهُ : « صرَّحتْ بجلذانْ » وهو ان لفظة « المَندايا » المنسوبة الى « مَندا » مشتقة من فعل ܐܒܐ ومعناهُ . فقير وصعلوك وخشن المعيشة . فتكون هذه اللفظة نقل معنى « أبيوني » ébionite المشتقة من اصــل عِبري אביון بمعنى مَندايا . وحينئذٍ يرجع بك المعنى الى ان المندائيَّة هم أدريَّة لانَّ الابيونيين هم فرقة من اولئك اصلحها أبيون . ثم جاء بعدهُ آخرون فتسمت فرقهم المختلفة باسماء مبدعيها ومن عداد هذه الفرَق الفرقة المنسوبة الى « أدَا »

ولك وجهٌ ثالث للتأويل وهو ان « أدا » Ada كان من الذين أدخلوا آراء جديدة في الصابئيَّة وكان يعيش فقــيرًا صعلوكًا كأبيون فصحَّف اصحابهُ لفظة « أدَا » وجعلوها يدا (ܐܕܐ) فاشتقوا منها اسم فاعل وقالوا « مَندايا » . ولمَّا كان هذا من الادريّين كان تابعوهُ شيعةً من هذه الفرقة . والخلاصة انك كيفما تصرَّفت بتأويل هذه اللفظة توصلك الى نتيجــةٍ واحدة اي انَّهم من الادريين وانهم قد انخرطوا في سلكهم بدون ان يتركوا عبادة الكواكب التي هي جوهر الصابئيَّة وقوام معتقدها في سابق الزمان وحاضرهِ

(ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي
معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ثمَّ زاد الليل طراءةً وزاد القمر اصفرارًا وكمدًا وانبعثت من البحيرة الجزرة رطبة باردة وظهرت أَضواء ضعيفة مرتجفة من منازل القرى المحيطة بالبحيرة مثل تلّ النبي مند وكفر موسى وقطينة وشومارية وكفر عبده وغيرها فحينئذٍ عاد الشيخ البار الى كوخهِ قلق البال مضطرب الافكار فاغلق بابهُ وجثا للصلاة من اجل من كان ينتظره

وكانت العصافير قد انقطعت اصواتها وتكاثر عدد الخفافيش الطائرة في الجوّ ثمَّ هبّت ريح شماليَّة باردة اضطرَّتهُ لاقفال النافذة المطلَّة على البحيرة. غير انَّهُ قبل ان يتمدَّد على الحصيرة التي اتخذها فراشًا لهُ فتح النافذة حتى ينظر الى البحيرة لآخر مرَّة. وكان قد تضاعف هبوب الريح وأَخذ وجه الماء يتغطَّى بامواج صغيرة بيضاء فما كان غير قليل حتى شاهد هيئة سوداء تسير على بساط الماء فحدق ببصرهِ هنيهةً فرأى قاربًا دانيًا من الشاطئ وقد جلس في مؤخرهِ شخص ملتحف برداء عريض وفي مقدَّمهِ شخص آخر يسوق الزورق وهو يقاتل الريح والامواج بغاية الكدّ والعناء. غير انَّ الاب يوحنَّا لم يأمل ان يكون فيهِ الاب جرمانوس لان وقت قدومهِ كان قد مرَّ وانقضى وغاية ما ظنَّ انهُ يحمل خفيرًا جديدًا بعث بهِ جوسلين لمزيد التضييق عليهِ بعد ان عرف ان احد اصدقائهِ توصَّل الى تلطيف مرارة منفاهُ مدَّة بعض ساعات في كل شهر

واخيرًا اتصل القارب الى الشاطئ وخرج منهُ الشخصان الى ارض الجزيرة. امَّا الشخص الملتحف بالرداء فكانت قامتهُ تدلُّ على انهُ رجل غير ان مشيتهُ تنبئ بكونهِ امرأَةً وقد تقدَّم منحنيًا متردّدًا ولكن آثار السيادة بادية عليهِ

فلمَّا وصل الى المحبسة امر الجذف بان يطرق الباب فقام الاب يوحنا ففتح وقد اخذهُ العجب من الشخصين. وما لبث ان زاد عجبهُ لمَّا شاهد تحت ذاك الرداء على ضوء قنديلهِ الذي كانت انوارهُ الضعيفة تضيع في خلال الظلمة شخص امرأَة جليلة وجميلة لبست ثوبًا متلألئًا بالحليّ وتشنَّفت باقراط من الحجارة الكريمة وتزنَّرت بمنطقة تلمع بالذهب الخالص

ففي الحال عمل اشارة الصليب وأغلق البـاب في وجهها وظنَّ ان الشيطان اتى ليجرّبهُ بهذه الطريقـة . وكيف لا يظنّ ذلك وكان قد قرأ في سير الآباء القديسين ان الشيطان كان يتمثّل لهم في بعض الاحيان بصورة امرأة متبرّجة ليفقدهم ثمرة جهادهم الطويل

غير انَّ المرأة صرخت قائلةً اسألك ايهـا الرجل القديس ان تصيخ اليَّ وتأذن لي في هذا الليل ان اقيم ههنا . فما اتيت اليك ألّا لاسترشد بنصائحك واي بأس اذا اذنت لي في المبيت على عتبة كوخك ؟

— أتطلبين الارتشاد في مثل هذه الساعة ؟ ثمَّ ماذا يستطيع ان يفيدك هـذا الشيخ الذي نبذ العالم نَبْذ النواة ؟

ومع ان الريح كانت تتلاعب بملابس تلك المرأة وغدائرها استمرت واقفـة على عتبة باب الكوخ ثم اكملت كلامها بلهجة محزنة وهي تقول :

اني راحيل زوجة زَين مقدَّم البترون وقد اتيتُ اليك طالبـةً منك النصح والتعزية

— لم اعُد من هذا العالم . وباي حقّ يأتي الاحياء فيبلبلون سكينة الاموات ؟ واذا كنتِ تطلبين نصحًا وتعزية فلماذا تأتين من مكان بعيد وعندك بالقرب منك فرا غريغون رجل بارّ قديس ؟

— قد ركب البحر مسافرًا الى رومية . اما انت ايها البارّ صديقـهُ واخوهُ فلا ترفض امرأة منكودة الحظ اتت تطلب منك المشورة والصلاة

ثم ان راحيل اخذت تقصّ عليهِ بصوت مرتجف يقطّعهُ البكاء خبر الاحزان البيتيّة التي اطلعتنا الخادمتان بقلة افرازهما على شيء منها . فتأثر القديس من كلامها ورثى لها وتذكَّر الافراح التي أُقيمت في بشرّاي يوم زفافهـا وكيف ان المستقبل كان يبسم لها واصبحت الآن وقد حالت احوالها ووقفت امامهُ منكسرة القلب طالبةً عونه واسعافهُ. وقد رأى اذ ذاك انَّ المحبّة المسيحيّة ما عادت تسمح لهُ بعدم الاكتراث بنكبتها.ولمَّا تذكَّر ان معلّمهُ الالهي شارك الحزانى في مصائبهم لم يتمالك من ذرف الدموع حتى تبلّلت منها وجنتاهُ الضئيلتان

امّا راحيل فاتمّت الكلام قائلةً :

بعـد ان امعنتُ النظر طويلًا في شقائي رأيتُ ايها الاب المحترم ان حظّك شبيهٌ بحظّي. كلاَّ لم يصدق المثـل لانهُ اذا كان الانسان يعاقب في ما اخطأ بهِ فأنت عوقبت دون شك بسبب فضيلتك

— أقصري ايتها المرأة فان الحزن قـد ضيّع عقلكِ ودفعكِ الى التجديف وكيف تجترئين ان تحكمي على مقاصد الله ؟

— اني عالمة بكل ما جرى ايها الاب المحترم فلا تحاول صرف ذهني عمَّا انا عارفة بهِ حق المعرفة. نعم بمـا انك كنت رئيساً حازماً ومحافظاً على حقوق الله والكنيسة اسخطت جوسلين. وبغيرتك على التهذيب الرهباني حرَّكتَ حقد الاخ جناديوس. وبما انك اخفيت عن الناس اعمالك الصالحة حكموا عليك بالابعاد وانت الان تحتمل مرارة المنفى كرجل فاسد ومُراءٍ أَلِف الخلاعة وهام بها. مع انهُ ما صام احد كصومكَ ولا عمل توبة باخلاص نظيرك

حينئـذٍ قاطعها الاب يوحنا قائلًا بمساءة: كفاكِ كلاماً في امور تجهلينها. ويحك أتنسين مشورة الكتاب القائل بانهُ لا يجب اصلًا مدح الاحياء.

— سامح ايها الاب حسن نيّتي واعلم ان مرارة نكبتي هي التي تُنطق لساني واذا كان زين يهملني وينساني فذاك في ظاهر الامر لسبب فضيلتي فاني بقدر ما ازيد محبَّةً يزيد هو فتورًا واعراضًا وينزل بي العقاب الذي تستحقهُ النساء القليلات الاكترات ببعولتهنَّ او الخائنات لعهودهم. والله يشهد اني من بعد ما باركتَ زواجنـا في قصر بشراي صارت كل افكاري لزوجي وكذلك كلّ حركة يتحرَّك بها فؤادي هي لهُ. ولا اظن ان امرأة احبَّت قرينها باخلاص اكثر مني

« ومعاذ الله ان أُنازع الباري جلَّ اسمهُ في ما لهُ من الحقّ بابتلائي وامتحاني بل بعكس ذلك اقول اني قد ارتكبت الذنوب مرارًا دون ان ينازعني المولى على صنيعي وقد كنتُ أَزهى واتعجرف ولا أُشفق كما يجب على الفقير البائس. غير ان الامر الذي يحزنني جدًّا هو اني أُعاقب على ما لم أُخطئ بهِ ولذلك تجد قلبي منسحقًا منكسرًا

« واعلم ان موسى هذا الخادم الامين الذي اوصلني الى هنا هو الذي اخبرني بخبرك وهو يعرفك حقَّ معرفة لانهُ مرض قديمًا مرضًا ثقيـلًا فحملتهُ الى دير حصن سليمان وعالجتهُ بعناية ابويّة حتى شفي من دائهِ. فمنهُ عرفتُ انك لم تُعاقب على خطاياك وذنوبك

بل من اجل فضيلتك لا غير ولهذا فاننا من يومين قمنا سرًّا من مدينـة البترون وزرنا في طريقنا مقام القديس جرجس في الحصن. وقد اتيتُ اليك لتشرح لي ما هو السرّ في عقابك وعقابي وتمدّني بمعونتك او على الاقلّ تذكر لي اسباب التعزية التي وجدتُها لنفسك

فاجاب الاب يوحنا قائلًا:

— لو لم اكن عارفًا ان شدّة الضيق هي التي ازاغت عقلك لجاوبتك كما جاوب الله قديمًا ايوب البار (٣٨: ٢): «من هذا الذي يُلبس المشورة باقوال ليست من العلم في شيء». فيجب ان تعلمي ان الله عادل وان العدل قرين كل اعمالهِ غير ان البشر في كثير من الاحيان لا يستطيعون ان يفقهوا سرّها. ثمَّ ان الله لا يجـازي الشرَّ بالشرّ وقط لم يعاقب احدًا من اجل فضيلتهِ ولكنهُ يتفق ان تتوارى مع الفضيلة نفسها اعظم الخطايا واشنعها اي الأَثَرة والانانيَّة. وهكذا القول عني انا الذي تتوهَّمينهُ اكثر اتضاعًا من جميع البشر...

— وما انا بمخدوعة في ظني

— اصيخي ايتها الابنة الى كلامي كما اصخت لكلامك. واعلمي اني ربَّما كنت في تواضعي اشدّ الناس عجرفةً وكبرياء ليس تجاه الغير بل في داخل نفسي وقدام الله لاني لا اقدر على القول باني تحاميت دائمًا ما اذوقـهُ من لذَّة الانشراح الباطني من اعمالي؟ نعم ان الناس لا يلحظون هذه الحركات الخفية التي تثيرها محبَّة الذات فتفسد بها احسن الاعمال ولكنَّها لا تخفى على الله تعالى الذي يغوص اعماق القلوب ويعرف اسرارها ولا شكّ اني كعقوبةٍ على هذه الكبرياء قد صرتُ شهيد الاتضاع

«هكذا ايضًا محبتك الحارَّة لا بُدّ ان تكون ممتزجةً بالعجرفة وحب الذات فانت تقولين انك لا تحبين غير زوجكِ والحقيقة هي انكِ تحبين نفسكِ قبل كل شيء. لانكِ تريدين ان يعرف لكِ المحبوب محبَّتك ولا ترضين اصلًا بان يجهلها حتى لا يكون نصيبكِ كنصيب الشمعة تحترق وتنير وهي ساكتة فهذه المحبَّة هي كلها غطرسة وزهو والمحبة لا تكون حقيقيَّة خالصة الّا اذا كانت صافيةً ومتنزّهة عن كل عاطفة شخصيَّة

— ولكن محبتي ناجية من الاكدار ومنزَّهة... والدليل على ذلك وقوفي امامك

— هذا مجرَّد زعم منكِ ايتها الابنة. ولكن افحصي خفايا قلبك وكالطبيب الذي يشفي الجرح بالنار والمبضع جرّبي هذا الدواء الذي اصفهُ لكِ: اكتمي محبتكِ وانتِ

الرابحة لانكِ بقدر رغبتكِ في اظهارها يتمادى زَين عنادًا في رفضها وايَّاكِ ومقاومة شقيقتكِ بل اجتهدي في ان لا تكون لك حيثيَّة ولا مقام تجاهها واخفي ميلكِ امامها ولاسيَّما في حضور زَين . وبعد مرور شهر على سلوككِ بهذه الطريقة ارجعي اليَّ فاخبريني عن احوالك

فحينئذٍ صرخت راحيل قائلةً : ان الذي تشير بهِ ايها الاب هو الموت موت القلب فخير لي ان اموت مرَّةً واحدة

— لا بل أُشير عليك بالنجاة والخلاص اذهبي وأَطيعي . قال هذا واغلق نافذة كوخهِ

وبعد مرور بضع دقائق سُمع صوت زوج من المجاذيف يضرب بايقاعٍ مياه البحيرة التي كانت قد خمدت وسكنت . وكانت النجوم باديةً في القبَّة الزرقاء والجوّ صاحيًا نقيًا ليس فيهِ سوى قليل من الغيوم الرقيقة والقمر سائرًا الهوينا في طريقهِ وكل شيءٍ في الطبيعة يشعر بالراحة والسكينة خلافًا لراحيل التي استولت على فؤادها عواصف البلبال

وبعد ان جلست في مؤخر القارب واشتملت بردائها جعلت تنظر وهي متشتتة البال الى ذاك المشهد الليلي دون ان يؤثر فيها جمالهُ الهادئ فمن جهة كانت ترى بساطا من الماء تتلاعب فيهِ انوار القمر مترجرجةً ومرتجفةً ومن جهة اخرى تشاهد جبال عكار وقد اشتعلت في سفوحها نيران القبائل العربيَّة النازلة في سهل « الوعر»

ثمَّ انها اخذت تدمدم في سرّها قائلةً : ذهب الغرور وظهرت الحقيقة وعرفت اني مخدوعة في ظني . على انك ايها الرجل لم تُحسن فهم كلامي . . . . ومع هذا أيجوز لي ملامة احد غير نفسي ؟

فلمَّا وصل الاثنان الى الطرف الغربي من السدّ الكبير ركبا الخيل التي كانا قد ربطاها هناك وجدَّا في المسير وكان سفرهما شاقًا متعبًا نظرًا لكثرة الحجارة البركانية في الوعر وبعد ساعة من الزمان ادركا محلة العرب وكانا قد اهتديا بنارها في وسط الظلمة . وفي اليوم التالي عند طلوع الفجر سارا في طريق جبل عكَّار مارين بلقتايا وحربعارا وسهل البقيعة ولمَّا وصلا الى البترون كان الليل قد ارخى سدولهُ

وكانت الخادمتان مريم وفريدة متشاغلتين كعادتهما في الغزل وكأنهما ذهلتا ما كانتا قد عزمتا عليهِ من مدَّة فكانتا تتحدثان عن غياب مولاتهما باحثتين عن اسبابهِ

(ستأتي البقيَّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوسف تاني الماروني

(لاحق بسابق. راجع المشرق ٣:٥٨٦)

في العاب الاحداث (تتمّة)

١٢ (الاجّاصة) وفي لغة العامّة النجاصة هي الشجرة المعروفة. واولاد لبنان يدعون بذلك احد رفاقهم يجلسونهُ على حجر ويقيمون عليهِ حارساً و «ناطورًا» يدافع عنهُ كما يكفُّ الناطور ايدي السابلة عن اكل الاثمار. امَّا جماعة الصبيان فيهجمون على الاجاصة من كل اوب ويحاولون ضربها فان نجحوا دون ان يمسكهم الناطور قالوا لهُ: «أكلت نجاصك يا ناطور» وان امسك الحارس منهم احدًا اجلسهُ على الحجر بدلًا من الاجاصة الاولى التي تضحي ناطورًا وصار الاسير اجّاصة اي هدفاً للضاربين وهلمَّ جرًّا

١٣ (الطُمَّيش) ويُقـال لهُ «الغُمَّيض» ان يجتمع الاولاد فيغمضون عيني واحد منهم ثمَّ يختبئون فاذا تواروا رفع هذا النقاب عن عينيهِ وجدَّ في اثرهم فاذا اصاب منهم احدًا كان ذاك الخاسر ونادى رفقتهُ فيغمضون اعين الاسير ويفعلون كما مرَّ. وللفرنج العاب تشبه هذا اللعب (cache-cache, colin-maillard)

١٤ (مَن نقَفَكِ يا زعرورة) بعد ان اغمض الاحداث اعين ولدٍ منهم كما في اللعب السابق يعدُ المعمَّى سبأبَتهُ فينقفهُ عليها احد المجتمعين حينئذٍ تقول الامّ وهو الولد الذي حجب عيني النازل: «مَن نقَفَكِ يا زعرورة» فان دلَّ عليهِ اقام النـاقفَ في مقامهِ. والّا فيتحمَّل النقف حتى يعرف الضارب. وتصير هذه اللعبة على طريقة اخرى يغطَّى رأس المضروب فيجعل كفَّهُ على ظهره مبسوطاً ويضربهُ عليها اللاعبون ويسألونهُ من الضارب (راجع انجيل لوقا ٢٢: ٦٤)

١٥ (الوتد) يعمد ولدان الى ارض نديَّة وحلة ولكلّ واحد وتَد (ويقولون لهُ بالتحريف «وِدّ» و «وِتّ» و (في البقاع) «نتّ» و «معتوت» او «مأتوت») فيرشق الاوَّل وتدهُ في الارض ثمَّ يتبعهُ الآخر ويسعى في غرز وتدهِ في مكان الاوَّل فان زحزحهُ وقلبهُ عن «بيتهِ» اي حفرتهِ ربحهُ. والّا سحب الاول «معتوتهُ» وضرب وتد خصمهِ

وهكذا يتناوبان الى ان يزيح احدهما وتد الآخر فيربحهُ. ويجوز ان يكثر عدد اللاعبين فيتصرّفون بلعبهم على طرائق شتى

١٦ (الطابة) وهي كرة اللعب المعروفة يلعب بها احداث لبنان على انواع مختلفة اشهرها طابة الملقّ وطابة خوبا

اولًا «طابة الملقّ (١» يقيم الاولاد لهم زعيمين يختار كلٌّ منهما فرقتهُ ثمَّ يقتسم الى فرقة طالعة وفرقة نازلة تدلُّ عليهما القرعة (٢ ويجعلون بينهم حجرًا يدعونهُ «تكليشة» يجب ان تتجاوزها الطابة حين يقذفها اللاعب والّا فلا «تُحسب ضربتهُ» اي لا يُعمل بها. ويضعون حجرًا آخر مسافة ويسمّونهُ الحجّ. ثم يباشر الطالعون اللعب فيضرب احدهم الطابة بالمِلَقّ ثم يركض الى الحجّ ليمسّهُ برجلهِ. فاذا عاد سالمًا دون ان يضربهُ احد من فريق النازلين بالطابة اكمل لعبهُ الى ثلاث ضربات دون حجّ ثم يصير الدور الى احد رفاقهِ وهكذا حتى الاخير. امّا اذا أُصيب عند حجّهِ او اذا اخطأ الطابة عند ضربها ثلاث مرّات فعُدَّ ميتًا وصارت النوبة الى غيرهِ. وكذلك يموت الضارب اذا اخذ النازلون الطابة «توزًا (٣» اي امسكوها في الهواء قبل هبوطها على الارض او ان لم يمكنهُ ان يذهب الى الحج او اذا «حوّمت» الطابة اي تجاوزت الحدود المعيّنة. وبين هذا اللعب ولعب الفرنج المسمى (balle au camp) بعض الشبه

ثانيًا «طابة خوبا» وتُدعى في بعض المحلّات «طابة الزّتّ» ينقسم فيها الاولاد قسمين متساويين عددًا ويرمون الطابة في الفضاء فاذا لقفها احد الفريقين لعب بها ورفاقهُ

---

١) ان المِلَقّ في اصطلاح صبيان لبنان خشبة تُضرب بها الطابة. وفي اللغة لقَّ عينهُ اذا ضربها والعامّة تقول «فلان دائر من بيت جقّة لبيت لقّة» يريدون انهُ فارغ لا شغل لهُ سوى التجوّل من بيت الى بيت فيلطمهُ هذا ويشتمهُ ذاك

٢) يتّخذون لذلك «دحّة» اي شقفةً من الخزف او حجرة ملساء يبصق الزعيم على احد وجهيها ويدعو الوجه الناشف صيفًا والمبلول شتاء. ثمَّ يسأل عقيد اي زعيم الفرقة الثانيـة قائلًا: «صيفكم او شتاكم» فيختار ما يريد. ثم تلقى الحجر في الفضاء بينا يصرخ اللاعبون: «يا صيفنا يا شتانا معنا لا مع عدانا» فاذا هبط الحجر كانت الفرقة الطالعة التي وافق وجهُ الحجر مدلولها. وهذا الاقتراع يصير في العاب كثيرة

٣) يقولون تاز الطابة واخذها توزًا وتُوظًا وتوّازًا اذا «استلقاهـا» في الهواء. والتوز من ألعاب العرب وهي خشبة يلعبون بها بالكُجّة. والكُجّة خزفة يدوّرونها فيتقامرون بها

اي انّهم يلقونهـا الى كل فرد من أفراد ذلك الفريق ويختلط بهم الفريق الآخر وهو يسعى جهدَهُ بان ينزع الطابة عنهم. وعادةً يقام لكل لاعب خصم يدعونهُ « ترينا (١) » غايتهُ ان يختلس الطابة منهُ ويلعب بها مع رفيقهِ. الّا انّ للّاعب حقًّا ان يضرب التريّن عند تلقيهِ الطابة دون ان يستطيع ذاك بان يقابلهُ بالمثـل لكن يمكنهُ ان يحيد عن ضربهِ فقط

١٧ (الدحوة) هي حجرة مدوَّرة يجـدُّ فريق يدعى طالعًا في ان يدخلها في حفرة يحمي عنها فريق آخر يدعى نازلًا. فاذا اقترب الطالعون من الحفرة وهم يدحون الدحوة بعصيّهم نحوها يركز احد النازلين عصاهُ في الحفرة. ثم يلتحم الفريقان ويسعى الطالع بان يخرج العصاة المركوزة وربّما حطّموها بعصيّهم ليدخلوا الدحوة في الحفرة بينما يجتهد النازل ان يدافع عن العصاة المذكورة وان يطرد الدحوة ويقذفها الى بعيد. فان تمـكّن الطالعون من وَضع الدحوة في الحفرة كانوا الظافرين. وهـذا اللعب شائع في السهول لا يعرفهُ اهل لبنان. ولشبّان بيروت لعب آخر يشبهُ يدعونهُ الصارة

١٨ (الصارة) هي كالدحوة السابق ذكرها وتدعى ايضًا التكرة في البقاع. ولعب الصارة على هذا المنوال. يجتمع عدد من اللاعبين ولكل منهم عصاة ثمّ يحفرون لكلّ واحد منهم حفرةً في دائرة معلومة الّا حفرة واحدة يجعلونها في وسط الدائرة. فاذا حُفرت الحُفر ركضوا اليها ليركز كلٌّ منهم عصاتهُ في الحُفر الواقعـة على الدائرة. فيبقى واحد منهم لا حفرة لعصاهُ الّا الحفرة التي في وسط الدائرة فيُقتضى عليـهِ بان يدخل بعصاهُ الدحوةَ او الصارة في تلك الحفرة. بينما يسعى الآخرون بان يصدّوهُ عن ذلك ويبعـدوا الدحوة بعصيّهم الى مسافات بعيدة. فان تمكّن من ركز عصاتهِ في حفرة احد اللاعبين عند فراغها قام ذاك مقامهُ ووجب عليهِ ان يحامي عن الصارة ليدخلها في حفرتها الوسطى. وان ادخلها في هذه الحفرة دون ان يمنعهُ اللاعبون قُضي على كلّ اللاعبين ان يبدلوا حفرهم وامكنةُ هو ان ينزل عصاتهُ في احداها وقت هذه الحركة ويُلزم صاحبها ان يقوم مقامهُ وان لم يفعـل عاد الى المدافعة عن الصارة وادخال الدحوة فيها ثانيةً وهلمّ جرًّا

---

١) وهي اللفظة السريانية ܬܪܝܢ اي اثنان. وقد صاغوا منها فعلًا فقالوا تارنَ فلانًا اي رافقهُ

١٠ (القرد المربوط) والبعض يدعونهُ «القطّ المربوط». يأخذ الاولاد وتدًا فيرزُّونهُ في الارض ويربطون فيهِ حبلًا يمسك طرفهُ احدهم وهو القرد المربوط. ثم يصفُّون احذيتهم حول الوتد ويحاولون نشلها من بين يدي القرد ليضربوهُ بها. امَّا هو فيتَّخذ حذاءهُ كمقرعة ليردَّ هجمتهم فيدور حينًا الى جهة وطورًا الى اخرى حتى يوقع بواحد من الهاجمين فيمسخهُ قردًا بدلًا منهُ ويسرع الباقون الى صفعهِ حتى يقبض على الحبل. والفرنج يدعون مثل هذه اللعبة «الشيطان المربوط»

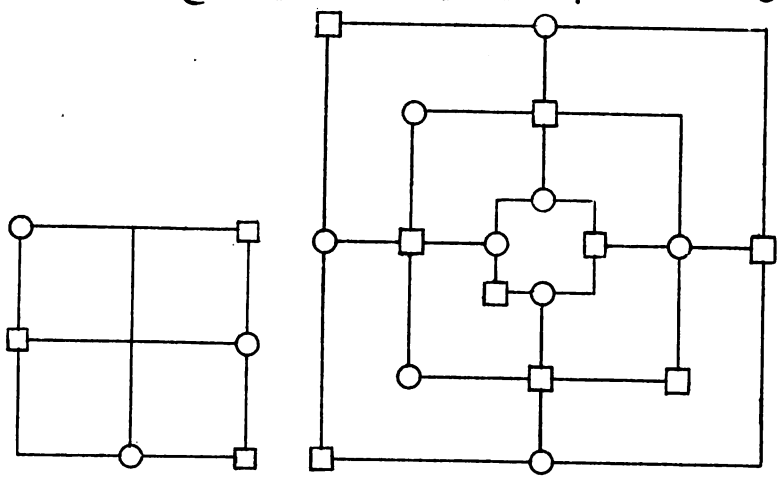
٢١ (طرَّة امَّا نقشة) يأخذ لاعبان قطعة من النقود على احد وجهيها «طرَّة» اي الطغراء السلطانية وعلى الآخر النقشة او الكتابة فيرميها احدهما سائلًا: «طُرَّة يمَّا نقشة» فيختار قرينهُ ما شاء. فاذا وقعت القطعة كما قال كان هو الرابح والَّا خسر. وقد يتفنن الاولاد في هذا اللعب

٢٢ (الرنك) لفظة فارسيَّة معناها اللون وهو لعب يتلهَّى بهِ اهل البقاع قريب من اللعب السابق لكنَّ اللاعبين يعمدون الى خشبة كالمسطرة قد نُقش على كل وجه منها رسمٌ فيأخذ اللاعب الرنك باحد طرفيهِ ويرميهِ على الارض فينقلب مستويًا على احد وجهيهِ. فيربح او يخسر حسبما يوافقهُ الرنك او لم يوافقهُ. ومن ثمَّ تفهم معنى قولهم في المثل: «تغيَّر الرنك» اي انقلبت الامور وتغيَّرت الحال

٢٣ (الدريس) لعلَّ هذه اللفظة من اللاتينية tres او اليونانية τρεῖς اي ثلاثة ويقال ايضًا «تريس» بالتاء. والدريس عبارة عن ثلاثة تربيعات داخلة في بعضها يجمع بينها اربعة خطوط مستقيمة في وسطها (راجع الشكل الاول ص ٥٦٤). ويلعب كلٌّ من اللاعبَين بتسع حصًى ولذلك يُعرف بدريس التسعة. ومنهُ صنفٌ آخر يدعى دريس الثلاثة لانَّ كل اللاعب يأخذ ثلاث حصًى فقط ويُتخذ للعب تربيع مصلَّب كما تراهُ في الشكل الثاني (٥٦٤)

وطريقة اللعب فيهما ان احد اللاعبين يبدأ فيضع حصاةً على زاوية من الزوايا ثم يضع رفيقهُ حصاة على زاوية غيرها فان صفَّ اللاعب ثلاثًا في خط واحد فلهُ ان يأخذ حصاةً من حصى رفيقهِ. وبعد ان يضعا سائر الحصى على الخطوط ينقل احدهما واحدة من حصاهُ الى الزاوية القريبة الملاصقة ابتغاء ان «يطبّق» الدريس اي يجمع ثلاث حصى على خطّ واحدٍ وكلَّما طبَّق اللاعب دريسًا يأخذ حصاة من اللاعب الآخر

غير انهُ لا يجوز اخذ حصاة من دريس مطبَّق بل من سواهُ ثمَّ من طبَّق دريساً فلهُ ان يفتحهُ من جهة وينقل حصاة من جانبٍ آخر يطبِّقهُ بها وان أراد ان يطبقهُ بالحصاة نفسها التي نقلها منهُ وجب ان ينقل قبل ذلك حصاةً من غيرِ جهة ثم ينقل حصاة الدريس. ومن امثال العامَّة: « طبَّقَ الدريس » يقال في الامر الذي استجمع شروطهُ فانتهى



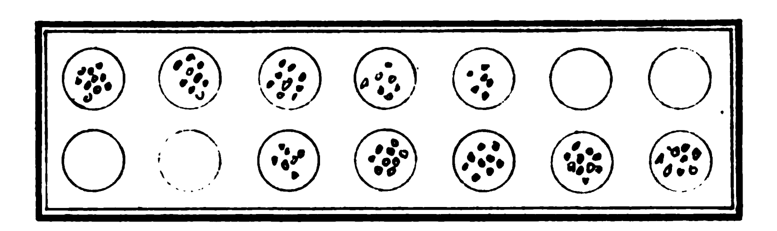
الشكل الاول: دريس التسعة   الشكل الثاني: دريس الثلاثة

٢٤ (المنقلة) المنقلة خشبة مستطيلة يُحفر فيها اربعة عشر بيتاً (١ في كل جانب سبعة ويجعل في كل واحد سبع حصًى ووجه تسميتها هكذا لان اللاعب لا يزال ينقل حصاهُ من بيت الى بيت. وللعب فيها طريقتان « العاقلة والحوتا (٢» امَّا العاقلة فهكذا: يأخذ اللاعب حصى احد البيوت التي من جهتهِ ويوزعهـا واحدةً واحدةً في كل بيت مبتدئاً من اليمين الى الشمال ثم يفعل مثل ذلك اللاعب الثاني وهلمَّ جرًّا مناوبةً. فاذا فرَّق احدهما حصاهُ ووَجد في آخر بيت وصل اليهِ اثنين او اربعة اخذها وان وَجد واحدة او اكثر لم يأخذ شيئاً ثم يلعب الآخر وهكذا حتى تفرغ الحصى من عامَّة البيوت

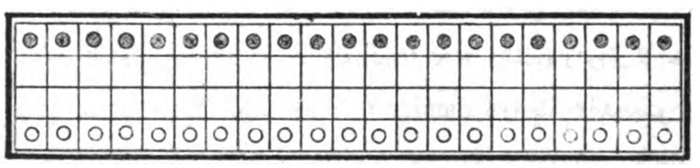
امَّا « الحوتا » فطريقتها ان يأخذ احد اللاعبين حصى احد البيوت من جهتهِ ويوزعها واحدة واحدة في كلّ بيت فاذا فرغ منها يأخذ حصى البيت الذي فيهِ انتهى التوزيع ويلازم هذا العمل حتى ينتهي التوزيع الى بيت يوجد فيهِ حصاة واحدة او اثنتـان او

١) والعامَّة تقول جرنًا او خانةً   ٢) الحوتا موَّنث أخوت وهي الحمقاء

اربعة فان وجد واحدةً لم يَنلْ شيئاً وان وجد اثنتين او اربعة يأخذها ويأخذ الحصى التي في البيت المواجه لها . ثم يلعب رفيقهُ وعلى هـذا المنوال يستأنفان اللعب حتى يأتيا على سائر الحصى . ولعب المنقلة معروف في اواسط افريقية بين قبائلها المتوحّشة كما افادنا المرسلون في تلك الاصقاع



الشكل الثالث : المنقلة





الشكل الرابع : الطاب

٢٥ (الطاب) لوحة مستطيلة تشبه المنقلة لها اربعة صفوف في كل منها واحد وعشرون بيتاً يتّخذ اللاعب فيهِ احدى وعشرين حصاةً ويصفّها على آخر صف من جهتهِ في كل بيت واحدة والحصى تدور من اليمين اللاعب الى شمالهِ في الصفّين المتوسطين بيتاً بيتاً حتى تنتهي الى آخرها ثم يؤخذ اربعة شظايا من القصب ذات وجهين اسود وابيض

وتوضع قنينة تجاه الطاب . واسلوب اللعب هكذا : يرمي اللاعب الشظايا على القنينة فان جاءت « طابًا » يقدر ان ينقل حصاةً من عينـــهِ الى اول بيتٍ في الصف القريب والّا فيلعب الثـــاني . والطاب هو ان تتجه تحوك الشظايا جهة سوداء وثلاث بيض واذا نقلتَ حصاةً الى الصفّ الثاني فيمكنك ان تنقلها بعدُ اتاك طاب او لم يأتِك امّا حصى الصفّ الاوّل فلا تتحرَّك الّا عند وقوع الطاب وحينئذٍ تتقدَّم خانةً واحدة

ولنفرض انك نقلتَ حصاةً من الصفّ الاول حينئذٍ ان ضربت القصب وجاءت الجهات الاربع سودًا فيمكنك ان تنقل الحصاة اربعـــة بيوت الى الامام وان جاءت الاربع بيضًا فانقلها ستة وفي هذه الاحوال الثلاث لك الحقّ ان تلعب ايضًا قبـــل ان تسلّم رفيقـــك القصب الى ان ينقلب على وجه غيرها . وفي خلاف هذه الاحوال تنقل الحصى بقدر عدد الاوجه السود فتكفّ عن اللعب ويدعى ذلك دكًّا . هذا وان نقلت حصاتك ولقيت حصاة رفيقك في البيت الذي تنقل اليهِ فلك الحقّ ان تأخذها وان لقيت احدى حصاك فتقدّمهما جميعًا وتسير كذلك حتى تبلغ بيت الحمى وهو الصفّ الرابع وفيـــهِ تؤكل حِصى الخصم . وهذا اللعب لهُ اساليب اخرى نضرب عن ذكرها صفحًا . وقد اخذت العامَّة مثـــلًا من الطاب قالت : « اذا جاءني عليك طاب ادّبرك » معناه ان مكّنني الله منك لافعلنّ واصنعنّ

هذه اخصّ اساليب اللعب في لبنان وصفناها بوجيز العبارة وقد اهملنا بعض العاب شائعة كالشطرنج والنرد او الطاولة (tric-trac) والشدّة والورق لا حاجة الى وصفها . ومنها ما هو حديث العهد كالداما (damier) والجُلّة والدومينو (domino)

(ستأتي البقيَّة)

كنيسة سيدة السفينة

نبذة لسيادة الارشمندريت الكسيوس كاتب نائب عام الرهبانية القانونيَّة الباسيليَّة (البلديَّة) لدى الكرسي الرسولي

رغب الينا مَن طلَبتهُ عندنا لا تُردّ ان نبيّن كيف اتصلت كنيسة سيدة السفينة الى ملك رهبانيَّتنا الباسيليَّة فجئنا بهذه العجالة نقول :

لقد ذكرنا في مجلة المشرق (٣ : ١٠٦٨) ملخّص كيفيَّة مرض ووفاة الصالح الذكر

السيد ناوفيطس نصري مطران صيدنايا وانهُ كان من ابناء رهبانيَّتنا ووصفنا لمحة وجيزة الاحتفــال الحافل الذي أُقيم لأتمــهِ في رومية العظمى وما جرى وقتئذٍ على يدهِ من الحوادث غير العادية وان قد أُطلق عليهِ لقب مكرَّم الى غير ذلك من الحقائق حتى قامت اكثر سكَّان رومة وقعدت لِما سمعوا وشاهدوا

فقد كان من جملة الشهود الحضور بتلك الحوادث نيافة الكردينال بلوكا وهو اسبانيّ الاصل ورجل مشهور بالتقى والصلاح وعمل الخير والاحسان فاجتمع بالكونت عازار عجوري الحلبي المولد وهذا كان جنتيليوم البلاط الفاتيكاني ثم سألهُ زيادة ايضاح عن اصل السيد ناوفيطس وحياتهِ وعن الجمعيَّة الرهبانيَّة التي هو ينتمي اليها وما اشبه. فشرح لهُ الكونت عجوري اصل الرهبانيَّة القانونيَّة الباسيليَّة وانهــا فرعٌ انسلخ عن دير الروم في البلمند جهة طرابلس لعدم قبول هذا الفرع قَطْع العلائق مع الكرسي الرسولي وكيف ابتنى لهُ قلالي صغيرة اولًا جهة وادي عمِيق يدعى الى اليوم وادي الجماجم وهي ما بين قرية بتغرين والشوير وان رهبان هذه الجمعيَّة بينهم الخطباء المفلقون والمرسلون المنتخبون والزهَّاد والابرار والعلماء والشعراء الى غير ذلك ممَّا خلب فكر الكردينال ومن ذلك الوقت عقد النيَّة على اقامة فرع جديد لهــذه الرهبانية في رومة العظمى نفسها وكذا تمَّ

على ان نيافــة الكردينال بلوكا المذكور بعد ان تأكَّد صحَّة كل ما أطلعهُ عليهِ الكونت عجوري من اعمال رجال الرهبانيَّة المذكورة وكمال تجرّدهم وانفرادهم لمصلحة الكنيسة الكاثوليكية وانقطاعهم على الكرز واعمــال الرسالات المقدّسة وما افادوا بهِ المؤمنين وغيرهم ايضاً. بعث برسالة الى رئيس عام هذه الرهبانية وكان وقتئذٍ الطيب الذكر والشاعر المفلق الخوري نيقولاوس صائغ يقول لهُ فيهــا « انني قد سمعت بحسن مناقب الرهبانية التي اقامك الله عليها رئيساً عاماً. ولهذا ارغب من محبَّتك ان ترسل من قِبلك رهباناً يكونون كهنة ليقيموا في رومة ومهما قدرتُ عليهِ بشخصي من اعانتهم فلا اؤخرهُ. وخاصَّةً انني اعتني واسعى ليعطيهم الحبر الاعظم مكاناً في رومة يكون تابعاً للرهبانيَّة »

فاذ بلغت هذه الرسالة يد الرئيس العام سرَّ بها ثم اوعز الى القس نكتاريوس ميره والقس بروكوبيوس عبد النور الطبيب (وهما حلبيَّان) فركبا البحر وقصدا رومة. واذ

وصلاها وواجها نيافة الكردينال بلوكا لقيا عندهُ من الهشاشة والأكرام ما اوعب قلبهما فرحاً والسنتهما شكرًا وحمدًا

وكان انَّ الكردينال المذكور بعد ايام وجيزة استدعى الكونت عجوري والمونسنيور يوسف السمعاني وكلفهما ان يختارا مع الابوين المقدَّم ذكرهما كنيسةً موافقة ومحلاًّ يناسب لسكنى الجمعيَّة المنويَّة . فبعد التنقيب اتفق كلّهم على ان كنيسة سانتا ماريا إين دومينيكا (S.Maria in Dominica) المعروفة بسيدة السفينة (Navicella) هي الوافية بالغرض . وكان اذ ذاك محامياً عنها الكردينال كوشيا (اذ لا بدَّ لكل كردينال عند تسميته كردينالًا من ان يُعيَّن محامياً لاحدى كنائس رومة) وعليهِ فتكون هذه الكنيسة من الكنائس الممتازة والكبرى في رومة . ومن احبَّ الوقوف على تفاصيلها عليهِ بمطالعة المختصر الفرنسي الذي وضعناهُ مؤخرًا باللغة الفرنسيَّة الى ان يتوفّق لنا وضعهُ بالعربيَّة

حينئذٍ رفع الابوان عرضاً لقداسة البابا اكليمنضوس الثاني عشر يستميحانهِ الكنيسة المذكورة لرهبانيَّتهما مع الغُرف الملاصقتها وقد أُحلَّ طلبهما محلّ القبول وعليهِ اصدرت الحضرة البابويَّة براءة هذا تعريبُها :

ان سيدنا يسوع المسيح شمس البرّ واساس ايماننا ومتمّمهُ الذي كالنسر يظلل عشّهُ ويحوم على فراخهِ ويبسط جناحيهِ فيحتضنهم ويحملهم على منكبيه . والذي اراد ان يتشبه بالدجاجة بما انها تجمع فراخها تحت اجنحتها . ثم انهُ من جملة شرف المحبة الالهية وزينتها الخصوصية التي وضعها لعروستهِ الكنيسة الكاثوليكيَّة هو انهُ قد ارتضى ان يوسمها دون غيرها بهذه العلامة الجليلة اي ان تكون لجميع المؤمنين اللاجئين الى حضنها من كل الامم الموجودة تحت السماء . فلاجل ذلك احبار الكنيسة الرومانية الاعظمون الذين اقامهم رئيس الرعاة نيابةً عنهُ على الارض والى انقضاء الدهر قد اقتدوا بمثالهِ على الدوام اقتداءً كاملًا بقدر ما امكنهم من الخضوع الواجب اذ احتضنوا بكل محبةٍ ومودة ليس فقط الشعوب القادمين من البلدان البعيدة والاماكن الشاسعة نحو امّ سائر الكنائس ومعلمتهنَّ بل انهم لن يزالوا مرسلين الى سائر جهات المسكونة رسلًا تثبّت في كلّ مكان البنين وترشدهم وتجتذبهم اليها . فنحن ايضاً نظير خلفائنا ليس لنا سرور اعظم من سرورنا عندما نأتي البيعةَ الرومانية المخطوبة لنا خطبة روحية بنين جُددًا وهؤلاء البنون ولو انهم وُلدوا بغير امكنة لكنَّهم انما ارتشدوا ههنا ليرجعوا فيما بعد ويرشدوا اخوتهم الى طاعة الام العامَّة . فمن ثم لم نتغافل قط من اقتفاء غيرة سلفائنا الكليَّة الحمد . واثباتاً لذلك قد وهبنا في مدينتنا هذه رومة المشرفة وغيرها منازل لبنين لنا اعزاء من طوائف مختلفة كذلك والان بموجب براءتنا هذه قد وهبنا ايضاً اولادنا الاعزاء الذين قدموا من بلاد سوريَّة الى رومة اعني الرهبان الباسيليين الروم الكاثوليكيين من مجمع دير القديس يوحنا الصابغ الذي هو قرب الشوير في جبل لبنان كنيسة القديسة مريم المعروفة بسيدة السفينة

وذلك برضى وكيلها ولدنا العزيز نيقولاوس كوشيا كردينال وقس الكنيسة الرومانية المقدسة ورضا الرهبان الباسيليين المذكورين الذين بقوة منحتنا هذه قد تملكوا الكنيسة المذكورة وامتلكوا التصرف بالمنازل الصغار الملاصقتها وبموجوداتها المقدّسة والمالية حُرّر برومة حذاء كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٢٣ من تموز سنة ١٧٣٦ وهي السنة الخامسة من حبريتنا

فبقوّة هذه البراءة تملّكت الرهبانيّة هذه الكنيسة وبعد ستة ايام استلم الابوان نيكتاريوس وبروكوبيوس الكنيسة وسكنا الغُرَف اللاحقة بها وقد رُتّب لهما علوفة (راتبا) شهريّة اربعين ريالًا رومانيًا. ودامت هذه العلوفة الى ان توفي الكردينال بلوكا بصالح الذكر وطيب السيرة

فيكون ملخّص ما تقدّم ان المحرّك الاول لذهاب كنيسة سيدة السفينة الى رهبانيّتنا هو ميتة الطيب الذكر البارّ المطران ثاوفيطس امّا العلوفة فما هي اليوم الّا اربعة وثلثون فرنكا ايطاليًا. ولما ان افترقت الرهبانيّة المذكورة سنة ١٨٢٩ الى شعبين بلدي وحلبي بقيت كنيسة السفينة المقدم ذكرها باشتراك الشعبتين معًا الى يومنا هذا

الفتاة المسكينة

للشاب الاديب حلمي مصري احد تلامذة الخطابة في كليّة القديس يوسف

عرّبها عن قصيدة افرنسيّة تدعى (la pauvre fille) للشاعر الافرنسي اسكندر سومة (Al. Soumet)

وليتُ عن هذا المنام المقلقِ اذ ليس فيهِ خيالُ تفريجِ يقي
فظللتُ اهبطُ في الشعاب وارتقي سحرًا واعلامُ الضحى لم تشرقِ
وحشاشتي في لوعةٍ وتحرّقِ

دور

بينا على الغصن الرطيب الطائرُ بلذيذ شجوٍ فضلَ ربّهِ شاكرُ
والامُّ نحوهُ بالغذاء تبادرُ آهًا فشقّت مهجةٌ ومرائرُ
وانهل سابق مدمعي المتدفقِ

دور

لِمْ ليس لي امٌّ ترقُّ لشقوتي لِمْ لَمْ اكن كالطير ذات مسرّةٍ

فالطيرُ قرَّ قرارهُ في ايكةٍ   فوق الغصون الزاهرات الغضَّةِ
ومن الندى المنظوم حولهُ يستقي

دور

ما لي حمىً في كنفهِ اتردَّدُ   كلَّا ولا مهدٌ عليهِ ارقدُ
مَن لي بذي حلمٍ وفضلٍ ينجدُ   اني فتاةٌ ليس لي من يعضدُ
أُلقيتُ قرب كنيسة الحي التقي

دور

اين الاحبَّـةُ اينَ امي اين هي   فالوجدُ باقٍ والجوى لم ينتهِ
ما ذقت منهم شهد أُنسِهم الشهي   بل ذقتُ كاسات النوى بتولّهِ
وأليفَ ودٍّ بعدهم لم أُرزقِ

دور

يا ما أُحيـلى الاهلَ اذ تتجمَّعُ   إبَّان يُسدل من ظلامٍ برقعُ
هم يصطلون بقرب نارٍ تسطعُ   في غبطة بينا انا اتهجَّعُ
اشكو الفراق بدمعيَ المترقرقِ

دور

وبناتُ هذا الحيّ باتت في طربْ   متنافساتٍ بالاوائل والنسبْ
متناشداتٍ مانساتٍ كالقضبْ   متبرّجاتٍ في الحرائر والقشبْ
وانا أُصابُ بسهمِ فقرٍ مرشقِ

دور

وانا الوحيدة نحو ظلّ المعبدِ   امضي فبيتُ الله مأوى المطردِ
وهناك اقضي ليلتي حتى الغدِ   بتنهُّدٍ وتهجُّدٍ وتعبُّدِ
عَلّي بمن قد فارقوني أَلتقي

دور

يا طالما جُبتُ الديار بعـبرةٍ   قلبي على جمر الغضا من حسرتي
حتى ارى اثرًا على الارض التي   امي بادمعها الذوارف بلّتِ
لكنَّ دهري من صروفٍ لم يَقِ

دور

يا جُلَّ ما طفتُ القبور بلا اهتدا   شوقي هداني والتولُّه ارشدا
امضي وقلبي في رداءٍ من ردى   والمدمـع المُهَراق خدّي خدَّدا

واقول من يأسٍ ايا نفسي اخفقي

دور

أنفقتُ ايامي بسحّ الادمعِ بين القبور وفي المكان البلقعِ
ها قد ذكت نار الجوى في اضلعي اوّاه يا اماهُ هل من مرجعِ

حتى ترَيْ مسكينةً فتشفقي

مطبوعات شرقية جديدة

VSEV. MILLER
Ocrk Fonetiki ebrejsko-tatskago narecia
مختصر قواعد اللغة العبرانية التاتسكاجية

من اللغات التي تتكلّم بها القبائل الخاضعة لحكم الروسيَّة لغة تجمع بين اصول اللغات الساميَّة والعجميَّة تدعى العبرانية التاتسكاجيَّة لم يدرس احدٌ حتى الان خواصّها . فالاستاذ الروسي ميلر صرف همتهُ الى تعريف هذه اللغة وقد وضع لها كتابًا طبعهُ في موسكو السنة الماضية واستوفى الشرح عن احكامها

كتاب الشبية المعروفة بالصلوات الليلية والنهاريَّة

عُني بطبعهِ حضرة القس افرام الديراني احد مدبّري الرهبانية الحلبيَّة المارونيَّة
طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (سنة ١٩٠١ · ص ٢٦١ بقطع ٣٢)

هذا المجموع من اقدم ما شاع من الصلوات عند الموارنة نُشر لاول مرّة في رومية العظمى سنة ١٥٨٤ بالحرف الكرشوني في مطبعة دومينيك باسا (D. Basa) ثم كُرّر طبعهُ مرارًا في امّ المدائن وطُبع في الشرق بعدئذٍ طبعات عديدة (راجع المشرق ٣ : ٢٥٧) فلا حاجة الى وصفهِ · والطبعة الجديدة بالحرف السرياني الجميل الذي سُبك حديثًا في مطبعتنا · وقد أُتقن تجليدهُ وصُححت عبارتهُ · نفع الله بهِ نفوس المؤمنين

STATISQUE DE L'HOPITAL FRANCAIS
de la Ste Famille à Bethléem 1897-1900, Jérusalem 1901, p. 33
برنامج المستشفى الفرنسوي في بيت لحم

هذا البرنامج وضعهُ الدكتور النطاسي فيليب بركات وقدّمهُ للمؤتمر الثاني الذي

عُقد في اواسط ايّار في مكتبنا الطبي. والدكتور المذكور قد تولى تطبيب مرضى المستشفى الفرنسوي منذ اربع سنوات بهمّة ناهضة احرزت لهُ ثقة الجمهور فاحبَّ ان يختصر بهذه المقالة تاريخ المستشفى المذكور وما وجد فيهِ من الامراض المختلفة وما استعمل لعلاجها من الادوية. والبرنامج بالفرنسويَّة طُبع طبعاً حسناً في مطبعة جديدة انشأها الخواجا ح. حنانيا ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ مقالة افرنسية لحضرة الاب ه. لامنس عن كتابات بلاد النصيريَّة

La pays des Nosairis, nores archéologiques par le P. H.Lammens, *Extrait du* Musée Belge, 1900, pp. 44

٢ مختصر تاريخ كنيسة سيدة السفينة بالفرنسويَّة للسيد الارشيمندريت الكسيوس كاتب (راجع المشرق ص ٥٦٦-٥٦٩)

٣ طريقة جيّدة للتأمّل في اسرار الوردية المقدسة طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٠١ ص ٤٥)

٤ قلادة الثناء وفريدة الهناء لسيادة المطران بولس بصبوص. قصيدة للشاعر الاديب يوسف افندي غنّام ثابت

شَذَرَاتٌ

ناوفيطوس مطران صيدنايا كتب لنا القس جرجس منش الحلبي الماروني ما نصهُ: نشر الارشيمندريت الفاضل ا. كاتب طرفةً من ترجمة هذا الاسقف في المشرق الاغرّ (٣: ١٠٦٨) وطلب من « ذوي الغيرة...من اية طائفة ومن اية بلدة كانوا » ان يوافوهُ بما عندهم من المعلوميات عنهُ. فاجابةً لطلبهِ نفيدهُ بأنّا رأينا منشوراً انفذهُ البطريرك اثناسيوس الرابع في ٢٣ تموز من سنة ١٧٢٤ الى هذا مطران صيدنايا يوليــهِ بهِ على ابرشية معلولة لكون اسقفها « سار الى بلاد الكرج وعجز عن الرجوع الى كرسيهِ » ثم يقلدهُ زمام « راهبات دير صيدنايا ليمنع عنهنَّ سطوة الخوارج ودخول العوام وغير ذلك ممّا يؤذي الراهبات المتعبدات ويبلبل احوالهنَّ » ثمَّ يهبهُ عشور الابرشيَّتين « صيدنايا ومعلولة » ليتمكَّن معها من القيام باودهِ. هذا ما رأيناهُ حريًّا بالذكر من هذا المنشور الذي جاء في مجموع خطّيّ لنعمة الله الملكي الحلبي احد كتبة اسرار البطريرك اثناسيوس المذكور. والسلام

ظاهرة جويَّة — مساء يوم الاثنين ١٠ الجاري الساعة ٧ ٩ افرنجيَّة سطع في سماء بيروت نور عظيم كاد يبهر الانظار ودام ٥ ثوانٍ وكانت وجهتهُ من الشرق الى الغرب. وكان اشبه بشعلة نار متسعة الجوانب ظنَّ الذي رآها انها هبطت في بيروت. وقد شاهدها كثيرون في الشيَّاح ورأوا لها قبل ان توارت كالكرة الناريَّة وسمعوا بعدئذٍ بصوت يشبهُ قصيف الرعد. وهذا الدوي سمعهُ ايضاً استاذ الطبيعيَّات في مكتبنا الطبيّ

ترجمة الانجيل لعبد الله زاخر — من عجيب ما قرأنا في الضياء (ع١٦ص٥٠١) انَّ المرحوم عبد الله زاخر عرَّب الاناجيل الاربعة وانَّ ترجمتهُ شائعة كثر تداولها بين العامَّة. فطلبنا ما عسى ان تكون هذه الترجمة الشائعة ألعلَّ جناب الشيخ يريد الاناجيل المطبوعة في الشوير في اواسط القرن الثامن عشر الَّا انَّ هذه الترجمة ليست للمرحوم عبد الله زاخر وهي قد طُبعت في حلب سنة ١٧٠٦ اي خمسين سنة قبل الطبعة الشويريَّة وذلك بهمَّة البطريرك اثناسيوس الدبَّاس. وليس بين الطبعتين اختلاف قط. والشائع بين العلماء انَّ هذه الترجمة لعبد الله بن الفضل الانطاكي الذي عرَّب كل الاسفار المقدَّسة في القرن الثاني عشر ولدينا نسخ قديمة مخطوطة تؤيد رأينا. وكذلك بحثنا في ترجمة الطيب الذكر عبد الله زاخر فلم نجد انهُ عرَّب الاناجيل وانَّما يُذكر فقط في مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص٤٨) انَّهُ نقَّح تفسير المزامير وتفسير الانجيل وكان الَّف الاول الاب بطرس ارتودي وعرَّب الثاني الاب بطرس فروماج اليسوعيان

نصرانيَّة اميَّة ابن ابي الصلت — روى صاحب الهلال في عدده السادس عشر سيرة اميَّة ابن ابي الصلت الشاعر الجاهلي (١ وختمها بقولهِ انهُ لم يجد في حياتهِ ما يؤيد قول البعض في نصرانيَّتهِ. وهو سهم صوَّبهُ الينا جناب الكاتب فاقتضى علينا ردُّهُ. نقول انَّ نصرانيَّة اميَّة بن ابي الصَّلت ممَّا لا يمكن نكرانها وهذه براهيننا: (اوَّلًا) ورد في كتاب الاغاني وغيرهِ انَّ اميَّة كان يتردَّد على الرهبان ويسمع اقوالهم (ثانيًا) يُخبر انهُ كان يدخل بيع النصارى ويقيم فيها لمَّا كان يدخل بلاد الشام. (ثالثًا) يروى عنهُ انَّهُ كان يبحث في الكتب ويقرأ التوراة. (رابعًا) لا نجد في شعرهِ اثرًا

١) نقل اكثرها من كتابنا «الشعراء النصرانية» دون ان يذكرهُ وقد فعل هذا غير هذه المرَّة ولو اراد ان نبيّن لهُ دعوانا لفعلنا

للتوثن ولعبادة الاصنام. (خامساً) وفي شعره قسم كبير من اخبار العهد القديم كذكر الابوين الاولين والطوفان وابراهيم الخليل وموسى الكليم الخ. (سادساً) لهُ في وصفه تعالى من المعاني ما لم نر لهُ اثرًا الّا في كتب النصارى. وقد روينا لهُ قصيدتين في مجاني الادب تُشعران بنصرانيّته فيهما من ذكر الآثار العلويّة كالملائكة والجحيم والنعيم الخ ما لا يبقي ريباً في نصرانيّتهِ. ولدينا قصائد أُخرى وجدناها في مخطوطات اوربّة العربيّة تؤيد هذا القول. (سابعاً) كان اميّة من جملة قوم اشتهروا في الجاهليّة باسم الحنفاء كثيرًا ما صرّح عنهم كتبة العرب بكونهم من النصارى. امّا قول الهلال انهُ لم يجد ذكر المسيح في شعر اميّة فليس حجّة كافية لانّ ديوان اميّة مفقود لا نعرف منهُ الّا النزر القليل. ثم لو صحّ قولهُ لاقتضى نكران نصرانيّة غيرهِ ايضاً الذين صرّح القدماء بنصرانيّتهم مع اننا لا نجد في شعرهم ذكر الدين المسيحي ل. ش

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة القس الفاضل جرجس منش الحلبي: ١ً هل كان ابو الفرج عبد الله المشهور بابن الطيّب يعقوبيًا او نسطوريًا. ٢ً هل كان القديس ماروثا اسقفًا على تكريت ام على ميّافارقين. ٣ً ما اسم الكتاب الذي ألّفهُ المطران جرمانوس فرحات في المعاني والبيان

ابو الفرج ابن الطيب — القديس ماروثا — كتاب المعاني والبيان لابن فرحات

ج نجيب على (الاول) انّ ابا الفرج عبد الله الشهير بابن الطيّب هو من كتبة النساطرة المبرّزين كما ورد في المشرق (١ : ٢٩٣) وقولهُ (٤ : ١٠١) انهُ كان يعقوبيًا هو سَهو. نجيب على (الثاني) ان بعض المؤرخين وهموا فلم يفرقوا بين القديس ماروثا الشهير اسقف ميّافارقين (مدينة الشهداء Martyrople) في الجزيرة الذي اشتهر في القرن الخامس في عهد ثاودوسيوس الصغير وماروثا اليعقوبي اسقف تكريت بين الموصل وبغداد الذي توفي في القرن السابع (سنة ٦٤٩). والليتورجيا المنسوبة للقديس ماروثا هي لماروثا اسقف ميّافارقين ليس للاول. نجيب على (الثالث) انّ اسم هذا الكتاب «بلوغ الارب في علم الادب» وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة

س وسألنا جنلب رزق الله الحائك: ما اصل السلام عليك ومتى شاعت هذه الصلاة على صورتها الحاضرة ولاي سبب يكرّر الكاثوليك هذه الصلاة مرارًا في المسبحة

صلاة السلام الملائكي

ج السلام الملائكي مركَّب من ثلاثة اقسام قسمان منها أُخذا من انجيل لوقا من كلام الملاك لمريم العذراء وكلام نسيبتها اليصابات اليها . امَّا القسم الثالث فقد زادهُ البابا سلستينوس بعد المجمع الافسسي تقريرًا لما اثبتهُ آباء المجمع عن كون العذراء امًّا لله . امَّا تكرار هذه الصلاة في الورديَّة فذلك تلبيةً لامر البتول التي ظهرت في القرن الثالث عشر للقديس عبد الاحد واشارت اليهِ بهذه العبادة ردًّا لهرطقة الالبيجيين . ولهذه الصلاة منافع جمة بيَّنها الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في مناشير عديدة كرَّرها مدَّة عشر سنوات متوالية حضًّا للمؤمنين على ممارستها . وليس في تكرار هذه الصلاة ما يخلّ في عزَّتهِ تعالى لانَّ اكرامنا للعذراء عائد كلهُ الى الله الذي خلقها وعظَّم شأنها

س وسأل الاديب ميشل سماحة لماذا الجُثث المحنَّطة التي اكتُشف عليها في بلاد الشام لم تصبر على الزمان كجُثث المصريين القديمة

جثث المصريين المحنَّطة

ج انَّ علَّة ذلك طريقة التحنيط الذي كان يتقنها قدماء المصريين . اما هيئة التحنيط عندهم فقد كتب فيها حضرة الاب دي كوبيه فصلًا مطوَّلًا في كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين (ص ١٥٩—١٦٠) . وقد وُجد في صيداء اجسام كانت محنَّطة على الطريقة الشائعة في مصر

س وسأل حضرة القس اغوسطين بيروتي اللبناني : ١ً كيف تتفق اقوال الكتاب في سفر الخروج (١٢ : ٤٣) انَّ بني اسرائيل اقاموا في مصر ٤٣٠ سنة وفي التكوين والاعمال ٤٠٠ سنة وفي رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية (٣ : ١٧) ٢١٥ سنة وكذا في الترجمة السبعينية

مدة اقامة بني اسرائيل في مصر

ج انَّ اقامة بني اسرائيل في مصر بلغت ٢١٥ سنة منذ دخول يعقوب وذرّيتهِ في ارض الفراعنة . امَّا ما ورد في سفر الخروج وغيره انهم اقاموا ٤٣٠ سنة فابتداؤهُ من سنة دخول ابراهيم في بلاد كنعان وارض مصر (تك ص١٢) . والذين ذكروا ٤٠٠ سنة فاخذوا العدد جزافًا بالتقدير

ل . ش

(اصلاح غلط) ص ١٠١ س١٢ « اليعقوبي » والصواب « النسطوري » = ١٩٣ س١٢ « τέλος » ص « τῆλε » بعيد = ٢٠١ س٢٢ « بقيض الحيوانات » ص « بقَنْص » = ٢٠٣ س١٤ = ٢٠٦ س ٢٠ « وان توقرهُ » ص « فالتجأت الى ان تثقل على شعبها بالجبايات وان توقرهُ »

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٦ أيار الى ١٠ حزيران ١٩٠١

الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠

ميزان الرطوبة — ميزان ثقل الهواء: ٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

ميزان المطر — ميزان الحرارة: ٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٠٥ ٠

انَّ الخطَّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

1 **Sainte Bible.**

الكتاب المقدس

Grand in-8°, 3 vol. 1er 892 pp. (5e éd., 1890), 2d 603 pp. (4e éd., 1885), 3e 597 pp. (2de éd., 1882).

Traduction aussi élégante que fidèle, faite sur l'hébreu et le grec et approuvée par Nosseigneurs les Patriarches de tous les rites. Des Orientalistes tels que Gildemeister et Lagarde se sont plu à signaler le mérite de cette nouvelle version arabe des Saintes Ecritures, complètement vocalisée.

Une médaille d'or a été décernée à cet ouvrage à l'une des Expositions de Paris.

1er vol. : Livres historiques de l'ancien testament jusqu'à Job exclusivement;
2e — Suite de l'ancien testament;
3e — Nouveau testament et table générale des matières.

A la fin de chaque volume se trouvent des notes sur les passages obscurs ou controversés.

On a fait de cet ouvrage une édition de luxe, vrai chef-d'œuvre d'exécution typographique.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	10 »	en colis postal
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	—	12 »	
— — — — *dorée*	—	15 »	
— — *ornements dorés, tr. dorée*	—	18 »	
Édition de luxe: *chaque volume, broché*		20	

2 **Ste Bible (éd. photolithographique).**

الكتاب المقدّس (مرسومًا بالشمس ومطبوعًا على الحجر)

Petit in-8, 1 vol. 562 pages dont 50 de notes, 1897.

Grâce aux procédés de photolithographie nous pouvons enfin donner au public une édition complète de la Ste Bible reproduisant en un seul volume de format et de dimensions très commodes les trois gros volumes mentionnés plus haut. C'est le même type de Constantinople réduit de trois-quarts. L'extrême finesse des caractères n'a pourtant rien ôté à leur élégance et à leur netteté. Nous espérons que l'exécution de cet ouvrage plaira aux Arabisants d'Europe comme elle a déjà conquis les suffrages de tous les Orientaux

Ajoutons que le prix modique de cette édition permettra désormais même à la classe peu aisée de lire et de méditer nos Livres Saints.

Broché	10 »	1,20
Demi-reliure, chagrin et toile, tranche marbrée, titre doré	12 »	

Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe.

In-8°, LII — 314 pages, 1890.

Par le P. H. Lammens S. J.

L'auteur passe en revue dans leur ordre alphabétique quelques centaines de mots dont l'origine arabe lui semble plus ou moins fondée. Il commence par examiner les opinions de ses devanciers, les confirme par de nouveaux arguments, ou les repousse quand il les juge hasardées. Les mots arabes sont toujours *transcrits* en caractères latins, et à côté du mot français on trouve les termes congénères des autres langues *romanes*. Ce procédé de comparaison fait que ce travail peut servir à l'étude étymologique de plusieurs idiomes.

L'ouvrage est précédé d'une introduction ou *phonétique*, traitant des changements éprouvés par les lettres arabes dans leur passage au français. De nombreuses observations sur les dialectes vulgaires le recommandent à l'attention des lexicographes comme à celle des étymologistes.

	Fr.	affr.
Broché	5 »	0,55

245 Le livre des Arbres et des Plantes

كتاب النبات والشجر للاصمعي

In-8°, 48 pages.

Par al-Asmaʿi

Edité par le Dr A. Haffner

Cet ouvrage tiré comme كتاب الدارات de la Revue **al-Machriq** y a paru en articles successifs. Il offre un double intérêt aux Orientalistes sous le rapport de la Philologie et de l'histoire de la Botanique des anciens Arabes. Les noms scientifiques des plantes sont renvoyés en note et accompagnés de la description qu'en ont donnée les naturalistes anciens dans les grands lexiques arabes.

Broché	1 »	0,10

885 Diwan d'al-Ḫirniq sœur de Tarafah.

ديوان الخرنق اخت طرفة

Grand in-8°, 24 pages.

Par le P. L. Cheikho S. J.

Après al-Ḫansâ', les Arabes accordent la palme poétique à trois femmes célèbres du désert : al-Ḫirniq sœur du poète Tarafah, Amrah fille d'al-Ḫansa' et Laïla l'Aḫialite. Les poésies de la première réunies en un *dîwān* éditées d'abord dans le recueil des Femmes Poètes viennent d'être publiées à part avec un appareil plus scientifique destiné surtout aux Orientalistes, d'après le Ms. du Caire.

	Fr.	affr.
Broché	1,50	0,05

السنة الرابعة العدد ١٣ ١ تموز ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كليّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 13 (1 *Juillet* 1901)

فهرس العدد ١٣

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

289 **L'Héroïne du Liban — Sœurs-jumelles !**

قرّة العين

في خريدة لبنان ورواية الشقيقتين

Petit in-8° 112 pages.

Par le P. H. Lammens S. J.

Ces deux petits romans ou *nouvelles*, réunis en un volume, inaugurent une série de romans intéressants et moraux que nous nous proposons de publier. Ils peignent au vif les mœurs syriennes. Parus dans la revue "**Al-Machriq**" ils y ont obtenu un succès mérité.

Broché 0,65 0.15
Cartonné 0,75

12 **Vie de St Jean Damascène.**

ترجمة القديس يوحنا الدمشقي

petit in-12. 44 pages, 1895.

Par les PP. L. Huguet et L. Cheikho S. J.

Cet ouvrage a été composé d'après les biographies les plus anciennes du St Docteur avec quelques détails tirés des auteurs arabes. Deux photographies accompagnent le texte ; elles représentent, l'une les restes de l'antique demeure que la tradition assigne à la famille du grand Docteur, l'autre le tableau qui se trouve dans l'Eglise du Saint, au dessus de son autel ; c'est l'œuvre d'un peintre Lyonnais qui a reproduit le miracle de la Vierge en faveur de St Jean. Fr. affr.

Broché. 0,50 0,05

128 EUCOLOGE

OU

Manuel du Jeune Chrétien

AU COLLÈGE ET DANS LE MONDE.

كتاب صلوات للشبّان واحداث المدارس

Par le P. J. F. Voilly S. J.

Petit in-16, 623 pages, dont 92 pages arabes, 1895.

Dans cette rédaction nouvelle de notre Eucologe on a eu surtout en vue de procurer aux jeunes gens un livre de dévotion pratique, où ils pussent trouver sous la main, avec les principaux exercices de la vie chrétienne durant le temps du Collège, un ensemble d'instructions et de conseils adaptés aux différents besoins de leur âme vers la fin des études et à leur entrée dans le monde. Signalons en particulier les diverses méthodes de prière vocale ou mentale, les pensées chrétiennes pour tous les jours du mois, différentes manières d'entendre la Ste Messe avec fruit, la pratique de l'examen particulier, de sages conseils pour sanctifier les actions ordinaires, se disposer à sa 1re communion ou à la réception fréquente des Sacrements, faire sa retraite annuelle, choisir un état de vie, etc. etc. Les cantiques, les offices des différentes fêtes, les heures des Congréganistes ont été revus et modifiés. La partie arabe est restée sensiblement la même.

Broché 1.75 0.45
Reliure mouton chagriné, tr. marbrée 2,90
— — — *dorée*. 3,90

المشرق

اديرة مصر الاولى للقديس باخوميوس

للباحث المدقق الاب ميشال جوليان اليسوعي

لمَّا استأثر الله في القرن الرابع بذلك الناسك الشهير القديس باخوميوس كان انطونيوس الكبير ابو الرهبان لم يزل في قيد الحياة فقال عنهُ لبعض تلامذتهِ ممَّن قدموا عليهِ ليفتقدوهُ في البرِّيَّة: « لمَّا ألهمني الله الترهُّب لم يكن بعدُ اديرةٌ يجتمع فيها الرهبان تحت قيادة رئيس يُعنى بامرهم بل كان العبَّاد ينقطعون الى العيشة النسكيَّة كل واحدٍ بمعزل عن غيرهِ حتى قام ابوكم باخوميوس وباشر هذا العمل الخطير بايدهِ تعالى (١ »

فهذا لعمري ثنـاء طيب على منشئ الاديرة الاولى في مصر . ولبيان فضل باخوميوس هاءنذا ألخّص تاريخ العيشة الرهبانية قبل زمانهِ

اعلم انّ التنسُّك ظهر في الكنيسة منذ اوائل عهدها. فأننا نرى في التاريخ البيعي قوماً من افاضل الرجال والنساء يزهدون بالدنيا وينقطعون الى عبادتهِ تعالى متجرّدين من كلّ مال العالم وملاذّهِ الباطلة وكان هؤلاء الزهَّاد يعيشون في المدن او جوارها ويمارسون اعمال البرّ في الخلوة وقد عُرفوا لذلك بالمتروّضين (ascètes) لمزاولتهم عمل الصلاح

بيد انهم لم يلبثوا ان وجدوا في عيشتهم هذه عوائق تصدُّهم عن بلوغ الكمال فعمدوا الى العزلة في البراري والقفار كما فعل القديس بولا المصري في القرن الثالث للمسيح . وهكذا نشأ الحبساء (anachorètes) وانتشروا في البلاد

ولمَّا كانت العزلة التامَّة لا تخلو من الاخطار رأى الحبساء ان يقرّبوا محابسهم من

---

١) راجع اعمال القديسين للبولنديين الجزء الثالث من أيَّار العدد ٧٧

محبسة احد المتقدّمين ممن يعرفونهُ راسخًا في الكمال محنّكًا في السياسة الروحيَّة ليتفرَّغوا تحت قيادتهِ الى اعمال النسك والتعبُّد . فكانوا يجتمعون عندهُ في اوقاتٍ معلومة ليصلُّوا معهُ ويسمعوا ارشادتهِ التقويَّة وربَّما كانوا يشيدون بقربهِ أنبارًا يودعونه موُنتهم ولوازم معاشهم . لكنَّهم كانوا يقضون حياتهم في قلاليهم الخاصَّة كما يسنح لكل منهم خاطرهُ . وهذا الصنف من المتنسِّكين شاع مدَّة من الزمن وكان يُعرف بفئات الحبساء وجماعات المعتزلين . وهكذا عاش القديس انطونيوس وتلامذتهُ في اول امرهم . وعلى هذا المنوال تعبَّد النساك الاوَّلون في بلاد فلسطين

امَّا القديس باخوميوس فنظَّم هذه المعيشة الرهبانيَّة وجعل قلاليَّ الرهبان ضمن سور يحدق بها ويصونها بحيث يعيش اصحابهـا عيشةً متساوية فيخضعون لقانون واحد يسهِّل عليهم تتمَّة المشورات الانجيليَّة وينقادون الى اوامر رئيس واحد يتولى تدبيرهم . فتلك هي الاديرة (couvents) والديريُّون من يعيشون فيها عيشة اشتراكيَّة (vie céno-bitique) . فمصر كانت اذًا اوَّل مهد لهذه الحياة الرهبانيَّـة التي ازهرت حتى اذواها سَموم الهرطقة اليعقوبيَّة الَّا انها لم تذبل في أرض الفراعنة مصر قبل ان امتدَّت فروع هذه الشجرة فبسقت ونمت في انحاء اخرى من المعمور لاسيَّما في بلاد الغرب بهمَّة القديس بناديكتوس . وانما الفضل في ذلك عائد الى القديس باخوميوس

امَّا الاديرة التي اقامها هذا القديس فهي تسعة اديرة للرجال وديران للنساء وموقعها كلها في وادي النيل بين اخميم شمالًا وأسنة جنوبًا . ولمَّا كانت الآثار المسيحيَّة في مصر ممَّا يهمُّنا البحث عنهُ اردنا ان نفتش لعلَّنا نجـد شيئًا من بقايا هذه الاديرة لتعريف خواصّها وطريقتها الهندسيَّة . وممَّا نعلم من امر بنائها انَّ باخوميوس اقامها في ظهراني القرى بين فلاحي مصر في السهول التي تطغو فوقها مياه النيل في وقت فيضانهِ . ولذلك قد عملت فيها يد الخراب في كرور الاعصار وبسطت مياه النيل طبقةً من طينها اللزج على جدرانها واطلالها

وقد اتخذنا لابحاثنا عن هذه الاديرة ادلَّةً امينـة ألا وهي تراجم القديس واعمالهُ التي كتبها المؤرخون وكذلك اخبار تلميذهِ تاودوروس (او تادروس) وسيرة شنودي وغيرهِ من الرهبان الذين انتسوا بطريقة القديس باخوميوس وانتسبوا اليهِ

واعلم ان ترجمة حياة القديس باخوميوس على ثلاثة اصناف : (الاولى) هي الترجمة

اليونانية كُتبت بعد وفاة تادروس بزمن قليل سنة ٣٦٥ تجدها في اعمال البولنديين (ج ٣ من ايَّار ص٢٩٢) وقد الَّفها احد الرهبان الذي لم يعرف القديس لكنهُ جمع اخبارهُ من فم تلامذتهِ ومعاصريه. ومن اعمل فيها نظر الانتقاد وجد انها شاهد صدق ودليل ثبتٌ يوثق بهِ. (والثانية) هي الترجمة القبطيَّة كُتبت اولًا في اللغة القبطيَّة الصعيديَّة نقلًا عن الترجمة اليونانيَّة لافادة الرهبان الذين لم يفقهوا هذه اللغة. لكنَّ الكاتب وهو راهب من رهبانيَّة القديس باخوميوس اطلق العنان لمخيَّلتهِ فزاد على الاصل عدة تفاصيل غريبة وفقًا لما كان يعهدهُ في الاقباط من الرغبة في عجائب الامور. ثم نُقلت هذه السيرة الى اللغة القبطيَّة المنفيَّة (راجع المشرق ٣ : ٨٩٤) لمنفعة رهبان اديرة نيتري ولا يُعرف منها الَّا نسخة واحدة جاء بها العلامة السمعاني من دير نيتري وهي مصونة في المكتبة الواتيكانيَّة. (والثالثة) هي السيرة العربية نُقلت اليها بعد الهجرة بزمن طويل في القرن الرابع عشر. وهي مأخوذة عن التراجم السابق ذكرها وعن پالّاديوس وغيرهِ من الكتبة وليست ثقتنا بها كثقتنا بالتآليف الاولى (١

كانت ولادة باخوميوس سنة ٢٩٢ للمسيح في بعض مدن الصعيد وكان ابواهُ وثنيَّين. فلمَّا بلغ العشرين من عمرهِ اضطرهُ الولاة الى ان يستكتب في الجنديَّة فاركبوه مع الرديف فلكَّا نزل بهم الى مدينة اسنة. وكان هناك قومٌ من النصارى رأوهُ ورفقتهُ في هذه الحالة السيئة فحنُّوا لشبابهم ورثوا لاوجاعهم وساعدوهم في حاجاتهم. فعمل في قلب باخوميوس مثَل هؤلاء المحسنين وتعجَّب من حسن صنيعهم اليهِ مع انهم لم يعرفوهُ واستفسر عنهم فقيل لهُ انهم النصارى يطلبون بذلك وجه الله ممتثلين اوامر إلههم المسيح ابن الله الوحيد. فاحبَّ باخوميوس ان يدين بدين يعلّم اصحابهُ مثل هذه التعاليم السامية وان يقتدي بسيرتهم. ثمَّ ما مرَّ على الجند مدَّة حتى أُطلق سراحهم فعاد باخوميوس الى وطنهِ وتفقَّه في مبادئ الدين المسيحي واصطبغ بمياه المعمودية

١) تولى المسيو اميلينو (Amélineau) طبع ترجمتَي القديس باخوميوس القبطية والعربية (Annales du Musée Guimet, T. XVII, *Paris* 1889). لكننا لم نرَهُ منصفًا في ما استنتجهُ من النتائج الباطلة في حق هذا القديس. بخلاف الخوري لادوز (Ladeuze : Etude sur le cénobitisme pakhomien, *Fontemoing*, *Paris* 1898) الذي اصاب في حكمهِ عن اعمالهِ وبيَّن فضلهُ العظيم

١ كينوبُسكيون او شِنسيت

واول بلدة نزل فيها باخوميوس كان اسمها كينوبسكيون وبالقبطيَّة شِنسيت وهي تُعرف اليوم بقصر الصيَّاد على ضفَّة النيل الشماليَّة بازاء « ناج حمادي» واختيارهُ هذا المكان للتنسُّك حمل بعض الكتبة الى القول انَّ مولدهُ كان فيهِ . وليس الامر بثابت . واحتلَّ القديس في خربة كان الاهلون يدعونها هيكل سيرابيس وقضى فيها ثلاث سنوات ثم انتقل الى مسافة قريبة من القرية حيث وجد شيخاً جليلًا وناسكاً فاضلًا يدعى باليمون طلب منهُ ان يرشدهُ في طريق الزهد ففعل والبسهُ الاسكيم الرهبانيّ

ولمَّا الهم الله الى القديس باخوميوس ان ينشئ الاديرة المنظَّمة واقام ديرَيه الاوَّلين في تابنَّة وفاو قدم عليهِ من شِنسيت عابدٌ قديس اسمهُ إبونة كان رئيساً على جماعة من الرهبان الحبساء . فتوسَّل اليهِ ان يقبلهُ ورهبانهُ في طاعتهِ ويجعل مقامهم ديرًا على طريقتهِ المستحدثة . فاجاب باخوميوس الى طلبتـــهِ واتى معهم الى شنسيت واقام هناك ديرًا قانونيًا اضحى بعد زمن قليـــل من اشهر اديرة القديس باخوميوس واعظمهم شأنًا واكثرهم رهبانًا ورئيس هذا الدير الانبا هورسيسي خلف القديس بعد وفاتهِ في تدبير الرهبانية كلها (١

قلنا انَّ شنسيت كانت تدعى ايضاً كينوبُسكيون وهي لفظة يونانيَّة معناها مرعى الاوزّ . فظنَّ علماء العاديَّات انَّ المصريين كانوا يربّون الاوزّ في هـــذا المكان . وكان للاوزّ عند قدماء المصريين اعتبار عظيم يقدّمونهُ لموتاهم ولآلهتهم (٢ . وقـــد جاء في « دليل انطونينوس» اسمُ كينوبُسكيون . وروى في كتاب « تعريف الدولة » (Notitia Imperii) انَّ كتيبة من الفرسان كان مقامها في هذه البلدة . امَّا اليوم فهي ضيعة كبرى يسكنها القرويون لم يجد فيها العلماء من الآثار غير كتابات قليلة باليونانيَّة ليس تحتها كبير امر

والرحلة الى كينوبُسكيون تكون امَّا بالسكة الحديديَّة فيـــنزل المسافر في محطَّة

---

١) راجع الترجمة اليونانيَّة في البولنديين (عدد ٧٦) والترجمة القبطية (ص ٧١) والترجمة العربية (ص ٣٧٩)

٢) والاوز كثير الى يومنا في قرى الصعيد . اما البطّ فنادر

دابّة واماً بالسير على النيل وهذه الطريق افضل من الاولى واياها اتّبعنا فركبنا سفينةً بخاريّة اقلّتنا الى قصر الصيّاد التي بُنيت مكان كينوبُسكيون. فما نزلنا فيها حتى تعقّبنا ردمها علّنا نجد شيئاً من الآثار التي تنبئنا بحبسة القديس باخوميوس في هذه البلدة لما سكنها كناسك عاليّ منفرد او تهدينا الى ديرهِ الذي اقامهُ بعدئذٍ. لكنّ هذه الاطلال الباقية لم تُجدِنا نفعاً لِما استولى عليها من التقلّب والخراب. فقصدنا وجوه البلدة لننشد عندهم ضالّتنا فلم يُجيروا جواباً لجهلهم تاريخ اجدادهم. فاردفنا قولنا سائلين: ألا تعلمون اين هو دير الانبا پاليمون ؟

فما سمعوا اسم پاليمون حتى صرخوا بصوت واحد: ديرهُ قريب من الضيعة لا يبعد عنها سوى ثلث الساعة فسيروا مع القناة المتجهة الى الشرق تجدوهُ

فاستأنفنا للحال مسيرنا ورأينـــا بعد قليل على ضفّة القناة الشماليّة قُبباً بيضاً حسنة المنظر تعلو سوراً عالي الجدران فعرفنا انهُ هو دير الانبا پاليمون

فلمّا اقتربنا منهُ وجدنا حولهُ قبوراً وكان عند بابهِ قوم على وجوههم امارات الحزن والكآبة تألّبوا هناك ليودعوا اللحدَ ميتهم. فخفنا ان يعيقنا اجتماعهم عن زيارة الدير وفحص آثارهِ. لكنّنا ابتدرناهم بالسلام فاجابوا بكلام الأُنس والترحيب ثم اقبل احد الكهنة الينا وعرض ان يكون دليلاً في زيارة الدير. فشكرنا لهُ لطفهُ وتبعناهُ فأفادنا باديء بدءٍ انّ الرهبان لم يقيموا في هذا الدير وانّما هو مزارٌ يأتي اليهِ الاقباط ليتبرّكوا بزيارتهِ ويسكنهُ كاهنان عالميّان من الشيعة اليعقوبية

وفي ضمن هذا الدير ثلاث كنائس: الاولى مخصّصة لذكر الشهيد القديس مرقوريوس المعروف عند الاقباط بابي سيفَين. وهي اجمل الثلاثة واقدمها وفيها كان الحضور اوشكوا ان يقيموا الجناز. امّا هندسة هذه الكنيسة فبسيطة جدّاً تشبه كثيراً من الكنائس القبطيّـــة المشيّدة في بلاد الصعيـــد. فلها سوقان وِجهتُهما من الشمال الى الجنوب تعلوهما القُبب العديدة المستندة الى سوارٍ مربّعة مركوزة على مسافات متساوية. وترى للكنيسة في شرقيها سوقاً ثالثة تشبه السوقَين الاوليَين لكن لكلّ قنطرة منها معبداً مقفلاً في جانبيهِ مطلّاً على السوقَين السابق ذكرهما. والمعابد خمسة والمتوسّط بينهـــا هو اكبرها ترى فيهِ الهيكل داخلاً في الجدران مزداناً بضروب الزين وعليهِ تقام الذبيحة والفروض الدينيّـــة عادةً. امّا المعبدان اللذان في الطرف وقناطر السوقين المواجهتين لهما

فيصلّي فيها النساء ولها. الحواجز (الشعريّات) من الخشب المصلّب او من الآجرّ. ومدخل الكنيسة الكبير بازاء الهيكل. ولحظنا انَّ بُناة الهيكل المذكور لمّا ارادوا توسيعهُ كبَّروا حنيَّتهُ حتى اخرجوها عن سور الدير

والكنيسة الثانية اقيمت تذكارًا للقديس باليمون وهي على مثال الاولى لا تختلف عنها رسمًا وانّما سواريها واطئة وقناطرها مقوَّسة بخلاف كنيسة الشهيد مرقوريوس حيث السواري عالية والقناطر بيضويّة الشكل

امّا الكنيسة الثالثة فانها معبد فقط بُني اكرامًا للعذراء مريم عليها اشرف السلام وقد أُقيمت فوق سطح الدير

وكان دليلنا يزعم انَّ هذه الكنائس مع الدير المكتنف بها يرتقي عهدها الى زمن القديس باخوميوس. بيد انَّ ذلك وهمٌ لم نحاول تفنيدهُ لعلمنا انّ الجدال مع مثلهِ لا يجدي نفعًا. وحجّتنا انّ الكنائس التي شُيدت في الصعيد في القرنين الرابع والخامس تشبه في هندستها الطريقة البوزنطيَّة البديعة ورسمها اقرب الى الكنائس اللاتينيَّة. وعلى رأينا انَّ كنائس هذا الدير بُنيت بعد ذلك بزمن مديد اعني بعد الفتح الاسلامي حين فشل الاقباط واستولى عليهم الفقر فلم يعودوا يتأنقون في تشييد كنائسهم ولذلك لا تكاد ترى في هذه الابنية الّا نقوشًا قليلة ساذجة وبعض الاخشاب البسيطة (١

على أنّنا لا ننكر انَّ لهذا الدير شأنًا خطيرًا فلا مراء انهُ أُقيم للدلالة على مكان مقدّس عرفهُ النصارى الاقدمون فبالغوا في اكرامهِ. ولعلّهُ هو المحلّ الذي سكنهُ باخوميوس لمّا هجر منزلهُ الاوّل ليتلمذ للقديس باليمون. وما ادرانا انهُ هنا كان دير شِنسيت الذي ورثهُ باخوميوس من ابونة الرئيس الذي سبق ذكرهُ (ص ٥٨٠). وقولنا هذا مع كونهِ محمولًا على الحدس والتخمين قريب من الصواب يدلُّ عليهِ اسم الدير المعروف بدير الانبا باليمون. ثمَّ انّ ما ورد في ترجمة القديس باخوميوس من الافادات والاوصاف ينطبق على هذا المكان بنوع حسن

---

١) ولعلَّ احدًا يعترض علينا بقولهِ انَّ منظر كنائس الانبا باليمون يدل على انّها عريقة في القدم. أجبنا ان العتق كثيرًا ما يخدع في تعريف زمن الابنية. مثال ذلك كنيسة دميانة شمالي هيكل ايدوس التي يظنّها الناس قديمةً جدًا مع انها بُنيت قبل ٣٠٠ سنة فقط

٣ دير فاو

لم يمرّ على القديس باخوميوس سوى بضع سنين بعد انشائهِ دير تابنّة حتى كثر عدد تلاميذهِ واضطرّ الى ان يبني لهم ديرًا آخر اقامــهُ في قرية على قول البعض وفي محلّ قفر على زعم غيرهم شمالي تابنّـــة في مكان يدعى بافوا (١). امَّا اسم الدير الجديد فقد اختلف الكتبة في كتابتهِ. فانَّ ترجمة القديس اليونانيَّة تدعوهُ پرو (Πρου) والترجمة القبطيَّة فبو (ϥⲃⲟⲟⲩ) والعربيَّة فاو. وزاد هذا الدير وغا وجعل فيهِ القديس باخوميوس مقامهُ حتى صار مركز بقيَّة اديرتهِ

فاخذنا ننشد ضالَّتنا فقيــل لنا انَّ في شرقيّ قصر الصيَّاد على مسافة ١٢ كيلومترًا قريةً كبرى تدعى فاو فيها آثار مسيحيَّة جليلة. فاستفزَّنا الطرب لهذا الخبر وودَّعنا الكاهن الذي تلطَّف ودلَّنا على دير الانبا پاليمون ثم توجَّهنا الى القريةِ المنوَّه بها فكان سيرنا اولًا على مجرى القنـــاة ثم بقرب السكة الحديدة حتى وجدنا في وسط الحقول طريقًا تبعناها فادَت بنا الى القرية المقصودة

وكنا في اثناء طريقنا نسرّح البصر في الجبال المنتصبة امامنـــا. وهي السلسلة المعروفة بالعربيَّة ذات الصخور الشديدة البيـــاض. وقد نُقر في هذه الصخور مدافن عديدة كنَّا نرى مداخلها عن بعد. قيل انَّ عهدها يرتقي الى زمن الفراعنة حتى الدولة السابعة. والى هذه المدافن كان يتردَّد الحبساء الاقدمون كالقديسَين پاليمون وباخوميوس ليعتزلوا عن الناس ويستحرُّوا في صلاة الله. وكانوا قدَّسوا هذه المغاور برسم اشارة الصليب فوق ابوابها ومنهم من كتب عليها الآيات التقويَّة وكتابات أُخر في القبطيَّة. ولولا ميل النهار الى الغروب لكنَّا توقَّلنا في الجبل لزيارة هذه القبور

ثمَّ انفسحت بعد مدَّة امامنا السلسلة الجبليَّة وانبسط سهل متسع الجوانب كثير الخضرة ذو حدائق غناء في وسطها القرى والمزارع حتى بلغنا آخرًا بلدة فاو وهي عبارة عن قريتين يفصل بينهما غديرُ ماء وهما فاو القبلي جنوبًا وفاو البحري شمالًا فنزلنا في الاولى التي لقيناها في طريقنا. فما رآنا نصارى القرية حتى خفُّوا لاستقبالنا ولمَّا عرفوا ما غايتنا من زيارة محلتهم ذهبوا بنـــا الى طرف ضيعتهم شمالًا فارونا في الحضيض عدَّة

(١) راجع الترجمة القبطيَّة (ص ٧٠)

عواميد من الحجر الصوّان مطمورة في الارض واعلمونا أنّها بقايا كنيسة القديس باخوميوس

فانعمنا النظر في هذه الآثار واستدللنا من كثرتها وعظمها وحسن نقوشها أنها كانت في الزمن الغابر كنيسة بديعة لكنّنا لم نتمكن من معرفة هيئتها وسعتها وقِبلتها الى غير ذلك من العلامات التي تشير الى هندستها . والجدران الباقية منها كلها مطمورة لا يُنظر شيء منها . بيد أنهُ قد جاء ذكر هذه الكنيسة في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني (ص ١٣١ من طبعة اوكسفرد) احد كتبة القرن الثالث عشر قال: « الناحية المعروفة بفاو من الصعيد الاعلى بها دير وبيعة على اسم القديس ابو (كذا) بخوم وهذه البيعة كبيرة متسعة طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها خمسة وسبعون ذراعاً وهي الآن قد تشعّثت وجميع الصور التي فيها كانت فصّ زجاج مذهّب وملوّن وعمدها رخام هدمها الحاكم (بامر الله) »

ولا نشكّ انّ اعمدة الصوّان التي في هذه الكنيسة أُخذت من احد هياكل الاصنام المهجورة بعد الحكم الذي اصدرهُ تاودوسيوس الكبير في ابطال عبادة الاوثان . وقد أيد رأينا هذا عمودٌ وجدناهُ في اثناء بحثنا قريباً من هناك عند مدخل القرية وكلهُ مكتوب بالقلم المصري القديم

امّا القرية الثانية التي موقعها شرقيّ الكنيسة فانّ الآثار المسيحيّة فيها عديدة وكلها اخربة لاديرة بناها الرهبان المنتمون للقديس باخوميوس منها قطع عواميد ورؤوس اكلّة قريبة من الطرز الروماني (style roman) وهناك من نحيت الحجارة ما لا يُحصى تراها مبثوثة فوق الحضيض وفي طرق البلدة وقد اتخذ الفلاحون منها قسماً لبناء بيوتهم . وبينما نحن نتجوّل بين هذه الاطلال اذ رأينا قرب جامع هناك حجرًا عليهِ كتابةٌ يونانيّة وهو غائص في الردم . فلم نزل نلاطف اصحاب المكان حتى رخّصوا لنا بنزع الحجر من محلّهِ فاذا في وسطهِ صليبٌ حسن الشكل يحدق بهِ تاجٌ جميل وتحت الصليب كتابة لم يمكنّا اخذ رسمها لانّ اهل الضيعة كانوا اجتمعوا حولنا ولعلّهم ظنّوا اننا حفرنا لنستخرج الكنوز المدفونة هناك وممّا قرأنا في هذه الكتابة اسم ΠΑΝΥΤΙ (بانوتي) وهو اسم الوكيل العامّ الذي اقامهُ القديس باخوميوس في دير فاو كما يُروى في سيرته

هذا ولولا ما جاء في التاريخ من وصف هذا الدير لما امكن أن نتصوّر هيئتهُ

١ دير الانبا پاليمون في قصر الصيأد ٢ كنيسة دير الانبا پاليمون ٣ كنيسة ابي سيفين في دير الانبا پاليمون ٤ اخربة دير فاو

القديمة. وهذه خلاصة ما عثرنا عليهِ في التآليف القديمة. كان للدير سور كبير مرتفع الجدران ولا يُدخل اليهِ الَّا من بابٍ واحد. وكانت قُبب الكنيسة محلّقة في الفضاء يراها القادمون من مسافة بعيدة بين سعوف النخل التي تتهادى في الجوّ

وكان الزائر اذا دخل الدير يجد اولًا منزل الضيوف والغرباء ثمَّ قريبًا منها المعامل العموميَّة كالمطبخ والمطعم والتنور وغير ذلك من المصانع ثمَّ منتدى الرهبان ومجلسهم العمومي ثم الكنيسة تفوق الابنية كلها علوًّا واحكامًا ثم اخيرًا مقام الرهبان وهو عبارة عن بيوت شتى فيها قلالي متعدّدة يسكن كل راهب واحدة منها مع ردهة عظيمة يجتمعون فيها لاشغالهم العموميَّة. وكان من يعتبر هذه الابنية العديدة يجد انها اشبه بقرية تخطها الازقّة والشوارع وتزينها البنايات المنتظمة بينها جنائن صغيرة يقوم الرهبان بفلاحتها. وللاقباط حتى اليوم في بريَّة نيتري اديرة تمثّل لنا شيئًا من احوال هذا الدير القديم منها مأهولة يسكنها الرهبان وهي دير مار انطونيوس ودير مار بولا بجوار بحر القلزم ودير المحرَّق بقرب منفلوط ومنها مهجورة لا تزال ابنيتها مائلة

وكان عدد الرهبان الذين تنسَّكوا لله في هذا الدير بعد وفاة القديس باخوميوس وفي عهد خلفهِ هورسيسي بلغ نحو ٦٠٠ راهب يفيدنا ذلك الاسقف امون في رسالة كتبها للبطريرك تاوفيل (١ قال: انَّ عدد بيوت الرهبان ٣٥ بيتًا يأوي في كل بيت نحو ٢٤ راهبًا. وكان لكل بيت متقدّم يتولى امر رهبانهِ ويخضع للرئيس العام

وقد روى صاحب ترجمة القديس باخوميوس العربيَّة خبرًا عجيبًا يبيِّن انفة القديس من البنايات الجليلة المنظر قال (ص٦٣٢): انَّ القديس باخوميوس لمَّا اراد بناء كنيسة الدير واقام فيها الاعمدة العظيمة تأثَّر من جمالها وخطورة مشروعهِ فاحسَّ بشاعرة المَجيد الباطل فامر من ساعتهِ الرهبان ان يربطوا الاعمدة بالقلوس والحبال ويسحبوها الى ان يختلّ نظامها بعض الخلل ولمَّا تمَّ عملهم ابتنى السقف فوقها وانتهز هذه الفرصة ليوصي تلامذتهُ بالَّا يتأنقوا في بناياتهم ويكتفوا بالعمارات البسيطة

قلنا سابقًا انَّ القديس باخوميوس بعد انتهاء دير فاو جعل فيهِ مركز الرئاسة العموميَّة واتخذ مذ ذاك الحين في تدبير الرهبان ما شاع بعده من النظام والسيّاسة اعني انهُ جعل رئيسًا عامًّا على كل الرهبنة ورؤساء خصوصيين يطيعون للرئيس العام. وكان

١) راجع اعمال القديسين للبولنديين الجزء الثالث من ايَّار ع ١,٢,١١

بقرب الرئيس العام وكيلٌ يتولى تدبير الرهبنة في احوالها الزمنيَّة يدعى ايكونومس اي مقتصداً. وهذه الهيئة النظاميَّة دخلت بعد ذلك في الغرب جرى عليها اولًا رهبان كلوني (Cluny) في القرن الحادي عشر ثمَّ شاعت حتى صارت اليوم تعمُّ كلَّ الرهبانيَّات الجديدة

وكان الرهبان كلهم يجتمعون مرَّتين في كل عام في دير فاو. فكان الاجتماع الاول يُعقد في عيد الفصح ليقيم الرهبان الاسرار الجيدة بما امكنهم من الأبهة والرونق ويسمعوا ارشاد الرئيس العام. وكانوا يعمّدون في ذلك الوقت الرهبان الموعوظين الذين لم يصطبغوا بالعماد قبل تلك المدّة. امَّا الاجتماع الثاني فكان موقعهُ في ٢٠ مسري (١٣ آب) للنظر في امور الاديرة الزمنيَّة ولتوثيق عرى المحبَّة بين الرهبان. وكان الرؤساء الخصوصيون يؤدُّون وقتئذٍ الحساب للوكيل العام. ثمَّ كان الاخوة يتسامحون بالذنوب ويقبّلون بعضهم بعضاً بقبلة السلام (١. وكان الرئيس العام ينتهز تلك الفرصة لتغيير الرؤساء اذا وجد داعياً لذلك ولكي يجرّدهم عن التعلُّق المفرط بديرهم لئلا يظنُّوا انهم اصحاب ملك لا وكلاء عليهِ (٢

وهنا يحقّ بنا ان نبدي شعائر العجب اذ نرى في كنيسة فاو العظمى نحو خمسة آلاف راهب (٣ نبذوا العالم وملاذَّهُ واجتمعوا هناك تحت طاعة رئيس واحد ليخدموا الله ويتجرَّدوا للآخرة. فلعمري انَّ هذا الفكر أثَّر فينا اي تأثير اذ كنَّا نطوف بين هذه الآثار المندثرة

وفي هذا الدير قد توفّى الله عبدهُ باخوميوس سنة ٣٤٦ فقام بامر جنازتهِ نائبهُ وتلميذهُ تاودوروس (تادرُس) ودفنهُ في الجبل المجاور للدير. ثمَّ نقلهُ خفيةً الى محل آخر كما كان القديس اوعز اليهِ وكان يأتي ليلًا ويصلي عند قبرهِ الجديد دون ان يعلم بهِ احد من الاخوة (٤

١) راجع مقدمة القديس ايرونيموس على قانون القديس باخوميوس (ع ٨) ومجموع اعمال الاباء اللاتيني لمين (المجلد ٢٣)   ٢) راجع الترجمة القبطية (ص٣٣٢)

٣) هذه الرواية الصحيحة كما ذكرها كاسيان في كتاب رسوم الرهبان (De cœnobiorum constitutione XI c. 1) امَّا القديس ايرونيموس فبلَّغ هذا العدد الى خمسين الفاً ونظن انَّ الصواب ما ذكرهُ كاسيان

٤) راجع الترجمة القبطيَّة (ص ٢٦٣)

وكانت وفاة تاودوروس المذكور في فاو ايضاً سنة ٣٦٨ دُفن في الجبل ثم نقلهُ ليلاً الانبا هورسيسي ودفنهُ في جانب ابيهِ الروحي القديس باخوميوس (١

ومن هنا يتَّضح لنا انَّ الرهبان كانوا اعتادوا دفن موتاهم في الجبل لئلا يضرَّ بها فيضان النيل. ولنا على ذلك شاهد آخر وهو مثال راهب كان اوشك على الموت في ايام فيضان النيل فاخذ اخوتهُ يتضرَّعون الى الله ان يُنسيَ في اجلهِ لئلا يضطروا الى خوض المياه عند نقلهم جسده الى جبل

وقد بقي مدفن القديس باخوميوس مجهولاً الى يومنا هذا ولعلهُ في احدى المغاور بين الصخور التي كنَّا نشاهدها في الجبل شمالاً وشرقاً. لكنَّنا نرجح كون قبرهِ في الرمل المتجمِّد الذي يعلو فوق السهول المجاورة للنيل عند حضيض الجبل. فان العامَّة تدعو هذه الكثبان الرمليَّة جبالاً. وكان النصارى في كل الاعصار يدفنون موتاهم في هذه المقابر كما ترى في ارباض اسنة واخميم والبهنساء وغيرها ايضاً (ستأتي البقيَّة)

الامراض العينيَّة

المسبَّبة عن امراض الاسنان

للدكتور البارع شاكر بك الخوري احد اساتذة المكتب الطبي الفرنساوي

قدَّمهُ للمؤتمر الطبي الذي عُقد في بيروت في ١٨ ايار ١٩٠١

قد وقفتُ في هذه الايام الاخيرة على مشاهدات عديدة بيَّنت لي باجلى بيان ما من العلاقة بين امراض العين وامراض الاسنان والفم بحيث لم يبقَ موضع للشك في ان عِلَل الاسنان تسبِّب للعين ادواء مؤلمة

فاحببتُ ان اجمع هنا ما لحظتهُ من الارتباط التشريحيّ الموجود بين العين والاسنان وما عاينتهُ من المشاهدات لرغم معاطس بعض الاطباء الذين يرضون العمى ولا الاقرار

(١ راجع الترجمة ذاتها (ص ٢٧٦)

بالحقائق الراهنة المبنيّة على الظواهر المتعدّدة. وقبل إيراد ذلك اقول:

اولًا انهُ لأمرٌ مقرَّر انّ في مدَّة التسنين يظهر في عيون الاطفال رمدٌ يعتاص علاجهُ بالطرائق المعتادة. وهو يدوم طول زمن التسنين ويزول بانتهائهِ

ثانيًا انّ الحروق التي تحدث للفم تُدمع العين فترى الرجل اذا شرب مشروبًا حارًّا أحرق فاه تغرغرت عينهُ بالدمع. و يؤيد ذلك قصَّة كنتُ اسمعها في صغري فاروِيها تفكهةً للارواح لانّ الهزل يقوي الجدّ كما تقوّي الرياضة الجسم وتنشّطهُ: قيل انَّ رجلًا جلس مع ولدهِ للطعام وكان الثريد حارًّا فاسرع الولد ولعق منهُ ملعقةً لكنهُ لم يشعر بحرارتهِ حتى ادمعت عيناهُ فسألهُ ابوهُ عن سبب ذلك فقال الولد: خطر على بالي المرحوم اخي فبكيتُ. فاخذ الوالد يعزّي ابنهُ ويدعو لهُ بالبقاء من بعدهِ. ثم تناول هو ملعقةً من الثريد فاحترق فوهُ ودمعت عيناهُ فسألهُ ابنهُ: ما سبب بكائك يا ابتِ. فاجاب الوالد بديهيًا: تذكّرت اخاك المرحوم واسفت على ان عزرائيل قبض عليهِ وابقاك لي من بعدهِ

ثالثًا اذا بكى المرء سال لعابهُ من فيهِ

رابعًا انَّ الامراض التي تحدث لقزحيَّة العين تسبّب ألمًا للاسنان كما انَّ ألم الاسنان يدمع العين

فلعمري لو لم يكن بين العين والاسنان ارتباط لما شوهدت كلُّ هذه الظواهر وغيرها ايضًا مما لم نسردهُ اقتصارًا

الارتباط التشريحيّ

ولكن دعنا من هذه الظواهر ولنأتِ الى ذكر الارتباط التشريحي الموجود بين الاسنان والعين فنقول انَّ هذا الارتباط التشريحيّ هو الارتباط العصبيّ

ويكون الارتباط العصبي على ضربين الاوَّل: ارتباط الزوج الخامس او التوأمي الثالث (trijumeau) وهو عصب يتوزَّع على العين وعلى اسنان الفكَّين العلويّ والسفليّ. وهذا من امتن الرباطات. وكذلك رباط غُدَّة غلسِر (Glasser) وهي ذات ثلاثة فروع: الفرع العينيّ والفرع الفكّي العلوي والفرع الفكّي السفليّ وكلها يتوزَّع في العين والفكَّين على سواء الّا انَّ للفرع العينيّ ثلاثة فروع أُخرى تقوّي هذه العلائق وهي الفرع الجبهيّ والفرع الدمعيّ والفرع اللساني. ومن هذه الفروع كلها يتولَّد

جميع احساس العين. وللفرع العينيّ جملة فروع تتفمّم مع العصب البصري وتضمّهُ الى الاعصاب المحرّكة للعين

والضرب الثاني للارتباط العصبيّ هو العظيم السمپاتوي (le nerf grand sympathique) فلهُ قوّة كبرى في احساس العين وذلك بواسطة الغُدَّة العينيَّة التي لها ثلاثة جذور: الجذر المحرِّك الذي يأتي اليها من المحرك العيني المشترك. والجذر الحسَّاس الآتي لها من العصب العيني. ثمّ الجذر الغُدَدي الذي يأتيها من الظفيرة السباتيّة. وترى من جهة أخرى انَّ هذه الغدَّة نفسها توزّع الاعصاب الهدبيَّة التي لها اهمّ وظيفة في تكيُّف العين

فمن هذه التفرُّعات الواصلة بين العين واجزاء الفم تفهم ما هو السبب للتدمُّع والرَّمد والبثور وقروح القرنيَّة التي تُشاهد عند تهيُّج العصب التوأمي الثلاثي. كما انَّ عصب العظيم السِّمپاتوي يهتاج عند وجع الاسنان ويولّد شَلَل التكيُّف اي تمدُّد الحدقة وذلك اذا نخرت الاسنان وسوّست وهذا الشَّلَل يزول بقلع السنّ المسوّسة. وعلامتهُ زيادة الاحساس في ذلك القسم الذي فوق الحَجاج وتحتهُ عند الضغط عليهِ

وكذلك تفهم ممَّا سبق كيف يسبِّب تهيُّج الاعصاب الضامَّة العصب البصري مع الاعصاب المحرّكة للعين حوَلًا. وهذا الحوَل يظهر مدَّة التسنين وعند ألم الاسنان

وكذلك ربَّما احدث وجعُ اللثة وتسوُّس السن اضطرابًا في العصب البصري فيضعفهُ الى ان يسبب عمًى كليًّا

المشاهدات

وتأييدًا لما سبق اروي هنا بعض ما لحظتهُ بنفسي. فمن ذلك ما اخبرتُ بهِ في كتابي صحَّة العين (الصفحة ٧٩) وهو حادث رجل من جُبيل عمرهُ ٣٥ سنة اتاني عام ١٨٨٥ وهو مصاب بضعف في البصر قريب من العمى. فبعد فحص العين بتدقيق لم اجد فيها سببًا لمرضهِ. ثم سألتهُ عن المشروبات الروحيَّة والتبغ فاجاب انهُ لم يَعتدْ شيئًا من ذلك. فعلمت انَّ المرض عصبي صرفًا فسألتهُ كيف ابتدأ معهُ. فقال انهُ احسَّ بألم شديد في ضرسهِ عقبهُ ضعفٌ في البصر. وكانت ضرسهُ لم تُقلع بعد لكنَّهُ لم يشعر فيها حاليًّا بألم فافتكرت انها هي سبب ضعف بصرهِ فقلعتها وبعد عشرة ايَّام زال الوجع مع الضرس

الحادث الثاني جرى لامرأة من أسرة كريمة من لبنان كان عمرها ٦٥ سنة وكانت

عصبيّة المزاج فاصابتها قرحة قرنيّة في عينها اليمنى مع التهاب حول القرحة وألم شديد في العصب يحرمها النوم غالباً. فحضرت اليَّ من لبنان مع طبيبها الذي اخبرني انهُ عالجها مدة ستَّة اشهر ولم يدَّخر دواء في علاجها كالاتروبين (atropine) والازرين (isérine) والكمدات الحارَّة غير ان ذلك لم يأتِ بفائدة

فعالجتها بالمعالجات نفسها بمقادير مختلفة وزدتُ عليها الارستول (l'aristol) ثمَّ كويتُ القرحة بالپلاتين (thermocautère) فافادها ذلك كثيرًا واخذت القرحة تلتحم وذهب ألم العصب

ثمَّ قدم حزيران فتأذَّت السيدة من لفحات الحرّ وطلبت ان تعود الى لبنان فاوصيت طبيبها ان يداوم معالجتها على ما سبق. ولمَّا كان شهر ايَّار من السنة التالية عادت الى بيروت لمعاودة الألم واشتدادهِ بحيث ظنَّ البعض انهُ حصل لها سرطان في العين وارادوا قلعها. ففحصتُ العين ثانية فوجدت انَّ سقمها زائد وانَّ للقرنيَّة قرحين جديدين مع خطّ قرحيّ يقسمها من اعلاها الى اسفلها لكنَّ القرحة الاصليَّة كانت برئت وهذه القروح كانت موجودة في الجهة الوحشيَّة من قرنيَّة العين اليمنى لها حافات غير منتظمة مرتشحة والقاع سنجابي والعين محتقنة من جهة القروح

فعالجتها باليودوفورم والكمدات الحارَّة والارستول والازرين والاتروبين دون جدوى. ولحظتُ ان الاتروبين والازرين لم يفعلا فعلهما في تمدُّد الحدقة وانقباضها فاستدللت بذلك على انَّ القرنيَّة اصابها نوع من الشلل فانتبهتُ للعصب وفحصت الدماغ فلم اجد ادنى تغيُّر للاعضاء المجاورة. فعمدتُ الى فحص الاسنان لكنَّ السيِّدة كانت درداء لم اجد في فكَّيها سوى جذر ضرسٍ صغيرة في ناحية العين المريضة. فسألتها أتشعر فيها بألم فنكرت. لكني عوَّلت مع ذلك على قلع الجذر وكان في الفكّ العلويّ فما مرَّ على قلعها ثلاثة ايَّام حتى ابتدأ الشفاء وتمَّ بعد مدّة قليلة دون ان ازيد شيئًا على طريقتي العلاجيَّة الاولى فاستنتجتُ انَّ سبب القروح انَّما هو تهيُّج عصب الزوج الخامس. واشتهر خبر هذا الشفاء لانَّ السيِّدة المذكورة كانت من عائلة كريمة وكان اطبَّاؤها اشاروا اليها بقلع عينها. وكانوا فعلوا لو لم تحضر الى بيروت وتستشيرني في امرها

ومن غريب ما جرى بعد ذلك انَّ رجلًا عمرهُ ٥٢ سنة أُصيب ببزور جفنيَّة قويَّة جدًّا مع سَبَل على العين شديدٍ ايضًا فعالجهُ بعض الاطبَّاء دون فائدة حتى وقع في ايدي

طبيب غِرّ كان يعرف السيدة التي شفيتها بقلع ضرسها. فعالجهُ مدَّة شهرين دون جدوى حتى قال لهُ يوماً: يا صاح انَّ مرض عيونك يأتي من اسنانك كالستّ فلانة فلا بدَّ من قلعها. فقنع الرجل وكان هو ايضاً يعرف الستّ. فقلع لهُ ضرساً اولى ثم ثانية ثمَّ ثالثة ورابعة دون ان يحصل الشفاء فقال اخيرًا المريض لطبيبهِ: سمعت ان الطبيب الذي قلع سنَّ الستّ هو في بكاسين يصيّف هناك فرادي ان اذهب اليهِ. فقدم عليَّ في شهر آب من سنة ١٨٩٩ فاقد العينين فضلًا عن اضراسهِ الاربع. فبعد الفحص طمّنتهُ عن نوال الشفاء لعينيهِ فشفي بقوَّة الله امَّا الاضراس فلم يمكنني ان اردَّها لهُ

واعلم اننا لم نستوفِ ذكر كل الاتصالات الموجودة بين العين والاضراس. فانهُ يوجد بينهما علائق بواسطة الاوردة كالظفيرة الشفاهيَّة والتويجيَّة والوريد الوجهي والزاوي الذي يصبُّ في الوريد العينيّ. وينقسم الى قسمين في الجيب الجوفي

وكذلك يوجد علاقة بين السمحاق (périoste) والفم لان سمحاق الحَجاج يتَّصل بسمحاق الفكّين ومنهما الى السنخ السنيّ وهذه السنوخ تتصل بالجيب الفكّي الذي جداره رقيق جدًّا وربَّما نقص فبقيت جذور الاسنان معرَّاة في الجيب

وكذلك ايضاً يوجد اتصال بين الغشاء المخاطي الذي يغلّف سمحاق الجيب وهو امتداد من الغشاء الانفي وبين وقبي الانف وذلك بنقرتين الواحدة في الصماخ الاوسط والثانية هي نُقرة الجيب الحقيقيَّة

واخيرًا يوجد اتصال بين عظام العين وعظام الفم فان الجدار العلويّ للجيب متَّصل مع السطح السفليّ للحَجاج الذي هو رقيق جدًّا

فكل هذه الارتباطات تؤيد المشاهدات والظواهر التي عاينَّاها وهي تبيّن ان امراض الاسنان تؤثر في العين كما انَّ امراض العين تؤثر من جهتها في الاسنان. فاذا فحص الطبيب عيني المريض يجب عليهِ ايضاً ان يوجّه نظره الى اسنانهِ وفمهِ وانفهِ لعلَّهُ يجد في احد هذه الاعضاء سبباً للداء فيحسمهُ بالمعالجة اللائقة

وعلى كلّ الحال فليحترس الطبيب من قلع الاسنان في مرض بزر الجفون لعدم علاقتهِ مع الفك

هذا ما رأينا إيرادهُ بوجيز الكلام. ولنا تقرير آخر في عمليَّة جديدة للشعرة التي اصبنا بها كلّ نجاح نشرحها ان شاء الله عند سنوح الفرصة

كَمَران والصليف والحُدَيدة

بقلم الكاتب الضليع بعيث الحضري البغدادي

ورد اليَّ كتاب من احد الاصدقاء في كمران فاحببتُ ان اذكر ملخَّصهُ لقرَّاء المشرق مع فوائد أُخر عثرت عليها في كتب متعدّدة إفادةً للجمهور

كمَران ومعناها — كمران بكافٍ في الاول ووَهم من كتبها بقافٍ قال عنها في مراصد الاطلاع: « بالتحريك وآخرهُ نونٌ: جزيرة كمران باليمن ». وزاد صاحب التاج في مستدرك مادَّة ك م ر: « بالقرب من الصَّليف. وابو عبد الله العراقي نزيل كَمران الفقيه المحدّث احد من اخذ في العراق عن ابي اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه ترجمهُ ابو الفتح البغدادي في ذيلهِ على تاريخ بغداد. والعجب من المصنِّف (اي من المجد الفيروزابادي) كيف ترك هذه الجزيرة وهي من اشهر جزائر اليمن ونزيلها تلميذ جدَّه. وقد نزلتُ بها (اي السيد المُرتضى) وزرتُ الوليَّ المذكور ». وقال في مستدرك مادَّة ك ل ل: « واحمد بن اسعد الكلالي من اهل جزيرة كمران فقيهٌ ذكرهُ الخزرجيُّ »

امَّا معنى اللفظة فليس لهُ اشتقاقٌ في الاصول العربيَّة التي بيدنا ولعلَّ الاصل مفقود بفقد كثير من الاصول وهو غير مفقود في الآرامية. فكمران مشتقة من ܟܡܪ ومعناها: أحزنَ. فيكون مؤدى معنى كمران الارض المحزنة لوحشة تلك الاراضي وإقفارها

وصفها ومعنى الصليف — ان كمران هي بمنزلة رَبَض للصليف. وهذه اوحش من تلك بكثير. ولفظة الصليف مشتقَّة من الصلفة او الصلفاء وهي: الارض الصلبة اوالغليظة الشديدة. لوجود ارض الصليف على هذه الحالة. وتتردَّد المراكب البحريَّة الى الصليف بدون انقطاع وفيها جماعة من الافرنج للإتجار او للقيام بالاشغال التي قُلدوها. اما حرُّها فشديد لا يُطاق لا لكون ارتفاع درجتهِ يبلغ الغاية القصوى (اذ لا تتجاز الحرارة الدرجة الـ ٣٠ من المقياس المئوي) لكن لرطوبة تلك الحرارة وليس هناك نسيم ولا ريح باردة ولا حارة في ايام الصيف الَّا في النادر ولهذا فيتصبَّر العرَق وتشتدُّ من جرَّاء ذلك الامراض الوبيلة مبتدئة بقلة شهوة للطعام وانحلال قوى الجسم او تراخيهِ. وزد على ذلك كثرة البعوض في تلك النواحي فينام الافرنج في

كُلل يغدون فيها كأنهم في اتون نار حامية. اما المطر فيقع فيهـا على تعاقب الفصول الاربعة وليس بغزير. واكثر وقوعه في تموز وآب. واذا اردت الحقّ فليس في تلك النواحي شتاء ابدًا لان الريح الحارَّة التي تنقطع عن الهبوب في اشهر الصيف تعود فتهبّ طول السنة حارَّة محرقة بدون انقطاع

ويُحيط بالصليف ممالح عديدة إنْ معدنيّـة وان بحرّية ويَكثر اغلبها في قُفّ (القفّ ما ارتفع من الارض) هناك عظيم لا نبات فيه ولا شجر. وتستخرج منهُ شركة الملح شيئًا كثيرًا في كل سنة وتصدرهُ الى بلاد الهند والشرق الاقصى

وجزيرة كمران فُرضة حسنة. وهناك تُضرب الخيام للحجر الصحي ويوجد فيهـا سكَّة حديد طولها خمسة كيلومترات تنسلُّ في خلال الجزيرة وداخل المضارب انسلال الارقم وتنزل فيها الزوَّار والحجَّاج وهم يأتون اليها من كلّ فجّ عميق ووادٍ سحيق واغلب الذين يأتون اليها في شهر تشرين الثاني هم من الهند وجاوة والصين ونحوها. والزوار الذين يأتون مكَّة على طريق كمران فقط يبلغون ستين الفًا في السنة

وفي هذه الجزيرة مُختبَر للأَحياء (laboratoire de bactériologie) ومُغرّب(١ واجهزة للتقطير وللتبريد وغير ذلك من الآلات التي يأتي الأعراب لمشاهدتها فينسبون اعمالها الى الجن والمشتغلين بها الى السحَرة

وفي كمران حصن عظيم تداعت جدرانهُ وتضعضعت اركانهُ عقـد حجارتهُ قدماء الفرس ثمَّ احرقهـا بالمدافع الغزاةُ البحريون البرتوغاليون. وفي الخرائط التي خطَّطها الانكليز او يخطِّطونها علامة على كمران تُشير الى انها من املاكهم وليس شيء افظع من هذا الكذب او هذا النوع من السرقة الانكليزيّة فان الدولة العليَّة قد ملكت هذه الجزيرة من مدَّة تُربي على ٣٥٠ سنة اي منذ أَخذها اليمن. وذلك ان السلطان سليم بعـد ان قهر مصر ارسل سنة ١٥٣٠ م احد قوَّادهِ واسمهُ المملوك سليمان باشا حسب النصّ المحفور على رخامة منصوبة في الجزيرة بعبارة تركيةٍ وهذا تعريبها:

---

١) اي تليفون. وهذا من الاشتقاق المقيس عليهِ. قال في كتاب الاغاني للاصبهاني (٢١: ٦٧) « قال ابو جندب:

وغرَّبتُ الدعاء وأين مني   اناسٌ بين مرَّ وذي يدومِ

غرَّبتُ الدعاء: دعوتُ من بعيدٍ » اه بنصّهِ

« اني انا الخادم سليمان باشا والي مصر العبد المملوك لحضرة فاتح مصر السلطان سليم خان قد نشأت في الحرَم الخاص بهِ. ورأيتُ اموراً كثيرة عند فتح مصر وقد اتيت سنة ٩٤٥ (روميَّة) الى جزيرة كمَران بالاسطول الهمايونيّ لدفع لصوص البحر والتنكيل جم من ابناء پرتوغال المستولين على البحر الاحمر وبعد ان اخذتُ عدن تقريباً وعيَّنت جرام بك امير لواء ذهبتُ الى الهند ومن الهند اتيتُ الى مُخا وقتلتُ احمد ناخُذاه بك الموجود في زبيد من الامراء الجراكسة ثم رجعتُ قافلاً الى مصر بعد ان عيَّنت مصطفى بك امير الاي الذي كان سابقاً نائب غزَّة حاكماً على اليمن واوصيتهُ بالاستيلاء على تعزك الخ الخ (١

وكانت الدولة العليَّة قد اذنت لجاريح الانكليز في محاربتهم للحبشة سنة ١٨٦٧ و ١٨٦٨ ان يُمرَّضوا في هـذه الجزيرة وكان يومئذٍ رئيس الجنود الانكليز اللورد روبر ناپير اوف مجدَلة (Lord Robert Napier of Magdala) ومنذ ذاك الحين اخذ الانكليز يُعلِّمون تلك الجزيرة بعلامة مُلكهم. وهو من الغرابة بمكان. والشائع على ألسنة العوامّ في هذه الجزيرة ان كمران (ويلفظونها كالترك اي قمَران مثنَّى قمر في حالة الرفع) هو اسم ملكة عربيَّـة اصلها من سبا كان حسنها بتمام حسن قمرَين وباسمها تسمَّت الجزيرة تشرُّفاً وتبركاً وافتخاراً

امَّا اخلاق العرب في نواحي كمران فتستلفت انظار الجميع فان الدعـة تغلب على سكان السواحل منهم. والغلظة والجفاء والعنجهيَّة تغلب على سكَّان داخل تلك البلاد وعند الجميع تُعدُّ الضيافـة من الامور المقدَّسة. وهم يُسمّون رومياً (ومعنى الرومي عندهم النصراني على وجه الاطلاق) من يلبس لباساً افرنجيًّا مهما كانت ديانتـهُ او ارومتهُ على حدّ ما اصطلح عليهِ الاعراب في العراق والجزيرة وبادية الشام . . .

---

١) وهذا نصُّها التركي: « خادم سليمان باشا»

« فاتح مصر سلطان سليم خان حضرتلرينك عبد مملوكندن اولوب حرم خاصده تربيه اولمش ومصر فتحنده برابر بولنـهرق پك چوق امور كورمش اولان خادم سليمان پاشا مصر واليسى اولديغى حالده بحر احمره مستولى پورتغـال قورصانلديغى دفع وتنكيل ايچون دونناى همايون ايله ٩٤٥ (رومى) تاريخنده قمران جزيره سنه كلوب وبر تقريب عدنى ضبط ايدوب جرام بكى مير لواء تعيـين ايتدكدنصكره هنده كيتمش وهنددن مخا يه كله رك وامراى چراكسه دن زبيدده بولنان (احمد ناخذا) بكى قتـل ايدرك سابقاً غزه نائبى اولان مير لواء مصطفى بكى يمن حاكمى براقدقدنصكره وتعزلك ضبط واستيلاسنى توصيه ايلدكدنصكره مصره متوجهاً عودت ايلمشدر الخ الخ

﴿ الحُدَيدة ﴾ قال التاج في مستدرك مادّة ح د د: والحُدَيدة مصغَّرًا قرية على ساحل بحر اليمن. سمّيت بها الحديث». والحديدة في هذا اليوم مدينة مبنيّة على البحر ومينا ؤها لا يرام ولهذا لا يوافق تعمير بلدته وتحسينها وترقيتها درجات الحضارة والعمران او نموّ تجارتها. واغلب هذه التجارة البنّ. والبنّ الذي كان في سابق الزمان يصدر من مُخا لم يعدْ يخرج منها اليوم شيء. وقد اصبحت مُخا قريةً خاملة الذكر ليس لها شيء من الاهمية وجميع اصناف البن الذي يصدر من اليمن يجيء على طريق الحُدَيدة. وفي هذه المدينة مرسلان وثلاث راهبات وجميعهم من رهبانيّة الكبوشيين. واحد هذين الابوين ماروني الاصل (ي. غذبا) من تلامذة كليّة الاباء اليسوعيين في بيروت واسمهُ في الرهبانيّة الاب فُلجنس Fulgence وبهذا القدر كفاية والسلام

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معرّبة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

القسم الثاني

١

ان المسافر متى بارح الوادي الخصيب الذي فيهِ ترتفع قرية دوما الزاهرة متدرجةً على هيئة السلّم يأخذ الطريق المؤدية الى قرية تَرتَج فلا يمشي فيها غير يسير حتى يصل الى سلسلة جبال عالية تُعرف بجبـــل ترتج. وهناك تنبت بعض اشجار ضئيلة ما بين صخور قطّعتها المياه والعوامل الجويّة معطيةً اياها اشكالًا وهيئاتٍ غريبة. على ان ما يُشاهَد في كلّ هذه البقعة من خَبَث الحديد يُنبئ بان الناس عالجوا فيها عمل هـــذا المعدن ازمانًا بهمّةٍ ونشاط

وكان جبل ترتج في ايام الرواية التي نسرد حوادثها مكتسيًا بغابات كثيفة من الارز والسنديان والصنوبر والشربين يختلط معها قليل من الاشجار المثمرة كالاجاص والجوز.

وكان يأوي الى هذه الغابات وحوش مختلفة الانواع بينها كثير من الضواري الراتعة في تلك الآكام المنيعة دون ان ترى ما يقلق راحتها الّا ما ندر. وكان في جملة الضواري اسود ترعج الفضاء بزئيرها ودِبَبَة يرنُّ الجوّ من نئيمها وغورة تمزّق الآذان زماجرها. غير انَّهُ مع ما في الغابات المذكورة من الاخطار شرع بعض الحطّابين والمعدّنين يقيمون فيها وكان الاخيرون يستثمرون ما هناك من ركاز الحديد ويرسلونهُ الى اصحاب الاكوار العديدة في قرية دوما التي كانت آهلةً وقتئذٍ كما في ايامنا الحاضرة بقوم ذوي جدّ ونشاط واقبال على الصنائع

وفي ذات يوم لما طلع الفجر على الوهاد القريبة من جبل ترتج سُمع صوت البوق وانتشر نباح الكلاب وصهيل الخيل واقبل الناس على الذهاب والمجيء بين قريتَيْ دوما وترتج منهم الخيّالة وحمَلة السلاح مع زُمر من الخدَم تسوق عددًا من الكلاب المدرَّبة على الصيد. وكان الخيالة تارةً يتوارون وراء الصخور او جذوع الاشجار وتارةً يسيرون في الشعاب الضيّقة صفًا طويلًا كأنهُ وِشاح منشور يبسط على الجبل لباس البهجة والسرور

وكان ذاك اليوم يوم قنص خرج فيهِ كل من مقدَّم جبيل ومقدّم البترون. وبما انَّ الطريق في قمة الوادي لم تكن تصلح لسلوك الخيل ترجَّل الكلّ عندها ودفعوا افراسهم الى حملة السلاح وتوغّلوا في الشعاب الشاهقة ما بين اشجار الغاب

وكان المقدَّمون واكابر الناحية المدعوين للاشتراك في القنص قد اتوا بحمَلة سلاحهم وعدد من حشمهم يحملون الصقور والبزاة المضرَّاة على مطاردة الوحش ويسوقون الكلاب السلوقيّة الكبيرة التي كان نباحها يملأ الوادي وبعضهم اتوا ايضًا بالفهد وهو نوع من صغير النمور مبقَّع الجلد مدرَّب خاصَّةً على اقتناص الايائل وكانوا يُردفونهُ مشبومًا على مآخير خيلهم فمتى لاح لهم أيل رفعوا شبامهُ واطلقوهُ وراء القنيصة التي اذا جدَّ الفهد في مطاردتها وقأ الصقور عينيها بمناقيرها الحادَّة لا تلبث ان تخور وتضعف

وكان يجري القنص في تلك الايام على الوجه الآتي وهو ان سوّاس الكلاب يتوغلون في الغابات فتسوق كلابهم القنائص امامها الى ناحية القانصين الذين يتناولون القسيَّ من

حملة سلاحهم ويرفعون الكمم الموضوعة على رؤوس الصقور ويشتد نباح الكلاب وتبتدئ معركة الصيد (١.

واتفق انهُ قبل اليوم الذي نحن بصدده مرَّ في الناحية سِرب من اللقلق غير انهُ كان قد بقي في غابة ترتج قليل من الطير المذكور اقعدهُ التعب عن اللحاق برفاقهِ . فلمّا سمع الصياح طار في الجوّ مذعورًا واخذ يدوّم راسمًا دوائر كبيرة على حسب عادتهِ . ولكن ما كان غير قليل حتى ابصرتهُ الصقور فخفّت لمطاردتهِ

ولمّا كانت الصقور قد هاجمت اللقالق واحدًا لواحدٍ دافعت هذه الاخيرة عن نفسها حقَّ الدفاع مدَّةً طويلة فكانت تارةً تضرب بمناقيرها وتارةً باجنحتها . وكأنَّ احد الصقور آنس عدم اقتدارهِ على غلبة خصمهِ وخاف ان تنجلي المعركة عن وقوعهِ صريعًا فترك ساحة الوغى وانضمَّ الى اثنين من رفقائهِ . امّا اللقلق فما صدَّق ان تخلص من عدوّهِ حتى توارى خلف الغابة غير انَّ لقلقًا آخر اخذ يحلّق في الجو صاعدًا على خطٍّ مستقيم ظانًّا انهُ ينجو من هول الموقف ولمّا كانت الصقور عاجزة عن اللحاق بهِ في ذلك العلوّ الرفيع اقامت تترقّبهُ ريثما ينخفض . وكان مشهد الفريقين المتقاتلين مؤثّرًا لان كلًّا منهما كان قد امعن في الفضاء حتى كاد يخفى على العين لاختلاط بياضهِ بزرقة السماء

وكان بعد مرور عشر دقائق ان اللقلق هبط منخفضًا امّا لكونهِ تعب من التدويم في الفلاء او لأنهُ لم يقوَ على استنشاق الهواء بسبب كثرة تمدُّده في المنطقة التي وصل اليها فما كادت الصقور تبصرهُ حتى انقضَّت عليهِ تقاتلهُ

وبعد ان جرت بين الفريقين معركة حامية علَت فيها اصوات النقارة وقع اللقلق على الارض صريعًا فلمَّهُ مدرّبو الكلاب وناولوا الصقور قطعة من حشاه ثم حملوا الجثة بانتصار وكان الدم يقطر منها

وما مضى قليل من الزمن حتى لاحت ما بين الاشجار المتجردة عن اوراقها في مثل ذلك الفصل من السنة رؤوس حيوانات تطلب الفرار . وكانت عبارة عن سرب من الايائل والغزلان شرَّدتها الكلاب

غير انَّ الايائل المسكينة ما كانت تفرّ من عدوّ حتى تسقط ما بين يدي آخر .

١) السيد محمد المكلي: آداب القانص

هنا تمزّقها انياب الكلاب وهناك مناقير الطيور وسهام القانصين. وكانت الصقور تدوّم فوقها ثم تنقضّ بسرعة البرق على اعناقها فتضربها باجنحتها متعلّقةً بابدانها المتمزّقة ولا تلبث لحة بصر حتى تفقأ عيونها النجلاء بمناقيرها المحدّدة المنعقفة فكانت البهائم المذكورة تخرّ متجندلةً على الارض دون ان تستطيع قياماً

وبعد ساعة من الزمان انتشرت جثث القنائص في شعاب الغاب وبقاعهِ وكان بينها ظباء وذئاب وخنازير وحشيّة ووعول وضباع... ولمّا خفّت حركة القنص وخمد أوارها وفد عبد المنعم مقدَّم جبيل فقال لزَين مقدّم البترون:

— اخبرني ساقة الكلاب انهم شاهدوا في قمة الجبل دبًّا كبيرًا

— عليّ قنصهُ. قال هذا وتناول قوسهُ وسهامهُ وأهاب بكلبهِ فلحقهُ واخذ يتسلّق الجبل راقياً الى الناحية التي دلّوهُ عليها. فلمّا رأى منهُ عبد المنعم هذه الحرارة المفرطة لم يقوَ على كتم مسرّتهِ بنجاح حيلتهِ. واما زَين فلمّا انتهى الى المحلّ المعيَّن اطلق كلبهُ لتحريش الدب فما كان غير قليل حتى سمع من اقرب جهة اليهِ زمجرةً مخيفة تلاها ظهورُ اسد كبير الجثة(١. ولم يكن زين يتوقّع ملك الوحوش فطارت نفسهُ شعاعاً وفطن انَّ مقدّم جبيل غشّهُ ودبَّر حيلةً لهلاكهِ. غير انهُ نبذ الخوف والهلع واختار من كنانتهِ احسن النبال فسدّدها بمزيد التأني على قلب الاسد فطارت اليهِ باسرع من لمح البصر ولم يسمع على اثرها غير زئير مختنق. ثم استلَّ خنجرهُ ووقف ينتظر بقدم راسخة هجوم سيد الضواري لأنهُ كان يظن انَّهُ جرحهُ فقط. ولكن السهم كان لإحكام تصويبهِ قد خرق قلب الاسد خرقاً من ناحية الى اخرى. فلمّا تأكّد زين فوزهُ وانتصارهُ بادر للنزول الى ترتج حيث وجد القنيص مجموعاً هناك تحت الادواح القائمة تجاه كنيسة القرية وعندما وقع بصرهُ على مقدَّم جبيل اكتفى بان قال لهُ: «ارسل رجالك ليأخذوا جثة الدب فقد جعلتهُ قتيلًا لا يستطيع ضررًا»

امّا عبد المنعم ففطن للاشارة ولم يطلب مزيدًا

٢

وكان زين قد أطلع من زمن مديد على ما يضمرهُ لهُ من الشرّ والمقاصد الخبيثة. وكان بين هذين الاثنين فروق ظاهرة: زين حرّ مستقيم وحازم وشجاع. وعبد المنعم محتال

١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى — المشرق ١: ٨٠٥

لا تفوتهُ الشجاعة ولكن شجاعتــهُ تشبه شجاعة النمر الذي يزحف ويؤثر مباغتة الفريسة . على ان اخلاص زين للمقدَّم رزق الله ومحافظتهُ على الديانة الكاثوليكية جعلاه مكروهاً عند عبد المنعم الذي لم يكن يبالي بالأقسام التي حنث بها

وكان عبد المنعم يعرف حقّ معرفة انهُ ما زال مقدَّم البترون حيًّا فلا سبيل لهُ الى تحقيق مطمعهِ الخبيث اي تنزيل خاله الامير رزق الله عن ولاية الجبل ولهذا كان دائماً يبحث عن حيلة يدبّرها لاهلاك زين . ولمَّا اطَّلع على ما تقاسيهِ راحيــل من المتاعب العيليَّة ظن انهُ يسهل عليهِ ان يقترن بها ويضم مقدَّمية البترون الى مقدَّميَّتهِ

وكانت جبيل في قديم الزمان تُسمى بالمدينة المقدسة للإله ادونيس وتعتزّ مفتخرةً بما تشيَّد فيها من الهياكل والاروقة العظيمة لعبادة الإله الموما اليهِ (١ غير انها في القرن الخامس عشر نزلت من مقامها السابق لان كلَّ ما فيها من الهياكل والاروقة المذكورة كان قد خرب وانهدم فامتلأَت الشوارع بأَنقاضهِ التي اتخذ معظمها لبناء رصيف المرفإ او لتشييد ما هنالك من الاستحكامات الضخمة . ولمَّا اضطرَّ الصليبيون الى مغادرة هذه المدينة بعد حصار عنيف كان النصف منهــا تقريباً قد صار خراباً (٢ وانقطعت السفن عن غشيان مينائها لامتلاء معظمهِ ردماً فكانت تؤثر زيارة بيروت وطرابلس (٣ وتقف بعض المرات في مرفئي البترون وانفة (٤

وكان السور والقلعة غاية ما بقي من آثار هذه المدينة ولا يشك احد في ان القلعة اثر عظيم من اعمال الجبابرة القدماء ولهذا ابى المؤرخون ان ينسبوهُ الى الرومانيين واقل من ذلك الى الصليبيين بل آثروا ان يعزوهُ الى القدماء من سكان جبيل مشيّدي هيكل سليمان (٥ على ان برجها العظيم كان مماَّ يستوقف الابصار خاصَّةً بارتفاعهِ وضخامتهِ وكان يشرف على مسافة بعيدة في البحر ويطلّ على جميع السهول المجاورة

وكان مقدم جبيل اذا وقف في البرج المذكور متأملاً في سعة املاكهِ تترنَّح اعطافهُ من الخيلاء والغطرسة وينسى ان ارتقاءهُ الى الولاية كان فضلاً ومنَّةً من خالهِ الامير رزق الله ويتوهم كما هو شأن النفوس الصلفة انهُ هو باني مجدهِ بيده

١) بعثة فينيقية . وردوسو رحلة سوريَّة . المشرق ٣ ٢) صبح الاعشى للقلقشندي
٣) راجع هَيد : تاريخ تجارة الشرق ٤) القلقشندي
٥) الكتاب المقدس

وكان الجميع يتذكرون وقتئذٍ ان أسرة لامبرياك ملكت ولاية جبيل في ما مضى من الزمان (١ واحتلّت تلك القلعة الشامخة التي فيها يُقيم الآن عبد المنعم ايوب. ولمّا اجبرتهم الاحوال على الرحيل بعد هزيمة الصليبيين وتفرّق شملهم ذهبت الى جزيرة قبرس (٢ فتوطنت فيها. ولم يبقَ منها في لبنان غير فرع واحد وهو الذي تنتمي اليهِ راحيل قرينة مقــدَّم البترون (٣. ولمّا كان عبد المنعم يملك معظم الاملاك التي كانت لهذه الاسرة الشريفة توهّم انَّ ميراث راحيل يعود اليهِ ايضاً اذا تيسَّر لهُ الاقتران بها

وهل من احد كان يقوى على منعهِ من انجاز منويّاتهِ المذكورة ؟. نعم رجل واحد اعني زيناً مقدَّم البترون المعروف بشجاعتهِ وبسالتهِ. ولكنَّهُ كان يقول في نفسهِ انهُ عند مسيس الحاجة يعرف كيف يبيد هذا المانع الحائل دون سعادتهِ وعظمتهِ. وكان يتوهّم ان الوسائل الموصّلة الى مقصودهِ سهلة هيّنة فأخذ يشنع على زين ويظهر معايبهُ ومثالبهُ ولكن لم يلقَ من يسمع لكلامهِ لان الكلّ كانوا يعرفون لهُ قدره واستقامته

ولما ارسل المقدم زين فرقة من جنودهِ لاحتلال قلعة سمار جبيل المهجورة من زمان طويل اراد عبد المنعم ان يحتج على ذلك مدعياً بان القلعة لاحقة بمقدميَّة جبيل. غير ان حقوق المقدم زين في القلعة كانت واضحة ظاهرة لا تحتمل المماراة والمماحكة. فمن ثم عدل عمَّا نوى واخذ يبحث عن وجه آخر

هذا ما كان يخطر في بال عبد المنعم كلما صعد الى قمة قلعة جبيل مسرّحاً النظر في املاكهِ فيرى ان فظيعةً واحدة تستطيع ان تخلصهُ من هذا الخصم العنيد. ولا يخفى انَّهُ برهن بما مضى من اخبارهِ ان ليس لهُ ضمير يصدهُ عن ارتكاب الفظائع

اما المقدم زين فلم يكن عارفاً بشيء من مقاصد عبد المنعم وهبْ انهُ اطلع عليها لم يكنْ ليهتمّ بها

٣

امّا راحيل فكانت في قصر البترون تترقّب بذاهب الصبر عودة قرينها وتتمعَّن في النصائح التي سمعتها من الاب يوحنّا وتهتمّ في كيفيَّة المحافظة عليهــا لانها كانت قد آلت ان تتغلّب على اهوائها وتسير في الطريق التي طلبت هي ان ترتشد اليها

(ستأتي البقيَّة)

١) راجع دوكانج: كتاب الأسر ٢) دي ماس لاتري: تاريخ قبرس ٣) المشرق ١

نبذة

في ثوب آلام سيدنا يسوع المسيح (الثوب الاحمر)

(لاحد اساتذة مدرسة عينطورا)

لمّا كانت عبادة ثوب آلام سيدنا يسوع المسيح منتشرة في كنيسة الله من امد ليس بقريب وكان جمهور من المؤمنين الشرقيين يرغب في الوقوف على اصلها وعلى الغفرانات المعقودة بها فكرت في تسطير هذه النبذة الوجيزة مضمنًا اياها كيفيَّة ابتدائها وانتشارها في الكنيسة الكاثوليكيَّة وملخّص الغفرانات المعلّقة عليها من الاحبار الاعظمين

في اصل ثوب الآلام

في سنة ١٨٤٦ في اليوم ٢٦ من شهر تموز وهو اليوم الثامن من عيد القديس منصور دي بول تراءى السيد لهُ المجد للاخت ابولّين اندريفو (Apolline Andri-veau) (١ احدى راهبات المحبة في كنيستهنَّ بمدينة تروا (Troyes) على حين كانت في الكنيسة مساء واليك ملخّص ما اخبرت بهِ هي نفسها الاب اتيان وهو عامئذٍ الرئيس العام على جمعيَّتي كهنة الرسالة واخوات المحبَّة قالت:

« حينما كنتُ داخلة الكنيسة قبل زياح القربان المقدس لاح لي انني انظر مخلصنا الالهي ماسكًا بيدهِ اليمنى ثوبًا قرمزيًا معلقًا في شريطتي صوف من اللون نفسهِ وعلى الشقة الواحدة منهُ مرسومة صورة المخلص مصلوبًا وباسفل الصليب رسم آلات آلامهِ الاشدّ تبريحًا وايجاعًا كتلك الجلدة التي ضُرب بها في دار بيلاطوس وتلك المطرقة وذلك الثوب الذي كُسي بهِ جسمهُ الملطخ بالدم. وكان مسطرًا حول تلك الصورة هذه الكلمات: يا آلام سيدنا يسوع المسيح خلصينا. وعلى الشقَّة الثانية مرسومة صورة قلبي يسوع ومريم الاقدسين يعلوهما صليب كأنهُ خارج من كليهما وحولهما هذه النافذة:

١) ولدت ابولين المذكورة في سان بورسان من مقاطعة أليه (Saint - Pourcin, Allier) في ٧ أيّار سنة ١٨١٥ من والدين تقيّين هما لاونار اندريفو وابولين كرانجيه (Grangier) ودخلت جميَّة راهبات المحبة سنة ١٨٣٣ وعمرها ٢٣ سنة وانتقلت برائحة القداسة سنة ١٨٩٥ في ٢٣ شباط في منتوليو (Montolieu) بعمر ٨٦ سنة

يا قلبي يسوع ومريم احميانا. ثم اردفتْ: اني منذ ثمانية عشر شهرًا اذ كنت متأملة في آلام سيدي يسوع المسيح خِلتُني اراهُ مصلوبًا وهو بحالة يُرثى لها معذبًا باوجاع مبرّحة فنظر اليَّ بحبٍ قائلًا: يجب عليك يا ابنتي ان تعزّيني في اوجاع آلامي الكليَّة المرارة. واعلمي انكِ لا تقدرين ادراك عظم محبّتي الّا بواسطة آلامي. فلدى سماعي هذه الكلمات الالهيَّة من فم المخلص التهب قلبي حبًّا وصرت كانني حاملة في نفسي آثار آلامهِ المقدسة حتى عدت لا اعيش لنفسي بل لمن فداني »

وبعد ذلك ظهر السيد لهُ المجد للراهبة المتقدّم ذكرها مرارًا وكل مرَّة كانت تراهُ ماسكًا بيدهِ الثوب المذكور الّا انهُ لاسمهِ السجود لم يُظهر لهـا ارادتهُ بشأنهِ الّا في اليوم ١٤ من ايلول اي في عيد ارتفاع الصليب المقدس سنة ١٨٤٦ اذ تراءى لها وسلّمها هذا الثوب الجديد قائلًا: يا ابنتي كل من يحمل هذا الثوب ينال كلَّ نهار جمعة زيادة ايمان ورجاء ومحبة

امَّا الاب اتيان فلم يعبأ باديءْ بدء بما قالت لهُ ابولّين محرضًا ايَّاها على الصـلاة والابتهال الى الله ان يزيل الصعوبات الشتى التي تحول دون بغيتها لعدم تساهل الكنيسة في تثبيت مثل هذه الامور. امَّا هي فكانت تجيبهُ قائلةً: « يا ابتِ ان من اوحى اليَّ هـذا الثوب هو يتكفَّل بازالة الصعوبات وتسهيل كل ما من شأنهِ ان يساعد انتشاره بين المؤمنين وانا متيقّنة ذلك يا ابي كل اليقين ولي امل ان سيدي يسوع المسيح يجعلهُ ينبوع خيرات وبركات فتُغنيه كنيستهُ المقدسة بالغفرانات الجزيلة والانعامات العديدة وتنمو بذلك عبادة آلامهِ المقدسة وتنتعش في النفوس الفضـائل المسيحيَّة... وما يعزّيني كثيرًا يا ابي ويملأ قلبي فرحًا وعذوبةً هو علمي بان هـذا الثوب سيكون كنزًا روحيًّا لجمعيَّة الرسالة »

ولم يزل الاب اتيان متردّدًا في هذا الامر موجلًا الاهتمام بهِ الى ما شاء الله منتظرًا تدبير العناية الربّانيَّة حتى تيسر لهُ سنة ١٨٤٧ سفر الى رومية العظمى فحظي بشرف المثول لدى امام الاحبار المخـلَّد الذكر الطيب الاثر البابا بيوس التاسع ولاقى منهُ كل رعاية والتفات. فرأى اذ ذاك ان الفرصة مناسبة لمكاشفة الاب الاقدس بهـذا الامر ليحكم فيهِ بصفة كونهِ نائب المسيح على الارض. فحالما سمع قداستهُ بذلك تهلّل طربًا ورأى منـهُ وسيلة جديدة يستخدمها الله لارتداد الخطأة الى التوبة وخلاص النفوس

ولتوطيد اركان الدين المسيحي في المسكونة كلها . وبعد ان وزن بميزان حكمهِ المنزه عن الزلل الحوادثَ السابقة والمرافقة واللاحقة لهذا الظهور العجيب رأى ان اصبع الله هناك وان ما فيهِ من العلامات الخارقة العادة يجعلهُ خليقًا بالاعتبار جديرًا بالتصديق وللحال اصدر حكمهُ السامي بحقيقة الامر مثبتًا بسلطانهِ المطلق ثوب الآلام هذا وذلك ببراءة حبريَّة مؤرخة في ٢٥ حزيران سنة ١٨٤٧ معلّقًا عليهِ غفرانات عديدة ومفوّضًا كل كاهن من كهنة جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازريَّة ان يباركهُ ويشرك فيهِ المؤمنين . ثم في سنة ١٨٥٣ مدَّد هذا التفويض بناء على التماس الاب اتيان الى كل كاهن علمانيًا كان او قانونيًا يطلب ذلك من حضرة رئيس عام الآباء اللعازريين ومنذ ذلك اخذت هذه العبادة الجليلة تمتدّ وتنتشر في الكنيسة في العالم كلهِ مثمرة في النفوس المسيحيَّة اشهى ثمار الفضائل ومقبلةً بها الى مناهج الكمال

في الغفرانات المعلّقة على ثوب الآلام

اولاً غفران كامل ممنوح من قداسة البابا بيوس التاسع بموجب براءة رسولية مؤرخة في ٢١ اذار سنة ١٨٤٨ يمكن ربحهُ لكل المشتركين في هذا الثوب كل خار جمعة بشرط الندامة الحقيقيَّة على الخطايا والاعتراف بها وتناول القربان المقدس والتأمل في آلام سيدنا يسوع المسيح والصلاة لاجل اتّفاق الملوك المسيحيين وملاشاة الارطقات وارتفـاع شأن الكنيسة المقدسة . وهذا الغفران نفسهُ يمكن ايضًا ربحهُ بالشروط المتقدمة كلّ خار احد اذا تعذر تتميم الشروط المتقدمة خار الجمعة وذلك بموجب براءة صادرة من الحبر الاعظم المتقدم الذكر في ١٣ ايلول سنة ١٨٥٠

ثانيًا غفران كامل للمشتركين يمكنهم ربحهُ يوم اشتراكهم بشرط الاعتراف والتناول وزيارة كنيسة ما والصلاة على نيَّة الحبر الاعظم

ثالثًا غفران كامل للمشتركين عند ساعة الموت بشرط الاستعداد لتتميم الشروط الآنفة والتلفظ باسم يسوع المسجود لهُ بعبادة وورع

رابعًا غفران سبع سنين وسبع اربعينيات كل خار جمعة لمن يتناول من المشتركين ويصلي ٥ مرات الصلاة الربيَّة والسلام الملاكي والمجد متأمّلًا بآلام المسيح

خامسًا غفران ثلث سنين وثلث اربعينيات للمشتركين الذين يتـأملون بانسحاق القلب في آلام يسوع مقدار نصف ساعة في اي يوم كان من ايام السنة

سادسًا غفران مائتي يوم للمشتركين كلّ مرة يتلون بعبادة هذه النافـذة : نسألك يا يسوع ان تعين عبيدك الذين افتديتهم بدمك الكريم (١

١) وهذه صورة بركة ثوب الآلام وكيفيَّة وضعهِ :

(تنبيه) يجب على الطالب الاشتراك في الثوب الاحمر ان يجثو على ركبتيهِ امام الكاهن اللابس

وصية فيثاغورس الذهبية

نبذة تولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انَّ بين المآثر الجليلة التي خلفها جهابذة الفلاسفة من اليونان كتاب صغير الحجم لا يتجاوز وُرَيقات قليلة يدعى « نشيد فيثاغورس الذهبيّ » وهو عبارة عن قصيدة من البحر اليوناني المسدّس الاجزاء يبلغ عدد اياتها واحدًا وسبعين بيتًا تتضمّن بمختصر الكلام تعاليم فيثاغورس ومبادئهُ الفلسفيّة . وقد زعم كثيرون انَّ هذه القصيدة الّفها فيثاغورس نفسهُ وجعلها كدستور يجد فيهِ تلامذتهُ ملخَص فلسفتهِ وذلك في بدء القرن الخامس قبل المسيح . الّا ان اصحاب النقد وارباب البحث تحقّقوا اليوم ان هذه القصيدة ليست لفيثاغورس بل للفيلسوف ليزيس (Lysis) الذي عاش بعد فيثاغورس بزمن قليل وذلك استنادًا الى قول احد قدماء كتبة اليونانيين ديوجينيس من لايِرتة (Diogène de Laerte) في كتاب تاريخهِ الثامن (ع٥ — ٧) . وقد شاعت هذه القصيدة بين الفيثاغوريين حتّى انهم علّقوا عليها التعاليق وشرحوها شرحًا مستوفيًا . وقد اشتهر تفسير الفيلسوف

الكثونة (الدرع) والبطرشيل الاحمر فيبتدئ الكاهن قائلًا :

(ك) معونتنا باسم الرب (ج) الصانع السماء والارض = (ك) الرب معكم (ج) ومع روحك ايضًا

(صلاة) يا سيدنا يسوع المسيح الذي تنازل ولبس ضعف طبيعتنا المائتة وتصاغر متخذًا صورة العبد واطاع حتّى الموت موت الصليب نسأل جودك وصلاحك باتضاع ان تتنازل وتبارك + هذا الثوب المصنوع ذكرًا لآلامك الكليّة المرارة واكرامًا لقلبك الاقدس وقلب والدتك الكلي الحزن والبري من الخطيئة الاصلية طالبين الى حنوك ان تمنح لابسيهِ نعمة التأمّل الدائم باسرار آلامك المقدّسة فيستحق عبدك هذا (او امتك هذه) لابس هذا الثوب ان يلبسك . نسألك ذلك باستحقاقاتك وبشفاعة والدتك مريم الكليّة الطوبى انت الذي تحيا وتملك الى دهر الداهرين آمين

(ثم يرشّ الثوب بالماء المبارك واضعًا ايّاهُ في عنق المشترك قائلًا) :

خذ ايها الاخ العزيز هذا الثوب المبارك لكي تنزع عنك الانسان العتيق وتلبس الانسان الجديد فاحملهُ بامانة وعبادة لكي تنال الحياة المؤبدة باستحقاق سيدنا يسوع المسيح امين

(ثم يقول) : وانا بالسلطان المعطى لي اقبلك في شركة جميع الخيرات الروحية الممنوحة من الكرسي الرسولي المقدس لجمعيّة كهنة الرسالة باسم الاب + والابن + والروح القدس + امين

(ثم تتلى هذه النافذة ثلث مرّات) : نسألك يا يسوع ان تعين عبيدك الذي افتديتهم بدمك الكريم

(تنبيه) لا يشترط لثوب الآلام تدوين اسماء المشتركين خلافًا لما توهّم البعض

الفيثاغوري هيروكليس المتوفّى سنة ٤٧٠ للميلاد . وقد طُبع المتن اليوناني مع الشرح مرارًا نجدهما كليهما في مجموع فلاسفة اليونان طبعة فرمين ديدو (١

وقد عرف العرب هذه القصيدة ونقلوها الى لغتهم.ومن جملة الكتب التي ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (طبعة لندرة ٥ : ١٦٩) : « كتاب في وصايا فيثاغورس لابي العبّاس احمد بن محمّد السرخسي المتوفّى سنة ٢٨٥ (٨٩٩) » والمرجَّح ان الحاج خليفة اراد الكتاب الذي نحن بصدده بيد انّ هذه الترجمة قد اخذتها يد الضياع . ولابن مسكويه ترجمة أُخرى كان وقف عليها حنّا أَلِخْمان (J. Elichmann) فطبعها سنة ١٦٤٠ في ليدن مع نبذة اخرى فلسفيّة تدعى بلغز قابس. وكان المذكور نقلها عن كتاب جاودان خرد المصون في خزانة كتب ليدن وفيهِ مجموع حسن من آداب العرب والفرس والروس والهند لم يطبع منها الكتان سوى هاتَين النبذتين. الّا ان طبعتهُ المذكورة قد نفدت منذ زمن مديد لم يمكنّا الاطّلاع عليها . وقد اسعدنا الحظ ان نجد المجموع نفسهُ في خزانة الكتب الواتيكانيّة مخطوطًا سنة ٩٢٨ ﻫ (١٥٢٢م) فاستنسخناهُ لمكتبتنا الشرقيّة ولعلّنا ننشر منهُ بعض طرائفهِ. وانما نكتفي اليوم بنشر وصايا فيثاغورس. وابن مسكويه مترجمها احد مشاهير النقلة من اللغات الاجنبية واسمهُ ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه (٢ توفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠م) ومن كتبهِ النفيسة كتاب تهذيب الاخلاق الذي طُبع مرارًا في مصر. وقد قابلنا هذه الوصايا الذهبية مع اصلها اليوناني فوجدناها مطابقةً لهُ في الغالب لا تحيد عنهُ الّا قليلًا. ولعلّ هذا الفرق يأتي من اختلاف الروايات الاصليّة

وصيّة فيثاغورس المعروفة بالذهبية

وهي التي يقول جالينوس انهُ يقرأُها كلَّ يوم غدوةً وعشية

قال فيثاغورس : اول ما اوصيك بهِ بعد تقوى الله عزّ وجلّ (٣ تبجيل الذين لا يحلُّ بهم الموت من الله واوليائهِ (٤ واكرامهم بما توجبهُ الشريعة وتوقّ (٥ اليمين. ثمَّ أُوصيك بامتثال ذلك في خدمة الباصرين في مذاهبهم (٦. وأُوصيك ايضًا بتبجيل عُمَّار الارض (٧ فتفعل ما توجبهُ عليك الشريعة في اكرامهم. واوصيك باكرام سلَفك واقربائك واوصيك ان تتّخذ من سائر الناس افضلهم صديقًا (٨ ليكون صديقًا في الفضيلة وان تُلين لهُ جانبك في الفعال ما اداهُ ذلك الى المنفعة ولا تستفسد صديقًا لهفوة تكون منهُ

١) Fragmenta philosophornm græcorum, *Firmin Didot*, Paris. 1890 pp. 192 et 408

٢) وقد وهم فنريخ (Wenrich) بقولهِ (ص ٨٧) انَّ السرخسيّ هو ابن مسكويهِ وبين كليهما زمنٌ مديد

٣) الكلام في الاصل عن آلهة المشركين

٤) لعلهُ يريد الملائكة واولياء الله الذين نُقلوا الى دار الخلد

٥) ولعلّها « توفَّ » اي فِ بيمينكَ لله

٦) هذا معناهُ كما يؤخذ من النصّ اليوناني : واكرم ايضًا ذوي العقول السامية والهمم الشريفة

٧) عُمَّار الارض هم الذين يسعون في اصلاح شؤونها

٨) ولعلّها « صدقًا »

ما امكنك. على انَّ الامكان قريب من الضرورة (١ فهذا اول ما ينبغي ان تعملهُ

ثمَّ ينبغي ان تتعوَّد ضبط نفسك على هذه الاشياء التي انا ذاكرها لك اولها امر بطنك وفرجك والغضب والنوم. واحذر ان ترتكب قبيحًا في وقتٍ من الاوقات على خلوةٍ (٢ ولا مع غيرك. وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل احد.

ثم ينبغي لك ان يلزم نفسك الانصاف في كلامك وفعالك. ولا تحملنَّ نفسك على ارتكاب امر من الامور بلا تمييز بل اعلم انَّ الموت حالٌّ بجميع الناس لا محالة. وامَّا المال فليكن قصدك فيهِ اكتسابهُ من حلالٍ واتلافهُ في حلالٍ (٣. وما قد يُنال من الاشياء المؤذية بالاسباب السمائيَّة فاصبر على ما ينوبك منها من غير ان تندم بل تروم مداراتها بقدر طاقتك

وينبغي لك ان تعلم انَّ ما ينوب الاخيار من الناس في هذه الامور ليس بالكبير. فاذا سمعت من كلام الناس جيدةً او رديئةً فلا تمتعض منهُ ولا تحملنَّك نفسك على الامتناع من استماعهِ. وان سمعت كذبًا فهوّن على نفسك الصبرَ عليهِ. وما انا قائلهُ فأجرِ امرَكَ عليهِ في كل ما تستعملهُ لا يحملنَّك احد بكلام ولا بفعل على ان تفعل ما ليس بجميل ولا ان تتفوَّه بهِ. وتروَّ قبل الفعل كيما لا تُغلب في فعلك واحذر ان تقول او تفعل ما يُستجهل منك بل انَّما ينبغي ان تقتصر فيما تفعلهُ على ما لم يَعدْ بالضرر عليك ولا تفعلنَّ فعلًا وانت جاهلٌ بهِ بل تعرَّف في كل حال وفي كلّ واحد من الافعال ما يجب ان تفعلهُ فانك حينئذٍ تُسرُّ بمعاشك

ولا ينبغي لك ان تهمل امر صحَّة بدنك لكن تُعنى بالطعام والشراب والقصد فيهما وباصناف الرياضة. وانما عُني بالقصد ما لم يضرّ. وعوّد نفسك ان يكون تدبيرك تدبيرًا نقيًّا غير مسرف (٤ بمنزلة من لا خبرة لهُ بما في يديهِ. ولا تكن ايضًا شحيحًا فتخرج عن الحريَّة بل الافضل في الامور كلها هو القَصْد فيها وليكن ما تفعلهُ ما لا يعود بالضرر عليك. فاستعمل الفكر قبل العمل

ولا تساعد عينَك على النوم قبل ان تتصفَّح كل واحد من الافعال التي فعلتها في

---

١) شرحها هيروكليس فقال: يريد ان الضرورة تزيد قوَّة ارادتنا فتجعل ممكنًا ما كنَّا نظنُّهُ غير ممكن ٢) وفي كتاب طبقات الاطبَّاء لابن ابي أُصيبعة (ص٤١): ان تركب قبيحًا من الامر لا في خلوةٍ ٣) ويروى: اكتسابهُ في حالٍ واتلافهُ في حالٍ

٤) ويروى: ولا تكن متلافًا

نهارك أجمع فتفقف قبل نومك في المواضع التي تجاوزت فيها ما ينبغي ان تفعلهُ فلم تفعلهُ وابدأ في ذلك من اول ما فعلتهُ واجرِ في تفقّدك لذلك الى آخر ما فعلتهُ. فمتى كنت قد فعلتَ مكروهاً فليذعرنَّك ومتى كنت قد اتيت رضيًا فليُبهجنَّك فعلى هذا فليكن حرصك وفيهِ دؤوبك واليهِ فاصرف همتك فانها توطّئ لك ما يرقّيك الى الفضيلة الالهيّة إيْ والذي وجب لانفسنا الينبوع ذا الاربع من الطبيعة التي لا تفتُرُ (١

ومتى التمستَ فعلًا من الافعال فابدأ بالابتهال الى ربّك بالنجح فيهِ فانك اذا لزمت ذلك ولم تخالف هذه الوصايا وقفت على كُنه ما يجري عليهِ الامر في تدبير الله عزّ وجل اولياءهُ. وفينا معشر الناس ما منهُ زائل في الواحد بعد الواحد وما منهُ ثابت. وعلمتَ ما قُدّر من مجرى الطبيعة كل شيء على مثال واحد كيما لا ترجو ما لا يُرجى. وعلمتَ ان الناس بشقاء جدّهم الذي اختاروهُ لانفسهم بارادتهم في حدّ من يُرثى لهم اذا كانوا مشرفين على الخيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتفقدون انفسهم فيما بُلوا بهِ فان الشاذَّ من الناس يتهيّأ لهُ استنقاذ نفسهِ من الشرور وان ما بُلوا بهِ من ذلك هو الذي يقدح في قلوبهم واذهانهم فهم يتقلّبون في الشرّ بمنزلة ماء قد خرج في الازقّة المختلفة الى آفاتٍ مختلفةٍ فيقعون في شرور لا احصاء لها وذلك ان الامر اللازم للطبيعة خبثهُ ينكأ وهو لا يشعر وقد ينبغي ان لا يباعد بل يَهرب منهُ باظهار الاستُخذاء لهُ

ايها الاب الواهب الحياة حقًا اقول انك القادر ان تدفع عنهم بلايا كثيرة ان اظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم. لكنك ايها الانسان ينبغي ان تتشجّع اذا كان في الناس جنس إلهي فالطبيعة الالهيّة تقودهُ الى الوقوف على كل واحدٍ من الاشياء التي نلت منها حظًا من الحظوظ ولزمت ما أُشير بهِ عليك وشفيت نفسك من هذه الاوصاب والاضغاث نجوت سالمًا. ولكن اشبع من هذه الاطعمة التي ذكرناها واجعل امتحانك لها تزكية النفس وتخلية اسرها من حسدها وخبّر الناس بما تقف عليهِ في واحدٍ واحدٍ من ذلك. واجعل القسم المشرف على ذلك التمييز الصحيح فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلّدًا يكون عند ذلك سالمًا غير عائد الى الانوسة ولا قابل الموت. تمّت وصايا فيثاغورس والحمد لله حقّ حمدهِ

(١) هذا قسمٌ اعتادهُ تلامذة فيثاغورس وهي أيمانُهم المغلّظة. وكانوا يعظّمون عدد الاربعة ويعدُّونهُ عددًا كاملًا واصل كلّ كمال

الاسير والفراشة

بقلم الاديب اسكندر طحيني احد اعضاء الحفل الادبي في كلية القديس يوسف

. . . .

وكان الاسير راقدًا على الحضيض في ظلمة سجنــهِ الهائل متكئًا على قطعة عمود من رخام قد اسودَّت من لمس يديهِ وهو يشخص بعينيهِ المغرورقتين بالدموع نحو كوَّة تنبعث منها بعض اشعَّة نور ضئيلة ويردّد هــذه الكلمات: « سيعلم الذين ظلموا ايَّ مُنقلبٍ ينقلبون »

واذا بفراشةٍ دخلت عليهِ بغتــة من تلك الكوَّة واخذت تحوم فوق رأسهِ مرفرفةً باجنحتها الذهبيَّة وتدوّم حول عمامتهِ السوداء كأنها تطلب تعزيتهُ في بؤسهِ واحزانهِ. فجاشت حينئذٍ اشجان الاسير وهطلت دموعهُ على خدَّيهِ مبلّلةً وجهــهُ الاغبر ولحيتهُ البيضاء. فانشأ يخاطبها ويقول:

حليفةَ النور من ألقاكِ في القَتَمِ أنيسةَ الزهر ما تبغينَ في الرِمَمِ
هل جئتِ ترثين منسيًّا اخا سقمِ ظهرتِ في صورة الاقبال والنِعَمِ
كنور نجم بدا في حندس الظُلَمِ
لمَّا اتيتِ ازلتِ الهمَّ والشجنا من بعد يأسي رجائي في الخلاص دنا
قد كنتُ غصنًا ذوى يستمطرُ المزُنا بل كنتُ كالميت في الظلماء قد دُفنا
فعادت الروح ثمَّت انعشت هِمَمي

ثمَّ حدَّق الاسير الى الفراشة فرآها ترفرف فقال:

ما لي اراكِ على ذا السور حائمةً وبين ظلمتهِ تسمين هائمةً
كأنني بكِ زهرَ الحقل رائمةً واحسرتاهُ فانتِ لست غانمةً
غير الكآبة والحرمان والألمِ

حينئذٍ اتت الفراشة واستقرَّت على قيودهِ ملوّحةً بجناحيهــا البهيَّين تلويحًا بطيئًا فجعل الاسير يتأمل فيها ثمَّ انشد:

لستِ بنافرةٍ عن غلِّ ذي كَمَدِ فأنسكِ البلسمُ الشافي على كبدي
حلّي قيودي فقد هدَّت قوى جسدي وأعلني بنجاتي اليوم لا لغدِ
قد ضقتُ ذرعًا بحمل الضيمِ والتُهَمِ
قد كنت مثلي بجن الهمِّ والكدرِ في بطن فيلجةٍ محرومةَ البصرِ

واليوم افلتُّ من اسرٍ ومن خطرٍ فتمرحين بوسط الروض والزهرِ
رؤياكِ ينبئني بالخير والنعمِ

ناشدتك الله هبّي واذهبي سحرًا أهدي سلامًا الى احبابنا عطرًا
واخبرنهم بأنَّ القلبَ قد فُطِرًا وسال دمعي على الخدَّين منهمرًا
اذ ليس خلٌّ يُنجّيني من النقمِ

قال الاسير هذا وخرَّ مغشيًّا عليهِ فذُعرت الفراشة واخذت ترفرف حول رأسهِ ترفرفًا بطيئًا كانها حزينة لسوء حظ هــذا المسكين واتت واستقرَّت على يدهِ الجرداء ناظرةً بعينيهــا الزرقاوين الى رأسهِ المنحني ووجههِ الشاحب اللون واذا بالشيخ انتصب واقفًا على الأقدام فارتعشت الفراشة وطارت واستقرَّت على كوز مائهِ فانشــد الشيخ يقول :

مَن لي برشف الهنا من كأسهِ الذهبي حتى ابرّد ما بالقلب من لهبِ
يا ساقيَ العزّ دُر في الرغد والطربِ وأسقني خمرةً من دنّكَ العَذِبِ
قد طال حزني وسجني زاد في غُمَمي

كم بتُّ ارصد نجم السعد برمقني والطرف لم يكتحلْ من لذَّة الوسنِ
والنائبات العوادي انحلت بدني وجرَّعتني البلايا سُؤرةَ الحزنِ

لكنَّهُ لم يقوَ على اتمام الشطر الاخير بل اخذت الزفراتُ تتصعّــد من صدره حتى قطعت صوتهُ وارخت عزائمهُ فجلس على حجرهِ وهو يبكي احرَّ بكاء حتى جرت عبراتهُ كالمزن مدرارًا ثمَّ انشد :

وصيَّرتني أليفَ البؤس كالعدمِ

خارت قواي وجند الصبر قد نفرَتْ عني بعيدًا واسبابُ الرجا قَصُرتْ
وكدت اقضي جوًى والنفس قد هجرتْ جسمًا ذوى وعظامي بالأسى نُخِرتْ
كأنّما نشّبت بي أسهمُ الرقمِ

ثم انهُ اطرق برأسهِ الى الارض وهو لا يعي لشدَّة الافكار المتراكمة عليــهِ ثم رفع عينيهِ ورأسهُ الى السماء واخذ ينشد ويقول وهو على آخر رمق :

مولاي كم مثقَــلٍ نادى برأفتكم وكم سقــيمٍ شفاهُ لمسُ راحتكمْ
لقد سمَت في الورى أعمال رحمتكمْ وأومضت في الدجى أنوار طلعتكمْ
جودوا بنصرٍ بهِ احيا من العَدَمِ

قال هــذا وسقط على الحضيض لا حراكَ بهِ فذُعرت الفراشة وعادت ترفرف فوقهُ حزينة كئيبة ولكنّها يا للعجب العجاب . ما عتمت ان ابصرت بجانبهــا فراشة اخرى

مكتسيةً بهاء وجمالًا لها جناحان ارقّ وألطف من النسيم . . . فما تفرّست بها الّا ودنت منها وعلائم البشر والفرح تخفق على جناحيها واعتنقتها فرِحةً وصعدت بها من ذلك السجن نحو الكوة واخرجتها من ديجور الظلام وغياهب التعاسة والذلّ الى حدائق النعيم وصفاء العيش الرغيد

حينئذٍ سُمع وقع اقدام في الدهليز الممتدّ امام باب السجن وجلجل القفلُ وفُتح الباب ودخل السجّان ليتفقَّد حالة الاسير فتفرّس بهِ وجسَّهُ ورفع رأسهُ وقال: لقد مات لقد مات

. . . .

نعم لقد مات الانسان الاول . لقد لفظت بهِ الدنيا بعد ما كان يخوض في غمرة الجهالة ويعوم في بحر الغواية . . لقد مات بالجسد ليحيا بالروح . . . خرجت الفراشة النصرانيّة ببهائها ونضارتها من فيلجة الدودة الوثنية . كانت الانسانيّة كدودة تتسكّع في غياهب الظلام والجهل حانية جيدها تحت وقر الخطيئة تبكي لعزّها الغابر منتظرة الامل الموعود لا يعزّيها ولا يفرحها شيء . قائمة مقام البائس القَنُوط تُبصر الهُدى ولا تقوى على ادراكهِ

ارجو الحبيب ولا اميل لغيرهِ هيهات ان القلب فيهِ جريح

من اعلى كوّة سمائها هبطت عليها فراشة النور الازلي . كسرت بجناحيها اللطيفتين قيودها وغسلت عنها الحوبة بالتوبة فاضاءت في حنادس الكآبة مطالع السعد واشرقت في سماء القلوب كواكب الاقبال تفرّت اغساق الضلال بطوالع النور وانتقلت القلوب من وحشة الاحزان الى انس المسرّة والحبور . فتقشّعت غيوم الاضاليل وتكشفت حُجُب الاباطيل . أُعتق الانسان من ظلمة الاسر ظهر مخلص الكل من المطلع القبري مبرقعاً بالنور ومتسربلًا بالمجد والفخار . نشل الدودة الوثنيّة من ثوب اوثانها الدنس وكساها ثوب الفراشة النصرانيّة ثوب البر والكمال . رفعها عن الارضيّات ليسكنها جنات السموات . . . حينئذٍ اتى ابليس متفقدًا سجينهُ الذي كان قد كبّلهُ باغلال الخطيئة ورماهُ في حبائل العصيان وجسّهُ وصرخ نحو السماء قائلًا: لقد افلت السّجين وحبطت آمال الجحيم

الميكروب

تاريخهُ واحوالهُ

بقلم الدكتور الياس افندي الحاج احد المعاونين في مستشفى التوليد الافرنسي

قد دخل الطب في طور جديد مذ تحقَّق العلماء وجود عالم مجهول من الأحياء او الجراثيم الدقيقة التي لم تخطر على بال الاقدمين حتى قام ذلك العلامة البارع والكيموي الشهير الافرنسي لويس پاستور ووجَّه انظار العالم الى مشاهد تذهل عقول المعتبرين واشار الى مظاهر تعظّم قدرة رب العالمين

١ تاريخ الميكروب

الَّا ان پاستور مع ما لهُ من الفضل في تعريف الميكروب ليس هو اول من سبق الى اكتشافهِ . وقد مرَّ في المشرق (٢ : ٦٠٠) انَّ اليسوعي الشهير الاب اثناس كيرخر وصف ميكروب الطاعون وصفاً غريباً سنة ١٦٥٨ واثبت ان علَّتهُ « ذرَّات صغيرة حيَّة . . . وانَّ هذه الحيويَّات غاية في الدقَّة حتى انَّ البصر لا يدركها البتة ما لم يستعن بمجهر حسن يكبّرها »

وفي سنة ١٧٢٣ اتخذ الدكتور الهولندي لووِنهويك (Lewenhoeck) العدَسات الزجاجيَّة ففحص بها المياه والُمغليات النباتيَّة فوجد فيها اجساماً آليةً حيَّة في حجم الهباء وذرَّات الرمل وهي مختلفة الاشكال فاستدلَّ بذلك على انَّ بين فساد الماء وهذه الآليَّات علاقةً . ثمَّ واصل ابحاثهُ فوجد من هذه الدقائق ما لا يحصى في امعاء الهوامّ والدجاج والضفادع وافرازات ابن آدم ولحظ ان تلك الاجسام تزيد ايَّامَ الهيضة لكنَّهُ لم يدرِ انها علَّة الهيضة . وانما ارتأى العلامة لينَّاي (Linné) انها من اسباب العدوى في الامراض الوبائيَّة على انَّ رأيه كان حدساً بلا بيّنة مقنعة

وهذه الاكتشافات الجليلة لم يكترث لها وقتئذٍ معاصرو لووِنهويك ولم ينتج عنها فائدة عمليَّة . وبقيت هذه الاختبارات في نقطتها لان المجهرات وهي العدسات المركَّبة لم تُكتشف بعد . فلمَّا شاعت المجهرات عاد الطبيعيّ اوتو فردريك مولر سنة ١٧٧٤ الى البحث عن الاجسام التي اكتشفها قبلهُ لووِنهويك وبيَّن صفاتها وقسمها الى اقسام ممتازة

ثم قام بعدهُ إهرنبرج (Ehrenberg) وتوسَّل بنظَّارات اقوى من السابقة الى تعريف هذه الآليَّات وقسمها الى اربعــة اقسام. وتقفَّى آثارهُ دو جاردين الفرنسوي سنة ١٨٤١ الَّا انهُ آثر تقسيمها الى ثلاثة

ومن الاوهام الشائعــة في ذلك الوقت بين العلماء انَّ هذه الدقائق حُيَيوينات (animalcules) لها الحسّ فضلًا عن الحياة النباتيَّة. ولمَّا كانوا يجدونها بكثرة في المياه زعموا انهــا تتولد من ذاتها لا من حي سابق يُنسلها وانَّ المياه الفاسدة تسبّبها مع انَّ الصواب انها هي التي تُفسد المياه. وسنبيّن كيف دحض العلامة باستور رأيهم

وفي سنة ١٨٥٠ وجد العالمان داڤن (Davaine) ورويار (Royer) في دم خرفــان أُصيبت بداء الطحال نقاعيَّات صغيرة على شكل عُصَيَّات. فكانت كلُّ هذه الاختبارات كتوطئة مهّدت الطريق لذلك العقل السامي والعلامة المبرّز باستور الى هذا الاكتشاف العجيب الذي افاد العلوم جمعاء بل الصنائع والمعامل بمختبراته فترى الاطبَّاء واصحاب الحرير ومستحضري المشروبات كالجعة (البيرا) واللبن والكفير وغير ذلك لا يستغنون عن معرفة اكتشافاته وطرائقهِ الاختماريَّة. فانَّ هذا الرجل الشهير مذ بيَّن ان حموضة اللبن مسبَّبة من دخول الميكروب فيهِ عمَّم هذه القضيَّة واطلقها على كل الاختمارات فاثبت انَّ لكل تدرُّن ولكل اختمار جسمًا حيًّا يأتيهِ من الخارج وان المياه والسوائل لا تولّد من ذاتها هذه الاجسام بل بعكس ذلك لا يمكن الاختمار والتعفُّن دون ان يسري الى هذه الموانع جراثيم خارجة عنها

فكان لهذا الاكتشاف دويّ عظيم بين العلماء. فعاد سنة ١٨٦٣ الكيمويَّان داڤن ورويار الى فحص دم الخراف المصابة بداء الطحال والعصيَّات الموجودة فيهِ فتحقَّقا انهــا هي سبب تلك العلَّة

وفي سنة ١٨٦٩ اظهر باستور ان مرضين من امراض دود الحرير وهمــا مرض التحرُّق (pébrine) ومرض الذبول (flacherie) تجلبهما الجراثيم الميكروبيَّــة وانهما ينتقلان بالعدوى

وهو اول اكتشاف بيّن فيهِ باستور سريان العدوى بواسطة الميكروب نهج بهِ الطريق الى بيان انتقال الادواء الوبائيَّة عمومًا بهذا التسري. وممَّا تقرَّر وقتئذٍ ان العدوى لا قوَّة لها في اجسام من ليس لهم استعداد لقبول الداء. وانَّ هذا الاستعداد يختلف

مع الزمان والمكان والوراثة وقد تقرَّر اليوم ان العدوى لا تفشو الَّا باستيفاء كل هذه الشروط وان الميكروب لا فعل لهُ ما لم يكن للجسم قابلًا لتربيتهِ

وفي سنة ١٨٧٢ توصَّل المختبران كوز (Cose) وفلتز (Feltz) الى تعليل المرض المعروف بفساد الدم (septicimie) وبيَّنا انهُ مسبَّب من استيلاء الميكروب عليهِ وأيَّدا بذلك قول باستور

ثمَّ شاع حكم باستور وتعقَّب آثارهُ كثيرون من الاطباء والعلماء لاسيما في فرنسة والمانية وروسيَّة نخصُّ منهم بالذكر شوڤو (Chauveau) وكورنيل (Cornil) وشمبرلند ورو (Roux) و يرسين وميتشنيكوف (Metchnikoff) وكوخ وكلبس (Klebs) وفلوغ (Flugge) ولوفلر (Loeffler)

٢ مقام الميكروب في سلَّم الاحياء

كان غلب على ظن الاطبَّاء الاوَّلين الذين عاينوا الميكروب ان هـذه الاجسام حُيَيوينات واستندوا لبيان زعمهم الى الحركات التي وجدوها فيها وكانوا يرتأون ان الحركة من خواصّ الحيوان. ودام وهمهم حتى تصـدَّى لهُ العلامة داڤن وبيَّن سنة ١٨٦٤ انَّ العُصيَّات التي وجدها في طحال الخراف الموْبوءة انَّما هي نباتات من جنس الطُّحلب وان اكثرها لا حراك لهُ واذا تحرَّك بعضها فليست حركتهُ دليلًا على حيوانيَّتهِ. فانحاز العلماء الى هذا الرأي وهو اليوم قد عمَّم ارباب المعارف الميكروبيَّة. بيد انَّ منهم من يرجّح كون هذه الجراثيم اقرب الى الفطر منها الى الطحلب. ولكلا القولين ادلَّة لا نرى فائدة كبرى في بيانها وانَّما الثابت ان الميكروب نبات لا حيوان وقد دُعي بذلك لانهُ من صغير الأحياء (μικρὸς βίος) ومن دعاهُ باشلُّوس اخذ لفظهُ من اللاتينيَّة (bacillus) اي عصيَّة

هذا ولا بدَّ من تلافي وهمٍ يمكن شيوعهُ بين بعض القرَّاء وهو انهُ ليس كل جسم غريب وُجد بجسم الانسان واولد فيهِ المرض ميكروبًا لانَّ بعض الامراض تنشأُ ايضًا من حيوانات تدخل في الجسم مثال ذلك الحمَّى الدوريَّة التي سببها حيوان صغير يدعى «هياتوزوار» اي حيوان الدم اكتشفهُ الدكتور لاڤران (Laveran) ومثلها الدوسنطاريَّة التي يسبّبها جسمٌ آلي وحيوان غاية في الصغر من فرع البروتوزوار سمَّوهُ اميباو المستعمر (amibeo du Colon). وخلاصة القول ان ليس كل جسم تراهُ العين بالمجهر ميكروبًا

ولو كان يُقاس فعل الميكروب بالنسبة الى جرمهِ لكان فعلهُ لا يُعبأ بهِ لانَّ الواحد منهُ اذا قيس لا يتجاوز جزءا من الف الالف من المتر واكبرها يبلغ عشرة اجزاء من الف المِلّمتر (ويعبّرون عن ذلك بالحرف اليوناني μ) . الّا ان فعلهُ اكبر من جرمهِ . وربَّ صغير حقير اتى باعمال لا يأتيها الجبّار الخطير . ولو لم نجد حجّة لتأييد قولنا سوى الميكروب لكفى فانَّ هذه الاجسام الدقيقة التي لا تنظرها العين الّا بالنظّارة المكبّرة واقفة لنا بالمرصاد واذا تسلطت على احد اعاذهُ الله من شرّها

٣ تولُّد الميكروب

فلنرجع الان الى قضيَّة ذات شأن طالما خَفِيت على ارباب العلم حتى انقشع عنها سحاب الضلال . كان ائمّة العلماء اذا فحصوا المياه الصافية ووجدوا بعد قليل ما يظهر فيها من الجراثيم بسرعة غريبة وكمّيَّة مذهلة يزعمون انَّ هذه الآليّات تتولّد من نفسها دون اصل سابق وان منها تنبعث الديدان والحشرات

ومن اقاويلهم الغريبة انَّ الموادَّ الازوتيَّة الموجودة في النبات اذا انحلّت وفسدت يبقى فيها بعض القوّة فان صادفت تربةً ملائمة لها عاد اليها تركيبها بهيئتها الاولى . كذا ارتأى علماء افاضل ذوو شهرة كسبلنزاني (Spallanzani) وجولي (Joly) وتريكول (Trécul) و پوكته (Pouctet) . الّا ان پاستور قاومهم جميعاً ونقض حججهم وأيَّد قولهُ باختبارات لا سبيل الى انكارها فبلغ الى هذه القضايا الثلاث التي دخلت من بعدهِ بين المبادئ المقرَّرة : ١° اذا أُعقِمتَ السوائل بحيث لم يبقَ فيها حيّ ثمَّ منعتَ عنها الاوساخ التي يحملها اليها الهواء بقيت خاليةً من الجراثيم الميكروبيَّة الى ما شاء الله . ٢° انَّ الرياح وحدها بما تنشرهُ من الغبار تنشئ الميكروبات . ٣° ان الهواء العقيم لا يمكنهُ ان ينشئ شيئاً من الأحياء في الماء مهما طال زمانهُ . ومن ثمَّ قد ختم پاستور قولهُ بما نصّهُ : « لا صحّة لما قالهُ الاقدمون عن التولُّد الذاتي (génération spon-tanée) وانّما قولهم ضغث واحلام تردّهُ الاختبارات العديدة التي باشرتها مدَّة ٢٠ سنة » حرَّر پاستور هذه الالفاظ المسجديَّة في ١٦ تموز سنة ١٨٧٨

٤ هيئات الميكروب وكيفيَّة نموّهِ وانتشاره

لا يسعنا المقام ان نفرد لكل ميكروب فصلاً خصوصياً . فاكتفينا ان نجمع في هذا الباب الصفات العموميَّة التي تبيّن اجناسهُ . ومرجع هذه الاجناس الى ثلاثة

اشكال. اولها الشكل الكروي (sphérique) لشبه جراثيمهِ بالكُري. والثاني العصوي الشكل فيكون كالعُصَيَّات (bâtonnets). والثالث اشبه بالخيوط (filamenteux)

ويلحق بكل جنس اشكال ثانويَّة فالكروي مثلًا يقرب منهُ البيضوي الشكل (ovalaire). ومن العصوي ما كان مقوَّسًا والخيطي ربَّما كان لولبي الشكل. وهذه الهيئات تختلف باختلاف المكان وموقع جراثيمهِ. وربَّما كان الميكروب الواحد كرويًّا في منبت جامد وخيطيًّا في منبت مائع مثالهُ دماميل الفم (muguet) في الاحداث. فلا يدلُّ اذن تغيُّر شكل الميكروب على اختلاف الجنس

ومن غرائب الامور ان العلماء وجدوا انواع الميكروب في طبقات الارض المعروفة بالثانويَّة وهي باقية على شكلها وحجمها مع ما كرَّ عليها من الايَّام والدهور وكفى لعمري بذلك برهانًا قاطعًا يرغم معاطس اصحاب دروين والمنتصرين لآرائهِ في الارتقاء

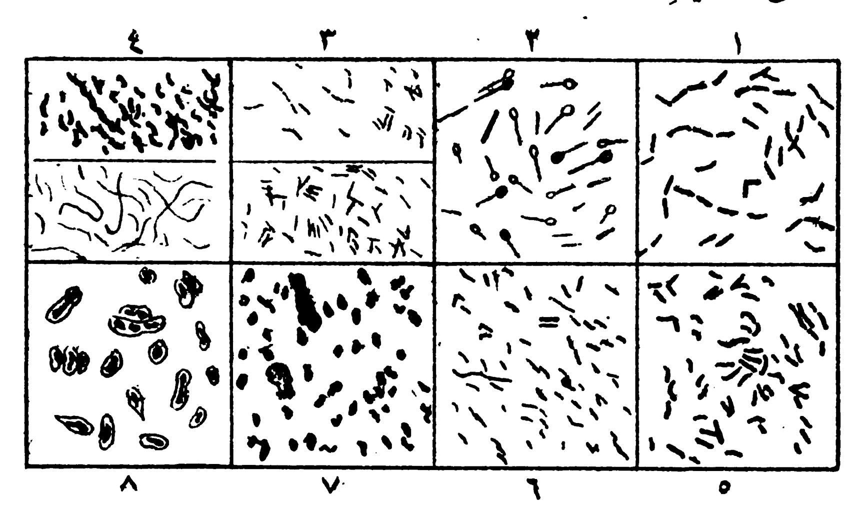
ومن يُنعم النظر في تركيب الميكروب يجدهُ مركَّبًا من خليَّة (cellule) تحتوي على نواة (nucleus) ومادَّة حيَّة يصونها غلافٌ شفَّاف. فهذه المادَّة الحيَّة لا بُدَّ لها ان تتمم كل وظائف الحي من اغتذاء وتنفُّس وافراز موادَّ سامَّة. والبعض من هذه الميكروبات تتحرَّك كباشلوس الحمَّى التيفوئيديَّة وسبب حركتهِ خيوطٌ نابتة في جسمهِ. ومنهُ ما لا يتحرَّك مطلقًا. وبعضها لا يعيش بلا هواء وغيرها بعكس ذلك. يسبِّب لها الهواء موتًا وحيًا. ومنها ما سواءٌ عندهُ ان عاش في الهواء او دونهُ

ويغتذي الميكروب بامتصاص الماء والمواد الازوتيَّة واملاح النوشادر. واوَّل من احكم وصف اغتذاء الميكروب العلامة باستور والدكتور رولين (Rollin) فربَّياهُ في منابت مختلفة ضمَّنوها السكَّر والموادَّ الازوتيَّة

وممَّا لحظاهُ بالاختبار انَّ الميكروب اذا اختلط في موادَّ لم يستطع تحويلها الى جسمهِ افرز شيئًا من الخمير يصلحها للامتصاص فيغتذي بها. مثال ذلك انهُ يحوّل المواد النشائيَّة الى سكَّريَّة وفي فم الانسان السالم المزاج ١٨ جنسًا من الميكروب دأبها افراز مادة لعابيَّة (ptyaline) غايتها تحويل النشإ الى سكَّر

ومن المعلوم انَّ الجسم اذا اغتذى افرز موادَّ بعضها يصلح لهُ وبعضها يضرُّ بهِ اذا لم تُبعد عنهُ. ولذا ترى منابت الميكروب يومًا زاهرةً نامية ويومًا نحيلةً ضئيلة. وهذه

الفضول التي يفرزها الميكروب ليست كلها مضرَّة بالانسان بل منها ما هو نافع ومنها ما لا غنى عنهُ لحياتهِ



١ ميكروب الجمرة ٢ « الكُزاز ٣ « التدرُّن ٤ « الهيضة (الهواء الاصفر)
٥ « الخُناق ٦ عُصيَّات التيفوس ٧ ميكروب الطاعون ٨ « ذات الرئة

والضرر الذي ينتج من الميكروب لا ينشأُ دائمًا من مجرَّد دخولهِ في الجسم بل من الافرازات السامَّة التي تحصل منهُ . ولذلك ترى غالبًا في الحلق باشلوس الخناق . وفي الجروح باشلوس الكزاز (tétanos) دون ان ينجم عنهما ضررٌ

اما نموّ الميكروب فغريب يذهل العقول ويحيّر الالباب ويتجاوز كلَّ حساب وذلك بمدَّة قليلة من الزمان . وينمو بعضهُ بالتبذير (sporulation) وبعضهُ بالتجزئ والانقسام فتصير الحويصلة الى قسمين ثم تنقسم الى اربعة . وهلمَّ جرًّا

اما الموادّ التي تدفع مضارّ الميكروب وتقوى عليهِ فهي اولًا كل السموم التي تمنع العفونة (antiseptique) كمحلول السليماني والحامض الفينيكي الخ . ومن هذه السموم ما يردُّ غارات احد الميكروبات دون غيره

ومن اجود المطهِّرات الطبيعيَّة التي تتلف الجراثيم الضارَّة الهواء والشمس . وقد مرَّ بك ان بعض الميكروب لا يعيش بالهواء كما انَّ الهواء بحركتهِ المتداومة وتجدُّدهِ يحمل هذه الآليَّات ويرميها بالبحر او يصعد بها الى اعالي الجوّ فيتبدَّد شملها ويزول ضررها.

امَّا الشمس فهي الدُّ اعداء الميكروب وهي مميتةٌ بحرارتهـــا ولذلك وجب دائمًا فتح الغرف لاسيَّا مقامات المرضى لتنفذ فيها اشعة الشمس ويتجــدَّد هواؤها. ألا في بعض الاحوال لاسباب صوابيَّة يحكم بها الطبيب

وفي الختام نقول ان الميكروبات تعمُّ عالمنا باجمعهِ لا يخلو منها الهواء ولا الماء ولا الارض بل ان اجسامنا نفسها داخلها وخارجها كمعمل كبير لهذه الجراثيم منها مأكلنا ومشربنا تُحدق بنا حيثما سرنا وأنَّى توجَّهنا. ولكن فليطمئنَّ بالنا وليسكنَنَّ روعنا لانهُ ليس كلُّ ميكروب بعدوٍّ فاتك مسبِّب للامراض والاسقام فمنهُ ما هو جزيل النفع لا تقوم عيشتنا بدونهِ. ومنهُ ما لا ينفع ولا يضرّ. امَّا ما كان ضارًّا فلا بأس منهُ ما دمنا نراعي قوانين الصحَّة ونتجنَّب العدوى واسبابها ونقتصر في اكلنا وشربنا وشغلنا وسهرنا مع ترويض الجسم باعتدال واستنشاق الهواء النقيّ والسكنى في منازل نظيفــة يدخلها الهواء والنور الى غير ذلك من الوسائط المحمودة التي يصفهـــا الاطبَّاء بالمجلات العلميَّة والنشرات الطبيَّة فنسير الطريق المثلى بين المتطرّفــين الذين ينكرون وجود الميكروب فلا يبالون بهِ على الاطلاق والذين لا يكادون يتحركون خوفًا منهُ فيرون الميكروب في كلِّ مكان (حتى في الماء المصلاَّة) فيقلقون لذلك ويحتارون في امرهم. فخير الامور اوساطها وعلى الله الاتكال في البدء والمآل

خواطر في النيل وفيضانهِ

بقلم الاب الياس جاره اليسوعي

لعمري ايّ عين لا تتدفَّق بهجة ونورًا وايّ جنان لا يهتزّ مسرَّةً وحبورًا لدى منظر ليس لهُ في الغبراء ندّ ولو اخترقتَ هضابها وبطاحها وجبتَ مشارقها ومغاربها ألا وهو فيض النيل الميمون فيضٌ يكسب المزارع ريًّا وخصبًا ويُكسيها قاصيها ودانيها حلةً تعاظمت شأنًا وحسنًا. فسِرْ بنا يا صاحِ حيث اقامت الافراح منابرها وبسطت للنفس مشهدًا يُقِرُّ نواظرها

ألا ترى ذات اليمين وذات الشمال اذا يمَّمتَ ربوع مصر ولاسيَّما العليـــا سهولًا

فسيحة الارجاء تتدفّق فيها عيون النيل وترسو على وجهها اشهرًا محدودةً وترى فوق هذه السهول اكواخ الزارعين تطفو كجُزُر منبثة على سطح النيل وقد ضفر لها النخيل من سعوفهِ اكليلًا ناضرًا واناط في جيدها من درر اثمارهِ عقدًا باهرًا. فكأني واشجار النخل خرائد راحت تميس بقدّها زهوًا. وعلت رأس المياه فداستهُ باخمصها كِبْرًا. تجلّت متبرّجة بحلى بهجتها. متجلببةً بسندس خضرتها. ناشرةً اعذاقها كبنود اليمن والفلاح. مبشرةً بقدوم رائد الاقبال والنجاح. وهناك ترى قمم ابنية بل سدودًا ثابتة الاركان تعاني صدمات الغمر فتكبح جماحهُ دافعةً عنها وعن اربابها سطوات الخراب وكرّات النوائب ذاخرةً في احشائها ما ادرّ عليها النيل من أخلاف الرزق ضامنةً لاهلها نصيبهم من رفدهِ وهباتهِ

هذا اذا كان الفيض وافيًا بالمراد والّا فهناك الطامّة الكبرى: فإمّا محلٌ يرفع على المنابت راية الدمار وامّا سيلٌ عرمرم يفلّ شباة السدود ويجرفها في تيّارهِ كعقبات وهنةٍ ويزُجها وما احاط بها من المباني في وهدة تذبل فيها بعد ايناعها اثمار الآمال. فيفدح الشر ويستشري الوبال...

بيد انهُ اذا اتاح لك المولى فشاهدت تلك الانحاء المغشاة بالغمر اصيلَ يوم ركدتْ فيهِ ثورة الارياح وتسربلت السماء بسربال صفاها واخمدت الصبا جذوة القيظ بعذب نفحاتها ألفيتَ قيد البصر سهلًا دبجّهُ بنان الشمس بالوان عسجديّة ورصّعت صدرهُ بمحاسن باهرة بهيّة. وحينًا بعد حين يمرّ النسيم وهو حامل في اكنافهِ نسمات الحدائق الأرجة فتهتزّ لورودهِ صفحات النيل جذلًا وتنثر في مسيرهِ قُطَيرات تتلاعب بها اشعّة الشمس المنعكسة فتتلألأ عقودًا تنفرط دراريها وقد سبَتْ العين وخلبت اللبّ بجمالها الرائع بينما يُسمع لاوراق النخيل حفيف رخيم كانها تتبارى والطير المغرّدة على فنن الاراك والصبا المعطِرة الارجاء في استمالة النفوس الى التأمل بحكمة مُبدع الكائنات والى اسدائه الثناء الجميل لما اسبغ على مصرنا من الآلاء الضافية الاذيال

ذلك مشهدٌ تبدو اسرّتهُ رويدًا رويدًا الى ان يبلغ رونقهُ حدّ الكمال ثمّ يأخذ في النقصان والمحاق فيغادر سماء مصر وقد تبلّجت بعدهُ تباشير الاماني المستطابة

فالنيل في فيضانهِ يلوح لي كابٍ حنون قيّض لهُ الدهر كل سنة ركوب غارب النوى فشطَّ عن فلذة اكبادهِ وقد اودعهم ثروتهُ بل مهجة فؤادهِ كيلا يلمّ بهم ضنك ولا

عنّهم عناء. فلا تأخذهم في ولائه سِنةٌ ولا في حبه فترة. كيف لا وقد عهدنا النيل منذ امدٍ مديد يحنُّ الى مصرنا حنين الاب الى اولادهِ فيطأها ويألفها زمناً وبعد اجل مضروب ينسحب عنها وقد كنز فيها كنوز الخيرات واولاها اسنى الصلات

فأعجب بمنظر لم ترَ لهُ العين مثلاً على وجه البسيطة. ولا جرم انهُ لفي مسير النيل الى مزدرعاتنا وحلوله فيها ضيفاً كريماً وانجلائهِ عنها ما يقضي بالعجب العجاب. وأنى لنا ان نقابلهُ مع غيرهِ وقد تحلَّى بمحاسن فريدة نظَّمتهُ في عداد الكائنات التي اظهرت العناية في ابداعها عظم قدرتها وسطعت فيهِ عجائب حكمتها

ولقائل يقول: لفي الديار الاوربيَّة في سويسرا مثلاً واميركا ما يأخذ بمجامع الفؤاد من انهرٍ تتسلسل جداولها وبحيرات تروق مشاهدها. أجل ولكن شتَّان ما بينها وبين ما حواهُ نيلنا من عجيب الاثر الذي جعلهُ بمعزلٍ عمَّا سواهُ في البسيطة اين لتلك الديار مثل هذه السهول الخصيبة المشتملة على اغرب وابدع ما فطرهُ الباري. اين لها تلك السهول التي تظهر بمظهر الجزر عند تعاظم النيل وفيضانهِ لما تكشفهُ من البيوت والمساكن ثمَّ تستحيل بعد اشهرٍ معهودة ربوعاً مفترَّة الثغر انتصبت فيها تتابعاً كلَّ عام سوق نبات القطن وقصب السكر والذرة مبشرة مواسمها الثلاثة بتوفر البركات. بل اين ترى كما قال عمرو بن العاص في وصف مصر « تلك الدرَّة التي تظهر بادئ بدء بيضاء. ثمَّ تصبح عنبرةً سوداء. فزبرجدةً خضراء. . . ». هذا وناهيك عن مزايا أُخر ليس من شأني الآن تعدادها خصَّها بها المولى دون سواها .

واماً ما يترتب على هذا الفيضان من اسباب النجاح المادّي فهو ظاهر للعيان وقد اسهبت في وصفهِ الاقلام وسار مسير المثل في سائر الامصار. وحسبنا هنا القول بأنَّهُ للفلَّاح امل قوتهِ وباب رزقهِ وللمثري ينبوع خير تفيض بهِ ثروتهُ وتنمو سنةً بعد سنة ولمصر عامَّةً معدن حياتها لولاهُ لضرب الإملاق والاعسار على كثير من ابنائها اطنابهُ وجرَّعهم غصصهُ ونوائبهُ لولاهُ لقلَّت موادّ الرزق وكسدت اسواق التجارة ولم تبلغ مصر ما بلغتهُ اليوم من التقدم والفلاح ان ادبيًّا وان ماديًّا. ولله درُّ ابن خروفٍ حيث قال في منافع النيل:

ما اعجب النيل ما اجى شمائلهُ ... في ضفَّتيهِ من الاشجار ادواحُ
من جنَّة الخلد فيَّاضٌ على تُرَعٍ ... تصبُّ فيها هبوب الريح ارواحُ

ليست زيارتهُ ماء كما زعموا وانما هي ارزاقٌ وارباحُ

وكان المؤرخ هيرودوت سبقهُ فقال قبلهُ باجيال عديدة: «انَّ مصر لهيَ هديَّة النيل». وقد بالغ اجدادنا في اطرائهِ واكرامهِ حتى انهم ذهبوا الى انهُ نهر سماويّ الاصل بل انهم عبدوهُ كالإله... جلَّ ربُّنا من لا ربَّ لنا سواهُ. واقرَّ عيون المصريين بنيلهم ونعماهُ. ما برح النيل غرَّة الانهار. وظلَّت مصر بهِ فريدة الامصار

مطبوعات شرقية جديدة

دائرة المعارف (الجزء الحادي عشر)

تأليف الادباء الافاضل سليمان ونجيب ونسيب البستاني. مطبعة الهلال ١٩٠٠. (ص ٧٥٣)

يسرُّنا ان نرى هذا التأليف العظيم بعد انحجابهِ مدَّة طويلة عائدًا الى عالم الآداب مواصلًا لما جاء في المجلدات السابقة من الفوائد الجليلة بحيث يمكننا ان نتوقَّع عمَّا قريب نجازهُ تامًا. والجزء الذي نحن اليوم في صددهِ هو الحادي عشر يتضمَّن تتمَّة حرف الصاد مع الحروف التالية الى مادَّة «عثمانيَّة»

• ولا تزيد القرَّاء علمًا اذا قلنا عنهُ انهُ كاخوتهِ السابقين حافل بالمباحث متنوع المقالات سهل المأخذ يدوّن اجمالًا خلاصة ما بلغهُ العلماء واكتشفهُ ارباب المعارف. ومن المواد التي استحسنَّاها المقالات الآتية: الصليبيَّة. الصين. الطاعون. الطباعة. الطب. الطريق والطُّرُق الحديديَّة. الطوفان. الطيف الشمسي. العبَّاسيَّة. الدولة العثمانيَّة. الى غير ذلك من الابحاث الشاملة

هذا ومع اقرارنا بمنافع هذا الكتاب العميمة رأينا ان نشير الى بعض ما لاح لنا فيهِ من الخلل فنعرضهُ لمؤلفيهِ الفضلاء علَّهم يجدون في ملاحظاتنا موضعًا للاصلاح

اولًا نثني على مصنّفي هذا الجزء لاعتدالهم في مسائل كثيرة تمسّ الدين واهلهُ فعرضوها دون تطرُّف مجرَّدين عن الهوى. لكنَّ الاعتدال في الرأي في بعض هذه المسائل ليس بكافٍ للكاثوليكي ان لم يبيّن وجه الصواب ويؤيّد الحقيقة بالبرهان. مثال ذلك باب

« الطلاق » فكان ينبغي لاصحاب الدائرة ان يزيدوا السبب الذي لاجلهِ لا ترضى الكنيسة بالطلاق وانها تستند في تعليمها الى قول الانجيل كما انها بنفيها الطلاق خلصت النصرانيَّة من شرور لا تحصى. وكذلك مادَّة « الصليبيَّة » مع اعتدالها لم تنطبق كلها مع حقيقة الواقع

ثانيًا كنَّا وددنا لو تحايد المؤلفون الخوض في بعض المسائل التي لم يقفوا على كُنه حقيقتها كقولهم (ص١٦٦) عن قتل الطاغية وهو قول من شأنهِ ان يثير الاهواء ويبعث على نبذ السلطة الشرعيَّة. وكذلك لم يحسنوا بنسبتهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة (ص ٢٦٠) آراء بعض ابنائها في تاريخ الطوفان وامتدادهُ فوق الارض كلها. فانَّ الكنيسة حتى الآن لم تُبدِ رأيًا في ذلك وتسمح لعلمائها ان يدافعوا عن آرائهم الخاصَّة التي لا ينفيها نصّ الكتاب نفيًا صريحًا. وكذلك لا نرى تحديدهم للطبيعة الالهيَّة واضحًا فلم يبيِّنوا الفرق بين الطبيعة والاقنوم. اما قولهم عن طبيعتي المسيح في اقنومهِ الواحد « انَّ تلك مسألة كان لها شأن عظيم في القرون الاولى » يؤخذ منهُ ان المسألة ليس لها اليوم اعتبار كبير مع انَّ كلّ سرّ التجسُّد مبنيٌّ عليها

ثالثًا لم يتَّسع اصحاب الدائرة في المواد الشرقيَّة اتساعهم في غيرها مع انَّ هذه تهمُّنا نحن الشرقيين اكثر من سواها. فترى مثلًا اوصاف بعض مدن الشرق قليلة الجدوى لا تفي بالمرام كالمقالة عن مدينة « صور » التي لم يستغرق وصفها وتاريخها غير عمود واحد — وفي بعض هذه الاوصاف قد اكتفى المؤلفون بنقل ما كتبهُ ياقوت دون ان يفيدونا شيئًا عن احوال المدن الحاليَّة. مثال ذلك ما كتبوهُ عن الصِّنف والصَّوران. وربَّما نقلوا ما دوَّنهُ العرب على علاتهِ دون ان يعملوا فيهِ نظر الانتقاد كالمقالة عن صنعاء وصُهيب — وقد اخذنا العجب من سهو المؤلفين عن ذكر بعض المواد كالطقوس وغير ذلك. كما انَّهُ كان يمكنهم ان ينتفعوا في مادَّة « الصُّلبة » من مقالة ضافية الذيل كتبها حضرة الاب انستاس في المشرق عن هذه الطائفة

رابعًا ان في طريق نقل الالفاظ الى اللغات الاوربيَّة خللًا فانَّ كلّ لفظة تُكتب كتابة مختلفة مع وجود الحروف العربيَّة عينها. فترى مثلًا « الصليق والصليحي وصوعر » منقولة على هذه الصورة Ssalik, Solaïhy, Zoar وكذا قُلْ عن نقل حرفي الظاء والعين

خامساً ان تراجم بعض المشاهير لم توضع في مكانها. فان المؤلفين لا قاعدة لهم ثابتة في ذلك فتارةً يدوّنون التراجم في اسماء اصحابها وتارةً في كناياتهم واحياناً في القابهم. وكان الاحرى ان يتبعوا بذلك طريقة لا يحيدون عنها. وعندنا انهُ لا يخطر على بال احد ان يطلب ترجمة في لقب « ظهير الدين » او « ضياء الدين » اللهم الّا نادرًا. هذا ما بدا مع تكرار الثناء على اصحاب الدائرة فنتمنّى لتأليفهم كل رواج ل. ش

شذرات

❁ الجزويت ❁ يشرّفنا اعداء الدين المدّة بعد المدّة بتصانيف يجمعون فيها ما امكنهم من الاراجيف والتلفيقات رجاء ان يشنّعوا على رهبانيّتنا وهم لا يدرون انهم يزيدونا بذلك فخرًا. ومن جملة هذه الاكاذيب كرّاسة أشاعها بعض اصحاب الغايات نسبوا الينا فيها كلّ اصناف الفظائع والآثام. ولعلم مؤلفي هذه النبذة بكذبهم لم يتجاسروا ان يصدّروها باسمهم الشريف بل زعموا انّها طُبعت في الاسكندريّة مع انها لم تطبع فيها. ومهما كان من امر اصحابها اننا نكذّب ما سُطّر في هذه الكرّاسة الّا بعض اشياء أرادوا منها القدح ونعدُّها نحن احسن مدح كقولهم انّ رهبانيّتنا تدافع عن البابويّة وأنّنا ننشر التعبد للعذراء الطاهرة ونقول بحبلها النقيّ من دنس الخطيئة الاصليّة وأنّنا نزيّن كنائسنا ونكرّر في مواعظنا ذكر عواقب الانسان لاسيما الدينونة والجحيم. فأيم الله ان كانت هذه الامور من الجنايات والمآثم فنحن اوّل من يقرّ بقبائحنا وأوزارنا. امّا انّ اليسوعيين يعلمون السرقة ويبيحون الحرام ويخدعون السذّج وما اشبه ذلك فهيهات ان يستطيع احدٌ ان يثبتها بحجّة وكذبها اوضح من الشمس. ولو اردنا المدافعة عن جمعيّتنا لاكتفينا بشهادات اعدائنا انفسهم

❁ هديّة فاخرة ❁ اهدى امير الافغان جلالة شاه العجم مصحفاً مخطوطاً على رق غزال بخط قديم وموشّى بالذهب واصناف النقوش العربيّة. ثمّ انفق على تجليدهِ نيّفاً وخمسين الف فرنك وجلداهُ صفيحتان من الذهب الابريز سمكهما ١٠٠٠/٧ تمثّل ضروبًا من التصاوير والرموز كالنجوم والاهلّة الى غير ذلك وهما مرصّعتان بعشي حجر كريم من الماس والياقوت واللؤلؤ وجُعل المصحف في قطر من الفضة طولهُ

٢٥ سنتيمترًا في عرض عشرة سنتيمترات ونصف: وهو اليوم مصون في جامع مدينة اسنان رضا

سكّة حديديّة بالكهرباء — دُعي القرن التاسع عشر بقرن البخار ولعلّ القرن العشرين يدعى قرن الكهرباء. كانت برلين في سنة ١٨٨٤ جهّزت اوّل ترامواي بالكهرباء. واليوم تسعى بتمديد اوّل سكّة حديديّة بينها وبين همبورغ والمسافة بينهما ٢٥٠ كيلومترًا وهذه السكّة جُعلت ستّة امتار فوق المدينة على سوارٍ متينة. وسيكون سلكان للذهاب وسلكان للاياب وهي ستقطع في الساعة ٥٠ كيلومترًا وقد اتُّخذت كل الوسائط لتلافي الحوادث المفجعة من جملتها انهُ يمكن توقيف القطارات بسرعة البرق. امّا نفقات هـذا المشروع العظيم فقدّرها المهندسون بمئة واربعين مليونًا من الفرنكات

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الاديب ديب زيادة هل طُبع كتاب مستطرف المستظرف للابشيهي غير الطبعة المصريّة

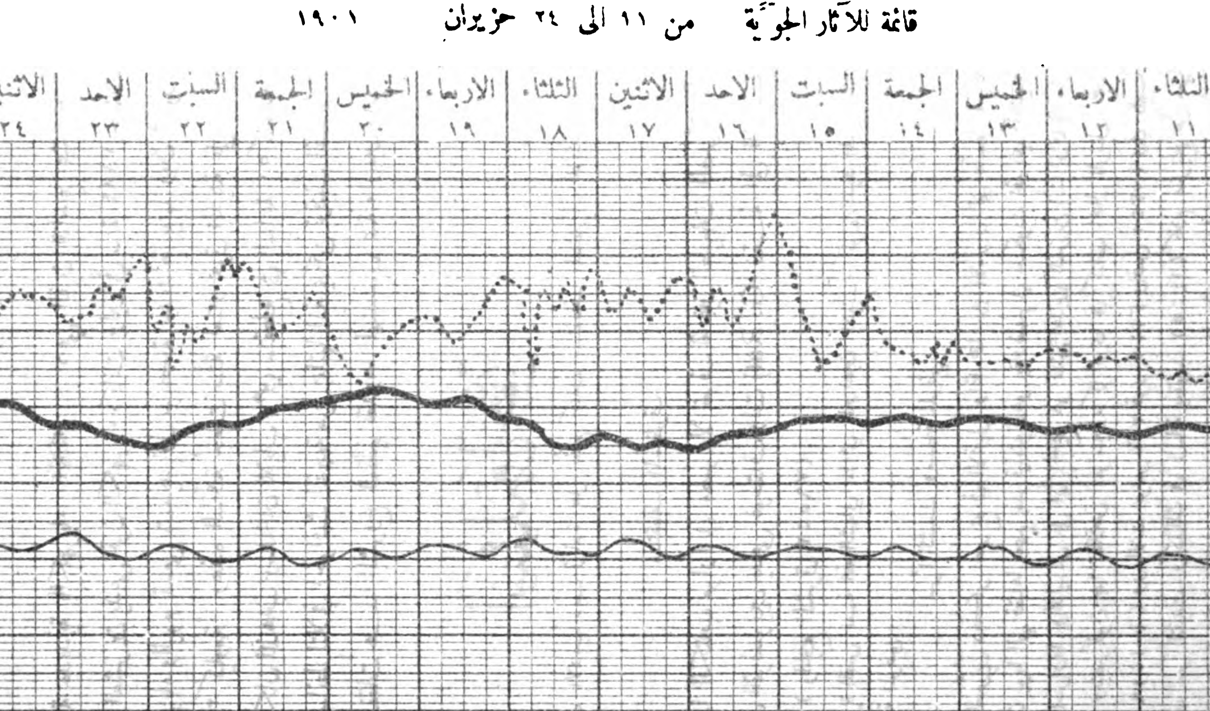
مستطرف المستظرف

ج طُبع هذا الكتاب مرارًا في مصر ولا نعرف لهُ غير الطبعات المصريّة. ألّا انّ احد المستشرقين الفرنسويين يدعى غوستاف رات (G. Rat) نقـلهُ الى الفرنسيّة ونشر قسمهُ الاوّل (راجع المشرق ٢: ٧٦٥)

س وسأل حضرة القس نعمة الله الشهابي ما هي البراهين المثبتـة كون السيد المسيح سنّ سرّي التثبيت ومسحة المرضى

سرّا التثبيت ومسحة المرضى

ج ليس لهذين السرّين ذكـر صريح في الانجيل وانما هما من الاسرار التي علّمها المسيح تلاميذهُ مدّة الاربعين يومًا التي قضاها معهم بعد قيامتهِ وهو يفاوضهم في ملكوت الله اي الكنيسة وما يختصّ باحوالها واسرارها. والدليـل على انّ المسيح هو منشئ هذين السرّين انّنا نرى الرسل يذكرونها ويمارسونها ويتصرّفون بها لخلاص المؤمنين. كما ترى في كتاب اعمال الرسل (٢: ٣٨ و ٨: ١٣-١٩ و ١٩: ١-٦) ورسالات بولس (٢ قور ١: ٢١ وافس ١: ١٣) وفي كلهـا اشارات واضحـة الى سرّ التثبيت. وكذلك في رسالة يعقوب (٥: ١٤) كلام صريح عن سرّ مسحة المرضى. فلولا ان الرسل اخذوا ذلك من فم المسيح لما استطاعوا ان يتعاطوا هذين السرّين ويستعينوا بها لخير المؤمنين لان منشئ الاسرار هو المسيح وحدهُ ل. ش



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً لذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

1 **Sainte Bible.**

الكِتَابُ المُقَدَّسُ

Grand in-8°, 3 vol. 1er 892 pp. (5e éd., 1890), 2d 603 pp. (4e éd., 1885), 3e 597 pp. (2de éd., 1882).

Traduction aussi élégante que fidèle, faite sur l'hébreu et le grec et approuvée par Nosseigneurs les Patriarches de tous les rites. Des Orientalistes tels que Gildemeister et Lagarde se sont plu à signaler le mérite de cette nouvelle version arabe des Saintes Ecritures, complètement vocalisée.

Une médaille d'or a été décernée à cet ouvrage à l'une des Expositions de Paris.

1er vol. : Livres historiques de l'ancien testament jusqu'à Job exclusivement;
2e — Suite de l'ancien testament;
3e — Nouveau testament et table générale des matières.

A la fin de chaque volume se trouvent des notes sur les passages obscurs ou controversés.

On a fait de cet ouvrage une édition de luxe, vrai chef-d'œuvre d'exécution typographique.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	10 »	en colis postal
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	—	12 »	
— — — — *dorée*	—	15 »	
— — *ornements dorés, tr. dorée*	—	18 »	
Édition de luxe: *chaque volume, broché*		20	

2 **Ste Bible (éd. photolithographique).**

الكتاب المقدَّس (مرسومًا بالشمس ومطبوعًا على الحجر)

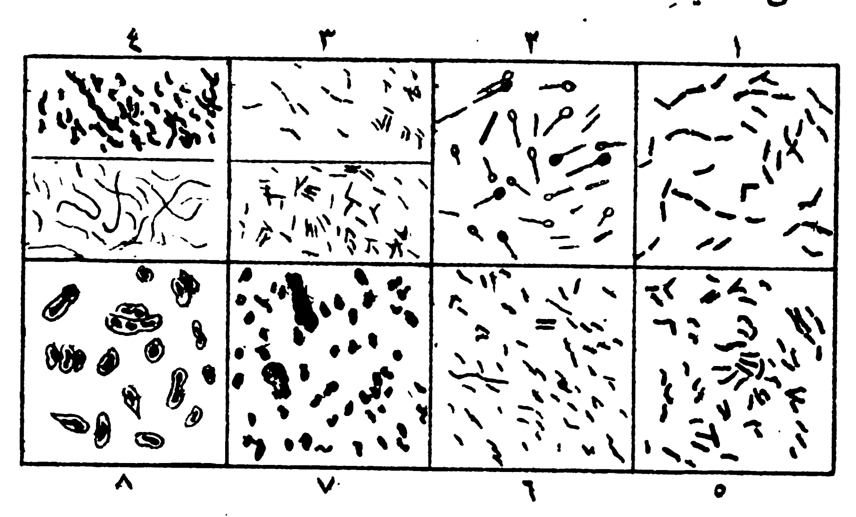
Petit in-8, 1 vol. 562 pages dont 50 de notes, 1897.

Grâce aux procédés de photolithographie nous pouvons enfin donner au public une édition complète de la Ste Bible reproduisant en un seul volume de format et de dimensions très commodes les trois gros volumes mentionnés plus haut. C'est le même type de Constantinople réduit de trois-quarts. L'extrême finesse des caractères n'a pourtant rien ôté à leur élégance et à leur netteté. Nous espérons que l'exécution de cet ouvrage plaira aux Arabisants d'Europe comme elle a déjà conquis les suffrages de tous les Orientaux

Ajoutons que le prix modique de cette édition permettra désormais même à la classe peu aisée de lire et de méditer nos Livres Saints.

Broché	10 »	1,20
Demi-reliure, chagrin et toile, tranche marbrée, titre doré	12 »	

الفضول التي يفرزها الميكروب ليست كلها مضرَّة بالانسان بل منها ما هو نافع ومنها ما لا غنى عنهُ لحياتهِ



١ ميكروب الجمرة ٢ « الكُزاز ٣ « التدرُّن ٤ « الحيضة (الهواء الاصفر)
٥ « الخُناق ٦ عُصيَّات التيفوس ٧ ميكروب الطاعون ٨ « ذات الرئة

والضرر الذي ينتج من الميكروب لا ينشأ دائمًا من مجرَّد دخولهِ في الجسم بل من الافرازات السامَّة التي تحصل منهُ. ولذلك ترى غالبًا في الحلق باشلوس الخناق. وفي الجروح باشلوس الكزاز (tétanos) دون ان ينجم عنهما ضررٌ

امَّا نموّ الميكروب فغريب يذهل العقول ويحيّر الالباب ويتجاوز كلَّ حساب وذلك بعدَّة قليلة من الزمان. وينمو بعضهُ بالتبذير (sporulation) وبعضهُ بالتجزيء والانقسام فتصير الحويصلة الى قسمين ثم تنقسم الى اربعة. وهلمَّ جرًّا

امَّا الموادّ التي تدفع مضارّ الميكروب وتقوى عليهِ فهي اولًا كل السموم التي تمنع العفونة (antiseptique) كمحلول السلياني والحامض الفينيكي الخ. ومن هذه السموم ما يردُّ غارات احد الميكروبات دون غيره

ومن اجود المطهّرات الطبيعيَّة التي تتلف الجراثيم الضارَّة الهواء والشمس. وقد مرَّ بك ان بعض الميكروب لا يعيش بالهواء كما انَّ الهواء بحركتهِ المتداومة وتجدُّدهِ يحمل هذه الآليَّات ويرميها بالبحر او يصعد بها الى اعالي الجوّ فيتبدَّد شملها ويزول ضررها.

اما الشمس فهي الدُّ اعداء الميكروب وهي تميتهُ بحرارتهـا ولذلك وجب دائمًا فتح الغرف لاسيَّما مقامات المرضى لتنفذ فيها اشعة الشمس ويتجـدَّد هواؤها . الّا في بعض الاحوال لاسباب صوابيَّة يحكم بها الطبيب

وفي الختام نقول ان الميكروبات تعمُّ عالمنا باجمعهِ لا يخلو منها الهواء ولا الماء ولا الارض بل ان اجسامنا نفسها داخلها وخارجها كمعمل كبير لهذه الجراثيم منها مأكلنا ومشربنا تُحدق بنا حيثما سرنا وأنى توجَّهنا . ولكن فليطمئنَّ بالنا وليسكُنَّ روعنا لانهُ ليس كلُّ ميكروب بعدوّ فاتك مسبّب للامراض والاسقام فمنهُ ما هو جزيل النفع لا تقوم عيشتنا بدونهِ . ومنهُ ما لا ينفع ولا يضرّ . اما ما كان ضارًا فلا بأس منهُ ما دمنا نراعي قوانين الصحَّة ونتجنَّب العدوى واسبابها ونقتصر في اكلنا وشربنا وشغلنا وسهرنا مع ترويض الجسم باعتدال واستنشاق الهواء النقيّ والسكنى في منازل نظيفـة يدخلها الهواء والنور الى غير ذلك من الوسائط المحمودة التي يصفهـا الاطباء بالمجلات العلميَّة والنشرات الطبيَّة فنسير الطريق المثلى بين المتطرّفـين الذين ينكرون وجود الميكروب فلا يبالون بهِ على الاطلاق والذين لا يكادون يتحركون خوفًا منهُ فيرون الميكروب في كلِّ مكان (حتى في الماء المصلَّاة) فيقلقون لذلك ويحتارون في امرهم . فخير الامور اوساطها وعلى الله الاتكال في البدء والمآل

خواطر في النيل وفيضانهِ

بقلم الاب الياس جاره اليسوعي

لعمري ايّ عين لا تتدفَّق بهجة ونورًا وايّ جنان لا يهتزّ مسرَّةً وحبورًا لدى منظر ليس لهُ في الغبراء ندّ ولو اخترقتَ هضابها وبطاحها وجبتَ مشارقها ومغاربها ألا وهو فيض النيل الميمون فيضٌ يكسب المزارع ريًّا وخصبًا ويُكسيها قاصيها ودانيها حلةً تعاظمت شأنًا وحسنًا . فسِرْ بنا يا صاحِ حيث اقامت الافراح منابرها وبسطت للنفس مشهدًا يُقرُّ نواظرها

ألا ترى ذات اليمين وذات الشمال اذا يمَّمتَ ربوع مصر ولاسيَّما العليـا سهولًا

فسيحة الارجاء تتدفق فيها عيون النيل وترسو على وجهها اشهرًا محدودةً وترى فوق هذه السهول اكواخ الزارعين تطفو كجُزُر منبثة على سطح النيل وقد ضفر لها النخيل من سعوفهِ اكليلًا ناضرًا واناط في جيدها من درر اثمارهِ عقدًا باهرًا. فكأني واشجار النخل خرائد راحت تميس بقدّها زهوًا. وعلت رأس المياه فداستهُ باخمصها كِبْرًا. تجلّت متبرّجة بحلى بهجتها. متجلببةً بسندس خضرتها. ناشرةً اعذاقها كبنود اليمن والفلاح. مبشرةً بقدوم رائد الاقبال والنجاح. وهناك ترى قمم ابنية بل سدودًا ثابتة الاركان تعاني صدمات الغمر فتكبح جماحهُ دافعةً عنها وعن اربابها سطوات الخراب وكرّات النوائب ذاخرةً في احشائها ما ادرّ عليها النيل من أخلاف الرزق ضامنةً لاهلها نصيبهم من رفدهِ وهباتهِ

هذا اذا كان الفيض وافيًا بالمراد والّا فهناك الطامّة الكبرى: فإمّا محلٌ يرفع على المنابت راية الدمار وامّا سيلٌ عرمرم يفل شباة السدود ويجرفها في تيّارهِ كعقبات وهنةٍ ويزجّها وما احاط بها من المباني في وهدة تذبل فيها بعد اينعها اثار الآمال. فيفدح الشر ويستشري الوبال...

بيد انهُ اذا اتاح لك المولى فشاهدت تلك الانحاء المغشاة بالغمر اصيلَ يومٍ ركدتْ فيهِ ثورة الارياح وتسربلت السماء بسربال صفاها واخمدت الصبا جذوة القيظ بعذب نفحاتها ألفيتَ قيد البصر سهلًا دبجّهُ بنان الشمس بالوان عسجديّة ورصّعت صدرهُ بمحاسن باهرة بهيّة. وحينًا بعد حين يمرّ النسيم وهو حامل في اكنافهِ نسمات الحدائق الأرجة فتهتزّ لورودهِ صفحات النيل جذلًا وتنثر في مسيرهِ قطيرات تتلاعب بها اشعّة الشمس المنعكسة فتتلألأ عقودًا تنفرط دراريها وقد سبَتْ العين وخلبت اللبّ بجمالها الرائع بينما يُسمع لاوراق النخيل حفيف رخيم كانها تتبارى والطير المغرّدة على فنن الاراك والصبا المعطِرة الارجاء في استمالة النفوس الى التأمل بحكمة مُبدع الكائنات والى اسدائهِ الثناء الجميل لما اسبغ على مصرنا من الآلاء الضافية الاذيال

ذلك مشهدٌ تبدو اسرّتهُ رويدًا رويدًا الى ان يبلغ رونقهُ حدّ الكمال ثمّ يأخذ في النقصان والمحاق فيغادر سماء مصر وقد تبلّجت بعدهُ تباشير الاماني المستطابة

فالنيل في فيضانهِ يلوح لي كابٍ حنون قيّض لهُ الدهر كل سنة ركوب غارب النوى فشطّ عن فلذة اكبادهِ وقد اودعهم ثروتهُ بل مهجة فؤادهِ كيلا يلمّ بهم ضنك ولا

يعشّهم عناء. فلا تأخذهم في ولائهِ سِنةٌ ولا في حبّهِ فترة. كيف لا وقد عهدنا النيل منذ امدٍ مديد يحنُّ الى مصرنا حنين الاب الى اولادهِ فيطأها ويألفها زمنًا وبعد اجل مضروب ينسحب عنها وقد كنز فيها كنوز الخيرات واولاها اسنى الصلات

فأعجب بمنظر لم ترَ لهُ العين مثلًا على وجه البسيطة. ولا جرم انهُ لفي مسير النيل الى مزدرعاتنا وحلوله فيها ضيفًا كريمًا وانجلائهِ عنها ما يقضي بالعجب العجاب. وأنى لنا ان نقابلهُ مع غيرهِ وقد تحلَّى بمحاسن فريدة نظَّمتهُ في عداد الكائنات التي اظهرت العناية في ابداعها عظم قدرتها وسطعت فيهِ عجائب حكمتها

ولقائل يقول: لفي الديار الاوربيَّة في سويسرا مثلًا واميركا ما يأخذ بمجامع الفؤاد من انهرٍ تتسلسل جداولها وبحيرات تروق مشاهدها. أجل ولكن شتَّان ما بينها وبين ما حواهُ نيلنا من عجيب الاثر الذي جعلهُ بمعزلٍ عمَّا سواهُ في البسيطة اين لتلك الديار مثل هذه السهول الخصيبة المشتملة على اغرب وابدع ما فطرهُ البارئ اين لها تلك السهول التي تظهر بمظهر الجزر عند تعاظم النيل وفيضانهِ لما تكشفهُ من البيوت والمساكن ثمَّ تستحيل بعد اشهرٍ معهودة ربوعا مفترَّة الثغر انتصبت فيها تتابعًا كلَّ عام سوق نبات القطن وقصب السكر والذرة مبشرة مواسمها الثلاثة بتوفر البركات. بل اين ترى كما قال عمرو بن العاص في وصف مصر « تلك الدرَّة التي تظهر بادئ بدء بيضاء ثمَّ تصبح عنبرة سوداء فزبرجدة خضراء... ». هذا وناهيك عن مزايا أُخر ليس من شأني الآن تعدادها خصَّها بها المولى دون سواها .

واما ما يترتب على هذا الفيضان من اسباب النجاح المادّي فهو ظاهر للعيان وقد اسهبت في وصفهِ الاقلام وسار مسير المثل في سائر الامصار. وحسبنا هنا القول بأنهُ للفلاَّح امل قوتهِ وباب رزقهِ وللمثري ينبوع خير تفيض بهِ ثروتهُ وتنمو سنةً بعد سنة ولمصر عامَّةً معدن حياتها لولاهُ لضرب الإملاق والاعسار على كثير من ابنائها اطنابهُ وجرَّعهم غصصهُ ونوائبهُ لولاهُ لقلَّت موادّ الرزق وكسدت اسواق التجارة ولم تبلغ مصر ما بلغتهُ اليوم من التقدم والفلاح ان ادبيًا وان ماديًا. ولله درُّ ابن خروفٍ حيث قال في منافع النيل:

ما اعجب النيل ما اجى شمائلهُ ... في ضفَّتيهِ من الاشجار ادواحُ
من جنَّة الخلد فيَّاضٌ على تُرَعٍ ... تهبُّ فيها هبوب الريح ارواحُ

ليست زيارتهُ ماء كما زعموا وانما هي ارزاقٌ وارباحُ

وكان المؤرخ هيرودوت سبقهُ فقال قبلهُ باجيال عديدة: « انَّ مصر لهيَ هديَّة النيل». وقد بالغ اجدادنا في اطرائهِ واكرامهِ حتى انهم ذهبوا ًانهُ نهر سماوي الاصل بل انهم عبدوهُ كإلهٍ... جلَّ ربُّنا من لا ربَّ لنا سواهُ. واقرّ عيون المصريين بنيلهم ونعماهُ. ما برح النيل غرَّة الانهار. وظلَّت مصر بهِ فريدة الامصار

مطبوعات شرقية جديدة

دائرة المعارف (الجزء الحادي عشر)

تأليف الادباء الافاضل سليمان ونجيب ونسيب البستاني. مطبعة الهلال ١٩٠٠ (ص ٧٥٣)

يسرُّنا ان نرى هذا التأليف العظيم بعد احتجابهِ مدَّة طويلة عائدًا الى عالم الاداب مواصلًا لما جاء في المجلدات السابقة من الفوائد الجليلة بحيث يمكننا ان نتوقَّع عمَّا قريب انجازهُ تمامًا. والجزء الذي نحن اليوم في صددهِ هو الحادي عشر يتضمَّن تتمَّة حرف الصاد مع الحروف التالية الى مادَّة « عثمانيَّة »

ولا نزيد القرَّاء علمًا اذا قلنا عنهُ انهُ كاخوتهِ السابقين حافل بالمباحث متنوع المقالات سهل المأخذ يدوّن اجمالًا خلاصة ما بلغهُ العلماء واكتشفهُ ارباب المعارف. ومن الموادّ التي استحسنَّاها المقالات الآتية: الصليبيَّة. الصين. الطاعون. الطباعة. الطب. الطريق والطُّرُق الحديديَّة. الطوفان. الطيف الشمسي. العبَّاسيَّة. الدولة العثمانيَّة. الى غير ذلك من الابحاث الشاملة

هذا ومع اقرارنا بمنافع هذا الكتاب العميمة رأينا ان نشير الى بعض ما لاح لنا فيهِ من الخلل فنعرضهُ لمؤلفيهِ الفضلاء. علَّهم يجدون في ملاحظاتنا موضعًا للاصلاح

اولًا نثني على مصنفي هذا الجزء لاعتدالهم في مسائل كثيرة تمسّ الدين واهلهُ فعرضوها دون تطرُّف مجرَّدين عن الهوى. لكنَّ الاعتدال في الرأي في بعض هذه المسائل ليس بكافٍ للكاثوليكي ان لم يبيّن وجه الصواب ويؤيّد الحقيقة بالبرهان. مثال ذلك باب

« الطلاق » فكان ينبغي لاصحـاب الدائرة ان يزيدوا السبب الذي لاجلهِ لا ترضى الكنيسة بالطلاق وانها تستند في تعليمها الى قول الانجيل كما انها بنفيها الطلاق خلصت النصرانيَّة من شرور لا تحصى. وكذلك مادَّة « الصليبيَّة » مع اعتدالها لم تنطبق كلها مع حقيقة الواقع

ثانياً كنا وددنا لو تحايد المؤلفون الخوض في بعض المسائل التي لم يقفوا على كُنه حقيقتها كقولهم (ص١٦٦) عن قتل الطاغية وهو قول من شأنهِ ان يثير الاهواء ويبعث على نبذ السلطة الشرعيَّة. وكذلك لم يحسنوا بنسبتهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة (ص ٢٦٠) آراء بعض ابنائها في تاريخ الطوفان وامتدادهُ فوق الارض كلها. فانَّ الكنيسة حتى الآن لم تُبدِ رأياً في ذلك وتسمح لعلمائها ان يدافعوا عن آرائهم الخاصَّة التي لا ينفيها نصّ الكتاب نفياً صريحاً. وكذلك لا نرى تحديدهم للطبيعة الالهيَّة واضحاً فلم يبيّنوا الفرق بين الطبيعـة والاقنوم. امَّا قولهم عن طبيعتي المسيح في اقنومهِ الواحد « انَّ تلك مسألة كان لها شأن عظيم في القرون الاولى » يؤخذ منهُ ان المسألة ليس لها اليوم اعتبار كبير مع انَّ كلّ سرّ التجسُّد مبنيٌّ عليها

ثالثاً لم يتّسع اصحاب الدائرة في المواد الشرقيّة اتساعهم في غيرها مع انَّ هذه تهمّنا نحن الشرقيين اكثر من سواها. فترى مثلًا اوصاف بعض مدن الشرق قليـلة الجدوى لا تفي بالمرام كالمقالة عن مدينة « صور » التي لم يستغرق وصفها وتاريخها غير عمود واحد — وفي بعض هذه الاوصاف قد اكتفى المؤلفون بنقل ما كتبهُ ياقوت دون ان يفيدونا شيئاً عن احوال المدن الحاليَّـة. مثال ذلك ما كتبوهُ عن الصِنف والصّوران. وربَّما نقلوا ما دوَّنهُ العرب على علاتهِ دون ان يعملوا فيهِ نظر الانتقاد كالمقالة عن صنعاء وصُهيب — وقد اخذنا العجب من سهو المؤلفين عن ذكر بعض المواد كالطقوس وغير ذلك. كما انَّهُ كان يمكنهم ان ينتفعوا في مادَّة « الصُّلبة » من مقالة ضافية الذيل كتبها حضرة الاب انستاس في المشرق عن هذه الطائفة

رابعاً ان في طريق نقل الالفاظ الى اللغات الاوربيّة خللًا فانَّ كلّ لفظة تُكتب كتابة مختلفة مع وجود الحروف العربيَّة عينها. فترى مثـلًا « الصليق والصليحي وصوعر » منقولة على هذه الصورة Ssalik, Solaïhy, Zoar وكذا قُلْ عن نقل حرفي الظاء والعين

خامساً ان تراجم بعض المشاهير لم توضع في مكانها . فان المؤلفين لا قاعدة لهم ثابتة في ذلك فتارةً يدوّنون التراجم في ابماء اصحابهــا وتارةً في كناياتهم واحياناً في القابهم . وكان الاحرى ان يتبعوا بذلك طريقة لا يحيدون عنها . وعندنا انهُ لا يخطر على بال احد ان يطلب ترجمة في لقب « ظهير الدين » او « ضياء الدين » اللهم الّا نادرًا . هذا ما بدا مع تكرار الثناء على اصحاب الدائرة . فنتمنَّى لتأليفهم كل رواج ل . ش

شذرات

الجزويت يشرّفنا اعداء الدين المدّة بعد المدَّة بتصانيف يجمعون فيها ما امكنهم من الاراجيف والتلفيقات رجاء ان يشنِّعوا على رهبانيَّتنا وهم لا يدرون انهم يزيدونا بذلك فخرًا . ومن جملة هذه الاكاذيب كرَّاسة أشاعها بعض اصحاب الغايات نسبوا الينا فيها كلّ اصناف الفظائع والآثام . ولعلم مؤلفي هذه النبذة بكذبهم لم يتجاسروا ان يصدّروها باسمهم الشريف بل زعموا انّهــا طُبعت في الاسكندريّة مع انها لم تطبع فيها . ومهما كان من امر اصحابها اننا نكذّب ما سُطّر في هذه الكرّاسة الّا بعض اشياء أرادوا منها القدح ونعدُّها نحن احسن مدح كقولهم انَّ رهبانيَّتنا تدافع عن البابويّة وانّنا ننشر التعبد للعذراء الطاهرة ونقول بحبلها النقيّ من دنس الخطيئة الاصليَّة وانّنا نزيّن كنائسنا ونكرّر في مواعظنا ذكر عواقب الانســان لاسيما الدينونة والجحيم . فأيم الله ان كانت هذه الامور من الجنايات والمآثم فنحن اوّل من يقرُّ بقبائحنا وأوزارنا . اما انّ اليسوعيين يعلمون السرقة ويبيحون الحرام ويخــدعون السذّج وما اشبه ذلك فهيهات ان يستطيع احدٌ ان يثبتها بحجّة وكذبها اوضح من الشمس . ولو اردنا المدافعة عن جمعيَّتنا لاكتفينا بشهادات اعدائنا انفسهم

هدية فاخرة اهدى امير الافغان جلالة شاه العجم مصحفًا مخطوطًا على رق غزال بخط قديم وموشًّى بالذهب واصناف النقوش العربيَّة . ثمَّ انفق على تجليدهِ نيفًا وخمسين الف فرنك وجلداهُ صفيحتان من الذهب الابريز سمكهما ١٠٠٠/٧ تمثِّل ضروبًا من التصاوير والرموز كالنجوم والاهلَّة الى غير ذلك وهما مرصَّعتان بعشتي حجر كريم من الماس والياقوت واللؤلؤ وجُعــل المصحف في قمطر من الفضة طولهُ

٢٥ سنتيمترًا في عرض عشرة سنتيمترات ونصف: وهو اليوم مصون في جامع مدينة اسنان رضا

سكّة حديديّة بالكهرباء دُعي القرن التاسع عشر بقرن البخار ولعلّ القرن العشرين يدعى قرن الكهرباء. كانت برلين في سنة ١٨٨٤ جهّزت اوّل ترامواي بالكهرباء واليوم تسعى بتمديد اوّل سكّة حديديّة بينها وبين همبورغ والمسافة بينهما ٢٥٠ كيلومترًا وهذه السكّة جُعلت ستّة امتار فوق المدينة على سوارٍ متينة. وسيكون سلكان للذهاب وسلكان للاياب وهي ستقطع في الساعة ٥٠ كيلومترًا وقد اتّخذت كل الوسائط لتلافي الحوادث المفجعة من جملتها انهُ يمكن توقيف القطارات بسرعة البرق. امّا نفقات هذا المشروع العظيم فقدّرها المهندسون بمئة واربعين مليونًا من الفرنكات

اسئلة واجوبة

س سأل جناب الاديب ديب زيادة هل طُبع كتاب مستقطف المستظرف للابشيهي غير الطبعة المصريّة

مستقطف المستظرف

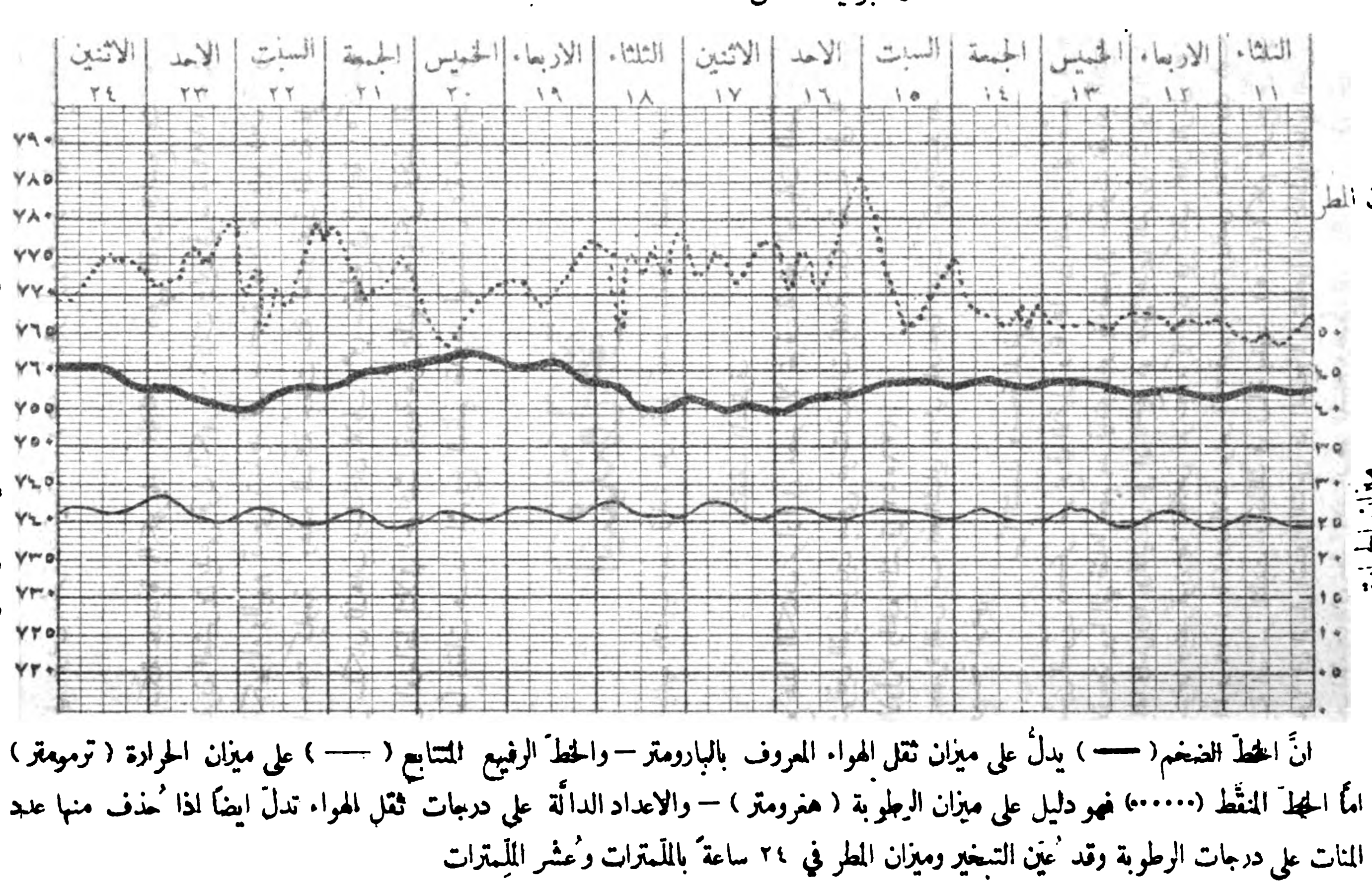
ج طُبع هذا الكتاب مرارًا في مصر ولا نعرف لهُ غير الطبعات المصريّة. الّا انّ احد المستشرقين الفرنسويين يدعى غوستاف رات (G. Rat) نقلهُ الى الفرنسيَّة ونشر قسمهُ الاوّل (راجع المشرق ٢ : ٧٦٥)

س وسأل حضرة القس نعمة الله الشهابي ما هي البراهين المثبتة كون السيد المسيح سنّ سرّي التثبيت ومسحة المرضى

سرَّا التثبيت ومسحة المرضى

ج ليس لهذين السرّين ذكر صريح في الانجيل وانما هما من الاسرار التي علّمها المسيح تلاميذهُ مدّة الاربعين يومًا التي قضاها معهم بعد قيامتهِ وهو يفاوضهم في ملكوت الله اي الكنيسة وما يختصّ باحوالها واسرارها. والدليل على انّ المسيح هو منشئ هذين السرّين انّنا نرى الرسل يذكرونها ويمارسونها ويتصرّفون بها لخلاص المؤمنين. كما ترى في كتاب اعمال الرسل (٢ : ٣٨ و ٨ : ١٢-١٩ و ١٩ : ١-٦) ورسالات بولس (٢ قور ١ : ٢١ وافس ١ : ١٣) وفي كلها اشارات واضحة الى سرّ التثبيت. وكذلك في رسالة يعقوب (٥ : ١٤) كلام صريح عن سر مسحة المرضى. فلولا ان الرسل اخذوا ذلك من فم المسيح لما استطاعوا ان يتعاطوا هذين السرّين ويستعينوا بها لخير المؤمنين لان منشئ الاسرار هو المسيح وحدهُ ل. ش

قائمة للآثار الجويَّة   من ١١ الى ٢٤ حزيران   ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخطَّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطَّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً لذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملّمترات

1 **Sainte Bible.**

الكتاب المقدس

Grand in-8°, 3 vol. 1^er 892 pp. (5^e éd., 1890), 2^d 603 pp. (4^e éd., 1885), 3^e 597 pp. (2^de éd., 1882).

Traduction aussi élégante que fidèle, faite sur l'hébreu et le grec et approuvée par Nosseigneurs les Patriarches de tous les rites. Des Orientalistes tels que Gildemeister et Lagarde se sont plu à signaler le mérite de cette nouvelle version arabe des Saintes Ecritures, complètement vocalisée.

Une médaille d'or a été décernée à cet ouvrage à l'une des Expositions de Paris.

1^er vol. : Livres historiques de l'ancien testament jusqu'à Job exclusivement;
2^e — Suite de l'ancien testament;
3^e — Nouveau testament et table générale des matières.

A la fin de chaque volume se trouvent des notes sur les passages obscurs ou controversés.

On a fait de cet ouvrage une édition de luxe, vrai chef-d'œuvre d'exécution typographique.

		Fr.	affr.
Broché.	chaque *volume*	10 »	en colis postal
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	—	12 »	
— — — — *dorée*	—	15 »	
— — *ornements dorés, tr. dorée*	—	18 »	
Édition de luxe: *chaque volume, broché*		20	

2 **S^te Bible (éd. photolithographique).**

الكتاب المقدس (مرسومًا بالشمس ومطبوعًا على الحجر)

Petit in-8, 1 vol. 562 pages dont 50 de notes, 1897.

Grâce aux procédés de photolithographie nous pouvons enfin donner au public une édition complète de la S^te Bible reproduisant en un seul volume de format et de dimensions très commodes les trois gros volumes mentionnés plus haut. C'est le même type de Constantinople réduit de trois-quarts. L'extrême finesse des caractères n'a pourtant rien ôté à leur élégance et à leur netteté. Nous espérons que l'exécution de cet ouvrage plaira aux Arabisants d'Europe comme elle a déjà conquis les suffrages de tous les Orientaux

Ajoutons que le prix modique de cette édition permettra désormais même à la classe peu aisée de lire et de méditer nos Livres Saints.

Broché	10 »	1,20
Demi-reliure, chagrin et toile, tranche marbrée, titre doré	12 »	

OUVRAGES ARABES

DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE.

9 La Bible des enfants.

الغصن النضير

Petit in-8°, 3 vol., 1[er] 183 pp. (9[e] éd., 1897), 2[d] 182 pp. (5[e] éd., 1893), 3[e] 193 pp. (2[e] éd., 1897).

Par le P. J.-B. Belot S. J.

C'est un recueil des principaux traits bibliques surtout de ceux qui font plus d'impression sur le jeune âge. On a cherché autant que possible à y conserver l'ordre chronologique et le texte même des Livres Saints. La 1[re] partie contient les récits du Pentateuque. La 2[e] conduit le lecteur jusqu'au règne de Salomon. La 3[e] donne le reste des faits bibliques jusqu'à la fin du 2[e] livre des Machabées. C'est un excellent livre de lecture destiné à toutes les maisons d'éducation et principalement aux écoles primaires. De nombreuses gravures sont intercalées dans le texte.

		Fr.	affr.
Broché	**chaque** *volume*	1 »	0,30
Cartonné	— —	1,50	

4 Abrégé d'Histoire Sainte.

مختصر التاريخ المقدس

In-18, 160 pages, 11[e] édition, 1896.

Par Lhomond.

Traduit en arabe par Michel Massabki.

La traduction simple et élégante de ce petit livre si populaire en Europe a contribué pour une large part à la connaissance de l'histoire sainte en Orient. Les éditions nombreuses de cet ouvrage montrent quel accueil les directeurs des écoles continuent à lui faire.

Broché	0,40	0,15
Cartonné	0,60	

333 Le même, *avec le texte français au bas.*

Broché	0,50	0,20
Cartonné	0,75	

170 La vie des Saints, pour tous les jours de l'année.

مروج الاخيار

In-4°, 925 pages, 3[e] édition, 1892.

Par le P. P. Fromage S. J.

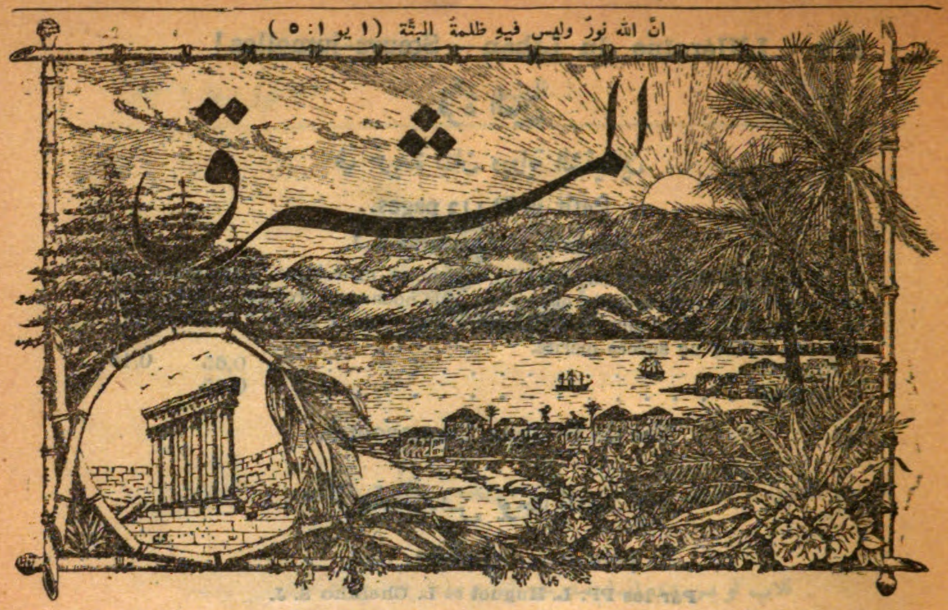
Le P. P. Fromage, à qui l'Orient chrétien est redevable de tant de livres utiles, a tiré cette « Vie des Saints » des ouvrages des PP. Ribadéneira et Croiset, en l'adaptant au goût des Orientaux. Les travaux récents des Bollandistes et d'autres hagiographes modernes ont été utilisés par le P. J.-B. Belot pour reviser et compléter l'œuvre du P. Fromage. Comme de juste, les Saints d'Orient occupent dans cet ouvrage une place importante.

Un beau volume orné de gravures.	Fr.	affr.
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	20 »	en
— — — — *dorée*	24 »	colis
— — — — *ornements dorés; tr. dorée*	27 »	postal
Demi-reliure, dos et coins en maroquin, ornem. dorés, tr. dorée	27 »	

1 v3

السنة الرابعة العدد ١٤ ١٥ تموز ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 14 (15 *Juillet* 1901)

فهرس العدد ١٤

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

289 **L'Héroïne du Liban — Sœurs-jumelles !**

قرّة العين

في خريدة لبنان ورواية الشقيقتين

Petit in-8° 112 pages.

Par le P. H. Lammens S. J.

Ces deux petits romans ou *nouvelles*, réunis en un volume, inaugurent une série de romans intéressants et moraux que nous nous proposons de publier. Ils peignent au vif les mœurs syriennes. Parus dans la revue "**Al-Machriq**" ils y ont obtenu un succès mérité.

Broché	0,65	0,15
Cartonné	0,75	

12 **Vie de S^t Jean Damascène.**

ترجمة القديس يوحنا الدمشقي

petit in-12. 44 pages, 1895.

Par les PP. L. Huguet et L. Cheikho S. J.

Cet ouvrage a été composé d'après les biographies les plus anciennes du S^t Docteur avec quelques détails tirés des auteurs arabes. Deux photographies accompagnent le texte ; elles représentent, l'une les restes de l'antique demeure que la tradition assigne à la famille du grand Docteur, l'autre le tableau qui se trouve dans l'Eglise du Saint, au dessus de son autel ; c'est l'œuvre d'un peintre Lyonnais qui a reproduit le miracle de la Vierge en faveur de S^t Jean.

	Fr.	affr.
Broché.	0,50	0,05

128 EUCOLOGE

OU

Manuel du Jeune Chrétien

AU COLLÈGE ET DANS LE MONDE.

كتاب صلوات للشبّان واحداث المدارس

Par le P. J. F. Voilly S. J.

Petit in-16, 623 pages, dont 92 pages arabes, 1895.

Dans cette rédaction nouvelle de notre Eucologe on a eu surtout en vue de procurer aux jeunes gens un livre de dévotion pratique, où ils pussent trouver sous la main, avec les principaux exercices de la vie chrétienne durant le temps du Collège, un ensemble d'instructions et de conseils adaptés aux différents besoins de leur âme vers la fin des études et à leur entrée dans le monde. Signalons en particulier les diverses méthodes de prière vocale ou mentale, les pensées chrétiennes pour tous les jours du mois, différentes manières d'entendre la S^te Messe avec fruit, la pratique de l'examen particulier, de sages conseils pour sanctifier les actions ordinaires, se disposer à sa 1^re communion ou à la réception fréquente des Sacrements, faire sa retraite annuelle, choisir un état de vie, etc. etc. Les cantiques, les offices des différentes fêtes, les heures des Congréganistes ont été revus et modifiés. La partie arabe est restée sensiblement la même.

Broché	1,75	0,45
Reliure mouton chagriné, tr. marbrée	2,90	
— — — *dorée*.	3,90	

المشرق

نزهة القلوب في الرحلة الى قطب الجنوب

للاب لويس دي انسلم مدرّس التاريخ والجغرافية في كليّة القديس يوسف

في مقالتنا السابقة (المشرق ٤ : ٥١٣) وصفنا على سبيل الايجاز تاريخ الرحل التي باشرها صناديد الرجال الى القطب الشمالي وما اكتشفوهُ هناك من الآثار الجليلة. بيد ان هذه المقالة تستدعي نبذةً اخرى تكون كتتمّة لها اعني وصف الرحلات الى القطب الموازي للشمال وهو القطب الجنوبي

اعلم ان جهات هــذا القطب لا تُعرف حتى الان كما يُعرف القطب الشمالي. وعلّة ذلك ان القطر الجنوبي اشبه بجزيرة تحدق بهِ البحار من كل صوب وتفصلهُ عن كلّ اقطار العالم

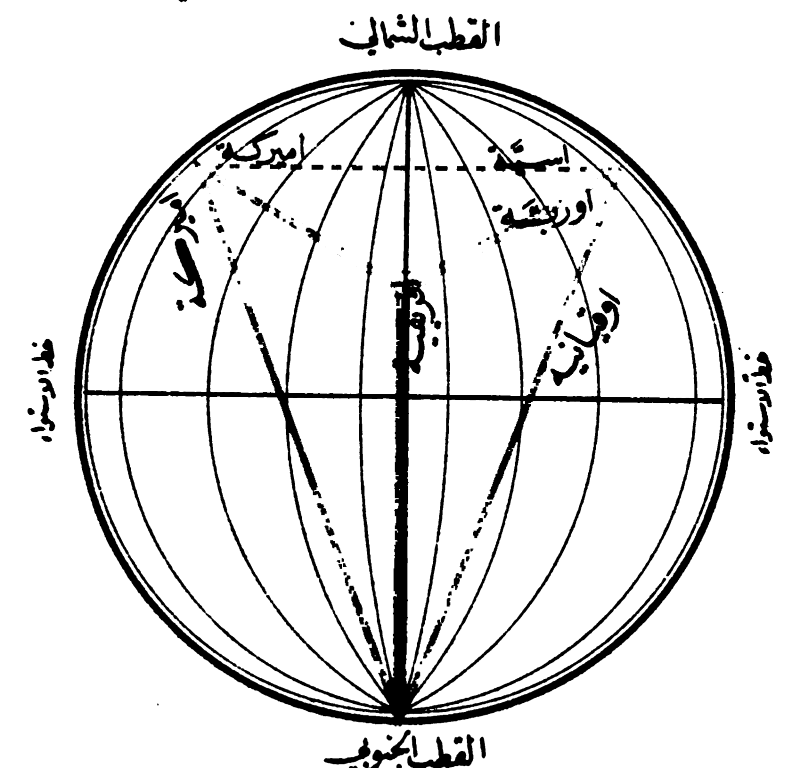
وان طلبتَ اقرب برّ اليهِ وجدت الرأس هورن في اميركة وهو يبعد عنهُ ١٠ْ درجات (١١١٠ كيلومتر). ثم تأتي بعدهُ بلاد طسمانية في اوسترالية ومسافتها عنهُ ٢٠ْ (٢٢٢٠ كيلومتر) ثمّ رأس الرجاء الصالح الافريقيّ وبعــدهُ عنهُ ٣٠ْ (٣٣٣٠ كيلومتر) واذا تجاوزت هذه النقط الثلاث ميمّماً القطب وجدت البحار متداخلة في بعضها تمتزج مياهها وهي الاوقيانوس الاتلنتيكي والاوقيانوس الهندي والاوقيانوس الباسيفيكي

وربَّ قارئ يعترض علينا بقولهِ: وكيف عرف ارباب العلم انَّ هذه البحار لا تجتمع في القطب الجنوبي وان وسطها برًّا متجمدًا متراكم الجليد. ولِمَ لا يكون القطب الجنوبي بحرًا كالقطب الشمالي او بالحري مجمع البحار الثلاثة السابق ذكرها

نقول لحل هذا المشكل انَّ الامر لا يخلو حتى الان من بعض الابهام لان الرحّالين

لم يتثبَّتوا الامر وانَّما حملوا قولهم على عِلَل حَدْسيَّة هي اقرب الى الحقيقة. واول دليل استندوا اليهِ انَّ اصحاب الاسفار الى القطب الشمالي مهما اقتربوا منهُ لم يزالوا يجدون غمر البحار تحت الجليد الذي يكسرونهُ بادواتهم. امَّا قصَّاد القطب الجنوبي فبخلاف ذلك لا يزالون يكتشفون جزائر متعدّدة تلوح لهم من كل الجهات بقدر ما يتقدَّمون الى الامام. واذا سبروا المياه التي يخوضون غمراتها وجدوا قعرها يتصاعد والارض منها على عمق نحو ٥٠٠ متر بل اقل فاستدلوا بذلك على انهم لو بلغوا مركز القطب لوجدوا البرّ. ومَّما ايَّد ظنَّهم انهم وجدوا بقايا من النبات التي لا تنبت عادةً الَّا في البرّ او بقربهِ

فهذه الملاحظات وغيرها ايضاً ادَّت بالعلماء الى ان يثبتوا كون القطب الجنوبي برًّا يتَّصل ببلاد افريقية واميركة واوسترالية. وقد تعمَّق في هذا البحث احد ائمَّة الانكليز الاستاذ ل. غرين (L. Green) فارتأَى لتركيب الارض رأْيًا يدلُّ على دقَّة فكر وتوقُّد فهم فقال: لا يخفى انَّ سيارتنا الارضيَّة على شكل كرة فاذا اعتبرنا فيها البحور والبرور وجدنا ان البحور كدائرة لها امَّا البرور في هذه الكرة فهي على هيئة هَرَم



هيئة نواة الارض بالنسبة الى البحار

مثلثٍ رأسهُ ينتهي الى مركز القطب الجنوبي وجانباهُ الاعليان كوتر للقوس الشمالي. وهذا المثلَّث داخل في المياه التي تغمر منهُ المياه قعورًا هي البحور وما نتأ منهُ هي جوانبهُ الثلاثة مع الرأس الجنوبي (انظر الشكل السابق)

وان سأل سائل كيف الكرة الارضيَّة اتخذت هذا الشكل اجبنا انَّ الارض كانت في البدء شديدة الحرارة وقشرتُها بالنسبة الى نَواتها رقيقة فلمَّا خفَّت حرارتها الداخليَّة وبردت قشرتها تقلَّصت فنبرت منها بعض اقسامها وتقعَّرت أُخرى او تشقَّقت فتكوَّنت من ذلك الوهادُ والجبال والبحور. وزاد العلامة الشهير المسيو لاباران (Lapparent) انك اذا لحظت في احد جوانب الارض قعورًا وجدت في الجانب الآخر اي في البلاد المتقاطرة (antipodes) نتوءاتٍ تناسبها. وقد ضرب المسيو غرين مثالًا لبيان هذه النواميس الطبيعيَّة في تركيب الارض وهو مثال كرةٍ من الكاوتشوك (المطّاط) تنفخها فتكون تامَّة الاستدارة واذا ادخلت فيها الهواء رويدًا رويدًا تجعَّدت وتقلَّصت حتى يعود شكلها قريبًا من الشكل المثلَّث. والملاحظات الحديثة التي اثبتها ارباب الاسفار تؤيد رأي المسيو غرين وتحملنا على ان نكرّر ما قلناهُ سابقًا ان الارجح كون القطب الجنوبي برًّا ناتئًا فوق ثبج البحور

امَّا الجزائر التي اكتشفها الرحَّالون فاعظمها شأنًا ما كان موقعهُ في جهة الاوقيانوس الهندي كبرّ ڤيكتوريا على مسافة ٧٥° من القطب ثمَّ برّ ويلكس (Wilkes) وجزيرة كمپ (Kemp) واراضي اندربي (Enderby) وسبرينا (Sabrina). وممَّا اكتُشف في الاوقيانوس الاتلنتيكي برًّا غراهام (Graham) واسكندر الاول جنوبيًّ رأس هورن. امَّا البحر الپاسيفيكي فلم يُكتشف فيهِ حتى الآن سوى جزيرة بطرس الأكبر

واعلم ان المصاعب التي تحول دون البلوغ الى القطب الجنوبي لعظيمة جدًّا لان المسافة التي يُقتضى قطعها بحرًا نازحةٌ فلا بُدَّ للمسافرين الى القطب من مؤنة كثيرة اذ ليس لهم ما يصطادونهُ من الوحوش كما يفعل المسافرون الى القطب الشمالي وكذلك يصادف الرحَّالون الى الشمال ليس بعيدًا عن القطب اراضي مأهولة يسكنها قبائل من الاسكيمو (Esquimaux) يساعدون المسافرين في حاجاتهم بخلاف القطب الجنوبي فانَّ الذين يقصدونهُ لا نصير لهم ولا مغيث. وعلاوةً على ذلك ان قِطَع الجليد التي تتراكم في البحار الجنوبيَّة اعظم كبرًا وأثخن غِلظًا من البحار الشماليَّة

فيمكن خوض هذه دون تلك الى مسافة قريبة من القطب. لان هذه القطع المتجمّدة تبلغ الى الدرجة ٦٠ من القطب الجنوبي فهيهات ان تمخر السفينة العباب الى الدرجة ٨٢ كما فعل الدوق دي ابروزي في الشمال (راجع المشرق ص ٥١٩)

واول من يمّم القطب الجنوبي رحّالة انكليزيّ اسمهُ « ديك تشريت » (Dick Tcherrit) فبارح الرأس هورن فبلغ الى ما وراء شِتلند الجديدة. ثمَّ مرَّ نحو مئتي سنة دون ان يتجاوز احد الدائرة القطبيَّة حتى باشر في اواخر القرن الثامن عشر الرحّالة كوك (Cook) ثلاثة اسفار فتوغَّل في البحار الجنوبيَّة دون ان يجد شيئاً جديرًا بالذكر. وفي عصرنا المنصرم تعدَّدت الرّحل الى قطب الجنوب فاكتشف بِلِنغهَوزن (Bellinghausen) برَّي اسكندر الاول وبطرس الاول سنة ١٨٢١. واكتشف بيسكوي (Biscoé) بعدهُ بعشر سنوات برَّي غراهام وإندربي. ومن السنة ١٨٣٩ الى ١٨٤٢ رحل الى الجنوب الانكليزيُّ بالني (Balleny) والافرنسي دومون دورڤيل (Dumont d'Urville) والاميركي ويلكس فبشّروا باكتشاف الجزائر الواقعة في جنوبي اوسترالية بينما كان جمس روسّ (J. Ross) مراقباً لارض ڤيكتوريا وبراكينها العالية التي يبلغ علوّ احدها وهو الإرِبوس (Erebus) ٣,٣٠٠ متر والاخر واسمهُ تِرُّور (Terror) ٣,٧٠٠ متر

ثمَّ تأثَّر المحدثون آثار هؤلاء فلم يجدوا شيئاً يُذكر حتى سنة ١٨٧٥ اذ ابحر الالماني نوماير (Neumayer) الى الجهات الجنوبيَّة لا لاكتشاف ارض جديدة بل حبّاً بالعلم لكن الموت عاجلهُ قبل ادراك الوطر. الَّا ان البلجكيّ دي جرلاش (de Gerlache) قام بعدهُ بهذا المشروع وخلد لهُ اسماً طيّباً. وكان المذكور اقتنى لهذه الغاية سفينة نروجيَّة صغيرة الحجم كان يركبها بعض الصيّادين لاصطياد الحيتان فجهَّزها تجهيزًا موافقاً لمقصودهِ وصفَّحها بصفائح الحديد وضاعف خشب قعرها وجعل لها رفّاساً (hélice) قابلًا للارتفاع فوق المياه وكانت قوَّة اداة بخارها ١٦٠ فرساً واتخذ مؤنةً لسنتين ودعا سفينتهُ هذه « بلجيكا » وكان اسمها السابق « پاتريا » ليعرب عن شكرهِ لمواطنيهِ الذين عضدوهُ في مسعاه واختار لهُ رجالًا ذوي خبرة وإقدام يساعدونهُ في عملهِ كالبلجكي لوكوينت (Lecointe) لادارة السفينة والآلاتي دَنكو (Danco) والطبيعي راكوڤيتزا (Rakovitza) والطبيب كوك والعالمين ارستوڤسكي (Arçtowski) ودوبروڤولسكي

(Dobrowolski) فضلًا عن ١٢ من البحّارة

وكان سفر السفينة « بلجيكا » في ١٨ آب ١٨٩٧ وخرجت من مرسى انفرس فوصلت في ٢٩ ت ٢ الى رأس العذارى في مدخل بوغاز ماجلّان فعبرتهُ ثمَّ دخلت في ١٤ ك ٢ في البحار المجهولة بعد خروجها من جزيرة بِشتلند . فما مرَّ عليها تسعة ايّام حتى بلغت برّ بَلمر فتمكّن المسافرون من تفقُّد آثارها المجهولة . ثمَّ واصلت مسيرها فادركت خليج هوغس (G. Hughes) ونفذت حتى بلغت بوغازًا كبيرًا لم يُعرف الى ذلك العهد فدُعي « بوغاز بلجيكا » وهو يفصل ارخبيلًا ذا خمس جزائر كبيرة مع جزائر أُخرى عديدة صغيرة عن ارض متسعة لاحقــة شمالًا ببرّ غراهام . فدعوا الارخبيل باسم بلمر والارض الموازية لهُ في جنوبي شرقي بوغاز بلجيكا « برّ دَنكو » لانَّ دنكو الآلاتيَّ مات حتف انفهِ في مدة رسوّ السفينة في فصل الشتاء بين الجليد المحدق بها

وفي ١٢ شباط سنة ١٨٩٨ ولجت السفينة غمر الباسيفيكي وتفقّــدت جزائر بيسكوي الى برّ اسكندر الاوّل . ثمَّ حاول المسافرون ثلاثًا ان يعبروا في وسط الجليد المتجمِّد امامهم فلم ينجحوا حتى ثارت الانواء من الجهة الشماليَّة الشرقيَّة وفتحت لهم طريقًا نهجوهُ فوصلوا الى الدرجة ٧١° والدقيقــة ٣١′ من العرض الجنوبي . ولمَّا اراد اصحابها ان يسيروا الى الامام وجدوا السفينة محدقة بقطع الجليد العظمى التي اكتنفتها وحبستها مدّة ١٥ شهرًا متتابعًا

وممَّا كان يزيد السفينة خطرًا انَّ جليدهــا المتجمّد حولها لم يكن ثابتًا بل طافيًا فوق وجه المياه تتناقلهُ الرياح وتعرّض اصحاب السفينــة للهلاك بردًا او جوعًا وكانوا يودّون لو نفذوا وسط الجليد الغير الثابت وادركوا السواحل الجامدة الثابتة الّا انهم لم يسعهم سوى الصبر على البلاء وساروا طوع الريح تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال وكانوا هلكوا لا محالة لولا ان الريح بعد ان حملت بهم الى الشمال تغيَّر مهبُّها فسارت الى الغرب حيث امكن السفينة ان تنجو اخيرًا من الدمار

وفي مدّة هذا الحصار الهائل لم يكفّ اهل البعثة عن الشغل والأرصاد العلميَّة . واوّل ما لحظوا انَّ جَمَدَهم المحيط بهم ما كان يسير الّا بقوة الريح دون المجاري المائيَّة السفلى التي تجري في بطن البحار فاستدلّوا من ذلك على انّ قرار الارض قريب لانهُ لو كانت المياه بعيدة الغور لحدثت هذه المجاري كما تحدث في القطب الشمالي . فتأكّدوا

خارطة القطب الجنوبي



خارطة برلويس فيليب

قول الاستاذ غرين انَّ القطب الجنوبي برٌّ لا بحرٌ. ثمَّ لو وُجدت هذه المجاري المائية السفلى لاذابت بحرارتها الجليد كما هو الواقع في القطب الشمالي

ومن ملحوظات هذه البعثة انَّ الجليد في جهات القطب الجنوبيّ لا يكون فقط رصيفاً متساوياً (banquise) مسبَّباً عن تجمُّد مياه البحر في سمك مترين او ثلاثة وهذا الامر يشترك فيهِ كلا القطبين. ولكن يكون ايضاً على هيئة قطع كبرى (iceberg) كانها الصخور العالية بل الجبال الشاهقة تتقطَّع من سواحل البرّ القطبيّ فتغوص في المياه ومنها ما يبلغ علوُّهُ فوق سواء البحر نحو ٤٠ متراً وتحتهُ نحو ١٠٠ متر. وهذه الجبال المتجمدة لا تتكسَّر كما يتكسَّر الرصيف الجليدي وانما تتحاملهُ الريح فاذا صدم شيئاً في طريقهِ حطَّمهُ تحطيماً

وقد ثبت لاصحاب الرحلة الى القطب الجنوبي ان هذه القطع لم تتركَّب من البحر بفعل البرد على سطح المياه بل تكوَّنت في شواطئ البرّ وتيقَّنوا الامر بفحص هذه قطع الجليد فرأوها تتركَّب من طبقات متوالية متلاصقة كالبناء المرصوص فعرفوا انها مجاليد ارضيَّة (glaciers) تراكمَ عليها الجليد فزاد ثقلها فسقطت من علٍ وتدهدت الى البحر حيث تلاعبت بها الرياح. ومياه البحر بحرارتها الغريزيَّة لا يمكنها ان تعمل في هذه القطع المتجلّدة عملها في مياه البحر الجامدة فلا تُذيب منها الَّا شيئاً قليلاً لعظم حجمها اماَّ السطح البحري المتجمّد فان المياه السفلى لا تزال ترقّق قشرتهُ بحرارتها الى ان يتخدّد ويتكسر وفي تكسُّرهِ خطرٌ عظيم الّا انهُ دون الخطر الناجم عن الصبار الجليديَّة التي لا تلقى في طريقها عائقاً الّا وتنذرهُ بالويلات. وهذا الفرق بين الجليد البحري وهذه المقطَّعات المتجمِّدة كان داعياً جديداً للمصادقة على قول العلامة غرين بانَّ القطب الجنوبي برّ لا بحر. اماَّ القطب الشمالي فان في بحارهِ شيئاً قليلاً من هذه القطع الجليدية وكلُّ ما وُجد فيهِ من ذلك يأْتيهِ من سواحل البلاد المجاورة

وبينما كانت السفينة بلجيكا اسيرة الجلد احبَّ الرُّبان الثاني لوكوينت ان يخرج منها فيسيح ماشياً ما امكنهُ ويرصد ما يجدهُ في طريقهِ فرافقهُ في هذه السياحة الطبيب كوك مع احد البحَّارة واخذوا معهم طعاماً كافياً لثمانية أيام. فساروا على سطح الجليد يومين دون ان يعرض لهم عارض. ولمَّا كانوا اليوم الثالث احسُّوا بغتة بالجليد قد تشقَّق في اماكن عديدة وكانت اخاديدهُ واسعة حتى انهم لم يستطيعوا ان يعبروا من قطعة الى

اخرى ولم يبقَ لهم املٌ في العودة الى رفاقهم وثارت بهم زوبعة شديدة وتكاثف الضباب فاتخذوا لهم قُترًا من الثلج ليتستروا بها . فبقوا على هذه الصورة اربعة ايام بين احياء وأموات لا دليل لهم سوى الابرة المغناطيسيَّة وكانوا تلفوا لولا ان الله رحمهم وفتح لهم بابًا للنجاة وادركوا سفينتهم بعد شقّ النفس

وممَّا عنوا بشغلهِ في مدَّة إسرهم ارصاد الظواهر الجوّيَّة التي كانوا يدوّنونها بغاية التدقيق . الَّا انهم بعد ايام قليلة ادركهم الليل القطبي الذي دام اربعة اشهر بنيف من تاريخ ١٧ نيسان الى ٢١ تموز (ولو كانوا بلغوا القطب في مركزهِ لدام ليلهم ستَّة اشهر) فاحدقت بهم الظلمات طول هذه المدَّة حتى سئمت نفسهم . وكان يزيد البرد قرسًا حتى بلغ الدرجة ٤٣ تحت الصفر من مقياس السنيتغراد فاثَّر فيهم تأثيرًا سيئًا . وكان اشتداد البرد يضرب في دماغهم فيصيبهم بعض الاحيان شبه الجنون فكانوا يتشاتمون دون سبب ويهدّد بعضهم بعضًا . وبُلي الآلاتيُّ دَنكو بحمَّى خبيثة ذهبت بحياتهِ في ٥ حزيران ١٨٩٨ فكان لهذه الفاجعة اسوأ وقع في قلوب رفقتهِ لكنهم لم يستسلموا الى اليأس وصبروا حتى انقشعت عنهم ظلمات الليل في اواخر تموز

بيد انَّ وطأة البرد لم تخفَّ عنهم مع ذلك بل زاد الجليد كثافةً حول سفينتهم في آب. ثم هبط الميزان الى ١٨ درجة تحت الصفر في شهري تشرين ولم يبتدئ ذوبان الجليد الَّا في كانون الاول غير انهُ كان بطيئًا جدًّا حتى تحقَّق لديهم ان لا امل لهم في النجاة ما لم يفتحوا لهم طريقًا في الجمَد ليخلّصوا السفينة من خناقها فاختاروا حيث كان الجليد ارقَّ فوجدوا محلًّا سمكهُ متر ونصف الى مترين فاخذوا ينشرون في وسطهِ قناةً صناعيَّة طولها ٧٠٠ متر في عرض ٣٠ لتعبر فيها السفينة فدام شغلهم شهرًا تامًّا وكلهم يشتغلون ثماني ساعات في النهار . فلمَّا نجز العمل هبطت السفينة في المياه.وكادت تتحطَّم لما كبس عليها من الضغط . وفي آخر الامر خاضت المياه ونجت من حصارها في ١٤ شباط ١٨٩٩ ورجعت القهقرى ثمَّت مخرت البحار بين مخاطر لا توصف حتى بلغت مضيق ماجلَّان فارسل المسيو دي جرلاش بلسان البرق تلغرافًا ينبئ الجمعيَّة الجغرافيَّة في بروكسل بعودة سفينتهِ سالمةً فتلقَّى العلماء هذا الخبر بفرح عظيم

وان طلب القارئ وما هي الفوائد التي نالوها من هذه البعثة اجبنا انَّ السفينة بلجيكا لم تكتشف الَّا قليلًا من البلاد الجديدة بل لم تسرْ الى حيث بلغ جمس روس سنة

١٨٤٢ لكن نتائجها العلميَّة كثيرة منهـــا الارصادُ الجويَّة والمغناطيسيَّة ومنها تعريف حركات الجليد الطافي فوق الميـــاه بدفع الرياح ومنها ايضاً بيان خواصّ صِبار الجليد التي مرَّ ذكرها وقد تحقق علماء البعثة انَّ بعض هـــذه القطع الجامدة قد انفصلت عن مجاليد يرتقي عهدها الى الوفِ من السنين وانَّ منها ما يأتي من جنوبي اميركا من البرّ المعروف بارض النار حيث وُجدت بقايا من اصناف الحجارة المصهورة تُشير الى براكين قديمة كانت في تلك الانحـــاء. وقد اخذ الدكتور راكوفيتزا رسم هذه القطع وصورُها العجيبة تبهر العيون. ومن نتائج هذه البعثة ايضاً مجموع طيور غريبة الشكل نادرة الوجود اتت بها سفينة بلجيكا الى اوربَّة. وكذلك مجموع لنبات تلك النواحي السحيقة

وقـــد سبق ذكر البرد الشديد الذي يُشعَر بهِ في القطب الجنوبي وهو اشدّ من القطب الشمالي فان اعظم درجة بلغوها هناك من الحرارة ١ تحت الصفر. ومعدل درجة البرد في القطب الشمالي في عرض ٨٠ْ تبلغ فقط ٨ درجات تحت الصفر بينما هي تبلغ ٩ درجات في عرض ٧١ْ من القطب الجنوبي. وكذلك يحـــدث في الجنوب اعصارات عديدة غايةً في الشدَّة وينزل الثلج كثيرًا ولا يكاد يصفو السماء امَّا اذا صفا اديم الجوّ فتلوح للنظر ظواهر جويَّة تأخذ بالبصر كالشفق والدارات والهـــالات وانعكاس صورة الشمس في الهواء والسراب وغير ذلك من المظاهر النادرة

ومن الارصاد المهمَّة رصد الحركات المغناطيسيَّة والكهرباء والشفق القطبي وتأكَّد المسيو لوكوينت ان هذا الشفق لا يحدث الَّا عند حدوث انواء مغناطيسيَّة في الفلك. هذا الى غير ذلك من النتائج العلميَّة التي فاز بها ارباب هذه البعثة. وعمَّا قليل ستنشر الجمعيَّة الجغرافيَّة البلجيكيَّة كل هذه المباحث العلميَّة عن تلك الجهات المجهولة

ومن فوائد هذه البعثة انها حركت في قلوب كثيرين من العلماء الرغبة في معاينة تلك البلاد. واليوم نرى قوماً من اصحاب الهمَّة يُعنون في هذا الامر فان الالمان يعدُّون لذلك بعثة يتولَّاها الدكتور فون دريغالسكي (Drygalski) وغايتها انْ تدخل البلاد القطبيَّة من جهة الاوقيانوس الهندي فتسير الى جزيرة ترمينوس. وكذلك تسعى الجمعيَّة الجغرافيَّة الانكليزيَّة في تجهيز بعثة اخرى للتنقيب عن احوال ارض فيكتوريا. وتُهيأ بعثة ثالثة يقوم بها وليم بروس (W. Bruce) من اهالي سكوسيا وِجهتُها الى ارض غراهام

فهي هذه البعثات الثلاث تفوز كلها بالمرام وتزيدنا معرفةً بنواحي جمع فيها الخالق انواع العجائب لم يمكنّا حتى الان الانتفاع بها لتمجد اسمهُ ونعظّم قدرتهُ

(ذيل) وبينما نحن نكتب هذه الاسطر اذ بشَّرتنا المجلات بعودة نروجيّ اسمهُ بورشكريفنك من سياحة باشرها الى قطب الجنوب فبلغ الدرجة ٧٨ والدقيقة ٥٠ واستكشف ارض فيكتوريا وجزيرة مجهولة دعاها باسم دوك دي يرك.وتشبه اكثر تفاصيل رحلتهِ رحلة العلّامة دي جرلاش وزاد تحقّقًا بان نقطة القطب الجنوبي واقعة في قارة لا في بحر كالقطب الشمالي

موت جان دَرْك

معرَّب عن قصيدة عامرة الابيات للشاعر الفرنسيّ كازيمير ديلافين
بقلم جناب الشاعر الاديب شبلي افندي ملاط

١ لمن النارُ والمشاعل تُضرمْ والى اين زَحْف هذا العرمرمْ
ضجَّةٌ تملأُ الفضاء ومخذمْ وحديدٌ والجندُ بالجندِ يُلطمْ
وكُماة على الصوافن تقحمْ

٢ ورنينُ الاجراس وهي مَوازِنْ ألِفتحٍ تسيرُ تلك العساكرْ
أم لتدويخِ ثائراتِ العشائرْ ام لمجدٍ ام للعلى والمفاخرْ
ام لنصرٍ اغرَّ في الحرب مُعلَمْ

٣ يا أبي الله لا فليس مجالٌ يتجارون نحوهُ او قتالٌ
بل الى مقتل ابنةٍ هم عجالٌ من بَريطانَ والسيوفُ صقالٌ
والاساريرُ منهمُ تتبسَّمْ

٤ ابنةٌ بل شهيدةٌ في القيودِ هاجمتها ابطالهم في الحديدِ
بارك الله فيهمِ من اسودِ وصناديدَ اهلِ بأسٍ شديدِ
كيف كلٌّ على ابنةٍ يتهجَّمْ

٥ أبصروها وما لها من مجيبِ او نصيرٍ إن تَدْعُهُ في الخطوبِ
صرخوا كلهم بصوتٍ غضوبِ فلتَمُتْ فلتُحرقْ بذات اللهيبِ
فهي سحَّارة اتت من جهنمْ

٦ ما تقولون ايها الجبناء بَهلاكٍ قد ارسلتهُ السماء

ملكٌ سِحرهُ السنا والبهاء والحيا والعفاف والإغضاء
وخلالٌ كأنّهـا زهرُ انجمْ

٧ واقتحامُ الاهوال والروعُ يُصلى وسوامُ الاعداء ضيًا وذلّا
كم نَهلتم من سيفها الموتَ نهلا وتبدّدتمُ من الخوفِ شملا
ولقيتمْ منها القضا وهو مُبرمْ

٨ قبّلت جانُ صورة المصلوبِ باحترامٍ ومدمعٍ مصبوبِ
وتمشّت نحو العِقاب الرهيبِ بتأنٍّ توءمٌ مهوى اللهيبِ
حيث نيرانُ حتفها تتضرّمْ

٩ جأشها رابطٌ بلى الرّيحُ حلّا فحمُ شعرٍ من فوق فجرٍ تدلّى
بيد ان المقدور ساعةَ حلّا رأسُ قهّارةِ البَريطان ذلّا
فتبارتْ دموعها تتسجّمْ

١٠ يا فتاةَ الشقا اطيلي بكاكِ فلقد غالك الرّدى في صباكِ
واسألي اللهَ رحمةً في بلاكِ وسماحًا لموطنٍ قد سلاكِ
نام اهلوكِ والعدى غير نوَّمْ

١١ ودّعي ارض فوكُلورَ الجميلهْ فلكم فيها روضةٌ وخميلهْ
يا ليالي كم اراك طويلهْ ودموعي من بعدها مطلولهْ
وبجنبيَّ مهجةٌ تتألّمْ

١٢ لن ارى تلكمُ المروجَ الخصيبهْ ومصلّايَ والحقول القشيبهْ
ومراعي نعاجيَ المحبوبهْ حكم اللهُ لن اموتَ غريبهْ
وابي عمرهُ اسًى يتصرّمْ

١٣ ايها الجندُ ايها الفرسانُ هل فتًى منكمُ لها معوانُ
ينبري من مكانهِ والسنانُ دونها في يمينـهِ حرّانُ
ويخوض الميـدان خوضةَ ضيغمْ

١٤ لمْ اراكمْ كانكم اصنامُ ايها القومُ ايهـا الظُلّامُ
فليطبقـكِ يا سماء الغمامُ وليطفئْ رذاذك السجّامُ
من اجيج النيران ما قد تحدّمْ

١٥ او قئودي من الفرنسيس فارسْ مثلَ لمع البروق في جنح دامسْ
او هزيم الرعود تخشى الاشاوسْ بأسَهُ منقذًا بسيف الفوارسْ
ابنةً من شفا الردى تتقدَّمْ

١٦ ثمَّ ساد السكوت والنارُ شبَّتْ وتلظَّت ولعلعتْ واشرأَبتْ
ولديها روح الشجاعة دبَّتْ في عروق التي الى الموت هبَّتْ
هبَّةً دونها الصناديدُ تُحجمْ

١٧ فتوارتْ تحت الدخان الملبَّدْ انما زندها الذي قد توقَّدْ
نصفُهُ كان خارجًا يتهددْ ظالميها القساةَ واللهُ يشهدْ
ايُّ ظلمٍ شقَّ القلوب وكلَّمْ

١٨ ايها الجيش لِمْ عراكَ ارتعادُ واضطرابٌ والزند منها رمادُ
لا حرابٌ ولا ظُبى وصعادُ باكفٍّ التي بكتها البلادُ
وعليها النواح اصبح مَغرمْ

١٩ صهرتها النيران وهي تنادي يا مليكي يا موطني يا بلادي
يا فرنسا دومي فكل مرادي ان تدومي وان لقيتُ معادي
فمماتي إن تسلمي انتِ مَغنمْ

٢٠ فاقيمي لمجدها تمثالا يا فرنسا تحيا بهِ اجيالا
واذكريها الاسحار والآصالا واندبيها ما حبلُ عمركِ طالا
واذيعي فضلًا لها ليس يُكتمْ

٢١ واحفروا ما اتت من الاعمالِ فوق ضخم الاجراس للاجيالِ
والعدى في تقهقرٍ وانخذالِ وهي تهتزُّ هزَّةَ الرئبالِ
وعليها مخاوفُ الحربِ حُوَّمْ

٢٢ ارسلتها عنايةُ الرحمانِ بحسامٍ يجلو دجى البهتانِ
فتعالوا يا نخبة الفتيانِ وكرامَ الابطال والشجعانِ
واجعلوا لابنةِ المعارك مأتمْ

٢٣ انعشوا غار لحدها بالدموعِ واستميروا لهُ حياة الربيعِ
كي اذا مرَّ نازحٌ في رجوعِ او ذهابٍ بكى بقلبٍ وجيعِ

قبرَ مَن ذكرُها الزمانَ مُكرَّمْ

٢٤ واغرسوا فوق قبرها الورد رطبا واذيعوا في الارض شرقاً وغربا
أنَّ من انقذت مليكاً وشعبا واستماتت فدى المواطن حبًّا
كافأوها من القبور بِمُظلِمْ

التبادل ومنافعهُ

للكاتب الاديب جان افندي جلوان البغدادي

ان من المباحث التدبيريَّة التي يجدرُ بالانسان ان يستغرقها ويتقصاها ويُعطيها كلَّ حقها من الاهميَّة التي تترتب عليها هو بلا مراء امر دوَران الثروة (١ لانهُ اذ كانت معيشة الانسان متوقفة على دأبهِ كما حتم عليهِ خالقهُ عزَّ وجلَّ سواء كان بيدهِ ام بقوَّتهِ العاقلة واذ كان معظم سعادتهِ في هذه الدنيا بعد السعادة الحقيقيَّة التي يتمتَّع بها بمحبة خالقهِ والسير في الطرُق التي مهَّدها لهُ مَنوطاً برغد العيش ورخائهِ وذلك لا يتحصَّل الَّا بالجد والكد في تزييد محصولات يدهِ وفكره فكل ما يمسّ امر هذا الريع لهُ الشأن الاعظم والمقام الاسمى في عالم التنازع في البقاء

ان الانسان بتقدمـهِ في الحضارة والتمدُّن تمكَّنت عنده قاعدة تقسيم الاشغال (division du travail) فاصبحت كل حاجةٍ من حوائجهِ خاصَّةً بفريق من الناس بل قُل وكلّ جزءٍ داخل في تركيب الشيء المطلوب موضوعَ شغل قائم بذاتـهِ. وكلما عمَّ تقسيم الاشغال وتكامل كثرت المبادلات. فالتبادل اذًا هو مُندفَق (débouché) للثروة نستقصي البحث عنهُ بهذه المقالة ونردفهُ تباعاً ان شاء الله في فُرص اخر بالفصول التوالي

ومتى قوبلت المحصولات بعضها ببعض وتُبودلت تولَّدت في العقول قيمها واسعارها وهو الفصل الثاني من دوران الثروة. ثمَّ تسهيلًا للمبادلات ولعدم ضياع الوقت في اجرائها

١) تعريب (circulation de la richesse). والثروة بلسان التدبير السياسي تُطلق على معنى واسع فكلُّ نتاجٍ او شغل او خدمةٍ تقوم بحاجات الانسان المادّية والغير المادية تُدعى ثروة

اختُرعت النقود او ما يقوم مقامها وهو الفصل الثالث. ولتفاوت درجات الانسان بالغنى والعقل والذوق وكثيرًا ما يُعير احدُهم باجرة معلومة ما لا يقدر ان ينتفع بهِ هو بذاتهِ مما اذخره من مال ورأس مال الى آخر اقدر منهُ او في حالة تمكّنهُ من ان يظفر منهُ بطائل وهذا الفصل الرابع وهو الاعتبار والبنك او محلات السمعة المالية. واخيرًا اذ كان الانسان غير معصوم عن الخطإ فقد حصل ايضًا خلافٌ بمبادئهِ في ادراك حقيقة التبادل فنهم من قال باطلاق عنان الحريّة للمبادلات واقام منفعة الانسان حكمًا في قضاء الحق وجعل المغايرة والمراقبة قاضيًا لإقامة القسطاس ومنهم من راعهم جموح فرس الحريّة في المقايضة ورأى فيها كل الشرور والاخطار فرجّح كبحها وجذب عنانها. فيُدعى الرأي الاول حريّة المبادلات (libre échange) والثاني الحماية (protectionnisme) وهو الفصل الخامس والاخير

١ في حقيقة التبادل ومنافعهِ

ان الانسان امَّا ان يُوجِد الثروة مباشرةً بلا واسطة وإمَّا ان يحصل عليها بواسطة التبادل وهو ان يُعطي شيئًا ويأخذ عوضهُ شيئًا آخر متساويين بنظرهِ في القيمة. فالتبادل اذًا وهو غريزي هو الواسطة العموميَّة للحصول على ما يحتاج اليهِ الانسان وقد اضحى لازمًا لازبًا في اصول الهيئة الاجتماعيَّة ومن دونهِ ما كنتَ ترى فيها روحًا ولا حركةً. وقد احسن التدبيريّون الاغلاليون (١ حيث قالوا « انَّ الملوكة هي اساس الجماعة والتبادل رباطها ». وليصحّ التبادل لا بدَّ من ان تكمل فيهِ هذه الشروط الثلاثة: ١ً تملُّك الشيء. ٢ً امكانيَّة تسليمهِ. ٣ً تنوُّعهُ. اذ لا يتمّ عقد المقايضة بشيئين الّا بوجود حقّ التصرُّف بهما بامكان تداولهما من يدٍ الى يد. امَّا اذا كان الشيئان متجانسين غير متنوّعين فلا فائدة ولا جدوى بالمقايضة بهما

ومن عجيب امر التبادل ان كلًّا من الطرفين يرى بهِ فائدةً وهو لا شكَّ من احكام الله ليصل الانسان بينهُ وبين قريبهُ بروابط الاستفادة ويُقرِّب بينهما لكي يكمل ما اوصانا بهِ من وجوب حبّ بعضنا لبعض. فان الرجل ينال بالمبادلة محصولات او

١) مصدر اغلّت الارض اذا اعطت غلّتها وهو تعريب (physiocrates). فرقةٌ من التدبيريين كانوا يزعمون بان غلة الارض هي الثروة الوحيدة

خِدَماً كانت تكلِّفهُ عرق القربة لو عملها بيده. إلم اقُل انهُ كان يستحيل عليهِ اقتناؤُها. ولولاهُ لكنَّا من اشقى الخلق عيشةً محرومين من كلّ ما توصَّلنا اليهِ اليوم من الرفاهيَة والرغد في العيش والتأنق في الملبس ولبقينا مشابهين الانسان الاول في طُرُق معاشهِ وانواع لباسهِ

ولا ريب انهُ بتمكين الامنيَّة والعدالة وتمهيد طرق المواصلات كثرت المبادلات وتوفَّرت المصنوعات وعمَّت فوائدها الجمعيَّة حتى اصبح الفردُ يستفيد بالمبادلة اضعاف اضعاف ما يؤدّيهِ من الخدَم لامثالهِ. ويلذُّ لي ان اسرد هنا فقرة من تأليف التدبيريّ المتفنن فريدريك باستيا ابدع بها في وصف منافع التبادل. قال:

« لنفرضنَّ رجلًا من الطبقة المتوسطة نجَّارًا مثلًا ولنفحصنَّ سائر الخدمات التي يقدّمها للجماعة والخدمات التي ينالها منها. فما يُحتّم ان يأخذ منَّا العجب كلّ مأخذ لمَّا يتَّضح لنا التفاوت الجسيم بين هذه وتلك. فالنجَّار يقضي نهاره بنَحْت الالواح وبعمل المناضد والخزائن وهو لا يبرح يتشكَّى من حالتهِ. بيد انهُ قد ذهل عمَّا اقتنى من الخِدَم عوض شغلهِ. فكل صباح عند نهوضهِ من مرقدهِ يتردَّى ثيابهُ ولا ريب في انهُ لم يعمل بيده ولا قطعة واحدة من لباسهِ. تُرى كم اقتضى من مشاقّ الشغل والصناعة والنقل والاختراعات المتقنة التي دونها خرطُ القتاد لاحضار هذه الثياب مهما كانت بسيطة فلا كالها قد اتى الاميركيون بالقطن والهنود بالنيل والفرنساويون بالصوف والكتَّان والبرازيليون بالجلود فنُقلت هذه المواد الى بلاد مختلفة وشُغلت وغُزلت ونُسجت وصُبغت. ثم يُسلِّف (من اكل السُّلفة اي الطعام قبل الغذاء) فالخبز الذي يأكلهُ لم ينلهُ كلّ صباح حتى عُزقت لهُ الارض وسُيِّجت وحُرثت وسُمِّدت وزُرعت وحرست الغلَّات عن السرقة ووجب تمكين الامن والاطمئنان بين جمهور لا يحصرهُ عدّ. ثم حُصدت الحنطة وعُجنت وعُمل من الحديد والفولاذ والخشب والحجارة ادوات للشغل وسخَّر بعضهم الحيوانات وبعضهم استعمل قوَّة الماء. وكلّ هذه الاشياء اذا اعتبرناها واحدًا فواحدًا لا يسعنا ان نتصوَّر مقدار ما استدعتهُ من الشغل والوقت لوضعها في حيز الوجود. ولا بدَّ من ان هذا النجَّار يستعمل في نهارهِ شيئًا من السكَّر والزيت وبعض ادوات المطبخ — يبعث ابنهُ الى مدرسةٍ ليتلقى فيها الادب. ومهما كان تهذيبهُ محدودًا فلا يخلو مَن تصدَّى لتخريجهِ من ان يكون قد داوم الدرس والمطالعات ونال حظًّا من العلوم باتعابٍ اذا استحضرناها امام بصيرتنا يأخذنا الانذهال. واذا خرج من بيتهِ يرى الطُّرق مبلَّطة مرصوفةً ومُنارة. واذا اعترض احدٌ على ملكهِ فعندهُ وكلاء الدعاوي للمدافعة عن حقوقهِ وحكَّام لاجراء القسط — واذا ذهب الكنيسة وهي من افخر الابنية يأخذ بيده كتابًا من ابدع ما اتت بهِ القريحة البشريَّة. فهناك بسماعهِ التراتيل والوعظ يستنيرُ عقلًا وتتسامى نفسهُ. غير ان من يرشدهُ الى هذا الكمال اقتضى ان يصرف اوقاتًا ثمينة في المكاتب ليقتني منها ما تركتهُ تقاليد البشر وان ينسى جسدهُ ليتفرَّغ لمثل هذه المهامّ — واذا عزم على السفرة يرى ان كثيرين قد مهَّدوا لهُ الطريق وخرقوا الجبال واوصلوا الانهار وعمَّروا العربات وسكك الحديد وسخروا قوَّة الخيل والبخار — فاذا تأمَّلنا هنيهةً في كلّ ما يتمتَّع بهِ هذا النجَّار وفي

ما كان يحصل عليهِ لو تُرك وحدهُ للقيام بعمل حوائجهِ اتّضح لدينا الفرق بكلّ جسامتهِ. ولا اتحاشى من ان اقول انهُ يستهلك في اليوم الواحد ما لا كان يقدر ان يأتي بهِ بنفسهِ في عشرة قرون وما يزيد المشهد غرابةً ان جميع الناس على مثل هذه الحالة فكل فرد يستهلك آلاف آلاف ما كان يقدر على ايجادهِ. ومع ذلك فلم يسرق بعضهم بعضًا — على ان من فحص الامور وتدبَّرها مليًّا يرى ان نجّارنا قد دفع بخدمتهِ قيمة كلّ الخدم التي نالها واذا ضبط حسابهُ بالتدقيق يتحقَّق لهُ انهُ لم يقتنِ شيئًا من دون ان يقابلهُ بحرفتهِ البسيطة — فعلى ذلك يقتضي ان يكون النظام البشري عجيبًا قديرًا حتَّى ان كلًّا من اعضائهِ مهما كان في منزلةٍ واطئة ينال ما لا كانت تصل اليهِ يدهُ في قرونٍ من الزمان » اه

٢ وسيلة التبادل والنقود

قد سبق الكلام في تعريف التبادل وازيد على ذلك ان التبادل قد يكون عن حاصلات (produits) وعن شغل (travail) وعن خِدَم (services) فكما يُتبادل بغلّات الارض كذلك يُتبادل بشغل اليد ونتاج العقل. واليوم بوصول التمدن الى اوج الكمال قلّما ترى هذه الاشياء تتبادل ببعضها رأسًا من دون ان تدخل فيما بينها النقود. غير ان ابدال الحاصلات بالنقود والنقود بالحاصلات لحيادهِ عن جادَّتهِ الاعتياديَّة قد اخذ اسم البيع والشراء. على انَّ من تبصَّر في الامور رأى ان النقود ليست الَّا بضاعة متوسّطة بين غيرها تُقبل موقَّتًا للحصول على اشياء أُخر متى ما مسَّت اليها الحاجة. فوكيل الدعاوي يبيع خدمتهُ ويشتري بها ذهبًا ثم يبيع الذهب ليشتري بهِ حذاء عند الخرَّاز وهذا يبيع احذيتهُ ويشتري بها ذهبًا ثم يبيع ذهبهُ ويشتري بهِ قمحًا عند الفلّاح وهذا يبيع برَّهُ ويشتري بهِ ذهبًا ثمَّ يبيع ذهبهُ ويشتري ثوبًا ومن كلّ ذلك يتحصل ان وكيل الدعاوي قد اشترى احذيةً بخدمتهِ والإسكاف قد ابتاع قمحًا باحذيتهِ والفلاح شرى ثوبًا بقمحهِ وهكذا لم يبقَ اثر للنقود بعد ادائها وظيفتها من وسيلة التبادل. فلو حللنا التبادل على هذا النمط وتدبَّرنا كيفيَّة جريان الامور اتضح لنا ان الفضة والذهب ليسا غاية التبادل بل ان من يقبضهما لا يلبث ان يستعملهما للمقايضة بغير اشياء تجديهِ نفعًا اللهمَّ إلَّم يَسُقْهُ سائق البخل على ان يطمرها تحت الارض او ان يوصد عليها باب خزانتهِ وهذا من النادر في بلاد استتبَّ بها الامن. ولقد يصحّ ان يقال في بلدٍ قد فقد الامان ان النقود هي غاية التبادل لانها اسهل اخفاء من غيرها من البضائع

ومن تمعَّن في الفحص عن قصد المتبادلين رأى في الواحد حاجةً تختلف عمَّا في الثاني

١٢٧

تدفع كلّاً منهما اذا كانا حرَّي الارادة للتعاطي باشياء متوازية في الثمن ومن هنا يتَّضح ان كلّاً منهما يرى فائدةً في المقايضة اذ اني اذا اعطيتُ عشرين غرشاً مقابلةً لحاجةٍ فلا شك اني قد جزمت بان هذه الحاجة هي افيد لي من العشرين غرشاً وهكذا من اعطاني هذه الحاجة يفضّل علينا حفظ العشرين غرشاً. وهنا يسوغ لنا ان نستنتج بان الفضة والذهب اعني النقود ليسا هما الغاية القصوى من التعاطي كما زعموا. كأنَّ من اشترى بضاعة (او باع نقودًا) يُضحي مغبونًا او تكون صفقتهُ اقلّ ربحًا ممن باع البضاعة متوهمين ان الشاري يدفع ضربًا من الجزية للبائع. كل ذلك لعدم وقوفهم على ماهية النقود ووظيفتها وعلى هذا الاساس بُنيت اوهام اصحاب الميزان التجاري (١

فيتحصَّل اذًا ان كلّاً من المتبادلَين يتخلّى عن شيء ذي قيمة للحصول على شيء آخر ذي قيمة ايضًا بعد الاتفاق على مساواتهما. فهكذا يكون التبادل بمعاضدة تقسيم الاشغال واسطة الرواج ومهماز العمل اذ ان المرء اذا اصدر شيئًا ولم يتسنَّ لهُ رواجهُ فلا يعود على صنعهِ مرَّةً اخرى وبالعكس فرواجهُ يدفعهُ على مواصلة العمل

على ان التبادل لم يُقصد منهُ مطلقًا الحصول على ما نحتاج اليهِ بل قد اتخذوهُ وسيلةً للمعاش وديدنًا للارباح وذلك بان تُقتنى الاشياء بابخس الاثمان بعد الجهد وشحذ القريحة وان تعرض للمبادلة وبهذا المهمّ قد امتاز السواد الاعظم ألا وهي التجارة التي قد اضحت اليوم بمقام محور يدور حولها العالم السياسي والعلمي. ولا غَبْنَ في هذه الارباح فهي باعتبار تأدية قيمة خدمات التجّار بتقديمهم لنا ما نحتاج اليهِ وكفايتنا المشقَّة للحصول عليهِ بانفسنا

قد بيَّنتُ سابقًا كيف ان الحاصلات تُبدل بحاصلات مع دخول النقود كواسطةٍ فقط. واوَّل من وضع اساس هذا المبدأ هو التدبيري الفرنساوي الشهير ساي (Say) ومن هذا المبدأ يُستنتج بما ان الحاصلات تُقايَض بالحاصلات فكلّ حاصل ماديًا كان او ادبيًا هو سبب رواج لغير حاصل. فاذًا كلما كثرت الحاصلات نفقت سوق كلّ حاصل وقامت. فالعالم هو بمقام سوق عظيم يشهر فيهِ كلّ عامل حاصلاتهِ المادّية والغير المادّية ليُتقايَض بها. ولا ريب انهُ كلما كانت السلع المعروضة على هذه السوق كثيرة يجد

١) (المشرق) : يلوح لنا ان جناب الكاتب لا يفرق بين قيمة النقود في ذاتها (valeur objective) وقيمتها في حسبان الشاري المضطرّ لصرفها في بعض الاحوال على رغمٍ منهُ (valeur subjective)

صاحب كل حاصل ان بضاعتهُ تسمو في منزلة الابتيـاع. وهذا امرٌ قرَّرتهُ التجارب ودعمهُ التدبيري المذكور بقولهِ ان الآنَ يُشترَى ويُباع في فرنسة اشياء هي عشرة او اثنا عشرة اضعاف ما كان يُباع ويُشترى قبـل خمسمائة سنة. وما ذلك الَّا لارتفاع منزلة ابتياع الحاصلات بالنسبة بعضها الى بعض لوفورها. ومما يؤيد قول هذا العالم ان الضرر الذي يلحق بصنف يتطرَّق الى باقي الاصنـاف. فاذا تسبب توقيفٌ في اصدار الفحم الحجري في انكلترة فما تلبث ان تُوقف المعامل او تُبطئ حركتها. ونتيجة هذا الوقوف لا تُصيب فقط الالوف من العملة بل انهُ لعدم ربحهم واضطرارهم بالتقتير والاقتصاد الى ان يأتيهم فرجٌ من الله يقلِّلون من ابتياعهم المألوف من ألبسة وطعام ويسببون بذلك خسارة لاصحاب الدكاكين والمخازن وباعة الاطعمة وهؤلاء يُسببون ضررًا الى غيرهم فينساب شرّ هذا التوقيف في كل الجماعة

واحسن ما يُقال عن المقايضة انها اذا أُجريت مع بلدٍ قد خوَّلهُ الله منافع مجَّانيَّة كانت اكثر نفعًا. لانهُ اذا فحصنا ومحَّصنا الامور وجدنا ان قيمة الاشياء هي عبارة عن مقدار شغل الانسان بها (بغضّ النظر عن ندور الشيء) لان كلّ منفعة طبيعيَّة مجانيَّة في الشيء لا تعتم ان تفقد قيمتها بقوَّة المغايرة والمنافسة اللهمَّ إلَّم تُعرقل حركة الصناعة او تُدخل هذه المنافع تحت انحصار. مثال ذلك اننا لا ندفع قيمة نفع الهواء الذي نستنشقهُ مع انهُ قوام حياتنا لان اقتناءهُ لا يقتضي شغلًا ولا آلةً وكذا الماء الذي نشربهُ انَّا لا ندفع قيمتهُ من حيث خاصيَّتهِ لاروائنا غير اننا نكافئ السقَّاء او شركة الماء لخدمتهما بجلبهِ لنا...

فعلى هذا الوجه كل بقعةٍ جادت عليها الطبيعة بحسن الهواء وجودة الاديم تسري منافعها بحكم التبادل ومع تمهيد الطُّرُق وتسهيل المواصلات الى كافَّة اقطار المعمورة. فانكلترة مثلًا تستخرج الفحم الحجري وتُرسل بهِ الى فرنسة ولا تستوفي الَّا نفقات تعدينهِ. غير ان فرنسة تقابلها بالخدمة فتعطيها مجَّانًا الخمر السلسبيل ولا تطالبها الَّا بما انفقتهُ من المصاريف. وبلادنا الشرقيَّة تُرسل بغلَّاتها على هذا النمط وتجلب بها الملبوس بما تكلَّفهُ فنُّ الصناعة. وهكذا اذا أُعطيت حريَّة المقايضات بين البلاد الى درجةٍ معلومةٍ تصبح قيمة الحاصلات المتبادلة لا تتعـدَّى مقدار مصاريفها العموميَّة. ومن هذه المقابلات نستخلص ان المبادلات تكون أجدى نفعًا مع بلاد قد منَّت عليهـا الطبيعة

بِمُحَسّناتها او كثرت فيها الاموال (capitaux) او امتاز اهلها بالحذاقة والمهارة. وللتوصل الى مثل هذه المبادلات المفيدة يحق هنا ان نُخلص الشكر للتجّار الذين بسعيهم وجهدهم ومداومة المخابرة مع سائر اقطار المسكونة بهمةٍ لا يثبطها ملل تمكّنوا من ان يرتقوا الى المصدر الحقيقيّ لكل الاصناف حيث تُبتاع الاشياء بقيمة لا تتجاوز مصاريفها العموميّة فيعرضونها علينا بابخس الاثمان

٣ مقام التبادل في المجتمع البشري

فاذ قد عرفنا ماهيّة التبادل والمنافع الجمّة التي تتولّد منهُ بانضمامهِ الى قاعدة تقسيم الاشغال فلا مندوحة لي من ان ابيّن المقام الذي احرزهُ بتشديد عرى المناسبات بين الامم (اذا لم يَقمْ في وجههِ عائق) وجعلهِ جميع قبائل الارض مرتبطة بولاء ووفاق. كما امر بهِ خالق الارض ورافع السموات الطباق

من الموافق لكل صناعة نجاح بقيّة الصناعات وذلك بديهيّ لا يحتاج الى حضر فكر. لانهُ اذا كانت الحاصلات تُبدل بحاصلات فالصناعة الاولى تروج محصولاتها برواج حاصلات الصناعة الثانية. فالحائك اذا نفقت منسوجاتهُ اكثر من شراء الغزل ومعاملُ الغزل اكثرت من ابتياع القطن وزادت عَملتها وهكذا يتّصل بنا الامر الى عدد لا يُحصى من الصناعات التي يكثر طلب حاصلاتها فتتشجّع وتنجح. فالصناعات اذًا هي متكافلة بعضها لبعض فالضرر الذي يصيب الواحدة يلحق بالاخرى. وبناء على هذا المبدإ فالحضَر ينتفعون بنجاح البدو واصحاب الحرَف يشاطرون ربح المزارعين وكلّ مملكةٍ من ممالك الارض وكلّ شعب يستفيد من ترقّي الممالك والشعوب لانهُ كلّما كان البلد غنيًّا عامرًا فاض من غناهُ على البلد الثاني. وبهذا الاعتبار يتحتّم على الفقراء ان ينظروا بعين قريرة الى ازدياد عدد العائلات الثريّة لانهُ كلما وفر عددهم ارتفعت اسعار ما يبتاعونهُ من العامّة والفقراء من حاصلات وخِدَم. ولا يختلف الامر في نفس الاغنياء فحبذا لو ترقّت الفقراء وافلحت فانهم بتقدّمهم في الاشغال وبراعتهم فيها يتمكّنون من تأدية خدم ذات شأن للمتموّلين فضلًا عن انهم في يسارهم يستهلكون مقدارًا اكثر ممّا يقدّمهُ لهم اصحاب الغنى من فاخر اللباس وغيرهِ

فاذ كانت الجمعيّة البشريّة قائمة على تبادل الحاصلات والخدم والاشغال فكل

طبقة من الناس اضحت بالضرورة مفتقرة الى غيرها بحيث ان النفع الذي يصيب القسم الواحد يتطرَّق الى الثاني وما يحيق بالاول من ضرر يسري الى التالي. واذ قد تقرَّر اساس هذا النظام العجيب فلا يسوغنا ان نرى صِنوَنا يواصل الكدَّ للبلوغ الى درجة اسمى في الدائرة التي اختطَّها لهُ ساعياً وراء نفعهِ الشخصي فان العناية الربَّانية بحكمتها الغامضة قد شاءت ان يكون الخير العامّ مُحصَّل جدّ وعمل كلٍ منَّا في نفعهِ الذاتي

وبهذا الشأن يحسن بنا القول ان المبدأ المذكور قد طابق كل المطابقة روح الاخوَّة المسيحيَّة وجارى الحكمة والآداب في تعاليمها. وحبذا لو نُشرت هذه الحقائق على رؤُوس الملإ لتزول دواعي التباغض والتحاقد الجاريين بين العباد والبلاد التي افضت الى كلّ نوع من الشرور

على انهُ لا يسوغ الإنكار بان ضرر الواحد قد يكون في بعض الاحيان شذوذاً نفعاً للغير غير ان ذلك لا يصلح ان يكون قاعدة تُبنى عليها الحقيقة كما يُعتبر من قولهم « مصائب قومٍ عند قوم فوائد » وفيما سبق كفاية لتفنيد هذا الرأي. وبين هذا والمبدأ المضادّ منتهى التضادّ. فالاول يأتلف مع تعاليم الديانة والحكمة ومن شأنهِ ان يُلقي الصلح والسلم بين الشعوب ويبثّ روح التعزية والسلوان في القلوب. والثاني من خواصهِ ان يلقي في العقول بذر الفساد. ويُثير سعير الشرور وينفث الفتن في العباد

غير ان حقيقة هذا التعليم التدبيري لا تعرفها الَّا فرقةٌ من النَّاس ويجهلها السواد الاعظم. واقرب شاهد على صدق مقالي هو تباغض الغني والفقير. وتحاقد الشعب الكبير والصغير. حتى قلَّ من لا يعتقد ان محبة الوطن متوقفةٌ على كره القوم المجاور وتمنّي الشرّ لهُ

فقد تحتم اذاً على ذمَّة من فُوّض اليهِ امر تثقيف العقول بثّ هذه الحقيقة التعليميَّة وترسيخها في الاذهان. وكفى بذلك ترغيباً للاستنارة بشمس علم التدبير السياسي. لنُكفَى شرّ ضلال الضالين القاسي. وبالله رجائي ومنهُ التآسي

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

بلاد البترون

٢٦ قلعة الحصن

اذا ملتَ عن الساحل سائرًا من البترون لتتوغَّل في لبنان من جهة دوما رأيتَ بعد قليل صخرة عالية مكشوفة للنظر كانها السارية المنحوتة نحتًا عموديًّا وفوقها قلعةٌ قديمة الآثار تدعى قلعة الحصن موقعهـا بين دير الموارنة المعروف بدير مار يعقوب وقرية بشعلي(١). ومن رقي فوق هذا المرقب تمتَّع بمنظر غاية في البهجة والرونق فان العين تبصر غربًا البحر وسواحلهُ وترى شرقًا القرى الممتدَّة الى جهات ارز لبنان. امَّا جهتا الشمال والجنوب فلا حاجز يحول دون مرأى سهولهما. وليس لهذا المقام مجاز آخر الَّا من جهة بشعلي وهي الجهة التي عُني القدماء بتحصينها لتكون القلعة حريزةً منيعة لا يقوى على فتحها العدوّ من كل انحائها

امَّا القلعة فان بقاياها ليست من العظمة والبهاء على شيء بخلاف ما يظن المسافر اذا ابصرها عن بعد. فانَّ موادَّها واخربتها لا تختلف عن غيرها ولا تنبئ بما اعتادهُ الفينيقيون والرومان من الابنية الجبَّاريَّة. وعندنا انَّ هذه الاطلال صرحٌ بُني في الاجيال المتوسّطة فوق جدرانٍ اقدم عهدًا بقي منها بعض آثارها

وممَّا يرى داخل هذا القصر آثار بيوت كان يسكنها السكَّن سابقًا. وفي اسفل القلعة نواويس عديدة ومدافن نُحتت في الصخر الاصمّ وجد فيها الاهلون نقودًا ومصكوكات نادرة

ومن غريب ما شاهدناهُ في اعلى هذه القلعة حجر كبير وسطهُ مثقوب وهو منفصل عن الصخر الذي تحتهُ وفيهِ جدول للماء لا تظهر وجهة جريهِ. وقد اعملتُ الفكر لأعرف ما الغاية من نَصب هذا الحجر فلم يثبت لي الامر

وان استطلعنا طلع التاريخ لنستدل على اخبار قلعة الحصن وجدناهُ ساكتًا لا يفيدنا

١) راجع مقالتنا المعنونة «سياحة في بلاد البترون» المشرق ٢: ٨٧٩

عن احوالهِ فتيلاً. لكن موقع هذا البناء يناسب ايَّ مناسبة للاعمال الحربيَّة كيف لا وهو يطلّ على قسم من اخصب معاطف لبنان فلا يبعد ان القدماء اتخذوا هذا المقام للدفاع عن مواطنهم. ولعلهُ كان هنا قلعةٌ قديمة ابتناها الفينيقيُّون فاخربها بمپيُّوس القائد الروماني عند فتح بلاد الشام كما ذُكر آنفاً

اما « بشعلي » التي هي بقرب قلعة الحصن فلا نزيد في وصفها شيئاً على ما كتبناهُ سابقاً في المشرق في مقالتنا المعنونة « سياحة في بلاد البترون» (٢ : ٨٧٠). وفي بشعلي رأس عمود على اربع جهاتهِ كتابة يونانيَّة خشنة ذهب اكثرها فلم يبقَ منها سوى بعض حروف لا يظهر لها معنى شافٍ (١. وانَّما وجودها هناك دليــل على انَّ القرية سبقت عهد العرب. وقد جاء ذكر بشعلي في آثار الصليبيين وهم يدعونها « Betzaal » وكانت داخلة في حكم امير جبيل (٢

وممَّا رأينا في « ترتج » عند زاوية كنيستها صفيحــة من الحجارة طولها مترٌ ونصف وعرضها سبعون سنتيمترًا وهي داخلة في الحائط عليهــا صورة ناتئة تمثِّل حيوانًا تهشَّم رأسهُ ولم يبقَ سوى ذنبهِ الذيَّال فلم نتثبَّتهُ ايَّ حيوان هو

٢٥ دوما

لا نرى داعياً لتكرار ما كتبناهُ سابقًا عن حسن موقع هذه البلدة وعظم شأنها حاليًا (راجع المشرق ٢ : ٨٦٩)

امَّا عاديَّات دوما فهي نواويس ومدافن قديمة ثم كتابتان يونانيَّتان الواحدة منهما محفورة في الناووس الذي قرب عين القرية وهو اليوم حوض ماء يُستقى منهُ ففي وسطهِ دائرة كان فيها نقشٌ اخنى عليهِ الزمان. والكتابة المعلَّقة عليهِ كثيرة الغلط كانَّ النقَّاش الذي نحتها لم يدرك معناها ولم يُحسن إنقلها بل ترك منها الفاظًا فصار معناها مُغلقًا. فاذا تداركنا هذا الخلل واصلحنــا ما يجب اصلاحهُ وجدنا انَّ تاريخ الكتابة سنة ٣١٧ للمسيح يُستفاد منها انَّ هناك دُفن كاستور وكان كاهنًا وثنيًّا لإله الطب اسكولاب وإلهة الصحَّة (Υγιεία). وفي آخر الكتابة تهديد لمن ينهكون حرمة هذا المدفن فان فعلوا وجب عليهم اداء ٢٠٠٠٠٠ دينار لبيت المال

١) ولعلَّ هذه الكتابة من الاثار التي لم يجدها رينان بعد ان بحث عنها في بشعلي كما اخبر بذلك في كتاب بعثتهِ الى فينيقية (ص ٣٥٧)

٢) راجع المجلة الفلسطينية (ZDPV) الجزء العاشر ص ٢٥٦

فهذه الكتابة اليونانيَّة من احدث ما نعرف من آثار الوثنيَّة في لبنان. امَّا ما جاء فيها من الوعيد ضدَّ ناقضي حرمة القبور فمثلهُ كثير في الكتابات الضريحيَّة القديمة (١. وليس المبلغ المذكور في الكتابة هو من المبالغ الفاحشة لانَّ الدينار كان وقتئذٍ قليل الثمن. وهذه الكتابة مهمَّة لتاريخ دوما القديم لانَّ منها يُستفاد انَّ هذه البلدة كانت اقامت هيكلًا معتبرًا لإلٰهي الصحَّة وانَّ سدنة الهيكل كانوا من الذوات كما يظهر ذلك من الناووس الذي دُفن فيه هذا الكاهن. وهو جميل حسن النقش. ولعمري قد اصاب الاقدمون لمَّا جعلوا هذه القرية مقاماً لمعبد الصحَّة لانَّ علوَّها نحو ١١٠٠ متر فوق سطح البحر وهواءها الطيّب ومناظرها البهجة المطلَّة على سهول كفر حلدا الخصبة توافق الصحَّة وتنعش القوى

امَّا الكتابة الثانية فهي على حجر داخل في جدار كنيسة الروم الاورثدكس (المشرق ٢ : ٨٧٠) وقد اخذت رسمها بعد افراغ الجهد الجهيد الَّا ان هذه الكتابة مطموسة لا يُفهم منها سوى كونها ضريحًا لعدَّة اشخاص ذهبت اسماؤُهم الَّا واحدًا منهم. وقد درس ايضًا تاريخ الكتابة فلم يَعُدْ لها شأن كبير

ومن قرى بلاد البترون التي تشتمل على بعض الآثار قرية «بقسميَّة». فانَّا نقدّر انها كانت مزدانة بهيكل وثني في سالف الاعصار والكنيسة الحاليَّة مبنيَّة بموادّ ذلك البناء فترى حجارتها كبيرة حسنة النحت. وابواب الكنيسة اكثرها من ذلك المعبد القديم لها العتبات المنقوشة وجوانبها قطعة واحد. وان دخلت الكنيسة وجدتَ آثارًا غير السابقة كالنقوش المحطَّمة المعترضة في وسط البناء. ولو بحث الاهلون او نزعوا هذه البقايا لوجدوا بلا شك كتابات قديمة ترشدنا الى تاريخ القرية بيد اننا حتى الان لم نسمع بذكر شيء من ذلك اللهمَّ الَّا عتبة معبد السيدة الملاصق للكنيسة فانها تُبرز للعيان بقايا كتابة لم يمكنَّا قراءتها

وبقسميَّة من القرى التي احتلها الروم الملكيون زمنًا طويلًا كما سنبيّن ذلك في مقالتنا الآتية عن دير مار يوحنَّا مارون. والروم لم يسكنوا فقط جهات الكورة حيث كان عددهم وافرًا بل احتلوا ايضًا قسمًا من بلاد البترون التي تُعدُّ كمهد الامَّة المارونيَّة. ولنا في كلّ ذلك تفاصيل نعرضها ان شاء الله عند سنوح الفرصة (ستأتي البقيَّة)

١) راجع Reinach : *Manuel d'épigraphie grecque*, p. 429

رسالة ابي نصر الفارابيّ في السياسة

تولّى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

أشرنا في المشرق (٢:٢٨) الى مجموعة قديمة حسنة تحتوي على عدّة رسائل فلسفيّة وادبيّة نصوصها في مكتبتنا الشرقيّة ونقلنا عنها كتاب مكارم الاخلاق للامام ابي منصور الثعالبي. ومن جملة ما يتضمّنهُ المجموع المذكور رسالة لابي نصر الفارابي في السياسة لا ينيف عدد صفحاتها على ١٣ صفحة. وهي من ابدع ما جاء في باب الحكم والآداب آثرنا نقلها لمنفعة القراء. وقد وجدنا من هذه الرسالة نسخة ثانية في المكتبة الواتيكانيّة فقابلنا بينها لضبط الاصل وتدوين الرواية الصحيحة. ولا حاجة ان نصف هنا مقام ابي نصر الفارابي صاحب هذه الرسالة فانّهُ قد جارى في العلوم اعظم فلاسفة العرب كابن سينا وابن رشد ولعلّهُ فاق عليهما باشياء كثيرة. ومن اراد الوقوف على فضل هذا الرجل العظيم الذي شرّف العلوم بتآليفهِ الفلسفيّة والطبيّة والفنيّة (لاسيما الموسيقى) فليراجع كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (٢:١٣٤ - ١٤٠) كانت وفاة الفارابي في دمشق سنة ٣٣٩ (٩٥١م). وكتبهُ نادرة اخذت كثيرًا منها ايدي الضياع. وهذه الرسالة في السياسة لم نجد لها ذكرًا في قائمة كتب الفارابي وهي مختلفة عن رسالة اخرى لهُ وسمها بالسياسة المدنية يوجد منها نسخٌ عديدة في المكاتب الاوربيّة



(44 وما توفيقي الّا بالله

قصدنا في هذا القول ذكرُ قوانين سياسيّة يعمّ نفعها جميع من استعملها من طبقات الناس في متصرّفاتهِ مع كلّ طائفة من اهل طبقتهِ ومَن فوقهُ ومن دونهُ على سبيل الايجاز والاختصار. على انّهُ لا يخلو قولنا هذا من ذكر ما تختصّ باستعمالهِ طائفة دون طائفة وواحدٍ دون واحد منهم في وقتٍ دون وقت ومع قوم دون قوم اذ الواحد من الناس لا يمكنهُ ان يستعمل في كلّ وقت مع كلّ احد كل ضرب من ضروب السياسات. ونقدّم لذلك مقدّمات منها ان نقول (١:

١) هذه الفاتحة ليست في النسخة الواتيكانيّة. وانما جاء فيها فقط ما نصّهُ: كلام ابي نصر الفارابي في وصايا يعمّ نفعها جميع من استعملها من طبقات الناس قال...

انَّ كل واحد من النـاس متى ما رجع الى نفسهِ وتأمل احوالها وأحوال غيره من ابناء الناس وجد نفسهُ في رتبة يشركهُ فيها طائفةٌ منهم ووجد فوق رتبتهِ طائفةً منهم أعلى منزلةً منهُ بجهة او جهات ووجد دونها طائفةً هم اوضع منهُ بجهةٍ او جهات. لانَّ الملك الاعظم وان وجد نفسهُ في محلّ لا يرى لاحد من (45ª) النـاس في زمانهِ منزلةً اعلى من منزلتهِ. فانهُ متى تأمل حالهُ نعماً وجد فيهم من يفضل عليهِ بنوع من الفضيلة اذ ليس في اجزاء العالم ما هو كامل من جميع الجهات. وكذلك الوضيع الخامل الذكر يجد من هو دونهُ بنوع من الضعة فقد صحَّ ما وصفناهُ. وينتفع المرء باستعمال السياسات مع هؤلاء الطبقات الثلاث. امَّا مع الارفعين فلينال مرتبتهم واماً مع الأكفاء فليفضلَ عليهم. واماً مع الاوضعين فلئلا ينحطَّ الى رتبتهم

ونقول ايضاً انَّ انفع الامور التي يسلكها المرء في استجلاب علم السياسة وغيره من العلوم ان يتأمل احوال الناس واعمالهم ومتصرَّفاتهم ما شهدها وما غاب عنها ممَّا سمعهُ (١ وتناهى اليهِ منها وان يُمعن النظر فيها ويميّز بين محاسنها ومساوئها وبين النافع والضارّ لهم منها ثمَّ ليجتهد في التمسُّك بمحاسنهـا لينال من منافعها مثل ما نالوا وفي التحرُّز والاجتناب من مساوئها ليأمن من مضارّها ويسلم من غوائلها مثل ما سلموا

ونقول ايضاً انَّ لكل شخص من اشخاص الناس قوَّتين احداهما ناطقة(٢ والاخرى بهيميَّة ولكلّ واحدةٍ منهما [ارادة واختيار وهو كالواقف فيما بينهما. ولكلّ واحدةٍ منهما (٣] نزاع غالب. فنزاع القوَّة البهيميَّة نحو مصادفـة اللذات العاجلة الشهوانيَّة مثل انواع الغذاء وانواع الاستفراغات وأنواع الاستراحات. ونزاع القوَّة النطقيَّة نحو الامور المحمودة العواقب (٤ مثل أنواع العلوم وأنواع الافعـال التي تجدي العواقب المحمودة

فاول ما ينشأ الانسان في حيّز البهائم الى ان يتولّد فيهِ العقل اولًا فاولًا وتقوى فيهِ القوَّة الناطقة. فالقوَّة البهيميَّة اذن أغلب عليهِ وكل ما كان اقوى وأغلب فالحاجة الى اخمادهِ وتوهينهِ واخذ الأهبة والاستعداد لهُ اشدُّ وألزم. فواجب على كل من يروم نيل

١) وفي النسخة الواتيكانيَّة: « ما يُشاهد وما غاب مماَّ سمعهُ »

٢) وفي نسخة الواتيكان: « عاقلة »

٣) قد اسقط الناسخ ما وضعناهُ بين قوسين نقلًا عن النسخة الواتيكانيَّة

٤) وفي النسخة الواتيكانيَّة: « نحو العواقب المحمودة »

الفضائل ان لا يتغافل عن تيقيظ نفسهِ في كل وقت وتحريضها على ما هو اصلح لهُ وأن لا يهملها ساعةً فانهُ متى ما اهملها وهي حيَّة والحيّ متحرّك لا بُدَّ من ان تتحرَّك نحو الطرف الآخر الذي هو البهيمي واذا تحرَّكت نحوهُ تشبَّثت ببعض منهُ حتى اذا أراد ردَّها عمَّا تحركت اليهِ لحقهُ من النصَب اضعاف ما كان يلحقهُ لو لم يهملها ويعطِّل وقتهُ الذي كان ينبغي ان (45[٧]) يحصل فيهِ فضيلةً لاشتغالهِ بالاحتيال لردّها عمَّا تحركت نحوهُ وفاتتهُ تلك الفضيلة

ونقول ايضاً انَّ المرء لا يخلو في جميع متصرفاتهِ من ان يلقى امرًا محمودًا او امرًا مذمومًا ولهُ في كل واحد من الامرَين فائدة ان استفادها ويجد في كلّ واحد منهما نفعاً يمكنهُ جذبهُ الى نفسهِ ويصادف في كل واحد منهما موضع رياضةٍ لنفسهِ وهو انهُ يحتال للتمسك بذلك الامر المحمود الذي يلقاهُ ان وجد السبيل الى التمسُّك بهِ او يتشبَّه بالتمسُّك بهِ بقدر طاقتهِ ان اعوزهُ ذلك او يُحسن ذلك الامر عند نفسهِ وينبهها على فضلهِ (١ ويوجب عليها التمسُّك بهِ متى ما وجد الفرصة لذلك وهو لا شكَّ واحدُ السبيل(٢ الى هذه الثلاث. واذا تلقَّاهُ الامر المذموم فليجتهد في التحرُّز منهُ والاجتناب عنهُ وان لم يجد الى ذلك سبيلًا وهو واقع فيهِ فليبالغ في نَفيهِ عن نفسهِ بغاية ما امكنهُ وان لم يمكنهُ التبرُّؤ منهُ فليعزم على نفسهِ انهُ اذا تيسَّر لهُ الخلاص منهُ لا يعود الى اشباههِ. وليُقبِّح الى نفسهِ دواعي ذلك الامر ولينبِّهها على الاعتبار بمن نالهم مضارُّ مثلها. فقد ظهر انَّ المرء يصادف في جميع احوالهِ دِقّها وجلِّها خيرِها وشرِّها موضع الرياضة لنفسهِ

ونقول ايضاً انَّ اوَّل ما ينبغي ان يبتدئ بهِ المرء هو ان يعلم انَّ لهذا العالم واجزائهِ صانعاً بأن يتأمَّل الموجودات كلها هل يجد لكل واحد منها سبباً وعلَّةً ام لا . فانهُ يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً عنهُ وُجد. ثمَّ ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها اسباب ايضاً ام ليست لها اسباب. فانهُ يجد لها ايضاً اسباباً. ثمَّ يتأمَّل وينظر هل الاسباب ذاهبة الى ما لا نهاية [لهُ ام هي واقفة عند نهايةٍ ام بعض الموجودات اسباب البعض على سبيل الدور . فانهُ يجد القول بانها ذاهبة الى غير

١) ويروى: على فضيلتهِ ٢) ويروى: اجَدُّ السبيل

نهاية (١] محالًا ومضطربًا لانهُ لا يحيط العلم بما لا نهاية لهُ. ويجد القول بان بعضها سببٌ للبعض على التعاقب محالًا ايضاً لانهُ يلزم من ذلك ان يكون الشيء سبباً لنفسهِ كما انهُ لو كان الألِف سبباً للباء والباء سبباً للجيم والجيم سبباً للدال لكان الالف سبباً لنفسهِ وهذا محال. فبقي ان تكون الاسباب متناهية. واقلّ ما يتناهى اليهِ الكثير هو الواحد فسبب الاسباب موجود وهو واحد (46ᵇ). ولا يجوز ان يكون ذات السبب وذات المسبَّب واحدًا فسبب اسباب العالم منفردٌ بذاتهِ عمَّا دونهُ

ولمَّا لم يقدر الانسان على معرفة شيء سوى ما شاهدهُ بحواسّهِ وفهمهُ بعقلهِ ممَّا (٢ شاهدهُ لم يجد بدًّا من وصف الباريء الذي هو سبب الاسباب والعبارة عنهُ بما وجد السبيل اليهِ من الالفاظ والاوصاف فلمَّا اراد العبارة عنهُ والوصف لهُ وعلم انهُ لا يلحقهُ شيء من جميع الاوصاف التي شاهدها وعلمها لتفرُّدهِ بذاتـهِ ولانهُ متنزّهٌ عن كل ما أحسَّـهُ وعرفهُ لم يجد طريقًا احسن من ان ينظر في الموجودات التي لديهِ فاذا تأمَّلها وجدها صنفين فاضلًا وخسيساً ووجد الأليق والاجدر بسبب الاسباب الواحد الحقّ ان يُطلق عليهِ من كل الصنفين افضلهما. مثل انهُ رأى الموجود والمعدوم وعلم ان الموجود افضل من المعدوم فأطلق القول عليهِ وقال: انَّهُ موجود. ورأى الحيّ وغير الحيّ وعلم انَّ الحيَّ افضل من غير الحيّ فاطلق القول عليهِ وقال: انهُ حيّ. ورأى العليم وغير العليم فاضاف اليهِ العلم. وكذلك جميع الاوصاف. على انَّ الواجب على كلّ من يصف الباريءَ بصفةٍ ما ان يخطر ببالهِ مع تلك الصفة انهُ بذاتهِ متنزّهٌ عن ان يُشبه تلك الصفة بل هو أفضل واشرف واعلى وانَّهُ لا يتهيَّأُ لاحد إحاطة العلم بهِ كما هو [مستحقٌ لهُ]

ثم انَّهُ اذا علم هذا الذي وصفنـاهُ فينبغي ان يتأمل اجزاء العالم كلّها فانهُ يجد افضلها ما هو ذو نفس ويجد افضل ذوي الانفس الذي لهُ الاختيار والارادة والحركة [التي عن رويَّةٍ] وافضل ذوي الارادة والحركة [عن الرويَّة] الذي لهُ التمييز والفكر والنظر البليغ في العواقب وهو الانسان [الفاضل]. وان يعلم مع ذلك ان الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلًا فكيف مبدع الطبيعة والباريءُ تعالى حيث هو وهب الاختيار والفكر والرويَّة للبريَّة لم يكن ينبغي ان يهمل امرها. وكان من الواجب في عدلهِ وصنعهِ المتقن

١) سقط ما وضعناهُ بين معكَّفين من الاصل فأعدناهُ اليهِ نقلًا عن النسخة الواتيكانية

٢) ويروى: عمَّا

ان ينهج لها منهجاً يسلكونهُ ولمَّا كان ذلك واجباً (١ لم يكن ينبغي ان يُرسل اليها من ليس من طبعها (٢ لانهم لم يكونوا يقدرون على الاستفهام ممن هو من غير طبعهم فظاهر انَّ في الناس وفي عقولهم وقوى نفسهم تفاضلًا بيّناً حتى انَّ الواحد منهم يفوق (46v) بالفن الواحد جميع ذوي جنسهِ ويعجز الباقون عنـهُ فممكن اذن ان يكون من الناس من يقوى على ان يوحى الى قلبهِ بما يعجز ذوو جنسهِ عن مثلهِ (٣ حتى يقوم ذلك الواحد بتبليغ ما يُلقى اليهِ ويقدر بتلك القوة وذلك الإفهام على تشريع الأحكام ونهج السُّبُل الداعية الى صلاح الخلق

ثمَّ ينبغي ان تعلم أنّهُ اذا ظهر مثل هذا الوجه وتبيَّن امرهُ (٤ فالواجب على كلّ ذي تمييز اتباعهُ وان تعلم ان لكلّ واحد من الناس تمييزًا ومعرفـةً فمتى وجد الافهام الكثيرة والآراء المختلفة مجتمعةً على كلمة واحدة ولم يُجد ما هو اظهر منهُ (٥ وأكشف واقوى فليتَّبع الكثير فانَّ الحقَّ معهم والسلامـة ابدًا مع الكثير. وينبغي ان لا تغرّهُ الواقعات في الندرة وفي الآراء المزخرفة فان اكثرها اباطيل اذا تأمّلها نعماً

ثمَّ ينبغي ان يعلم انَّ المكافأة واجبة في الطبيعة وانها انَّما تجب في الاعمال المقرونة بالنيَّات. والدليل على ذلك انَّ المرء لا يُجازى على ما يعملهُ في نومـهِ ولا على ما ليس من ارادتهِ واختيارهِ مثل سُعالهِ وعطاسهِ وحياتهِ وموتهِ وتنفُّسهِ واغتذائهِ واستفراغهِ [وان كان فيهـا بعض الارادة (٦]. ولا يجازى ايضاً على نيّاتهِ المجرَّدة. واول ما ينبغي ان يستدلَّ بهِ المرء على وجوب المكافأة هو انهُ متى ما اعتقد ما تقدَّم ذكرهُ من معرفـة الباري ووحدانيّتهِ وتنزّهِ عن صفات المخلوقين ومعرفة رسولهِ في ايّ زمان كان وانتهج

١) وروى: كان ذلك بالواجب ٢) يمكنهُ تعالى ان يبلّغ اوامرهُ للبشر توًّا دون وسيط او رسول لكنهُ عزَّ وجلَّ يختار عادةً من يتوسَّط بينهُ وبينهم (راجع رسالة القديس بولس الى العبرانيين الفصل الخامس) ٣) وزد على ذلك ان الله اذا اختار لهُ رسولاً لتبليغ ارادتهِ للبشر يحمّلهُ بالصفات التي تؤهّلهُ لهذه الدعوة

٤) يتبيَّن امر الرسول المرسل من الله بالمعجزات الصادقة التي يصنعها

٥) قولهُ « ولم يجد ما هو اظهر منهُ » يدل على انَّ المرء في معرفة الرسول الصادق لا يكفيهِ اتباع العدد الاوفر بل ينبغي لهُ ايضاً ان يستعين مع ذلك بقواهُ العقليَّـة ليرى صحّـة الرسالة ويميزها عن الرسالة المدَّعاة

٦) سقط من نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية

النهج المستقيم وجد في صدرهِ سعةً وفي احوالهِ استقامـــة وعن الاشرار سلامةً وعند الاختيار حظوةً وفي معاشهِ سداداً مقدارَ ما يفعلهُ وينويهِ منهُ. واذا تيقَّن ذلك فينبغي ان يُقدم على سياسة الاحوال بقلب قويّ ونيَّة صادقة وصدر واسع وثقة بان ما يأتيهِ من ذلك وان قلَّ يجدي عليهِ نفعاً بجلّ (الباقي للآتي)

اديرة مصر الاولى للقديس باخوميوس

للباحث المدقّق الاب ميشال جوليان اليسوعي (تتمَّةً لما سبق)

٣ دير تابنَّة

في وصفنا السابق لدير فاو بيَّنَّا ما صار اليهِ ذلك المقـام من الشهرة بكثرة رهبانهِ وعجيب ترتيبهِ الّا انَّ هذا الدير كان سبقهُ دير آخر يعدُّهُ المؤرخون كمهد العيشة الرهبانيَّة على طريقة القديس باخوميوس ألا وهو دير تابنَّـة المدعو بالقبطيَّة تابنّيسي ومعناها «نخيل الإلهة ايسيس» وهاك بالاختصار خبر هذا الدير كما ورد في ترجمتيهِ القديمتين

بينما كان باخوميوس متنسكاً تحت نظارة الشيخ الجليل القديس پاليمون اذ أَلهمهُ الله في ذات يوم ان يخرج الى البرّيَّة كمألوف عادتهِ فهام على وجههِ سائراً بين الادغال والاشواك حتى قطع عشرة اميال (١ فوصل الى تابنَّة حيث جثا راكعاً وصلَّى الى الله ملتمساً منهُ ان يكشف لهُ ارادتهُ تعالى عزَّ وجلَّ. وبقي مستحرّاً بالصلاة ساعات طوالاً حتى اتاهُ صوت من السماء يكرّر على مسامعهِ هـذه الاقوال: «جاهد الجهاد الطيّب وامكث في هذا المكان وابنِ لك قلايةً فيأتيك جمٌّ غفـير من النسَّاك يتتلمذون لك ويسلكون تحت قيادتك طريق الكمال»

فلمَّا علم پاليمون برؤيا تلميذهِ هلَّت الدموع من عينيهِ مليًّا ثمَّ صرخ: «بُنيَّ أَلعلَّك تتركني في شيخوختي بعد سبع سنوات قضيتَها تحت طاعتي. ولكن فلتتمَّ مشيئة الرب على الدوام. فاذهب الى حيث يدعوك الله ولا اطلب منك سوى نعمة واحدة وهي ان

١) وفي الترجمة الافرنسيَّة التي نشرها المسيو أَملينو« سار ميلًا » وهو غلط لا يوافق النصَّ القبطي

تزورني مرةً في السنة وانا كذلك افتقدك مرةً كل عام الى ان يدعوني الله اليهِ. فهلمَّ بنا الان نذهب الى تابنَّة ونبتني لك فيها منزلًا»

فتحفَّز باخوميوس للعمل وشمَّر عن ساعد الجدّ وباشر بنــاء ديرٍ كافٍ لعدد غفير من الرهبان. وكان لهُ اخ يُدعى يوحنَّا يعينهُ في شغلهِ الَّا انهُ كان يتعرَّض لهُ مرارًا في سعة البنــاء وعظمتهِ ولا يرى داعيًا لمسكن رحب كهذا. غير ان رجل الله لم يُصغِ الى مقالهِ وانجز عملهُ كما عزم عليهِ سابقًا. ونعمَ ما فعل لانَّ طالبي الكمال تقاطروا اليهِ من كلّ فجّ وأوب حتى ضاق بهم المكان مع رحبــهِ وذلك ما حملهُ على تشييد دير فاو السابق ذكرهُ. ولعلَّ ضفَّة النيــل لم تسمح للقديس بتوسيع نطاق هذا الدير كما كان يرغب او تكون المياه طغت على حدودهِ فانهار منها قسمٌ وجرفها السيل

ولَشدَّ ما كنَّا نروم ان نستكشف عن آثار هذا الدير الذي طلبهُ قبلنا في القرن الثامن عشر السائح الشهير والمرسل اليسوعيّ الغيور الاب سيكار (Sicard) لكنهُ لم يجد سوى اخربة دير فاو المنوَّه بهِ فظنَّهُ دير تابنَّة (١. ولئلا يطيش سهمُنا اخذنا نطالع تراجم القديس باخوميوس لنستفيد منها الاعلامات التي من شأنها ان تعرّفنا موقع دير تابنَّة. فمن الاوصاف السابقة علمنا انَّ هــذا الدير كان على ضفَّة النيل الشرقيَّة كقام باليمون في شِنِسيت على مسافة عشرة اميال منهُ جنوبًا (٢ اعني بصعود النهر الذي كان القدماء يتوهَّمون جريهُ في كل مسيــلهِ من الجنوب الى الشمال. ونعرف ايضًا انهُ كان جنوبي دير فاو (٣ ليس بعيدًا منهُ لان في تابنَّة كان رهبان فاو يخبزون خبزهم (٤ وكان الانبا تاودوروس رئيس تابنة بعد نهاية شغل الدير يسير كلّ يوم الى فاو ليواجه القديس باخوميوس ويسمع ارشاداتهِ فيعود ويكرّرها على رهبان فاو (٥. فكل هذا يدلّ على انَّ تابنة كانت قريبة من دير فاو

فسِرنا من قصر الصيَّاد مستندين الى هذه التعريفات ومشينا ساعةً حتى بلغنا مركز هذه الايالة وهي بلدة دكنا البعيدة عن قنا ٢١ كيلومترًا ونحن لا نشك انَّ دير تابنة في جوار دكنا. فبحثنا عن الامر وتحفَّينا في السؤال لدى كهنة البلدة واعيانهــا فكان

١) راجع مجموع رسائل المرسلين Lettres édifiantes, *anc. édit.*, III, 41

٢) ترجمة القديس باخوميوس القبطيَّة (ص ٢٦) ٣) الصفحة ٧٠ منها

٤) الصفحة ٤٤٦ من الترجمة العربيَّة ٥) السيرة القبطيَّة (ص ١٠٤)

جوابهم انهم لم يسمعوا شيئاً عن دير تابنة وانما وجدوا غير مرةٍ في طرف قريتهم آثارًا مسيحيَّة قديمة كصلبان ورموز دينيَّة اذ كانوا يحاولون حفر الاساس لتشييد ابنية جديدة

فاسرعنا الى المحلّ المذكور فاذا هو مكان مرتفع مشرف على النيل فاستدللنا من علوّ حضيضهِ على قِدَمهِ لأنهُ معلوم انَّ المصريَّ كان اذا أراد البنـاء يكتفي بتسوية الارض وتوطئتها ثم يبني من فوقها دون حفر فينتج من ذلك انَّ ارض البناء ترتفع مع توالي الزمان. وكانت مياه النيل قد صدمت هذه الربوة وجوفت منها قسماً ومدَّت تحتها وطاءً من الرمل

واوَّل ما استلفت خاطرنا عنـد تسريح البصر في هذا المقام قِطعٌ كبيرة من بقايا ابنية قديمة رأيناها على ضفَّـة النهر ثمَّ فوق هذه الآثار طبقات متعدّدة من الاطلال المردومة منها أُسس وحنايا وقنيّ وبيوت خربة ترى بعض جدرانها ماثلةً من علٍ فوق القرية الحالية. ثم اقتربنا من النهر الذي نضبت مياههُ في هـذه السنة دون السنين الباقية فرأينا في قعرهِ مساند أبوابٍ ضخمة وركناً لعمود مع الاكليل الذي يُجعل فوقهُ وهو على شكل مخروط نُقش على جوانبهِ اوراق بسيطة. فكنا نودّ ان نحفر في وسط هذه الاخربة ليزيد علمنا بهذه المآثر القديمة لولا ان ذلك يقتضي نفقات بليغة وهدم بعض الابنية الحاليَّة

بيد انَّ هذه المظاهر البنائيَّة ايدت ظنَّنا في انَّ دكنا المذكورة وتابنَّة القديمة بلد واحد وانَّ بقايا دير القديس باخوميوس هي في وسط الاطلال ومن المحتمل انَّ النهر قد طما فوقها وزحف بها في سيلهِ الجراف. وفي الترجمـة العربيَّة تدعى تابنَّة باسم دوناسا وهو اشبه باسمها الحالي

وقد زعم البعض استنادًا الى قول (١ سوزومانس المؤرخ انَّ تابنَّة المذكورة جزيرة (ἐν Ταβέννῃ νήσῳ) لكنَّ في هذه الالفاظ تحريفاً والصواب (ἐν Ταβεννήσῳ)

ولئلا يبقى ادنى رَيب في امر تابنَّة وان موقعهـا في دكنا ليس في غيرها تجشَّمنا السياحة في السهل وعلى ضفَّة النيل جنوبي فاو لعلنا نجد محلاً آخر يحتوي على آثار قديمة. واتخذنا دليلًا الخواجا صليب عَلَم من سماتة وهو يملك على قسم كبير من هذه الاملاك وكان معنا شيخ الغفراء فطفنا كلّ الامكنة المجاورة على مسافة ساعتين وثلاث دون

١) راجع التاريخ الكنسيّ لتيلمون الجزء الثامن (ص ١٧٥ و ٦٧٨)

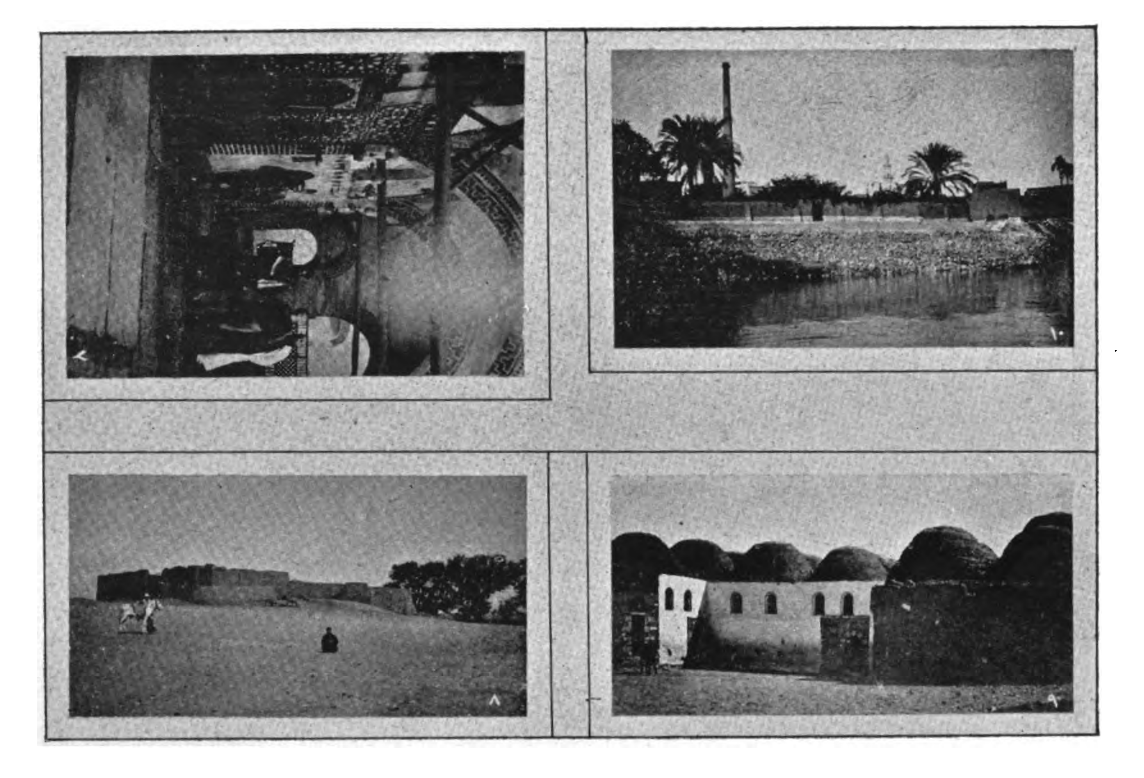
ان نجد اثرًا قديمًا ايًا كان او خربة تنبئ بوجود بلدٍ هناك في سالف الاعصار لكننا اجتمعنا في القرى التي دخلناها بنصارى الاقباط وسُررنا بما شهدنا فيهم من التقى وروح التديُّن. مثال ذلك انَّ نصارى دكنا مع كونهم عُشر سكَّان البلدة كانوا ابتنوا حديثًا كنيسة كبيرة محكمة البنيان من مالهم الخاصّ فوجدناهم لمَّا نزلنا عندهم ساعين في نقشها. ورأينا في العزَب وهي قرية تبعـد عن دكنا نحو ساعتين في السهل قومًا من النصارى متحمسين في الدين ولهم كنيسة جميلة قديمة يزعمون انَّ عهدها يرتقي الى ألفَي سنة وهم يعظّمونها ايَّ تعظيم

وكنتُ زرت سابقًا مع كاهن الاقباط الكاثوليك في فرشوط قصرَ الصيَّاد وفاو وبتنا عند اهلهما فأُعجبتُ ممَّا عاينتُ عند هؤلاء النصارى البسطاء من اللطف والانس والرغبة العظمى في معرفة حقائق الخلاص. وليس لنصارى فاو بيعة يقيمون فيها رتبهم الدينيَّة وهم يذهبون الى دكنا لحضور الذبيحة وعددهم بين ٥٠٠ و ٦٠٠ نسمة

(دير العذارى) ممَّا سُطر في ترجمة القديس باخوميوس (١ انَّ اختـهُ مريم اتتهُ زائرةً في احدى السنين وهو متنسِك في تابنَّة. لكن القديس اذ لم يرضَ بمواجهة النساء ارسل اليهـا البوَّاب يبلّغها ان: « لا يسؤكِ يا أُخَيَّتي ألّا تشاهدي وجهي وكفاكِ ان تعرفي اني حيٌّ سالم. وهيَّا انظري يا أُخيَّة لعـلَّ الله يدعوكِ الى الزهد بالعالم والعيشة النسكيَّة. فان رضيتِ بذلك ارسلتُ بعضًا من رهباني يبنون لك ديرًا بعيدًا من هنا ». فاذرفت مريم اختهُ الدموع لدى استماعها هذا الكلام ثمَّ لبَّت الى دعوة اخيها. فبنى لها ديرًا في عبر النهر دُعي دير العذارى تواردت اليهِ الفتيات ليتجرَّدن لخدمـة الله وكنَّ يتبعنَ قانون القديس باخوميوس. وكان وليُّ الله جعـل لهنَّ مرشدًا احد رهبانهِ المدعو بطرس وكان شيخًا جليلًا صالحًا. وكان بعض الاخوة يقيمون الرُّتب الدينيَّة في كنيسة الدير ويفلحون اراضيها لكنَّهم كانوا يعودون المساء الى تابنَّة ولم يُسمح لهم ان يأكلوا طعامًا عند الرواهب. امَّا العذارى فكنَّ ينسجن اثواب الرهبان ويَخطنَهـا من الكتان والصوف اللذين يرسلهما لهنَّ الوكيل الاكبر (الايكونوموس)

ولكن ترى اين موقع هذا دير العذارى؟ فبعد البحث والتنقيب وجدنا على ضفة النيل الشماليَّة اسفل من دكنا بنحو خمسة كيلومترات مزرعة لاحقـة بقرية « سالمات »

١) الترجمة اليونانية (ع٣٢) القبطية (ص٣٦) والعربية (ص١٣٨)



٧ كنيسة دير الابيض قرب اخميم ٨ دير القديس ميناس قرب حاو ٩ دير القديس دميانة قرب ابيدوس ١٠ منظر اخميم من النيل

اسمها «تابينة» فرأينا مقامهـــا انسب ما يكون لمقام دير العذارى. ولعلَّ اسمها دليل على ذلك

٤ اديرة طِبْيو وتُوشِنْس واخميم واسنة

(دير طبيو) بعد انتشار العيشة النسكيَّة على يد القديس باخوميوس سمع بذكرِهِ رجلٌ تقيّ اسمهُ بترونيوس كان قد ابتنى لنفسهِ ديرًا يسمَّى طبيو في احد املاك اسرتهِ الشريفة فارسل الى القديس رسالة هذا مضمونهـــا: «فلتشملنا محبتك بنظرها ولتتفضَّل الى حقارتنا لكي نستظلّ نحن ايضاً في حمى هذه العيشة النسكيَّة التي اوحى بها اليك السيد المسيح (١)»

فاجاب القديس باخوميوس الى سؤل بترونيوس ونظم ديرهُ في سلك اديرتـهِ وكان بترونيوس وقف كلّ ارزاقهِ على هذا الدير فتولى امرهُ مدَّة الى ان رأسهُ باخوميوس على دير طسميني بقرب اخميم واقام ابولونيوس مقامهُ في طبيو

واذا بحثنا اليوم عن طبيو وديرها لا نجد لهما من اثر. وغاية ما نعرف عن هذا الدير ان موقعهُ كان في معاملة حاو كأديرة شِنسيت وفاو وتابنة. امَّا حاو فهي المدينة المدعوَّة باليونانيَّة ديوسپوليس الصغرى. وفي ترجمة القديس باخوميوس العربيَّة (ص٥٧٣) تدعى طبيو «الطواوي» ولعلَّ اسم طبيو كان يدل في اول الامر على ارض لا على قرية معلومة. ولكن دعنا نذكر ديرًا آخر وهو دير توشنس فانَّ في وصفهِ ما يرشدنا الى معرفة دير طبيو

(دير توشنس) توشِنس وتدعى مُنشوسيس كانت منسكًا لجماعة من الرهبـــان المتفرّدين فاتفقوا مع رئيسهم يونان ان يدخلوا تحت قانون القديس باخوميوس فكتبوا اليهِ في الامر فاجاب الى ملتمسهم وهي ثالث جماعة من الرهبان انضوت الى رهبانيَّـــة القديس باخوميوس

ولنا في ترجمة وليّ الله ما يبيّن لنا مقام توشنس على التقريب. اخبر صاحب الترجمة القبطيَّة (ص١٢٠) انَّ القديس كان يوماً في دير فاو اذ اتاهُ عنـــد مساء النهار ساعٍ يعلمهُ بان احد رهبانهِ في توشنس على وشك النزاع وهو مع ذلك لم يُصبغ بماء العماد. فسار باخوميوس من ساعتهِ مع تلميذه تاودوروس فمشى نصف ليلتهِ حتى وصل الى توشنس. فلمَّا دخل الدير رأى مَلَكين نزلا من السماء ليعمِّدا الراهب المنازع — ويخبر في الترجمة

١) الترجمة القبطيَّة (ص٨٦)

عينها ان القديس ارسل يوماً آخر تلميذهُ تاودوروس ليتفقَّد امور الاخوة في تموشنس . فسار للحال ولمَّا وصل الى شنسيت انتظر زورقًا يقلُّهُ الى العبر الموازي ويذهب الى جهة الغرب . وبعد ان قطع النهر مشى ايضاً مدَّة قبل ان يدرك تموشنس (الترجمة العربيَّة ص ٥٨٣) — ونستفيد من محلّ آخر (الترجمة القبطيَّة ص ١٢٠) انَّ القديس قضى مرَّة ليله في تموشنس ولمَّا اصبح صلَّى الصلاة القانونيَّة مع رهبانهِ وتقرَّب ثمَّ رحل الى طبيو فزار الاخوة ورجع مسرعاً الى فاو

فيؤخذ من هذه الافادات ان تموشنس تبعد نحو ٢٠ كيلومترًا من فاو او على الاكثر ٣٠ ك وانَّ اقرب طريق بينهما تمرّ بشنسيت ولا بُدَّ من عبور النهر ومواصلة السير مدَّةً قبل البلوغ الى تموشنس . وكذلك يظهر ممَّا سبق انهُ يمكن العود من تموشنس الى فاو على طريق طبيو

فاستنادًا الى ما سبق سرنا من قصر الصيَّاد على مسافة ١٢ كيلومترًا بالتقريب ثمَّ عبرنا النيل فوق قرية « نجع حمادي » فمشينا ثلاثة ارباع الساعة مبتعدين عن النهر حتى ادركنا بهجورا وهي بلدة كبرى فيها كثير من آثار اديرة قديمة . فقدَّرنا ان تموشنس كانت قريباً منها الَّا انَّ الاهلين لا يعرفون شيئاً من امر هذا الدير بل يجهلون اسمهُ تماماً . امَّا الآثار الباقية هناك فاخطرُها شأناً بقايا دير يعرف بدير النصارى وهو اليوم عبارة عن ضيعة صغرى في وسطها كنيسة عتيقة مبنيَّة على اسم القديس پيباپ او پيتاپ وكان راعياً على بهجورا ثم صار اسقفاً على مدينة قبطوس واستشهد على عهد ديوقليسيان (١ . امَّا القديس باخوميوس فليس لهُ من ذكرى هنا

ثمَّ خرجت من بهجورا وسرت الى حو او حاو قرية كبرى على ضفَّة النيل الغربيَّة ومسافتها من دكنا سافلًا منها عشرة كيلومترات وموقعها جميل تقرُّ لهُ العين وهي تشرف على النيل في احدى عطفاتهِ ولذلك قد جرف النهر من تربتها قسمًا صالحًا . وقد عاينت في قعر النهر آثار جامع حسن طغت عليهِ المياه . ولكني لم اجد احدًا يهديني الى ضالَّتي اعني دير طبيو او الطواوي

وانما زرتُ ديرًا باسم القديس ميناس يبعد نحو نصف الساعة من حاو في السهول المنبسطة هناك . وهذا الدير لهُ شهرة في تلك الانحاء . امَّا تاريخهُ فمجهول لم يهدني عنهُ

١) عيدهُ واقع عند الاقباط في ١٠ من شهر ابيب . امَّا ترجمتهُ فكاتبها تاوفيلوس اسقف قبطوس

شيئاً ثلاثة من كهنة الاقباط استعلمت لديهم عن اخباره. وهناك حجارة قديمة منقوشة كانت داخلة في بناء سابق درست آثارهُ. وفتَّشتُ لعلّي اكتشف كتابةً قديمة فلم اظفر بشيء.. وفي جنوبي هذا الدير رمالٌ جعل فيها المسلمون والنصارى مدافنهم

وعندي ان هذا المكان يوافق موقع دير طبيو الذي سبق ذكرهُ وهو على مسافة ست ساعات من تابنَّة وليس بعدهُ من هذا الجانب دير آخر للقديس باخوميوس

(دير اخميم) هلمَّ بنا الان نسير شمالي تابنَّة ونبحث قرب مدينة اخميم عن دير آخر ابتناهُ القديس باخوميوس وهو دير يسمَّى باليونانيَّة «طاله» او «طاسه» وبالقبطية طسي (Tsi) وبالعربيَّة شِدْسينا (١. وهاك ما ورد في التاريخ عنها :

كان اسقف اخميم المدعو آريوس احبَّ ان يقرّب الرهبان من مدينتـه فاعطاهم ارضاً قريبة من سور البلد وعمَّر القديس باخوميوس ديرًا كبيرًا عُرف باسم دير شمين او اشميم وعرَّبهُ العرب بدير اخميم وهي المدينة التي دعاها اليونان بانوپوليس اي مدينـة الإله پان. وقد تكلّف القديس على ابتناء هذا الدير عرق القربة لما وجدهُ في بعض اهل المدينة من المقاومة وكان من جملة هؤلاء قومٌ من المتفلسفـين كانوا يجادلون الرهبان ويعرضون عليهم المشاكل والأحاجيّ ليعرقلوهم ويزدروا بهم فاقام القديس في دير اخميم رجالًا متضلّعين بالعلوم الدينيَّة ليكسروا من زهوهم (٢

ونما عدد الرهبان بقرب اخميم نموًّا عجيباً حتى اضطرَّ القديس باخوميوس الى بناء دير ثالث دعاهُ دير مينة او تيمينة ورأس عليهِ پترونيوس وكان موقع هذا الدير بجوار دير طسي

وزاد على الاديرة الثلاثة ديرًا رابعاً للعذارى المترهّدات اقامهُ قرب تيمينة فازهر بعد قليل حتى اوى اليهِ نحو ٤٠٠ راهبة (٣

---

١) راجع ترجمة القديس باليونانيــة (ع ٥٢) وطرائف باللغة الصعيدية نشرها المسيو اميلينو في مجلَّة البعثة الفرنسويَّة في القاهرة (الجزء ٤ ص ٥٢٥) والترجمة العربية (ص ٥٦٨)

٢) وقد جاء في ترجمة القديس اليونانية (ع ٥١) بعض هذه المشاكل قال : سأل بعضهم الانبا تاودوروس : من هو الانسان الذي مات ولم يولد . قال : آدم . قال : واي انســان وُلد ولم يمُت . قال : احنوخ . قال : واي حيّ مات ولم تفسد جيفتهُ بالنتن . قال : امرأة لوط التي صارت نصب ملح

٣) راجع الترجمة اليونانية (ع ٨٦) وتاريخ پالاديوس (الفصل ٣٩)

فكنَّا نودُّ لو لقينا شيئاً من آثار هذه الاديرة لكنَّنا بعد البحث المدقّق عن دير اخميم وجدنا انَّ دون اكتشاف اخربتهِ خرطَ القتاد وذلك لانَّ صروف الدهر قد ثقلت وطأتها على هذه المدينة فلم تكد تبقي شيئاً من ابنيتها القديمة كهيكل الإله پان وكنيسة الشهداء اللهمَّ الَّا ردماً كثيرًا شماليَّ المدينــة حيث ترى اليوم مقبرة المسلمين. ولعلَّ النيل ساور بسيلهِ ذلك الدير وغطَّاهُ بطينهِ الاسود اللزج كما فعل بهيكل روماني كان مبنيًّا جنوبيّ المدينة لا ترى منهُ اليوم الَّا بعض اركانهِ القديمــة. ويؤيد قولنا ما دوَّنهُ صاحب ترجمة القديس وهو انَّ اسقف اخميم لمَّا دعا رجل الله الى بناء دير في مدينتهِ اتحفهُ بقارب قائلًا: « دونك هذا القارب لانك اليهِ في حاجة ماسَّة » وفي هذا القول دليل على ان البناء كان على ضفَّة النهر فلا عجب اذا زحف بهِ السيل في كرّ الدهور

وكذلك لم يسعدنا الحظ على وجود ديرَي طسي وطسمينه الذين كان موقعهما في أرباض البلد ليس بينهما مسافة كبيرة. ولمَّا بحثنا عنهما لم نجد من سمع بذكرهما او عرف اسماءهما المختلفة. وانَّما يوجد على بُعد ساعة من اخميم جنوبًا فوق ربوة تشرف على النيل ديرٌ اسمهُ دير الحديد والعامَّة تدعوهُ ايضاً الدير الابيض وبقربهِ كان للرومانيين مركز يُعرف بمركز « طومو ». وهــذا الدير شبيه باديرة القديس باخوميوس وان كان احدث منهُ عهدًا وعلى رأينا ان رهبانهُ بنوهُ بعدهُ وهو الى اليوم في حالة حسنة اتخــذهُ بعض الفلاحين كمسكن يأوون اليهِ. ولا كاهن هناك للصلاة

امَّا اخميم التي زهت فيها الطريقة الرهبانيَّة في القرن الرابع فانها كانت وقتئذٍ مدينة حافلة بالسكَّان غنيَّة بمرافق العيش. وفي مدافنها القديمة التي تُرى في سفح الجبل شرقاً وُجدت مئون بل الوف من جثث النصارى المحنطة. وفيها الى يومنا هذا جمٌّ غفير من نصارى الاقبــاط يبلغ عددهم نحو ٨٠٠٠ (على ٢٠٠٠٠ نسمة) وكلهم معروفون بنشاطهم ولطف اخلاقهم. وقد لقينا بينهم عادةً لم نرَ لها اثرًا في مكان آخر وهي ان النجَّارين يصطنعون توابيت الموتى مجَّانًا لكل اهل ملَّتهم

(اسنا) بعد ان نشر القديس باخوميوس العيشة الرهبانيَّة في جهات الشمال الهمهُ الله في الرؤيا ان ينشئ لهُ اديرة في الجنوب. فسار الى طيبة ومنها الى اسنا حيث كان الله منَّ عليهِ بالتنصُّر فاخذ ينشئ ديرًا عند جبلها المعروف عنــد اليونان باسم پخنوم وبالقبطيَّة فنوم امَّا العرب فيسمونهُ ابنوم وبهنوم

وقد لقي القديس في سبيل مشروعهِ هذا عوارض شتى من اسقف المدينة وتحزَّب عليهِ اهل البلد غير انَّ وليّ الله صبر على البلاء فاتاهُ ربُّهُ بالفرج وتمكَّن من اتمام ديرهِ وكان ديرًا متَّسع الارجاء محكم البناء اقام عليهِ كَنْيس رجلًا فاضلًا يُدعى ساويروس

وبعد بُرهة من الدهر اجتمع اساقفة تلك الناحية وكهنتها للنظر في امور الدين فاستقدموا الانبا باخوميوس الى كنيسة اسنا وألقوا عليهِ عدَّة اسئلة ليتحققوا صحَّة ما يُخبر عنهُ من المعجزات كمعرفة اسرار القلوب والإنباء بامور مستقبلة الى غير ذلك ممَّا كان يتناقلهُ الناس بصددهِ . فاجاب وليّ الله بكل حكمة ورقَّة على هذه الاسئلة

فلمَّا انتهى من الكلام اذ دخل الكنيسة رجل من الاوباش بهِ مسٌّ وهجم على القديس ليفلق رأسهُ بعصاة ضخمة لكنَّ الله نجَّاهُ من يدهِ وارفضَّت الجماعة فعاد القديس مع رهبانهِ سالمًا الى دير بخنوم في تخوم مدينة لاتوبوليس (١

فلاتوبوليس المذكورة هو اسم اسنا باليونانيَّة دُعيت بذلك اشارةً الى معبودتهم السَّمَكة لاتو . امَّا اسم الدير وهو بَخنوم فمعناهُ بالقبطيَّة بيت خنوم وكان خنوم اعظم آلهة مدينة اسنا . والهيكل العظيم الذي يسعى علماء العاديَّات المصريَّة بنزع الردم عنهُ كان مشيَّدًا لذكرهِ . وقد ورد اسمهُ مرارًا في ردهة العواميد التي رُمّمت مؤخَّرًا

امَّا مقام الدير القديم فكنَّا نحدس انَّ موقعهُ غربيّ المدينة في وسط مزدرعاتها . والحقُّ يقال انَّ ظنَّنا لم يَخب هذه الدفعة فان اعيان المدينة افادونا ان الفلاحين بينما كانوا يحفرون في الرمل غربي البلد بين الجبل المجاور والزروع اذ وقفوا على بقايا كنيسة كبرى مع ابنية شتى لاحقة بها . فوجدوا المذابح في مكانها المعتاد ونقوشًا بهيَّة على جدران الكنيسة فاتفقت آراؤهم على انَّ هذه الاخربة هي دير القديس باخوميوس . غير انهم اعلمونا بان الريح سجّت هذه الاخربة برمل البرّيَّة

فللحال تحفَّزتُ لزيارة هذا المكان ورافقني كاهن قبطي ابن راعي الكنيسة الكبرى وهو رجل كثير الآداب لطيف المعاشرة فسرت وايَّاهُ . وكان طريقنا على دير شهير متقن البنيان يُسمَّى دير الشهداء وهو الدير الذي يدعوهُ بعض الكتبة بدير أمونيوس. فبعد زيارتهِ اخذنا معنا حارس هذا الدير كدليل وسرنا في وجهة الشمال نحو نصف الساعة

١) راجع ترجمة القديس اليونانية (ع٥٢ و ٧٣) والقبطيَّة (ص ٧٨) والعربيَّة (ص ٥٢٥ و ٦٥٩)

حتى بلغنا طرف المزروعات ثمَّ ملنا الى الغرب ومشينا نحو ٦٠٠ متر على بُعد نحو اربعة او خمسة كيلومترات من المدينة فوجدنا آكاماً مرتفعة فوق الحضيض تعلوهُ بضعة امتار فقال الدليل: هذه الكنيسة المطلوبة. وهنا الابنية المقصودة

وألقيت النظر على المكان واذا نحن في سهل عرضهُ نحو ثلاثة كيلومترات. امَّا التربة فوجدتها خلطاً ممتزجاً من الرمل الخشن والحصى ومن حجارة تساقطت من الجبل وقد نسفت الريح عليها الرمل حتى ساوت ما ارتفع منها وما هبط. وفي هذا السهل مدافن قديمة لا تُحصى وكان لبعضها مداخلُ مفتوحة الَّا ان الرمل قد تراكم في باطنها فلا يمكن الولوج اليها

فلم نزل نطلب لنا منفذًا حتى وجدنا حفرةً صغرى دخلها الدليل والكاهن بعد الجهد الجهيد فتتبَّعت آثارهما وانا ازحف على صدري زحفاً. فوجدنا في داخلها حُجرة مكعَّبة الشكل طولها اربعة امتار في مثلها عرضاً وارتفاعاً وهي محفورة في التربة الصلدة وكان سقفها مطليّاً بالملاط الابيض وكذلك جدرانها التي كُتبت عليها بالمغراء بعض الكتابات استفدنا منها انَّ هذا المدفن لأُسرة نصرانيَّة تدعى فيب. امَّا القبور فهي محفورة في الارض يدلُّ عليها صليب حسن النقش حُفر فوقها في وسط دائرة يحيط بها اكليل جميل وتزينها كتابة. وممَّا كُتب هناك بالقبطيَّة ما نصُّهُ: « الابن المسيح »

امَّا القبر الاوسط فهو كما يظهر لكبير العائلة وعليهِ تاريخ السنة ٩٩ للشهداء التي توافق سنة ٣٨٣ للميلاد. وفي جهة اخرى رأيتُ حمامتَين تحمل كلتاهما في منقارها اكليلًا في وسطهِ صليب وتحت الاكليل باللغة القبطيَّة ما تعريبهُ: « ايها الاب والابن والروح القدس اذكروني في سمائكم انا فيب الخاطئ الحقير واغفروا لي امين » وعلى رأينا ان هذه الكتابة كانت تعلو قبر شاب في مقتبل العمر ابن العائلة السابق ذكرها

وما يزيد هذه الآثار قدرًا انها كُتبت في عهد القديس باخوميوس ولعلَّ هؤلاء الموتى قد اختاروا ان يرقدوا بعد وفاتهم قرب دير القديس ليذكرهم الرهبان في صلواتهم

ونحن نختم هذه المقالة طالبين من الرب ان ينشر في مدينة اسنا روح باخوميوس وايمانهُ القويم لانَّ البدعة اليعقوبيَّة قد مدَّت رواقها واثبتت اطنابها في هذه المدينة حيث لم نجد كاثوليكيّاً واحدًا بين الخمسة عشر الفاً من النصارى الذين فيها

* اصلاح * ورد اسم « دشنا » في هذه المقالة بالكاف « دكنا » وهو غلط. والصواب « دشنا »

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

. . . .

وفي مساء النهار عاد زَين الى قصره عيياً من تعب القنص ومتأثراً مما تعرض لهُ من الاخطار فجلس في الغرفة الكبيرة ليستريح. وكانت امرأتهُ وشقيقتها تشتغلان الى جانبهِ وطفلهُ الموَرَّد الخدَّين يلاعب على الارض فوق طنفسةٍ عجميَّة كلبةً اسمها «سارحة» من ظراف الكلاب السلوقيَّة ضامرة الحشى طويلة القد. ولم تكن اقلّ من مولاها لغوباً فاظهرت نفوراً من مداعبة الطفل وجعلت تبحث ولكن بلا فائدة عن محلّ تتمدَّد فيهِ وترقد براحة. وكانت ضوضاء البلدة قد سكنت فلا يُسمع من ناحية البحر سوى حسّ الامواج تتكسَّر على صخور الشاطئ ولا يأتي من ناحية البساتين غير شذاً ينعش القلب من ازهار الليمون

فمثل هذا المشهد يصوّر السعادة الهادئة التامَّة اعني سعادة العيلة التي يتوق اليها اصحاب الاعمال خاصَّةً. ولكن ما كل شيء يُحمل على ظاهرهِ لان الظواهر في كثير من الاحيان خدَّاعة

وكان القانص المنهوك يحب في ساعات الحياة البيتيَّة ان يسمع احاديث النساء وعلى الخصوص متى دارت سوق الحكايات واخذنَ — مع اهتمامهنَّ بالمغازل ودواليب الحياكة — ينشدنَ الاشعار والقصائد المخبرة عن مآثر الاولين

وكانت حنَّة صورة حيَّة لشقيقتها او بالحري كانت مُصغَّر رسمها لان ملامحها كانت اشدّ شحوباً واصفراراً وعينيها اعظم زرقةً ولون شعرها اقلّ إشباعاً. ونظراً لاعتدال قامتها لم تكن في شيء من فخامة منظر راحيل وحدة لحظاتها الخرَّاقة. بل كانت من الخفَر والحياء في درجة متناهية حتى انها ما رفعت عينيها قط لتنظر في وجه انسان ولذلك بما كان زين يخاطبها مرةً حتى يحمرّ جبينها خجلاً. وحيث انها ما كانت تتوق الى الفخفخة ولا تسعى لها فكانت تجهل هل يقوى حضورها او حديثها على التأثير . . .

الّا انها كانت اذا رفعت صوتها بالغناء سلبت الالباب واذا قصّت الحكايات والاخبار اوردتها بصوت رقيق ولهجة عذبة . وما كانت راحيل اقل منها براعة في تقطيع اوقات الفراغ بتسلية ولذّة . ولكن من غريب الاتفاق ان حنّة المشهورة بحيانها وخجلها لم تكن تنشد غير القصائد المخبرة عن مواقع الابطال ولا تقص غير اخبار المعارك الدمويّة والحوادث المخيفة بخلاف راحيل التي مع خيلائها وغطرستها كانت تنتقي الاخبار الباعثة على الحنو والشفقة والقصص المنبئة عن الاحوال العيليّة والمحبة الطاهرة بين الزوجين . وتذكر هذا كلهُ عمدًا لعلّها تجد بهِ طريقًا يؤدي الى قلب زوجها الذي كان هو جل مقصدها في كل لفظة من الكلام الذي تروي بهِ قصص الماضين

وكان في صوتها شيء يعمل في القلب ويخرقهُ حتى يتّصل الى أقصاه وفي بعض الاحيان يمثّل جميع حركات باطنها كما ان محيّاها يتخذ هيئة حبّ متوسّل بالحًا رغمًا عنها بغموم نفسها واكدارها . غير ان زينًا كان حتى ذاك الوقت يفضّل سماع الحكايات المخيفة التي تقصها الصبيّة ولا يظهر التفاتًا الى القصص المؤثرة ممّا كانت تحكيهِ قرينتهُ الفخور المرزوءة في محبتها

وقد سبق البيان ان المودّة بين الزوجين كانت قد تضعضعت دعائمها وانحلّت عراها وبما انهُ يصعب غالبًا في مثل هذه الحوادث معرفة الاسباب الحقيقيّة الباعثة الى تنافر القلوب ويتعسّر الحكم بالتدقيق على دواعي المؤاخذات تعيّن القول ان ذلك كلهُ لا تتأتّى نسبتهُ الى احد الفريقين دون الآخر بل هو مشترك بينهما مثلما تؤيده التجربة في اكثر الاحيان

على اننا اذا لاحظنا ما تزيّن بهِ الزوجان من اوصاف الاستقامة وكرم الطباع وسموّ العواطف لا نكاد نرى شخصين أفضل منهما حتى يعيشا متوافقين وسعيدَين لان الشبه من هذا الوجه بين زَين وراحيل كان تامًا كاملًا . امّا من سائر الوجوه فلم يكن الامر كما قلنا فان راحيل لكونها من سلالة البارونات آل لمبرياك كما مرّ الكلام كانت بالطبع سريعة الانفعال رقيقة الحس ذكيّة الفؤاد فضلًا عن ان التعليم والتهذيب قد زاداها احساسًا وتأثرًا ولهذا كانت تمتعض دون قصد لعدم مشاهدتها في رجلها مثل ما فيها من الاذواق والخصال . على انهُ لم يكن يخطر لها ببال ان تتخذ من مزاياها

هذه سبيلًا للإدلال على قرينها ولكنها من دون التفات جدّي الى شيء من ذلك كانت ترى ان مسافةً بعيدة تفصلهُ عنها

واما زين فكان رجل نشاط وعمل ربيَ من حداثته في ساحات الوغى فلم يكن يستطيع ان يفطن للاحزان الباطنة التي تؤلم نفس قرينتهِ الطاهرة. ومع احرازه درجة عالية من الحذق والفطنة كان يشعر بانحطاط معارفهِ عن معارفها التي شحذها العلم والدرس ولا يخفاك ان الرجال قلما يتسامحون في مثل هذا الامر. وفي ذاك الزمان وخاصّة في البلاد الشرقيّة لم يكن الناس بالرغم عن تعاليم الانجيل قد تعوَّدوا المساواة الواجبة ان تكون بين الزوجَين المسيحيَّين

ثم ان زيناً مع كونهِ رجلًا شريفاً مخلصاً التعلُّق براحيل لم يكن يطيق ان يرى منها اميالًا مفترقةً عن اميالهِ ومن ثم كان في بعض الاحيان يعزو الى غرابة طباعها او الى حب الفخفخة النسائيّة ما ليس هو في الحقيقة الّا نتيجة ما تحلّت بهِ من التهذيب الفائق الذي جعلها بمثابة امرأة مكمَّلة ضلّت في بيداء القرن الخامس عشر وكانت احقّ بالقرن العشرين. ومن اجل هــذا ما طال الزمان حتى زال ما كان بينهما من الثقة والدالّة المتبادلة وحلَّ بدلهُ ابتعاد القلوب وتنافرها بنوع ان كلًّا منهما كان يخشى ان يفاتح رفيقهُ بما عند نفسهِ

٤

سبق الخبر ان عيلة مقدَّم البترون كانت جالسة ذاك المساء في الغرفة الكبيرة من القصر وتريد الآن ان الصبيَّة حنَّة انقطعت هنيهةً عن العمل ثم رفعت عينيها الزرقاوين ملتفتةً الى شقيقتها كأنَّها تريد استفهامها واخذت تحكي حكاية كانت قد طالعتها في بعض السير الافرنجيَّة قالت:

حدث في احدى قرى بريتانيــة في بيعون عيد جميع القديسين ان دقّاق الجرس — وكان اسمهُ كونين — بعد ان استمرَّ يقرع الجرس حتى الساعة العاشرة ليلًا من اجل نفوس المطهر التي كانوا يصنعون تذكارها في ذاك اليوم ذهب الى حجرتهِ فرقد. وكانت الريح وقتئذٍ تصفر صفيرًا وتحمل الورق المنتثر متلاعبةً بهِ في الجوّ. فما كان غير قليل حتى سمع الدقّاق أجراس القرية تُقرع فقال في نفسهِ: «ما هذا الّا وَهم». ثمَّ حنى رأسهُ على المخدة وهو يقول: «قد اغلقت باب القبة باحكام ومفاتيحهُ في جيبي»

الَّا ان الاجراس ما فتئت تدقُّ فقام كونين من فراشهِ واشعل فانوساً وخرج في وسط الظلمة الحالكة وهو يقول: « هذه حيلة يحتالون بها عليَّ » وكان في الليلة السابقة قد بارح القبة نحو الساعة العاشرة بعد ان افرغ آخر نقطة من زجاجة النبيـذ فكان يمشي وفي اذنيهِ طنين وفي رأسهِ تمايل. وقد يمكن ان يكون اغلق باب القبة لكنَّهُ من الممكن ايضاً ان يكون قد دخلهُ احد اصحاب المجون على غير علم منهُ

فلمَّا وصل الى فناء الكنيسة تسمَّع فاذا الاجراس ساكنة هادئة والكنيسة قائمة ليس فيها ادنى بصيص ضوء فقال:

لا شك اني حالمٌ فالخمر التي شربتها مساء امس هي التي تدقّ في دماغي

وبينما هو يهمّ بان يعود سمع صوت الجرس جليًّا يطنّ من خلفهِ فانصت وقال:

هذا بلا ريب طنين الجرس ولا بُدّ ان يكون احد في القبة

ثمَّ انهُ رجع على عقبـهِ بكل رباطة جأش وفتح باب الكنيسة وكانت مظلمةً ليس فيها غير « الساهرة » موضوعةً امام المذبح الكبير فكانت تُرسل على الخورس نورًا مرتجفاً وتبعث على الجدران البيضاء ظلالاً كبيرة متحركة. وكانت حبال الجرس متدليةً على يمين باب المدخل فالتفت اليهـا فرآها لا تتحرك ومع ذلك كانت دقَّات الجرس المحزنة متتابعة. فحينئذٍ ابتـدأ القلق والاضطراب يداخلهُ وصمَّم على ان يرتقي الى سطح الكنيسة ليطلع على الحقيقة ثم اخذ يتسلَّق سلَّماً ضيقةً تؤدي الى القبـة فما كاد يَنشَب فيها حتى نفحت الريح نفحـة باردة حملت اليهِ دوي الاجراس واطفأَت في الوقت نفسهِ فانوسهُ فخيَّل لهُ الوهم انَّ رجلاً ينزل من علُ وان وَقع خطاهُ يدنو اليـهِ شيئاً فشيئاً ثم سمع ان الخشيش صار قريباً منهُ فبسط ذراعيهِ كمن يريد ان يسدّ الممرّ على الآتي ولكنهُ لم يشعر الَّا بريح باردة على يديهِ وبوقع اقدامٍ من تحتهِ يبتعـد عنهُ. فسار بسرعة لمطاردة الخيال الذي توهمهُ راقياً الى المذبح الكبير ولكنهُ ما لبث ان رآهُ قد انطفأ وزال بغتةً من امام ناظريهِ فوقف مذعورًا وقد كلَّل العرق البارد جبينهُ واخذت الرجفة جميع اعضائهِ

ثم التفت الى الخزانة (سكرستيَّة) وكان بابها مشقوقاً والساهرة تلقي عليهِ نورًا ضئيلاً فتخيَّل لهُ انهُ يسمع فيها صوت تنهُّد وحفيف وَرَق كما لو كان هناك شخص يقلب مُصحفاً. فتقدَّم وجِلاً فشاهد على نور القنديل الموضوع امام المذبح الكبير كتاباً

ضخماً كان يعرفهُ ممدودًا على مائدة كبيرة وكان الكتاب المذكورة سجلّ الاموات فحدّق النظر فيهِ وكان قد صحا من سكرهِ وزالت عنهُ نشوة الخمر فرأى مع العجب ان اوراق السجل تنقلب واحدةً بعد اخرى باصبع خفيَّة تحركها حتى اذا انتهت الى الورقة الاخيرة وقفت ثابتة كانها تستدعيهِ بالحاح ليذهب فيرى

امَّا هو فخفّ سريعاً لاستطلاع الامر فرأى في اسفل الصفحة الاخيرة اسمهُ مكتوباً هكذا « كونين » فطار لبُّهُ شعاعاً وصاح صيحةً عظيمة ووقع على البلاط مغشيًّا عليهِ

وفي صباح اليوم التالي وُجد جثةً هامدةً لا حراك بها ويدهُ المتشنِّجة قابضةً على اوراق الكتاب المصفرَّة . . .

وكان زَين يسمع وعيناهُ تتقدان نارًا حكاية الصبيَّة التي كانت تروي بصوت رقيق عذب هذه القصة المفجعة

امَّا راحيل فكانت تحب ان تلحق حكاية شقيقتها بحكاية أُخرى من القصص التي طالعتها في الكتب الافرنجيَّة اي رواية تلك المرأة النبيلة التي وقعت على جثة قرينها المقتول تذرف الدمع مدرارًا سخيناً حتى اضطرَّت نفسهُ التي ارتقت الى السماء ان تهبط الى الارض لتعزيتها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب رحلة الفيلسوف الروماني

يتضمَّن سيرة المسيح وتفسير الاناجيل الاربعة

تأليف الحبر الجليل السيد جرمانوس معقَّد مطران اللاذقية . طبع في الحدث سنة ١٩٠١ ص ٨٢١

انَّ في مطالعة الاناجيل المقدَّسة نورًا لعقل المسيحي وحياةً لقلبهِ ومثالًا لسلوكهِ تصرف بهمَّتهِ عن السفليات لتسمق بها الى طلب العلويَّات . على انَّ هـذه الاسفار مع سذاجتها الالهيَّة وقربها الى الفهم لا تخلو من المشاكل العديدة التي تغمض على القرّاء فلولا دليل خبير ينهج لهم سبل الحق لما امنت رجلهم العثار . وقد اتاح لهم الله هذا القائدَ الامين بالسيد المفضال والحبر العلامة جرمانوس معقَّد الذي انجز بعد شغل شاغل لم يثنِ عزيمتهُ هذا الكتاب النفيس نعني بهِ سيرة السيد المسيح لذكرهِ السجود سرد فيهِ جميع

اعمال الرب واقواله ُ سردًا حسنًا وادمج روايات الانجيليين الاربعة على منوالٍ رائق يرتاح اليهِ القارئ ويُسرّ بالنظر فيهِ. غير ان سيادة المؤلف لم يكتفِ بذلك بل ابتدع طريقة مبتكرة فتخيَّل انَّ رجلًا رومانيًا من كبراء الفلاسفة دعاهُ مرقس بعد سعيهِ في استجلاء الدين الحقّ صادف بطرس الصفا هامة الرسول يوم دخل ام المدائن رومية العظمى ليبشِّر فيها بالمسيح. فحرَّك الرسول في قلب الفيلسوف الرغبة في معرفة النصرانيَّة حتى انهُ سافر الى اورشليم واجتمع ببعض شيوخ النصارى الذي لم يزل يتقرَّب الى الحكيم المذكور ويقصُّ عليهِ كلَّ ما صنع المسيح منذ ميلادهِ الى صعوده الى السماء نقلًا عن الاناجيل المقدَّسة حتى اجتذبهُ الى الايمان وانتشلهُ من وهدة الوثنيَّة التي لم تكن لترضيهُ تعاليمها وآدابها رغمًا عن بحثهِ الطويل في اشهر مدارس العالم الروماني

هذا مجمل الكتاب الذي نحن بصددهِ وهو بلا مراء التأليف الاوحد الذي كُتب في العربيَّة بهذا المعنى لا نشك في انَّ الشرقيين يتلقَّونهُ بما يحقّ لهُ من التجلَّة والاعتبار. وهو فضلًا عن ذلك مهذَّب العبارة متين التركيب منسجم الرواية يجد فيهِ القارئ ملخَّص تفاسير الآباء للانجيل الطاهر مع افادات كثيرة علميَّة وقف عليها اهل الابحاث واصحاب العاديات في زماننا. ولعلَّ بعض القراء يأخذهم العجب لدى مطالعة شروح او تعليقات لم يألفوها سابقًا. غير ان هذه الاقوال آراء خاصَّة يجوز المدافعة عنها وان لم يسلِّم بصحَّتها قومٌ من المفسّرين. وفي الختام نشكر للمؤلف المفضال عمله الخطير ونحضّ الطوائف الكاثوليكيَّة بل كل نصارى الشرق على اقتنائهِ والارتشاد بضامينهِ السامية ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ باء المضارع في اللغة العامية للدكتور ادورد غلازر La préformante bâ-, be-, de l'imparfait arabe, *v. Dr Eduard Glaser*, München, pp. 16

٢ هل كان النصيريُّون من النصارى. مقالة بالفرنسويَّة للاب هنري لامنس اليسوعي. طبعت في باريس (ص ١٨)

٣ نحن وجرائدنا بقلم امين فارس ريحاني

٤ الصاعقة: جريدة انتقاديَّة سياسيَّة ادبيَّة تجاريَّة فكاهيَّة لصاحبها ومديرها الخوري يوحنَّا سعيد تُطبع في بوينوس ايرس

شذرات

المرجل الشمسي ان الازمات العديدة التي حدثت في المناجم الفحمية ادَّت باحد علماء الاميركان في كاليفورنيا الى ان يخترع مرجلاً شمسيًا وذلك انهُ يجمع اشعَّة الشمس بواسطة عاكس (réflecteur) كبير مسطَّح بنحو الفي مرآة صغيرة في داخلهِ فاذا نفذت الشمس فيهِ انعكست اشعَّتها وتجمَّعت حرارتها البالغة في مستوقد العاكس الذي هو متصل بمرجل فيهِ كمّيَّة من الماء يغلي للحال ويتكوَّن منهُ بخار كافٍ لدفع قطار كبير . والعاكس يتحرَّك من ذاتهِ بلولب حسب حركة الشمس . وهذا اختراعٌ عظيم يمكن الانتفاع بهِ في البلاد التي لا تُحجب شمسها بالغيوم مدَّة قسم كبير من السنة كبلادنا

مرصد جديد لليسوعيين في الصين ذكرنا سابقًا مرصد الاباء اليسوعيين للظواهر الجوّيَّة في زيكاواي (المشرق ٢ : ١٠٠٦) وما يؤديه من الخدم الجليلة لكل من يخوضون البحار الصينيَّة . واليوم علمنا انَّ هؤلاء المرسلين اقاموا مرصدًا آخر فلكيًا على اكمة تدعى زوسي (Zo-Cé) يديرهُ الفلكي الشهير الاب شڤاليه وهو على بعد ٣٠ كيلومترًا من مرصد زيكاواي يجمع بينهما تلغراف اثيري بلا اسلاك . والجمعيَّة الجغرافيَّة في باريس كانت في بدء هذه السنة قد جازت مساعي الاب شڤاليه بنوط ذهبي واثنت على خارطتهِ العجيبة التي رسمها لنهر ينغ تسي

سباق الاوتوموبيل ذكرت الجرائد الاخيرة سباق الاوتوموبيل الذي جرى بين باريس وبرلين وقد فاز بقصبتهِ الفرنسوي فورنيه وليست هذه الدفعة الاولى نال بها السهم المعلَّى فانَّهُ في ٢٩ ايار المنصرم كان قطع بالاتوموبيل المسافة التي بين بوردو وباريس وهي ٥٥٧ كيلومترًا بست ساعات وثماني دقائق اعني انَّهُ تجاوز ٩٢ كيلومترًا في الساعة . فسبق القطار السريع (le rapide) الذي لا يقطع هذه المسافة الَّا بسبع ساعات وثلث

قشر البيض من التفايات التي يلقيها اهل بلادنا دون ان يرجوا منها خيرًا قشر البيض امَّا الاوربيون فيجمعونها ويجتنون منها فوائد شتى نخصّ منها فائدتين الاولى انهم يخلطونها بالسماد فيصلحون بها الارض اصلاحًا مهمًّا لما فيها من

المواد الكلسيَّة. والثانيــة انهم يدقّونها دقًّا ناعمًا فيمزجونها بعليف صغار الحيوانات كالعجول والمهار والخرفان فتغذنها وتنمي عظامها بما فيهــا من الفسفات. وكثيرون من الفقراء يرتزقون بجمع هذا القشر وبيعهِ. ولكن يشترط لاستعمالهِ ان يكون نظيفًا

اول كتاب طُبع في اللغات الهنديَّة — بيّن العلامة الانكليزي سير ويليم هنتر في المجلة الهنديَّة الملكيَّة (ج ٤ ص١٢) انَّ اول كتاب طُبع في الهند نشرهُ الآباء اليسوعيُّون. ففي سنة ١٥٧٧ حفر الاخ غنزالفس حروف اللغة التاموليَّــة وطبع بهــا التعليم المسيحيّ. وفي السنة التالية حفر الاب يوحنَّا فاريَّا حروفًا غيرها فنشر كتاب تراجم الابرار

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الخوري ا. د. كم كانت الثلاثون الفضة التي باع بها يوداس ربَّهُ الثلاثون الفضَّة

ج الفضَّة المذكورة هنا هي من النقود الفضيَّة المعروفة ايضًا بالشواقل (sicles) كان يساوي الواحد منها فرنكين و٨٣ سنتيمًا

س وسأل حضرة الدياكونوس نيقولاوس عطَّارة ما المراد بقولنا في المشرق (٤: ٥٢٦) انَّ الروم الملكيين سريان اصلًا ولغةً ومن اي زمن وجدوا سريانًا هل من عهد القديس بطرس وهل كانت طقوسهم ولبتورجيًّا تهم كلها سريانية

سريانية الروم الملكيين

ج لا بُدَّ للجواب عِلى هذه القضيَّة من مقدَّمة توضح الحقيقة تمامًا فنقول: لمَّا قدم الرسل للتبشير بالمسيح في بلاد الشام وجدوا اهلها الوطنيين سريانًا يتكلَّمون بالآراميَّة التي من فروعها الفينيقيَّة والسريانيَّة. وكان دخل بين هؤلاء الوطنيين غرباء كثيرون من جنسيَّات مختلفات من بقايا الممالك العديدة التي فتحت بلاد الشام كالمصريين والبابليين والفرس واليونان والرومان الذين تولَّوا على الشام في عهد قائدهم بُمبيوس. فكان لهؤلاء الغرباء لغات خاصَّة دخل منها شيء في آراميَّة الوطنيين. امَّا اللغة اليونانيَّة فكان لها نفوذ اعظم كاللغة الفرنسويَّة في ايامنــا فشاعت في المدن الكبرى وفي السواحل عند الاعيان والخاصَّــة على اختلاف جنسيَّاتهم بل كان بعض العامَّة يتكلَّمون بها لرواج اشغالهم مع كونهم آراميين محضًا. لكن اليونانيَّة لم تبطل الآرامية التي بقيت اللغــة

الوطنيَّة. فلمَّا بشَّر الرسل بالمسيح في مدن الشام اقاموا عليها اساقفة كانوا يرونهم اهلاً لذلك مهما كانت جنسيَّاتهم. فكان الاسقف الواحد يرعى نصارى مدينتهِ ويختار لهم كهنةً يرشدونهم بالآراميَّة او باليونانيَّة حسب الظروف ومقتضى الحال ويقيمون لهم الطقوس في احدى اللغتين. وانَّما كانوا جميعهم مطيعين لاسقف واحد وفقاً لمبداٍ شائع وقتئذٍ: مسيحٌ واحدٌ وايمان واحدٌ واسقف واحد. فبقي الامر كذلك الى القرن الخامس لمَّا ظهرت الشيعتان النسطوريَّة واليعقوبيَّة فخلع اصحابهما نير الطاعة وبقي قسمٌ من النصارى مستقيمي الايمان وهم الذين تبعوا المجمع الخلقيدوني فهؤلاء الاورثذكسيون كانوا في سوريَّة يتكلمون بالسريانيَّة او اليونانيَّة وفي مصر بالقبطيَّة او اليونانيَّة. وكلهم أطلق عليهم اليعاقبة اسمَ الملكيين تهكُّماً كأنهم لم يتبعوا المسيح بل الملك مرقيان الذي سعى مع البابا لاون الكبير بجمع المجمع الخلقيدوني. وكان الملكيون يجرون طقوسهم في الشام باللغة السريانيَّة او اليونانيَّة كما كانوا يفعلون قبلاً. لكن اللغة اليونانيَّة اخذت بالتقهقر بعد الفتح الاسلامي الى ان بطلت شيئاً فشيئاً. وقامت العربيَّة بدلًا منها وصارت لغةً طقسيَّة منذ نحو اربعمائة سنة فقط. امَّا السريانيَّة فلم تزل اللغة الكنسيَّة بين فئة كبرى من الملكيين ردحاً من الدهر وقد بقي من ذلك آثار عديدة منها ما بطل منذ خمسين نحو سنة كمعلولة وما جاورها وسننشر ان شاء الله قريباً شيئاً من هذه الآثار

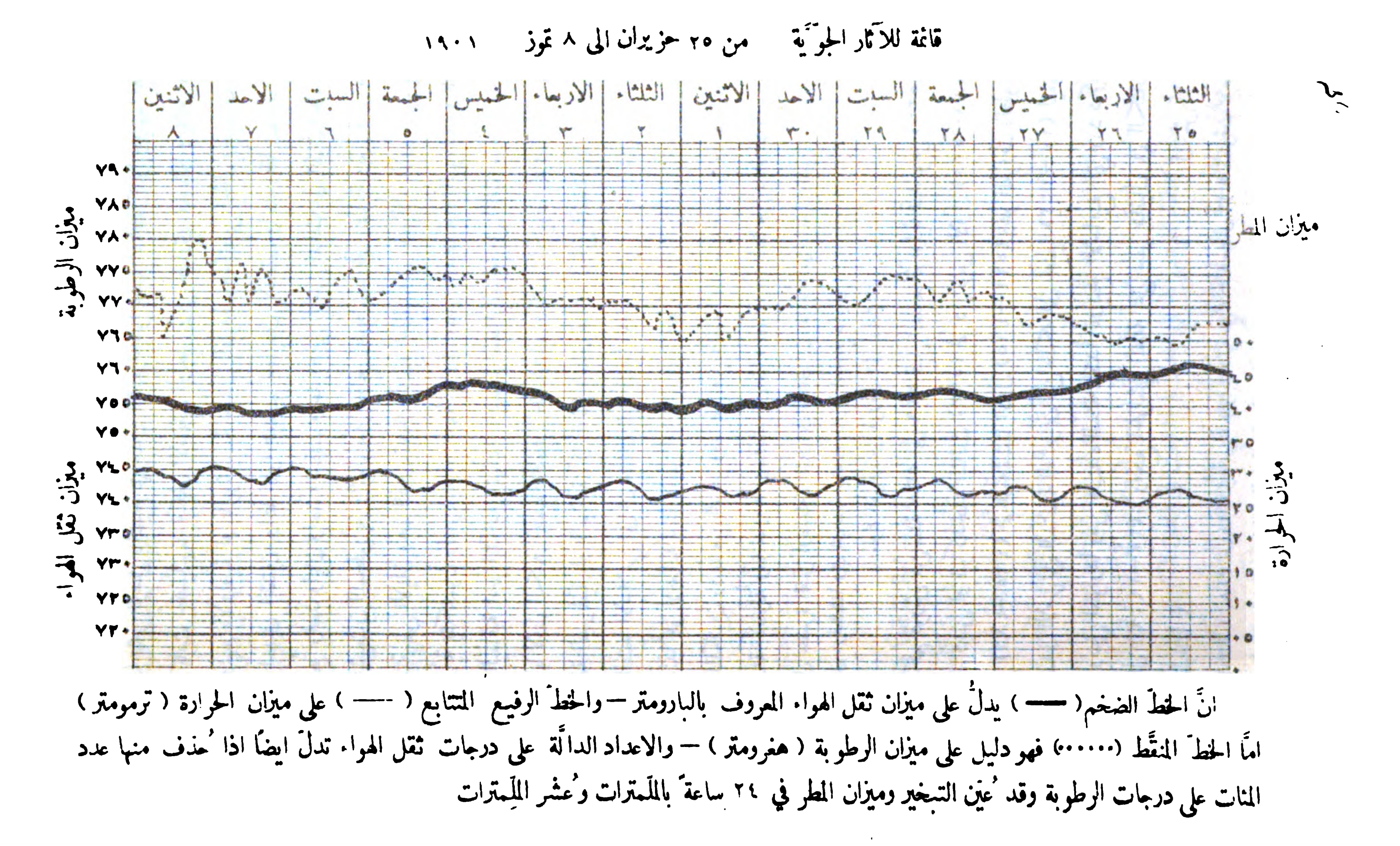
س وسأل حضرة القس اوغسطين البيروتي اللبناني ان نفيدهُ اسماء الملوك الذين حكموا من عهد كورش الى ارتحشستا وفي اي سنة يبتدي تاريخ اسابيع دانيال

ملوك الفرس من قورش الى ارتحشستا

ج حكم قورش من سنة ٥٣٨ الى ٥٢٩ قبل المسيح ثمَّ وليهُ قمباسوس (٥٢٩—٥٢٢) ثمَّ سمرديس او نبوكدنصَّر الثالث (٥٢٢) ثمَّ داريوس الاوَّل (٥٢١—٤٨٦) ثم كسركيس (٤٨٦—٤٦٥) ثمَّ ارتحشستا الاول (٤٦٥—٤٢٤) وهو المعروف بالطويل اليد الذي اصدر الامر في السنة العشرين من ملكهِ الى نحميا (٢: ١—١٠) ليعود الى اورشليم ويبني اسوارها ومن هذه السنة ابتدأ تاريخ الاسابيع التي ورد ذكرها في سفر دانيال (٩: ٢٤—٢٧) (راجع الحواشي المعلَّقة على سفر دانيال في الكتاب المقدس من طبعتنا) ل. ش

(اصلاح اغلاط) ٢٠٨ س ١٨ «تيَّه سي» صوابهُ «تيه سي» = ٢٠٩ س ١٢ «تستوقف» ص «تستوقف الابصار» = ٢١٠ س ١٨ «نقصت عن ٣٩» ص «٢٩»

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٥ حزيران الى ٨ تموز   ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملِّمترات

1 Sainte Bible.

الكتاب المقدس

Grand in-8°, 3 vol. 1[er] 892 pp. (5[e] éd., 1890), 2[d] 603 pp. (4[e] éd., 1885), 3[e] 597 pp. (2[de] éd., 1882).

Traduction aussi élégante que fidèle, faite sur l'hébreu et le grec et approuvée par Nosseigneurs les Patriarches de tous les rites. Des Orientalistes tels que Gildemeister et Lagarde se sont plu à signaler le mérite de cette nouvelle version arabe des Saintes Ecritures, complètement vocalisée.

Une médaille d'or a été décernée à cet ouvrage à l'une des Expositions de Paris.

1[er] vol. : Livres historiques de l'ancien testament jusqu'à Job exclusivement;
2[e] — Suite de l'ancien testament;
3[e] — Nouveau testament et table générale des matières.

A la fin de chaque volume se trouvent des notes sur les passages obscurs ou controversés.

On a fait de cet ouvrage une édition de luxe, vrai chef-d'œuvre d'exécution typographique.

		Fr.	affr.
Broché.	chaque volume	10 »	en colis postal
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	—	12 »	
— — — — *dorée*	—	15 »	
— — *ornements dorés, tr. dorée*	—	18 »	
Édition de luxe: *chaque volume, broché*		20	

2 S[te] Bible (éd. photolithographique).

الكتاب المقدس (مرسومًا بالشمس ومطبوعًا على الحجر)

Petit in-8, 1 vol. 562 pages dont 50 de notes, 1897.

Grâce aux procédés de photolithographie nous pouvons enfin donner au public une édition complète de la S[te] Bible reproduisant en un seul volume de format et de dimensions très commodes les trois gros volumes mentionnés plus haut. C'est le même type de Constantinople réduit de trois-quarts. L'extrême finesse des caractères n'a pourtant rien ôté à leur élégance et à leur netteté. Nous espérons que l'exécution de cet ouvrage plaira aux Arabisants d'Europe comme elle a déjà conquis les suffrages de tous les Orientaux

Ajoutons que le prix modique de cette édition permettra désormais même à la classe peu aisée de lire et de méditer nos Livres Saints.

Broché	10 »	1,20
Demi-reliure, chagrin et toile, tranche marbrée, titre doré	12 »	

OUVRAGES ARABES

DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE.

9 **La Bible des enfants.**

الغصن النضير

Petit in-8°, 3 vol., 1er 183 pp. (9e éd., 1897), 2d 182 pp. (5e éd., 1893), 3e 193 pp. (2e éd., 1897).

Par le P. J.-B. Belot S. J.

C'est un recueil des principaux traits bibliques surtout de ceux qui font plus d'impression sur le jeune âge. On a cherché autant que possible à y conserver l'ordre chronologique et le texte même des Livres Saints. La 1re partie contient les récits du Pentateuque. La 2e conduit le lecteur jusqu'au règne de Salomon. La 3e donne le reste des faits bibliques jusqu'à la fin du 2e livre des Machabées. C'est un excellent livre de lecture destiné à toutes les maisons d'éducation et principalement aux écoles primaires. De nombreuses gravures sont intercalées dans le texte.

		Fr.	affr.
Broché	chaque *volume*	1 »	0,30
Cartonné	— —	1,50	

4 **Abrégé d'Histoire Sainte.**

مختصر التاريخ المقدس

In-18, 160 pages, 11e édition, 1896.

Par Lhomond.

Traduit en arabe par Michel Massabki.

La traduction simple et élégante de ce petit livre si populaire en Europe a contribué pour une large part à la connaissance de l'histoire sainte en Orient. Les éditions nombreuses de cet ouvrage montrent quel accueil les directeurs des écoles continuent à lui faire.

Broché	0,40	0,15
Cartonné	0,60	

333 **Le même,** ***avec le texte français au bas.***

Broché	0,50	0,20
Cartonné	0,75	

170 **La vie des Saints, pour tous les jours de l'année.**

مروج الاخيار

In-4°, 925 pages, 3e édition, 1892.

Par le P. P. Fromage S. J.

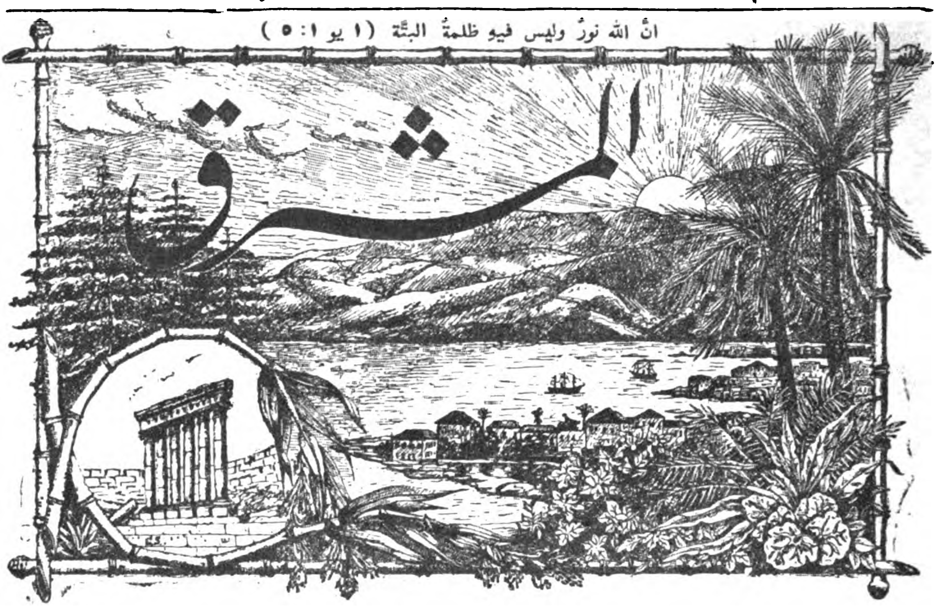
Le P. P. Fromage, à qui l'Orient chrétien est redevable de tant de livres utiles, a tiré cette « Vie des Saints » des ouvrages des PP. Ribadéneira et Croiset, en l'adaptant au goût des Orientaux. Les travaux récents des Bollandistes et d'autres hagiographes modernes ont été utilisés par le P. J.-B. Belot pour reviser et compléter l'œuvre du P. Fromage. Comme de juste, les Saints d'Orient occupent dans cet ouvrage une place importante.

Un beau volume orné de gravures.	Fr.	affr.
Reliure mouton chagriné, tranche marbrée	20 »	en colis postal
— — — — *dorée*	24 »	
— — — — *ornements dorés, tr. dorée*	27 »	
Demi-reliure, dos et coins en maroquin, ornem. dorés, tr. dorée	27 »	

117

السنة الرابعة   العدد ١٥   ١ آب   ١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلَّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 15 (1 *Août* 1901)

فهرس العدد ١٥

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

المشرق

سرّ الافخارستيّة في العاديّات المسيحيّة

بقلم الاب الفاضل القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

قد بلغ فنّ العاديّات المسيحيّة في الجيل التاسع عشر مبلغًا يقضي بالعجب. فمن زار اليوم الديماميس الرومانيّة والمتاحف الفاتيكانيّة واللاترانيّة وغيرها لا يتمالك من الاندهاش لدى رؤيتهِ التصاوير والنقوش والكتابات العديدة المتنوّعة المنبعثة من عالم النسيان لتشهد على اعتقاد وعوائد واحوال المسيحيين في اجيال الكنيسة الاولى وذلك بانواع مختلفة فتارةً بتصاوير واضحة وطورًا بكتابات فصيحة واخرى برموز في غاية من الحكمة والدقّة تحرّى بها اصحابها بنيان المؤمنين الذين كانوا يفهمون اصطلاحها دون ان تبتذل تلك الجواهر الثمينة في اعين الغرباء عن الايمان الذين لم يروا فيها امرًا ذا بال. وغاية ما يُستفاد من هذه الآثار الجليلة هي المطابقة التامّة بين ما كان يعتقدهُ اولئك المسيحيون الاولون وما تعتقدهُ اليوم الكنيسة الكاثوليكيّة بحيث يستطيع كلٌّ ان يتحقق بانها هي الوارثة الشرعيّة للكنيسة الاولى المؤسسة من الرسل وفي الوقت عينهِ يقف على افك وافتراء من نسب اليها اختراع العقائد التي تعلّمها. وقد رأينا اليوم ان نأتي قرّاء المشرق بنموذج من هذا الفنّ الشريف وقد وقع انتخابنا على عقيدة الافخارستيّة وها نحن نوضح بهذه العجالة اتفاق الاولين في الايمان بالحضور الحقيقيّ الظاهر من تلك الآثار مع ما يعتقدهُ اليوم الكاثوليك في هذا الصدد

١ هلمّ بنا اذن ايها القارئ ننزل الى مقبرة القديس كَلِستوس من اشهر الديماميس الرومانيّة واقدمها. فاذا ما صرت الى حُجَر لوقينا فاعلم انك في الجيل الاول للنصرانيّة

وفي عهد الرسل ولا عجب ان تأخذك رجفة الاحترام تجاه هذه القدميّة المهيبة كما اخذتنا نحن يوم اتاح لنا الحظ ان تزور هذه الاماكن المصبوغة بدماء الوف من الشهداء

واوّل ما تجد صورةٌ غير مألوفة تشخّص سمكة تسبح بالماء وعلى ظهرها قفّة من الخبز المستعمل حينئذٍ بالقداس وقدح يشفّ منهُ لون الخمر · فلعمري هل من رمز اوضح وهل من برهان اقوى · فانهُ لا بدَّ لك ان تعلم ان رمز السمكة لهُ شأن خطير في العاديات المسيحيّة فترى اولئك المسيحيين يتغزَّلون بهِ بانواع مختلفة ولم يدعوا اثاثًا الّا ورسموهُ عليهِ وربّما اتخذوهُ حرسًا لهم فعلّقوهُ في اعناقهم وما ذلك الّا لان السمكة كانت عندهم كنايةً عن المسيح نفسهِ فان اسمها في اليونانيّة (ἰχθύς) يتكوّن من خمسة احرف كل منها هو رأس احدى هذه الكلمات الخمس في تلك اللغة اعني : يسوع (Ἰησοῦς) المسيح (Χριστός) ابن الله (Θεοῦ υἱός). المخلص (Σωτήρ) فكلّما ارادوا ان يذكروا او يعبّروا عن شخص المسيح ولاهوتهِ صوّروا السمكة لتقوم مقامهُ قال اقليميس الاسكندري واوريجانس: ان المسيح يُدعى السمكة على سبيل الاستعارة (شرح متى خطبة ١٣) وان كان السمك اكثر من الواحدة فيشير الى المؤمنين المصطادين في مياه هذا العالم بشبكة الرسل والمولودين الولادة الجديدة في مياه المعمودية والمغتذين بلحم ودم السمكة الكبيرة الذي هو المسيح · فهل من رمز والحالة هذه احكم واوفق لبيان الاعتقاد بحضور المسيح بالذات تحت شكلي الخبز والخمر حضورًا حقيقيًا من ان توضع سمكة حيّة تحت الخبز والخمر

على ان هذا الرمز لم يكن معروفًا ومستعملًا في مدينة رومة فقط فان القديس أبرقيوس اسقف ايروبوليس في فريجيا في الجيل الثاني بعد ان ساح في بلاد سوريّة وبين النهرين وزار رومة عاصمة الدين المسيحي كتب على الضريح الذي اعدّهُ لنفسهِ (١ ما تعريب بعضهِ بالحرف : « في كلّ مكان وجدتُ (في اسفاري) رفاقًا اذ كان معي بولس فكنتُ اتبعهُ والايمان الذي كان يهديني حيثما ذهبت كان يهيّئ لطعامي في كل مكان سمكة من العين عظيمة طاهرة أمسكتْها عذراء عفيفة وهي توزعها على

١) وقد اكتشف على هذا الأثر الفريد سنة ١٨٨٣ احد علماء البروتستان العلّامة وليم رمساي (Ramsay) واهداهُ جلالة سلطاننا الافخم عبد الحميد للبابا لاون الثالث عشر في مناسبة يوبيلهِ الخمسيني وهو محفوظ في المتحف الواتيكاني

الدوام ليأكل الاحباب. ولها خمر نفيس تعطيه ممزوجاً بالماء مع الخبز . . . من يفهم ذلك ويوافقني فليصلِّ على أبرقيوس (١

وجاء في كتابة اخرى وُجدت في مدينة اوتون (Autun) في فرنسة معاصرة لكتابة ابرقيوس في القدميَّة تحريض للمؤمنين « بان يتناولوا الطعام الحلو المعطى من مخلِّص القديسين وان يأكلوا بشهوة السمكة التي توضع على ايديهم »(٢. طبقاً لعادة الكنيسة القديمة حيث كانت الجوهرة الالهية توضع على يد المؤمنين في تناولهم القربان الاقدس وهم كانوا يلتهمونها

٢ هيًا بنا الآن الى مغاور مقبرة القديسة دومتيلاً المعاصرة هي ايضاً لزمان الرسل فهناك نشاهد سطلًا من الحليب مصوَّرًا تارةً عن يمين الراعي الصالح وطورًا على ظهر حمَل او فوق مائدة صغيرة مشخصة المذبح وبقرب السطل ترى خرافاً مع عصا الرعاية وربَّما تجد السطل محتاطاً بغمام دليلاً على كونهِ شيئاً سماويًا. والحليب كما لا يخفى كان في اصطلاح اولئك المسيحيين رمزًا عن الافخارستيَّة بما انها تحوي المسيح بالذات ونستدلّ على ذلك من الاباء الذين هم الترجمان الشرعي لمثل هذه الرموز. فاقليميس الاسكندري يفهم بالحليب الطفل الجميل الالهي اي جسد المسيح الموزَّع على المؤمنين. وقال زينون اسقف فيرونا: انَّ ذاك الحمل الصغير الذي بصوفهِ النقي ستر عراكم هو الآن يقدّم لشفتيكم حليبهُ الميمون بوداعة فائقة. وصفرونيوس بطريرك اورشليم يقصّ على القديس تاودوروس بانهُ اذ كان يومًا قد خُطف عن حواسهِ رأى الشهيدين شفيعيهِ يقدمان لهُ الخبز الحي

١) قد حاول كثيرون من اشهر المنتقدين بين البروتستانت البرهانيين ان يوهّموا قوَّة البرهان الساطع من هذا الاثر الخطير على حقائق جمَّة تتمسَّك بها الكنيسة الكاثوليكية وينسبوه الى لهجة غير مسيحية فرجعوا بخفَّي حنين ولم تزل هذه الكتابة الثمينة سلطانة الكتابات المسيحية كما هو مكتوب تحتها في المتحف الواتيكاني

πάντη δ' ἔσχον συνό[μιλους]
Παῦλον ἔχων ἐπό[μην], πίστις πάντη δὲ προῆγε
Καί παρέθηκε τροφὴν πάντη ἰχθὺν ἀπὸ πηγῆς
Πανμεγέθη, καθαρὸν, ὃν ἐδράξατο παρθένος ἁγνὴ
Καί τοῦτον ἐπέδωκε φίλοις ἔσθειν διὰ παντός,
Οἶνον χρηστὸν ἔχουσα, κέρασμα διδοῦσα μετ' ἄρτον...

٢) وهذا نصّ بعضها: Σωτῆρος ἁγίων μελιηδέα λάμβανε β[ρωσιν]
Ἔσθιε πινάων, ἰχθὺν ἔχων παλάμαις.

وكأس المائدة المقدَّسة مملوءا حليباً الهياً. ومما نقرأُ في قصَّة القديسة خالدة (Perpétue) شهيدة كنيسة افريقية التي كتبتها بيدها انها رأت الفردوسَ في روءْية عرضت لها بشكل بستان حيث الراعي الصالح قدّم لها حليباً سماوياً

ولا غروَ فانهُ لما كان الحليب الطعام الذي تغذي بهِ الام طفلها فهو يمثّل جيداً ذاك الطعام السماوي الذي اراد المسيح ان يغـذي بهِ نفوسنا لاسيّما وان الحليب عبارة عن دمهِ الزكيّ. قال مكاريوس المغنازي: لكي تعلم ان هذا (اي أكل جسد المسيح) ليس بامرٍ غريب او مخوف فعليك ان تعتبر الطفل الصغير كيف انهُ لا يعيش ما لم يأكل لحم ودم امهِ وما طبيعة الحليب الّا دم حقًّا

٣ وكثيرًا ما كان المسيحيون الاولون يعـبّرون عن ايمانهم بالحضور الحقيقيّ برمز اعجوبة تكثير الخبز اذ يرون بين الامرين علاقة شديدة كما يعلمنا الآباء. بل اشار المسيح نفسهُ الى ذلك في خطابهِ في كفرناحوم (يوحنا ف ٦) عن الافخارستيـة وهو يذكّر اليهود بتلك الاعجوبة. وبين ظروف تكثير الخبز ورسم الافخارستيَّة مشابهـة جديرة بالاعتبار فان المسيح في كلا الحادثين رفع عينيـهِ الى السماء وبارك واعطى رسلهُ الخبز والسمك ليوزعوهُ على الجموع كما اعطاهم جسـدهُ ودمهُ تحت شكلي الخبز والخمر موصياً اياهم ان يداوموا هذا الفعل حتى مجيئهِ الثاني كما يقول بولس. ففي هذه المشابهة برهان واضح على ايمانهم بالحضور الحقيقي والّا فاي اعجوبـة تكون قد تمت في رسم الافخارستية حتى يمكنها ان تقابل باعجوبة تكثير الخبز ان لم يُفترَض ان المسيح حوَّل الخبز والخمر الى عين جسده ودمهِ كما يعتقد الكاثوليك

فبناء على ذلك من زار كنيسة القديس تروفيموس في مدينة ارل (Arles) في فرنسة يجد ناووساً من الجيل الرابع فيهِ صورة المخلص يصنع اعجوبة تكثير الخبز وامامهُ مذبح وفوق المذبح السمكة الرمزيَّة التي معناها حضور المسيح في الافخارستية كما سبق القول — وفي مدينة مودينة من اعمال ايطالية اكتُشف على حَجر يرتقي الى الجيل الثالث منقوش عليهِ سبع خبزات وسمكتان اشارة الى تلك الاعجوبة ثم سمكتان في افواههما خبز اشارة الى الافخارستيَّة الموزَّعة للموءْمنين

وفي ناووسٍ لاحد المسيحيين وُجد في اسكندرية مصر تُشاهد صورة المخلص بين الرسولين بطرس واندراوس وهما يقدّمان لهُ ارغفةً من الخبز وسمكتين وعند ارجل المسيح صورة

اثنتي عشر قفّة من الخبز وفي احدى جهتَي هذه الصورة ترى اشخاصاً جالسين على مائدة كُتب عليها باليونانيَّة: « المؤمنون يأكلون اولوجية المسيح » ومعنى الاولوجية بركة وهي كناية عن الافخارستيَّة في اصطلاح الكنيسة الاسكندريَّة. وفي الجهة الاخرى تُشاهد اعجوبة تحويل الماء الى خمر في عرس قانا الجليل وهي ايضاً اشارة الى هذا السرّ. وكثيرًا ما نعثر عليها في الدياميس الرومانيَّة ايضاً مقرونةً باعجوبة تكثير الخبز لكمال تشخيص الخبز والخمر المتحوّلين في الافخارستيَّة الى جسد ودم المسيح باعجوبة باهرة. ففي مقبرة كلستوس نجد عند قوائم المذبح السمكة واجاجين الخمر المذكورة في عرس قانا الجليل ومعها قفف الخبز السبع

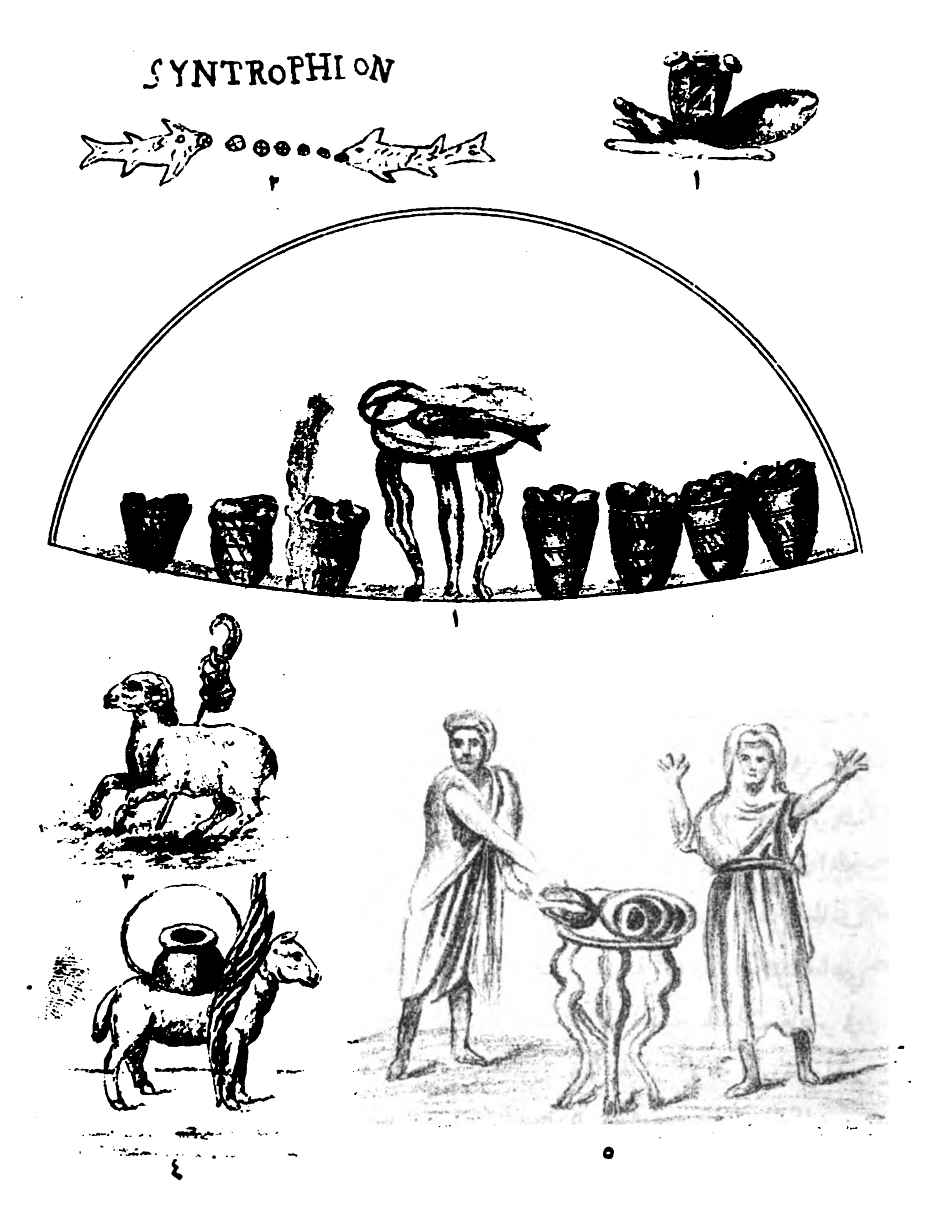
٤ وممّا يُرى في مقبرة كلستوس المذكورة على جدار احدى الحُجَر صورة موسى الكليم يحل سيور حذائهِ اذ يأتيهُ الامر بذلك من يد خارجة من الغمام تشخّص حضور الله. وبجانب موسى صخرة يتدفّق منها الماء يضربها شخص بالعصا الّا ان هذا الشخص ليس هو موسى مشترع بني اسرائيل اذ يختلف عن الصورة الاولى اختلافا كليًّا بالهيئة والثياب بل هو بطرس رئيس العهد الجديد كما يُستدلّ من المقابلة بصور اخرى لهذا القديس في تلك الآثار. ولا حاجة ان نذكر بان الصخرة هنا تقوم مقام المسيح بناء على قول الرسول بولس عن بني اسرائيل (١ قور ١٠: ٤): « كانوا يشربون من الصخرة الروحية التي كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح ». وفي الجدار المقابل ترى صورة الصخرة عينها يحدق بها بعض الاشخاص وسبع قفف من الخبز اشارة الى الاعجوبة المذكورة آنفًا. امّا الصخرة فلا ينبعث منها ماء وما سبب ذلك الّا لانها لم تعدْ تشخّص المسيح كما كانت تشخّصهُ في الصورة الاولى لوجود شيء آخر يقوم مقام الماء اعني الخبز الّا ان وجودها مع الخبز بعد ان استُخدمت قبلًا لتشخّص المسيح يدلّ واضحاً على اعتقاد القدماء بالحضور الحقيقي في الافخارستيَّة

٥ واكثر ما نجدهُ في هذا الصدد صورة ظهور المسيح وغدائهِ على ساحل بحيرة طبريَّة مع سبعة من تلاميذهِ حيث جلس معهم على مائدة فيها خبز وسمك مشوي (يوحنا ف ٢١). ففي حجر دياميس كلستوس نرى صورة التلاميذ السبعة وامامهم سمكة مشويَّة ولا نجد صورة المسيح معهم وذلك لانهم كانوا يريدون بالسمكة المسيح نفسهُ. ولكي تكون العلاقة بين هذا الغذاء والافخارستيَّة اوضح فقد صوّروا حول

المائدة قفف الخبز. وفي نقوش اخرى من الدياميس عينها بدلًا من المائدة نشاهد مذبحًا بثلاث قوائم وفوقهُ السمكة وحولهُ قفف الخبز السبع. واعلم ان السمكة المشويّة على الجمر عند آباء الكنيسة رمز عن المسيح المضطرم بنيران المحبة الالهيَّة فوق مذبح قربانهِ. ونقرأ في كتاب احد آباء كنيسة افريقية لم يُذكر اسمهُ شهادةً فيها يدعو المسيح: « السمكة العظيمة الذي اشبع من نفسهِ التلاميذ على الساحل ووهب ذاتهُ للعالم كلهِ سمكةً نتنوَّر ونتقوَّى بدواء احشائها ». يشير بذلك الى سمكة طوبيا (سفر طوبيا ف ٦)

٦ وقد كان قدماء المسيحيين يعبرون عن ايمانهم بالافخارستية برموز القيامة والخلود اذ ان العلاقة بينهما بديهيَّة كما قال الربُّ: « من يأكل جسدي ويشرب دمي لهُ الحياة الدائمة وانا اقيمهُ في اليوم الاخير». ولهذا ففي مقبرة برتكستاتس نجد حجرًا للجيل الثاني او الثالث منقوش عليهِ طاووسان حول اناء ذي عروتين وعلى فم الاناء خبز بشكل الاقراص تُدعى الاكاليل المكرَّسة وكانت تُستعمل في القداس. ولمَّا كان الطاووس عند المسيحيين القدماء رمزًا عن القيامة والخلود فمعنى هذه الصورة هو ان الافخارستيَّة هي عربونها وعلّتهـا ولا يخفى ما في ذلك من البرهان القويّ على اعتقادهم بالحضور الحقيقيّ. قال كيرلس الاسكندري في شرح الفصل السادس من انجيل يوحنا: « ولو كان الموت قد اخضع الجسد البشري الى ضرورة الفساد لكن من حيث ان المسيح هو فينا فسنقوم لا محالة لانهُ لا يُصدَّق بل هو من المحال ان الحياة لا تحيي من كانت فيهِ فكما اننا نطمر شرارة النار في تبن كثير لكي يحفظ زرع النار هكذا ربنا يسوع المسيح يودعنا الحياة بجسدهِ ويضعها داخلنـا بمثابة زرع الخلود وهي تزيل كل فساد فينا (انتهى). وهذا غني عن كل شرح

ثمَّ انهُ في احد جدران حُجر لوقينا تُشاهد صورة غنم حول الاناء الافخارستي وفي الجدار المقابل لهُ صورة حمامتين تسرحان في بستان نُثرت فيهِ الزهور مكتنف بالاشجار فالغنم في عرف اصحاب هذا الفن هم المؤمنون في حال وجودهم في منفى هذا العالم. فيكون معنى هذه الصورة ان المؤمنين في هذه الحياة الفانية يتقوَّون بدواء الخلود اي الافخارستيَّة والحمامات أُهم المؤمنون عينهم في حال حصولهم على هذا الخلود والسعادة السرمديَّة بقوَّة ذاك القوت الالهي



١ السمكة رمز عن المسيح مع الخبز والخمر في مدفن كلستوس (القرن الاول او الثاني) ٢ سمكتان وُجدتا على ضريح نصراني في مودينة مع الخبز الافخارستيّ (القرن الثالث) ٣ حملٌ حامل الحليب رمز عن الافخارستيّة مع عصاة الرعاية في مدفن دوميتلّا ٤ حمل آخر مع الحليب في مدفن القديسين بطرس ومرشلينوس ٥ الخبز الافخارستي على المذبح مع صورة الكاهن وصورة الكنيسة مرموز عنها بامرأة تصلي (في مدفن كلستوس. القرن الاول او الثاني)

ووفقاً لهذا المعنى تجد في الديامبس كؤوساً قديمة من زجاج منها صحيحة ومنها مكسورة وفي اسفلها او على جدارها مكتوب : « اشرب فتحيا » او: « اشرب لتستطيع ان تحيا في الخير » او « الخيرات » . ومعلوم ان الآباء اليونانيين كانوا يلقّبون الافخارستيّا بالخير او الخيرات على سبيل الغلبة

ولا ريب في قدميّة هذه الكؤوس اذ من الأكيد انها سبقت عهد البابا اوربانوس الاول اعني قبل سنة ٢٢٧ لأننا نعلم من التاريخ بان سالفهُ البابا زفرينوس لكي يوافق الفقر مع اللياقة امر ان تكون الكؤوس المستعملة في القداس على الاقلّ من زجاج. فلمّا تبوّأ بعدهُ اوربانوس المذكور السدّة البطرسيّة الغى استعمال الزجاج بناء على سرعة عطبهِ . اذن هذه الكؤوس هي من عهد البابا زفيرنيوس اعني قبل السنة المذكورة آنفاً

وامّا اعتقاد الاجيال الاولى بالافخارستيـة من حيث كونها ذبيحة حقيقيّة فنستدلّ عليـهِ : (اولاً) ممّا قيل حتى الان من امر المذابح والموائد وبين المذبح والقربان الحقيقي علاقة لازمة . (ثانياً) من اننا نجـد ما عدا ذلك مذابح كثيرة في الديامبس باقية الى يومنا هذا وهذه كانت قبور الشهداء ومنهـا جرت السنّة في الكنيسة اللاتينيّة ان لا يُكرّس المذبح الّا بصخرة تحتوي على ذخائر الشهداء والقديسـين . (ثالثاً) في حُجر ديماس كلستوس الخمس نشاهـد صورة مائدة مثلّثـة القوائم هي مذبح التقريب وفوقها خبز وسمكة وبجانب المذبح صورة رجل رسولي موشّح برداء يمدّ يدهُ فوق الخبز والسمكة فهذه كما هو واضح هي صورة الكاهن الذي يُقيم رتبة السرّ ومن الجانب الآخر صورة امرأة واقفة ورافعة ذراعيها الى السماء . فهذه المصلّية هي رمز الكنيسة اعني جماعة المؤمنين الحاضرين الذبيحة وهم يصلون والسمكة هي المسيح بالذات حاضر في الذبيحة تحت الاشكال السريّة وقبالة هـذه الصورة في الجدار الآخر صورة ابراهيم واسحق وخشب الوقود والحمل المذبوح عوضاً عن اسحق كل ذلك رمز عن ذبيحة المسيح في الافخارستيّة لان ذبيحة اسحق لم تكن فقط رمزاً مشخّصاً ذبيحة الصليب بل تشير ايضاً الى الذبيحة غير الدمويّة التي قرّبها المسيح في العشاء الاخير قبـل ذهابهِ الى الصلب. قال يوحنا فم الذهب: « ان ابراهيم لم يلوّث سكّينهُ بالدم ولا صبغ بهِ المذبح فهكذا (في الكنيسة) يوجد قربان يُقرَّب بدون سفك الدم ومن كان مطلعاً على الاسرار

المقدسة يفهم جيدًا ما اقولهُ . ان ذبيحة اسحق كملت بدون سفك الدم لانها كانت صورة قربان مذابحنا »

ليت شعري ترى كيف يستطيع الانسان ان يتعامى تجاه هذا النور الساطع فوا اسفًا على من افضى بهِ روح الغرض والكبرياء والحقد الى نكران حقيقة قد اضحت اجلى من الشمس في رائعة النهار فهل مثل هؤلاء يغشون الَّا نفوسهم

هذا وفي الختام اريد ان تلاحظ ايها القارئ انهُ لمَّا قام في آخر الزمان أقوام اخذوا يتطاولون على كنيسة الله ناسبين الى نفوسهم التمسُّك بالقدميَّة وللكنيسة الزيغان عنها كانت العناية الصمدانيَّة قبــل ذلك بخمسة عشر جيلًا قد اعدَّت تحت الارض تفنيدًا وخزيًا لهم بآثار و براهين وضعيَّة مبرمة ولم ترَ جلَّت حكمتها ان تبرزها الى عالم الوجود الَّا في جيل يميل فيهِ البشر الى حب الفحص والتنقيب على القدميَّة عينها لعلَّهم يرعوون

وخلاصة الكلام قد حصلت اليوم الكنيسة الكاثوليكيَّة على علم لاهوتٍ جديد يثبت واحدة واحدة من عقائدها ويفحم من ينكرها افحامًا قاطعًا ولا بأس ان سمَّيتهُ . لاهوتًا حجريًا بما ان براهينهُ ليست من الكتب المقدسة ولا من شهادة آباء الكنيسة ولا من تحديدات المجامع ونحوها بل من شهادة صخور ومعادن صماء تنطق بلسان حالها فيسوغ لها والحالة هذه ان تضع على جانب تلك البراهين الاعتيادية وتحاج اخصامها بما قالهُ المسيح لليهود معانديهِ (لوقا ١٩ : ٤٠) : « اقول لكم انهُ ان سكت هؤلاء صرخت الحجارة » والسلام

مصفاة لصَفْق زيت الزيتون

لجناب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر

انَّ في الزيتون كميَّة وافرة من الماء لا بُدَّ من افرازها بعد عصرهِ . ولكن فصــل الماء عن الزيت ربَّما كان بطيئًا مع ما يوجد بينهما من الفرق في الثقل النوعي . ولا نجهل انَّ البعض ينالون فصلًا تامًّا وسريعًا بين العنصرين وذلك بان يسخنوا معجون الزيتون بعد خروجهِ من تحت الرحى او وضعــهِ في المعصرة بيد ان ذلك يبخس الزيت قدره

وينقص ثمنهُ بما يوليهِ من الذوق التفه المعروف بذوق السناج

ومن اراد ان يستخرج لهُ زيتاً طيباً من الصنف المسمَّى الزيت البكر ينبغي لهُ ان يعصر الزيتون عصرًا معتدلًا دون احمائهِ. لكنَّ هذه الطريقة تفقدهُ قسماً صالحاً من الزيت الذي يبقى ممزوجاً بمائية الثمرة فيُقتضي استخراجهُ منها. وكان ارباب الزراعة اخترعوا لسدّ هذا الخلل وسائط عديدة منها ساذجة بسيطة كما في بلادنا ومنها مبتكرة ذات جهاز حسن كما ترى في اقطار اوربَّة الجنوبيَّـة حيث يكثر الزيتون وكلُّ هذه الاختراعات مبنيَّة على خاصة الفرق بين ثقل الزيت والماء.

ففي بلاد الشام اذا عُصر الزيتون سال العصير من المعصرة في الحوض من الحجر. وهناك يروق مدَّة حتى يطفو الزيت فيُقطف بالكيلة وهي اناء اسطواني من التنـك يجيلونها على سطح الماء منحنية فيجمعون الزيت. ومنهم مَن يقطفهُ بملاعق مستوية من الخشب او التنك وهذه الطريقة افضل من قطف الكيلة. واذا لم يعُد يمكنهم ان يقطفوا شيئاً من الزيت صبوا الماء الباقي في خابية مثقوبة في علوّ ١٠ سنتيمترات من قعرها ثم يخضونهُ ويدعونهُ سبعة ايَّام او ثمانية حتى يصفو ويتصاعد الزيت فوق المائع. فيفتحون اذ ذاك الثقب الاسفل فيجري منهُ الماء وهم يراقبونهُ فاذا رأوهُ تكدَّر ولمع استدلُّوا بذلك على وجود الزيت فيهِ فسدُّوا الثقب (١ وسكبوا المائع في قدر فيجعلونهُ على النار ويحركونهُ حتى يغلي ثم يصفُّونهُ ويقطفون ما طفا فوقهُ من العكَر (الدخم) وما يبقى في القدر يدعونهُ الدردي وهو لا يُؤكل لكنهُ يصلح للصنائع كعمل الصـابون والإنارة الى غير ذلك. وقد لحظتُ انَّ اهل بلادنا من دأبهم ان يجعلوا في اسفل الاناء اقراصاً (tourteaux) الغاية منها ان تسهّل بحرارتها افراز المائعين وفصلهما وذلك بما يحصل في هذه الاقراص من الاختمار

فترى مما سبق ما تقتضيهِ هـذه الطريقة التي وصفناها من طول الزمن وتوالي المعالجات. ومن نقصانها انَّ قسماً كبيرًا من الزيت يكون بخس القدر قليـل المنفعة. فسعى كثيرون من ارباب الخبرة ان يستدركوا هذا الخلل بوضع آلات مختلفـة لتصفيق الزيت وانما فاق عليها جميعاً جهاز جديد اخترعهُ في الجزائر الزراعي الفاضل توما دي ازازغا

١) والماء المسكوب يُجعل في جورة حُفرت في الارض فاذا صفا وراق قطفوا من وجههِ ما تضمنهُ من الزيت

(d'Azazga) واستحسنهُ كل من فحصهُ فحصاً مدقّقاً. والراووق المذكور ما كاد يعرف زرّاع الزيتون تركيبهُ حتى استعملوهُ لتصفية زيتهم وفضّلوهُ على سواه. ومن خواصّهِ انهُ رخيص الثمن سهل التجهيز والنقل لا كلفة في تنظيفهِ فتراهُ احسن ما يمكن استعمالهُ في معاصر زيتنا كبيرة كانت ام صغيرة. وهو مبنيٌّ على مبدإ فرق الثقل الموجود بين الزيت والماء. وهاك تعريب وصفهِ كما ورد في مقالة وضعها مخترعها حيث قال (١:

تتركّب هذه المصفاة من إناء قابل (ا اْ) علوهُ متر وقطره ٦٠ سنتيمترًا وفي هذا الاناء انبوب (ن نْ) مملوء ماء الى علوّ فوهة مصبّهِ (ص) يتّصل طرفهُ الاسفل بقعر الاناء. امَّا فوهة مصبّهِ فبعدها عن الطرف السافل ٨٠ سنتيمترًا

هذا والفوهة التي يسيل منها الزيت (صْ) تكون على علوّ ٨٤ سنتيمترًا ويملأ الاناء ٤٠ سنتيمترًا ماء و ٤٤ سنتيمترًا زيتًا بحيث يوازن مجموعها عمود الماء الذي في الانبوب (ب) ويصير المائعان على سواء المصبّين (ص صْ) لاختلاف ثقلهما. فاذا ثبتت الموازنة على هذه الصورة وجرى في الاناء من الانبوب (د) عصير الزيتون اي مزيج الزيت والماء انهبط في الاناء من جهة الحاجز الجزئي (ح) الذي يبلغ طرفهُ الى ٤٥ سنتيمترًا من القعر بحيث يبقى تحتهُ خمسة سنتيمترات زيتًا. وهناك ينفصل العنصران ويجري كلٌّ منهما من جهتهِ بنوع متواصل من المصبّين (ص صْ). واذا اردتَ تنظيف الاناء فتحتَ الحنفيّتين السفليين

فهذا الجهاز كما ترى في غاية البساطة يسهل تركيبهُ وفيهِ من توفير الوقت واقتصاد النفقات ما يرغّب في استعمالهِ كلّ من اطّلع عليهِ والسلام

١) راجع مجلة الزراعة الجزائرية (ص ٦٥٨)

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

(اسمهم) وللصابئة اسم آخر وهو «نَصورايا» قال المقتطف عن معناها: (٢٣: ٩٠) امّا اسمهم نصوراني (كذا. والاصح نَصورايي او نصوراني او ناصورايا على سبيل الحكاية) فتحريف كلمة نصارى او نساطرة (كذا) نسبةً الى طائفة ألنساطرة التي كانت في سوريَّة منذ عهد طويل» اه. وعندنا انها مشتقَّة من فعل: «ܢܨܪ» ومعناهُ في لغتهم: «رنَّم ورتَّل لله وسبَّحهُ ومجدهُ» وذلك لانَّ الصابئة يُكثِرون في النهار الواحد من نوع من الاصطباغ يسمُّونهُ بلسانهم «الرَّشم» ويقابلهُ عند العرب «الوضوء» وهو الاغتسال عند حدوث جَنابةٍ ايًّا كانت. وكما انَّ هذا الرشم لا يتمّ الّا بتلاوة الصلوات فعليهِ اصبح معنى «نصورايا» المُصلون والمسبِّحون والمَمجدون ونحو ذلك. ثمَّ توسَّعوا فيها فاصبح معناها اليوم: «الصالح» مطلقاً من كلِّ ملةٍ ونحلةٍ. واذا ارادوا أن يقولوا: «هذا رجلٌ صالح» عبَّروا بلسانهم على هذا الوجه «ها زِبن كَوْرا ناصورايا» غير انهم في اغلب الاحايين يحصرون معنى هذه اللفظة بطائفة خدَمة الدين او الاكليروس. او كما يقول العرب «العلماء». وسبب تقييدهم لهذا المعنى هو ان خدَمة الدين عندهم يصلُّون اكثر بكثيرٍ من عامَّتهم فحقَّ لهم هذا الاسم

ومن هذا كلّهِ تستنتج ان الذين يقولون ان «النصورايا» هو اسم يُطلق على جميع المندائيين «حالًا او في هذه الأيام» هم في وَهم ظاهر. بخلاف ما لو قالوا ان ذلك هو اسمهم عند الاقدمين فحينئذٍ لا لوم عليهم ولا تثريب ولا هم يخزون عند التحقيق والتنقيب. — ومن اسمائهم القديمة ما ذكرها العلامة المؤرّخ ثيودور بَرخوني صاحب «كتاب الاسكوليون» واليك معرَّب كلامهِ قال: «واسمهم (اي اسم اتباع آدا وهم المندائيون كما رأيت) في ميشان (قلتُ: ميسان كورة معروفة من كُوَر دجلة بسواد العراق بين البصرة وواسط. عن التاج) المَندائيون والمَشكَنيُّون (هذه اللفظة الاخيرة منسوبة الى المشكنة وهي بلسانهم الفصيح الكنيسةُ والبيعة والمُصلَّى. امَّا بلغتهم العاميَّة

فقسّي البيعة « مَندي ») اصحاب من يأتي القُرُبات. واسمهم في بيت ارمايي (اي في سواد العراق) ناصوراييِ اصحاب دُستاني. امّا الاسم الذي يليق بهم فهو الآدَوِيون. وقد اخذوا مذهبهم عن المرقيونيين والمانَويين والكَنتيّين (١

(ذكر الصابئة في التأريخ) لا نرى للصابئــة ذكرًا صريحًا في كتاب الله. وكل مرّة اراد التنزيل ان يذكرهم نوّه بعبادتهم. قال عزّ من قائل في تثنيــة الاشتراع يُذكِّر اسرائيل بحفظ العهد ويزحزحهُ عن عبادة الاوثان ثم ينحيه بعــد ذلك عن الصابئة او عبادة النيّرات ما نصّهُ: «... وكيلا ترفع طرفك الى السماء فتنظر الشمس والقمر والكواكب فتجتذب وتسجد لها وتعبدها » (التثنية ٤ : ١٩) ويقرب من لفظ الصابئين حرف « السَبَئيين » في اصل الاشتقاق الّا ان هؤلاء قومٌ آخرون وقد جاء ذكرهم في نبوّة اشعيا (٤٣ : ٣ ثم ٤٥ : ١٤) وفي الزبور (٥٢ : ١٠) الخ (٢

١) Vid. Pognon.-Insc. mand. des Coupes de Khouabir, p. 154 et 224

٢) والافرنج يسمّون الصابئين والسبئيين بلفظ واحد Sabéens وكلاهما « عندهم » مشتق من « سبأ » فاذا ارادوا بلفظ Sabéens سكان مدينــة سَبَأ او مأرب كان لهم ذلك جائزًا من باب النسبة عندهم. وان ارادوا بذلك ايضًا الصابئة او المندائية جاز لهم هذا ايضًا وسبب هــذا التجوُّز هو ان الديانة التي كانت متغلبــة في قديم الزمان في سبأ هي الصابئية او عبادة الكواكب والنيّرات فحقّ لهم وجه هذه التسمية لان العادة في تسمية الاديان نسبتها الى اصحابها الذين انشأوها فتقول مثلًا: الموسويّة والمسيحيّة. لكن اذا جُهل صاحبها فحينئذٍ تُنسب الى البلد التي تُوجد فيهــا او وُجدت او نشأت. فيقول العرب مثلًا: « الحرّانيّة » لفرقةٍ من الصابئة نشأت في بلدة حرّان. لكن لمّا لم يُعرف صاحبها سمّوها باسم البلدة التي وُجدت فيها. وعليهِ ففي قولك « الحرّانية » اشارة الى ديانة ساكني مدينة حرّان. ومن ثمّ فقول الشيخ ابراهيم اليازجي في البيان (حاشية ص ٩٩). وزعم ليتراي انهم سمّوا كذلك نسبةً الى سبأ وهي مدينــة مارب باليمن وانما اختلط عليهِ لفظ الصابئين بالسبئيين... وشتّان بين لفظين » هو وَهْم الى التصريح بهِ. لانهُ قد تحتمل اللفظة الواحدة وَجهين من التأويل بدون ان يكون شطط في ذلك. على ان الافرنج تركوا اليوم لفظة Sabéens بمعنى الصابئــة مستعملين عوضها لفظة المندائيين Mandéens رفعًا للّبس. ثم نزيد الشيخ علمًا ان العرب قد نسبوا الى المدينة ايضًا بعض الاديان وان عُرف صاحبها وذلك لاشتهاره باسم مدينتهِ كما جاء من هذا القبيل لفظة « النصرانيّة » فانها منسوبة الى الناصرة بزيادة الالف والنون قبل الياء (على الطريقة الآرامية) كما قالوا: « روحانيّ وربّانيّ وبحرانيّ وصنعانيّ ورَوحانيّ في النسبة الى روح وبحراء وصنعــاء ورَوحاء (القواعد الجليّة ١ : ١٠١) غير انهم لمّا قالوا ناصراني حذفوا الالف الاولى للتخفيف. امّا رأي بعض النحاة واللغويين في وضع هذه اللفظة واصل نسبتها فممّا لا يكترث بهِ لوهنهِ

امّا القرآن فقد ذكر الصابئة ذكرًا صريحًا. من ذلك ما جاء في سورة البقرة: « ان الذين آمنوا والذين هادُوا والنصارى والصابئين مَن آمن بالله واليوم الآخِر وعمل صالحًا فلهم اجرُهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ». وما جاء في سورة الحجّ: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا. انّ الله يفصل بينهم يوم القيامة. ان الله على كل شيء شهيد ». وما جاء في سورة المائدة: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

وسائل يسألنا هنا: هل الصابئون الذين ذكرهم القرآن في عداد اهل الكتاب هم نفس الصابئين الذين يدور الكلام عليهم في هذه النبذة؟— قلنا: قد انكر قومٌ كون الصابئة الحاليين هم نفس صابئة القرآن غير ان نكيرهم لا يقوم على ساقٍ صحيحة. امّا كونهم هم بعينهم. فلنا على ذلك شواهد كثيرة منها: ١ً شهادة الصابئة نفوسهم. ٢ً ان العلماء المشهورين الذين نبغوا بين الصابئة في عصر العباسيين الزاهر مذكورة اساميهم عندهم ويعظّمونهم ويؤكدون انهم من نحلتهم. ٣ً ان القرآن صرّح بكونهم من اهل الكتاب وكتابهم هذا هو المسمّى: « كِنزا ربّا » او: « سدرا دآدم » اي الكتاب العظيم او سِفر آدم او صُحُف آدم لانهم يزعمون ان الله انزلهُ على صدر آدم. ٤ً ان هذا السفر وان كان قد زيد عليهِ زيادات بعد القرن السابع للمسيح الّا ان معظمهُ من القرن الثاني والثالث للمسيح لادلّة لا محلّ لذكرها هنا. وعليهِ فلمّا ظهر الاسلام كان سفر آدم بين ايدي اصحابهِ. ولكونهم يدّعون بانهُ أُنزل على آدم اعتبرهم صاحب الشريعة الاسلاميّة من اهل الكتاب. ٥ً يشهد على هذه الحقيقة الناصعة اهل التفسير. ولكي لا نُطيل الكلام على غير جدوى نستشهد بامام المُفسّرين وشيخهم. قال في الكشّاف في تفسير آية سورة البقرة: « والصابئين وهو من صَبأَ اذا خرج من الدين وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهوديّة والنصرانيّة وعبدوا الملائكة » ففي قولهِ « عبدوا الملائكة » اشارة الى تعظيمهم الروحانيين الذين عندهم بمنزلة الملائكة. وكثيرًا ما ما يسمّونهم بالملائكة ايضًا الى يومنا هذا. وقال في تفسير آية سورة الحجّ: « جُعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم ». وقد اشار المفسّر بذلك الى ان الصابئة فرقة من النصارى قائمة بذاتها على ما مرَّ بك انهم قد ادخلوا في معتقدهم شيئًا كثيرًا من

مذهب الأَدْرَيين الذين كانوا بدعةً هالكة من النصارى. واما ذكر الصابئة في سائر كُتب المؤرخين القدماء فهي كثيرة. وراجع بهذا الصدد اسطرابون: (Strabo XVI 768) وديدور (Diod. p. 3, 38, 46) وپلين (Plin. p. 6, 32)

(معتقدهم) لا يمكننا ان نأتي بذكر معتقد هذه النحلة بدون ان نذكر تمهيدًا لها فذلكةً عن معتقد الأَدْرَيين الذين اخذ عنهم الصابئة كثيرًا من آرائهم. فنقول:

تمتاز الأَدْرَيَّة بضلالين عظيمين هما بمنزلة ساقين يقف عليهما مذهبهم. فالضلال الاوَّل: الثَّنَويَّة اي القول بوجود كائنين ازليَّين متواجهين متضادَّين وهما صاحب الخير او النور وصاحب الشرّ او الظلمة. والضلال الثاني: الصدور وهو عبارة عن نشوء احد هذين الكائنين او كليهما على طريقة ينمو او ينموان فيها نموًّا يترادف فيها الكائن بعد الكائن على آسالٍ من ابيهِ وهاتهِ الكائنات تُعرف باسم « الرُّوحانيين » (éons) وكل مرَّةٍ يُدرك الكائن الاوَّل الالهيّ نفسهُ بمعنًى جديدٍ كمفكّر ومتكلِّم وحيّ او كحكيم وعادلٍ ومنزَّهٍ وخالدٍ وقديرٍ الخ ينقلب ذلك الفعل الالهي هُوِيَّةً جديدةً هي « الروحانيّ ». وعلى رأي الادرّيين ان الروحانيّ الذي أُرسل لتنظيم الهيولى المتنسّمة هو من الروحانيين الخاضعين لمن هم أعلى منهم واسمهُ عندهم « العامِل » (démiurge). وهو على رأي فريق منهم مُعادٍ ابدًا للكائن الأعلى. اما الذين اتمّوا خلق الكون فهم مدبّرو المتحيّرات السبع الذين دأبوا في عملهم دون معرفة الله. فلما رأى تعالى ما حلَّ بالعالم من الانقسام والتجزؤ وكَلَّ ادارتهُ الى الرُّزَاة ثم الى آخري الروحانيين ممَّن هم قريبون من المادة الرديئة والمتنسِّمة فنالوا مُلك العالم مكافأةً عن دأبهم. اما تدبير العالم فكان نصيب « الحكمة » (Sophie) وهي روحانيَّة انثى من الطبقة الاولى وآخر ثلاثين الروحاني الذين شغلوا « ملء الوجود (Plérome) ما عدا اربعة منهم يُعرفون باسم « القليبة » (Cœlibes) وهم: الحدّ (Horos) وروح القدس والمسيح ويسوع. وكانت « الحكمة » منافسةً للمعبود الاعلى ومن شدّة غيرتها ولدت ابنة اسمها « حكموت » (اي الحِكَم) وهذه الابنة وقعت على الهيولى فولدت منها ابنًا اسمهُ « العامل » وهو الذي خلق العالم باسرهِ إن كان هذا العالم عُلويًّا وسماء المتخذين من المادّة اللطيفة. وإن كان عالمًا سفليًّا وارضًا المتخذين من المادّة الخشنة. وان كان الانسان الذي هو مركَّب من المادَّتين اللطيفة والخشنة. وبعد هذا العمل ادّعى « العامل » لنفسهِ الاكرام الالهيّ. ولهذا بُعث المسيح رئيس الروحانيين

في نيّـــة ان يحارب « العامل » فجاء بصورة يهوديّ صالح كان قد بلغ من التقى الغاية القصوى وكان يُعرف باسم يسوع لكن ترك بعد ذلك شخصيّة هــذا اليهودي الصالح وصعد الى السماء لان « العامل » كان قد اثار الناس عليهِ ليصلبوه. (انتهى ملخَّصاً عن دُزْباكر في كتابهِ تاريخ الكنيسة وفلّز ونوربر »

امَّا مذهب الصابئة في هذا اليوم فيقرب كثيرًا من هذا المذهب. واليك ملخَّص ما قرأناهُ في كتبهم الدينيَّـــة ثم تثبَّتناهُ من لسان شيوخهم: اول كائن وُجد من نفسهِ هو « مَلْكا دَنْهورا » اي ملك النور (١. وليس من موجود اعظم منـهُ ولا من كائن سبقهُ في الوجود. وهو من الروحانيين الذكور. وحالما وُجد وُجد معهُ ايضاً « سيمات هيّ » اي خزانة الحياة. وهي من الروحانيين الاناث ومن اعظمهنّ شرفاً وقدرًا. و « لِملكا دَنهورا » اسماء والقـــاب شتى. منها « هيّ قدمايي » اي الحياة الاولى وهو الذي خلق عدة مساكن للروحانيين فجعل ٤٤٤ منها عن يمينـــهِ و ٣٦٦ عن يسارهِ. ولم يعيّن لكلّ مسكن من هــــذه المساكن الفاً وثمانمائة الف الفٍ من الروحانيين فقط بل اقام عليهم حارسَين عظيمين برأسانهم. — « وهيّ قَدمايي » هو الذي عمّد في نهر الحياة (أَرْدَنا ميًّا هيًّا » رسول الحياة « هيقل زيوا » واخويهِ « شيتل وانوش » ومعنى هذا التعميد انهُ كشف لهم اسم الحياة الاولى (هيّ قدمايي)

ومَلْكا دَنهورا يسكن عالمًا نورانيًّا يسمّونهُ « آلما دَنهورا ».ولمَّا اراد الخلق صات صوتًا فوُجد للحال « مَلْكا مارا دَرَبوثا أَلِيثا » (اي الملك صاحب العظمة العليَّة) ثمَّ صاح صيحةً ثانية فوُجد « مَندا دهيّي » اي معرفة الحياة او رسول الحياة. وهذا نوَّه « بهيقل زْيوَا وشيتل وانوش أَثْرا ويُوشَامن دخيا وشُبًّا ربًّا وأواثر راما » الخ الخ. والخلاصة ان الولادة في الروحانيين هي على طريقة النداء والدعاء. وكل روحاني يريد

١) ومن اسمائهِ ايضاً : « الحياة » (هيّ) وهو عندهم (نقول« وهو » بالتذكير لان المدلول عليهِ مذكَّر لا مؤنث فنتبع في ذلك المعنى لا اللفظة حاذين حذو الصابئة في هذا الصدد) في ثلاثة اقانيم وُجدوا معاً. وهذا ترتيبهم: « هيّ قَدمايي وهيّ تِنْيانِي وهيّ تِلْـــتايي » ومعنى ذلك الحياة الاولى والحياة الثانية والحياة الثالثة. لكلّ من هذه الاقانيم اسماء والقاب ونعوتٌ مختلفة. هذا واذا رأيت اسم الحياة وحدها في كتبهم واسفارهم الدينية فاعلم ان المراد بها هذه الاقانيم الثلاثة معاً. ولهذا لا تتعجب حينما ترى النعوت التي ترجع الى هذه اللفظة المفردة المؤنثة مجموعةً جمعاً مذكرًا. فاحفظ ذلك لانهُ مهمّ في بابهِ

خلق روحانيّ آخر يناديهِ فيُخلق. وحينئذٍ يُعتبر بمنزلة ابن لمن ناداه. والروحانيون عديدون لا يكاد يُحصى عددهم. ويُقسمون الى مراتب مختلفة يُطلق عليهم اسم واحد وهو « آلي دَنهورا » او « إبني دَنهورا » اي خَلق النور او ابناء النور. وقد جاء في « الكَنز ربًا » ما معناه: خلق النور خلقٌ في منتهى الكمال الذي يمكن لمثل هذا الخلق ان يكون فيهِ وهو منتشر في الرقيع والمساكن والانهار والاشجار. ومنهُ: « المتسامون (هم جنس من الروحانيين يُسمون بلسانهم أُتري) والملوك (مَلكي) وفي جميعهم الضياء والنور والجمال والبهاء. اه. ومن طبقات الروحانيين: الطيور (پيري) والانواع (مَاني) وذوو الجلالة (إشخينـاتي) والابواب (تِيري) والعظماء (رُورباني) واللائكة (ملاكي) والمساكن (مشكني) والانهار (يَردني) والجداول (ارهاطي) الخ الخ. ومن هذا كلهِ ترى انهم ليسوا متساوين بل البعض اعظم قدرًا من البعض الآخر وارفع جاهًا ودرجةً بحسب قدمهم ومرتبتهم التي يرجعون اليها. وعليهِ فاقسام الروحانيين عندهم تُشبهُ اقسام الملائكة عند النصارى من قوّات وعظمات وكراسي وكروبيين وسروفيّن وملائكة ورؤساء ملائكة الخ. ولكل روحاني من هذه المراتب وظيفة خصوصيَّة يقوم بها صاحبها. وهم كلهم بمنزلة الوزراء والخدمة لِمَلكا دَنهورا يعظمونهُ ويسبحونهُ ويمجدونهُ. ومن ذلك ترى انهُ بمنزلة الإله الاعظم عندنا نحن النصارى (ستأتي البقيَّة)

رسالة ابي نصر الفارابيّ في السياسة

توَلَّى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة لما سبق)

١ ما ينبغي ان يستعملهُ المرء مع رؤسائهِ

نبدأُ بتعهُّد الرؤَساء لما سنصفهُ فنقول: انَّ المرء مع من هو فوقهُ من الرؤَساء لا يخلو من ان يكون متصدّيًا لخدمتـهِ او يكون بينهُ وبين من هو فوقهُ حال يلقاهُ في بعض الاوقات او يكون بالبُعد منهُ لا يلقاهُ الَّا بالذكر. فواجبٌ على المرء ان يستعمل مع من هو متصدٍّ لخدمتهِ ما نقولهُ وهو ان يكون ملازمًا(١) لما هو بصددهِ مواظبًا على ما

١) جاء في النسخة الواتيكانيَّة: وهو ان يكون بينهُ وبينهُ اتّصال وملازمة

فُوِّض اليهِ (47r) ويجتهد ان يكون نُصب عينهِ او ذكرهِ (١ ولا يخشى الملال وخصوصاً من الملوكِ لانَّ موضع الملال انَّما يكون عند كثرة غشيان الناس المواضع التي ليس لهم فيها عمل. وان يكون مادحاً لهُ مقرّظاً (٢ لجميع ما يأتيهِ الرئيس من دقٍّ او جلٍّ مجتهدًا في طلب وجوهِ حسان لكل (٣ ما يفعلهُ [ويقولهُ] وهو واجدٌ لها (٤ اذ ليس شيء من الامور في العالم ألّا ولهُ وجهان احدهما جميل والآخر قبيح فليطلب لكل امرٍ من اموره وجهاً جميلًا يصرفهُ اليهِ ويتكلّف لذكرهِ (٥ بحضرتهِ وغيبتهِ

وان كان المرء ممَّن فُوِّض اليهِ تدبير ذلك الرئيس [مثل ان يكون وزيرًا او مشيرًا او معلِّماً ولا بُدَّ من تعريفهِ وجه الصلاح في الاعمال فليعلم ان الرئيس (٦] كالسيل المنحدر من الربوة ان اراد المرء ان يصرفهُ الى ناحية من النواحي وواجههُ أهلك نفسهُ واتى عليهِ السيل فاغرقهُ. وان سعى معهُ وعلى جانبيهِ وتلطف ليصرفهُ الى الناحيـة التي يريدها بان يطرح في بعض جوانبهِ مقدارًا من السُّدُد ويُطرّق لهُ من الجانب الآخر لا ينشب ان يصرفهُ الى حيث شاء. وينبغي لهُ ايضاً ان يستعمل مع الرئيس في صرف وجههِ عمَّا يريد صرفهُ عن امرٍ يريد ان يجري معهُ في ما هو جارٍ نحوه (٧ ولا يواجههُ [بامر ولا نهيٍ. بل يريهِ وجه الصلاح في خلاف ما يأتيهِ ويقبّح عندهُ في الوقت بعد الوقت على سبيل الحكايات عن غيرهِ والحِيَل اللطيفة بعض ما يعرض بما هو فيهِ. فانهُ اذا استعمل معهُ هذه الطريقة لا يلبث ان يعود الحال بمراده. وان يكون كاتماً لاسرارهِ والحيلة في ذلك ان يكتم جميع احوالهِ الظاهرة بمـا يقدر عليهِ فان من كان كاتماً للاحوال الظاهرة فهو بالحري ان لا يعثر على افشـاء سرٍّ باطن. ولا يؤمَن على السرّ المكتوم ان يظهر ببعض الاحوال الظاهرة لانّ الامور والاحوال متصـلة متعلّقة بعضها ببعض. وان يعلم انّ للرؤساء همماً ينفردون بها عمَّن سواهم من الناس وهي انَّهم يعتقدون في جميع من دونهم الاستخدام والاستعباد وفي انفسهم الاصابة في جميع ما يأتونهُ. وانما تحدث هذه الهمّة فيهم لكثرة مدح الناس لهم واطرائهم اعمالهم وتصويبهم آراءهم وذلك في طباع

١) ويروى: اذا ذكرهُ ٢) وفي الاصل: مازجاً لهُ مفرطاً. وهو تصحيف
٣) ويروى: في تحسين كلّ ٤) ويروى: وهو واجد ذلك
٥) ويروى: يتكلّف ذكرهُ ٦) سقط من نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية
٧) كذا في الاصل ولا يخلو من الالتباس

كلّ الناس. وان يحترز كلَّ الاحتراز بان يخبر عن نفسهِ بحضرة الرئيس شيئاً يُمكن ان يتّخذ ذلك بوجهٍ من الوجوه جرماً عليهِ (١] وان كان في غاية الانبساط معهُ ولا يقرّ بما يُلقى منهُ الى الرئيس ممّا يستقبح فسيّان بين الخبر والاقرار (٢ وليس يُؤْمن تغيُّر الاحوال

وامَّا اذا اعترض بينهُ وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبيح منهُ الّا اليهِ او الى الرئيس فقط فليجتهد في صرف ذلك القبيح الى نفسهِ وليجعل لذلك اوجهاً فاذا اتجه القبيح نحوهُ وتبرّأت(٣ ساحة الرئيس منهُ او كاد ان يتجه فليَحتَلْ لان يطلب لذلك الامر سبباً يكون بدوّهُ من غيرهِ لترجع اللائمة عليهِ وان كان بالقصد الثاني على غيرهِ لئلا يلتزم باللائمة . وما من شيءٍ ابلغ واعمّ نفعاً في باب العبوديّة من ترك المرء حظَّ نفسهِ في جميع ما يباشر من الاعمال الرئيسيّة (٤ . فانهُ ما من امر يتعاطاه المرء ممّا هو بينه وبين الرئيس الّا ويجد لنفسهِ فيــهِ موضع حظّ فينبغي ان يتركهُ ويتجنّبهُ ويستخلص لما هو حظُّ الرئيس فانَّهُ مهما (٥ فعــل ذلك اجتنى ثمرة خيرهِ ومهما اشتغل باستيفاء حظّهِ لا يأتي الامر على وجههِ (٦ ووقع فيهِ خلل . وتَرْك الامر خير من افساده

وينبغي (٧‏47) ان يتلطَّف كلَّ التلطُّف في نيل (٧ المنافع من جهة الرؤساء بان لا يلحّ في السؤال ولا يديمهُ ولا يظهر الطمع والشره من نفسهِ ويجتهد في ان يطلب من الرؤساء اسباب المنافع لا المنافع انفسها مثل اطلاق اليد في وجوه يجلب منهــا الاموال والمنافع ليقلّ السؤال ويكثر النفع ويجتهد في ان ينتفع بالرئيس لا منهُ (٨ لانَّ من انتفع بهم اعزّوهُ ومن انتفع منهم ملّوه

وليضعْ نفسهُ عندهم في صورة من ينخاع عن ملكهِ وقنيتهِ لهم باهون كلمة وأدوَن سَعي . وليحذر كل الحذر من ان يُتصوَّر عندهم منهُ انهُ يضنّ بمالهِ او يحب ان يستأثر

١) كلّ هذه القطعة قد رُويت في نسختنا القديمة في غير محلها . فان الناسخ نقلها الى الصفحة التالية سهوًا . وهنا محلّها كما وردت في النسخة الواتيكانية

٢) روى في النسخة الواتيكانيَّة : وان لا يقرّ بما يخــبر الرئيس عنهُ ممّاً يستقبح فشتّان بين الخبر وبين الاقرار

٣) ويروى : تبرّأت (دون عاطف)

٤) ويروى : من اعمالها

٥) ويروى : متى ما

٦) ويروى : لم يقع الامر على جهتهِ

٧) ويروى : في مثل . وهو تصحيف

٨) ويروى : في ان ينتفع الرئيس لا ان ينتفع منهُ

بشيء من مقتنياته (١ فانَّهُ يصير حينئذٍ بعرض من الاستقصاء. والممنوع محروص عليهِ والمبذول مملولٌ منـهُ. وليجتهد ان يظهر في كلّ ما يقتضيهِ انَّما يفعلهُ [ليكون] زينةً وجمالًا للرئيس لا لنفسهِ فانهُ ملاك للابقاء. وليحذر ان يتَّخـذ لنفسهِ شيئاً ممَّا يتفرَّد بهِ الرئيس او ممَّا يليق بالرؤساء الذين فوقهُ فانهُ كلما اتخذ شيئاً من ذلك عرَّض نفسهُ للهلاك وعرَّض ذلك الشيء للذهاب. وينبغي ان لا يُظهر من نفسهِ الاستغناء عن الرؤساء ولا فيما يقلّ مقدارهُ (٢. [وان يكون مظهرًا ابدًا قناعةً ورضًى بكل ما يتصرَّف فيهِ من الامور والاحوال ومتى ما لحقتهُ سخطةٌ من الرئيس او ملال وما اشبههُ فليجتهد في ترك الشكاية منهُ وليحذر من اظهار العداوة والحقد وليصرف وجه الذنب منهُ الى نفسهِ ثم ليجتهد ويتلطَّف لتجـديد حال يزيل تلك السخطة باهون ما يقدر عليهِ. فهذه قوانين يُنتفع باستعمالها في معاشرة الرؤساء (٣]

٢ ما ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع اكفائهِ

امَّا ما ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع الاكفاء فسنذكر منهُ جُملًا ونقول ان الاكفاء لا يخلون من ان يكونوا اصدقاء او أعداء او ليسو باصدقاء ولا أعداء

١ والاصدقاء صنفان: (احدهما) الاصفياء المخلصون في الصداقة فينبغي للمرء ان يديم ملاطفتهم وتعهُّد [احوالهم و] اسبابهم واهداء ما يستحسنهُ وما تيسَّر لهُ اليهم في كلّ وقت ويخفي الحال فيما بينهُ وبينهم بغير ان يظهر منهُ ملالٌ او تقصير. ويجتهد في الاكثار منهم غاية الجهد فان الصديق زين المرء وعضدهُ وعونهُ وناصرهُ ومذيع فضائلهِ وكاتم هفواتهِ وماحي زلَّاته. ومهما كان هؤلاء اكثر كانت أحوال المرء فيما بينهم احسن واقوم

(والصنف الآخر) الاصدقاء في الظاهر عن غير صـدق فيما يظهرونهُ بل بتشبُّه وتصنُّع فينبغي للمرء ان يجاملهم ويُحسن اليهم ولا يطلعهم عن شيء من اسراره وخصوصاً (48v) من عيوبـهِ ولا يلقي اليهم من خواصّ احاديثهِ وافعالهِ واحوالهِ ولا يحدّثهم عن نعمهِ ولا عن اسباب منافعهِ. وليجتهد في استمالتهم والصبر معهم بحسب الظاهر دون

١) وفي نسختنا: او يحبب اليهِ معتنياً بهِ. وهو تصحيف
٢) هنا كتب الناسخ سهوًا القطعة التي رويناها سابقاً عن النسخة الواتيكانية
٣) ما رويناهُ بين معكَّفين قد سقط من نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية

اخذهم بالباطل ولا يأخذهم بالتقصير ولا يقطع عتابهم فيما يقع منهم من التقصير ولا يجازئهم على ذلك فانَّهُ مهما فعل ذلك ترَجَّى صلاحهم ورجوعهم الى مرادهِ ولعلهم يصيرون في رتبة الاصفياء لهُ وليس شيء ادلُّ على صدق الاخاء واظهار(١ الوفاء ولا اشدّ استجلابًا للمحبَّة ووجوب الحقّ من تعهُّد أحوال اصدقاء الاصدقاء. فانَّ المرء اذا رأى صديقهُ وهو يتعهَّد احوال اخلاَّنه والمتَّصلين بهِ يستدلُّ بذلك على صدق محبَّتهِ لهُ ويثق بودادهِ ويقوى املهُ ورجاؤهُ فيهِ. وافضل [ما يستعملهُ المرء مع اصدقائهِ هو ان يتعهَّد احوالهم عند الحاجة والفاقة ويواسيهم (48^r) بما يمكنهُ من غير ان يحوجهم الى المسئلة ويتفقَّد (٢ اقاربهم وعيلاتهم اذا ماتوا فانَّهُ متى شُهر بذلك رغب في صداقتهِ كلُّ احد. وبذلك يكثر اصدقاؤهُ

٢ والاعداء ايضًا صنفان: (احدهما) ذوو الاحقاد والضغائن وينبغي للمرء ان يحترس منهم كل الاحتراس ويستطلع عن احوالهم بكل ما امكنهُ ومهما اطلع منهم على مكر او خديعة او تدبير يدبرونهُ فليقابلهم بما يناقض تدبيرهم ويكثر الشكاية منهم الى الرؤساء وافناء النـاس ليُعرَفوا بعداوتهم حتى لا ينجع في احد قولهم عليهِ وليصيروا متَّهمين عند النـاس في اقوالهم وافعالهم بما ظهر عندهم من معاداتهم ايَّاه. وكلُّ من أيس المرء من صلاحهِ وتيقَّن سوء طبعهِ وتمكُّن الضغينة من قلبهِ فلينتهز الفرصة في اهلاكهِ (٣ ومهما وجدها فلينتهزها ولا يتغافل عمَّا يمكنهُ اذا تيقَّن بقدرتهِ على اهلاكهِ. وان علم انهُ ربَّما لا يقدر على اتمام امرهِ والنجاة منهُ فلا يُسرع في شيء منهُ لئلا يجد العدوّ (٤] عليك ما يتعلَّق بهِ عند الناس ممَّا يمهّد لنفسهِ عندهم في عداوتهِ عذرًا

(والصنف الآخر) من الاعداء الحسَّاد ويُنبغي للمرء ان يظهر لهم ما يغيظهم ويؤذيهم بان يُلقى اليهم ذكر النعم التي يختصّ بها لتذوب لها نفوسهم ويحترز مع ذلك من دسيستهم ويحتال لظهور حسدهم فيهِ وفي غيره من الناس ليُعرَفوا بذلك

---

١) ويروى: اضمار ٢) ويروى: ويتعاهد

٣) هذه حكمة البشر امَّا حكمة الفضيلة فتقضي بالصبر وردّ الخير بدلاً من الشرّ كما امر بذلك الانجيل الطاهر

٤) ما اشرنا اليهِ بمعقَّفين ورد في نسختنا في غير محلهِ. والصواب كما ذكرناهُ هنا. وفقًا للنسخة الواتيكانية وطبقًا للمعنى

٣ فامَّا سائر الناس الذين ليسوا بصديق ولا عدوّ ولا متصنّع فهم طبقات سنذكر جلّها وجلّ ما ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع كلّ طائفة منها

فمنهم (النصحاء) الذين يتبرَّعون بالنصيحة فالواجب على المرء ان يتفرَّغ بالخلوة مع كلّ من ادَّعى انهُ ناصح لهُ ويسمع الى قولهِ ويعزم على قلبهِ اولًا (١ بان لا يغترّ بكل قول يسمعهُ [وان لا يعجّل الى قبولهِ] ولا يعمل بكل ما يُنهى اليهِ بل يتأمل اقاويلهم ويتعرَّف اغراضهم غاية التعرُّف ليقف مع معرفة أغراضهم على حقيقة اقاويلهم. فاذا لاح لهُ وجه الصواب وحقيقة الامر في شيء ممَّا ألقوهُ اليهِ بادر الى انفاذ الامر فيهِ. وليكن تلقيهِ لكل واحد منهم بهشاشة واظهار حرص على ما يلقيهِ اليهِ

ومنهم (الصُّلحاء) وهم اناس يتبرَّعون لاصلاح ما بين الناس فيجب على المرء ان يمدحهم ابدًا على ما يفعلونهُ وان يتشبَّه بهم في جميع احوالهِ فانَّ مذاهبهم مرضية عند جميع الناس ومهما تشبَّه المرء بهم عُرف بالخير وحسن النيَّة

ومنهم (السُّفهاء) فيجب على المرء استعمال الحلم معهم وان لا يؤاتيهم ولا يقابلهم بما هم فيـــهِ من (49r) السفاهة بل يتلقَّاهم ابدًا بحلم رزين وسكون بليغ ليعرفوا قلة مبالاتهِ بما هم فيهِ (٢ ولا يؤذوهُ بعد ذلك متى تلقُّوهُ بالمشاغة [والسفه]. فيجب ان يتلقَّاهم بالحقرة وقلة الاكتراث

ومنهم (اهل الكبر والمنافسة) فيجب على المرء ان يقابلهم بمثلهِ لانهُ ان تواضع احسُّوا منهُ بضعف وتوهموا [انَّ فيهِ لينًا و] ان فعلهم ذلك صواب وانهُ لا بُدّ للناس من التواضع لهم ومتى تكبَّر المرء عليهم وكابرهم (٣ في الاحوال وتأذَّوا بهِ علموا ان الذنب في ذلك منهم ورجعوا الى التواضع وحسن المعاشرة

٣ ما ينبغي ان يستعملهُ المرء مع من دونـــهُ

وامَّا الذي ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع من دونهُ من النـــاس فانَّا نصف منهُ ما تيسَّر ونقول: انَّ منهم الضعفاء وهم صنفان: (احدهما) المحاويج (٤ ذوو الفاقة وهم صنوف منهم الملحفون (٥ فينبغي ان لا يُعطيهم ولا يبذل لهم على إلحاحهم شيئًا ليزجروا عن ذلك (٦ الَّا اذا علم انهم صادقو الحاجة الى الشيء الضروري. ومنهم الكاذبون فيما

١) كذا في الاصل. ولعلَّ فيهِ تصحيفًا ٢) ويروى: ليأسوا من منالاتهم بما هم فيهِ
٣) ويروى: وكاثرهم ٤) ويروى: المحتاجون ٥) ويروى: الملحّون ٦) ويروى: عنهُ

يدَّعونهُ من الفاقة فينبغي ان يميّز بينهم فان كان تعمُّدهم للكذب لضرب من التدبير فلتكن معاملتهُ معهم في المؤاساة وسطاً من غير منع ولا بذل تامّ . ومنهم الضعفاء الصادقون فيما يبدونهُ من الحاجة فينبغي ان يتعهَّدهم بالمؤاساة بغاية ما امكنهُ من غير ان يخلّ باحوال نفسهِ

(والصنف الآخر) هم المتعلّمون وذوو الحاجة [الى العلم] فمنهم أولو الطبائع الرديّة يقصدون تعلُّم العلوم ليستعملوها في الشرور فينبغي للمرء ان يحملهم على تهذيب الاخلاق ولا يعلّمهم شيئاً من العلوم التي اذا عرفوها استعملوها فيما لا يجب . وليجتهد في كشف ما هم عليهِ من رداءة الطبع ليحذروا . ومنهم البلداء الذي لا يُرجى ذكاؤهم وبراعتهم فينبغي ان يحثهم على ما هو أعْوَد عليهم . ومنهم المتعلمون ذوو الاخلاق الطاهرة والطبائع الجيدة فيجب ان لا يدَّخر عنهم شيئاً ممَّا عنده من العلوم

٤ في سياسة المرء لنفسهِ

ثمَّ انهُ ينبغي للمرء ان يرجع الى خاصّ (١ احوالهِ فيميّزها ويستعمل في كل حال من احوالهِ ما يعود بصلاحها . فمن ذلك خلل القنية والمال فالواجب عليهِ في ذلك ان يتأمَّل وجوه الدخل ووجوه الخرج ويستقصي النظر في اسباب الدخل والوجوه التي يمكنهُ استجلاب المال منها الى ملكهِ فيبالغ في استجلابهِ من حيث لا يضرّ بشيء ممَّا تقدَّم ذكرُنا لهُ من الاصول [اعني بهِ لا يخلّ بدينهِ ومروءتهِ ولا بعرضهِ فانَّهُ ليس كلُّ وجه تكون فيهِ منفعة يحسن بكلّ احد ان يتعرَّض لهُ . مثال ذلك الدباغة والكناسة والتجارات الخسيسة والقمار والوجوه التي لا يحسن بذي المروءة ان يجتلب المال منها . فاذا تجنب هذه الوجوه واكتسب المال من وجههِ فيجب ان يخرجهُ بحسبهِ اعني (٢] ان يكون خرجهُ بحسب دخلهِ (49ᵛ) ويجتهد ان يُعرف بالسخاء وليس السخاء بذل الاموال حيث اتفق لكن بذلها فيما ينبغي وحيث ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي على سبيل الاعتدال [اللائق بحال طبقةٍ طبقةٍ من الناس]

ومن ذلك الجاه فينبغي للمرء ان يجتهد كل الجهد في إحراز الجاه لنفسهِ ومتى ما استقبلهُ امرانِ يكون في تناول احدهما زيادة المنافع وفي الآخر زيادة الجاه فليبادر الى

١) ويروى : خواصّ

٢) وما ورد بين قوسين سقط من اصل نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية

الامر الذي هو اعود عليهِ في زيادة الجاه (١ اذ الجاه العريض يُكسب المال بالضرورة وليس المال يُكسب الجاه ضرورةً

ومن انفع ما يستعملهُ المرء في معاشـهِ ما نذكرهُ وهو انَّهُ يجب ان يستجلب اللذات والشهوات (٢ كلها الى نفسهِ بجاهـهِ لا بماله بكل ما امكنهُ فانَّ من استجلب اللذات بمالهِ دون جاههِ لا يصل الى لذَّتهِ كما يشتهيهِ ولا ينشب ان يذهب مالهُ ويصير سخرَّيةً بين الناس ويصير كلٌّ من انتفع بهِ عدوًّا لهُ . ومن استجلب بجاههِ وقضاء حوائج الناس وصل اليها كما يشتهيهِ [وفوق ما يشتهيه] . وكلٌّ من جلب اليه لذَّةً لطمعهِ في جاههِ كان صديقًا لهُ ابدًا محبًّا لخيراتهِ [ومواليًا] . ولسنا نومئ الى انهُ لا ينبغي ان ينفق من مالهِ شيئًا في اجتـلاب لذَّاتهِ ولكن الى ان يكون معوَّلهُ في ذلك على الجاه لا على المال

ونقول الآن في تحصين الاسرار وفي استخراجها عن المُناوين واذا عرف المرء احد هذين البابين حصلت لهُ المعرفة بالثاني (٣ . ولكل طائفة من اهل الطبقات الثلث نوع من التحصين ونوع من الاستخراج وما نذكرهُ من الاصول فيها يصلح لكل طائفـة منهم (٤ على مقداره ومرتبتهِ

فاوَّل منافع تحصين الاسرار وكتمانها هو ان يكون المرء قادرًا على إجالة الرأي (٥ في تدبيره وعلى انفاذهِ والامساك عنهُ الى ان يتجه لهُ وجه الصواب فيهِ فانهُ ما دام الامر مكتومًا كان قادرًا عليهِ فاذا ظهر خرج الامر عن مقدرتهِ (٦ . وفي كتمان الآراء والتدابير سلامةٌ من الآفات . ومن آفاتها الاعراض التي تعرض من إذاعتها فتصير موانع عن انفاذها ويعيا (٧ ذو الرأي عن رأيه بتلك الاعراض . ومنها ذهاب جدَّتهِ [وثمرة رأيه ونفاذه في جدَّتهِ] وطراءتهِ . ومنها ان الرأي اذا ظهر قُصد بالمناقضة واذا كان محصَّنًا سلم من المناقضة . ولكل امر نقيض . ومنها انَّ المرء الذي فيهِ التدبير والرأي لا يفطن لهُ حتى يقع فيبهتهُ ويَرِد عليهِ ما لا يحتسب (٨ . واذا ظهر قبل الوقوع قوبل بالتحفُّظ والتحرُّز

١) ويروى : الى ما هو منهُ زيادة الجاه
٢) المراد هنا اللذات والشهوات غير المحرَّمة ٣) ويروى : بالباب الآخر
٤) ويروى : منها ٥) ويروى : اصالة الرأي ٦) ويروى : عن يدهِ
٧) ويروى : ويغبى ٨) ويروى : فينهيهِ ويردّ عليهِ ما لا يجب

وبطل الرأي والتدبير وتعطّل الوقت الذي افنى في احكامهِ. ولا بُدّ للمرء من المشاورة مع غيرهِ (٥٥ﻫ) في آرائهِ وتدابيرهِ. فينبغي ان يستودعها ذوي النبل وكبر الهمّة وعزّة النفس وذوي العقول والألباب فانّ امثالهم لا يذيعونها وان يباشر في وقت إفشاء الرأي الامور التي يُستعان بمثلها على إحكام ذلك الرأي من [الاستشارة و] النظر في اخبار المتقدّمين والاستماع الى الاحاديث في السياسات اللائقة بذلك التدبير وان يستر جهدهُ الامور الظاهرة المتعلّقة بذلك التدبير الذي يظهر مع ظهورها السرّ ويستعمل ما يضادّ ذلك الرأي من غير ان يظهر في نفسهِ حرصاً على استعمال الاضداد فانها ايضاً اذا كانت مع حرص مفرط تدلّ على نفس الامر وتُوقع التهمة وتطلب معرفة الاسرار من الامور الظاهرة والباطنة جميعاً. امّا الامور الظاهرة فيما يبدو من الرئيس من اخذ العزم وإعداد العُدَد واخذ الأُهبة للامور التي كانت فيما قبل على التقصير ومن جمع المتفرّقات وتفريق المجتمعات وبالجملة تغيير الاحوال الظاهرة وايضاً من الامساك عن امور كان يباشرها المرء قبل ذلك ومن إدناء من كان قاصياً و إقصاء من كان دانياً وشدّة التطلّع للاخبار وحرص زائد في الوقوف على الاحاديث المختلطة ومن التيقّظ الزائد على كلّ ما كان قبل ذلك. وامّا من الامور الباطنة فمن استطلاع أحوال البطانة والحزم وإمساكهم عمّا كانوا غير ممسكين لهُ واستعمالهم لما كانوا ممسكين عنهُ. فانّ البطانة والخواصّ اذا لم يكونوا حَزَمَةً ظهر من مصادر امورهم ومواردها ما يُسِرّهُ الرئيس ويستطلع من أفواه العجم والصبيان والجهّال والنساء والذين هم قليلو التمييز والعقول فانهُ ليس مع هؤلاء حصافة ولا عندهم من الرزانة ما يمكنهم التحرّز (١ بهِ من الافشاء للاسرار

واجود ما تُستخرج بهِ الاسرار كثرة المحادثة فان لكل واحد من الناس من يستأنس بهِ ويلقي اليهِ بجميع أحاديثهِ وجُلّها واذا كثر الكلام والمحادثة فانهُ لا بدّ من ان يأتي ذلك على جلّ ما في الضمائر

وايضاً فانّهُ ليس كلّ امر وتدبير يكون بموافقة الجميع ممن بحضرة الرئيس او صاحب التدبير وملاك أسباب الظفر بالاعداء هو ما نذكرهُ فنقول: انّ اوّل ما يجب ان يستعملهُ المرء هو ان يطلب العلوّ على عدوّهِ في كلّ فضيلة يُذكر بها ان كان من أهل الفضل ويتحرّى ان يقف العدوّ على ذلك ويعلمهُ منـهُ فانّ ذلك ممّا يضعفهُ ويخمد نائرتهُ وان

١) ويروى: التحزّم

يحصي عليهِ معايبهُ حتى لا يُبقِي صغيرًا ولا كبيرًا لا ظاهرًا ولا باطنًا من عيوبهِ الَّا جمعهُ ونشرهُ في النَّاس (٥٥^٧) وليتوخَّ في ذلك الصدق لئلا يُذهب حدَّتهُ وليجتنب الكذب على العدو فان الكذب عليهِ قوَّة لهُ وان يتعرَّف اخلاق العدوّ وشيمهُ وسجاياهُ وعاداته ليقابل كل واحد منها بما يضادُّهُ ويناقضهُ . وليجتهد في معرفة ما يقلقهُ ويضجرهُ فيوكِّل [كل واحد و] بكل سبب من اسباب ضجرهِ وقلقهِ ما يهيّجهُ فان ذلك ملاك الظفر ومن ابلغ اسباب الفضيحة . واصل ذلك كلهِ والمرجع هو طلب السلامة منهُ ومن مكايدهِ بكل ما امكن زيادةً على طلب النكاية فيهِ

ومما ينتفع المرء بهِ غاية المنفعة هو الادب واصل الادب مزايلة الادب في الظاهر . ومن ذلك معرفة العورات واقتراص العثرات(١ . وعمدة الادب شدَّة التطلُّع لما (٢ عند الناس والحرص على التباعد من ان يعرف الناس ما عند المرء . ومنهُ ايضًا ان يقصد الانسان لغير المقصود ثم يقصد المقصود . ومنهُ ان يبتدئ بالاعتلاء من الادنى فالادنى الى الاعلى فالاعلى . فان الرضا مع هذا الاستعمال وفي خلافهِ السخط . ومنهُ ان يحمل (٣ الاصعب ثمَّ الاخفّ . ومنهُ ان لا يظهر الغضب ولا الرضا بافراط . ومنهُ ايضًا المطل في بعض الاحوال اذا تعقبها الانجاح (٤ . ومنهُ الصبر الى ان يظفر بالفرصة . ومن ذلك ان يقدّم للامور مقدَّمات تصير توطئة لها . ومنهُ ان يُلقي المرء الامر بلسان غيرهِ

ونحن الان ذاكرون من أقاويل القدماء واهل الفضل صدرًا يكون خاتمةً لقولنا هذا فان للحكايات والنوادر والامثال في مثل هذا الفن غَناء عظيمًا فنقول:

قال افلاطون: الشيء الذي لا ينبغي ان تفعلهُ فلا تَهوَهُ . (وقال) من استحقَّ منك الخير فلا تنتظر ابتداءهُ بالمسألة ليكون اكمل التذاذًا واهنأ توقُّعًا . وقيل خساسة المرء تُعرف بشيئين بقولهِ فيما لا ينفع واخبارهِ عمَّا لا يُسأل عنهُ . وقيل لا تحكم من قبل ان تسمع قول الخصمين . (وسُئل) لِمَ كلَّما عَلِمتم اكثر كانت عنايتكم بالعلم اشدّ قال: لأنَّا كلما ازددنا علمًا ازددنا معرفةً بمنفعة (٥ العلم . (وسُئل) اي الاشياء اهون قال:

---

١) ويروى : وطلب العثرات ٢) ويروى : على ما ٣) ويروى : يحصّل
٤) كذا . ويروى : ومن ذلك المطل اذا تعقبهُ الانجاح
٥) ويروى : بمعرفة

لاغة الجهّال.(وسُئل) ايُّ اشيء(١ يقدر كل انسان ان يجود بهِ. قال: حبُّ الخير للناس. (وسُئل) ما أفضل ما يُتعزّى بهِ عن المصائب. قال: امَّا للعلماء فعلمهم بانها ضرورةٌ. وامَّا لسائر النـاس فالتأسّي. (وسُئل) ايُّ حسنةٍ لا يُحسد عليها واي عيب لا يقبلهُ احد. قال: التواضع حسنة لا يُحسَد عليها (51 ^r) والكبر عيب يوذلهُ كلُّ احد. (وسُئل) ما الشيء الذي اذا فقدهُ المرء كان دائم البلاء. فقيل: العقـل. (وقيل) من طمع ان يذهب على الناس مذهبُهُ فقد جهل. [(قال) اذا تقدَّم ضمان المرء للشيء لم يُقفَ بهِ صار كالنمام الحسن]. (وقيل) لا تأمن من كذب لك ان يكذب عليك. (وقيل) طالب الحاجة على شرف امرَين ان قُضيت حاجتهُ صار كالامير وان لم تُقضَ صار كالكلب العقور. (وقيل) شَتْمَ مَن لا يحتمل شَتمك استدعاء منك للشتم وشَتم من يحتمل شتمك لوْم

(وقال) الادب يزين غنى الغني ويستر فقر الفقير. (وقيل) يجب على من اصطنع معروفًا ان يتناساهُ من ساعتهِ ويَجب على مَن أُسدي اليهِ ان يكون ذكرهُ نُصبَ عينيهِ. (وقيل) انَّ الذين يضمنون ما لا نفوز بهِ يشبهون الاحلام المخيلة. (وسُئل) ايُّما احمد الحياء ام الخوف. قال: الحياء لانهُ يدلُّ على العقل والخوف يدلُّ على الجبن. (وقيل) دَعوا المزاح فانهُ لقاح الضغائن. (وقيل) اذا احبَبْتَ ان لا تفوتك شهوتك فاشتهِ ما يمكنك. (وقيل) أفضل الملوك مَن ملك شهواتهِ ولم يستعبده هواه. (وقيل) احسن ما عُوشر بهِ الملوك اثنان: البشاشة (٢ وتخفيف المؤونة. (وقيل) افضـل ما يقتنيهِ المرء الصديق المُخلص. (وقيل) ثلاثة اشياء مَن برئ منهنَّ (٣ نال ثلثة اشياء: مَن برئ من الشره نال العزَّ ومَن برئ من البخـل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة. (وقيل) ثلاثة ينبغي للملوك ان لا يفرطوا فيهنَّ: حفظ الثغور وتفقُّد المظالم واختيار الصالحين لاعمالهم. (وقيل) ثلث لا يتمُّ المعروف الَّا بهنَّ: تعجيله وتقليلهُ وترك الامتنان بهِ (٤. (وقيـل) من تشاغل بالادب فاقلَّ ما يربح من ذلك ان لا يتفرَّغ للخطَل(٥. (وقيل) لا ينبغي للمرء ان يبلغ من مرارة النفس(٦ الى حدٍّ معهُ يُظنّ انهُ

١) ويروى: ايُّ جودٍ ٢) ويروى: اتيان البشاشة ٣) ويروى: من برئ من ثلثة اشياء ٤) ويروى: وان تستقلهُ وان كان كثيرًا وان تترك الامتنان بهِ
٥) ويروى: ان لا يتفرَّغ للخطإ ٦) ويروى: من مراد نفسهِ

شرّير ولا يبلغ من لين الجانب الى حدّ يُظنّ بهِ انّهُ ملّاق. (وقيـل) لا تطلبوا من الاشياء ما احببتموهُ (١ ولكن أحبوا ما هي محبوبة في انفسها. (وسُئل) بماذا ينتقم الانسان من عدوّهِ فقيل: بان يتزيَّد في نفسهِ فضلًا (٢

فهذه اصول وقوانين متى ما استعملها المرء في معاشهِ وقاس عليها في متصرفات امورهِ واسبابهِ استقامت بهِ احوالهُ. وطابت لهُ ايّامهُ وسلم من كثير الآفات ونال الحظ الجزيل من السعادات. وعند هذا القول خاتمة قولنا هذا والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين والصلاة على رسولهِ محمد وآلهِ الطيّبين الطاهرين (٣

تدبير الصحّة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

المسكن

لا حاجة للاسهاب في وصف مساكن بيروت بل حسب القارئ ان يُجيل طرفهُ حواليهِ فيستوعب هندامها. واكثر تلك المساكن او جميعها على نمط واحد وهي عبارة عن بناء مربَّع يُطيف بقاعةٍ شغلت طول البناء يسمّونها دارًا ومن حولها غرفٌ تُفتح ابوابها على تلك الدار من كل جهاتها الّا الشماليّة منها فانّها تُشرف على البحر من واجهةٍ ذات ثلاث حنايا تسندها اعمدةٌ من رخام وتسدُّها مغالق من زجاج. وتقابل الواجهة من جهة الجنوب غرفة معروفة بالايوان او الديوان ثم غرفة شرقيَّة تقابلها أُخرى غربيَّة وربَّما وُجدت غرفتان متوازيتـان او اكثر. وقد يكون المطبخ كما ذكرنا في الجهة الشرقيَّة يُوصل اليهِ من معبرٍ صغير يفصلهُ عن الدار ومن وراء المطبخ او في جوارهِ يكون المرحاض

وهذا الترتيب في تقطيع البناء موافق لقضاء اعمال المنزل ومناسبٌ للصحـة من حيث الاتساع والعلوّ ولِعِب الهواء ورعاية المنافذ غير انّهُ ليس يخلو من بعض الخلل

١) ويروى: ما ملتم اليهِ ٢) ويروى: بان يزداد فضلًا
٣) هذه الخاتمة ناقصة في النسخة الواتيكانية

اذا قصدت تمحيصهُ بمقتضى القانون الصحي . امّا وقد قبلنا بهذا المندام لتعممهِ ومناسبتهِ لحالة البلاد ولكن لا مندوحة لنا من مؤاخذة اصحاب الاملاك من جهةٍ والمستأجرين جهة أُخرى . امّا اولئك فلاستلزامهم حدّ الاقتصاد حتى تعدّوهُ فكان من نتيجة تطرّفهم تلك الحادثة التي تصدّعت لهولها القلوب وشُقّت على ضحاياها الجيوب

وقد ذكر لي احد ملتزمي اشغال السكة الحديديّة المحنَّك باعمال البناء وجوه الخلَل في بناء بيروت فقال : ان ابنية بيروت لا تحتمل تعديد الطبقات التي لا يلزم ان تتجاوز الطبقتين . وسبب ذلك وهن الحيطان وسبب وهنها اولًا قلة سمكها الذي لا يتجاوز ٢٥ سنتيمترًا . وثانيًا وَهن الحجر نفسهِ الحاصل من جعلهم وجه الحجر الخارجي صقيلًا متقنًا بين يكون وجههُ الداخلي كثير المخارم فيسدونها بشظايا الحجارة . ولمّا كان معظم الثقل مرتكز على ذلك الوجه فلا يعتم ان تتفتت تلك الشظايا فيحصل بعض التخلخل في الحيطان . والمهندس المذكور لا يكاد يصدق قوام البناء وصبرهُ مع وجود هذا الخلل لولا تعشّق الحجر الرملي للملاط الكلسي فتصلح خاصّيتهُ هذه فسادَ البناء وعليهِ فاذا نقص ذلك الملاط او كان فاسدًا وكان الاساس ضعيفًا فلا يعتم ان يتضعضع البناء واذا زاد الثقل مع ذلك بزيادة الطبقات هبط البناء لا محالة وكفى بما حدث عبرةً

ومَن تحرّى نتائج اقتصاد الملاّكين وجد ان منهُ اضرارًا أُخرى قلّما انتبه اليها احد لانها تتعلق بالفقراء والعملة الحاملين اعني بذلك تلك المساكن المعروفة « بالاحواش » حيث يأوي زمرة الصنّاع المساكين . ولمّا كان هؤلاء أحوج الناس الى صحّتهم والى اتّخاذ الوسائل لحفظها من حيث انها رأس مالهم الوحيد كان من الضروري مراعاة قواعد الصحة العموميّة في مساكنهم . امّا الواقع فبخلاف ذلك لان الاحواش التي يسكنونها قد اصبحت منبتًا لجراثيم الامراض وعوامل فساد الهواء فترى البناء يُطيف بالجهات الاربع فيمتنع تجديد الهواء والغرف ضيقة على ساكنيها وهي على سواء الحضيض او ادنى فتتحلّب الرطوبة اليها فضلًا عن خلوّ منافذها من المغالق المزّججة فيتعذّر فتحها في ايام الانواء والامطار . امّا مراحيضها فقد أُفعمت أقذارًا وبعثت روائح افسدت الهواء وناهيك عن ماء آبارها الأُجاج وميكروبات الامراض والنفايات التي تطرّقت اليها . واذ كان ذلك كذلك ألم يجدر باولئك الملاّكين الذين يتقاضون من اجور احواشهم مبالغ وافرة ان يطلقوا مجالًا للهواء بدلًا من ان يمنعوهُ من كل الجهات ويرفعوا موطئ

البيوت عن الحضيض منعاً للرطوبة مع إضافة المغالق المزَّججة الى المغالق الخشبيَّة وردم الآبار واستبدالها بماء نهر الكلب وجعـل المراحيض في حال تزول معها على الاقلّ الانبعاثات المرضيَّة الى غير ذلك من الاصلاحات الصحيَّة التي تقضي بها الانسانيَّة فضلاً عن القوانين المدنيَّة ؟ ومن زار تلك الاحواش وتفقدها مثلما فعلنا حكم ان هذه الاصلاحات اقلُّ ما يجب عملهُ

هذا من حيث المساكن الوضيعة . واذا تفقَّدنا البنايات المؤنقة الرفيعة وجدنا فيها مغامز شتى منها اطراح طرزٍ من البناء كان مألوفاً في المنازل القديمة وهو غاية المطلوب من حيث الرونق وموافقة الصحة اعني بهِ الرواق حول المسكن او في احدى جهاتهِ فانهُ ما عدا الرونق الذي يلحق بالبنـاء من اتساع حناياهُ ورشاقة انعطافها قد يصلح في الشتاء لمنع الرطوبة من نفوذ الحيطان سيما وانها قليلة السمك وحجارتها الرمليَّة كثيرة المسامّ معدَّة لتشرُّب الماء ويصحُّ في الصيف لمنع الحرارة من اختراق تلك الجدران فتجد فيهِ العائلة مفرجاً للتنزُّه واستنشاق الهواء . فاذا كان من وراء الرواق رونق البناء وصحَّة السكَّان فلماذا نبذهُ اصحاب الاملاك ؟ فان قيل لزيادة المصاريف انكرنا ذلك سيما وان المصاريف الطائلة التي تُبذل في سبيل الزخارف النافلة تردُّ ذلك الاعتراض

ثم ان امتصاص حجر بيروت للرطوبة يقضي بابتناء المساكن على اقبيـةٍ يقوم عليها الطابق الاسفل لان الرطوبة غالبة في الطوابق السفلى المبنية على الارض مباشرةً وبخلاف ذلك المباني القائمة على الحوانيت فانها انسب للصحة ومثلها الطوابق العالية . واذا تعذَّر بناء الاقبية فقد تمكن الاستعاضة عنهـا برفع موطئ المسكن عن الحضيض وجعل مداميك البناء التي فوق الاساس من الحجر الصلب الذي لا يمصّ الرطوبة . ومن ذرائع منع الرطوبة ان تركز الميازيب التي حول قرميد السقف فوق أطناف تطفو على رؤُوس الجدران وان تُوصل الميازيب المؤدية للماء الى سواء الارض كي لا يسيح الماء على الجدار وان يُطلى الجداران الغربي والغربي الجنوبي بشيد مؤلف من الكلس المائيّ والترابـة الافرنجيَّة لانَّ ذلك افضل من دَهنهما بالزيت

بقي اصلاح المرحاض بان يُفصل عن المطبخ لئلَّا تنتشر فيهِ الانبعاثات والغازات المعروفـة ثمّ بتحويل تلك الانبعاثات الى الخارج ويتم ذلك بان تُستر فوهة المرحاض ويخرق ثقب في المسدَّة فيركز فيهِ طست من خزف لهُ منفذان يجعل للاسفل لهاة تسدُّهُ

امَّا الاعلى فيُصب فيهِ الماء للغسل وهذا الجهاز موجود بالشكل المشروح في المخازن. غير اني علاوةً عليهِ أُشير بان يُجعل من وراء. ذلك الجهاز قسطلٌ مندمج في الحائط طرفهُ الاسفل مفتوح الفوهة فيلتقط الغازات ويؤدي بهــا الى الخارج من طرفهِ الاعلى. واذا تحقَّقت تلك الاصلاحات الزهيدة اصبحت مساكن بيروت في غاية الموافقة للصحة لانَّ التهوية موفَّرة فيها بكثرة منافذها وكبرها واتساع غرفها واستيفائها شروط النظافة كالغسل العام للدار والغُرَف كما هو مألوف في بيروت

واماَّ ما نؤاخذ بهِ المستأجرين فهو سوء استخدامهم للغرف وافراطهم في تنميق الظواهر ونبذ جوهر المعيشة وتظهر حقيقة ما نقول بالمقابلة بين الافرنجي والشرقي في تدبير كلّ لمنزلهِ. فاذا اعتبرتَ افرنجيًّا نزيل بيروت تراهُ عند ترتيبهِ لمنزلهِ يجتهد اولًا في تنظيم المحلات التي لها علاقة بالتغذية لان عليها مدار الصحَّة وقوام العافية فيصرف جده في ترتيب المطبخ واعدادهِ بالادوات اللازمة لهُ والمحافظة على نظافتهِ وتهويتهِ ثمَّ ينتقي أحسن غرفة في البيت وفي الغالب يكون الديوان فينصب فيهــا الخوان ويجعلها لتناول الطعام. ثم يعمد الى انتقاء غرفة النوم فيختــار اتقن الغرف واكثرها موافقة لشروط الصحَّة فيتخذها مضجعاً لعلمهِ ان الانسان يقضي نحو نصف عمرهِ في غرفــة النوم وانَّ النوم الجيد من عوامل الصحة. واذا فرغ من إعداد الغرف اللازمة لاعمال المعيشة المهمَّة يحوّل نظرهُ الى الاعمال الثانويَّة فيختار مماَّ تبقى من الغرف بهوًا للاستقبال او يُعدُّ الدار لذلك. امَّا اذا اعتبرتَ شرقيًّا او بيروتيًّا (حيث مدار كلامنا على الصحَّة في بيروت) في منزلة ذلك الافرنجي فتراهُ مجتهدًا في بادئ الامر باختيــار احسن الغرف للاستقبال فيصرف قسماً من مالهِ على فرشها وتأثيثها ثم يهيئ الديوان للاستقبــال الاعتيادي ثم يفرش غرفةً ثالثة «اوضة السهرة» ثم يتقن فرش الدار ومما تبقَّى من الغرف يجعل واحدة للنوم وأُخرى لأَكل الطعام وقد تكون في الغالب في جوار المطبخ او المرحاض. امَّا المطبخ فلا يعيرونهُ الاهتمام الجدير بهِ

وبالاجمال ان مواطنينا يسعون وراء الظاهر ولا يلتفتون الى الجوهري في المعيشة وقد يظهر ذلك ليس فقط في المسكن بل في بقية اعمال المعيشة كالملبس والترف والمفاخرة في مجالي التنزُّه كل ذلك على نفقة الصحة والتغذية بل وتارة على نفقة اهمّ الواجبات مثل اتخاذ المُرضعات في كثير من البيوت لا لسبب صحّي يمنع الام عن الترضيع بل حبًّا

بالمكابرة والمفاخرة ولي في هذا الموضوع كلامٌ طويل ساطلقهُ في وقتــهِ . فعسى ان ينتبه مواطنونا الى هذا الخلل الصحي في عوائدهم لان العاقل من تدبّر الامور وتعلّق باجودها ونبذ فاسدها غير منقادٍ لعوائدَ باطلة امّا خجلًا وامّا ضعفًا او تشبهًا بمن زاغ عن محجّة الصواب فان الفلاح في التشبه بالكرام لا بغيرهم . والكلام الذي نطلقــهُ على قانون الصحة قد يتناول بقيّة اعمال الحياة الاجتماعيّة في بلادنا .

بقي علينا تتمة للفائدة ان نتكلم عن صحة الملبس والطعام وبقيّة الامور التي لها علاقة بالصحّة الافرادية والعموميّة في بيروت وسنفرغ لكل من هذه المطالب مقالة في حينها ان شاء الله

نبذة

في تاريخ دير راهبات الزيارة ومدرستهنّ في عين طورا

لاحد افاضل الاباء اللعازريين

اننا في نبذتنا عن مدرسة عينطورا (راجع المشرق ٣ : ٦٣٨) كنّا قد ألمعنا الى هذا الدير امّا الان فتتميمًا للفائدة قصدنا ان نفرد لهُ مقالة خاصة بهِ لاسباب ثلثة : الاول لتأسيسهِ من مؤسّسي ديرنا الذي حولناهُ الى مدرسة كما سبق في المشرق . الثاني للعلاقات التي تربط بنات القديس فرنسيس سالس مع ابناء القديس منصور دي پول اذ عُــيّن هذا الاخير من القديس فرنسيس المذكور مدبرًا ومرشدًا لراهباتهِ فقام بهذه المهمّة مدّة ٤٠ سنة ولم تزل راهبات الزيارة في كلّ أين يدعون القديس منصور عمًّا لهنّ . الثالث لقربهِ من مدرستنا والمثل الدارج يقول : جارك القريب خير من اخيك البعيد . وبناء على ذلك نقول :

انهُ لمّا توطدت سلطة آل الخازن في كسروان اعتنوا في تشييــد الاديار للرجال والنساء ومن ثم اخذت النفوس العابدة تتوارد اليها للنسك والعبادة والتفرّغ للاعمــال التقويّة والتدرُّب في سبل الكمال المسيحيّ . غير ان آباء المجمع اللبناني المنعقــد في دير

اللويزة (المشرق ٣: ٤٨٤) رأوا باسفٍ ان تلك الاديار كانت تخلو من الترتيب والنظام اللازمين للمساعدة على القيام بالواجبات الرهبانيَّة وهذا الخلل كان بنوع خاص في اديار الراهبات. فاوعز حينئذٍ الآباء اليسوعيُّون الى اعيان الطائفة المارونيَّة ان يهتمُّوا بتأسيس دير جديد للنساء تحت قانون القديس فرنسيس سالس ووعدوا بانهم يتكفلون بتدبير وارشاد اولئك الراهبات. فاستحسن اكابر آل الخازن هذا الرأي ورفعوا الامر الى غبطة البطريرك الانطاكي سمعان عواد والى أساقفة الطائفة المارونيَّة فنشطوهم على هذا المشروع الخيري وامروهم بالكتابة الى الاب انطون غمبارد (Gambard) على ما قيل لي الذي كان وقتئذٍ رئيس رسالة الآباء اليسوعيين في سوريَّة ليطلعوهُ على مرغوبهم هذا ويطلبوا منهُ تثبيت مقصدهم فاجاب الاب المذكور الى سؤلهم وحرَّضهم على اتمامهِ واعداً ايَّاهم بكل مساعدة ممكنة. فعيَّنوا اذ ذاك يوماً يجتمعون فيهِ في دير القديس يوسف للمداولة في هذا الامر وكان ذلك في ٢١ نيسان سنة ١٧٤٤ وحضر هذه المداولة المشايخ الخوازنة: حنا وموسى وميلان وصخر وشروان ونوفل وكنعان يتقدَّمهم احد الآباء اليسوعيين وبعد ان تداولوا مليّاً كتبوا صكّاً امضوهُ باسمائهم وفيهِ يتعهدون بتشييد دير للبنات الخازنيَّات لكنهُ دون نفي غيرهنَّ من الفتيات واليك بنود هذا الصك:

١ً ان الدير يكون تحت قانون القديس فرنسيس سالس لراهبات زيارة مريم العذراء عليها السلام

٢ً انهُ يكون تحت ولاية السيد البطريرك الماروني الكلي الغبطة

٣ً ان يحفظ فيهِ طقس الطائفة المارونية وان تلاوة الفرض تكون باللغة العربية

٤ً ان الراهبات يتدبرن بالزمنيات ويرتشدن بالروحيات من حضرات الاباء اليسوعيين

٥ً ان تحفظ فيهِ عوائد الطائفة المارونيَّة نظراً للاصوام والقطاعات والاعياد

فاثبت هذا الصك السيد سمعان عواد البطريرك الانطاكي والسادة الاساقفة جرمانوس سقر وطوبيّا الخازن وجبرائيل عواد وعبد الله حبقوق. وعند ذلك اجتمع المشايخ المتقدّم ذكرهم ثانية في دير القديس يوسف واتفقوا على تخصيص قطعة ارض بقرب الدير المذكور شماليَّهُ لبناء الدير الجديد وبُدئ بالعمل تحت مناظرة الآباء اليسوعيين. وبعد ذلك بسنتين كان كل شيء مهيَّأً لقبول الراهبات الجديدات ففتح الدير الجديد

ابوابهُ للعابدات في اول كانون الثاني سنة ١٧٤٦ ودخلهُ سبع من البنات التقيَّات من آل الخازن وغيرهم وهنَّ:

الاولى: الاخت روزا روزاليا الخازن ابنة الشيخ موسى الخازن وهي التي كانت قائمة بتدبير الدير بصفة رئيسة لكنَّها لم تُعيَّن رئيسة شرعيَّة بانتخاب رسمي الَّا في ١٨ ايار من سنة ١٧٤٩ فقامت بهذه الوظيفة احسن قيام وبقيت فيها الى سنة ١٧٥٢ ثم صارت مشيرة الى سنة ١٧٨١ التي فيها انتقلت من هذه الحياة مملوءة اعمالًا صالحة وفضائل سامية

الثانية: الاخت ترازيا من قلب يسوع ريه وهي التي قامت برئاسة الدير بعد الاخت روزا روزاليا الخازن وبقيت في هذه الوظيفة الى سنة ١٧٥٨ ثم توفَّاها الله سنة ١٧٦٠

الثالثة: الاخت لويسه كلاره الخازن ابنة خالة الاخت روزا روزاليا وهي ابنة الشيخ جنبلاط الخازن وكانت بارَّة تقيَّة محبَّة للفقر الرهباني وشديدة التعبد ليسوع المسيح في القربان الاقدس عظيمة الصبر على المصائب والامراض التي شاءت العناية الالهيَّة ان ترسلها لها وقصارى الكلام انها كانت محلَّاة بجميع الفضائل المسيحيَّة. قامت بوظيفة نائبة ثم بوظيفة مشيرة مدة طويلة وماتت برائحة القداسة سنة ١٧٨٣

الرابعة: الاخت مريم مجدلانية كاورك خوكاز الارمنيَّة وهذه كانت تضاهي المسيحيَّات الاول بايمانها ومحبَّتها لله حتى انها كانت تقع مغشيًا عليها عند سماعها سر حياة مخلصنا الالهي وتفاصيل آلامهِ المقدَّسة وكان الله قد منحها موهبة الافصاح في التكلُّم بنوع ان كلامها كان يؤثر في القلوب ويجتذب السامعين الى محبَّة الله وعشق الفضيلة والابتعاد عن الشرّ. قامت برئاسة الدير من سنة ١٧٦١ الى سنة ١٧٦٧ ولو لم يصبها الصمم لكانت بقيت حياتها كلها في هذه الوظيفة لان فضائلها السامية ودماثة اخلاقها كانت تحبّبها الى الجميع وتقلدت بعد رئاستها عدة وظائف كنائبة ومشيرة ووكيلة وكاتمة اسرار وكانت عظيمة التسليم لارادة الله في المصائب والامراض الطويلة التي اختبرها بها الله في حياتها ومجمل القول انها كانت مثالًا صالحًا لجميع الفضائل وقانونًا حيًّا لاخواتها الراهبات. توفَّاها الله سنة ١٧٨٨

الخامسة: الاخت مريم انيسا الخازن وهذه كانت شديدة التعبد لقلب يسوع الاقدس. قامت بوظيفة مشيرة عدَّة سنين احسن قيام وكانت تحسن الخط العربي حتى

انَّ اغلب كتب الدير المحفوظة الى اليوم وخاصَّة الكتب الروحيَّة هي خط يدها. توفَّاها الله سنة ١٧٦٢

السادسة: الاخت مريم اليصابات ملحمه وهذه كانت مشيرة مدة لكنها لكثرة تواضعها كانت تفضل الوظائف الوضيعة المتعبة التي باشرتها حياتها كلها الى ان توفَّاها الله بميتة صالحة سنة ١٧٩٨

السابعة: هيلانة مرغريتا البستاني وكانت مشيرة ثم قلدت الوظائف الوضيعة التي باشرتها بفرح وسرور وكانت شديدة التسليم لارادة الله خاصة لمَّا فقدت بصرها. دعاها الله اليهِ ليثيبها عن فضائلها السامية سنة ١٧٩٨

وبعد هؤلاء السبع دخل الدير كثير من العذارى اللواتي كرَّسن نفوسهنَّ للعروس السماوي لا نذكر منهنَّ سوى اللواتي تولَّين رئاسة الدير واليك اسماءهنَّ:

الاخت مريم سابينا جاماتي التي رأست الدير ثلاث مرات (١٧٥٨—١٧٦١) ثم (١٧٦٧—١٧٧٣) ثمَّ (١٧٧٨—١٧٨١) ثم صارت معلمة للمبتدئات ومشيرة وهي التي ادخلت عبادة قلب مريم في الدير ثم توفيت سنة ١٧٨٧

والاخت لوسيا تقلا اشتمه التي رأست الدير من سنة ١٧٧٣ الى ١٧٧٨. ثم صارت نائبة ومشيرة وخادمة للمرضى. وهي التي رتَّبت مدَّة رئاستها صلاة الفرض الذي تتلوهُ الراهبات الى اليوم ثم ادخلت عادة منح البركة بالقربان المقدس في كل اول جمعة من كل شهر وكانت وفاتها سنة ١٧٧٩

والاخت برباره جبرائيليَّة مانوك التي رأست الدير مرَّتين (١٧٨١—١٧٨٧) ثم (١٨٠٢—١٨٠٨) ثم أُقيمت مشيرة مدَّة طويلة وكانت وفاتها سنة ١٨١٢

والاخت هيلانة اغاثة ملحمة التي قلدت رئاسة الدير مرَّتين (١٧٨٧—١٧٩٣) ثمَّ (١٨١٩—١٨٢٣) وهي سنة وفاتها

والاخت يوسفيَّة ترازيا الخازن ابنة الشيخ ابي شروان الخازن وكانت تقيَّة ورعة محبة للعيشة الرهبانيَّة رأست الدير ثلاث مرَّات (١٧٩٣—١٧٩٦) ثمَّ (١٧٩٩—١٨٠٢) ثمَّ من سنة ١٨١١ الى سنة مماتها ١٨١٥

والاخت مريم كونسطاسيا اشتمه التي تولَّت رئاسة الدير مرَّتين (١٧٩٦—١٧٩٩) ثم (١٨٠٨—١٨١١) ثمَّ قامت بوظيفة نائبة ومشيرة عدَّة سنين. توفَّاها الله سنة ١٨٣١

والاخت مريم بريجيتــا الالطنجي التي دبّرت شؤون الدير من سنة ١٨١٧ الى ١٨١٩ ثم صارت مشيرة وبقيت في هذه الوظيفة الى ١٨٣١ وفيها انتقلت من هذه الحياة

والاخت انيسا لوسيًا مبارك التي قامت بتدبير الدير من سنة ١٨٢٣ الى ١٨٢٩ ثم صارت مشيرة وماتت سنة ١٨٤٨ مستعدَّةً احسن استعداد للقاء ربها

والاخت انطونية كاترينا اشقر التي رأست الدير من سنة ١٨٢٩ الى ١٨٣٢ (١

والاخت لوسيًا مجدلانيــة بيراو التي رأست الدير من سنة ١٨٣٢ الى ١٨٣٨ ثم صارت مشيرة وماتت سنة ١٨٥٥

والاخت زيارة كريستينا تيَّان وهــذه كانت ذات فضائل راهنة وعبادة صادقة رأست الدير مرَّتين (١٨٣٨—١٨٤٤) ثمَّ (١٨٤٧—١٨٥٣) ثم باشرت جميع الوظائف كنائبة ومشيرة ومعلمة المبتدئات ووكيلة ووافهة الخ . . امتحنها الله بامراض شاقة احتملتها بصبر جميل ثم دعاها اليهِ ليكللها في اخداره السماويَّة سنة ١٨٥٩

والاخت انجليكا بادوانية ثابت التي رأست الدير من سنة ١٨٤٤ الى ١٨٤٧ وهذه كانت فاضلة تقيَّة توفَّاها الله سنة ١٨٥٣

والاخت مريم مرغريتا باخوس التي رأست الدير ثلاث مرات (١٨٥٣—١٨٥٦) ثم (١٨٧٧ —١٨٨٣) ثم (١٨٩٥—١٨٩٨) وهي باقية في قيد الحيــاة الى اليوم تمارس بنشاط وتدقيق قوانين رهبانيَّتها رغمًا عن ثقل السنين ووطأة الامراض

والاخت امانة فيلومينا الدحداح التي رأست الدير اربع مرات (١٨٥٦—١٨٥٩) ثمَّ (١٨٦٢—١٨٦٨) ثم (١٨٧١—١٨٧٧) ثمَّ (١٨٨٦—١٨٨٩) وبعد ان ادَّت خدمات

١) ثم صارت مشيرة وهي التي اختارهــا السيد البطريرك يوسف حبيش والمطران يوسف الخازن رئيس اساقفة دمشق السمبدا الذكر لتأسيس دير سيدة البشارة لراهبات الزيارة ايضًا في زوق ميكائيل فطلباها مع راهبــة اخرى تدعى مريم صابات غانم من رئيسة الدير التي كانت وقتئذٍ الاخت لوسيًا مجدلانية بيراو فأسَّست مع رفيقتهــا المذكورة الدير الجديد في زوق ميكائيل وذلك في حزيران من سنة ١٨٣٦ تحت تدبير الاباء اليسوعيين الافاضــل وبعد ان رتبت كل شيء واجرت القوانين المقدسة فيما بين الراهبات انتقلت من هذه الحياة نحو سنة ١٨٤٠ تاركةً بعدها رائحة القداسة وذكر فضائل سامية حفظ لها راهبات ذلك الدير ذكرًا مخلَّدًا . وبعد وفاتها باربع سنوات توفيت رفيقتهــا الاخت صابات غانم بعد ان كانت وطدت روح الرهبانيَّة وحب العيشة المفردة بين اخواتها . وهذا الدير لم يزل مزهرًا بالفضائل الى اليوم يسكنهُ نحو من ثلاثين راهبــة ينتمين الى قانون القديس فرنسيس سالس لراهبات زيارة مريم العذراء

جليلة للدير انتقلت من هذه الحياة الفانية لتنال اجر اتعابها وفضائلها سنة ١٨٩٥

والاخت لوسيا تقلا جباره وهذه كانت مزيَّنة بخصال حميدة وفضائل شتى رأست الدير مرتين (١٨٥٩—١٨٦٢) ثم (١٨٦٨ —١٨٧٠) وهي سنة وفاتها وقُلدت في حياتها عدَّة وظائف منها وظيفة معلِّمة المبتدئات ووكيلة وخادمة المرضى الخ

والاخت زيارة مجدلانية ثابت التي رأست الدير من سنة ١٨٨٩ الى ١٨٩٢

والاخت انيسة تاودورا زغيب التي عُيِّنت رئيسة سنة ١٨٩٢ وبقيت في هـذه الوظيفة الى سنة ١٨٩٥ . وهاتان الاختان اعني زيارة ثابت وانيسة زغيب لا تزالان مجدَّتين في السعي وراء فضائل دعوتهما المقدَّسة محافظتين بحرص على قوانين رهبانيَّتهما

والاخت انجليكا الريّس وهي الرئيسة الحاليَّة المعتنية في تقدم الدير ماديًا وادبيًا الساهرة بهمَّة ونشاط على مراعاة قوانين جمعيَّتها المقدَّسة ولها في هذه الوظيفة من سنة ١٨٩٨ وقد بدأت في اوائل السنة المنصرمة بتوسيع نطاق الدير اذ اكلت قسماً كبيرًا من الحصن الذي كانت بدأت ببنائهِ الاخت مريم مرغريتا باخوس سنة ١٨٩٦ وباشرت ايضاً بزيادة قسم الدير الجنوبي على طرز جميل متقن وكل ذلك بهمَّة ومساعدة حضرة الاب الجليل الخوري يوسف الياس صفير احد اساتذة مدرستنا في اللغة العربيَّة الذي عيَّنهُ الطيب الذكر المغبوط البطريرك يوحنا الحاج سنة ١٨٩٣ مرشدًا روحيًا لهنَّ ومديرًا لمدرستهنَّ الآتي ذكرها

امَّا الدير المذكور فهو بقرب مدرستنا شماليها لا يفرق عنها سوى الطريق فقط وهو طابقان يسكنهُ اليوم نحو ثلاثين راهبة يحيط بهِ بستان متقن تنبت فيهِ الاشجار المثمرة اليانعة والبقول الخضراء وفي شرقيهِ توجد الكنيسة المقامة على اسم قلب يسوع وعن يمين المذبح الكبير هيكل لزيارة مريم العذراء للقديسة اليصابات وعن يسارهِ هيكل آخر للقديسة يوحنه فرنسيسكا دي شنطال ويوجد في صحن الكنيسة لجهة الجنوب هيكل لسيدتنا مريم العذراء وهذه الكنيسة جميلة متينة الجدران في وسطها قبَّة كبيرة مستديرة يعلوها صليب وعليها قبَّة جميلة للجرس

وامَّا المدرسة فكانت باديءَ بدء مدرسة خارجيَّة اسسها راهبات الدير المشار اليهِ لتعليم البنات مباديءَ القراءة وقواعد الديانة سنة ١٨٤٤ مدَّة رئاسة الاخت انجليكا بادوانيَّة ثابت ثم حوَّلنها الى مدرسة داخليَّة لاجل تربية البنات وتهذيبهنَّ على سنن

الآداب والفضيلة سنة ١٨٥٩ اي في مدّة رئاسة الاخت لوسيا تقلا جبارة الفاضلة التي اعتنت ببناء محل لائق لذلك شمالي الدير وفي المدرسة تعلّم اللغتان العربيّة والافرنسيّة بفروعهما والجغرافيّة والحساب والاشغال اليدويّة كالخياطة وما يدور عليهما من الرتق والتطريز والزركشة مع فنّ الموسيقى (البيانو). وتحسّن نظام هذه المدرسة مذ كانت في الدير المذكور بعض الراهبات الافرنسيّات المنضمات الى قانون واحد وكنّ اربعًا اثنتان وهما الاختان ماريّا هيأسنة دي روزيه (Sr Marie Hyacinthe de Rosier) وماريا منوال ڤيال (Sr Marie Emmanuelle Vial) اتتا الدير من ليون سنة ١٨٦٩ صحبة الاخت مريم مرغريتا باخوس التي كانت ذهبت الى فرنسة مع ثلث من اخواتها الراهبات سنة ١٨٦٥ واثنتان اخريان اتتا من دير ليون ايضًا سنة ١٨٧١ وهما الاختان ماري ترازيا دي شنطال شاليمو (Sr Marie Thérèse de Chantal Chalumeau) وماري اغناطيوس بورجوا (Sr Marie Ignace Bourgeois) وبعد هؤلاء الاربع اتت راهبة اخرى من تاليار واسمها لويزة بلاندين برتران سان مارتان (Sr Louise Blandine Bertrand St Martin) وبعد ان مكثنَ مدّة بين اخواتهنّ السوريّات رجعن الى اديرتهنّ في فرنسة حسب قانون هذه الرهبانيّة وكان عدد الطالبات وقتئذٍ من عشرين الى خمسة وعشرين الّا انهُ في الآونة المتأخرة أربى عددهنّ على الستين ابنة ذلك بهمّة الخوري يوسف الياس صغير الذي يدبّر شؤُونها بغيرة ونشاط وبعناية الرئيسة الحاليّة والراهبات الفاضلات قدّرهن الله الى ما بهِ مجدهُ وخير القريب وقد اشتهرت بنات هذه المدرسة بعذوبة روحهنّ وحسن تهذيبهن وترتيب بيوتهن

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

غير انّ راحيل تذكرت نصائح الاب يوحنا فلزمت السكوت. وبينما المغزل يغني والدولاب يدور وقت رواية اختها لهذه الفجائع تصوَّرت ان زوجها زينًا يشبه رجلًا ميتًا

وان دموعها لا بُدَّ ان تتساقط ايضاً لمدَّة طويلة على صدرهِ البارد حتى تهتدي نفسهُ الى طريقها وتعود اليها لتعزيتها

فلمَّا فرغت حنَّة من كلامها التفت زَين الى راحيل فرآها ترتعش فظن ان ذلك ناتج عن الخبر الفاجع الذي سمعتهُ غير ان تلك القرينة المنكودة تركتهُ على ظنّهِ المذكور كاتمةً عليهِ محبّتها

ومذ ذاك اخذت تسير سيرة جديدة فكانت حنَّة تتبرَّج بنيَّة بسيطة باجمل الحلل غير ان راحيل كانت تتخذ اسذج اللابس عادلةً عن منافسة شقيقتها

ومع كونها سيدة المنزل لم تكن تتردَّد في كل فرصة عن ان تتنازل لشقيقتها بل لخصيمتها عن المحل الاول راغبةً ان تكون هي في كل شيء نسياً منسياً ولهذا كانت عند ما ترى زيناً وحنة يتمشيان في فناء القصر متحدثين تمتنع عن الاختلاط بهما او ان تأتي بطفلها الصغير كما كانت عادتها من قبل حتى تنبّه قرينها بحضورها إلى اعراضهِ عن واجباتهِ المفروضة بصفة كونهِ والدًا وزوجاً

وفي كثير من الاوقات كانت تقيم ايَّاماً في غرفتها دون ان تخرج منها مع انها كانت قبلًا تنساب كالظل في غرف القصر وتنتبه لكل حركة واشارة من زين لتسرع الى تلبيتها غير ان زيناً كان مشغولًا عنها بما انغرس في قلبهِ من الميل الى شقيقتها. وكما ان الهواء المحيط الذي نحن غائصون فيهِ يأذن لنا في الحياة دون ان نشاهده وكما ان الملائكة المكلفين من قبل المولى بحراستنا والسهر علينا لا يظهرون لنا وجودهم هكذا راحيل المنكودة ما زالت تعيش بكليتها لقرينها عاطفةً عليهِ بمحبتها غير انها كانت هذه المرأة تحرص كل الحرص على كتمها بقدر حرصها قبلًا على افشائها

ومن ذاك الوقت لازمت القيام بواجباتها المزدوجة بصفة قرينة ووالدة وهي صابرة صبر المسيحيَّة الحقيقيَّة على نكدها مشيرةً بذلك الى قبولها عن طيبة نفس بعدم مبالاة زوجها. ولم يكن زين ولا حنة يعرفان اي شيء يختفي تحت ذاك المظهر الهادئ من الزوابع والقلاقل الباطنة

واماً حنة فما فتئت على حالها الماضية مع زين غير عالمة بما تسبّب لشقيقتها من النكد الباطن ولا ريب انها لو عرفت شيئاً من ذلك لآثرت ان تبتعد عن قصر البترون ابتعادًا ابديًا

وعليهِ فلم يكن احد مطلعاً على داخليَّة راحيل سوى راحيل وحدها غير انها عملًا بنصائح الاب يوحنا حافظت على كتم محبَّتها ولو اورثها ذلك اشد الحزن واغزر الدموع

٥

من يستطيع ان يصف المعارك الباطنيَّة التي خاضت غمارها هذه القرينة المُحبة لبعلها والمحافظة على تمام الامانة لهُ ولم يشهدها غير الله تعالى وملائكته ؟ . . . دامت هذه المعارك اياماً بل اسابيع تخيَّلتها راحيل المنكودة ادهاراً طويلة . غير ان ما طُبعت عليهِ من الرصانة وعزَّة النفس كان يحملها على كتم ذلك كلهِ وعدم افشاء شيء منهُ

ولكنها في ذات يوم اشتدَّت عليها وطأة الحزن فبكت وانتحبت ووقعت على الارض من اليأس والجزع وكانت تتوهَّم انَّهُ ليس من خليقة بشريَّة تقوى على احتمال ما احتملتهُ هي مدَّة طويلة من التنغيص والمرارة . فلمَّا خفَّف الدمع موقَّتاً حدَّة بلواها انتصبت قائمةً وجلست عند الشباك تنظر الى الشمس الشارقة التي كانت ترسل اشعة ظافرةً على الارض المتلالئة نوراً . وكانت قد بكت كثيراً فلم تقوَ الشمس على ان تؤثر في عينيها اللتين اضعفتهما غزارة الدمع

وكان ذلك في الصباح ولا شيء اشهى واحسن من منظر لبنان في الساعات الاولى من النهار لان الظلال تكون في مثل هذا الوقت منبثَّة على طول سفوح الجبال بينما تكون القمم والروابي قد تعمَّمت باكليل من الاشعَّة الذهبية التي ترسلها الشمس الشارقة وأبخرة الفضاء شفَّافةً ترى العين من ورائها قمم الجبال البعيدة فما احسنهُ منظراً جمع بين اللطافة والعظمة . كيفما التفتت الباصرة تشاهد هنا غياضاً ملتفَّةً وهناك اشجاراً متفرّقة تختلف ألوانها بين اخضر ناضر واسمر قاتم . وممَّا يزيد المشهد جمالًا وجود القرى العديدة معلَّقةً في سفوح الجبال الشامخة . أجل انَّ في الدنيا جبالًا تعلو لبنان ارتفاعاً غير انهُ ليس فيها ما يكون لمجموعهِ مثل هذا المنظر البهيج عند شروق الغزالة

وكان اذ ذاك قد دخل فصل الصيف وتفرَّق الحصَّادون في السهول يحصدون ما تعبوا في زرعهِ من الحنطة وغيرها من انواع الحبوب . وكانوا ينشدون الاغاني ويترنَّمون بها فرحين طربين فلمَّا سمعتهم راحيل هتفت من اعماق قلبها قائلةً :

« سعداً لهم ما احسن حالهم فانهم تحت حرارة الشمس المحرقة يترنمون بالاغاني

ويهيئون القوت لاشقياء الحظ. ومع ما هم عليه من العناء وما يتصبب من ابدانهم من العرق هم يسعدون ولا صوت غير صوتي وحده يعكر صفاء السعادة »

ثم انها انقطعت عن الكلام هنيهةً لانَّ الطبيعة قد ضمَّت فرحها وابتهاجها الى حبور الحصَّادين وسرورهم فكانت الاشجار والادغال والسهول متسربلة باجمل اثوابها والاطيار تناغي العالم الخلَّاق بتغاريدها وراحيل تسمع ذلك باصغاء ومزيد انتباه وكانت قد كفَّت عن ذرف الدموع وداخلها شيء من السرور فسالت على شفتيها الذابلتين ابتسامة لطيفة مختلطة ببقيَّة من الحزن. ثم انها رفعت رأسها وتطلَّعت فشاهدت على الطريق وراء الاسوار امرأة فقيرة تحمل طفلًا لها صغيرًا وكانت المرأة وطفلها لابسين أخلاقًا من الثياب غير انها كانت مع هذا كله تضحك مسرورةً لولدها وولدها يداعبها ويتدلَّل عليها محبورًا بها. وحينئذٍ اغلقت راحيل شبَّاك حجرتها وترلت من قصرها ذاهبةً الى حيث رأت المرأة وولدها فخاطبتها قائلة:

من اين انت ايتها المرأة فاني اراكِ فقيرة شقيَّة

— كلَّا ايتها السيدة الشريفة اني بحمد الله سعيدة وفي عمري ما حسدت احدًا على راحة او غنى. وعندي ولدي هذا فهو كفايتي وسعادتي

— لماذا اذًا تجلسين وحدكِ تحت هذه الشجرة ولا تدخلين الى المدينة او بالاقل تقتربين من هؤلاء الحصَّادين الذين يترغون بالاغاني المفرحة

فارتها المرأة حينئذٍ اطمارها ثم اجابتها بلطافة وعذوبة قائلةً:

ولماذا أُعلن شقائي لمن يحلمون الغنى ويفتكرون بالثروة. لا يصلح ان يكون مقامي الَّا بين هذه الاشجار الوضيعة والطيور الوَجِلة. وحضرتك اعلم الناس ان الشقي يتوارى تحت ظلّ يستره وبالكد يجسر على ان يمدّ يدهُ بينما ان اصحاب الثروة يجولون أيان شاؤُوا. وارى ان سعادتي هي في ان انظر الى سعادة الآخرين. وهذه معظم عزائي وسلواي

— ولكن ألا تحزنين من مقابلة شقائك بسعادة غيرك ؟ الا ينجرح قلبك من الفقر الذي هو اعظم البلايا عندما ترين الكثيرين رافلين بملابس الغنى مانسين بثياب الكرامة والثروة

— كلَّا ثمَّ كلَّا بل ان عندي لتجربة الجسد علاجين لاني انظر الى البلايا التي لم

أَصب بها فاشكر الله على نجاتي منها وبعد ذلك افتكر في الخيرات الباقية لي. ثم انها حدّقت البصر في ولدها وهمست بصوت خفي قائلة: «ألا انَّ الباقي لي ما هو الّا ترر يسير»

— وهل تكفي هذه الافكار لتعزيتكِ

— ان هذه الافكار توليني في الغالب تعزية فان لم تقوَ على ذلك استعمل علاجاً آخر اي الانشراح والبشاشة .

— وكيف تتكلَّفين الانشراح في حالتك الفقريَّة ؟

— ثقي بصدق كلامي لانهُ اي فائدة اجتنيها من رؤية الاشياء بلون اسود فاحم. واذا كان بعض النـاس يقنطون ويتصورون المستقبل قاتماً مظلماً بالمصائب والرزايا التي يتحمَّلون سلفاً مرارتها فما انا بقادرة على ان اعمل عملهم الذي يفني الجسم ويضعف العقل ولكني اترَّجى الخير دائماً ولا ارى في المستقبل غير السعادة وهــذه هي الطريقة التي انتهجتها لاحتمي بها من المصائب والنكبات واذا كان الصبر على غِيَر الدهر افضــل الوسائل لتخفيف شدتها وثقل وطأتها فاعلمي ان الانشراح والجذل عند إلمامها هو بمثابة الارتفاع عليها

واذ كانت راحيل تمسح الدموع التي بلَّلت عينيهــا اتمت الفقيرة كلامها قائلة: « وانا كذلك قد طالما بكيت اماَّ الآن فــا عدت اعرف البكاء. لان منظر ولدي أنساني الدموع. على ان كثيرًا من الامهات حُرمن مثل هذه التعزية فالافتكار في شقائهن يمنعني من التأمل طويلًا في نحس طالعي لانهُ لا شيء مثل الشفقة والتأثر لمصائب الآخرين يقوّي المرء على احتمال ما يحلّ بهِ من الرزايا

فلمَّا سمعت راحيل هذه الحكم اخذت تتأمل في معناها وبعد ان نفحت الفقيرة ببعض النقود اعانة لها على تحسين حالتها قالت لها: « اشكرك كل الشكر على هــذا الكلام المسجدي » وخطر لها في الوقت نفسهِ ان تسأل تلك الفقيرة عن نسبها لانهــا رأتها ممتلئة من الحكمة بالرغم عمَّا لحق بها من الرزايا والمحن وكانت تعتقد بعدما سمعت من كلامها انها ليست مرأة اعتيادية. غير ان ما طُبعت عليهِ راحيل من الرصانة والوقار صدَّها عن استفهامها عمَّا كانت راغبةً في علمهِ ولم تشأ ان تفتح لتلك الغريبة جراحاً قد اندملت. ثم افتكرت في كلام الفقيرة من انها كانت سعيدة وتجهل الحسد الذي هو في

الغالب رفيق الشقاء والضيق فقالت في نفسها يا لله كم تستر الاخلاق من نفوس ابيَّة وكم بين الفقراء من قوم يفضلوننا كثيرًا نحن الذين قلما نتنازل للالتفات اليهم »

وعادت بعد ذلك الى القصر ولمَّا وصلت الى تحت الاشجار الغبياء التي في الحديقة ضاعفت الطيور تغاريدها كانها تستقبل بالحان الانتصار هذه القرينة الحزينة

وبعد ان جلست على حافة فسقيَّة من المرمر اخذت تقول بصوت خفي: « فلننسَ نكباتنا مقابل نكبات الآخرين ولنكف النحيب والشهيق بازاء نحيب الغير وشهيقهم. ألا يا فضيلة الشفقة المقدَّسة اعينيني على ان انسى اوجاعي حتى لا افتكر الَّا باوجاع الغير »

ثم انها انتزعت من اصبعها خاتمًا من الذهب مرصَّعًا بالالماس وقالت: « اذهبي عني يا تذكاراتي العزيزة. تبدَّدي من وجه العزيمة التي صمَّمتُ على انجازها. اذهبي وخفّفي شقاء الذين كانت كبريائي تمنعني من النظر اليهم والتفطن لنكباتهم. بيني عني حتى لا تسترخي هذه النفس التي أُريد ان تكون قويَّة وصبورًا على كبار المحن البشريَّة فلتضمحل المحبة بازاء الشفقة ولتهتمّ نفسي بتعزية الغير وتضميد جراحهم بدلًا من ان تتشاغل دائمًا في سبر غور كلومها الباطنيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

سلَّم العبادة

استخرجهُ من اللغة الفرنسيَّة القس رافائيل جبري السرياني

طُبع في المطبعة الشرقيـة في الحدث سنة ١٩٠١ (ص ٣٧٩ بقطع صغير)

اتحفنا حضرة الاب الفاضل القس رافائيل جبري بهذا الكتاب التقويّ الذي يتضمَّن عدَّة صلوات وتأملات ورياضات مقتطفة من كتب آباء الكنيسة ومعلِّمي السيرة الروحيَّة. وهو يقسم الى ثلاثة اقسام فالقسم الاول يشتمل على تأملات في آلام السيد المسيح وسرّ قربانهِ الاقدس. والقسم الثاني يختصّ بالتعبد للبتول الطاهرة مريم ام الله. امَّا مدار القسم الثالث فعلى رياضات شتى وصلوات متنوّعة يليها مناجيات وعواطف اكثرها للقديس الجليل مار اوغسطينوس. فنشكر لحضرة المؤلف همتهُ اذ قرَّب لفهم

المؤمنين الشرقيين هـذه الكنوز الصالحة التي كانوا يجهلون معظمها ونتمنى ان تكون لالبابهم سلّماً يرقون بها الى ذروة العبادة وقمة الكمال

اطيب الفكاهات في اربع حكايات

اودعنا هذا الكتاب اربع حكايات كنّا نشرناها تباعاً في المشرق في سنتهِ الثالثة فجاء مجموعاً حسناً يأنس بمطالعتهِ اهل المدارس. ومن خواص هذه الحكايات انها تدور على مواضيع تاريخيَّة تمثّل رجالاً اتخذوا الفضيلة دينهم والفضـل ديدنهم فيدعون القراء بلسان حالهم الى ان يحذوا حذوهم ويرتشدوا بامثالهم

INSEGNA SACRA
CREATA DAL SOMMO PONTEFICE LEONE XIII
per i pellegrini Cattolici in Terrasanta, *Gerusalemme,* 1901

وسام الاراضي المقدسة

هي كريرسة بالايطاليَّة تبشّر كل زوار الاراضي المقدسة بان قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر رخّص لرئيس حضرات الاباء الفرنسيسيين الاكبر في القدس الشريف ان يمنح باسم الكرسي الرسولي كلَّ من زار الاماكن المقدَّسـة من اي جنس واي بلد كانوا نوطاً يحملونهُ في الرتب الدينيَّة ويكون لهم كتذكار لزيارتهم للمحال المقدَّسة باسرار وحياة ووفاة المسيح وذلك مقيّـد ببعض الشروط تراها مدوَّنة في الكراسة المذكورة. وفيها ايضاً وصف النوط السابق ذكرهُ والبراءة البابويَّة المؤذنة بذلك. فعسى هذه النعمة الجديدة تزيد في قلوب المؤمنين الرغبة في زيارة الاراضي المقدسة لينعشوا في قلوبهم المحبة نحو فادي البشر

شَذَرَاتٌ

عاديّات فلسطين قد جمع صاحب العزَّة اسمعيل بك مدير المعارف في القدس الشريف ما اكتشف عليهِ العلماء الاجانب لاسيَّما الدكتور بليس من العاديّات في فلسطين فافرد لها ست حُجَر في المدرسة السلطانيَّة التي مقامها بازاء الباب المعروف بباب هيرودس ليس بعيداً عن مدرسة القديسة حنة للاباء البيض ونظمها هناك على احسن طريقة فالحجرة الاولى تحتوي على نيف ومئة قطعة من الخزف والعاديات

التي سبقت عهد بني اسرائيل. والحجرة الثانية مختصة بالآثار اليهوديَّة التي تبلغ ١١٦ قطعة. والحجرة الثالثة تتضمن عاديَّات عهد السلوقيين وعددها ١٧٤ مثالاً وفي الحجرة الرابعة تماثيل بشريَّة وحيوانيَّة ومصوغات من الشبَه والحديد وتصاوير حجريَّة وعظميَّة. امَّا الحجرتان الاخيرتان فقد أُودعتا الحجارة الكريمة والمصكوكات والنقود واشغال الزجاج. والغاية من اقامة هذا المتحف الصغير ان يجد العلماء في القدس الشريف ندحةً لدرس تاريخ بلاد فلسطين منذ زمن الكنعانيين الى ايام الدولة الرومانيَّة. وان شاء الله ستُنشر عمَّا قليل قائمة العاديَّات المصونة في هذا المتحف

احتجاج — اخذنا العجب ممَّا نسبتهُ الى المشرق المجلةُ الكتابيَّة في عددها الاخير (Revue biblique, Juillet 1901, p. 489) حيث قالت ان حضرة الاب لامنس انكر صحَّة التقليد المختصّ بتجلي السيد المسيح على جبل تابور(١). والصواب ان الاب الموما اليه لم ينكر ذلك بل بخلاف الامر صادق على قدم هذا التقليد وتواتره. وانَّما انكر فقط كون الانجيل دوّن اسم تابور كما كان اثبت ذلك جناب فضل الله ابوحلقة في كتابهِ جغرافيَّة سوريَّة (راجع المشرق ٣: ٧٥١)

فسيفساء قديمة — بينا كان احد يهود القدس يحفر لهُ بئرًا في غاية آذار المنصرم في ارضهِ الواقعة غربي شمالي باب العمود اذ عثر على فسيفساء قديمة طولها ٥ امتار و ٧٠ سنتيمترًا في عرض ٣ امتار و ٢٠ س تمثّل اورفاي إله الموسيقى عند اليونان وهو يدقّ بزهرهِ دقًّا يطرب لهُ اهل السماء والبشر والسباع. وتحت هذه الصورة صورة اخرى تمثّل امرأتين بينهما منارة كُتب اسمهما باليونانيَّة وهما تاودوسيا وجيورجيا وعلى جانبيهما صفيحتان كصفائح القبور. وفي اسفل الفسيفساء ثلاث صور صغيرة. صيَّاد ثم اسد ثم ضبع. وهذه الفسيفساء ملوّنة بالوان ناصعة وهي غاية في الدقَّة والاتقان. ويظن حضرات الاباء الدومينيكيين الذين وصفوها وصفًا محكمًا انها من الشغل البوزنطي. امَّا الرموز التي فيها فهي مستعارة من رموز الوثنيين للدلالة على الدين النصراني ومثلها

(١ وهذا نصّهُ: Tout récemment encore le R.P. Lammens S. J. déclarait ne pouvoir admettre la Transfiguration au Thabor (*El-Machriq* 1900 p. 751) et ne paraissait pas convaincu même qu'il existât une tradition ecclésiastique à ce sujet.

كثير في ديماميس رومية والارجح ان هذه الفسيفساء تدلُّ على مدفن لسيّدتين ولعلهما قديستان كما يستدلُّ عليهِ بتاج النور الذي يكلّل هامتَيهما. اما تاريخ هذا الاثر الجليل فمجهول فان الدكتور شيك (Schick) يرقيهِ الى القرن الثاني او الثالث للميلاد. اما حضرات الاباء الدومينيكيين فيرتأُون انهُ من القرن الخامس او السادس لما بين نقوشهِ والنقوش البوزنطيَّة الشائعة في ايَّام الملك يوستينيان من الشبَه

عاديَّات صيداء كثيرًا ما لهجت الالسن باكتشاف العاديَّات الفينيقيَّة التي وُجدت مؤخَّرًا قرب صيداء فلم نرَ مندوحةً عن ذكرها. والآثار المذكورة وُجدت قرب العلاليَّة بجوار صيداء في بستان يعرف ببستان الشيخ يخصّ صاحب السعادة نسيب بك جنبلاط وهي عبارة عن بقايا هيكل ابتناهُ احد ملوك صيداء اسمهُ «بد عشتروت» ولهذا الملك كتابة يذكر فيها بناء الهيكل ويدعو نفسهُ بحفيد اشمون عازار. ولمَّا كان لصيداء ملكان باسم اشمون عازار يرجَّح انهُ حفيد الثاني. ولهذه الكتابة شأن كبير في تعريف سلسلة ملوك صيداء وتاريخهم. وهي ترتقي الى القرن الخامس قبل المسيح. وللدكتور جول روڤيه مقالة في هذا الصدد سنختصرها عمَّا قليل ان شاء الله

نصيحة لوجه الله هذا عنوان قصيدة عامرة الابيات مبتكرة المعاني فصيحة الالفاظ اتحفت بها الكليَّة الاميركانيَّة طلبتها المعروفين بحسن صفاتهم وطهر آدابهم تحرّضهم بها على مواصلة سيرتهم الحميدة لانهم مهما صنعوا من الفواحش واقترفوا من الآثام (وهذا يوافق مبدأ اشياع لوتاروس انَّ الاعمال الصالحة لا تجدي نفعًا) هو كلا شيء بالنسبة الى الاتصاف بصفة الجزويت. ونقتطف من القصيدة المذكورة التي طُبعت في البرازيل (كذا) احسن ابياتها ليقف القرَّاء على صدق مقالنا:

كُن كما شئت كافرًا او رديًّا او لئيمًا او زانيًا او دنيا
او خبيثًا او قاطع الطرق او زيـر نساء او جاهلًا و عييًّا
او. او. او بليدًا بلا شعورٍ وفكرٍ ليس يحوي من التعقُّل شيًّا
او رذيلًا بلا مقام جحودًا نبـذ اللهَ ربَّهُ ظهريًّا
او. او. او زعيم اللصوص امهرَ لصٍّ او رئيس الزعران او حوذيًّا
او مقلًّا بيَّاع كعكٍ وجبنٍ او مدير الحمير او قهوجيًّا

او قليل البارات مسَّاح بويا دأبهُ النهب بكرةً وعشيّا
او . او . او كثير الخداع واللؤم والغشّ م وسلب الاموال او بربريّا
كلّ هذه الصفات والله خيرٌ لك من ان تكون جزويتيّا

فصحَّ بذلك انَّ الكليَّة الاميركيَّة لا ينقصهـا شيء من اسباب الكمال لكنَّ جسمها والحمد لله خالٍ من الميكروب الجزويتيّ الذي والحقُّ يُقـال لا يجتمع مع الميكروب البروتستاني الَّا يلتهمهُ ويلاشيهِ

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاخ الفاضل جراسيموس الراهب الملكي الحلبي لاي سبب قيـل للجمعة الثالثة الواقعة قبل الصوم الكبير جمعة المخالفين

جمعـة المخالفين

ج دعا الروم الجمعة الثالثة التي تسبق الصوم باسم المخالفين لانهم لم يصوموا فيها صوم نينوى الذي يصومهُ الارمن والسريان والكلدان وكانوا يزعمون انَّ هـذا الصوم بدعةٌ ابتدعتها تلك الطوائف مخالفةً بذلك سُنن الكنيسة فنبذ الروم ذلك الصوم وعدُّوهُ رجساً ولذلك يجوز في تلك الجمعـة اكل اللحم عندهم حتى يومي الاربعاء والجمعة . وقيل غير ذلك (راجع كلندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي الجزء الثاني ص٣—١٢)

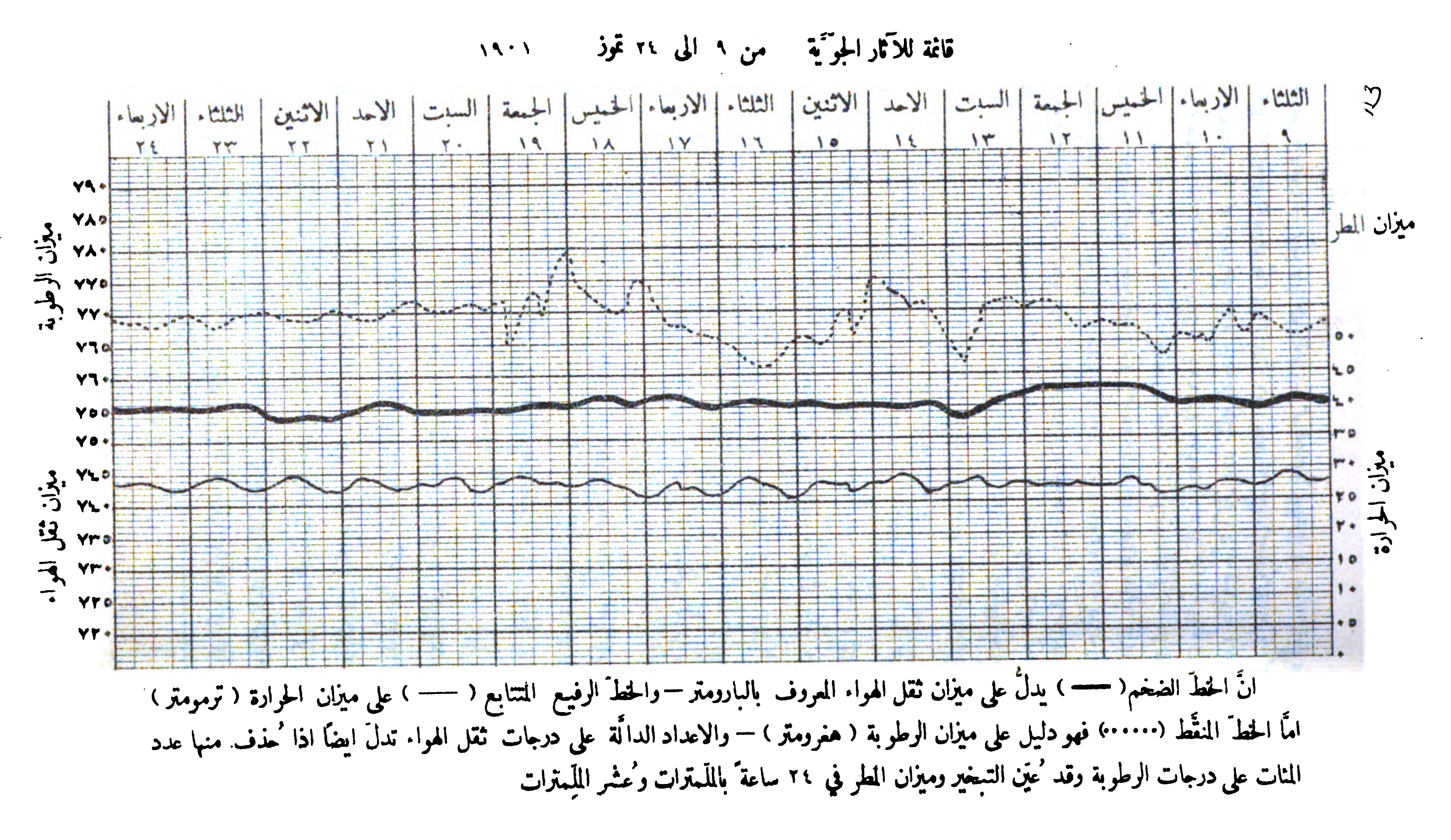
س وسأل احد ادباء البترون من ابن تأتي للزيت البلدي رائحةُ الزَّخمة وطعمهُ التَّفه

الزيت البلدي رائحتـهُ وطعمه

ج سببُ ذلك الاختمار الذي يحدث في الزيتون عنـد جمعِهِ وتـكديسهِ . ولو عصر الاهلون زيتونهم سريعاً بعد القطف اكان زيتهم طيّب الرائحة حسن الذوق

* تصحيح بعض اغلاط طبعيَّة * الصفحة ٢٣٩ س ٧ « الالاتية » صوابهُ « الآتية » وفيها س ٩ « الاختصار . . . الجنة » ص « الاختصاص . . . الجنَّة » = ٣٠٢ س ٦ « الاثنية » ص « الوثنية » = ٣٠٣ س ٤ « وهذا » ص « هذا » = ٣٢٦ س ١٥ « الدرور » ص « الدروز » = ٣٣٥ س ٣ « الابد منها » ص « منهما » = ٣٤٩. س ٢٦ « وادي المقطّب »ص «المكتَّب » = ٣٥٦ س ١٨ « Lavran » ص « Laveran » = ٣٩٠ س ٣٢ « المأخوذ عن » ص « المأخوذ عن كتاب » = ٣٩٣. س ٣٢ وفاة منصور كانت سنة ١٨٦٢ لا ١٧٦٢ . وكذلك وفـاة زعيتر (٣٩٥ س ٣٢) كانت سنة ١٨٤٢ = ٣٩٦ س ٣ اكثر دور مشايخ الدحداح » زد عليها « في مرامون » = ٤٢٧ س ١٢ « اكرامِ لصدورهِ » ص « لصورهِ » = ٤٣١ س ١٧ و ١٨ وقع في هذين السطرَين تشويش والصواب : « أيقول احد ان الاساقفة بجلوسهم على بدلاتهم الحبريَّة والغفارات يحتقرون الصليب »

قائمة للآثار الجوّيّة من ٩ الى ٢٤ تموز ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر المِلّمترات

Magâni ou Fleurs de la littérature arabe.

مجاني الادب

Petit in-8°, 6 vol., ensemble 1936 pages, 6° à 20° édition, 1882-1901.

Par le P. L. Cheikho S. J.

C'est, croyons-nous, le recueil arabe le plus riche, le plus varié et le plus complet qui ait été fait jusqu'ici. L'auteur de cette compilation a utilisé près de trois cents ouvrages de choix dont un grand nombre inédits. Les Orientalistes y trouveront un résumé de la littérature, des mœurs et de l'histoire des Arabes depuis l'époque antéislamique jusqu'à la fin du 14e siècle. L'ancienne littérature chrétienne, si peu connue, y figure aussi pour une bonnne part,

Les matériaux de cette Chrestomathie sont disposés en général dans ces six volumes de près de deux mille pages, d'après les différents genres de style. Chaque volume se subdivise en chapitres où sont contenus les divers sujets qui y sont traités : religion, morale, proverbes, fables, récits plaisants, narrations, descriptions, divers genres de poésies, histoire naturelle, voyages, géographie et histoire.

Plusieurs Université d'Europe, la plupart des Collèges et des écoles d'Orient, le gouvernement égyptien à la tête, ont adopté le **Magâni** comme ouvrage classique, dans leur programme d'enseignement.

		Er.	affr.
Broché .	chaque volume 320 pages	1,75	0.45
Cartonné	— . . —	2 »	

Notes sur le Magâni.

شرح مجاني الادب

Petit in-8°, 4 vol., ensemble 1531 pages, 1886 à 1888,

Par le même.

L'étendue de l'ouvrage précédent, sa richesse et sa variété mêmes demandaient nécessairement un complément c'est-à-dire un commentaire philologique, littéraire, historique et géographique sur tous les passages obscurs. L'auteur n'a pas reculé devant cette tâche pénible, qui lui a coûté trois ans de travail. Ces notes, extraites souvent d'anciens auteurs, sont une véritable Encyclopédie orientale à laquelle on peut recourir pour la solution de plusieurs points de l'histoire, de la littérature et des mœurs nrabes.

L'ouvrage est suivi d'un vocabulaire des mots les plus difficiles et d'une table donnant par ordre alphabétique l'indication des sujets traités dans les six volumes du **Magâni** ainsi que dans les notes.

Broché, 1er, 2e et 3e vol., . .	chaque volume	2,75	0,65
Cartonné — — —	— —	3,50	
Broché, 4e vol (comprenant le vocabulaire et la table)		2 »	0,35
Cartonné — — — — — —		2,50	

مرقاة المجاني

لجامع المجاني

جزءان (١١٤ و ١١٠). وطبعَ الجزء الأوَّل عشرين طبعة والثاني اثنتي عشر طبعة

غاية هذا الكتاب الصغير الحجم ترقية الطلاب الى درس مجاني الادب. وهو قسمان يتضمنان ازيد من مائتي صفحة ق ١٨. يبتدى بهما الدارس بمبادي القراءة الى مطالعة الكتب السهلة اللهجة القريبة المأخذ. وفيهما عدة فوائد صرفية ونحوية ومنتخبات ادبية نثرًا وشعرًا مقسمة الى فصول مختلفة

ق ١٨ بغلاف	٣٠	١٥
بنصف قماش	٤٥	

L'Èchelle du Magâni.

مرقاة المجاني

In-18, 1er volume, 114 pages, 20e édition, 1901.

» 2e » 100 pages, 12e édition, 1901.

Par le même.

Cet ouvrage a été composé pour servir d'étude préparatoire à l'explication du **Magâni**. Il initie l'élève aux connaissances les plus élémentaires de la langue, et le fait passer successivement par des exercices pratiques sur les différentes notions de la syntaxe ; puis, par de petits traits simples et faciles, des fables, des contes et autres sujets semblables, il lui permet d'aborder la lecture des auteurs plus difficiles qu'il trouvera dans le **Magâni**.

		Fr.	affr.
Broché . . . , ...	chaque volume	0,30	0,15
Cartonné.	— —	0,40	

السنة الرابعة العدد ١٦ ١٥ آب ١٩٠١

ان الله نور وليس فيهِ ظلمة البتَّة (١ يو ١: ٥)

المشرق

مجلّة كاثوليكيّة تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم
تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة
بادارة آباء كليّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي
قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE
Sciences — Lettres — Arts.

فهرس العدد ١٦

SOMMAIRE DU N° 16 (15 *Août* 1901)

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

مجاني الادب

في

حدائق العرب

عُني بجمعهِ وضبطهِ وتصحيحهِ الاب لويس شيخو اليسوعي
(طُبع طَبَعات متوالية مصحَّحة)

ليس مجموع بين كتب الادباء المحدثين اجلى حرفًا واوسع مادَّةً واكثر تفننًا من هذا. نقلهُ جامعةٌ عن نحو ثلاثمائة تآليف من تآليف الاقدمين ونيف وخمسين ديوانًا من نظم ابلغ الشعراء. وهو ستة اجزاء يبلغ كل جزء ٣٢٠ صفحة يقسم الى ابواب شتى في كل صنوف الانشاء ومواضيع الادب كالدين والزهد والحكم والامثال والنوادر والحكايات والفكاهات والحماسة والمديح والوصف والالغاز والمقامات والاسفار والرسائل وتراجم الكتاب واقسام التاريخ الدينيّ والمدني. وقد اتخذت الكليات الاوربية فضلًا عن مدارس الشرق هذا المجموع كدستور تعليم العربية في مكاتبها

	س	ف	قيمة البريد
ق ٨ ص كل جزء بنصف قماش		٠٢	٠,٤٥

شرح مجاني الأدب

لجامع المجاني

هو شرح مطول نحويّ ولغويّ وادبيّ وتاريخيّ وجغرافيّ على كل اقسام مجاني الادب وفيهِ اربعة اجزاء تحتوي على ١٥٣١ صفحة بحرف صغير والجزء الرابع منهُ فهرس لغوي وتاريخي على كل مجاني الادب وشرحهِ

كل جزء من الاجزاء الاولى بنصف قماش	٥	٠٢	٠,٢٥
الجزء الرابع اي الفهرس بنصف قماش	٥٠	٠٢	٠,٢٥

المشرق

المخطوطات الطبيّة

في مكتبة كلّيتنا الشرقية

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

وعدنا (ص٥٤٢) والحرّ ينجز وعدهُ ان نصف لقراء المشرق ما تحتويه خزانة مدرستنا الكليَّة من المخطوطات الطبيَّة فانَّ في وصفها فوائد لا تُنكر خصوصاً لطلبة الطب من الشرقيين ليقفوا بمعرفتها على شيء من تآليف الاطبَّاء الاقدمين الذين سبقوهم وعلى مضامين هذه المصنفات. ونحن ندلُّ على كل واحد منها باعداد لسهولة المراجعة

العدد ١ كتاب الفصول للرازي. هو الكتاب الذي اتسعنا في وصفهِ في مقالتنا عن الطب في عهد الخلفاء (راجع المشرق ٤: ٥٤٣-٥٤٩)

العدد ٢ هو مجموع ثلاثة كتب طبّيَّة مجلَّد بجلد مراكشي بنقوش طولهُ ٣٢ س في عرض ٢٢ س صفحاتهُ ٤٧٥ لكل صفحة ١٦ سطرًا مكتوب بخط مغربي. هذا الكتاب كان استنسخهُ سنة ١٨٧٩ في تونس حضرة الاب يوسف حوَّاء اليسوعي عن نسخة قديمة فاهداهُ لمكتبتنا. مضمونهُ: ١ كتاب للشريف الصقلي اولهُ بعد البسملة «كتاب فيهِ تأليف الشريف الصقلّي رحمهُ الله امين. قال الشيخ الفقيه رئيس الاطباء الصادق الحاج ابو العباس احمد بن عبد السلام بن عثمان الحسني الشريف الصقلي...». والصقلّي المذكور اشتهر في ايَّام سلطان تونس ابي الفارس عبد العزيز سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤م) وكان من نطس الاطباء. امَّا الكتاب فمقسوم الى عدَّة أبواب يبحث فيها عن امراض الجسم عضوًا عضوًا. ثم يليها ذكر الموادّ الطبيَّة وخواصّ النبات مفصلًا

على ترتيب حروف المعجم. وعقيب ذلك ابواب مختلفة تقسم الى عدّة فصول ليس بينها علاقة ظاهرة. ولعلها مجموعة من كتب متفرّقة. ومن جملة هذه الفصول كلام في البرص والبهق ومداواتهما. وفي الحيوان ومنافعهِ الطبيّة الى غير ذلك من الفوائد. وفي مكتبة ليدن نسخة من هذا الكتاب (راجع فهرستها ٣: ٢٦٥)

٢ وفي الصفحة ٢٥٢ يبتدئ الكتاب الثاني وهو كتاب الرحمـة في الطب والحكمة للشيخ مهدي بن علي بن ابراهيم الصنبري المتوفّى سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢م). فبعد البسملة يقسم المؤلف كتابهُ الى خمسة ابواب: ١ في الطبيعة. ٢ في طبائع الاغذية والادوية. ٣ في ما يصلح للبدن. ٤ في علاج الامراض الخاصّة بكل عضو. ٥ في الامراض العامّة (راجع الحاج خليفة ٣: ٣٥١) وهو من الكتب الطبيّة القديمة المعتبرة

٣ وفي آخر الكتاب (ص٣٨٢—٤٧٥) كتاب ثالث للشيخ ابي عبد الله محمّد ابن يوسف السنوسي الحسني يتضمّن شيئاً من الطب النبوي ووصايا صحيّة نثرًا ونظماً ووصفات طبيّـة لامراض شتى. والشيخ المذكور ولد سنة ٨٣٢ في تلمسان وتوفي سنة ٨٩٦ (١٤٢٨—١٤٩٠م)

العدد ٣ مجموع آخر يتضمّن خمسة كتب طبيّة وهو مجلد بجلد اسود طولهُ ١٦ س في عرض ١٠. صفحاتهُ ٢٣٦ وفي الصفحة ١٢ سطرًا. مخطوط بخط كنائسي لاحد النصارى كُتب منذ نحو ١٥٠ سنة. بيع في بيروت

١ الكتاب الاول (ص ١—١٠) يتضمّن مقالة في تأثيرات القمر لكل يوم من ايام الشهر وهو من علم النجامة الباطل

٢ الثاني (ص١١—١٧٦) هو كتاب الرحمة السابق وصفهُ في العدد ٢

٣ الثالث (١٧٦—٢٠٣) كتاب برء الساعة لابي بكر محمـد الرازي صاحب كتاب الفصول وضعهُ للوزير ابي القاسم بن عبد الله ليبيّن فيهِ العـلل التي يمكن برؤها في ساعة من الزمان. وهو كتاب فريد في بابهِ

٤ الرابع (ص٢٠٣—٢١٦) يتضمن جدولًا على حروف المعجم للحبوب والعقاقير والاعشاب مع بيان حقيقتها وهو كتاب حديث لم يذكر مؤلفهُ

٥ الخامس (٢١٧—٢٣٦) مختصر طبي «لجبور الجلده الذي كان باش الاطباء» ذهب بعضهُ في آخرهِ. اما جبور المذكور فلا نعلم من امرهِ شيئاً

العدد ٤ كتاب غنيمة الطبيب حيث لا يوجد طبيب. طولهُ ٢٠س ونصف وعرضهُ ١٤س ونصف. صفحاتهُ ٧٤ وفي الصفحة ٢٣ سطرًا بخط عادي تاريخهُ نحو ٢٠٠ سنة. هذا الكتاب هو نفس كتاب الرحمة في الطب والحكمة مع تصرُّف قليل. بيع في حلب

العدد ٥ كتاب تذكرة الكحَّالين. طولهُ ٢٦ س في عرض ١٦. صفحاتهُ ٢١٤ مجلَّد بجلد احمر مَرِن. بِيع في الموصل. مكتوب بخطّ نسخي حديث بيد مصطفى بن عبد اللطيف التكريتيّ سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦م). هذا الكتاب من انفس ما وضعهُ القدماء وهو يقسم الى ثلاث مقالات في حدّ العين وتشريحها ثمَّ في امراض العين الظاهرة واسبابها وعلاماتها وادويتها ثمَّ في امراض العين الخفيَّة واسبابها وعلاجها. ولكل مقالة فصول عديدة جزيلة الفائدة. امَّا مؤلف هذا الكتاب فهو عيسى ابن علي الطبيب النصراني من اجلّ تلاميذ حنين بن اسحق خدم الخليفة المعتمد على الله. اشتهر في القرن العاشر للميلاد وكان يشتغل ايضًا بالحكمة. ومن هذا الكتاب نسخ قديمة في خزانة كتب باريس وفي المكتبة الخديويَّة وقد طُبعت ترجمتهُ باللاتينيَّة في البندقيَّة سنة ١٤٩٩ نقلها غويدو دي كولياكو. ولهُ ترجمة اخرى حديثة طبعت سنة ١٨٤٨ في المانية

العدد ٦ كتاب منافع اعضاء الحيوان. طولهُ ٢٣ س ونصف وعرضهُ ١٧ س صفحاتهُ ١٣٢ وفي الصفحة ٢١ سطرًا وُجد في حلب. مؤلف هذا الكتاب هو عيسى بن عليّ السابق ذكره. يصف فيهِ كلَّ الحيوانات بادئًا بالانسان مع ما في اعضاء كل منها من المنافع الطبيَّة. ينتهي في الصفحة ٨٨ وقد علَّق عليهِ القس جرجس بن توما قتَّال الحلبي حاشية سنة ١٧٨٥ جمع فيها من كتب الاطبَّاء وصفات مختلفة مجرَّبة يختمها في الصفحة ١٣٢ بوصفة للمريض الذي لا ينام « بان يُدقّ الافيون ويخلط بشراب ويلطخ فوق حواجبهِ فانَّهُ يرقد وينام »

العدد ٧ كتاب مسائل في الطب للمتعلمين. طولهُ ٢١ س في عرض ١٥ س ونصف. مجلَّد بمقوًّى (كرتون) صفحاتهُ ١٢٥. كُتب سنة ١١١٢ (١٧٠٠م) بخطّ نسخي حسن. وُجد في حلب. وهذه المسائل من تأليف حنين بن اسحاق النصراني المتطبب الشهير المتوفى سنة ٨٧٤ م. وهي على طريقة السؤال والجواب

يبحث فيها صاحبها عن اهم المطالب الطبيّة . والسؤال في نسختنا مكتوب بالحرف الاحمر . ولهذا التأليف نسخ عديدة في المكاتب الاوربيّة . وعلمنا ان منشئ مجلّة الطبيب حضرة الدكتور اسكندر افندي بارودي سينشره قريبًا . وقد راجع نسخةً عنده على هذه النسخة لضبط الرواية

العدد ٨ مقالات لابقراط . طولهُ ١٦ س ونصف في عرض ١٢ س ونصف . صفحاتهُ ١٧٢ كُتب بقلم عادي مُشرق لكنهُ سقط منهُ بعض الصفحات تاريخهُ بالتقريب من القرن الخامس عشر . وُجد في ماردين يحتوي هذا الكتاب على كتابَين لابقراط من ترجمة حنين بن اسحق وهما كتاب المعرفة (Pronostics) في ثلاث مقالات وكتاب الفصول(Aphorismes) في سبع مقالات . وكلاهما من الكتب الشهيرة التي طُبعت مرارًا . ومنهما نُسخ خطيَّة عديدة في خزائن الكتب الأوربيَّة

العدد ٩ كتاب المغني في الطب . طولهُ ١٥ س وعرضهُ ١١ س . صفحاتهُ ٤٤٨ . مكتوب بالحرف الكرشوني . وُجد في ماردين . وفي صدرهِ فهرس الابواب وهي نحو ٢٢٠ بابًا يبحث صاحبهُ في كل باب عن مرض خصوصي مع بيان اسبابهِ واعراضهِ ومداواتهِ . امَّا المؤلف فقد اشتهر في القرن الحادي عشر وهو ابو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين النصراني خدم الخليفتين المقتدي بالله والمستظهر بالله . ولهُ كتب كثيرة . ومن المغني نسختان في مكتبة باريس العموميَّة

العدد ١٠ كتاب الحاوي في الطب . طولهُ ٢١ س ونصف وعرضهُ ١٥ س . صفحاتهُ ٥٩٢ . كُتب باقلام مختلفة . جلدهُ شرقيٌّ بسيط . كُتب منذ نحو ١٥٠ سنة بِيع في حلب . وليس هذا كتاب الحاوي لابي بكر الرازي الانصاري كما دُوِّن سهوًا في صدر الكتاب . وانَّما هو كتاب الحاوي في علم التداوي لنجم الدين محمود ابن ضياء الدين الياس الشيرازي من اطباء القرن السابع للهجرة رتَّبهُ على خمس مقالات في العلل والحميات وعلل الاعضاء الظاهرة والادوية المفردة والادوية المركَّبة . ولهذه المقالات نحو ٣٠٠ باب تنقسم اليها . وهو كتاب شامل منهُ نسختان في مكتبتي لندرة وليدن

العدد ١١ ارجوزة ابن سينا في الطب وشرحها . طولهُ ٣٢ س ونصف في عرض ٢٢ س . صفحاتهُ ١٥٢ . وُجد في طرابلس . وهذه الارجوزة

شائعة الشهرة. طُبعت في مصر وفي الهند وهي في نسختنا ٣٨ صفحة يليها شرح لمؤلف لم يُذكر اسمهُ (ص ٣٨) وانّما يقول انهُ وضعهُ للسيد الموقّر ابي الربيع ابن السيد محمّد ابن الامام الخليفة الاعظم. وهذا الشرح حسن الّا انهُ غير كامل لا يشرح سوى نصف الارجوزة بنيف قليل. وفي العدد الآتي نسخة اخرى منهُ ولعلّ هذا الشرح هو لأبي الوليد الشهير بابن رُشد الذي ذكرهُ الحاج خليفة. ومنهُ نسخ في مكاتب اوربا

العدد ١٢ مجموع طبي. طولهُ ٢٨ س ونصف في عرض ١٩ س صفحاتهُ ٣٧٠ وسطوره بين ٢٢ و ٢٥ سطرًا في الصفحة. يحتوي اولًا هذا المجموع كتابًا في المادّة الطبيّة والادوية المأخوذة من النبات والحيوان والمعادن. غير ان هذا الكتاب ناقص في اوّلهِ وآخرهِ لا يُعرف صاحبهُ وتاريخهُ وهو قديم كما يدلُّ على ذلك ورقهُ وخطّهُ. وقد اطلع عليهِ بعض الادباء في سنة ٩٧٦ هـ (١٥٦٨م). وثانيًا كتاب شرح ارجوزة ابي سينا الذي ورد ذكره في العدد السابق وهو للمؤلف نفسهِ. وهذا الشرح اقدم عهدًا من الاول كُتب منذ نحو ٥٠٠ سنة بخطّ نسخي انيق وابياتهُ المشروحة بالحرف الثُلث. وينقص ثماني صفحات من اول هذا الشرح ومن آخرهِ صفحتان وُجد في حلب

العدد ١٣ ارجوزة المفضَّل ابن المجيد في الطب. طولهُ ٢٠ س في عرض ١٤ صفحاتهُ ١٦٨ في كل صفحة ٢١ بيتًا بخط نسخي حسن جلدهُ اسود منقوش كُتب عليهِ في اوّلهِ بالعبرانيّة بعض آيات من التوراة. وُجد في بيروت. هذه الارجوزة تحتوي على مختصر حسن في الطبّ وفروعهِ. ولها فصول كثيرة كُتبت بحبر احمر. امّا مؤلفها فكان من نُطس الاطبّاء في القرن السابع للهجرة. وفي باريس نسخة من هذه الارجوزة بخط المؤلف تاريخها سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨م) وهي تُدعى هناك «نقع الغُلَل ونفع العُلل» امّا نسختنا فتاريخها سنة ٧٢٩. كتبها لنفسهِ «جميل (؟) بن ابراهيم الشافعي». اولها:

الحمد لله الذي ابدى البشرْ   نارًا وماء وهواء ومدَرْ

العدد ١٤ كتاب علاج الخيل لابي عبد الله. طولهُ ٢٠ س ونصف وعرضهُ ١٥ س صفحاتهُ ٥٢ في كل صفحة ١٩ سطرًا جلدهُ اسود. بيع في بغداد. صفحاتهُ الاولى مكتوبة بحرف نسخي جميل الى الباب السابع ثم باقيهِ بخط مستحدث

واوّلهُ: « الحمد لله رب العالمين الذي خلق الخيل ونصر بها اولياءهُ... » وللكتاب ٣٢ باباً تشتمل كلّ ما يختصّ بامراض الخيل وعلاجها. امّا المؤلف فيدعى ابا عبد الله ليس الّا ويقول في مقدّمتهِ انهُ اخذ موادّ كتابهِ « من تأليف وضعهُ الامام جلال الدين السيوطي في معالجة الخيل واسقامها فذكر ما جرّب وما صحّ » وقد نقل نسختنا هـذه الدكتور اوغست هفنر تريل مدرستنا الكليّة سابقاً. وفي نيّتهِ ان ينشرها في ويانّة عاصمة النمسة

العدد ١٥ كتاب مختصر مفردات ابن بيطار. طولهُ ٢٠س ونصف وعرضهُ ١٥ س. صفحاتهُ ١٤٢ ذات ١٧ سطراً في الصفحة. غلافهُ مقوًّى مورّد مذهّب تاريخهُ سنة ١٠١٤ (١٦٠٥ م) كتب بخط نسخي مُشرق. هذا المختصر وضعهُ الامام العلامة الجليل الشيخ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ (١٥٠٥ م) ونقلهُ عن كتاب مفردات ابن البيطار الملقَّب « ما لا يسع الطبيب جهلهُ » وسمّاهُ مجمع المنافع البدنيَّة وهو مقسوم الى ثلاثة اقسام كلّ منها ٢٠ باباً في الاغذية والامراض والادوية واوّل الكتاب: « الحمد لله الضارّ النافع. الذي جعل لكلّ داء دواء مصلحاً ونافع. احمدهُ على فضلهِ الواسع... » وُجد في حلب

العدد ١٦ منظومـة في الطب والحكمة للامام محمد بن القاسم الحريري. طولهُ ٢٠س ونصف في عرض ١٤ س ونصف صفحاتهُ ٩٨ ابيات كلّ صفحة بين ٢٠ و ٢٢ سطراً مجلـد بمقوًّى احمر وازرق خطّهُ نسخي وتاريخهُ نحو مائة سنة. بيع في بغداد. لم نجد ذكراً لهذه المنظومة الطبيَّة ولا لصاحبها الامام محمد بن القاسم الحريري الذي هو غير صاحب المقامات الشهير ولعلهُ ابنهُ. اوّلها:

يقول حلف العجز والتقصيري (كذا) محمد بن القاسم الحريري
الحمد لله الحكيم الشافي ذي الطَّول والمنّةِ والاسعافِ

وممّا ذكر المؤلف انهُ اختصر هـذه المنظومة من اقوال الشيخ الرئيس ابن سينا ودعاها « بُلغَة الطبيب ونزهة الفاضل الاريب »

العدد ١٧ كتاب انتخاب الاقتضاب المجموع على طريق المسئلة والجواب. طولهُ ٢١ س في عرض ١٥ ونصف. صفحاتهُ ١٢٠ وفي الصفحة ١٩ سطراً. تاريخ الكتاب منذ نحو ٢٠٠ سنة وُجد في حلب. وهذا الكتاب مختصر من كتاب اطول صنّفـهُ المؤلف الذي يُدعى ابا نصر سعيد بن ابي الخير بن عيسى بن

المسيحي . وهو احد افاضل الاطباء خدم الخليفة الناصر وتوفي سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١م) وقد دعا كتابهُ الاقتضاب لانهُ لخّص فيهِ مباحث كتاب الكليّات من قانون ابن سينا (راجع تاريخ الدول لابن العبري ص ٤١٦)

العدد ١٨ كتاب العلل وغاية الامل في الطب لجالينوس . طولهُ ٢٠ س في عرض ١٥ صفحاتهُ ٦٦ صفحة ذات ١٧ سطرًا جلدهُ مقوّى اصفر بنقوش وُجد في دمشق . وهـذا الكتاب لم يُذكر في قائمة تآليف جالينوس التي دوّنها ابن ابي أُصيبعة في طبقات الادباء كما اننا لم نجد لمعرّبهِ ذكرًا . وانّما يقول في المقدّمة : « هذا مختصر في الطب كتبتهُ بعون الرب وجمعتُ فيـهِ كل دواء سريع العمل ولذا سمّيتهُ بسيف الغلل (كذا) » . وهو على ثلاثة ابواب الاول في الاركان والاخلاط والثاني في احكام الاغذية والادوية المفردة والمركّبة والثالث في حفظ الصحّة . ولا تاريخ لهذا الكتاب الّا ان كتابتهُ تدلُّ على انهُ كتب منذ نحو ٣٠٠ سنة

العدد ١٩ مقالات من كتاب كامل الصناعة . طولهُ ٢٥ س في عرض ١٦ صفحاتهُ ١٠٦ واسطر كل وجه منهُ ٢٤ سطرًا . مجلّد بجلد احمر حديث . وخطّهُ نسخي قديم يرتقي الى نحو ٥٠٠ سنة . امّا كتاب كامل الصنـاعة في الطب المعروف بالملكي فقد صنّفهُ علي بن عباس المجوسي لعضد الدولة في القرن الرابع للهجرة (راجع الحاج خليفة ٥ : ٢٥) . وفي نسختنـا المقالة التاسعة في ٦١ بابًا مضمونها العمل باليد من القطع والخياطة والجبر والبتر ثم المقالة العاشرة تُقسم الى ١٨ بابًا فيها وصف الادوية المركّبة والترياقات واللّعوقات والادهان والضمادات والمراهم والذّرورات . وقـد قدّمت في التجليد المقالة العاشرة على التاسعة . وبين هذا الكتاب كامل الصناعة وكتاب تقويم الابدان ليحيى بن عيسى بن جزلة علاقة كما ورد في الصفحة الاخيرة من الكتاب ويظهر من مطالعة هاتين المقالتين ان مؤلفهما كان من ائمة علم الطبّ

العدد ٢٠ شرح الايلاقي . طولهُ ١٧ س ونصف في ١١ س ونصف عرضًا . صفحاتهُ ٤٢٢ اسطر الصفحات ١٦ سطرًا كُتب بخطّ نَستعلق سنة ١١١٠ (١٦٩٩ م) بيد مصطفى القادر المتطبب . في اولهِ صفحات باطار مذهّب . وفي هـذا الكتاب تأليفان لشرف الدين ابي عبد الله محمد الايلاقي احد تلامذة ابن سينا . الاول (ص ١—٢٣٦) يدعى « شرح ايلاقي » ولعلهُ مختصر قانون ابن سينا يبتدئ بما نصهُ :

« الحمد لله حقَّ حمدهِ » وعلى هامشهِ عدَّة حواشٍ بيد الناسخ. امَّا الثاني (ص ٢٣٧— ٣٢٢) فهو كتاب الاسباب والعلامات نظَّمهُ القادري وزاد عليهِ مباحث عن البَخارين والسموم الى غير ذلك. وآخر هـذا الكتاب مفقود وُجد في حلب وجُلِّد بمجلد عربي حديث

❁ العدد ٢١ ❁ كتاب الموجز للقرشي. طولهُ ١٨ س في عرض ١٣ ونصف. صفحاتهُ ١٢٠ لكل صفحة ١٥ سطرًا. صدرهُ محلًّى بماء الذهب. مجلد بمقوًّى ابيض وردي. تاريخهُ نحو ٣٠٠ سنة مخطوط بخط عادي حسن بيع في حلب. والكتاب مقسوم الى اربعة فنون: في قواعد جزئي الطب اي علمهِ وعملهِ ثم في الادوية والاغذية المفردة والمركَّبة ثم في الامراض المختصة بعضو عضو واسبابها وعلاماتها ومعالجاتها ثم في الامراض المختصَّة بعضو دون آخر. امَّا المؤلف فهو الشيخ الامام علاء الدين علي بن ابي الحزم القرشي المصري المعروف بابن النفيس توفي سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٦ وقيل غير ذلك. وكتابهُ الموجز المشتهر (الباقي للآتي)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٦ كفرحي ومدرسة مار يوحنَّا مارون

كفرحي مزرعة صغيرة موقعها فوق رابية جنوبي نهر الجوز-على مسافة ثلاث ساعات من البترون في شرقيها. وكان لكفر حي شأن اعظم في ما سلف من الاعصار كما يُستدل على ذلك من الآثار القديمة وشواهد الكتبة من الموارنة

وفوق المزرعة كنيسة مار سابا الذي سبق ذكرها. وفي ظنّنا انها شُيدت في مكان معبد وثنيّ قديم. وعند مدخل الكنيسة قطعة عمود نُقش في واجهتهِ اكليل الَّا انهُ خلوٌ من الكتابة واذا دخلت البيعة رأيت صفيحة عليها كتابة ذهب قسمٌ منها وهي ترتقي الى سنة ٢٧٠ للمسيح. ومضمون الكتابة ان رجلين يُدعى احدهما مونيموس

(Μόνιμος) والآخر سيناس (Σααναs) اقاما هذا المذبح لاحد الآلهة لم يبقَ من اسمهِ الّا حروفهُ الاولى الثلاثة (.ΔΠ. ΑΡΑ)

واسم مونيموس نفسهِ اسم إله كان يتعبَّد لهُ خصوصاً اهل الرُّها يشركونهُ بمعبود آخر يدعى عزيزًا (Ἄζιζος). الّا ان عبادة ذاك الإله لم تكن محصورة في الرها ترى ذكره في الكتابات المكتشفة في حوران. وقد وجدنا اسمهُ مدوَّناً في عدَّة آثار وقفنا عليها في حمص ننشرها قريباً ان شاء الله. وما اسم مونيموس على رأينا سوى تصحيف لاسم آرامي يوافقهُ في العربيَّة «منعم» من الاسماء الحسنى عندهم كما يستدلّ على ذلك بتقديم اسم العبد امامهُ فيقولون «عبد المنعم» وهو اسم بعض المقدَّمين في بشرّاي في القرن الخامس عشر (١. ومما يؤيد رأينا بل يزيل عنهُ كل شبهة ان العلامة رينه دوسو (R. Dussaud) وجد اسم «منعم» (מנעם) بين اعلام كتابات الصفا (٢ وكانوا يريدون بهِ الإله الكريم الوهّاب. وبمثل هذه الصفات وصفـهُ الكتبة اليونان والرومان عند ذكرهم هذا الإله ورفيقهُ عزيزًا

امّا مدرسة مار يوحنا مارون فلا تبعد عن كفرحي اكثر من ربع الساعة مقامها شرقي القرية. والتقليد المحلّي مُجمع على ان هـذه المدرسة بُنيت في مكان الدير الذي بناهُ القديس المذكور في نهاية القرن السابع. قيل ان هذا البطريرك زيَّن كنيسة ديرهِ بذخيرة ثمينة وهي هامة القديس مارون الناسك الشهير ابي الطائفة المارونيَّة وانّ الدير دُعي مدَّة من جرّاء ذلك بدير رأس سيدنا (ܪܫܐ ܡܪܢ). وبقيت الذخيرة هذه في مكانها الى سنة ١١٣٠ فنقلها احد الرهبان البنديكتيين الى مدينة فوليينو من اعمال ايطالية

ولا يخفى على من لهُ المام بتاريخ الطائفة المارونيَّة كم هي نادرة التفاصيل الراهنـة عن اصل هذه الأُمَّة الجليلة واحوالها في الاعصار الاولى بعد ظهورها. وغاية ما نعرفهُ من هذا القبيل قد بلغنا بالاحاديث الشفاهيَّة التي لم تدوَّن الّا منذ عهد قريب فلا بُدَّ اذًا من شواهد كتابيَّة قديمة لتؤيد هذه الاخبار المنقولة. على اننا لا نيأس من اكتشاف مثل هذه الآثار الصادقة في زمن توفَّرت فيهِ الوسائل وانفتحت الخزانات الادبيَّة وظهر للعيان ما لم يكن قبلًا في الحسبان. واملنا اوطد في اهل هذه البلاد فانهم اذا بحثوا

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ١٤١) وروايتنا المعنونة «حبيس بحيرة قدس»
٢) راجع كتابهُ Voyage archéolog. au Safa, N° 78,83,412

لدى الخاصة وفي الاديرة القديمة وفي خزائن الدار البطريركيَّة او الكراسي الاسقفيَّة القديمة لا نشك انَّ مساعيهم تتكلَّل بالنجاح فيجدون في الزوايا خبايا (١

واذا عُدنا الى تاريخ دير مار يوحنا مارون لا نجد لذكرهِ اثرًا قديمًا. وانَّما يروي الرواة انَّ منشئهُ عاش ودُفن فيهِ. وقد عُني مرارًا اصحاب الهمة بالحفر فيهِ لعلهم يقفون على قبرهِ. لكنَّ هذه الابحاث لم تأتِ حتى الآن بثمرة مع ما وُجد هناك من المدافن

وفي سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة (المشرق ١: ٢٥١) ان خلفاء مار يوحنا مارون سكنوا هذا الدير وفيهِ قُبر كثيرون منهم. ولهذا المقام ذُكر في تاريخ الصليبيين (٢ يدعونهُ مار مارون كفرحي (S. Maron de Caphrai)

ثمَّ نُقل الكرسي البطريركي الى دير سيدة يانوح وبقي فيهِ الى عهد البطريرك دانيال الشاماتي فأُعيد الى كفرحي. ثمَّ جرى بعدئذٍ على هذا الدير ما جرى من حروب ونكبات وبلايا كادت تذهب بآثارهِ

قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٤ (ص٢٠٧): «وبسبب كثرة الحكَّام والاغراض كثر الظلم وكلفوا الرعايا بدل المال مالين وقبضوا على الرؤساء في القرى... وكان القس يوحنا الاجبعيّ مترئّسًا على دير القديس مارون في قرية كفرحي فوشى بهِ اهل بقسميَّة الى ابن سيفا حتى قبض عليهِ واهانهُ وسامهُ ما هو فوق طاقتهِ فترك الدير من ثمَّ وارتحل ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت ايضًا بقسميَّة التي كانت لطائفة الملكيَّة»

وبقي ذلك الدير خرابًا صفصفًا الى ان جدَّد البطرك يوسف اسطفان بناء ما كان متهدّمًا فيهِ باواسط الجيل الثامن عشر واسكن فيهِ بعض رهبان. وكان ذلك بعد رجوع البطرك المذكور من الكرمل وعند زيارتهِ الرعيَّة فلمَّا مرَّ على الدير المذكور لم يجد سوى آثار دارسة واطلالٍ طامسة فحركتهُ الغيرة الدينيَّة على ارجاعهِ الى رونقهِ القديم فوجَّه اليهِ القس يوسف الحدَّاد والقس الياس من ريفون ليعتنيا بتجديدهِ

وفي أبَّان زيارة المطران جرمانوس ثابت لابرشيَّتهِ جُبيل والبترون رأى افتقار رعيَّتهِ

١) وممَّا نُشر مؤخرًا في هذا الصدد كتاب الخوري نو الافرنسي (Opuscules maronites) وكذلك مرَّ في المشرق (٢: ٣٦٥؛ ٣٦٥؛ ٤٥١) بعض مقالات في هذا الصدد

٢) راجع Rey : *Colonies franques*, p. 359

الى مدرسة فارتأى تحويل الدير المذكور الى مدرسة يتعلم فيها من كل مقاطعة في لبنان ولدانٍ. فصادق البطريرك يوحنا الحلو على هذا المشروع في سنة ١٨١١ وعضدهُ القاصد الرسولي السيد لويس غندلفي

وفي سنة ١٨١٨ اجمع البطريرك والاساقفة على ان يجعلوا مقام مطران جُبيل والبترون في مدرسة مار يوحنا مارون. او الاحرى ان يقال ان ابرشيَّة جُبيل والبترون صارت ابرشيَّة البطريرك الخاصَّة فيجعل لهُ فيها نائباً احد الاساقفة الذي مركزهُ في مدرسة مار يوحنَّا مارون. وممن زادوا هذه المدرسة رونقاً ووسَّعوا نطاق تعليمها الطيب الذكر المطران يوسف فريفر الذي ترأس عليها مدّة وافرغ كل مجهوده في نجاحها فصارت في طبقة المدارس الثانويَّة التي يفتخر بها الوطن منذ نصف قرن. وقد عزَّز سيادة المنسنيور بطرس ارسانيوس رئيسها الحالي دروسها بعد وفاة السيد يوسف فريفر فبلغت في هذه الأيام اوج عزّها فحفلت بالتلامذة وازدهت بالعلوم. ومما سرَّنا انَّ طلبتها لا يدرسون فقط اللغة العربيَّة واللغات الاجنبيَّة بل يتقنون ايضاً اللغة السريانيَّة فيكتبونها ويتكلَّمون بها (١. ولولا خوفنا من ان نخرج عن الحدود التي تحرَّيناها في مقالتنا لانبسطنا في وصف هذه المدرسة ومحاسنها لا زالت راقيةً معارج التقدُّم والفلاح (ستأتي البقيَّة)

القس يوسف كلداني الحلبي الماروني

بقلم الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

ذكر الصديق بركة. هذا ما قالهُ الحكيم في سفر الامثال (١٠: ٧) فنشط اليد الضعيفة الى تسطير ترجمة هذا التقيّ النقيّ الابرّ مثال التقشف ونموذج الفضائل القس يوسف كلداني المشهور في اواسط القرن الماضي تقريباً. ابتغاء ان يذكرهُ قومهُ ويتأسوا

---

١) ونغتنم هذه الفرصة لتقدمة فروض الشكر لسيادة المنسنيور بطرس رئيسها الفاضل لما لقينا في مدرسة مار يوحنا مارون من الحفاوة والاكرام كلما حللناه في رحلتنا الى بلاد البترون. كما اننا نشكر لحضرة الخوري بولس طعمه لطفهُ لما افادنا بهِ من الاعلامات عن كفرحي ومدرستها وقرى بلاد البترون. وبعض الفوائد التي دوَّناها في مقالتنا قد استفدناها من فضلهِ

بسيرتهِ الفاضلة فيكون لهم واعظاً بعد الممات افعل منهُ في الحياة

هذا ولا بُدَّ لي قبل بسط هذه الترجمة من الشكر لبعض انسباء الفقيد لما تكرَّموا بهِ عليَّ من الافادات في ذلك المعتمد

١ ترجمة الفقيد

هو يوسف بن اليـاس بن بطرس بن يوسف بن بطرس بن يوسف خيَّاط (١ الكلداني الطائفة الموصلي النِّجـار (٢ الذي قدم الشهباء مع اولادهِ الاربعة (بطرس وزخريَّا واسحق وقسطنطين) في اواخر القرن السابع عشر او اوائل الثـامن عشر (٣ لمعاطاة التجارة او الصناعة فاصاب من احداها حظّاً وافراً كما يستدل على هـذا من يسار اعقابهِ. وعُرفت عائلتهُ مذ ذاك بعائلة كلداني بعد ان انحازت الى الطائفة المارونيَّة (٤

ولد صاحب الترجمـة في سنة ١٨٠٦ وهو ثاني اخوته الثلاثة بطرس وشكر الله ونعمة الله. فاشتهر شكر الله بالتقى فكهَّنهُ الطيّب الذكر المطران بولس اروتـين حكيم في ٣١ تموز من سنة ١٨٤٣ وحلاهُ باسم جبرائيل فاجهد نفسهُ باتمام الفروض الكهنوتيَّة الى ان استشهد في كوائن سنة ١٨٥٠ المشهورة وعُرف نعمة الله بسموّ المدارك فرقَّاه المطران الآنف الذكر الى درجة الكهنوت مع اخيهِ ذاك في الشهر والسنة السابق ذكرهما وسمَّاهُ باسم ميخائيل فظهر كاهناً تقيّاً غيوراً. ولمَّا عزم المثلَّث الرحمـة المطران يوسف مطر على تشييد كنيسة القديس الياس الجديدة (٥ سيَّر الاب ميخائيل الى اوربة طلباً

١) سُئلتُ: هل ان عائلة خيَّاط الكلدانية المنتشرة اليوم في جهات الموصـل تمتُّ بقرابة الى هذا يوسف. فأُجيب: لا اعلم لان ذلك يصعب تحقيقهُ بعد كلّ هاتيك السنين المتطاولة

٢) اعتمدتُ في تسلسل هذا النسب وفي غيرهِ على سجل المعمَّدين المحفوظ في دار الاسقفيَّة المارونيَّة العامرة ٣) لم اتحقق زمان قدوم الجد الاول الى الشهباء. واقدم ما رأيتهُ في السجل المذكور عماد ابنة ابنهِ بطرس في سنة ١٧١٤ م

٤) من المشهور انَّ الطائفة المارونية قد انضمَّ اليهـا عيال من الطوائف الاخرى كهذه العائلة الكلدانيَّة وعائلة بكاز الكلدانيَّة القادمـة من جهات ماردين في أواسط القرن الثامن عشر وعائلة اروتين حكيم الارمنيَّة القادمـة من جهات العجم في منسلخ القرن السابع عشر وغيرها من العائلات اليعقوبيَّة على ما شهد العلامة السمعاني نفسهُ. واخفى اسباب انضمام امثال هؤلاء كان امَّا ليتملَّصوا من شرّ الاضطهادات التي اثارها اونشـئذٍ المراطقة وامَّا لانهم تكثلكوا على يد الموارنة وامَّا لأنَّهم لم يجدوا لهم كنيسة وكهنة من طائفتهم. هذا ما نعرفهُ ومن كان يعلم غير ذلك فليفدنا بهِ مشكوراً

٥) شرع هذا الاسقف بتشييدها سنة ١٨٧٢ واتمَّهُ نسيبنا المأسوف عليهِ القس جرجس ماش

لاسعاف المؤمنين فسار هذا الى رومية واستماح من السعيد الذكر البابا بيوس التاسع الاذن بذلك فاجابهُ الى سؤلهِ. فجال اوربة واميركة وآسية وتمثّل لدى اعاظم الرجال فحاز منهم اعظم انعطاف وتمكّن من جمع اموال وافرة. ثم وفد بعدئذٍ على الحضرة البابويّة فشملتهُ بناظر الرضى وحبتهُ النعم السامية كالتقليد بالصليب والتختّم بالخاتم والاتشاح بستر ممتاز فوق الملابس الكهنوتيّة. فعاد الى وطنهِ شاكرًا حامدًا وما مرَّ على عودهِ مدةٌ من الزمن حتى فاجأهُ مرض عضال اوردهُ ورد المنيّة في ٢٨ آب من سنة ١٨٨٢ رحمهُ الله تعالى. وكانت وفاة بطرس الذي ظلَّ عالميًا في سنة ١٨٤٩

امّا يوسف فعكف منذ صغرهِ على السيرة الفاضلة فلم يتقدّم سنة من سني حياتهِ حتى زاد في اتباعها اجتهادًا. واقبل بعد ذلك على القنوت واوسع لهُ في جَنانهِ مكانًا رحيبًا فتمكّن فيهِ واحلّهُ من الاعتبار مقامًا رفيعًا حتى كان يُشار اليهِ بالبنان. ولمّا بلغ الشبيبة اشار عليهِ المطران بولس الآنف الذكر ان ينخرط في سلك الطلبة الاكليريكيين ليقتبس معارفهم استعدادًا الى اقتبال الكهنوت فرفض تواضعًا. فالحَّ عليهِ كثيرًا فاعتذر اليهِ بعدم اهليّتهِ وجدارتهِ لهذه الدرجة السامية وهكذا قضى هذا الاسقف الفاضل دون ان ينال منهُ امنيّتهُ

ولمّا تسقّف الحميد الاثر المطران يوسف مطر عمد الى اتمام مشروع سالفهِ وعمل على ان يرقي يوسف الى الكهنوت غير صاغٍ الى اعتذاراتهِ فرأى المترجم بهِ ان يستعين باثنين من شيوخ الطائفة ووجهائها ليبيّنا للاسقف عدم جدارتهِ. فابى الّا ان يكهنهُ واوضح لهما ما ينجم عن كهنوتهِ من الخير والفوائد الجمّة. فعادا الى مُرسلهما واعلماهُ باخفاق سعيهما ورفض الاسقف وعزمهِ على سيامتهِ كاهنًا. فعلم اذ ذاك ان الدعوة علويّة فانقاد لها طائعًا وعكف على ترويض نفسهِ تأهبًا للدخول في باب الرتب المقدّسة ولم يمضِ على الشماس يوسف بضع اشهر حتى رقّاه الاسقف الى درجة الكهنوت في ١٢ ايلول احد شهور سنة ١٨٥٢ فكان ليوم سيامتهِ رنّة ابتهاج ردّدها جميع الناس لما توسّموا فيهِ من الصلاح والاصلاح

لم يخيّب الاب يوسف آمال الناس على اختلاف مشاربهم بل اقبل على حراثة كرم

سنة ١٨٩٣. واليوم يسعى في رصفها بالبلاط سيادة حبرنا المفضال السيد يوسف دياب وفّقهُ الله الى كلّ ما يرضيهِ تعالى

ربهِ بعزم لا يعرف ما الكلل وجدٍ لا يدري ما الملل فكان يخصص وقتاً للصلاة والتأمل والانقطاع الى الله تعبدًا وحيناً لعيادة المرضى والمحتضرين وطورًا لافتقاد المسجونين وتارةً لتعزية المحزونين وكان لا يرغب في التردد الى الاغنيـاء والشرفاء والمجتمعات العمومية بل يؤثر عليها الاجتماع بالفقراء لتعليمهم قواعد الايمان وارشادهم في طريق الخلاص ومساعدتهم باحتياجاتهم وضروريّاتهم. ويجهـد نفسهُ بألَّا يكلِّم النساء الّا حينما كنَّ يعطينهُ الصدقات ليوزّعها على المساكين الى غير ذلك ممَّا ستراهُ في تلخيص فضائلهِ

٢ فضائل الفقيد

قال احد عارفي الاب يوسف: انَّهُ لم يكن الّا روضاً ازدان باشجار الفضائل المثمرة ثمار الاعمال الصالحة الدانية القطوف. وهـذا ما اجمع عليهِ سائر مواطنيهِ على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم

ولا بدع فانهُ كان قد رُبّي على التديُّن والتعبد والفضيلة منذ نعومة اظفارهِ حتى صارت فيهِ كغريزة راسخة في سويداء قلبهِ لا يرى عنها منصرفاً او شاغلًا بل كلما تقدم سنًّا ازداد بها شغفاً ولها اتباعاً. فكان اذا اقبل على الصلاة ومناجاة الخلَّاق سبحانهُ فضَّلها على كل خير سواها في الدنيا فكانت تمرّ عليهِ الساعات الطوال دون ان يفتكر في الاكل والرقاد. وكثيرًا ما كان اقاربهُ يجدونهُ صباحاً جاثياً للصلاة كما تركوهُ مساء

وكان شديد الحب لفضيلـة الطهارة واذا اضطرَّ الى استماع مسئلة من النساء كان يصغي اليهنَّ مطرقاً بنظرهِ الى الارض وكان يجتنب كثيرًا الكلام معهنَّ في كلّ مقـام وكثيرًا ما تلوح على وجههِ امائر الكدر والاشمئزاز عند سماعهِ ان احد الناس ارتكب ما يشوّه محيَّا الطهارة الجميل

واما الغنى الذي يطمح الى كسبهِ الناس ويُنضون ركاب الجدّ لاجل تحصيلهِ فكان يمقتهُ مؤثرًا عليهِ الفقر الاختياري ويتكدَّر حينما يرى الشبَّان يتفخَّلون بملابسهم الحريرية المفوَّفة ويزدانون بانواع الزينات الفاخرة. واذا اعترض احد على ثيابهِ الرثة كان يجيبـهُ بكل سذاجة: « ان المعلم الالهي يعلمني الفقر بمثالهِ » فكأني بهِ اراد ان يجعل هـذه الفضيلة كاساس وطيد الاركان يبني عليهِ فضائلهُ السامية

وقد ازدان بفضيلة التواضع بالرغم عن رفعة مقامهِ فكان يحسب نفسهُ انهُ انسان

خاطئ لا يستحقّ ادنى اعتبـار مردداً عليهِ قول المخلص لذكرهِ السجود: « من يرفع نفسهُ يتضع ومن يضع نفسهُ يرتفع » وبناء عليهِ كان يرغب عن الزائلات الى الباقيات ويهرب جهدهُ من المديح العالي واذا سمع شخصاً يطرئ فضائلهُ وحسن صفاتهِ كان ينفر منهُ ولا نفور الظبي من مقتنصهِ

وخلا كل ذلك فان تقشُّفهُ وشظف عيشهِ افضى بهِ الى الهزال فكان لا يأكل من الطعام الّا الضروري لقيـام الجسد ولا يشرب الماء لأبان الصيف الّا ليطفئ ظمأهُ. ومع شيخوختهِ حافظ كلّ المحافظة على الصيامات باسرها دون ان يخل بشيء منها بل يبالغ فيها. ومماّ يُذكر عنهُ انهُ دُعي يوماً عند اسقفهِ الى مأدبة طابت مأكولاً ومشروباً ولمّا لم يستطع الى الهرب سبيلاً كان يُديف الملح ببعض المآكل لئلا يستلذّ بهـا ولولا الطاعة لابيهِ لحار العيشة الرهبانيّة على كلّ ما سواها لأنهُ تاق الى اتباع طريقتها منذ صباه

ومماّ عُرف بهِ وسارت بذكرهِ الركبان ارتياحهُ الى اسعاف الفقراء والعطف على من ضرب على يدهم الدهر فغدوا من ذوي البأساء فيساعدهم لا من صدقات المؤمنـين فقط بل من مالهِ وثيابهِ واثاث بيتهِ ايضاً مع الاعتذار لهم عن عدم مقدرتهِ على الاكثر من ذلك. واذا جاءهُ معدم طالباً نداهُ وليس لديه ما يلبّي ملتمسهُ كان يخاطب آل بيتهِ في ذلك وهو يقول لهم: « دعوني آخذ هذا الرداء (مثلاً) لهذا الفقير والله لا يضيع اجر المحسنين لانهُ قال عزّ اسمهُ : من يعطِ مسكيناً يُقرض الله » ولم يكتفِ بمساعدة فقراء مذهبهِ وبلدتهِ بل كان يساعد الغرباء عنهما ايضاً فيراسلهم ويعزّيهم في شدائدهم ويؤاسيهم في ضيقاتهم ويسعفهم في احتياجاتهم ويحثّهم الى اكتساب الآداب والفضائل ولدينا رسائل عديدة في مثل هذا المعتمد

وفي الجملة فان القلم يقصر دون تبيان حسناتهِ وفضائلهِ وغيرتهِ ووداعتـهِ وتقواه وطيب قلبهِ وسلامة نيّتهِ ومؤاساتهِ الفقراء ومناقبهِ الحميدة التي اهلتهُ لاعلى درجة من الاعتبار حتى عدّهُ غير واحد من الناس قديساً مجيداً

٣ وفاة الفقيد

١٠ ادركت الاب يوسف الشيخوخة حتى ادركتهُ عوارضهـا التي اعيت نُطس الاطباء عن شفائها. فبقي لا يعبأ بها وهو مداوم على العمل كعيادة المرضى وافتقـاد

العافين والصلاة والصوم والارشاد وقضاء الحفلات البيعيَّة كما كان دأبهُ في حال صحَّتهِ الى ان وقع يوماً من على المذبح بينا كان يتلو القداس الالهي فرضَّ جنبهُ واخذ مذ ذاك الحين يتخوَّن المرض جسمهُ نحو ثلاثة ايام حتى فاضت روحهُ الكريمة الى خالقها سبحانهُ في غلس يوم الجمعة الواقع في العاشر من شهر شباط احد شهور سنة ١٨٨٢ وهي السنة السادسة والستُّون من عمرهِ والثلاثون لقسوسيَّتهِ. وقد تحفَّز للمنيَّة اي تحفَّز بنوع انهُ في يوم انتقال نفسهِ تزوَّد بكل اخبات وانتباه القربان الاقدس من بعد اقتبالهِ سرَّ المسحة ولم يَغب عن الحس الَّا بضع دقائق

ولمَّا اسفر الصباح انتشر نعيهُ في انحاء الشهباء فاضطربت الاذهان وانقلبت الناس زرافات ووحداناً على منزلهِ متيمِّنين بلثم يديه. ثم سير بنعشـهِ محمولًا على الاكفّ الى الكنيسة المارونيَّـة الكاتدرائيَّة حيث صلى عليهِ فريق من علية الاكليروس يتقدَّمهم سيادة الحبر المثلَّث الرحمات يوسف مطر ويصحبهم وجهاء المدينة وادباؤها على اختلاف النحل والملل حتى غصَّت البيعة على رغم اتساعها. ولمَّا رأى الاسقف كثرة الوفود امر بان تبقى الجثة الى اليوم التالي معروضةً لاكرام الناس الذين كانوا يتواردون أسراباً وافواجاً لوداعـهِ واستلام يديه. وكثيرون منهم كانوا يأخذون بعض آثارهِ كذخائر ممَّا يدل على اعتبارهم اياه لطاهر سيرتهِ وسريرتهِ. وعندما تنفس صباح ذاك اليوم التالي (السبت) أُقيم لهُ مأتم آخر انبرى في ختامهِ حضرة الاب الفاضل الخوري نيقولاوس كيلون وأبَّنهُ بعبارات استنزلت العبرات وسرد ترجمة حياتهِ بوجيز الكلام وعدَّد المحامد الكثيرة التي ازدان بها والمبرَّات الوفيرة التي آتاها نحو الفقراء على اختلاف مذاهبهم. ثمَّ أُودع اللحد المهيَّأ لهُ في الكنيسة امام هيكل سلطانة الوردية المجيدة بين مظاهر التكريم والترحيم. اجزل الله ثوابهُ وجعل الجنَّة منقلبهُ ومآبهُ

ولقد رثاهُ كثيرون من الشعراء والادباء بقصائد من جيد الشعر اجتزأنا منها بما يأتي رعايةً للمقام. قال حضرة الاب العالم الفاضل والشاعر المجيد المأسوف عليهِ القس اوغسطين عازار الماروني من قصيدة طويلة:

اذا لم يكن نفـع من المرء يُرتجى فما هو في الدنيا سوى عضو ميّتِ
رعى الله من في البرّ انفق عمرهُ وعاش بدنياهُ بزهدٍ وحكمة
ألا فليعش كلّ امرئٍ بين قومهِ كما عاش في الدنيا زهيّ السريرةِ

هو الكاهن المشهور بالبرّ والتقى — هو المنتقي عن كلّ وصف وشهرةِ
اذا افتخرت مصر بيوسف عصرها — ففي يوسف الشهباء عزّي وفخرتي
وان باهت الأيّام عجبًا بذكره — فلا عجب اذ فيهِ كلّ عجيبةِ
لقد دبَّ بالاقدام طفلًا مباركًا — وشبَّ على إقدام كلّ فضيلةِ
وطلّق دنياهُ طلاقًا مؤبدًا — وهام بعشق العزّة العلويَّةِ
وجاهد في سُبُل الجهاد كناسكٍ — وحصّن حصن النفس من كلّ شهوةِ
محامدهُ قد اعجزت كلّ مادحٍ — كما عجزت عن نعيهِ كلُّ قدرةِ
أأنعي رسولاً وهو اعظم مرسل — وخير اناهُ مصطفى للكنيسةِ
أأبكي شهيدًا وهو اكبر شاهد — بتقواهُ للحق المبين المحجّةَ
أأندب واويلاهُ افضل ناسكٍ — وقد فاق كلّ الناسكين بخلوةِ
أأرثي عفيفًا قد تسامى بعفةٍ — شذا عطرهِ قد فاح بين البريَّةِ
أأحصي سجاياهُ وتعدادها غدا — يفوق نجوم القبَّةِ الفلكيةِ
فقدتم ابا رسل المسيح يتيمةً — على فقدها كلّ المرائر شقّتِ
على فقدهِ تبكي السماء وارضنا — فهذي باحزانٍ وتلك ببهجةِ

وقال الشاعر الاديب امين افندي الموصلي احد ادباء المسلمين:

فردٌ همام كان ما بين الورى — يأوي الفقيرَ ولليتامى يسعفُ
قد حلّ في الدنيا مطيعًا ربَّهُ — وعلى العبادة في الليالي يعكفُ
يخشى القيامة راجيًا ملكوتهُ — يتلو اناجيل المسيح يعرّفُ
لمّا رأى الدنيا الدنيَّة كلّها — ظلًّا يزول ونور شمس يكسفُ
وتحقّقت كلّ الخليقة عندهُ — اضغاث احلام لديهِ تزخرفُ
طلب الاقالة واستمدَّ بربهِ — فلكم ترى ملكًا بجنحٍ جتفُ
صعدوا بهِ نحو السماء وقد غدا — طرف اليمين جلوسهُ يتشرَّفُ
جاء النداء فارّخوهُ بطيّبٍ — اعطيت ذا ملكوتهُ يا يوسفُ

سنة ١٨٨٢

في الخيال

بقلم الاب لويس رنزڤال اليسوعي

١ تعريف الخيال واقسامهُ

سبق لنا القول ان من جملة حواسّنا الباطنة قوةً جُعلت لاستثبات صور كافة المحسوسات واستحضارها في حين غيبتها فسمّينا تلك القوّة خيالًا او مخيلةً ومما يستخلص

توًّا من تحديدها ان التصورات الخياليَّة لا تنحصر على مجرَّد تمثيل الاشياء التي قد طرقت عيننا فقط بل انها تتضمَّن ايضاً تكرار انفعالات سائر حواسّنا (imagination reproductrice) . فمعلومٌ اني اذا سمعت خطاباً انيقاً ترتاح اليهِ النفس امكنَني متى شئت ان أُحيي في ذهني لا هيئة الخطيب وحسن ايمانهِ فقط بل صوتهُ الجهور والقاءهُ البديع وكذا قُل عن سائر ما اثَّر قديماً في أُذني وكلّ مشاعري وانما اصطلحت الناس على لفظة «صورة» دلالةً على اشدّ المحسوسات فينا اثرًا لفضل البصر واختلاطهِ في معظم حواسّنا . قال المسيو هنري جولي (١ ان مقلتينا مفتوحتان من الغدوّ الى الآصال ويندر ان لا يتيسَّر لنا رؤيةً ما نذوقهُ او نتنسَّمهُ او نمسّهُ او نسمعهُ وبعكس ذلك كثيرًا ما يتعذَّر على سائر الحواس ان تشترك في ادراك ما ترمُقهُ العين فلا حرج اذًا من تغلُّب فعل البصر على افعال اقرانهِ واطلاق اسم الصورة على تأثيرات كافَّة الحواس »

هذا وقد يتَّفق ان صور الاشياء تتشخَّص امام عين مخيلتنا على نمط يخالف مثولها الاول فيتولد من اقتران تلك التمثلات الجزئيَّة الواقعيَّة صورة جديدة لا مقابل لها في عالم الكائنات فهي اذ ذاك من مبتكرات خيالنا ومبتدعاتهِ . امَّا اذا اتت تلك الصورة مكسوَّة بروقٍ يخلب الاذهان ويقضي بالعجب والاستحسان فكانت حينئذٍ من مولدات الخيال المستنبط او الخالق (Imagination créatrice) وهي ملكة شريفة لم يُرزقها في اسمى درجاتها الَّا الرهط القليل ممَّن نبغوا في فنون الخطابة والشعر والتصوير والموسيقى وغيرها من نواضر الفنون . فمجمل القول في تنويع المخيلة انها تنقسم الى قسمين قسمٌ دأبهُ اعادة صور المحسوسات الغائبة وهي قوَّة مستقرَّة في كلّ منا على درجاتٍ مختلفة وسنبيّن ما لها من النصيب الوافر في جميع حركاتنا وسكناتنا وقسمٌ يتصرَّف في تلك التمثلات تصرُّف الحرّ فيُخرج الطارف من التالد والساطع البهي من القاتم المطموس

٢ مركز الخيال

وللخيال صفاتٌ واقسام غير ما ذكرنا يطول بنا شرحها ولا طائل في ذكرها ولذا

١) راجع كتابهُ H. Joly : *l'imagination*

نضرب عنها صفحاً ونتخطّى الى البحث في مركز هذا الحس الباطني. من الناس قوم جعلوا الحواسّ الخارجة آلة للخيال ومستودعاً لتصوُّراته وهاك وجه احتجاجهم يقولون: «لا غرو ان الحياة في الحركة عموماً وخصوصاً وبالتالي لا حياة بحاسَّة من حواسّه الّا في مداومة العمل. امَّا هذا العمل فلا يخلو ان يكون على احد نوعين امَّا هو تأْثير يأْتي من الخارج فتنطبع آثارهُ في المشعر وامَّا عملٌ داخلي يقوم بهِ الحس نفسهُ بعد غيبوبة المحسوس. مثال ذلك العين اذا ابقيتها مفتوحة لا تبرح متأثرة ممَّا يحدق بهـا من المرئيَّات وهي حينئذٍ مباشرةٌ عملها العادي الاولي لكنَّك اذا غمضتها فانها لا تنفك سائرةً مسيرها وقائمـة بوظيفتها ولو على اسلوب جديد لانك تعاين ضمن جفونك المرتجة صورة ما كان يحرّك سابقًا شبكة عينك وانَّ هذه الصورة الخياليَّة الّا نتاج العين ذاتها ومعلول عملها الثانوي. فثبت اذًا على رأيهم ان مركز الخيال في المشاعر الخارجيَّة. ثم يُردفون قولهم بان ظواهر حالة النوم تأْتي مصداقاً قاطعاً لصحَّة ما يذهبون اليهِ لان حينئذٍ لا حسَّ من حواسنا الّا ويصدر عملاً باطنيًا حين تكفُّ المدركات الخارجيَّة عن كلّ تعليل فهي عين الراقد تُصوّر رسوم الكائنات وهي اذنهُ تُلحّن الالحان وهلمّ جرًّا حتى يأْتلف من كل هـذه التمثلات شبه حياة تظهر في الحلم والحلم مرجعهُ الى الخيال. فالخيال اذًا مستقرٌ في المشاعر يبرز افعالهُ عند منع الخارجيَّات عن العمل»

هذا قول تلك الفئة. امَّا نحن فمع ضعف حصافتنا لا نرى وجه الصواب في هـذا الرأي. وكفانا لدحضهِ ان نقول:

اذا كان الامر كما تزعمون فيتحتَّم على جميع حواسّنا ان تشتغل طول ساعات نومنا دون سكون ولا كلل اي بعبارة أُخرى ينبغي ان نحلم كلّما اوينا الى الرقاد احلاماً تشترك فيها جميع مشاعرنا وهذا مردود من وجهين: اولًا من كوننا لا نحلم كل ليل. وثانياً من كون احلامنا غير مركَّبة عادةً من افعال جميع حواسنا. وهب الامور تجري كما يتوهَّمون (لانهم ربَّما اعترضوا اننا نحلم دائماً ولكن لا ننتبه لكل احلامنا لخفَّة وطأتها وسرعة تناوبها) فهل تصح مع ذلك نتيجتهم بان مركز المخيلـة الحواس الخارجيَّة؟ لا نظن ولسنا نرى في اقاويلهم الّا افتراضاً محمولًا على الحدس لا يمكنهم اثباتهُ

وعندنا ان مقرّ الخيال هو الدماغ نفسهُ. وهذه اخصُّ البراهين التي نسند اليهـا مدَّعانا. وهي على ظننا ادلَّة واضحة لا تُبقي وراءها نُدحةً للريب

اولًا الاختبار الذاتي وذلك اننا كلما اكثرنا من إعمال المخيلة في مسألةٍ من المسائل نشعر بثقل يعقبهُ بعض الوجع والعيّ لا في حواسنا الظاهرة لكن في طوائف معلومة من الحُقّ الدماغي فالبعض يشكو المًا في الصدغين والبعض في الجبهة او في قمة الرأس وهذا لم يكُ ليحدث لو لم يكن مركز المخيلة في الدماغ والَّا لصح القول بان بطرس يشتغل وبولس يتعب

ثانيًا لنا برهان آخر اقوى من المتقدّم لا ندري كيف لم يهتدِ اليهِ المناظرون وهو ان المخيلة لا تزال تُنجز عملها ولو تلفت المشاعر الخارجية وفسدت. والامثال من هذا القبيل اكثر من ان تُعدّ يوردها الخصوم بكل سذاجة وهي تُبطل زعمهم من حيث لا يشعرون. فكلٌّ يعلم ان فاقد البصر لم يفقد قوَّة الاستحضار التي تمكّنهُ من ان يصوّر في ذهنهِ صور الاشياء التي وقع عليها بصرهُ سلفًا. وكذلك الاصمّ فانّهُ يعيد في ذاتهِ متى شاء الاصوات والألحان لا بل يُعنى احيانًا بوضع الانغام الموسيقيَّة موقعةً على آلات مختلفة واشهر ما يُحكى من ذلك امر بيتوفين (Beethoven) الموسيقي الالماني الطائر الشهرة فانّهُ رغمًا عن الصمم التام الذي اعترى اذنيهِ كان يقوى على تأليف روايات موسيقيَّة. ومما وضع في اثناء ذلك روايتهُ الموسيقيَّة (opéra) المسمَّاة فيديليو (Fidelio). فماذا نقول بعد شواهد كهذه ? وان كان حرمان الحس لا يحول دون استتمام المخيلة افعالها المقابلة لهذا الحس فهل يجوز جعل المخيلة في المشاعر الخارجيَّة

ثالثًا واخيرًا قد ثبت دون مشاحة ان الخيال يضطرب ويتشوَّش في قضاء مهمّتهِ اذا لحق بالدماغ صنفٌ من الشوَه امَّا هذا الاضطراب فيتعاظم على قدر تفاقم الخطب وربَّما اختلَّ الشعور تمامًا اذا كانت الصدمة الخارجيَّة او الداخليَّة فوق طاقة المبتلي. والغريب في ذلك ان هذا يحدث ولو كانت المشاعر الخمس حائزة تمام الصحّة والكمال فكيف يكون مركز المخيلة في هذه المشاعر فتبقى المشاعر سالمة عند فساد المخيلة. أفليس عدم فساد المشاعر دليلًا واضحًا على ان مركز المخيلة ليس هو فيها بل في الدماغ كما قلنا. وهذا البرهان نظنُّهُ كضربة قاضية على المعارضين لا يدع لهم مناصًا ومجالًا للمكابرة. لان الامتحان وعكسهُ (l'épreuve et la contre-épreuve) يشهدان كلاهما على صواب رأينا فلينصف المنصفون

كان يجب بعد هذا التفنيد ان نبيّن جليًّا اي طائفة من الدماغ هي آلة الخيال.

وقد رأى الاقدمون ان مكان المخيلة في التجويف الاوسط من الدماغ وهو قول لا نتصدَّى لاثباتهِ او لتفنيدهِ لعدم وجود ادلّة قاطعة فلا بأس ان ندع العلم يواصل ابحاثهُ حتى تُسفر عن نتيجة راسخة لا تُستهدف لسهام الانتقاد. بيد اني اشك ان يتيسَّر يوماً للعلماء تعيين قسم الدماغ المختصّ بكل من حواسّنا الباطنة

٣ ظواهر الخيال

يحسن بنا بعد الفحص عن مركز المخيلة ان نتقفَّى آثارها في تفاوت اعمالها وظواهرها. لا غرو ان التصورات الخياليَّة تتوالى فينا حال يقظتنا تواليًا غير منقطع اذ لا يتأتَّى لنا ان نفتكر فكرًا واحدًا دون تداخل الخيال كما سنبديه. بيد ان لهذا التداخل صفاتٍ تتميَّز بتمييز احوالنا الشخصيَّة فمتى كنَّا في حالتنا العاديَّة القانونيَّة (état normal) اي حالة السكون وسيطرة العقل على القوى البهيميَّة كان دور المخيلة دور المعاونِ او الخادم الامين يجمع من شتات تأثيراتنا الغابرة ما يقدّمهُ للذهن ليتصرف بهِ على مقتضى حاجتهِ اليهِ. اما حواسّنا الخارجيَّة فهي مباشرة وظائفها دون ان تشكو من الخيال اذًى ولا استغواء. والسبب ان هذه الصور الحسيَّة المنطبعة في أدراج مشاعرنا تكون في هذه الحالة اشدّ وقعًا في نفوسنا ممَّا يتصوَّرهُ الخيال فيسهل علينا من ثمَّ ان نميّز بين صورة الحاضر الوالجة ابواب حواسنا وتمثيل الماضي الناشئ بقوَّة مخيلتنا. لكن كثيرًا ما يحدث أن تقوى تلك التمثلات على صور الامور التي عزمنا التروّي فيها فينتج من ذلك بعض الزَيغ والعاقة في نظام اعمالنا وذاك ما يدعوهُ الناس سهوًا او شتات فكر وهو اخفُّ كل ظواهر المخيلة المعاكسة لترتيب حياتنا ممَّا اوجب لها تسمية « حمقاء الدار » (la folle du logis) امَّا اذا اطلق المرء العنان لسلسلة خيالاتهِ قصدًا حتى ينهمك في بحر خواطرهِ العجاج فيصبح بالحالم اشبه منهُ باليقظان فكانت عندئذٍ حالتهُ الهوَس (rêverie). ومن مفاعيل الخيال ايضًا الغرور او الوهم (l'illusion) وهو ان تغلب تصورات المخيلة على حواسنا الخارجيَّة لا تمامًا حتى تُقنعنا بحضور الغائب لكن بحيث انها تخلطنا موقتًا في ادراكنا المحسوسات

مثال ذلك ان ينطق احدٌ امامك بكلمة فتسمع غيرها يربطها بالاولى بعض الشبه وهذا لاشتغالك الحاضر بمدلول الثانية او لأنهُ أثَّر فيك في سالف الأيام تأثيرًا يصير

على كرّ الازمان. فاتضح اذًا ان من خواص الغرور بعض الخلط بين الشعور الواقعي والخيالي بحيث يبرز الخياليّ مكسوًّا بشدة الواقعيّ ومتانتهِ حتى يوهم صاحبهُ انهُ صورة الواقع. ذكر من هـذا الباب المسيو هنري جولي (١ ان طالبين من طلبة الطب كانا يتشاغلان بتشريح جثة ميت فبينما كان احدهما منغمسًا في لجة الافكار والابحاث اتفق انهُ مدَّ احدى اصابعهِ على لحوم الجثة فانتهز رفيقهُ هـذه الفرصة ليداعبهُ فاجاز ظهر مشرطهِ على اصبعهِ بقوّة وسرعة فما احسَّ الاول بمسّ المبضع حتى رجع الوراء صارخًا صراخًا ارتعدت لهُ فرائص رصيفهِ فسألهُ ما سبب صياحهِ فأجابهُ: « شعرتُ بحدّ الحديد نافذًا عروقي ثمَّ بوجع اليمٍ واصلٍ حتى العظام..» وما كان ذلك الّا وهمًا بين شعوره الحاضر الغير المؤلم وما قرأهُ او احسَّهُ سابقًا من برد الفولاذ الماضي في الاجسام

غير ان الخيال لا يقف عند هذا الحد من تصرُّفاتهِ الغريبة بل يحدو بالانسان الى مهامه اخرى تجدهُ فيها خائضًا غمرات الضلال يرى وهو يقظان اضغاث احلام يُفتي بصحَّتها. وهذه الحال يسمّيها الافرنج (hallucination) لستُ اجد للتعبير عنها في لغتنا العربيَّة كمثل لفظة الاستغواء او الهذيان وهي ناجمة عن جَيَشان مفرط في الدماغ والجهاز العصبي يسبّب هيجانًا عظيمًا في اعمال المخيلة فتحتدُّ وتُستفزّ حينئذٍ تلك القوّة (exaltation) وتبرز صورًا لها من مظاهر الحياة ما يفتن العقل ويخاتلهُ حتى ينزّل الرسوم منزلة الحقيقة والاوهام منزلة الواقع من الامور فيرى الانسان والحالة هذه ما ليس امام عينيهِ ويسمع حيث لا صوت يقرع مسامعهُ ويلمس وربَّما كانت يداهُ مقيَّدتين. وان قيل هذا الجنون بعينهِ اجبنا اننا لا نظنُّهُ بعيدًا منهُ في افعالهِ الخارجيَّة الّا ان الجنون عَتَهٌ واختـلال يلازم العليل طويلًا امَّا الاستغواء فموقَّت يذهب عند استكانة الجأش. وممَّا قيل ايضًا في الفرق بينهما ان للمُغوى سلطة على نفسهِ يمكنهُ بها الارتداد عن غيّهِ متى أراد بعكس المجنون الذي لم يَعُد لهُ سلطان على افعالهِ البتَّة

وهنا لا بدَّ ان ننبه القرَّاء الكرام الى البون العظيم الفاصـل بين الاستغواء كما وصفناهُ وما ترويه الاسفار المقدسة وسير الابرار من حالات الرؤيا والوحي (النبوة) والانجذاب الروحي فان كل هذه لا تخلو من مُدرَكٍ حسّي حقّ صحيح الّا انهُ من طبقة تتعالى عن اطوار الماديَّات يُريها الله لاوليائهِ على طرائق عجيبـة امَّا المحسوسات

١) من كتابهِ المخيلة (l'imagination) ومنهُ اقتبسنا بعض فوائد هذه المقالة

التي تجري في الاستغواء. فهي كلها وهميَّة مختلفة لا ركن لها في عالم الاكوان فبين الحالتين مناط الثرَيّا

ومن مفاعيل الخيال الاحلام التي مرَّ عنها الكلام في المشرق (٣: ٤٤٨) فنكتفي بالاشارة. وربَّما ايضاً ثار في الرقاد ثائر الخيال على نوع فاحش فيتحوَّل الحلم الى حركات غريبة في الجسم من مشي وغيرهِ (somnambulisme) وهذا باب لا نقرعهُ اليوم خشية الاطالة المستهجنة

٤ في منافع الخيال

اطلعنا القرَّاء على عدة شوائب تشين بعض الاحيان وجه هذه القوَّة الاغرّ وتبخس قليلًا بقدرها ألَّا ان لها مزايا فريدة يسرّنا ان نميط عنها اللثام. ومن انفس فوائدها خدمتها المتواصلة للعقل البشري تقوم باعبائها دون ان يأخذها كلل او تركن ساعةً الى لذة الراحة. والمخيلة معاون امين للذهن لا بل ضروري لا غنى لهُ عنها ما دام الانسان في قيد هذه الفانية مؤلفًا من نفس وجسد. وكما ان منبع معقولاتنا الاول هي الكائنات الخارجيَّة المدركة بواسطة مشاعرنا كذلك لا يتسنى لنا فعل التعقُّل الَّا بشرط ان يسبقهُ ويمهّدهُ عمل خيالي مهما كان ضعيفًا ضئيلًا. هكذا قضت بهِ المراسيم الصمدانيَّة او بالاحرى قل هكذا اقتضتهُ حالة المركَّب البشري. فربَّ سائل يأخذ منهُ العجب فيسأل: وهل انا في حاجة الى المخيلة لاطلاق اعنَّة افكاري فيما هو منزَّه عن الجسميات كماهية الباريء تعالى وكمالاتهِ الغير المتناهية ثم المواد الفلسفيَّة الصرفة والمسائل الرياضيَّة النظريَّة ? اجبتُ نعم ومصداقًا لقولي اشير عليهِ بالفحص المكرَّر المدقّق عن افعالهِ الباطنة عندما يتفرَّغ لهذه الشواغل السامية ألا يرى انهُ اذا اعمل الفكر في الخالق عزَّ وجل لا بدّ ان يتصوَّرهُ في هيئةٍ او ان يتمثَّل السماء محلّ سكناهُ تعالى كما يروق لديهِ او بالاقلّ ان يشاهد بين مخيّلتهِ صورة احرف اسم الجلالة مكتوبة او منقوشة على صفحات خيالهِ. امَّا اذا تعمَّق في الرياضيَّات مهما دقَّت وعلَت فانَّهُ لا بدَّ لهُ ان يستند الى الاشكال الهندسيَّة او يلوذ بالارقام الحسابيَّة الى غير ذلك من التصاوير المحسوسة. والامتحان الصبور اقوى على اجلاء هذا الامر من كل كلام غيور

وفي هذا المقام يتبادر لي ان احلّ مشكلًا طالما سمعته منطلقًا على ألسن الخواص والعوام قيل ويُقال يوميًا ان علماء الرياضيَّات قوم حُرموا من المخيلة معظمها فلا يأتون

بتأليف يُشعر بالتصاوير الخياليَّة اللينة . قلتُ هذا زعم حُرِم من الصواب جانباً معتبرًا ونفنّدهُ كما يلي : لا نكير ان الرياضيين بسبب انقطاعهم الى المسائل النظريَّة لا يُبرزون من مبتكرات القريحة ما يخطف الابصار ويفتن القلوب كما هو شأن الشعراء ومشاهير ارباب الفنون لكنهم ليسوا لذلك معدومين نصيبهم من الخيــال بل اذا تدبّرنا المسألة الفيناهم حائزين منهُ على سهم اوفر من معظم البشر الّا ان خواصَّ هــذه الخياليَّات يغلب عليها الرزانة والحدَّة دون الرونق والظرافة . أتظن مثلًا انَّ الحسابي البارع لا يفتقر الى سرعة ومتانة من التخيّــل بالغة للاحاطة بمسألة عدديَّة سودت ارقامها العشرين او الثلاثين صفحة وكذا هلاّ يلزم معلِم المساحة قوة تصوريَّة عجيبة للاشتمال التام على رسم ملتبك التخطيط مبهم العلائم يلقي الدهشة في عقول العامَّة

لكن حذارِ حذارِ ان تدّعي مع قوم منافقين ان الخيال (او الدماغ مركزهُ) آلة العقل البشري يُستخرَج منهُ الفكر كما يُستخلص الثلج من المصنع او الماء المقطر من الانبيق . فهذا ضلال وخيم نقض دعائمهُ المشرق (١:١٠٠٩) في ردهِ على المقتطف لانها مخلّة بالمبادئ الصحيحة الراهنة تقود بالمرء توًّا الى مهواة المادّيين بتسويتها بين النفس الانسانيَّة والبهيميَّة . قلنا ان فعل الخيال شرط لازب لعمل البصيرة وهيهات ان نستنتج من هذا ان الخيال آلة العقل في حصر الكلام فدار المسألة كلهُ على الفرق الجوهري القائم بين الشرط والآلة . نعم كلّ آلةٍ هي من شروط العمل المختصة بهِ لكن هذا لا يُعكس. فلبيان ذلك اورد تشبيهاً يقرّب الامر للاذهان : كلٌ يعلم ان العين آلة البصر (organe de la vue) فافترض برهةً انك في سجن مدلهمّ مرتفع الجدران لا يلوح لك من نافذتهِ الوحيدة الّا كبد السماء دون البدائع التي تتسربل الارض بجلاها الّا ان رجلًا حنونًا عزم ان يمتّعك بهذه الرؤية الجميلة فجهّز مرآة كبيرة ينعكس فيها العــالم الخارجي بحيث يتيسّر لك التطلّع فيهِ فما قولك في تلك المرآة أهي اداة البصر الخاصَّة بمعزل عن العين التي طالما اقررتَ لها بهذه الخصلة أم هي مجرد شرط لاستتمام فعل البصر ؟ اخالك لا تغترّ بالظواهر وتثابر على سالف اعتقادك بان الآلة الوحيدة انما هي العين وان كل ما سواها وسائل وشروطٌ مهما كانت لازمة فهكذا العقل البشريّ مدَّة الحياة فانَّهُ متقلِبٌ ضمن سجن الجسد وبموجب هذه الحالة حُتم عليهِ ان لا يتعقّل شيئاً مما فوقنا او حولنا او دوننا الّا متى بسطت المخيلة صورتهُ امامهُ شأن المرآة الصادقة فعلى هــذه

الصورة (phantasme) يشتغل الذهن بقوَّتهِ التجريديَّة والتعميميَّة (abstraction et généralisation) وبذلك يستكمل الافتكار والّا فــلا . امَّا ما يغوي المادّيين ويطمس على بصائرهم انهم يرون اضطراب العقل متابعاً دائماً اختلال الدماغ فيحكمون من ذلك بان الدماغ معمل الافكار فلا يأبهون بالخيال الذي يتوسَّط بينهما ويكون هو اول هدف مستهدف لاضطرابات الدماغ فمنهُ ينتقل التشويش الى افعــال العقل بمثابة صدًى تنعكس رنَّتهُ من غور الى آخر . فكفانا بذلك دليلًا على عدم تشبُّث العقل البشري بالمادَّة الهيوليَّة وعلى شرف المخيلة آمتهِ الصادقة

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ٢٧٨)

الفصل السادس

في مطلق الحروف في جميع اللغات

واعلم ان الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدُّد مخارجها فحروف السريانيين والروم والفرس والصقلب والترك من اربعة وعشرين حرفًا الى ستَّة وعشرين حرفًا وحروف العبرانيين واليونانيين والقبط الاول والهنود وغيرهم من اثنين وثلثين الى ستَّة وثلثين(١ . ويوجد في غير العربيَّة من الحروف ما لا يوجد في العربيَّــة كما يوجد في العربيَّة ما لا يوجد في غيرها من اللغات ويكثر في الاستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها . فالحاء المهملة والظاء المعجمة ممَّا انفردت بها العرب في لغاتها واختصَّت بها دون غيرها من ارباب اللغات . والعين المهملة قليلة في كلام بعض الامم ومفقودة في كلام كثير منهم . وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست في الفارسيَّة والثاء المثلَّثــة ليست في الروميَّة ولا في الفارسيَّة والفاء ليست في التركيَّة . قال الشيخ اثير الدين ابو حيان رحمه الله : ولذلك يقولون في فقيه « بقيه » بالباء الموحدة المشربة القويَّة

١) ليس هذا القول سديدًا فان حروف العبرانيين ٢٢ حرفًا وحروف اليونانيين ٢٦ . امَّا القبط الأول فكانت حروفهم البسيطة ٢٣ حرفًا اما حروفهم المركَّبة فكثيرة

الفصل السابع

في حروف العربيّة

واعلم انّا لمّا كنّا بحمد الله أُمة وَسَطاً خير أُمةٍ أُخرجت للناس وكان خير الامور اوساطها وكانت حروف اللغات ما بين اربعة وعشرين حرفاً الى ستة وثلثين كما تقدم كانت حروف الكلام العربي التي بها رُقم القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً في اللفظ متوسّطة بين حروف اللغات وهي ا ب ت ث الى آخرهِ. وتسمَّى حروف الهجاء. وحروف التهجي. ويسمّيها سيبويه والخليل حروف العربيّة اي حروف اللغة العربيـــة وهي التي يتركّب منها الكلام العربي. وتسمَّى ايضاً حروف المعجم امَّا لانها مقطَّعة لا تُفهم الَّا باضافة بعضها الى بعض وامَّا لان منها ما يُنقط النَّقط المعروف او يُنقط كلها اي يُشكَّل اذ النقط قد يكون بمعناها. وقال بعض اهل اللغة النَّقط بالسواد كمثل التاء عليهـــا نقطتان. ويقال منهُ « اعجمتُ الحروف » ومعناهُ حرف الخط المعجم وبعضهم يجعل المعجم مصدرًا بمعنى الإعجام من « اعجمت الشيء » اذا بيَّنتهُ فكانها مبيِّنة للكلام وتكون الهمزة في « أعجمت » للازالة اي ازلت عُجمتـــهُ امَّا بنقطهِ او شكله. قال الشيخ عبد الخالق ابي القسم المصري : « واذا اعتبرت سائر اللغات بالتحقيق لن يزيد ذلك على ثمانيـــة وعشرين حرفاً » يريد غير اللام الف في الحروف العربيّة. والقائل بذلك يجعل اللام الف مركّباً من حرفين فلا يعدُّهُ حرفاً مستقلًّا

قال علماء الحرف: وجُعلت ثمانيـــة وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين. قالوا : ولمَّا كانت المنازل القمريَّة يظهر منها فوق الارض اربع عشرة منزلة ويغيب تحت الارض اربع عشرة كانت هذه الحروف منهـــا ما يظهر مع لام التعريف اربعة عشر بعدد والمنازل الظاهرة وهي: الالف والباء والجيم والحاء والخاء المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة والفاء والقاف والكاف والميم والهاء والواو والياء المثنّاة تحت. تقول « ألالف والباء والحاء » فتظهر اللام في لفظك وكذلك في البواقي. وما يندغم منها اربعة عشر حرفاً ايضاً بعدد المنازل الغائبة وهي التاء المثنّاة من فوق والثاء المثلّثة والدال المهملة والدال المعجمة والراء والزاي والسين المهملة والشين المعجمـــة والصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة واللام والنون تقول: « التّاء والثّاء والدّال » فيخفى اللام في لفظك وكذلك في البواقي ...

ثمَّ للحروف العربية فروع توجد في اللفظ دون الكتابة مستحسنة ومستقبحة تبلغ بها الحروف العربيَّة سبعة واربعين حرفًا ولا يوجد ذلك في لغة امةٍ من الامم . اضربنا عن ذكرها لعدم تعلُّقها بالخط الذي نحن بصدده وبالله المستعان

الفصل الثامن

في بيان جهة ابتداءات الحروف

واعلم ان اصحاب الاقلام اختلفوا باعتبار مقاصدهم في البداءة بالحروف فمنهم من يبدأ من اليمين الى اليسار كالعرب والعبرانيين والهنود واهل الطبيعة (١ والسريان اخذًا فيهِ على سير الفلك من المشرق الى المغرب والمشرق عندهم يمين الفلك ويقال لهُ « ماخد كورى » وقيل لان فيهِ الاستمداد من الكبد الى القلب. ومنهم من يبدأ من اليسار الى اليمين كالروميَّة واليونانيَّة والقبطيــة وفنٌ من الفارسيَّة اخذًا فيهِ على سير الكواكب السبعة السيَّارة من المغرب الى المشرق ويقال لهُ « ماجد دورى » وقيل لانهُ ناشئٌ عن حركة القلب الى الكبد

الفصل التاسع

في كيفية ترتيب الحروف

واعلم ان ترتيب الحروف على ضربين مفرد ومزدوج . وبين اهل الشرق واهل الغرب (٢ في كل من النوعين خلاف الترتيب

امَّا المفرد فاهل الشرق يرتبونهُ على هذا الترتيب : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وامَّا اهل الغرب فانهم يرتبونهُ على هذا الترتيب : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي

وامَّا المزدوج فاهل الشرق يرتّبونهُ على هذا الترتيب : ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ

واهل الغرب يرتّبونهُ على هــذا الترتيب : ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ظغش

١) يريد باهل الطبيعة الصابئين لعبادتهم قوَّات الطبيعة

٢) اهل الغرب هنا عرب شمالي افريقية

على انهُ قد اختُلف في كلمات ابجد هل لها معنى ام لا وهل يُكره تعلُّمها ام لا واكثر الناس في الشرق والغرب على تعلُّمها. وقد جاء انها كانت تُعلَّم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ ويشهد لذلك قول الاعرابي في ابياتهِ:

اتيتُ مهاجرين فعلَّموني ثلاثة اسطر متتابعاتِ
وخطُّوا لي ابا جادٍ وقالوا تعلَّم سعفصاً وقريَشاتِ

وقيل ان ابجد وهوز وحطي وكلمن كانت اسماء ملوك مدين وقد تقدم ان الاربعة المذكورة كانت اسماء واضعي الخط العربي على قولٍ. والله اعلم (راجع المشرق ٤: ٢٧٨)

الفصل العاشر

في كيفيَّة صور الحروف العربيـة وتداخل اشكالها

قد تقدم ان الحروف العربيَّة على ثماني عشرة صورة وهي: صورة الالف. وصورة البـاء والتاء والثاء. وصورة الجيم والحاء والخاء. وصورة الدال والذال. وصورة الراء والزاي. وصورة السين والشين. وصورة الصاد والضاد. وصورة الطاء والظاء. وصورة العين والغين. وصورة الفاء والقاف. وصورة الكاف. وصورة اللام. وصورة الميم. وصورة النون وصورة الهاء. وصورة الواو. وصورة اللام الف. وصورة الياء. وفرقوا بينهـا بالنقط كما سيأتي. وقصدوا بذلك تقليل الصور للاختصار لان ذلك اخفّ من ان يُجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور. ثم ترجع الثماني عشرة صورة بعد ذلك الى خمس صور وهي: الالف والجيم والراء والنون والميم

ففي صورة الالف احدى عشرة صورة: الف قائمةً وهي ا. وسبع الفات مسطوحات وهي: ب ت ث ك ل ي فكل هذه على صورة الالف غير ان منها ما تُكرّر فيهِ صورة الالف وهي الكاف واللام. والفان مبطوحتان وهي ط ظ. والف معطوفة وهي لا

وفي الجيم سبع صور: جيم مرفَّلة وهي ج ح خ. وجيمان محذوفتان وهما د ذ. وجيمان شاخصتان وهما ع غ

وفي الراء ثلث صور وهي: ر ز و

وفي النون ست صور وهي: ن س ش ص ض ق

وفي الميم صورتان وهما: م ه

الفصل الحادي عشر

في الحث على تحسين الخط

لا خفاء ان حسن الخط من احسن الاوصاف التي يتّصف بها الكاتب وانهُ يرفع قدره عند النـاس ويكون وسيلة الى نجح مقاصده وبلوغ مآربهِ مع ما ينضمُّ الى ذلك من الفوائد التي لا تكاد تحصى كثرةً. وقد قال امير المؤمنين عليّ كرم الله وجههِ: الخطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً. وقال بعض العلماء: الخطّ كالروح في الجسد فاذا كان الانسان جسيماً وسيماً حسن الهيئة كان في العيون أعظم وفي النفوس افخم. واذا كان على ضدّ ذلك سئمتهُ النفوس ومجّتهُ القلوب. فكذلك الخطُّ اذا كان حسن الوصف مليح الوصف مفتّح العيون املس المتون كثير الائتلاف قليل الاختلاف هشّت اليـهِ النفوس واشتهتهُ الارواح حتى ان الانسان ليَقرأُهُ وان كان فيهِ كلام دني ومعنى ردي مستزيدًا منهُ ولو كثر من غير سأمة تلحقهُ. واذا كان الخطّ قبيحاً مجّتهِ الافهام ولفظتهُ العيون والافكار وسئم قارئهُ وان كان فيهِ من الحكمة عجابها ومن الالفاظ غرابها. ويقـال ان الخطّ موازٍ للقراءة فاجودُ الخطّ أبينُهُ كما ان اجود القراءة أبينها ولا يخفى ان الخط الحسن هو البيّن الرائق البهج

ثم قد تقدم في الكلام على اصل وضع الخط ان الخط واللفظ يتقاسمان فضيـلة البيان ويشتركان فيها. قال في مواد البيان: ولمّا كان الخطّ قسيماً للفظ في البيان الذي امتنّ الله بتعليمـهِ على الانسان وجب على الكاتب ان يُعنى بامر الخطّ و يراعي من تجويدهِ وتصحيحهِ ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحـهِ ليدلّ على سرعة وسهولة كما يدل اللفظ البليغ البين. لانّ الخطّ وان كان على الاطلاق في المنزلة التي لا تساوَى من الشرف فانما تحصل فضائلهُ للجيد منهُ كما ان المنطق وان كان من الشرف في هذا الحد فانما تحصل فضائلهُ التامّة لمنطق البليغ اللسن دون منطق العيّ الألكن وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الاطلاق انما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدئ

قال: فينبغي للكاتب ان لا يقدّم على تهذيب خطهِ وتحريرهِ شيئاً من آدابهِ فان جودة الخطّ اول الادوات التي ينتظم بحصولها لهُ اسم الكتابة ويُحكم عليهِ اذا حازها بانهُ من اهلها. وقد دخل بحسن الخطّ في الصناعة من اذا فُحص عن مقدار معرفتهِ

وجب ان تُنزَّه الكتابة عن نسبتهِ اليها . ويجب مع ذلك ان يراعى تأسيس الخط على الوضع الذي اصطلح عليهِ الجيدون من الكتَّاب فقد قسم اهل الصناعة الخط الى قسمين محقَّق ومطلق . فامَّا المحقق فما صحَّت اشكالهُ وحروفهُ على اعتبارها مفردةً . قال في موادّ البيان : وهذا القسم في الذي يستعمل في الامور الجسيمة ككتب العهود والاسجالات والتمليكات التي تبقى على الاعقــاب والمكاتبات الصادرة عن الملوك الى الملوك الدالة على قدر المكتوب عنــهُ والمكتوب اليهِ . وامَّا المطلق فهو الذي تداخلت حروفهُ واتصل بعضها ببعض . قال في موادّ البيان : وهو خطٌّ مولَّد من المحقق يُستعمل في تنفيذ ما لا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمة والامور العامة . وقال : ويجب ان يلزم الطريقة في كل واحد من الخطين ولا يخلط حروف احدهما بحروف الآخر

الفصل الثاني عشر

في الطريق الى تحسـين الخط

ويُتوصَّل الى ذلك بامور : الاول معرفة تشكيل الحروف . قال في موادّ البيان : وهو الاصل في ادب الخط لانَّ الخط انما سُمّي جيدًا اذا حسنت اشكال حروفهِ وانما يسمى رديئًا اذا قبحت اشكال حروفهِ وحسن صور حروف الخط في العـين شبيه بحسن مخارج اللفظ العذب . قال : والوجه في تصحيح الحروف ان تبدأ اولًا بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرفٍ منها على حيالها . ثم تأخذ في تقويمها مجموعةً مركَّبة وان تبدأ من المركَّب بالثناني والثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي فان هــذه هي امثلة الاسماء والحروف الاصليَّة . وان يُعتمَد في التمثيل على توقيف المهرة في الخطوط العارفين باوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها فان لكل خط من الخطوط قلمًا من الاقلام يصلح لذلك الخط . وهذه الاقلام المختلفــة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءًا من صناعتهِ لا يصنع بهِ غيرهُ . ولا يعوَّل على كتابة خطٍّ من الخطوط بنقل مثالهِ بنفسهِ فان ذلك لا يكفيهِ اذ لو كان ذلك كافيًا لأَستُغني من جميع الصنائع عمن توقَّف عليها . على ان كثيرًا من اصحاب الخطوط قد كتبوا طبعًا دون التوقيف من احد على طريقة من طرق المحرِّرين الَّا ان الافضل ان يبنى الخطّ على اصل يكون لهُ اساسًا فاذا فُصِّلت احوالهُ انكشف فساد كثيرٍ من حروفهِ

(الباقي للآتي)

القصب وصناعتهُ في حلب

لجناب الخواجا حبيب يوسف مشحور الحلبي احد ارباب هذا الفنّ

انّ ما ورد في المشرق (٤ : ٤٤١) عن صناعة الحياكة في الزوق وشهرة اصحابها في صنع الانسجة حدا بنا الى ان نضع نبذةً وجيزة في صناعة أُخرى شريفة لها مع النساجة علائق بيّنة ألا وهي صناعة القصب التي لم نجد لها ذكرًا حتى الآن في مجلّاتنا الشرقيّة مع عظم شأنها وجلالة قدرها

اصل صناعة القصب ومقامها

واصل هذه الصنعة من الشرق بلا مراء فانها كانت في غابر القرون زاهيةً زاهرة في انحاء الهند والعجم وما يجاورهما من البلاد وقد دخلت في اصقاعنا الشاميّة منذ نحو اربعمائة سنة . قيل ان بعض ارباب هذه الصنعة هاجروا من العجم واستوطنوا حلب فاخذها عنهم الحلبيون وتعلّمها اهل مصر والاستانة العليّة ولم يزالوا يتعاطونها حتى الان دون غيرهم . ويؤيد هذا الرأي عن اصلها العجمي ان اكثر الفاظ هذه الصنعة فارسيّة او تركيّة . وما لا شبهة فيهِ ان الحلبيين برعوا في عمل القصب ونالوا في ذلك قصب السبق وقد اتسع نطاقهُ بينهم حتى بلغ عندهم عدد العملة الذين يشتغلون بهِ نيفًا واربعة آلاف عامل كانوا يرتزقون بهِ بل كان مزاولو هذه الصنعة عراض البطون واسعي الثروة لإقبال الجمهور على شغلهم . امَّا اليوم فقد كسدت سوق هذه الصناعة لتهافت اهل بلادنا على المنسوجات الاوربيّة والتقليد الانكليزي فنبذوا بضاعة مواطنيهم مع صفاقتها ودقّة صنعها وبذلوا الدرهم عن يد سخيَّة لاستجلاب البضائع الاجنبيّة مع ان كثيرًا منها تقليد بحت لاشغال بلادنا بعيد عن جودتها . ولذلك قد قلَّ اليوم عدد عملة القصب في حلب الى اقلّ من الف عامل يكدون ويجدّون وهم لا يكادون يحصلون على بلغة عيشهم

وكانت اعمال القصب في سالف الزمن رائجةً في كل انحاء الشام لاسيا حمص ودمشق ثمَّ في بغداد وازمير وصقز وهي اليوم منحصرة في بغداد وحمص والزوق ودمشق يقدم عليها السيَّاح فيعجبون من هذه المنسوجات المقصَّبة ويشترونها باثمان طيبة . وكذلك

ترى شيوخ العربان وامراء القبائل لا يزالون يلبسون الثياب المقصَّبة كالكفوف والمشالح يتباهون بهـا ويتفاخرون وهي في حقيقة الامر تفوق ما سواها من الملابس الفاخرة التي تليق بالسادة والامراء

كيفيَّة شغل القصب

يكون قصب المنسوجات امَّا فضة خالصة وامَّا فضَّـة محلاَّة (ملبَّسة) بالذهب. ولا بدَّ لصنع كليهما من ثلاث صنائع تستلزم بعضها بعضاً بحيث اذا تعطَّلت الواحدة منها توقَّفت البقيَّة. ولوجود هذه الصنائع الثلاث في حلب قوي اهلها على حفظ سرّها واحكام صنعها. ولولا ذلك لتلفت وصارت نسياً منسيًّا

والصنعة الاولى التي تتقدم الصناعتَين الاخرَيين هي تمحيص الفضَّة وهي تُعرف في حلب بالروباص. ولاربابها في ذلك حذاقة عجيبة تراهم يبلغون في تنظيف الفضـة وتنقيتها ما لم يبلغـهُ الاوربيون مع كثرة ادواتهم. واذا اتتهم سبيكة فضة من اوربة مهما كانت خالصةً من الخَبث لا يرونهـا صالحة لشغلهم الّا بان يعيدوا تمحيصها على مألوف عادتهم: ولهم في ذلك طريقة تفرَّدوا فيها وهي انهم يتَّخذون بوتقةً (او جورة في الارض) مصنوعة من مادَّة يدعونها القُصْرمِل وهو الرماد الباقي من زبل الدواب الخالص بعد ان يُحرق في الحمامات (١. فيضعون فيها الفضة ويوقدون فوقها الحطب فاذا ذابت الفضة مزجوها بكميَّة معلومة من الرصاص وهـذا الرصاص يرسب في البوتقة مع الموادّ الغريبة والمعادن الممزوجة عند تمام تصفية الفضة. ولذلك علامات يعرفونها وفي معرفتها سرّ صناعتهم

ولهؤلاء المحَّاصين حذقٌ في تلبيس الفضَّـة ذهباً اذا ما ارادوا ان يتخذوا القصب المذهَّب. فهم يعمدون الى سبائك الذهب النـاصع اللون الحسن المنظر ولذلك كانوا يفضلون ذهب البندقيَّـة على غيره امَّا اليوم فيتَّخذون النقود المسكوبيَّة لِنُدرة الذهب البندقي. فيطرقون هذه السبائك و يرققونهـا حتى تصير ارقّ من ورق السيكارة بطول

١) ولهذا الرماد تأثير عظيم في تنظيف الفضَّة فلا بدَّ ان يكون خالصاً من كلّ مادَّة غريبة. بل لا يصلح هذا الزبل في وقت الربيع لما تأكلهُ الدواب آنئذٍ من الحشيش. واذا كان الرماد غير صرفٍ تقطَّعت اسلاك الفضَّـة وصعب ترفينها. ولا يصلح هذا الرماد للعمل اذا مرَّ عليهِ خمسة عشر يوماً

وعرض معلومين(١ ثمَّ يأخذون صلائج الفضة التي تكون على طول ثلاثة ارباع الذراع فأزيد وهي مستديرة الشكل يبلغ ثخنها قيراطين فيجعلون اوراق الذهب على هذه السبائك الفضيَّة ويصقلونها صقلًا محكمًا بحيث يلتصق بالفضَّة ويصبحان كمعدن واحد ومهما رُقّعت اسلاك الفضة يبقى عليها الذهب ولا يزال لونهُ الاصفر ظاهرًا بعد ان يصير قصبًا ويُنسج بالنول ويبقى نسيجهُ بقاء الدهر حتى لو اراد احد ان يستخلص الذهب من هذا القصب بعد خمسين سنة لأمكنهُ ذلك

والسبائك بعد تحميصها سواء لُبست بالذهب او لم تُلبَّس تُمدَّد بالتدريج الى ان تُصبح برفع اسلاك التلغراف. ويتَّخذون لذلك صفيحة من الفولاذ يثقبونها بثقوب عديدة مختلفة الكبر فيدخلون هذه السبائك في اكبر الثقوب ويسحبونها حتى تترفَّع. ثمَّ يدخلونها في ثقب ثانٍ اصغر من الاول. وهكذا بالتدريج الى ان تصير السبيكة كسلك التلغراف كما سبق. والفضة التي تُصرف في كل سنة لصناعة القصب تبلغ نحو قنطارين

(الصنعة الثانية) وهي صنعة الألتُنجي. والالتنجيَ بالتركيَّة صاحب الذهب ومن هذا الاسم يُستدلّ على انَّ القصب كان سابقًا كلهُ ملبَّسًا بالذهب. واستعمال قصب الفضَّة حديث العهد لا نكاد نجد لهُ اثرًا في المنسوجات التي حيكت قبل مئة سنة كما ترى في الحلل الكهنوتيَّة وغيرها. امَّا الشغل المختصّ بالالتنجي فهو ترفيع الاسلاك فانهُ يستلمها من الخاص بغلظ الاسلاك التلغرافيَّة وينبغي عليهِ ان يرفّعها الى ان تصير في دقَّة الشعر بل ارفع منهُ. واذا بدأ في الشغل اجاز السلك في ثقب محدَّد فيقشط منهُ نحو خُمسهِ ليزيل بذلك رائحة الرصاص الذي دخل في تنظيفهِ كما سبق. والرائحة المذكورة تضرُّ بهِ ما لم تُنزع عنهُ. ثمَّ يعمد الى سيف مُجوهر بجوهر الضَّبان (راجع المشرق ٣: ٥٨٠) ذي ثقوب متتابعة اصغر فاصغر فيسحب منها السلك بالتدريج الى ان يبلغ الدرهم الواحد طول ثمانمائة ذراع برفع متساوٍ. وللثقوب مقاييس غاية في الضبط لا يصيبها خلل الَّا تلافوهُ. امَّا اذا سُحب السلك فلا يزال يتمدَّد دون ان ينقطع اللهم الَّا نادرًا. واذا كثر تقطيعهُ عرفوا بان الفضَّة لم تُمحص جيدًا واعادوها الى صاحب الروباص على حسابهِ. ولصنعة الألتنجي اسرار يضنُّون بها لئلا تشيع فيخسروا ارباحها وهم يتوارثونها ابًا عن

١) وكلُّ مئة درهم تلبَّس بنصف درهم ذهبًا الى درهمين حسب طلب اصحابها

جدّ فيتلقّنون اعمالها . ومعلّمو هذه الصنعـــة لا يتجاوزون اليوم ٢٥ معلماً ومع قلّة عددهم لا يزيد دخلهم اليومي على العشرين غرشاً

امّا (الصنعة الثالثة) بعد تمحيص الفضَّة وترفيعها فهي صنعة القصب وبها تمام هذا الفنّ الجميـــل . وعملهُ قائم بثلاثة امور صبغ الحرير ثم بسط الفضة ثم لفّ الفضة على الحرير

فالحرير الذي يستعمل في شغل القصب يجب اولاً قصرهُ وتبييضهُ بالصابون ثم يُصبغ الواناً حسب انواع القصب التي تربي على الثلاثين نوعاً والمعلم هو الذي يتفنن في هـــذه الاصباغ وتركيبها مع ما يلائمها من الفضة . والصِباغ الموافق للقصب لا يكون الَّا صباغ الزعفران وكانوا من قبل يتخذون لهذه الغاية الزعفران العجمي او الاناضولي ثم استبدلوهُ منذ عهد قريب بزعفران اوربي الجنس ثمناً وانصع لوناً

امّا بسط الفضة فيحصل عليهِ بان تُضغط اسلاكها فتُبسط وتصير لامعةً . وهم يتخذون لذلك بكرتين من الفولاذ الجيّد (المصفَّى) يدعونهما جلخاً (ويقال چرخ . والچرخ بالتركيَّة الدولاب) تكون الواحدة اكبر من الاخرى وهذه البكرات يوجد منها اصناف كثيرة متباينة بالكبر ولعلهم كانوا يستحضرونها سابقاً من البندقيَّة لانهم الى هذا اليوم ينسبون الجيد منها الى تلك البلدة وكانت صغيرةً وهي اليوم تُستحضر من بلادٍ أُخر . وهذه البكرات مع صلابتها سريعة العطب تتلف لاسباب طفيفـــة كوخم الذباب وعرق الانسان وما اشبه ذلك واذا تلفت فلا سبيل لاصلاحها ويسقط ثمنها من الخمسين ليرةً الى بضعة قروش ولا نفع منها . ولذلك ترى صاحبها لا يدَّخر وسعاً في صيانتها وتنظيفها بقطعة من الكتَّان الخشن واذا فرغ من الشغل يقيهـــا بقماش مشبع بشمع العسل . واذا اهملها مدة بدون الشغل عطبت ما لم يلبّسها مشمَّعاً سميكاً ويمسحها بالكتَّان من وقت الى آخر وهي مع ذلك في صلابةٍ لا تعمل فيها المبارد ويكون الجلخ مصقولاً كالمرآة بتحديب قليل

امّا كيفيَّة العمل بهاتين البكرتين فتكون بتركيب الصغرى فوق الكبرى بقالب مخصوص لذلك وبين هاتين البكرتين يُدخل سلك الفضة وهو مستدير فينضغط وينبسط وبانبساطهِ يلمع . وفي بسطهِ وتلميعهِ دقَّة الصنعة لانهُ اذا خرج على استدارتهِ ذهبت منهُ الفائدة ولا بدّ من تمحيصهِ مرَّة ثانية . ولكي تزيد سهولة دوران الجلخ يركّبون على البكرة

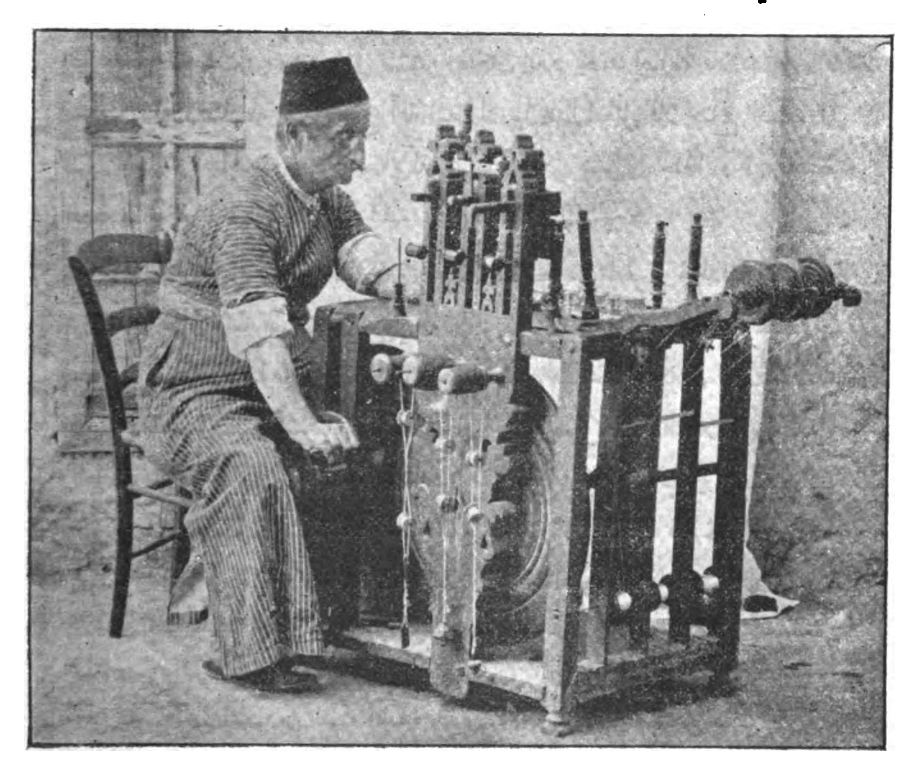
التحتانية اطارًا من خشب ذا اربع قطع من حديد يُعلّق في اطرافها اثقال من رصاص يدعونها حدّافات. ولمّا كانت اسلاك الفضة تتباين عن بعضها برفعها جعلوا للجلخ خشبة معلّقةً بهِ بحبال على شبه القبّان ويضعون على هذه الخشبة الثقل اللازم لبسط الفضّة فتكبس البكرة العليا على سلك الفضّة وتبسطهُ. واذا خرج من الجانب الآخر امسكهُ الصانع باصبعهِ ويضغطهُ قليلًا فيخرج مرفرفًا وبترفرفهِ يلتفّ على بكرة معدّة لهُ التفافًا محكمًا. وقد كان الصانع من ذي قبل يقاسي عذابًا كليًّا في هذا اللفّ لسبب عرق اصابعهِ في الصيف وبرودتها في الشتاء. فكان البرد يجمّد اصابعهُ فلا يستطيع ضغط السلك. وقد وفّقنا الله الى اختراع آلة نتدارك بها هذا الخلل فلا يحتاج الصانع الى ان يمسّ السلك باصابعهِ. ومن هذه الآلة في حلب نحو عشرين جلخًا وكلٌّ يبسط من الفضّة ما يكفي لخمسة دواليب (١

واعلم انّ قوام صنعة القصب يتمُّ بلفّ الفضّة على الحرير. واداتهُ هي الدولاب يدور في جهاز اشبه بصندوق ذي اربع قوائم في اطرافهِ مع لوحتين عليا فسفلى يدعونهما غطاء وارضًا. وضمنهُ طارتان من خشب مساحة الكبرى اربعة وعشرون قيراطًا والصغرى ستّة عشر. والحركة تتجاوز من الصغرى الى الكبرى بواسطة وتر. وللطارتين اربع قوائم متقابلة الواحدة منها اعلى من وجه الدولاب يركّب عليها ثلاث قطع من الفولاذ تسمّى شكوكًا (مفردها شكّ) وهي مثقوبة فيُدخل الحرير بهذه الثقوب وتُجعل في الشكّ بكرةٌ صغيرة عليها الفضّة المبسّطة فاذا دارت الطارة الصغرى

١) ولعلّ صنعة القصب وُجدت بعد صنعتي تمحيص الفضّة وتلبيسها بالذهب. وممّا يستدلّ بهِ على ذلك وجود صنف من الفضّة الملبّسة بالذهب كان يرقّعها الالتونجي فتدعى صرما ثمّ كان يبسطها فتُعرف باسم تيـل. وكان يؤخذ منها كميّة وافرة الى الحجاز والعجم وغيرهما لتطريز الاقمشة. وكان الصرما تطرّق سابقًا بالمطارق بدلاً من بسطها بالجلخ. ومن امثال العامّة اليوم «فلان عندهُ دقّ الصرما» اشارةً الى العمل المتعب. وكان عامل الصرما يُعرف بالصرمجي او الصرماكاش. فلمّا وُضع بعدئذٍ فنّ القصب بقي اسم الصرمجي على اصحاب هذه الصناعة الجديدة

ثمّ قلنا انّهُ لا بدَّ لصنعة القصب من الجلوخ لبسط الفضّة واستوائها. فلو كانت هذه الجلوخ موجودة سابقًا لكان اصحاب الصرما استبدلوا طرق الفضّة ببسطها واقتصدوا من التعب والكلف والوقت شيئًا كثيرًا لان درهمًا من الفضّة طولهُ عشرون ذراعًا يُبسط بعشر دورات من الجلخ لا تستغرق الّا نصف دقيقة امّا طرقها فلا يتمُّ باقلّ من ربع الساعة مع خلل في التساوي المنتظم

أدارت الكبرى والكبرى تُدير الشكوك باوتار من الحرير فتلتفُّ الفضَّة على الحرير الخارج من ثقب الشك . وينتهي من ثمَّ الى دواليب مخصوصة تجرُّها الاوتار ويلتفّ على بكرات من الخشب مجهَّزة لهذه الغاية . فعلى الطارة الصغرى ثلاثة اوتار للفّ القصب وعلى الكبرى ثلاثة اوتار للشكوك وثلاثة أُخر لسحب الحرير بعد التفاف الفضَّة عليهِ . ويكفي للدولاب عامل واحد



صورة دولاب القصب

وصنعة القصب كانت محصورة كما قلنا سابقاً في البلاد المحروسة في حلب والاستانة العليَّة ومصر وقد بطل من الاخيرتين منذ عهد قريب . اما اوربَّة فان معامل قصبها تختلف عن قصبنا الشرقي والذي نعرفهُ منهُ اليوم لا يشبه شغلنا

ويوجد في زمننا نوع من القصب يدعى اللاهي نسبةً الى اللاه ولا نعلم أيكون اصلهُ من بلادنا ام لا . اماَّ البندقيَّة فكان لها سابقاً شهرة في القصب ولعلَّ اهل الاستانة

اخذوا صنعة القصب عن عملة البندقيَّة ثمَّ انتقلت من الاستانة الى حلب ومهر فيها الحلبيون. وقد اشتهر منهم قوم نخصُّ منهم بالذكر السادات بني الشربجي من افاضل المسلمين وعائلات الخواجات عرقتنجي وغزالة وخوكاز وفتال ومشحور وغيرهم من نصارى الشهباء

وكان اتَّسع هذا الفن في حلب اتساعاً عجيباً وكان ينسج القصب ايضاً في معامل عديدة حتى انَّ عدد الانوال للمنسوجات المقصَّبة كان بالغاً قبل خمسين سنة نيِّفاً والفي نول. واليوم قد بطل نسيج القصب حتى لم يبقَ ولا نول واحد فتعطَّل من جرَّاء ذلك نحو خمسة آلاف عامل

وفي النهاية لا نقدر الَّا نتأسَّف على ضياع صنائعنا الشرقيَّة متمنين من اصحاب الامر ان يعيروها نظرًا شافقاً وكذلك نطلب الى ذوي الثروة ان يصرفوا همتهم العليا الى هذه الفنون التي يكسبهم احياؤها اسماً طيِّباً ويفتح لمواطنيهم ابواباً واسعة للرزق فضلًا عمَّا يربحون منهم من المال الطائل لو ساعدوا اصحابها في اعمالهم الخطيرة. ألهم الله اهل الخير ما فيهِ شرف البلاد ونفع العباد فهو السميع المجيب

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معرَّبة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وبينما راحيل تتفوَّه بهذه العبارات كان بصرها منخفضاً فوقع على يديها المثقلتين بالاسورة الذهبيَّة فاحمرَّت وجنتاها لاول مرَّة خجلًا من هذا الاسراف الذي وجدتهُ خاليًا من كل فائدة فاستهزأت بهِ مزدريةً وقائلةً: «ماذا عسى ان تنفعني هذه الحلقات المعدنيَّة المطوَّقة لمعصمي»

ومن الغريب ان الشفقة التي امتزجت بنفسها لم تقتصر على توسيع دائرة عواطفها بل انها اعلت ايضاً درجة فهمها وذكائها واطلعتها على كثير من الامور المزعجة والمناقضات العديدة التي لم تكن لتتنبه اليها من قبل رغماً عن تأدبها بكثير من المعارف

والعلوم فادركت اخيرًا ان تلك الحلى الخالية من النفع تستطيع ان تخفف وطأة الحاجة على عدد من البائسين الفقراء

وقد افادها هــذا الادراك فائدة عظيمة لان الحميَّة التي كانت كامنةً في نفسها اخذت تزيد وتتقوى شيئًا بعد شيء. حتى رفعتها فوق درجة المرأة الاعتيادية التي تكون في غالب الاحيان أُلعوبة بين ايدي رياح الفخفخة ووساوس القلب وما لبثت ان شعرت بانها صارت اعظم حريَّةً واشدّ انعتاقًا من اسار الأَثرة واباطيــل المعيشة الاجتماعيَّة فاخذت تنزع أسورتها واحدًا بعد واحد وتضغط عليهــا باصابعها اللطيفة كانها تريد ان تسحقها سحقًا

وكانت قد عزمت ان تضحيها في سبيل الفقراء وتخصص حياتها لمعونتهم وسعادتهم آملةً ان تجد علاجًا لدائها في القرب منهم والعناية بهم فتنسى اذ ذاك اوجاعها ولا تعود تفتكــر الَّا باوجاعهم. ثم غاصت متأملةً في النهج الجديد الذي كانت ترجو لدى وصولها الى غايتهِ ان تنال فرجًا وخلاصًا. فاكسبها هذا التــأمل قوة ونشاطًا فوقفت وهتفت قائلةً: « اشعر بان قوَّة غير منظورة تشددني واحسُّ بان صدري ينشرح وقلبي يبتهج ومذ عرفتُ الشفقة سرى النسيان الى نفسي» فيا لعظم انتصارها ولو انهُ جرى في هدوء وسكينة

وكانت راحيل الشقيَّة تظنّ كل الظن انها ادركت الانتصار ولكن سنرى في ما يلي من اخبارها ان الوهم خدعها. على ان الوهم نفسهُ كان جميلًا لانهُ اعرب عن نفس جايلة واخلاق كريمة

٦

ولنعد الان الى اخبار جوسلين فنقول انهُ كان قد عزم على ان يغتنم فرصة ارتباك المقدم رزق الله في الحرب حتى يسعى بلا معارض في ادراك مآربهِ السافلة وثاراتهِ الدنيئة

والظاهر ان إبعاد الاب يوحنا والتشنيع عليهِ والسعي في تحقيرهِ تجاه الرأي العام لم يشفِ لهُ غليلًا فعمد على ان يضيف الى هذا الاثم جريمة اعظم. وبما ان وجود دير حصن سليمان في جوارهِ كان يزعجهُ ويعنتهُ ويقف في طريق مقاصدهِ رأى انهُ اذا فرَّق رهبانه وخرَّبهُ يتهيأُ لهُ بسهولة ان يضع يدهُ على الاملاك الباقيــة لهُ وهكذا يزيل كل حجّة للمقدّم رزق الله تسوّغ لهُ التداخل في شؤون جبل اللكام

لكن لمَّا كان لؤمهُ وخسَّتهُ لا يقلَّان عمَّا طُبع عليهِ من القسوة والطمع لم يشأ ان يتداخل مباشرةً في هذا العمل الذي ينقض بهِ اثرًا عظيماً من آثار الاقدمين تؤاخذهُ عليهِ القرون الآتية بل احبَّ ان يتولى ادارتهُ من بعيد بحيث يدرك منهُ الوطر دون ان يتحمَّل في الظاهر تبعتهُ لانهُ اذا انقلبت دولة الحظ وناقشهُ المقدَّم رزق الله حساباً على هدم الدير يكون لديهِ من يلقي عليهِ مسؤوليَّة العمل. وبناء عليهِ فقد خاطب في الامر نصيريَّة عين الشمس فردَّ هؤلاء طلبــهُ قائلين انهم يعظّمون القديس جرجس ويجلونهُ كثيرًا كما انَّهم اكرامًا لتذكار الاب يوحنا لا يقتصرون على عدم التعرُّض بسوء لرهبان حصن سليمان بل انهم لا يطيقون اصلًا مسَّ شعرة من رؤوسهم

فعند هــذا الجواب الصريح بعث برجالهِ الى الاسماعيليَّة المقيمين في مصياد لعلَّهُ يظفر منهم بطائل ولكنهُ لم يصب مراماً لان اميرهم اجابهُ قائلًا انهُ لم ينسَ احسان الاب يوحنا اليهِ لمَّا عالج ولدهُ وشفاه من مرض عضال ولهذا فهو يضع ذاك الرجل البار تحت كنف حمايتهِ الخصوصيَّة واذا كان يحمل سيفاً فانهُ يسلُّهُ على المجرمين واهل السوء لا على رهبان لا يأتون غير الخير والبرَّات

فلما قنط جوسلين من النصيريَّة والاسماعيليَّة رأى انهُ لم يبقَ من يعينهُ على الوصول الى مرامهِ الخبيث سوى بعض شذاذ من البدو الضاربين في البــلاد فضمَّ اليهم بعض مؤتمنيهِ وسيَّرهم الى الدير

وفي ذات مساء بعــد ان اغلق الرهبان بوَّابة الدير وصل البدو الى حصن سليمان يقودهم رجال جوسلين فكسروا البوَّابة بضرب الفؤوس وانتشروا في جوّ الدير آمرين الرهبان بالرحيل والتفرُّق ثم شبوا النار في جهاتهِ الاربع. على ان الجدران الضخمة التي كانت من بناء الرومانيين قويت على معاندة النار ولكنَّها التهمت اخشاب الدرابزين او الايكونوستاس الموجود في الكنيسة وذهبت بالصور الثمينة التي كانت معلَّقة فيها. وجدَّ رجال جوسلين في حريق المكتبة خصوصاً لانها كانت تتضمن سجلات الدير وكان جوسلين يظن ان حريق سجلات الدير يزيل كل حجة في المستقبل تبيّن اغتصابهُ لاملاك الدير الحكي عنهُ. وكان في جمــلة ما دمرهُ لسان اللهيب عدد من الكتب التي ما زال اهل العلم حتى اليوم يندبون فقدها

وكان الاب يوحنا في مدَّة رئاستهِ قد سعى كل السعي في جمع كل الكتب القديمة

التي تتكلّم عن تاريخ لبنان غير مدَّخر لادراك بغيته لا تعباً ولا فضةً ومن اجل هذه الغاية كان قد تعرَّف الى اخصّ العلماء المسيحيين في دمشق الشام وانطاكية وحلب وطرابلس وكلفهم بان يرشدوهُ الى الكتب الخطيَّة الكبيرة القيمة. وكان اذا مسَّت الحاجة لا يتأخر عن مباشرة الاسفار الطويلة بنفسهِ للاطلاع على نفائس التآليف. ومن جملة اسفارهِ للغاية المذكورة سفرهُ الى دير صيدنايا حيث فحص بذاتهِ ما كان في مكتبة الدير المرقوم من الكتب السريانية النادرة المثال (١ وقد شخص ايضاً الى غيرهِ من الاديار الملكيَّة التي كانت في ذاك الوقت تُعنى بدرس السريانيَّة واتقانها (٢. وكان اذا لم يستطع مشترى الكتب بالدراهم يقبل بنفسهِ على نساختها او يكلِّف غيرهُ بذلك. وهكذا صرف مدة طويلة في دير القديس جرجس الحميرا للملكيَّة وهو على مقربة من حصن الاكراد. وكذلك في دير البلمند ودير كفتون وغيرهِ من اديار الملكيَّة في لبنان وسوريَّة

ولم يذهل ايضاً زيارة المكاتب اللبنانيَّة والوقوف على ما فيها من كنوز الادب التي كانت كثيرة بذاك العصر في الاديار المارونية مثل دير القديس يوحنا مارون في كفرحي ودير السيدة في يانوح ودير السيدة في ميفوق ودير القديس قبريانوس في كفيفان ودير مُرت مورا في اهدن وغيرها من الاديار

وقد سبق القول انهُ كان اذا فرغ من صلواتهِ الطويلة واهتماماتهِ باسعاف الفقراء والمنكوبين ينصبّ على تكثير نسخ المخطوطات التي جمعها في مكتبة الدير. وكان يقول ان اول واجب على الراهب هو الصلاة ومناجاة الخالق وافضل الاشغال لهُ من بعدها ان يسعى في نجاة الكتب المكرَّمة الباقية كشهود عدل على ماجريات الزمان الماضي من التلف والنسيان

ومن اقوالهِ ايضاً: «يجب علينا ان نقتدي باخواننا الرهبان في المغرب فان هؤلاء بعد ان يتمّموا تلاوة الفرض الالهي يُشغلون كل ما تبقَّى لهم من اوقات الفراغ بنسخ المخطوطات القديمة. وسوف يأتي يوم يُحمد فيهِ تذكارهم ويعترف الناس انهُ لولا جدّهم واجتهادهم لما اتصل الينا شيء من كلّ هذه الكنوز الادبيَّة. وبما ان الناس يتهموننا باننا نصرف الاوقات باطلاً ومن غير فائدة فلنثبت لهم ان تهمتهم عارية عن الصحة»

---

١) المشرق ٢: ٥٨٦ ٢) المشرق ١: ١٥ و ٦١

وبهذه الوسيلة كان هذا الرجل البار قد اوصل مجموعة المخطوطات التي حشدها في مكتبة الدير الى درجة عالية جدًا

وكان معظم هذه المخطوطات باللغة السريانية ولم تكن في الشرق مكتبة تفوقها سوى مكتبة طورسينا المشهورة بوفرة المخطوطات (١ ومكتبة القبر المقدس في القدس الشريف ومكتبة دير النطرون في القطر المصري (٢ وغيره من الاديار في الرها (اورفا) وماردين وما بين النهرين

وكان الاب يوحنا خلا اهتمامه بنسخ الكتاب العربي لقيس الماروني (٣ الذي كان قد شرع في نسخهِ قبل سفره الى بشراي يُعنى بنوع خاص بمجموعة كل اعمال القديس يوحنا مارون (٤ التي من اجلها قلّب كلّ مكاتب لبنان وبتاريخ آخر سرياني مجهول المؤلف غير انهُ يُعد اقدم اثر تاريخي لكاتب ماروني (٥

فجميع هذه الكنوز الادبية وغيرها مما لو بقي محفوظًا لادّى الى حلّ كثير من مشاكل التاريخ وايضاح معمّياتهِ ذهبت فريسة النار التي شبّها هناك رجال جوسلين

وفي مساء النهار سقط عقد الكنيسة وكان لسقوطهِ ضجّة عظيمة هائلة. على ان النار ما برحت كامنة بين الانقاض التي كان الدخان يتصاعد من خلالها وما مضى غير قليل من الزمان حتى لم يبقَ من تلك البناية العظيمة غير جدران مسودّة متشقّقة مع بعض العمد رافعةً رؤوسها الى السماء بهيئة حزينة في وسط الخراب

على ان هذه الجريمة التي لا يفي الوصف ببيان شناعتها لم تلبث ان استنزلت على هامة جوسلين العقوبة التي استوجبها خبثهُ

٧

نحن الان في بشراي في صباح يوم احد. الاجراس كلها تدق في جميع الكنائس واسقف البلدة يقوم بالذبيحة الالهية في مار سابا الكنيسة الكبرى بمعاونة عدد من رجال الاكليروس

وكان المقدّم رزق الله قد عاد من الحرب راجعًا غانمًا فاتى يشكر الله بنوع احتفالي

١) ميس لويس: مخطوطات سريانية طور سينا

٢) راجع مقالتنا في مجلة الابحاث ٣) راجع المشرق ٣: ٢٦٥، ٣٥٦

٤) نو: تآليفات مارونيَّة ٥) المشرق ٣: ٤٥١

على ما رزقه من النصر . وكان شعبهُ محيطاً بهِ وجميعهم يشكرون الباري عزَّ جلالهُ لابعاده جائحة الحرب عنهم واعادتهِ اليهم اميرهم العزيز الذي يحبونهُ محبة اب

وكان فرحهم وابتهاجهم في محلّهِ لان الامير رزق الله كان قد قاتل ثلاثة عناصر تجمعت عليهِ اعني عرب البقاع والشيعيين والنصيريَّة . ولا يخفى ان الشيعيين بعد ان طُردوا من المدن الساحلية وخصوصاً من طرابلس التي كانوا فيها من قبل عدداً غفيراً (١ اخذوا ينتشرون في الجبل ولاسيا في الكورة وبلاد البترون (٢ . واماً النصيريَّة فكانوا في الماضي قد حلوا في بعض جهات لبنان مثل جبل عكّار والضنيَّة (٣ وحتى القرن الثالث عشر كان الجرد وكسروان اخصّ مقاماتهم لا يشاركهم فيهما احد (٤ ومن هناك كانوا يمدُّون يد الاسعاف الى اخوانهم الساكنين في وادي التيم ومرج عيون (٥

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

مفتاح المحادثة في اللغتين العربية والبرازيلية

لحبيب يوسف لطفي . طُبع في بيروت في مطبعة الفوائد سنة ١٩٠١ ص ١٢٨

انَّ مهاجرة السوريين الى اميركا الجنوبية استدعت جناب الاديب حبيب يوسف لطفي الى وضع هذا المختصر المفيد جمع فيهِ ما يحتاج اليهِ المهاجر الوطني من المفردات وتصريف الضمائر والافعال في اللغتين العربية والبرتوغاليَّة . واضاف الى ذلك معجماً صغيراً مرتباً على حروف المعجم ثم جملًا متفرّقة ومحاورات مختلفة . ومما يزيد هذا التأليف نفعاً ان اللفظ الاعجميّ دُوّن في اصلهِ وفي الحرف العربي معاً . ويُطلب الكتاب من مؤلفهِ وفي مطبعة الفوائد الخاصَّة بجناب صاحب جريدة الاحوال

سياحة في غربي اوربَّا

بقلم نسيم خلاط

طُبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٠١ ص ١٧٠

وددنا لو سمحت لنا كثرة الموادّ التي تضيق لها صفحات المشرق مع رحبها بان

---

١) سفرنامه لناصر خسرو ٢) اخبار الاعيان ١٦٧

٣) شمس الدين الدمشقي ٤) ابو الفداء ٥) حيث بقيت بعض قرى للنصيرية

نصف لقرّائنا هذا الكتاب الجديد وصفاً مستوفياً. فان صاحبهُ جمع فيهِ من الاخبار المبهجة والاوصاف الدقيقة ما ترتاح لهُ النفوس وتأنس الى مطالعتهِ الادباء مع سلاسة في التعبير وتفنن في الرواية. ومن الفصول التي سُررنا بتسريح النظر في مطاويها وصف باريس ومعرضها (ص ١٦ — ٣٠) وفرسايل وطُرفها (ص ٣٥) وبعض آثار لندن ومتاحفها (ص ٥٦ — ٧٠) ووصف معمل الصابون في صُن ليت (ص ٨٥) ومشاهد سويسرة (ص ٩٧—١٠٠) ومحاسن ايطاليّة وخصوصاً رومة ونابولي وذِكر زيارتهِ الى البطريرك المسكوني في الاستانة حيث دافع المؤلف عن حقوق الكنيسة الانطاكيَّة (ص ١٦٠). ومما نثني فيهِ على المؤلف قولهُ عن اصحاب الثورة في الممالك الاوربية (ص ١٣٣) وتعجُّبهُ من تلك الدول التي « تسمح بسكنى العدميين القتلة بين ظهرانيهم قانعةً بمراقبتهم عن بُعدٍ كانَّ ضربها على ايديهم واستئصالها شأفتهم وصمة على تمدُّنهم » وهو نعم القول يشبههُ ما كتب المؤلف عن استقباحهِ لعادة البراز الهمجيَّة في اوربة (ص ١٣٣)

فما تقدَّم يبيّن للقراء اننا نعرف قدر الكتاب ومقام صاحبهِ. على انَّ الانصاف يحملنا ايضاً على بيان بعض معايب هذا التأليف. اوَّلها انَّ المؤلف لسرعة تنقُّلهِ من بلدةٍ الى اخرى لم يتحقق اموراً كثيرة وَهِمَ في وصفها بل في كتابة اعلامها. فتُرى ما هي مثلاً « كنيسة سيدة فلوفيه » التي زارها في ليون (ص ١٥). فانَّ اسم « فورڤيار » (Fourvières) اشهر من نار على علم. وما هو « مرسح الامبراطور زڤا » في رومية العظمى (ص ١٤٤) فمن هو هذا « الامبراطور زڤا »؟ ألعلهُ يريد « نِرُڤا »؟ وماذا يعني (ص ٢٥) بعوزه « كلاني » ونظنُّهُ يشير الى متحف كلوني (Cluny) الشهير. وعجَلة المؤلف في التنقُّل اسقطتهُ في اغلاط افظع من هذه كبعض احكامٍ غير صوابيَّة حكم بها على الفرنساويين والانكليز والايطاليين ولعلَّهُ وجد في البعض منهم ما لم يرضَ بهِ فعمَّم حكمهُ ونسب هذه المعايب الى كل الأمة فاننا نحن ايضاً سكنَّا زمناً طويلاً في باريس ولندرة وتجوَّلنا في ايطالية وغيرها فلم نرَ الكاتب صادقاً حيث قال (ص ٣٠): « ان اهل باريس جميعاً رجالاً ونساء دانبين (كذا) على كسب الدراهم كيفما اتفق كسبها سواء كان باللطف او بالقحة » وكذلك لم نعهد (ص ٨٠) « ان من شأن الأمَّة الانكليزيَّة الاتباع والاقتداء ثم الاتقان لا السبق والاستنباط » وهو حكم جائر تنقضهُ

العقول النيّرة الواقفة على تاريخ الاختراعات البشريَّة فانَّ لانكلترة فيها قسمًا وافرًا . وقد افرط ايضًا جناب المؤلف في قولهِ (ص ٥٩) عن انفة الانكليز وتيههم . فأنّا بعكس ما قال المؤلف قد وجدنا في اكثرهم من الانس واللطف مدَّة اربع سنوات عشنا بينهم ما لم نجدهُ في غيرهم . وكذا ايضًا لا نسلِّم للمؤلف قولهُ عن كنائس رومية (ص١١٧) انَّ اكثر مشيَّداتها قد تداعت . ونحن نعلم بخلاف الامر انَّ الكنائس القديمة تُرمَّم في كلّ سنة وتُبنى كنائس محكمة الاتقان واسعة البنيان . وكذلك تعجَّبنا من قولهِ (ص ١٤٠) عن كنيسة اليسوعيَّة في رومية انها عُطلى من كل اثر تاريخي فضلًا عن ان لليسوعيين كنائس كثيرة بديعة في رومية فلم يذكر اي كنيسة منها اراد

وما زادنا عجبًا انَّ المؤلف في مواضع شتى ارخى العنـان لاوهامهِ فكتب (ص ٤٨) عن الاكليروس الافرنسي انهُ « يجاهر على ما في اكثر ائمتـهِ من الفضل والعلم بعجائب ومعجزات بعض قبور الاولياء والمناسك ويحضُّ المؤمنين على التداوي بترابها والاستشفاء بآثارها » . فهذا القول لا يحسن بمثلهِ لان الكنيسـة الاورثذكسيَّة كالكنيسة الكاثوليكية لا تنكر المعجزات وشفاعة اوليـاء الله . واغرب من ذلك قولهُ عن الكنائس التي زارها في فرنسـة (ص ١٦) : « وقد ادهشني ما رأيتهُ في الكنائس التي زرتهـا في فرنسا كثرة المنحوتات والتماثيل حتى خُيّل لي ان مسـاجد المسيحيين اصبحت اكثر قربًا لهياكل ديانا وأُمون . . . » واستشهد بآية التوراة حيث انهى الله عن السجـود للمنحوتات . وعاد الى هذا الموضوع مرارًا (ص ٢٥ و ٣٣ و ٣٤) وادَّعى ان هذه التماثيل لم تظهر في الكنيسة الَّا في اواخر القرن العاشر . وكلّ ذلك تحامُلٌ لا محلَّ لهُ في كتاب سيـاحة . ولو اردنا ان نبيّن لجنابهِ بطلان قولهِ لفعلنا وذكرنا لهُ شواهد عديدة تنقض مزاعمهُ وتصرّح عن اكرام التماثيـل والصور الناشئة في الشرق والغرب منذ اوائل الكنيسة . ونكتفي لضيق المكان بقليـل منها فليطالع جنابهُ تاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٨ ف ٢٨) وتاريخ نيقيفوروس (ك ٦ ف ١٥) وكلاهما يذكر ان المرأة التي شفاها المسيح من نزيف الدم اقامت لهُ تمثالًا في مدينة قيسارَّية فيلبُّوس (بانياس) . وكذلك قد وُجد في دياميس رومية عدد كبير من التماثيل المسيحيَّة الراقية الى القرنين الثالث والرابع اخصهما تمثال القديس بطرس وتمثال القديس هيبوليتوس فتعجَّبنا كيف لم يشاهدهما المؤلف في زيارتهِ لمتاحف رومية . بل في

متحف الاستانة العليَّة تماثيل نصرانيَّة قديمة من جملتها تمثال الراعي الصالح

وقد رأينا في كنيسة القديس بولس في لندرة فوق مذبحها الاكبر تمثالَي القديسين بطرس وبولس بينهما تمثال العذراء الطاهرة. وهذا عكس ما ذهب اليهِ المؤلف اذ قال (ص ٥٨) ان كنيسة مار بولس «خلوة من تماثيل القديسين». ثم وجدنا تناقضاً في كلام جناب السائح فانهُ بعد ان زيَّف مرارًا اكرام الكنيسة الكاثوليكية لتماثيل القديسين مدح الانكليز (ص ٧٥) لانهم اقاموا في كنيسة وستمنستر تمثالًا للموسوي بكونسفيلد قال سامحهُ الله «فاجلالتُ امَّةً تضع تمثالًا في كنائسها وبين آثار ملوكها وتماثيل عظمائها لرجل نبغ فيها من ارومة يهوديَّة وقد مات مشكوكًا في نصرانيَّتهِ» كأنَّ تمثال بكونسفيلد احق ان يكرَّم من تماثيل اولياء الله. فما كان الاحرى بالكاتب ان يجل الكاثوليك لإقامتهم هذه الصور التي يكرّمون بها لا مشاهير الرجال بل جلَّة القديسين المعظَّمين ولا فرق بين صورهم ان تكون ناتئة وغير ناتئة لانَّ ذلك عرضٌ محض. امَّا آية التوراة عن الصور فلا تنفي الَّا السجود المخصوص بالله وحدهُ

هذا ولولا خوف الإطالة لاردفنا على هذه اللاحظات غيرها لنبيّن للمؤلف اننا تصفَّحنا كتابهُ بتأنٍ ولم نحمل القول على الحدس والتخمين ل. ش

شَذَرَاتٌ

البعثة النمسويَّة الى بلاد العرب — عاد الى بيروت الدكتور موزيل ورفيقهُ الدكتور ميليك المصوِّر البارع من رحلتهما الى بلاد العرب. وكانت الحكومة النمسويَّة برخصة حكومتنا السنيَّة ارسلتهما الى تلك الجهات لمشروع علمي قاما بهِ احسن قيام. وهذا ملخَّص اعمالهما كما فهمناهُ منهما وقد اجتمعنا بهما عند عودتهما وقبل ابحارهما في ١٣ الجاري. كان سفرهما بعد عيد الفصح من هذه السنة فتوغَّلا في البرّيَّة حتى وصلا الى قبيلة الصخور واجتمعا بزعيمها فاكرم مثواهما وصحبهما مع نفر قليلين من العرب الى حيث احبَّا فركبوا جميعهم الهجن وساروا الى تخوم نجد والحجاز وفحصوا الآثار القديمة الباقية هناك من حدود مصر الى وادي حسبان وبئر سبع والبحر الاحمر وتتبَّعوا طريق الاسرائيليين عند خروجهم من مصر ودوَّنوا اشياء كثيرة تُعرِّف تلك الجهات واحوال سكَّانها وطبائع قبائلها في معاشهم ولغاتهم واناشيدهم

الى غير ذلك مما يعين على مطالعة الكتاب الكريم وفهم معمَّياتهِ . وقد زاروا في غربيّ وادي سرحان عدَّة قصور قديمة شاهقة الارجاء مُحكمة البنيـان هذه اسماؤها : عمرة وطوبة ومشتى ومشيش وحمَّام وازرق وعوينـد والخراني والموقّر . وموقع قصر عمرة في بادية الصوّان وهو خلوٌ من السور ولا معاهد لهُ للسكنى وفيهِ من التصاوير البديعة ما يخلب العقول وهي تُنيف على ٣٠٠ صورة كلهـا بالألوان العجيبة ومنها ما يبلغ طولهُ تسعة امتار في عرض ثلاثة مرسومة على الجدران المطلي بالشيد وقد تمكَّنوا من نقل كثير من هذه الصور التي تمثِل عادات قدماء عرب الجاهليَّة كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع والمناسك الدينية . امَّا بقيَّـة القصور فليس فيها صور ملوَّنة وانما صورها ناتئة محفورة . ولا يُعلم أَكانت هذه القصور لسكنى الامراء ام للدفاع ام لغير ذلك وانما يوجد بينها تشابه حمل الدكتورين على الظن انها لدولة واحد وانَّ مصوّري هذه الطرائف من الروم تولوا عملها لبعض ملوك العرب . واكثرها في حالة حسنة لم تؤذهِ قوارع الدهر . وقد علما انَّ في شرقي وادي سرحان اربعة قصور أُخرى لم يسمح لهما الوقت بزيارتهما

ثمَّ اتجه الدكتوران الى الغرب فزارا عدة امكنة وردت اسماؤها في سفرَي العدد والخروج كبموت (במות) وفينان (פונן) وعيّ (עיי) وهي غير عي عبريم (עיי ה עברים) المذكورة في سفر العدد لانهما تحققا انَّ مسير الاسرائيليين كان على طريق أُخرى واسماؤها الواردة في الكتاب معروفة حتى اليوم عند اهل البادية . وزارا ايضًا بتوك بعل (בתוך ב״ל) في وادي القويجيَّة وحصن نبو (נבו) في خربة المخيط ويعزر (יעזר) وتخوم ارض مواب وهيكل بعل فغور (בעל פעור)

وممَّا اثبتا صحَّة وجودهِ قلعـة العويرة التي رمَّمها الصليبيون وكان البعض انكروا وجودها . وسافرا بعـد ذلك الى وادي عربة في الجنوب ففحصا جهتهُ الغربيَّة . هذه خلاصة تلك الرحلة التي يبني عليها العلماء آمالًا طيبة . ونحن نهنئ الدكتور موزيل تريل كليتنا سابقًا على نجاح مساعيهِ ونتمنى ان يتحفنا قريبًا بتفاصيل سفرتهِ هذه

اقدم مكتبة في العالم — اكتشفت البعثة الاميركية المرخَّصة بحفر عاديَّات نيبور على اقدم مكتبة وُجدت في العالم كانت محفوظةً في هيكل هـذه المدينة اوَّل عاصمة ملوك بابل فلما اخرب العيلاميون في ايَّام ابراهيم الخليل تلك الحاضرة دُفنت مكتبتها معها . وهي عبارة عن ٣٠٠٠٠ كتاب في مواضيم مختلفة كُتبت بالحرف

المماري على الآجرّ فلم يُصبها اذًى. وقد نُقل منها حتى الآن ١٨٠٠٠ كتاب وبقي ١٢٠٠٠ والعلماء يسعون في تنظيمها وقراءتها ولا بدَّ من ان نحصل منها عمَّا قليل على فوائد جليلة عن تلك الازمنة القاصية العهد ولا نشك في انها تؤيد سفر التوراة في امور كثيرة وتزيل عنهُ مشاكل عديدة

اصل الروم الملكيين قرأنا في مجلة الثريّا مقالة تحت هذا العنوان لصاحبها حضرة الخوري الياس زلزل الروميّ الملكي ادَّعى فيها ان ابناء ملّتهِ: « بقايا اليونانيين المتّصل نسبهم بتميستوكل و بريكليس » وهو زعم عجيب لولا انهُ يناقض كل تاريخ صادق يكفي لتفنيدهِ ما قلناه في المشرق (٤: ٦٧٠)

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الاخ ل. ك من دير الشير: ١ً هل يُلذغ حرف الصاد في العربية كحرف الذال ام لا. ٢ً ما هي تآليف القديس يوحنا الدمشقي

لذغ الصاد — تآليف يوحنا الدمشقي

ج انّ العرب يعدُّون الصاد في عداد الحروف المهموسة والاسليَّة لان النفَس يجري معها ولخروجها من اسلة اللسان اي طرفهِ امَّا لذغها فلم ينصّ عليهِ احد ولعلَّها لغة جارية على ألسنة بعض القبائل

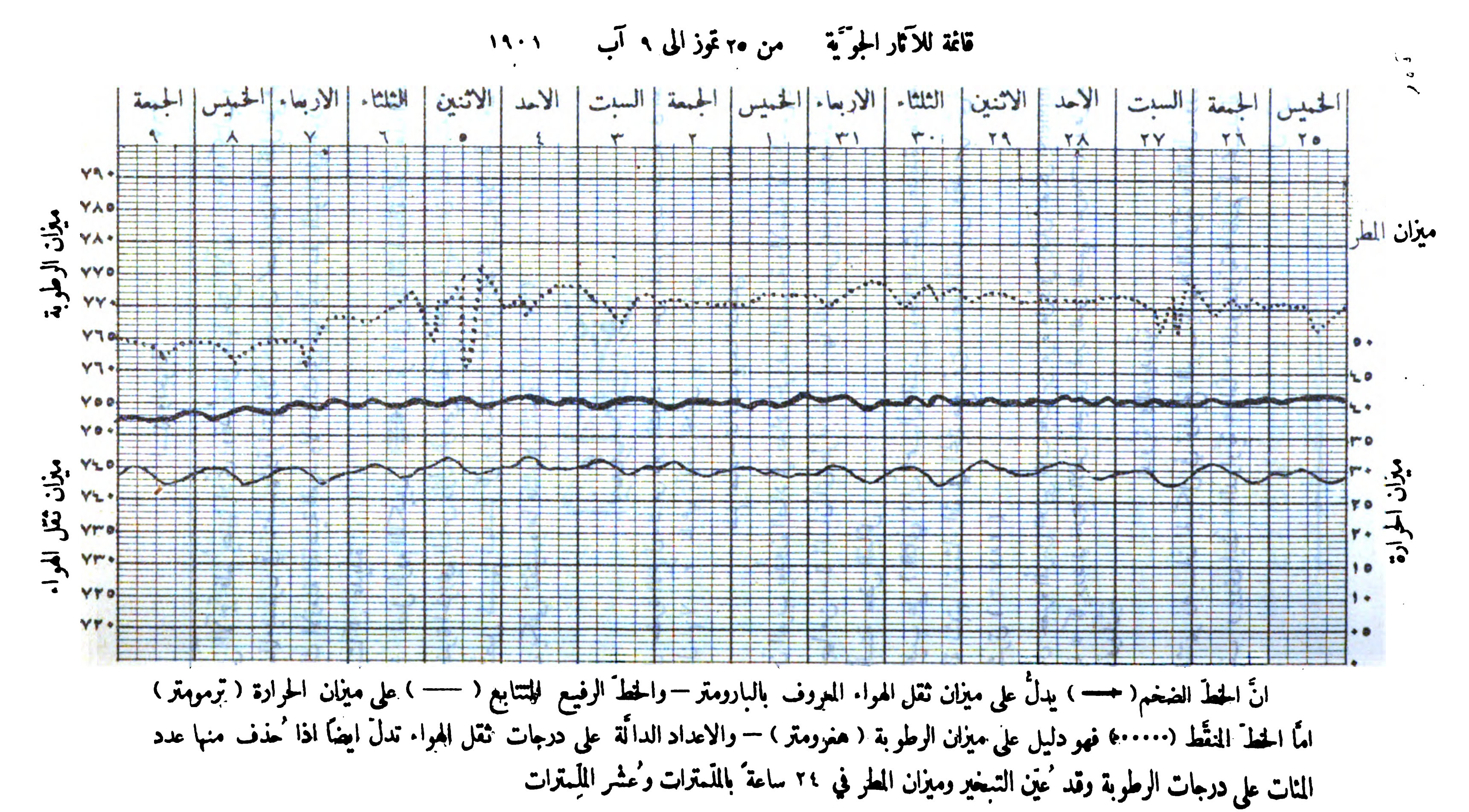
٢ً نجيب على (الثاني) انّ اعمال القديس يوحنَّا الدمشقي عديدة نعدّدها في مقالة مطوَّلة نثبتها ان شاء الله في المجلة مع ترجمة هذا القديس وقد مرَّ شيءٌ من ذلك في المشرق (٢: ٢٨٧)

س وسأل حضرة المُرسل اللاتيني الاب غات من غزَّة هل دُعي رهبان الهيكل (Templiers) باسم « الراوية » كما ورد في تاريخ الانس الجليل لمجير الدين العليمي (ص٢٧٥). وهل عُرفوا ايضًا باسم دويداريَّة

الداويَّة والدويداريَّة

ج اشتهر رهبان الهيكل في تواريخ العرب باسم « الداويَّة » بالدال. وورودهُ بالراء تصحيف. و يروى ايضًا « الدواويَّة ». امَّا « الدويداريَّة » فاسمٌ لم نجد لهُ اثرًا في التاريخ ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٥ تموز الى ٩ آب ١٩٠١



انَّ الخطَّ الضخم (⟵) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

Magâni ou Fleurs de la littérature arabe.

مجاني الادب

Petit in-8°, 6 vol., ensemble 1936 pages, 6e à 20e édition, 1882-1901.

Par le P. L. Cheikho S. J.

C'est, croyons-nous, le recueil arabe le plus riche, le plus varié et le plus complet qui ait été fait jusqu'ici. L'auteur de cette compilation a utilisé près de trois cents ouvrages de choix dont un grand nombre inédits. Les Orientalistes y trouveront un résumé de la littérature, des mœurs et de l'histoire des Arabes depuis l'époque antéislamique jusqu'à la fin du 14e siècle. L'ancienne littérature chrétienne, si peu connue, y figure aussi pour une bonnne part,

Les matériaux de cette Chrestomathie sont disposés en général dans ces six volumes de près de deux mille pages, d'après les différents genres de style. Chaque volume se subdivise en chapitres où sont contenus les divers sujets qui y sont traités: religion, morale, proverbes, fables, récits plaisants, narrations, descriptions, divers genres de poésies, histoire naturelle, voyages, géographie et histoire.

Plusieurs Universités d'Europe, la plupart des Collèges et des écoles d'Orient, le gouvernement égyptien à la tête, ont adopté le **Magâni** comme ouvrage classique, dans leur programme d'enseignement.

		Fr.	affr.
Broché .	chaque volume 320 pages	1,75	0.45
Cartonné	— . . . —	2 »	

Notes sur le Magâni.

شرح مجاني الادب

Petit in-8°, 4 vol., ensemble 1531 pages. 1886 à 1888,

Par le même.

L'étendue de l'ouvrage précédent, sa richesse et sa variété mêmes demandaient nécessairement un complément c'est-à-dire un commentaire philologique, littéraire, historique et géographique sur tous les passages obscurs. L'auteur n'a pas reculé devant cette tâche pénible, qui lui a coûté trois ans de travail. Ces notes, extraites souvent d'anciens auteurs, sont une véritable Encyclopédie orientale à laquelle on peut recourir pour la solution de plusieurs points de l'histoire, de la littérature et des mœurs arabes.

L'ouvrage est suivi d'un vocabulaire des mots les plus difficiles et d'une table donnant par ordre alphabétique l'indication des sujets traités dans les six volumes du **Magâni** ainsi que dans les notes.

Broché, 1er, 2e et 3e vol.,	. . chaque volume	2,75	0,65
Cartonné — — —	. . . . . — —	3,50	
Broché, 4e vol (comprenant le vocabulaire et la table)		2 »	0,35
Cartonné — — —	— — —	2,50	

مرقاة المجاني

لجامع المجاني

جزءان (١١٤ و١١٠). وطبع الجزء الاوَّل عشرين طبعة والثاني اثنتي عشر طبعة

غاية هذا الكتاب الصغير الحجم ترقية الطلاب الى درس مجاني الادب. وهو قسمان يتضمنان ازيد من مائتي صفحة ق ١٨. يبتدى بهما الدارس بمبادي القراءة الى مطالعة الكتب السهلة اللهجة القريبة المأخذ. وفيهما عدة فوائد صرفية ونحوية ومنتخبات ادبية نثرًا وشعرًا مقسمة الى فصول مختلفة

ق ١٨ بغلاف	٣٠	:	١٥
بنصف قماش	٤٥	:	

L'Échelle du Magâni.

مرقاة المجاني

In-18, 1er volume, 114 pages, 20e édition, 1901.

» 2e » 100 pages, 12e édition, 1901.

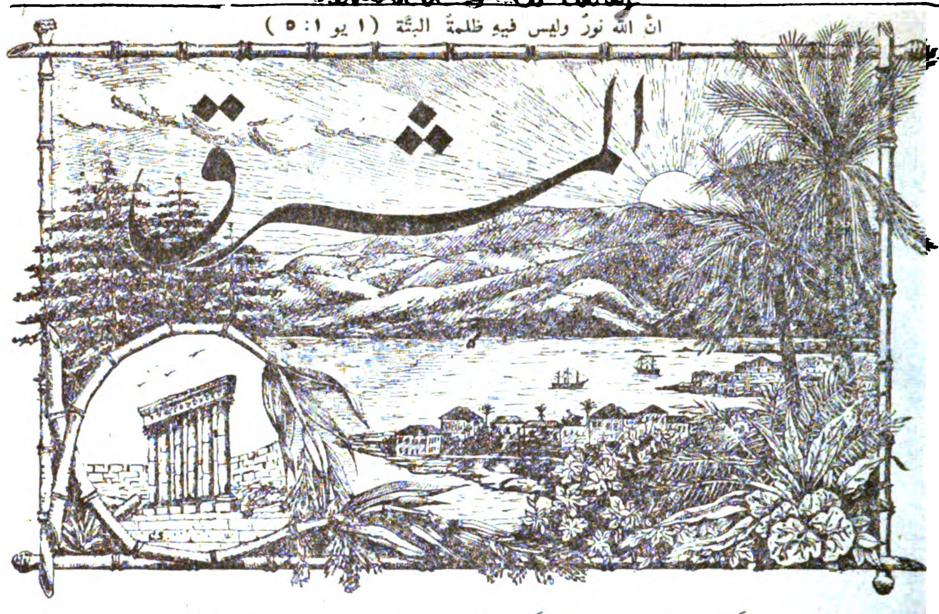
Par le même.

Cet ouvrage a été composé pour servir d'étude préparatoire à l'explication du **Magâni**. Il initie l'élève aux connaissances les plus élémentaires de la langue, et le fait passer successivement par des exercices pratiques sur les différentes notions de la syntaxe ; puis, par de petits traits simples et faciles, des fables, des contes et autres sujets semblables, il lui permet d'aborder la lecture des auteurs plus difficiles qu'il trouvera dans le **Magâni**.

		Fr.	affr.
Broché	chaque volume	0,30	0,15
Cartonné.	— —	0,40	

السنة الرابعة العدد ١٧ ١ ايلول ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 17 (1 Sept. 1901)

فهرس العدد ١٧

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

ألف ليلة وليلة

قد عني بتصحيحهِ وتنقيحهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان في كتاب الف ليلة وليلة ترويحًا للنفوس وبهجة للالباب وتبصرة للعقول الاَّ ان ما دخل فيهِ من الروايات المفسدة للاداب كثيرًا ما يجعلهُ سمًّا ناقعًا لنفوس الاحداث والشبان فعليهِ احب الاب الواقف على طبعهِ ان يجرده عن هذا الخلل دون ان يطمس شيئًا من محاسن هذا الكتاب فنجح في سعيهِ كل النجاح فضلًا عن انهُ حلى طبعتهُ هذه بجملة محسنات تفردت بها دون غيرها

س	ف	قيمة البريد
	٠٣	٧٠

رنَّات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

لكتاب الاغاني واحد وعشرون جزءًا فانهُ كبحر طامٍ لا يخوضهُ الا العلماء فاحب الجامع ان يقرّب موارده لآل المدارس بانتخاب اجود ما جاء فيهِ من الطرائف الادبيَّة والبدائع التاريخية. ولا يخفى ما لمؤلفه الفاضل من الاقتدار على فنّ الكتابة. هذا وانهُ اعلم الناس بتاريخ الجاهلية واخبار الشعراء الاقدمين حتى انهُ ذُكر عن الصاحب ابن عبَّاد انهُ استغنى بهِ عن ثلاثين حِملًا من الكتب كان يستصحبها في اسفارهِ قبل ظهور هذا التأليف البديع

الجزء الاول في الروايات الادبية ق ٨ بنصف قماش		٠٢	٠,٤٠
— الثاني في الروايات التاريخية — — .	٥٠	٠٢	٠,٥٠

المشرق

اصل الامراء والمشايخ في لبنان

نبذة للشماس انطون ابن الشيخ ابي الخطّار العين طوريني

وقف عليهـا وتولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

اقتطفنا هذه النبذة من تاريخ وجيز وُضع قبـل ثمانين سنة. كتبهُ الشماس انطون ابن الشيخ ابي الخطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبَّة بشرّاي في عهد السيد البطريرك يوحنا بطرس الحلو البطريرك الانطاكي وولاية الامير بشير قاسم الشهابي ابتدأ بهِ في شباط من سنة ١٨١٩ وانجزهُ في تشرين الثاني من سنة ١٨٣٥. قال مؤلفهُ انهُ «قاسى في كتابتهِ اتعاباً جزيلة واطّلع على كافة التواريخ الموجودة في جبل لبنان من نصارى واسلام ودام هـذا العمل ١٦ سنة . . . وكان ذلك بمساعدة ومناظرة ومطالعة الحبر السيد الجليل والمعلم الفاضل النبيل المطران يوسف اسطفان معلّم ومثقّف مدرسة عين ورقة». وفي مكتبتنا الشرقية من هـذا الكتاب النسخة الاصلية التي كُتبت بيد مؤلفها. وقد وجدنا منهُ نسخاً أُخر تختلف عنها اختلافاً يُذكر تلاعبت بها ايدي النسّاخ بالزيادة والنقصان. منها نسخة في يد الاديب الفاضل شاهين آغا بدران ثابت في دير القمر. ونسختنا عبارة عن ١٤٧ صفحة طولها ٢١ سنتيمترًا في عرض ١٦س. يدخل في كلّ صفحة ٢٥ سطرًا

والفصل الذي نقلناهُ عن هذا التأليف هو افيد ما جاء فيهِ ولا يبعـد انَّ المؤلف اخذهُ عن مصادر قديمة فزادهُ بذلك فائدة وجدوى

١ اصل بيت معن جدُّهم الاول الامير معن امير العرب الايوبيَّة وهم فصيلة من ربيعة الفرَس كانت منازلهم اولًا في نجد ديار ربيعة ثمَّ نهضوا الى الجزيرة الفراتيَّة. فلمَّا ظهرت الافرنج غزاهم الامير معن في الديار الانطاكية سنة ٥١٣ (١١١٩ م) ولازم الغزوة عليهم فاشتهر اسمهُ. ثمَّ استفحل امر الافرنج في تلك الجهات فرحل الامير معن بالعرب الايوبية ونزل البقاع من الديار الشاميَّة واتخذهم طغتكين التركي صاحب الشام يومئذٍ احلافاً لهُ وامر الامير معن ان يقوم بعشيرتهِ من البقاع ويصعد

الى جبال لبنان العالية المشرفة على ساحل البحر ليطلق الغارة على الافرنج الذين في الساحل البحري · فنهض الامير معن بن معنٍ ونزل الشوف وكان في ذلك العصر قفرًا خاليًا من السكان فكان حلولهُ في صحراء قرية بعقلين وجعل مقرَّهُ فيها وتوطَّنها بنوهُ من بعدهِ واشتهرت امارتهم في جبل الشوف الى ان ظهر منهم الامير عثمان وابنهُ الامير فخر الدين بعدهُ (١ وهو اشهرهم وكان صاحب الدعوة للسلطان الاعظم والخاقان الافخم سليم خان العثماني فاتح مصر حين قدم الى الشام · ثمَّ ظهر بعدهُ من بنيهِ فخر الدين (٢ المشهور الذي اشتدَّت شوكتهُ وعظمت شهرتهُ ووطئ برجلهِ وخيلهِ غالب الديار حتى شاعت مهابتهُ في كثير من الاقطار وحوادثهُ ومواقعهُ كثيرة واشتهارهُ يغني عن ذكرها · ثمَّ حاربتهُ الدولة العليَّة وقبضت عليهِ عساكر الكجك في مغارة جزين وأُرسل الى اسلامبول فقُتل فيها سنة ١٠٤٥ (١٦٣٥) · ثمَّ قام في الامر بنوهُ بعدهُ الى ان ظهر منهم الامير احمد وهو آخرهم وبهِ انقطعت امارة المعنيين وكانت وفاتهُ سنة ١١٠٩هـ (١٦٩٧م) ولم يترك ولدًا

٢ اصل بيت تنوخ ينتسبون على ما رُوي (٣ الى الملك النعمان بن المنذر بن ماء السماء والى لخم وجذام · ويقولون انهُ لمَّا قتل كسرى النعمانَ وتفرَّق شمل بنو النعمان بين قبائل العرب نزل منهم قحطان على قبيلة من قبائل تنوخ فولد لهُ عندهم ولدٌ سمَّاهُ تنوخ فقام اميرًا عليهم فاطاعوهُ · وتلك القبيلة هي اول طائفة وردت الى لبنان وكان نهوضهم اولًا من البرّيَّة الى جبل الاعلى ومنهُ الى غربي لبنان . ففي سنة ٣٠٥هـ (٩١٨م) توطَّن الامير تنوخ حصن سرحمور الواقع في مقاطعة الغرب التحتانية وكانت قفرًا وتفرَّقت القبائل في تلك البلاد · وكان الامير تنوخ يلقَّب بالمنذر فجعل يحكم بينهم وخلفهُ بنوهُ من بعدهِ الى ان ظهر منهم تنوخ ايضًا فعظمت شوكتهُ وضمَّ الكل اليهِ وقام فيهم اميرًا وثبتت الامارة لبنيهِ من بعدهِ حتى ظهر منهم الامير ظهير الدين كرامة ابن بحتر وبهِ سادت الامارة التنوخيَّة وبنوهُ لا يتجاوزونهُ

---

١) هو فخر الدين الاول وقد فوَّض اليهِ السلطان سليم كل امور الشام . وكانت وفاتهُ سنة ١٥٤٤. ٢) هو فخر الدين الثاني ابن قرقماس بن فخر الدين بن عثمان

٣) راجع ما دوَّناهُ في السنتين الاوليين من المشرق عن تاريخ بيروت واخبار الامراء من بني الغرب نَقلًا عن صالح بن يحيى

بالانتساب ولم يشتهر منهم قبلهُ احد. ثمَّ قام بعدهُ ولدهُ حجه ثمَّ بنوهُ بعدهُ وسكن في قرية عَبَيْه في الغرب الاعلى وعمَّر بها سرايات عظيمة مشيَّدة لا يوجد في تلك الاماكن مثلها في جبل الشوف. وهي باقية الى عصرنا هذا لاجل حسن بنائها. ولم يزل بنو تنوخ في الملك الى ان اشتدَّت الفتنة بين القيسيين واليَمَنيين فغار الامير علي ابن علم الدين اليمني عليهم في قرية عبيه فدهمهم وهم في الحمَّام وقتل منهم جماعة ثم وثب على منازلهم وقتلهم من كبيرهم الى صغيرهم ولم يُبقِ منهم احدًا وذلك سنة ١٠٤٣ ﻫ (١٦٣٣م)

٣ اصل بيت علم الدين هؤلاء فرع من الامراء التنوخيَّة (١ كانوا يسكنون جميعًا عبيه فحصلت بينهم منازعات فانتقل منهم واحد وسكن عرامون الغرب وعمرها ثمَّ خلفهُ الامير حسَّان ثمَّ الشيخ مظفَّر واشتدَّت سطوة بيت علم الدين ومالوا الى اليمنيين وقويت شوكتهم. ثم خلف الشيخ مظفرًا الاميرُ علي علم الدين صاحب السطوة الكبرى. وكان هذا الامير ذا شجاعة وكرم عظيمين حتى ضُرب لهُ فيهما المثل. ولهُ وقائع وحروب عديدة وحضر حصار بغداد مع السلطان مراد (الرابع) سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨م). وهو اول من جاء برأس قطعةُ فيها وكان فتوحها عن يدهِ وحصل لهُ حظٌّ وشأن عند السلطان. وانعم عليهِ بخطّ شريف في حكومة بلد الشوف وهو الذي قتل امراء تنوخ الاربعة في عبيه في ساعة واحدة وتلاشت دولتهم عن يدهِ واستقام امرهُ وامر بنيهِ الى ان صارت واقعة عين دارا بين اليمنيَّة والقيسيَّة فانقرضت فيها سلالة علم الدين سنة ١١٢٣ (١٧١١)

٤ اصل الامراء الشهابين جدُّهم الاوَّل الحرث بن هشام المخزومي القرشي. والحرث المذكور قدم من الحجاز اميرًا على جيش بني مخزوم سنة ١٥ﻫ (٦٣٧ م) صحبة الجيوش التي وجَّهها ابو بكر الصديق الى فتوح الشام وحضر جميع المواقع التي صارت في اليرموك ومرج الصفر في اراضي حوران. وكانت تلك المواقع جميعها مع الروم ثمَّ قُتل الحرث المذكور في حصار مدينة دمشق في السنة المذكورة. فقام بعدهُ ولدهُ مالك وحضر الغزو والجهاد الى ان فُتحت دمشق فانتقل

---

١) قد مرَّ كثير من اخبارهم في تاريخ بيروت وامراء بني الغرب الذي نشرناهُ في المشرق فليُراجع

مالك باهلهِ وعشيرتهِ الى حوران بامرٍ من الخليفــة عمر بن الخطَّاب ونال فيها الامارة وبنوهُ بعدهُ. ومالك المذكور هو الملقَّب بشهاب لان اباهُ تزوج ابنةَ شهاب بن عبدالله ابن ابي زهرة القرشي من رهط امينة المعروفة بامّ المؤمنين فولد لهُ مالك هــذا فلقَّبهُ شهاباً تبركاً بجدهِ شهاب بن عبد الله وقيل لولدهِ بنو شهاب. ثم انتقل بنو شهاب من حوران الى بلاد وادي التيم لسبب يطول شرحهُ وذلك سنة ٥٦٩ (١١٧٣ م) فاستولوا عليها عنوةً من الفرنج وتأمَّروا عليها بعهد من السلطان نور الدين محمود بن زنكي الشهير بالشهيد ملك الشام يومئذٍ. وكان الامير فيهم منقذ الشهابي. فتوطَّن البــلاد المذكورة اميرًا وبنوهُ من بعدهِ وكانت اقامتهم في حاصبيَّا الى وفاة الامير منصور الملقَّب بالبقري سنة ١٠٠٦ (١٥٩٧ م) فقام بعدهُ بالامر ولداهُ الامير علي والامير احمد فاشتدَّت الفتنة بينهما ثمَّ اتفقا على ان يقتسما بلاد وادي التيم بينهما نصفــين: فتولى الامير عليّ حاصبيَّا واستقرَّ فيها وجعل الامير احمد مقامهُ في راشيَّا واستقرَّ بنوهُ فيهــا الى عصرنا هذا

ثمَّ لمَّا كانت السنــة ١١٠٩ (١٦٩٧ م) توفي الامير احمــد المعنيّ بلا عقب فانقطعت بهِ السُّلالة المعنيَّة. فاجتمع وجوه جبــل الشوف واكابرهم واحضروا الامير بشير الشهابيّ ابن الامير حسين ابن الامير احمد امير راشيَّا لانهُ كان ابن شقيقة الامير احمد المعنيّ وجعلوهُ اميرًا عليهم وتولى مكان آل معن. فاستقام لهُ الامر بعد حوادث يطول شرحها واستقرَّ في دير القمر ووضع يدهُ على جميع عقارات آل معن واقطاعهم وولاياتهم ومتروكاتهم الى ان توفّي بعــد ولاية تسع سنين وكانت وفاتهُ سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥م) فولّى وجوه الشوف مكانهُ الامير حيدر ابن الامير موسى من امراء حاصبيَّا وكان هو الاحقّ بالولاية لانهُ كان ابن ابنة الامير احمد المعنيّ فاستقرَّ واليًا وكسا الامارة ثوب الصيانة وادَّى الولاية حقَّ الامانة واورثها لبنيهِ من بعده. وتوفّي سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠م) وترك تسعة اولاد ذكور فصارت الولاية الى اكبرهم الامير ملحم الى سنــة ١١٦٧ (١٧٥٣ م) فتولى اخوهُ الامير احمــد وكانت وفاة الامير ملحم سنة ١١٧٣ (١٧٥٩م) ثمَّ تغلَّب الامير منصور على اخيهِ الامير احمد وانفرد بالولاية الى ان تغلَّب عليهِ الامير يوسف ابن الامير ملحم ونزع عنــهُ ولايتهُ سنة ١١٨٥ (١٧٧١م). وكانت وفاة الامير منصور سنة ١١٨٨ (١٧٧٤م) ودامت ولايتهُ ١٨ سنة. وثبت الامر في يد

الامير يوسف الشهابي وكان اخذ سابقاً من وزير طرابلس ايالة بلد جبيــل سنة ١١٧٧ (١٧٦٣م) وكان حاكماً عادلاً رحوماً وعمَّر البلاد وسنَّ السُّنن العادلة. وبقي حاكماً مدَّة ١٨ سنة ولهُ مع الجزَّار والي صيداء اخبار طويلة فسلَّم الحكم بخاطرهِ لابن عمهِ سعادة افندينا الامير بشير ابن الامير قاسم ابن الامير عمر سنة ١٢٠٣ (١٧٨٨م). وقُتل الامير يوسف في عكا سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠م) قتلهُ الجزَّار وعمرهُ اربعون سنة. وسعادة الامير بشير حكم تحت دير القمر وبلاد جبيــل وتوابعها ومشى بكلّ عدل وحلم واجرى الاحكام الشرعيَّة على العالي والدون ولم يقم من قبلهِ حاكم عادل مثلهُ ولم يقبل الرشوة ولم يحابِ احداً. وكان اغلب دعاوي الرعيَّة يسمعها بذاتهِ.... نسألهُ تعالى ان يطيل في ايَّام دولتهِ لراحة عبيده وهو امير هذا العصر والاوان أدامهُ الله الى منتهى الزمان امين

٥ ❧ اصل بيت ابي اللمع ❧ يقال انَّ اصلهم من بني فوارس احدى الطوائف العشر القادمة من الديار الحلبيَّة الى غربيّ لبنان. ومن سلالة فوارس كان ابو اللمع الذي توفي سنة ١٠٦٢ (١٦٥٢م) وسكن بنو ابي اللمع بعد تفريق الطوائف المذكورة في الديار اللبنانيَّة في متن لبنــان الى ان قويت شوكتهم وتقلَّب بهم الزمان فصاروا مقدَّمين وبقوا مع ذلك الى ان قدم بنو شهاب الى الديار اللبنانية وكان يتولَّى امرهم الامير حيدر الشهابي. فوقعت الحرب بين اليمنية والقيسيَّة فظفرت القيسيَّة واشتهرت شجاعــة بني ابي اللمع في يوم عين دارا سنة ١١٢٣ (١٧١١م) فأمرهم الامير حيدر واطلق اسم الامارة على كبيرهم وصغيرهم وجعل بينهُ وبينهم مصاهرة وهم باقون على ذلك الى عصرنا

٦ ❧ اصل بيت ارسلان ❧ جدُّهم الاوَّل هو الامير مسعود بن ارسلان بن مالك وهو الذي قدم مع الطوائف العشر المذكورة. وعند قدومهِ سكن في ارض سن الفيل الواقعة على نهر بيروت ثمَّ نهض منها الى قرية الشويفات فعمَّرها وتوطن فيها هو وبنوهُ من بعدهِ الى عصرنا هذا

٧ ❧ اصل بيت عسَّاف وبيت سيفا حكَّام غزير ❧ لمَّا فتح المسلمون سنة ١٣٠٧م كسروان وما يليها وحرقوها بقيت خراباً مدَّة سنين كما هو مشروح عنها في تاريخ المطران جبرائيل القلاعي اللحفدي. ثمَّ التزم ملك الشام ان يحافظ سواحل

البحر من غزوات الافرنج فارسل قوماً من الاكراد والتركمان ليحاموا عن هذه الاماكن ومنهم كان الامراء الاكراد الذين في كورة طرابلس ومنهم الاكراد والتركمان الذين سكنوا سواحل كسروان مثل زوق مصبح وزوق مكائيل وزوق الخراب واماكن اخرى من شطوط البحر. وكان ملك الشام يمدُّهم ويقوّيهم بالعساكر والذخائر والدراهم مدَّة مديدة. وقد ظهر من هؤلاء رجل يدعى عسَّافًا كان صاحب بطش وذا مال فاخذ السكنى في قرية غزير. وكانت تسكنها وقتئذٍ عيلة يقال لها حبيشيَّة (١ وهم من سكَّانها الى يومنا هذا. وعسَّاف المذكور ابتنى سراية في القرية وبجانبها جامعًا واشتدَّ بأسهُ في قرية غزير وتأمَّر وامتدَّ حكمهُ من حدود نهر الموت بين انطلياس والبوشريَّة الى النهر البارد بين عكار والضنيَّة وقوي بأسهُ وعظم قدرهُ واجرى كلَّ عدل وكان يحكم باسمهِ مقدَّمون في بلاد جبيل و بلاد البترون وجبَّة بشرّاي كلٌّ بمكانهِ وتحت طاعتهِ. وتوفي الامير عساف في سن الشيخوخة سنة ٩٢٤ (١٥١٨ م) وخلَّف ولدًا يقال لهُ الامير مصطفى (٢ اقتفى بآثار والده وتولَّى جميع الاماكن والارزاق التي كانت لوالدهِ. وخلفهُ ولدهُ الامير محمد وفي ايامهِ تولَّى بنو حمادة حكم بلاد جبيل بعد قتلهم مقدَّمي جاج الاربعة (٣ كما هو مفسَّر في تواريخ بيت حمادة. وفي ايامهِ قام بيت الشاعر من تولا الى المرقب. واستقام الامير محمد في غزير حاكمًا وتوفي متوسّط العمر ولم يترك زرعًا. وكان موتهُ قتلًا اغتالهُ يوسف باشا سيفا الكردي والي طرابلس سنة ٩٩٩ (١٥٩٠م) وهو سائر الى عكَّار لجمع المال الاميري فوضع لهُ يوسف باشا كمينًا بين البترون والمسيلحة فقتلوهُ ثمَّ تزوَّج حرمتهُ وتولَّى تحت بيت عساف مع ايالتهم وأرزاقهم واسبابهم. ودامت ولايتهُ عدَّة سنين وتوفي سنة ١٠٣٤ (١٦٢٤م) وكان بينهُ وبين فخر الدين قرقماس المعنيّ حاكم جبل الشوف حروب طويلة منها الواقعة التي كانت بين نهر الكلب وجونية سنة ١٠٠٩ (١٦٠٠م) انكسر فيها

١) والصواب ان آل حبيش سكنوا غزير بعد حلول آل عسَّاف فيها (راجع ملحقنا التاريخي لغزير في المشرق ٣: ٢١٤-٢٢٨)

٢) في كتاب اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق (ص١٦٣) لم نجد ذكرًا لمصطفى المذكور وانما يذكر بدلهُ منصورًا وهو ابو الامير محمد الذي توفي بلا عقب

٣) راجع اخبار الاعيان (ص١٦٧)

يوسف سيفا. ألَّا انَّ الضغائن بينهما لم تخمد الى سنة وفاة يوسف باشا. وتولَّى بعدهُ ابنهُ الامير قاسم فسكنت نار الحرب بينهُ وبين امراء جبل الشوف الى ان اسعرها ثانيةً الامير محمد بن معن فقوي على بني سيفا وطردهم من غزير وحرق البلدة. ثم رجع ابن سيفا الى غزير وحصلت هدنةٌ بينهُ وبين الامير محمد. وبعد ذلك بزمن عاد آل سيفا الى ظلمهم فارسلت الدولة العليَّة من يحاربهم فقبض شاهين باشا على الامير عساف اخي الامير قاسم وقتلهُ سنة ١٠٤٧ (١٦٣٧م) وقتل اتباعهُ وتلاشت دولة آل سيفا من كلّ محل ودخلت قرية غزير وكسروان حكم في جبل الشوف الى يومنا هذا

(الباقي للآتي)

الاعلام الاجنبيَّة في اللغة العربيَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي

قد طرق المشرق هذا الباب غير مرَّة فتبيَّن لكل ذي عين اننا في حاجة ماسَّة الى معجم جغرافي يعتمد عليهِ ارباب الصحافة لنقل الاعلام الاجنبيَّة الى اللغة العربيَّة. ولمَّا لم نسمع حتى الآن صدى لصوت مجلَّتنا احببنا ان نعود الى هذا الموضوع فنعزّز ببعض الملاحظات ما كتبهُ المستشرق الشهير نالّينو (المشرق ١ : ٨١١) وصاحب العزَّة الامير الفاضل شكيب ارسلان (١ : ٨٧١) فان وقع كلامنا موقع القبول فذاك ما نتمنى والَّا اعتصمنا بحبل الصبر ريثما يضرب غيرنا على هذا الوتر فينال ما لم نقوَ على ادراكهِ (١

١

اعلم انَّ لهذه المسئلة كما لغيرها من المسائل العلمية وجهين مختلفين وجهٌ نظري

١) وهنا يحسن بنا ان نعرّب ما كتبتهُ «مجلَّة الآداب الشرقيَّة» الالمانية (في سنة ١٨٩٨ ص ٢٧١) اطراء لمقالة الامير شكيب ارسلان قال: «انَّ ملاحظات الامير والكاتب البارع حريَّة باعتبار العلماء. وبهذه النسبة نستلفت انظار المستشرقين الاوربيين الى ما يكتبهُ في المشرق بعض الافاضل. فانَّ رصفاءنا قد ساؤوا ظنًّا حيث زعموا انَّهم في غنى عن مساعدة الشرقيين المحدثين في في ابحاثهم العلميَّة...»

ووجه عملي فلا يكفي لحلّها ان تعرف نظريًّا انها من المباحث المهمّة التي ينبغي استدراكها فلا بُدَّ مع ذلك ان تعلم الوسائط الكافلة بهذا الامر المزيلة لشُبَهِهِ. وعليهِ فنقول (١ :

انَّ الاعلام الجغرافية لا تخلو من احد امرَين: امَّا انَّها كانت معروفة عند قدماء العرب وكتبتهم وامَّا انهم جهلوا هذه الاسماء. وفي كلتا الحالتين بعض الإشكال كما سترى

دَعنا في بادئ الامر نبحث عن الاعلام الاجنبيَّة التي لم يعرفها القدماء. تُرى كيف ننقلها الى العربيَّة. لا جرم انك تجيب فلتُنقل كما تُلفظ. على رسلك فان الاصل الاجنبي نفسهُ يختلف اختلافًا كبيرًا فان للمدينة الواحدة اسماء مختلفة على اختلاف الشعوب فاي لفظ يختار المعرِّب أيقول في تعريب پرسبورغ (Presbourg) وانڤرس (Anvers) وراتسبون (Ratisboune) ومالين (Malines) ومونيخ (Munich) وسولور (Soleure) كما روينا تبعًا للفظ هذه الاعلام عند الفرنسويين او يقول بالاحرى وفقًا للفظها الاصليّ الشائع في امكنتها پوزوني (Posony) وأنتڤِرْپن (Antwerpen) وريغنسبرغ (Regensburg) وميخيلين (Mechelen) ومُنخن (München) وسولوثرن (Solothurn) وبين اللفظين كما ترى بونٌ عظيم. ولعلَّ كثيرين اذا سمعوا « انتڤرپن » لا يفهمون اني اريد مدينة انڤرس من حواضر بلجكة ويزيد المشكل ابهامًا اذا لحظت انَّ في الاعلام الاعجميَّة حروفًا لا توافق العربيَّة وربَّما اسقط الاهلون منها في الاصل بعض حروفها لا يلفظونها كقول الانكليز في ڤرِسِسْتر (Worcester) ڤُرْستر (Worster) باختلاس لهجة منها

هذه بعض المشاكل في تعريب الاعلام الاعجميَّة فما الوسيلة يا رعاك الله الى بلوغ الطريقة المثلى في نقلها الى لغتنا العربية. دونك ما ارتأينا في ذلك لعلَّ الادباء يجدون فيهِ فائدة

نقول اولًا ولا نظنُّ ان احدًا يتعرَّض لنا في ذلك انهُ ليس بمستحسن اتّخاذ لفظتين او ازيد لمسمًّى واحد فلا يُقال تارة « لندن » وتارةً « لندرة » او حينًا « ميلانو » وحينًا « مديولانو » او « ميلان ». وكذا يقول البعض لعاصمة روسية الثانية « مُسكا »

(١ راجع مقالةً لنا في هذا الصدد حرَّرناها في البشير (٢٠ ك ١ ١٨٩٣)

و« مسكو » . ويقولون لعاصمة مستعمرة رأس الرجاء الصالح « مدينة الرأس » و « كابڤيل » و « كابتون » فان تعدُّد الالفاظ لعلَم واحد ممَّا يورث التشويش ويزيد الابهام

نقول ثانياً انَّ مراعاة العادة في تعريب بعض الاعلام الاعجميَّة لمن احسن الوسائل لتدوينها في الجرائد والمجلات . وعليهِ فاني ارى انَّ كتابة «انڤرس» افضل من « انتڤربن » لشيوع الاولى دون الثانية . وكذا جرت العادة على تعريب « فلورنسة » بدلًا من « فيرنزة » والعادة كما لا يخفى معلِّمة صادقة لا يشذُّ مَن ألفها . وان قيل ربَّ اعلام اعجميَّة عرَّبها ارباب القلم سهوًا فجرى المتأخرون على هذا الغلط افليس احرى ان تُصلح هذه الاغلاط . جوابنا ان هــذا الاصلاح ربَّما كان اغرب من الغلط نفسهِ فيصحُّ وقتئذٍ المثل السائر « الغلط المشهور خير من الصواب المهجــور » اللهمَّ الّا في بعض المعجمات التي يمكن اصلاحها لغرابة تعريبها مثال ذلك « بورتسعيد » فاننــا نرى ان اقحام التاء في وسطهِ ثقيل على السمع

نقول ثالثاً اذا وجد الكاتب انَّ العادة لم تثبت بعدُ على لفظ واحد فنشير عليهِ ان يراعي لفظ الكلمة كما اتفق عليهِ اهل البلد لانهم اعلم بهِ من غيرهم . فيقال مثلًا « لنــدن » كما يلفظ الانكليز لا « لندرا » كما يقول الايطاليون ويُقال « رومة » لا « رومية »

نقول رابعاً انَّ في تعريب الاسماء المنسوبة الأَولى ان توضع ياء النسبة على الموصوف الاصليّ لا على الصفة . فتقول مثلًا « اسبانيّ وايطاليّ واميركيّ وبلجكيّ » نسبة الى اسبانية وايطالية واميركة وبلجكة بدلًا من « اسبانيولي وايطاليانيّ واميركانيّ » . والصورة الاولى كما ترى اخفُّ على اللفظ واقرب الى قوانين اللغة العربيَّة

٢

هذا اذا كانت الالفاظ اعجميةً لم يوجد لها اثر في كتب العرب امَّا اذا كان العرب سبقوا واستعملوا هذه الالفاظ فيقتضي الامر ايضًا نظرًا في استعمالها . فان كان اصلها عربيًّا فعندنا ان تُكتب على لفظها العربيّ فيقال مثلًا « الوادي الكبير » لا « كوادلكڤير » (Guadalquivir) ويقال « وادي الحجــارة » لا « كوادالكسارة » (Guadalaxara) و « الجزائر » لا « ألجير » و« جبل طارق » لا « جبرَلتار » . وامَّا اذا كان اصلها اعجميًّا فعرَّبها قدماء العرب فالاولى الاقتفاء بآثارهم اذا كانت الفاظهم مأنوسةً موافقة للاصل

الذي نقلوا عنهُ. فهكذا تقول « مالقة » بدلًا من « مالغا » (Malaga) وتقول « اشبيلية » لا « سيڤيلية » (Séville) وتقول « بندقيَّــة » لا « فينيز » او « ڤِنديك » وتقول « سَبتة » لا « سوتة » (Ceuta) و « وهران » لا « اوران » (Oran). و « بجاية » لا « بوجيا » (Bougie) واعلام اخرى كثيرة كنَّا نودّ ان يجمعهــا بعض الادباء في معجم ليرجع اليهــا الكتبة عند الحاجة لاسيَّما المصريين الذين شحنوا مقالاتهم بمثل هذه الاغلاط ونقلها عنهم اهل الشام

امَّا اذا كانت الالفاظ القديمة معرَّبة مماتة يجهلهــا اكثر القرَّاء او غير مأنوسة فرأَينا ان يُفضَّل تعريبها الحديث على التعريب القديم. مثال ذلك: « انكلترة » بدلًا من « الأَنكطار » وجزيرة « سيلان » بدلًا من « سرنديب » و « بكين » بدلًا من « خان بالق » و« مدريد » بدلًا من « مجريط » وجبل « سِيَرَّا نوڤادا » بدلًا من « جبل شُلَير » والبحر « الاسود » بدلًا من بحر « بُنطس (١) » فاننا نفضّــل الاصطلاح الحديث لانَّ الغــاية من الكتابة فهم الجمهور والجمهور لم يسمع قط الاعلام الغريبة كما وردت في الاصطلاح القديم

٣

وان سأَل السائل وكيف يتمُّ هذا الاصلاح المنويّ ويُستدرَك هذا الخلل الفاشي. اجبنا انَّ ذلك يستدعي انشــاء لجنةٍ من ذوي الخبرة ممَّن لهم إلمام بكتب البلدان القديمة ويعرفون الجغرافية معرفة تامَّة. فاذا تشكَّلت جمعيَّة كهذه تحتَّم عليها:

اولًا ان تدوّن معجم الاعلام التي وردت في كتب العرب مع بيان اسماء الادباء الذين استعملوها

ثانيًا ان تُفرز بين هــذه الاعلام ما تراهُ سَهل المأخذ قريب المنال ليجري على مقتضاهُ الكتبة المحدثون

ثالثًا أن تقرّر للاعلام التي لم تُذكر في تآليف الاقدمين صورةً معلومة مأنوسة الاستعمال موافقة للذوق الشرقي

رابعًا ان تبيّن متى يُقتضى نقل هذه الاعلام الى العربيَّة بلفظها ومتى يفضَّل ترجمة

(١) تعريب اللفظة اليونانيَّة πόντος ومعناها « البحر ». وقد صحَّف بعض قدماء العرب هذه الكلمة فجعلوها « نيطس » و « نيطش »

معناها نحو : « خط الاستواء » بدلا من « آكواتور » و « مدينــة الرأس » بدلًا من « كابتون » و « الارض الجديدة » بدلًا من « تارنوف » (Terre-Neuve) او « نيوفوندلند » (Newfoundland)

خامساً ان تقرّر للحروف الاعجميَّة حروفًا توافقها او تقرب منها في العربيَّة لئلا يُنقل الحرف الواحد بحروف شتى كحرف g تراهُ منقولًا تارةً بالجيم وتارةً بالكاف او بالخاء والغين . واذا اقتضى الامر فعلى هذه اللجنة ان تستعير للدلالة على بعض الحروف الاعجميَّة حروفًا من الفارسيَّة او التركيَّة لتمام الفائدة

واذا تجرَّدت لجنة كهذه لمثل هذا المشروع لا نشكُّ في انَّها تجد وسائل أُخر لبلوغ القصد وتنهج للمعرّبين طريقًا لحبًا يسلكونهُ بلا عناء . هذا وكنا منذ بضع سنين سمعنا انَّ ذوي الهمَّة من ادباء المصريين كانوا أنشأُوا في القاهرة جمعيَّة لتنظر في امور اللغــة ومصطلحاتها فلا نعلم ماذا كان من امرها . وعلى كل حال انَّ في مصر وسائط عديدة لانشاء لجنة ادبيَّة تتفرَّغ لاشغال خطيرة كهذه . ولِمْ لا تقيم الجمعيَّة العلميَّة المصريَّة فرعًا لِفئتها يتوخَّى هذه الغاية فيكسب بذلك ثناء الجمهور وتضيف الجمعيَّــة الى مفاخرها السابقة هذا الفضل الجديد وترأب الصدع قبل ان يتفاقم

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

معتقداتهم (تابع)

ومن معتقد الصابئة ان « مانا » هو نفس العالم . وان هذه النفس بكونها بشريَّة لا تُرى. وبكونها نفسَ العالم تُرى على حد ما تُرى الشمس في البحر . وهــذه النفس لم تكن متوانية ولا عاجزة ولذا غدت أمًّا لأُلوهيَّتها على طبق ما تلد النار نورَها . وهذه الأُلوهة واسمها عندهم : « پيري » (اي الطائر الاعظم او الفقنّس) لا متبدّلة ولا فانية . ثمَّ كأنَّها وضعت بيضةً في مأواها النيّر (واسمهُ عندهم : آيَر وهو الملء الالهيّ Plérome) فجاءت عنها موجوداتٌ شبيهةٌ بهــا ازليَّة مثلها واسمها كاسمها اي « پيري » واول

موجود وُجد من زلال (لا من محّ) هذه البيضة كان «مانا مَلكا دَنْهورا» ثم صدر عنها انواع اخرى من الـ«مانا» الواحد من الواحد والشيء بعد الشيء.. ثم وُجدت النـار الآكلة والنور والماء الحي والحياة نفسها. ثم ان هذه الحياة التي وُجدت آخر الكل كانت ثلاثيَّة. وكل حياة منهـا تفوق صاحبتها قدرًا ومنزلةً بحسب دنوّها من مصدرها. فـ«هَيّي قدمايي» او الحياة الاولى (وان شئت فقل الحياة الاول. لانَّ مدلولها مذكر) هي ثابتة وغير متزعزعة وشبيهة بالإلهيَّة العظمى. وابنتها وهي: «هَيّي ثنياني» اي الحياة الثانية ويُقال لها ايضًا «يوشامَنْ دَخيا» فانها لا تخلو من عيب ورذيلة لانها طامحة البصر الى التسلُّط. وابنتها وهي «هيّي ثلثايي» اي الحياة الثالثة ويقال لها ايضًا «أواثَر» فانها غبيَّة وجريئة. ولذا دفعتها رغبتهـا الى مشارفة اعماق «ميًا أسيافي» اي الماء الازرق ويُراد بهِ ايضًا الماء الاسود (١ فرأت فيها صورتها. وهذه الصورة انقلبت صورة ابنها مع ان ذلك المثال لم يكن الَّا من الظواهر الخادعة الكاذبة. ووُلد بعد ذلك «پتاهيل» وكان مكَّارًا جبَّارًا اذ يروى عنـهُ انهُ خلَّص السيَّال الذي وُجد فيهِ من نارهِ السرّيَّة حتى غدا صَلبًا. وهو ايضًا ابو البشر وخالقهم. لكنهُ لم يُعطَ قوَّةً يتمكَّن بها من إيداع الجسد الذي يخلقهُ نفسًا (نِشِمْتا) تُحييهِ. امَّا الذي نفخها فيهِ فهو «مَلكا دنهورا» وهو الذي اقام ايضًا تلك النفس سيدةً على العالم المخلوق. وهـذا التصرُّف اثار الحسد في صدور مدبّري النجوم فانقضُّوا انقضاض الصاعقـة على الارض وأذَوا النفس شرّ اذيَّة.. ولم تقع هذه الامور كلها جمعاء الَّا بعد ان عُيِّن لها ما يضادُّها ممَّا هو خير منها ثمّ ان السماء احتجبت بسماحٍ من «أواثَر» بحجاب الظلام الخارج من الجحيم بعد ان كانت رائقةً متلألئةً حينما خرجت من يد «جبرائيـل» اقدم الروحانيين. وبعد ذلك استشاط «اواثر» غضبًا وعاقب الجانين عن بكرة ابيهم فحكم على «پتاهيـل» ان يبقى مصفَّدًا بالسلاسل الى نهاية العالم. وحكم على مدبّري النجوم ان تؤذيهم النـار عوضًا من أن يُشعُّوا نورًا. ثم بُعث «هيقل زيوا» والفضل في ذلك راجع الى جبرائيل. فكان رسولَ الحياة. ولمَّا لم تكن قوّتهُ ادنى من قوة سائر الروحانيين اعاد الى العالم الارضي بهاءهُ ورونقهُ وقوّى روح الانسان الاول وروح حامَّتهِ ليقاوموا كل المقامة من

١) على حدّ ما يريد العرب بلفظ الاسود التي معناها الاخضر ومنهـا «سواد العراق». وما كان خلاف البياض. وهو المعنى المشهور

يكيد لهم المكايد ويقتل منهم في الذروة والغارب

اعتقادهم بالعواقب

واماً من جهة عقيدتهم بالعواقب فانهم يؤمنون منها بالموت وبالنعيم وبالعذاب الاليم « الموقّت » وبدينونةٍ خصوصيَّة بعـد الموت لكنهم لا يؤمنون بالحشر . اماً اعتقادهم بالموت وبالدينونة فهو عـلى الوجه الآتي: وذلك ان السِّين (بفتح فسكون . وهو القمر عندهم) يهوي من موطنهِ ويقف على رجل المحتضر . وينحدر مع السِّين روحانيٌّ اسمهُ « قاميز زيوَا » لكي لا يدع القمر يتصرَّف بالمدنف على الموت تصرُّف الطاغيـة العسوف بالعاجز الضعيف . وقبـل الموت بهنيهةٍ يذبح السِّين الميتَ ذبحًا ان كان صابئًا ويخنقهُ خنقًا ان كان غير صابئ . وكلا الذبح والخنق لا يراهُ الحاضرون . ثم ان النفس تذهب الى « مَطَرْتا (١ » العالم الخاص بها . لان لكل ملَّةٍ عالمًا ولكلّ عالمٍ موطن سعادةٍ وشقاء . اماً « مَطرْتا » الصابئة فتسمى « مَطرتا پتاهيل » وبعد ان تؤدي النفس ما عليها من العذاب بموجب خطيئتها تتخلَّص من « مَطرْتا پتاهيل » ثم تذهب الى مَطَرْتا اخرى وهكذا الى سبع المطراتي ان كان عذابها يستوجب ذلك . ومثل هـذه المطراتي يوجد في سبعة العوالم الأُخرى . وبعد ان تُطهَّر من ذنوبهـا وآصارها في مطرتا واحدة او عدَّة « مَطراتي » تصير الى « مطرتا اواثر » وفي ذهابها اليها يخرج عليها عبيـد سبع المطراتي فيسألونها اسئلةً فان احسنت الاجابة عنها تركوها وشأنها والّا قبضوا عليهـا واخذوها تحت سطوتهم . ولهذا يجتهد اتقياء الصابئة بتلقين اولادهم هذه الاسئلة والاجوبة منذ نعومة اظفارهم (٢ وهذا تعريبها :

١) المَطَرتا و بالآرامية ܡܛܪܬܐ و يجمعونها على « مَطراتي » موطنٌ في الآخرة بغضّ النظر عن حالتهِ من سعادةٍ او شقاء اذ يوجد مَطراتي للابرار ومطراتي للاشرار واللفظة مشتقَّة من فعل ܢܛܪ

٢) و كما ان الافرنج وكل من كتب عن المندائيين قد شوَّهوا لفظ هذه اللغة وكلّ منهم قرأها قراءةً تختلف عن صاحبهِ احببنا ان نورد هنا لفظ هذا النص بكلّ تدقيق . وقد وضعنا هذه العلامة ' وهي ضمَّة مقلوبة للاشارة الى لفظ يقابل الحرف o الفرنسي . وهـذه العلامة ا وهي الف صغيرة للاشارة الى تفخيم الالف كما في خُدا (اي الله) بالفارسية وهذه العلامة ° وهي نصف سكون شُجِه رأساهُ نحو يمين القارئ للاشارة الى لفظ يقابل e في le الفرنسيَّة . لكن بدون ان تفقد كيفية هذا الصوت عند انضمامها الى حرف آخر . بخلاف ما يحدث بالفرنسة فانك ان قلت le لفظتها لفظ الالف غير الصريحة واذا وضمت حرفًا آخر وراءها مثلًا s فتقول في les هكذا lé ونحن نريد ان يبقى حال e بدون تغيير

« باسماء الحياة (الثلاثيّـة) العظيمة · حينئذٍ لما بلغت (النفس) الى سبعة الاسرار خرج قدّامها عبيـد (المطراني) وجاؤوا متجمعين عليهـا وسائليها وقائلين لها : يا نفس من اين اتيتِ والى اين تذهبـين ؟ · فقلت لهم : جئتُ من المكان الذي يُقال لهُ « الارض » واترل نحو الحدود (او التخوم او الارجاء) الطيّبة · فقالوا لي : عبد مَن انتَ ؟ ورسول من انت (تُذكر) · فقلت لهم : انا عبد الارجاء المحبوبة ورسول آيرَ سفيا (هو من الروحانيين ومعنى اسمـهِ الاثير الزاخر وهو الملء الالهي Plérome) فحينئذٍ باركوني واحترموني وحفظوني وقالوا لي : كلّ من يعرف هذا السؤال يصعـد نحو الحدود (او الارجاء régions) الطيبة · واذا اخفى الواحد سرّ المكان (اي الارض) لا يصعد نحو الحدود الطيبة »

واماً النعيم ويسمونهُ عندهم « آلما دَنهورا » اي عالم الانوار فيروون عنـهُ نفس ما يقولهُ النصارى عن السماء اي انهُ لا حرّ فيهِ ولا برد ولا لصوص ولا اذى من اي نوع كان · وهناك النور والضياء والبهاء متوفر ويجد الانسان في عالم النور كل ما يرغبهُ من اللذائذ والطيّبات الخالية من كلّ زلل او اثم او إصر

اماً الجحيم فعذابهُ عندهم ليس بأبدي بل وقتي · واطول عذاب عندهم يكون الى فناء العالم وهذا الفناء يكون على هذا الوجه : « زيقا تا شَم » اي « تهب ريح » عاصفة فتمهّد اوتاد الارض وتدفن مطمئنّاتها واجوافها ثم يصير القمران وسائر المتحيّرات التي هي اولاد « الروهاية » الى « آلي دَنهورا » واماً بقيّة النجوم التي لا حياة لها فتتناثر وتهوي هويًا من مواطنها فتضمحل · ثم ان سبع طبقات السماء تطوى طيّ الدرج فيبتلعهـا

لفظ نص الاسئلة والاجوبة

بُشْمَيْـهُون دْهَيَيْ رَبّي . هَيْزَخ كَثْ مَا طي شُوّا رازيْ أبدا دْشُوّا ألَنْيِ نافقيْ آثْي مَدكَرْ نْخيْ مْشَيْلَلي وَمْرَلّي : يا نْشما نْمن أَلْيا إيثَتْ أليا آزْلَتْ أمْرَنا ْان أَيثْنـا نْمن أُصطُونا دْهُو تِيقَلْ أشْمي أزَلْنا ألْوَت كِمْصا طاوا أمْرَلّي أبدا دْمَن أنات أشْليها دْمَن مْتقَرْيَت أمْرَنا ْلنْ أبدا آنا إتْكِمْصا آرْهيما أشْليها دْ آيْرَ سَفْيا هَيْزَخ امْبَرْخلي مْـ شُوزْبلي مْنَطْرْلّي وَمْرلّي كُلْمَن دْيَدْلي لْهازَنْ مْملا سالَق ألْوَثْ كمْصا طاوا أمْنْـطول دْبايي مِلْحَظ رازيْ دْأُصطُونا پا سالَق ألْوَث كِمْصا طاوا

« الأور » وبعد ان يسترطها يأتي اليهِ «هيقل زِيوا » ويقول لهُ باعلى صوتهِ : « ܐܗܠܐ ܡܢܬܐ ܒܟܪܣܟ (وتُلفظ : أهلي (ehlé) مْناثا بْكَرْسَخ) اي : « لي سهمٌ في جوفك » فيفتح الأور فمهُ رغماً عنهُ ويُجوّف النفوس الصابئيَّة (اي يقذفها من جوفهِ) . اما سائر نفوس بقيَّة الملل فلا تُجوَّف بل تبقى في موطنها وتضمحل فيـهِ عائدةً الى القِدَم . واما سبع طبقات الارض القائمـة على ظهر الاور فتسقط عنهُ عند سماعهِ صوت « هيقل زيوا » الجهوري وتغدو بحرًا عذبًا كما كانت قبل الخلق

اعتقادهم بالكواكب وقرابينهم لها

امَّا من جهة اعتقادهم بالكواكب والنجوم فان الصابئة الحرَّانيَّـة كانوا يذهبون الى انها أرواح سماويَّة لا يتطرَّق اليها الفساد والفناء وكانوا يقربون لها القرابين البشريَّة ويبتهلون اليها وهو امر ليس فيهِ شبهة . قال في كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النجوم » ما نصهُ : « هيكل المشتري هو مثلَّث الشكل واعلاهُ محدَّد وهو مبني بالحجارة الخضر المِسَنِّيَّة ومدهون الجدران دهانًا اخضر وستورهُ حريرٌ اخضر وفي وسطهِ مقعدٌ فوق ثماني درج . وعليـهِ صنمٌ من القصدير ولهُ سدنة لا يزالون في تعبدٍ لهُ . فاذا كان يوم الخميس ويكون المشتري في شرقهِ اتاهُ الصابئون وهم لابسون الاخضر وبايديهم اغصان من السرو وقد تقلدوا بقلائـد من جوز السرو ويكون معهم صبي رضيع يكونون قد اشتروا جارية ووطئها سدنة الهيكل وحملت ووضعت صبيًّا فيأتون بها وبهِ بعد ثلاثة ايَّام من وضعها فينخسونهُ بالابر وهو على يدها حتى يموت ويقولون : « ايها الرب الخيّر قرَّبنا اليك من لا يعرف الشرّ . فتقبَّل قربانا وارزقنا خيرك وخير ارواحك الخيّرة »

وقال عن هيكل المريخ : « هيكل المريخ مربَّع الشكل وسائرهُ احمر اللون مدهون بالدهان الاحمر وستورٌ حمرٌ وبهِ اسلحة معلَّقة . وفي وسطهِ مقعد قائم على سبع درجات فوقهُ صنمٌ من حديد وبيدهِ سيف وبيـدهِ الاخرى رأس معلَّق بشعرهِ . والرأس مخضَّب بالدماء ويأتونهُ يوم الثلاثاء حينما يكون المريخ في شرقهِ وقد لبسوا الاحمر وتلطَّخوا بالدماء وبايديهم خناجر وسيوف ومعهم رجلٌ اشقر امش احمر ابيض الرأس من شدة الشقرة والصُّهبة فيُدخلونهُ في حوض مملوء زيتًا وادوية تعفّن اللحم والجلد بسرعـةٍ . ويشدُّونهُ باوتاد في قعر الحوض مغمورًا بالماء المذكور سنةً فاذا انقضى الحول جاؤوا الى رأس ذلك المغمور فانتزعوه عن البـدن بعروقهِ واغصانهِ واتوا بهِ الصنم وقالوا : «ايها الرب

الشرير الطائش الذي تحب القتل والخراب والحرق وسفك الدماء. قرّبنا اليك ما يشبهك فتقبَّل منّا واكفنا شرّك وشرّ ارواحك» وهم يزعمون ان الرأس يكلّمهم بما يصيبهم في سنتهم من خير ومن شرّ(١. اه

وقد ذكر صاحب الكتاب المذكور سنن الصابئة الحرانيّة لكل واحدة من السيّارات مع وصف الهياكل الخاصة بها على الوجه الذي ألمعنا اليهِ. واما اعتقاد صابئة هذا اليوم في نواحي العراق بالنجوم والكواكب فهذا ملخَّصهُ: ان السيّارات خلقٌ على حدة لها نفس وجسد وكلها ذكورٌ الأ «ليُوتَ» يعني الزهرة فانها انثى. وكلّ واحد من هذا الخلق يسير على سفينةٍ شراعيّة في الفضاء يخفق على دقَلها الاعلى علمٌ كبير يسمُّونهُ «درَفشا» وهي كلمة من اصل فارسي نقلها العرب الى لغتهم بصورة «دِرَفس» بهذا المعنى. وهذا «الدرفشا» نيّر بذاتهِ. وما غروب السيّارات الّا عبارة عن طيّ هذا اللواء. وما شروقها الّا عبارة عن نشرهِ. امّا رأي علماء الفلك في هذا الصدد فيُنزَّل عندهم منزلة الخرافات المختلفة كما ينظم الفلكيّون اقوال الصابئة في سلك الرطازات والترّهات. ولهم في اعتقاد الكواكب آراء واقاويل غريبة الّا ان مقام هذه المجلة يضيق عن ايعابها. وامّا سائر النجوم فهي عبارة عن لآلئ ودرر مختلفة الحجم والقدر منبثّة في الفضاء راجعة الى اصحاب السيّارات او الى غيرهم. وامّا النجم القطبي فهو درّة منزّلة على باب «أواثر»

(ستأتي البقيّة)

في الميناء وصناعتها

لجناب الاديب يوسف افندي غنّام ثابت

المِيناء بالكسر والمدّ لفظة فارسيّة (مينه) يُرادُ بها جوهر الزجاج. قال في تاج العروس: «هي عند العامّة ما يُصطنع على الجواهر من اللازورد والذهب» غير انّ هذا التعريف ليس بمضبوط. والصواب انّ الميناء عبارة عن اكاسيد (٢ معدنيّة تُصهر

١) وممّا جاء في عادة الصابئة بخصوص القرابين البشريّة للكواكب ما ذكرهُ البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥) نقلًا عن عبد المسيح بن اسحاق الكنديّ قال: «انّهم يُعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهرًا» (المشرق)

٢) الاكسيد (oxyde) محصّل تركيب الاكسيجين مع احد المعادن

بمادَّة زجاجيَّة وتُجعل على الحلى والاواني المعدنية الثمينة زيادة في رونقها ولتلوينها بالوان ثابتة لا تُمحى . وهذا الطلاء الزجاجيّ يكون شفَّافًا او كثيفًا

وتاريخ اختراع الميناء عريق في القدم يرجّح العلماء انَّ مخترعيها قبائل الطورانيين الأقدمين برَّزوا فيها ثمَّ علَّموها المصريين والفينيقيين والاشوريين ثمَّ انتقلت الى الهند والصين حيث ازهرت قرونًا عديدة قبل المسيح ثم اخذها البوزنطيون عن العجم وشاعت عندهم الى ان دخلت في الاقطار الاوربيَّة نحو القرن الحادي عشر ولم تزل تترقى الى ان بلغت كمالها في القرن السادس عشر . ومع تقدُّم هذا الفنّ في اوربَّة لم يزل قصب السبق في هذا الشان لعملة الهند والعجم والارناؤوط وخصوصًا السركس فانهم فاقوا على غيرهم بصنع الميناء حتى ضرب فيهم المثل فقيل « ميناء سركسية » . والسراكسة مولعون بها حتى اليوم يطلون بها اغلب الآنية على اختلاف معادنها كالذهب والفضَّة وغيرها . واكثر ما يجعلونها على الانصبة والاغمدة البيضاء كالقامات وغيرها . ولهم في ترصيع الميناء طرائق عجيبة تراهم يضعونها على قشرة رقيقة جدًّا من الفضَّة ويرسمون عليها الرسوم البديعة رسمًا ناتئًا . وربَّما جعلوها على مركَّب من الفضة وبعض المعادن البيضاء فيوهمون الناظر انها مصنوعة على فضة مُصمتة فينخدع بها الصاغة انفسهم ولا يعلمون من اي عيار هي حتى ولو حكُّوها ما لم يتَّخذوا الششنة (١ لذلك

على انَّ بلادنا السوريَّة لم تكن لتجهلها وعلى الخصوص صاغة دمشق وصياقلتها لانهم كانوا كلفين بها جدًّا ولهم فيها الاعمال العجيبة المتقنة وقد اشتهر بترصيع الميناء في بيروت كثيرون من الصاغة والجوهرجيَّة منهم ابو ديب الحمصيّ الصائغ الشهير وروفائيل الحمصي وباسيل الطوقتليّ ويوجد الآن من المعلمين البارعين فيها بولس الارمني . امَّا البراعة التي حازها ابو ديب الحمصيّ المذكور فليس لها ضريب فقد كان هذا طويل الاناة في عمله صَناعَ اليد في ضرب القلم كثير التفنُّن في الرسم يُقدم على الاعمال

١) الششنة هي ان تأخذ قطعةً صغيرةً من حليٍ ما تريد ان تعلم كميَّة ما فيهِ من الفضَّة فتقرضها ثمَّ تحلُّها على النار بالحامض النيتريك بواسطة حلَّالة (اناء من زجاج خصوصي) وبعدما تذوب تُصبّ في اناء آخر كبير مملوء ماء ثمَّ تجمع الفضَّة من الاناء بواسطة قطعةٍ من النحاس الاحمر تحرّك فيها الماء فترسب عليها الفضة نظير النيترات وبعد ذلك تؤخذ الفضة وتوزن وبهذا الامتحان تعلم كميّتها تمامًا في ذاك الحليّ

الكبيرة فيقلّد اشهر وافخر الآنية والاعمال القديمة (الانتيكات) وقد وصل بهِ جِدّهُ الى اصطناع الثريّات القديمة البديعة فكان يزينها بكل فنّ بديع من فنون الصناعة فيرصعها بسائر ألوان الميناء والاسلاك المعدنيَّة المختلفة الألوان كالذهب والفضة ويكتب عليها الكتابات الدقيقة المشتبكة بالقلم الكوفي والقلم الفارسي والقلم الثُلثيّ كل ذلك بخطوط بديعة وحذاقةٍ في الرسم والهندسة الشرقيَّة. فكان يصرف على عمل الثريَّا الواحدة بضع سنوات مع إدارة بعض الاشغال التي لا يمكنهُ رفضها ام تأجيلها وعليهِ فقد كان معدل اجرة يومهِ لا يقل عن ليرة انكليزية لانهُ كان يبيع هذه الثريات باثمان بليغة واتقن ثريَّة تفنن في صنعها فقد قضى في عملها ستّ سنوات والحاصل انهُ كان فتنةً لعقول مشاهير السيَّاح الذين يزورون بلادنا ويرغبون بهذه الآثار فكانوا يقضون منهُ العجب ويحكمون ببراعتهِ وحذقهِ فيبتاعون اعمالهُ ويجعلونها زينةً فاخرة في متاحفهم وقصورهم وليس في ما وصفتُهُ بهِ من الفن ادنى مغالاة اذ انَّ هذا الرجل لم يمرّ على موتهِ اكثر من ١٥ سنة وكلّ صاغة وجوهرجيَّة بلادنا المشهورين يعترفون لهُ بالسبق والتقدُّم عليهم وينعتونهُ بنابغة عصرهِ وفريد دهره ويقولون ايضاً انَّ بموتهِ ماتت هذه الصناعة الشريفة وليس من رجاء ان ترى بلادنا بعد امرءٍ حاذقاً فيها مثلهُ. اماَّ سبب موت هذه الصناعة فيعزونهُ الى عدم سخاء الناس بدفع اجور العملة مقابلة أوقاتهم في اتقان العمل والى رغبة الصاغة في الاشغال السهلة الرائجة

في تراكيب الميناء واقسامها

لم تكن سابقاً تراكيب الميناء معروفةً عندنا الّا من بعض الصاغة المضلعين المشهورين. على انَّ سائر الصاغة كانوا يشتغلون بها لرواج سوقها والرغبة فيها اذ ذاك. فكان بعض الدمشقيين يستجلبونها مركَّبةً من بلاد العجم و يوزعونها في اقطارنا هذه فتأتيهم على شبه قطع زجاجيَّة ملوَّنة بالألوان المطلوبة. لكن الميناء المعروفة بالرصاصيَّة كانت من اروج الألوان المنتشرة وارغبها في بلادنا. اماَّ الآن فقد أُهملت الميناء عندنا واستُغني عن تركيبها وصارت تأتينا من اوربَّة وذلك لسهولة مواصلاتنا معها وتخفيفاً للمشقَّات الزائدة في تركيبها ايضاً

واذ كان في تدوين تراكيبها هنا ما يحفظ لبلادنا اثرًا جميلًا وفائدةً لا تُنكر رأيت انهُ لا بدَّ من تعريف مركَّباتها وعليهِ فاقول:

انَّ الميناء تقسم الى قسمين فتكون إمَّا شفَّافة كالزجاج يخرقها النور وهي الركن الاصلي وامَّا كثيفة وهي تحاكي الخزف الصيني وكلا النوعين يصير ذا ألوان متعدّدة فمنها حمراء ارجوانيَّــة وصفراء وخضراء وزرقاء وسوداء وبنفسجيَّة واذا مزجتَ من هذه الألوان بمقادير مختلفة لونًا مع آخر حصلت على ألوان جديدة. امَّا الاجزاء المتركّبة منها الميناء الشفافة او الكثيفة فهي لا تختلف بل يضاف عليها او يعوض عن احد الاجزاء المركَّبة منها بجزء آخر وذلك لزيادة في كثافتها او لتلوينها بلونٍ مطلوب

واليك ستَّة تراكيب للميناء الشفَّافة وليس من فرق جوهري بين تركيبٍ وآخر وانما ذلك كاصطلاحات ومقادير اصطلح عليها ارباب الفنّ. وامَّا الاجزاء التي تتركّب منها الميناء ايَّةً كانت فهي كثيرة ولا تختلف عن بعضها الَّا باختلاف الكمية من كلّ جزء والاستغناء عن احد هذه الاجزاء في تركيبٍ دون الآخر وهاكها مفصَّــلةً في الجدول الآتي ومنها تتركَّب سائر المين ويوجد تراكيب أُخرى ضربنا عنها صفحًا:

		كرام				كرام			كرام			كرام
١	سيليس	٣٠٠	ثاني اكسيد الرصاص			٣٠٠	نيترات البوتاس		٢٢٥			
٢	〃	٣٠٠	〃	〃	〃	٤٠٠	〃	〃	٢٠٠	بورات الصودا		١٠٠
٣	〃	٥٠٠	〃	〃	〃	٥٠٠	〃	〃	١٠٠	〃	〃	١٠٠
٤	〃	٥٠٠	〃	〃	〃	٧٥٠	〃	〃	٣٠٠	〃	〃	٠٥٠
٥	〃	٣٠٠	〃	〃	〃	٦٠٠				〃	〃	١٠٠

٦ مسحوق الصوَّان ١٢٠ كراماً . مسحوق الزجاج الصوَّاني ٣٦٠ كراماً . اكسيد الرصاص الاحمر ٤٨٠ كراماً . بورق مكلَّس ٩٠ كراماً

امَّا في ميناء الساعات البيضاء الكثيفة فيُترك اكسيد الرصاص ويُضاف بدلًا منهُ الى احد التراكيب المذكورة اكسيد القصدير والرصاص او فصفات الكلس لكن الاول اجود واكثر استعمالًا. ولمَّا كان اكسيد القصدير لا يُضاف وحدهُ بل متحدًا مع اكسيد الرصاص اقتضى ان نثبت طريقة اتحادهما وهي أنْ يُذاب القصدير والرصاص بكميَّاتٍ سنعيّنها بعد وذلك على نارٍ حامية فتتكوَّن قشرة على الوجه هي الاكسيد المطلوب فتُجمع ويُواصل جمعها الى الاخير وبعد ذلك يُعاد المجموع من القشرة الى البوتقة على النار ليتمّ تأكسدهُ ثمَّ يصبّ في اناء مملوء ماء فيطفو الاكسيد المطلوب فتجمعهُ ويرسب ما بقي من المعدن غير متأكسدٍ فيُهراق. وهذا جدولٌ ثانٍ في تراكيب عديدة للميناء الكثيفة البيضاء ولا فرقَ يُذكر فيها ما بين تركيب وآخر كما مرّ:

		كرام		كرام		كرام		كرام
١	سيليس	٣٠٠	اكسيد الرصاص والقصدير	(١ ٤٠٠	نيترات البوتاسا	٢٢٥		
٢	«	٣٠٠	« « «	(٢ ٥٠٠	« «	٢٠٠	بورات الصودا	١٠٠
٣	«	٣٠٠	« « «	(٣ ٦٠٠	« «	١٠٠	« «	١٠٠
٤	«	٥٠٠	« « «	(٤ ٩٠٠	« البوتاس	٢٠٠	« «	٠٥٠
٥	«	٣٠٠	« « «	(٥ ٧٠٠			« «	١٠٠

وطريقة تجهيز هذه المين هي بعد ان تُسحق الاجزاء جيدًا كلٌّ منها على حدةٍ ثمَّ تُماع على النار اربع مرَّات في بوتقةٍ مغطَّاة ووجاق كوجاق ساكبي النحاس وكلَّ مرةٍ تخرج البوتقة من النار يجب سكب ما فيها بالتدريج في قدرٍ مملوءة ماء حتى تتصلَّب الاجزاء بالماء ويسهل سحقها عند الاستعمال

ولكي لا يفوت القارئ شيء من معرفة تراكيب الميناء بعد ان عرفناهُ تراكيب الميناء الشفَّافة والميناء الكثيفة وجب ان نفيدهُ عن الميناء الملوَّنة وهي كما يأتي:

الميناء الصفراء: ميناء شفَّافة او لا ٦٠٠ كرام كلورور الفضة من١٠٠ الى ٢٠٠ كرام
« الخضراء: « « « « ٦٠٠ « ثاني اكسيد النحاس « ١٠٠—٢٠٠ «
« الزرقاء: « « « = ٥٠٠ « اكسيد الكوبلت « ٥٠ —١٠٠ «
« البنفسجية: « « « « ٩٠٠ « اول اكسيد المنغنيز « ٣٠ —٦٠ «
الحمراء الارجوانية: « « « « ٦٠٠ « اكسيد الذهب « ٥٠—١٠٠ «
الميناء السوداء : ميناء شفَّافة كرام ٧٥٠ اكسيد النحاس كرام من ٥٠—١٠٠ اكسيد الكوبلت كرام من ٥٠—١٠٠ اكسيد المنغنيز كرام من ٥٠—١٠٠

(تنبيه) يجب ان يُماع كلٌّ من هذه التراكيب ويُصبّ في الماء كما تقدَّم. وربَّما تحوَّل لون الميناء الارجوانية عند الصاقهِ الى البنفسجيَّة فلملافاة ذلك يُضاف عليها شيء يسير من بورات الصودا. ويمكن الاستغناء عن اكسيد الذهب باكسيد الحديد الاحمر لكن اللون يأتي احمر لحميًا فاتحًا ويصير ناصعًا بزيادة كمية الاكسيد المذكور

في كيفيَّة تركيب (تسبيح) الميناء على المعادن والرسم عليها

ينبغي بعد ان تكون هيأتَ القطعة وحفرت المكان المراد تحليتهُ بالميناء ان

* تنبيه * لاكسيد الرصاص والقصدير في هذه التراكيب مقادير مختلفة تراها في الاعداد التابعة : ١) رصاص كرام ١٤٠٠ قصدير ٤٠٠ ٢) رصاص كرام ٢٠٠٠ قصدير ٤٠٠
٣) رصاص كرام ٢٤٠٠ قصدير ٤٠٠ ٤) رصاص كرام ١٨٠٠ قصدير ٣٠٠
٥) رصاص كرام ٧٠٠ قصدير ١٠٠

تُنظّف القطع تنظيفًا تامًّا وتُنزع عنها الزيوت فتُغلى بمحلول كربونات البوتاسا وبعد الغلي تُغسل بالماء جيدًا ويستحسن ان يُغلى الذهب الذي خالطهُ النحـاس بالمحلول الآتي :

نيترات البوتاس ٤٠ جزءا كبريتات الالومين والبوتاسا ٢٥ جزءا كلورور الصوديوم ٣٥ جزءا تُسحق وتذاب بكميَّة من الماء

هذا ولكي يتجرَّد سطح الذهب من النحاس وتلتصق الميناء على الذهب الخالص لانهُ اروع وابدع منظرًا ويجعل هذا خصوصًا للميناء الشفَّافة وينبغي ان يكون سطحها رقيقًا وبالعكس في الكثيفة ولا يستحسن تلبيس الميناء الشفَّافة الَّا على الذهب لانهُ لا يتأكسد بالنار كباقي المعادن

وبعد أن تحضِر القِطَع على هذه الطريقة خذ مقدارًا كافيًا من المين التي اعددتهـا للتلبيس بها واسحقـهُ سحقًا ناعمًا جدًّا ثمَّ ضعهُ في صحيفةٍ مملوةٍ ماء ثمَّ أرِق الماء عنهُ بهدوء وبعد ذلك ارفع برأس ميسم قليلًا من هذه الميناء وضعهُ على المكان المهيأ لهُ ومدَّهُ مدًّا متساويًا واكبسهُ بخرقةٍ نظيفة وعند النهاية من وَضع الميناء ضَع القطع على لوح كالصفاة من الآنك (التنك) واجعلها على نار هامدة لتنشفهُ ثم ضع لوح الآنك والقطع التي عليهِ في كور ككور الزجاجين واحترس عند ذوبان الميناء من انقلابها في النار وان تسيل المينا فتدخل بالمحلات التي لا تريد ان تلبسها بها لكي لا تعاني تعبًا في نزعها . امَّا اذا رأيت انَّ الميناء ناقصةٌ في بعض المحال عن المطلوب فيمكنك ان تزيدها وتعيدها الى النار ويجب ان تُخرج القِطَع حالًا عند ميعان الميناء حيث يُخشى عليها من الذوبان وبعض اعوجاج لزيادة الحرارة الَّا انهُ لا ينبغي ان تُخرج دفعةً واحدة لئلا تتشقَّق في الهواء

امَّا الخواتم والأقراط وما سواها التي يراد تلبيس مكان صغير منها بالميناء وهي مَصوغة « بالكسر جفت » فهذه تُماع الميناء عليها بواسطة البوري وتتَّقى محالّ اللحام بطلاء من الجصّ لئلاَّ تذوب . واذا رأيت ان سطح الميناء غير متساوٍ فيمكنك ان تبردهُ بمبردٍ رفيع ناعم وتصقلهُ باكسيد القصدير الناعم(١ واضعًا ايَّاهُ على رقاقةٍ من القصدير اللين واخيرًا يصقل بقطعة من الخشب الابيض لتظهر عليهِ روعة ماء كالمرآة

١) يُستحضر هذا الاكسيد بوضع القصـدير على النار في بوتقة ثم تجمع المتأكسد منهُ وتجعلهُ في الماء ثمَّ تنشفهُ وتسحقهُ ناعمًا جدًا

واذ قد بسطنا الكلام في طريقة تركيب الميناء حان لنا ان نتكلَّم عن الوسم عليها بالألوان المختلفة فنقول انهُ ينبغي لذلك براعةٌ كليَّة ودقَّة تستدعي مزيد الانتباه لا يمكن تعلّمها بمجرَّد قراءة بضع صفحات وانما غاية ما نقول فيها هو انهُ يجب ان يتعلَّمها الانسان بمراقبة ارباب هذه الحرفة والجري على طريقتهم والأخذ عنهم. وهذه الحرفة تشبه حرفة المصوّر في اتقان الرسم وتوفيق الألوان وزيادةً عن ذلك تستلزم من الصانع مزيد الاحتراس في تذويب الاجزاء على النار لئلا تختلط ببعضها ويذهب التعب فيها ضياعاً

هذا جلُّ ما اردنا اثباتهُ عن الميناء وقد اضربنا صفحاً عن ذكر تقاسيمها لانهُ ليس فيها شيءٌ ممَّا يتعلَّق باسرار الصناعة وانما محصَّل ذلك التقسيم هو تعريف انواع الرسوم والنقوش وألوان الميناء وهيئاتها بالبلاد التي سبق اهلها فوضعوا ذاك الفن من الوسم وما اشبه او تفنَّنوا بهِ فعُرف بهم وصار من اعلامهم (١

المخطوطات الطبيَّة

في مكتبة كلّيتنا الشرقية

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تتمَّة)

العدد ٢٢ — كتاب الاسباب والعلامات طولهُ ٢٨ سنتيمترًا وعرضهُ ١٩س صفحاتهُ ١٨٣ وسطور الصفحة ٢٢سطرًا مجلَّد بجلد اشقر مكتوب بيد احد النصارى بخط مشرق جلي بالاحمر والاسود بيع في بيروت. جاء في اول هذا الكتاب انهُ «منسوخ ومقابل عن كتاب بخطّ المعلم الجليل والماهر البليغ بفنّ الطب المرحوم ابرهيم صبَّاغ بمدينة عكا . . . ويظنّ انهُ تأليفهُ او كان جلّ اعتماده عليهِ» والصواب ان مؤلف هذا الكتاب هو الامام نجيب الدين محمَّد بن عليّ بن عمر السمرقندي كما ورد

١) قد استندتُ في بعض ما كتبتهُ الى ما افادني بهِ اخي سليمان وبعض ارباب هذا الفن فضلًا عن البحث والمطالعة في تآليف الادباء

في كتاب كشف الظنون (١ : ٢٦٩) وصف فيهِ كلّ عضو مع الامراض التي تصيبـهُ وعلاماتها وعلاجها. وآخر الكتاب مختصّ بذكر الحمّيات وقد زيد على الصفحة الاخيرة وصف « خواصّ الماء المُستقطر المدعو مليسا (eau de mélisse) المستخرج من الرهبان الكرملتانيين في دير مار اليـاس الكرمل وكيفيّة استعمالهِ » وهذا كتاب الاسباب والعلامات غير كتاب الاسباب للايلاقي الذي مرَّ ذكرهُ

العدد ٢٣ كتاب شرح الاسباب والعلامات. طولهُ ٢٩ سنتيمترًا في عرض ٢٠ س. صفحاتهُ ٧٥٢. لكل صفحة ٢٢ سطرًا جلدهُ اسفع بيع في بيروت. مكتوب بخطّ فارسي. هذا الكتاب هو شرح مطوّل على التأليف السابق ذكرهُ فالمتن بحرف احمر والشرح بحرف اسود. ألّفهُ برهان الدين نفيس بن عَوض بن حكيم المتطبِّب الكرماني. قال الحاج خليفة (١ : ٢٧٠) : « وهو شرح لطيف حقّق فيهِ فأجاد... فرغ من تأليفهِ بسمرقند في أواخر صفر سنة ٨٢٧ (١٤٢٣م) واهداهُ الى السلطان الوغ بك ». ومن الغريب انَّ المتن في نسختنا لا ينسب لمحمـد بن علي السمرقندي كما ذكر الحاج خليفة بل يُنسب لعلاء الدين علي بن ابي حزم القرشي. وهو مقسوم الى تقاسيم عديدة لم تُذكر في النسخة الموصوفة في العدد السابق مع عدم اختلافهما في المواضيع. الّا ان في هذه النسخة المشروحة فصـلًا مطوّلًا يُقسم الى ٧٠ بابًا في الاورام والبثور والقروح سقط من النسخة السابقة وفي آخر هذا الفصل (ص ٦٩٤) ما نصُّهُ: « تمَّ بعون الله... في غرَّة شهر شعبان في بلدة سمرقند سنة ٨٤٥ (١٤٤١م)... تمَّ نسخهُ على يد الحقير... رحيم بن سنجقلي (؟) خان مازندراني سنة ١٢٥٦ (١٨٤٩م) ». وبعد هذه الخاتمـة فصل مفيد في السموم ومعالجاتها ونهش الهوامّ ولذعها. وفي الصفحة الاخيرة ختام آخر للناسخ. وعلى هامش الكتاب لاسيّما في اولهِ تعليقات بالفارسية

العدد ٢٤ كتاب الاقراباذين للسمرقنـدي. طولهُ ١٣ سنتيمترًا في عرض ١٤ س. صفحاتهُ ٢٧٨. في كل صفحة ١٨ سطرًا. جلده احمر حديث وُجد في حلب. كُتب منذ نحو ٤٠٠ سنة بالخطّ المعروف بنستعلق. وفي هـذا الكتاب تأليفان: (الاول) كتاب الاقراباذين اي تركيب الادوية وقوانينهـا على ترتيب العلل (ص ١—١٧٥) مؤلفهُ نجيب الدين محمد بن علي السمرقندي معاصر فخر الدين الرازي الذي قتلهُ التتر سنة ٦١٩ (١٢٢٢م) في هراة. ولهُ اقراباذينان كبير فصغير فنظن انَّ هذا

هو الاصغر منـهُ نسخ في باريس وغيرها . والكتاب (الثاني) يدعى كتاب الاغذية والاشربة (ص ١٧٦ — ٢٧٥) لم يُذكر اسم مؤلفهِ يبحث فيـهِ صاحبهُ عن الاغذية كالحبوب واللحوم والألبـان والأثمار والبقول والحلويات ثمَّ عن المشروبات مع بيان خواصها ومنافعها وأضرارها . ولم نجد لهذا الكتاب ذكرًا في كشف الظنون للحاج خليفة ولعلّهُ كتاب « اغذية المرضى » الذي ورد في ترجمـة السمرقندي لابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطبّاء (٢ : ٣١) . وفي مكتبة باريس (راجع العدد ٣٠٣٠ من قائمتها) نسخة من كتابنا تُنسَب للسمرقندي

العدد ٢٥ كتاب منهـاج الدكان في مداواة الابدان . طوله ٣٠ سنتيمترًا في عرض ٢٠ س ونصف صفحاتهُ ٤٠٢ . سطور الصفحة ١٩ . مجلّد بجلد حديث . بيع في حلب . كُتب بخط نسخي جميل واسماء فصولهِ بحبر احمر . كتبهُ «سنة ١٠٣٩ (١٦٢٩م) الموافقة لسنة ٧١٣٧ لآدم الفقيرُ الى الله ثلجه النصراني الحموي» . وهذا الكتاب من المصنَّفات الطبيّة المشهورة مؤلفـهُ ابو المُنى بن ابي النصر الطيب اليهودي المصريّ جمعهُ لنفسهِ في القاهرة سنة ٦٥٧ (١٢٧٠م) وهذا الكتاب « يحتوي على معرفة الاشربة والربوبات والمعاجين والجوارشات والاقراص والسفوفات والاكحال والمراهم والاضمدة الى غير ذلك . وهو يقسم الى ٢٥ بابًا . من جملتهـا باب لشرح اسماء الادوية وباب للاوزان والمكاييل على حروف المعجم . وفي صدر نسختنا هذه انَّ الكتاب « دخل في ملك العبد الفقير البادره يوسف الكبوشي الملة سنة ١١١٩ هـ» . وقد طُبع هذا الكتاب المفيد في مطبعة بولاق سنة ١٢٨٧ ثم سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهُ نسخ عديدة في المكاتب الكبرى كباريس ولندرة والقاهرة

العدد ٢٦ قسم من قانون ابن سينا في صناعة الطب . طولهُ ١٩ سنتيمترًا ونصف وعرضهُ ١٤ س . صفحاتهُ ٣٧٥ وفي الصفحـة ١٩ سطرًا . جلدهُ حديث كُتب بخطوط مختلفة . يرتقي عهدهُ الى نحو ٣٠٠ سنة بيع في دياربكر . هو الكتاب الاول من قانون ابن سينا يحتوي على حدّ الطب وموضوعاتهِ الى فصل الأدوية المفردة وشهرتهُ تُغني عن وصفهِ . طُبع في رومة سنة ١٥٩٥ ثم في مصر سنة ١٢٩٤ (١٨٨٧م) وقد سقط من نسختنا بعض صفحات . وعلى هامشها تعليقات عديدة

العدد ٢٧ كتاب في الطب . طولهُ ٢٢ سنتيمترًا وعرضهُ

١٦ س. صفحاتهُ ١٧٦ . سطور الصفحة بين ٢٤ و ٢٨ جلده ارمد اللون مع نقوش زهريّة بيع في حلب. كُتب بخط فارسي يرتقي عهدهُ الى نحو ٤٠٠ سنة. على هامشهِ حواشٍ عديدة. لا يُعرف اسم مؤلفهِ. وهو كتابٌ وضعهُ احد حذّاق الاطبّاء استدرك فيهِ على من سبقهُ بخصوص كليّات الطب كالامزجة والاخلاط والاركان. وهو ليس بكامل ولا مقدّمة لهُ

العدد ٢٨ قسم من قانون ابن سينا وكتاب الطب الكيماوي لبركلسوس. طولهُ ١٩سنتيمترًا في عرض ١٤س ونصف. صفحاتهُ ٢٥٤. مكتوب بخطّين نسخيَّين اقدم فاحدث اسطر الاول ٢١ والثاني ١٧ . والكتابة على عمودين (حقلين) مجلّد بجلد خمري بيع في بيروت. يتضمّن هذا الكتاب اولًا (ص١—١١٤) قسمًا من قانون ابن سينا في الحمّيات والجدري والحصبة (يوافق القسم الثالث المطبوع من ص ٣ الى ٧٢) — ثانيًا (ص ١١٦—١٨٤) كتاب الطبّ الكيماوي لبركلسوس الجرماني وبَرْكِلسوس المذكور (Paracelse) كان في أوائل القرن السادس عشر للمسيح ألَّف كتبًا كثيرة في الكيمياء مزج فيها بين الغث والسمين. كانت وفاتهُ سنة ١٥٤١م. ومن جملة كتبهِ هذا الكتاب في الطب الكيماوي نُقل الى العربيّة ومنهُ نُسخ في اوكسفرد وبطرسبرغ وغيرهما. ويحتوي ست مقالات تُقسم الى عدة فصول يبحث فيها صاحبها عن القسم النظري من هذا الفن ثمَّ يبين اساس الطب الكيماوي وخواص الاجسام من تركيبها وتحليلها واشكالها وطعومها. ثم يبحث عن التقطير واستخراج الارواح وعن الادهان الى غير ذلك ممّا يطول شرحهُ. — ثمَّ ثالثًا (ص ١٨٥—٢٥٤) كتاب الكيميا الملكيّة (chimia basilica) لكروليوس (Crollius) المتوفَّى سنة ١٠٦٩م. نُقل من اللاتينيّة وهو في مقالتين: في معالجة الامراض. في الامراض الجزئيّة (راجع قائمة المخطوطات العربيّة في مكتبة بطرسبرغ لڤون روزن العدد ١٧٨)

العدد ٢٩ كتاب منهاج البيان فيما يستعملهُ الانسان. طولهُ ٢٥ سنتيمترًا في عرض ١٧ . مجلّد تجليدًا شرقيًّا بجلد خمري حديث. كُتب قسمٌ منهُ بخط حديث. منذ نحو ٢٠٠ سنة والقسم الآخر بخطّ قديم يرتقي الى نحو ٦٠٠ سنة. وُجد في حلب. هذا الكتاب من التآليف الشهيرة وضعهُ يحيى بن عيسى المعروف بابن جزلة المتوفَّى سنة ٤٧٣ (١٠٨١م). يتضمّن « ذكر جميع الادوية والاشربة والاغذية

وكل مركّب من ذلك وبسيط ومفرد وخليط . . » وهو مرتّب على حروف المعجم . اولهُ « الحمد لله الذي ظهرت بديع حكمتهِ ببدائع مصنوعاتهِ . . » . ومن هذا الكتاب نسخٌ عديدة مخطوطة في باريس ولندرة وليدن وغيرها

العدد ٣٠ مقالة مختصرة مجموعة من اقاويل فضلاء الاوائل في شرح اسباب تولّد الحصاة الحادثة في الكلى والمثانة . طولهُ ١٩ سنتيمترًا ونصف في عرض ١٤ س صفحاتهُ ١٠٦ . ولكلّ صفحة ١٥ سطرًا . كُتب بخط نسخي جميل جلدهُ ارمد اللون عليهِ زهور حمر وسود بيع في طرابلس . لم يُذكر اسم موْلف هذا الكتاب . الّا انهُ جاء في اخرهِ انهُ تمّ « على يد . . . عبد الباقي القوصوني في ١٣ جمادى الاول سنة ١٠٧٧ (١٦٦٦م) . . . وقد طالعهُ وصحّحهُ ابراهيم المعروف بالشكوري الطرابلسيّ في غرّة محرّم من سنة ١١٠٣ (١٦٩١م) » . وهو كتاب حسن عارض فيهِ الموْلف كتاب الرازي في الحصبة وبيّن اسباب تولّد الحصاة وعلاماتها وطرق مداواتها اولهُ « الحمد لله الذي ليس لهُ حدٌّ يحصرهُ ولا عرَض يحلّهُ » . وقد وضعهُ « للحضرة الاجليّة الموفّقة المنصوريّة الحساميّة الاسديّة النجيبيّة »

العدد ٣١ مجموع مقالات ورسائل طبيّة . طولهُ ٢٠ سنتيمترًا في عرض ١٥ س ونصف . صفحاتهُ ٣٦٠ ذات ١٧ سطرًا في الصفحة . مكتوب بخط مُشرق نسخي . والفصول مكتوبة بحبر احمر تاريخهُ نحو ٢٠٠ سنة بيع في دمشق . يحتوي هذا المجموع ست مقالات او رسائل طبيّة مهمّة . ١ً دعوة الاطباء (ص ١—٧٦) للمختار بن الحسن المعروف بابن بطلان المتوفى سنة ٤٦٥ (١٠٧٣م) . وهي مقامة طبيّة فكاهية اخذ في نشرها جناب الدكتور الاديب اسكندر بارودي في مجلة الطبيب وقد استفاد من نسخة مكتبتنا . ٢ً شرح مسائل دعوة الاطبّاء (ص ٦٩ —١٢٢) للشيخ ابي الحسن علي بن هبة الله ابن الاثردي الارشيدياكي من اهل بغداد الذي اشتهر في ايّام المقتفي لامر الله . وهذا الشرح من الكتب النادرة . ٣ً رسالة ليعقوب بن اسحق الاسرائيلي الطبيب (ص ١٢٤—١٥٣) الذي كان في اواخر القرن الحادي عشر . جعلها في ستّة ابواب بحث فيها عن الشعير والفرّوج وتركيب الادوية ومعالجة المرضى . ٤ً كتاب التشويق الطبي (ص١٥٤ — ٢١٦) لصاعد بن الحسن الطبيب النصراني صنّفهُ لخزانة الرئيس ابي المكارم عليّ بن عبد الوهّاب . في ثلاثة عشر

بابًا وصف بها صناعة الطب وشروطها وآداب اصحابها . قال ابن ابي اصيبعة : « صنّفهُ بمدينة الرحبة في رجب سنة ٤٦٤ (١٠٧٢م) » وهو كتاب جليل عزيز الوجود . وفي آخر هذه الرسالة بخطّ حديث سلسلة عائلة الحاج نصر الله الجلدكي الطبيب الدمشقي .
٥ً كتاب نتيجة المطلوبات في معرفة الحميات (ص ٢٢٣-٣١٢) لمؤلف نصراني مجهول يبحث فيهِ عن اصناف الحمّيات وعلاماتها وعلاجها في ثلاثين فصلًا وهو كتاب مفيد ذكر صاحبهُ في المقدّمة عدّة كتب اخذ عنها . اولهُ : « الحمد لله تعالى خالق الداء والدواء وجاعل العلاج متى شاء . كفوءًا لشفاء الاسقام على حدٍّ سواء ... » ولا نعرف لهذا الكتاب ثانيًا . ٦ً مسائل طبيّة لجالينوس مع اجوبتها (ص ٣١٦-٣٦٠) . وهي ٥٤ مسئلة قد نُشرت في مجلة الطبيب آخرًا

العدد ٣٢ رسالة في العلة المراقيّة . طولهُ ١٦ سنتيمترًا وعرضهُ ١١ س ونصف . صفحاتهُ ٢٤٣ لكل صفحة ١٣ سطرًا . مجلّد بجلد اسود بنقوش مكتوب بخط نسخي عاديّ منذ نحو ١٢٠ سنة بيد احد النصارى . بيع في بيروت . هذه الرسالة وضعها « بقراط زمانهِ فيضي مصطفى افندي » وكان الباعث لوضعها انّ « العلة المراقيّة (hypochondrie) السوداويّة والغير السوداويّة قد كثر وقوعهما في الناس. . . وقد غفلت اطبّاء العرب والعجم عن الفرق والتمييز بين هذين المرضين. . . » فباشر المؤلف تأليف هذه الرسالة وراجع لذلك « كتب القدماء ونسخ تآليفات اطبّاء اللاتينيين الفضلاء » فوضع هذه الرسالة وجعلها تسعة فصول بيّن فيها العلة المراقية واسبابها وعلاماتها وطرق علاجها . وهو كتاب حسن الترتيب سهل الألفاظ اما المؤلف فلم نعلم من امره شيئًا . وبعد هذه الرسالة (ص١٢٩-١٣٦) وصف معجون السنا وهو « يُذهب الامراض التي لها عشر سنين وأنواع الضرَبان » . لا ذكر لمؤلفهِ . ثم في باقي الكتاب (ص ١٤٠- ٢٤٣) تأليف لموسى بن عبد الله الاسرائيلي القرطبي وضعهُ وقفًا « للامر المولوي الملكي الافضلي » في اربعة فصول وهي تدبير الصحة على العموم ثمَّ تدبير المرضى ثمَّ تدبير المولى المذكور على الخصوص ثم بعض وصايا طبيّة . عاش المؤلف في القرن الرابع عشر

العدد ٣٣ رسالة الاستاذ ابقراط . طولهُ ١٧ سنتيمترًا في عرض ١٠ س ونصف . صفحاتهُ ١٥٣ . لكل صفحة ١٧ سطرًا . مجلّد بجلد احمر منقوش مخطوط بخط نسخيّ حسن منذ نحو ١٢٠ سنة . ولكل صفحاتهِ اطار احمر . هذا الكتاب

هو نفس الكتاب السابق. ولعلهُ منسوخ عنهُ او نُسخ ذاك عن هذا. امّا اسم الكتاب « رسالة الاستاذ بقراط » فهو اسم بلا جسم خُدع الناسخ بكتابتهِ لمّا نظر في المقدمة انّ المصنِف يدعى « بقراط زمانهِ »

العدد ٣٤ مجموعة طبيَّة. طولهُ ٢٣ سنتيمترًا وعرضهُ ١٧ س. صفحاتهُ ١٠٤ سطورها مشبَّكة تختلف عددًا. خطُّهُ نسخي كُتب منذ نحو ١٠٠ سنة. جلدهُ اصفر بيع في حلب. وقد كتب في باطن جلده انهُ « ملك الفقير جرجي الياس لطفي ». وهذا الكتاب مجموع وصفات طبيَّة أُخذت من رسالة المصابيح السنيَّة في طبّ البريَّة للقليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨م) ولغيره. وفيهِ اوصاف عديدة للنبات وخواصهِ مع عدة خرافات

فممَّا سبق ترى انَّ لقدماء العرب آثارًا مشكورة في الطب فكيف بك لو وصفنا ما يُحفظ منها في المتاحف الاجنبيَّة والخزانات الشرقيَّة والغربيَّة فانَّ عددها يُربي على الالوف هذا مع ما فُقد منها بكرور الزمان وصروف الحدثان. ونحن نتمنى في الختام ان يُعنى اطبَّاؤنا المحدثون في مطالعة هذه الآثار فلعلَّهم يجدون فيها ما بهِ نفع العباد وخير البلاد. والسلام

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

فبناء عليهِ اضطرَّت الحكومة لتوقيف غارات النصيريَّة وتعدياتهم المتواصلة الى إرسال بعض الحملات عليهم (١) واصلائهم حرب فناء واستئصالٍ قُتل فيها منهم ببلاد عكّار وشمالي النهر الكبير نحو عشرين الفًا (٢). فبعد ان تمكَّن منهم الضعف اخذوا في القرن الخامس عشر يهاجرون الى النواحي الشماليَّة لاجئين الى الجبال التي تُنسب اليهم ولكنهُ

(١) المقريزي، تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

(٢) ابن بطوطة

بقي منهم في لبنان بعض شراذم قليلة كان دأبهـا الاعتداء على رعايا المقدَّم رزق الله والانحياز دائماً الى اعداء المشار اليهِ و إنجادهم (١

فلمَّا خرج الشعب من القداس جاء الامير بحسب عادتـهِ فجلس تحت السنديانة الكبيرة الكائنة في دار الكنيسة يسمع ظلامات الرعية وينظر في امورها نظر الاب الشفيق الذي يحب خير بنيـهِ ولا يطيق ان يظلم القويُّ ضعيفهم. ولكن مع غيبتهِ الطويلة لم يتقدَّم اليهِ من اهل الظلامات الَّا نفر قليل لان الامن كان قد انتشر لواؤه في كل انحاء لبنان بفضل عدالتهِ والقوانين الحكيمة التي سنَّها في الاجتماع الاخير الذي استدعى اليهِ جميع حكام البلاد ومقدَّميها كما سلف الخبر. ولهذا امتدَّ صيتهُ الى بعيد واخذ الناس من نابلس وصفد وطرابلس يقصدون لبنـان لاجل الاقامة تحت كنف حمايتهِ (٢. وكان المقدم المشار اليهِ يراقب حركة المهاجرة هذه بعين قريرة وفي الوقت نفسهِ ينشط الصناعة والزراعة اللتين صارتا الى حالة سيئة اثناء القلاقل الاخيرة

وبعـد ان فرغ المقدَّم رزق الله من سماع شكايات الذين بسطوا لهُ حاجاتهم همَّ بالنهوض حتى يذهب الى قصرهِ ولكنهُ ابصر راهباً قد علت الغبرةُ اطمارهُ متقدماً اليهِ فخاطبهُ المقدم بكل احترام قائلًا:

من اين تأتي ايها الاب ؟

— من جبل اللكام

— لعلَّك من رهبان دير مُرت تقلا في حصن سليمان ؟

— ان دير مرت تقلا لم يبقَ لهُ وجود لانهُ احترق

— احترق ؟ ومن الذي تجاسر على ارتكاب هـذا الإثم ؟ هل النصيريَّة ام الاسماعيليَّة ؟

— كلَّا بل الذي حرقهُ هو جوسلين سيد القليعة

— أهذا ممكن اخبرني عن رئيسكم البار الاب يوحنَّا أما هو حيٌّ بعدُ ؟

— قد اختُطف قهرًا وعنوةً منذ بضعةُ اشهر باوامر جوسلين. والخبر الشائع على ألسنة الناس انهُ قد زُجَّ في سجن مظلم ببـلاد حمص حيث يقضي ايامه الاخيرة بالمرارة والنكد

١) الباكورة السليمانية ٢) تاريخ الموارنة للدويهي

— لو كنتم اسرعتم بانهاء الخبر اليّ لبادرتُ الى انقاذهِ لأنهُ كان لي اعظم من اب او بالاقل لأذقت المعتدين عليهِ من ألوان الهوان ما جعلهم يندمون على قبيح فعلهم

— لم يكن في مكنتنا ان نبلغك الخبر لاننا من زمن مديد كنّا نتردّد بين الحياة والموت تحت رحمة جوسلين واعوانه. ثم انك انت ايها الامير كنت غائباً عن لبنان وكان جوسلين عارفاً بغيابك حقّ معرفة فاحب ان يغتنم هذه الفرصة قضاء لمآربهِ

فعند هذه الكلمات نهض الامير مغضباً وهو يقول:

يا لك من شقي لئيم حملتهُ وقاحتهُ على الاساءة الى رجل بارّ. يا ليتني لم اقبل توسلات الاب يوحنّا في شأن مثلهِ رجلاً خسيساً. أما كان الاجدر بي ان اترك العدل يجري فيهِ مجراه. امّا الان وقد وقعت الواقعة فعليّ اصلاحها. ثم التفت الى الراهب فقال:

اتظنّ انّ الاب يوحنّا باقٍ في قيد الحياة ؟ واذا كان حيّاً فاين هو الان ؟

— لا احد يستطيع الجواب على هذه الاسئلة غير جوسلين

وعند هذه الكلمات أطرق الامير يتأمل. وكانت مظالم جوسلين وتعدياتهُ قد جاوزت كل حد حتى ثبت في الاوهام انهُ يبتهج بمخالفة اوامر مولاه ومقاومتها. وكان المقدم رزق الله قد وجد اثناء حربهِ الاخيرة مع احد الزعماء الذي اخذهُ اسيرًا بعض رسائل من جوسلين المذكور بها يحرض الشيعة على الثبات في القتال مؤكداً لهم عزمهُ على احداث ثورة في ناحية جبل عكار واتباعها بحملة شديدة على الكورة وجبة بشراي

وكان جوسلين قد خاطب ايضاً الامير يوسف المعني (١ في هذا الشأن فاجابهُ انهُ عاش دائماً مع الموارنة في صلح وسلام وقط لم يحدث لهُ منهم ما يوجب الشكوى. وبناء عليهِ يأبى كل الاباء ان يعكّر كأس الصفاء بينهُ وبينهم خدمةً لصوالح سيد القليعة. ثم كتب في الوقت نفسهِ الى المقدم رزق الله يخبره عن مقاصد جوسلين

فبعد هذه الامور جزم المقدم بتأديب جوسلين وعقوبتهِ على هذه الجسارة عقوبةً زاجرة غير انهُ كان متردّدًا في الطريقة التي يتخذها لتأديبهِ. فاذا بعث اليهِ امرًا يستدعيه بهِ الى بشراي لكي يبرئ نفسهُ ممّا نُسب اليه من الشكاوى فلا يلاقي منهُ رجلاً طائعاً بل يذهب بلا جدوى كسائر الاوامر التي أُنفذت اليهِ من قبل. واذا ذهب بنفسهِ

(١ اخبار الاعيان ص ١٦٧

الى جبل اللكام فانهُ يخاف من انتقاض الحبل في لبنـان لان مقدم العاقورة كان قد انتقل الى رحمة ربّهِ. واذا كان في الحروب المنتهيـة قد ادَّب عرب البقاع وعلمهم ان لا يتجاسروا مرةً ثانيـة على الاعتداء على رعيّتهِ غير انهُ لم ينكل بهم تنكيلًا يجعلهم عاجزين عن استئناف القتـال. ثم ان النصيريَّة في عكار وجبل لبنان بدأوا يتحركون للشرّ والفتنة وزد على ذلك ان دسائس بطاركة القسطنطينيَّة كانت قد اصابت نجاحًا في القاء بذور الانقسام بين الموارنة والملكيَّة. فبنـاء على ما سلف كان الامير يحسب غيابهُ عن لبنان في مثـل هذه الاحوال الحرجة امرًا مستحيلًا لانهُ يعرّض البلاد لغارة الاعداء.

اخيرًا بعد ان قلَّب الامير رزق الله جميع وجوه الرأي وتأمل في كل الامور السابق بيانها عزم ان يرسل الى القليعـة واحدًا من ضبّاطهِ لكي يأتي بجوسلين الى بشرّاي استجوابًا لهُ عن المساوئ المنسوبة اليهِ. وكان يعتقـد ان جوسلين متى وقف على امر مولاهُ لا يجسر على المخالفة واذا خالف فيكون قد جاهر بالمعصيـة وحينئذٍ تؤخذ للامر حيطتهُ

ثم ان الامير استدعى واحدًا من حشمهِ اسمهُ مالك وكان رجلًا قصير القامة غائر الكتفين اصفر الوجه تركت فيهِ بثور الجدري آثارًا شنيعة فكان من الذين سخطت عليهم الطبيعة ولم توجدهم الّا ليعيشوا محتقرين. وماتت والدتهُ وهو طفل فلم يعرف قط حنو الامهات وقبلاتهنّ واما ابوهُ فلم يلبث طويلًا حتى اقترن بامرأة اخرى فلما شاهدتهُ هذه قبيحًا لم تطق بقـاءهُ في البيت فطردتهُ فكان مالك اذًا يجول في الازقة شريدًا طريدًا غير ان شجاعتهُ تكفَّلت بانقاذهِ لان ذلك القالب الشنيع كان يحوي عقلًا فريدًا وارادة اصلب من الحديد. وقد تنبَّه المقدم رزق الله لذكائهِ فاتخذهُ لخدمتهِ وهو في سنّ الخامسة عشرة

ويصعب تعيين الوظيفة التي كان يقوم بهـا مالك في قصر الامير لانهُ كان تارةً ضابطًا وتارةً بوّابًا وغيرها كاتب سرّ ومع ذلك فانهُ كان يوفي جميع هـذه الوظائف حقَّها من الاخلاص والامانة والصدق. واليهِ كان المقدم رزق الله يعهد الشؤون المهمَّة والصعبة. ومن ثمّ خلا بهِ وافهمهُ حقيقة الحال والواجب عليهِ ايفاؤهُ في قليل من الكلام ثمّ قال لهُ :

تذهب غداً وتصل الى قلعة « فليس » على ضفة النهر الكبير وهناك تستعلم عن استعدادات جوسلين فان رأيت ضرورةً فهذه رسالة الى سيد قلعة فليس تابعنا الامين تدفعها اليهِ فيصحبك الى القليعة بعدد من الجند. اذهب وجدَّ السير وتحاشَ المرور في طرابلس حتى لا يشاهدك احد من أعوان جوسلين فينبهوه الى قدومك واعمل كل حيلة ممكنة حتى تأتيني بجوسلين حيًّا او ميتاً

— سمعاً وطاعةً يا سيدي الامير. ثم قبَّل يد الامير ووضعها على جبهتهِ

٨

في ليلة مظلمة من ليالي تشرين الاول اشتدت فيها الرياح وثارت الزوابع القويَّة شوهد قارب يدنو ايضاً من جزيرة بحيرة قدَس. وكان فيهِ كالمرَّة الاولى شخصان يعرفهما القارئ بلا تعب ولا عناء وهما راحيل وموسى خادمها الامين. وكانا قد اغتنما فرصة غياب زين عن البترون فقصدا الحبيس طالبين مشوراتهِ الحكيمة. امَّا راحيل فكانت في هذه المرَّة لابسةً ابسط الثياب وقد خلعت كل ما كانت تتبرَّج بهِ من قبل كالاساور وسلاسل الذهب وسائر الحلى من الماس والياقوت. وكان في محيَّاها الجميل آثار واضحة تنبئ بما تقاسي من الآلام الباطنة

ولاحت من الاب يوحنا حبيس الجزيرة التفاتة الى البحيرة فرأى القارب يمخر الماء فاقام ينتظر وفودهُ. وما كان غير قليل حتى نزلت منهُ راحيل يصحبها خادمها السابق ذكرهُ فلمَّا وصلت الى الكوخ خاطبت الاب يوحنا قائلةً:

« قد جزتُ المحنة وكتمت محبَّتي امام حنَّة شقيقتي وكذلك امام زين بعلي وعملت في كل شيء وفقاً لنصائحك فقد وضعت الحديد المحمى على الجرح المنفتح غير ان الجرح لم يزل يدمي والكي ما برح يؤلم

« والحق يُقال ان العلاج الذي وصفتهُ ايها الاب هو اشد من السقم واوجع من الداء وكم من مرةٍ اثقلني الحمل فرزحت تحتهُ دون ان استطيع التفوُّه بكلمة شكوى. او تريد ان أدع المجال حرًّا لشقيقتي تسرح فيهِ وتمرح وانا صامتة ؟ أليس ذلك بمنزلة تمهيد الطريق لانتصارها وغلبتها ؟ انظر الى نتائج نصائحك. فانا عارفة حق معرفة بما قد خسرت ولكني أريد ان اعلم اي شيء ربحت من العمل بمشورتك

— ستعلمين ذلك قريباً يا ابنتي

— عسى الله ان يستجيب دعاءك يا ابي . غير اني لا اجسر على توقُّع تحقيقهِ فقد صنعت اكثر مما امرتني بهِ وجرَّبت اعمال الرحمة علَّها تكون دواء فعَّالًا وبلسمًا شافيًا لجراح نفسي فما انتفعت شيئًا . وقد تناسيت جراحي حتى لا افتكر الَّا في شقاء الآخرين ووقفت كنوز قلبي المسكين على تعزية المنكوبين والبائسين . وكفكفت دموعي لامسح دموع الغريب . وكم من ليلة احييتها ساهرةً على تمريض الاعلاء . ولا اعدّد هذا كلهُ ايها الاب المكرم افتخارًا باعمالي لاني بخدمتي للقريب كنتُ افتكر خاصَّةً بنفسي وقد سعيت لتعزية الآخرين في نكباتهم آملةً ان يعود ذلك عليَّ بنسيان ما انا بهِ من الاوجاع فما استفدت من هذا السعي شيئًا فانا اذًا اشقى الناس واتعسهم وقد ثقلت عليَّ اليوم وطأة المصيبة اكثر من ذي قبل

« والآن اسألك ان تدعني اكشف لك اسرار قلبي لآخر مرَّة . فانت رجل قديس بارّ لا تعرف ما هي المحبَّة . وقط لم يلتهب قلبك الَّا بمحبَّة الخالق ومحبة الخالق لا تشبه في شيء محبة المخلوقات . كلاَّ انك لم تفهم مصابي ولم يكن في امكانك فهمه فاوقعتني في الارتباك وزدت قلبي غصةً ولوعة لاني ابليت في القتال من اجل الفضيلة ومع ذلك لم ازل معذَّبةً (الباقي للآتي)

العلاج بالكهرباء

للدكتور نجيب افندي اصفر متولي المعالجة الكهربائية في مكتبنا الطبي
واحد أعضاء جمعية الطب الكهربائي في باريس

العلاج بالكهرباء الساكنة (تابع)

قد حان لنا ان نواصل بحثنا في العلاج الكهربائيّ الذي باشرنا فيهِ في بعض الاعداد السابقة من المجلة (٤ : ٤٣٣ — ٤٣٨) ومما بيَّنَّا هناك انَّ العلاج بالكهرباء الساكنة لمن افضل الوسائل لشفاء ادواء الرحم والاوجاع العصبيَّة التي يصحبها عادةً اشتداد في توتُّر الشريانات وانحلال عامّ في قوى الجسم . الَّا ان هذه الامراض ليست وحدها تنال من فضل الكهرباء ومنافعها . فانَّ اسقامًا غيرها كالهيجان العصبي (الرقص

الفرنجي) والفالج التشنجيّ والدوار الصرعي تتحسن بهذه المعالجة

وكذلك امراض عديدة لها علاقة مع الهستريا وضعف الاعصاب (neurasthénie) تُعدّ كلواحق هذين الدائين منها التشنجات والانقباضات العضليّة على اي صورة حدثت تدخل في حكم العلاج الكهربائي على الطريقة الفرنكلينيّة امَّا بمداواة عمومية وامَّا بمعالجة العضو الضعيف

امَّا الاوجاع العصبيَّة الحادَّة فالاولى تدبيرها بالمجاري الكهربائية الشديدة التواتر لتخميد هيجانها وألمها ألَّا انَّ الكهرباء الساكنة تقوى ايضاً على تلطيف حدّتها. يؤيد قولنا ما ذكرهُ الدكتور رينو (Ch. Renault) في مجلة الاسبوع الطبي (٧ حزيران ١٨٩٨) قال: «عالجت على هذا النمط مئتي مريض مصاب بوجع عِرق النَّسا (sciatique) فشفي منهم ثمانون في المئة وفاز الباقون بنصيب من الراحة»

وقد عالج الدكتوران ابوستولي وبلانيت (Planet) بالكهرباء الساكنة قوماً اصابهم داء المعدة الهستريّة فنجحوا نجاحاً تامًّا (١. وكذلك وفّقنا الله الى شفاء مريضين ابتُليا بمثل هذا الداء وكان بعض الاطبَّاء رصفائنا يظنّون انهُ داء المعدة العصبي (gastralgie tabétique) فتحققنا غلطهم بهذه الطريقة العلاجيَّة لان الكهرباء لا مفعول لها على وجع المعدة الناتج من تهيّج الاعصاب فكان اختبارنا احسن وسيلة لتشخيص المرض

وممَّا اختبرهُ الدكتور كتشكوفسكي (Gatchkowski) احد الاطبَّاء الروسيين المزاولين للعلاج الكهربائي ان مجاري الكهرباء الساكنة لمن افضل الادوية لتسكين اوجاع الاسنان. وامتحنَّا هذا الدواء في بعض المصابين بهذا الداء فكان مفعولهُ عجيباً وتوارى الوجع بعد جلسةٍ واحدة قصيرة

وكذلك الامراض الجلديَّة فانَّها اخذت حظَّها من منافع علاج الكهرباء الساكنة. فان الدكاترة الفرنسويين كدومر (Doumer) استاذ الطب في مدرسة ليل وبرديار (Bordier) في ليون ودرسُنڤال وغيرهم كثيرين اطالوا في ذكر المعالجات التي نالوها من هذا القبيل فشفوا الرَّبة (eczéma) والنفاطات وغير ذلك من الخُراجات الجلديَّة

---

١) راجع مجلة «Société française d'électrothérapie» في عددها المنشور في تشرين الثاني سنة ١٨٩٨

وقد تمكَّن الحقير كاتب هذه الاسطر من شفاء شخصين ظهرت فيهما البُقع الدمَّليَّة المعروفة بالوردية (couperose) فكنت ترى على وجه كلّ واحد منهما وخصوصاً على الانف بثوراً صغيرة حمراء وعلى محيَّاهما كان ظاهرًا احتقان الدم وانتفاخ العروق. وكان كلاهما طلب المعالجة عند كثيرٍ من الاطبَّاء واختبر ضروب الادواء الاول منذ خمس سنوات والآخر منذ سنتين. ومما وُصف لهما ان يحتميا عن بعض المآكل ويقتصدا في الطعام ويدَّهنا بالدهون والمراهم كالكبريت والزئبق والحامض السَّليسليك. الَّا ان ذلك كلَّهُ لم يُجدِهما نفعاً. فعالجتهما بالكهرباء فشفي الاوَّل شفاءً تامًّا بعد شهر وتحسَّنت حال الثاني بعد شهرَين تحسُّنًا ظاهرًا. وكان كلاهما يستحمُّ كل يوم مدَّة نصف الساعة بالحمام الكهربائي

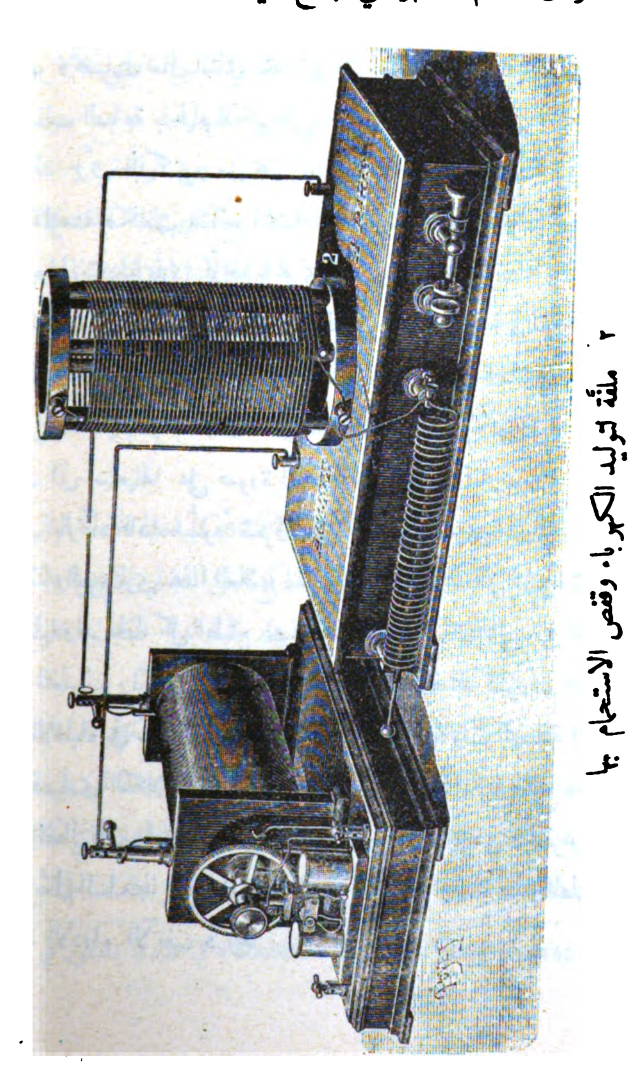
وقد جرَّب الدكتور ماركان (Marquant) في مدينة ليل هذا العلاج في قروح الساق المزمنة فكانت نتائج اختباراتهِ عجيبةً فاقت اطوار آمالهِ وكذا القروح الناتجة عن الدوالي (varices) ازالها بالمجرى الكهربائي

وعلاوةً على ذلك ترى العلاج بالكهرباء نافعاً جدًّا في داء الفالج سواءٌ ظهر على صورة العضلات المخطَّطة او العروق المَلِسة. ويكون العلاج اماً بطريقة النفخ واما بطريقة الاستحمام او باطلاق الشرر او بالاهتزازات الكهربائيَّة. وكانت الامم القديمة اهتدت الى استعمالها على صورة الاهتزازات فكان المفلوجون منهم يعمدون الى السمك المعروف بالرعَّاد فاذا مسُّوهُ شعروا بهزَّة تنبهُ الاعصاب المشلولة وتنعش الوظائف الحيويَّة. واليوم ترى هذا العلاج نفسهُ جاريًا عند القبائل المتوحِّشة

هذا وقد لحظ كل اطباء عصرنا ما للعلاج الكهربائي من الفعل الحسن في انماء القوى الغذائية. نكتفي بالاشارة الى ما كتبهُ الدكتوران دَرسُنڤال وڤيكورو من نُطُس الاطباء في عهدنا. فانَّهما سطَّرا في ذلك المقالات النفيسة التي شاعت على رؤُوس الملإ. وقصارى الكلام ان قلَّة شهوة الطعام ليس لها علاج انجع من الكهرباء كما انها الدواء الفعَّال في مداواة أمراض المفاصل كالروماتزم المزمن والنقرس والبول السكَّري الخ. والحقُّ يقال اننا منذ عانينا المعالجة الكهربائيَّة قد وجدنا هذه الطريقة من اعمل العوامل لماكسة الادواء الآنف ذكرها



١ فراش الحمام الكهربائي بجامع ذي سلكين



٢ ملفة لتوليد الكهرباء وقفص الاستحمام بها

هذه لمحة وجيزة تبيّن مع قصرها بأجلى بيـــان ما للكهرباء الساكنة من المفاعيل العجيبة في الطب الحديث

الجاري المتعاكسة الشديدة التواتر

انّ الكهرباء الطبيّة مديونة للعلامة دَرسُنفال بمـا ابتكرهُ من الطرائق الجديدة للمعالجة بهذا العامل الكبير نعني بذلك العلاج بالجاري الكهربائية المتعاكسة الشديدة التواتر (courants alternatifs de haute fréquence)٠ وقد وُضع لهذا الاختراع المستحدث عدة آلات لا يسعنا هنا وصفها٠ وانما نكتفي برسم الآلة التي تولّد الجاري المتواترة مع صورة احد المستحمّين بها (راجع الشكل في الصفحة ٨٠٤) تنفذ فيهِ الكهرباء من قطبيها السلبي والايجابيّ او من سلك واحد تتعاقب فيــهِ الجاري الكهربائيّة

وان سألت ما هي العاهات التي تُداوى بهـــذه الجاري٠ اجبتُ اجمالًا انّ عددًا وافرًا منها على اختلاف أعراضها تُعالج اليوم على هذه الطريقة بنجاح يختلف في الكم والكيف٠ ومن مرويّات الدكتور فوڤو دي كورمــل (F. de Courmelles) ان عدّة أمراض كالطمث النزفي (ménorrhagie) واوجاع الرحم وغير ذلك من أمراض النساء تنال بالجاري الشديدة التواتر علاجًا طبيًّا

وما كاد يشيع اكتشاف الدكتور دَرسنفال حتى شرع المسيو اودين (M^r Oudin) ينقّب عن مفاعيل الكهرباء المحليّة في العلل التي تعرض للجلد والغشاء المخاطي فرأى من نتائجها ما لم يَدُرْ على خلدهِ٠ وكذلك تحقّق قوّتهـــا العجيبة في مداواة عدة قروح متولِدة من الميكروبات والجراثيم العفنيّـــة وبعض الحلميّات لاسيا الخراريج والقروح والنفاطات والقرَع والربّة (اكزيما)

ومذ ابتدأتُ بمباشرة العلاج الكهربائيّ اتاني كثيرون من المبتلين بهـــذه العلل فداويتهم بالجاري الكهربائية الشديدة التواتر ذات القطب الواحد (unipolaire) ونالوا بقوّة الله الشفاء التام٠ واخصُّ منهم بالذكر رجلًا من اهدن (ب٠م٠) اتاني في ٣ آذار من السنة الجارية يطلب دواء لدمّلة حصلت لهُ في انفهِ منذ ثلاث سنين عالجها بالمراهم والدهون واسترط لمداواتها أنواع الحبوب والمشروبات وفقًا لمشورة الاطبّاء الّا ان مساعيهُ ذهبت أدراج الرياح٠ وكان بلغ بهِ الداء الى ان يلتجئ الى جرّاح شهير اشار عليـــهِ

بعمليَّة تشوّهه رجاؤهُ البرء بواسطتها. فقبل ان يجرّب هذه الطريقة الجراحية احبَّ ان يعرف هل من رجاء في الشفاء بواسيلة الكهرباء فاجبتهُ انَّ علاجهُ ليس بمستبعد وعلى كلٍّ لا بأْس من الامتحان. فلبى الى دعوتي وفي صباح اليوم التالي جعلت اعالجهُ فما مرَّ عليهِ شهر تام حتى برئ واندمل القرح دون ان يبقى منهُ اثرٌ فانصرف ولسانهُ يترطَّب بعبارات الشكر مثنياً على الكهرباء ومكتشفيها

واحببت ان اجرّب مفاعيل الكهرباء الشديدة التواتر في تضمير السمناء. فافضى بي الامتحان الى نتائج حسنة لكني لا اجسر أن اقطع بالامر الى ان يزيد اختباري وادوّن ملاحظاتي تدويناً مدقّقاً. اماَّ الآفات العارضة للقوى الغذائية كالبول السكَّري والبول الزلالي والنقرس وأوجاع المفاصل فقد لحظنا ان الكهرباء من احسن الطرق العلاجيَّة في مداواتها

وممَّا تثبَّتهُ المسيو موتيار (Mr Moutier) وذكرهُ للجمعية الفرنساويَّة المنشأة للعلاج بالكهرباء انَّ الحصاة الصفراويَّة والكلويَّة اذا عُولجت بالكهرباءِ المتواترة تُشفى في اغلب الاوقات. بل كثيرًا ما تخرج الحصاة دون ألم كبير مع خفَّة الأعراض التي ترافق عادةً استخراجها

وممَّا يجدر بالملاحظة انَّ الجاري الشديدة التواتر لا فعل لها في داءَي الهيستريا وضعف الاعصاب (النورستينيا) بخلاف ما ذكرنا عن الكهرباء الساكنة. لكنها توثّر في مزاج المريض فتمنع ظهور العلل وذلك بتأثيرها الحسن في اوجاع المفاصل وسوء الهضم والتسمُّم والهزال (الانيميا). وكذلك بعض عاهات تُعدّ كصور مختلفة لداء ضعف الاعصاب تنال بواسطة الكهرباء المتواترة الجاري تحسُّناً يقرّبها من الشفاء فيلين توتُّر الاعصاب وتنمو حرارة الجسم نموًّا يبلغ بضع عشرات وذلك بعد الجلسة الاولى ويرجع للجسم نشاطهُ فيقوى العليل على المشي بسهولة وتتحسن حالتـهُ الادبيَّة بترويح افكاره

اماَّ اوجاع الهيستريَّا والنورستينيا الحادَّة فان استعمال الكهرباء المتواترة المجاري في موضع الالم يلطفها ويزيلها



رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الثالث للنصرانيّة

للاب يوحنّا راي اليسوعي

من أعمل نظر عقلهِ الصائب فقابل بين عقائد البيعة الكاثوليكيّة في عهدنا والآثار التاريخيّة في بدء انتشار الدين النصراني لا يلبث ان يجد بين كليهما اتفاقاً تامًّا بحيث يرى لاوّل وهلة ان الكنيسة الحاضرة هي هي الجماعة التي انشأها المسيح ووكل امرها الى رسلهِ الحواريين لا تختلف عنها ذرَّة. فانك مهما بحثت في معتقدات هذه الكنيسة وجدت اصلها واضحاً في اسفار العهد الجديد او التقليد الرسولي الصادق. ولا غرو فانهُ لا يمكن ان يصيب جسمَ المسيح الادبي اختلافٌ ايًّا كان كما لم يلحق بجسدهِ الارضي شبهُ الفساد (المزمور ١٥: ١٠ وكتاب الاعمال ٢: ٢٧) لان المسيح اليوم كما كان امس وكما يكون غدًا (عب ١٣: ٨)

ألّا انَّ هذه العقائد التي تجاهر بها الكنيسة الكاثوليكيّة في ايامنا مع انطباقها التام على عقائد الكنيسة الاصليَّة لم تتضح في القرون الاولى اتضاحها في الاعصار التابعة ومثال ذلك مثال الجنين الذي يحتوي بالقوة كل الاعضاء التي هي في الرجل التام البنية وان لم تظهر اعضاء الصغير لكل العيان كما تراها في الكبير عند كمال نشأتهِ

وكأني بالرب لذكرهِ السجود قد استثنى من هذا الحكم عقيدةً جوهريّة وهي رئاسة القديس بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين فشاء ان يشهرها علانيةً في انجيلهِ الكريم لمَّا جعل بطرس الرسول صفاةً يبني عليها بيعتهُ وسلَّمهُ رعاية خرافهِ ونعاجهِ ثمَّ طبع في قلوب المؤمنين الاولين هذا التعليم الاساسي فتراهُ شائعاً منتشرًا في عهد الرسل انتشارهُ في ايّام عزّ البابويّة وشرفها الباذخ

وقد كتبنا سابقًا في هذه المجلة مقالتين جمعنا فيهما شواهد عديدة تبيّن ان كنائس الشرق فضلًا عن الغرب كانت تعترف اعترافاً باهرًا برئاسة الحبر الروماني وسيطرتهِ التامَّة عليها في امور الدين وذلك منذ القرن الاول (المشرق ٣: ٢) والثاني (٣: ٤٤٢) للمسيح. وقد بدا لنا اليوم ان نواصل هذا البحث ونجمع بعض آثار القرن الثالث التي تؤيد هذه

العقيدة وتجعلها كالبناء المرصوص الذي لا يقوى على نقضهِ عدو

كان الجالس على السدَّة البطرسيَّة في أوائل القرن الثالث احد اجلَّاء الاحبار القديس زيفيرنوس الشهيد الذي دبَّر الكنيسة جمعاء رغمًا عن الاضطهادات والمحن احسن تدبير. على انَّ سلطتهُ السامية ظهرت خصوصًا مع الشرقيين. فان هراطقة كثيرين كانوا نفثوا سمَّهم في المشرق كالادريين (gnostiques) وغيرهم لكنَّهم لمَّا رأوا ان مساعيهم لا تفوز بالمرام ما لم يغووا زعيم الكنيسة الرومانيَّة انتقلوا الى رومة وجعلوا يدسون فيها الدسائس الَّا ان عين الاحبار المعظمين كانت ساهرةً فحكموا عليهم حكمًا قاضيًا بإباد ريحهم. وممَّن قضى عليهم نائب المسيح وقتئذٍ اشياع فوطينوس وتاودوطوس البوزنطي واشياع سابليوس كبراكسياس وأبيغونوس واشياع منتانوس وكلُّ هؤلاء كانوا قدموا من اقليم آسيَّة وسوريَّة ومصر الى ام المدائن رجاء ان ينشروا فيها عدوى تعاليمهم ويجتذبوا الحبر الاعظم كما خدعوا غيرهُ من الاساقفة في الشرق. لكنهم صدموا الصخرة التي لا تتزعزع فاخفق مسعاهم وضربهم البابا زيفيرنوس وخلفاؤهُ ضربة لازبة محقت ذكرهم. وممن انتصروا وقتئذٍ الى المنتانيين ذلك المعلم الشهير ترتليان فشقَّ عصا الطاعة للكنيسة الرومانيَّة وكتب ما كتب. الَّا ان شتائمهُ نفسها تشهد لرئاسة الكنيسة الرومانيَّة ويقرّ بان الحبر الروماني كان يُدعى وقتئذٍ «اسقف الاساقفة» وانهُ «يحلُّ من الكبائر» الذين يأتونهُ تائبين منيبين. قال ترتليان ذلك في رسالتهِ الى براكسياس. وممَّا اخذهُ على البابا زيفيرنوس في تلك الرسالة انهُ حرم «منتانوس مع ان سلفاءهُ لم يفعلوا» (præcessorum ejus *auctoritates* defendendo) فاقرَّ بذلك ان للاحبار الرومانيين الحل والعقد في امور الدين يُرجع اليهم في الدعاوي النهائيَّة

وممن شهدوا للكنيسة الرومانيَّة في القرن الثالث من اهل الشرق احد اركان الكنيسة وعلمائها المبرّزين اوريجانس الشهير فريد عصره ونسيج وحدهِ في زمانهِ. فان من اطلع على تآليفهِ الضخمة التي صبرت على آفات الدهر وجد في كلامهِ عدَّة نصوص تثبت سلطان هامة الرسل على جميع الكنائس فكثيرًا ما يقابل بينهُ وبين الرسل فيبيّن فضلهُ عليهم في الرئاسة التامَّة فتارةً يدعوهُ «الراعي الاعظم» وتارةً يقول انَّ «لهُ وحدهُ أُعطيت مفاتيح كلّ السماوات لا مفتاح سماء واحد كبقيَّة الرُّسل[1]» وحينًا «انهُ

١) راجع مجموع الآباء اليونانيين لمين المجلد ١٣ العدد ٦١٢

الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة والتي عليها لا تقوى ابواب الجحيم وان امكنها ان تقوى على اي بشر كان (١ »

وقد اقرّ اوريجانوس العظيم بسلطان الكنيسة الرومانيَّة ليس فقط باطراء رأسها بل ايضاً فعلًا حين سُعي بهِ الى الحبر الاعظم البابا فابيانوس لما كان يعلّم من التعاليم غير الصوابيَّة. فكتب اوريجانوس الى رئيس الكنيسة ليزكي نفسهُ ويطلب السماح عمَّا فرط منهُ في التعليم مبينًا انهُ معتصم بحبل الكنيسة. شهد بصنيعهِ هذا اوسابيوس القيصري في تاريخهِ (ك ٦ ع ٣٦) قال: « وكتب اوريجانوس الى فابيانوس اسقف رومة بخصوص اورثذكسيَّتهِ (περι της κατ' αυτον ορθοδοξιας). وكرّر ذلك القديس ايرونيموس (في رسالتهِ ٨٤) وروفين (في جوابهِ على ايرونيموس) وكان كلاهما يؤكد انهُ ارسل للبابا كتابًا يجحد فيهِ اضاليلهِ. فلعمري لو كان سلطان اسقف رومة كسلطان بقيَّة الاساقفة فما كانت الحاجة الى اوريجانوس ان يبرّر نفسهُ امام الحبر الروماني امَا كان يكفيهِ ان يخضع لاسقف الاسكندريَّة الذي كان تحت حكمهِ. فليُجبنا الاخوة المنفصلون ان امكنهم

ولكن ما لنا نذكر اوريجانوس ولنا في اسقف الاسكندريَّة نفسهِ دليل لامع على نفوذ الكرسي الروماني. ألا وهو البطريرك العظيم القديس ديونيسيوس الاسكندري فان هذا الحبر الجليل كان عمدة الكنيسة ونورًا ساطعًا يستضيء بهِ المؤمنون في الشرق. بيد انهُ كان في كتاباتهِ الدينيَّة استعمل بعض الالفاظ التي تُشعر بكون الكلمة ابن الله دون الآب الازليّ في الكمال. فللحال كتب الشرقيون الى سميّهِ البابا ديونيسيوس الروماني لينتصر للحق ويدافع عن التعليم الكنسي ففعل وكتب الى اسقف الاسكندرية يبين لهُ حقيقة الثالوث الاقدس ويطلب اليهِ بان يُصلح ما لعلهُ فرط منهُ سهوًا في التعليم فاجابهُ ديونيسيوس الاسكندري موضحًا صحة اعتقادهِ ومتلافيًا ما كان سببًا لشكوك البعض معترفًا بالتعليم الاورثذكسي. وهذا الامر قد اخبر بهِ القديس اثناسيوس العظيم ذاكرًا ايمان سلفهِ وخضوعهُ للكرسي الرسوليّ (٢

وليست هذه المرّة الوحيدة التجأ فيها ديونيسيوس الاسكندري الى رومة وزعيمها

١) راجع شرحهُ على متى مين ج ١٢ ع ٥٢٣ و ٥٢٦

٢) راجع اعمال القديس اثناسيوس الجزء الثاني ع ٥٠٥

الجليل. فانهُ لمَّا ارتاب في امر عماد الهراطقة اثابتٌ هو ام باطل كتب الى البابا سكستوس الثاني كتاباً ينبئ عن خضوعهِ التام الى تعاليم احبار رومة الاعظمين قال (١: « ايها الاخ الاعز اني محتاج الى مشورتك وطالب حكمك لئلا يصيبني وهمٌ » ثم عرض المشكل مستعدًّا للعمل بموجب رأيه السامي. وللقديس نفسهِ كتابان آخران اثبتهما اوسابيوس القيصري (ك ٤ ف ٩ وك ٧ ف ٥) يطلب في الاول من البابا سوتير صدقات ليوزعها على المؤمنين ومذكرًا اياهُ بما « اعتادتهُ الكنيسة الرومانيَّة منذ القدم من مساعدة البائسين الموجودين في جميع الكنائس » وفي الثاني يشكر البابا اسطفان الاول على ما ارسلهُ من الزكاة للمؤمنين وفي جملة ما يقول: « ان الكنيسة الرومانيَّة في كل زمان ساعدت كنائس سوريَّة وعربيَّة في حاجاتها ». فناشدتك الله أليس كل هذه الحجج تدلُّ دلالةً بيّنة على اهتمام كنيسة رومة بجميع الكنائس وما ذلك الَّا لتقدُّمها بينها وحنوّها عليها كالام على اولادها الذين تحت حكمها

هذا وفي كلامنا عن القديس ديونيسيوس الاسكندري واستفتائهِ للقديس سكستوس قد مسسنا مسئلةً طالما اتخذها اعداء البابويَّة حجَّة على سلطة الكنيسة الرومانيَّة. فان هذه المسئلة كانت كحجر عثرة لكثيرين من الاساقفة خصوصاً القديس قبريانوس وذلك انَّ هذا القديس الشهيد والمعلّم البارع كان يذهب الى ان العماد اذا تولّاهُ الهراطقة كان باطلًا فلا بدَّ من اعادتهِ. فتصدَّى لهُ القديس اسطفانوس الاول وردَّ عليهِ. وتعدَّدت الرسالات بينهما وتحزَّب للقديس قبريانوس اساقفة افريقية وفرميليان اسقف قيساريَّة حتى اوشك البابا ان يحرم قبريانوس والمنتصرين لهُ. ولا نجهل ان في كتابات قبريانوس وفرميليان عبارات تنبئ بغيظٍ وقلة اعتبار للحبر الروماني ولكن من راجع هذه الكتابات بتروٍ لا يرى فيها الَّا شاهدًا جديدًا على سلطة الكنيسة الرومانيَّة. فانَّ قبريانوس وفرميليان لا ينكران سيطرة الكرسي الروماني وانَّما يزعمان ان هذه المسالة تخص التدبير الخاص لا دخل لها في التعليم وفي سياسة الكنيسة العموميَّة. ومهما كان من الامر فانهُ لا احد يجهل ان المجمع النيقاوي وافق في هذا الصدد كنيسة رومة ورذل قول قبريانوس واحزابهِ (٢. وزد على ذلك ان للقديس قبريانوس شواهد عديدة

١) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس (ك ٧ ف ٩)

٢) راجع تاريخ العلَّامة هرغنروثر (ص ٧٧٨)

يصرّح فيها بسيادة الكرسي الرسولي ورئاسته على جميع الكنائس لا نذكرها هنا لان قصدنا في مقالتنا ان نثبت شواهد على هذا المعتقد للشرقيين دون الغربيين. ولكن ما لا يسعنا السكوت عنهُ انّ خلَف القديس اسطفان على كرسي بطرس لم ينقم على فرميليان اسقف قيسارية ولمّا علم انّ المجاعة فشت في مدينته نسي ما كتبهُ سابقاً في حق الكنيسة الرومانيّة وبادر الى ان يمدّ اليهِ والى رعيّتـهِ يد المساعدة ويستفكّ من اغلال العبوديّة عدداً غفيراً من مرؤوسيهِ. ذكر الامر القديسُ باسيليوس في رسالتهِ ال٧٠ الى البابا داماسوس

ولكن ليس في القرن الثالث شاهدٌ اغرب على سلطان الكنيسة الرومانيّة ممّا جرى في انطاكية لبولس السميساطي واشياعهِ. وانّ قرّاء المشرق يذكرون الفصل المطوّل الذي كتبهُ في شأن هذا الاسقف الشهـير حضرة الكاتب المحقّق الاب سبستيان رنزفال (راجع المشرق ١: ٩٩١—٩٩٥) وقد ختمـهُ (ص ٩٩٤) بذكر المجمع الذي عُقد في انطاكية فعُزل فيهِ ذاك المبتدع وبيّن ما كان للسدّة البطرسية من المشاركة في هذا الامر. فانّهُ ليس فقط صادق القديس ديونيسيوس على حكم الآباء واثبت قضاءهم ولكن لمّا استعان السميساطي بزينب ملكة تدمر وضبط الاوقاف الكنسيّة بالقوة الجبريّة لم يحفل بحكم المجمع الى ان ثلّ اوريليانوس عرش ملكة المشرق ودخل انطاكية ظافراً فاتخذ دُمنس اسقفها القيصر الروماني كحكَم يبتّ المشكل بدرايتهِ. فكان جواب اوريليانوس اهلًا بان يُكتب باحرف ذهبيّة ليعرف كل الامم حقوق البيعة الرومانية على الكنائس قاطبةً فقال القيصر: «انّ هـذه الاوقاف الواقع عليها الخلاف انما تخص النصارى المشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومة (٢». فللهِ درّهُ من جواب نطق بهِ رجل وثنيّ فشهد بذلك انّ المشركين فضـلًا عن المؤمنين كانوا يعرفون رئاسة الكرسي الرسولي في القرن الثالث للمسيح وقد جرى ذلك لا في احدى كنائس الغرب بل في احدى الكنائس الرسوليّة كنيسة انطاكية التي انشأها هامة الرسل

فيا ليت المعادين لسلطة الاحبار الرومانيين يمعنون النظر في هـذه الحجّة الدامغة فانها وحدها كافية لتزيل من عقولهم كلّ الشبهات لو كانوا ممن يطلبون النور ولا يكابرون الحق: جعلنا الله واياهم في حظيرة المسيح وتحت حكم الراعي الواحد الذي اقامـهُ على قطيعهِ الناطق فانّهُ السميع المجيب

٢) راجع تاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٧ ف ٣٠)

مطبوعات شرقية جديدة

CHRONIQUE DE MICHEL LE SYRIEN, T. I FASC. 2 *Paris* 1900
éditée et traduite par J-B Chabot.
ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܡܝܟܐܝܠ ܪܒܐ ܦܛܪܝܪܟܐ

عرَّفنا قرَّاءنا في السنة المنصرمة (المشرق ٣:‏ ٩٠٩) فحوى هذا التاريخ وعظم شأنهِ وما في نشرهِ من الفوائد الجمَّة. وقلنا هناك انَّ صاحبهُ احد بطاركة اليعاقبة ازهر في منتهى القرن الثاني عشر. واليوم قد اطَّلعنا على القسم الثاني من هذا التأليف وهو يتضمَّن تاريخ ٧٠٠ سنة بنيّف منذ عهد الاسكندر المقدوني الى وفاة تاودوسيوس الكبير سنة ٣٩٥م جمع فيهِ مؤلفهُ ميخائيل الكبير ما وجدهُ في ائمة مؤرخي الكنيسة اليونانيين كاوسابيوس القيصري وسقراط وسوزومان واضاف الى ذلك عدَّة اعلامات اخذها من قدماء كتبة السريان كيعقوب الرهاوي وغيرهِ. وزد عليهِ جداول عديدة للملوك والبطاركة والاساقفة والاباء القديسين. امَّا الترجمة الفرنسيَّة التي ألحقها بالكتاب حضرة الاب شابو فلا يسعنا الَّا ان نكرّر هنا عبارات الشكر والثناء على همتهِ وسعة علمهِ وحسن قيامهِ بهذا العمل الخطير الذي خدم بهِ العلم والدين معاً اجزل الله ثوابهُ في الدارين

سلاسل القراءة

السلسلة الخامسة. طُبعت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠١ (ص ٢٤٤)

انتهت بهذا الجزء الخامس هذه السلاسل الادبيَّة التي جمع فيها صاحبها جناب الفاضل خليل افندي سركيس من طوارف قرائح كتبة زماننا ما يسرّ الاحداث ويطلعهم على كثير من اختراعات العصر وعلومهِ نخصُّ منها بالذكر مقالة الدكتور بورتر في اللغات ومقالة صاحب العزَّة شكيب افندي ارسلان في الاقتصاد السياسي ومقالة التاريخ لجرجي افندي يني واهمّ الاختراعات لسليم افندي كسَّاب ومقالة الزراعة للاديب المتفنن سليم افندي اصفر. والكتاب مضبوط بالشكل الكامل وهو حسن الطبع شأن كل منشورات المطبعة الادبيَّة. وان سمح لنا صاحب السلسلة بملاحظة لقلنا اننا كنَّا وددنا لو ضمَّن هذا المجموع شيئاً من المقالات الادبية لو الدينيَّة فان مثل هذه المقالات اوقع في قلوب الاحداث وارسخ في اذهانهم ل. ش

شذرات

﴿ بشرى ﴾ بشّرت مجلة الضياء قراها في عددها الثاني والعشرين (ص٦٨٥–٦٨٧) ان دكتورًا اميركيًّا اكتشف لغة القرود. والمجلة المنوَّه بها لا تشك في هذا الاكتشاف الخطير فمن اراد ان يكلِّم القرود فما عليهِ الَّا مراجعة الضياء فيرى في صفحاتها الطريقة المثلى لمحادثة جدّ الانسان الاول. وقد جمعت هـذه المجلة عدَّة الفاظ وأصوات يفهمها القردة فان « هِهي » مثلًا تدلُّ على الاستحسان و « إِسكْ » تدلُّ على التعجُّب. ومن مرويَّات الضياء انَّ « للقرود لفظاً يدلُّ على اللّبَن » لا بل لها معانٍ بليغة منها ما مفادهُ « وجدتُ شيئاً طيباً » و « ايَّاك من الدنو » الى غير ذلك ممَّا ضنَّت بهِ علينا المجلة هذه المرَّة ولكن لا يبعد انَّ صاحبها يتحفنا قريباً بصرف هذه اللغة ونحوها لأنهُ تأكَّد ان « كلَّ صنف من القردة لهُ لغة يتفاهم بها الَّا انّ تلك اللغات ترجع باسرها الى لغة واحدة عامَّـة ذوات الايدي الاربع » وتحقق ايضاً انّ في لغة القرود « الاصوات الهوائيَّة هي بالطبع اكثر عندها من الحروف المقطعيَّة واكثرها وجودًا الواو الممالة واقلها الياء الممالة الى الالف واكثر الاحرف المقطعيَّة مخرجها من الحلق » ومن اراد الاستعلام عن هذه اللهجة الشريفة فليخابر الشيخ الفاضل صاحب المجلة. ولا غرو انهُ باشر في معجم هذه اللغة فيطبعهُ قريباً. ومن اغرب خواصها انها كلها فصيحة لا نظن ان صاحب الضياء يجد فيها اغلاطاً يدوّنها في مجلّتهِ كما فعل ولا يزال بلغة العرب. انار الله شرقنا العزيز زمناً طويلًا باشعة الضياء وشموسهِ الساطعة ومكَّنهُ من فهم لغة كلّ حيوانات المعمور

﴿ المهاجرة ﴾ ارسل الينا ثلاثة من افاضل الكتّاب وهم حضرة الخوري كيرلّس رزق والاخ البارع امبروسيوس شرقي وجناب الخواجا فضول بك البستاني مقالات حسنة موشّاة بالالفاظ الانيقة والمعـاني الرشيقة. نتأسَّف على انَّ ضيق المجلة لا يسمح لنا بنشرها لاسيا انَّ هذا الموضوع قد استرسل المشرق فيهِ الكلام غير مرَّة (راجع المشرق ١ : ١١٠٥) وكذلك البشير قد كتب في هذا الشأن دفعات متواترة (راجع خصوصاً السنة ١٨٩٥ في تاريخ ٣٠ ك ٢ وما يليهِ). فنشكر لكاتبينا فضلهم ونستميحهم المعذرة فالعذر من شيم الكرام

عاديات بعلبك — علمنا من ثقة ان المهندسين الالمان اتموا حفر الهيكل الجميل المنسوب للزهرة واظهروا ما كان لهُ من الهندسة الرائعة والاتقان العجيب في النقوش وكان يُصعد اليهِ بسلَّم كبير. ومما تحقَّقوا انَّ الساحة المربَّعة التي امام هيكل الشمس كان لهُ ثلاث درجات وان القاعدة العظيمة المبني عليها الهيكل هي قاعدة رومانيَّة لا فينيقيَّة كما زعم الجمهور واذا كُشفت الدكَّة بتمامها اضحى الهيكل ظاهرًا للعيان كما كان في عهد الرومان. ومما وُجد في اخربة هيكل الزهرة تمثال شلو شابٍ تشعُّ من رأسهِ الاشعَّة لا تُعرف حتى الآن حقيقتهُ. ومنها ايضًا مذبح المحرقات الذي وُجد ضمن البهو الكبير وهو مبني بحجارة ضخمة ولهُ افريزان ومن خلفهِ درج كان يُصعد منهُ اليهِ. وفي البهو ايضًا ظهرت بعض كتابات يونانيَّة ولاتينيَّة وافاريز وحجارة منقوشة بافانين النقوش. وفي فسحة البهو وُجد حوضٌ ثانٍ على جوانبهِ تصاوير بشر وحيوانات وزهور

عاديات طبيعيَّة — اكتشف اعضاء لجنة العاديات الانكليزيَّة في باكرمي من اعمال اليونان عددًا وافرًا من هياكل حيوانات سبق عهدها الطوفان كالمثوث والميغاثريوم والدينوثريوم واصناف غريبة من الكركدَّن والاسد والسلحفاة الضخمة والخيل. وهذه الهياكل تشبه ما كان وجدهُ العلماء سابقًا في نواحي المعمور. بيد ان هذه محفوظة اتمَّ حفظًا من تلك وبعضها اضخم منها يقال انَّ سنَّ احدها تبلغ مترًا بنيف. ومما يُستفاد من هذا الاكتشاف انَّ بلاد اليونان وجزائرها كانت في سالف الاعصار مرتبطة بقارة آسيَّة لما من الشبه بين هذه الحيوانات المكتشفة حديثًا في اليونان وحيوانات بقيَّة اقطار آسيَّة السابقة التاريخ مع انها تختلف عن حيوانات اوربَّة

بعثات علميَّة الى القطبين — سيبلغ هذه السنة عدد البعثات العلميَّة المرسلة الى اكتشاف القطبين الجنوبيّ والشماليّ عشرًا. منها انكليزيَّة واميركيَّة وروسيَّة وجرمانيَّة. وكذلك البحَّار پيرى (Peary) ورفقاؤهُ يتولَّون الابحاث العلميَّة في جهات غرونلند والدكتور روبرت ستين يطوف بلاد إلَّسمرلند. واملنا ان نفيد قريبًا قراءنا عن نتائج رحلاتهم

* ترقي فن المناطيد * انَّ الاختبارات التي اجراها ارباب المناطيد سابقًا في فرنسة حدت بثلاثة منهم الى ان يقطعوا البحر المتوسط راكبين متن الجوّ وهم الاساتذة فرننددو شيريس وبودوك وكليمنت وهم يترلون اولاً في جزيرة كورسيكا ثم يواصلون سيرهم الى بلادنا رافقتهم السلامة

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب س. معلوف: ١ً هل تحدث السيَّارات تأثيرًا في ارضنا مدة دورانها بخصوص الآثار الجويَّة واجسام الحيوانات والنبات. ٢ً هل للقمر منازل وكيف تُعرف

تأثير السيَّارات في ارضنا – منازل القمر

ج نجيب عن (الاول) ان تأثير السيَّارات وخصوصًا القمر في ارضنا لمن الامور التي لم يتحقَّقها العلماء حتى الآن. والمرجَّح انها لا تأثير لها في ذلك اللهمَّ الَّا القمر فان لهُ تأثيرًا في مدّ البحر وجزره. ولحظ البعض ان لهُ مفعولًا خفيفًا في ميزان ثقل الهواء غير انَّ الامر ليس بثبت. وكذا قُل عن الحيوان والنبات – نجيب على (الثاني) انَّ للقمر كما للسيَّارات السبع منازل تختلف باختلاف دورانه وحركاته الشتى وقد عدَّد العرب هذه المنازل وذكروا اسماءها. وللمراصد الفلكيَّة جداول تعرّف البروج التي ينزلها القمر في فصول السنة تدوّنها المجلات الكبرى مع بقيَّة حركات السماء

س وسأل حضرة الرئيس الفاضل والاب الجليل اونسيموس صوصا رئيس المدرسة الحنَّاوية في الشوير : ما سبب الفرق الموجود بين الترجمة العبرانيَّة والترجمة السبعينيَّة بخصوص اعمار الاباء الاولين الذين كانوا قبل الطوفان

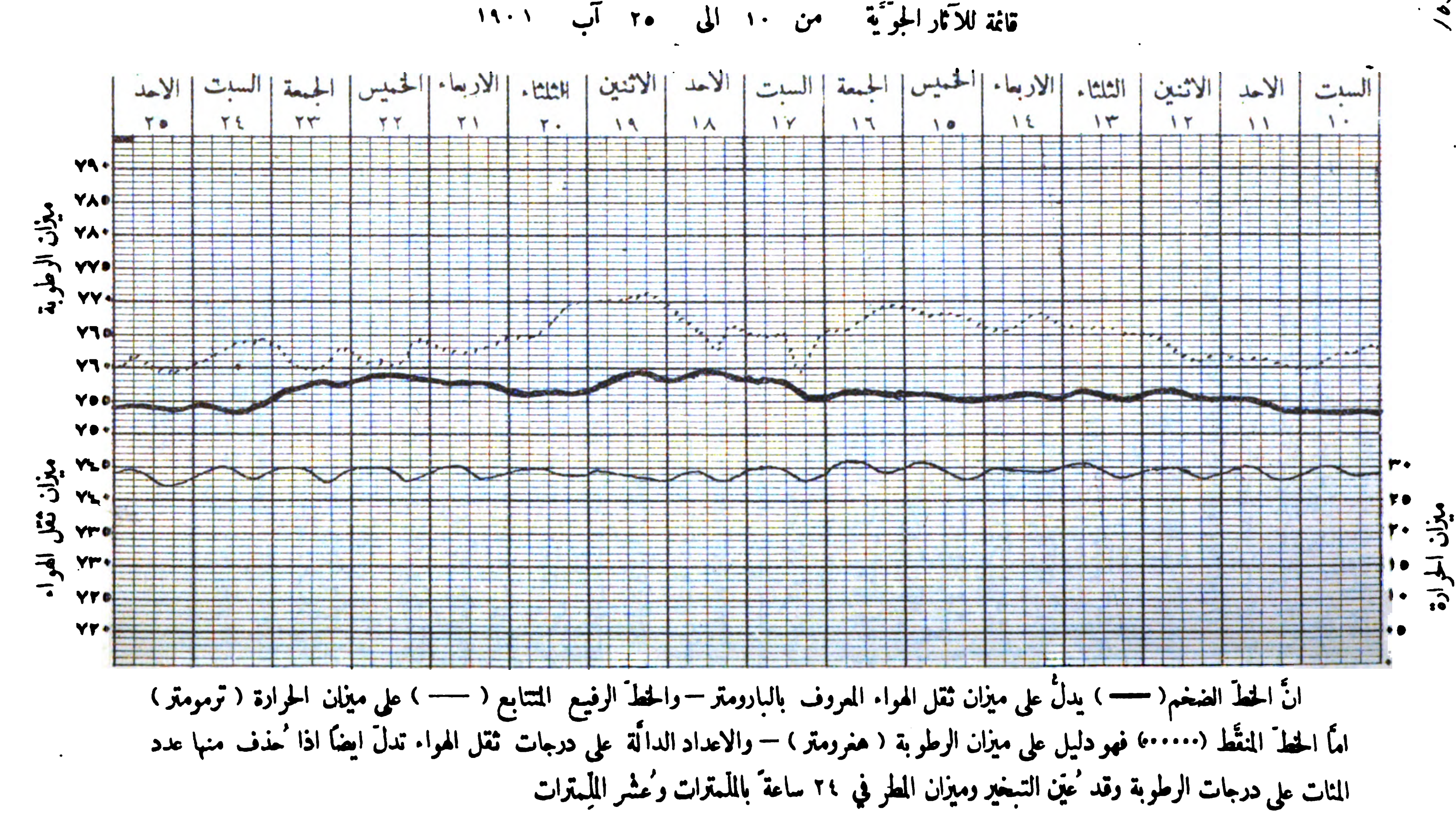
اختلاف اعمار الآباء الاولين في الترجمتين العبرانية والسبعينية

ج قد ذكر المعلمون اسبابًا عديدة لهذا الاختلاف. والاصح عندنا ما كتبهُ الاب تورنغين اليسوعيّ قال: انَّ الكاتب العبرانيّ بعد ذكرهِ (تك ١١ : ١٠) عن سام انهُ ولد ارفحشاد وعمرهُ مئة سنة اضمر عدد المئات عند قولهِ ان ارفحشاد ولد شالح وعمره ٣٥ سنة وهو يريد ١٣٥. وكذا قولهُ ان شالح ولد عابر وعمرهُ ٣٠ سنة أراد بهِ ١٣٠ باسقاط عدد المئات اختصارًا. فلمَّا جاء اصحاب الترجمة السبعينية كتبوا الارقام بتمامها. وهذا الجواب ليس بمستبعد ونرى في تواريخ العرب مثل ذلك حتَّى اليوم ل. ش

س مسألة حسابيَّة لسمعان افندي جبرائيل باخوس يُطلب حلُّها:

رجل استدان مبلغًا من المال بفائدة مركَّبة بمعدل ١٠٠/٢ على مدَّة ٥ سنوات ودَّينه بفائدة مركَّبة بمعدل ١٠٠/٦ على مدة ٥ سنوات وربح من ذلك مبلغ ٨٥٨٦,٩٩٧٦ فرنكًا وقد غاب عن بالهِ معرفة اصل المال فسأل احد الحسَّاب عن ذلك فاجابهُ ذاك ان تقسم الربح على هذه الوحدة ٠,٣٧٩٣٤٩٨٨ من الكسر العشري وخارج القسمة هو اصل مالك فاجرى القسمة كما افاده فكان خارجها هو اصل المال. فالان المراد معرفة الطريقة الحسابية التي اوجدت هذه الوحدة المخصوصة لمثل هذه المسألة

قائمة للآثار الجوّيّة من ١٠ الى ٢٥ آب ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

الالفاظ الكتابيّة

لعبد الرحمان الهمذاني

اعتنى بطبعهِ وتهذيبهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

طبعة ثامنة مصححة

لم يُمدح هذا الكتاب بمديح اجلَّ ممَّا ذكرهُ ياقوت في معجم الادباء عن الصاحب ابن عبَّاد فروى عنهُ انهُ قال : لو ادركتُ عبد الرحمان بن عيسى مصنّف كتاب الالفاظ لامرتُ بقطع يده . فسئل عن السبب فقال : جمع شذور العربية الجزلة في اوراق يسيرة فاضاعها في افواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير . وممَّا يدلُّ على رواج هذا الكتاب انَّهُ طُبع ثماني طبعات

	ش	ف	قيمة البريد
ق ١٢ بنصف قماش	٧٥	٠١	٠,٤٥



في الفروق

للاب هنري لامنس اليسوعي

ان اتساع اللغة العربية وكثرة مرادفاتها يقتضيان من الكتَّاب دقة نظر وجودة فكرة لمعرفة خصائص الالفاظ واختلاف بعضها عن بعض . فجمع صاحب هذه الفروق ما وجدهُ من هذا القبيل في مصنفات الاقدمين لتيسير الفائدة وسهولة الاطلاع والحقهُ بفهرس مطوَّل

ق ٨ ص بنصف قماش	٠٣	٠,٦٠

الالفاظ الفرنسية

المشتقة من العربية

تأليف الاب هنري لامنس اليسوعي

وهو كتاب نافع افرنسي اللهجة يشتمل على مباحث دقيقة في نحو سبعمائة كلمة نقلها الفرنج عن العربية فادخلوها في لغتهم

٨ ق بغلاف	٠٣	٠,٥٥

OUVRAGES CLASSIQUES

DESTINÉS AUX ARABISANTS.

Le Premier livre de l'Arabisant, *ou méthode courte et facile* **pour apprendre à lire l'arabe sans professeur** *et en peu de temps.* **accompagnée de la Clef et de la traduction des exercices** *ainsi que d'un grand nombre de règles et d'observations sur la grammaire arabe.*

Petit in-8°, 65 pages, 2ᵉ édition, 1896.

Par Mr J. Harfouch.

Comme son tire l'indique, cet ouvrage est destiné à ceux qui débutent dans l'étude de la langue arabe. Il est divisé en deux parties : dans la première se trouvent toutes les règles de la prononciation et de la lecture, avec des exercices gradués en caractères arabes ; la seconde contient, outre ces mêmes exercices transcrits en caractères latins et traduits littéralement en français, des observations supplémentaires sur la figure et la valeur des lettres, ainsi que sur la lecture en général.

Afin d'en rendre l'étude moins aride, plusieurs règles de grammaire ont été semées çà et là dans la seconde partie.

	Fr.	affr,
Broché . . . . :	1 »	0,10

Le Drogman arabe.

OU

GUIDE PRATIQUE DE L'ARABE PARLÉ.

EN CARACTÈRES FIGURÉS,

POUR LA SYRIE, LA PALESTINE ET L'ÉGYPTE.

Petit in-16, de 354 pages, en caractère fins, 2ᵐᵉ édition 1901.

Par le même.

Il a paru déjà un grand nombre de *Guides* pour l'Orient : mais il en est bien peu qui sortent de la banalité et méritent l'attention des voyageurs. Le *Guide* de Mr Harfouch est on ne peut plus pratique et plus original. Il contient ; 1° un Abrégé de la grammaire arabe ; 2° un Vocabulaire des mots usuels ; 3° des Dialogues variés ; 4° les Arabismes et les Proverbes les plus connus. Les Orientalistes qui d'ordinaire s'occupent peu de ces sortes d'ouvrages, ont fait une honorable exception en faveur de ce Guide dont ils ont parlé en termes très flatteurs.

Relié en toile	4,25	0,25

Cours pratique de langue arabe.

In-8°, xv-299 pages, 1896.

Par le P. J-B. Belot S. J.

L'auteur de cette grammaire s'est proposé un double but : 1° de donner aux étudiants arabes une idée exacte et assez complète des principes de la langue littéraire, 2° de leur en apprendre l'application au moyen d'exercices pratiques et gradués.

On y trouvera en outre un grand nombre de remarques sur les particularités du langage vulgaire de Syrie, d'Egypte et d'Algérie.

Cet ouvrage de date fort récente a déjà reçu le meilleur accueil de la part des connaisseurs.

Broché	5 »	0,55
Demi-reliure	6 »	

Le corrigé des exercices a paru en 1898, il contient en appendice le tableau des conjugaisons arabes.

Le corrigé des exercices seuls 100 pages	*Broché.*	4 »	0,50
	Demi-reliure . . .	4,80	
Les deux volumes ensemble 399 pages	*Brochés*	8 »	
	Demi-reliure . . .	9,80	

السنة الرابعة العدد ١٨ ١٥ ايلول ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و ١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 18 (15 Sept. 1901)

فهرس العدد ١٨

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠١

الالفاظ الكتابية

لعبد الرحمان الهمذاني

اعتنى بطبعهِ وتهذيبهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

طبعة ثامنة مصححة

لم يُمدح هذا الكتاب بمديح اجلَّ مما ذكرهُ ياقوت في معجم الادباء عن الصاحب ابن عبَّاد فروى عنهُ انهُ قال : لو ادركتُ عبد الرحمان بن عيسى مصنف كتاب الالفاظ لامرتُ بقطع يده . فسئل عن السبب فقال : جمع شذور العربية الجزلة في اوراق يسيرة فاضاعها في افواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير . ومما يدلُّ على رواج هذا الكتاب انهُ طُبع ثماني طبعات

	ص	ف	قيمة البريد
ق ١٢ بنصف قماش	٧٥	٠١	٠,٤٥



في الفروق

للاب هنري لامنس اليسوعي

ان اتساع اللغة العربية وكثرة مرادفاتها يقتضيان من الكتَّاب دقة نظر وجودة فكرة لمعرفة خصائص الالفاظ واختلاف بعضها عن بعض . فجمع صاحب هذه الفروق ما وجدهُ من هذا القبيل في مصنفات الاقدمين لتيسير الفائدة وسهولة الاطلاع والحقهُ بفهرس مطوَّل

ق ٨ ص بنصف قماش	٠٣	٠,٦٠

الالفاظ الفرنسية

المشتقة من العربية

تأليف الاب هنري لامنس اليسوعي

وهو كتاب نافع افرنسي اللهجة يشتمل على مباحث دقيقة في نحو سبعمائة كلمة نقلها الفرنج عن العربية فادخلوها في لغتهم

٨ ق بغلاف	٠٣	٠,٥٥

المشرق

سيدة النجاة

نبذة في تاريخها ومعجزاتها

للاب لويس شيخو اليسوعي

اذا ما قطعتَ سواحل بيروت فادركت قرية انطلياس ثمَّ توقَّلت اعالي لبنان ميمِّماً شمالهُ الشرقي بلغتْ بك العجلة بعد ساعتين الى ربًى تكللها اشجار الغار ويمدّ عليها الصنوبر ظلَّهُ الظليل فللحال تلوح لاعينك مناظر فتَّانة ومشاهد تأْخذ بالبصر فترى من عن شمالك واديًا بعيد الغور تنحدر في اعماقهِ بدويّ عظيم مياه نهر الصليب كأَنَّها تصيح بالويلات قبل ان تتدهور في المهواة وتثب وثبتها الاخيرة في مضيق نهر الكلب

امَّا على منعطف الجبل فترى بلدة بيت شباب تندمج جدران بيوتها البيض وآجرّ سطوحها الحمر بخضرة ايكها ونضارة مزدرعاتها وهي على شكل نصف دائرة يركب البعض منها في اعناق البعض كأَنَّها جبَّار ينتصب ليسند قرية اخرى يحملها بين ذراعيهِ ليعرض محاسنها على مقاطعتي المتن وكسروان بينا يحدق بها من ورائها لبنان باخاديدهِ الجرداء ويشرف عليها بقممهِ ذات الثلوج الغرَّاء. وليست القرية هذه سوى بكفيَّا منزل الحسن والبهاء كما دعاها بعض السيَّاح مشيرًا الى معنى اسمها (١). ولا نكير ان بكفيَّا قد نالت من كرم الخالق وسخاء الطبيعة ما لم ينلهُ غير قليل من قرى لبنان فان موقعها في اعطاف الجبل اجداها منافع السهول ومرافق الجبال معًا من برودة النسيم

---

١) كانهُ اشتقها من ܒܝܬ ܦܐܝܐ اي الجميلة والاصح انَّها مشتقة من ܒܝܬ ܟܐܦܐ اي كثيرة الحجارة

وعذوبة الماء الزلال وكثرة الاشجار ووفرة الثمار وبهجة المناظر تسرح العين فيها على مدى البصر ويأنس القلب لما يلقاهُ بغياضها من الغرور

لله بكفيّا وحسن رباها سبحان من جمع الهنا بجماها

على انَّ الله لم يتبرّع على هذه البلدة الميمونة بمثل هذه المواهب الطبيعيَّة والنعم السنيَّة لتكون فقط منزلًا جامعًا لاسباب الهناء. لكنَّهُ اصطفاها لغاية اسمى لتكون مقامًا لسلطانة السماء. فتضع فيها سكناها بين قوم يعدُّون التعبُّد لها فخرًا واللواذ بذُراها عزًّا ونصرًا. والحقُّ يقال ان بكفيّا دون العذراء لم تَنل ما نالتهُ من النجاح ولم ترقَ لولاها اوَّل معارج التقدُّم والفلاح كما سيظهر لك جليًّا ممَّا سنذكر في خلال هذه اللمعة الوجيزة

١

لم نعثر لبكفيّا على ذكر في التاريخ قبل اواسط القرن السادس عشر وان كان وجودها قبل ذلك العهد امرًا محتملًا بل نظنُّـهُ اقرب الى الواقع. وممَّا جاء في تاريخ العلامة البطريرك اسطفان الدويهي انَّ آل الجميّل انتقلوا الى بكفيا سنة ١٥٤٥ من قرية جاج في بلاد جُبيل فسكنوها وصار لهم فيها بعد مدَّة نفوذ وسيطرة وفي سنة ١٥٨٧ عُني منهم الخوري اطون الجميّل ببناء كنيسة مار عبدا. فاقتفى بهِ الملكيُّون وانشأ الخوري عيسى من بيت الخرَّاط كنيسةً لطائفتهِ الملكيَّة (١). وكانت بكفيا تحت سلطة الامراء اللمعيين. وقد بقيت خاملة الذكر لا يكاد المؤرخون يذكرون لها اثرًا مأثورًا الى قرب منتصف القرن المنصرم. ولعل خمولها وعزلتها فوق روابي لبنان وبين ادغالهِ نجَّياها من آفات الحروب وصرفا عنها نكبات الدهر الغضوب كأنَّ الله عزَّ وجلَّ اعدَّها لتكون ربعًا تحل فيهِ سيدة السلام وتبسط عليهِ ظلاًّ وارفًا من الفضل والانعام

اوَّل من احيا بكفيا واستلفت اليها الابصار انَّما هو ذاك الامير الهمام صاحب الجاه الواسع والكرم الفائض حيدر اسمعيل اللمعي فانهُ كان يسكن اوَّلًا في قصر جميل ابتناهُ لهُ في صليما ثمَّ احتلَّ بكفيّا واستطابها وجعل فيها سكناهُ فصارت البلدة بوجوده مركزًا مهمًّا وتحسنت حالها واتسعت دوائر اعمالها

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية ص ١٦٢ و ٢٨١



صورة سيدة النجاة في بكفيًا

N. D. DE LA DÉLIVRANCE BIKFAIA (Mont Liban)

وفي غضون ذلك عاد الى سوريَّة المرسلون اليسوعيُّون في صحبة الطيب الذكر السيد مكسيموس مظلوم قبـل ارتقائه الى السدَّة البطريركيَّة في أواخر سنة ١٨٣١ وكانوا ثلاثةً الاب بولس ريكادونَّا الايطالي الرئيس الاوَّل لرسالتنا الجديدة في سوريَّة ومنشئ اخويَّة راهبات قلب يسوع. ثم الاب مبارك پلانشِه الذي رُقّي الى مقام قاصد رسولي على بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٤٨ ومات سنة ١٨٥٩ قتلهُ بعض غزاة الأكراد في طريقهِ قريباً من سويرك بين ديار بكر والرها. ثمَّ الاخ هنّنس وكان طبيباً نطاسيّاً نال شهرة عظيمة بمعالجاتهِ حتى دعاهُ الامراء والشيوخ وكبار الدولة لمداواة مرضاهم وهو يُعرف حتى اليوم باسم الاخ ناصر. فاقام هؤلاء الثلاثة في عين تراز سنتـين ينتظرون افتتاح مدرسة اكليريكيَّة للروم الكاثوليك عُهدت اليهم ادارتها . غير ان الاحوال لم تسمح وقتئذٍ بانشائها واضطرَّ الآباء ان يطلبوا لهم منزلًا آخر يقيمون فيهِ. فما علم الامير حيدر برغبتهم حتى دعاهم الى المقاطعات التي كان متوليًا عليها وفوَّض اليهم ان يختـاروا ايَّ محل شاؤوا ليقيموا فيهِ ديرًا فوقع خيارهم على محبسة في بكفيًا كان يسكنها سابقًا بعض النساك من الرهبان البلديين فابتاعوها من رئيسهم العام بثمن بخس وساعدهم في ذلك كاخيةُ الامير حيدر الشيخُ ميخائيل الحاج نصَّار من افاضـل موارنة بكفيًا وزاد آل يزبك من وجوه القرية على هذا الملك قطعةَ ارضٍ كانت مجاورة للمحبسة قدَّموها للآباء كهبة خاصَّة. فشرع الآباء من وقتهم ببناء محل صغير كان اوَّل ديرهم في لبنان بعـد عودتهم الى سوريَّة. وهو الدير الذي زيد بعدئذٍ على ابنيتهِ واتَّسع نطاقه حتى صار في عهدنا مركزًا مهمًّا لاعمال الرسالة في القاطع والمتن وما جاورهما

وبينما كان الاب ريكادونَّا منقطعًا الى عمارة الدير اذ ارسل الله لهُ مساعدًا يخفِّف عن عاتقهِ عبء الاشغال وهو الاب ريئند إِستاف الطائر الشهرة في كل انحاء لبنان. وصل الى سوريَّة يوم عيـد انتقال العذراء في ١٥ آب من سنة ١٨٣٤. وابدل اسمهُ فعُرف باسم الاب سليمان. وكان برفقتـهِ اخٌ ايطاليٌ اسمهُ انجلو زَمرسكي سلَّمهُ رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام عند خروجهِ من رومة صورةً تمثـل البتول الطاهرة كان احكم صنعها بعضُ مشاهير المصوّرين في عاصمة الكثلكة (١

١) قد اختلف كتبة رهبانيتنا في اصل هذه الصورة فنهم من قال انَّ المرسلين الاولين اتوا بها من رومة ومنهم من زعم ان الذي اتى بهـا هو احد الاخوة المساعدين وقال غيرهم ان الاب

فلمّا وصل المرسلان الجديدان الى بكفيّا وكل الاب ريكادونّا اليهما تتمة بناء الدير ليتفرَّغ هو الى أعمال التبشير . فاخذ الاب سليمان ببناء معبدٍ يقيم فيهِ اليسوعيُّون الرتب الدينيَّة . فلمَّا انتهى من عمارتهِ أراد ان يزيّنهُ بالصور وكان ناويًا ان يجعل المعبد على على اسم القديس فرنسيس راجيس اليسوعي الّا انهُ ما كاد ينشر صورة مريم البتول امام الجمهور حتى جثا كلُّ الحضور وشرعوا يلتمسون حماية العذراء باصوات الخشوع والعبادة القلبيَّة . فتأثَّر لذلك الاب سليمان وللحال جعل صورة امّ الله في وسط الهيكل مخصصًا لها المعبد . وكانت هــذه الصورة صغيرة منقوشة بالالوان على صفيحة من الزنك طولها ٤٠ سنتيمترًا في عرض ٣٠ س تمثل هامة العذراء في زيّ من القنوت والتقوى يخلب القلب ويأخذ بمجامع الابصار فترى البتول ناكسة الرأس مطرقة العينين جامعةً يديها شأن المصلّي وعلى رأسها خمار ذي طيَّات متعدّدة يغطي جبينها ويظهر من اسفلهِ الايسر خصل دقيقة من شعرها . فقيــل للاب سليمان حين عرضها فوق الهيكل الكبير : انها صغيرة لا تناسب الهيكل لصغرها . فاجاب الاب : أجل انها صغيرة لكنها قديرة وفي قدرة صاحبتها غنى عن كبر حجمها

٢

فمذ ذاك اليوم صار معبــد دير الاباء اليسوعيين في بكفيّا مزارًا تؤمُّهُ الاهلون ويلتجئون اليــهِ في حاجاتهم وبلاياهم بثقــةٍ لا تخشى خيبةً وذلك ما حملهم على ان يطلقوا عليها اسم سيّدة النجاة لما كانوا ينتظرون من شفاعتها المشفعة من النعم والبركات

مكسيمليان (منصور) ريلّو اهداها الى دير بكفيّا . قالوا انهُ لمَّا عاد من سفرتهِ الى بلاد ما بين النهرين مارّ الكرسي الرسولي دخل رومة لابسًا ثيابًا شرقيَّة فرآه المصوّر الشهير پودسّتي وكان وقتئذٍ يشتغل بتصوير صورة حكم سليمان فطلب الى الاب بأن يرسم صورتهُ في هذه الهيئة فيجعلهُ بمقام سليمان الحكيم فرضي الاب بشرط ان يصوّر لهُ صورة العذراء الجيدة يأخذها معــهُ للرسالة السوريَّة . فلبى الى طلبه وصوَّر لهُ احدُ تلامذتهِ هذه الصورة العجيبة . (قلنا) ان هذه الرواية لا تنطبق مع رواية الاباء الاولين الذين ذكروا صورة العــذراء قبل مجيء الاب ريلو الى سوريَّة بنحو ثلاث سنين اعني في سنة ١٨٣٤ . اما الاب ريلو فقدم الرسالة سنة ١٨٣٦ ورحل الى بلاد ما بين النهرين في السنة التالية . ثم عاد الى رومة في كانون الثاني من سنة ١٨٣٧ . ولم يرجع الى سوريَّة قبــل سنة ١٨٣٩ . ولعلَّهُ يمكن القول بان الصورة الاولى التي وضعها الاب سليمان في سنة ١٨٣٤ هي غير الصورة الحالية التي اتى بها الاب ريلو فأُبدلت منها . والله اعلم

وفي هذا المعبد باشر الاب سليمان سنة ١٨٣٥ لاكرام البتول عبادةً حديثة العهد في كنائس الغرب لم يكن يعرفها الكاثوليك الشرقيون وهي عبادة الشهر المريمي فاخذ يجمع المؤمنين كل ايّام شهر ايّار ليقدموا للسيدة الطاهرة ضروب الاعمال التقويّة والتعبُّدات. وكان الاب مع قلة معرفتهِ باللغة العربيَّة يرشدهم ويحثهم على الاقتفاء بآثار ام الله وفضائلها فانتشرت هذه العبادة اي انتشار حتى عمَّت اليوم جميع انحاء المشرق

وبقيت الصورة في ذلك المعبد نحو عشر سنين يتوارد اليها المؤمنون ويكرمونها غاية الاكرام ويزيّنونها بانواع الزهور ويقدمون لها الحليّ وينذرون النذور حتى سنة ١٨٤٥. ففي بدء ذلك العام كان الشتاء قارساً فثارت الانواء وعصفت الرياح وهطلت الامطار وبينما كان المؤمنون مجتمعين في مساء بعض الايام ليكرموا السيدة في معبدها زادت العاصفة قوَّة فسُمع في اعلى الكنيسة صوتٌ مهول ارتعدت لهُ الفرائص هلعاً فرفع الحضور عيونهم الى صورة السيدة يلتمسون شفاعتها ثم تسارعوا الى الخروج ليروا ما الامر فما كاد آخرهم يتخطَّى عتبة الباب حتى هبط سقف الكنيسة واتلف المعبد بما فيهِ الَّا صورة العذراء الطاهرة التي وُجدت سليمةً

فرأى المرسلون اليسوعيون في هذا الحادث الفاجع اشارةً من سيدة النجاة الى ان يقيموا لها كنيسة اوسع فناء واحكم بنياناً فتحفَّزوا للعمل في اوائل الربيع واستدرُّوا حسنات المؤمنين السوريين فكان اول من مدَّ اليهم يد المساعدة القاصد الرسولي فرنسيس ڤيلَرْدِل وكان اذ ذاك نازلًا في ديرهم في بكفيا ضيفاً كريمًا وكذلك اسرع الامير حيدر اللمعيّ فدفع مبلغاً عظيمًا من جيبهِ الخاص لهذا المشروع المبرور وكان اهل البلدة الفقراء فضلًا عن الموسرين يتنافسون في الهبات لانشاء المعبد الجديد

امَّا مهندس هذه الكنيسة فكان اخاً يسوعيًّا ايطاليّ الاصل بارعاً في فنّ البناء اكتسب فيهِ شهرةً في بلدهِ يدعى الاخ فردينند بوناچينا (Bonacina) فارسلهُ رئيس الجمعيَّة اليسوعية من رومة الى سوريَّة ليساعد المرسلين في انشاء منازلهم فابتنى لهم دير غزير وكنيسة زحلة. ومن ابنيتهِ ايضاً في الجبل سراية الامراء اللمعيين في بكفيا وكنيسة مار عبدا هرهريا ومعامل حريريَّة لبعض الذوات. الَّا انهُ تأنَّق في بناء كنيسة سيدة النجاة فجعلها من احكم اعمالهِ. وكان الاخ المذكور يراعي في بنائهِ المتانة اكثر منهُ التفنن والبراعة وقد انجز عملهُ بعد خمس سنوات كان اضطرَّ في اثنائها ان ينقطع عن

الشغل مرارًا لقلة ذات اليد لكن الاهلين أبوا الّا ان ينجزوا كنيسة سيدتهم فكان اصحاب الثروة يتبرَّعون بمالهم واهل الفاقة بشغلهم وربما كانت النساء انفسهن ينقلنَ الحجارة من المقالع على مناكبهنَّ محتسبات بذلك خيرًا عند الله حتى تمَّ هذا المشروع وفتحت الكنيسة ابوابها للمؤمنين في ليلة عيد الميلاد من سنة ١٨٥٢

فكان كلُّ من يدخلها يثني على العمل والعامل ويرى انَّها اجمل كنيسةٍ بُنيت في لبنان. وكان المذبح الكبير مزدانًا بالنقوش وفوقهُ صورة كبيرة تمثل البتول الطاهرة حاملة بين يديها طفلها الالهي وتحت اخمص قدميها رأس الحيَّة الجهنميَّة تسحقهُ ظافرةً. امَّا صورة سيدة النجاة فشيَّد لها المهندس هيكلًا منفردًا على يمين الهيكل الكبير في باحة الكنيسة بازاء مدخلها الشمالي. فزاد مذ ذاك الوقت تعبُّد اهل بكفيَّا للعذراء الطاهرة فكنت ترى في كلّ ساعات النهار القوم يأتونها ويتقرَّبون اليها بالصلوات والنذور

ثمَّ امتدَّ بعد قليل صيتها الى انحاء القاطع والمتن وكسروان فكان الناس يحجُّون اليها ويلتمسون شفاعتها ويذيعون عجائبها ويَصلونها بالصلات ويحبسون عليها الاوقاف. امَّا الآباء المرسلون فلم يدَّخروا وسعًا في تنشيط تقوى المؤمنين وإنماء الحب نحو والدة الله. وممَّن اشتهر منهم في هذه المساعي الخيريَّة بعد الاب سليمان الابُ يوسف لابورد وكان هذا رجلًا صالحًا يتلهب غيرةً في نشر عبادة العذراء مريم التي كانت تعاملهُ معاملة الام الحنونة لاحنّ اولادها وظهرت لهُ مرارًا بالعيان وانتشلتهُ من خطر الموت. فلمَّا سكَن بكفيا أفرغ غاية جهده في تحسين معبدها وتزيين صورتها وقد نال من مراحمها نعمًا لا يفي بها احصاء. فلإبداء عواطف الشكر نحوها خصوصًا بعد نجاة بكفيَّا بشفاعتها من عدوى الهيضة التي فشت سنة ١٨٦٧ في جهات لبنان اقام فوق الكنيسة برجًا عاليًا متقن البناء على الطرز القوطيّ جعل فيهِ قبَّةً للجرس وكلَّلهُ في اعلاهُ بتمثال العذراء حاملةً بين ذراعيها الطفل الالهي وموجّهة نظرها نحو القرية. فتمَّ العمل في أواسط آب من سنة ١٨٦٨ ودُشّن في يوم عيد السيدة بما لا مزيد عليهِ من الابهة والرونق فتولى هذه الحفلة القاصد الرسولي وحضرها الطيب الذكر المطران يوسف جعجع مع جم غفير من نخبة الاكليروس ووجوه الامراء والمشايخ. ومنح السعيد الذكر البابا بيوس التاسع غفران ١٥٠ يومًا لمن يحيّي شخص البتول بهذه العاطفة: «ياسيدة لبنان تضرعي لاجلنا»

هذا ولمَّا كان تمثال العذراء من الخزَف لم يقوَ على شدَّة الانواء وهيجان الرياح

فاستبدلهُ رئيس رسالتنا العام الاب امبروسيوس مونو بتمثال آخر من القـلز (الشبه) في سنة ١٨٧٦ اهداهُ لبكفيَّا الاب دي داماس اليسوعي فصار لتدشينـه عيد بهيج كالمرَّة الاولى . وهو الشخص الذي تقرّ لمنظره حتى اليوم اعين اللبنانيين من عدَّة مقاطعات

وفي سنة ١٨٨٥ رأى المرسلون انَّ تزاحم الشعب عنـد هيكل سيدة النجاة ينمو يومًا على يوم فاجمعوا رأيهم على ان يوسّعوا هذا الهيكل ففتحوا القنطرة واتخذوا للهيكل سوقًا منفردًا طولهُ ثمانية امتار في عرض اربعة منها وتولى هذا العمل الاب ثيودور ليَهوزن وهندمهُ على غاية الاحكام واستدعى مصورًا ماهرًا يُدعى مولّد نقش على جدران المعبد أسرار حياة العذراء نقشًا دقيقًا بالوان ناصعة . ثمَّ فتح لهُ نافذتين زيَّنهما بالزجاج الملوّن . امَّا صورة العذراء فجعلها في كوَّة من الرخام الابيض ووضع في جانبي الكوَّة اعمدة لطيفة الشكل وزيَّن اطارها بالزهور الناتئة في الرخام . واقام من وراء الكوَّة في الجدار شخص السيدة على جانبيها ملاكان يقدمان لها الاكرام والتجلة

ومنذ نحو ثلاث سنين لحظ حضرة الاب ادوار انَّ الصور المنقوشة اتلفتها الرطوبة فاستبدلها بصفـائح من الرخام الابيض الغالي الثمن ثمَّ اكمل الرئيس الحالي الاب استانيسلاوس شيخو هـذا المشروع وسقَّف بالرخام بقيَّة المعبد ورسم احد عملة بيروت الحاذقين على الرخام نقوشًا دقيقة وتصاوير متقنة وآيات من الاسفار المقدَّسة مكتوبة بالخط البديع بيد الكاتب الشهير علاَّم افندي علاَّم . ومن وراء الهيكل شعار سيدة النجاة يحملهُ ملاكان وهو عبارة عن اكليل ملكيّ يعلو كوَّة مستديرة الشكل من الزجاج الاحمر يُقرأ من خلاله : « السلام عليك يا سيدة النجاة » . واقام امام المذبح درابزونًا من رخام وصفَّح مقدَّمتهُ بالبلاط الملوَّن

فصار معبد العذراء بعد كل هذه الاصلاحات والتحسينات محجًّا يجد بقربهِ المؤمنون مع ذكر ملكة السماء كلّ ما من شأنهِ ان يزيدهم تعبدًا نحوها واعتبارًا لشخصها الكريم

٣

بقي علينا بعد وصف تاريخ سيدة النجاة ان نروي بوجيز الكلام ما سكبتهُ البتول الطاهرة من سجال النعم على بكفيَّا واهلهـا جزاء لهم عن عبادتهم ولو اردنا الخبر عن ذلك بالتفصيل لما كفى كتاب ضخم وانما نجتزئ بالنزر القليل عن المسهب الطويل

اذا دخل زائر احد بيوت بكفيَّا اوَّل ما يشاهد في صدر المنزل صورة سيدة النجاة

محفوفةً بالشمع والزهور كأنّها ربّة البيت اليها تتّجه الالحاظ في كل أطوار الحياة. وان سألت ما الداعي لاكرام هذه الصورة سمعت اصحاب المحلّ يعددون لك ما نالوهُ بشفاعتها من البركات وضروب الهبات فيطنبون على قدرتها ولا يرون نفوسهم الّا اسرى معروفها ورحمتها

وفي حقيقة القول لا تجد في بكفيا بيتًا واحدًا خلوًا من مآثر سيدة النجاة فكم شفت من مريض أيس الاطبّاء من حياتهِ وكم دفعت من بلاء بعد ان قُطعت حبال الآمال وكم نفّست من كربة كادت تحل بسببها الاهوال. وما اسمها الّا شاهد ناطق على كثرة عجائبها كأنّها اتخذت نجاة عابديها دينًا وجعلت المؤاساة اليهم ديدنًا

واول من نال من مراحم البتول جزاء تعبـدهِ نحوها ذاك الرجل الهمام الذي رأيناهُ تسارع الى بناء معبدها وهو الامير حيدر اسمعيل اللمعي فانّ اعداءهُ كانوا نصبوا لهُ الكمين وكبّلوهُ بالاغلال ثم نفوهُ الى جهات السودان. ولمّا سمعهُ بعض اخصامهِ يصلي يومًا الى سيدة النجاة في سجنهِ ضحك منـهُ قائلًا: « دع عنك سيدتك فانّها لا تنجيك من ايدينا ». فما مرّت عليهِ ايّام قلائل حتى فكّت قيودهُ وعاد ظافرًا الى منصبهِ رغمًا عن اعدائهِ فكتب الى خصمهِ: « دونك ما صنعت من اجلي سيدة النجاة فاعرف قدرتها وأقرّ بفضلها ». ولمّا كانت غرّة كانون الثاني من سنة ١٨٤٢ رقّتهُ الدولة العليّة الى مرتبة قائمقام على مقاطعات لبنان من نهر ابراهيم الى آخر المقاطعات الجنوبيّة فصار لهُ من العزّ والاكرام ما انساهُ كل محنـهِ السابقة. وبقي في ولايتهِ الى سنة وفاتهِ ١٨٥٤ فمات في صربا وكان طلب ان يُدفن في معبد سيدة النجـاة فنُقل الى بكفيا وصار لهُ مأتم عظيم وهو اليوم يرقد عند اقدام البتول التي كان خدمهـا اصدق خدمة قريبًا من صورتها التي اعتاد ان يجثو امامها في حياتهِ راكعًا على الحضيض مصليًا بتقوى تؤثر في كلّ الحضور

وممن اختبروا نعم العذراء الجيدة في هذا المعبد والدةٌ كان الله رزقها طفـلًا بعد نذرٍ نذرتهُ لسيدة النجاة. فلمّا ترعرع الصبي أُصيب بداء عياء لم تنجع بهِ كل الوسائل البشريّة فجاءت بهِ أُمهُ وهو في النزاع والقت بهِ على مذبح السيدة صارخةً: « ايتها البتول هوذا ابنك الذي اعطيتنيهِ أتسمحين بوفاتهِ هو خاصّتك ها انا اضعهُ عند أقدامكِ ولا أعود الى داري حتى يشفى تامًا ». قالت هذا وجثت على عتبة الكنيسة تذرف الدموع

السخينة وتصلي صلاة المتوجع الكئيب. ثم قامت بعد هنيهة لترى ما جرى لابنها فوجدتهُ نائمًا والعرق يكلّل جبينهُ. وما لبث ان فتح عينيهِ متبسمًا لامهِ وهو بتمام العافية

ومنهم ايضًا كاهن فاضل يدعى الخوري فارس ابا حاتم أُصيب بفالج أذاقهُ مدة اربعة أشهرٍ مرّ العذاب فطلب ان يُنقل الى معبد سيدة النجاة. فما كاد يرى صورتها حتى صرخ اليها بايمان: « اشفيني ايتها السيدة فانك لست بعاجزةٍ عن ذلك » فانتصب من ساعتهِ وعاد الى بيتهِ شاكرًا لله على شفائهِ وكان وقتئذٍ عمرهُ ٧٦ سنة فعاش بعد ذلك ستّ سنين

ومنهم ايضًا احد تلامذة مدرستنا الكليَّة في بيروت اسمهُ ميشال اطون كان مصريًا وحيدًا لامهِ جعل يتفل الدم حتى قنط الجميع من خلاصهِ فاسرع رئيس كليتنا الى بكفيًا وجاء بالصورة العجائبيَّة وجعلها فوق رأس المريض فانقطع نزيف الدم وقام معافًى بعد زمن قليل فشكرًا لهذه النعمة الجزيلة اهدت امهُ لمذبح سيدة النجاة كاسًا غاية في الحسن

ومنهم ايضًا احد وجوه بيروت ي. ك. شفي من حمى التيفوس منذ سنتين بشفاعة سيدة النجاة التي يجاور معبدها الميمون بيت مصيفهِ في بكفيًا

هذه أمثلة قليلة نكتفي بذكرها واما عدد النعم العجيبة التي نالها المؤمنون من حنوّ العذراء فيبلغ المئات تشهد عليها النذور التي تزين صورتها من أَسورة وحلق وقلائد وأصناف الحلي

بيد ان هذه النعم الممنوحة للافراد لم تكن لترضي ملكة السماء ولمَّا كانت قد جعلت بكفيًا كلها تحت حمايتها لم تُرد ان تحرم من ألطافها احدًا من اهلها. وقد ظهرت شفاعة البتول نحو بنيها على ضروب شتى. فانها السيدة التي غمرت هذه البلدة بسوابغ نعمها فبلّغتها شأوًا أنظمها في سلك اكبر قرى لبنان بما فازتهُ من الخصب والعمران ومن قابل بين حالتها اليوم وما كانت عليها قبل سبعين سنة لم يكد يصدق انها هي

وقد ظهرت حماية سيدة النجاة ظهور الشمس في سنة ١٨٤٠ لمَّا دخلت الجيوش المصريَّة الى لبنان تحت قيادة ابرهيم باشا فان بكفيًا كانت من جملة القرى التي بقيت امينةً في خدمة الدولة العليَّة فزحف اليها المصريون يريدون محاربتها وحرق دورها. فبلغوا بيت شباب وأعملوا فيها النار ثم صعدوا الى بكفيًا وقلوبهم تتلظى حنقًا على اهلها فاجتمع الناس في معبد العذراء يتوسَّلون اليها بان تخلِّص خاصَّتها فسمعت البتول من

سموّ عرشها أصوات نحيبهم فغيَّرت قلب ابرهيم باشا الذي عدل عن عزمهِ ورجع بغتةً دون ان يُلحق ببكفيا اذى. وكانت البتول استخدمت لنجاة قريتها خادمها الاب سليمان الذي نال حظوةً لدى قائد البعثة المصريَّة

ولم يكن خلاص البلدة اقلَّ عجباً سنة ١٨٦٠ فان الاعداء كانوا نزلوا من المتين بعد ان حوَّلوا الضياع المجاورة الى قاع صفصف ولم يبقَ لبكفيا ولاهلها امل في النجاة. فالتجأ المؤمنون كعادتهم الى سيدتهم ولم يدعوا نوعاً من الابتهال والتعبد الّا توسَّلوا بهِ. من ذلك ان حفيدة الامير حيدر اللمعي قدمت الكنيسة حافيةً وكنَّستها بيدها ومسحت بشعر رأسها درجات مذبح السيدة فلم تصمّ البتول هذه المرأة ايضاً مسامعها دون صوت شعبها وتقهقر الاعداء على فور. ولمَّا سُئلوا عن سبب ابتعادهم اجابوا: قد رأينا فوق القرية امرأةً بهيَّة الصورة تشير الينا بان نبتعد عن هذا المكان وتتهدَّدنا اذا خالفنا لها امرًا

ولمَّا كانت سنة ١٨٧٨ خاف اهل بكفيًا من عدوّ آخر كان يتهدّد زروعهم وهو الجراد فان هذه الآفة المجحفة كانت ابتلت عدة مقاطعات وتجاوزت حدود الفتوح حتى بلغت الحارة عند حدود بكفيًا فلاذ اهلها بالسيدة مستجرين بالصلاة فاذا بالريح هبت ونقلت الجراد الى مشارف لبنان دون ان تضرّ حمى العذراء بأذى

ولكن مهما كانت هذه النعم جزيلة ليست عندنا بشيء اذا قابلناها بمواهب اخرى اعظم شأناً جادت بها سيدة النجاة على بكفيًا وهي المواهب الروحيَّة فانهُ لا يخفى على احد انَّ هذه البلدة كانت في اسوإ حال قبل ان تجعل مريم سكناها في ظهرانيها حتى ان المثل الجاري على ألسنة اللبنانيين كان ينسب الى اهلها الكفر وفساد الاخلاق. فلما نزلت العذراء في جوارها كانت لها بمثابة الشمس تقشع امامها كل ظلمات الليل الدامس. فان التقوى والعبادة ازهرا بعد زمن قليل بين جميع اهل بكفيا. وبهمّة الآباء المرسلين أُنشئت الاخويَّات لكل طبقات الشعب وتهذّب الصغار في المدارس وبطلت العادات السيئة وسكنت الضغائن والفتن وقوي روح الايمان حتى انَّ اصحاب البدع سعوا غير مرَّة لينفثوا سمّ تعاليمهم الفاسدة في بكفيًا فعادوا بخفَّي حنين وظفرت العذراء بهم كما ظفرت بكلّ اشياع الهرطقات في انحاء المعمور

ومن النعم الممتازة التي اسبغتها سيدة النجاة على بكفيًا إنشاء جمعيَّتين اذنا خدماً

جليلة للدين والوطن ألا وهما اخويّة راهبات المريمات وجمعيّة الاخوة الكسفاريين. أُنشئت في بكفيا الاولى سنة ١٨٥٥ والثانية سنة ١٨٥٨ فكانت الراهبات ينقطعن الى تهذيب البنات في القرى وهذه الاخويّة قد انضمّت بعدئذٍ الى راهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي لا يزلنَ حتى الان يعطرنَ بلادنا بعبير سيرتهنَّ الصالحة واعمالهنَّ المبرورة. اماً الكسفاريون فكانوا يجولون القرى ليعلموا الصغار مبادئ الدين المسيحيّ و يرشدوا القرويين في واجباتهم الروحيّة

ولولا ضيق المجال لذكرنا هنا تراجم بعض الصالحين الذين استقوا من ينبوع عبادة العذراء في بكفيا مبادئ الكمال المسيحي فبلغوا بواسطتها ذروة الصلاح. وانّما نكتفي بالقول اجمالًا انَّ الحياة المسيحية سرت في عروق اهلها مذ حلّت السيدة في ربوعهم حتى امكنهم ان يقولوا عنها ما ورد في سفر الحكمة (٧ : ١١) : « اوتينا معها كلَّ صنف من الخير ونلنا من يديها غنى لا يُحصى ». ولذلك ترى سكّان بكفيا قد تشرَّبوا حبهـا مذ نعومة اظفارهم ينطقون باسمها الحلو في كل حاجاتهم ويلتجئون الى حمايتهـا في جميع امورهم من دينهم ودنياهم ويحتفلون في ليلة عيدها احتفالًا بهيجاً فيزيّنون بيوتهم بالانوار ويُحيون قسماً من الليل في الصلاة امامها. وقصارى القول لم تعد تحلو لهم عيشة دونها فتراهم اذا تغرَّبوا ذكروها ونذروا لها النذور ونشروا عبادتها حتى في مصر واميركا. ولمّا تهدَّد لسان النـار معبدها منذ ثلاث سنوات في بهرة الليل تقاطروا جميعاً الى الدير وصرفوا صلب ليلتهم في مقاومة اللهيب واطفـائهِ ولم يرجعوا حتى اخمدوا سعير النار وخاصوا الكنيسة من الحريق. وكان الاحداث انفسهم مع الفتيات ينقلون قِرَب المياه لاطفاء النيران. اما المرضى والعجزَة فكانوا يصلون الى السيـدة بالدموع الحارَّة بان تنجي معبدها من هذه المحنة فأجاب الله الى دعائهم وعاملهم على حسب ايمانهم

ونحن في الختام نطلب الى سيدة النجاة ان تنقذ عبيدها من الآفات والمصائب وتنجي جبل لبنان حيث جعلت سكناها من كل الاخطار ليرقى اهلهُ في معارج العزّ والفلاح مدى كرور الادهار

مدافع البرَد

نبذة للاب ر . ش . اليسوعي

ومن جملة الآفات التي تتهدَّد المزروعات فتذهب في ساعة باتعاب شهور آفة البرَد تحلُّ عن كثبٍ على حقل الفلّاح فتصيب الكروم والاشجار وتنثر الاوراق وتتلف الثمار وتكسر الاغصان وتأْتي بالدمار . ومن ثمَّ ترى ارباب الزراعة منذ سالف الزمان قد بحثوا عن كل الطرائق لدفع هذه الداهية الدهياء فوضعوا لذلك بعض الوسائل الّا انهـــا لم تكن لتفي بالمرام

لكن العلماء لم ييأسوا من الظفر بمرغوبهم فواصلوا مباحثهم بجد ونشاط . فلما كانت سنة ١٨٩٠ حاول بعض الاميركيين وهو الجنرال دَير يعورث في ولاية تكساس استعمال المدافع كان يطلقها على السحب المتكاثفة المنذرة بسقوط البرَد فنال بها بعض النجاح الّا ان هذه الطريقة لم تشع وتنتشر لكثرة نفقاتها وقلة مناسبة المدافع العاديَّة لها

فلمَّا كانت سنة ١٨٩٨ عاد الاستاذ ستيغر (Stiger) من علماء النمسة الى اختبار الطريقة ذاتها ليقي بها مقاطعة كبرى في تلك البلاد تدعى ستيريا تكثر في كروما مضارُّ البرَد فاتخذ لذلك انبوبًا من الفولاذ المتين طولهُ ٤٠ سنتيمترًا يتسع قطر فوهته في اعلاه بحيث يبلغ قطر الانبوب في اسفلهِ ١٨ سنتيمترًا وفي اعلاهُ ٦٥ س وكان يجعل فيهِ ٨٠ غرامًا من البارود يشعلهُ بفتيلةٍ وكان البارود ينفجر من ثقبٍ في مركز الانبوب قطرهُ ٣ سنتيمترات

فهذه الآلة مع بساطتها اتت بنتائج مُرضية فكانت اذا انفجرت وصادمت الغيوم المتراكمة في الجوّ فبدَّدت شملها بحيث تمنع صدور البرَد وهبوطهُ فوق الدوالي والكروم

فما علم الايطاليون بما احرزهُ الاستاذ ستيغر من النجاح حتى ارسلوا وفدًا الى النمسة لفحص الامر وكان متولي هذه البعثة المعلم اوتّافي فعاد مثنيًا على هذا الاكتشاف واخذ ينشر المقالات لانشاء جمعيَّة تكفل بدفع آفة البرد فتشكَّلت لذلك بايطالية في مقاطعة ڤيشنسة (Vicence) فاقامت اول لجنة بعد سنة ٢٢٦ مقامًا لمدافع البرَد نال بها اصحابها نجاحًا اربى على آمالهم . فللحال اخذ ارباب الزراعة في مقاطعات ايطالية العليا كلُمبردية

وپيامنت والبندقيَّة ينشئون جمعيــات جديدة لوقاية الكروم بالمدافع فأُقيمت لذلك مقامات عديدة بلغ عددها في سنة ١٨٩٩ اربعة آلاف مقام وهي اليوم بعد ثلاث سنين فقط لانشائها تبلغ ١٠٠٠٠ مقام يساوي المقام الواحد ٢٠٠ فرنك وكلّ مقام عبارة عن بناية كصرح صغير تُجعل فوقهُ الآلة الانفجاريَّة

والآلة التي تُستعمل لهذه الغاية هي اليوم غير آلة الاستاذ ستيغر فهي تتركَّب من مستوقد مكعَّب يُجعل فيهِ البارود ثم فوقهُ مدخنة يعلوها بوق مخروط الشكل طولهُ بين متر ين واربعة امتار وقطرهُ في اسفلهِ ١٨ سنتيمترًا وفي اعلاهُ بين ٤٠ س الى ٥٠ فيخرج الدخان من فوهة هذا البوق ويصدم السُّحُب فيبددها شذر مذر وسرعة هذه القذيفة تختلف بين ٣٠ مترًا الى ٢٠٠ متر في الثانية على اختلاف قوة الآلة

امَّا المقامات فتُجعل على مسافة ٥٠٠ او ٦٠٠ متر من بعضها لتحرس نحو ٢٥ الى ٣٠ هكتارًا. واذا تراكمت السحب وخيف من سقوط البرَد اشار متولي هذه المقامات من مرقب لهُ خصوصي الى اصحابها فيطلقون طلقات البارود الى الجهات الخطرة بمعدل طلقتين او ثلاث طلقات في الدقيقة

وممَّا لحظ اصحاب هذه المقامات انَّ صوت الرعد يبطل بعد هذه الطلقات كما انَّ الصاعقة لا تسقط في جوار هذه الآلة ولا يبقى اثر للبرَد. امَّا الثلج فبعكس ذلك فانهُ يزداد زيادةً تُذكر. وقد نزل بعد انفجار طلقات البارود في عدَّة معاملات من ايطالية بكميَّة وافرة. فان اقليم براشيا مثلًا قد زاد في السنة الماضية ثلجها وبلغ اربعة اضعاف ما كان عليهِ سابقًا. غير ان هذا الثلج ليس هو كالثلج الاعتيادي وانما هو كالصقيع او التفناف ينزل على الارض دون ان يلحق بزروعاتها ضررًا

وقد اتخذ علماء الظواهر الجويَّة هذه النتائج كوسيلة للبحث عن اسباب البرَد وكيفيَّة تكوُّنهِ وكانوا حتى الان لم يتَّفقوا على بيــان الامر فصاروا اليوم يرجحون ان علَّة البرد وجود الصقيع بين مجارٍ من الهواء مختلفة الحرارة فبعض هذه المجاري باردة تنزل من الجبال والبعض حارَّة تتصاعد من السهول فاذا اجتمعت حصل منها زوبعة هوائيَّة تضبط في الجوّ الرطب دقائقَ الصقيع وتنقلها من مجرًى الى آخر فيزداد حجمها الى ان تتبلور وتسقط على الحضيض. فاذا انفجر البارود اضطربت طبقات الهواء وامتنعت هذه المجاري من الالتئام ببعضها وكفَّت آفة البرَد

وقد اكتشف احد العلماء الايطاليين اسمهُ بوجيوليرا (Boggio-Lera) آلة جديدة مبنيَّة على مبدإ تلغراف مركوني تشعر بقرب الزوابع وهي عبارة عن قضيب عموديّ على طولهِ سلكٌ ناقل للكهرباء يتصل ببطاريَّة فاذا حدث عن بعد نوء اثَّرت التموجات الكهربائية في برادة الحديد وتكهرب السلكُ وبتكهربهِ تحرّكَ ناقوس آلة دقَّاقة فعُرف بذلك وقوع الزوبعة وبُعدها وقوّتها. وهذه الآلالة توضع في المقامات المعدَّة لمدافع البرد لتنذر اصحابها بحالة الجوّ وحدوث الانواء. والامل وطيد في ان استعمال هذه المدافع ينتشر قريباً ويعمّ كل جهات اوربَّا لاسيما اذا تحسنت ادواتهُ واستند العلماء مفاعيلهُ الى مبادئ راهنة وقوانين ثابتة تزيل شبهاتهِ ولا تبقي ريباً في فوائدهِ وحسناتهِ. ان شاء الله

اصل الامراء والمشايخ في لبنان

نبذة للشماس انطون ابن الشيخ ابي الخطَّار العين طوريني (تتمَّة)

وقف عليها وتولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

٨ اصل المشايخ بيت حمادة هؤلاء قومٌ متاولة من العجم من مدينة بخارى. وكان جدُّهم حمادة من بعض اعيانها فنشأ فيها واشتهر بين اهلها ثمَّ أراد الخروج على سلطان تلك الديار فوجَّه اليهِ السلطان جيشاً وقتل من تعصَّب لهُ وفرَّ حمادة باهلهِ وعشيرتهِ وقدم جبل لبنان ونزل الحُصَين منهُ. ثمَّ سكن قهز في الفتوح وكثر بنوهُ وتولوا تلك الامصار. ومن بعد حضور الشيخ حمادة الى قهز تفرَّقت طوائف عشيرتهِ التي حضرت معهُ في جبة المنيطرة ووادي علمات. منهم اخوه وهو احمد ابو قنصوه الذي حكم فيما بعد اولادهُ قرية الهرمل في بلاد بعلبك. والحاج يوسف جدّ بيت الحاج يوسف. والغضبان الذي بهِ دُعي بيت حسن ملحم بالمغاضبة. وهذه الثلاثة اي بيت ابي قنصوه وبيت الحاج يوسف وبيت حسن ملحم صار يحرّر لهم الشيخ اسماعيل « اولاد العم » بعد ان خُصَّ هو وبنوهُ باسم بيت حمادة كما سيأتي

وخلَّف الشيخ حمادة ثلاثة اولاد سرحال واحمد ابا زعزوعة الذي تولَّى اولاده الحكم على جبَّة بشراي وذئباً الذي حكم اولادهُ فيما بعد على الضنِّيَّة. واعطى بنتَيهِ

لمقدَّمي جاج الذين كان يحكمان على بلاد جُبيل وهما من اهل السُّنة . وكان حصل بين هذين المقدَّمين والامير احمد بن عسَّاف حاكم غزير فتنٌ وعصا المقدَّمان امر الامير فارسل ابن عسَّاف واحضر اولاد الشيخ حمادة واختلى باحمد وذنب وطلب منهما سرًّا ان يقتلا مقدَّمي جاج فيعطيهما حكومة بلاد جبيل . فلم يرضيا لما بينهما وبين المقدَّمين من المصاهرة وقد اخذا اختيهما . فلمَّا رجعا الى اخيهما سرحال ولم يك حضر الجمعيَّة لصغر سنهِ لم يزل يلحُّ عليهما في السؤال حتى اقرَّا لهُ بالامر . فلامهما وارجعهما الى الامير ابن سيفا واخذ منهُ حجَّة في حكومة بلاد جبيل وتوجَّه هو واخوتهُ الى جاج بحجَّة لمَّة معزى ولم يزالوا يترصَّدون الفرصة حتى استغنموها وقتلوا المقدَّمين (١ واشهروا امر الامير . ثم اخذوا رؤوس القتلى وتوجَّهوا الى غزير . فولَّى ابن سيفا الشيخ سرحال على بلد جبيل واحضر بنو حمادة بيوتهم الى جاج وحكموا البلاد

وخلف الشيخَ سرحال ابنُهُ الشيخ حسين وانتقل هو واولادهُ الى قرية تسمى فرحة في وادي علمات . وكان يحكم وقتئذٍ على البترون مقدَّمون من بيت الشاعر وهم يسكنون في قرية تولا وعمروا لهم فيها سراية حسنة . فاخذ بنو حمادة يكيدون لهم المكايد لينزعوا عنهم الحكم فلم يستطيعوا . فلمَّا رأوا ان ذلك لم ينجح جعلوا يطلبون ضيافتهم ليثقّلوا بذلك عليهم وكان آل الشاعر معروفين بالكرم يصرفون مالًا جزيلًا على ضيوفهم . فكان بنو حمادة او اصحابهم ينزلون على بيت الشاعر كل يوم مرة او مرَّتين حتى انفقوا مالهم على الضيافة وضعفت حالهم واضطُروا الى ان يقوموا من تولا في بلاد البترون ويتوجَّهوا الى بلد المرقب . فاستقاموا هناك يخدمون عند حاكمها وذاع اسمهم في تلك النواحي لما كانوا يظهرون من الهمة والكرم . وكانت الدولة ايضًا تميل اليهم ولمَّا تغيَّر خاطر والي البندقيَّة على حاكم المرقب راسل سرًّا آل الشاعر واوعز اليهم بان يقتلوهُ ويحكموا بدلًا منهُ . ففعلوا وقتلوه في الصيد وتسلَّموا القلعة وحكموا بلاد المرقب . واولادهم لا يزالون الى يومنا هذا ولاةً عليها

امَّا مشايخ بيت حمادة فانهم تسلَّموا بلاد البترون بعد خروج بيت الشاعر منها وصاروا

١) وقيل انَّ المقدَّمين الذين قتلوا في جاج كانوا اربعة . وفي كتاب اخبار الاعيان ورد الخبر على الصورتين (راجع الصفحة ١٦٥ و١٦٦)

حكّام بلاد جبيل والبترون معاً واشتدَّت صولتهم . وفي غضون ذلك حكم الهرمل اولاد ابي قنصوه

ثمَّ خلَّف الشيخ حسين اربعة اولاد سرحال وابرهيم واسماعيل وعيسى وانتقل الى ايليج وعمر بها عمارة وسكنها . وفي ذلك الحين حكم اولاد الشيخ احمد جبة بشرّاي وحكم اولاد الشيخ ذنب الضنيَّة وامتدَّ حكم بيت حمادة الى حدّ عكّار وصار لهم اجازة على كامل المقاطعات من برّ الشام الى بوّابة حماة . وجعلوا ضريبة على كل ضيعة من تلك البلدان . وكانت تلك البلاد كلها شركة بينهم فلما مات الشيخ سرحال ودُفن في ايليج جرى نزاع بين اسماعيل واخويه فاخذ ابراهيم وعيسى بلاد البترون التي كانت عامرةً واخذ اسماعيل بلاد جبيل وحدهُ لسوء احوالها في ذلك الوقت . واخذ معها وادي علمات والفتوح وجبة المنيطرة وصار اسم (سميَّة) بيت حمادة يطلق عليهِ وعلى اولادهِ وهو يدفع ميرتهُ ونفعهُ . وانتقل الى ايليج لقربها من مراكز الدولة وسواحل البحر وعمر سرايةً في قرية لاسا في جبَّة المنيطرة وسكنها واشتدَّ بأسهُ في كل المقاطعات تهابهُ كافَّة حكامها الى حدّ حلب يدفعون لهُ الجزية واخذ آل حمادة مزارع وارزاقاً في الكورة والزاوية جعلوها بكاليك الى يومنا هذا

وخلَّف الشيخ اسماعيل ثلاثة اولاد وهم عبد السلام وعبد الملك وابو نصر بقوا في طاعة والدهم واشتدَّت شوكتهم وتعاظمت دولتهم وصاروا ملجأً للرائح والغادي وضربوا الجزية على البلاد الى حدّ بعلبك واخذوا شمشطار بكليكاً (إقطاعاً) لهم . وداموا على ذلك الى وفاة والدهم . فبعد موتهِ اقتسموا بلاد جبيل ثلاثة اقسام وابقوا حقوق الاسميَّة لعبد السلام لانهُ الاكبر . ثم اخذ بنو الشيخ اسماعيل يظلمون الرعيَّة ويسيئون المعاملة الى الفلاحين ولم يسلكوا آثار آبائهم في العدل والرحمة فقام عليهم اهل المقاطعات لدفع الجور عنهم فطردوهم اوَّلاً من بلاد عكّار ثمَّ قام اهالي الضنيَّة وحاربوهم وقُتل من الفريقين جمٌّ غفير الى ان اضطرَّ أولاد حسين وذنب الحاديين ان يخرجوا من الضنيَّة وكذلك طرد اهل بشرّاي اولاد الشيخ احمد من ناحيتهم بعد مناوشات طويلة سنة ١٧٥٩ م . وشرح هذه الامور يؤدي بنا الى الاطالة وقد فصَّلنا ذلك في تواريخ الجبَّة

ثم عاد آل حمادة الذين كانوا سابقاً في بلاد عكّار والضنيَّة فسكنوا بلاد جبيل

بالعدوّ والسكينة. وبقي اولاد الشيخ اسماعيل حكّاماً في بلاد جبيل والبترون كما كانوا سابقاً وتقلّص ظلّهم وضعفت سطوتهم. ولمّا كانت سنة ١٧٦٣ جعل والي طرابلس الاميرَ يوسف الشهابي حاكماً على بلاد جبيل والبترون وجبّة بشرّاي فتولّى الارزاق التي كانت في يد بني حمادة في المقاطعات المذكورة وغيرها وصار بينهم وبين الامير يوسف حروب وشرور عديدة الى ان اضمحلّت أحوالهم وتشتّت شملهم ونزح البعض منهم الى بلد بعلبك والبعض منهم الى الهرمل والقيرانيّة وبقي لهم املاك قليلة في بلاد جُبيل ولم يبقَ لهم امرة سوى في الهرمل لانها في طرف بلاد لبنان وكانوا يدفعون ميرتها وضرائبها للامير يوسف بنسبة بقيّة البلاد. والذين بقوا منهم في جبّة المنيطرة ووادي علمات صاروا هم والطوائف بمنزلة الفلاحين. امّا أولاد الشيخ اسماعيل فتفرّقوا كما ذكرنا الى يومنا هذا اي سنة ١٨١٨

٩ ﴿ امراء الكورة ﴾ هم قوم أكراد وضعهم السلطان سليم خان العثماني الغازي لمحافظة الكورة كما جعل غيرهم لحماية الثغور البحريّة في ذيل لبنان وذلك سنة ٩٢٥ (١٥١٩م) فعظم امرهم الى ان صاروا امراء المقاطعة المذكورة وسلالتهم لا تزال باقيةً الى الان

١٠ ﴿ اصل بيت رعد ﴾ قيل ان اصلهم من حوران فقدم جدُّهم الاول رعد الى ديار طرابلس وكان ولاتها وقتئذٍ بني سيفا فانتمى اليهم ونجب في خدمتهم فولّوه مقاطعة الضنيّة من قبلهم فامتاز في تلك الخدمة وخلفهُ بعدهُ ولدهُ محمد وبنوهُ من بعدهِ الى عصرنا هذا

١١ ﴿ اصل المراعبة ﴾ هم على ما قيل من بعض طوائف الأكراد الرشوانيّة الذين يسكنون بين مرعش وبسنا وكانوا المقدَّمين على عشيرتهم ويقال لهم في التركيّة بيك اوغلي اي بنو البيك فقدم منهم الامير مرعب جدُّهم الأوّل ومعهُ احد اخوتهِ الى بلاد طرابلس وكانا من ذوي الثروة فتقرّبا الى وزيرها في ذلك العهد. ثمَّ مات اخو مرعب وبقي مرعب وحدهُ وطاب لهُ المقام في سواحل الشام واشتهر فيها. ولمّا مات قام بعدهُ ولداه ناصر وداود فاقتفيا آثار والدهما في الترقّي الى ذوي الصدور وتوطنا في سهل ديار عكار. وخلّف داود اولاداً اشتهروا باسمهِ فقيل لهم الدواودة. وخلّف ايضاً ناصر اولاداً دُعوا باسم ابيهِ فقيل لهم المراعبة. ومن اولادهِ شديد الذي شاع ذكرهُ

بالفروسيَّة والشجاعة . وكانت ديار عكَّار بعد انقطاع آل سيفا تولَّاها آل حمادة ولم يستقم امرهم فيها وتولَّاها حكَّام مختلفون حتى آل امرها الى شديد المذكور فاستولى عليها وعزز حماها وهو الذي قتل عيسى كبير آل حمادة في دير حماطورة في ٢٢ اذار سنة ١٧١٤ . ثمَّ مات شديد المذكور بعد مدَّة من عمرهِ وخلَّف عدَّة اولاد قويت شوكتهم وتقلَّد بعضهم رتبة الباشا في طرابلس وتكنى اولادهم باسم البيك وتملكوا بلاد عكَّار الى عصرنا هذا

١٢ اصل بيت الخازن ذكر مؤلف المنارة (العلامة الدويهي) انهُ في تاريخ سنة ١٥٤٥ انتقل اهالي قرية جاج من بلاد جبيل الى بلد كسروان لما حصل بهِ من العدل والامان . فالشدياق سركيس الخازن صار الى قرية البوار وسكنها مدَّة ثمَّ طلع منها وسكن مزرعة بلونة التي في ارض عجلتون وبقي فيها مدةً وولد بنين وظفر بنعمة من امراء بيت معن حكام تحت دير القمر لكونهِ خبأ سابقًا ولدًا منهم في مزرعتهِ (١ . وصار الشدياق واولادهُ كواخي بيت معن وقويت شوكتهم وسطوتهم عند الدول والحكَّام شرقًا وغربًا وعمروا بلد كسروان وسكنوه وصاروا حكَّامًا فيهِ وأخرجوا منهم الغرباء واقتنوا أرزاق ساحل الجرد . وبعد انقراضُ بيت معن حضر امراء بيت شهاب وحكموا تحت دير القمر . ولم يزل بيت الخازن كواخي عندهم من حاكم الى حاكم حتى اشتدت سطوتهم واستحقُّوا ان يحرّر لهم بيت الشهاب « الاخ العزيز » مثل مشايخ الديرة الكبار وان يحضروا مثلهم جمعيات البلاد . واقتنوا أرزاقًا كثيرة في سواحل بيروت وبلاد جبيل وصاروا ملجأً للطريد ومقصدًا للجميع . ومن حسن تصرُّفهم التجأت اليهم كافة الطوائف التابعة للكنيسة المقدسة وعمروا اديرة في جوارهم مثل بطرك الارمن وبطرك السريان وبطرك الروم وكذلك سكن كسروان جملة رهبان وعمروا أديرة ومدارس . وذكر صاحب المنارة انَّ في ايامهم سنة ١٦٢٨ اهتمَّ القس حنا ابن القس يوسف من بيت محاسب من قرية غوسطا في تجديد بناية مار شليطا بارض مقبس في بلد كسروان وصار الأوَّل بين سائر الاديرة التي أُنشئت

١) والصواب ان الذي فعل ذلك هو ابراهيم بن سركيس الخازن كان اخفى فخر الدين ويونس ولدي قرقماس بن معن . فلما حكم فخر الدين قدَّم ابا نادر واخوتهُ واعطاهم نفس مقاطعة كسروان التي كانت تشمل ايضًا ناحية القاطع الحاليَّة

في كسروان. وكان اخوه القس سركيس قد ترهب بدير مار انطونيوس قزحيا فانتقل الى دير مار شليطا وصار بلد كسروان ملجئًا للجميع

وذاع صيت بيت الخازن في بلاد الفرنج وبلغ اسمهم الى المجمع المقدس فحضر لهم عدة تحارير من الاحبار الرومانيين يمدحون غيرتهم ويوصونهم بان يحرصوا على الطائفة الموارنة وتوجَّه منهم أُناس الى بلد الفرنج ونالوا من ملوكها وامرائها نعماً جزيلة. ومن جملة ذلك تشرَّفوا من لويس (الرابع عشر) ملك فرنسة ومن الدولة العليَّة بقنصلية بيروت. كما حُرّر في رسالة الخوري يوسف الدويهي عن اخبار الموارنة. والحقُّ يقال ان هذه الطائفة تستحقُّ كلَّ مديح لعظم ما جرى من اهلها من اعمال الخير وعمارة الكنائس ووقف الارزاق وكذلك قام منها عدد وافر من البطاركة والمطارين ورؤساء الرهبانيَّات ولم تزل تنمو وتزداد الى يومنا هذا

١٣ ﴿ اصل المشايخ الحبيشيَّة ﴾ اوَّلهم خرج من قرية يانوح التي تقرب من قرية المغيّرة في جبة المنيطرة. فلما ثارت الفتن بينهم وبين اهالي العاقورة وخربت يانوح توجَّه جدُّهم الى قرية غزير من بلد كسروان وسكن بها مدَّةً وصار له اولاد وعمروا العمائر واقتنوا الارزاق وصاروا اسرةً شهيرة عند الجميع. وتقدموا عند بيت عسَّاف الذين حكموا غزير وما يليها جنوبًا وشمالًا كما ذُكر في تاريخ بيت عساف وبيت سيفا المحرَّر سابقًا. وصار آل حبيش كواخي عند الامير عساف واولادهِ من بعده طول مدَّة دولتهم في غزير ولمَّا حكم بيت سيفا بعد العسافيّين بقي الحبيشيون في رتبتهم عندهم. وبعد انقراض دولة بيت سيفا حكم الشيخ ابو منصور حبيش قرية غزير باسم بيت معن واستقامت في يدهِ ويد اولادهِ بعدهُ وقويت شوكتهم وامتدَّت سطوتهم وتعاظمت قدرتهم. وعُرفوا شرقًا وغربًا واقتنوا أَرزاقًا كثيرة في غزير وبلاد جبيل والفتوح. وصاروا مزاويج (مجاويز) بيت الخازن (١ وتوجَّه البعض منهم الى بلاد الغرب ونالوا من ملوكها وأشرافها خيرًا جزيلًا ورجعوا الى غزير ولم يزالوا بهذا الشأن الى يومنا

١٤ ﴿ اصل مشايخ بيت دحداح ﴾ جدُّهم الاوَّل من العاقورة

---

١) ينكر ذلك آل الحبيش. امَّا نحن فنترك عهدة القول لقائلهِ

وكان لهُ معرفة وافراز وحظٌ معتبر وتوجَّه الى بلاد بعلبك ١) وصار يازجي (كاتباً) عند بيت الحرفوش مدَّةً. ثمَّ رجع بعدئذٍ الى بلاد جُبيل وتقدَّم عند الشيخ اسماعيل حمادة فسلَّمهُ مقاليد كل اموره. ثمَّ انتقل الى طرابلس وسكنها وعلَّم ولدهُ ابراهيم اللسان التركيَّ والخطَّ فبرع فيه. ثمَّ سكن قرية لحفد وصار لهُ اولاد وتقدَّم جميعهم عند الشيخ اسماعيل كما كان والدهم. ولمَّا توفي الشيخ اسماعيل استقاموا عند اولاده واقتنوا ارزاقاً في بلاد جُبيل والفتوح وكانت جميع ارزاقهم معافاةً من قلم الميري

وبعد مدَّة من الزمان توجَّهوا فسكنوا في قرية عرامون في بلاد كسروان وتملَّكوا فيها الاملاك وعمَّروا العمائر مع مداومتهم على تدبير بلاد جُبيل والبترون كما كانوا. ثمَّ توجَّهوا الى دير القمر وتقدَّموا عند بيت الشهاب وكبرت دولتهم وصار لهم صيت حسن واشتهروا عند الجميع وهم اجواد وكرام يحقُّ لهم المديح والشكران لأنهم محضر خير يساعدون جميع الناس في قضاء حاجاتهم. وتقدَّموا عند الحكَّام وصاروا من مزاويج بيت الخازن لسموّ فضلهم وعلوّ شأنهم. وكان بيت الشهاب يصدرون رسائلهم اليهم باسم «الاخ العزيز» كمشايخ الديرة وبيت الخازن ولم يزالوا بهذه السطوة والشأن الى يومنا هذا

١٥ اصل مشايخ بيت الظاهر اصلهم الاوَّل من قرية بقوفا في جبَّة بشراي ما بين بشراي واهدن وهي الآن خراب. وبيت الظاهر عيلة اجواد اشراف ذوي ديانة مستقيمة وظهر منهم اربعة بطاركة كما جاء في تاريخ البطاركة وكانت عيلتهم في بقوفا تُعرف ببيت الرزّ وظهر منهم ايضاً جملة حبساء سكنوا في وادي قزحيَّا وغيرها. وحين خربت بقوفا لكثرة الثلوج ومن جور الزمان والحكَّام نزلوا الى قرية كفر حورا في الزاوية وسكنوها سنة ١٦٠٠ وقام منهم واحد يُقال لهُ الشدياق ميخائيل كان ذا عقل وعُرف بحسن الخطّ وكان بارعاً في كل شيء فعرفهُ اصحاب الامر وذاع اسمهُ. ولمَّا تغيَّر حاكم الزاوية جعل وزير طرابلس ميخائيل حاكماً عليها.

١) يؤخذ من قول المؤلف انهُ يريد الشيخ يوسف الدحداح. وقد بيَّن صاحب اخبار الاعيان (ص ١٠٩) ان جدّ الدحادحة الاوَّل هو الشيخ جرجس الدحداح راجع ايضاً تاريخ الدويهي ومقالة الشاب الفاضل الشيخ سليم افندي الدحداح عن الكونت رشيد واسرته في المشرق (٤ : ٣٨٥)

ثمَّ خلفهُ اولادهُ في مرتبتهِ وحكموا الزاوية واقتنوا بها ارزاقاً. ولشدَّة سطوتهم وشوكتهم استحقُّوا ان يحرّر لهم حاكم تحت دير القمر « الاخ العزيز » مثل غيرهم من المشايخ كمشايخ الشوف وبيت الخازن وغيرهم وتزوَّجوا بنات المذكورين وتقدَّموا عند الوزراء والحكَّام. وقد اشتهر منهم واحد يقال لهُ كنعان الظاهر كان بطلًا صنديداً كامل الاوصاف ذا نخوة وشجاعة فضرب فيهِ اهلُ عصرهِ المثل في حسن صفاتهِ فكثر حسَّاده وسُعي بهِ الى الاعداء فحبسوه واذاقوهُ العذابات الواناً وعرضوا عليهِ جحود ايمانهِ فلم يقبل فقُطع رأسهُ عند باب التبَّاني في ٢ شباط سنة ١٧٥٠ . وكان قبل موتهِ دخل عليهِ في حبسهِ الخوري ميخائيل يمّن من اهدن وزوَّدهُ بالاسرار المقدَّسة ثمَّ نُقلت جثَّتهُ الى كنيسة سيّدة الحارة في طرابلس فظهرت بشفاعتهِ عدَّة عجائب (١. ولم يزل بيت الظاهر من بعدهِ على الزاوية واولادهم فيها حتى اليوم

١٦ ❦ اصل مشايخ بيت العازر ❦ حضر جدُّهم الاوَّل من قرية ازرع من بلد حوران في برّ الشام الى قرية اميون التي في كورة طرابلس وسكن بها هو واولادهُ من بعدهِ واقتنوا جملة ارزاق وعُرف اسمهم عند الجميع لاسيَّما عند دولة حكام طرابلس وحكموا ثلاث سنين الكورة مشتركين في ذلك من الامراء الأكراد. واستقاموا على هذه الحالة مدَّة سنين. ثمَّ تقاسموا امارة الكورة فاخذ بيت العازر ثُلثاً منها وهي اميون وتوابعها. واشتدَّ بأسهم وقويت شوكتهم عند الوزير وغيرهم وعند حكَّام الجبل وكانوا يكفلون الدولة بازاء المقاطعجيَّة. ومنهم مرعب حكم بلاد عكَّار سبع سنين وحدهُ. وكانت هذه العيلة من الافاضل المعروفين تقدَّموا على كافَّة اقرانهم في ايالة طرابلس. وكانوا اصحاب شورى ومعارف ولم يزالوا حكَّاماً على اميون وتوابعها الى يومنا هذا (انتهى)

هذا اخر ما عثرنا عليهِ في هذا التاريخ من اخبار الامراء والمشايخ في لبنان . على ان المؤلف لم يستوفِ اخبار كل الاعيان وضرب صفحاً عن بعض الأسر الشريفة امَّا اختصاراً وامَّا لكونهِ لم يحصل على شيء من اخبارها ونسَبها كمشايخ آل الخوري المعروفين ايضاً ببني الصالح الموارنة الذين تولوا رشمياً في الشوف . وكالمشايخ بني صعب والمشايخ الجانبلاطيين وغيرهم ايضاً ممَّن تغني شهرتهم عن ذكرهم

١) راجع تفصيل ذلك في كتاب اخبار الاعيان (ص ١٠٣)

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

امَّا الاب يوحنَّا ذاك الشيخ البار فاجاب راحيل قائلًا :

— اعلمي ايتها السيدة الشريفة انهُ لا يعاقب احد على فضيلتهِ. فانت لا تحتملين العذاب والآلام من اجل محبّتــك بل لانك لم تكتمي هذه المحبة الكتم الكافي. وهـــذا يدل على كبريائك وخيلائك. فانك ترضين باحتمال العذاب والرزايا ولكنك تريدين ان يعترف لك الآخرون بهذه المزيَّة. وكل ما قاسيتهِ من الآلام الادبيَّة وكل ما رضيتِ ببذلهِ من الضحايا لم تطلبي فيهِ غير نفسكِ. فاكتمي اذًا محبَّتكِ لا على شقيقتك وحدها بل على رجلك ايضًا. وافعلي ذلك حتى في سرّكِ وباطنك اذا خلوتِ لنفسك

— ألم افعل ما ذكرت ؟ وهل من الواجب ان أُبالغ ايضًا في محو شأني ونسيان ذاتي. قلْ أُطعْ

— لقد جهلتِ الغرض من نصائحي وغلطتِ كل الغلط بما تظاهرت بهِ من البساطة التي لم تكن في محلها وايضًا بطلبك العزلة والانفراد. ألا تدرين انك لو وبَّخت رجلكِ في وجههِ على عدم مبالاتــهِ بامركِ لم يكن ذلك اشد ولا انكى من هذا التصرُّف الملتوي. فمن الآن فصاعدًا كوني الآمرة الناهية على عينيكِ ومحيَّاكِ وقلبكِ حتى لا تبوح بشيء. ممَّا تشعرين بهِ في باطنك. كوني حجرًا اذا استطعت او بالحري كوني بسيطةً لكن ببساطةٍ طبيعيَّة خالية من التكلف كما لو لم يكن شيء. ممَّا لا ترضينه. فهل تشعرين من نفسك قدرةً على البلوغ الى هذا الحد ؟

— لا اقوى اصلًا على ان اتظاهر بعدم المبالاة امام زوجي. وكيف يمكنني ذلك وانا اعبدهُ عبادة ولا اتنفس ولا اعيش الَّا من اجلهِ ؟

— اذهبي واطيعي ثم عودي اليَّ فاخبريني انجحتِ ام لا ؟

وكانت الكبرياء مع الغضب والألم الكاوي تشـير في باطن تلك المرأة التعيسة انواعًا من الاشجان والاحزان. ولم يكن احد من قبل قد تجرَّأ على تقريعها لما اتصفت بهِ

من الصلف والخيلاء. فاوشكت ان تتمزَّق غيظاً من كلام الاب يوحنا غير انها لمَّا تأملت في برارته وكيف انهُ يحتمل الحبس والنفي ظلماً وعدواناً من غير شكوى ولا تذمُّر فهمت اخيرًا انهُ اذا حقَّ لاحد ان يخاطبها بمثل ما خاطبها بهِ فانما هو وحدهُ يحقُّ لهُ ذلك

وكانت عارفة بما جرى في قصر القليعة وكيف وقف الاب يوحنا امام اولئك القضاة الجائرين ولم يُجرِ جوابًا على ما عزَوا اليهِ من الجرائم الموهومة بل انهُ اقتداء بمعلمهِ الالهي لزم السكوت ممارساً ما يقضي بهِ نسيان الذات. فبعد هذه الافكار التي جالت في خاطرها التفتت الى ذاك الرجل البار وقالت لهُ بصوت خنقتهُ العبرة: أُطيعك ايضاً هذه المرَّة يا ابي فباركني وصلِّ من اجلي

وكان قد خالط قلبها شيء من العزاء مخففًا قليلًا وطأة ما بها من الاشجان والمرارة فركبت القارب مع خادمها وسافرت خفيةً كما كانت قد اتت

٩

وكانت راحيل تخشى مع تنكرها الخارجي ان يعرفها احد في الطريق فاجتناباً لهذا المحذور امرت خادمها موسى ان يسير بها في طرق غير مسلوكة جنوبي « الوعر » حتى اذا انتهيا قريباً من المطربة جازا ناحية الهرمل عرضاً ثمَّ وادي بريسا ثم مرج عين الذي كان قد تغطَّى بما وقع من الثلوج الكبيرة واخيرًا دخلا غابة الضنية. ولحسن الحظ لم يصادِفا في كل الطريق احدًا يعرفهما سوى نفر قليل من المتاولة والنصيريَّة كانوا اذا شاهدوا الخيَّالَين شاكي السلاح يقتصرون على تحيَّتهما ويتركونهما ذاهبين في سبيلهما بسلام

امَّا سفرهما فكان متعباً شاقًّا وكان التعب قد نهكهما كما نهك زاملتيهما ولمَّا اشرفا على سور البترون ومنازلها وجاوزا وجه الحجر والقبة ووصلا الى سفح الرابية التي تشيَّدت فوقها كنيسة « سان سابور (١ » ثارت زوبعة مخيفة وسقط المطر سيولًا يصحبهُ بَرَد كبير الحجم كان يصيب وجوه الخيل فيؤخّرها عن المسير. فبعد ان عانيا ما لا يقدَّر من المشقة عثرا اخيرًا على مجاز عبرا عليهِ نهر الجوز الذي كانت قد تعاظمت مياههُ بما سقط من الامطار في الايام السالفة. ثم انهما جدَّا في المسير حتى انتهيا الى قصر البترون

١) المشرق ٤: ٥٤٠

بعد ان سدل الليل حجاب الظلمة فدخلت راحيــل من الباب الكبير وهمَّت بان تنساب الى غرفتهـــا غير انَّ رجلًا طويل القامة وقف في طريقها. وكان ذاك الرجل زوجها زين الذي عاد قبل يوم من الوقت الذي توقعتهُ. فلمَّا شاهدها قال لها بلهجة المتهكم:

ما احسن المرأة التي تغتنم غيـــاب زوجها فتترك بيتهـــا وطفلها للتجوُّل حيث شاءت وارادت. واني لاعلم حق العلم انك مولعة من زمان طويل بركوب الخيـــل ولكنني لم اكن عارفًا ان الجولان في الليل تحت الامطار وفي اوقات الزوابع الشديدة يعجبكِ ويسرُّكِ

وبما ان راحيل لم تكن لتستطيع كتم ما اصابها من الاضطراب والحيرة تمم زين كلامهُ مريدًا ان يستهزئ بما وقعت فيهِ من الارتباك فقال:

لا ريب انك ما كنتِ تنتظرين عودتي بمثل هذه السرعة غير اني لستُ بآسف على تعجيل رجوعي الذي يسَّر لي تحقيق ما شاهدتُ منك. وبعد هذا وهذا أتحبين ان تذكري لي السبب الموجب الذي اضطرَّكِ الى الخروج في هذه الساعة ؟

ولمَّا كانت راحيل قد صارت اشبه شيء بشخص ميت لشدة ما اصابها من الارتباك والخوف لم تحرِ جوابًا على سؤال زين. فانها كانت من عزَّة النفس وشرف المبادئ في اعلى منزلة ولذلك كان يشق عليهـــا ان تكذب او تلجأ الى مخرج ينجيها من لواذع اللامة. ولا يخفى ان المخارج والحيل كثيرًا ما يستعملها النـــاس ويحسبونها خاليةً من طائلة الشين والعيب اذا لم توقع ضررًا باحد وتخلص صاحبهـــا من الشروح التي قــد تجرُّ عليهِ وبالًا. الَّا ان راحيل كانت ترى انَّ اخفَّ زيغ عن الصدق هو كذب فظيع لا يليق بشخص من أُولي الشرف مهما كانت المنافع التي تتأتى عنهُ والاضرار التي يمتنع حصولها بسببهِ. وقد رأت انها اذا حكت الصدق يلجئهـــا الحال ان توضح لرجلها مرائر قلبها وما تقاسيه في باطنها من الاوجاع والآلام بسبب محبتها ولكن ذلك يوجب عليها مخالفة نصائح الاب يوحنَّا الذي اشار عليها بان تكتم محبتها... وبناء عليـــهِ فضلت السكوت على الجواب

امَّا زين فلمَّا لم يسمع منهـــا جوابًا على كلّ ما تقدم من كلامهِ قال لها بلهجة جافية:

لا وجه لكل هذا الخوف الذي اعتراكِ فاني اجلّ كثيرًا سليلة آل لبرياك ولا استطيع ان اتوهم فيها سوءًا . ولكن ارى من واجباتي تحريضك على ان لا تتوغلي في التجوال الى اماكن بعيدة وتأملي قليلًا في ما تطلبهُ منكِ حالتك النسائيَّة ومنزلتك

امَّا راحيل فانهـا ما برحت ملازمةً للصمت . ومع انهُ لم تتيسَّر لها ساعة اوفق من تلك الساعة حتى توضح لزوجها فرط حبهـا لهُ وما تتكبدهُ من المرارة في سبيلهِ بقيت صامتةً وقبلت بطواعية وطيبة خاطر هذا الكلام القارص الذي لم تكن تستحقهُ

غير انها بعد ذلك لما دخلت غرفتها وتمدَّدت على فراشها شعرت بهول موقفهـا وعظيم شدتهِ فما كان اشبهها بالمسافر الذي نجا من السقوط في هوَّة عميقة فاذا وصل الى منزلهِ تمثَّل لهُ الخطر الذي تعرض لهُ وكاد يودي بحياتهِ فيثقل عليهِ الافتكار بهِ اكثر من ساعة تعرُّضهِ لهُ

ومن ثم باتت راحيـل بليلة الملسوع تتقلب على فراش دون ان يغمض لها جفن وادركت حرج المركز الذي صارت اليهِ . والحقُّ يقال ان زيتاً كان يكفيه ان يقول كلمة ليردَّها الى حيث اتت . وكان في امكانهِ ان يفعل ذلك دون ملامة وفقاً لعـادات ذاك الزمان التي كان معمولًا بها وتتخذ مثل سنَّة وشريعة مبرمة لاسيا وان الاغنياء المقتدرين لم يكونوا يتوقفون عن اتبـاع كل عادة شأنها معاونة الاهواء البشريَّة على قضاء مآربها (١ . ولكن مقدَّم البترون كان رجلًا شريف المبادئ وفوق كل ذلك متعلقاً بديانتهِ المسيحيَّة كل التعلق فبناء عليهِ كان مضطرًا ان يوفق بين الراي العام واحكام ضميرهِ . ولكنهُ كان يستطيع بسهولة ان يقتدي بكثيرين من الاشراف من ذوي طبقتهِ ويبرّر نفسهُ بقولهِ انهُ شاهد امرأتهُ خارجة من بيتهـا في ساعة من الليل لم تكن تسوّغ لها الخروج . وبناء عليهِ كان مركز راحيل حرجاً جدًّا ولذلك صمتت من شدة خوفهـا ولم تجسر ان تنطق بكلمة تعتذر بها عن نفسها

ولو ان زيتاً سرَّحها لما امكنها ان تجد منزلًا تأوي اليهِ لان أُسرتهـا كانت قد انقرضت ثم ان شقيقها موسى ارشيديا كون انطاكية كان قد سافر من زمان طويل الى رومية في مهمَّـة خصوصيَّة (٢ وهذا هو السبب الذي من اجلهِ جاءت شقيقتها

١) داندني ٢) المشرق ١

حنّة الى البترون واقامت في منزل زوجها وجرى ما ذكرنا من شغف زين بها

ثم انضافت المخيلة الى خوفها الطبيعي فتصورت انها ستصير ضالّة تائهة لا مأوى لها ترجع اليهِ ولا املاك تنتفع بريعها وتلتزم ان تعيش بين الاجانب وهي رازحة تحت ثقل تهمة شائنة. ويا لله كم من مرَّة همت في ذاك الليل الطويل ان تهبّ من فراشها وتذهب الى زوجها فتعترف لهُ بكل شيء. ولكنها رأت ان ذلك إخلاف بوعد الطاعة الذي وعدت بهِ حبيس البحيرة فابت عزَّة نفسها ان تخلف الوعد وآثرت مقاومة المخاوف والصبر على المكاره

١٠

غير ان صبرها عاد عليها وبالًا لان ما عانتهُ من التاثيرات الادبيَّة والاتعاب البدنيَّة ما لبث ان اوهن بنيتها وهدّ جسمها فعجز عن المقاومة والجلد واخذتها حمى شديدة كادت تذهب بحياتها حتى مست الحاجة الى استدعاء طبيب من مدينة طرابلس لمداواتها

وكان الطب في العالم العربي اثناء القرن الخامس عشر قد اصابهُ ما اصاب سائر العلوم من الانحطاط والضعة فكان الاطباء السوريون في ذلك العهد لا يعرفون الّا شيئًا يسيرًا من خصائص بعض الاعشاب والنباتات وقليلًا من المعلومات الكيمويَّة التي كثيرًا ما يمزجونها بعقائد خرافيَّة ومضادة لاصول العلم. غير انهم كانوا في اكثر الاحيان يعتمدون في مزاولة مهنتهم على كنوز المعارف والمراقبات التي خلفها لهم سلفاؤهم. وقد وصلت الينا تآليف اثني عشر منهم وهي جميعها مشحونة بالسفاسف وجلّ ما تتضمَّنهُ اوصاف دوائيَّة سداها الخرافة ولحمتها التدجيل (١

واما في ايَّامنا فقد اختلفت حالة الطب كل الاختلاف وتشاغل الاطبَّاء في البحث عن المكروبات الضارة والنافعة وعن فوائد الكهربائيَّة والنور في المعالجة فهم يريدون في وقت واحد ان يكونوا كياويين وطبيعيين وكهربائيين وغير ذلك ليكونوا اطبَّاء اي ليجتهدوا بجد واخلاص في مداواة مرضاهم وتتبُّع سَير عللهم وتفحُّص ادوائهم ومعاونة الطبيعة على الشفاء بدلًا من تعذيبها بتجاربهم العنيفة التي تكون في بعض الاوقات أخطر على الصحة من المرض نفسهِ

١) راجع لبكلر تاريخ الطب العربي (٢: ٢٩٠) والمخطوطات الطبية في مكتبتنا (المشرق ٤: ٧٢١)

وكان الطب في الزمان المحكي عنهُ يزاولهُ خاصّةً أفراد من المسلمين واليهود. على انّ النصارى لم يكونوا ليتركوا لهم احتكار هذه المهنة. ومن الغريب ان رجال الاكليروس كانوا يمتازون على سواهم في الفنّ المذكور ولكنهُ لم يكن احد بين الطوائف النصرانيَّة كلها من يتقن الطب مثل اليعاقبة ولذلك كانت لاطبَّائهم سمعة طائرة وذكر بعيد (١

اما الطبيب الطرابلسي فبعد ان فحص المريضة بما لا مزيد عليهِ من التدقيق واستفهم عن مقدمات مرضها حكم اخيرًا انها مصابة بحمّى صالب قد تناولت الدماغ ايضًا مما يخشى معهُ من الخطر على حياتها. فلما كان اليوم التالي أُصيبت المريضة بانحطاط شديد وغلب عليها النعاس الّا انهُ كان متقطعًا ولكنهُ ما وافى الليل وحانت الساعة الموافقة لساعة وصولها الى البترون يوم عودتها من السفر حتى رجعت اليها الحمى شديدة محرقةً فخافت عليها شقيقتها حنة كل الخوف واستدعت المقدَّم زين فقالت لهُ:

ان راحيل تخوّفني كثيرًا لانها تهذي باعلى صوتها وتعمل اشارات وحركات ترعبني ومتى اشتدَّت عليها الحمى تهمّ بان تنطرح على الحضيض... فلا اجترئ على البقاء عندها وحدي. ثم اني من وجه آخر — قالت هذا وقد صبغت حمرة الخجل خدَّيها — استنكف من وجود شخص غريب هنا يسمع ما تنطق بهِ من الهذيان متى اشتدَّت عليها النوبة

ومن ذاك الوقت اتفق الاثنان ان يجتمعا عند فراش المريضة معًا للسهر عليها كلما ثقلت عليها وطأة الحمّى. وكان قبول زين بملاحظة قرينتهِ والانتباه اليها في مرضها من شأنهِ ان يُعيد الى الزوجين ذاك الحب الذي تقلَّص ظلُّهُ بينهما من زمان طويل لانه بالرغم عن الفتور المقصود من زين والاحتراز الذي تعمدتهُ راحيل كانت الساعات التي تنقضي ورأسهُ الى رأسها والاسئلة التي يتبادلانها عن ارتفاع الحمى او هبوطها تقرّب ذينك القلبيَن وتُدنيهما ممزّقةً بعض ما كان فيهِ من الضنك والانزعاج

وكان زين يقوم بما تستلزمهُ العناية بقرينتهِ بغاية الاقبال والقبول اللذين يمتنع ان لا يجدا تأثيرهما في قلب مستقيم وحسَّاس كقلب راحيل. ولذلك كانت كلما شاهدتهُ مهتمًا براحتها يزيد اجلالها لهُ وتشعر بانجذابها الى هذا القرين الذي من غير قصد حولت محبَّتهُ عنها

(ستأتي البقيَّة)

١) راجع كتاب « راي» المعنون المستعمرات في المشرق (ص ١٨١)

مثال البلجيك · في نجاح الكاثوليك

بقلم الكاتب البارع جان افندي جلوان البغدادي

من جملة السهام التي يصوّبها الى الكاثوليك بعض مماحكي الكتّاب الذين جعلوا ديدنهم التثريب والتشنيع على كنيسة المسيح هي المقابلة بين بعض الشعوب الكاثوليكيّة والبروتستانيّة والمقايسة بين أحوالها التدبيريّة · فهاجوا وماجوا ورفعوا عقيرة الظافر الغانم وقالوا لمّا كانت البلاد البروتستانيّة لا يزال تقدُّمها على قدم وساق · قد ملأت تجارتها الامصار والآفاق · فبعكس ذلك الامم الكاثوليكيّة فانّك تراها آخذةً بالانحطاط ونجم سعدها قارب الأمحاق

قد نسج عنكبوت متمنطقيهم هذه السفسطة على المقابلة بين اسبانية والبرتوغال وايطالية وبين انكلترة والمانية فحكموا حكماً باتّاً بان الممالك الكاثوليكية قد حُرمت السعادة الزمنيّة التي تتمتّع بها البلاد غير الكاثوليكية ونسبوا السبب ذلك الى المذهب المتمسك بهِ كل من البلادين وحلفوا يميناً جَزْماً ان الكثلكة هي الداعي الوحيد لسقوط العنصر اللاتيني بيد ان الثروة والسلطان الحاصلة عليهما الامة الانكلوسكسونيّة هما نتيجة تعلُّقها بعقائدها الدينيّة · فلا جرم ان القياس الذي يُبنى على هذه المقدّمات تكون نتيجتهُ بحكم العقل ان نفوذ الكنيسة الكاثوليكيّة وتعاليمها هي مضرّة ماديًّا لسعادة الشعوب التي يسوسها ويسودها الكاثوليك وان النجاح الزمني الذي تمتاز بهِ الامصار البروتستانية لم يكن فقط مدعاة للافتخار والمباهاة بل انما هو علامة جلية عن البركات التي لا يزال الله يعطرها على كنيسة الاصلاح

فمع تسليمنا بان بعض البلاد البروتستانية قد فاتت في هذه الايام البلاد الكاثوليكيّة التي تغايرها في التجارة والصناعة لا نرى وجهاً للمطالعة على اتخاذ هذا الامر برهاناً يُحتجّ بهِ على الكنيسة المقدسة الكاثوليكيّة وسلاحاً يُشهر عليها · امّا غنى الافراد او الشعوب وتقدمهم في الهيئة الاجتماعية فلا يسعنا ان نقبلها دائماً كدليل انعامٍ خصوصي لهم من الله · على ان الذين قد تمسّكوا شديدًا وقويًّا بما تعلّمهُ الكتب المقدسة لا يسوغ لهم المجاهرة بانّ تملُّك الثروة الارضية هو قاعدة قد وضعت اساسها يدُ الهية · فان فادينا

لمّا توقّل الجبل ليعظ الناس لم نسمع من فمهِ الطاهر كلمة استحسان او بركة للتاجر المثري او الماليّ الناجح. فلا لوم ولا تثريب على الكنيسة الكاثوليكية في هذا الشأن بل ان عدم وصول تابعيها الشأو الذي بلغت اليهِ اصحاب بقيّة المذاهب من السلطة الدينارية مما لا يبخس شرفها ولا يخلّ بحقوق تعيينها الربّاني حاميةً ومعلّمة للحقائق الدينية والخلاصية. أفهل خطر على بال اعداء الكنيسة بان يجعلوا من واجبات وظيفتها معاضدة اشغال شركات المعادن وبناء سكك الحديد واقامة المعامل وصنع المراكب التجاريّة وتمهيد طرق التجارة وتشجيع امتداد التمدن والتجارة بفتك الاسلحة الغدّارة. وطنين المدافع القهّارة. لقد ضلّوا سواء الطريق. ان الكنيسة الكاثوليكية قد دعاها الله لغايات اسمى وأسنى من ترقية الصناعات وتشجيعها التي لا يتوقف عليها الّا نجاح الامم المادي. قد وضعها الله لترفع بدرجة الانسان الادبية والروحيّة. ولا ينكر علينا التاريخ شهادة الحق بانها على ممرّ القرون قد قامت بأعباء مهامّ هذه الوظيفة العالية احسن قيام ونالت من التوفيق والنجاح ما لا يجحده الّا من اصابهُ رمد العقل

*

غير انهُ لا محل للتوهُّم هنا انهُ يوجد ضرورةً ادنى تنافر بين اتّباع أوامر الكثلكة وبين اكتساب الغنى. فاسبانيا والبرتوغال اللتان ينوح البروتستان على سوء مصيرهما قد كانتا يوماً غنيّتين قديرتين. ولم تبلغا الشأو السحيق من العظمة والمجد الّا في الزمان الذي كان ايمان اهلهما متقداً يومَ كان للكنيسة فيها القدر المعلّى وحيث كان من الواجبات الدينيّة ركز الصليب المقدس اينما خفق العلَم الوطني. فاذا رأينا اليوم هاتين المملكتين قد انحطّتا منزلةً في السياسة والتجارة فلا يسوغ لنا ان ننسب هذه الحال الّا الى أسباب ليس من شأننا ان نتقصّاها. على اننا نقدر ان نقول بوجه العموم ان استياء أحوال البلاد وتحوّلها من السرّاء الى الضرّاء يصاقب خوار ايمان سكّانها

ولا يخفى على من لهُ إلمام بالتاريخ ان انكلترة كانت زمناً طويلاً قبل الاصلاح عظيمة وناجحة (وازدياد عدد الكاثوليك فيها في هذه الايام لا نراهُ مضرًّا بسعادتها الزمنيّة) وان بروسية البروتستانيّة رغماً عن تشرّبها مبادئ لوثاروس ما انفكّت مدّة قرون قد حلّ الفقر بين ظهرانيها حتى سار بهِ المثل

*

ولكن دعنا يا صاح من هذه الاقيسة التي تستند مقدماتها على اثافي الزمن الغابر. فان من دأب اعدائنا ان ينكروا كل حقيقة لا تنحصر تحت قبضة الوقت الحاضر . ولنأتِ ببرهان لا تقلق راحتهُ زمجرةُ غيظهم ولا تُقوّض أُسسَهُ عواصف حنقهم وسخطهم فهذه بلاد البلجيك مع صغرها قد بارزت اشدّ البراز كلًّا من انكلترة والمانية في ميدان الصنائع و برَّزتها كلَّ التبريز فاضحت حاصلاتها ضيفًا كريمًا في سائر الاسواق. ومن اتاح لهُ الحظّ ان يزور هذه الامصار لا يتمالك من التعجّب والاندهال لما يشاهدهُ من رفه حال اهلها، واذا همَّ بالتنقيب عن احوالها التدبيريَّة رأى ان هذا الرغد لم يكن نتيجة زهو و إفراط بل محصَّل سعادة حقيقيَّة ونجاح اكيد. وبلاد البلجيك كاثوليكيَّة محضة ومن نحو ست عشرة سنة لا يزال زمام امورها وشؤونها بيد حكومة كاثوليكية. ولم نعرف لتاريخ البلجيك زمن ترقٍ ونجاح فيهِ رتع سكَّانها في بحبوحة الهناء واليسار مثلما وصلت اليهِ في هذه السنين. وما هو جدير بالعجب ان تجارة البلجيك قد حازت قصب السبق على باقي الدول بالنسبة الى عدد سكَّانها. فان مبلغ تجارتها الخارجيَّة قد ناهز سنة ١٨٩٨ ١٥٣,٧١٤,٠٠٠ ليرة انكليزيَّة اعني بنسبة ٢٢,٥٦٠ ليرة عن كلّ الف نسمة وفي السنة المذكورة كانت هذه النسبة في انكلترة ١٩,٢٠٠ ليرة وفي المانية ٨,٤٠٠ ليرة عن كل الف نسمة. فهذه الارقام تنطق بافصح لسان عن نجاح هذه المملكة. ومنذ سنة ١٨٨٤ حيث صار زمام امورها الى يد الكاثوليك الى اليوم ترقت تجارتها ما ينيف الاثنين والخمسين في المئة. وفي المدة عينها لم تزد تجارة الانكليز الّا عشرين في المئة. امّا المانية فقد تعدّت هذه الكميّة لان ترقّيها كان ابتداؤه من سنة ١٨٧٠ بيد ان البلجيك اخذت بالنهوض قبل ذلك اي منذ انقلاب سنة ١٨٣٠

ومما يؤيد إثراء هذا الشعب هو ان المبالغ المودوعة في صناديق الاقتصاد والتوفير الراجعة للحكومة كانت سنة ١٨٨٥ ٧,٦٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزيَّة وفي ختام سنة ١٨٩٧ ٢١,٣٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزيَّة. على ان هذه المستودعات لا تحتوي الَّا على توفيرات العملة والطبقة السفلى من الناس وذلك من اسمى الادلّة على غنى أُمةٍ

هذا ما احببتُ ايراده جلاء لغياهب الانخداع عن عقول السذّج ليعلو الحقّ و يزهق الباطل

نبذة تاريخية

في بعض مشاهير طائفة الكلدان الكاثوليكية

بقلم الابوين الفاضلين القسين بطرس نصري وادّي صليبا ابرهينا الكلدانيين

ورد الينا مقالتان متشاجتان في موضوع واحد اي مشاهير كتبة طائفة الكلدان للقسّ بطرس نصري الكلداني من الموصل وللقسّ ادّي صليبا ابرهينا فعوّلنا على الاولى وزدنا في الحواشي ما وجدناهُ مفيدًا للقرّاء نقلًا عن الثانية

مار عبد يشوع الرابع البطريرك

هو عبد يشوع بن يوحنا من آل مارون (١. وترهب في دير مار احًا ومار يوحنا الاخوين القريب من الجزيرة العمريّة وطنهِ. وكان فاضلًا عالمًا باللغة العربيّة والسريانيّة وهي الاراميَّة ونبغ في معرفتها واستوعب خفاياها ودقائقها (٢. ولمَّا عاد يوحنا سولاقا البطريرك من رومية الى آمد سنة ١٥٥٣ مرسومًا ومثبتًا من يوليوس الثالث البابا اسامهُ اسقفًا على الجزيرة العمريّة. فزيَّن عبد يشوع هذه الابرشيَّة الكلدانيَّة بمناقبهِ وفضائلهِ السامية. ولمَّا قُتل مار يوحنا سولاقا سنة ١٥٥٥ في العمادية بامر وزيرها وبدسائس شمعون برماما بطريرك النساطرة عدوه الذي كان ساكنًا في القوش بقرب الموصل اجتمع الاساقفة والكلدان الكاثوليكيون في آمد واختاروا عبد يشوع بطريركًا مكانهُ. فقصد عبد يشوع اقتداء بسالفهِ رومية وقرر صورة ايمانهِ بين يدي بيوس الرابع سنة ١٥٦٢. ولم يكن قد فُضَّ المجمع التريدنتيني. ويظهر ان ظروف الزمان قد مكّنت مار عبد يشوع من الحضور فيه كما كان يرغب فعرض لهُ تقرير ايمانهِ وقبول القوانين التي حتمها. وفي هذا التقرير ورد ذكر البلاد الخاضعة لبطريركيّتهِ. ومنها ملبار. وتشاهد صورتهُ اليوم منقوشة وهو على شكل شرقي وهيئةٍ وقورة وعلى رأسهِ عمامة زرقاء وحلّة

---

١) قال القس ادّي: وُلد في جزيرة بازبدي المسمّاة جزيرة بنى عُمر وهي مدينة صغيرة من اعمال ديار بكر ونشأ على البدعة النسطوريّة

٢) امَّا سبب ارتداده الى الكنيسة الرومانيـة فقد بسطهُ القس بطرس نصري والقس ادّي في مقالة طائفة الكلدان الكاثوليك التي نشرها سابقًا المشرق (٣ : ٨٢٢)

طويلة كما ترى المطارنة والفطاركة من بني جنسهِ في صورة الديوان الملكي من القصر الواتيكاني التي تمثّل الكرادلة وغيرهم من الاساقفة المرافقين اسكندر الثالث وهو يقتبل فردريك الملك تائباً. وتوفي عبد يشوع في دير مار يعقوب الحبيس القريب من مدينة سعرت سنة ١٥٦٧ (١). ولهُ تآليف جليلة في الارامية منها حوتامات كثيرة دقيقة المعاني رقيقة الالفاظ وعونيثات (٢). وميمر على الغربة (٣). ولهُ ثلاثة ميامر في شأن سالفهِ يذكر فيها سبب سفرهِ الى رومية وارتقاءهُ الى المقام البطريركي مع تاريخ لقبرهِ. ومن تآليفهِ ايضاً قصيدة رنّانة تقريظاً لبيوس الرابع الحبر الاعظم تبتدئ ܐܘ ܦܛܪܘܣ ܟܐܦܐ ܕܐܒܐ ܕܐܒܗܬܐ ولهُ اقرار الايمان في الآرامية ايضاً. وقد نظَّم فصول الانجيل الشريف للايام الطقسيَّة في اللغة العربيَّة. وهذا الكتاب هو محفوظ الآن في الجزيرة العمريَّة في خزانة كتب مطرانيّتها

٢ هرمز حبيب اسمر وهو ايليا مطران آمد واورشليم

كان هرمز احد الاساقفة الخمسة الذين سامهم سولاقا البطريرك. وكان قد ترهَّب في دير مار هرمز القريب من القوش كما يغلب الظن. ثم جُعل رئيس اساقفة على مدينة آمد واورشليم التي كانت غالباً ابرشيَّةً لاحقة بآمد او منفصلة ايضاً عنها احياناً لدى السريان المشارقة وهم الكلدان. ثمَّ انفذهُ عبد يشوع الرابع البطريرك بصفة زائر بطريركي الى بلاد ملبار التي كان قد فوَّض يوليوس الثالث وبيوس الرابع الحبران الرومانيَّان تدبيرها الى سولاقا وعبد يشوع نفسهِ بما ان سياستها منذ قديم الزمان كانت متعلقةً بجثالقة المدائن الذين يُعَدّ فطاركة الكلدان خلفاءهم الحقيقيين الشرعيين ورافقهُ مار يوسف اخو سولاقا البطريرك بصفة مطران شرعي كان قد اقامهُ مار عبد يشوع البطريرك على ملبار وامبروسيوس الاسقف والاخ انطون الدومينيكيان اللذان كان بيوس الرابع الحبر الاعظم قد امرهما ان يرافقاهُ الى بلاد الهند بصفة معاونين لهُ. ولهرمز ايليا لائحة تاريخيَّة في غاية الاهميَّة عن احوال الكلدان الكاثوليكيين وملبار وابرشيتهِ الاورشليميَّة

١) وقيل غير ذلك في سنة وفاتهِ (راجع المشرق ٦: ٨٢٤)

٢) الحوتامات صلوات تقال في ختام القدّاس وبعض الطقوس والعونيثات. تسابيح شعرية تقال في صلاة الفرض

٣) هذه القصيدة في وصف مشاق الغربة طُبعت في مجموع القس جبرائيل القرداحي المعنون بالكنز الثمين. ولهُ قصيدة اخرى في قتل البطريرك مار سولاقا

الكلدانيَّة قدَّمها في اللغة الايطاليَّة الى الكردينال كارافا محامي طائفة الكلدان بعد عودتهِ من مليبار وسفرهِ الى رومية سنة ١٥٨٠ ليستمدَّ التثبيت من لدن الكرسي الرسولي لشمعون دنحا البطريرك. وتجد هذه اللائحة مطبوعة في مجموعة البُلاَّت الرسولية في لشبونة (مجلد ٢ سنة ١٨٧٠)

٣ الانبا ادم وهو طيمثاوس مطران امد واورشليم

كان آدم رئيس دير الربان هرمز بقرب القوش احدى قرى الموصل(١. وكان ارخدياقونًا لايليا السادس بطريرك النساطرة في الموصل وكاتب لاسرارهِ. ولمَّا أراد ايليَّا البطريرك الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة نحو سنة ١٦١٢ ألَّف آدم كتابًا بذل فيهِ جهده ليبيّن ان ليس فرق في المعتقد بين النساطرة والكاثوليكيين الَّا بالالفاظ لا غير. ومكث على هذه الحال زمانًا الى ان انفذهُ سيدهُ الى بولس الخامس البابا مع صورة ايمانهِ الى رومية(٢ وجرى لهُ مجادلات ومباحثات طويلة مع الكنيسة الرومانيَّـــة في امور الدين فانار الله عقلهُ فنبذ تعليم نسطور واتحد مع الكنيسة الرومانيَّة. وسعى بعد عودهِ من رومية لدى سيده البطريرك بعقد مجمع في آمد سنة ١٦١٦ دُعي اليهِ اساقفة حصن كيفا وسعرت والجزيرة ووان فضربوا عهد الوصال مع الكنيسة الرومانيَّة. وبعد ذلك ألَّف آدم كتابين آخرين اولهما في ايمان الكنيسة الرومانيَّة يُقسم الى ستة فصول في وحدة الطبيعة الالهيَّة وتثليث الاقانيم وفي ولادة الكلمة الابديَّة وولادتهِ الزمنيَّـــة وفي وحدة الاقنوم في السيد المسيح وفي ارادتَي وفعلَي المسيح. وللمؤلف في المقدمة كلامٌ عن رئاسة الكرسي الرسولي وسمو سلطانهِ وتعليم الحبر الاعظم. وامَّا الكتاب الثـــاني فهو ضد المراطقة بالعموم ولا يخفى ان اصل هذه التآليف الثلاثة الآرامي هو مفقود الَّا انها تُرجمت الى اللاتينيَّة. وقد نقل الكتاب الاخير الى السريانيَّة في هذه السنين الاخيرة الاب صموئيل

١) قال الاب ادي صليبا: وُلد آدم في عقروهي مدينة من اعمـــال الموصل كانت قديمًا مشحونة بالنصارى تحدق جا الاديرة الحافلة بالرهبان فدُعي لذلك رستاقها باسم ܥܩܪܐ اي المرج. وفيها كان اسقفًا توما المرغاويّ المؤرخ الشهير. واحسن والدا آدم تربيتهُ. فاتقن آداب اللغة الكلدانية حتَّى برع فيها ولهُ فيها القصائد الرائعة منها قصيدة في وصف ربَّان هرمزد نشرها القس قرداحي في الكنز الثمين

٢) وممَّا كتبهُ ايليَّا في رسالتهِ الى الحبر الروماني ما نصّهُ: «اني اقرّ واعترف ان الكنيسة الرومانية هي أم الكنائس وليكن محرومًا من لا يقرّ جذا»

جميل المقيم في رومية بصفة وكيل بطريركي (طالع اعمال آدم ومجمع امد المذكور في فاتحة ستروزا على سنهدوسيات الكلدان في اللاتينيَّة Synodalia Chaldæorum) ثم ان ايليا البطريرك كافأ آدم على أتعابهِ بان اقامهُ مطرانًا على آمد واورشليم نحو سنة ١٦١٧ وانفذهُ من جديد الى رومة ليقدّم للكرسيّ الرسوليّ اعمال مجمع آمد فبقي هناك ست سنوات وبعد رجوعهِ الى الموصل بزمن قليل توفي بالوباء الذي فشا وقتئذٍ في الشرق (راجع المشرق ٣: ٨٢٧)

٤ مار جبرائيل اسقف حصن كيفا

وُلد جبرائيل نحو سنة ١٥٧٠ في مدينة كرخ سلوخ او هي كركوك (١ وكان نسطوريًا فلمَّا بلغ اشده ترهَّب في دير مار اوجين بقرب نصيبين وامتاز بين اقرانهِ بالعلوم والفضائل فأُقيم اسقفًا على حصن كيفا وقام بتدبير رعيَّتهِ احسن قيام. ولمَّا جمع مار ايليا السادس مجمعًا في آمد كان جبرائيل اول من لبَّى الى دعوتهِ ووافقهُ على نبذ الشيعة النسطوريَّة والاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة. ثم ان مار جبرائيل قصد رومية لزيارة ضريحي مار بطرس ومار بولس فامتدح بولس الخامس البابا بقصيدتين من اجود القصائد الارامية وقد فُسِرتا الى اللاتينيَّة وطُبعتا. ولهُ ايضًا قصائد اخرى جليلة وعونيثات خشوعيَّة ادرجتها البيعة الكلدانيَّة في صلاة تبريك الشهر (٢ وهي: ܡܪܝ ܒܪܟ ܫܢܬܐ ܗܕܐ (بارك يا ربّ هذه السنة). و ܐܘ ܡܪܝܐ ܚܢܢܐ (ايها الربّ الحنَّان). و ܡܪܝ ܩܕܡܝܟ ܩܝܡܝܢܢ (أننا نقف يا ربّ امامك). وتوفي جبرائيل نحو سنة ١٦٢٠

٥ مار يوسف الثاني البطريرك في امد

وُلد يوسف سنة ١٦٦٧ في تلكيف احدى قرى الموصل وكان اسم ابيهِ جمعة واسم أمهِ شموني ويلقبان ببيت معروف. ودُعي في العماد صليبا. وهذبهُ ابوهُ في العلوم

١) قال الاب ادي صليبا: كركوك مدينة موصوفة بطيبة الهواء وعذوبة الماء وهي قديمة بناها سَرْدنابال ملك نينوى نحو سنة ٨٠٠ ق م. وكانت سابقًا حافلة بالنصارى استشهد فيها عدد غفير من النصارى ايَّام الفرس. ومن علمائها مار سهدونا النسطوري الذي نبذ شيعتهُ وصار كاثوليكيًا

٢) هذا الطقس الشهري عبارة عن صلوات وابتهالات خشوعية تقدمها الكنيسة الكلدانية في غرَّة كل شهر لله عزَّ وجل طالبة اليه تعالى ان يبارك اكليل السنة لاسيمَّا الشهر الجديد التي تدخل فيهِ ويُبعد عن عبادهِ كل الآفات

والفضائل واقتبل الدرجة الشماسية في نحو الخامسة عشرة من عمره. ولمّا كان مولعاً بالعلم وتحصيل الآداب ومتمسكاً بعروة الايمان الكاثوليكيّ والفضائل المسيحية انطلق الى آمد عند مار يوسف الاول بطريرك الكلدان في آمد. وكان هذا قديساً فاضلاً وقاسى اضطهادات شديدة وعذابات فادحة من النساطرة فبلغ صليبا ذروة الكمال في مدرسة هذا الاب القديس وسُمي يوسف باسم معلّمهِ. ولمّا رأى مار يوسف الاول ما كان عليهِ تلميذه من العلم والفضائل اسامهُ قسيساً سنة ١٦٨٩. وبعد سنتين رقّاهُ الى الدرجة الاسقفيَّة بصفة معاون لهُ. وكان مار يوسف قد اكتنفتهُ الاوجاع وضعف بصرهُ فقصد رومية ليقضي ثمَّ الايام الاخيرة من حياتهِ بالزهد والتعبد فتنزل من الكرسي البطريركيّ لتلميذه ونائبهِ وسلم زمامهُ بيدهِ وكان ذلك سنة ١٦٩٤. وطلب من البابا انوكنت الثاني عشر تثبيت تلميذه بطريركاً. فجرى ذلك سنة ١٦٩٦ ودُعي يوسف الثاني. وكان مار يوسف غيوراً جدًّا على الديانة الكاثوليكيَّة. والّف كتباً شتى في الآرامية الفصيحة منها كتابٌ عنوانهُ «المرآة الجليَّة» دحض فيهِ اضاليل النساطرة واليعاقبة وغيرهم من الهراطقة واثبت عقيدة الكنيسة الكاثوليكيَّة. ولهُ كتاب في شرح الاسرار. وآخر في السيرة الروحية عنوانهُ المغناطيس. وقد جمع في كتابٍ اخبار المجامع المسكونيَّة مع قوانينها الى زمانهِ وهو مترجم من العربيَّة وقد طبعهُ الاب بدجان اللعازري الشهير. ولهُ قصيدة على محاسن الغربة واخرى في سموّ الحياة الرهبانية والاختلائية. واشعار اخرى كثيرة والّف صلوات عديدة لفرض بعض الاعياد التي لم تكن موجودة لدى الكلدان من ذلك عيد الختانة وعيد الجسد وعيد قلب يسوع ودخول المسيح الى الهيكل وعيد مار فثيون الشهيد وانتقال العذراء وميلادها وزيارتها وبشارتها وعيد قتل الاطفال وعيد مار يوسف خطيب العذراء والقديسة بربارة والقديس نيقولاوس وغيرها (١. ونقّح فرض الاعياد الاخرى من البدعة النسطوريَّة. وترجم بعض الكتب من العربية الى الآرامية منها كتاب فرح الصديقين وطب الخطأة ومصباح النور وكتاب المنطق واضاف اليهِ بعض الشروح الوجيزة. توفّي سنة ١٧٠٧ م

١) ولهُ شرح قصيدة ابن العبري في الحكمة الالهية «ܫܘܒܚ ܠܗ ܠܚܟܡܬܐ». وثمَّن قصيدتهُ التي بدؤها : ܒܪܫܐ ܘܡܠܟܐ

٦ القس خدر الموصلي

وُلد القس خدر في مبادئ القرن الثامن عشر في الموصل. ونشأ على البدعة النسطوريّة. وكان خبيرًا ماهرًا باللغة السريانية والعربية والتركية. فكان الشبان يتقاطرون اليهِ من جهات بعيدة كثيرة ليستفيدوا من تعاليمهِ. ثم ان الله انار عقلهُ واعتنق الايمان الكاثوليكي بهمة الرهبان الكبوشيين الذين كانوا بارحوا الموصل نحو سنة ١٧٢٥ بسبب الاضطهادات التي اكتنفتهم فسعى القس خدر بترجيع كثير من تلاميذه الى حضن الكنيسة الرومانية فاضطهده ايليا بطريرك النساطرة فآل بهِ الامر الى الالتجاء الى مدينة رومية. وسعى لدى بندكتس الرابع عشر البابا بتعيين الآباء الدومنكيين مرسلين في الموصل وجهاتها ونصبوا رسالاتهم فيها سنة ١٧٥٠. وتوفي القس خدر في رومية نفسها نحو سنة ١٧٥٥. والَّف كتبًا شتى فصيحة منها معجم كبير في الارامية والعربية والتركية يوجد منهُ نسخة في آمد واخرى في دير الشرفة. وهو اجود النسخ التي خطَّها وآخر في مكتبة پروبغندة. واوقف في رومية مالًا كثيرًا ليطبع قاموسهُ لفائدة بني جنسهِ فحالت موانع دون اتمام مرغوبهِ. ولهُ ايضًا مداريش(١ ومقالات تعزية شتى تقال على الموتى لكلّ مقام عند الكلدان والسريان معًا. ولهُ ايضًا مدائح وتسابيح بالعربيّة حسنة المعاني مسجعة على طريقة العامّة لا يسمح ضيق المجال بذكر مقاطيع منها

٧ القس يوسف ابراهيم

وُلد يوسف في مدينة راوندوز(٢ الكائنة بقرب اربل في حدود العجم. وكان اسم ابيهِ ابراهيم(٣. وكان اتى وسكن مع والديه في قرية عينكاوة بقرب اربل. وسنة ١٧٩٠ سيم كاهنًا على كركوك(٤ وكان فاضلًا عالمًا غيورًا. وسنة ١٧٩٧ ارسلهُ مار يوحنا هرمز

---

١) المداريش قصائد شجية يُرتَّل بها ذكرًا للموتى وهي ايضًا مقالات من الكتاب المقدَّس والآباء تقرأ في الفرض ٢) قال الاب ادي صليبا: هي مدينة صغيرة مبنيَّة على جبل شامخ بشرقيّ الموصل تبعد عنها ثلاث مراحل. وكان كثير من اهلها نصارى من شيعة النساطرة. امَّا اليوم فلم يبقَ منهم سوى عائلتين

٣) كان اسمهُ كراويلا وكان نسطوريًا اعتنى بتخريج ابنه في آداب اللغتين العربية والكلدانية

٤) سيم كاهنًا نسطوريًا بعد اقترانهِ بالزيجة واعتنق الايمان الكاثوليكي سنة ١٧٧٩ مع اهل

البطريرك صحبة القس هرمز پيكاثا الارموطي الى بلاد ملبار. وبعد ان بقي ثمَّ خمس سنين رجع الى كركوك. وخدم ايضاً مدةً من الزمان كنيسة بغداد. وذلك بعد وفاة القس يوسف الموصلي. وفي ايامهِ كان استشهاد مار يونان الكركوكي في مدينة بغداد في عهد سليمان باشا الكوله (١. وتوفي القس يوسف سنة ١٨٣٢ وللقس يوسف قصائد شتى بالتركية ومداريش كثيرة على الموتى ومراثي على مار يونان الشهيد. وألف قاموساً في الارامية الفصيحة والدارجة وكتاباً في نحو اللغة الارامية. وترجم من العربية الى الآرامية كتاب ياقوت الكهنة وميزان الزمان. وكتاب التأملات في آلام السيد المسيح. وكتاب التأمل في عذاب جهنم. ورسالة بطرس الثانية. ورسالتيّ يوحنا الثانية والثالثة. ورسالة يهوذا وغير ذلك. ونقل من الآرامية الى التركيّة كتاب ياقوت الكهنة وكتاب شرح الاسرار لمار يوسف الثاني. والرسائل المجموعة التي تُقرأ على مدار السنة في الكنيسة الكلدانيّة وكتاب الاباطيل

٨ الشماس كيوركيس الصائغ

وُلد كيوركيس في الموصل في أواسط القرن الثامن عشر. وازهر في نحو الزمان الذي انتشرت فيهِ الكثلكة بين النساطرة في الاصقاع المشرقيّة ولاسيّما في الموصل وبغداد والقرى المجاورة لها. وكان في هذه الاثناء قد نشأ حزبان متضادان بين المتكثلكين اولهما حزب المستأصلين وهم الذين كانوا يرغبون استئصال وتغيير الطقوس والتراتيل القديمة. وادخال عوائد الطقوس الغربيّة ولاسيا اللاتينيّة. والآخر حزب المحافظين وهم الذين لبثوا متمسكين بالعوائد الابويّة الطقسية التي لا تنافي اصول الايمان. وكان الشماس كيوركيس إمام هذا الحزب التابع لعائلتهِ الشريفة في ذلك الزمان. وهو الذي سعى

عينكاوة وشقلاوة وكويسنجاق وارموطا على يد مار يوحنا هرمز وهو اذ ذاك مطران. امَّا اهل كركوك فكان اكثرهم نبذوا النسطوريَّة منذ سنة ١٧٤٥ كما يظهر من منشور البابا اقليميس الثامن الى البطريرك يوسف الرابع

١) قُتل يوم جمعة الآلام من سنة ١٧٩٩ لثباتهِ في ايمانهِ

٢) الاب ادي صليبا: كان القس يوسف مولعاً بالتأليف واستخراج الكتب من العربية الى الكلدانية ومن الكلدانيَّة الى التركيَّة وانعش في البيعة روح الطقس واعاد الرُّتب الكنسيَّة التي كانت مهملة. وابتلاهُ الله في اخر حياتهِ بمحن شتّى احتملها بصبر وكانت وفاتهُ بعد سنة ١٨٣٢ بقليل

بجذب ايليا الحادي عشر البطريرك النسطوري الى عقد عهد الوصال مع الكنيسة الرومانيّة على يد السيد عمانوئيل مطران بغداد اللاتيني . وله رسالة ظريفة صنّفها سنة ١٧٨٣ وفيها يندّد بحزب المستأصلين ويحتجّ عليهم لانهم بميل غير مرتب الى الطقوس الاجنبية نبذوا بعضاً من طقوس اجدادهم القديمة الشريفة الاصل الخالية من كل وصمة دينية التي امرت الكنيسة بالمحافظة عليها بكل تدقيق فضلاً عن انّها لا تضرّ بالايمان والاداب. ومن هذه الرسالة نتمكّن من تخليص معلومات وفوائد جمة تاريخية بشأن احوال الكلدان والنساطرة ورسومهم وطقوسهم وعوائدهم القديمة

٩ القس داميانوس الراهب

وُلد دميانوس كونديز في نحو بدء القرن التاسع عشر . وترهب في دير مار هرمز القريب من القوش وطنهِ احدى قرى الموصل . وكان فاضلاً تقيّاً ذا قريحة متقدة وقد حصل من العلوم اكتسابيّاً ما لم يقتبسهُ اشهر الدارسين في كليّات اوربّا . كان طلق اللسان واشتهر في فن الخطابة حتى كان يعلو منابر الوعظ ارتجالاً فيجيد في هذا الفن وقد اقترح عليهِ مار يوسف اودو البطريرك تأليف طقس لعيد الحبل بلا دنس وجمعة الموتى فاجاد في وضعهما . وهو الذي سعى ببناء بيعةٍ صغيرة لجماعة بغداد يوم كان ثمّ قسيساً برفقة القس بطرس بَرْتتَر . واقيم نائباً بطريركيّاً في الموصل في ظروف مختلفة فارضى الجميع بتصرّفهِ وتدبيرهِ . وفي الأيام الاخيرة من حياتهِ ترجم كتاب مرشد الكاهن الى الآرامية فنُشِر بالطبع في مطبعة الاباء الدومينكيين . وتوفي سنة ١٨٥٥

١٠ القس يوسف كوريال

وُلد في خوسراوا احدى مدن العجم نحو سنة ١٨١٥ ومنذ نعومة اظفارهِ أُرسل الى مدرسة مجمع انتشار الايمان ليدرس العلوم . ثم أُسيم قسيساً نحو سنة ١٨٣٧ واتى الى الموصل وبغداد واقام فيهما زماناً . ثم رحل الى رومية وقضى بقية ايام حياتهِ الى ان توفّاهُ الله في فراسكاتي احدى قرى رومية القريبة سنة ١٨٨٥ وكان يدرس تلاميذ مدرسة مجمع انتشار الايمان اللغة الارامية . وصنّف نحوًا لهذه اللغة في اللاتينية والحقهُ بفهرس جثالقة وفطاركة الكلدان مبتدئاً من مار توما الى زمانهِ . الّا ان هذا الفهرس مفعم باغلاط كثيرة تاريخية لا يمكن الاعتماد عليهِ وقد طُبع في مطبعة المجمع المذكور

كتباً كثيرة مفيدة لبني طائفتهِ منها المزامير وصلوات وفرض الكلدان للايام البسيطة وترجمة الاقتداء بالمسيح الآرامية وغير ذلك

وقد اشتهر عدا المار ذكرهم كثيرون غيرهم كالبطريركين الجليلين يوسف اودو وعبد يشوع خيّاط وقد مرَّ ذكرهما في المشرق (٣ : ٨٨٧) واشتهر ايضاً كثير من المؤلفين في اللغة السريانية الدارجة في صنع قصائد منظومة تسمى ܕܘܪܟܝܬܐ وهي مواعظ بشأن التوبة او غير ذلك من المواضيع الدينية منهم توما تكتك التلكيفي الذي عاش في نحو اواسط القرن التاسع عشر. وداود كورا من قرية مار يعقوب القريبة من دهوك. والقس داود من كانيفلا من اعمال العقر او الزيبار. وقد طبع الآباء الدومينيكيُّون بعضاً من تآليفهما سنة ١٨٩٧ ونخص منهم ايضاً القس دميانوس المار ذكرهُ فان لهُ قصيدتين طويلتين هما في غاية البلاغة. الاولى في شأن عذاب الجحيم. والاخرى في سعادة الطوباويين

مطبوعات شرقية جديدة

Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes
publiés en Europe de 1810 à 1885
***par V. Chauvin*, 5e *fasc.*, pp. XII-296, *Liège*, 1901**

قائمة الكتب العربيَّة او المتوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربَّة
من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء الخامس)

في نبذتنا السابقة (المشرق ٣ : ٨١٣) عن هذا الكتاب استرسلنا في الكلام عن الابحاث المهمّة التي باشرها العلّامة شوفين لتعريف كتاب الف ليلة وليلة اجمالاً كنسخهِ المخطوطة وطبعاتهِ المختلفة وترجماتهِ الى اللغات الشرقيَّة والغربيَّة. واليوم قد اطّلعنا على قسم آخر من هذا التأليف النفيس وهو يحتوي تتمَّة ابحاث المؤلف عن كتاب الف ليلة وليلة فيأخذ كلَّ قصَّة بمجردها. ثمَّ يذكر ما يوجد منها من النسخ المخطوطة والطبعات الشتَّى والترجمات الى لغات الخافقين كما انهُ يبيّن ما طرأ عليها من التقلُّبات وكيف حذا حذوها الشعوب في اقاصيصهم

فمن اطّلع على هذا التأليف يأخذهُ العجب من سعة علم صاحبهِ اذ لم يدع فائدةً

الّا دونها بحيث لا يبقى للباحثين بعدهُ مجال للتنقيب. ومن خواصّ هذا التأليف انّهُ يوقف العلماء بنظرة واحدة على ما يفيــدهم لمعرفة احوال الشرقيين ودرس طباعهم والمقابلة بين عاداتهم اليوم وعوائدهم السالفة. ومنها ايضًا انّ القارئ لا يفوتهُ شيء من اصل هذه الحكايات التي نقلها العرب من كل صَوْب وأوب كما انهُ يعلم حقّ العلم انّ سائر الامم استعاروها من العرب فتصرّفوا بها تصرُّفًا عظيمًا. وهذا الكلام الوجيز يغنينــا عن الاطالة في تعريف فضل المؤلف الذي يخدم منذ سنين مديدة الآداب الشرقيّة خدمات جليلة لا تُنسى. اثابهُ الله عن حسن مساعيهِ وألهم علماء الشرق مطالعة تآليفهِ والاحتذاء بآثارهِ ه. ل

NUMISMATIQUE DES VILLES DE LA PHÉNICIE
par le Dr J. Rouvier, *Extrait*, pp. 121-142 *avec II planches.*

المسكوكات الفينيقية للدكتور جول روڤيه

هذا الكراس تابع لقائمة المسكوكات الفينيقيّة التي باشر جمعها الدكتور الفاضــل جول روڤيه. وهو يتضمّن وصف ١٣٠ قطعة من النقود القديمة تمثّل مسكوكات البترون وجبيل وعرقة وكرنة. امّا طريقة هــذا التأليف واهميّتهُ فقد مرّ وصفهما في المشرق (٤: ٤٧٥). وفي آخر هذا القسم مثال نحو خمسين قطعةٍ من هذه الآثار رسمها المؤلف بالتصوير الشمسي على احسن منوال

PETIT DICTIONNAIRE CHINOIS-FRANCAIS.

معجم صغير صينيّ فرنساوي للاب داباس اليسوعي (١٩٠١. ص ٦٨٠)

بينا الدول تتراصد في الصين لتفضّ المشاكل السياسيّة التي تعكّر بهــا جوّ مملكة السماء لا يزال المرسلون الكاثوليكيّون يتحايدون عن كل مسئلة زمنيّة ليصرفوا نظرهم الى خدمة الدين والعلم. ولنا على هذا الامر دليــل جديد في المعجم الصيني الفرنسوي الذي ابرزهُ الاب داباس في مطبعة الآباء اليسوعيين في شنغاي. فانهُ جمع في نحو ٦٠٠ صفحة لباب اللغة الصينيّة مقتصرًا على ما وجدهُ منها جاريًا في الاستعمال كثير الورود في التآليف التي يتداولها اهل الصين. وما كاد هذا المعجم ينتشر في اوائل هذه السنة حتى اثنى على مصنفهِ كلُّ المستشرقين واعدّوه احسن تتمة لمعجم آخر فرنساوي صيني كان الاب داباس وضعهُ سابقًا (انظر الصفحتين الاوليين من هذا التأليف ص ٨٥٧)

PETIT

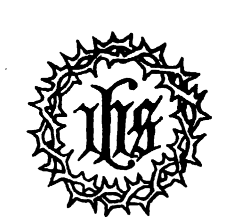
DICTIONNAIRE

CHINOIS-FRANÇAIS

漢法字彙簡編

PAR

LE P. A. DEBESSE S. J.



CHANG-HAI

IMPRIMERIE DE LA MISSION CATHOLIQUE
A L'ORPHELINAT DE T'OU-SÈ-WÈ

1901

PETIT

DICTIONNAIRE

CHINOIS-FRANÇAIS.

Ā 阿 partic. initiale.
— kō | 哥 fils de l'Empereur.
— mā | 媽 bonne d'enfants.
— yā | 呀 ah ! aïe !
— yŏ | 喲 id.
Chā 沙 sable, gravier; granuleux; filtrer.
— chĕ | 石 gravier.
— kī | 雞 coq de bruyère.
— koūo | 鍋 marmite en terre cuite.
— leóu | 漏 filtre.
— lîn | 淋 gravelle (maladie).
— lôu tsè | 爐子 petit fourneau en terre.
— mên | 門 prêtres bouddhistes.
— mò | 漠 le désert de chamo.
— nî | 泥 terre sablonneuse.
— t'ân | 灘 grève; désert.
— t'âng | 糖 sucre en poudre.
— tchè | 紙 papier de verre.
— tsè | 子 sable; plomb de chasse.
Chā 砂 sable, gravier, — employé pour le caract. précéd.
— jên | 仁 cardamome.
Chā 沙 grossier (sucre).
— t'âng | 糖 cassonade.
Chā 鯊 requin.
— yû | 魚 id.
— yû p'î | 魚皮 peau de roussette.
Chā 紗 gaze, crêpe.
— ī fôu | 衣服 habit de crêpe.
— kóa | 褂 robe de crêpe.
— máo | 帽 chapeau de crêpe.
— p'âo | 袍 robe de crêpe.
— t'choâng | 窗 fenêtre garnie de gaze.
— têng | 燈 lanterne en gaze.
Chā 杉 nom de plusieurs espèces de pins et de sapins.
— chóu | 樹 le pin commun.
— mŏu | 木 bois de pin.
— pàn | 板 sanpan (bateau).
— sōng | 松 pin, sapin.
Chā 痧 choléra.
— k'í wân | 氣丸 pilules contre le choléra.
— tchéng | 症 choléra.
Chā 傻 imbécile, sot, niais.
— tsè | 子 nigaud, niais.
— hóa | 話 sottises, niaiseries.
Chā 殺 tuer; très, extrêmement.

كتاب علم الفراسة الحديث

تأليف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال . طُبع في مصر سنة ١٩٠١ (ص ١٦٠)

اذا قرأتَ مقدمة هذا الكتاب لا تشكُّ في ان المؤلف رجل حكيم عاقل قد اطَّلع على غوامض علم الفراسة فعرف قويَّها من واهنهـا وميَّز بين غثّها وسمينها وأنَّهُ اوسع عقلًا وارسخ قدماً من ان ينقـاد لترّهات « الاجيال المظلمة » او ينخدع « بخرافات المشعوذين » ولكن اذا تصفَّحت شيئًا من فصول الكتاب تجـدك في لجج من المزاعم الوهميَّة والسفاسف الصبيانيَّة ممزوجةً باقاويل صحيحة صادقة نقلها المؤلف عن كتب الفيزيولوجية ومقرَّرات الطب . بل ربَّما ناقض الكاتب نفسهُ بنفسهِ فاثبت في فصل عن الشعب والأمة وتركيب اعضاء ابدانهم ما انكرهُ عن الافراد . هذا ولو اردنا ان نتتبَّع بالتفصيل كل أقوال المؤلف ونبيّن ما في كتابهِ من أنواع الخطإِ وضروب الاضاليل لما كفى لذلك مجلَّدات ضخمة وانَّما نقول بالاجمال ليس تحت هذا الكتاب كبير امر وهو عن العلم الصـادق مناط الثريَّا وانَّما يبهج خاطر القرَّاء ويفكّه ألبابهم فقط . وغاية ما يُستخلَص منهُ انَّهُ يوجد علاقة كبيرة بين النفس والجسد وان الجسد في احوال كثيرة هو مرآة النفس وهذا امرٌ لا ينكرهُ احد . امَّا ان تتَّخذ اخاطيط الكفّ واسرَّة الجبين وطول الاصابع وحجم الدماغ وقصّ الشعر وغير ذلك كادلَّة على أحوال الانسان الداخلة وكطرائق الى معرفة غيبهِ والاطلاع على مكامن صدرهِ فهي امورٌ مبنيَّة على اساس من الرمل واحقّ بالراقيات (البصَّارات) واهل الشعوذة ل . ش

شَذَرَات

فاجعة — فُجعت مطبعتنا الكاثوليكية بفقد مدير اشغالها الطيّب الذكر الاخ مريم الياس اليسوعيّ خدم مطبعتنا بما لا مزيد عليـهِ من الجدّ والنشاط منذ نيّف وثلاثين سنة ولمَّا كان للمذكور فضلٌ كبير على مجلَّة المشرق احببنا ان ندوّن في عدد قادم ملخَّص ترجمتهِ ليبقى ذكرهُ مخلَّدًا على صفحاتها

ميامر البطريرك فوطيوس — للبطريرك فوطيوس في مجموع

الآباء اليونان مجلدات ضخمة تنبئ عن سعة علمهِ من جملتها كتاب مكتبتهِ الذي يُعدّ من انفس التآليف واجداها نفعاً. على انَّ العلماء كانوا يأسفون مع ذلك على فقد عدّة رسالات ومیامر ومقالات لهُ اخذتها يد الضياع. وفي اوائل القرن التاسع عشر كان اسعد الحظ الكردينال ماي على اكتشاف قسم من هـذه الاعمال المفقودة وقد استشهد بها البشير غير مرة في تأييد التعاليم الكاثوليكية. امَّا اليوم فقد بشرتنا المجلّات العلميَّة بان العلامة س. دارستاركي (S. d'Aristarchi) لغوثيت الاستانة الكبير وجد بعد الابحاث الطويلة في مكاتب شتى ٨٣ ميمرًا او عظةً في الاصل اليوناني جمعها ونشرها بالطبع هذه السنة في اليونانيَّة في المطبعة الكائنة في بلاط الفنـار. وهذا المجموع عبارة عن مجلّدين يحتويان ١٣٠٠ صفحة من قطع الربع. وقد زاد المسيو دارستاركي على المتن شروحاً عديدة تُزيل ما كان فيـهِ بعض اللبس والغموض. وما يسرُّنا ذكرهُ ان هذه الميامر تحتوي شواهد عديدة على صحة معتقد الكنيسة الكاثوليكية وبطلان الاضاليل البروتستانيَّة

❊ مخطوطات لبعض الذوات ❊ بيـع مؤخرًا في باريس بعض مخطوطات كتبها بيدهم قومٌ من مشاهير الرجال فبلغ ثمنها مبلغاً فاحشاً. من ذلك رسالة للموسيقي الشهير موزار كتبها لأمهِ بيعت بـ٤٦٠ فرنكاً. وبطاقة لنابوليون الاول خطَّها بقلم رصاص للكنت دي منتولون ١٥٠ ف. ومكتوب للشاعر لامرتـين ٢٢٥ ف. ومكتوب آخر للملكة فرنسة مريم تريزة دوقة انغوليم ١٥١ ف. وصفيحة بخط الخطيب الشهير الاب لاكوردار ٥٧ ف

❊ احسن الوسائل لتخفيف العرَق ❊ لا يخفى ان كثرة العرق في الصيف تُضعف الجسم وتحلّل قواهُ وذلك نتيجة الإكثار من الشرب لاسيما شرب المرطبات الباردة التي لا تخمد العطش بل تثيرهُ وتهيجهُ فلاستدراك هـذا الخلل يشير الاطباء بان يُمزج الماء بقليل من الخلّ فيُشرب على هذه الصورة. ومن وصفاتهم ايضاً ان يغمس الآكل قطعة من خبزهِ في هـذا المزيج الذي يلطِّف العطش وينشّف العرق. ومما يُستحسن ايضاً شربهُ في الصيف لإرواء الغليل قليل من القهوة الباردة ممزوجة بالماء وقدر ملعقة من العرق الجيد

❊ حلّ المشكل الرياضي ❊ لم يحلّ المشكل الذي اثبتناه في

العدد السابق غير حضرة الاب الفاضـــل والرياضي العالم الخوري جبرائيل رزق مرهج وهذا نصُّ حلِّهِ:

ان الطريقة الحسابيَّة للمسألة انما هي نتيجة الطريقة العمومية لحساب الفـائدة المركَّبة ولا يخفى انهـــا تقوم بضم الوحدة الى فائدتها في السنة وترقية المجموع الى قوَّة دليلها مقدار السنين وضرب الحاصل برأس المال. والحال انهُ استدان المبلغ بمعدل ١٠٠/٣ على مدَّة ٥ سنوات فيصير عنـــد حلول الاجل ما يحصل من ضربهِ في $(١'٠٣)^{٥}$ وفي الوقت نفسهِ قد ديَّن المبلغ ذاتهُ بمعدَّل ٠/٠٩ على مدة ٥ سنوات فيصير عند حلول الاجل ما يحصل من ضربهِ في $(١'٠٩)^{٥}$ وبما ان $(١'٠٣)^{٥}$ = ١'١٥٩٢٧٤٠٧٤٣ تدل على ما يصير كلّ فرنك مع فوائدهِ المركَّبة عند حلول الاجل وكذلك $(١'٠٩)^{٥}$ = ١'٥٣٨٦٢٣٩٥٤٩ تدل على ما يصير كلّ فرنك مع فوائدهِ المركَّبة عند حلول الاجل على حساب ٠/٣ في الحالة الاولى و٠/٩ في الحالة الثانيـــة فيكون ربح كل فرنك مساويًا فضل $(١'٠٩)^{٥}$ على $(١'٠٣)^{٥}$ اي $(١'٠٩)^{٥} - (١'٠٣)^{٥}$ = ٠'٣٧٩٣٤٩٨٨٠٦

اما الحاسب المسئول فقد حذف الرقين الاخيرين للاختصار وبما ان الربح الكلي حاصل من ضرب راس المال اي عدد الفرنكات المستدانة بربح كل فرنك فللرجوع الى الاصل يجب قسمة هذا الحاصل اي الربح الكلي على ربح كل فرنك اي على ٠'٣٧٩٣٤٩٨٨ كما اشار الحاسب المسئول. ومن ذلك يظهر ان هذه الوحدة لا توافق الَّا ما شابه المسألة المذكورة بالمدَّة ومعدَّلي الفائدة وفي غير ذلك من الظروف لا يمكن اختيارها وقصارى الكلام ان العبارة الجبريَّة العامَّة لهذه المسألة وما شابهها مأخذًا هي:

$$ك = \frac{م}{(١+ف)^{ن} - (١+فَ)^{نَ}}$$

حيث يدل الحرف ك على رأس المال المجهول والحرف م على المكسب والحرف ف على معدَّل فائدة الفرنك في الحالة الاولى والحرف ن على المدَّة المعينة وكذلك الحرف فَ على المعدَّل ذاتهِ في الحالة الثانية والحرف نَ على المدَّة المعيَّنة في الحالة الثانية

✻ مستفيد ✻ ورد في كتاب الاغاني (٥ : ٦١) ما نصـهُ: «. . . اخبر محمد بن راشد الخناق قال: اني لفي منزلي يومًا من الظهر اذ دخل عليَّ اسحق بن ابرهيم الموصلي فسُررتُ بمكانه فقال: قد جاءت بي اليك حاجةٌ. قلتُ: قُلْ ما شاء الله. قال: دَعني في بيتك . . . وانطلق الى ابراهيم بن المهديّ . . . . . فقل لهُ: اخبرْني عن قولك:

« ذَهَبْتُ من الدُّنيا وقد ذَهَبَتْ منّي »

ايُّ شيء كان معنى صنعتك فيهِ وانت تعلم انهُ لا يجوز في غنائك الذي صنعتهُ فيـهِ الّا ان تقول « ذهبتوا » بالواو فان قلتَ « ذَهَبْتُ » ولم تمدّها انقطع اللحن والشعر وان مددتَها قبحَ الكلام وصار على كلام النبط . . . .

فاتيت ابراهيم وجلستُ عنده مليًّا وتجارينا الحديث الى ان خرجنا الى ذكر الغناء فخاطبتهُ بما قال لي اسحق . فتغيّر لونهُ وانكسر ثم قال : يا محمـد ليس هذا من كلامك . هذا من كلام الجرمقاني (اسحق) قلْ لهُ عني : انتم تصنعون هذا للصنـاعة ونحن نصنعهُ للّهو . . فخرجت الى اسحق فحدثتهُ بذلك . . . واقام عندي يومه فرحًا بما بلَّغته ابراهيمَ عنهُ من توقيفه على خطئه . » اه

(قلنا) فان أفحم السؤال ابراهيمَ بن المهديّ على علمه بالاصول فماذا يا ترى يكون جواب العروضيين وقد اجازوا مدّ التاء في مثل « ذَهَبتُ » ؟ وهَبْهم لم يجيزوا مدّها كيف « ينقطع الشعر » و « ذَهَبتُ » على مثال « فعُولُ » جائزةٌ بل كثيرة في بحر الطويل بدلًا من « فعولن » خ . ١

⁂ انتقال جرثومة السلّ من البقر الى الحيوان ⁂ كان الاطبّاء يزعمون منذ بضع سنوات ان داء السلّ ينتقل من البقر الى الانسان بواسطة اللبن فانكر ذلك الدكتور كوخ في مؤتمـر السلّ الذي عُقد مؤخرًا . فلتحقيق الامر اراد الدكتور مُنسون (Monson) ان يمتحن ذلك في نفسهِ ويُدخل في دمـهِ شيئًا من جراثيم بقرة مسلولة فعرض عزمهُ على الحكومة طالبًا منها ان تقوم بأَود عيلتهِ اذا مات ضحيَّة اختباره

⁂ تعريب مثَل بالرجز ⁂ ارسل الينا جناب الشاعر الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف هذه الارجوزة وهي تعريب مثَل افرنسي للشاعر لافونتان :

الأسد والحرذون (الضبّ)

اليكمُ يا عصبة الرأي الأسدْ قصةَ حرذونٍ تدانى من اسدْ
وعادةُ الليث هي الكرامهْ وعادةُ الضبِ هي اللئـامهْ
فاكرم الضيفُ مثوى الضيفِ وما اعتراهُ عنده من حَيفِ
في كلّ يوم يستفيد فائدهْ ملتقطًا فضلات تلك المائدهْ
وبينما الليث يقول الخُطَبا لرهطهِ القوم الكرام الأُدبا
مالها معرفةُ الجميـلِ وعدم التكبّر المرذولِ
ترعرع الضَبُّ بفضل اللَيث فأَنكر النعمة دون رَيثِ
والكبرياء نفختهُ فافتخرْ وحسب التقليـد احلى مُدّخرْ
وسار للاهلين والاصهارِ يحثّهم على اقتنا الفخارِ

علّمهم انكار فضل المحسن والكبرياء آفةُ التمدُّنِ
وكل من يعتــاد عيشاً خاملَا فلا يصير بادعاء فاضلَا
فابتدأوا في خطَّة التقليدِ وانفهم في نتن الجلودِ
تجمهروا يوماً على الصخورِ برفعة الروْوس والصدورِ
وحسبوا بأنهم آسادُ فبالحال كبروا وسادوا
فاستهزأ الناس بهاتيك الزُّمرْ وكل شخص قد رماهم بحجرْ
فهشَّموا الروْوسَ والاذنابا وفجَّموا الاصهار والاصحابا
وفرّقوهم في الملا ايــدي سبا فاصبحوا في ارضهم كالغربا
وعيشهم في اسوإ الاحوالِ فهكذا ترى جزا المحتالِ
فكلُّ من يطلب فوق قدرتهْ يجرُّهُ تقليدهُ لحفرتهْ

اصلاح سهو ذكرنا في العـدد السابق (ص ٨١٣) ان احد مصنِّفي مقالة « المهاجرة » الثــلاثة هو « حضرة الخوري كيرلّس رزق » والصواب ان واضع هذه النبذة المستملحة حضرة الكاتب البارع والخوري الفاضل الاب جبرائيــل كيرلوس احد اساتذة مدرسة عينطورة العامرة . اما الآخر فهو جناب الاديب « يوسف افرام البستاني » فاقتضى التنبيه

اسئلة واجوبة

سوءال للقراء يسألنا بعض تجار القطن في شمالي فرنسة هل يوجد في بلاد الشام تاجر يتاجر بالاقطان السوريّة وهل يجبُ ان يصرف بضاعتــهُ في مقاطعات فرنسة الشماليَّة فمن اراد ان يفاتح الفرنسوي المذكور في هذا الصدد فليخابر ادارة المشرق

س وسأل من مجلتون حضرة الخوري يوسف الماروني : ١ً هل يوجد آلة تُصعد ٥٠٠٠٠ متر مكعَّب من الماء الى علوّ ٦٠ متراً على خطّ عموديّ. ٢ً كيف يمكن شخصاً اميّاً ان يرى الماء في قلب الارض . وذلك انهُ يضع منديلًا اسود على وجههِ وينظر الشمس برهةً من الزمان ثم ينظر الى الارض فيرى الماء اذا كان موجوداً وقوّة الماء وعمقه

آلة لاصعاد الماء — وجود الماء في قلب الارض

ج نجيب على (الاوّل) انهُ لا يوجد آلة تصعـد كمية من الماء كهذه الى هــذا العلوّ . وانما يوجد طلمبات تصعد ٥٠ متراً مكعباً من الماء الى علوّ متر او متر ونصف في

الدقيقة. وكذلك قد وضع بعض ارباب علم الحِيَل جهازًا مختلف القوَّة يقوى بعضهُ على إصعاد ٦٠٠٠ متر مكعب من الماء الى علو ١٥٠ مترًا في ٢٤ ساعة — نجيب على (الثاني) ان اكتشاف الماء في قلب الارض من الامور المقرَّرة. فترى بعض الناس العصبيين اذا وقفوا فوق مجرى من الماء احسُّوا بهِ ولكن يغلطون غالبًا في كميّتهِ وعمقهِ. وكذلك بعض الناس يمسكون في يديهم قضيبًا من اغصان البندق ملتويًا في وسطهِ فاذا مشوا فوق الماء دار القضيب — امَّا النظر الى الشمس مع منديل اسود ومعرفة الماء بذلك فتظنهُ من الشعوذات

س وكتب من غزَّة حضرة الاب النيور والمرسل اللاتيني العالم دون غات انهُ وجد في تاريخ الانس الجليل لمجير الدين العليمي ذكر «باب الدويدارية» و«مدرسة الدويداريَّة» و«حارة الدويداريَّة» في القدس الشريف فما اصل هذا الاسم

الدويدارية

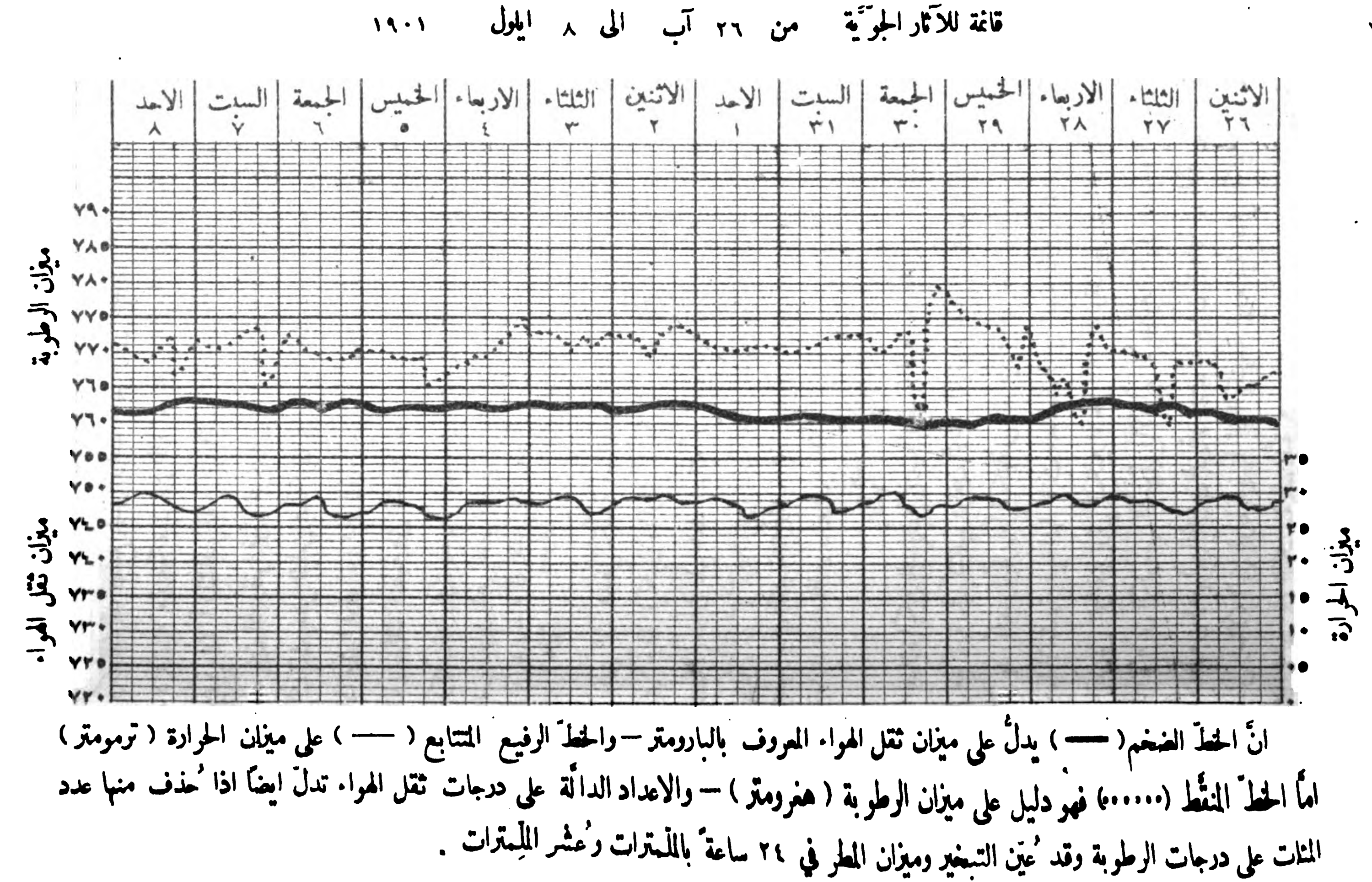
ج نظنّ ان هذه الكلمة مشتقة من الداويَّة مع زيادة اداة النسبة الفارسيَّة «دار» في آخرها فيكون مدلولها كمدلول الداويَّة اعني انهُ يُراد بها رهبان الهيكل (Templiers). وان علم احد اصلًا آخر لهذه الكلمة فنطلب منهُ الافادة

س وسأل من كركوك حضرة الاب الفاضل القس ادي صليبا ابرهينا متى دخلت صلاة «كيرياليسون» في الكنيسة الرومانية وهل القديس غريغوريوس الكبير هو ادخلها كما ورد في كتاب القصارى للسيد اقليميس يوسف داود ؟

اصل الكيرياليسون

ج صلاة الكيرياليسون (ياربّ ارحم) قديمة جدًّا في الكنيسة الشرقيَّة فانَّا نجدها مذكورة في كتاب قوانين الرسل الذي وُضع في القرن الرابع وهي بلا شك ترتقي الى بدء النصرانيَّة. امَّا الكنائس الغربيَّة فلعلَّها اخذت هذه الصلاة من كنائس الشرق. وما لا شبهة فيهِ انها كانت مستعملة قبل مجمع ڤازون (Vaison) سنة ٥٢٩ اي قبل القديس غريغوريوس الكبير بنحو ٨٠ سنة وقد جاء في اعمال هذا المجمع (الفصل ٣) «ان الكرسي الرسولي والاقاليم الايطالية تكرّر هذه الصلاة بخشوع وعبادة». امَّا من زعم ان القديس غريغوريوس اول من ادخلها في الطقس اللاتيني فقد خُدع ببعض رسالاتهِ التي يقول فيها ان الكنيسة الرومانية تصلي الكيرياليسون «على طريقة مخالفة لطريقة الكنيسة اليونانيَّة» ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٢٦ آب الى ٨ ايلول ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٥٥٥٥٥) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات .

ألف ليلة وليلة

قد عني بتصحيحهِ وتنقيحهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان في كتاب الف ليلة وليلة ترويحًا للنفوس وبهجة للالباب وتبصرة للعقول الاَّ ان ما دخل فيهِ من الروايات المفسدة للاداب كثيرًا ما يجعلهُ سمًّا ناقعًا لنفوس الاحداث والشبان فعليهِ احب الاب الواقف على طبعهِ ان يجرده عن هذا الخلل دون ان يطمس شيئًا من محاسن هذا الكتاب فنجح في سعيهِ كل النجاح فضلًا عن انهُ حلى طبعتهُ هذه بجملة محسنات تفردت بها دون غيرها

قيمة البريد	ف	س
٧٠	٠٣	



رنّات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

لكتاب الاغاني واحد وعشرون جزءًا فانهُ كبحر طامٍ لا يخوضهُ الاَّ العلماء فاحب الجامع ان يقرّب موارده لآل المدارس بانتخاب اجود ما جاء فيهِ من الطرائف الادبيَّة والبدائع التاريخية. ولا يخفى ما لمؤلفه الفاضل من الاقتدار على فنّ الكتابة. هذا وانهُ اعلم الناس بتاريخ الجاهلية واخبار الشعراء الاقدمين حتى انهُ ذُكر عن الصاحب ابن عبَّاد انهُ استغنى بهِ عن ثلاثين حِملًا من الكتب كان يستصحبها في اسفارهِ قبل ظهور هذا التأليف البديع

الجزء الاول في الروايات الادبية ق ٨ بنصف قماش		٠٢	٠,٤٠
— الثاني في الروايات التاريخية — —	٥٠	٠٢	٠,٥٠

OUVRAGES CLASSIQUES

DESTINÉS AUX ARABISANTS.

Le Premier livre de l'Arabisant, *ou méthode courte et facile* **pour apprendre à lire l'arabe sans professeur** *et en peu de temps.* **accompagnée de la Clef et de sa traduction des exercices** *ainsi que d'ûn grand nombre de règles et d'observations sur la grammaire arabe.*

Petit in-8°, 65 pages, 2e édition, 1896.

Par Mr J. Harfouch.

Comme son tire l'indique, cet ouvrage est destiné à ceux qui débutent dans l'étude de la langue arabe. Il est divisé en deux parties : dans la première se trouvent toutes les règles de la prononciation et de la lecture, avec des exercices gradués en caractères arabes ; la seconde contient, outre ces mêmes exercices transcrits en caractères latins et traduits litértalement en français, des observations supplémentaires sur la figure et la valeur des lettres, ainsi que sur la lecture en général.

Afin d'en rendre l'étude moins aride, plusieurs règles de grammaire ont été semées çà et là dans la seconde partie.

	Fr.	affr
Broché . . . . :	1 »	0,1,0

Le Drogman arabe.



OU

GUIDE PRATIQUE DE L'ARABE PARLÉ.

EN CARACTÈRES FIGURÉS,

POUR LA SYRIE, LA PALESTINE ET L'ÉGYPTE.

Petit in-16, de 354 pages, en caractère fins, 2me édition 1901.

Par le même.

Il a paru déjà un grand nombre de *Guides* pour l'Orient : mais il en est bien peu qui sortent de la banalité et méritent l'attention des voyageurs. Le *Guide* de Mr Harfouch est on ne peut plus pratique et plus original. Il contient ; 1° un Abrégé de la grammaire arabe ; 2° un Vocabulaire des mots usuels ; 3° des Dialogues variés ; 4° les Arabismes et les Proverbes les plus connus. Les Orientalistes qui d'ordinaire s'occupent peu de ces sortes d'ouvrages, ont fait une honorable exception en faveur de ce Guide dont ils ont parlé en termes très flatteurs.

Relié en toile	4,25	0,25

Cours pratique de langue arabe.

In-8°, xv-299 pages, 1896.

Par le P. J-B. Belot S. J.

L'auteur de cette grammaire s'est proposé un double but : 1° de donner aux étudiants arabes une idée exacte et assez complète des principes de la langue littéraire 2° de leur en apprendre l'application au moyen d'exercices pratiques et gradués.

On y trouvera en outre un grand nombre de remarques sur les particularités du langage vulgaire de Syrie, d'Egypte et d'Algérie.

Cet ouvrage de date fort récente a déjà reçu le meilleur accueil de la part des connaisseurs.

Broché	5 »	0,55
Demi-reliure	6 »	

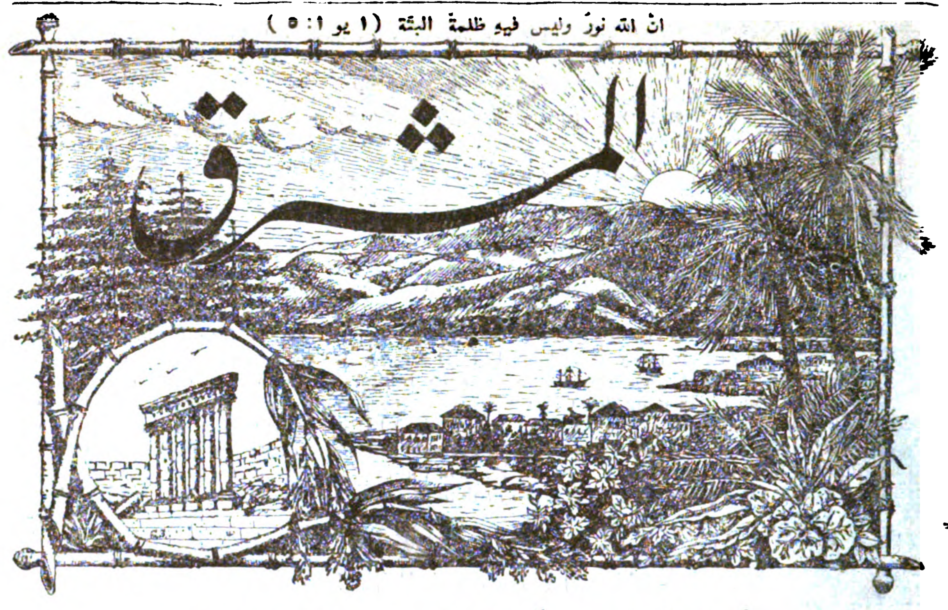
Le corrigé des exercices a paru en 1898, il contient en appendice le tableau des conjugaisons arabes.

Le corrigé des exercices seuls 100 pages	*Broché.*	4 »	0,50
	Demi-reliure . . .	4,80	
Les deux volumes ensemble 399 pages	*Brochés*	8 »	
	Demi-reliure . . .	9,80	

97

السنة الرابعة　　العدد ١٩　　١ تشرين الاول　　١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بإدارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 19 (1 Octob. 1901)

فهرس العدد ١٩

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Ebed-Jesu Sobensis Carmina Selecta ex Libro « Pardisus Eden. »

ܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢ

Edidit ac latine reddidit P. H. Gismondi S. J.

نخبة من كتاب فردوس عدن سرياني لاتيني

Petit in-8°, 125 pages, 1888.

Le *Jardin de Délices* est un des ouvrages les plus remarquables de ʿAbd Yašûʿ as Sûbâwî, évêque de Nisibe († 1318). C'est une œuvre littéraire analogue à celle des *Séances de Hariri* que l'auteur a voulu imiter en syriaque L'Abbé CARDAHI en a publié la 1re partie avec des notes arabes ; la 2e reste inédite. En même temps que cette publication voyait le jour, le P. H. Gismondi avait la chance de découvrir deux Manuscrits du même ouvrage dans les bibliothèques du Liban. Il eut l'idée d'en faire un choix pour les Orientalistes d'Europe et publia à cet effet dix des plus belles séances, dont quatre: (XXIX, XXXVII, XLII, L) sont tirées de la deuxième partie. Son texte *complètement vocalisé* est accompagné au bas des pages d'une traduction non moins élégante que fidèle. A la fin de l'ouvrage se trouve un *Appendice* où l'on a consigné un choix de *Scholia* dont l'auteur avait enrichi son travail.

	Fr.	affr.
Broché	3 »	0,40

SANCTI GREGORII THEOLOGI

LIBER CARMINUM IAMBICORUM

[illegible]

[illegible]

VERSIO SYRIACA ANTIQUISSIMA, E COD, VAT. CV.

Pars prima, in-8°, XII-175 pages, 1895.

Edidit P. J. Bollig S. J,

Pars secunda, in 8° IV-60, pages, 1896.

اشعار القديس غريغوريوس اللاهوتي

Edidit P. H. Gismondi S. J.

Cette traduction syriaque des *Vers iambiques* de St Grégoire de Nazianze est certainement antérieure au 10e siècle, comme on peut le déduire du *Colophon* qui termine l'ouvrage, apporté au monastère de Scété en 932 par Moïse de Nisibe. Mais ce n'est pas assez; Assemani et le savant éditeur de ce livre, le regretté P. Bollig, le faisaient remonter, jusqu'au VIIe, voire même à la fin du VIe siècle. L'abbé Chabot, dans un compte-rendu sur cet ouvrage, publié dans le journal Asiatique (Mai-Juin 1898 pp. 542-546) croit avoir reconnu le véritable auteur de cette traduction. Ce serait un moine nommé Rabban Gabriel contemporain du patriarche Nestorien Timothée 1er (778-820).

Quant au fond de l'ouvrage, nous avons peu de chose à ajouter à ce qu'en dit l'éditeur dans sa Préface. En jetant un coup d'œil sur la table comparative entre le texte syriaque et l'original grec, on verra facilement que le traducteur n'a pas suivi l'ordre des *poèmes iambiques*, et ne les a pas reproduits intégralement.

Le Musée Britannique, si riche en *Codex* syriaques, comble en partie cette lacune. Un MS. de cette Bibliothèque contient en effet la traduction d'une partie des hymnes de St Grégoire, due, croyons-nous, à la même plume que celle de l'auteur du MS. romain. Le P. H. Gismondi, le savant professeur de l'Université Grégorienne, a bien voulu, après la mort du R. P. Bollig, se charger de cette seconde partie du travail, et la mener à bonne fin. Une liste des *Errata* qui s'étaient glissés dans la 1re partie a été jointe à celle-ci.

Pour l'édition de ce livre nous avons fondu nous-mêmes de nouveaux types *estranghélos*, d'après quelques photographies des meilleurs et des plus anciens Manuscrits de la *Bibliothèque Nationale* de Paris.

1re *Partie, brochée*	14	0,75
2e *Partie*.	5 »	0,40



فقيد الطباعة

نبذةٌ موجزة للاب لويس شيخو اليسوعي

ابت الدنيا على كلّ حيٍّ آخر الأيام الّا ذهابا
بينما الانسان حيٌّ قويٌّ اذ دعاهُ يومهُ فاجابا

في مساء يوم السبت الواقع في ٧ من الشهر المنصرم لبّى دعوة ربّهِ مزوّدًا بكل اسرار الكنيسة الطيّبُ الأثر المرحوم ماريا الياس مدير مطبعتنا الكاثوليكيّة. فما بلغ منعاهُ مسامع معارفهِ حتى فاضت لفقدهِ العبرات وعلت الزفرات ولهجت بمحامدهِ الألسنة ودَّ الجميع لو فدوهُ بالنفس والنفيس. والحق يقال انَّ الفقيد كان اسر مدّة حياتهِ باستقامتهِ ونزاهة سيرتهِ وفضلهِ العميم قلوب كل الذين أُتيح لهم ان يدنوا من شخصهِ الكريم. وقد اعربوا جميعهم عن مزيد اسفهم وشاطرونا الاحزان في هذا المصاب واودعوا في بطن الجرائد المحليّة عبارات الثناء على من عدُّوهُ مثالًا للمصافاة والاخاء.

هذا وما كنّا نحن لنطرئ في مجلّتنا فضائل هذا الرجل البارّ لعلمنا ان غاية ما يتمنى الراهب ان ينساهُ البشر بعد موتهِ كما اعتزل عنهم مدّة حياتهِ فانقطع لخدمة ربّهِ بيد انَّ الاخ المذكور كان ابًا لعائلةٍ ساسها نحو ثلاثين سنة وعُني بتهذيبها وصلاحها نزيد المئين من العملة الطبّاعين الذي ربّاهم وعلّمهم وكان لهم قدوةً في ممارسة الاعمال الصالحة فلم يشاؤوا ان يموت ذكرهُ ورغبوا الينا ان نلخّص لهم ترجمة حياتهِ فلم نرَ بدًّا من الاجابة الى ملتمسهم. وحدانا الى ذلك ايضًا انَّ لهذا الاخ فضلًا خصوصيًا على هذه المجلة فانهُ لم يدخر وسعًا في انشائها والقيام بلوازمها وحسن طبعها لتكون منذ اوّل نشأتها عملًا

حقيقاً بنظر الادباء وسنداً للدين والعلم. فرأينا ان نهدي للفقيـد شكرنا بتدوين هذه الاسطر لتخليد ذكرهِ في صفحات المشرق

١

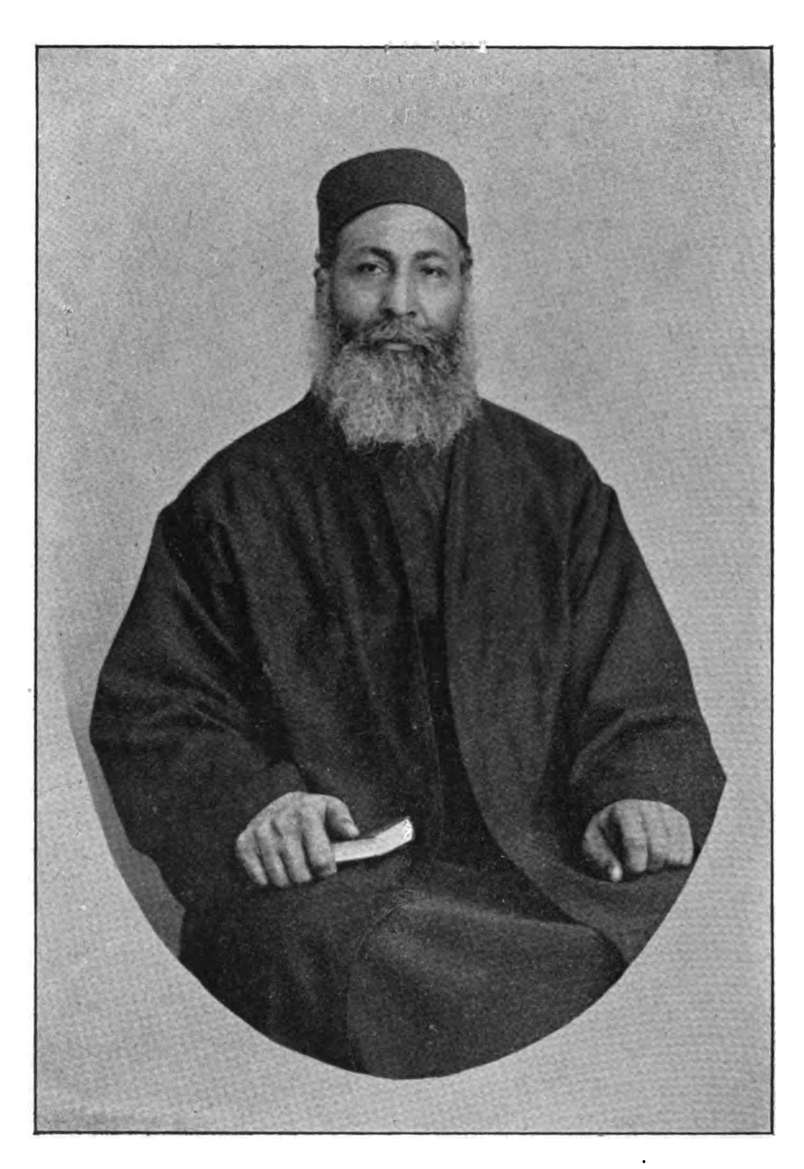
وُلد الاخ الياس في ١٥ آب من سنة ١٨٤٠ يوم عيد انتقال السيدة الى السماء كأنَّ هذه البتول الطاهرة التي اجزلت عليهِ هباتها في حياتهِ ارادت ان تختصهُ بشفاعتها منذ ولادتهِ. وكان والدهُ من بيت السانس يخدم الرهبان الكرمليين في دير سيدة الكرمل بامانة وغيرة. فنشأ ولدهُ في حجرهِ متخرّجاً بآدابهِ. وكانت امّهُ متعبدة لسيدة الكرمل وكثيرًا ما تأتي كنيستها لتتبرَّك بزيارة معبدها ومعها ولدها الصغير فتأثر الطفل منـذ نعومة اظفارهِ من هذا المنظر وبقي ذكرهُ منطبعاً في قلبهِ

ولمَّا ترعرع الصبي خدم دير الكرمل كابيهِ وكان حاذقاً في العمل كثير النشاط يقلِّد الكبار في اشغالهم. وكان في اوَّل امرهِ يشتغل في البناء فلم يلبث ان يُحسن هذه الصناعة. ثمَّ زاول الحدادة فأتقنها وقد ادَّى لدير الكرمل من هذا القبيل خدماً عديدة حتى انَّ الرهبان لم يرضوا بغيرهِ قَيناً مع صغر سنِّهِ وكان مع ذلك ليّن الطباع اميناً في الخدمة قنوعاً بالقليل

وفي اثناء ذلك كانت عبادتهُ الى العـذراء الطاهرة تزيد مع الأيام وكان يرى الجموع تتقاطر الى معبدها وتُقام الحفلات البهيجة في اعيادها لاسيما يوم موسم سيدة الكرمل فكان يلتجئ الى البتول في ضيقاتهِ وينظر اليها نظر الولد لأمهِ. وبينما كان يوماً يشتغل في الكنيسة وحدهُ اذ مرَّ امام مذبحها فرفع بعينيهِ الى صورتها العجائبيَّة التي هناك فرأى كأنَّ السيدة تستدعيهِ وتُشير اليهِ بان يقترب من ابنها الذي على ذراعيها. فظنَّ انَّ بصرهُ يخدعهُ لكنَّ العذراء كرَّرت هذه الدعوة مرارًا حتى تحقق الرؤيا (١ فجثا امام الصورة يطلب من الله بكلّ حرارة قلبهِ ان يعرّفهُ ارادتهُ فسمع صوتاً باطناً يدعوهُ الى خدمتهِ تعالى ونبذ المخلوقات. فاخبر رئيس الدير الاب شيرلو الكرمليّ بما جرى لهُ فآنسهُ الاب وارشدهُ وحثَّهُ على عبادة العذراء والانعكاف على الصلاة

وكان الرئيس المومأ اليهِ قد استدعى مصورًا مالطيًّا لينقش جدران كنيسة الكرمل بالدهون والألوان فجعل الياس الشاب تحت ادارتهِ ليساعدهُ في العمل. فلمَّا كاد الشغل

١) اخبر الفقيد احد رهباننا بهذه الرؤيا يومين قبل وفاتهِ في دير تعنائيل



فقيد الطباعة

الاخ ماريّا الياس اليسوعي

وُلد في ١٥ آب ١٨٤٠ توفّي في ٧ ايلول ١٩٠١

يبلغ نصفهُ اضطرَّ المصوّر الى ان يبرح الدير . فبقي الرئيس مرتابًا في امرهِ لا يعرف الى من يفوّض تتمة العمل . فأحسَّ ابن السائس بحيرة الرئيس وطيَّب قلبهُ ووعدهُ انهُ ينجز هو بنفسهِ هذا المشروع ومن ساعتهِ تحفَّز للعمل واتمَّ النقش على غاية ما يرام من الإحكام

وفي خلال هذا الشغل انعم الله على المرحوم بنعمةٍ جديدة ثبَّتتهُ في دعوتهِ وحملتهُ على تعجيل نيَّاتهِ الصالحة . فانهُ اذ كان يومًا فوق الصقالة التي تحت القبَّة وهو يشتغل بنقشها اذ دخل الكنيسة بعض الزوّار ومن جملتهم الوجيه لويس كتفاكو فكأنَّ المصوّر حانت منهُ التفاتة الى الداخلين فخانتهُ رجلهُ وسقط من علُ . فظنَّ الجميع انهُ هالك لا محالة يتهشَّم عند وصولهِ الى الحضيض فما اعظم ما كان اندهاشهم اذ رأوهُ منتصبًا بينهم وهو سالم ليس فيهِ اذًى . واخبر انهُ شعر وهو في الهوا . بيد تمسكهُ ورأى شيخًا جليلًا أنزلهُ الى قرار الارض بهدوّ وسكينة . فلم يشك الحضور انَّ مخلّصهُ هو صاحب المقام القديس الياس العظيم . وذلك ما حمل الشاب ان يتَّخذ لهُ اسم الياس شكرًا لهذا النبي الجليل عن خلاصهِ كما انهُ أضاف اليهِ اسم مريم لما نالهُ من النعم بشفاعة العذراء الطاهرة (١

ثمَّ اخذ الياس مذ ذاك الحين يطلب الوسائل لتحقيق رغائبهِ وترك العالم الغرور . فلمَّا كانت السنة ١٨٥٦ قدم جبل الكرمل الدكتور بيني (Bini) احد اطبّاء جيش نابوليون الاول سابقًا ونزل ضيفًا كريمًا في دير الكرمل وكان ابن السائس يخدمهُ بامر الرئيس فسرَّ بهِ الدكتور وتفرَّس فيهِ ملامح النجابة والذكاء وسألهُ هل يريد ان يأتي في خدمتهِ الى بيروت ليهتمَّ بتعليمهِ ويسهّل لهُ اتباع دعوتهِ . فأجابهُ انَّ ذلك غاية ما يتمنى وأقنع اخاهُ يوسف ان يصحبهُ

فوصل الدكتور بيني الى بيروت وسلَّم الولدين الى بعض الافاضل لتثقيفهما بالعلوم وتمهيد الطريق دون دعوتهما الالهيَّة . الَّا ان العوائق العديدة تصدَّت لهما وحالت دون اتمام مرغوبهما واضطرَّا الى ان ينتقلا الى حريصا ثم الى زحلة فغزير فبيروت وأظهرا في كلّ هذه الامكنة من الثبات في سبيل الله ما اذهل الجميع ودفع من عرفهما الى ان يصرخ : « ان اصبع الله هاهنا »

وفي آخر الامر فُكَّت اغلالهما وأُطلق سبيلهما وسارا الى فرنسة حيث انتظما في

١) سمعنا هذا الخبر من فم اخيهِ عبد الله

سلك الرهبانيّة اليسوعيّة فاحسّ اليـاس مذ ذلك اليوم انهُ دخل مينا الخلاص وشرع يرتاض بالرياضات الرهبانيّة ويبني ذلك الصرح العالي الذي اشار اليـهِ المسيح وهو برج الكمال الذي بلغ ذروتهُ بعد زمن قليل. وكان كلّ رفقتهِ يتعجّبون من نشاطهِ في خدمة الله وعبادتهِ الصادقة وتجرُّدهِ من كل الامور الفانية حتى اتخذوهُ في مهد حياتهِ الروحيّة كمثال حي لكل الفضائل الرهبانيّة التي لا يُرى كمالها في الغالب الّا في الشيوخ

ولو اردنا ان نسترسل في ذكر فضائل الاخ اليـاس لاتّسع بنا المجال فاننا رأيناه وعشنا بجوارهِ مدَّة سنين عديدة فلم نجـد في تصرُّفهِ وسلوكهِ غير صورة رجل الله لا يكترث لشيء من الامور الزائلة ولا يطلب في اعمالهِ غير مرضاة ربّهِ والطاعة لرؤسائهِ وكان يخدم الله بسذاجة ويستنكف عن الجاه البشري والفخفخـة الباطلة ولذلك كان يسكت عن امورهِ الشخصيّة ويحبُّ الاختلاء عن الناس والتردُّد مع الله في الصلاة. وكان بلغ من الايمـان درجة سامية تراهُ مستعدًّا لان يهرق حتى آخر نقطة من دمهِ في سبيل هذه الموهبة الالهيَّـة. وكان في كلامهِ مع القريب يسعى في حملهِ على التقوى والاعمال الصالحة واذا رآهُ متردِّدًا في ايمانهِ كان يفرغ المجهود في درء الشكّ عنهُ وحلّ مشكلاتهِ الدينيّة

امّا شظف عيشهِ وتقشفاتهُ فكانت عجيبـة. الّا انهُ كان يستر اماتاتهِ عن نظر الناس. ولو لم يكن لهُ من الفضل سوى عيشتهِ بين فعلة المطبعة مدَّة ثلاثين سنة كأنهُ الواحد منهم بل اصغرهم لكان ذلك كافيًا لبيـان عظم تفانيهِ وتواضعهِ. وكم من مرَّة رأيناهُ بعد ان صرف صلب نهارهِ في الاشغال الشاقّة يلحُّ على الرؤساء لكي يسخروهُ في الليل بضروب الخدم ويكلّفوهُ الكلف الشتّى بدلًا من اخوتهِ الرهبان وكان الرؤساء يقصدونهُ بكل ثقة لعلمهم انهُ مستعدٌّ ابدًا لبذل ذاتهِ وتضحية نفسهِ لخير الجمهور

٢

على ان الاخ الياس لم يقضِ فقط بين الرهبان عيشةً بارَّة بل نفع جمعيَّتهُ ووطنهُ باعمال ذات شأن قلَّ من يأتي بمثلهـا. فانهُ لمَّا عاد من فرنسة بعد اتمامهِ الامتحانات الرهبانيّة وتأصُّلهِ في الفضيلة أرسل اوَّلًا الى ديرنا في معلَّقة زحلة وكان هناك ميتمٌ فيـهِ نحو مئة ولد فتولى ادارة الحدادة وعلَّم هذه الصناعة كثيرين من اليتامى ثمَّ أُرسل الى مدرستنا في غزير فبقي فيها خمس سنوات يخدم هذا الدير بغيرة لا تعرف الملل

الا ان الله كان اختاره ليقوم بعمل آخر اهمّ من ذلك واعمّ نفعاً . فلمّا كانت سنة ١٨٦٩ رأى رئيس رسالتنا العامّ الاب امبروسيوس مونو ان يوسّع نطاق مطبعتنا في بيروت ويجهزها بالآلات الطبعيَّة الجديدة ويجعلها شبيهة بالمطابع الاوربيَّة فلم يجد رجلاً اقدر على هذا المشروع الجليل من الاخ الياس . فباشر هذه الصناعة بما كان مطبوعاً عليهِ من الاقدام والنشاط واخذ ينظر في كل آلات هذا الفنّ حتى ادرك تركيبها . ثمَّ حاول ان يجعل امَّهاتٍ للحروف بواسطة الكهربائيَّة فاصاب بعض النجاح واحبَّ لو أُتيح لهُ ان يدخل مدَّةً في معامل اوربَّا الكبرى . فارسلهُ رئيسهُ سنة ١٨٧٣ الى باريس ليزاول هناك اشغال مهنتهِ في مطبعة الدولة . فذهب الاخ الى عاصمة فرنسة وطلب الى مدير المطبعة العمومية ان يدخلهُ في عداد عملتهِ . فأعجبت المديرَ هيئتهُ الشرقيَّة وطلاقة وجههِ فقبلهُ وامر ناظري المطبعة ان يساعدوهُ في بلوغ وطرهِ فشرع ينكبّ على اعمال الطباعة كأنهُ احد العملة وهو مع ذلك لابس ثوب الرهبان المرسلين فما مرَّ عليهِ سبعة اشهر حتى ادرك كلّ أسرار هذا الفن وعرف طرائق طبع النقوش الناتئة الملوَّنة حتى انهُ تمكَّن قبل وداعهِ لمدير المطبعة ان يقدّم لهُ تقريظاً جميلاً مزيَّناً بالألوان كان صفَّهُ وهندسهُ وطبعهُ بيدهِ . ثم رحل الى لندرة ودخل ايضاً دار طباعتها الكبرى وتعلم هناك فنّ التنحيس وكان للانكليز طريقة يحافظون عليها كسرّ مصون فتمكن الاخ الياس من تعلُّمها . وعاد بعد سنة الى بيروت مهيَّأً ليغني مدينتنا بكل الاختراعات الاوربيَّة

وقد بقي فقيدنا ثلاثين سنة بنيف يدير مطبعتنا الكاثوليكية بهمَّة متواصلة وغيرة عجيبة . وقد بيَّنَّا في مقالتنا عن هذه المطبعة (المشرق ٣ : ٧٠٩) كيف دخلت في ايامهِ في طور جديد وما استحضر لها الرؤساء من الادوات النفيسة . وكان كلُّ ذلك بهمَّة الاخ الياس حتى انَّ من دخل اليوم مطبعتنا لا يجد فيها اداةً واحدة لم يكن لهُ في تحصيلها او تركيبها او اصلاحها القسم الاكبر وليس كتاب من التآليف التي نُشرت فيها الَّا ولهُ في اتقانهِ وحسن طباعتهِ النصيب الاوفر . فبفضلهِ صارت هذه المطبعة نسيج وحدها في كل الديار الشرقيَّة فتراها اليوم بعدهُ كانها اليتيمة تبكي علَّة وجودها ومنعش حياتها

وكان الاخ الياس مع عنايتهِ بالمطبعة اكثر اهتماماً بعملتها لا يعيش الَّا لصالحهم وكان ينتقيهم وهم احداث فيربّيهم تربية الامّ لبنيها فكنت تراهُ مكرَّماً من الجميع

لا يقع عليهِ نظرهم حتى يبشّ وجههم وينشط خاطرهم . وكان الاخ يهتمّ بجميعهم دون استثناء ويسعى في تعليمهم ويُسرّ بنجاحهم ويرقّيهم الى الاشغال المهمّة ويثيبهم حسب نشاطهم وكان يلحظهم لئلّا يُصاب منهم احدٌ بأذى الآلات . واذا جُرح بعضهم كان يشاطرهُ في ألمهِ ولا يزال يهتمّ بامرهِ الى ان ينال تمام الصحّة . وكذلك كان يفتكر بالمرضى فيعودهم ويسعى لهم باطبّاء يمرّضونهم ويتحفهم بما امكنهُ من المساعدات وكان يفرض على نيّاتهم صلوات خصوصيّة لشفائهم

الّا انّ التفات الاخ الياس لخير عيلتهِ الروحي كان اعظم منهُ لخيرهم الزمني . فكنت تراهُ يستنفد الوسع لتثقيف طباعهم فانهُ كان يسهر عليهم ويراقب آدابهم ويطرد من بينهم من انتهك حرمتها . وكان يحضّهم على المحبّة الاخويّة والتودُّد ورقّة الطباع

وكان يبذل قصارى جهدهِ في ان يطبع في قلوبهم روح الدين فلا يدعهم يباشرون الشغل الّا بعد الصلاة وكذا في وسط النهار وفي آخرهِ كان يرقّي بافكارهم الى الله خالقهم . وكان يدرج اسماءهم في الاخويّات التقويّة ويرشدهم الى المثابرة على الاسرار والتعبُّد لقلب يسوع الاقدس وللبتول الطاهرة وخطيبها الجليل . وكان يجمعهم مرارًا ليسمعوا القراءات الروحيّة وشرح التعليم المسيحيّ

ومن جملة الوسائط التي كان يلتجئ اليها انهُ كان يقضي معهم فرصة الظهر بعد الغداء فيقصّ عليهم قصصاً كان ينتخبها من تاريخ الكنيسة واعمال الشهداء واخبار اولياء الله او مشاهير رجال الدين . فكان العملة يحدقون بهِ ساكتين كأنّ على رؤُوسهم الطير يسمعون لهُ ويصغون الى كلامهِ بملء الرغبة والشوق

ومنها ايضاً انهُ كان يصنّف لهم روايات ادبيّة ودينيّة يعلّمها البعض منهم في اوقات الفراغ فيشخصونها في أوان المرفع او بعض الاعياد الكبيرة . وكان يدعو الى هذه الروايات اهل البلد فيتعجب الكلّ من حذاقة المشخصين وتمام اهبة التشخيص

ومنها ايضاً انهُ كان يأخذهم في كل سنة يوم عيد العنصرة الى مزار شهير ليتمّموا فيهِ الفرائض الدينيّة ثمّ يروّحوا البال بالفرجة والتنزُّه . وكان الاخ المدير في ذلك اليوم يخدم الجميع ولا ينسى غير نفسهِ

الّا انّ حبّهُ لاحداث العملة كان اعظم منهُ لغيرهم فانهُ كان يجمعهم كل يوم احد ويروّح خاطرهم ببعض الالعاب الادبيّة ويخرج معهم الى التنزُّه فيصرفون بصحبتهِ

ساعات من الهناء لم يجدوها في بيوتهم. وبهمّتهِ وامثالهِ الطيّبة قد زرع في قلوب كثيرين بذر الدعوة الاكليركيَّة او العيشة الرهبانيَّة نعرف منهم اساقفة وكهنة ورهباناً فاضلين لا يزالون يذكرونهُ بالخير وينسبون اليهِ حتى اليوم دعوتهم الصالحة

على انَّ الاخ الياس لم يقصر محبَّتهُ لابناء مطبعتنا بل كان اذا سنحت لهُ الفرصة يؤدّي الخدم لكل من يلتجئ اليهِ. ومن جملة هؤلاء اربابُ المطابع فانّنا لا نظنّ انَّهُ منذ ثلاثين سنة أُنشئت في بيروت مطبعة الّا وساعد الاخ اصحابها على انشائها وتنظيم ادواتها وقد عرفوا لهُ فضلهُ وكانوا بعد وفاتهِ لساناً واحداً على شكر صنيعهِ

مرَّ على فقيدنا في هذه الحالة من التفاني وبذل الذات احقابٌ عديدة حتَّى انهكت قواهُ اشغالهُ المفرطة غير انهُ بقي مداوماً على العمل لا يطلب راحة حتى اضطرَّهُ الرؤساء الى ان يذهب الى ديرنا في تعنايل منذ شهرين لعلَّهُ يجد في تغيير الهواء إصلاحاً لصحَّتهِ. فاجاب الى امر الرؤساء وقلبهُ عند عملة مطبعتهِ يتمنَّى ان يعود اليهم قريباً لكنَّ الله رأى عبدهُ اهلاً بالجزاء فقوي عليهِ المرض وكابد بصبر جميل مرَّ الاوجاع مدَّة ثلاثة اسابيع اعطى في اثنائها لاخوتهِ مثال الراهب الكامل الى ان توفاهُ الله ليلة عيد ميلاد البتول فاستحقَّ ان يلد للسماء يوم وُلدت العذراء لخلاص البشر وباركت في احد اعيادها وفاتهُ كما باركت يوم ولادتهِ في عيد انتقالها وباركت يوم دخولهِ في الرهبانيَّة يوم حُبل بها بلا دنس

وهنا كان ينبغي لنا ان نصف ما حاق من الحزن والالم باصحابهِ يوم بلغهم خبر وفاته. اما عملتهُ فحدّث عن اساهم ولا حرج فبكوهُ ولا بكاء الابن لاعزّ الوالدين واقاموا لراحة نفسهِ الصلوات الحارَّة وخصَّصوا لذلك قدَّاساً تقرَّبوا فيهِ الى الاسرار. وحضر هذه الحفلة كثيرون من اهل البلد نخصّ منهم بالذكر بعض ارباب المطابع الذين اعربوا عن اكرامهم للمرحوم وقاسموا اهل المطبعة اسفهم. وقد ابّنهُ واحدٌ من ابناء مطبعتنا باسم رفقتهِ برثاء نقتطف منهُ هذه الابيات نجعلها ختاماً لهذه النبذة الموجزة

لمّا ثوى الياسنا تحت الثرى　　بتنا نصعّد بالاسى زفراتنا
خطبٌ ألمَّ بنا وقد أصلى الحشى　　ناراً فاهطل كالدما عبراتنا
يا راحلاً لم يُبقِ غير الحزن في　　شبَّاننا وشيوخنا وبناتنا
لو تُفتدى يا من تركت لنا الجوى　　لفديت يا طود التقى بحياتنا

تاريخ دير مار انطونيوس الملقَّب بقزحيَّا

نبذة تاريخيَّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري

اثبتنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤: ٣٦١-٣٦٨) تاريخ دير قزحيَّا ولخَّصنا اخبارهُ عن الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات منذ اول انشائهِ الى زمن انقسام الرهبنة الى حلبيَّة وبلديَّة وذلك سنة ١٧٦٨. فبقي علينا ان نُجمل الكلام عن تاريخ الدير المنوَّه بهِ منذ ذلك العهد الى يومنا فنقول:

انَّ دير قزحيَّا زاد اتساعاً في أواخر القرن الثامن عشر ونمت املاكهُ وكثر رهبانهُ. وممَّا أحرز لهُ حينئذٍ شهرة كبيرة مطبعتهُ التي ورد ذكرها في المشرق (٣: ٢٥١) في تاريخ فنّ الطباعة. والذي احضر هذه المطبعة الاخ ساروفيم الشوشاني (حوقا) البيروتي المتوفَّى سنة ١٨١٤. كان هذا الراهب الفاضل أُرسل الى رومة في عهد الاب عمانوئيل الرشماوي الرئيس العام على الرهبنة ليقوم بطبع الشبيَّة المارونيَّة بالحرف الكرشوني على نفقة رهبانيَّتهِ فلمَّا اتمَّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خُضير معلّم العبرانيَّة في المدرسة الرومانيَّة عاد الى لبنان ومعهُ المطبعة المذكورة مجهَّزة بكل أدواتها ولوازمها فجعلها اولاً في دير مار موسى الحبشي الملقَّب بالدوَّار وطُبع هناك كتب قليلة كخدمة القدّاس (١٧٨٥) ثم كتاب للقدّاس والرسائل والشحيمة الكاملة. ومن هذه المطبوعات ما طُبع بالحرف السرياني الدقيق

ولمَّا صار زمام الرئاسة العامَّة في يد الاب اغناطيوس بليبل نُقلت المطبعة الى دير قزحيَّا نحو سنة ١٨١٥(١). ثم امر سنة ١٨٢٠ الاب ارسانيوس النيحاوي رئيس الدير ان يخصَّص لها شرقي الدير محلّ منفصل عنهُ قليلاً فبُني قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها وفوقهُ محلّ للمطبوعات وتجليدها. فتمَّ ذلك على يد الاب عبد الله الاهمجي الشهير وقتئذٍ بمتانة

---

١) ونحن نظن ان المطبعة نُقلت الى دير قزحيا قبل ذلك بنحو ١٠ سنوات والدليل على قولنا انهُ يوجد نسخة من الشبيَّة مطبوعة بدير قزحيا تاريخ طبعها سنة ١٨٠٨ (راجع المشرق ٣: ٢٥٧)

أبنيته. وأضيف الى البناء ممشى شرقي يُعرف الى يومنا باسم الرئيس المذكور مع انهُ لم يتمَّ الَّا في زمن خلفهِ الاب مرقس الشنتعيري بنــاهُ الاخ يوسف المادي. وكان دولاب هذه المطبعة من الخشب يُمدّ الحبر على حروفها بمحابر من جلد ثمَّ بُدل دولابها بدولاب صغير من حديد. ولمَّا كانت السنة ١٨٧١ اشترى رئيس قزحيا الاب دانيال الحدثي من المرحوم رومانوس يمين الاهدني مطبعتهُ فاتخذها بدلًا من المطبعة القديمة (راجع المشرق ٤ : ٤٧٤). اما قائمة المطبوعات التي نُشرت في قزحيا فقد ظهرت لائحتها في هذه المجلة (٣ : ٢٥٧) فلا حاجة الى التكرار. وقد تولى ادارة مطبعة قزحيا منذ نشأتها ثلاثة من رهبانها الافاضــل وهم الاخ ساروفيم حوقا ثم الاب مرقس اهمج ثمَّ الاب مارون ايطو وهو مديرها الحاليّ

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبد الله الخبَّاز جسرًا لطاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا حينئذٍ وكان الاخ المذكور تلقى فن البناء على الاب عبد الله الاهمجي. وبنى ايضًا سنة ١٨٥١ جسرًا لنهر رشعين في ملك دير قزحيــا على عهد رئيسهِ الاب اندراوس القرطباوي وكان رئيسًا عامًّا على الرهبانيَّة الاب لورنسيوس الشبابي

وفي سنة ١٨٥٦ توفي في محبسة مار بولا السابق ذكرها الراهب انطونيوس الصغابي كان ذا سيرة فاضلة جدًّا اختلى في هذه المحبسة فسكنها سنين عديدة وكان يقضي اكثر زمانهِ في الصوم والصلاة لا يأكل الَّا مرَّة واحدة في النهار عند المساء وكان طعامهُ الخبز وحدهُ يغمسهُ في قليل من الزيت. وكان سبقهُ في هــذه المحبسة كثيرون من افاضل الرهبان منهم الاب اليشاع المادي الذي صرف أعوامًا عديدة في التأمل والصلاة وكان اذا صلى دخل مغارة صغيرة فوق المحبسة فبسط يديهِ على شكل صليب لا يثنيهما واذا تخدَّرتا سندهما الى حبل معلق بسقف المغارة كما شهد على ذلك رهبان كانوا يرقبونهُ

وفي سنة ١٨٥٥ ترأس على دير قزحيــا الاب اغناطيوس شكري الديراني فشرع بعمار القسم الغربي من الدير بازاء الابنية التي شيَّدها الاب ارسانيوس فهدم البناء القديم ثم بنى اقبية واقام فوقها قلالي وحُجرًا وفرشها بالبلاط وهندس لهذا الطابق ممشى لجهة النهر برواقٍ وقناطر مرتفعة فانتهى من هذا العمل سنة ١٨٥٧ وقد انفق عليهِ ١٦٠٠٠٠ غرش. وكان اذ ذاك الرئيس العام على الرهبنة الاب عمانوئيل المتيني

وفي سنة ١٨٦٤ أقيم لرئاسة الدير الاب بطرس بجدرفل وكان المذكور تلقى بعض

العلوم في مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير. فاول ما صرف اليهِ همتهُ توسيع الكنيسة. وكانت قبلًا مغارة ذات جدار واحد من جهة الجنوب فهدمهُ ونقر الصخر حتى اتسعت الكنيسة طولًا وعرضاً ثم اقام جدارًا جديدًا من الحجر السمَّاقي المنحوت المجلي استحضره من مقلع بين اهدن وعرية قزحيا. اما الابواب والشبابيك فنقل احجارها من مقلع جبل حصرون. فاصبحت بذلك الكنيسة كبيرة بديعةً ثلثا سقفها من اصــل المغارة والثلث الآخر من عقد الحجارة. ثمَّ اتخذ لها منجورًا فاخرًا ووكل الى عملة من حلب ان يبلِّطوها بالرخام واقام لها اربعة مذابح لجهة الصخر المنقور ومذبحًا خامساً في الحائط باسم السيدة. وجهَّزها بحلل كنسيَّة فاخرة. وكان اوصى لها بمذبح وعواميد رخام ودفع لذلك ٣٠٠٠ غرش الَّا ان العمل لم يتمّ الَّا في ايام رئاسة خلفهِ الاب رافائيل عوَّاد الحصروني الذي انجز هذا المشروع وزيَّن الكنيسة بصور جميلة وبلغ مجمل كلَف تجديد الكنيسة مع لوازمها ١٢٩٦٩٦ غرشاً وكان الرئيس العام وقتئذٍ الاب افرام البشرّاني

امَّا منزل الزوَّار غربيّ الدير فكان الساعي بهِ الاب مارون الصغابي لمَّا تولى الرئاسة من السنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ فبنى ردهةً كبرى لاستقبال الضيوف واربع قلالي مع ممشى وايوان للغرب على ظهر القبو. واكمل هــذا العمل الاب بطرس التولاوي مدَّة رئاستهِ وجهَّز هذه الدار بالاثاث والامتعة وكان هــذا الاب من افاضل الرهبان تلقَّى العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وقد استأثر الله بهِ منذ اشهر قليلة

امَّا املاك دير قزحيا فهي وافرة جدًّا منها في الساحل ومنهــا في الجرد. والبعض منها اوقاف حبسها المحسنون على الدير لاسيما في زاوية طرابلس تبرَّع بها المشايخ من بيت الظاهر وغيرهم. امَّا القسم الاعظم فهو مشترى اقتناهُ الرهبان بشغلهم وجدّهم والفضل في ذلك عائد خصوصاً للاب اغناطيوس بليبل الذي ضبط ازمَّة الرئاسة العامّة مدَّة سبعة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ وكان قبل ذلك أقام باعباء النيابة العامَّة سنتين لوفاة الاب عمانوئيل جميــل سنة ١٨٠٨ وفي ايَّامهِ نمت الرهبانية نموًّا عظيماً بالروحيَّات والزمنيَّات فشيَّد اديرة كثيرة وجدَّد الاملاك وأعاد الرهبان الى حفظ قوانينهم ورسومهم. وأقام الاخ مارون البعبداتي على نظارة الاملاك وكان رجلًا تقيًّا ذا فطنة وغيرة على نجــاح الرهبنة. فنصب أغراساً كثيرة من التوت والزيتون فتوفَّرت مداخيل الدير بذلك وعمَّر طواحين على نهر رشعين وكذلك زادت مداخيل الاملاك في الجرد وكان

ايضاً الزوَّار يُجزلون الصدقات على الدير لاسيَّما بعد ان نال كثيرون منهم الشفاء فيهِ بشفاعة صاحب المقام القديس انطونيوس الكبير

ومن جرَّاء هذا النجاح كثر عدد الرهبان حتى بلغ المئة فاضطرَّ الرؤساء الى ان يخفِّفوا عبء هذا الدير فأقاموا لذلك ثلاثة أديرة في الساحل انفصلت منهُ وهي دير الجديدة شرقي قريةَ كفر زينا على اسم مار انطونيوس ابي الرهبان ثمَّ دير عشاش شمالي الزاوية فوق مدينة طرابلس على اسم مار جرجس أنشئا سنة ١٨٤٩ على عهد رئاسة الاب عمانوئيل الشبابيّ العامَّة. ثم دير بصرما على اسم سيدة النجاة في كورة طرابلس أُنشئ سنة ١٨٧٦ ايَّام كان رئيساً عامَّاً على الرهبنة الاب مرتينوس الغوسطاوي. وقد جُهزت هذه الاديرة بكل ما يُقتضى لمعاش الرهبان وجُعل لكل دير أملاك يتولى الاخوة شؤونها. وكان الفضل في بناء دير بصرما للاب دانيال الحدثي الذي امتاز بالبرارة والفضائل ومات برائحة القداسة فدُفن في دير مار سركيس ولا تزال الكرامات تظهر فوق قبرهِ حتى اليوم

وفي سنة ١٨٥٥ استُحضرت مطبعة عربيَّة لدير السيدة في طاميش ودفع دير قزحيا خمسين الف غرش من ثمنها. وكان ذلك بواسطة الدكتور ابرهيم افندي الديراني الطبيب. وقد ادرج المشرق قائمة مطبوعاتها سابقاً (٤: ٤٧٣)

وقد أُخذ من أملاك قزحيَّا في الجرد قسم قليل أُعطي لدير راهبات مار سمعان العموديّ المعروف بمار سمعان القرن وذلك لمَّا سلَّم المرحوم المطران بولس رزق مطران طرابلس تدبير هذا الدير للرهبان البلديين سنة ١٨٦٤ وموقعهُ فوق عربة قزحيا قبليّ قرية قيطو وكان يسكنهُ ست راهبات. فوقى الاب افرام البشراني الرئيس العام ديونهُ واشترى لهُ أرزاقاً من دخل وظيفتهِ ومن املاك دير قزحيا وجعلهُ ديرًا كبيرًا. وكذلك خصَّص لمدرسة بان التي تخصّ الرهبنة بعض املاك اخذها من دير قزحيا. ومع كلّ ذلك لا يزال رهبان هذا الدير نحو سبعين راهباً وقاهُ الله من صروف الدهر وابقاهُ فخرًا وملاذًا للرهبنة وللطائفة بدعاء صاحب المقام

وتتمةً للفائدة قد ألحقنا بهذه النبذة لائحة اسماء الرؤساء الذين دبَّروا دير قزحيَّا منذ انشائهِ نقلًا عن سجلَّات الرهبانيَّة :

اسماء الرؤساء	ابتداء رئاستهم	اسماء الرؤساء	ابتداء رئاستهم
جبرائيل فرحات	١٧١٠	ارسانيوس البيحاوي	١٨٢٠
ميخائيل . . .	١٧١٥	مرقس الشنتعيري	١٨٢٣
يمين . . .	١٧٢٣	مكاريوس وادي شحرور (١)	١٨٢٦
جرجس القشوع (١)	١٧٢٥	عمانوئيل الشبابي	١٨٣٢
مبارك الفوسطاوي	١٧٢٧	مكاريوس وادي شحرور (٢)	١٨٣٥
مارون الدرعوني	١٧٣٥	نعمة الله الحصروني	١٨٣٨
بولس يونان السمراني	١٧٤٠	سابا العاقوري	١٨٤٠
مبارك عيد	١٧٤٣	اغناطيوس سركيس	١٨٤٢
جرجس القشوع (٢)	١٧٤٥	يوسف البشراني	١٨٤٥
ميخائيل شوشان	١٧٥٠	اغناطيوس شكري (١)	١٨٤٧
ميخائيل عيد	١٧٥٤	اندراوس قرطباوي (١)	١٨٥١
(مفقود الاسم)	١٧٥٧	اغناطيوس شكري (٢)	١٨٥٣
عبد الاحد كفركدي	١٧٦٠	ليباوس تنوري	١٨٥٦
(الاسم مفقود)	١٧٦٢	اندراوس القرطباوي (٢)	١٨٥٩
ارميا الكفروني (١)	١٧٦٥	بطرس بجدرفل	١٨٦٢
شربل الحويس	١٧٦٩	دانيال الحدثي	١٨٦٥
نعمة الله الحويس	١٧٧٢	روفائيل البزعوني (١)	١٨٧١
ارميا الكفروني (٢)	١٧٧٥	رافائيل الحصروني	١٨٧٥
بولس المزرعاني	١٧٧٨	انطونيوس الحصروني (وكيل)	١٨٧٧
مرقس المرقب	١٧٨١	عمانوئيل الرشعاني	١٨٧٧
ارميا الكفروني (٣)	١٧٨٤	مارون ايطو (١)	١٨٨٠
اقليموس العكاري	١٧٨٧	رافائيل البزعوني (٢)	١٨٨٤
اقليموس الشبابي (١)	١٧٩٠	مارون ايطو (٢)	١٨٨٥
ارميا الكفروني (٤)	١٧٩٣	مارون صفاني	١٨٨٦
ماتيا المتيني	١٧٩٦	عمانوئيل البشراني	١٨٩٠
اغناطيوس بليبل	١٧٩٩	بطرس تولا	١٨٩٠
برنردوس الدبيه	١٨٠٥	مارون ايطو (٣)	١٨٩٤
جبرائيل الديراني	١٨٠٨	مارون سرعل	١٨٩٥
اقليموس الشبابي (٢)	١٨١٠	افرام سرعل	١٨٩٧
برنردوس الغزيري	١٨١٤	انطونيوس الشمشاني الحالي	١٨٩٩

وهذه اسماء المتوفين برائحة القداسة نقلاً عن روزنامة الدير المذكور :

اسماؤهم	سنة الوفاة	اسماؤهم	سنة الوفاة
الاب اغناطيوس من زوق مصبح (١	١٨١٤	الاب اكليمنضوس التنوري	١٨٣٧
الاب انطونيوس الحيس (٢	١٨٢٥	الاخ مرتينوس الغزيري	١٨٣٩
الاخ نوهرا المتيني (٣	١٨١٧	الاخ جراسيموس اللحفدي	١٨٣٩
الاب اليشاع المادي (٤	١٨١٩	الاخ مبارك الموصلي	١٨٥٦
الاب حنانيا التنوري	١٨٢١	الاب انطونيوس الصناني (٦	١٨٥٦
الاب يوسف بكاسيني	١٨٥٦	الاب جبرائيل الشبابي	١٨٦٤
الاخ لورنسيوس من سقي لحفد	١٨٢٣	الاخ باخوس الباني (٧	١٨٧١
الاخ ميخائيل الطرابلسي	١٨٣٤	الاب حنانيا الحصروني	١٨٨٩
الاب انطونيوس الرومي	١٨٢٥	الاب دانيال البشراني	١٨٩٥
الاب جبرائيل الغزموني (٥	١٨٣٣	الاب مارون سرعل	١٨٩٨
الاب جبرائيل الديراني	١٨٣٣		

هؤلاء الذين اطرأت الروزنامة حسن سيرتهم ومزيد فضلهم وذكرت كثيرين انهم ماتوا ميتة صالحة لم اتعرَّض لذكرهم واهملتُ ذكر بعضهم مثل الاخ مبارك من الديَّة والاخ ارميا العكاري المشهود لهما بحسن السيرة من سكَّان الدير الذين عاصروهم

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق ص ٥٢٠)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

في آخر كلامنا عن فنّ الطباعة في المشرق انجزنا تاريخ المطابع في لبنان فلم يبقَ

---

١) وهو الذي شيَّد دير اللويزة واوهبهُ للرهبنة

٢) بعد جهاده مدات حبس نفسهُ ضمن قلاية سنتين حبساً تامًّا وعرف ساعة وفاتهِ قبل يومين

٣) حفظ نذورهُ مدقِّقاً ولم يكن يرقد الَّا على قطعة بساط من شعر

٤) كان حبيساً مكث في الحبسة ٣٠ سنة والتقليد يشهد بسموّ فضلهِ

٥) اشتهر بتعبُّدهِ للعذراء الجيدة

٦) ومن اعمالهِ كان لا يأكل سوى الخبز والزيت

٧) رؤي حال نزاعهِ حمامة بيضاء ترفّ فوقهُ وبعض الشهود احياء

علينا لنستوفي المقال عن بلاد الشام ومطبوعاتها الا ان ندوّن احوال الطباعة في دمشق وطرابلس

٦ المطابع في دمشق

١ (المطبعة الحفنيَّة) اقدم مطبعة ظهرت في دمشق كان احضرها من اوربَّة المرحوم حنَّا الدوماني سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) اشتغل بهـا بضع سنين ثم ابتاعها جناب الاديب سليم المدوَّر فاضافهـا الى مطبعتهِ السليميَّة التي مرَّ ذكرها سابقًا في المشرق (٤: ٨٨) ثمَّ انتقلت الى حنَّا حدَّاد ثمَّ الى جناب محمَّد افندي الحفني سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م). ولا نعرف من مطبوعات هذه المطبعة قبل مصيرها الى يد الحفني الَّا النزر القليل. من ذلك كتاب المزامير طُبع سنة ١٨٦٥ وكرَّاسة عشيَّة الاحد (١٨٥٦. ص ٨). وكذلك اتمَّ جنـاب سليم افندي المدوَّر في دمشق ديوان احمد الحلوف الذي باشر في طبعهِ في بيروت (راجع المشرق ٤: ٨٨). وطبع ايضًا نزهة الارواح ومرتع الافراح للقسّ نعمة الله البواري (١٨٧٤. ص ٢٠) وغير ذلك ممَّا لا علم لنا بهِ. امَّا جناب محمَّد افندي الحفني فهذه قائمة مطبوعاتهِ مرتَّبـة حسب تاريخ صدورها:

١ً شرح صلوات عبد السلام بن مشيش لعبد الرحمان الكردي (١٣٠٠—١٨٨٣. ص ١٥) = ٢ً تحفة الاخوان في حفظ صحَّة الابدان للدكتور داود افندي ابي شمر (٨ ص ٢٨٠) = ٣ً تحبير المقالة في الحيلولة والكفالة للسيّد محمود بن حمزه مفتي الشام (١٣٠١—١٨٨٤ ص ٦) = ٤ً كتاب كشف الطرَّة عن الغرَّة للسيد محمود افنـدي الآلوسيّ (٨ ص ١٨ و٤٧٧) = ٥ً شرح الدور الاعلى للشيخ محمد القاوقجي الطرابلسيّ (٨ص ١٢٠) = ٦ً متن الاجروميَّة والعوامل (٨ص٢٢) = ٧ً ديوان الامير منجك باشا المتوفَّى سنة ١٠٨٠هـ—١٦٦٩م (٨ص١٥٥) = ٨ً ديوان احمد بك الكيوانيّ الدمشقي المتوفَّى سنة ١١٧٣هـ١٧٥٩م (٨ص ١٩٩) = ٩ً تحقيقات جيَّة وتدقيقات سنيَّة في تحقيق معنى الوجود للشيخ عمر افندي العطَّار (٨ ص١٠) = ١٠ً كتاب ايضاح الدلالات في سماع الآلات للشيخ عبد الغني النابلسيّ صحَّحهُ الشيخ عبد القادر بن عمر النبهاني (١٣٠٢—١٨٨٥. ص٤٤) = ١١ً يتيمة الدهر في شعراء اهل العصر لابي منصور الثعالبي اربعة اجزاء مجموع صفحاتها ١٤٨٥ صفحة (١٣٠٢—١٨٨٥) = ١٢ً سحر هاروت نظم سليم افندي عنحوري (٨ ص ٢٠٥). وبعض كراريس أُخر من صلوات وقصص وغير ذلك كمناجاة سيدنا موسى (٨ص ٤٤) والوظيفة الشاذليَّة ومولد السيدة عائشة الباعونيَّة وشباك الاحقّ بالحضانة وقصَّة بدر التمام واتحاف الانس في العلمـين واسم الجنس. ونظنُّ انَّ في هذه المطبعة طُبع ايضًا كتاب للشيخ عمر افندي العطَّار اسمهُ رسالة جيَّة في ترتيب العوالم العلويَّة (١٣٠١—١٨٨٤. ص١٤) = وكتاب فوائد فرائد وجواهر قلائد لهُ (٨ ص ١٠)

وهذه المطبعة الحنفيَّة بطلت عن العمـل منذ نحو ١٥ سنة لكثرة ما وجدت في طريقها من العراقيل

٢ (مطبعة ولاية سوريَّة) أُنشئت سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م). وفيها طُبعت جريدة سوريَّة سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥م) فيكون مرَّ عليها ٣٦ سنة منذ ظهورها وهي عربيَّة وتركيَّة ومدير هذه المطبعـة صاحب العزَّة مصطفى افندي واصف وبهمَّته قد تحسَّنت احوالها وزيد في آلاتها ولها مطبعة يمكن تدويرها بالبخـار. وفي هذه المطبعة تُطبع جريدة الشام التي برزت الى عالم الوجود منذ خمس سنوات. امَّا اخصُّ مطبوعاتها فهذه لائحتها على حسب تاريخها:

١ً رسالة في موضوع المنطق للشيخ عمر افندي العطار (١٢٨٧-١٨٧٠ص ٥) = ٢ً قواعد الاوقاف للسيد محمود افندي حمزه (١٢٨٨-١٨٧١ ص ٣٤) = ٣ً شرح القدوري للشيخ عبد الغني الميداني في الفقة الحنفي (١٢٩٠-١٨٧٣ ص ٢٨٦) = ٤ً بديع التلخيص وتلخيص البديع للشيخ العلّامة طاهر بن صالح المغربي (طبع حجر) ١٢٩٥ -١٨٧٨ص ٥٦) = ٥ً وظائف الاناث ترجمها من التركيَّة مصطفى خلقي معلم الانشاء في المكتب الاعدادي (١٢٩٨-١٨٨٠ص ٦٦) = ٦ً وظائف الاطفال تعريبهُ (〃 ص ٤٤) = ٧ً نثر النظم وحلّ العقد للثعالبي (١٣٠٠-١٨٨٣ ص ١٦٤) = ٨ً المفاخرة بين الهواء والماء للشيخ احمد البربير (〃 ص ٣٢) = ٩ً الفوائد الجسام في معرفة خواصّ الاجسام للشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري (〃 ص ١٢٥) = ١٠ً كتاب مدّ الراحة لأخذ المساحة مع اربع صفائح للاشكال لهُ (١٣٠١-١٨٨٤. ص ٢٠٨) = ١١ً عقود اللآلئ في الاسانيـد العوالي لهُ (١٣٠٢-١٨٨٥ ص ٢٤٨) = ١٢ً مدخل الطلّاب الى فنّ الحساب للشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري طُبع ثلاث طبعات (الطبعة الثالثة ١٣٠٢ -١٨٨٥. ص ٤٨) = ١٣ً الاشارات الى اماكن الزيارات لابن الحورانيّ من اعيـان القرن العاشر (〃 ص ٣٧) = ١٤ً تسهيل المجاز الى فنّ المعمّى والالغاز (١٣٠٣-١٨٨٦ص ١٢٨) = ١٥ً الروض المُرتع في شرح زاد المستقنع في الفقه الحنبلي (١٣٠٣-١٨٨٦ ص ٤٢٢) = ١٦ً تمهيد العروض الى فن العروض للشيخ طاهر افندي ابن صـالح الجزائري (١٣٠٤-١٨٨٧ص ٥٦ طبع حجر) = ١٧ً قوانين حكم الاشراف = ١٨ً السفينة الادبية في الموسيقى العربيّـة لاحمد افندي سفرجلاني (١٣٠٥-١٨٨٧ص ٣٤) = ١٩ً عقد اللآل في الحكم والأمثال (طبع حجر 〃 ص ٣٠) = ٢٠ً حديقة الاذهان في حقيقة البيان (مثلهُ) = ٢١ً حدائق الافكار في رقائق الاشعار (مثلهما ص ٥٠) = ٢٢ً مقالة للشيخ الفاضل طاهر افندي ابن صالح الجزائري في الخطّ وهي توطئة لكتابٍ مطوَّل لم يتمّ بعد. و يليها مقالة في الشكل التركي (طبع حجر. ص ١٦ و ٨) = ٢٣ً الدراريّ واللآل لمدح محمد والآل لصالح بن احمد (١٣٠٦-١٨٨٨ص ٩٢ طبع حجر)

وفيها طُبعت سالنامة ولاية سوريَّة بالتركيَّة مع خريطة

٣ (المطبعة العسكريّة) انشئت هذه المطبعة بعد مطبعة الولاية وهي مختصَّة بامور العسكر لا تنشر سوى الروزنامات واللوائح العسكريَّة

٤ (المطبعة الخيريّة) وهي المسمّاة باسم المعارف انشأتها جمعيّة انتشار العلوم في دمشق. أخذت أدواتها من طرف الحكومة بصفة الاعارة. وكان مركزها في احدى حُجر جامع الملك الظاهر وكان رئيسها السيّد علاء الدين عابدين احد اعضاء مجلّة الأحكام العدليّة المشهورة وكان انشاؤها نحو سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وقد طُبع فيها بعض كتب مفيدة هذه لائحتها:

١ً رسائل لعلاء الدين افندي عابدين = ٢ً الهديّة العلائيّة لهُ (١٢٩٩–١٨٨١ ص ٣٤٨) = ٣ً شفاء العليل في اسقاط ما في الذمّة من كثير وقليل لهُ (م) = ٤ً منية الاذكياء في قصص الانبياء ترجمةُ من التركيَّة الشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري (١٢٩٩–١٨٨١. ص ٣٣٩) = ٥ً سجلّ مكتبة الملك الظاهر (م ص ١٠١)

٥ (مطبعة نهج الصواب) انشأها جناب الفقيه المرحوم حبيب افندي خالد نحو سنة ١٢٩٧–١٨٨٠ وادارها مدَّة ثلاث سنين طبع فيها بعض الكتب هذه اهمُّها:

١ً ديوان صفيّ الدين الحليّ (١٢٩٧–١٨٨٠. ص ٥٧٢) = ٢ً كتاب الفوائد البهيّة في القواعد الفقهيّة تأليف السيد محمود افندي حمزه (١٢٩٨ – ١٨٨١. ص ٣٨٠) = ٣ً نفحات الازهار على نسمات الاسحار لعبد الغني النابلسيّ (١٢٧٩–١٨٨٢ ص ٨ و ٤٠٥) = ٤ً علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسيّ (١٢٩٩–١٨٨٢ ص ٣٧١) = ٥ً الطريقة الواضحة الى البينة الراجحة (ترجيح البيّنات) للسيد محمود بن حمزه (١٣٠٠–١٨٨٣ ص ٢٥١)

٦ (مطبعة روضة الشام) منشئها خالد افندي عطّار حسن سنة ١٣١١–١٨٩٣). طُبع فيها مايلي:

١ً اتحاف الطلبة بالاسئلة المنطقيّة والاجوبة لمحمَّد بن علي المرعشيّ (١٣١٢–١٨٩٤ ص ٧٢) = ٢ً القول الفصل المؤيد المنصور في... المهور للشيخ راغب ابن الشيخ عبد الغني (١٣١٣–١٨٩٥ ص ٤٥) = ٣ً المنتخب من امير المؤمنين وهي ترجمة كلام علي بن ابي طالب نظماً بالتركيَّة لاحد علماء الروم = ٤ً بلغة المريد في الفقه والتوحيد = ٥ً مختار الصحاح (تحت الطبع)

٧ (المطبعة العلميَّة ومطبعة الفيحاء) فُتحت سنة ١٣١٦ (١٨٩٨) على ذمَّة صاحبها الاديب محمد افندي هاشم الكتبيّ وطُبع فيها قصَّة المعراج المنسوب لابن عبَّاس. ثمَّ بيعت لجناب مصطفى افندي شوراء ودعيت بالفيحاء واكثر مطبوعاتها الاوراق التجاريَّة

٨ (المطبعة الحميديّة) ظهرت ايضاً سنة ١٣١٦ باسم سليمان لطفي. وفيها طُبعت مدّةً مجلّة الشمس

٧ الطباعة في طرابلس الشام

فنّ الطباعة حديث العهد في طرابلس. والمطبعة الوحيدة التي تُرى اليوم فيها كان انشاؤها منذ ثماني سنين في ٢٥ شعبان ١٣١٠ (شباط ١٨٩٣) بهمّة صاحب الفضل محمّد كامل البحيري ابتاع لها ادوات المطبعة العثمانيّة من صاحبها ابراهيم بك الاسود وفي جملتها آلة تصلح بان تدار على البخار. وفي التاريخ المذكور صدرت جريدة «طرابلس الشام» مرّة واحدة في الاسبوع. ثمّ استُحضرت لهذه المطبعة احرف مسبوكة بالشكل وغيرها من مسكب المطبعة الادبيّة لخليـل افندي سركيس. ثمّ جُهزت بعد ذلك بحروف افرنجيّة ونقوش استُجلبت من باريس توًّا وزيد عليها مطبعة صغيرة وادوات للتجليد الافرنجيّ. وفي سنة ١٣١٥ نال صاحبها امتيازًا باصدار الجريدة بعبارة تركيّة لتنتشر في اللغتين معًا. وفي نهاية سنة ١٣١٥ شيِّد لها بنايةً فاخرة على شارع التلّ في الجهة الشرقيّة الجنوبيّة من سراية الحكومة. وقد صدر في مطبعة البلاغة عدّة كتب ورسائل على حسابها خاصّةً وعلى حساب اربابها نذكر اسماء المهمّ منها حسب التاريخ:

١ً ديوان نفح الطيب (١٣١٠-١٨٩٣ص ٣٦) = ٢ً رياض طرابلس وهو مجموع المقالات العلميّة التي تدرج في جريدة طرابلس (ثمانية اجزاء ١٣١١-١٣١٧ ١٨٩٤-١٩٠٠ مجموع صفحاتها نحو ١٤٣٠ صفحة) = ٣ً مجموع مقالات التوفير والاقتصاد (١٣١١-١٨٩٤ ص ٣٨) = ٤ً خمس رسائل مختلفة (٥ ص ١٤٦) = ٥ً ديوان عقـد اللآل من منظوم المرحوم السيد محمود افندي الشهال (١٣١٢-١٨٩٥ ص ٣١٠) = ٦ً رمز الحكم تركي وعربي للمرحوم سامي باشا شيخ الوزراء (٥ ص ١٦٩) = ٧ً نهج البلاغة مع شرح الفاظهِ اللغويّة جزءان (١٣١٣-١٨٩٦ ص ٣١٣) = ٨ً الجيش العثماني في تساليـا (١٣١٥-١٨٩٨ ص ١١٣) = ٩ً رواية الوارث ترجمة عزّتلو جرجي افندي يني (الجزء الاول ٥ ص ١٦٣) = ١٠ً خمس رسائل مختلفة (٥ ص ٢٨٩) = ١١ً اربع رسائل أُخر (١٣١٦-١٨٩٩ ص ٤٢٤) = ١٢ً سمير الليالي لامين افندي الجسري (٥ ص ٢٦٣) = ١٣ً رسالتان ١٣١٧-١٩٠٠. ص ١٣٩) = ١٤ً تاريخ زنجبار (١٣١٨-١٩٠١ ص ١٢٨). ثمّ يُضاف الى ما تقدّم بعض مقالات اكثرها دينيّة كالدر الثمين في احكام التجويد (ص ١٤) واشـارة الطاعة للشيخ حسين افندي الجسري (٥ ص ١٤) ونظام المطابع (ص ١٦) وترجمـة علم حال طبي ترجمة عزتلو مصطفى حكمت وانتشار الدين المحمدي لروحي افندي الخالدي ورسائل أُخر لا تزال تحت الطبع (ستأتي البقيّة)

رسالتا الطير

للرئيس ابن سينا وللشيخ الامام محمد الغزالي

توطئة

من جملة الرسالات الفلسفية التي صنّفها ذلك الرئيس الامام والعلّامة المقدام الشيخ ابو علي الحسين المعروف بابن سينا رسالة موسومة باسم «الطير» ذكرها الجوزجاني تلميذه في قائمة مصنّفاته التي اثبتها ابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٢ : ٥) ودعاها بكتاب «الشبكة والطير». اما الحاج خليفة فدعاها في كشف الظنون (٣ : ٤١٨) «رسالة الطير» ليس الّا. وهذا الكتاب من ألطف ما وضعهُ الشيخ الرئيس يبيّن فيهِ حالة الانسان قبل تجرُّده من عالم الهيولى ثمّ حصولهُ على رؤية الحقيقة سبحانهُ وتعالى. وقد أبرز ذلك على صورة تخيليّة وهي رمز الطير يقع في شباك العدوّ ولا يزال يحاول النجاة منها الى أن يحظى بالخلاص بجدّهِ وثباتهِ

وهذه الرسالة كان سبق المستشرق الشهير الدكتور مهرن (Mehren) فنشرها في جملة رسائل أُخر لابن سينا وهي مطبوعة في مدينة ليدن سنة ١٨٩١ نقلًا عن اربع نُسخ وجدها في مكتبتي لندرة وليدن وقد اضاف الى اصلها العربي ترجمة افرنسيّة مع بعض شروح اخذها من تفسير فارسي لهذه الرسالة ألّفهُ عمر بن سهلان الساوجي وهو مصون في خزانة كتب لندرة (راجع الصفحة ٤٥٠ من قائمة كتبها العربيّة). على انّنا قد احببنا إعادة نشر هذه الرسالة في مجلّتنا لاسباب منها ان هذه الرسالة من الرموز اللطيفة التي يأنس بمثلها الشرقيون فضلًا عن انّها لرجل عظيم لهُ في قلوبهم مقام جليل. ومنها انّنا عثرنا على نسخة مضبوطة تصلح بعض الاغلاط التي وقعت في الطبعة اللَّيدنيّة او تضيف اليها روايات حسنة تزيد في فائدتها. ومنها ايضًا وهو اخصُّ الاسباب التي حدت بنا الى نشر هذه الرسالة اننا عثرنا برسالة ثانية للشيخ الامام محمَّد الشهير بالغزالي وسمها ايضًا باسم الطير وقد ذكرها الحاج خليفة في مجموعهِ الّا ان العلماء حتَّى الان لم يقفوا لها على اثر وسننشرها في عدد آخر ان شاء الله وقد قدّمنا رسالة ابن سينا ليتمكَّن القرَّاء من المقابلة بينهما

امّا هاتان الرسالتان فقد وردتا في مجموع رسائل ذكرناهُ غير مرّة في المشرق وعنهُ اخذنا كتاب مكارم الاخلاق للثعالبيّ (المشرق ٣ : ٢٨) وكتاب السياسة للفارابي (٤ : ٦٤٨)

(61v) 

مقدّمة

قال [الشيخ ابن سينا] اكرم الله مثواه: هل لاحد من اخواني في ان يَهَب لي من

سمعه قدرَ ما أُلقي عليهِ (١ طرَفًا من اشجاني (٢ عساهُ ان يتحمَّل عني بالشركة بعض أعبائها فانَّ الصديق لن يهذّب عن الشوب اخاهُ ما لم يَصُنْ (٣ في ضرَّائك وسرَّائك صفاءهُ. وانَّى لك بالصديق الماحض وقد جُعلَتِ (٤ الخلَّةُ تجارةً يفزع اليها اذا استدعت القلوبَ (٥ الى الخليل داعيةُ (٦ وطرٍ وتُرفض مراعاتها اذا حدث الاستغناء (٧ فلن يُزار رفيق الَّا اذا زارت عارضةٌ ولن يُذكر خليل الَّا اذا ذُكرت مأربةٌ اللهمَّ الَّا اخوانٌ جمعتهم القرابة الالهيَّة وألَّفت بينهم المجاورة العلويَّة فلاحظوا (٨ الحقائق بعين البصيرة وجلوا دَرَن (٩ الشكّ عن السريرة فلن (١٠ يجمعهم الَّا منادي الله

ويلكم اخوان الحقيقة بأْتوا وتضامُّوا (١١ وليكشفنَّ كلُّ واحدٍ منكم لاخيهِ الحجُب عن خالصة لبِّهِ ليطالع بعضكم بعضًا ويستكمل (١٢ بعضُكم ببعض. ويلكم اخوان الحقيقة تقبَّعوا كما يتقبَّع (١٣ القنافذ فأعلنوا (١٤ بواطنكم وأبطنوا ظواهركم فبالله انَّ الجليَّ لباطنكم وانَّ الخفيَّ لظاهركم

ويلكم اخوان الحقيقة انسلخوا عن جلودكم انسلاخ الحيَّة ودبُّوا دبيب الديدان (١٥ وكونوا عقارب اسلحتُها في اذنابها فانَّ الشيطان لن يُراوغ الانسان الَّا من ورائهِ. وتجرَّعوا الذُّعاف تعيشوا واستحبُّوا الممات تحيوا. وطيروا ولا تتخذوا وكرًا تنقلبون اليهِ فانَّ مصيدة الطيور اوكارها. وان صدَّكم عوز الجناح فتلصَّصوا تظفروا فخير الطلائع ما قوي على الطيران. كونوا نعامًا تبتلع (١٦ الجنادل المحماة (١٧ وافاعي تسترط العظام الصلبة وسمادل تغشّ الضرام على ثقة (١٨ وخفافيش لا تبرز نهارًا (١٩ فخير الطيور خفافيشها

* دللنا على نسخة ليدن بحرف (ل) وعلى الروايات الواردة في هامش نسختنا بحرف (ه) وعلى النسختين بالحرفين معًا (ل. ه)

١) ه: ألقي اليهِ
٢) ل: اشجاني وهو تصحيف ٣) ه: يَصفُ ٤) ل: جعلتَ
٥) ل ه: استدعتهُ ٦) ه: من داعية ٧) ه: اذا عرض للاستغناء قدرٌ
٨) ل: ولاحظوا ٩) ل و ه: وجلوا وسخ ورَين ١٠) ه: فلم
١١) ل: وتصابوا ١٢) ل: وليستكمل ١٣) ل: تقنَّعوا . . . يتقنَّع
١٤) ل: وأعلنوا ١٥) ه: دبيب النمل
١٦) ه: تلتقم. ل: تلتقط. شبَّه الانسان الروحي في انتصارهِ على الشهوات بالنعام الذي يبتلع الحديد والحجارة ١٧) ل: المُحمَّيات والحمية
١٨) كان القدماء يزعمون انَّ السَّمندل (salamandre) يحيا في النار
١٩) كما انَّ الخفافيش لا تطير في النهار كذا الانسان الروحي يهرب من عشرة البشر

ويلكم اخوانَ الحقيقة أغبى الناس (١ من يجترئ على غدهِ وافشلُهم من قصّر عن أمدهِ. ويلكم اخوانَ الحقيقة لا غرو (٢ إن اجتنب ملاكٌ سوءاً او ارتكبت بهيمةٌ قبيحاً بل العجب من البشر اذا استعصى على الشهوات وقد صِيغ (٣ على استئثارها صورتهُ او بذل لها الطاعة وقد نُوِّر بالعقل جبلّتهُ. ولعمر الله (٤ بذّ (٥ الملاكَ بشرٌ عند زيال الشهوة فلم تزلَّ قدمهُ (62r) عن موطنهِ فيهِ وقصّر عن البهيمة انسيٌّ لم تنفِ قواه بدزء شهوةٍ (٦ تستدعيه. وأرجعُ الى رأس الحديث فاقول:

قصّة الطير

برزت طائفةٌ تقتنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشَّرَك وهيّأوا الطُّعْم (٧ وتواروا في الحشيش (٨ وانا في سِربة طير اذ لحظونا فصفروا مستعدين لنا فاحسَنّا بخصبٍ واصحابٍ ما تخالج في صدورنا ريبة ولا زعزعتنا عن قصدنا تهمة. فابتدرنا اليهم مقبلين وسقطنا في خلال الحبائل اجمعين. فاذا الحلَق تنضمُّ على اعناقنا والشَّرَك تتشبّث باجنحتنا والحبائل تتعلّق بارجلنا ففزعنا الى الحركة فما زادتنا الّا تعسيرًا (٩. فاستسلمنا للهلاك وشغل كلَّ واحد منّا ما خصّهُ من الكرب عن الاهتمام لاخيهِ (١٠ واقبلنا نتبيّن (١١ الحيَل في سبيل التخلّص زماناً حتى أُنسينا صورة امرنا واستأنسنا بالشَّرَك واطمأننّا الى الاقفاص

فاطّلعتُ ذات يوم (١٢ من خلال الشَّرَك (١٣ فلحظتُ رفقةً من الطير أخرجت رؤوسها واجنحتها عن الشَّرَك وبرزت عن اقفاصها تطير وفي ارجلها بقايا الحبائل لا هي تؤودها فتعصيها (١٤ النجاة ولا تبينها فتصفو لها الحياة فذكّرتني ما كنتُ أُنسيتهُ ونغّصتْ عليَّ ما أَلِفتهُ فكدتُ انحلُّ تأسّفاً او ينسلُّ روحي تلهّفاً فناديتهم من وراء القفص أن: أدنوا (١٥ مني توقفوني على حيلة الراحة فقد أعيتني اموري العويصة (١٦. فتذاكروا (١٧

١) ل: اغبى الناس. وهو غلط ٢) ل ه: لا عجب
٣) ل: وقد ضيّع. وهو غلط ٤) ه: وايم الله
٥) ل: بدّ. وهو غلط. وبذّ اي غلب ٦) ه: شهوتهِ التي
٧) : الاطعمة ٨) ل: العشب ٩) ه: تعسّرًا
١٠) ه: باخيهِ ١١) ه: على تبيّن ١٢) ه: يوماً ١٣) ل: الشبك
١٤) ل: فتصبّها. وهو تصحيف ١٥) ل ه: اقربوا
١٦) ل: فقد اعنتني (وهو تصحيف) طول المقام ١٧) ل: تذكّروا

خُدَع المقتنصين فما زادوا الّا نفارًا فناشدتهم بالخلّة القديمة والصحبة المصونة والعهد المحفوظ ما احلّ بقلوبهم الثقة ونفى عن صدورهم الريبة . فوافوني حاضرين فسألتهم عن حالهم فذكروا انهم أبتُلوا بما ابتُليتُ بهِ فاستيأسوا واستأنسوا بالبلوى . ثمّ عالجوني فنحّيت الحبال عن رقبتي والشرَك(١ عن اجنحتي وفُتح باب القفص وقيل لي : استغنم النجاةَ(٢ . فطالبتهم بتخليص رجلي عن الحلقة فقالوا : لو قدرنا عليهِ لابتدرنا اولًا وخلّصنا ارجلنا وأنى يشفيك العليل (٣ . فنهضت عن القفص اطير فقيل لي : انّ امامك بقاعًا لم تأمن المحذور الّا ان تأتي (٤ عليها قطعًا فاقتفِ آثارنا ننجُ بك ونهدِك الى سواء السبيل

فساوى بنا (62^v) الطيران بين صدَفي جبل الاله في وادٍ معشب خصيب بل مُجدب حريب(٥ حتى تخلّف عنّا جنابهُ وجزنا جيزتَهُ (٦ ووافينا هامة الجبل . فاذا امامنا ثماني شواهق تنبو عن قُللها اللواحظ وقال بعضنا لبعض : سارعوا فانّا لا (٧ نأمن الّا بعد ان نجوزها ناجين . فتعانقنا (٨ الشدّ حتى اتينا على ستّ(٩ من شواهخها(١٠ وانتهينا الى السابع . فلمّا تغلغلنا تخومَهُ قال بعضنا لبعض : هل لكم في الجمام فقد اوهنَنَا النصَب وبيننا وبين الاعداء مسافة قاصية . فرأينا ان نخصّ (١١ للجمام من ابداننا نصيبًا فان الشرود على (١٢ الراحة اهدى الى النجاة من الانبتات

فوقفنا على قلّتهِ فاذا جنان مخضرّة الارجاء [ممتدة الافياء (١٣] عامرة الاقطار مثمرة الاشجار جارية الانهار كثيرة الازهار يروي بصرك نعيمُها بصُوَر تكاد لبهائها تدهش العقول وتستبهت الالباب وتسمعك اغاني شجيّة والحانًا مطربة (١٤ وتُشمّك روائح لا يدانيها المسك الشّري ولا العنبر الطريّ . فأصبنا(١٥ من ثمارها وشربنا من انهارها وشممنا من ازهارها ومكثنا بها ريثما اطّرحنا الاعياء . فقال بعضنا لبعض : سارعوا فلا

١) ه : والشبكة ٢) ه . اغتنم باب النجاة
٣) ه : انّى يسقيك الغليل (كذا) ٤) ل : نأمن . . . تأتي
٥) ل : خريب ٦) ل : حيزتهُ . وهو تصحيف
٧) ل : فلن ٨) ل : فمانقتنا ٩) ل : ستّة
١٠) ه : شواهق ١١) ل ه : نحطّ ١٢) ه : الى
١٣) ورد هذا في الهامش ١٤) ل : مطربة لآذاننا ١٥) ل ه : فاكلنا

مخدعةً كالامن ولا منجاة كالاحتياط ولا حصن امنع من اساءة الظنون وقد امتدَّ بنا المقام بهذه البقعة على شفا غفلةٍ ووراءنا اعداؤنا يقتفون أقدامنا (١ ويتفقَّـدون مقامنا فهلمّوا نبرح ونهجر هذه البقعة وان طاب الثواء بها فلا طيب كالسلامة

فاجمعنا على الرحلة وانفصلنا عن الناحية وحللنا بالثامن منها فاذا شامخٌ خاض (٢ رأسُهُ في عنان السماء. تسكن جوانبــهُ طيور لم ألقَ اعذب الحانًا وأحسن ألوانًا واظرف صورًا واطيب عشرةً (٣ منها. ولمَّا حللنا في جوارها عرفنا من إحسانهــا وتلطُّفها وايناسها (٤ ايادي لم نقضِ (٥ بقضاء أهونها (٦. [وان قصرنا عليهِ مدَّةَ عمرنا بل استمددنا اليه اضعافًا (٧]

ولمَّا تقرَّر بيننا وبينها الانبساط اوقفناها على ما الم بنا فاظهرت المساهمة في الاهتمام وذكرت انَّ وراء هذا الجبــل مدينةً يتبوَّأها الملك الاعظم وايُّ مظلوم استعداهُ (٨ وتوكّل عليهِ كشف عنهُ الضرَّاء بقوَّتهِ ومعونتهِ. فاطمأننَّا الى اشارتها وتيمَّمنا (٩ مدينة الملك حتى حللنا بفنائها (١٠ منتظرين لاذنهِ ورضائهِ. فخرج الامر باذن الواردين (63^r) وادخلنــا قصرهُ فاذا نحن بصحن لا نضمن (١١ وصف رحبهِ. فلمَّا عبرناهُ رُفع لنا الحجاب عن صحن فسيح مُشرق استضقنا لديهِ الاول بل استصغرناهُ حتى وصلنــا الى حجرة الملك

فلمَّا رُفع لنا الحجاب ولحظ الملكَ في جمالهِ مُقلُنا َعلِقت بهِ افئدتنا ودهشنا دهشًا عاقنا عن الشكوى. فوقف على ما غشيَنا فردَّ علينا الثبات بلطفهِ (١٢ حتى اجترأنا على مكالمتهِ وعبَّرنا بين يديهِ عن قصتنــا فقال: لا يقدر (١٣ على حل الحبائل عن ارجلكم الّا عاقدوها واني منفذ اليهم رسولًا يسومهم ارضاءكم وإماطة السوء عنكم فانصرفوا مغبوطين

وهوذا (١٤ نحن الان في الطريق مع الرسول واخواني متشبِّثون بي يطلبون مني

---

١) ل: آثارنا ٢) ه: خاص ٣) ل: معاشرة
٤) ل: ممَّا تغمَّدتنا بهِ ٥) ل: لن تفي . ه: لم نفِ ٦) ه: ادونها
٧) جاء هذا في نسخة ليدن ٨) ه: استعدى بهِ ٩) ه: ويمَّمنا
١٠) ه: بفنائهِ ١١) ل: يتضمَّن ١٢) ل: بتلطُّفهِ
١٣) ل و ه: لن يقدر ١٤) ه: وها نحن ذا

حكاية بهاء الملك بين ايديهم وسأصفهُ وصفًا موجزًا فاقول: انهُ الملك الذي مهما حصَّلت في خاطرك جمالًا لا يمازجهُ قُبح وكمالاً لا يشوبهُ نقص صادفتهُ مستوفًى لديه. وكل كمال بالحقيقة فهو حاصل لهُ وكل نقص ولو بالمجاز منفيٌّ عنـهُ. كلُّهُ لحسنهِ وجهٌ ولجودهِ يدٌ. من خدمهُ فقد اغتنم السعادة القصوى ومن صرمهُ (١ فقد خسر الآخرة والدنيا (٢

وكم من اخٍ (٣ قرع سمعهُ قصَّتي فقال: اراك مسَّ عقلك مسٌّ (٤ او ألمَّ بك لَمَمٌ (٥ وما والله ما طرتَ بـل طار عقلك وما اقتُنصت بل اقتُنص لُبُّك انَّى يطير البشر او ينطق الطير كانَّ المرار قد غلب في (٦ مزاجك واليبوسة قد استولت على دماغك وسبيلك ان تشرب طبخ الافثيمون (٧ وتتعهد الاستحمام بالماء العذب الفـاتر وتستنشق بدهن النيلوفر وتترفَّه في الاغذية (٨ وتهجر السهر وتقلّ الفكر فانَّا عهدناك فيما خلا لبيبًا (٩ والله مطَّلع على ضمائرنا فانَّنا من جهتك مهتمَّة ولاختلال حالك مغتمَّة (١٠ ما اكثر ما يقولون واقلَّ ما ينجع وشرُّ المقال ما ضاع وبالله الاستعانة وعن النـاس البراءة ومن اعتقد عني هذا فقد خسر وسيعلم الذين ظلموا ايَّ مُنقلَب ينقلبون

تمت الرسالة الملقَّبة رسالة الطير للشيخ الرئيس ابي علي بن سينا ولله الحمد بلا غاية والصـلاة على رسولهِ خير البرَّية (ويليها في عددٍ قادم رسالة الطير للغزَّالي)

الزئبق معادنهُ وخواصُّهُ

نبذة للاب ر. ش. اليسوعي

افاد من البقاع مراسل جريدة البشير (في عددها الاخير الصـادر في ٢٣ ايلول) انهُ شاع على ألسنة القوم «خبر وجود آثار معدن من الزئبق في عين صوفر»... (قال) «وقد وجدوا ايضًا في موقع آخر من لبنان كمّيَّة كبيرة من الزئبق بينما كانوا يحفرون على

---

١) ه: حاد عنهُ ٢) ه: والاولى ٣) ه: صديق
٤) ل: مُسَّ عقلك مسًّا ٥) ه: ملمٌّ ٦) ل ه: على
٧) الافثيمون (ἐπίθυμον, cuscute) نبات شبيه بالصعتر يشربهُ من أُصيب بالمرَّة السوداء
٨) وزاد في ل: وتستأثر منها المخصبة وتتجنَّب الباه
٩) وجاء في ل: وشاهدناك فطنًا ذكيًّا ١٠) ل و ه: مختلَّة

الطريق الحديدي وقد زرتُ الموضع ولكن لا بدَّ من مواصلة البحث والحفر بنوع جدّي قبل الحكم باكتشاف معدن زئبقي » ثمَّ اقترح الكاتب الاديب على كتبة المشرق ان يتحفوا القراء « بما يلزم من الافادات عن الزئبق ومعادنهِ وقيمتهِ في التجارة وعن طبيعة الارض التي يوجد فيها وهل سبق لهُ اكتشاف في لبنان قبل هذا الاوان ». فلم نرَ ندحةً من كتابة فصل موجز في هذا الموضوع فنقول:

تاريخ الزئبق — الزئبق احد المعادن التي عرفها الاقدمون واسهبوا فيها الكلام. وكان اليونان يدعونهُ ὑδράργυρος والرومان hydrargyrum اي ماء الفضة. ولمَّا رأوا فيهِ من الخواص العجيبة ما لم يجدوهُ في غيرهِ من المعادن تأوَّلوا لبيان حقيقتهِ التأويلات الغريبة فكان اليونان يحسبونهُ ضربًا من الفضة كما يدلُّ عليهِ اسمهُ عندهم. وكذلك دعاهُ ارسطو χυτὸς ἄργυρος اي الفضة السائلة

امَّا السريان والعرب فقد جعلوا للزئبق مقامًا رفيعًا في فنّ الكيميا القديمة وتفنَّنوا في الاقاويل عن طبيعتهِ فاغربوا ما شاؤُوا. قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص٢٤٣): « يتولَّد (الزئبق) من اجزاء مائيَّة اختلطت باجزاء ارضيَّة لطيفة كبريتية اختلاطًا شديدًا بحيث لا يتميَّز احدهما عن الآخر ». ولاعتقادهم بخواصهِ العجيبة اتخذوهُ لتركيب الاكسير وتحويل المعادن الى الذهب على زعمهم. وكانوا يدعونهُ بالعبد الفرَّار يريدون انهُ يفرُّ من النار ويتطاير اذا جُعل عليها

حقيقتهُ وخواصهُ — قد ثبت اليوم عند ارباب الطبيعيَّات والكيميا الصادقة ان الزئبق جسمٌ بسيط كبقيَّة المعادن وانَّما يمتاز عنها بكونهِ سيَّالًا وهو ناصع البياض لا طعم لهُ ولا رائحة وهو لا يجمد الَّا اذا بلغ الدرجة ٤٠ تحت الصفر من الميزان المئوي ويغلي في الدرجة ٣٥٠ ثقلهُ النوعي ٣٫٦ وكثافتهُ ١٣٫٥٩٦. اذا بقي زمنًا طويلًا في الهواء تأكسد وظهر فوقهُ جُليدة من الصدأ ينحلُّ في جوهرهِ قسمٌ منها. امَّا اذا أُغلي فيتسارع اليهِ التأكسد وصار مسحوقًا احمر واذا زيد في احمائهِ تحوَّل هذا الاكسيد الى اكسيجين وبخار الزئبق. وهذا الدخان مضرٌّ بالصحَّة كما اشار الى ذلك العرب. قال ابن سينا: « بخار الزئبق يُحدث الفالج والرعشة ودخانهُ يُذهب البصر... والمصعَّد منهُ قتَّال وتهرب من دخانهِ الهوامُّ والحيَّات »

والزئبق يمتزج باكثر المعادن لاسيَّما الثمينة منها كالذهب والفضة على صفة « مُلغَمَة »

(amalgame) ولذلك ينبغي ابعادهُ عنها لئلا يتلفها بيد انهُ لا فعل لهُ على الحديد والپلاتين والالومينيوم. امَّا اكثر الحوامض عملًا فيهِ فالحامض الكبريتي والحامض الازوتي. واذا وُضع في الماء لم يذب الَّا اذا أُغلي فيهِ زمنًا طويلًا فيذوب منهُ قليل

معادنهُ يوجد الزئبق خاصَّةً في طبقات الارض المعروفة بالثانويَّة ولاسيما الصلصاليَّة منها ولا تخلو منهُ بعض الطبقات الثالثيَّة. امَّا هيئتهُ في حالتهِ الطبيعيَّة فتختلف فمنهُ ما يكون مائعًا خالصًا من اختلاط المعادن. قال ابن بيطار: « يوجد الزئبق في سقوف معادن الفضة مذرورًا جامدًا كأَنهُ قطر من الماء اذا تعلَّق ومن الناس من يزعم انهُ قد يوجد الزئبق في معادن خاصَّة ». ولكن وجودهُ خالصًا نادرٌ واكثر ما يوجد منهُ تراهُ مركَّبًا مع الكبريت والكلور واليود. واشهر تركيباتهِ تركيبهُ مع الكبريت ومنهُ يُستخلص كما سترى. ومن الزئبق ما يكون مُلغَمًا اي ممزوجًا بالفضة دون تركيب. ومعادنهُ كانت قديمًا في اذربيجان في كورة منها تدعى الشير كما روى الطبري. وذكر المسعودي معدنًا من الزئبق كان بالاندلس قال: « وليس هو بالجيد » وكان بلينيوس المؤرخ اشار قبلهُ الى معادن الزئبق في اسبانية وقال ان الرومانيين كانوا يستخرجون منها ما يبلغ وزنهُ نحو ٣٥٠٠٠٠ كيلوغرام من الزنجفر (اي كبريتور الزئبق)

امَّا معادن الزئبق الشهيرة في عهدنا فهي في اسبانية قرب مدينة على تخوم ولاية قرطبة تُدعى لذلك باسم « المعدن ». وموقع المدينة في وادٍ مخصب تتركَّب تربتهُ من الصخور المعروفة بالسيلوريَّة. ويُستخرج من هذه المعادن في كل سنة من ١٠٠٠ طن الى ١٢٠٠ يبلغ ثمنها نحو ٨٠٠٠٠٠٠ فرنك بسعر ثمانية فرنكات كل كيلو. وهذه المعادن قد ضمنها روتشيلد منذ سنة ١٨٦٧ وهو يستثمرها بدفع مبلغ معلوم للحكومة الاسبانيَّة

ومن معادن الزئبق الشهيرة معادن كاليفورنية في مدينة « المعدن الجديد ». يستخرج منها كميَّات وافرة من هذا الجوهر الثمين. ومنها ايضًا معادن « ادريا » في ايلرية يعدّنها الجرمون لكثرة اذى المعدن في الفعلة. ويوجد معادن اخرى من الزئبق في باڤارية والمجر والصين واليابان. امَّا وجودهُ في لبنان فلم يذكرهُ احد حتى الآن. الَّا ان ذلك ممكنٌ فان الزئبق ربَّما وُجد في طبقات من التُرَب شبيهة بلبنان وليس الزئبق مخصوصًا بالطبقات

الثانويَّة فقط. فاذا صحَّ الخبر كان لاهل بلادنا في تعدين الزئبق وسيلة جديدة للمعاش حقَّق الله الاماني. ولكنَّنا نظنُّ انَّ لا صحَّة لما شاع

استخراج الزئبق قلنا انَّ الزئبق لا يُرى عادةً في حالتهِ الخلقيَّة البسيطة وانَّما هو مخلوطاً ببعض الاجسام الغريبة. الَّا ان استخراجهُ لا يكون الَّا من مركَّباتهِ الكبريتيَّة وخصوصاً من سلفور او كبريتور الزئبق وهو المعروف عندنا بالزنجفر (cinabre) والعرب يدعون المصنوع منهُ باسمهِ اليوناني «قيناباري» امَّا المعدني او المخلوق فيسمونهُ زنجفرًا مع اتفاق النوعين بالتركيب الكيموي. والزنجفر كثير في الطبيعة واكثرهُ في الطبقات الثانويَّة. وهو اذا كان صافياً بنفسجي اللون ناصعهُ واذا سُحق رأيتهُ احمر قانئاً (١. والزنجفر يحتوي نحو ٨٠ في المئة من الزئبق والباقي كبريت»

اما استحضارهُ فبسيط جدًّا اهتدى اليهِ القدماء. قال ابن بيطار مستندًا الى ديسقوريدس: «يُصنع الزئبق من جوهر القيناباري على هذه الصفة تؤخذ طرجهارة (نوع من الآنية) من حديد وتُصيَّر في قدر نحاس ويُجعل في اتون ويُجعل في الطرجهارة قيناباري و يركَّب عليهِ انبيق ويطيَّن حول الانبيق ويوضع القدر على جمر فانَّ الدخان الذي يتصاعد على الانبيق اذا جُمع يكون زئبقاً»

وهذه الطريقة لاستحضار الزئبق قريبة من الطريقة الدارجة في ايَّامنا المعروفة بطريقة التقطير فانهم يجعلون مع الزنجفر مقدارًا من الجير فاذا وُضع على النار اتحد كبريت الزنجفر مع الجير. فاستحال الى كلس والى كبريتور الكلسيوم وتطاير الزئبق. وللمحدثين طريقة أُخرى تدعى طريقة التحميص وذلك بان يحمَّص الزنجفر في أفران مخصوصة فيتحوَّل كبريت الزنجفر الى حامض كبريتي بمماسَّة الهواء ويتطاير الزئبق بخارًا ثمَّ يُجمع في آنية خصوصيَّة ليتكاثف وينظَّف ممَّا يختلط بهِ من الغازات ثمَّ يوضع في آنية من الزجاج او الخزف

استعمال الزئبق استعمالات الزئبق اكثر من ان تُعدَّ نجتزئ بذكر البعض منها

---

١) اعلم ان الزنجفر يشبه كثيرًا اوكسيد الرصاص او المينوم (minium) وقد خُدع القدماء من اليونان والعرب بهذا التشابه ولذلك تراهم يسمُّون الزنجفر سهوًا «مينيون»

يُستعمل الزئبق في تجهيز ادوات عديدة يحتاج اليها علماء الطبيعة كمقياس ثقل الهواء (بارومتر) وميزان حرارتهِ (ثرمومتر) كما مرَّ في المشرق (١: ٨٩٢ و ٢: ٣٥٩) وميزان تمدُّد الغازات (المانومتر) وغير ذلك. ويستعملهُ الكيمويُّون لجمع الغازات التي تنحلُّ في الماء ويتخذونهُ لتحليل المعادن التي لا تقوى الحوامض على تحليلها

امَّا الصناعة فانَّها الى الزئبق في حاجة ماسَّة تلتجئ اليهِ في احوال كثيرة. منها تنقية الذهب والفضة من اخلاطهما وذلك انَّ المعدّنين بعد جمع سبائك هذين المعدَنين يلقونها في الزئبق فيلْغَم الذهب والفضة بالزئبق وتنفصل الموادّ الغريبة ثمَّ يفصل المعدنان عن الزئبق بواسطة التقطير

ومنها ايضاً استعمال الزئبق في تصفيح المرايا وذلك بان يُجعل على احد وجهي الزجاج صفيحة رقيقة من الزئبق المُلغَم بالقصدير فيصير الزجاج مرآة تعكس النور وصور المرئيَّات

ومنها ايضاً استعمالاتهُ الطبيَّة كان الاقدمون يستعملونهُ بالطلي في معالجة الجرَب والحكَّة والقروح ولقتل الهوام والحلَميَّات. وربَّما كانوا يداوون بمركَّبات الزئبق لاسيما الزنجفر يتخذونهُ لادوية العين ومعالجة العفونات ودَمل الجراحات. والطب الحديث يلتجئ اليهِ ايضاً في بعض الاحوال خصوصاً في وجع الامعاء المؤلم (ileus) لكنَّ الاطبَّاء يعدلون عن استعمالهِ في الغالب لما في ابخرتهِ من القوَّة السامَّة

وقد حاول بعض الزراعيين استعمال الزئبق في الفلاحة لقتل الهوام التي تُفسد الزروع واتخذها بعضهم لحفظ دوالي الكرم من الفيلوكسيرا وقد اصابوا في ذلك شيئاً من النجاح الَّا انهم وجدوا انَّ الزئبق يسري الى عروق الجفنة ومنها الى الثمر فيمكن التسمُّم بهِ

وللزئبق مركَّبات عديدة كما اسلفنا ولكلّ منها بعض اعمال مفيدة في العلم او الصناعة كتركيب ألوان التصوير اخصُّها صنف من القرمز وكالسلياني وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ ويُخرجنا عن الحدود التي تحرَّيناها وفي ما سبق كفاية للجواب على ما اقترح علينا جناب الكاتب حفظهُ الله



ملكوت السماوات ومعناها في انجيل متّى

للاب مرسال شوسّا اليسوعي مدرّس الفلسفة

قرأنا في الجزء الثاني من قاموس الكتاب المقدَّس الذي نشرهُ حديثًا الدكتور جورج پوست ما كتبهُ في شرح لفظة « ملكوت السماوات » قال (ص٣٧٥):

ان عبارة ملكوت السماوات تفيد عدَّة معانٍ: حياة التقوى في القلب (مت ٦: ٣٣) والنظام الذي اتى المسيح لينظمهُ (مت ٤: ١٧ و ١٣: ١١) وتنقُّل شعب اسرائيل حسب اختيار الله (مت ٢١: ٤٣) ومجد المسيح وتسلُّطه (مت ٦: ٢٨) وسلطان الله على الكل (مت ٦: ١) والحالة السمويَّة (مت ٨: ١١).... اماَّ الكنيسة المنظورة فليست الملكوت غير انَّها تشبههُ وهي نظير مدرسة تعلّم اعضاءها كيفيَّة هذا الملكوت والاستعداد لهُ واماَّ الكنيسة غير المنظورة فهي ملكوت السماوات »

فرأينا في هذا الشرح ما لا يوافق الواقع ولذلك احببنا ان نعمل النظر في هذه العبارة لنقف على معناها الاصليّ ومعانيها الثانويَّة المشتقَّة منها فنقول:

ان عبارة « ملكوت السماوات » وردت في الاسفار المقدَّسة ٣٢ مرَّةً وما يُقضى بهِ العجب انَّها وردت في انجيل القديس متَّى وحدهُ فلا ترى لها اثرًا في غيرهِ من المبشّرين. وانَّما جاءت على صورة أُخرى في اسفار العهد الجديد فيقال « ملكوت الله » او « ملكوت الآب ». فينبغي اذن وفقًا لقوانين تفسير الكتاب ان نبحث عن معنى كلّ لفظة بمفردها ثم عن معناها الاضافيّ ونقابل بين هذه العبارة وبين النصوص الشبيهة بها الواردة في الاسفار المنزلة فضلًا عن مراعاة لغة الكتبة ولغة الجمهور

ونقدّم اولًا شرح لفظة « السماء » في قولهِ « ملكوت السماوات » لنتَّسع بعد ذلك في تفسير كلمة « الملكوت » فنقول:

يراد بالسماء في عرف الشعوب اجمالًا وبلفظهِ العربي خصوصًا ما سما فوق رأسنا اي ارتفع من شبه قبَّة زرقاء مرصَّعة بالكواكب تمتدُّ الى الآفاق. ثمَّ تصوَّر الناس انَّ عرش الله ومقامهُ وراء هذه القبَّة لحسنها وسموّها فقالوا انهُ تعالى يسكن السماء (مزامير ٢: ٤) وقال يعقوب اذ نظر في الحلم سُلَّمًا منتصبة على الارض ويستند رأسها الى قبَّة السماء والرب واقف فوقها (تك ٢٨: ١٧): « ما اهول هذا الموضع ما هذا الَّا بيت

الله هذا باب السماء » ومن ثمَّ نسبوهُ عزَّ وجل الى السماء فدعوه « إله السماء » او « إله السماوات » (تك ٢٤ : ٧ و ٢ تث ٣٦ : ٢٣)

ثمَّ اقتصر النـــاس على اسم السماء او السماوات فدعوا بهِ الرب الإله على طريقة المجاز المرسل كما هو جارٍ في اصطلاح كلّ الشعوب . ألا ترانا نقول مثلًا : « انتصرت فرنسة على العدوّ » ونحن نريد اهل فرنسة . ونقول : « حكم عليهِ المجلس » اي اصحابهُ فكذلك دُعي سبحانهُ وتعـالى باسم السماء ونحن نريد « مَلِك السماء » . مثال ذلك ما جاء في سفر دانيال (٤ : ٢٣) حيث انذر النبيُّ نبوكدنصَّرَ بالعقاب قال : « ان ملكك يُبقى لك بعد ان تعلم ان السلطان للسماوات » يريد ان السلطان لله فعبَّر عنهُ بالسماوات. ومثل هذا ليس بنادر في الاسفار الالهيَّة (راجع سفر المكابيين الاوَّل ٣ : ٥٠ و ٤ : ١٠) وهو يوافق كلَّ تفاسير المفسرين و ينطبق على الاستعمال اللغويّ

وعليهِ ترى ان للفظة السماء معنيين معنًى حقيقيّ وهو ما تنظرهُ العيان كأنَّ اليه نيطت الكواكب يتخيَّلهُ البشر كمسكنهِ تعالى . ومعنًى مجازيّ يُراد بهِ اهل السماء وخصوصاً الرب تبارك اسمهُ

فهلمَّ بنا الآن نُمعن النظر في معنى لفظة الملكوت . ولمَّا كانت هذه اللفظة في العربيَّة توافق وزنًا ومعنًى الكلمة العبرانيَّة מלכות والسريانيَّة ܡܠܟܘܬܐ دعنا نتبيَّن ما كتبهُ العرب في معجماتهم عن هذه اللفظة . قال ابن الاثير في النهاية : « الملكوت اسم مبنيّ من المُلك كالرهبوت من الرهبة والجبروت من الجبر » وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (ص ١٣٣٩) : « الملكوت صيغــة المبالغة بمعنى المُلك والملك هو التصرُّف الصحيح بالاستعلاء » وقال في القاموس : « ان الملكوت العزّ والسلطان » . قال في التاج : « يُقال ملكوت العراق وملكهُ اي عزُّهُ » وقال في مفردات الراغب : « والملكوت مختصَّة بملك الله عزَّ وجلّ » وشرح اللحياني قولهُ « وبيده ملكوت كل شيء » اي سلطانهُ وعظمتهُ

فيتبيَّن من هذه الآراء انَّ الملكوت مرادفة للفظة المُلك وانَّ لها كل معانيها . وان سأل سائل وما هي معاني لفظة المُلك قلنا انَّ للملك ثلاثة معاني : الاول المملكة اي تخوم معلومة يملك عليها الملك وفي هذا المعنى يُضــاف الى اسم علم شخصيّ والى اسم مكان او اسم شعب . فنقول مثلًا : مُلك يهوذا وملك ايطالية وملك الكلدان اي البلاد التي يحكم عليها يهوذا ومَلِك ايطالية والكلدان

ويلحق بهذا المعنى الاول للملك معنًى آخر مجازي يراد بهِ اهل المملكة والشعب الخاضع لحكم الملك كما قلنا سابقًا عن السماء انهُ يعني ايضًا صاحب السماء

والمعنى الثاني للمُلك هو مشتقٌ من هذا المعنى الاول ويدلّ على إمرة الملك وتدبيرهِ لمملكتهِ وسياستهِ لرعيَّتهِ وبهذا المعنى لا يضاف الّا لعلَم شخصي فتقول: «مُلك داود ومُلك المسيح» تريد تملُّكهما ورعاية دولتهما. ولهذا المعنى الثاني ايضًا معنًى استعاري اذ تُضاف لفظة المُلك لبعض اسامي المعنى فيُقال مثلًا: «مُلك النعمة وملك الخطيئة» اي تسلُّطهما. وكذلك نقول «مُلك الحب» اي نفوذهُ وسيطرتهُ

امَّا المعنى الثالث للفظة المُلك فهي السلطة الملكيَّة والعزّ والسلطان. وهذا المعنى كثير في العربيَّة وغيرها. ويُستعار للدلالة على اُبهة المُلك وجاههِ

فهذه المعاني الثلاثة للمُلك مرتبطة ببعضها يشتقُّ احدها من الآخر اشتقاقًا طبيعيًا

واذا اعتبرتَ لفظة «الملكوت» رأيت لها معاني «المُلك» الثلاثة الّا انها مختصة بالله عزَّ وجلَّ كما سبق عن الراغب الاصفهاني. وربَّما وردت في غيرهِ تعالى كما جاء في القاموس حيث قال «ملكوت العراق» اي ملكهُ. ويؤيد اطلاقها على ما سوى الله ان السريان والعبرانيين يستعملونها كذلك واللفظة العربيَّة مأخوذة من العبرانية والدليل عليهِ ان وزن «فعَلوت» ليس بعربي كما اقرَّ بذلك اهل اللغة

فلنَعُد الآن بعد هذه المقدمات الى تفسير عبارة «ملكوت السماوات» فنقول ان لفظة «الملكوت» بنسبتها الى «السماوات» انحصر معناها وتقيَّد فلم تَعُد تُطلق على المعنيين الاخيرَين بل على المعنى الاوَّل فقط لاضافتها الى اسم مكان. وقد قلنا في تفسير معنى «السماوات» انها تدلّ على مكان وخصوصًا على مسكنهِ تعالى عزَّ وجل. فقولنا اذن «ملكوت السماوات» يراد بهِ المكان الذي فيهِ مُلك الله عزَّ وجلّ او المُلك الذي هو في السماء. وهذه العبارات مرادفة لقولنا «الملكوت السماوي» كما انَّ قولنا «مملكة فرنسة» و «المُلك الفرنساوي» عبارتان مترادفتان

واذا تصفَّحنا انجيل القديس متى حيث وردت هذه العبارة وجدنا انَّ كثيرًا من الآيات التي تتضمَّنها يراد بها هذا المعنى اي الملكوت السماوي او السماء حيث يملك الله عزَّ وجل بين اوليائهِ. قال البشير المذكور في الفصل السابع (ع ٢١) عن لسان الرب:

« ليس كلُّ من يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات »

فمن تبيَّن هذه الآية يجد ان المراد هنا محلٌّ مخصوص لا يبلغهُ سوى الابرار الذين يتمّمون ارادة الله. ويظهر ذلك من لفظة « الدخول » التي استعملها ومن قرينة الكلام السابق حيث قال الرب: « ادخلوا من الباب الضيّق لانهُ واسع الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي الى الهلاك... ما اضيق البـاب وأحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة.. » فبيِّن جليًا ان المراد بملكوت السماوات هو مكان الحياة الذي يملك فيهِ تعالى مع الصالحين

وكذلك جاء في متّى (٨: ١١—١٢): « اقول لكم ان كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات امَّا بنو الملكوت فيُلقَون في الظلمة البرانيَّة هناك يكون البكاء وصريف الاسنان » فذكرهُ للظلمة البرانيَّة وللبكاء وصريف الاسنان لم يُبقِ شكًّا في انَّ المراد بملكوت السماوات مقام الله واوليائهِ في السماء اذ قابل بين حالة المختارين المنعّمين في السماء وحالة الهالكين المعاقبين في الجحيم

وكذلك ايضًا في الفصل التاسع عشر (ع ٢٣) قال الرسول عن لسان الرب: « انهُ يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات » وهنا يراد بملكوت السماوات بلا شك السماء ومقام الله مع قديسيهِ. يدلُّ على ذلك ما يتقدم هـذه الآية وقد اخبر المبشّر ان شابًا غنيًا جاء الى يسوع وطلب منهُ « ماذا اعمل من الصلاح لأرث الحياة الابديَّة » اعني انهُ سألهُ ما هي الطريقـة لكي يحظى بالسماء. ولمَّا اشار اليهِ المسيح ان يبيع كل مالهِ ويتبعهُ ليكون لهُ كنز في السماء ذهب الشاب كئيبًا فحينئذٍ قال الرب: « انهُ يعسر على الغني ان يدخل ملكوت السماوات »

فكل هذه النصوص وغيرها ايضًا تدلّ بنوع واضح على انَّ عبارة « ملكوت السماوات » في بشارة القديس متّى تـدلُّ على السماء والملك الابدي الذي لا يدخلهُ الَّا الذي يتمّمون ارادتهُ تعالى ويتجرَّدون من حبّ الغنى ويمارسون العفة ويخصون انفسهم من اجل ملكوت السماوات (متى ١٩: ١١) ويعملون غير ذلك من الاعمال الصالحة التي تؤهل الانسان للدخول في الحياة الابديَّة

*

وهذا المعنى الاول قد سلَّم بهِ الدكتور يوست في النص الذي ابثتناهُ عنهُ. ولكن الذي انكرهُ جنابهُ انَّ عبارة ملكوت السماوات لا يراد بها الكنيسة المنظورة. وقولهُ هذا يوافق تعاليم اصحاب الاصلاح الموهوم الذين ينكرون ان المسيح اقام جماعة منظورة على الارض وسلَّم لبعض افرادها سياسة المؤمنين

فلكي نبطل هذا الزعم يقتضي علينا ان نبيّن ان عبارة «ملكوت السماوات» تدلُّ حقيقةً ايضاً على معنًى آخر صحيح اي على ملك المسيح المنظور وعلى الجماعة التي اقامها على الارض وسلَّم مقاليد سياستها الى هامة الرسل بطرس الصفا فنقول:

قلنا في شرح لفظة السماء ان من معانيها الثابتة في الكتاب الكريم « صاحب السماء » كما يُقال «بيت فلان » اي اهلهُ واصحابهُ على طريقة المجاز المرسل. فينتج من ذلك ان قولنا « ملكوت السماوات » يمكن تأويلها ايضاً بمعنى « ملكوت إله السماوات» او « ملكوت الله » وهذا ايضاً لا ينكرهُ علينا احد ويسهل اثباتهُ بالانجيل الطاهر فاننا اذا قابلنا بعض اقوال الرب التي اوردها القديس متى مع أقوالهِ كما ذكرها القديسان مرقس ولوقا وجدنا ان هذين المبشرين بدلًا من « ملكوت السماوات » يرويان « ملكوت الله » فان قول متّى مثلًا (٣ : ٢): « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » جاء في مرقس (١ : ١٥): « قد اقترب ملكوت الله فتوبوا » وكذلك قول الرب في متى (٥ : ٣): « طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات » ذكرهُ لوقا (٦ : ٢٠): « طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله »

ولكن ان كانت عبارة « ملكوت السماوات » مرادفة لعبارة « ملكوت الله » لا بدَّ من القول ان لكلتيهما معنى مُلك الله المنظور وخصوصاً ملك المسيح بواسطة كنيستهِ. ولبيان ذلك يقتضي ان نذكّر القراء ان الشعب اليهودي قبل مجيء ابن الله كان ينتظر بفروغ الصبر مُلكاً منظورًا وعدتَ بهِ الانبياء المسيحَ ابن داود مع شعبهِ المختار. قال دانيال (٢ : ٤٤) بعد ذكرهِ الممالك التي تقوم بعد المملكة البابليَّة: « وفي ايام هؤلاء (اي الرومان) يقيم إله السماء مملكةً لا تنقضي الى الابد ومُلكهُ لا يُترك لشعب آخر فتسحق وتفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد » وقال في فصل آخر (٧ : ١٣— ١٤): « ورأيتُ . . فاذا بمِثل ابن البشر . أُوتي سلطانًا ومجدًا وملكاً فجميع الشعوب

والامم والألسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض ». وكان قبل دانيال بشّر بذلك غيرهُ من الانبياء كاشعيا وحزقيال وارميا وهوشع وميخا وزخريّا ووصفوا مُلك المسيح وصفاً مدقّقاً لا يُبقي ريباً في انهُ سوف يكون مُلكاً منظورًا يظهر في شعب يختاره الربُّ ويقدّسهُ ويختصهُ بنفسهِ

واذا فتحنا الانجيل وجدنا ذكر هذا المُلك في اوَّل صفحاتهِ قال الملاك للعذراء (لوقا ١ : ٣١): « تلدين ابناً تسمينهُ يسوع . . وسيعطيهِ الرب الإله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء ». وهذا المُلك لم يسكت عنهُ المسيح عند كرازتهِ لليهود بل تراهُ اول ما يبشّرهم بهِ ويقول لهم: « توبوا فقد اقترب ملكوت الله » ويسمّي انجيلهُ « انجيل المُلك » (راجع متى ٤: ٢٣ و ٩: ٣٥ ومرقس ١: ١٤). فترى من ذلك موافقةً تامّة بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد فكلاهما يذكر مُلكاً للمسيح منظورًا ليس فقط خفيًا في القلوب وان كان هذا المُلك روحيًا لا زمنيًا كما كان يتخيّلهُ اليهود. وما هذا المُلك الّا ما يدعوهُ القديس متى « ملكوت السماوات » ويدعوهُ سائر الانجيليين « ملكوت الله » اعني بهِ كنيسة المسيح التي انشأها ليجعل فيها ملكهُ الى الابد

ويظهر هذا من عدّة آيات ورد فيها ذكر « ملكوت السماوات » او « ملكوت الله » ممّا لا يمكن فهمهُ الّا عن هذه مملكة المسيح الارضيّة والروحيّة معاً اي الكنيسة المقدّسة. قال عزَّ من قائل (متى ٢٥: ١ و٢): « يُشبه ملكوت السماوات عشر عذارى.. خمسٌ منهنَّ جاهلات وخمسٌ حكيمات. الخ». فترى من قرينة المعنى ان عبارة « ملكوت السماوات » لا تُطلق هنا على السماء مقرّ الطوباويين لان السماء لا يدخلها غير الابرار ونرى بخلاف ذلك في الآية المذكورة عذارى جاهلات يطردهنَّ الرب من بيت العرس المكنّى بهِ عن مقام القديسين فليس الكلام اذن هنا عن السماء. وان استقرينا بقيّة معاني هذه العبارة كما ذكرها الدكتور پوست في قاموس الكتاب المقدّس لا نجد لها معنى يوافقها هنا الّا ان نقول انَّ المراد بها هنا كنيسة الله المنظورة. وهو رأي القديس توما شمس المدارس في تفسيرهِ لهذه الآية ورأي القديس غريغوريوس اللاهوتي كما سترى

وقال ايضاً الرب لذكره السجود (متى ١٣: ٢٤): « يشبه ملكوت السماوات رجلًا

زرع زرعاً جيدًا في حقلهِ . . . فجاء عدوّه وزرع في وسط القمح زوءانًا ومضى الخ) ثمَّ قال في شرح هـذا المثل (١٣ : ٣١) ان في وقت الحصاد اي يوم الدينونة سيرسل الحصَّادون اي الملائكة ليفرقوا بين القمح والزؤان « فيجمعون من مملكتهِ كلَّ الشكوك وفاعلي الاثم ويلقونهم في اتون النار ». فمن البديه ان عبارة ملكوت السماوات هنا لا تدل على دار الخلود وانّما المراد بها كنيسة المسيح التي تحوي صالحين وطالحين فيُفرز بينهم يوم الدين. قال القديس غريغوريوس اللاهوتي في شرح مثَل العذارى: « كيف استطاع الرب ان يشبّه ملكوت السماوات بعذارى حكيمات وجاهلات ونحن نعلم انّ السماء لا يدخلها احد من الأثمة الخاطئين ؟ ولكن علينـا ان نعلم انهُ يراد في الاسفار المقدَّسة مرارًا عديدة باسم « ملكوت السماوات » الكنيسة الحاضرة وعنها قد قيل في آية أُخرى: يُرسـل ابن البشر ملائكتهُ ويجمعون من مملكتهِ الشكوك. والشكوك كما لا يخفى لا يمكن وقوعهُ في دار النعيم » انتهى كلامهُ

وكذلك شبَّه السيد المسيح (متى ١٣ : ٤٧) « ملكوت السماوات بشبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كل جنس من جيد ورديء ». وهذه الشبكة ليست الَّا الكنيسة التي اتخذ لها المسيح رسلهُ كصيَّادين يصطادون البشر ومن هؤلاء اخيار وأشرار يميّزهم الله يوم الدينونة وقد نصَّ على ذلك الآباء والمفسّرون

وكذلك شبَّه (متى ١٣ : ٣١) « ملكوت السماوات بحبـة خردل » صارت شجرةً كبيرة تستظل تحت اغصانها طيور السماء. أفلا يظهر لكل ذي عينين ان المراد هنـا ليس السماء حيث السعادة دائمةٌ لا يطرأ عليها تغيير بل الكنيسة التي ظهرت في اول امرها صغيرة في اورشليم ثم امتدت الى اقاصي العالم فاستظل بها جميع الامم

وكذا قل عن امثال اخرى ورد فيها ذكر ملكوت السماوات ضربها الرب للدلالة على كنيستهِ المنظورة كمثل الملك الذي يجمع عبيده ليؤدوا لهُ الحساب (متى ١٨ : ٢٣) ومثل رب البيت الذي خرج صباحاً ليستأجر عملةً (متى ٢٠ : ١) ومثل الملك الذي ارسل يدعو المدعوين لعرس ابنهِ (متى ٢٢ : ٢) وفي كل هذه الامثال لا يُراد بملكوت السماوات سوى كنيسة المسيح التي يصفها الرب بصفات متنوّعة فتارة يمثل رأسها وتارةً اعضاءها ومرةً تعليمها وطورًا الوسائط التي تقدّس بها النفوس كالنعمة والاسرار حتى انهُ لو جمعنا بين هذه الصفات كلها لوجدنا انهُ لا ينقص سمةٌ من سمات الكنيسة الواحدة الجامعة

المبنيَّة على صخرة الايمان الثابتة . وهذه هي الكنيسة التي قامت بدلًا من الشعب اليهودي المستلم كنز « ملكوت الله ». قال الرب لليهود (متى ٢١ : ٤٣) : « اقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تصنع ثمرهُ » فبيَّن بنوعٍ جليّ ان الكنيسة صارت ملكوت الله وورثت هذه الرتبة بعد ان رذل الرب شعبهُ وريثهُ الاول لما وجد فيهِ من كثرة الآثام وعدم الاهليَّة

وخلاصة القول ان عبارة ملكوت السماوات تدل اصلًا في انجيل متى على السماء ودار الخلد حيث يملك الله مع اوليائهِ . ولكن لها معنًى آخر ثابتٌ صحيح وان كان مشتقًّا من المعنى الاصليّ اعني انها تدل على كنيسة المسيح والبرهان الاول على ذلك ترادُفها لعبارة « ملكوت الله » الدالة في أحوال كثيرة على هذه الكنيسة . والبرهان الثاني نصوص وآيات عديدة لا يمكن اطلاقها على السماء بل على الكنيسة . والبرهان الثالث اتفاق الآباء على هذا الشرح والبرهان الاخير ان المسيح جعل الكنيسة في مقام الشعب اليهودي وسلَّم اليها بدلًا منهُ « ملكوت الله » . وفي هذا يُنقض قول صاحب قاموس الكتاب المقدس الذي نكر كون الكنيسة المنظورة هي ملكوت السماوات . والسلام

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ومضت ثلاثة أيام على المريضة ونُوَب الانحطاط والاضطراب تتعاقب عليها دون ان يحدث تغيير محسوس في حالتها العموميَّة لانّ أدوار الهذيان كانت دائمًا تتجدَّد عليها بلا اختلاف في اعراضها

وبينما كان زين ساهرًا في ذات ليلة على امرأتهِ اخذتها نوبةٌ شديدة وصوَّرت لها الحمى انها لم تزل تائهة تحت البرَد والمطر في تلك الطرق المستوعرة التي مرَّت بها ثم اعاد الوهم على ذهنها زيارتها للاب يوحنا ذاك الشيخ البارّ فاخذت تبسط لهُ ادلَّة حبَّها لزوجها بلهجة من الاخلاص كانت لها حركة عظيمة في قلب زين واخيرًا تمثَّلت لها مقابلتها الاخيرة

لحبيس بحيرة قدَس فهتفت قائلةً: «اسمح لي ايها الاب القديس ان اقول لزين باني مشتعلة بمحبَّتهِ ولن قلبي ما نبض قط الَّا لاجلهِ... أفتسمح لي بهذا يا ابي... اني أطيع هذه المرَّة ايضاً فباركني وصلِّ خاصة من اجلي. زوّدني بدعائك...»

وبعد هذه الكلمات حاولت ان تنهض وهي لا تعي فأعانها زين على القيام ولكنها ما لبثت ان وقعت على فراشها خائرة القوة

وفي ذات مساء بعدما أصابتها احدى هذه النوبات المؤلمة اخذ زين يقول في نفسهِ: «ما اعظم محبَّتها لي» وما كان غير قليل حتى تذكَّر ذاك اليوم السعيد الذي تلا بركة قرانهما من يد الاب يوحنا وما اظهرتهُ لهُ راحيل من الحب الممتزج بالاجلال والاكرام. وكان هذا التذكار حلوًا مستعذبًا لانهُ أعاد على خاطرهِ صورة السعادة الهادئة الحقيقيَّة ومثَّل لهُ الاتحاد الباطني بين قلبين ما كان يتحرَّك احدهما الَّا للاخر

غير انهُ بعد ذلك تفكَّر كيف انقلب فجأةً ذاك الاتحاد الوثيق الى حذر وكيف ان كل واحد من الاثنين صار بالنسبة الى الآخر كشخص غريب. ولو ان زيناً امعن النظر في الامر ودقَّق قليلًا لعرف السبب واطلع على الحقيقة غير انهُ لم يكن يريد ذلك وكانت الأثرة تصدهُ عن مشاهدة ما هو لاحق بهِ من المسؤولية الكبرى فلهذا هتف قائلًا:

انَّها لأوهام مريضةٍ بل هذيان دماغ بلبلتهُ الحمى... فلا يجدر بي ان احفل بها وانتبه اليها

وكأنهُ خشي ان تكون قرينتهُ سمعت كلامهُ فأضاف الى سابق كلامهِ بصوت خافت قولهُ:

وبعد هذا وهذا لا يبكِّتني ضميري على سيئة معها. فمن اي شيء تستطيع الشكوى؟ وماذا ينقصها؟ أما ان قلة فطنتها سلَّحتني عليها بسلاح مخيف فقد كنت استطيع بكلمة واحدة ان أسرحها وأُلحق بها عارًا لا يُمحى. واذا كنتُ لم افعل شيئاً من ذلك فما هو الَّا عن كرم اخلاق وصفح متجاوز الحدّ. فبناء عليهِ لا ينبغي ان اظهر ضعفاً.. او تساهُلًا فان منزلتي وشرفي لا يسوّغان لي شيئاً من هذا على سبيل الاطلاق والَّا كان بمثابة إقرار بخطاء تصرُّفي

وكان الاقرار بالخطاء اعظم مانع يصدّ زيناً عن العود الى سابق حالهِ مع قرينتهِ

وكيف لا وقد كان رأسهُ المتشامخ يأبى مطاوعة حركات قلبهِ الشريفة وكبرياؤهُ تبعدهُ عن اتمام الفرض الذي يريهِ اياهُ ضميرهُ واجباً وضرورياً . على ان زيناً لم يكن باول رجل خاض غمار هذه المعركة كما انهُ لسوء الحظ لا يكون آخر رجل سيخوض غبارها

وبعد ان مضت بضعة ايام قويت بنية راحيل على المرض وكان النقه فيها سريعاً . أجل ان مرضها لم يكن سوى خوف فجائي حادٍ ولم يأتِ بعواقب وخيمة كما انَّهُ لم يغيّر شيئاً من حالة الزوجين ساكنَي قصر البترون ولكن حنة التي لم تكن تبالي بشيء اخذت من تلك الساعة تظهر امائر البلبال واشتغال الفكر فكانت تتذكر الكلمات التي سمعتها من شقيقتها وقت اشتداد النوب عليها وتهتمّ بمعرفة معناها والمقصود منها الّا ان الوقت لم يكن قد حان ولسوف لا يطول الزمان حتى تظهر لها الحقيقة . وبالنظر الى ما هو معروف من انقيادها سنرى بلا شك انها لن تتردَّد مطلقاً عن الطاعة لصوت الواجب

واماً زين فاستمرَّ على عادتهِ لا يظهر عليهِ ادنى اثر من الهواجس التي بكَّتهُ عليها ضميرهُ . واذا كان قد تمكَّن من خنق تلك الهواجس واخفاء آثارها في الظاهر فانهُ في الباطن كان متزعجاً من نفسهِ لائماً تصرُّفهُ . واذا كان قد بقي يجتنب قرينتهُ كما في الماضي فما ذلك الّا لأن مرآها كان يعيد عليهِ ذكر مساويهِ واماً امرأتهُ فانها عملاً بوعودها للاب يوحنا استمرَّت صابرةً على جراحها بسكوت تامّ

١١

ودامت راحيل على هذا المسلك وكانت كل يوم تزيد فيهِ ايغالاً حتى مضت عليها عدَّة اشهر دون ان تعلو جوادها الابيض التي كانت مولعةً بركوبهِ . غير انها بعد ذلك قد غصبت نفسها على تغيير هذه الخطة فعادت في الظاهر الى سابق حالها واخذت تركب ذلك الجواد وتقودهُ بمثل النشاط الذي كانت تبديهِ في ما سلف . وكانت كلما خرج زين لصيد الخنزير البري في وادي نهر الجوز او لصيد الحجال والسلوى التي تكثر في غابات عبرين وكور وكفرحي وفي الأكمات الرملية ما بين حنوش ووجه الحجر او ذهب لزيارة قلعة الحصن وقلعة سمار جبيل تخرج معهُ وهي تحمل الباز في يدها وتلبس برقعاً طويلاً ابيض لا يزال يخفق على هوى الرياح التي تتلاعب بهِ وتركب جوادها المطهم الذي كان يسير تحتها وهو يزبد ويشبّ كأنهُ يفتخر بحملهِ اللطيف . وعلى هذه الصورة

عادت الى سابق نشاطها وبشاشتها وكانت تفعل ذلك بلباقةٍ وهيأة طبيعيَّة خالصة تجوز على احذق الناس واوفرهم درايةً

وكانت في ما مضى قد خلعت حلاها وزينتها واخذت تقف كالخادمة الى جانب شقيقتها حنة المتبرّجة بافخر الملابس وانفس الجواهر . امَّا الان فقد عادت فتزيَّنت بالذهب والماس مفرغةً عليها اجمل الحلل وابهاها واخذت تظهر البشاشة والسرور وتخوض احاديث الفكاهة والنكات المفرحة ولم تكن تريد اصلًا ان تظهر عليها اقلّ علامة خارجيَّة تبوح بما يكنُّ قلبها من اللوعة والحرقة بسبب ما تلاقي من صدّ المقدَّم بعلِها وإعراضهِ . ولكن جميع مساعيها ذهبت ادراج الرياح لان زينًا لم يشعر بحنانهــا المحجوز اكثر من شعوره قبلًا بمحبَّتها الفائضة

نعم انهُ كان يتعجَّب من التغيُّر الذي يشاهدهُ في قرينتــهِ غير انهُ لم يكن يعلّق عليهِ اهميَّة ولهذا كان يجتنب الكلام عليهِ . ورأت راحيــل ان أحوالها تزيد ارتباكًا وصعوبةً وان كل ما تظاهرت بهِ لم يجدِ نفعًا ولم يأتِها بالفائدة المطلوبة لان زينًا استمرَّ بالرغم عن ذلك كلّهِ لاهيًا عنها بميلهِ الى شقيقتها

وفي هذه الاثناء توفي مقدَّم العاقورة (١ فكتب الامير رزق الله الى المقدَّم زين ان يتوجَّه مع قسم من الجيش لحراسة المنيطرة والطرق التي تؤدي من بعلبك الى لبنــان اعني طريق عيناتا الى الارز من ظهر القضيب والمضايق المبلِّغــة من بركة اليمونة الى افقا فالعاقورة

امَّا راحيل فعزمت على ان تغتنم غيابهُ لتزور مرَّة اخيرة حبيس البُحيرة ومع ما في سفرها اليهِ من المخاطر والصعوبات كانت تشعر بقوة غير مغلوبة تدفعها اليهِ قسرًا وتعتقد اعتقادًا ثابتًا مكينًا ان لا خلاص لها من المحنة الَّا على يدهِ

وقد قابلها هذا الرجل البار بحنوٍّ لا يوصف . وكانت الشيخوخة التي احنت ظهره والعذاب الطويل الذي قاساهُ والاوصاف العديدة التي تزيَّن بها تجعلهُ كرجل ممتاز عن سائر الناس وتخوّل كلامهُ سلطة فائقةً تصعب مخالفتها فقالت لهُ راحيل : « اني قد مشيت على ارشاداتك بكل تدقيق وكتمت محبتي كل الكتم لا على شقيقتي فقط بل على زوجي ايضًا . غير اني عاينت من هذا كلهِ عذابًا دونهُ عذاب الشهداء . فخنقت زفيري في باطني

١) المشرق ٤ واخبار الاعيان

وكانت اذا همّت دموعي بان تنفيض على خدّي كفكفتُها بيــدي فكنت اشعر بالموت والفناء في داخلي واتبرّج واتحلّى في ظاهري فاعلةً كما كنت افعل في الايام الاولى لزواجي. تخلّقتُ بخلق الفرح والبشاشة مع ان قلبي لم يعرفهما منذ اشهر. ولو ان ادنى بارقة املٍ اومضتْ لي في ليل احزاني لتجلّدتُ وتصبرت على المحنة بقبول ورضى. ولكن لم يكن شيء من ذلك كلّه لان زيناً ما زال اليوم قليل الاكتراث بي كما كان من قبل. ولا اقول انهُ منع عني دلائل الاعتبار وشواهد الاحترام التي كثيرًا ما يخلطها البعض بالمحبــة. كلًّا فانّهُ من هذا الوجه رجل مكمّل بل اقول ان قلبــهُ لم يرتدَّ اليَّ وقلبهُ هو غاية ما أُريد منهُ ولي الحقُّ كلَّ الحقّ فيهِ. كلّا ثمَّ كلّا انك لا تعلم يا ابي ولا تستطيع ان تعلم كم قاسيت من العذاب في طاعة اوامرك. فما هي الفائدة اذًا من إطالة مدة هذه الحال التي لا تُطــاق ؟ وحتى متى توجب عليَّ صبرًا على كفّارةٍ قاسية لا تولي نفعاً ؟

فاجابها الاب يوحنّا قائلًا :

أنكِ حتى الآن لم تكتمي حبك الكتم الواجب. ولعلَّ ظواهر الأَثرة القبيحة بقيت باديةً فيكِ. فينبغي ان تخفي محبّتك لا فقط على شقيقتك وحدها ولا فقط على قرينك بل ايضاً على نفسك. وهذا آخر واصعب محنة عليكِ. نعم انك قد اجتنبتِ كل عمل وكل كلمةٍ بل ايضاً كل اشارة تظهر محبتك لكنكِ داومت بلا انقطاع على تفحّص واستقصاء المحبة الباطنــة. نعم انكِ لم تعلني شيئاً من شكواكِ ومرارتكِ ولم تصرّحي بتذمركِ غير ان زيناً يشعر بذلك كلهِ وهذا الذي يبعــده عنكِ. ومن المستحيل ان لا تكون عيناك وهيئة وجهكِ قد باحت لهُ بهواجس قلبكِ وقلاقلهِ. فمتى عرفتِ كيف تقمعين كل حركاتكِ وتخمدين كل ما يثور في داخلكِ ومتى رضيتِ بان تكوني قرينةً مهملةً منسيّةً ومتى حملتِ صليبكِ بفرح او على الاقلّ بصبر وتجلُّد. وبعبارة وجيزة متى استقرَّ فيك السلام الباطني ففي هذا الوقت وحدهُ لا في سواهُ تدركين الانتصار لانهُ لا شيء غير السلام الباطن يولّد المحبّة الخالصة. ولا ريب ان ظواهر هذا السلام بعينهِ هي التي تجتذب المقدَّم رغماً عن علو اخلاقهِ الى شقيقتكِ الموصوفــة بالدماثة والحياء واخفى الحب هو اشدّ اشتعالًا من سائر انواعــهِ ومع عدم ظهورهِ تكون لهُ سلطة عظيمة جدًّا حتى ان الرجل القديس يوشك ان يعجز عن مخالفتها...

ثم ان الاب يوحنّا انقطع هنيهةً عن الكلام واتى بكتاب مخطوط وقدّمــهُ الى

راحيل من نافذة كوخهِ قائلًا لها ان هذا الكتاب يرشدكِ بالتطويل الى ما لا استطيع ارشادك اليهِ فخذيهِ فهو اجمل كتاب صنعتهُ يدُ بشر لان الانجيل لم يأتِ من البشر

وقد طلبتِ مني قبلًا ان ادلَّكِ على علاج يشفي اوجاعكِ او في الاقلّ على سر الصبر عليها . فاعلمي ان السرّ كلهُ موجود في هذه الاوراق فمنها كنتُ استمدُّ عزاءً وقوة حتى الآن ولا ريب عندي انها توليكِ مثل ما اولتني

امَّا راحيل فتناولت هدية الحبيس وهي لا تبالي وكان عنوانها هاتين الكلمتين « الاقتداء بالمسيح » فلمَّا قرأتهما توهمت ان الاب يوحنَّا يستهزئ بها فقالت في نفسها : « اذا كان الكلام الحيّ لم يأسُ كلوم نفسي فمن اين لحروف ميتة في هذا الكتاب ان تدفع عني نكبتي ». ومن ثم تأكّد لها ان الرجل القديس يشير بذلك الى إعضال دائها واستحالة شفائهِ وانهُ لم يبقَ عندهُ من دواء لعلاجها . ولمَّا كانت المعارك الباطنة قد هدَّت قواها مدة سنة بكاملها رأت ان افضل الاشياء ان تتمسك بأذيال الجلد والصبر وتحني عنقها هذه المرَّة ايضاً لنصائح الشيخ القديس

ومع ذلك كان عتوها كامنًا في صدرها كالنار تحت الرماد . وقد لاحظ الاب يوحنَّا ما في باطنها فقال لها قبل ان صرفها من عندهِ :

اكِّدي لي يا راحيل انك من الآن فصاعدًا تنبذين العناد نبذًا وكلَّما عرضتْ لكِ مرارة فاجثي قدام الله وقولي لهُ : « ربي وسيدي انك لم تكذب في قولك « طوبى للباكين » فانزل عليَّ شيئًا من الطوبي التي يتضمَّنها هذا الوعد الالهي » (ستأتي البقيَّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٧ بلاد بشرَّاي

بلغ بنا تتبُّعنا لآثار لبنان الى مشارف هذا الجبل وها نحن ذا في معاملتي اهدن وبشرَّاي . على ان هذه الجهات دون السواحل الفينيقيَّة من حيث مآثرها القديمة . وانما هي

معتبرة لسببٍ آخر « لكونها اصبحت مهدًا للطائفة المارونيّة » (قال ذلك رينان) فسمت في ارجائها واتّسعت منذ نحو ١٢٠٠ سنة

امّا اذا ضربتَ صفحًا عن نشأة الموارنة في تلك الاصقاع فلا تكاد تعثر على امر ذي بال يستدعي التفات العلماء اليها . وكانت بلاد بشرّاي في سالف الزمان قليلة الاهلين تمتدّ في معاطف جبالها غابات الارز الباسقة . ولعلّهُ ظهرت فيها بعض القرى ومن جملتها بشرّاي . لكن الامر محمول على الحَدْس فقط . ولا احد من العلماء حتى الان وجد فيها اثرًا يرتقي الى عهد اليونان او الرومان

امّا اسمها بشرّاي ويكتبهُ البعض بشرّة وبشرّي فقد اختُلف في معناه . قيل (١ انّ اصلهُ بيت الشرى يراد بهِ بيت عشتروت . فان صحّ هذا الاشتقاق دلّ اسمها على قرية عريقة في القدم عبد فيها اللبنانيون إلهة السماء الفينيقيّة كاهل جبيل

والمرجّح انّ مؤرخي الصليبيين ارادوا هذه البلدة في تآليفهم لمّا ذكروا قريةً يدعونها Buissera و Bussera وهي من القرى التي كانت لاحقة باملاك صاحب طرابلس واليها تُنسب احدى الأُسر الفرنجيّة الشريفة كما روى « راي » في كتاب مستعمرات الفرنج (٢ . امّا تاريخ الأمّة المارونيّة فانّهُ يجهل في بشرّاي وجوارها الحوادث التي جرت في اوّل ظهور الطائفة غير انّ هذا التاريخ لم يدوَّن منذ عهد قديم كما لا يخفى

وممّا ذكرهُ صاحب اخبار الاعيان (ص ٢٠) انّ مولد القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم في القرن السابع كان في بشرّة وقد كان سألنا احد السائلين في المشرق (٤ : ٢٠٠) هل صحيح انّ هذا القديس وُلد في « بسري » كما يزعم اهل التقليد . ولا نعلم اي التقليدي هو الصواب أبشرّة كما قال الشيخ طنوس الشدياق او بسري كما زعم السائل . وعلى كل حال فقد بيّنّا هناك انّ القديس صفرونيوس وُلد في دمشق لا في لبنان واستندنا في قولنا الى شواهد لا تُنقض

ولنا في تاريخ اهدن ما يزيد ثقتنا بقدم عهدها . على اننا لا نسلّم بالتقليد الذي يجعل الفردوس الارضي في اهدن (٣ . ومن روى ذلك يزعم انّ اهدن هي جنّة

١) راجع كتاب فلسطين لإبرس وغوتي Ebers und Guthe: *Palæstina* II. 448

٢) راجع Rey: *Colonies franques* q. 363 وراجع ايضًا PDP,V,X,211,204

٣) ذكر هذا التقليد العلّامة الدويهي في تاريخهِ الطائفة المارونية (ص ١١٦)

عدن وان اسمها مشابه للعبرانيَّة עדן.وهذا قول لا سند لهُ وكذلك قد وهم الذين ظنوا انَّ اهدن هي المدينة التي ذكرها بعض القدماء ودعاها Παράδεισος او Τριπαράδεισος لانَّ موقع هذه المدينة في جنوبي حمص على مسافة ست ساعات من حمص ونصف الساعة من ربلة وكانت على العاصي في مكان قرية جوسيَّة الجديدة كما اثبت الامر السائح العلامة موسيو دوسو (راجع المشرق ٣ : ٣٤,٣٥)

وقولنا هذا لا يبخس شيئًا من حقوق اهدن ونحن اوَّل من يقرّ بحسن موقع القرية وطيب هوائها وجمال مناظرها الفتَّانة اماَّ الادلَّة على قدمها فكتابات ثلاث وُجدت فيها ثنتان منها باليونانيَّة والثالثة بالسريانيَّة . فالكتابة اليونانيَّة الاولى قد طمسها الدهر ولم يُبقِ منها الَّا سطرين في آخرها وهناك تاريخ تسطيرها وهي السنة ٥٨٤ للاسكندر توافق السنة ٢٧٢ م . والكتابة اليونانيَّة الثانية مرقومة على قبر مجاور لكنيسة القديس ماما . وهي مطموسة لا يسمح سوء حالها من تفسيرها وليس لها تاريخ ظاهر وفي رأسها صليب صغير يعلوها ولكن هــذا لا يكفي لان ننسب الكتابة للنصارى لانهُ امكن المسيحيين ان يحفروا هذا الصليب بعد ذلك بقرون عديدة . وقد اخذنا رسم هاتين الكتابتين عن الحجر ولكن لم يمكنَّا ان نصلح في شيء ما اثبتهُ رينـان في كتاب بعثة فينيقية . وهو ايضاً ذكر الكتابة الثالثة المكتوبة بالسريانيَّة بالحرف الاسطرنجلي وهذا تعريب ما بقي منهـا : « بسم الله الذي يُحيي الموتى في سنة ١ — للاسكندر . . . رقد ومات مرقس . . . »

وفي اهدن كنائس قديمة ذكرنا في مقالة سابقة ما لها من الخواصّ الهندسيَّة فلتُراجع

وترى على مقربة من اهدن عدَّة قرًى كالحدث وحصرون وغيرهما من الضياع التي لا نجد فيها شيئاً من الآثار الناطقة عن قدمها . الَّا انها مذكورة في اخبار الطائفة المارونيَّة كما نقلها الينا التقليـد فيكون ابناء مارون اول من خوَّل هذه الاماكن ذكرًا تاريخيًّا ولعلهم الذين انشأُوها فسكنوها والله اعلم (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Bericht über eine im J. 1899 ausgeführte Forschungsreise
IN DER ASIATISCHEN TURKEI
Von D^r Frhr. von Oppenheim kaiserlichen Legastionsrat
***Berlin* 1901, *SS,* 30**

رحلة الدكتور البارون اوبنهيم الى تركية آسيا

ان صاحب هذه الرحلة معروف لدى قرّاء المشرق ولا نراهم نسوا ما ذكرنا عن سفرتهِ الى الشام والجزيرة في سنة ١٨٩٤ (راجع المشرق ٢:٨٦٢ و ٤:٧١٦). على انَّ الرحَّالة الوجيه قد باشر هذه السفرة الجديدة ليستوضح عن امور شتى لم يمكنهُ تحقيقها سابقًا. امَّا طريقهُ فكانت غير طريقهِ الاولى فانهُ ولج وادي العاصي وزار الجبل الاعلى (شرقيّ حماة) ثم سار الى حلب وقطع الفرات عند المسعوديَّة حتى بلغ حرَّان واورفا (الرها) ثم طاف براريّ الجزيرة وبحث عن احوال اهلها وتفقَّد شؤون جهاتها. ولمَّا ادرك وطرهُ انثنى عائدًا الى الاستانة مارًّا بماردين ودياربكر وعينتاب وادنه وقونية. واخبار هذه الرحلة لا تتجاوز ثلاثين صفحة وهي مزيَّنة بعدة تصاوير في غاية الاتقان والدقَّة. وجناب البارون يزعم انهُ اطلع على عدَّة امكنة مجهولة ووجد مجرَيين من سواعد نهر الفرات ونقل ٥٠٠ كتابة جديدة منها بالحرف الاشوري ومنها بالسريانيَّة واليونانيَّة والعربيَّة واخذ بالتصوير الشمسيّ ٢٠٠٠ رسم لامكنة عديدة. وقد اسهب المؤلف عن سكَّة حديد بغداد وهو يرتأي انهُ يُرجى من تجهيزها منافع لا تُحصى وارباح طائلة ل. ه

ابدع الاساليب

في انشاء الرسائل والمكاتيب

اثر السيد عبد الباسط افندي الانسيّ

طُبع في مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣١٨ (ص ٥٥٥)

قد كثرت منذ بضع سنين التآليف في انشاء الرسائل فلا تكاد ترى مطبعة الَّا نشرت منها كتابًا او ازيد. وفي رأينا ان هذا المصنَّف الجديد اوسع من المؤلفات السابقة مادَّةً واكثر تفنُّنًا. وقد قسمهُ صاحبهُ مكرمتلو عبد الباسط افندي الانسيّ

الى خمسة ابواب يتضمَّن كل باب منها خمسة فصول وفي كل فصل نحو ثلاثين رسالة مع طرفــة من الابيات الشعريَّة الموافقة لكلّ موضوع . وللكتاب مقدَّمة طويلة اودعها الكاتب الاديب ما يحتاج اليهِ المنشىء من المعرفــة بخصوص فضل الكتاب وآداب الرسائل . امَّا انشاء هذا التأليف النفيس فهو أليق بالبلغاء المتخرّجين بفنون الكتابة منهُ بالعامَّة . واكثرهُ مسجَّع ذو تأنُّق في اللفظ لا يخــلو من بعض التصنُّع . جازى الله خيرًا مؤلفهُ ونفع بهِ الادباء .

كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول

تأليف الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العليَّة في بروكسل

طُبع في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٠٠ (ص ١٣٢)

المعاهدات الدوليَّة هي خلاصة التمدن الحديث ممَّا اتفقت عليهِ الشعوب الاوربيَّة خصوصاً لمراعاة حقوق كل امَّة بمفردها وبالنسبة الى الامم سواها . فمعرفتها فرضٌ لازب على اصحاب الامر واهل السياسة . وللاجانب في ذا الموضوع عدَّة تآليف توقفهم على هذه الواجبات والحقوق يرجعون اليها عند الحاجة وكانت لغتنا العربيَّة مفتقرة الى مثل هذا الكتاب فاحبَّ الفاضل الهمام الامير امين افندي ارسلان ان يسدَّ هــذه الثلمة بوضع كتاب يشمل حقوق الملل ومعاهدات الدول . وقد سبق الى نشر القسم الرابع منهُ الذي مدارهُ على الحرب حداهُ الى تقديمهِ على الاقسام الثلاثة الاولى حدوث الحرب الترنسفاليَّة في جنوبي افريقية . وقد تصفَّحنا هــذا القسم فوجدناهُ فريدًا في بابهِ حسن التقسيم واضح التعبير منسجم العبارة . وهو يبحث عن الحرب وشرعيَّتها وشروطها اجمالًا ثمَّ عن الحربين البرّيَّة والبحريَّة خصوصاً لم يترك مبحثاً ممَّا تفيد معرفتهُ من هذا القبيل الَّا وتحرَّاهُ واستوفى عنهُ الكلام . فنشكر للمؤلف البارع هذه الطرفة ونتمنى ان يتحفنا قريباً ببقيَّة أجزاء هذا الكتاب

كتاب قسطاس الاحكام

تأليف الخوري نعمة الله ابي كرم الماروني اللبناني

المجلد الثاني . طُبع في مطبعة الارز (جونية) سنة ١٩٠١ (ص ٥٩١)

لا يكفي لآل الاكليروس ان يحكموا علمي اللاهوت النظري واللاهوت الادبي

بل ينبغي لهم ان يتفرَّغوا لعلم آخر لا غنى لهم عنهُ لاسيا في عهدنا الحاضر نعني بذلك درس الحق القانوني الذي يوقفهم على نواميس البيعة والاحكام الجارية فيها لسياسة رُعاة الكنيسة واعضائها وكان حضرة الخوري الفاضل والقانوني البارع حضرة الاب نعمة الله ابي كرم سبق منذ عشر سنين ونشر في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة القواعد الكليَّة التي فيها ينحصر هذا العلم وذلك نقلًا عن ائمَّة هذا الفن وخصوصًا العلامة جَنسن وامام القانونيين رَّيفِنستول. وقد رأى اليوم ان يُلحق هذا القسم العموميّ بقسم آخر خصوصي جمعهُ ايضًا من كتب الائمة المعتبرين معوّلًا في الغالب على تأليف العلامة فرنسيسكو سنتي الذي عنوانهُ خلاصة الناموس القانوني ناهجًا في ترتيب ابحاثـهِ سياق المعلّم ريفنستول الراهب الفرنسيسي. ومن المباحث المهمَّة التي يحتويها هذا الجزء بعد تعريف الناموس مسائل عن مصادر الناموس كاحكام الكنيسة والمجامع والسُّنن والعادات ثمَّ عن حقوق الاسقف وشاراتهِ وتنزُّلهِ ومنحهِ السيامات والاسرار ثمَّ عن السينودس الابرشيّ الى غير ذلك من الفصول التي يستغرق فهرسها اربعين صفحة. وقد احسن المؤلف في ايضاح كلّ هذه المسائل وشرح موادها وفضّ مشكلاتها جازاهُ الله خيرًا ومتَّع بلادنا بعلمهِ زمنًا طويلًا

شذرات

❀ اقتراح ❀ نقترح على قرَّائنا الافاضل ان يفيدونا ما علموا من احوال قوم « النوَر » الذين يتجوَّلون في بلادنا دون ان يختلطوا بها وعيشتهم بيننا كسرّ دفين لم يحاول احدٌ حتى الآن ان يوقفنا على حقيقتهِ. فمن عرف عن اصلهم ولغتهم ودينهم وبقيَّة امورهم شيئًا فليتكرَّم علينا بهِ سواءٌ كان في بلاد الشام او مصر او العراق لنعرضهُ على ما كتبهُ الاوربيون عن هؤلاء الاوباش الذين يقطنون جهات اوربـة وهم يعرفون هناك باسم البوهيميين والتسيغان واسماء اخرى شائعة بينهم

❀ اكتتاب فرنسة الاخير ❀ تمَّ في غاية آذار من السنة الجاريَّة آخر اكتتاب سكَّان فرنسة فبلغ عدد اهلها ٣٨,٦٤١,٣٣٣ نفسًا فكانت الزيادة على اكتتاب عام ١٨٩٦ : ٤١٣,٣٦٤

❀ مكتبة مُكدين في مندشوريا ❀ لمَّا دخل الروس الى مكدين

وجدوا فيها مكتبةً كبرى مهمَّة ضمنها مخطوطات وتآليف ذات شان كان التتر نقلوها من اوربَّة وآسيَّة الى تلك المدينة بعد غزواتهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . والآن قد شرع الروس في نقل هذه الكنوز الدفينة الى عاصمتهم ليفحصوها ويفيدوا عنها عالم العلم . ومنذ الآن بشَّرت المجلات الخاصَّة بان عدَّة تآليف كان يتأسَّف العلماء على فقدها وُجدت في جملة هذه المخطوطات

آلات زراعيَّة جديدة — من الآلات التي اذهلت الزوار بدقَّة صنعها في معرض باريس بعض آلات زراعيَّة من الاوتوموبيل منها آلة للحراثة قدَّمها صاحب الدولة بوغوص باشا نوبار تقوى على فلاحة ٣ هكتارات بالنهار . وفلاحتها حسنة ترى الارض بعد مرورها مخدَّدةً موثَّرة ناعمة الدقائق مهيَّأةً للزراعة على نمط لا يبلغهُ الحراث — وكذلك عُرضت آلة أُخرى من الاوتوموبيل يحركها غاز البترول ابتدعها الاميركي كُرميك (Cormick) للحصادة توازي قوَّة عشرة احصنة بجاريَّة

منافع الشَّمندر — لا يخفى ان اهل اوربَّة يكثرون من زراعة الشمندر لان من جذوره يستخرجون الآن اكثر ما يصطنعون من السكَّر . وقد لحظ العلماء حديثًا ان في زراعة هذا النبات فائدةً اخرى ذات شأن وهي ان التربة التي نبتت فيها الشمندر هي أصلح للقمح لان جذور الشمندر تنفذ فيها عميقًا فتصلحها وتجعلها اسهل حراثةً فاذا زُرع القمح تأصَّل في عمق هذه التربة وزكا ونما نموًّا عجيبًا . واكثر ما اختبر ذلك ارباب الزراعة في روسيا والمانية

هُدام البحر — تشكَّلت في باريس لجنة لمناكسة هدام البحر وهي الدوخة التي تصيب المسافرين بحرًا . والغاية من هذه الجمعيَّة وضع دواء شافٍ لهذا الداء المزعج . وقد انشأت جريدةً للبحث عن هذا الامر

الاعلانات التجاريَّة — ما كنَّا لنظن انَّ احدًا غلب الاميركيين والانكليز في التفنن بالاعلانات التجاريَّة . بيد اننا تحققنا الان انَّ اليابانيين اصابوا في ذلك السهم الفائز فان بعض تجارهم اتخذوا لهم قصورًا او خانات يصطنعونها من الورق الشفَّاف ويكتبون عليها باحرف ضخمة ما يريدون اشهارهُ . واذا مدَّ الليل رواقهُ اناروا هذه الامكنة فيقرأها الناس

اسئلة واجوبة

س كتب من مونتيفيداو جناب اسكندر افندي صافي انهُ رأى بعض الشبان تكلّلوا على بنات اميركيات من قبل الحكومة ثمَّ رحلوا الى مدن اخرى فتكلّلوا على غيرهنَّ فسأل هل تحلّل الكنيسة ذلك

الزيجة المدنية

ج الزيجة الشرعيَّة هي الزيجة الدينيَّة التي لا تقبل الانفساخ. ومن شروطها ان تكون علنيَّة امام الكاهن المفوَّض بذلك وشاهدين. واذا عُقد الاكليل على غير هذه الصفة عُدَّ الزواج باطلًا الَّا انَّ في بعض البلاد كانكلترة واسوج ونروج حيث لم يُعلن قانون المجمع التريدنتيني بخصوص الزيجة الخفيَّة يثبت الزواج اذا كان خفيًّا او مدنيًّا لكن المتزوّج على هذا النمط يخطئ خطأً مميتًا

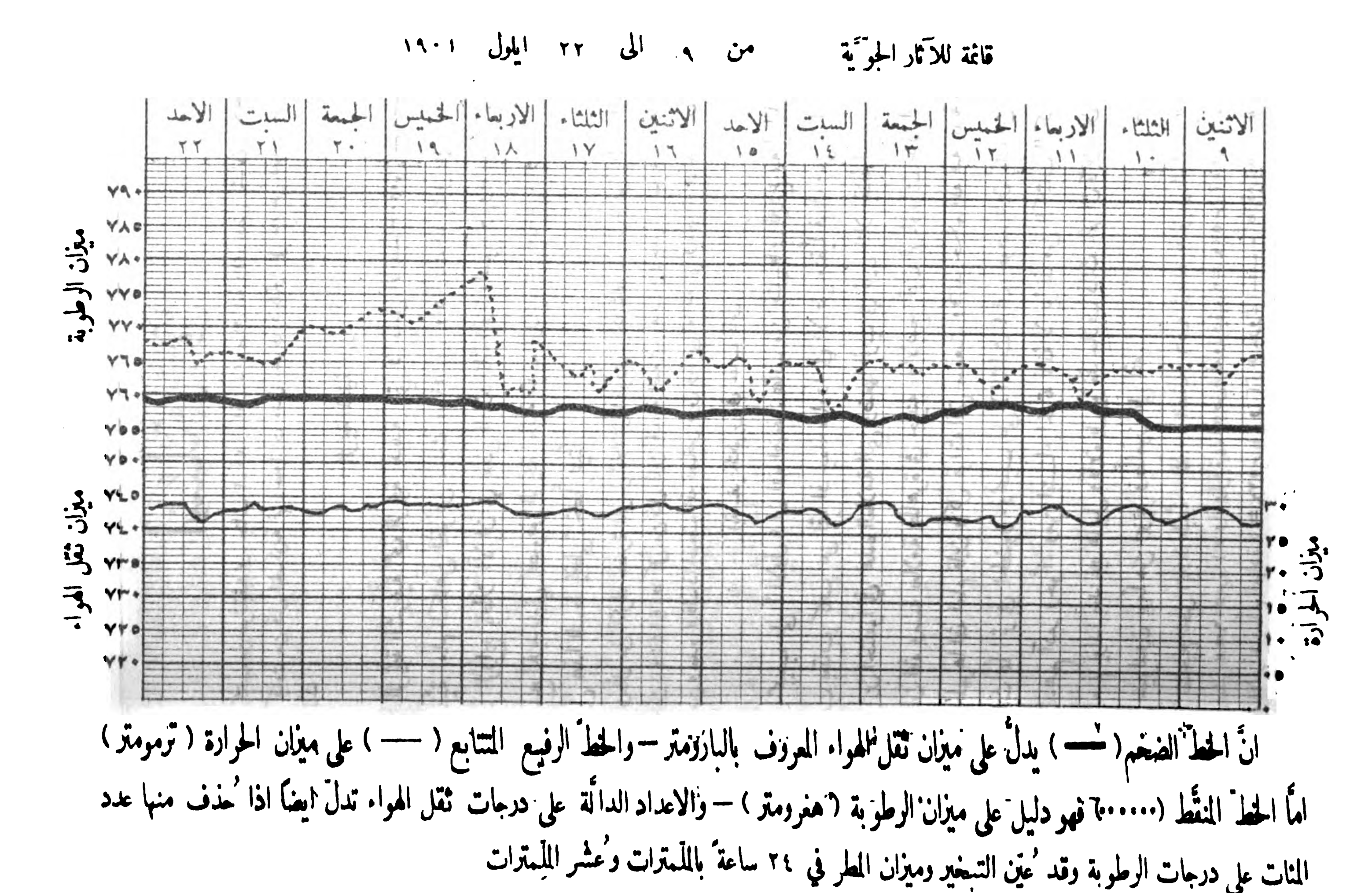
س وسأل من الكرك حضرة المرسل الفاضل الخوري يوحنَّا شلهوب شرح قول الرب لقاين في سفر التكوين (٤: ١٥): «كلُّ من قتل قاين فسبعة اضعاف يُقاد بهِ وجعل الرب لقاين علامةً لئلَّا يقتلهُ كل من وجده» فلماذا اضعف الله قصاص قاين وما هي العلامة التي وضعها لهُ وممَّن كان خوفهُ

آية سفر التكوين في عقاب قاين

ج نجيب على (الاوَّل) ان الله اضعف عقاب من يقتل قاين ليردع عنهُ القاتل وقد عاقبهُ الرب بعقابٍ كافٍ عن اثمهِ اذ جعلهُ شاردًا في الارض منفيًّا فيها. وعلى (الثاني) ان المفسرين اختلفوا في هذه العلامة التي وضعها الرب في قاين لئلا يقتلهُ البشر. فمنهم من قال انَّ الله وسمهُ بعلامة ظاهرة في جبينهِ. والاصحُّ قول الربَّاني ابن عزرا ان هذه العلامة اظهرها الله امام قاين وكلّ قرابتهِ التي سمعت وقتئذٍ حكم الله فيهِ كآيةٍ جويَّة او غير ذلك ممَّا اثَّر في الحضور. ونجيب على (الثالث) ان خوف قاين كان من اخوتهِ الذين اولدهم آدم وحوَّاء ومن ابناء اخوتهِ لانهُ لا يؤخذ من الكتاب الكريم ان آدم وحوَّاء لم يُولدا بعد غير هابيل وقاين بل يؤخذ خلاف ذلك. ثمَّ ان قاين كان يخاف ايضًا ممن سيولدون يومًا من ابويهِ ويطَّلعون على اثمهِ ل. ش

* تصحيح بعض اغلاط طبعيَّة * الصفحة ٤٥٦ س ١٣ «لويس السادس» صوابهُ «السادس عشر» = ٥١٩ س ١٤ «ولهُ ولرفيقيهما» ص «لهُ ولرفيقيهِ» = ٥٢٤ س ٣ «قطف الازهار» ابدل هذا الاسم «بسلَّم العبادة» = ٥٧٤ س ٢١ و ٢٢ «لماروثا اسقف ميَّافارقين» ص «اسقف تكريت» = ٥٨٠ س ٣ «تاج حمادي» ص «نجم حمادي»

قائمة للآثار الجوّيّة من ٩ الى ٢٢ ايلول ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارُومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

Linguæ Syriacæ Grammatica

ET CHRESTOMATHIA CUM GLOSSARIO SCHOLIS ACCOMODATA

غرامطيق سرياني لاتيني

Auctore Henricc Gismondi S. J.

EDITIO ALTERA

In-8° pp. 319 (83 + 169 + 67).

La 1re édition de ce manuel, qui, dès son apparition, avait reçu le meilleur accueil dans les grands séminaires et les Universités d'Europe, s'étant trouvée épuisée en moins de dix ans, le savant professeur de l'Université Grégorienne en offre aujourd'hui une 2e, que l'on peut considérer comme une très heureuse refonte de son premier travail.

La méthode adoptée par l'auteur, qui n'*exige* des étudiants aucune connaissance préalable des idiomes sémitiques, ne lui permettait pas, il est vrai, d'apporter à la *Grammaire* des modifications essentielles. Mais on ne peut que l'en féliciter: simplicité, clarté, abondance véritable jointes à une juste concision didactique, toutes ces qualités se retrouvent dans les 83 pages qui forment cette première partie et où, sans tomber dans l'écueil des développements théoriques souvent inutiles, parfois hasardés, qui caractérisent certains manuels similaires de date récente, l'auteur a su donner de la morphologie et de la syntaxe syriaques une idée à la fois scientifique et appropriée aux besoins pratiques des étudiants qui abordent la lecture des textes. Les tableaux des verbes sont complets : maintes retouches en ont fait un travail presque nouveau, dont l'utilité, généralement reconnue, n'échappera plus à personne. Quant à la syntaxe, courte, mais plus développée que dans la 1re édition, elle offre le grand avantage d'avoir été adaptée à la chrestomathie elle-même, où elle puise de judicieux exemples.

Mais le progrès le plus saillant réalisé dans cette nouvelle édition, c'est, sans contredit, le développement donné à la *chrestomathie*, dont les matériaux, disposés suivant un ordre progressif très sensible, initient le débutant aux productions littéraires les plus variées, tant en prose qu'en vers. La liste, même sommaire, des auteurs dont elle offre des extraits, parfois étendus, souvent *inédits*, suffira pour donner une idée des richesses accumulées dans ces 169 pages, dont l'exécution typographique ne laisse rien à désirer.

Aphraates	Fabellæ (anonymi)	J. Ep. Asiæ
Balæus	Georg. Arbalensis	Isaac. Antioch.
Bardesanes	Henanjesu I Patr. nest.	Juliani Imp. Histor.
Barhebræus	Historia Moysis Latronis	Moys. Bar Kefa
Cirillona	Jacobus Ep. Nisib.	Narses
Ebedjesu Sobensis	Jacobus Sarugensis	Papas
Efrem	Jesu Bar Nun	Philoxenus
Elias 1 Patr. Nest.	J. Bar Pinkaya	Versio Bibl. Simpl.
	J. Darensis	

Quatre belles planches photolithographiques, dont une accompagnée de sa transcription, couronnent cette chrestomathie unique en son genre et achèvent de familiariser l'étudiant avec les écritures serto, nestorienne et estranghelo qu'il a appris à déchiffrer dans le corps de l'ouvrage.

Quant au *Glossaire*, il a été composé, comme d'ailleurs les exemples et les paradigmes de la grammaire et plusieurs morceaux de la chrestomathie, avec les élégants caractères qui ont servi à l'impression du « Dictionarium Syriacum » bien connu du regretté P. Brun.

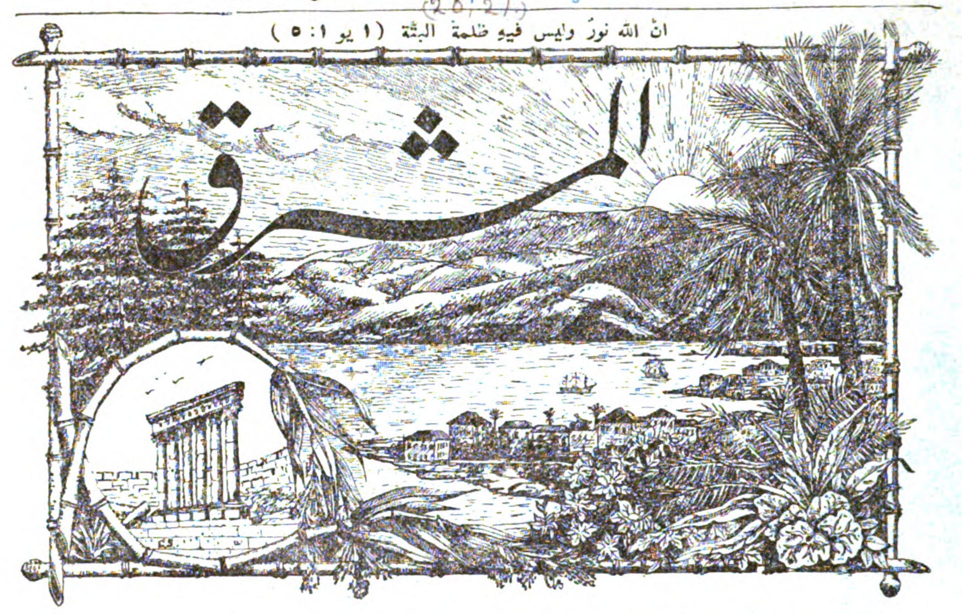
On ne saurait trop recommander aux amis des lettres syriaques ce manuel accessible à toutes les bourses qui, dans l'état de progrès remarquable où il s'offre aujourd'hui, semble devoir combler définitivement une lacune dans l'enseignement des langues sémitiques en pays européen.

	Fr.	Affr
Broché	7,50	0,65



١٩٠١ تشرين الاول العدد ٢٠ السنة الرابعة

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتَّة (١ يو ١: ٥)



مجلَّة كاثوليكية تصدر مرَّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبيَّة وفنيَّة

بادارة آباء كلّيَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 20 (15 Octob. 1901)

فهرس العدد ٢٠

طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Bréviaire, à l'usage du clergé maronite.



ܘܡܚܕܬܐ ܡܬܩܢܐ ܘܡܚܕܐ

In-32, carré, 605 pages, 3e édition, 1897.

Édition imprimée en rouge et noir.

C'est l'édition la plus commode et la mieux réussie qui ait été faite de cet ouvrage **souvent réimprimé.** Son exécution typographique a valu à notre imprimerie une **médaille d'or** dans une des Expositions de Paris.

Pour plus de commodité, on a ajouté dans les dernières éditions une centaine **de pages tirées** du Rituel ; ce sont les prières que le prêtre récite dans ses principales **fonctions** sacrées.

	Fr.	affr.
Brochée	7 »	0,20
Reliure mouton chagriné, tranche jaspée	8 »	
— *tranche dorée*	9 »	

Le même, en caractères plus gros.

In-12, 524 pages, 3e édition, 1897.

Broché	7 »	0,55
Reliure mouton chagriné, tranche jaspée	8 »	

OUVRAGES PUBLIÉS RÉCEMMENT

PAR L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE.

264 **La Chronologie du Patriarcat Maronite.**

سلسلة بطاركة الطائفة المارونيّة للدويهي

In-8°, 26 pages.

Par le Patr. Etienne Douaïhi († 1704)

Edité par Mr R. Chartouni

C'est le premier travail critique fait par les Maronites sur l'histoire de leurs Patriarches. C'est là qu'Assemani lui-même a puisé les renseignements de sa Bibliothèque Orientale. Mr Rachid Chartouni en faisant paraître cet opuscule pour la première fois dans la Revue **al-Machriq** l'a enrichi d'un certain nombre de remarques critiques et historiques, que les amateurs d'Histoire ecclésiastique orientale sauront apprécier.

	Fr.	affr.
Broché.	0,50	0,10

289 **L'Héroïne du Liban — Sœurs-jumelles !**

قرّة العين

في خريدة لبنان ورواية الشقيقتين

Petit in-8° 112 pages.

Par le P. H. Lammens S. J.

Ces deux petits romans ou *nouvelles*, réunis en un volume, inaugurent une série de romans intéressants et moraux que nous nous proposons de publier. Ils peignent au vif les mœurs syriennes. Parus dans la revue "**Al-Machriq**" ils y ont obtenu un succès mérité.

Broché	0,65	0,15
Cartonné	0,75	

المشرق

في الحافظة

بقلم الاب لويس رنزڤال اليسوعي

الحافظة ويقال لها ايضاً الذاكرة هي قوة باطنة تحاكي المخيلة في بعض اعراضها الَّا انها مغايرة لها جوهريًّا فبينا المخيلة تستبقي صور المحسوسات ترى الحافظة حسب ما قدمنا من مار توما اللاهوتي (المشرق ٤ : ٥٣١) تستثبت المعاني التي لا يدركها الحسّ كالنافع والضارّ بيد انهُ ليس هذا الَّا فرقًا من الفروق الفاصلة بين هذين القوّتين لا يقوم منهُ تعريف مستوفٍ لماهية الحافظة والشاهد على ذلك ما يزيدهُ المعلِم اللاكي من التفاصيل الخطيرة في شأن الذاكرة وقد بسط ذلك في الخلاصة اللاهوتية في الجزء الاول البحث ٧٩ (ف ٦ و ٧) . واذا استخلصنا كُنه اقوالهِ وأقوال العلماء في هذا الصدد يسوغ لنا وضع هذا الحدّ للحافظة : انها قوَّة تمكّن النفس من اذّخار معارفها السابقة واستحضارها وتحقيقها . فقولنا « معارفها » اشارةٌ الى ان الذاكرة لا تقتصر على إعادة المحسوسات بل تشتمل ايضاً على كلّ ما سبق اليهِ عقلنا وما هجس في خاطرنا وخلد في بالنا . فنتج من ذلك ان الحافظة قسمان متفاوتان تفاوتًا كليًّا وهما القسم الحسي تشاطرنا فيهِ الحيوانات غير الناطقة والقسم العقليّ يتفرَّد بهِ الانسان دون غيره

امَّا الحافظة الحسيَّة (mémoire sensitive, sensible) فربَّما دُعيت ايضاً بالحافظة الخياليَّة (mém. imaginative) وذلك لانها تحيي فينا صور المحسوسات كالخيال الَّا انها تختلف عن الخيال في امرٍ مهمّ وهو علمها اليقين بان هذه الصور المسترجعة تمثّل احساسات سالفة العهد وهذا لعمري فرق ذو شأن يجعل المخيلة

قوّة عوراء تلحظ جزءا من الحق فقط بينما تتمتّع الحافظة بكمال النور والجلاء. غير انَّ لكل منهما حاجةً ماسّة الى الاخرى لا تكاد هذه تتحرَّك للعمل دون ان تهب تلك الى مساعدتها ويُعكس قال الاب شابين (P. Chabin) في ذلك ما معناهُ: لا تثور في النفس صورة ما ادركناهُ سلفاً الّا وتسرع الحافظة وقت اطلاعنا عليهِ فتذكّرنا الظروف التي احدقت بهِ من سوابق ولواحق وغير ذلك. وكذلك كلما سنح للذهن ذكر حدثٍ او فكرٍ لا تلبث المخيلة ان تحضرهُ في ابدع شكل وتكسوهُ ابهى الألوان فتصبح على هذا النمط مدعاةً للحافظة الى احياء خواطر جديدة تنعكس هي ايضاً في مرآة الخيال وهكذا تتلاحق التصورات والافعال العقليّة بسرعةٍ ووفرة تضاهيان السيول المتدفّقة. فكأني بالخيال والحافظة اشبه بشقيقتين توأمتين وُلدتا متلاصقتين فلا حياة ولا عمل لاحداهما دون الاخرى تنتفع هذه ممّا تتناولهُ تلك من طعام وشراب كما انَّ ما يؤذي الاولى يمسّ قوام وظائف الثانية

ولبيبٍ يسألنا ما قولنا في الحيوان الابكم هل لهُ حافظة في حصر المعنى اذ ان الحيوان لا معرفة لهُ بالماضي. اجبنا انَّ للحيوان حافظةً حقيقيّة وذلك لانهُ يتذكر كالانسان الامور التي لا ينالها الحس الظاهر فيستحضر ما تخيّلهُ سابقاً من نافع او ضارّ من ملائم او غير موافق فالكلب مثلًا يعرف بعد مدّة مديدة من عاملهُ بالحنوّ ويفرزهُ ممن اوسعهُ ضرباً وكذلك يميز الاماكن التي تهنّأ فيها فيعود اليها وينفر عن الامكنة التي نالتهُ فيها الآلام. فينتج من ذلك انّ الحيوان يعلم ما اصابهُ في الماضي لكنَّ ذكرهُ لهذه الامور فعلٌ بسيط فهو يتوصّل الى صورة هذه الاشياء الماضية بيد انهُ لا يعرفها معرفة صوريّة (formelle) امّا الانسان فيتأتّى لهُ المقابلة بين ما يعنّ لذاكرتهِ وما سلف من حياتهِ فينقاد بواسطة تلك المقابلة الى تعيين وقت حدوث ما يخطر على بالهِ ومن هذا القبيل تكون حافظتهُ اشرف واتمّ كما انَّ خيالهُ هو ارفع مقاماً واسمى درجة من خيال الحيوان لتصوّرهِ ما لا يقع تحت الحواس كصورة النفس على شكل حمامة وصورة جبل من ذهب الى غير ذلك ممّا لا يمكن الحيوان تصورهُ

هذا وان الانسان لا يقف عند هذا الحدّ فاننا لا نعي سابق احساساتنا فقط بل ننتبه الى ما انتاب خاطرنا من افكار واحكام واقيسة وهذا بفعل الحافظة العقليّة (mémoire intellective) وليست هذه القوة الجليلة باقلّ فائدة من رصيفتها الحسيّة

اذ فيها تُستوعب موادّ كل العلوم . وسنعود الى تعريف هذه القوَّة العجيبة ان شاء الله.
امَّا الآن فنقول ان ما يميّز الحافظة العقليَّة من الحسيَّة فضلًا عن موضوعهما الذي يختلف اختلاف المادَّة من الروح هو ان هذه اي الحسيَّة تُعيد صور الماضيات محفوفة بما رافقها من ظروف المكان والزمان امَّا الذاكرة العقليَّة فتحضر في البابنــا ذكر المعقولات التي وقفنا عليها سابقًا دون ان تقرنها بمكان ولا زمان من تلقاء ذاتها واذا برزت هذه التذكرات العقليَّة متشحة بوشاح الاعراض الحسيَّة كان هذا من مفاعيل الحافظة الخياليَّة التي طالما تلحق زميلتها عند تشميرها للعمــل . ويتضح من ثمَّ انَّ الحافظة العقليَّة قوَّة روحانيَّة محضة لا يجوز خلطها بعالم الهيولى

ومن انواع القوَّة الحافظة نوعٌ يختصّ بالانسان وحدهُ وهو تتبُّع سلسـلةٍ من المحسوسات او المعقولات . ولا بدّ لاتمام ذلك من اقامة شبه قياس نظري او عملي نتوصَّل بهِ الى ما نروم كشف القناع عن مجمل حقيقتـهِ . لحظتُ مثـلًا انَّ دراهمي نقصت ٢٠ فرنكًا فارغب ان اتذكر فيما صرفتها فآخذ في محاسبة نفسي قائلًا: في يوم امس دفعت ٣ فرنكات لفلان . وكنتُ حينئذٍ آتيًا من السوق حيث ابتعتُ بكذا حاجات الَّا اني تصدقت قبل ذلك بفرنكين على عائلة فقيرة اعودها مرَّة في الاسبوع الى غير ذلك من الجزئيَّات حتى آتي على الكل واتخطَّى من ذكر امر راهن الى مرتاب فيـهِ الى ان تحققت الكل ووقفت عند نتيجة ارتاح اليها . ومن الفلاسفة من يخصّصون بهذا الفرع من الحافظة اسم الذاكرة غير ان هذه اللفظة ترادف اغلب الاوقات اختها الحافظة امَّا الافرنج فيدعونها réminiscence ومعنى هذه اللفظة في التحقيق شوارد تذكراتنا التي تتبادر الى ذهننـا عفوًا من بيوت شعريَّة مثلًا تندمج بالقصائد التي ننظمها او أدوار لحنيَّة تمتزج بما نخترعهُ من الاغاني دون ان نحفل بها

لنا الآن قولٌ وجيز عمَّا يتألف منهُ عادةً فعلُ الحافظة . فاذا تمسَّكنا بتعريفنـا السابق نرى انهُ قائمٌ من ثلاثة امور :

الاوَّل ثبوت المدركات في الذهن وهذا بمنزلة مُمهّد ضروري لقوام امر الحافظة .
والثاني إعادتها اي انعاشها من سِنَتها (rappel *ou* réapparition) وهذه شريطةٌ ايضًا لازمة امَّا الثالث وبهِ تمتــاز قوَّة الحافظة عمَّا سواها فتحقيق تلك المدركات (reconnaissance) اي ان تنتبه النفس الى حضور الماضيــات في الذهن وتَيقَن

بانها داخلة في سلك ما انقضى معيدةً للظروف التي رافقتها اول مثولها ومقــدّرة لفترة وقوعها وبهذه الخصلة الكريمة تبتعد الحافظة عن المخيلة وتتعالى عنها والّا كادت افعالها لا تمتاز عن حركات قرينتها

امّا هــذا التحقيق فلا يقوم الّا بوجود امرين اولهما وقوفنا على هُويّتنــا (identité personnelle) اي احساسنا باننا نحن الذين شعرنا سابقًا بما نتذكرهُ الآن ثانيهما شعورنا بكرّ الزمان المتتابع وهذا ليس في الحقيقة الّا شرطاً لما قبلهُ فينجم من هذه المقدّمات ان موضوع ذاكرتنــا الخاص انما هو الاستحالات التي عَرَت نفسنا يوماً فانتبه لها الضمير. فبهذا الاعتبار اللطيف ساغ للمسيو رويه كولار (Royer-Collard) تسطير ما نصهُ: « انّنا لا نتذكّر الّاذواتنا اي اعمال نَفسنا وحالتها المتنوّعة اذ انما يخطر على بالنا ما وقع رأساً تحت نقد ضميرنا »

هذا فيما تباشرهُ حافظتنا مباشرةً قانونية غير ان لها من غرائب الامور ما لا نرى ندحةً من ايراد طرفةٍ منهُ. اولًا لمّا كانت الذاكرة على فرعين بديهيّة واختياريّة يحدث ان الاولى تستظهر احيانًا على ما تعجز عنهُ الثانية. مثال ذلك انّنا نطيل بعض المرار استكشاف اسمٍ او تاريخ او حادثٍ يستعصي علينا ادراكهُ فبعد الجهد والعناء لا نحصل على نتيجة مرضيّة الّا انهُ في الغد يهرع الى ذاكرتنا دون ادنى استقصــاء كل ما كان البارحة مطمورًا مدفونًا في غبار الماضي. — ثمّ من خواص الحافظة الغريبة انّها تختلف اختلافًا كبيرًا بحسب الاشخاص فمنهم من يسهل عليهِ حفظ الاشكال والالوان ومنهم مَن لا يسقط من ذاكرتهِ شيء من الكلمات او الاصوات او الارقام او الاحاديث او التواريخ او الاماكن (mém. locale) او النُكت الهزلية او الاسماء الخ. لكنّ هذا مع غرابتهِ معروف حتّى من الصبيان. امّا ما ساذكرهُ ففائق اطوار العادة ومنخرطٌ في سلك الحوادث الخارقة. منهُ ظواهر تلَف الحافظة (amnésie) وهو إمّا كلّيّ كما جرى لامرأةٍ اميركية فقدت بعد سُبات طويل جميع ما تعلّمتهُ سابقًا حتى اضطرّت ان تتلقّن ثانيــةً حروف الهجاء مع طريقة التلفُّظ بها ثم الارقام والحساب والكتابة شأن الاحداث في المدارس وبقيت على هذه الحالة حتى استولى عليها نومٌ جديد فلمّا استفاقت ثاب الى حافظتها كل ما كانت تعرفهُ قبل نومها الاول عدا ما درستــهُ خلال النومين ثمّ امست تتقلّب بين هاتين الحالتين العجيبتين زمنًا طويلًا — وإمّا جزئي وهو ان ينسى المريض قسماً

ممّا فطنَ اليهِ سالفًا فالبعض يفوتهُ الاشكال والبعض اسماء الاشخاص او طوائف من الكلم فحُكي من ذلك ان قرويًا اصابه الفالج فاصبح لا يتوصّل الى ذكر الموصوفات والافعال بينما كان يأتي على سائر اقسام الكلام

ومن مفاعيل الحافظة انّها تزيد قوّةً في بعض الاحيان حتى تصل الى حدّ الافراط ولذلك يدعوها الفرنج (hypermnésie) اي الذاكرة المفرطة وفي هذا دليل على انّ الانفعالات الدماغيّة المختصة بالذاكرة لا تُمحى آثارها تمامًا بل يكفيها مُنعِش خصوصي كمرض عضال او حادثة مفجعة لتقدح في النفس شررًا وتثير ذكر ما توارى عن بصرها منذ سنين. قيل انّ شابًا اعتراهُ داء عصبيّ فاتفق لبعضهم ان جاء امامهُ بذكر احدى المدارس وطلبتها فهيّج هذا الحديث في ذهن المريض ما جرى لهُ سابقًا في حياتهِ المدرسيّة قبل خمس او ستّ سنين بجدّة وذكاء هذا مبلغهما حتّى تمكّن من مراجعة فروض انشائيّة سمع تلاوتها اوقات الدروس ثمّ ملاحظات المدرّسين وانتقاداتهم بحروفها

واعجب من ذلك انّ انسانًا باغتهُ قطارٌ وهو سائرٌ بين الاسلاك الحديديّة لا يبالي فلمّا رأى الموت اقرب اليهِ من حبل الوريد رَمى بنفسهِ الى الارض ممتدًا على وجههِ لاصقًا بها حتى مرّت عليهِ جميع العربات دون ان تُلحق بهِ اذًى غير انّ شدّة الرعب الذي استولى عليهِ مثّل نصب عينيهِ كل ما فعل في ماضي حياتهِ كما لو كان مسطورًا امامهُ في كتاب

ومن الظواهر التي تُعزى الى علّةٍ في الحافظة فقد النطق (aphasie) وإنْ هو الّا فرع من فقدان الحافظة ومن خواصّ تلك الحالة المرضيّ لها انّ الانسان يستطيع نشر افكارهِ بالكتابة الّا انّهُ يضيق ذرعًا عن بثّها بالكلم ويظلّ اشبه بالاخرس منهُ بذي النطق وتفسير ذلك مترتب على العلائق الرابطة بين الحافظة والجهاز العضليّ فيعرض لعللٍ خفيّة ان تنقطع تلك الاسباب موقتًا فيتذكّر الانسان صورة الالفاظ ومعانيها دون ان يتوفّق الى التلفّظ بها

مقرّ الحافظة

بقي علينا ان نبحث عن مقرّ الحافظة في الهيكل البشريّ. — قال الشيخ الرئيس ابن سينا نقلًا عن اريسطو ان سلطة القوّة المتذكّرة في التجويف المؤخر من الدماغ.

امّا المحدثون فيرتأون انّها في التجويف الجبهيّ الذي يُدعى (lobes frontaux) وفي بعض مراكز السلسلة الفقاريّة فيذهبون الى انّ كلاً من هذه المواضع محطُّ رِحال لطوائف معلومة من صُور الماضي دون غيرها وهكذا يعلّلون اضمحلال الذاكرة الجزئي كما سبقت اليهِ الاشارة ثم ظاهرة فقد النطق

وفي الختام فلنسدِ اعطر شكر للمولى الكريم لانعامهِ علينا بهاتهِ القوّة التي هي اصلح مُعين للعقل البشري فكما ان لا تعقُّل الّا مسبوقًا بفعل المخيلة كذلك لا نتيجة في التفقّه دون عضد الذاكرة. نعم لولاها لكان سماء بصيرتنا مدلهمّا حالكًا تقطعهُ حينًا بوارق بروق الافكار ثم يعود الى سابق ظلامه او كانت ارضها قفرًا مجدبًا لا تثمر يانعًا ولا تورق ناضرًا وذلك لتعذُّر استعمال ابدع مزايا فهمنا من تعميمٍ واحتجاج واقامة دليل او قياس بلا ذاكرة وهب اننا عدمنا هذه الجوهرة النفيسة كانت كل افكارنا وما نحدّها بهِ من اللغى (العبارات) يسقط من عقلنا حال اشراقها في عالم الكوائن وكان يستحيل لمّ شعثها لقضاء اربٍ من نتيجة برهانٍ او ابداء حكمٍ (proposition) فضلًا عن وجود ذريعة لقوام علمٍ من العلوم او لتذكية قوانا النفسانيّة او للمواصلات الالفية او لنوعٍ من اليقين. فحمدًا لمن وجب ذكر آلائهِ مدى الاعوام ومجدًا لمن تحتم تكرار اسمائهِ على الدوام

رسالة الطير

للشيخ الامام محمد بن محمد الغزالي

تولّى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

في العدد السابق نشرنا رسالةً أولى موسومة برسالة الطير للشيخ الرئيس ابن سينا. ووعدنا بنشر رسالة أُخرى بهذا الاسم صنّفها حجّة الاسلام الشيخ الامام محمّد بن محمد الشهير بالغزالي فقيامًا بهذا الوعد نزيّن بها هذا العدد من مجلتنا

وهذه الرسالة وردت في المجموعة التي وصفناها سابقًا ولا نعلم لها نسخة ثانية وقد وقع فيها بعض أغلاط أصلحناها ودللنا عليها في الذيل بحرف (ص) وهذه الرسالة رمز لطيف الى احوال

المرء وترقّيه الى الله وقد اراد بالطير جماعة البشر الذين يسمون في امور الروح ويطلبون الله وكنى بالعنقاء عنهُ تعالى ملك الملوك ورب الارباب. امّا المحن التي يلقاها الطير في سيره الى العنقاء فهي رمز الى بلايا هذه الحيــاة وشدائدها التي تؤهل المرء اذا صبر عليها وتجلّد لها لان يحظى بمشاهدة الحضرة العليّة والدخول في الجنان السرمدية

(63ᵛ) 

اجتمعت اصناف الطيور على اختلاف انواعها وتبايُن طباعها وزعمتْ ان لا بُدَّ لها من ملك. واتفقوا انهُ لا يصلح لهــذا الشأن الّا العنقاء (١ وقد وجدوا الخبر عن استيطانها في مواطن الغرب وتقرُّرها في بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمّة (٢ الطلب فصُمّم العزم على النهوض اليها والاستذراء (٣ بظلّها والمثول بفنائها والاستسعاد بخدمتها فتناشدوا وقالوا:

قوموا الى الدار من ليلى نحيّيها نعم ونسألها عن بعض اهليها

واذا الاشواق الكامنة قد برزت من كمين القلوب وزعمت بلسان الطلب

باي نواحي الارض ابغي وصالكم وانتم ملوكٌ ما لمقصدكم نَحوُ

واذا هم بمنادي الغيب ينادي من وراء الحجب: ولا تُلقوا بايديكم الى التهلكة لازموا اماكنكم ولا تفارقوا مساكنكم فانكم ان فارقتم اوطانكم ضاعفتم اشجانكم فدونكم والتعرُّض للبلاء والتحلّل (٤ بالفناء

ان السلامة من سعدى وجارتها ان لا تحلّ على حال بواديها

فلمّا سمعوا نداء التعذّر من جناب الجبروت ما ازدادوا الّا شوقًا وقلقًا وتحــيُّرًا وأرقًا وقالوا من عند آخرهم (٥ :

ولو داواك كلُّ طبيب أنسٍ بغير كلام ليلى ما شفاكا

١) راجع ما كتب من العنقاء حضرة الكاتب المتفنن الاب انستاس الكرملي في المشرق (١ : ١٩٩ و ٣٧٩) ٢) في الاصل (ص) : وهمّت ٣) ص: والاستدراء
٤) اي التزول . ولعلّها التخلّل ٥) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب من عن آخرهم

وزعموا

انَّ الحبَّ الذي لا شيء يقنعهُ او تستقرَّ ومن يهوى بهِ الدارُ

ثم نادى لهم الحنين ودبَّ فيهم الجنون فلم يتلعثموا في الطلب اهتزازًا منهم الى بلوغ الارب. فقيل لهم: بين ايديكم المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة واماكن القرّ ومساكن الحرّ فيوشك ان تعجزوا دون بلوغ الامنيَّة فتخترمكم المنيَّة فالاحرى بكم مساكنة اوكار الاوطار قبل ان يستدرجكم الطمع واذا هم لا يصغون الى ذلك القول ولا يبالون بل رحلوا وهم يقولون:

فريدٌ عن الخلّان في كل بلدةٍ اذا عظُمَ المطلوب قلَّ المساعدُ

فامتطى كلٌّ منهم مطيَّة الهمّة قد ألجمها بلجام السوق وقوَّمها بقوام العشق وهو يقول:

انظرْ الى ناقتي في ساحة الوادي شديدةٍ ألسرى[١] من تحت مَيَّادِ

(64r) اذا اشتكت من كلال البين اوعدها رَوح القدوم فتحيا عند ميعادي

لها بوجهك نورٌ تستضيء به وفي نوالك من اعقابها جادي

فرحلوا في محجَّة الاختيار فاستدرجتهم بجدّ الاضطرار فهلك من كان من بلاد الحرّ في بلاد البرد ومات من كان من بلاد البرد في بلاد الحرّ وتصرَّفت فيهم الصواعق وتحكَّمت عليهم العواصف حتى خلصت منهم شرذمة قليلة الى جزيرة الملك ونزلوا بفنائه واستذروا[٢] بجنابهِ والتمسوا من يخبر عنهم الملك وهو في امنع حصن من حمى عزهِ. فأخبر بهم فتقدَّم الى بعض سكَّان الحضرة[٣] ان يسألهم ما الذي حملهم على الحضور. فقالوا: حضرنا ليكون مَلِكنا. فقيل لهم: أتعبتم انفسكم فنحن الملك شئتم او ابيتم جئتم او ذهبتم لا حاجة بنا اليكم

فلمَّا احسُّوا بالاستغناء والتعذُّر أيسوا وخجلوا وخابت ظنونهم فتعطَّلوا. فلما شملتهم الحيرة وبهرتهم العزَّة قالوا: لا سبيل الى الرجوع فقد تخاذلت القوى وأضعفنا الجوى

١) قطع همزة أل التعريف في السرى لاستقامة الوزن

٢) ص: واستدروا

٣) يريد بسكان الحضرة اهل الملكوت الذين يتمتَّعون بنظرهِ تعالى

فليتنا تُركنا في هذه الجزيرة لنتماوت من عند آخرنا (١ وانشأوا (٢ يقولون هذه الابيات

أسكَّان رامة هل من قِرى   فقد دفع الليل ضيفاً قنوعا
كفاهُ من الزاد ان تمهدوا   لهُ نظرًا وكلاماً وشيعا (٣

هذا وقد شملهم الداء وأشرفوا على الفناء ولجُوا (٤ الى الدعاء

نُمل (٥ نشاوى بكأس الغرام   فكلٌّ غدا لأخيــهِ رضيعا

فلما عمهم الياس وتضايقت بهم الانفاس تداركهم انفاس الايناس وقيل لهم: هيهات فلا سبيل الى الياس فلا ييأس من رَوح الله الّا القوم الخاسرون(٦ . فان كان كمال الغنى يُوجب التعزُّز والردّ فجمال الكرم اوجب السماحة والقبول فبعـد ان عرفتم مقداركم في العجز عن معرفة قَدرنا فحقيق بنا ايواؤكم فهو دار الكرم ومنزل النعم فانهُ يطلب المساكين الذين رحلوا عن مساكنـة الحسبان ولولاهُ لما قال سيد الكلّ . وسابقهم احيا مسكيناً (٧ (64) ومن استشعر عدم استحقاقهِ فحقيق بالملك العنقاء ان يتخـذهُ قريناً

فلما استأنسوا بعد ان استيأسوا وانتعشوا بعـد ان تعسوا ووثقوا بفيض الكرم واطمأنُّوا الى درور النعم سألوا عن رفقائهم فقالوا: ما الخبر عن أقوام قطعت بهم المهامه والاودية أمطلولٌ دماؤهم ام لهم ديةٌ . فقيل هيهات هيهات « ومن يخرج من بيتهِ مهاجرًا الى الله ورسولهِ ثمّ يدركهُ الموت فقد وقع اجرهُ على الله » (٧ . اجتبتهم أيادي الاجتباء بعد ان ابادتهم سطوة الابتلاء ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء . قالوا: فالذين غرقوا في لجج البحار ولم يصلوا لا الى الدار ولا الى الديّار بل التقمتهم لهوات التيّار قيل: هيهات « ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل احياء » (٨ . فالذي جاء بكم واماتهم أحياهم والذي وكّل بكم داعية الشوق حتى استقللتم العناء والهلاك في اريحيّة الطلب دعاهم وحملهم وادناهم وقرّبهم فهم في حجب العزّة واستار القدرة « في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر » (٩ . قالوا : فهل لنا الى مشاهدتهم سبيل . قيل:

١) كذا في الاصل . ولعلهُ أراد من عن آخرنا
٢) ص: وانسوا
٣) كذا
٤) ص: لحُوا
٥) ص: حمل
٦) ص: الحاسرون
٧) من سورة النساء
٨) من سورة آل عمران
٩) من سورة الرحمن

لا . فانكم في حجاب العزّة واستار البشريّة واسر الاجل وقيده فاذا قضيتم اوطاركم وفارقتم اوكاركم فعند ذلك تزاورتم وتلاقيتم (١ . قالوا : والذين قعد بهم اللوم والعجز فلم يخرجوا . قيل : هيهات ولو أرادوا الخروج لأعدّوا لهُ عدّة ولكن كَرِهَ الله انبعاثهم فثبّطهم لو اردناهم لدعوناهم لكن كرهناهم فطردناهم . انتم بانفسكم جئتم ام نحن دعوناكم ؟ انتم اشتقتم ام نحن شوّقناكم ؟ نحن اقلقناكم فحملناكم وحملناهم في البرّ والبحر . فلمّا سمعوا ذلك واستنصروا بكمال العناية وضمان الكفاية كمل اهتزازهم وتمّ وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين بدقائق التمكين وفارقوا بدوام الطمأنينة أمكان التلوين ولتعلمنّ نبأهُ بعد حين

(فصل) أترى هل كان بين الراجع الى تلك (65r) الجزيرة وبين المبتدئ من فرق . انّما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئاً إمّا من كان راجعاً الى عيشهِ الاصلي . يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي فرجّع اسماع النداء كيف يقال لهُ : « لِمَ جئتَ » . فيقول : « لم دُعيت » لا بل فيقول لم حملت الى تلك البلاد وهي بلاد القربة . والجواب على قدر السؤال والسؤال على قدر التفقّه والهموم بقدر الهمم

(فصل) من يرتاع لمثل هذه النكت فليجدّد العهد بطور الطيريّة واريحيّة الروحانيّة فكلام الطيور لا يفهمهُ الّا مَن هو من الطيور وتجديد العهد بملازمة الوضوء ومراقبة اوقات الصلاة وخلوة ساعةٍ للذكر فهو تجديد العهد الحلو في غفلة لا بُدّ من احد الطريقين فاذكروني اذكركم أَو نسوا الله فنسيهم فمن سلك سبيل الذكر انا جليس من ذكرني ومن سلك سبيل النسيان ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض لهُ شيطاناً فهو لهُ قرين وابن آدم في كلّ نفَس مصحح احد هذين النسبتين ولا بُدّ يتلوهُ يوم القيامة احد السيمائين . أما يُعرف المجرمون بسيماهم او بسيماهم في وجوههم من اثر السجود انقذك الله بالتوفيق وهداك الى التحقيق وطوى لك الطريق انهُ بذلك حقيق . والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآلهِ اجمعين

مُلحق

هذه رسالة الطير التي اوردناها عن الامام الغزّالي قد اخذها عنهُ كثيرون من جملتهم عزّ الدين عبد السلام بن غانم المقدسي المتوفّى سنة ٦٧٨ هـ (١٢٨٠ م) وقد ختم بها كتاباً لطيفاً سمّاهُ كتاب

١) ص : تلافيتم

كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار في خزانة مكتبتنا منهُ نسختان خطّيتان . فالاشارة الاخيرة من هذا الكتاب تدعى اشارة العنقاء وما هي الّا رسالة الطير السابق ذكرها نوردها هنا تتمّةً للافادة وليتمكّن القراء من المقابلة بينهما

اشارة عنقـاء مغرب

اجتمعت الطيور يوماً وقالوا لا بدَّ لنا من ملك نعترف لهُ ونُعرف بهِ فهلمُّوا ننطلق في طلبهِ ونستمسك بسببهِ ونعش في ظلّهِ ونعتصم بحبلهِ وقد بلغنـا ان في بعض جزائر البحر ملكاً يقال لهُ عنقاء مغرب قد نفذت احكامهُ في المشرق والمغرب فهموا بنا اليهِ متوكلين عليهِ فقيل لهم: ان البحر عميق والطريق مضيق والسبيل سحيق واعلموا انهُ بين ايديكم جبال شاهقة وبحار مغرقة ونيران محرقة فلا سبيل لكم بالاتصال ولو قُطعت منكم الاوصال فدون وصالهِ حد النصال . فاقرنَ في اوكاركنَّ واعترفنَ بعد انكاركنَّ فان العجز من شأنكنَّ والملك غنيٌّ عنكنَّ والله غني عن العالمين اما سمعتم صائح القـدر يقول: ويحذركم الله نفسهُ فقالوا صدقت ولكن مناديه ينادي ففرُّوا الى الله جميعاً فعندها طاروا باجنحة يتفكرون بخلق السماوات والارض صابرون على ظماءِ الهواجر باشارة قولهِ تعالى: ومن يخرج من بيتهِ مهاجرًا الى الله فسلكنَ سبيلًا عدلًا ان اخذنَ ذات اليمين ارمتهنَّ الرجاء وان اخذنَ ذات الشمال احرقتهنَّ حرارة الخوف . فهم بين سباق ومحاق واغتراق وتلاشٍ وافتراقٍ وتغاشٍ واستغراق حتى وصل منهم من وصل الى ان اتوا جزيرة الملك بعد ان سقط ريشهُ وتكدَّر عيشهُ وتضاعف نحولهُ وتزايد ذبولهُ ووصلوا اليهِ خماصاً بعدما كنَّ بطانًا وجثثهُ فرادى بعدما فارقنَ اوطانًا . قال فلمَّا نظروا الى جزيرة الملك فاذا فيها ما تشتهي الانفس وتلذُّ الاعين فمن كانت همتـهُ في المأكول والمشروب قيل لهم كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الايام الخالية ومن كانت همتهُ في الملابس والنفائس قيل لهم يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ومن كانت همتهُ في العرائس قيل لهم وزوجناهم بحور عين واما اهل الانفة فقالوا سبحان الله اذا كان ثم الاشتغال بمأكول ومشروب فمتى يتفرغ المحب للمحبوب . ومتى ينالُ الطلب من شرف المطلوب فالدون كل الدون من رضيَ بصفقة المغبون نحن ما نريد الّا الملك الذي قد قطعنـا لاجلهِ المراحل والرواحل وقطعنا اليهِ كل حاجز وصابرنا على ظماء الهواجر حيث قال تعـالى ومن يخرج من بيتهِ مهاجرًا الى الله فنحن نشتغل بالملابس والمفاخر ولم يكن قصـدنا الّا النظر الى وجه

الملك فلمّا مثلوا بين يديه قال لهم ويحكم لِمَ جئتم وبايّ شيء اتيتم فاني لغنيٌ عنكم قالوا انت الغنيّ ونحن الفقراء وانت القويّ ونحن الضعفاء فلا قوة لنا نرجع بها الى قوانا واضمحل وجودنا مما قد اعترانا . فقال لهم الملك ان صح افتقاركم فعليَّ جباركم انطلقوا فداووا العليل في ظل ظليل وقبلوا خير مستقيل واحسن مقيل فمن غلب عليهِ برودة الرجاء فليشرب من كأس كان مزاجها زنجبيلًا ومن استولت عليهِ مرارة الشوق فورًا فليتناول بكاس كان مزاجها كافورًا . ثم قولوا للعاشق سل سبيل فاذا صحّت الحمية قدموا العليل الى طبيبه و المحب الى حبيبه ولقّاهم نظرةً وسرورًا ورقاهم ونقاهم وسقاهم شرابًا طهورًا فسكروا حين شربوا فطربوا ثم استزيدوا فزيدوا ثم استجيبوا فطاروا باجنحة الانس فاذا هم في حضرة القدس فسقطوا ليلتقطوا حبة المحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر فحاصلوا حين وصلوا فلمّا حضروا فاذا الحجب قد رفعت والاكواب وقد وضعت والاحباب وقد جمعت فنالوا ما لا عين رأت ولا اذن سمعت فقيل عند ذلك في هذا المعنى شعر

يا قلبُ بشراكَ ايامُ الرضا رَجعتْ وهٰذهِ ٱلدَّارُ للاحبابِ قد جَمعَتْ
أما ترى نَفَحات الحيِّ قد عبقَتْ أنفاسُها وبُروقَ القُربِ قد لَمعتْ
فعِشْ هنيًّا بوصلٍ غيرِ مُنفصلٍ مع مَنْ تُحبُّ وحُجبُ ٱلهجرِ قد رُفعت
وٱنظُرْ جمالَ ٱلّذي منْ أجلِ رؤيتهِ قُلوبُ عُبّادهِ في حُبّهِ ٱنصَدَعتْ

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

معتقداتهم (تابع)

اما من جهة اعتقادهم بالمسيح وبيوحنا المعمدان فاليك تعريب ما قرأته في « الكنزا » لا كما يوردهُ عوامُّهم قال وقولهُ كلهُ كذب كما سترى : « فأعيد عليكم الكلام

يا تلامذتي (١ ان « مشيها » (المسيح) ويُقال لهُ عطارد (٢ سوف يختفي عدَّة اشهر في احشاء « أم بتول » ثم يبرز منها بجسدهِ . فيربو في حجر والدتهِ ويرضع من لبنها وينشأ بين ظهراني اليهود ويعرض مذهبهُ كلهُ منذ اول نشأتهِ . ثم يُعدّ لنفسهِ عَبَدةً لهُ ويُكرهُ اصحابهُ على استشعار المرعزاء (٣ وجزّ شعور الرؤوس فيرين الهوى على قلوبهم من حيث لا يدرون . ثم ان اصحابهُ يقومون بعيده يوم الشمس وسوف يقول لهم : « اني إلهٌ حقّ وقد ارسلني ابي الى هنا . اني انا اول الرُّسل وخاتمهم . اني الآب واني الروح القدس وقد نبغت في الناصرة » ولهُ عرش . وسوف يرفع الناسوت بالناسوت . وسوف ينتقل الى اورشليم

« هذا وان اليهود سوف يتألبون اليهِ بما يرون منهُ وسوف يُريهم معجزات وآيات غريبة حتى انهُ ينشر الموتى من القبور ويُعيد الكلام اليهم . وسوف يدعو اليهود ويقول لهم : تعالوا وعاينوا فاني أحيي الموتى وانشرهم وادفع الفدية واني انا « أنوش الناصري » . هذا وان الروح نفسهُ سوف يُسمع صوتهُ في اورشليم ليشهد لهُ . اما مشيها فانهُ يفتن ابناء الناس يعمدهم بماء قابل النشف ويغيّر عماد الحياة اذ يُعمّد المتشيّعين لهُ : « باسم الآب والابن والروح القدس » ويُزحزح الناس عن عماد الحياة الذي تعمَّد بهِ آدم في مياه الاردن الحيَّة

وفي ذلك العهد يولد ابنٌ اسمهُ « يهيي بن ابو ساوا زكريّا » ويأتيهِ في شيخوختهِ . ويكون عمر امّهِ « إينشوَي » مائة سنة حينما تحبل بهِ . وتلدهُ في هرمها . واما « يَهيي » فسوف ينشأ في اورشليم لان الايمان يكون في صدرهِ وسوف يطوف الاردن ويعمّد الناس

١) هذا كلام هيفل زيوا وهو الروحاني الذي نزل الى العالم واوحى كتاب الكُنزا الى ابينا آدم على ما يعتقدهُ الصابئة . وقد اخرج كلامهُ مخرج النبوَّة لانهم يعتقدون كلّ الاعتقاد بقدم كتابهم هذا وبانَّهُ يتنبأ عن جميع الاديان التي تحدث على وجه الارض وعن جميع الوقائع التي تقع فيهِ في مستقبل الزمان الى نهاية العالم

٢) وبالصابئيَّة أنبو . قلتُ : يعتقد المندائيون ان كلّ واحد من السيَّارات هو صاحب ديانة على الارض وقد جاؤوا اليها هابطين من العلاء شيئاً بعد شيء ثم رجعوا اليها بعد تمكين ديانتهم في المعمور . ولهم في سيَّاراتهم عوالم وسماء ومحلّ عذاب الى غير ذلك . وعندهم انّ المسيح هو عطارد كما ترى

٣) اي على اتخاذ شعر المعز شعارًا يلبسونهُ

مدة ٤٢ سنة قبل ان يأتي العالم عطارد المتجسّد. وبعد ولادة يَهيِي في اورشليم بينما يطوف صقع الاردن ويعمّد سوف يأتي: « مشيحا » (المسيح) ويتقدّم بتواضع ليصطبغ بعماد يَهيِي وينتفع بحكمته. لكن « مشيحا » سوف يعبث بمذهب يهيي ويغيّر عماد الاردن. غير انهُ في اليوم الذي يُتمّ يهيي مهمّتهُ آتي اليهِ واظهر لهُ حينما يكون ابن ٣ سنين ويوم واحد لأكلّمهُ عن العماد واشرح لهُ النعمة الالهية وفي آخر الامر استلّ روحهُ من جسدهِ وارفعهُ بالطهارة والنقاء الى « آلما دَنهورا » وأعمّدهُ في الماء الحي المُنعش ماء الاردنّ الزلال وألبسهُ لباس المجد واضع على مفرقهِ التاج النيّر وأسمعهُ أنشودة القلب الطاهر تلك الانشودة التي تُشبه الأغنيَّة التي يغنّيها ملوك النور ويسبّحون بها « ملكا دَنهورا » الى دهر الداهرين

« الّا ان العالم ينحاز الى الكذب بعد يهيي. ويدفع المسيح جميع الشعوب الى اتباع تعاليمهِ. ومثلهُ يفعل اثنا عشر من الرجال الذين سوف يطوفون العالم مدة ٣٠ سنة وفي تلك الحقبة يظهر الدجال في الدنيا. ويقيم الدعوى عليهِ ويسلّمهُ الى ايدي اليهود ويتركهُ اصحابهُ يموت مسمّرًا على صليب. فحينئذٍ ينتشر اصحاب المسيح على وجه البسيطة واما هو (اي المسيح) فيختفي على جبل « مورا ». وكما انّ الشمس تُبقي بخارًا بعد وَهجها فان هذا المسيح يُثير ايضًا في الارض تعاليمه. اما ابناء الناس الذين دانوا بدين الكذبة السبعة المعروفين باسم « مدبّري الكواكب السبعة » فانهم يصيرون الى النار ». اه كلام الكنزا

هذا ونكتفي بهذا القدر من ذكر بعض معتقدات الصابئة لان مجال هذا الموضوع فسيح والإحاطة بهِ في صفحات قلائل ضرب من المحال. وقد رأيت مما مرّ بك ان ديانتهم خليطٌ من جميع الاديان التي سبقت الميلاد وعقبتهُ فقسْ ما بقي على ما تقدّم الكلام عليهِ. هدى الله الزائغين من نهج الحق الى الصراط المستقيم

ذكر شيء من شعائرهم الدينيَّة

ليس للمندائيَّة محلّ صلاة عمومي يجتمعون فيهِ كما هو المألوف عند سائر اصحاب الاديان بل الذي ينوب عنهُ هو النهر فلا تتمّ سُنّة من سُننهم الّا في « الماء العذب الجاري » ويفتتحونها بصلواتٍ يتلونها قبل ولوجهم الماء ويختتمونها بصلواتٍ أخرى

يُزمزمون بها عند خروجهم منهُ . ومن السنن التي يمتازون بها ما يسمّونهُ بالعربيّة « العماد او المعموديّة » وبلسانهم : ܡܨܒܘܬܐ (مَصْوتّا) وهو لا يشبه عماد النصارى الّا من وجه واحد وهو التغطيس بالماء لا غير . والعماد عندهم على ثلاثة اقسام : ١ً عماد الولادة والزواج ٢ً عماد الجنابة ٣ً عماد الجماعة

١ً فامّا عماد الولادة فيكون على الوجه الآتي : عند ما يُولد الطفل يذهب واحد من اقاربهِ الى الكاهن ويذكر لهُ يوم ولادة الطفــل والساعة التي جاء فيها . وحينئذٍ يراجع الكاهن كتابًا خصوصيًا اسمهُ ܐܣܦܪ ܡܠܘܐܫܐ (وتُلفظ : أسْفَر مَلواشا ومعناهُ : كتاب ساعة الحبل) فيبحث الكاهن في الكتاب عن الاسم اللائق بالمولود وبعد ان يتمّ الحساب يقول لطالب اسم الوليد : « اسمهُ كذا » . واغلب الاحيان يكتبهُ على ورقةٍ ويسلّمها بيد الطالب المذكور ليأتي بها يوم تعميد الوليد . والعادة الجارية عند الصابئة انهم يسمون الولد باسم ثانٍ بلسان البلد الذي يوجدون فيهِ فيكون عربيًا في بلاد العرب وفارسيًا في بلاد الفرس وهلمّ جرًّا . وحينئذٍ لا يذكر الاسم الديني الّا في الشعائر الدينيّة وما كان من بابهــا . غير انهُ يوجد صابئون من لا يسمّون اولادهم الّا باسم واحد هو الاسم المندائي الديني لا غير . فيُعرفون بهِ دينًا ودنيا

ثم بعد ان يمضي على المولود اربعون يومًا يفكّر اهلهُ في تعميد ولدهم . ولا يجوز ابدًا العماد قبل هذه المدّة لكن يجوز اطالتها الى مدة تفوت الشهرين . وفي اليوم المعيَّن يحمل واحد من الاقارب او الاصدقاء ان ذكرًا وان انثى الوليد الذي يُراد تعميده ومع الجماعة والدة الولد (١ . ويذهب الجمع الى الكاهن واسمهُ عندهم ܬܪܡܝܕܐ (ترميدا اي التلميذ) فيلبس حُلّتهُ الكهنوتيّة او الدينيّة واسمها عندهم « ܪܣܬܐ رَسْتَه » ثم يمسك

١) لا يكون يوم عماد الولد الّا نهار الاحد ولا يجوز تعميده في ايام الاعياد ولا أيام الاسبوع بخلاف ما ذكرهُ حضرة الفاضل نقولا السيوفي . ولا يجوز العماد قبل هــذه المدة (اي مدّة الاربعين يومًا) لان الولد والوالدة يُعتبران نجسَين وكل من يلمسهما قبل العماد يتنجّس ويجب عليهِ الاعتماد ولا يجوز للوالد نفسهِ ان يذبح ذبائح قبل المدّة المذكورة ايضًا . ولا يُعمد الوليد ما لم تُعمد الوالدة قبلهُ . امّا سبب وجوب التعميد نهارًا فهو لان « شِبَّارْبا » من روحانيّيهم يذهب في ذلك النهار الى « مَشُوني كُشطا » وهو عالم ثان على زعمهم فيهِ نورٌ دائم وسكّانهُ من الصابئة ليُعمّد من يحتاج الى هذه في ذلك العالم

عصاً خصوصيَّة يسمونها « [illegible] مَركنا » وينطلق بالمرأة والوليد وحامل الولد والجمع الحاضر الى ماء عذبٍ جارٍ ما كان . ومعهُ شماسان صغيران واسم الشماس عندهم « [illegible] » (شكَندا) فاذا صار الى حافة الماء يتلو صلاة افتتاحيَّة ثم يلبس الشماس والوليد رَستهما وبعد ذلك يسأل الترميدا عن اسم الولد فيُذكر لهُ ثم يأخذ الشماسُ الولدَ فيتلو الكاهن على رأس الطفل صلوات يستنزل عليهِ بركات العماد ويعتني كل الاعتناء ان لا يسقط من رأس الولد او من رستهِ شيء ابدًا والّا فان سقط من المتعمد لفافة او نحو ذلك فيجب على المعمّد ان يتعمَّد ٣٦٠ مرَّة قبل ان يُعمد الولد و ٧٠٠ مرَّة اذا وقع شيء من الكاهن المعمّد نفسه. وبعد ان ينتهي الكاهن من تلاوة الصلاة يضع في اصبع المتعمِّد خاتمًا من عود الآس ثم ينزل الكاهن في الماء ومعهُ الإشكندا حاملًا الطفل بحيث يبلغ الماء ركبة النازلين فيهِ بدون ان يجوز لهم رفع شيء من ثيابهم الدينيَّة. ثم بعد ذلك يغرف المُعمّد ماء بيديه ويلقيهِ على الطفل ثلاث مرات الى ان يتبلَّل ثم يقول لهُ بالمندائيَّة (١ : فلان بن فلان. انك تعمَّدت بعماد بهرام العظيم ابن رُربي (فمسى هذا العماد) يحفظك ويُصعدك الى أعلى (آلما دنهورا) بجاه اسم هيّي (الحياة) واسمهِ مَندا دهيّي (معرفة الحياة او رسول الحياة) المذكورَين عليك (٢ . وبعد ذلك يخرج جميعهم من الماء ثمَّ يستلّ الكاهن خاتم الآس (واذا لم يوجد في البلد آس يُبدل بالمَرْماحوز الذي يسمَّى ايضًا بالماحوز او بالمروِ الماحوزي marum) من اصبع الولد ويضعهُ على جبينهِ تحت عمامته (والعمامة تسمَّى عندهم كنزَالا [illegible]) وبعد ان يصلي الكاهن هنيهةً يسجد (ومعناهُ عندهم يحني رأسهُ وصدرهُ وهو يفعل ذلك كلَّ مرَّة يذكر اسم

١) وهذه صورة حرفهِ بالآرامية : [illegible]

وتُلفظ : فلان بَر فلان صِبَوت بَصبوتَّا دَهرام ربأ بر رُربي مصوتخ تناطرَخ نِسقَ لريش أثما دَهيّي أشمي دمندا دهيّي مَدخر أَلخ

٢) روايتنا هذه تختلف كثيرًا عن رواية نيقولا السيوفي وسبب ذلك هو ان السيد المذكور اعتمد على كلام واحدٍ من الصابئة لا يعرف الَّا النزر القليل من ديانتهِ ولهذا غدا كتابهُ بمنزلة كتاب ديانةٍ تواطأ على اختلاقها السيد المذكور مع الصابئ معلمهِ . اما اعتمادنا فهو على الكتب وجماعة عديدة من الشيوخ المندائية . ولا يتحقَّق صدق هذا الكلام الَّا من قيَّض الله لهُ المجيء الى هذه البلاد والوقوف على الكتب الدينية الراجعة الى هذه النحلة او مشافهة جماعة من شيوخهم العلماء

روحانيّ عظيم) ثم يأخذ بيدهِ اليمين شيئًا من الكندر ويُلقيهِ في نار قد أُوقدت في موقد على هيئة ما يسمّيهِ العامَّة بالمنقل ويتّخذ من الطين الحرّ ويُوقَف لهذه الغاية في مثــل هذه السُّنَّة . وبينما يُلقي البخور على النار يقول: ܪܝܚܐ ܕܒܣܡܐ (وتُلفظ: ريها دبسّم) اي لتفُح رائحة (وليس معناها كما قال المرحوم نقولا السيوفي: « رائحة ذكيَّة ») وبعد ذلك يضع الكاهن في يدهِ اليسرى مقدار عشر سِنسِمات من سمسم مُحمَّص موضوع في كيس لهُ لهذه الغاية ثم يُريق عليهِ شيئًا من الماء يأخذهُ بقنينةٍ من ماء النهر قبل خروجهِ منهُ ثم يلتُّهُ باناملِ يدهِ اليمنى ويضع منهُ ثلاث مرات على جبين الولد ممرًّا يدهُ من الصدغ الواحد الى الصدغ الآخر وهو يقول كل مرة: «ܪܫܝܡܬ ܒܪܫܡܐ ܕܗܝܝ ܐܫܡܐ ܕܗܝܝ ܘܐܫܡܐ ܕܡܢܕܐ ܕܗܝܝ ܡܕܟܪ ܥܠܟ وتُلفظ: رشيمَت بْرَشما دْهيّ . أشما دْهيّ وأُشما دْمَندا دْهيّ مَدخر الخ اي: لقد وُسمتَ بسمة الحياة. اسم الحياة واسم معرفة الحياة مذكوران عليك. ثم يصلّي صلاة طويلة ثم يذكر في قلبهِ بنوع لا يسمعهُ احد اسماء سرّيَّة ويذكر كل اسم على كل عقدٍ من عقود اصابعهِ الخمس واضعًا كل مرَّة طرف ابهامهِ على كلّ عقدٍ ويذكر ٦١ اسمًا . وهذه الاسماء لا تُذكر لأحد حتى ولا للصابئة واذا قُلِّد الكاهن رتبتهُ يقول لهُ مقلّدهُ الوظيفة حينما يصل الى تعليمهِ هذه السنَّة من ديانتهِ: « وعليك الآن ان تُظهر الاسماء التي هي مذكورة في هذه الصفحة لوقت الحاجة » فيجتهد المترشح لحفظها على قلبهِ بدون التلفُّظ بها ثمَّ بعد ان ينتهي المعمّد من هذه الاسماء يلثم طرف عمامتهِ ويضعها على كلّ من عينيهِ مرَّاتٍ عديدة ثمَّ يُنزَع الخاتم من جبهة المتعمّد ويُلقى في النهر ثم تنزع ثيابُهُ وهكذا ينتهي العماد . واجرة العماد لا تتجاوز نصف الفرنك . وهي اجرة واجبة الدفع واذا ادَّى المتعمّد اكثر من ذلك فيكون ذا من الامور المحمودة . واذا تُوفي المتعمّد في اثناء العماد فامَّا ان يتمِم الكاهن السنَّة الى آخرها على الميت واما ان يؤتى بواحدٍ من المندائيَّة يُشبه اسمهُ اسم الميت ويُنهي عليهِ تتمَّة الحفلة الدينيَّة

امَّا ما ذكرهُ المأسوف عليهِ نقولا السيوفي فهو زوائد لا تُطابق الحقيقة والدليل على ذلك اني كنت قد اخذت سِفرهُ معي في تجوُّلي في بلاد الصابئة ولمَّا تلوتُ على الحضور سنَّة العماد رأيتُ طائفــة منهم يفرغون وسعهم في اخفاء ضحكهم عند تلاوة تلك المختلقات فمنهم من كان يسدّ فمهُ بطرف ثوبهِ . ومنهم من كان يجعل رأسهُ بين يديهِ ومنهم من كان ينهض من المجلس خوفًا من استغراقهِ في الضحك ومنهم من كان يُحرّق

الارْم ضبطاً لنفسهِ الى نحو ذلك من الامارات المُشعرة بضعف ما ارويه على مسامع الجلاَّس. ولمَّا انتهيتُ من زيارتي لهم اخذني الشيخ على انفراد وقال لي: ان اغلب ما ذكرتهُ من الامور الفرئيَّة فان شئت احضر هنا نهار الاحد في الساعة الفلانيَّــة واشهد عمادًا ثم علّق ذلك على كنّاشتك. ففعلتُ. وما قرأْتهُ هنا هو رواية ما شاهدتهُ بعيني. فلينتبه القارئ

اما عماد الجَنَابة فيكون تقريباً على الوجه المارّ ذكره. ويتحتم على الصابئ كلّ مرة يَجنَب. وهو يجنب في امور كثيرة منها: لمس ميتٍ او مولودٍ او نفساء او حائض او دم حيوان مذبوح على غير سنَّتهم. ومنــها اذا عضَّ الصابئ كلبٌ او حيوان آخر فادماهُ. وكذلك اذا نهشتهُ حيَّة او لسعتهُ عقرب او نحوهما من الهوامّ. ومنها اذا ذهب الواحد منهم الى بلادٍ اصحابها معذورون او اكل من لحم لم يذبحهُ واحدٌ من الموظفين بذلك. او أُودع السجن او أتى امرأتهُ او احتلم الى غير ذلك من الامور التي اذا عمل بهـــا المندائي التقي الورع فلا يكاد يخرج من الماء. ولذا ترى كثيرين منهم لا يحفلون بسننهم هذه الّا في النادر

وامَّا عماد الجماعة فلا يكون الّا في عيــد واحد يسمونهُ: « ܦܢܓܐ » وتُلفظ: « پَنجه » وهي كلمة فارسيَّة معناها (عيد) خمسة (الأيام). وفي ذلك النهار يتألب المندائيَّة من كلّ اوب وصوب فيدخلون النهر ثم يقرأ عليهم الكاهن صلوات يكثر في مطاويها ذكر لفظتين وهما: « ܗܠܝܢ ܢܫܡܬܐ » وتُلفظ: « هَلَنْ نشماثا » ومعناها: « هذه النفوس » فظنَّ حضرة نيقولا السيوفي ان معنى هاتين اللفظتين هو اسم تلك الجماعة. وقد قال في كلامهِ عن هذا العماد ان الحضور يُعمدون بالرش. وليس الامر كذلك بل انهم يعمدون بالتغطيس كما هو الجاري في العماد المألوف (ستأتي البقيَّة)

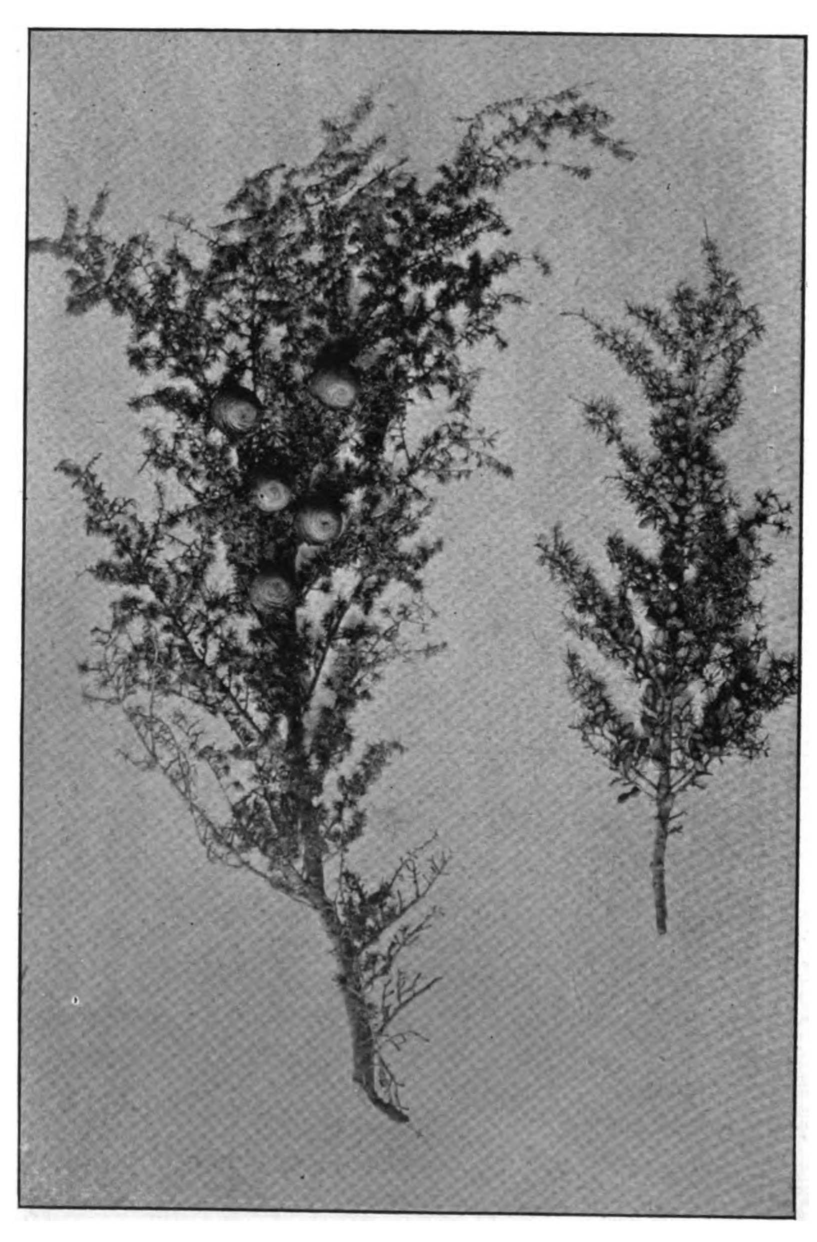
تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٨ ارز لبنان

لا يسعنا في وصف آثار لبنان ان نضرب صفحاً عن شجر اختصَّ بهِ هذا الجبــل



غصنان من ارز الباروك

دون غيرهِ نزيد شجر الارز الذي نُسب الى لبنان نسبةً غير منفصمة . لكنّنا لا نبسط الكلام فيهِ الّا لنورد ما يفيــدنا عنهُ علماً تاريخيًا وأثريًا وندع لارباب الطبيعة ما هو أحقّ بوصفهم

انهُ غنيٌّ عن البيان انَّ الارز المذكور في الاسفار المقدَّسة هو هو ارزُ لبنان كما تشهد تسميته العبرانيَّة والعربيَّة التي لم تختلف منذ القدم حتّى الآن . وكذلك يوافق ارزنا الذي نعرفهُ ما جاء فيهِ من الاوصــاف في الـكُتُب المنزلة مثل بُسوقهِ (اشعيا ٢ : ١٣ حزقيال ٣١ : ٣ و ٨ عاموس ٢ : ٩) وامتــداد اغصانهِ الفَنْواء الوارفة الظلّ (حز ١٧ : ٢٣) ورائحتهِ الراتينجيَّة التي تعطّر الارجاء (نشيد ٤ : ١١ هوشع ١٤ : ٧)وحسنهِ الذي يجعلهُ فخرًا للبنــان (اشعيا ٣٥ : ٢ و ٦٠ : ١٣) ووفرتهِ في هذا الجبل (مز ٩٢ : ١٣ و ١٠٤ : ١٦ اشعيــا ١٤ : ٨) قال حزقيال (٣١ : ٣ — ١٠) ملخّصاً كل هذه خواصّ الارز وهو يشبّه بهِ ملك اشور: « هوذا اشور ارزة بلبنان بهيجة الافنـــان غبياء الظلّ شامخة القوام وقد كانت ناصيتُها بارزةً بين اغصان ملتفّة . المياه عظَّمتْها والغَمْر رفعها . انهارها جرت من حول مَغرِسها ومجاريها ارسلتها الى جميع اشجار الصحراء فلذلك عند نشأتها ارتفع قوامُها فوق جميع اشجار الصحراء وامتدّت فروعها من كثرة المياه . في اغصانها عشّشت جميع طيور السماء وتحت فروعهــا ولدت جميع وحوش الصحراء . . وفي ظلّها سكنت جميع الامم الكثيرة وصارت بهيجةً في عظمتها وفي طول عَذَباتهــا لأنَّ اصلها كان على مياهٍ غزيرة . . . فكلُّ شجرٍ في جنّة الله لم يماثلها في بهجتهِ فاني صنعتها بهيجةً بكثرة عَذَباتها فغارت منها جميع اشجار عدن التي في جنّة الله » فللهِ من وصف يطابق الواقع لاسيّما في عهد النبيّ اذ كانت كل قمم لبنــان مكلّلة بغابات الارز . وفي قول حزقيال احسن تفنيد لآراء احد المحدثين من الفرنج واسمهُ اوجين دي لاسال (١ زعم انَّ الارز غُرس في لبنان على عهد صلاح الدين يوسف الايّوبي

هذا وللأرز خشب صلب صقيل اصفر فاقع ذو خطوط حمراء عَطِر الرائحــة لا يفعل فيهِ الزمان ولا تقربهُ الارضة والسوس ولذلك اعتبرهُ قدماء البنّائين (راجع سفر

١) راجع كتابهُ Pérégrinations ou Voyages, *Paris* 1840. I, 132

الملوك الثاني ٧ : ٧ و ١ اخبار ١٧ : ٦ واش ٩ : ١٠ ارميا ٢٢ : ١٤) واستعمالهُ منذ عهد عهيد في الابنية كان اعظم الاسباب التي عملت على خرابهِ

وقد ذكر الطبيعيّ بلينيوس (١ ارز سوريّة كخشب لا يصيبهُ الفساد وروى انَّ سقف هيكل ديانة في افسس الذي التهمتهُ النيران بعدَ تشييدهِ بنحو ٤٠٠ سنة كان من هذا الخشب . وكذلك كان قدماء الشعراء يشبهون الاعمال المخلَّدة بالارز (٢ . وممّا يشهد لهذا الشجر بالبقاء انَّ لايَرْد (Layard) وجد بين عاديّات اشور تِريِهبال في نمرود اخشابًا من الارز صبرت على آفات الدهر نيفًا و ٢٧٠٠ سنة فاخذها واعاد صقلها فكانت كأنها قُطعت حديثًا . وفي المتحف البريطاني قطع من هذه الاخشاب القديمة حسنة المنظر صفراء اللون بارزة العروق . وقد أُلقي شيء منها في النار ففاح عرفها الذي اطرأهُ القدماء (٣

امّا استعمال الارز في البناء فكان متنوّعًا يتّخذهُ المهندسون لعَتَبات الابواب وعوارضها وسقوف البيوت (راجع سفر النشيد ١ : ١٤ و ٨ : ٩ وارميا ٢٢ : ١٤ وصفنيا ٢ : ١٤) بل ربّما التجأوا الى الارز لتصفيح جدران القصور والهياكل بالواحهِ . وكذا فعل سليمان في هيكل اورشليم قال في سفر الملوك الثالث (٦ : ١٥ — ١٧) انهُ « بنى على جدران البيت من داخلٍ الواح أرز . . من ارض البيت الى جوائز السقف » وقد احبَّ القدماء ان يصفّحوا الجدران بهذه الالواح لأنَّ حجارة فلسطين وسوريّة هي في الغالب كلسيَّة نَخِرة لا تروق العين كالرخام والصوّان والحجر المانع فلتلافي هذا الخلل كانوا يصفحون الجدران بصفائح من ذهب او فضَّة او خشب ثمين وكانوا يفضّلون الارز لبقائهِ . وكان داود قبل ابنهِ سليمان طلب من حيرام ملك صور ان يُرسل لهُ كميَّة من اخشاب الارز ليبتني بها بلاطةً في اورشليم . فلمّا صار الامر الى ابنهِ فاراد ان يشيّد للرب هيكلًا يُعدّ من عجائب المعمور فضَّل الارز على سواهُ لتتميم هذا المشروع الخطير

١) راجع تاريخهُ الطبيعي ك ١٣ : ١١ و١٦ و ٧٦ و ٧٩
٢) راجع *Perse Satires* 1, 41 و *Horace, Epist. ad Pisones* 32
٣) راجع الشاعر فرجيل Eneid. VII,13 والتاريخ الطبيعي لبلينيوس ك ١٣ ف ١ وتأليف لايَرْد Niniveh and Babylon, 367

وكذلك صفحوا داخل الهيكل الثاني في اورشليم بخشب الارز (١ وهكذا ايضاً جملوا سقف الهيكل الذي جدّده هيرودس (٢

امّا الابنية الاولى المسيحية التي شيّدتها الملكة هيلانة مثل قبّة القبر المقدّس وسقف كنيسة بيت لحم فقد اتخذوا لها ايضاً خشب الارز الى ان جدّدها الصليبيون. هذا فضلًا عن انهم كانوا يستعملون خشب الارز تماثيل واصناماً كما قال اشعيا (٤٠ : ١٤) وقد قال مثلهُ ايضاً كل من بوسانياس و بلين (٣

ثم ان خشب الارز كان معتبرًا ومستعملًا في خارج سوريّة وفلسطين لان سنحاريب ملك اشور يفتخر بانهُ صعد جبال لبنان وقطع منها شجر الارز (٤ وفي الكتابات المسماريّة ايضاً يفتخر ملوك بابل واشور بمثل هذه المأثرة لانهم كانوا في الغالب يتقاضون جزيةً من خشب الارز. وكثيرًا ما يرد في النص الاشوري ذكر الارز موصوفاً بطيب العرف ومقولًا عنهُ ان ملوك نينوى و بابل كانوا يتخذونهُ جسورًا او روافد في هياكلهم وقصورهم (٥ وكانوا يكثرون جدًّا من استعمال الارز حتى ان النبي اشعيا (١٤ : ٨) في معرض كلامهِ على سقوط بابل يصور الارز فرحاً محبورًا بخرابها. وكذلك كانت قصور ملوك فارس في عاصمتهم من خشب الارز (٦

وقد عرف المصريون الارز وخواصّهُ العجيبة وكان الفينيقيّون ينقلونهُ الى سواحلهم بحرًا (٧. فاتّخذهُ الفراعنة لابنيتهم الفخيمة كالقصور الملكيّة والهياكل الدينيّة وقد اقتدى بمثلهم الملوك السلوقيّون في سوريّة وقد اصطنعوا منهُ ايضاً اثاث بيوتهم لعدم فسادهِ. وذاك ما حدا الى ان يحشوا من نشارتهِ على موتاهم في تحنيطهم ويطلوا براتينجهِ خارج التوابيت كما يشاهد ذلك في مدافن المصريّين

*

فيؤخذ من كلّ ما سبق انّ تجارة الارز اللبناني كانت متّسعة النطاق. على انّنا لم

---

١) ١ عزرا ٣ : ٧ ٢) يوسيفوس في حرب اليهودية ٥ : ٥و٢

٣) التاريخ الطبيعي ١٣ : ١١ ٤) ملوك رابع ١٩ : ٢-٣ واشعيا ٣٨ : ٢١

٥) Schrader مجموع كتابات اشورية و بابلية ك ١ . ص ٦٨ , ١٠٨ , ١٤٠ الخ

٦) راجع المؤرخ اللاتيني كورتيوس روفوس ٥ , ٢٢

٧) راجع تاريخ الصناعة في القدم لپيرو (Perrot) الجزء الاوّل ص ٥٦٧

نذكر الّا قسماً صغيرًا من الابنية التي كانت تجهّز بهذا الخشب. فانّ الادوات الحربيّة والمجانيق كانت في الغالب تُصطنع من الارز. ولا شكّ انّ السدّ الذي اقامهُ الاسكندر بين الشاطئ والجزيرة التي كانت مبنيَّة عليها مدينة صور دخل فيهِ شيء كثير من خشب الارز

وقد روى المؤرخ ديودورس (ك ١٩ ف ٥٨) انّ انطيغون الملك حاول حصار المدينة المذكورة في سنة ٣١٥ ق م. فاراد ان يجهّز لهُ اسطولًا قويًّا فأتى بثمانية آلاف عامل عهد اليهم ان يقطعوا من ارز لبنان ما كان كافيًا لتجهيز ٥٠٠ سفينة حربيّة. فنُقل الخشب المقطوع على ظهر الف دابّة الى مصانع صيداء وجبيل وطرابلس حيث أُنجز العمل. قال الراوي « وكان الخشب المذكور من الارز المرتفع القوام الباهر العظمة » فترى من هذا المثل الوحيد كم عاثت الحروب بارز لبنان. ولكن كم عبث بهِ من الحطّابين غير الثمانية آلاف الذين ذكرناهم. ولو اردنا لاوردنا امثلةً عديدة تؤيد قولنا. ويؤخذ من رواية ديودورس ان كلّ قمم لبنان كانت تردهي باشجار الارز من الشمال الى الجنوب يُستدلّ على ذلك من ذكر المدن الساحليّة التي نُقل اليها الارز لعمارة اسطول انطيغون. واذا استغرب القارئ وجود الارز جنوبيّ لبنان فليذكر خبر حيرام ملك صور المشار اليهِ سابقًا

وممَّا يؤسف لهُ ان الحكومة المحليَّة لم تسنّ السُّنن لقطع هذه الغابات بنظام. وعلى رأينا انّ الرومان اول من فكَّر في هذا الامر الخطير كما يظهر ذلك من كتابات لأدريان الامبراطور اوردناها مرارًا مفادها انّ الحكومة لا تسمح بقطع اربعة اصناف من الاشجار(١ من جملتها الارز. ومع ما دهم الارز من العيث والفساد نرى المؤرخين الرومانيين يذكرون غاباتهِ الكثيفة من جملتهم تاقيتس المؤرخ (ك ٥ ف ٦). وروى اوسابيوس القيصري (ك ١٠) انّ سقوف البيع كانت تتخذ عادةً من خشب الارز في القرن الرابع

على انّ السُّنن الرومانيَّة لم تحفظ للبنان فخر غاباتهِ الّا زمنًا قليلًا فانّ بروكوب المؤرخ (٢ يخبر عن يوستنيان الملك انهُ بحث البحث الطويل قبل ان يجد الارز الضروري

١) قد وردت هذه الكتابة في المشرق (١ : ٧٣٩) على خلاف هذه الرواية . والصواب ما ندونهُ هنا

٢) راجع كتابهُ .De Ædif. Justin (ك ٥ ف ٦)

لتشييد كنيسة مريم الملكيَّة في اورشليم . وبعد التنقيب والتفتيش عثر البنّاؤون على ما كانوا يطلبون اي سواري باسقة الطول كافية لعوارض سقف البيعة

واذا تتبَّعنا تاريخ الارز من ذاك الحين وجدنا يد التلف تسطو على غاباته حتَّى لم تكد تترك منها غير اثر بعد عين . فقد ذكر تاوفان المؤرخ في تاريخ سنة ٦١٤٠ للعالم ان معاوية اول خلفاء بني امية ابتنى ١٧٠٠ سفينة شراعيَّة واتَّخذ موادها من جبل لبنان ولم تمضِ سنوات قليلة بعد ذلك حتى جهز ايضاً اسطولاً ثانياً اكثر عدداً واشدّ هولاً من الاوَّل وقد حذا حذوه غير واحدٍ من الخلفاء في مسألة الانشاءات البحريَّة وكانوا يجعلون اخصّ دور الصناعة وهي التي تسمَّى اليوم بمحلات الورشات او الترسانات في مدينة طرابلس نظرًا لقربها من غابات الارز . ومما عاون ايضاً على تلف الارز وكان من جملة اسباب قطعهِ صناعة استخراج الحديد ومعالجتهُ التي كانت اثناء القرون المتوسطة شائعة في كثير من نواحي لبنان كما يؤخذ من تاريخ ابن بطوطة والادريسي والقلقشندي . ثم ان الجهات التي أُقيمت فيها مسابك الحديد وكانت في مبادئ القرن التاسع عشر زاهيةً بالغابات والاحراج الملتفة أصبحنا ولا نرى فيها اليوم نبتةً خضراء . فبهذه الطريقة والحالة هذه نستطيع ان نعلّل سرعة فناء الغابات في جبل لبنان

اما الآن فلم يزل شجر الارز موجودًا في ثلاثة اماكن أُخرى من لبنان لانك تجد منهُ اولاً في شمالي لبنان بين قريتي الحدث ونيحا غابة يبلغ طولها نحواً من ساعة ونصف . نعم ان اكثر اشجارها فتيَّة وليست في كل اماكن الغاب ملتفة ولكن اذا اتخذ ما يلزم من الاحتياطات لصيانتها لا تلبث ان تصير بتمادي الأيام حرجاً من الطف الاحراج وآنقها

وثانياً في اعالي قرية سير ببلاد الضنية في مبادئ وادي النجاص فهناك كثير من شجر الارز على ارتفاع ١٩٠٠ متر عن مساواة البحر . وتجد الارز ايضاً بين سير ونبع السكَّر ثم في الغابة الواقعة خلف وادي جهنَّم (١ والقوم في تلك الناحية يسمُّونهُ تنوب (٢

ثالثاً في لبنان لفيف ثالث من شجر الارز لا يعرفهُ الَّا القليلون نابت في الجبال

١) وقد ذكر ارز الضنية الرحالة سيترن ١ . ص ١٧٩

٢) راجع المجلة الفلسطينية الانكليزية سنة ١٨٩٣ . ص ٢٢٠

المشرفة على قرية الباروك على مسافة ساعة ونصف من الجنوب الشرقي وهو هنـاك بهيئة غابة غيباء تمتدّ على مسافة ساعةٍ طولًا غير ان شجر الارز في المحل المذكور يُوجد ألفافًا ينفصل بعضها عن بعض في الغالب بمسافات خالية او مشغولة باشجار أُخرى من جملتها السنديان وهو من نوع السنديان الذي ينبت في شمالي اوربة واهل البلاد يسمُّونهُ اللكّ و يسمون الارز الأُبهل. وارز الباروك بوجه الاجمال فتيّ ولكن قد تُصادف فيهِ بعض اشجار عتيقة غير انها اقل سموقًا وارتفاعًا من الارز الموجود بناحية بشراي لان ثقل الثلوج في مثل هذه النواحي العالية كثيرًا ما يكسر قمم الشجر كما ان شدّة الريح تحنيها حتى تجعلها منبسطة كالمظلة على هوى الريح. فضـلًا عن ان الجذوع تتفرّع عادةً الى فروع فتصير بها عظيمة وكبيرة. امّا متى كانت الشجر مجتمعةً لفًّا واحدًا فترى جذوعها سامقةً مستطيلة وخاليةً من الفروع غير انهـا تكون اقل ثخانة نظرًا لشدة قربها بعضها من بعض. على ان ارز البـاروك بما فيهِ من الشجر الكبير والصغير والفتيّ النابت على اصول القديم يمثِّل للعين غابةً حقيقيةً اكثر من ارز بشراي

ولكن حياة هذه الغابة الجميلة نراها لسوء الحظّ مهددةً كل ساعة بالفناء والدمار لانها لما كانت ملكًا لقرية الباروك كانت بلديتها تأذن بالقطع منها لقاء بعض دريهمات تنتفع بها فمن ثمَّ نستلفت الى هذا الامر انظار الحكومة اللبنانية

اما اشهر لفيف من شجر الارز فغابة بالقرب من قصبـة بشراي وهو على علو ١٩٢٥ مترًا فوق مساواة البحر في سفح الجبـل المعروف بظهر القضيب. والتربة النابت فيها الشجر المذكور كلسيَّة ولكن الورق الذي يتساقط منهُ ادى شيئًا فشيئًا الى تكوين قشرة من التراب الاسود. وفي قلب هذه الغابة كنيسة صغيرة للموارنة يقيمون فيها الاحتفالات كل سنة يوم عيد التجلي

واعظم شجر الارز نابت في جوار الكنيسة المذكورة ومنهُ ارزة يبلغ محيط جذعها اربعة عشر مترًا و٥٦ سنتيمترًا ثم ارزة أُخرى تقاربها في هذه الضخامة. والارزتان المذكورتان هما اقدم شجر الغاب وقدَّر بعضهم ان عمرهما لا يقل عن ثلاثة آلاف سنة (١ وقال

١) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV) مجلد ١٠ ص ٩١ وكتاب ايعرس وغوته مجلد ٢ ص ١٤ المعنون Palestina im Wort und Bild

بذلك الجيولوجي الشهير الدكتور فراس الذي بنى حسابه على العقد المختلفة الموجودة في الشجرتين

واكبر ارتفاع تبلغــهُ هذه الشجر لا يتجاوز ٢٥ مترًا وفي جملتها شجرات يتراوح ارتفاعها بين اربعة عشر واثنين وعشرين مترًا والبـــاقي يقل ارتفاعهُ عن اربعة عشر مترًا

واما جملة شجر الغابة فهو نحو ٣٩٧ شجرة يدخل فيهـــا الشجر الصغير الذي لا يتجاوز ارتفاعه سبعة امتار وهو مما وقف الشجر الكبير في سبيل نموه مانعاً عنهُ الهواء اللازم لذلك. وفي الغابة ايضاً شجرات اشتدَّ قربهـــا الى بعضها كثيرًا حتى تلازت جذوعها واصبحت كانها جذع واحد

ومن يقابل بين اخبار السيَّاح والجوَّالة الذين زاروا هذه الغابة يرى ان ارز بشراي قد زاد عددًا في ايَّامنا. لان الارز المذكور كان في القرنين السادس عشر والسابع عشر قد تناقص بل اوشك ان يتلف لولا عناية بطاركة الموارنة الذين تهدَّدوا بالحرم كل من عدَّ اليهِ يدًا عادية

واوَّل من تكلم عنهُ هو بيلون(١ الافرنسي وعدَّ منهُ ثمانيـــة وعشرين ارزة قديمة. ثم السائح الالماني فورير ڤون هايمندورف (٢ سنة ١٥٦٦ وعدَّ منهُ خمساً وعشرين ارزةً. ثم العشَّاب راولف (٣ الذي زارهُ سنة ١٥٧٥ ولم يعدَّ منهُ غير اربع وعشرين ارزة. ومن بعد هذا التـــاريخ كثر الذين اخبروا عن الارز من جملتهم الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي الى الموارنة فانهُ زاره سنة ١٥٩٩ وعدَّ منهُ ثلاثًا وعشرين ارزة. ومنهم دارفيو (٤ الذي زاره ١٦٦٠ ومنهم روجـــه وغيرهُ ولم يجدوا اذ ذاك غير اثنتين وعشرين شجرة. ومن بعد هؤلاء زاره المؤرخ دي لاروك سنة ١٦٨٩ فوجد فيهِ عشرين شجرة والانكليزي موندريل سنة ١٦٩٦ ثم پوكوك وعدَّ الاوَّل ستَّ عشرة والثاني خمس عشرة. غير ان الشجرات الفتية قويت لحسن البخت في اثناء هذه المدَّة على ان تنمو تدريجًا وتعوّض عن الارزات القديمة

وفي تضاعيف القرن الثامن عشر تجدَّدت الغـــابة شيئاً بعد شيء وترتقي اعمار

(١ Belon

(٢ Fürer von Haimendorff

(٣ Rauwolff

(٤ D' Arvieux

الشجرات الفتيَّة الى هذا التاريخ ومن النظر الى ما فيها من العقد يُقدَّر ان أعمارها لا تزيد على قرنين

وفي ٢١ تموز سنة ١٨٠٥ يخبر سيتزن عن ثلاثمائة ارزة بنوع التقدير اذ يظهر انهُ لم يعدّها واحدةً فواحدةً. وفي سنة ١٨١٠ يخبر بورخارد عن ثلاثمائة ارزة صغيرة وخمسين متوسطة وخمس وعشرين ضخمة وجملة ذلك ٣٧٥ ارزةً. وقد ذكر هذا العدد نفسه تقريباً الجيولوجي فراس الذي زار الغابة سنة ١٨٧٤ مما يدلّ على ان عدد الارزات قد بقي في زماننا على حالهِ

ومع كل ذلك لا يمتنع تكثيرها وفراراً من تكرار ما سبق لنا ايرادهُ في هذا الشان نحيل القارئ على المشرق (١: ٧٢٧ و ٣: ٩٧٦) حيث تكلَّمنا عن هذه المادَّة وأقمنا المقابلة بين لبنان وجبال الألب

وقد مرَّ القول انَّ الارز يوجد ألقافاً متفرّقة ما بين كبيرة وصغيرة في أماكن مختلفة من جبل لبنان. وهذا يثبت انهُ يقوى على النجاح والنموّ فيهِ. بقي ان نقول ان الارز يوجد ايضاً في تعنايل التابعة البقاع وذلك في ارض الآباء اليسوعيين الذين امتحنوا زراعتهُ عندهم فافلحوا. امَّا في خارج لبنان فيوجد الارز بكثرة في جبال قرمانية وجبال جزائر الغرب. وكل هذا من شأنهِ ان ينشط مساعي الذين يهتمُّون بحفظ الاشجار الجميلة التي كانت زينة وحلية في جبين لبنان منذ الدهر القديم (١   (ستأتي البقيَّة)

ما ورثهُ اهلُ العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني

ورث اهل العراق الحاليُّون عن سكَّانهِ القدماء آداباً وحرفاً جمةً مما يدل على لن التواتر والتقليد سُنَّة قديمة في الشرق يحافظون عليها كل المحافظة وقد استقصيتُ اثرها واستجليتُ امرها بمطالعة الكتب التاريخيَّة العزيزة حتى انهُ لم يبقَ لي ريب فيها. ثم

---

١) اما طريقة تكثيرها فراجع في شأنها ZDPV, X, 93

حداني حادٍ ان افيد القرّاء بذلك لتحريضهم على ان يُطرفونا بما هو من بابهِ عن بلادهم إذ ارى انهُ من اللازم اللازب على كل انسان ان يتفرَّغ للمطالعة وان ينقِّب عن سكَّان بلاده الاصليين وعن مصدر معارفهم ونشوء صنائعهم واختلاف ازيائهم وما شابه ذلك. ثم يرجع الى التفريق بين اولئك وبين احوال سكَّانهِ الحاليين كي يقدِّر سمو مداركهم حق قدرها ويعطي لكل قومٍ فضلهم. فهذا اذًا جلّ مقصدي مما انطوى عليهِ هذا البحث الجليل. وتسهيلًا للمأخذ قسمتهُ الى فصولٍ متعدّدة راجيًا من المطالع المتضلع بهذا الفنّ ان يسدّ الخلل. ويغضّ الطرف عن الزلل وعلى الله المُتَّكل

وقبل الخوض في الموضوع اذكّر القوم بامرٍ هو خلاصة الجاني وهو ان سلالة البابليين قد انقرضت وبقي منها شُوايَة محصورة في عشيرة يبلغ عدد افرادها ألفين تعرف بالصابئة وهي الامة التي يبحث عن معتقدها واصلها الاب انستاس الكرملي في المشرق المفيد. وان سلالة الاشوريين ايضًا قد أمحقت وبقي منها شُواية تعرف باسم الأكراد ويسميهم المؤرخون بالكوشيين (Cosséens) وهم يسكنون الآن الجبال الواقعة بين حدود العراق وبين العجم على مسافة ١٥ يومًا من بغداد. ومما يشهد بذلك ضخامة اجسامهم وقوَّة عضلهم الشهيرة المقرونة باللباقة وغلاظة طباعهم مع ذكاء فِطري ومزاولتهم صنائع بديعة صعبة المنال هي بقايا مما اخذوه عن اجدادهم. والخلاصة انهم يذكِّروننا باقوال ارميا النبي اذ يصف العسكر الاشوري: «.... ها انهُ يصعد كغمام وعجلاته كالزوبعة وخيله اخفّ من العُقبان. ...» الفصل ٤ : ١٣ ثم يقول: « هأنذا اجلب عليكم امةً من بعيد امة قويَّة امة قديمة. .... كلهم جبابرة. » الفصل الخامس: ١٥ و١٦

ولقد طرق مسامعي غير مرَّة ادعاءات فارغة اوهن من نسيج العنكبوت صادرة عن بعض المنتمين الى الطائفة الكلدانية مغزاها ان نسلهم يرتقي الى البابليين القدماء وانهم هم الأحقُّون بذلك الاصل من سواهم

اقول حسبهم تفنيدًا مطالعة تاريخ الكنيسة الكاثوليكية فانهُ يُطلعهم كفاية على اسباب تلقيبهم بالكلدانيين ان الله مع الصادقين

١ً البناء

اذا زار اليوم احد الزوار ارجاء العراق شاهد المنازل والمخازن والقصور الشاهقة والقلاع الخ مبنية كلها بالآجرّ وهو الطاباق بلسان العراقيين. وهذا النوع من البناء هو مما

اخذوهُ عن الاشوريين والبابليين ولم يزيدوا عليهِ ادنى تغيير بالذكر جدير سوى النشر والنحت اي ان القدماء كانوا يتخذون الاجرّة بصحتها وعلى حالها كما كانوا يستخرجونها من الأتون. امَّا الآن فاهل العراق يصنعون الاجرة اصغر حجماً من الاجرّة القديمة وينشرونها نصفين ثم ينحتونها نحتاً تاماً حسب الاصول اللائقة بوقعها من البناء

هذا ولا انكر على القدماء ان قد فاتتهم هذه المعرفة فان هذا الوهم مني بعيد بل يجوز لي الرجم انهم تركوا الاجرّة على حالتها تعمُّدًا لكي تقاوم حوادث الزمان مدة مديدة وكأني بهم حسبوا ان تقسيم الجسم يؤدي بهِ سريعاً الى البوار والتلف. ولذا ترى باقيةً الى يومنا هذا آثارًا عديدة ضاحكة ببقاء آجرها الصحيح الحجم من عوامل الطبيعة وكوارث الحدثان

امَّا البنايات الحديثة فان صاحبها يُضطرّ الى اصلاحها كل عشرين سنة او ثلاثين على الأكثر اذا لم يُرد ان يداهمها الخراب. ويعشش في زواياها البوم والغُراب. اما القدماء فكانوا يرممون عماراتهم مرة واحدة كل مائتي سنة وربَّما كل خمسمائة حولٍ وكل الف حجّةٍ. واليك بهذا الخصوص ما قرأهُ علماء العاديَّات على احد الآثار وفيهِ ذكر إصلاح لبناء جرى في زمان الملك نبونيد (خليفة نبوخذ نصر): «ان هرم هيكل النور العظيم الذي باشر باقامتهِ ولم يُنهِهِ لِكْ بَاجُس (Lik Bagus) الملك العريق في القدم..... ان هذا الهرم قد تداعى لتقادم عهدهِ...... فأمرتُ باعادة بنائهِ بالاجرّ والقيرِ كما كان قبلًا» ويفيدنا علماء العاديات عن هذا الهرم وهيكلهِ انَّهُ كان قد بُني من مدَّة الفي سنة قبل ترميمهِ على يد الملك نبونيد. فتأمل

ولنرجع الآن الى ما كنا فيهِ فنقول ان البناء بالآجرّ لهو من اعرف الاشياء قدماً. يرتقي قدمهُ الى الوفٍ من السنين وتشهد لنا بذلك التوراة اذ تقول: «وقال بعضهم لبعضٍ تعالوا نصنع لَبِناً وَنَشوِهِ شيًّا فكان لهم اللَّبِن بَدَل الحجارة والحمَّر كان بدل الطين.....» التكوين ١١: ٣

وكان اولئك القدماء يتخذون الطين للبناء على طريقتين. امَّا مطبوخاً واما غير مطبوخ ففي الحالة الاولى يُسمَّى آجرًّا وفي الثانية لبناً. فكانوا يأخذون كمية من التراب ويعجنونها بالماء حتى يَغدُوَ طيناً. فيفرغونهُ في قوالب مكعبة مستقيمة الزوايا ويعرضونهُ للشمس وللهواء مدة قليلة ثم يطبخونهُ في اتون نار حامية. وعلى هذه الطريقة يُستحضر

اللبن الّا انهُ لا يُحرق بالنار بل يُشمَّس مدة طويلة وقد يُضاف اليهِ تبن ليزداد صلابةً ومناعةً

وكانت هيئة الآجرّة مكعبة مستقيمة الزوايا طولها واحد وثلاثون سنتيمترًا وثخنها عشرة سنتيمترات وهكذا كان حجم اللبنة. امّا اليوم فيستحضر العراقيون الآجرّ واللبن على هذا النمط عينه الّا ان شكلهُ مربع وحجمهُ يبلغ نصف حجم الآجرّة القديمة وما ينيف على ذلك. وظلّ الاشوريون والبابليون على ما كان سلفاؤهم من إقامة ابنيتهم كلها بالآجرّ. اما استحضارهُ والعمل بهِ فكان من الواجبات المفروضة على الاسرى المستعبدين لهم وهاك تفصيل كيفية البناء في ذلك الزمان

يبتدئ اولًا الفعلة بإحكام الاساس إحكامًا متقنًا وذلك يقوم على حفر الارض على طول البناء حفرًا عميقًا يبلغ ثلاث قامات لان قيعان هذه الارجاء رخوة هشة لا تحمل فوقها بناءً شاهقًا ثقيلًا. ثم تُدكّ الحفرة دكًّا بالآلات حتى تصلب الحفرة. وبعده يرمون فيها طبقةً من الحَفَر (التراب المحفور) مع قليل من الماء. ثم يعيدون الدكّ الاوّل وهو الرصّ بالمدقات وعلى هذا الوجه يجعلون طبقات عديدة بعضها فوق بعض الى ان يدفنوا من عمق الحفرة على هذا المنوال ما يناهز علوّ قامةٍ او ما ينيف عنها وحينئذٍ يأخذون بالبناء وذلك بان يصفّوا الآجرّ على حجمه الكامل الواحدة جنب الثانية فيكمل الساف الاوّل (المدماك) ثم انّهم يرجعون الى راس الساف ويصفّون من الآجرّ سافًا ثانيًا وهكذا يجري العمل الى ان يقوم الحائط بعلو عشرين ذراعًا او ثلاثين. وكانوا يجمعون الآجرّ بعضهُ الى بعضٍ بالنورَة وهي الكلس الممزوج بالرماد او بالتراب الاحمر بعد تحويلهِ طينًا او بالكلس وحدهُ او اخيرًا بالقير المذوَّب. وعلى هذا الوجه ترى آثار قصر نمرود وقصر بابل مبنيين بالكلس وحدهُ. واما هيكل مدينة أُور (وطن ابرهيم الخليل) فبني بالقير وحده ومن ذلك أُطلق عليهِ لقب التلّ المكيَّر (يعني المقيَّر لأن عرب هذه النواحي يلفظون القاف تارةً جيًا صريحة وطورًا جيًا مثلثة فارسيّةً وآونةً كافًا مثلثة فارسية) ولا يعرف الآن الّا بهذه التسمية وهو لا يزال ماثلًا وموقعهُ بين البصرة والعمارة يقصده كل سنة عدد من الرواد الاوربيين لاستكشاف مخافيه واستنزاف مخابيهِ. ومن ذلك ايضًا حيطان مدينة بابل فانها كلها مبنية بالآجرّ والقير والبعض منها واقف حتى اليوم تشهد بطول باع بانيها. اما هيئة المنزل من داخل

وهندستهُ في ذلك الوقت فسيأتي الكلام عليهما في محلّهما

وربّما انكر علينا البعض كل ما اتينا بذكرهِ عن البناء في زمان البابليين عازيًا كلامنا الى الاختلاق والتلفيق لا غير. فاقول وقولي مستند الى هيرودوتس المؤرخ الشهير فانهُ لمّا زار بابل في القرن الخامس قبل المسيح اتاح لهُ الحظ ان يشاهد عيانًا بنيان سور المدينة ومنازلها فقال: «... كانوا يحفرون الارض ويستخرجون منها التراب ويُلَبِّنونَهُ واذا كمل عدده طبخوه بنار اتون ثم يبنونهُ بالقير المذوَّب وبين كل ثلاثين سافًا من الآجرّ يفرشون طبقة من سفيف القصب وبعد انتهائهم من اقامة السور الشاهق يباشرون ببناء سائر اسوار المدينة على ذلك المنوال»

والشاهد الثاني هو انَّ في متحف جمعيَّة الهند الانكليزيَّة وفي متحف العاديَّات البريطاني كتابات مسماريَّة عديدة منها ما مؤدّاهُ: انا نبوخذنصَّر قد أمرتُ ببناء هيكل الاله نَبُو في بابل بالآجرّ والقير حسب اصول الفن اكرامًا لهُ لانهُ الملك الاعظم الذي يمنح قضيب العدل ويُدبر اصناف البشر»

والكتابة الثانية تقول: «انا نبوخذنصَّر قد بنيتُ في بابل هيكل قاضي العالم بالآجرّ والقير اكرامًا للاله سَمَس (اي الشمس) الذي يلهم قلبي حاسيَّة العدل.»

وبقي هناك شواهد أُخرى دامغة ضربنا عنها صفحًا خوف الملل. وعدد عديد من الكتابات المسماريَّة على هذا المثال كلها تنطق بما أمر باصلاحهِ وترميمهِ الملك نبوخذنصَّر وغيرهُ من هياكل وقصور واسوار وأُسس الخ

امَّا طريقة البناء الجارية في هذه الايام فلا تختلف البتة عن الطريقة القديمة الَّا في امور قليلة لا طائل تحتها وقد أشرنا اليها من نَشر الآجرّ الى نصفين ونحتهِ ليس الَّا. والموادّ التي تدخل في البناء من نورة وهي الكلس المخلوط بالرماد والكلس وحدهُ والتراب الاحمر بقيت هي هي. ولم يبطل الَّا استعمال القير فقط وذلك لكُلفَتهِ وصعوبة ذوبانهِ ولكراهة رائحتهِ ولقلّة وجود من يشتغل بهِ. غير ان الحمَّامات والأحواض وما ضاهاها لا تُبنى الَّا بالقير والآن لا يوجد في كل العراق ووسعهِ الَّا بُلَيدة واحدة تدعى هِيت لا تستعمل في بنائها كلهِ الَّا القير لوجود ينابيع قيريَّة عديدة في جوارها ولفقر أهاليها وقناعتهم بما هم عليهِ. وسوف يأتي الكلام عن هذه الينابيع في بحثٍ غير هذا ان شاء الله

وربَّ سائلٍ يقترح علينا هذا الاقتراح وهو: ألم يستعمل القدماء ابدًا الحجر الاصم؟ أُجيب بَلى ان الاشوريين والبابليين استعملوهُ في امور منها حفر الصُّوَر الناتئة وتبليط القصور الملكيَّة والرَّدَهات العموميَّة وإقامة الأُسس المتينة وما شاكلها. واثباتًا لذلك نستشهد بكلام المؤرخين ديودورس وهيرودوتس اذ يقولان: انك ترى بين مُسَنَّيات نهر الفرات المبنيَّة بالآجرّ جسر المدينة وقد وصل جانبها الواحد بالثاني وهو معقود بحجارة جسيمة جدًا مرتبطة الواحدة بالاخرى بقضبان حديديَّة وقد صُبَّ عليها الرصاص صبًا » (١

ولم تزل بقايا هذا الجسر العظيم في قيد الوجود تصارع عوامل الطبيعة وهي مدفونة في مياه دجلة على مسافة اربع ساعات من الموصل وتُعرف الآن « بالعَوَّاية » اي العوَّاءة وسبب هذه التسمية ان المياه بمرورها خلال تلك الاحجار الجسيمة المتفارقة المتباعدة بعضها عن بعض تُولد سرعة حركتها دويًا مهولًا يشبه عُواء الكلب ويُسمَع على بُعد ساعتين. وهذا الدويّ يبلغ أقواهُ في فصل الصيف لان النهر يأخذ بالنقصان حينئذٍ فتظهر رؤوس الاحجار من بين المياه وتعلو فوقها رويدًا رويدًا حتَّى يَبين اكثر حجمها. وامَّا في الشتاء فلا يسمع ذلك الصوت لان غزارة المياه تغطيها بالكليَّة. وهكذا ذهب الاشوريُّون وخلَّفوا لاهل العراق آثار ذلك الجسر العظيم ولم يُورثوهم معرفة كيفيَّة بنائهِ وهندستهِ. اه

ركوب النهر

كان الاشوريُّون والبابليون اذا أرادوا ركوب النهر او عبوره يتخذون الوسائط الست الآتية: الجسر والسفينة والكلك او الطوف والقارب والقفة والقربة المنفوخة

١ً (الجسر) قبل البحث عنهُ نستأذن القارئ في وصف بابل ثمَّ نتطرَّق الى الكلام عن الاسباب التي دفعت البابليين الى مدّ جسرٍ على الفرات خفيف النقل سهل التركيب سريع الحلّ

ان حسن موقع بابل على الفرات في وسط برِّيَّة مستوية واسعة الارجاء مكشوفة الجهات أولد رغبةً في نفوس سكَّانها لجعلها مركزًا بديعًا وحصنًا منيعًا تدوم على دوام تعاقب الجديدين وتصدّ هجمات العدوّ لتردهُ على عقبهِ. ويرجع سهم الطامع الى لبّهِ.

(١ Hérodote I, 1861 ; Diodore II, VIII, 2.

خطوها بخندقٍ طافح بالماء الجاري وأقاموا بعيدًا عنهُ سورين عظيمين اسم الواحد امغوربيل (Imgur bel) واسم الثاني نيفيت بيل (Nivitti bel) كما ورد ذكرهما في النصوص المسمارية. وقد باشر بناءهما الملك لسرحدون ولم تفرغ الايدي منهما الّا على عهد نبوخذ نصر. واسنادًا لهذا القول نستشهد بكلام هيرودوتس: « ان بابل واقعة في سهل عظيم فسيح وهي مربعة الشكل وكل جانب منها يبلغ طولهُ عشرين استارة (اي ٢٢٢٠٠ متر) .... وبالجملة فهي مدينة عظيمة لا نعهد لها نظيرًا ويكتنفها خندق عميق مفعم ماء ويليهِ سور سمكهُ خمسون ذراعًا ملكيةً وعلوه مائتا ذراع..... ولهذا السور على طول حافته ابراج دفاع في كل منها حجرة تقابل حجرة أُخرى وجُعل في خلال الابراج مسافة كافية لان تدور بها المركبة التي يجرها اربعة افراس وكان للسور مائة باب من نحاس وكذلك عضائدها واعتابها وعلى مسافة ثمانية أيام من بابل مدينة هيت...»

ونهر الفرات يمرّ في وسط المدينة ويقسمها الى شطرين وهو نهر عظيم عميق سريع الجري.... فجعل السور الاول والثاني على شبه دعامة في النهر وهناك يبتدي سور مبني من الطاباق وعلى جانبيهِ من ناحيتي النهر رصيف..... وطرق المدينة مستقيمة ومتشعبة مؤدية الى النهر وتجاهها في السور القائم على النهر منافذ ذات ابواب نحاسيَّة يُنزل منها الى النهر وهي في عدد الطرق

« ان الاسوار الخارجة اقيمت لوقاية المدينة والداخلة ليست باقل تحصينًا ومتانة منها لكنها اقل عرضًا وفي اواسط شطري المدينة ما يقضي بالعجب وهو قصران احدهما للملك وسوره كبير عظيم حصين جدًّا والآخر في المحل المخصوص بهيكل المعبود بيل وابوابه نحاسيَّة ولا يزال قائمًا حتى اليوم..... » (١

وكان بين هذين السورين المار ذكرهما ارض واسعة الاطراف يسكنها كل الاسرى الذين يسوقهم كل سنة ملوك بابل من الشعوب المختلفة الالسن المتباينة النحل. ولم يكن يُباح لهؤلاء الاسرى الاختلاط مع الشعب البابلي ولا مساكنتهم ولا مجالستهم على اي وجهٍ كان. فلهم مزارعهم ولهم مواشيهم ولهم اسواقهم ولهم مراعيهم وكل ما تميل اليهِ نفوسهم. وتفيدنا التوراة عن كثرتهم وعن اختلاف لغاتهم حتى كان بعضهم لا يفهم ما يقول الآخر

(١ Hérodote I, livre I 1861

ولقد اوقفنا هيرودوتس على غاية الحائط الخارجي وهي الدفاع في وجه العدوّ وسها عن ذكر فائدة الحائط الداخلي . ولكن غيره من المؤرخين صرَّح بان الغاية منهُ كانت صيانة الشعب البابلي من هجمات تلك الشعوب الغريبة المأسورة الحالّة بين السورين اذا ما لعبت يوماً بافكارهم هواجس المعصية والهياج. ولتوطيد دعائم الامان من هذه الجهة اقام البابليون على الفرات جسرًا واحدًا من الخشب يربط قسمي بابل ببعضهما حتى اذا جُنّ الليل رفع الحراس الواح الارز القائمة منـهُ ارض الجسر فامتنع الجولان وانقطع السيران وهكذا يصبح العدو تائهاً في فلوات ادباره وغائصاً في لجج افكارهِ

وترى اليوم في المتحف البريطاني قطعة نحاس هي جزء من ابواب مدينة بلوات القديمـة وفيها صورة جسر طويل عريض يمرّ عليهِ العسكر البـابلي لقطع النهر وهو مؤلف من قسمين غير ملتحمين ببعضهما قابلي الحـلّ والتفريق في اي وقتٍ اراد صاحبه . القسم الاول منهُ : الدعائم وهي مؤلفة من سفن طوّافة مصفوفة بعضها جنب بعضٍ على خط مستقيم وعلى سطحها الواح الارز وهي القسم الثاني . واذا يمّمت اليوم ارجاء العراق رأيت فيهِ جسورًا عديدة كلها تطابق رسم الجسر البابلي المار ذكرهُ بجميع تفاصيلهِ الدقيقة كأن الذي حفره هو بذاتهِ اقام جسور العراق الحاليـة . وهاك تفصيل كيفية تشكيلها

يتركب الجسر كلهُ من الخشب ودعائمه هي سفن طوافة يبلغ عددهـا العشرين واكثر واقل حسب عرض النهر وضيقهِ وتُصف السفن كلها على خط مستقيم بعيـدة الواحدة عن الثانية مقدار متر واحد ونصف متر تربطها ببعضها السلاسل الحديدية لكي تصارع قوة جريان المياه . وليس حجم السفن بعظيم كما يتوهم البعض بل انما هو متوسط وسوف يأتي الكلام عن تركيب السفن الخ

وتقوم ارض الجسر من الواح من الخشب الاعتيادي تغطي وجه السفن كلهُ وعلى هذه الالواح تفرش الحصر المتخذة من القصب وتعرف عندهم بالبواري ثم يُفرش عليها طبقة من التراب يرشهُ اهـل الضمان يوميًا في الصيف من ماء النهر . فاذا جاء الشتاء وطفح النهر طفحًا فاحشًا رفعوا الالواح وحلّوا السلاسل فانقسم الجسر الى نصفين يُربط الواحد منهما بالرصافة وهو الجانب الشرقي من المدينـة ويُربط الآخر بالكرخ وهو الجانب الآخر . وذلك كيلا تفعل قوة جريان النهر في تركيبهِ شيئًا وكيلا تُلحق بهِ ضررًا

من مثل تفريق السفن وتقطيع السلاسل وتكسير الالواح الخ. فاذا تغافل اصحابهُ عن حلّهِ ولم يتلافوا الخطر جرّت الميـاه وراءها كل الجسر او نصفهُ الى مسافة ثلاثة ساعات او اكثر. فتقطع السلاسل ويحدث ما يحدث من الخسائر وحينئذٍ يضطر الاهلون الى طلبهِ لارجاعهِ الى مركزه على ضرب الطبل ولتشكيلهِ من جديد. ومما لا مراء فيهِ ان طريقــة تركيب الجسر هذه ظلت كما هي عليهِ بدون ان يطرأ عليها ادنى تغيير البتة حتى استيلاء الخلفاء العباسيين على العراق. ولمَّا بنيت بغداد كانت جسورها من هذا الصنف والظاهر ان الناس على عهدهم لم يكترثوا بفن البناء كما فعلوا بسائر العلوم اذ لم يخلّفوا لنا ما يشهد لهم بتضلعهم من ذلك الفن كما فعل سلفاؤهم

فانظر الى الاشوريين انهم قد ابقوا وراءهم آثارًا بديعــة الهندسة رفيعة البناء مما يقطع الشك بمهارتهم العاليــة في ذلك الفن بذلك الجسر الموجودة بقاياه حتى اليوم والمدفونة في مياه دجلة قرب الموصل ففيهِ من دقيق الصناعة بقدو ما يعترف لهم من البراعة وهو الذي مرَّ ذكرهُ في الفصل الماضي. وللبابليين في التفنُّن في البناء السهم المعلى فانهم كانوا يقيمون منازلهم اربع طبقات او اكثر ويشهد لهم بذلك هيرودوتس اثناء زيارته بابل (Hérodote I livre 1) وربَّ قارئٍ يعترض علينا بقولهِ: لماذا إذنْ اقام البابليون مع تضلعهم من علم البنـــاء جسرًا دنيئًا دعائمهُ السفن الطوافة وارضهُ الواح الارز ولم يبنوه من الحجر الاصم. أُجيب كأني بهم اذا اقاموه من الحجر تعــذَّر عليهم هدمه وقت الحروب وسهل على العدو اجتيازهُ ولهذا السبب عدلوا عنهُ. واليوم في ارض بابل علماء مستشرقون المانيون ينقّبون عن طبقاتها بأمرٍ سامٍ من الباب العالي. وقد وقفوا على قصر الملك نبوخذ نصر والمكتبة العمومية وبعض المدارس وغيرها بحالتها الأُولى سالمةً من عوامل الطبيعة كأنها الساعة خرجت من بين ايادي البنائين البابليين

اما في عهــد مولانا السلطان فكأنَّ الامور أخذت جريًا جديدًا ألا تراهُ لم يترك زاويةً من واسع ملكهِ الّا وترك فيها علائم نشاطهِ وهمتهِ وولعهِ بالعلوم. فقبل ثلاث سنوات اقام بامرهِ العــالي المهندس الفرنسيّ جاكريس جسرًا حديديًا على نهر الخرّ (هو شعبة من دجلة) بديع الشكل بلغت مصاريفهُ نحوًا من خمسة آلاف ليرة ولنا الأمل الوطيد بإقامة غيره على نهر بغداد (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت راحيل تسمع كلام الشيخ واقفةً و بصرها متَّجه الى ما وراء مياه البحيرة من قمم جبال عكار التي خلفها كان القمر يطلع بطيئاً. وما كان غير قليـــل حتى افاض الكوكب الدرّي امواج انوارهِ على الجزيرة والبحيرة معاً فما كان احسنهـــا ليلة نقيَّة الأديم تألقت نجومها وتقاربت كواكبها حتى كاد الناظر لا يُبصر السماء من ورائها الَّا كرُقعةٍ من السمنجوني تخرقها قبَّة من ذهب

وكانت محاسن الطبيعة الهادية قد تصرفت بلبّ راحيل وفتنت عقلهـــا فلبثت صامتةً واخذت هذه الساعة ولكن دون مقاومة تجيل في فكرها كلمات الاب يوحنا واحدةً بعد واحدةٍ ثم هتفت قائلةً « صلّي من اجلي يا ابي حتى يرزقني الله القوَّة والايمان »

— نعم سأصلي على هذه النيَّة حتى تكوني سعيدة

— حتى اكون سعيدةً ! قالت هذا بصوت متألم حاسبةً ان الاب يوحنا يتهكم عليها

— نعم حتى تكوني سعيدةً في مصابك ودموعك

— كلَّا يا ابي ما بقيت لي سعادة في هذه الدنيا فالسعادة لفظـــة يجب ان تُحذف من كتاب حياتي ثم تبسَّمت تبسُّم مرارة وحرقةٍ وقالت: لا سبيل حتى اكون سعيدة. ألا تعلم انك تبغي المستحيل بطلبك مني ان اكون سعيدةً

— اعلمي يا راحيـــل اني استطيع بل يجب عليَّ ان اطلب منكِ كل شيء. فاني لا اظنك امرأة اعتيادية بل اعتقد فيكِ مقدرةً على فهم لهجة الايمان بل على اتيان اسمى الاعمـــال وانبل الضحايا. ولكِ نفس مستقيمة نقيَّة بالرغم عما فيكِ من عتوّ واصرار فاسلكي بحزمٍ في الطريق الضيقة التي تنفتح لكِ وبركة الحبيس وصلواته ترافقكِ

— ما احسنك يا ابي

— ان الله تعالى هو احسن بما لا نهاية لهُ

ولما عادت الى البترون وخلت في حجرتهـا فتحت كتاب الاقتداء بالمسيح فوقع بصرها على فصل عنوانه « اربعة أمور تأتي بالطمأنينة التامة وهي اجتهد في ان تعمل مشيئة الآخرين لا مشيئتك. تُق دائماً الى احراز القليل اكثر من الحصول على الكثير اطلب دائماً المقام الاخير واخضع للكل. توسَّل دائماً حتى تكمل مشيئـة الله فيك. . . »

ولم تقرأ راحيل غير ما تقدم ايراده فخرَّت جاثيةً وغطت رأسها بيديها وبكت طويلاً

١٢

وكانت دموع راحيـل كإقرار بالضعف البشري تجاه سمو الكفر بالذات الذي وضح لها من خلال هذه السطور المرعبة بالرغم عن بساطتها. وكانت في الحقيقة تتوقع شيئاً آخر فقد حسبت انها تفوز برضاة قلبها في حب حلال وشرعي غير ان مطلبها بشري محض ومن ثم جاء ثقيلاً عليها ما كلفها بهِ الحبيس من تضحية اعزّ اميالها

ولا نعلم هل اقترح الاب يوحنا عليها ما اقترحهُ عن فرط يقين بشجاعتهـا وعزَّة نفسها او عن قصد ارشادها الى ما يفوتها من الفضائل؟ بل غاية ما يُعرف من خبرهـا انها استمرّت تتذمر من العناية الالهيَّة مع انهُ كان الواجب عليهـا في تلك الساعة نفسها ان تقدم أحرّ الشكر لله على نجاتها من اعظم الاخطار

علم القارئ مما سبق بيانهُ ان عبد المنعم مقدَّم جبيل كان قـد تواطأ مع بعض الخوَنة في قصر البترون على ان يبلّغوا اليـهِ كل حادث يجري هناك فبواسطتهم اطلع على سرّ النفرة بين راحيل وزوجها وعرف باسفارها الى زيارة حبيس البحيرة فعقـد النيَّة على ان ينتفع من هذه المعلومات ويرضي شهواته الدنيَّة باختطاف زوجة مقدم البترون

وبالنظر الى ما يترتب على مسألة كهذه من عظيم المسؤولية والتبعـة لم يشأ ان يباشرها بنفسهِ مخافة ان تجرّ عليهِ خطراً كبيراً ولمَّا كانت بينـهُ وبين جوسلين مراسلة متتابعـة منذ مدة من الزمان على يد رجل يهودي من طرابلس وهو الذي سبق الخبر عن قيامهِ في فناء قصر بشراي يوم حضور الاب يوحنا اليهِ انتهز المذكور هذه الفرصة

فاخذ يشجع جوسلين على معصية الامير رزق الله وشقّ عصا الطاعة لهُ. وعزم هذه المرّة ايضاً على ان يستخدمهُ لاتمام مقصده السيء

وما كاد يفاتحهُ بالمسألة حتى لاقى منهُ اقبالًا وقبولًا دون ادنى تردُّد. وكان جوسلين يقصد ان يختطف راحيل لنفسهِ ويتظاهر لعبد المنعم انهُ يفعل كل شيء لمرضاتهِ. وكان يعلل نفسهُ انهُ متى وقعت راحيل في يدهِ تصير عنده بمثابة رهينة نفيسة يوم يأتي الامير رزق الله ويسألهُ حسابًا عن مسلكهِ. على ان مقدم جبيل مع ما هو معروف بهِ من الخبث والدهاء قد لاقى شخصاً أدهى منهُ وأحيل ولسوف يتعلم ان المواطآت المبنيَّة على الجريمة والاثم معرَّضة للخدائع وأنواع المكر. ولو لم يجعلا العِرض هدفاً لغرضهما السيء لسرَّنا مشهد هذين الماكرين كيف ان كلاًّ منهما يسعى في خديعة الآخر

مرَّ الكلام على خبر مواجهة راحيل لحبيس البحيرة ونقول الآن ان عبد المنعم لمَّا عرف بواسطة مؤتمنيهِ اليوم المعين للسفر بادر في الحال فانفذ رسولًا الى جوسلين الذي من فورهِ اخذ ما يلزم من التدابير واستدعى بعض الاشداء من رجالهِ ووكل اليهم اختطاف المسافرة النبيلة

فكان انهُ ليلة خرجت راحيل من البترون يصحبها خادمها موسى خرج ايضاً من القليعة خمسة من الخيَّالة فساروا الى جهة حمص. وكانت الغيوم قد تلبَّدت في الجوّ منذرةً بقرب عاصفة شديدة من العواصف التي يكثر ثورانها في ايَّام الخريف وكذلك كان هزيم الرعود يملأُ الفضاء ولم يكن يظهر في الرقيع شيء من الكواكب والنجوم لترشد بانوارها خطى السارين

ومع ذلك فقد تيسَّر السفر لهذه الشرذمة من الخيالة حتى قرية عين الشمس دون ان يحدث لها شيء مزعج غير انهم لمَّا دخلوا الغاب الملتف لم يقدروا على المسير الَّا بصعوبة وعناء لان خيلهم كثيرًا ما كانت تكبو في الظلمة بسبب الحجارة المُلس التي رُصفت في تلك الطريق (١. وبعد ساعة من الزمان رأوا مع فرط الغم والدهشة انهم تاهوا عن السبيل

١) مجلَّة الشرق المسيحي ١٩٠٠

فعزموا في بادئ الامر على التربص مكانهم الى ان يُشرق الفجر ثم عدلوا عن هذا العزم خوفاً من وصولهم متأخرين الى ضفاف البحيرة بقرب السدّ الشمالي الذي منهُ تجتاز راحيل الى الجزيرة

اخيراً جزم زعيم تلك الشرذمة بان يرفع صوتهُ مستغيثاً لعلّ احداً من الرعاة النصيريّة الذين يبيتون مع مواشيهم في الغاب يسمعهُ فيأتي لنجدتهم. فظلّ ينادي مدّة طويلة ولم يسمع جواباً غير انهُ في الاخير حضر رجل ملتحف بفروة غليظة من جلود الغنم كما يفعل حتى الآن كثيرون من رعاة الماشية فاول ما شاهدهُ الزعيم قال لهُ بصوت جافٍ:

— انت ناظر حالتنا وقد ضللنا الطريق فعليك ان تخلصنا من الارتباك وتوصلنا حالًا الى طريق حمص دون تأخير

امّا الرجل المجهول فلم يبادر الى الجواب وبعد ان تفرّس في وجوه الخيّالة قال:

— اي والله انكم مستعجلون كثيراً ولكن انبهكم قبل كل شيء. انكم تغلطون في استعمال الكلام الجافي مع رجل تطلبون منهُ النجدة والاسعاف. واني اودّ من صميم قلبي ان اقدم لكم خدمةً وقد برهنت على حسن استعدادي بان تركت قطيعي واتيت ملبياً نداءكم. ولكني أحب قبل الشروع في شيء من ذلك ان اعرف من انتم. فوالله ان الزمان الذي نحن فيهِ قبيح وشنيع ينبغي فيهِ لمن كان مثلي ان يكون دائماً على حذر. ثم انكم خمسة رجال وكلكم مسلحون فاذا كنتم لا تخشون بأساً من راعٍ حقيرٍ مثلي فارغب ان اعرف ايضاً هل استطيع ان اسلِم نفسي بين ايديكم فقولوا لي اذاً ماذا تريدون ومن اين تأتون

— ماذا يهمّك امشِ امامنا ولا تسأل عمّا لا يعنيك

— اي والله من حيث الحال على هذا المنوال لم يبقَ لي الّا ان اتمنى لكم سفراً سعيداً او ان تُرزقوا رجلًا آخر أبسط مني يدلكم على الطريق. والان اودعكم لان قطيعي يستدعيني

قال هذا وأدار ظهره وهمّ ان ينساب في الغاب. فلمّا شاهد الزعيم منهُ ذلك فطن ان الضرورة تستدعي منهُ ان يغيّر لهجتهُ القاسية فقال:

— ارجع فأخبرك بما تريد اعلم اننا آتون من القليعة

– هذا ما كنت اريد معرفتـهُ وقد علمت الآن انكم في خدمة السيد جوسلين الذي انا من جملة رعاياه فالى اين تذهبون ؟

– الى حمص

– أإلى المدينة نفسها ام الى ضواحيها ؟

– نريد ان نعرف اقرب طريق تؤدي الى بحيرة قدس

– فهمت مقصودكم فاتبعوني غير ان طريقكم ستكون صعبـةً وعرةً وفي الوقت نفسهِ طويلةً لانكم تيهتم عن الطريق القويم من زمان

ثم ان الراعي اخذ يسير امامهم وهو ساكت لا ينطق بكلمة . غير انهُ كان مرةً بعد مرة يلتفت الى الخيَّالة ليرى هل يتبعونهُ فكان يشاهدهم متقدمين بعنـاء لاسيا وان سروج خيلهم وسيوفهم الطويلة كثيرًا ما كانت تشتبك باغصـان الاشجار الشائكة القائمـة كسياج عظيم على جانبي ذاك الشعب الضيق ولو أراد ان يُتعبهم ويُعنتهم لما امكنهُ ان يُنزل بهم اكثر ممَّا اصابهم من المشقة

وبعد ان ذاقوا أشدَّ المرارة من مسيرهم في شعاب ضيقة وصلوا اخيرًا الى جوف وادٍ عميق فلمَّا همَّ الراعي بالنزول فيهِ صرخ بهِ زعيم الخيالة قائلًا :

– مكانك . لا نريد ان نمشي في هذه الطريق

– والله هذه هي أقرب الطرق المؤدية الى البحيرة

– دلَّنا على طريق غيرها

– والله لا أعرف طريقًا غيرها الَّا اذا ابتعدنا من هنا ثلاث ساعات

– لا بأس فان خيلنا طيبة وعليها نعتمد في ربح ما نخسره من الوقت

– الامر امرك . قال هذا ورجع على أعقابهِ فسار على حواشي الوادي ومشى الخيَّالة خلفـهُ يتبعونهُ وكان زئير الرعود يقرب منهم وما طال الزمن حتى بدأت تقع قطرات ضخام من المطر وكان الدليل قد أسرع الخطى متنقلًا من صخر الى آخر كأن في رجليهِ اجنحةً للطيران . فقلق زعيم الخيَّالة وهمَّ بندائهِ ولكنهُ كان قد اختفى في الغاب بخفة لا مزيد عليها وجاز ما بين الاشجار الملتفة دون ان يتحرك منها غصن

ثم سار الخيالة بعض خطوات فشاهدوا مشهـدًا ارتعدت لهُ فرائصهم خوفًا لانهم وصلوا الى صف من الصخور تشرف على مهواة مرعبة يبلغ عمقها مئتين او ثلاثمائة متر

فانخلعت قلوبهم وتصوروا الهلاك محيطاً بهم لاسيما وانهم شاهـدوا فوق هاماتهم صفًّا آخر من الصخور فلم يجترئوا على تسلقها بخيولهم في ذلك الليل الدامس

ولا حاجة الى وصف ما احاق بهؤلاء الناس من الرعدة والحيرة لمَّا رأوا نفوسهم محبوسين بين صفين من الصخور لا يستطيعون تقدُّماً ولا تأخُّرًا ففهموا حينئذٍ ان الراعي قد أضلهم وكان طلوع الفجر قد قرب فاقاموا يتوقَّعون انبثاقه بفروغ صبر تحت الامطار والرياح. فلمَّا لاح الصباح وكانوا قد تبلَّلوا بالمطر وارتعدوا من البرد وخارت قواهم هم وخيلهم من فرط التعب والمشقــة رأوا بخوف وهلع انهم في بلاد الاسماعيليَّة المشهورة سطوتهم ما بين الجبال الشامخة المشرفة على قلعة مصياد وان المهمَّـة التي كُلِّفوا بها قد فاتتهم فبدلًا من ان يختطفوا قرينة مقدم البترون ألجأتهم الحال الى الاهتمام بوسيلة تكفل لهم النجاة وكتم وجودهم هناك عن أعين سكان الناحية

ومن يا ترى كان هـذا الراعي المجهول الذي أضلَّهم الطريق واي شيء حمله ُ على ذلك ؟ هل كان ذلك على سبيل الاتفاق ام ان العناية الالهيَّة الساهرة على البرارة واهلها هي التي ارسلت في تلك الليلة نفسها الراعي عبد الله صنيعة الاب يوحنا ؟ كان الراعي المذكور متمددًا على الحضيض وهو ملتحف بفروة ضخمة من جلود الغنم كما تقدم الكلام ومعهُ كلبان كبيران اتخذهما رفيقين امينين في ذلك الغاب وفيما هو نائم سمع صريخ الاستغاثة فما بالى لهُ في بادئ الامر غير انهُ لمَّا اشتــدَّ الصوت هبَّ من نومهِ فسار الى الخيَّالة السابق خبرهم فلمَّا علم انهم آتون من القليعة وقاصدون بحيرة قدَس ظنَّ انَّ جوسلين أرسلهم لاتيان جريمة جديدة ضد الاب يوحنا المحسن اليهِ وحينئذٍ اضمر لهم الشرَّ

وكان عارفاً بمحبَّة امير مصياد لحبيس البحيرة فعمد الى تضليل رجال جوسلين واغتنام الوقت الكافي لتنبيه الامير الاسماعيليّ الى المكيدة التي ينسجونها للاب يوحنَّا

وبناء على ذلك قادهم في طرق وشعاب وعرة حتى انهك قواهم وتركهم اخيرًا في مشارف قلعة الاسماعيليين المشهورة. ثم اخذ طريقاً منحرفة فسار فيها مسرعاً حتى وصل الى القلعة قبل انقضاء الليل

غير ان تدخل الامير الاسماعيلي لم يعد وقتئــذٍ ضروريًّا لانَّ الخيَّالة المذكورين اصابهم من الخجل والفشل وقلق الفكر ما جعلهم يغبطون نفوسهم على تمكنهم اخيرًا من الاهتداء الى طريق القليعة التي انتهوا اليها في اليوم الثالث لخروجهم

امّا الراعي عبد الله فسوف نراه في سجون القليعة حيث يزجّهُ جوسلين انتقاماً من اخلاصهِ الصحيح لحبيس البحيرة . والاخلاص صفة جميلة في الناس لكنها نادرة عزيزة وأفضل أنواعها ما قام بهِ رجل حقير تستدعي منهُ حالتهُ ان لا يهتمّ الّا بنفسهِ

١٣

وبينما هذه الحوادث تجري في جهات حمص كان مالك عملاً باوامر سيدهِ قد زايل بشراي ذاهباً في طريق طرابلس وهو ممتطٍ حصاناً ادهم قصير القامة ضئيل الجسم يدعى « الريح » لم يكن احد يعرف شيئاً عن اصلهِ لا مالك ولا غيره بل كل ما يُعلم من امرهِ هو ان زمرةً من النوَر نزلت ذات يوم بالقرب من بشراي فلمّا ارتحلت تركتهُ هناك فشاهده اهالي المدينة ولم يرضَ احد منهم ان يُطعمهُ لكثرة ما رأوا في بدنهِ من الجراح غير ان مالكاً حاجب الامير رزق الله اخذتهُ الشفقة على الحيوان المسكين واتى بهِ الى منزلهِ واعتنى بهِ واخذ يركبهُ في جميع سفراتهِ وجولاتهِ في الجبل

وتعلق « الريح » بمولاهُ الجديد كل التعلّق فلم يكن يطيق اصلاً ان يركبهُ رجل آخر غيرهُ وكم من مرة خلّصهُ بسرعة إحضارهِ من مطاردة الاعداء . وكان مالك اذا اخذهُ التعب في اسفارهِ الطويلة يرخي اللجام على عنق « الريح » مستسلماً الى غريزتهِ فكان اكثر من مرة يتحاشى السير على الطريق العمومية ذاهباً بهِ في الشعاب والمسالك غير المطروقة ولا يلبث مالك ان يتأكد بعد ذلك انهُ قد جنّبهُ كميناً او خطراً آخر وحاصل الكلام انّ حبّاً صميماً تمكّن بين الفارس وفرسهِ وقد ادّى مالكاً الى عدم الارتياب في ان وجودهُ مرتبط بوجود « الريح » (الباقي للآتي)

مطبوعات شرقية جديدة

غادة كربلاء

من بضع سنوات عُني حضرة الاديب المجتهد جرجي افندي زيدان منشئ مجلة الهلال بتأليف الروايات التاريخيّة . ولهذا النوع من التأليف أخصام وأشياع فاكثر الاولون

في ذمّهِ وبالغ الآخرون في مدحهِ والحقيقة هي بين ما قالوهُ فلا المغالاة في الطعن تصدق عليهِ ولا الاغراق في الاطراء بملاقٍ للواقع. ولا مراء ان الروايات التاريخيَّة لا تعلّم التاريخ لمن يجهلهُ فمن اراد أن ينتفع منها لا يكفيهِ من التاريخ ظلّ المعرفة والالمام القليل لانهُ يتعذّر عليهِ والحالة هذه ان يميّز بين الامور التاريخيَّة في الحقيقة وبين ما تخترعهُ مخيلة المؤلف تحسيناً لتنسيق الكتابة ومبالغةً في ربط اجزائها ومن هذا تعلم الدرجة التي يتحتم على المؤلف ان يدركها من تاريخ الزمان الذي تجري فيهِ حوادث روايتهِ

ولا ريب عندنا ان حضرة منشئ الهلال عارف حقّ معرفة بتاريخ الصدر الاول للاسلام كما قد تحققنا ذلك من هذه الرواية التي أُهديت الى ادارة المشرق وهي الحلقة الخامسة من سلسلة رواياتهِ عن التاريخ الاسلامي غير اننا في اثناء المطالعة عثرنا على بعض أمور اورثتنا دهشة من ذلك ما جاء في الصفحة ١١٠ وهو يوهم ان رواة الشعراء كانوا يتخذون لباساً مخصوصاً ولا نعلم انَّ احدًا من اهل التاريخ ذكر شيئاً من هذا فاذا تكرّم صاحب الهلال ببيان مستنده في هذا الشأن المذكور كنَّا لهُ من الشاكرين. ثمَّ ان سياق الرواية يدلّ على ان حضرة المؤلف يجهل ان بني غسَّان كانوا من اليعاقبة وان تدمر كانت آهلةً بالناس في أواخر القرن الثامن مع انَّ مجلة المشرق قد اثبتت ذلك بنوع لا يقبل الردّ في ما أُدرجتهُ من المقالات. وفي الصفحة ٢٢٢ من الرواية يقول بوفاة الخليفة يزيد في حوران وهو وهمٌ والصواب حُوَّارين وهي بلدة في نواحي حمص كما اثبت ذلك المسعودي في الكتاب الخامس في الصفحة ١٢٧ ثم ديوان الاخطل في الصفحة ٢٨٩ حيث تجد مرثية من افخم الشعر قالها الشاعر المشار اليهِ بهذه المناسبة. ومن القصيدة هذا البيت :

مُقيمٌ بحُوَّارين ليس يريمها سقتهُ الغوادي من ثويٍّ ومن قبرِ

وقال ياقوت (٢ : ٣٥٥) : « وهي (اي حوارين) من تدمر على مرحلتين وبها مات يزيد بن معاوية »

ولعل جناب جرجي افندي زيدان قد استُدرج الى هذا الغلط برواية ابن الاثير في الجزء الرابع والصفحة ٥٣ وتاريخ الخميس في الجزء الثاني والصفحة ٣٠٠ ورواية الاثنين كما لا يخفى غلط. وقد تقدَّم لنا تأييد هذا القول في الصفحة ٤٦ من كتابٍ لنا ماضٍ نشرناهُ بالفرنسية عن ترجمة الاخطل شاعر الامويين لا بل سبقنا الى اثباتهِ حضرة الاب

انطون صالحاني اليسوعي في تعاليقهِ على ديوان الشاعر المذكور

على ان أخص ما قضينا منهُ العجب في الرواية التي نحن بصددها هو قولهُ بان الرهبان في أديار الروم كانوا يتخذون لهم خوادم من النساء ولا نرتاب انهُ أتى بهذا الافتراض لحسن التحام القصة وتقوية سياقها ولكننا نودُّ أن نعرف مستندهُ في الافتراض المذكور

بقي ان نختم الكلام بهذه الملاحظة الاخيرة فقد قال في الصفحة ٢٠٧ « ان الرهبان والقسوس وكلهم من الروم يتكلمون اللاتينيَّة وبعضهم اليونانيَّة والسريانيَّة الممزوجة بشيء من العبرانيَّة » وكل كلمة من عبارتهِ هذه تستوجب نقدًا خاصًّا لانها توضح ان المؤلف ليس لهُ اطلاع وافٍ على أحوال اللغات في سوريَّة باواخر القرن الثامن اذ ان السوريين في ذلك العهد لم يكونوا يتكلمون اللاتينيَّة اكثر ممَّا يتكلَّمونها الآن ولاسيا في بصرى (حوران) التي ورد ذكرها في هذا الموضع . وامَّا السريانيَّة فمع تصريحنا باشكال عبارتهِ عنها اي « الممزوجة بالعبرانيَّة » نوافقهُ على ما قال فيها ونهنئهُ لكونهِ لم ينحُ فيما يتعلق بها منحى بعض القوم المتأخرة افكارهم

وليس من شأننا ان نتكلم على حسن لحمة الرواية تفصيلًا فنقول بالاجمال انها حسنة الانتساق ولو تخلَّلتها المرة بعد المرة عدَّة امور يبعد انطباقها على الحقيقة لانها قلما تهمّ المولعين بقراءة مثل هذه الكتب اذ انهُ من بعد الف ليلة وليلة صار الشرقيون من اصحاب الروايات يستجيزون كل تقدير يعنّ لهم ولو كان غير ممكن الوقوع لا عادةً ولا عقلًا ه . ل

الطريقة الموسيقيَّة

في الكنيسة اليونانيَّة بمقتضى التقليد

تأليف الاب هوغ كايسر احد الرهبان البندكتيين من جمعيَّة بيرون

ومن اساتذة المدرسة اليونانية في رومة

LE SYSTEME MUSICAL

DE L'EGLISE GREQUE D'APRES LA TRADITION

par dom Hugues Gaïsser, *Rome* 1901 p. 170

يؤخذ من أقوال المؤلف الذي يدل كلامهُ على وفرة اضطلاع في الموضوع الذي

تصدّى لبيانهِ انَّ الموسيقى الكنسيَّة اليونانيَّة في الحال مشتقَّة من الموسيقى القديمة عند اليونان الوثنيين. ومدار الكتاب كله على اثبات هذه القضيَّة التي خالفها علماء الموسيقى في اوربَّة وداوم اليونان في كل الاحوال على تأييدهـا فاليونان على حسب رأيهِ هم المصيبون غير انهم استُدرجوا في الازمنة الحديثة الى اغلاط في التفسير واعطوا موسيقاهم اتجاهاً كان سبباً لسقوطها وانحطاطها

ويتعذَّر في هذه السطور القليلة ان نطلع القرَّاء على كل فحوى الكتاب فنكتفي من ثم ببيان اهم ما فيهِ وهو انَّ المؤلف قـد افرغ الوسع في اظهار ما بين الموسيقى اليونانية الحالية بالرغم عن التشويه الذي طرأ عليها من المشابهات المؤكدة بحسب زعمهِ مع الموسيقى البيزنطيَّة وما لهذه الاخيرة من الوجوه التي تربطها بالموسيقى القديمة الوثنيَّة في اغريقية غير ان اهل الاختصاص بالفن أولى منَّا بالحكم أقدرَ على إصابة الغرض ام لا. ولكن الكل وخصوصاً اليونان يجب ان يكونوا لهُ من الشاكرين لاجتهادهِ في تأييد قضيَّة تظهر باديَ بدءٍ انها طبيعيَّة لا تحتمل الجدال. وهي اشبه بما لو قدَّرنا ان الموسيقى العربيَّة الحديثة (قلما يكون في سوريَّة) ترتقي الى الموسيقى التي وضع الفارابي قواعدها حسبما تثبتهُ مباحث حضرة الاب كولنجت اليسوعي الذي يشتغل اليوم بهذه المسألة س. ر

شَذَرَاتٌ

المقتطف ووزن الفكر — اتى المقتطف بامور غريبـة في الفرينولوجية اي قياس عقول البشر بحجم دماغهم والاستدلال على مواضع الافكار من الحُقّ الدماغي. ولكنهُ لم يقف عند هذا الحدّ بل اتحف القراء في هذه الاثناء بما هو اعجب وأغرب اي طريقة «وزن الفكر» (كذا) (راجع مقتطف اغسطس سنة ١٩٠١). غير ان رصيفنا خشي هذه المرة انكار المطالعين صحّة ما يرويه فاستدرك كل مؤاخذة باعلانهِ باديَ بدءٍ ان ما يقدّمهُ الى المشتركين من ثمار جنة العلوم هو وارد من اميركة بلاد الغرائب. ولكن نرى ان أعظم الغرائب هو إقدام دكتورين بارعـين في الفلسفة على تدوين ما يكون في غالب الاحيان محشوًّا بالكفر دون ان يلحقاهُ بكلمة انتقاد او تنبيه الى ما فيهِ من فساد التعليم وشناعة المدَّعى. أهذا شأن من تصدّى لاعلاء

منزلة العلوم وتقلد وظيفة إنارة العقول ؟ فان سلوكاً مثل هذا يسوق النـاس الى مهواة الضلال بدلًا من ان يبثّ أنوار المبادئ الراهنة . وهب ان كل ما لخّصهُ المقتطف من الصحائف الاميركيَّة عن وزن الدم الوارد الى الدماغ حين التفكر هو عين الواقع (ونحن لا نستصعب التسليم بهِ ما خلا استنتاجات المقتطف) فهـل يجوز لاصحابهِ ان يعنونوا مقالتهم بوزن الفكر . ألم يفطنوا ما وراء هذا العنوان من رائحة مشرب المادّيين والرافضين (پوزيتيڤيست) الخ القائلين بهيولى العقل البشري ؟ ألم تبـيّن الفلسفة الصحيحة (ولا ندري غير هذه) ان العقل جوهر بسيط منزّه عن الجسمانيَّة تنزيهاً كليًا الّا انهُ لتقيُّده بجسمٍ هيولي تُستشفّ افعالهُ من وراء التغييرات الطارئة على قسيمه في الحياة . لكن اين هذا الاستدلال الكثير المشاكل من إلقاء الذهن الانساني على كفّة ميزان ورَوز جرمهِ وجِرم الفكر ؟ ثمَّ لا بدَّ لكل موزون من حجم معيَّن ولو كان غازيًا وعديم اللون كالهواء . فبناءً عليهِ نسأل محرري المقتطف ان يهدوا الينـا عمّا قريب نبذةً أغرب من هذه الاخيرة عن طول الفكر وعرضهِ ثم عن لونهِ وطعمهِ اذا كان من جنس المنظورات او المأكولات

وكنّا نتمنى لو اتاح لنا المقام الخروج الى كافَّة المناقضات والاستحالات المزّين بها وهم القرينولوجية المادّية لكن دعنا نتساهل مع الخصم مؤوّلين قولهُ بما امكن من اللطف منزّلين كلامهُ منزلة المجاز بنوع ان هاتين اللفظتين « وزن الفكر » يكون مؤداهما « قياس ما يقتضيهِ التفكر من زيادة جريان الدم في الدماغ » او بعبارة اقصر « قياس الحركة الدماغية وقت التفكير » فلم لم يصرّح بهِ اصحاب المجلة ولا مرة واحدة بل داوموا من صدر النبذة الى منتهـاها على تعريفهم الملتبس نافثين في قلوب كثير من القراء شاؤوا او أبوا سمّ الحيرة المزعجـة . ولربّما قصدوا تفكيه خواطر المطالعين وترويح البابهم هنيهة بذاك العنوان الفريد موقنين منهم بافواز رزين الكلام من هزليّهِ على انهم لم يذكروا مع سعة علمهم ان ليس كل مشترك في المقتطف بحائز شهادة الدكتوريَّة في الفلسفة وان مثـل هذه الطرائف اللغويَّة غير مفهومة عند السواد الاعظم منهم

ل . ر

منطاد صعد ١٠,٣٠٠ متر — في الحادي والثلاثين من شهر تموز ركب المنطاد كلٌّ من المسيو برسون والمسيو سورينغ من علماء الطبيعيات في الدائرة

المركزيَّة بمدينة برلين فارتفعا بهِ الى علو عشرة آلاف وثلاثمائة متر وقد اتيا بجرأتهما هذه عملًا عظيمًا يعد في الطبقة الاولى من الحوادث العلميَّة

امَّا المنطاد الذي ركباه فيبلغ حجمهُ ثمانية آلاف متر مكعب وقد ادخلا فيهِ ستة الاف متر مكعب من غاز الهيدروجين النقي . ولاجل الوقاية من البرد اتخذا آلة خصوصيَّة تدعى ترموفور

ثم انهما استعملا استنشاق الاوكسيجين النقي الذي وقاهما الى حد محدود من تأثير تمدد الهواء

وقد بدأًا يشعران بالانزعاج على علو ٩ آلاف متر فلمَّا وصلا الى علو عشرة آلاف متر غاب كلاهما عن الحسّ في وقت واحد . وكان المسيو برسون قد سبق ففتح اللولب احتياطًا بحيث انهُ لمَّا وصل بهما المنطاد الى ارتفاع عشرة آلاف وثلاثمائة متر اخذ في الهبوط وكان نزولهُ في جوار كوتبوس ودام غيــاب راكبيهِ عن الحس من ٣٠ الى ٤٥ دقيقة غير انهُ لم تتولد عنهُ عواقب وخيمة وقد عاد المذكوران الى رشدهما حالما انتهيا الى علو موافق والمرجَّح ان اغماءهما قد كان معظمهُ متسببًا عن انخفاض الهواء

امَّا البرودة فبلغت اقصى درجاتهــا الاربعين تحت الصفر وهي اقل بكثير ممَّا كان منتظرًا لانهم كانوا يقدرون انها ستبلغ الدرجة ٦٣ (البشير)

اكتشافات جديدة — بينما كان جماعة من الفلاحين يحفرون ارضًا في اشمونين سباخ بالقطر المصري عثروا على هيكل خطير محفوظ احسن حفظ ممكن وهو يتضمن كتابة لميرنفتاح ولسيتي الثاني مع كتابة اخرى طويلة عن بناء الهيكل المذكور

يظهر ان اشغال العلاَّمة فلينت باتري في ايدوس قد تجاوزت بنجاحها في الكمّ والكيف اشغال السنة الماضية وقد عثر على اسم ملك جديد

وتمكَّن العلماء في لندن من قراءة بعض اوراق بردي تستدعي الالتفات وهي تتكلم عن الطب والديانة وبعضها يتضمَّن قصصًا وحكايات

متحف الجيزة — تهتمّ ادارة المتاحف المصريَّة اليوم بنقــل متحف الجيزة الى الدار الجديدة التي بُنيت لهذه الغاية . غير ان النقل يجري ببطء وتماهل

أسئلة واجوبة

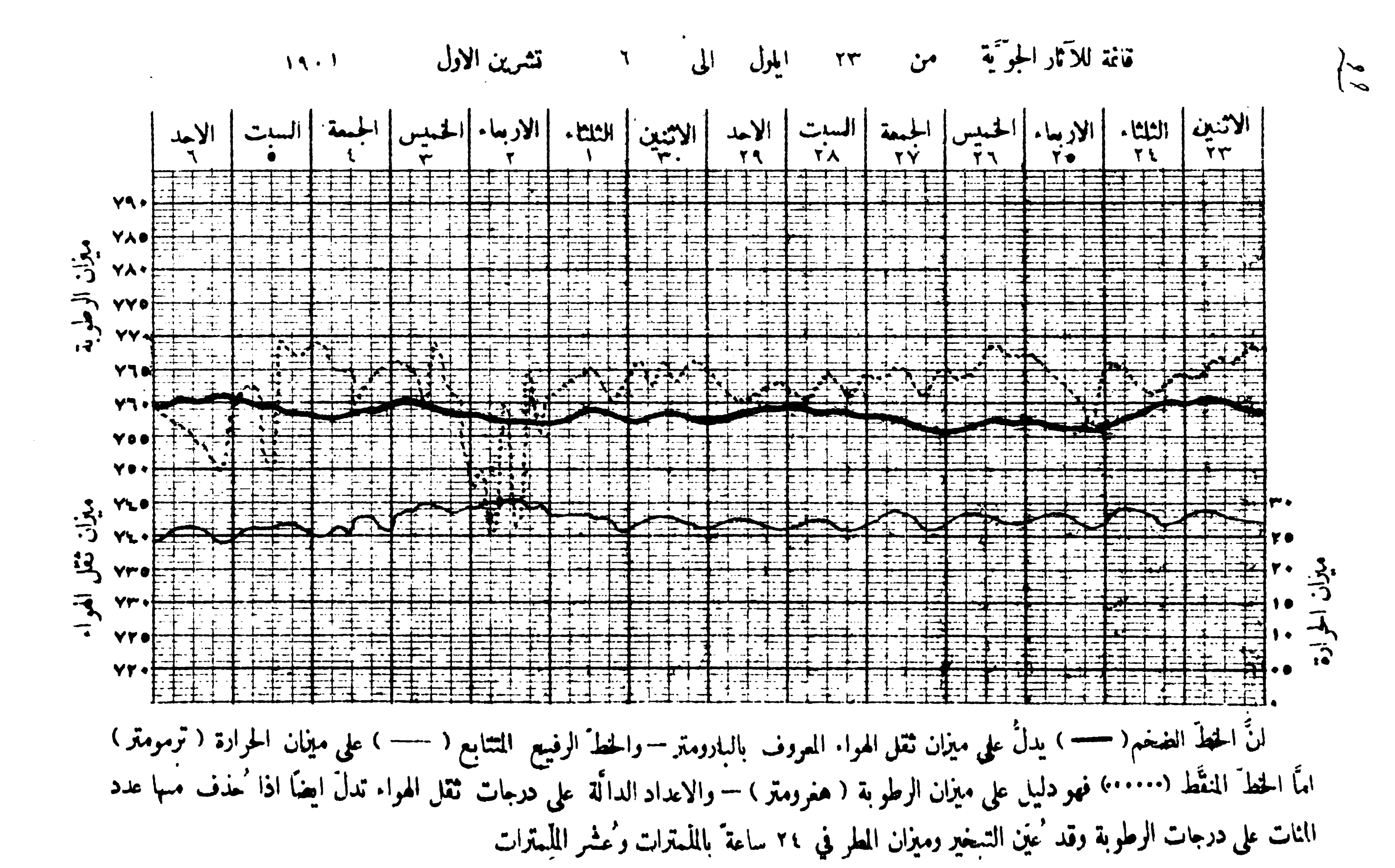
س سأل من حلب حضرة القس ميخائيل اخرس : يقول اهل العلم في زماننا انَّ الارض تكوَّنت من الشمس والحال ان الشمس خُلقت في اليوم الرابع والكتاب يقول « في البدء خلق الله السماوات والارض » فينتج منهُ ان الارض خلقت في اليوم الاول فهل كانت هذه الارض التي خلقها الله في البدء ارضنا هذه ؟ لكن بما انها كوكب كسائر الكواكب مثل الزهرة والمشتري والمريخ و بما ان الكواكب خلقت في اليوم الرابع فكيف تكون ارضنا التي هي اشبه جاتهِ الكواكب قد خلقت في اليوم الاول ؟

ج اولًا انَّ قولكم بان اهل العلم في زماننا يقولون بانَّ الارض تكوَّنت من الشمس ولو لم يكن حقيقةً ثابتة هو المذهب الراجح اليوم عند العلماء فهم يذهبون الى انَّ الله خلق اولًا مادَّة العالم فتكوَّنت منها الكواكب ومن الكواكب سيَّاراتها ومن السيَّارات اقمارها . فمن الشمس التي هي حتى الآن بهيئةٍ غازيَّة ومتأججة انفصلت الارض وباقي السيَّارات التابعة لشمسنا . وعن الارض لمَّا كانت في حالة غازية انفصل القمر . كما انفصلت اقمار عن اكثر السيَّارات

ثانيًا لمَّا قال الكتاب انَّ الله في البدء خلق السموات والارض عنى بذلك خَلق الكائنات كلها بنوع اجمالي ثم اخذ في الكلام بالتخصيص على كلّ نوع من المخلوقات من نور وسماء وارض ونيرات ونبات وحيوان الخ . ودليل ذلك ان الكتاب بعد ما اجمل في الآية « خلق السماوات والارض » عاد فذكر خَلق السماوات في اليوم الثاني « فصنع الله الجلد . . . وسمى الله الجلد سماء . وكان مساء وكان صباح يوم ثانٍ » وعليهِ فيكون المراد بكلمتي السموات والارض مجموع كل الكائنات

وفي ما تقدَّم كفاية عن السوءال السابق . غير انهُ اذا لاحظنا انَّ الكتاب يذكر خَلق الارض في اليوم الثالث وخلق الشمس في اليوم الرابع ظهر انَّ المشكل لم ينحلّ بل يزيد ارتباكًا . والجواب عليهِ انهُ ذكر الشمس في اليوم الرابع بصفة جرم نيّر للارض لا بصفة جرم بسيط ومن ثمَّ فلا يمتنع ان تكون الشمس قد وجدت قبل الارض كجرم انفصلت عنهُ الارض وأن تكون الشمس بعد الارض بصفة نيّر ينيرها لانَّ الشمس لم تكن دائمًا منيرة كما انَّ الارض كانت متأججة ثم بردت اقلّهُ على سطحها ا . ص

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٣ ايلول الى ٦ تشرين الاول ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

245 **Le livre des Arbres et des Plantes**

كتاب النبات والشجر للاصمعي

In-8°, 48 pages.

Par al-Asma'i

Édité par le Dr A. Haffner

Cet ouvrage tiré comme كتاب الدارات de la Revue **al-Machriq** y a paru en articles successifs. Il offre un double intérêt aux Orientalistes sous le rapport de la Philologie et de l'histoire de la Botanique des anciens Arabes. Les noms scientifiques des plantes sont renvoyés en note et accompagnés de la description qu'en ont donnée les naturalistes anciens dans les grands lexiques arabes.

Broché . . . . 1 » 0,10

244 **Kitâb ad-Dârât** ou **Livre des Mansions**

كتاب الدارات للاصمعي

In-8°, 16 pages.

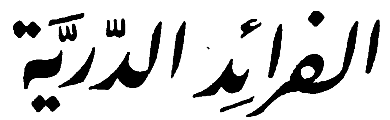
Par al-Asma'i

Édité par le Dr A. Haffner

Cet opuscule tiré d'un Manuscrit de la Bibl. Khédiviale du Caire a paru pour la première fois dans notre Revue arabe **al-Machriq**. Nous en avons fait un tirage à part pour les Orientalistes en l'accompagnant de *Notes* et d'une *Table*.

Broché 0,40 0,05

Arabic english Dictionary.



في اللغتين الانكليزية والعربية

In-8°, XIV— 910 pages.

Par le P. J. Hava S. J.

Faciliter aux personnes parlant l'anglais l'étude de la langue arabe comme le P. Belot l'a fait pour celles qui comprennent le français, tel a été le but de l'auteur. Même méthode, à peu de chose près, même abondance de matières, même format et mêmes avantages typographiques.

Cet ouvrage n'est pas une simple traduction du précédent. L'œuvre est personnelle. Tout en suivant les traces de son devancier, l'auteur a pris pour base de son travail le grand lexique de Lane comblant bien des lacunes laissées par ce fameux orientaliste. Il a aussi, consulté les ouvrages publiés en ces dernières années et utilisé nombre de travaux récents pour déterminer le sens précis de plusieurs termes techniques. Son expérience personnelle lui a permis d'enrichir son dictionnaire d'un nombre considérable de mots empruntés aux dialectes de Syrie et d'Egypte.

	Fr.	affr.
Broché	20	1,55
Reliure percaline tranche jaspée, titre doré	21	1,70

265 **Barhebræus :** l'Homme et l'Ecrivain suivi de son traité inédit sur l'âme humaine.

نبذة في ترجمة وتآليف غريغوريوس ابي الفرج

المعروف بابن العبري

تليها مقالته في النفس البشرية

In-8°, 72 pages.

Par le P. L. Cheïkho S. J.

Après St Ephrem, il est peu d'écrivains syriaques qui aient joué en Orient un rôle aussi considérable que Barhebræus. Faire connaître la vie de ce grand homme, les œuvres de cet éminent écrivain d'après les travaux récents des Orientalistes, tel est le but que s'est proposé le P. L. Cheïkho dans cette étude tirée de la Revue **al-Machriq.** Un récent voyage fait en Mésopotamie lui a permis de recueillir plusieurs renseignements qui ajoutent un nouveau charme a une Biographie déjà intéressante par elle même.

Le traité inédit de Barhebræus sur l'âme humaine joint à sa Notice contient en 56 chapitres très didactiques un excellent résumé de Psychologie telle que l'enseignaient les Scolastiques du Moyen-Age.

Broché 1.50 0,15

266 **Zénobie, reine de Palmyre.**

نبذة في اخبار زينب (الزباء) ملكة تدمر

In 8°, 80 pages.

(Extrait de la Revue " **Al-Machriq** ". avec une carte du commerce de Palmyre, un tableau comparatif des écritures sémitiques, et de nombreuses illustrations).

Par le P. S. Ronzevalle S. J.

De tout temps, les esprits se sont passionnés pour l'histoire de cette reine du désert, qui, selon le mot de Bossuet, « se rendit célèbre par toute la terre, pour avoir joint la chasteté avec la beauté, et le savoir avec la valeur. »

Elaguer ou interpréter les récits fééiques dont les imaginations orientales se sont plu à entourer les hauts faits de l'illustre princesse de Palmyre comme d'une auréole poétique, initier les lecteurs orientaux aux remarquables travaux qui, depuis un demi siècle, ne cessent d'éclairer d'une vive lumière les origines de Palmyre et la haute antiquité de son commerce, résumer à grands traits les annales de ses princes et retracer d'après les monuments anciens et modernes, les gloires de celle qui fit trembler les Romains et les Parthes, tel a été le but de l'auteur.

Broché . . . . 3 » 0,15
Demi-reliure . . . . 4 »

385 **Diwan d'al-Ḫirniq sœur de Tarafah.**

ديوان الخرنق اخت طرفة

Grand in-8°, 24 pages.

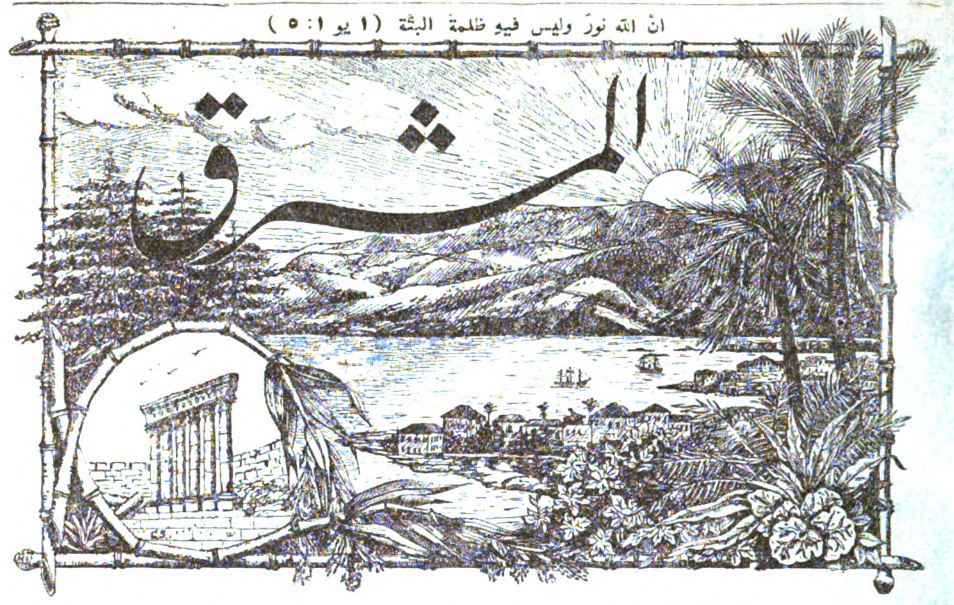
Par le P. L. Cheikho S. J.

Après al-Ḫansâ', les Arabes accordent la palme poétique à trois femmes célèbres du désert : al-Hirniq sœur du poète Tarafah, Amrah fille d'al-Hansa' et Laïla l'Aḫialite. Les poésies de la première réunies en un *dîwān* éditées d'abord dans le recueil des Femmes Poètes viennent d'être publiées à part avec un appareil plus scientifique destiné surtout aux Orientalistes, d'après le Ms. du Caire.

	Fr.	affr.
Broché	1,50	0,05

السنة الرابعة العدد ٢١ تشرين الثاني ١٩٠١

انّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بإدارة آباء كلّيّة القدّيس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و ١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 21 (1 Nov. 1901)

فهرس العدد ٢١

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

Ebed-Jesu Sobensis Carmina Selecta ex Libro « Pardisus Eden. »

ܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢ

Edidit ac latine reddidit P. H. Gismondi S. J.

نخبة من كتاب فردوس عدن سرياني لاتيني

Petit in-8°, 125 pages, 1888.

Le *Jardin de* *Délices* est un des ouvrages les plus remarquables de ʿAbd Yašûʿ **as Sûbâwî,** évêque de Nisibe († 1318). C'est une œuvre littéraire analogue à celle **des *Séances* *de Hariri*** que l'auteur a voulu imiter en syriaque. L'Abbé Cardahi **en a publié la 1^{re}** partie avec des notes arabes ; la 2^e reste inédite. En même temps **que cette publica**tion voyait le jour, le P. H. Gismondi avait la chance de découvrir **deux Manuscrits** du même ouvrage dans les bibliothèques du Liban. Il eut l'idée **d'en faire un ch**oix pour les Orientalistes d'Europe et publia à cet effet dix des plus **belles séances,** dont quatre: (XXIX, XXXVII, XLII, L) sont tirées de la deuxième **partie. Son texte** *complètement vocalisé* est accompagné au bas des pages d'une traduction **non moins** élégante que fidèle. A la fin de l'ouvrage se trouve un *Appendice* **où l'on a consign**é un choix de *Scholia* dont l'auteur avait enrichi son travail.

	Fr.	affr.
Broché	3 »	0,40

SANCTI GREGORII THEOLOGI

LIBER CARMINUM IAMBICORUM



ܕܡܐܡܪ̈ܐ ܕܗܘ ܬܐܘܠܓܐ

VERSIO SYRIACA ANTIQUISSIMA, E COD, VAT. CV.

Pars prima, in-8°, XII-175 pages, 1895.

Edidit P. J. Bollig S. J,

Pars secunda , in 8° IV-60, pages, 1896.

اشعار القديس غريغوريوس اللاهوتي

Edidit P. H. Gismondi S. J.

Cette traduction syriaque des *Vers iambiques* de S^t Grégoire de Nazianze est certainement **antérieure** au 10^e siècle, comme on peut le déduire du *Colophon* qui termine **l'ouvrage,** apporté au monastère de Scété en 932 par Moïse de Nisibe. Mais ce n'est **pas assez;** Assemani et le savant éditeur de ce livre, le regretté P. Bollig, le faisaient **remonter,** jusqu'au VII^e, voire même à la fin du VI^e siècle. L'abbé Chabot, dans un **compte-rendu** sur cet ouvrage, publié dans le journal Asiatique (Mai-Juin 1898 pp. **542-546) croit** avoir reconnu le véritable auteur de cette traduction. Ce serait un **moine nommé** Rabban Gabriel contemporain du patriarche nestorien Timothée 1^{er} **(778-820).**

Quant au fond de l'ouvrage, nous avons peu de chose à ajouter à ce qu'en dit l'éditeur **dans sa Préface.** En jetant un coup d'œil sur la table comparative entre le texte **syriaque** et l'original grec, on verra facilement que le traducteur n'a pas suivi l'ordre **des *poèmes iambiques*,** et ne les a pas reproduits intégralement.

Le Musée Britannique, si riche en *Codex* syriaques, comble en partie cette lacune. **Un MS. de cette** Bibliothèque contient en effet la traduction d'une partie des hymnes **de S^t Grégoire,** due, croyons-nous, à la même plume que celle de l'auteur du MS. **romain. Le P. H.** Gismondi, le savant professeur de l'Université Grégorienne, a bien **voulu,** après la mort du R. P. Bollig, se charger de cette seconde partie du travail, **et la mener à** bonne fin. Une liste des *Errata* qui s'étaient glissés dans la 1^{re} **partie a** été jointe à celle-ci.

Pour l'édition de ce livre nous avons fondu nous-mêmes de nouveaux types *estranghélos,* d'après quelques photographies des meilleurs et des plus anciens Manuscrits **de la *Bibliothèque Nationale*** de Paris.

1^{re} *Partie, brochée*	14	0,75
2^e ***Partie.***	5 »	0,40

المشرق

رسالة عقليَّة

في وجود الباري تعالى وكمالاتهِ واقانيمهِ

تأليف بولس الراهب اسقف صيدا الانطاكي الملكي

توطئة

ليست هذه الرسالة اوَّل اثر نرويهِ لبولس الراهب اسقف صيداء. فاننا في الجزء الاول من المشرق (ص٨٤٠) اثبتنا له رسالة ضمَّنها خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد وصدَّرنا تلك الرسالة ببعض افادات عن المؤلف وتصانيفهِ الفلسفيَّة واللاهوتية فعليك بالمراجعة. امَّا الرسالة التي نباشر اليوم نشرها فقد نقلناها عن نسختين احداهما كُتبت سنة ١٧٩٠ نصوصاً في خزانة كتبنا الشرقيَّة كتبها سليمان الصبَّاغ . امَّا الثانية فهي منقولة عن نسخة بخط الطيِّب الأثر ابرهيم بن حنَّا ابن ميخائيل ابراهيم العوره الروم الكاثوليكيّ الملكي اتمَّها في تاريخ ٣ من شهر حزيران سنة ١٨٤٩ نقلًا عن نسخة قديمة تاريخها سنة ١٦٥٠ . فقابلنا بين النسختين ودللنا على الزيادات التي في نسختنا بحذين المكفَّفين [ ] وعلى زيادات النسخة الثانية بهلالين « ». ولله الحمد　　ل. ش

الباب الاول

في وجود الباري تعالى

[الحمد لله الحي الحكيم. والقادر العليم. والجود الحليم. والرحمان الرحيم. منشئ كل شيء. ومبديهِ. ومميت كلّ حيّ ومحييهِ. مُبدع المكان وموجدهُ. ومحدث الزمان ومُنفدهُ. الذي لا تحويهِ الامكنة والاقطار. ولا يغيّرهُ الليل والنهار. ولا تبليهِ الازمنة والادهار. نحمدهُ على ما اولانا من جميل آلائهِ. ونشكرهُ على ما اتانا بهِ من جزيل نعمائهِ

امَّا بعدُ فانني لمَّا ابتدأتُ باثبات ابواب تشتمل على معاني مختلفة ليزول بذلك ظن

من يظنُّ بنا ظنونًا لا حقيقةً لها ويقول بقلّة خبرته برأينا اننا مُشركون وانَّ لا بصيرة لنا بديننا ولا حجّة لنا نبرهن بهـــا عن نفوسنا . واذ كنت من العلم مفتقرًا ومن الذنوب مكتنزًا رأيتُ ان اجعل اول الكلام في وجود الباريء تعالى حسبما امر به غريغوريوس المتكلّم في اللاهوت وذلك في قوله : اجعل الله بدء امرك وانتهائه]

« اننا معشر النصارى المؤمنين لمَّا علمنا » انَّ الشيء لا يتعبَّد للشيء ولا يخاف(?) لهُ الَّا لاحدى ثلث خصـــال وهي : امَّا مكافأةً على المعروف أُوتي اليه (١ وامَّا طلبَ جزاء فيما يستقبل [ولا هو يقدِّر] وامَّا ان يكون مجبورًا على خدمته (٢ . ورأينا الشمس والقمر والكواكب والغيوم وسائر ما في الهواء وجميع ما ينتفع به الانسان من الارض وما عليها ليست محتاجة الى الانسان ولا طالبة منهُ جزاء فيما يستقبل . ولا هو يقدر ان يجبرها على خدمته (٣ فلمَّا لم تكن احدى هذه الثلث الخصال وجب ان يكون لها قاهر يجبرها (٤ على خدمة الانسان فبذلك استدلّنا على وجود الباريء « القاهر القادر على كلّ شيء »

الباب الثاني

في قدم الباريء وحدوثه (واحداثه) للعالم

وقلنا انهُ قديم ازلي محدث للعالم لما نشاهدهُ من ائتلاف المتضادَّات مثل النـــار والماء والهواء والارض وتأليف الفلك من اجسام مختلفة النَّظم ومختلفة الحركات فدلَّ على ان ناظمًا تقدَّم فرتبهُ على ما هو عليه وان سابقًا سبقهُ واتقنهُ واحكم صنعتهُ لان كل صناعة ان لم يتقدَّمها موجدها (٥ والَّا كانت باطلة

الباب الثالث

في ان ليس للباريء تعالى جسم (٦

وقلنا انهُ تعالى ليس بجسم لانهُ لو كان لهُ جسم لدخل بعض الحدود عليه التي يُحدُّ بها الجسم من الطول والعرض والعمق وغير ذلك . وايضًا لو كان جسمًا لشغل حيّزًا وقبل عرَضًا . ولو يشغل حيزًا لحدَّهُ المكان

١) وفي احدى النسختين : على معروفٍ أُسدي اليه ٢) ويروى : مخبرًا عن خدمته
٣) ويروى : يجزيها على خدمتها لهُ ٤) ويروى : يجزيها
٥) ويروى : موجودها وهو غلط ٦) ويروى : ليس الباريء جسمًا

الباب الرابع

في ان الباريْ تعالى واحد

وقلنا انهُ واحد لا حد يحويهِ ولا نهاية تحصرهُ لانهُ لو كان اكثر من واحد لوجب ان يكون احدهم معتزلًا عن الآخر. واعتزال الواحد عن الآخر يدلّ على انهُ محصور. وكل محصور محدود. وكل محدود لهُ ابتداء. وما لهُ ابتداء فمخلوق. والمخلوق ليس ازليًّا لان الازلي لا يستقيم ان يكون اكثر من واحد

الباب الخامس

في ان الباريْ تعالى جوهر بسيط غير مركَّب

وقلنا انهُ جوهر لان ليس في الوجود شيء الَّا وهو امَّا جوهر وامَّا عرَض. وذلك انَّ ايَّ امر نظرنا فيهِ وجدناهُ امَّا قائمًا بذاتهِ وهو الجوهر. وامَّا مفتقرًا في وجودهِ الى غيرهِ وهو العرَض. ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسمٌ ثالث. فاشرفهما القائم بذاتهِ الغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر. ولمَّا كان الباريْ تعالى اشرف الموجودات اذ هو سبب سائرها وجب ان يكون اجلّ الامور. واجلّ الامور واشرفها الجوهر. ولهذا قلنا انهُ جوهر لكنَّهُ ليس كالجواهر المخلوقة كما قلنا انهُ شيء لا كالاشياء المخلوقة ايضًا والَّا لزم ان يكون قوامهُ بغيرهِ ومفتقرًا في وجودهِ الى غيره. وهذا فمن القبيح ان يقال عن الباريْ تعالى انَّهُ عرَض ويجب ان يكون جوهرًا بسيطًا « نعم وأبسط البسائط لأنَّهُ الخالق للجواهر البسيطة » وبلا شك انهُ أبسط ممَّا هو فاعل لهُ. ولو انهُ كان مركَّبًا لكان غيرهُ ركَّبهُ. ولا يجوز ان يكون المركَّب هو المركِّب لذاتهِ

الباب السادس

في ان للعالم ناظمًا اتقنهُ وهو يضبطهُ

ومن هنا لمَّا شاهدنا العالم مركَّبًا من طبائع مختلفة ومتحدًا من جواهر متباينات. ومنتظمًا من اشياء غير متشابهات. ولاجتماعهِ من اشياء مختلفة يسمَّى عالمًا لما فيهِ من التضادّ. ورأينا الفلك مختلف النظم ومختلف الحركات الذي يقال انهُ طبيعة خامسة لا حارَّة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة (١ علمنا ان غيرهُ اتقنهُ ونظمهُ وهو يضبطهُ يحول

١) هذا مبنيٌّ على اقاويل الاقدمين في طبيعة الافلاك وتركيبها لا يُعوَّل عليهِ اليوم

ولا يزول عمّا نظمهُ عليهِ (١ الى الوقت الذي يشـاء مركّبهُ ومؤلفهُ

الباب السابع

في ان العـالم قديم لا بقِدَم الباريء تعالى (٢

ولمّا لم نعلم واحدًا قديمًا غير ذي جسم جوهرًا بسيطًا غير مركّب الّا الباريء تعالى علمنا انهُ هو الذي نظّم العـالم وانهُ لا يجوز ان يكون المختلف الطبائع المركّب من جواهر متباينة وأنواع مختلفـة لا قديمًا بقدم الواحد البسيط الغير مركّب الذي ليس هو جسمًا . فمن هذا الدليل ثبت انّ الباريء تعالى [ليس جسمًا] قديمٌ ازلي لا ابتداء لهُ. وان العالم مُحدَث لهُ ابتداء ومن لهُ ابتداء فلهُ ضرورةً انتهاء

الباب الثامن

ردّ على من يقول من المتفلسفين ان الله والعـالم كالنقرة والطنين (٣

وهذا يزيل رأي من يقول من المتفلسفين انّ العالم والباريء تعالى كالنقرة والطنين(٤ وانما يتقدمهُ كما زعموا بالرتبة كالنقرة المتقدّمة للطنين (٥ . ولو كان الباريء تعالى كذلك وحاشا لعلوّهِ لوجب ان يكون لهُ وللعـالم باريء اوجبهما كالناقر (٦ الموجب للنقرة والطنين (٧ . فكان ذلك بلا شك الباريء تعـالى الذي لا يجب ان يكون لا قبلهُ ولا معهُ خالق آخر غيره . وقد يعلم كل احد انّ النقرة والطنين (٨ مفعولان ولهما فاعـل « يتقدّمهما وهو الناقر كذلك العالم مفعول ولهُ فاعل » وهو الباري . ولا يجوز ان يكون الفاعل والمفعول معًا بل الفاعل يتقدم المفعول كالناقر (٩ المتقدم للنقرة والطنين (١٠ .

الباب التاسع

في ان ليس الحدوث بعد الامساك عند الباريء عرَض

ثم انهم قالوا اعني المتفلسفين: انّ الحدوث بعد الامساك عرَض . ولذلك لم يوجبوا ان يكون الباريء تعالى أحدث العالم بعد ان كان ممسكًا عنهُ . لانّ ذلك « كما زعموا » لا يخـلو من احدى ثلث خصال وهي امّا ان يكون مانعٌ كان يمنعهُ من حدوثهِ فلمّا زال المانع احدثهُ . او تكون حاجة دعتـهُ اليهِ فاحدثهُ لحاجتهِ اليهِ . او انهُ كان مضطرًّا

١) ويروى : اليهِ ٢) ويروى : في انّ ليس العالم قديمًا بقدم الباريء
٣) و ٤ و ٥ و ٧ و ٨ و ١٠ ويُروى : الطنين
٦) ويروى : كالنقرة ٩) ويروى : كالنقر

اضطرَّهُ غيرهُ فاحدثهُ اضطرارًا . فاذا كان العقل الذي هو مثـل المحكّ والمعيار والعالَم نفسهُ الموجب لاجتماعهِ من اشياء متضادة يوجبان على نفسهِ انهُ محدث ويحققان ذلك ويبرهنان عنـهُ ببراهين عقليّة بقي ان نورد ما يبطل قول من يزعم انَّ الحدوث بعد الامساك عرَض عند الباري . ونقول انّ الحدوث بعد الامساك عرض عندنا نحن المخلوقين فامّا عند الاوَّل الواحد الغير ذي جسم والغير مركَّب البسيط فحكمةٌ لانهُ تعالى حكيم مريد فاوجدهُ بحكمتهِ وَقتَ أراد لِما أراد ويغنيهِ وقتَ يريد كما يريد من حيث لا يدخل عليهِ عرَض . لانَّ العرَض انما يدخل على الاجسام الكثيفة فامَّا اللطائف(١ فما يدخل عليها عرَض لا ثابت ولا زائل . لانَّ العرَض عرَضان عرَض ثابت وهو كسواد الغراب وبياض الثلج وفطسة الافطس وزرقة الازرق . وعرَض زائل وهو صفرة الوجه وحمرة الخجل والقعود والقيام والنوم واليقظة وما يجري مجراه . فالباري سبحانهُ تعالى منزَّهٌ عن الاعراض الثابتة والزائلة والكيفيَّات والكميَّات لانَّ كل هذه تلزم الجواهر الكثيفة . وقد نرى الجواهر غير داخل عليها عرَض فكيف يقال انَّ خالق الجواهر البسيطة والكثيفة والمركَّبة يدخل عليهِ عرض حاشا لعزَّتهِ وجلالتهِ من هذا القول

الباب العاشر

فيما يؤول اليهِ قول من يزعم ان الباري تعالى لا يحدث شيئًا بعد ان كان ممسكًا عنهُ

وامَّا ما يؤول اليهِ قول من يزعم انَّ الباري تعالى لا يحدث شيئًا بعد ان كان ممسكًا عنهُ فهو يوجب انَّ الباري لم يخلق العالم ولا آدم ولا ارسل طوفانًا ولا احدر نارًا على سادوم وعامورة ولا انقذ موسى النبي ولا انقذ بني اسرائيل من عبودية المصريين ولا بعث كلمتهُ السيد المسيح ولا ارسل نبيًّا ولا يرحم ولا يعاقب ولا يمطر ولا يقحط ولا يرخّص ولا يغلّي ولا ينصر ولا يخذل ولا يحيي ولا يميت ولا ينشر ولا يحشر ولا لهُ تأثير في العالم لانَّ هذا وما شاكلهُ حدوث بعد امساك . واذا كان ذلك كذلك والعياذ بالله فلا حاجة الى تمذهبٍ ولا الى صوم ولا الى صلاة ولا الى صدقة ولا الى رحمة ولا الى عدل ولا الى حفظ جناح لانّ هذا كلهُ وما شاكلهُ من الصلاح انَّما يُطلب بهِ من الله تعالى الحدوث بعد الامساك مثل العفو بعد السخط فاذا لم يكن لا عفو ولا سخط فقد زال

١) هذا لا يصحُّ في كلّ الجواهر اللطيفة كالنفس والأرواح المجرّدة وانما يصحّ فيهِ سبحانهُ تعالى

الخوف والرجاء ومع هذا فالفلاسفة اجمع يقولون انَّ نهاية الفلسفة التشبُّه بالاله حسب طاقة المخلوق . فاذا كان الاله لا يرحم ولا يجود ولا يصفح ولا يحنّ . اذ ذاك وما شاكلهُ حدوثٌ بعد امساك فبمَ يتشبَّه المخلوق بالاله . فامَّا نحن النصارى المؤمنين فنثق ونؤمن بالله ونعتقد انهُ صانع الكل وبارئه والَّا فكيف كان يتمّ وليس لهُ مجوهر ولا ناظم . ثمَّ نعتقد انَّ هناك سياسة وتدبير الروح ليجمع الكلّ ويربطهُ لانهُ يلزم ان يكون صانع الاشياء هو ايضاً يدبرها والَّا فلو جرى الامر في السياسة على حسب الاتفاق لقد كان الكل اشبه بسفينةٍ لا مدبّر لها تأخذها الرياح الى حيث اتجهت وتنكسر وتنهدم سريعاً لما فيها من قلة النظام والترتيب ومعاذ الله من هذا القول

الباب الحادي عشر

في رأي الفلاسفة في زهدهم في امور الدنيا

فان قال قائل انَّ الفلاسفة الذين كانوا يرون هذا الرأي قد كانوا زهَّادًا ويفعلون الصلاح ويعفُّون عن المحارم . قلتُ ان ذلك اعني فعلهم الجميل لاحدى ثلث حالات وهي: إمَّا ان يكونوا لا يرون هذا الرأي الذي يُنسب اليهم . او ان كان هذا رأيهم فكانوا يزهدون في امور الدنيا ليريحوا قلوبهم من الاهتمام باسبابها ولانَّ فعل الصلاح واجب وفرض على كل بشر اذ مُيِّز عن غيرهِ من الحيوان بالعقل والنطق . او انهم كانوا يطلبون بذلك المديح من الناس

الباب الثاني عشر

ردّ على المتفلسفين الذين يقولون ان الصفات للباري كيفيَّات ولذلك لا يرون ان يصفوه بالحي الناطق القادر وما شاكل ذلك ممَّا وصف بهِ ذاتهُ على السن انبيائهِ

فامَّا من يقول من المتفلسفين انَّا اذ وصفنا الباري تعالى بالحي الناطق السميع البصير القادر الجواد الكريم وما شاكل كيَّفناهُ ودخل في الكيفيَّة والكميَّة فلم يعلموا انَّ الصفات كيفيَّات للمخلوقين ذوي الاجسام والكميَّةِ الداخل عليها الحدود القابلة الاعراض . فامَّا الحدود القابلة للخالق فليست كيفيَّات بل اشارات لهُ الى الوجود ودلالات انهُ الاله الواحد المعبود وانما وصف الباري تعالى لاهوتهُ في كتبهِ المنزلة منهُ على السن انبيائهِ ورسلهِ بهذه الصفات من حيث نحن « ومن حيث فَهمنا » لا من حيث علوهِ

وسموهِ ليوءهل بذلك المعرفة بجلالهِ الينا نحن الدنيين لأنّا لا نعلم قادرًا الّا ملكاً ولا ذا يد مبسوطة الّا جوادًا ولا رحمانَ الّا رحيماً فتنازل الباريْ جل قدرتهُ لحقارتنا وسمّى لاهوتهُ بهذه الاسماء من حيث نحن لنفهم ذلك ونعرفهُ ممّا قد الفناه كمثل الناطق الفصيح الذي اذا أراد يخاطب اخرس اومى اليهِ بيدهِ واشار نحوهُ بحركاتهِ من حيث المخاطَب لا من حيث المخاطِب. وايضاً لِما ازمعهُ من ظهور كلمتهِ اي نطقهُ المولود بلا حدَث كولادةِ قرص الشمس للضوء وكولادة العقل للنطق وكولادة النار للحرارة من غير انفصال بين الوالد والمولود ولا افتراق لكي الذي يشاهد ذلك او يسمع بهِ اعني الحادّ نطقهُ ينسرّ ولا ينكرهُ ولا ينفر منهُ اذ قد تقدَّم الإنذار بهِ من الباريْ تعالى عزّ وجل في كتبهِ المنزلة منهُ على السن انبيائهِ ورسلهِ حيث وصف لاهوتهُ بصفات المخلوقين ولكي يشبعوا من وصفهِ عزّ وجلّ بما وصف بهِ ومن حيث ارادوا ان ينزّهوهُ عن الصفات حادوا عن السبيل المستقيم. فامّا نحن فنقول ان الاتفاق بين الباريْ الخالق جلّ ذكرهُ وخلقهِ فيما يوصف بهِ انما هو الاشتراك في الاسماء فقط فامّا المعاني فلا شبيه بينهُ وبينهم

الباب الثالث عشر

في الزمان والمكان

واذ قد تكلّمنا في وجود الباريْ تعالى تقدّست اسماؤهُ وجلّت آلاؤهُ بما لا تغنيهِ العقول ولا يبعده من هو ذو لبّ وبيّنا انهُ قديم واحد غير ذي جسم جوهر بسيط وانهُ محدث للعالم غير داخل عليهِ عرَض وانهُ متنزّه عن الكيفيّات والكميّات والآنيّات وانّ حدوث العالم واجبٌ اذ وجب لاختلاف طبائعهِ وتركيبهِ انهُ مصنوع وان لهُ ابتداء وانّ ما لهُ ابتداء فبلا محالة لهُ انتهاء . وان ليس الحدوث بعد الامساك عرَض عند الباريْ كما هو عندنا نحن المخلوقين كما ان الامر لمن دون الانسان امر ولمن فوقهُ سؤال

بقي ان نورد في الزمان والمكان كلاماً يسيرًا مقنعاً ان شاء الله تعالى لانهُ قد قال بعض المتكلّمين: كثرة الكلام حرب للسامع. ونقول انّ الزمان قد يقال على انحاء كثيرة: من ذلك الزمان زمان الخريف وزمان الشتاء وزمان الربيع وزمان الصيف واذا غاب واحدٌ عن واحد ايّاماً قال لهُ: « لي زمان ما رأيتك » و«ما اغيب زماناً طويلاً. وزمان

طيب وزمان سوء». فالزمان ليس لهُ جوهر لطيف ولا كثيف يقبل حدًّا بل هو تعاقب الليل والنهار ومرّ الأيّام والشهور وهذا هو الزمان فالطويل ما كثرت اعوامهُ والقصير ما قلّت ايّامـــهُ وليس الزمان شيء آخر الّا ما ذكرناه. فامّا المكان فالسماء والارض وما فوقهما وما تحتهما

الباب الرابع عشر

جواب لمن يسأل اين كان مكوِّن المكان قبل المكان

فان قال قائل فاذا كنتَ اوجبتَ من العقل الذي هو كالمحكّ والمعيار ومن العالم نفسهِ لتركيبهِ من طبائع مختلفة وتأليفهِ من جواهر متباينـــة انهُ محدث فاين يكون مكوِّن المكان قبل المكان . فنقول انهُ وجب من دليل العقل ومن العالم نفسهِ انهُ مركَّب فكل مركَّب لهُ مركِّب ولا يجوز ان يكون المركَّب والمركِّب معاً بل المركِّب يتقـــدم المركَّب لا بسنين ولا بشهور او بجُمَع وايّام الذي هو الزمان بل ابتدأ ابتداء الزمان مع ابتداء المكان وكما وجب من دليل العقل ايضاً انَّ الباريْ تعالى واحد قديم غير ذي جسم وغير مركَّب ولا مؤلف وانهُ جوهر بسيط وابسط البسائط . فمن ههنا وجب ان يكون الباريْ تعالى غير محتاج الى مكان لانَّ حاجة التمكُّن في المكان عجز والباريْ تعالى ليس عاجز وانما المحتاج الى المكان الجوهر الكثيف والجسم المركَّب المؤلف من طبائع مختلفة وجواهر متباينة . بل نقول ان المكان في قدرة الباريْ تعالى ولو كان الباريْ محويًا من المكان لدخل عليهِ بعض الحدود لانَّ الخلق اللطيف مثل الملائكة والجنّ والانفس تُحدّ بحدَّين حدّ الابتـــداء وحدّ المكان لانهُ لا يكون ملاك ولا شيطان ولا نفس في مكانين في وقت واحد معاً بل ينتقـــل كل واحد من هؤلاء من مكان الى غيرهِ . وامّا الخلق الكثيف فيُحدُّ بثلاثة حدود حدّ الابتداء وحدّ المكان وحدّ الحلية . والبـــاريْ تعالى خارج عن سائر الحدود التي تُحدّ بها اللطائف والكثائف ولذلك قلنا انهُ غير محتاج الى مكان بل المكان في قدرتهِ

(ستأتي البقيَّة)



حنانيًّا منيّر شعرهُ وتاريخهُ

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لمّا اثبتنا في عدد سابق (راجع المشرق٤: ٤٢٨) لمعةً تاريخيّة عن بيروت ومعاهدها اقتطفناها من تاريخ مجهول للقس حنانيّا منيّر كنّا وعدنا القرّاء ان نعود الى ذكر هذا المؤلف وعمله اذا ما اتاح لنا الحظ بان نقف على شيء من اخباره. على اننا مذ ذاك الحين لم ندّخر وسعًا في البحث والتنقيب لعلّنا نحصل على ضالّتنا وكان اكبر املنا في اخوتهِ الرهبان الحنّاويّين الملكيّين الافاضل الذين اجابونا بعد التفتيش انّ مساعيهم خابت مثلنا وانهم لم يجدوا لزميلهم في الرهبانية ذكرًا معروفًا

غير اننا جعلنا على الله اتكالنا فجمعنا في هذه الصفحات القليلة ما احاط بهِ علمنا وقد استخلصنا اكثره من تاريخ المؤلف:

وُلد حنانيًّا منيّر في زوق مصبح في أواسط القرن الثامن عشر من ابوين كاثوليكيّين احسنا تربيتهُ. وكان الولد ذكيًّا فدرس مبادئ العلوم العربيّة واتقنها في وقت كان اكثر اللبنانيين لا يعرفون القراءة ثم تعلّم نظم الشعر وقصّد القصائد كما سترى

ولمّا ترعرع دخل دير مار يوحنّا الصابغ الذي موقعهُ بقرب الشوير وتبع قانون رهبانهِ. ولمّا اتمّ امتحانات الابتداء اكمل دروسهُ الكهنوتيّة فسيم كاهنًا. وكان مع ذلك يحب الاطلاع ونقل الكتب الادبية. وفي ايّامهِ كثرت الفتن والمشاغب في بلاد الشام فاحبَّ ان يسطّر منها ما يتصل بهِ علمهُ فكتب تاريخ الامور التي جرت في الشوف في ايّامهِ. اعانهُ على وضعهِ سكونهُ في الشوير بعيدًا عن ضوضاء الحروب في مأمن من كوارث الدهر لا يشغلهُ عن تأليفهِ شيء من شواغل الدنيا

شعرهُ وقبل الخوض في تاريخ القس حنانيا منيّر اردنا ان نذكر ما وقفنا عليهِ من شعرهِ وهو بلا شك دليل على انّ صاحبهُ كان من ذوي العقول البارزة لانّ النظم رقيقٌ منسجم العبارة بليغ المعاني وان لم يكن من نمط الشعر العالي. أنشدهُ صاحبهُ اثابهُ الله في عهد كان الشعر اصبح اثرًا بعد عين. فمن ذلك قولهُ وقد دبّج بهِ مقدّمة كتابهِ:

الموت سمٌّ قاتل فينا سرى حكمٌ من الباري على كل الورى
هل يعلم الانسان يوم وقوعهِ ام كيف ام اين الوقيعة يا ترى
لو كنتُ ابصرهُ منعتُ قدومهُ لكنهُ لصٌّ خفيٌّ لا يُرى
طوبى لمن بالموت كان هذيذهُ وكذاك مَنْ كلُّ الورى القى ورا
بين الامانة والخيانة يا فتى بونٌ كما بين الثريّا والثرى
ولكلّ ساعٍ عند ربّك ما سعى ولكلّ قلب ما نواهُ واضمرا
وانا الذي اصرفتُ عمري غافلًا فمررتُ منتبهًا كأنّي في الكرى
يا ربّ كن لي صافحًا عمّا طغت قدمي وكن لي غافرًا ما قد جرى
واروم من اهل البصيرة من رأى هذا الكتاب وكلّ من فيهِ قرا
كرمًا يغضُّ الطرف عن غلطاتهِ فالجود خلقٌ لا يباع ويُشترى
يا ناظرًا كل الزمـان وعالمًا بالكائنات وانت في اعلى الذرى
امنن بتوفيقٍ لما ترضى بهِ يا خالقًا ما لا نراهُ وما نرى

ومن شعرهِ ايضًا ابيات قالها في وفاة احمد باشا الجزار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤م) نضرب عن ذكرها صفحًا مطلع احداها: «بشراك يا قلبي الكليم ومهجتي»

وقال ايضًا في ذلك ابياتًا أُخرى افتتحها بقولهِ:

ظهر الحبور فلاح فينا وانتشرْ وقد اضمحلَّ الغمُّ عنا والكدرْ

ومن قصائد القس حنانيّا التي لم تأخذها يد الضياع قولهُ يهنئ سليمان باشا يوم دخل عكّا سنة ١٢١٩. ليتولى امرها بعد الجزّار قال:

لهوى الاحبّة في الفؤاد مخيّمُ نيرانهُ بين الجوانح تُضرمُ
روحي تُعـاني من معاني حبهم عللًا ولي جسمٌ يعلُّ ويسقمُ
شغلي وشوقي والحديث ومحنتي فيهم اليهم ثم عنهم منهمُ
لا غرو ان تبدي الشكاية ما طوى قلبي فمـا في القلب يعلنهُ الفمُ
يا مـن سكنتم في الفؤاد ترفّقوا ولكم علينا منّةٌ وتكرمُ
انتم احبّتنا الكرام وانما اعدى العدى منكم ارقُّ وارحمُ
هلاّ كفى ما قد جرى منكم ومن دمعي وهل يكفي الصدود متيمُ

لا تسلكوا طرق التعسُّف واقتفوا — آثار مولًى مثلهُ مَن يرحمُ
اعني سليمان السلامة مَن لهُ — في امّة الاسلام عدلٌ يُعلمُ
من قد غدا بحر الندى ريَّ الصدى — نهج الهدى قهر العــدى اذ يهجمُ
ذاعت مناقب فضلهِ بين الورى — ولها حديثٌ في البلاد يُترجَمُ
لا عيبَ فيهِ غير فرط سخائهِ — منهُ الصيارف تشتكي والقيَّمُ
يُخشى ويُرجى بأسهُ وعطاؤهُ — يُفني ويُغني يُستغاث وينقمُ
لا بدع ان اضحى حكيماً حاكماً — ان اسمهُ لكليهما مستلزمُ
كم حجّت الحجّاج تحت لوائهِ — اذ كان مقداماً لهم يتقدَّمُ
بلغوا الى البيت الحرام بوفدهِ — زُمرًا يضيق بها الحطيم وزمزمُ
زاروا وداروا آمنين بامنهِ — وبمنعهِ كلٌّ الخاطر عنهمُ
تخشاهُ كلّ قبيلةٍ وعشيرةٍ — ويهابهُ عربيُّها والاعجمُ
ان جال ما بــين الرجال تدانت ال — م آجال بالاوجال وهي تدمّمُ
تتبدَّد الكرَّات من كرَّاتهِ — كسمرمرٍ يلقى الجراد فيهزمُ
كم قاوم الاقوام قائمُ سيفهِ — يفري الحديد وحدُّهُ لا يُثلمُ
يعتدُّ اعداد العدى وعديدهم — كالشاة اذ يسطو عليها ضيغمُ
سلْ عن وقائعــهِ دعوقَ تُجبك عن — اهوال يومٍ قيل فيهِ عرمرمُ
اجرى القتال بهــا فاجرى من أدمٍ — فيها سواقي وردهنَّ محرَّمُ
والندب اسماعيل امسى نادبًا — يبكي وفي رجليهِ قيدٌ اعظمُ(١
زالت ولايتهُ فذلَّ وخانهُ — سيف ترجى النصر منهُ ودرهمُ
وبذاك فازدجر العصاة وسلّموا — طوعاً لمولانا السليم ليسلموا
صيدا أبشري عكّا افرحي حيفا اطربي — والقاطنون بهنَّ فليترنّموا
كن يا سليمان الوزير موءازرًا — للخاضعين وجارماً من يجرمُ
واعظمْ وسدْ وارحمْ وعُدْ وانعم وجدْ — واسلمْ ودمْ بسعادةٍ لك تخدمُ
واقبل مديحي يا كريمًا وارتضي — عمّا نظمتُ من المديح وانظمُ

١) يريد اسماعيل باشا الارناؤطي قائد جيوش الجزار تسلّم الامر مدّةً بعدهُ فكسر جنودهُ سليمان باشا واسرهُ

واذا انتهى شعري بمدحك مرةً ارَّختُ يُبدأ مدحكم لا يُختمُ
سنة ١٢١٩

☙ تاريخهُ ❧ تاريخ القس حنانيًّا عبارة عن كتاب متوسط الحجم وجدنا نسخةً منهُ عند الاديب سليم افندي باز . وهذه النسخة تشتمل على ١٧٨ صفحة وفي الصفحة ٢١ سطرًا بخطّ عادي ناعم وكان جنابهُ نقلها عن نسخة استنسخها بيدهِ حضرة القانوني البارع جرجي افندي صفا عن نسخةٍ تخصّ الشيخ العلاّمة اللغوي المرحوم ناصيف اليازجي فاهداها الى غبطة المثلَّث الرحمات السيد البطريرك بولس مسعد . امَّا موضوع هذا التاريخ فذكر احوال لبنان عمومًا والشوف خصوصًا منذ سنة ١١٠٩هـ الى سنة ١٢٢٢ (١٦٢٧–١٨٠٧م) وقد سمَّاه لذلك «بالدرّ المرصوف في حوادث الشوف» تبع فيهِ المؤلف سياق السنين سنةً فسنةً بل شهرًا فشهرًا وبين هذا التاريخ وتاريخ الامير حيدر الشهابيّ توافُق كبير بحيث لا تظنّ الثاني في حوادث كثيرة الَّا منقولًا عن الاول نقلًا حرفيًّا . وممَّا يفضُل بهِ تاريخُ القس حنانيًّا تاريخ الامير حيدر تهذيبُ عبارتهِ وتنقيحهُ كما ترى من ديباجة كتابهِ :

بسم الله الحي الازلي . – الحمد لله الواحد القهَّار . المنزَّه عن البداية والنهاية والاغيار . المحتجب عن ذوي البصائر والابصار . والمتعالي على اعلى المقول والافكار . المانح الاحكام للحكام ذوي السلطة والاقتدار . والكابح أخلاق القوم العتاة الفجَّار . الذي جعلنا بواسطة التواريخ والاخبار . نعرف ما حدث في جميع الممالك والاقطار . حتَّى اذا سمعنا ما صدر من الرجال الاخيار . من العدل والشهامة وحفظ الذمم والاسرار . وما فرط من الاراذل الاشرار . من المظالم وارتكاب الاوزار . اقتفينا من الصالحين تلك الآثار . واجتنبنا طرق الماردين الموصلة الى سوء الدار

امَّا بعد فيقول الفقير الى عفوه تعالى الراهب حنانيًّا المنيَّر احد رهبان دير الشوير انهُ اذ كان النسيان مستحوذًا على كل انسان وكانت الحاجة تدعو في اكثر الاحيان . الى معرفة ما حدث في سالف الزمان . وقد ثبت انَّ ما لا يكون مسطورًا لا يثبت في الاذهان . تصدَّيت لانشاء هذا التاريخ القريب العهد . باذلاً في احصائهِ كل الجد والجهد . وقد اقتصرتُ فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها . واضفت اليهما ما حدث في غيرها ما انتهى اليَّ حدوثهُ فيهما فاحصًا فحصًا حثيثًا عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور وقد شرعتُ في هذا العمل ولا ادري متى يحلُّ الاجل فاريد ممن يقف على كتابي هذا ان يصلح ما فيهِ من الخلل والذي يكملهُ بعدي فلهُ الثواب الاكمل واسأل الله تعالى حسن العناية في اتمام هذه الغاية

ثمَّ يلخّص المؤلف بعد هذه الفاتحة الاخبار التي جرت منذ انقراض دولة بني معن وأوائل امرة بني شهاب من سنة ١١٠٩ الى ١١٦٠ هـ (١٦١٧–١٧٤٧ م) ثم يأخذ

بعد ذلك في التوسُّع بالشرح عن تاريخ كل سنة لاسيَّما منذ سنة ١١٨٠ الى ١٢٢٢ فان التفاصيل عنها عديدة والشروح مستوفية. والكتاب يُختَم على بغتةٍ فيستدلُّ بذلك على انهُ ينقصهُ بعض صفحات او تكون المنون حالت صاحبهُ دون تتمَّة ما اخذ بتدوينهِ. وهذه اسطرهُ الاخيرة :

« التجأ الشيخ علي تلحوق وبعض المشايخ الملكية الى الامير حسن فصار لهُ سبيل على جرجس باز فاخذ يوضح للمشايخ المذكورين ما في نفسهِ. وان الحوالات التي عليهم وجميع الحوادث التي نزلت بهم برضى اخيهِ الامير بشير وانما هي من اعمال جرجس باز وتدابيرهِ »

هذا ما يختصّ بتاريخ القس حنانيًّا منيَّر. وقد افادنا جناب القانوني الشهير جرجس افندي صفا انهُ وجد لهذا المؤلف كتبًا اخرى كان ورثها الخوري المرحوم فيلبس صوايا منها مقامات بديعة المعاني رشيقة المباني. ومنها مجموع امثال لبنان وبرّ الشام ما يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل بخط المؤلف. ومنها ايضًا تاريخ الرهبنات في لبنان ضمَّنهُ عدَّة افادات عن أحوال الجبل الدينيَّة. وفي هذا الكتاب كلام مُسهب عن الراهبة هنديَّة. فهذه التآليف تدلُّ كلها على فضل صاحبها يا حبذا لو عثرنا منها على شيء. فانَنا لا نتأخر عن نشرهِ

هذه الافادات التي امكنَّا الوقوف عليها في شأن القس حنانيًّا منيَّر. فان شاء الله تمهد السبيل لغيرنا ليبحث بحثًا نعمًا عن هذا المؤلف ويزيدنا علمًا عن ترجمة حياتهِ واحوالهِ وتعريف شعرهِ وتاريخهِ. هذه طلبة نزفُّها الى اهل الفضل علَّهم ينجزون ما باشرنا بتسطيرهِ ويلحمون ما شرعنا بسدى نسيجهِ

اوقاف العائلة الخازنيَّة

على الطوائف اللاجئة الى لبنان

نبذة بقلم الاديب الشيخ شاهين افندي الخازن

لمَّا كنتُ ابحث في باب الاوقاف بلبنان واقابل بين مجموعاتي وما نُشر من نوعها في تاريخ طائفة الارمن على مجلة المشرق المعتبرة وجدت بعض حقائق فاتت الكاتب فشاب فواتُها الحقيقة التاريخيَّة (١ فحملني وجوب بيانها على تضمين ذلك الفائت مع

١) اننا ضربنا وقتئذٍ الصفح عن ذكر هذه الاوقاف لئلَّا تتَّسع بنا المقالة ولم نُرد بسكوتنا ان نبخس حقوق التاريخ شيئًا (المشرق)

ما هو من نوعهِ رسالة مخصوصة بهِ تُنشر في المشرق الاغرّ

ذُكر في تاريخ الطائفــة الارمنيَّة المقدَّم ذكرهُ دير السيدة العذراء في بزمار ودير القديس انطونيوس خشبو في غزير ولم يُذكر واقفوهما الخازنيون ولمَّا كان سيأتي ذكرهما في مكانهِ من هذه المقالة رأيت ان اصدّر الموضوع ببعض التمهيد واليك البيان :

اذا شئتَ ان تُحصي أوقاف العائلة الخازنيَّة فعليك النظر في ثلاثة امور : اطلب اولًا أوقافها على ذاتهـــا . وثانيًا أوقافها على الملة المارونيَّة . وثالثًا أوقافها على الطوائف اللاجئة الى لبنان . والقسم الاخير هو موضوع مقالتي الان وسأُفرد لكلّ من القسمين الاولين مقالةً برأسها في فرصةٍ اخرى ان شاء الله

عُرفت العائلة الخازنيَّة منذ نشأتها بالتفاني في تعلُّقها بالدولة العليَّة والانصراف الى خدمتها والامانة لها وتاريخها شاهدٌ بصحّة هذا القول . ومن تاريخ هذه البلاد تعلم ان العائلة الخازنيَّة مع ما وصلت اليهِ من المنعة والسطوة لم تسلّ سيفًا ولا نضت ركابًا في سبيل الاستقلال بل لم تتملَّك حيث تملَّكت الَّا بالشراء الشرعي ولا تولَّت حيث وُلّيت الَّا بامر الدولة العليَّة وما تحفظهُ في خزائنها ممَّا ابقتـــهُ نكبات الزمان من الفرمانات الشاهانيَّة والنعم الملوكية والصكوك الشرعية شاهدٌ بما تقدَّم لا يُردّ . فمنها تتضمَّن ما اقطعهم السلاطين العظام من الاقطاعات الواسعة ومنها ما كافأوهم بهِ من الرتب الرفيعة والرواتب المتوارثة ومنها ما أغدقوا عليهم من الامتيازات التي لم ينلها سواهم اذ ذاك في هذه البلاد . فثبتوا على امانتهم وبسطوا اكفّهم لاخوانهم في التابعيَّة او لمن لجأوا الى بلادهم من الاجانب الموالين للدولة العليَّة وهاك ما اعطوهُ تلك الفرق المتعدّدة مذكورًا على سياق السنين :

سنة ١٦٥٢ جاء الآباء اليسوعيون الافاضل كسروان فاستقبلهم حاكم البلاد الامير ابو نوفل نادر الخازن واليك ما قالوهُ منقولًا عن معرَّبٍ من رسائلهم البانية في حواشي تاريخ العلامة الدويهي : « فانزلهم عندهُ واكرم ضيافتهم ووهب لهم محلاً من املاكهِ في احدى جهات لبنـــان المدعوة كسروان وامر ببناء بيت ومعبد في ارض مناسبة لذلك (في قرية عينطورا) وقد انفق هو نفسهُ ما اقتضاهُ هذا العمل وكان يُسرّ عند رؤيتهِ الفوائد الجمَّة التي تنجم عن هذه الهبة » . ولمَّا تحوَّلت اديرة الرهبانية اليسوعية في الشرق

الى الرسالة اللعازريَّة سُلّم اليهــا دير عينطورا هذا سنة ١٧٩٢ وهو الآن مدرسة عينطورا الشهيرة

وسنة ١٦٨١ جاء الاب فرنسيس من الرهبانية الفرنسيسيَّة مرسلًا من رئيسهِ العام لبناء دير في كسروان فرحَّبت بهِ العائلة الخازنيَّة ووقف احد أفرادها الشيخ سنتو ابن الشيخ فياض الخازن لهذه الرهبانية محلًا واسعاً في مزرعة حريصا وسلّم صك الوقفيَّة للاب المشار اليهِ الذي ابتدأ ببناء الدير والكنيسة في السنة عينها

وسنة ١٧١٦ جاء من حلب اربعة رجال من طائفة الارمن الكاثوليك بلادَ كسروان وهم: ابرهيم وميناس ويعقوب و يوحنا فدخل هذان رهبانية القديس انطونيوس المارونية وبحث الاوَّلان عن محلّ يبنيان فيهِ ديرًا لطائفتهما فأورت لهم العائلة الخازنيَّة زَنْدها ووقف لهم احد ابنائها الشيخ صخر بن ابي قانصوه الخازن دير الكُرَيم على اسم المخلص في قرية غوسطا ثم تأسست رهبانيَّة الارمن وهي مثال عن رهبانية القديس انطونيوس الكبير المارونيَّة. وكان تأسيسها في الدير نفسهِ سنة ١٧١٨ ثم باعت هــذه الرهبانية الدير واملاكهُ للعلامة الطيب الذكر المطران يوحنَّا حبيب مجدّد الرسالة اللبنانية المارونيَّة اذ كان بعد خوريًا وتمَّ البيع باذن سلالة الواقف بعد ان تعهدت الرهبانية بداومة القيام على ما للواقفين عليها من الحقوق والزمت بهــا دير القديس انطونيوس خشبو في غزير وذلك بموجب صك مؤرخ في ١٨ شباط سنة ١٨٦٥ ممضًى ومختوم بالتواقيع والاختام الآتية: المطران سوكياس اسقف انطاكية واب عام رهبــان الارمن. القس بطرس مدبر اول ارمني. القس رافائيل مدبر ثانٍ ارمني. ثم الشهود وهم: الخوري بطرس منصور. الخوري يوحنا رعد. طنوس جرجس باخوس. واكيم ميخائيل باخوس. فارس باخوس

وسنة ١٧١٩ جاءت ثمان عذارى من طائفة الروم الملكيين طالبات الترهّب فباشر الآباء اليسوعيُّون الاجلاء بناء دير لهنَّ على اسم سيدة البشارة في المحل المعطى من الشيخ موسى الخازن في زوق ميكائيل واتَّبعن قانون القديس باسيليوس وتاريخ هذا الدير محرر في سجلّ الرهبانية الحنَّاويَّة

وسنة ١٧٢٤ لمَّا كثر عدد اللاجئين من طائفــة الروم الملكيين الى حمى العائلة الخازنيَّة في كسروان وهب لهم الشيخ خالد الخازن ارضاً في زوق ميكائيل بنوا فيهــا

كنيسة على اسم القديس جرجس يتبعها انطوش صغير وذلك بعناية الواقف ونسيبهِ الشيخ ابي شروان موسى بن طربيه الخازن

وسنة ١٧٤٧ بنى الرهبان الباسيليون من طائفة الروم الملكيين ديرهم مار ميخائيل جنوبي زوق ميكائيل في المحل الذي وهبهُ لهم الشيخ موسى بن طربيه الخازن . وفيها ثبّت المجمع المقدس قانونهم وكانوا قبل ذاك تابعين قانون رهبانية القديس انطونيوس منذ سنة ١٦٩٧ وهي سنة ابتداء رهبانيّتهم

وسنة ١٧٤٨ وقف الشيخ مشرف الخازن والشيخ انطون قبلان الخازن كلاهما من سلالة الشيخ دهام بن فياض ابي قانصوه الخازن مزرعة بزمار برمتهـا على طائفة الارمن الكاثوليك وحرّرا بهذا الوقف صكًّا جاء فيهِ: « ان حضرة سيدنا البطريرك مار سمعان الكلي الشرف قد اعطى الاذن في وثيقة منهُ لحضرة ساداتنا المطارين المطران يعقوب والمطران بطرس والمطران بولس والمطران يوسف من طائفة الارمن الكاثوليكيين بان يعمروا ديرًا في مزرعة بزمار على اسم سيدتنا مريم العذراء . . . . ثم اننا قد اوقفنا . . . . المزرعة بزمار المعروفة بنا . . . . بجميع توابعها من توت وبيوت وكروم وعريش وسليخ وحرش وبيارة ومن عامر وداثر . . . . . برسم ساداتنا المذكورين حبًّا بوجه الله وعن روح والدينا وأرواحنا ويكون دائمًا تذكارًا لنـا ولوالدينا في صلواتهم وعباداتهم وصار الرضا والاتفاق بيننـا وبين السادات المذكورين ان يقدموا نصف ثمن المواضع المذكورة التي تسلّموها قداديس تتقدَّم عنا وعن والدينـا والنصف الاخر يكون لاجل الاشراك بالصلوات والعبادات والافعـال الصالحة . . . . تحريرًا في شهر تشرين الاول سنة ١٧٤٩ ». اماَّ التواقيع والاختام فهي : انطون قبلان الخازن . مشرف الخازن . والشهود : المطران جرمانوس . والمطران اسطفان مطران الابرشيَّة راضيًا بهذه الوثيقة . والمطران طوبيا الخازن راضيًا بهذه الوثيقة

وقد جاء في كتاب البطريرك سمعان الى السادة المذكورين في حجـة الوقف ما يأتي : « . . . حضر عندنا . . . الشيخ مشرف . . . وانبأنا عن حسن نيّتهِ في وقفهِ لكم مزرعة بزمار وانكم تعمرون فيها ديرًا صدقة عنهُ وعن انفس والديه فاصغنا لطلبتـهِ واعطيناكم الاذن اكرامًا لخاطرهِ بان تتسلّموا الموضع المذكور وتعمروا فيـهِ ديرًا يليق بشأنكم . . . في ايلول سنة ١٧٤٩ »

٣٥

وقد سكنتْ في الدير الاخويَّة الارمنيَّة الحاليَّة وفُرض عليها القيام بالزامات زمنيَّة سنويَّة لسلالة الواقفين شُرطت في اصل الوقف مضافةً الى الفروض الروحيَّة. ولمَّا كان قد تأخر على الدير تأدية بعض هذه الحقوق فسلالة الواقفين ذكَّروا بها البطريرك الارمني الذي كان مقيماً فيهِ سنة ١٧٨٥ فأجابهم بانَّ حقوقهم لا يمكن نكرانها وهي مسجَّلة في سجلَّات الاخويَّة والاخويَّة ملزومة بادائها الى الابد. وما لبثت ان وفت ما عليها. ثم عادت بعد ذلك الى اهمالها فكتب ابناء الواقفين الى رئيس الدير باقتضائها فأجابهم بما يأتي بالحرف: « جناب الاجلاء المحترمين غب اهداء ما لاق والسؤَال عن عزيز الخاطر اننا قد اقتبلنا تحرير جنابكم رقم ٣ الجاري وفهمنا كامل شرحكم بهِ عمَّا يلاحظ الحقوق والعوائد التي لكم على دير بزمار روحياً وزمنياً مثــل تقديم قداسات وابتهالات ثم عيديات وتطلبون منَّا دوام القيام بايفائهـا لجنابكم كالسابق فمن نحونا لا ننكر على جنابكم هذه الحقوق والعوائد لاننا لا نجحد افضال المرحومين اجدادكم ووقفيَّاتهم للدير المذكور كما ومعروفكم ايضاً ومن ثم فاننا مستعدون دائماً ان نكون سالكين بموجب الحقوق والعوائد المرقومة وباذلين جهدنا بايفائها لطرف جنابكم كالمعتــاد دون تأخير حتى والباقي لكم عن الماضي. وتطميناً لجنابكم بهذا الخصوص اقتضى ترقيمهُ ونؤَمل التطمين عنكم. في ٥ تموز سنة ١٨٧١. الداعي لجنابكم الورتبيت يوسف فرح رئيس دير بزمار »

ثمَّ قام حضرة الاب المذكور بايفــاء الحقوق وكتب كتابًا عنونهُ باسماء المشايخ فرنسيس ابي جبر واخيهِ وابنــاء عمهِ الخازنيين من سلالة الواقفين ذاكرًا اسم كل منهم وقد جاء في كتابهِ هذا: « . . . نهنئ جنابكم بهذا العيد المجيد اي قيامة الابن الوحيد من بين الاموات . . . والذي متوجب لجنابكم قبلًا تقدَّم عن يد حضرة الخوري انطون شهوان مرشد دير مار شليطا . . . . والآن . . . مقدّمون لجنابكم عن يد الاب المؤما اليهِ ما هو متوجّب . . . في ٣ نيسان سنة ١٨٧٢. الداعي لجنابكم الورتبيت يوسف فرح رئيس دير بزمار والنائب البطريركي »

وسنة ١٧٥٣ أُنشئ دير سيدة النياح في قرية بقاعتوتا لرهبــان الروم الملكيين في المحل الذي وقفهُ لهم المشايخ اولاد ابي خطار فاضل الخازن

وسنة ١٨٢٠ بُني دير مار انطونيوس خشبو لرهبان الارمن الكُرَيميّين في المحل الذي

وقفهُ لهم المشايخ بنو هيكل الخازن وقد ذُكر في حجّة الوقف انّ الدير واملاكهُ تبقى تحت تصرُّف هؤلاء الرهبان وتصرُّف من يخلفهم ما دامت هذه الرهبانيَّة قائمةً وحافظةً الايمان ولا يمكنهم بيع هذا الوقف ولا رهنهُ الّا برضا الواقفين مع الزامهم بقداسات مخلَّدة عن انفس المحسنين ثم أُضيف الى هذه الشروط الزامات دير الكريم وفي اصل الوقف ايضاً انهم اذا لم يقوموا باتمام الشروط المذكورة او حادوا عن الايمان او انقرضوا ترجع الموقوفات مع كل ما يكون جُدّد فيها بالغاً ما بلغ الى سلالة الواقفين

فالاوقاف التي مرَّ تفصيلها هي هذه بالاجمال:

١ دير مار يوسف في عينطورا وهو اليوم مدرسة عينطورا الشهيرة

٢ دير مار انطونيوس في حريصا للرهبانيَّة الفرنسيسيَّة

٣ دير الكريم في غوسطا وهو اليوم للرسالة اللبنانيَّة المارونيَّة

٤ دير سيدة البشارة في زوق ميكائيل لراهبات الروم الملكيين

٥ انطوش القديس جرجس في زوق ميكائيل لطائفة الروم الملكيين

٦ دير القديس ميخائيل في زوق ميكائيل لرهبان الروم الملكيين

٧ دير السيدة العذراء في بزمار وهو اليوم مدرسة بطريركيَّة للارمن الكاثوليكيين

٨ دير سيدة النياح في بقاعتوتا لرهبان الروم الملكيين

٩ دير القديس انطونيوس خشبو في غزير لرهبانية القديس انطونيوس الارمنيَّة

هذه هي الاديار التي اعطاها بنو الخازن لغير اللبنانيين ولم اذكر الاملاك الواسعة التي وقفوها لانها تقتضي مئات من الصفحات يُجمع منهــا مجلد ضخم امَّا حججها وصكوكها فلم تزل محفوظة لدى ورثة الواقفين ولم انوّه بهــا في محالّها ذهاباً الى الاختصار

نَظم كليلة ودمنة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اهدانا جناب الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس نسخة من نظم كليلة ودمنة لابي يعلى عليّ بن احمد بن الحسين المعروف بابن الهبّاريَّة هذَّبهُ الخوري الفاضل

نعمة الله الاسمر الماروني اللبناني. ومما اثبتهُ المصحح في مقدَّمة الكتاب (ص ٤) انهُ بحث عن وجود كتاب كليلة ودمنة شعرًا فعلم « ان قد نظمهُ ثلاثة شعراء: الاوَّل ابان اللاحقي (كما يظهر من مقدَّمة الناظم)... الثاني ابن الهبارَّية. الثالث محمد او احمد الجلال ». رأى نسخةً من كتابهِ في مكتبتنا الشرقيَّة

فلمَّا وجدنا في كلام المصحح الاديب بعض الخلل احببنا ان ندوّن في صفحات المشرق لمعةً نضمّنها ما نعرفهُ عن تاريخ ترجمات كليلة ودمنة بالشعر ونستطرد منها الى بيان فضل الطبعة الجديدة

١ نظم كليلة ودمنة لابي سهل بن نوبخت

اول ترجمة شعريَّة ورد ذكرها لكليلة ودمنة صنَّفها ابو سهل الفضل بن نوبخت العجمي. اشتهر ابو سهل المذكور في غرَّة الخلافة العبَّاسيَّة وخدم الخليفة المنصور وابنهُ المهدي. وكان شاعرًا نظم عدَّة كتب ورد ذكرها في كتاب الفهرست لابن النديم. امَّا ترجمتهُ لكليلة ودمنة فلم يصرّح بها في الفهرست وقد ذكرها الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون قال (ج ٥ ص ٢٣٨ من طبعة فلوغل): « ونظم كليلة ودمنة سهل (والصواب ابو سهل) بن نوبخت الحكيم ليحيي بن خالد وزير المهديّ والرشيد. فلمَّا وقف عليهِ اجازهُ الف دينار » . على ان هذه الترجمة لم يبقَ لها اثر كانَّ الترجمات التي وردت بعدها فاقتها حسنًا فطَمست بذكرها وجعلتها نسيًا منسيًا

٢ نظم كليلة ودمنة لابَان بن عبد الحميد اللاحقي

هذه الترجمة ظهرت بعد الترجمة السابقة بزمن قليل. صنَّفها للبرامكة ابَان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي. قال ابو المحاسن في كتاب النجوم الزاهرة (١: ٥٧٦): كان ابَان شاعرًا فاضلًا بليغًا قدم بغداد واتصل بالبرامكة ولهُ فيهم مدائح وصنَّف لهم كتاب كليلة ودمنة وهو فرد في معناهُ. توفّي ابَان سنة ٢٠٠ هـ (٨١٦م). وجاء في كتاب الاغاني (٢٠: ٧٣): « كان ابان نقل كتاب كليلة ودمنة فجعلهُ شعرًا يسهل حفظهُ عليهم وهو معروف اولهُ:

هذا كتاب ادبٍ وفطنهْ وهو الذي يدعى كليلهْ دمنهْ
فيهِ خيالاتٌ وفيهِ رشدُ وهو كتاب وضعتهُ الهندُ

فاعطاهُ يحيي بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاهُ الفضل خمسة آلاف دينار ولم

يُعطِهِ جعفر شيئًا وقال: « ألا يكفيك ان احفظهُ فأكون راويتك ». وهذه الترجمة مع فضلها واطناب الاقدمين في محاسنها قد اخذتها يد الضياع ولم نجد لها ذكرًا في مكاتب اوربَّة العموميَّة ولا في خزائن الخواصّ في الشرق

٣ نظم كليلة ودمنة لعلي بن داود

كان عليّ بن داود كاتبًا لزبيدة بنت جعفر اثنى على فضلهِ صاحب الفهرست (ص ١٢٠) وقال في محلّ آخر بعد ذكرهِ ترجمة ابان لكليلة ودمنة ما نصُّهُ (ص ٣٠٥): «ونقلهُ علي بن داود الى الشعر». وهذه الترجمة الثالثة قد اخنى ايضًا عليها الدهر ففُقدت

٤ ترجمة كليلة ودمنة لبشر بن المعتمر

نبغ بشر بن المعتمر في ايَّام الرشيد والمأمون. قال ابو الفرج بن النديم في حقّهِ (ص ١٦٢): «كان بشر شاعرًا واكثر شعرهِ على المسمَّط والمزدوج وقد نقل من الكتب معاني شتى الى الشعر». وذكر في محل آخر (ص ٣٠٥) انهُ نقل كتاب كليلة ودمنة الى الشعر. قال: «والذي خرج بعضهُ» كأنَّهُ اشار بذلك الى انَّ بشرًا لم ينجز عملهُ

٥ نظم ابن الهباريَّة لكليلة ودمنة

هذه اول ترجمة شعريَّة لكليلة ودمنة صبرت على آفات الزمان فبلغتنا. صنَّفها نظام الدين ابو يعلى محمَّد بن صالح الهاشمي العبَّاسي. كان بغدادي المولد ولمَّا كبر اتَّصل بخدمة نظام الملك ابي عليّ الحسن بن عليّ بن اسحاق وزير السلطان الب ارسلان وولدهِ ملك شاه ثمَّ دخل كرمان وخدم ملكها ايران شاه ولهُ وضع نَظْم كتاب كليلة ودمنة دعاهُ: «كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة»

ولابن الهباريَّة كتب اخرى اشهرها كتاب الصادح والباغم طُبع في بيروت ولهُ ديوان شعر ضخم لم يطبع حتى الآن. كانت وفاتهُ سنة ٥٠٢ (١١١٤م). واما نسخ هذا الكتاب المخطوطة فيُعرف منها اربع واحدة منها في الاستانة والثانية في المتحف البريطاني (راجع ملحق المخطوطات العربيَّة ع ١١٥٨ ص ٧٣٤). والنسخة الثالثة هي النسخة الهنديَّة التي نشرها سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦ م) في منبيّ (Bombay) الشيخ نور الدين بن جيواخان واعتنى بتصحيحها الشيخ غلام حسين ابن المفسوح الماجد ملّا عبد ابي القاسم وهي طبعة حجريَّة مُشرقة الحرف سهلة المطالعة

امّا النسخة الرابعة فهي التي عُني بنشرها موخرًا حضرة الخوري الفاضل نعمة الله الاسمر. ونظنُّ انها هي النسخة التي اطّلعنا عليها في حلب قبل ١٥ سنة في دار الوجيه جبرائيل افندي الدلّال وهي نسخة مضبوطة ليس فيها الّا النزر القليل من اغلاط النسخ خطّتها يد «الكاتب الب بن عبد العزيز بن الب في شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع واربعين وسبعمائة» (١٣٤٦ م). فطبعها حضرة الخوري نعمة الله في المطبعة اللبنانية في بعبدا في السنة المنصرمة. ولهذه الطبعة الجديدة عدّة خواصّ منها انها جليّة الحرف مضبوطة بالشكل الكامل منقّحة من كل لفظة بذيّة بحيث يحسن مطالعتها احداثُ المدارس. ومنها انّ في آخر الكتاب جدولًا للالفاظ اللغويّة تولى حضرتهُ شرحها. وقد نظم ايضًا حضرة المصحح بعض قطع لم ينظمها ابن الهباريّة اخصها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين(١ نثبتهُ هنا ليعرف القرّاء فضل ناظمهِ (ص٢٧٢—٢٧٥):

قال لهُ يا بيدبا هذا المثل ... وَعَيْتُهُ فبيِّنْ سوءَ العملْ
في من يرى الرأي السديد الصائبا ... لغيرهِ اذا اتاه طالبا
ولا يرى لنفسهِ الصوابا ... قال لعمري ذاك ما اصابا
فانهُ لم يلقَ الّا ضررا ... وقد روى ليَ الثقات خبرا
حكوهُ عن مالكٍ الحزين ... الطائر المعروف بالبَلَشون (٢
وما جرى لهُ مع الورقاء ... والثعلب المشهور بالدهاء
قال وكيف ذاك قال نَقَلا ... خلٌّ حكيم ليَ هذا المثلا
فقال لي قد كان للحمامهْ ... عشٌّ باعلى نخلةٍ في رامهْ
تبنيهِ من بعد عنًا وتعب ... وكلفةٍ شديدةٍ ونصَبِ
لان ذي النخلة كانت عاليهْ ... بفصوها الى السحاب راقيهْ
ثم اذا ما فرغت وباضتْ ... حضنتِ البيوضَ حتّى انقاضتْ
ثم اذا ما ادركت صغارُها ... من بعد ان طال لها انتظارها
اتى اليها ثعلبٌ قد عرفا ... في اي وقتٍ بيضها قد نقفا
وصاح من اسفل تلك النخلهْ ... حمامةَ الدوح اسمعي لي جملهْ
إرمي الفراخ ليَ او ارقى فلا ... يقيكِ شرّي غيرُ مبدع الملا
اني اذا ارتقيتُ لستُ انحدرْ ... حتّى تصيري عبرةً للمعتبرْ

١) ظنَّ حضرة المصحّح ان ابن الهبّاريّة كان نظم هذا الباب فغفل الناسخ عن نسخهِ. اما نحن فنحسب انّ الشاعر لم ينظم هذا الباب لانهُ لم يجدهُ في النسخ القديمة واكثر النسخ القديمة لم تثبت هذا الفصل ٢) كذا في الاصل وهي غلطة طبعيّة أُصلحت في فهرست الاغلاط والصواب: بلَشون بالشين خُفّف لانها لضرورة الشعر

فتجزع الحمامة الوضيعهْ منهُ وترميها لهُ مطيعهْ
فبينما الورقاء ذات مرَّهْ في عشّها تبدي الجوى والحسرهْ
وكان اذ ذاك لها فرخان قد ادركا كلاهما حُلْوانِ
واذ اتى مالكٌ الحزينُ رأى الاسى في وجهها يبينُ
فقال لِمْ انتِ بسوء الحال كئيبةٌ كثيرة البلبال
فاخبرتهُ بالذي تلقاهُ من ذلك الثعلب مع دهاهُ
فقال هذا الخطب ليس خطبا وكفهُ سهلٌ وليس صعبا
متى اتى وقال مثل ما سبقْ فلا تخافي شرَّهُ وان برقْ
وانما قولي لهُ لا ألقي اليك افراخي كاضي حُمْقي
فأرْقَ اليَّ لا تبالي بالخطرْ من لم يخاطر لم ينَل قطُّ وطرْ
فان بلغتَ سالمًا اليًا ونلتَ عشّي آكلًا فرخيًا
أطِرْ اذًا ناجيةً بنفسي طالبةً في البعد عنك أُنسي
وعندما علَّمها ما قالا من حيلةٍ ستخذل المحتالا
طار بعيدًا واعتلى وارتفعا ثم على شاطئ نهرٍ وقعا
واقبل الثعلب ثمَّ وقفا وقال مثل ما ذكرنا أنفا
فهدرت ورقاؤنا واحتدمتْ ثمَّ اجابتهُ بما تعلَّمتْ
فقال قولي ليَ من لقَّاك هذا الجواب وبهِ نجَّاك
قالت لهُ فرخُها يبينُ علَّمني مالكٌ الحزينُ
فأعملَ الثعلبُ فرطَ المكرِ وأمَّ مالكًا لقرب النهرِ
فقال يا مالك اين تجعلُ رأسك إن هبَّت عليك شمألُ
قال ورائي قال اين تضعهْ اذا أتت ريحُ الجنوب تصفعهْ
قال شِمالاً قال اين تسترهْ إن هبَّت النكباء كادت تبترهْ
قال لهُ تحت جناحي حالاً استرهُ واتَّقي الوبالاً
قال لهُ ذلك ليس يمكنُ قال بلى وانهُ لهيّنُ
قال لهُ فأرنيهِ فعلا انك قد سلبتَ مني العقلا
يا معشر الطير لقد فضَّلكمْ ربّي علينا بالذكا جمَّلكمْ
فهمتمُ في زمن قليلِ ما نحن لا نفهمهُ في جيلِ
فأرني بالله كيف تفعلُ هذا اذا فعلتَ امرٌ يذهلُ
فادخل الطائر حالاً رأسهْ تحت جناحيهِ بلا فراسهْ
فوثب الثعلب غير مَهلِ عليهِ واختطفهُ بالعجَلِ
ثمَّتَ قال يا عدوَّ نفسهِ ومَن أزال سعدَهُ بنحسهِ
ترى سديد الرأي للورقاء تُنقذها بالمكر والدهاء
ولا ترى لنفسك الآراء لتبعد الخصوم والاعداء

سحقًا وبا ويحًا لهُ ذكاءَ ان كنتَ لم تزلْ بهِ البلاء
وبعد ان انهى الكلام قتلهْ عضًا وضربًا بالثرى واكلهْ
فلنسأل الرحمان ان نكونا لما امرْنا الغيرَ فاعلينا
متنصحين بالذي نصحنا فان نكن كذا فقد نجحنا

وان سمح لنا ناشر هذه النسخة عرضنا عليهِ ملحوظًا وهو تجاوز الحدّ بالزيادات العديدة التي اضافها الى نظم ابن الهبَّاريَّة مدمجًا شعرهُ بشعرهِ. فانَّ هذه الزيادات مع حسن معانيها وجودة سبكها تشبه الرقعة الجديدة في الثوب العتيق والعلماء المستشرقون يأنفون اليوم من الجمع بين الحديث والقديم

٦ نظم كليلة ودمنة لابن المماتي

ابن المماتي من اقباط نصارى مصر اشتهر في القرن الثاني عشر للمسيح واسمهُ على ما رواهُ ابن خلكان (طبعة باريس ١ : ٩٩) الاسعد ابو المكارم بن الخطير ابي سعيد مهذَّب بن مينا بن زكريَّا ابي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر كان ناظر الدواوين بالديار المصريَّة لهُ مصنَّفات عديدة منها نظم سيرة صلاح الدين ومنها نظم كتاب كليلة ودمنة. ولا نعلم أبقي من هذه الترجمة نسخةٌ سالمة. بيد انَّ الخزائن الكتبيَّة التي راجعنا قوائمها لم تفدنا شيئًا من هذا القبيل. كانت وفاة ابن المماتي سلخ سنة ٦٠٦ (١٢١٠ م)

٧ نظم كليلة ودمنة لعبد المؤمن بن الحسن

ناظم هذه النسخة يُدعى عبد المؤمن بن الحسن بن الحسين بن الحسن اشتهر في أواسط القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح وقد وسم كتابهُ « بدرر الحكَم في أمثال الهنود والعجم ». بقي من نظمهِ نسختان احداهما في دار المخطوطات الشرقية في عاصمة النمسة (راجع قائمة مخطوطات وينَّة ع ٤٨٠ ص ٤٦٩ من الجزء الاول) وهي نسخة حسنة كتبها في سرمين محمَّد بن عبد الزلط في ٢٣ من ذي القعدة سنة ٨٦٢ (١٤٥٨م) وهي عبارة عن ٩٠٠٠ بيت رجز اولها :

الحمد لله العزيز الحاكمِ القادر الحي المريد العالمِ

وفي آخرها يعلمنا انهُ نظم الكتاب في ٨٠ ليلة قال :

وفي ثمانين من الأيامِ حصلتُ من نظمي له مرامي
آخرها العشرون من جمادى الاوَّل تاريخها أرادا
وذاك في سنة ستّ مائهِ واربعين من سنيّ الهجرهْ (١٢٤٢م)

وبعد هذا الختام ابيات تدلّ على انّ المؤلف فقد الاصل الذي نظمهُ فاضطرَّ الى اعادة شغلهِ قال:

وهذه النسخة قد كتبتُها ومن مؤدّاها قد اثبتُّها
من بعد فقد اصلها المبيَّضِ وكان ذاك الاصل اقصى غرضي
وكان تحريري لها في سنة سبع وستّين وستمائةِ (١٢٦٨م)

والنسخة الثانية من هـذا الكتاب في عاصمة باڤارية في خزانة كتب مونيخ (Munich) الشرقيّة (راجع ع ٦١٩ من قائمة اومر J. Aumer)

٨ نظم كليلة ودمنة لجلال الدين النقّاش

هو جلال الدين الحسن بن احمد النقّاش احد شعراء القرن التاسع للهجرة لا نعلم من أحوالهِ غير ما سطرهُ هو في مقدَّمة نظمهِ كليلة ودمنة وختامهِ قال في المقدّمة:

وبعدُ فالمفتقر الضعيفُ البائس المقصّر التحيفُ
الحسن بن احمد الجلالُ لا زال محبوبًا له الكمالُ
الناظم المعروف بالنقّاشِ خلّصه الله من الغواشي

وقال في الخاتمة:

وبعد فالناظم للمنثورِ من ذا الكتاب الحكمِ المشهورِ
الحسن بن احمد الجلالُ لا زال محبوبًا لهُ الكمالُ
يقول في مقام الاعتذارِ عن عارض الاخلال والاقصار...
وقد تهيَّأ نظم ذي الارجوزهْ بمقتضى الفاظها الوجيزهْ
من غير حشوٍ في النظام يسمجُ بالذهن لاستثقالهِ لا يلجُ
في مائةٍ من الليالي الثانيهْ بفطنةٍ مع مَلَكةٍ مواتيهْ
اوّلها العشرون من ذي القعدهْ سنة ضحكٌ (٨٢٨) مع وجود الشدّهْ
وختمها العشرون ايضًا من صفرْ ختمهُ الله بخيرٍ وظفرْ

ومن هذا الكتاب المنظوم نسختان احداهما مصونة في خزانة كتبنا الشرقيّة حصلنا عليها في لندن عند احد مشاهير باعة الكتب. وصفحتاها الاوليان محلّيتـان بالذهب والنقوش رسمنا الاولى منهما بالتصوير الفوتوغرافي. وهذه النسخة لا تاريخ لها انها مكتوبة منذ نحو ٣٠٠ سنة. وقد وقع فيها عدّة اغلاط نسخيّة. وهذا مثال يدلّ على طريقة الناظم وهي قصة الفيلة مع الارانب:

قال الغراب انّ ارض الفيلهْ تتابع الحرب بها والجبلهْ
فغوّرت عيونها ونضبت وعطشت افيالها واضطربت



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من شأنه ان يضرب الامثال في قرآنه

يقول ان الله لا يستحيي في مثل يضربه في الوحي

من ان يكون الضرب في بعوضة لكونها حقيرة مهيضة

او ان يكون ذاك في ذبابة لانها ضعيفة سهلا به

او ضربه في بيت عنكبوت وبيتها من اوهن البيوت

احمده حمد خبير عارف بلطف في سائر المواقف

سبحانه من واحد لا ند له فرد قديم صمد لا ضد له

اول كل اول بلا ابتدا آخر كل آخر بلا مدا

منتهى صنوف العالم اختراعا بلا مثال سابق ابداعا

وشكت الافيالُ ما حلَّ جا الى المليك من بلا مشرجا
فارسل القصَّادا والروَّادا فرجعوا لم يبلغوا المرادا
وجاء بعض قاصديهِ وذكرْ بانَّ في ارض كذا عينَ القمرْ
كثيرة الماء فرَّ في الحالْ يطلبها يأوي اليها الافيالْ
وكان بالارض لها ارانبْ فجآت الفيلةُ لا تُراقبْ
في مشيها فوطئت اكثرَها واكثرت في مشيها ضررها
فاجتمعت الى المليك وشكتْ ما نالها من المصاب وبكتْ
وقالت انظر في صلاح حالتا من قبل ان توقع في وبالنا
قال ليحضر كل ذي معقولِ ينظر في الفروع والاصولِ
فقام منهم من لهُ تمييز من بينهم وإسمهُ فيروزْ
وكان قد علم منهُ الملكُ ذهناً سليماً للامور يدركُ
وقال أرسلني الى الافيالِ وابعث اميناً يستمع مقالي
قال لهُ انت امينٌ صادقُ وانت في رأي الصواب حاذقُ
فلست محتاج الى امينِ وقد كفينا بك في اليقينِ
وانما يُعرَف رأيُ المرسِلِ وعقلهُ لدى اعتماد الرُّسلِ
بإعتنا اللين وحسن الرفقِ مجانباً لغلظةٍ وخرقِ
فبالرسول يُستلان القلبُ وبالملاقاة يهون الصعبُ
فرَّ فيروز وقد ضاء القمرْ حتى اتى الفيلة ثمَّ فابتكرْ
ولم يرَ الدنوَّ منها حزما لكونهِ اصغر منها جسما
وخاف انْ تطأهُ وان لمْ تقصدهُ من حيث هيَ لم تعلمْ
فصار ثمَّ فوق تلّ مالِ فقال هيًا معشر الافيالِ
انا رسول القمر المنيرِ الى مليك الفيلة الكبيرِ
فليَدْنُ مني كي أبين الحالهْ بين يديهِ بأدا الرسالهْ
ولا على الرسول فيما يلفظُ لوم وان كان بوجهٍ يغلظُ
قال لهُ المليك من ارسلكا وما هو القول الذي حمَّلكا
فقال قال القمر المشعشعُ مولاي ذا القول الصحيح يُسمَعُ
بالَّا يغترَّ شديدُ الباسِ بما اتاهُ الله من مراسِ
فانَّ في قوَّتهِ مصرعَهْ ولا يطول العُجب ان يوقعهْ
وقد عرفنا منك فضل القوَّهْ على الدواب فاقصد المروَّهْ
وقد اتيتَ الآن نحو عينِ وقد تحصَّلت حصول شينِ
حيث شربتَ ماءها ولم تدع بعدك للوارد منها منتفع
فلا تعُد من بعد ذا اليها ولا تردْ بفيلةٍ عليها
واني أُرسلتُ كي انذركا لكنني من بعد لا اعذركا

فان أنيت سوف أعشي بصرك ولا ترى النصرة ممّن نصرك
وان شككتَ فانّي نحو العين اكشفُ من وجهي بغير مين
فجاءهُ من قول فيروز عجب وجاء نحو العين في عين الغضب
حتّى اذا ما جاءها فابصرا بموجب الصفاء فيها القمرا
فقال فيروز ضمِ الخرطوما في الماء واغسل وجهك الكريما
واسجد هنا للقمر الشريفِ فانهُ ادنى الى التوقيفِ
فادخل الخرطوم فيهِ فاضطربْ في الماء ظلُّ البدر من ذاك السببْ
فسأل الفيل: لِمَ قد اضطرب فقال فيروز لهُ : من الغضبْ
فاسجد لهُ وتُب لأنْ قد حَردا فخضع الفيل لهُ وسجدا
وقال قد تبتُ فلن اعودا بعد الى العين ولن اذودا

امّا النسخة الثالثة من هذه الترجمة الشعريّة فموجودة في المتحف البريطاني يؤخذ من وصفها في قائمة كتبهِ انها اخت نسختنا لا تختلف عنها شيئاً وتاريخ نسخها سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٩ م) (راجع ملحق مخطوطات المتحف البريطاني الشرقيّة ص ٧٣٥ ع ١١٥٩)

هذا ما حصلنا عليهِ من ترجمة كليلة ودمنة بالشعر العربي. ويحسن بنا ان نختم هـذه المقالة بما وصف بعضهم هذا الكتاب الجليل اذ قال:

اذا افتخر الرجال بفضل علمٍ ومُدَّت فيهِ ألسنةٌ طويلهْ
ففاخر ما استطعتَ بمـا حوتهُ بطون كتاب دمنة مع كليلهْ
كتاب يفرق البلغاء فيهِ وألباب الورى منهُ كليلهْ
وكم فيهِ عجائبَ كامناتٍ على دنيا وآخرةٍ دليلهْ
وكم حكمٍ على أفواه طيرٍ وآدابٍ وامثالٍ مقولهْ
يراها الجاهل المأفون هزلاً وحسبكها لعالمها فضيلهْ

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتـاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تابع لما سبق)

٢ً (السفينة والقارب) السفينة اكبر الوسائط التي استخدمهـا البابليُّون والاشوريُّون لقطع النهر ونقل عساكرهم وذخائرهم الى ما وراء دجلة والفرات. وكانوا يصطنعونها من الخشب الاعتيادي وحجمها متغاير لا قرار لهُ منها ما يبلغ من الطول

خمسة امتار ومنها ما يزيد على الثلاثين مترًا وقس عليهِ العرض. وبعد انجازهم تركيبها يطلون خارجها بالقير بثخن ثلاثة سنتيمترات كيلا تخرقها المياه ويجعلون مقدمها على هيئة رأس حصان يجري لهُ قشور كالسمك ومؤَخرها على هيئة مروحة تضاهي ذَنب الحوت وكانت السفينة تسير بلا سكّان (دفّة). امّا ملّاحوها فاربعة او خمسة. وكان رأس مقاذيفهم منعكفًا ومسطّحًا. واذا كان حجم السفينة كبيرًا يركزون في وسطها صاريًا (دَقَلًا) واحدًا يسندونهُ بر محين غليظين الواحد منهما مشكوك برأس الحصان والثاني بذنب السمكة (١

وكان الاشوريون يزخرفون سفنهم على اشكال نادرة المثال. فانهم لا يتركون زاوية منها الّا ويُلبسونها ثوبًا من التصاوير والرسوم المدهشة. والفائدة من الصاري ان ينشروا عليهِ الشراع عند قطعهم النهر صُعُدًا اذا صادفتهم الريح الموافقة وحينئذٍ يجتزئون بهِ عن المقذاف وعن جرّها بالحبال. امّا اذا كان حجم السفينة صغيرًا فلا صاري فيها فيضطرُّ أربابها في كل الاوقات الى جرّها بالقلوس عند ركوبهم النهر صعودًا. وهذا الصنف الاخير من السفن يسمى بالقارب وعند العراقيين بالسّماجيّة

وفي متحف العاديّات البريطاني صورة ناتئة تمثّل سفينة اشوريّة قد هجم عليها طائفة من السباع وملاحوها وركابها يذُبون عن انفسهم بالسلاح. وفي هذا المتحف ايضًا صورة ثانية ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك (Kouyoundjik) قبال الموصل تمثّل سفينة قاطعة النهر فيها الملك اشوربانيبال واقفًا في وسط عربتهِ الحربيّة محتاطًا بقوادهِ ووزرائهِ وعدد من الملاحين على شط النهر يجرُّونها بالحبال

ولم تزل تلك السفن الاشوريّة حتى في ايّامنا هذه تمخر عباب دجلة والفرات وشطّ العرب جالبةً لنا الغرباء واصناف البضائع الخ من كل بلاد العراق الواقعة على ضفتي الفراتين. ولم يطرأ على تركيبها وتشكيلها تغيير يُذكر الّا ان صدرها مزيّن بسكّان شديد ومجاذيفها عبارة عن رماح طويلة. والمقدم والمؤخر بقيا بسيطين ليس فيهما نقش البتة. والصاري تسندهُ حبال عديدة على ترتيب المراكب البحريّة. وقلّما تجد سفنًا غير متغيّرة كما ان قليلاً ما كان القدماء يغيّرون سفنهم

٣ (الكلك) لمّا كان هذا المركب ذائع الشهرة في الخافقين وقد ملأ انفس

١) Lenormant : *Hist. anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 136 et 137

البشر تعجباً أثار أشواق الروَّاد ودفعهم للسفر الى هذه البلاد رغبةً في مشاهدته رأي العين. فمن الناس مَن اعترف بوجوده ومنهم مَن انكر بقاءهُ في مثل هذا العصر المتمدن لكن مهلًا ايها القارئ ولا يأخذنك العجب فان الكلك لم ينطفِ بعد سراج وجودهِ وانهُ لمن مخترعات البابليين وان كنتَ في شكٍّ من ذلك فاصغ الى ما يقول عنهُ هيرودوتس: «انَّ مراكب البابليين مدوَّرة الشكل مؤلفة من جلود منفوخة فيبتدئون اولًا باصطناع أطرافها من الصفصاف الذي ينبت في ارمينية الواقعة فوق بلاد اشور ثم يجعلون تحتها وحواليها قِرَبًا. وهذه المراكب ليس لها مقدَّم ولا مؤخَّر كما هي العادة. بل هي مدوَّرة كالترس داخلها مبطَّن بالقصب. وعليها يسافر الناس بجميع منقولاتهم عند ركوبهم النهر نزولًا . . . واثنان من الرجال يقذفان واقفين يرفع احدهما مقذافهُ عن سطح الماء بينما الآخر يغمسهُ فيهِ . . . امَّا حجم الكلك فيتقلب بين الكبير والصغير ولكل من الركاب حمار او اكثر حسب ما يملك من حطام الدنيا. وعند وصولهم بابل يبيعون البضائع ويجعلون في المزايدة موادَّ الكلك ويأخذون الجلود المنفوخة معهم على ظهر الحمير ويرجعون بها برًّا الى حيث أتوا. ولا يأخذون طريق النهر لتعذُّر ركوبهِ صعودًا. وذلك لان المياه تصارعهم بسيرها الشديد. وعلى اللبيب ان يدرك فائدة الجلود في تركيب الكلك. واذا ما دخل الملاحون اماكنهم يباشرون بتركيبهِ ثانيةً على تلك الطريقة الى ما شاء الله. فعلى هذا إذن يكون السفر على الفرات» (١

ولا حاجة الى وصف كيفيَّة تركيب الكلك في ايَّامنا هذه. اذ ليس من عوائد اهل الشرق تبديل الهيئة الاصليَّة التي ورثوها عن اجدادهم. بل ان المحافظة عليها هي عندهم من باب الحذق والذكاء الصائب كما يقول فرنسوا لنورمان. والاوفق لي ان اجتزئ بنقل كلام بعض الروَّاد المحدثين وعلى القارئ ان يفرّق بين الكلك القديم وبين الطوف الحديث. قال العلامة جول اوپير اليهودي الذي سافر من الموصل الى بغداد على هذا المركب «خذ عني تركيب الكلك. يأخذ اصحابهُ اولًا بنفخ القِرَب المتَّخذة من سلخ التيس او الماعز. ثم يربطون فم القربة ربطاً محكماً ويطلونها بالقطران ويعلِّقون القِرَب باجمعها بحصيرة من سعف النخل. ويكون الكلك مربَّعاً او على شكل مستطيل الزوايا. امَّا الذي ركبتهُ فكان مركَّبًا من عشرين صفًّا من القِرَب ويتركب

(١ Hérodote I, l. 1, ed. 1861

الصفّ من ١٥ قربة ثم يفرشون على الحصيرة ألواحاً من الخشب الاعتيادي على عرض الطوف كلّهِ اماً على طولهِ فيصفُّون قطعاً طويلة من الخشب الجَزْل الغليظ . هذه هي اذن ارض الكلك . وكان قد بلغ طولهُ عشرة لمتار وعرضهُ سبعة امتار . وأقاموا في وسطهِ مقصورةً كلها من القصب والقش السميك الذي لا تخرقهُ الميــاه . وكان طرفا الكلك حاويين العُروض واثاث المطبخ والرجال والملاحين طلباً للموازنة ثم يتركونهُ يســير الهوينا ، فتدفعهُ قوّة المياه النازلة . والغرض من الملاحين انمــا هو حواسة السكّان من الخطر والانتباه على سلامة الكلك من الغرق واستبدال القرَب المتخزقة بغيرها . وليس كما يتوهم البعض انَّ وجودهم ضروري لتسيير الكلك . والغرض الوحيد من وضع القرَب هو لكي يتمكَّن الملاحون من تحميلهِ حملاً فاحشاً واذا لا سمح الله لحق العطب بعددٍ كافٍ من القرَب يغرق الكلك لا محالة . فتلافياً لمثل هذا الخطر يجلب الملاحون معهم عدداً وافراً من القرَب الصحيحة لوقت الحاجة . ومن واجبــات الملاحين ان يلاحظوا بعين ساهرة دنوّ الكلك من الشاطئ وان يردّوهُ عنــهُ بقدر استطاعتهم اذ هنالك كُوَم من صغير الصخور والنباتات الخ تؤدي الى تلفهِ . وزد على هذه كلهــا سير النهر الشديد في اغلب مواضعهِ . . . » (١

واذا هاج فيك الشوق الى الوقوف على زيادة ايضاح فعليك بما كتبهُ بهذا الشأن الرائد المشهور المسيو غليوم ليجان في جريدة التجول في العالم (٢

ان تاريخ وجود الكلك في عالم المخلوقات لقديم جدًّا يرتقي عهدهُ الى ما قبــل ولادة ملوك اشور وبابل فانهُ كان في عصر ألاسَّار (Ellassar) ويعرف العراقيين قلعة شرگاط واگد Agadé وبلسان الحاليين « ابو حبَّة » وهؤلاء عاشوا سنة ٣٨٠٠ ق م

وترى اليوم في متاحف اوربَّة للعاديات صوراً وُجدت في أخربة بابل ونينوى وغيرهما ما يدعم مقالنا ويحسم جدالنا منهــا قطع كانت من جدران قصر سرجون الاول اول ملوك الكلدانيين تمثل السفينة والكلك . ومنهــا ايضاً صورة ناتئة وهي قسم من قصر سنحاريب تمثل كلكاً كاملاً بعدَّتهِ موسوقاً موادَّ للبناء وترى نفراً من الاشوريين جالسين على طرفيهِ وراء الحمل وباياديهم المقذاف يسيرون الهوينا في مياه دجلة والقرَب المنفوخة

(١ Jules Oppert : *Expédition scientifique en Mésopotamie* T, I page 80-81

(٢ G. Lejean : *Tour du monde* 1,d² *semestre de* 1867 p. 46

ظاهرة للعين محيطة باطرافهِ الاربعة كما يصنعهُ الآن اهل الموصل وديار بكر الخ. وليس كما وصفهُ هيرودوتس بانهُ مدوَّر الشكل كالترس

٤ً (القفَّة) ما ادراك ما القفَّة. انها لأغرب من الكلك في الصنعة. واصلب منهُ في المنعة. يستلزم شغلها بعضاً من الذكاء. وقلما تجد اليوم في العراق من يدرك سرَّها ويعتني بامرها. الّا تلك السربة من الاهالي المحصورة عندهم معرفتها. وهم ورثوها عن اجدادهم حرصاً عليها لدوران دولاب معيشتهم عليها

ان القفَّة سفط كبير الحجم مدوَّر الشكل مركَّب من قسمين: نسيج وقضبان رمان. فيأخذ القفَّافون اولًا بحياكة النسيج من الخوص والحلفاء على هيئة نصف كرة ثم يخيطونها مع القضبان بخيوط غليظة متخذة من ليف النارجيل اي الجوز الهندي. وقبل خياطة القضبان بجدران القفَّة الداخليَّة يجعلونها على مثال الابرة اي ان طرفها الواحد دقيق والآخر غليظ ولا يزال يغلظ الطرف الواحد درجات كلّما قرب من أعلى القفَّة حتى يبلغ الغاية المطلوبة وهم يُحكمون وضعها بنوع ان القضيب الواحد يبعد عن الآخر مقدار سنتيمترين ويكون حجمها كحجم خنصر اليد. اما عدد القضبان فيبلغ نحوًا من ١٧٢. وعند انتهائهم من الجمع بين القضبان والنسيج يطلونها بالقير داخلًا وخارجاً. ويكثرون منهُ على الخارج حتى يأتي عنها طبقة ذات سنتيمترين لكي تتمكَّن من ملاطمة امواج النهر وتدفع عن الراكبين فيها الاحداث المائيَّة وتعرُّض السمك والكوسج الخ لها

ويبلغ قطر القفَّة مترين وعلوّها عن سطح الماء خمسة وثمانين سنتيمترًا ومحيطها سبعة امتار ونصف. ومدَّة شغلها ٢٥ يوماً. ووسعها خمسة عشر رجلًا. انما هذا مقياس القفَّة الاعتيادي المتوسّط الحجم. غير ان هذه المقادير تزيد او تنقص حسب الغاية التي تُرصد لها اذ منها ما تسع رجلًا واحدًا ومنها ما تسع ثلاثين او اربعين. واذا كانت القفَّة كبيرة فالعراقيون يسمونها بالحصان

لا يوجد سكَّان (دفَّة) للقفَّة كما للكلك ولا صارٍ لها كما للسفينة. ولا يزيد ملاحوها على الواحد او الاثنين. واذا تركتها على حالها ساقتها المياه الجارية تزولًا نحو مصبّها. واذا أراد الراكب صعود النهر اضطرَّ ملّاحوها الى جرّها «بالصاري» وهو عندهم حبل منسوج من خوص النخل. واذا اراد الملّاح قطع النهر على عرضهِ استعان

حينئذٍ بمجذافهِ وهو عبارة عن قضيب من الخشب الجزل متوسّط الطول وفي احد طرفيهِ مسمرة لوحة اهليلجيَّة الشكل ويسمونهُ هنا « بالغرَّافة »

ووجود القفة في التاريخ عريق جدًّا. فهي والكلك في القدميَّة سيَّان ويرتقي عهدها الى المئات الاولى من خلقة العالم. فهي اذن من بقايا اختراعات ما قبل الطوفان ولدينا على ذلك براهين شتى

جاء ذكر القفة في كلام اول ملوك الكلدانيين وهو سرجون الاوَّل قال في احدى العاديات: « سرجون الاوَّل. ملك قادر. ملك اكّد (Agadé) انا هو. والدتي حبلت بي بغير مباشرة والدي لها بينما كان عمي يعتو في البلاد وقد حبلت بي في مدينة ازوپيراني (Azupirani) الواقعة على شط الفرات. والدتي اصبحت حاملة وولدتني بالعالم في محل مخفي ووضعتني في قُفَّة حقيرة من الصفصاف مطلي قيرا الخ... » (١. هذا الملك عاش نحو السنة ٣٨٠٠ ق م. وكان للمصريين اطلاع واسع في اشتغال القفَّة والظاهر انهم اخذوها عن البابليين والاشوريين لانَّ مصر كما تفيدنا العاديَات وقعت مرارًا عديدة بين ايديهم فاخذت ما اخذت عنهم من صنائع وعلوم وفنون الخ. واظهر اليوم المسيو دي مورغان والاب شيل ان دولة العيلاميين وتمدنهم سبقت بكثير دولة المصريين وتمدنهم (٢

من ذلك انهُ لمَّا ولد موسى احتارت والدتهُ في امر اخفائـهِ عن اوامر فرعون المشددة بقتل ذكور العبرانيين: « فاخذت لهُ سفطًا من بردي وطلتهُ بالحُمَر والزفت وجعلت الولد فيهِ... (سفر الخروج ٢ : ٣) ولد موسى نحو السنة ١٧٠٥ ق م

وبقيت هناك براهين شتى اذا احببت تفصيلها فعليك بكتاب العلاَّمة مسپرو والجنرال شسني (٣

اذا وقفت اليوم على شط دجلة ببغداد ملأت ابصارك القفف العديدة ماخرةً عباب

١) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. IV p. 76

٢) J. de Morgan : *L'Elam et l'origine de l'invasion des Pasteurs dans la Vallée du Nil*, Alexandrie d'Egypte, 1862

٣) Maspero : *Histoire ancienne des peuples de l'orient : Assyriens et Chaldéens*; Chesney : *Expedition to the Euphrates* 1850, T. I.

النهر ليلًا ونهارًا بعدد النجوم التي في قبة السماء. وممَّا لا مراء فيهِ ان الاغلب من الناس يميل الى ركوبها دون سواها لعدم وجود الخطر فيها ولما يجدون فيها لنفوسهم انشراحًا وسكونًا. ولاجسامهم ارتياحًا وركونًا

اما عمر القفة فقصير لا يزيد على عشرين سنة هذا اذا اعادوا عليها الطلاء بالقير مرة كل اربع سنوات اذ ان طبقة القير تتشقَّق من حرارة الشمس وتسلخها قوة المياه وتقشرها عن مكانها. والقسم الاكبر من الربح يجمعهُ ارباب القفة من وراء الخلق عند تعبيرهم النهر فاذا انقطع حبل الركاب أوسقوها بضائع كمثل البطيخ والطاباق والكلس وما شابه ذلك من المواد السهلة النقل ولا يقلّ يومياً دخل القفّاف عن الريال المجيدي في مواسم الشغل (ستأتي البقيَّة)

التيلوتُغْراف او ناقل الكتابة

نبذة للاب ر. ش. اليسوعي

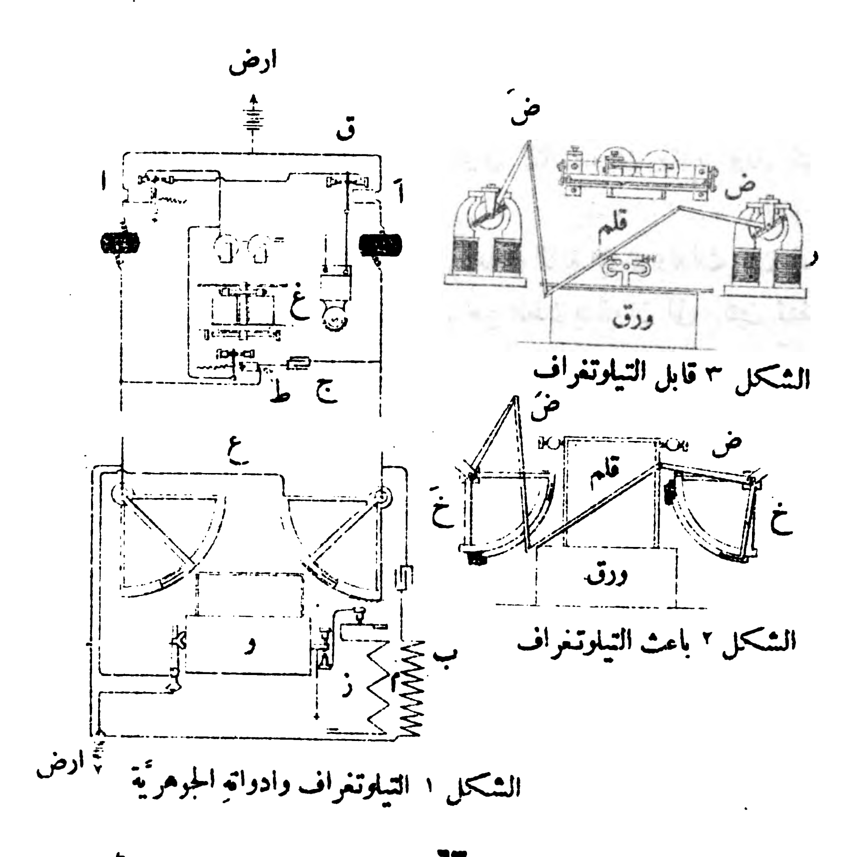
لا احد يجهل مبدأ التلغراف وكيف انَّ المغناطيس الكهربائي بتواصل مجاريهِ وانقطاعها يولّد جذبًا او دفعًا يمكن استخدامهما لنقل الحركة الى النواحي القاصية. واذا نُقلت الحركة فمن البديه ان تُتَّخذ علامات اصطلاحيَّة للدلالة على المعاني فتجري بين الباعث والقابل المخابرات المتواصلة

لكنَّ التلغراف باهتزازهِ لا يرقم سوى نقط او خطوط او حروفٍ منفردة ويمكنهُ ايضًا بحركاتهِ ان يجري على مينا كُتبت عليها حروف الهجاء فيدل عليها ومن الحروف تتركَّب الالفاظ والمعاني. امَّا نقل الكتابة كما هي وكما يخطها الكاتب فلم يتوصَّل العلماء الى اكتشاف سرّها او بالحري لم يقفوا على طريقة سهلة لذلك لانَّ بعض ارباب الطبيعة كالاب كازلي (Caselli) سنة ١٨٦٤ ثمَّ غراي (Gray) وفرسون (Pherson) كانوا اخترعوا أدوات لنقل الكتابة على صورة خطوط متقطّعة وبتحريك القلم بحركات متتالية مع استعمال زنبرك كزنبرك الساعة وأدوات مشتبكة. وكان المجرى الكهربائي اذا سال بلَّ ورقًا معدًّا لذلك بمحلول تدخل فيهِ الاملاح

على انَّ كل هــذه الاكتشافات لم تفِ تماماً بالمطلوب فضلاً عن كثرة الادوات الداخلة في تركيبها واتخاذ اسلاك عديدة لنوال المرغوب

ولمّا كانت أواخر شهر آذار من السنة الجارية قــدَّم المسيو ليمان (Lippmann) لجمعيَّة العلماء في باريس آلة جديدة تحلّ هذا المشكل وتزيل ما كان فيهِ من العراقيل بحيث يمكن الآن نقل الكتابة او الرسوم ايَّة كانت من محلّ الى آخر مهما كان بعيدًا لا تختلف عن اصلها ذرَّةً

وقد اخترع هذه الآلة مهندس امركيّ اسمهُ رتشي (Ritchie) تلميذ المعلم غراي السابق ذكرهُ وقد توصَّل الى ان يجعــل القلم متبعاً في القابل لكل حركات الكاتب او المصوّر في الباعث فيقلّدهُ بحذقٍ عجيب بلا اهتزازات ولا تقطُّع البتة وقد دعا آلتهُ هذه تيلوتُغراف (télautographe) اي الناقل للكتابة



الشكل ٣ قابل التيلوتغراف

الشكل ٢ باعث التيلوتغراف

الشكل ١ التيلوتغراف وادواتهِ الجوهريَّة

والآلة المذكورة تتركّب من باعث (transmetteur) وقابل (récepteur) وسلكَين كاسلاك التليفون يجمعان بينهما (الشكل الاول)

فالباعث (ع) عبارة عن مكتب يجلس عليهِ الكاتب او المصوّر فاذا اخذ قلم الرصاص وضغط بهِ الورق (و) جرى بمجرَّد ذلك مجرًى كهربائي بواسطة الزرّ (ز) بين ملَفّ رُهمكورف (م) وبطاريَّة محليَّة (ب) . فتجري من ثمَّ الى القابل (ق) مجارٍ ثانويَّة فتبلغ آلة جامعة (condensateur) (ج) حتى تدرك المحطَّة (ط) دون ان تمسّ القامين (ا اَ) لتعاكس المجاري . فحينئذٍ ينقطع المجرى الكهربائي المتولِّد في المغناطيس (غ) فيجري هناك قلم معدنيّ بثقلهِ العادي ويضغط الورق كما يُضغط في الباعث

ولكي تزيد وصف هذه الآلة ايضاحاً لا بُدَّ من بعض افادات تقرّب ادراكها الى فهم القرّاء .

يعلم الكلُّ اننا اذا اخذنا في الكتابة لا نستطيع بلوغ ذلك الَّا بثلاث حركات: الاولى بان ننقل لتسطير السطر القلم على الورق من اليمين الى الشمال كما في الكتابة العربيَّة او من الشمال الى اليمين كما في الكتابة الاعجميَّة . الثانية بان تضغط يدنا على الورق بينما تنتقل لكتابة كلمة بعد اخرى . الثالثة ان يرتفع الورق بتوالي الاسطر

فهذه الحركات الثلاث لا بُدَّ من تكرُّرها في الآلة القابلة . ولذلك فان المسيو رتشي قد ضمَّ الى القلم في الباعث قضيبين من المعدن يستندان الى آلتين تنظّمان حركات الكهرباء (rhéostats) والقضيبان (ض ضَ) ملازمان لبعضهما ولكلٍّ منهما زاوية مختلفة لتغيير قوى المجاري الكهربائيَّة قبل بلوغها الى القابل . ولكل قضيب مجرًى كهربائي يجري بسلكهِ الخاصّ (الشكل الثاني)

هذا وللقابل جهاز شبيه بجهاز الباعث (الشكل ٣) فانَّ لهُ قلماً متَّصلاً بقضيبَين كما في الباعث . فاذا ورد الجريان الكهربائيَّان من الباعث الى غلڤانومتر من طرز ارسنڤال (ر) تحرَّك الغلڤانومتر وبحركتهِ ينحني ويضغط القضيبَين فيُجري فيهما كل الحركات التي صدرت في الباعث ويمثّل القلم المعدني المنوط بهما كل الرسوم والكتابات التي تحدث فيهِ

وقد قلنا انهُ ينبغي للقلم في القابل ان يضغط الورق او يفارقهُ على مقتضى اللزوم . فلنوال هذه الغاية قد جُعل الورق في الباعث على لوحة مَرِنة فاذا ضغطها القلم

سالت الكهرباء وجرت مجاري مِلفّ رُهُمكورف الى سلكَين متعاكسَين لا فعل لهما في القابل على الغلفانومتر وهما يحرّكان هناك القلم المعدني على مثال جريه في الباعث وينقطع العمل عند ابتعاد القلم في الباعث وانقطاع المجرى

وقد قلنا اخيرًا انهُ يُقتضى للورق ان يرتفع ويتحرك . وآلة رتشي تأتي بالامر على احسن منوال فانها ليس فقط تحرك الورق في القابل بل تحمل القلم الى دواة ليجدد حبرهُ . ولذلك يجب على الكاتب اذا انتهى من كتابة سطر ان يضغط ضغطًا قويًّا على القلم فضَغطهُ هذا يحرك مُخلًّا (خ خ) . والمُخل يرفع الورق بنحو ١٥ ملمترًا ويُجري مجرًى كهربائيًّا يبلغ الى القابل فيصنع هناك ما صنعهُ في الباعث من تقديم الورق وتهيئتهِ للكتابة . وعلى هذه الصورة ترى انَّ كلَّ ما يجري في الباعث يتمّ ايضًا في القابل دون اختلاف فيقلد هذا حركات ذاك تمامًا وما رُسم في الباعث يُرسم في القابل كأنهُ صورتهُ بل كأنهُ هو هو . امَّا الكتابة فهي مشرقة ظاهرة لا اثر فيها للاهتزازات ولا تشويه مطلقًا وكذلك الرسوم والتصاوير والعلامات الموسيقيَّة

ومن فوائد هذا الاختراع انهُ يمكن من تنفيذ الرسائل الى الاصحاب والعمَّال بخطّ يد الكاتب وذلك باسرع وقت بدلًا من مكاتيب البريد . والحق يُقال انَّ هذا الاكتشاف يُعدّ مع التلغراف والتليفون من اعظم عجائب عصرنا . سبحان الله مودع كنوز اسراره في الطبيعة ومرشد العقول النيّرة الى معرفتها لمنفعة الانام

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

على ان بعض الناس يأبون تصديق امر كهذا ويلحقونهُ بالاحاديث والقصص الخرافية التي لا حقيقة لها ولكن حكمهم غير ملاقٍ للواقع لان غرائز البهائم وحواسَّها قد تنمو نموًّا عجيبًا وحتى الآن لا يعرف العلماء مع كل ما قاموا بهِ من التجارب والامتحانات عند اي حدّ يقف هذا النموّ الذي قد يزيد زيادة عظيمة في بعض الاوقات بظواهر الفهم فينخدع بهِ المراقب اذا كان غير مدقق . ولقد اصاب قدماء العرب في اعتقادهم ان

البهائم تفطن الى كثير من الاشياء التي تغيب عن حواس الانسان الضعيفة ولذلك كانوا في مواقع الريب والشك يستسلمون الى نياقهم فيتركونها تجري على هواها . وقد ذكر التاريخ من هذا القبيل روايات هي في الحقيقة عجيبة (١

على ان مالكاً بدون ان ينتبه الى هذه التعليلات كلها كان قد اتخذ عادةً بان يترك حصانهُ « الريح » يجري على هواهُ وقطُّ لم يعرض لهُ من هذه العادة ما يحملهُ على الندم والاسف كما قد تقدم تقرير ذلك

ويوم كانا سائرين كلاهما على طريق طرابلس بين اهدن وأيطو كان « الريح » يمشي الهوينا بلا نشاط ولا همة فكان يكبو عند كل خطوة كأنهُ يأسف على السلوك في تلك الطريق مع انهُ كان من قبل ذلك يعدو كالغزالة في شعاب لبنان ومسالكهِ الوعرة وكان بين دقيقة وأُخرى يأتي من الحركات ما يدلّ على رغبتهِ في الرجوع الى بشرّاي او يرسل صهيلًا ينبئ بشكواه من الحالة التي هو فيها كما تفعل الفرس المُرضع اذا حُبس عنها فلوها

ولا ريب ان ما كان يبدو منهُ لم يكن الداعي اليهِ التعب واللغوب لانّ الحاجب المذكور كان قد انقطع بحكم الضرورة عن الاسفار بسبب تعطل الاعمال في غياب الامير رزق الله

امَّا مالك فلم يفهم شيئاً من الدواعي الحاملة حصانهُ على تلك المشية الغير المألوفة وقد التزم مرارًا ان يشدّ لهُ اللجام وينتهرهُ تارةً بصوتهِ وتارةً بحركاتهِ

وكان هو ايضاً دون ان يعلم السبب يشعر بارتعاج بال فكان قصر القليعة وجبل اللكام بعيدين عن لبنان وكذلك الاخبار المقلقة عن جوسلين كانت قد انتشرت في كل البلاد وشاع بين اللبنانيين جميعاً انهُ قد نصب في ساحة قصره مشنقة دائمة وفي كل يوم يعلّق عليها واحدًا فاخذ مالك يقول في نفسهِ : انّ جوسلين الذي اختطف الاب يوحنا واسلم دير القديسة تقلا للحريق ليس من شأنهِ ان يحترم حياة حاجب حقير تظليري

وبينما هو يُجيل هذه الافكار في ذهنهِ لاهياً بها طفر « الريح » طفرةً قويَّة اعادت اليهِ انتباههُ فرأى انّ غابة الزيتون التابعة لقرية زغرتا ما زالت بعيدةً وانهُ قد صار الى السهل على ضفّتي نهر جميل يسقي عددًا من الجنائن والبساتين بسقت فيها اشجار النخيل

١) راجع كتاب الاغاني ج ١٣ ص ١١ و ج ١٥ ص ١٢٣,٩٦ والازرقي وابن هشام الخ

متمايلةً برؤوسها المرتفعة عجباً وتيهاً فوق أغراس البرتقال والتوت والزيتون. والتفت من هناك فلاحت لهُ القلعة والابراج المبنيَّة عند أسوار طرابلس وبان لهُ انهُ بعد مسيرة نصف ساعة يدرك المدينة. فتذكر وقتئــذٍ وصايا الامير فشدَّ اللجام بعنف ليغيّر وجهة سيرهِ ويحمل الريح على سلوك الطريق المؤدية الى جبل عكّار غير ان الحصان أبى لاول مرَّة طاعة فارسهِ واصرَّ على المسـير في طريق طرابلس او طريق بشرأي فانتهرهُ مالك فلم يُجدِ الانتهارُ نفعاً فحاول استرضاءهُ بالكلام واخذ يخاطبهُ كما يخاطب رجلًا عاقلًا وهو يقول:

« ايها الريح رفيقي الامين انا عارف حقَّ معرفة انَّ السفر الى جبل اللكام ليس من ذوقك كما انهُ ليس من ذوقي ايضاً. ولكن يجب ان تعلم باني لست حرًّا في ما اعمل وعليَّ ان أُطيع أوامر المقدم فآمــل منك اذًا ان تسمح لي بايفائها. اذهبي يا غزالتي ولا تخشي مكروهاً لا عليك ولا على فارسك ». قال هذا واخذ يُمرّ يدهُ بلطف على عُنق الريح

امَّا الريح فحنى عنقهُ وظهر منهُ انهُ تجلَّد على ما ينفر منهُ ومشى في سهل طرابلس سالكاً الطريق الموصلة الى جبل عكار وبعد ان استراح مالك بضع ساعات في عَرْقة تغلغل في الجبل

. . . .

وكانت على سطح الجبل فوق النهر الكبير قرية اسمها فَليس وبالقرب منها فوق رابيــة صغيرة مشرفة أودية عميقة قصر قديم من بنــاء الفرسان المعروفين بالاسبيتاريَّة قد انفصل عن فليس بخندق منقور في الصخر. وكان القصر المذكور يشبه قلعةً وديرًا معاً وهناك سور عظيم مشيَّد بقطع كبيرة من الحجارة يحيط بالأكمة الشاهقة التي قام القصر فوقها ويضمُّ ابنية ضخمةً مع كنيستين لم تزل آثارهما منظورة للان (١ وكان فوارس الاسبيتاريَّة قد زايلوا تلك الناحية من زمان مديد غير انهُ بقي على المدافن والاضرحة في كبرى الكنيستين المذكورتين حجارة كثيرة حاملة لتذكاراتهم. وكانت فليس موقعاً مهمًّا اولًا لانهُ يشرف على وادي النهر الكبير وثانياً لانهُ من جملة الطرق الموصلة

١) دوسو. ورحلتنا الى بلاد النصيريَّة

من طرابلس الى حمص وحماة ولهذا توجّهت العناية في الزمان القديم الى تحصين هذا المركز الذي جعلتهُ الطبيعة على نوع ما منيعاً لا يُرام

ولمّا اقام الفوارس الاسبيتاريّة في قلعة فليس وجدوا هناك مزارًا شهيرًا حاويًا احدى صور العذراء القديسة التي كان الجميع يتواردون لاكرامها افواجاً من كل انحاء جبل عكّار وجبل اللكام (١. وكان الزائرون لها من النصيريّة لا يقلّون عن زائريها من المسيحيين. فلمّا حلّ الاسبيتاريّة هناك وامنت السبل بسطوتهم تزايد عدد الزائرين كثرةً وفي القرن الخامس عشر كانوا يتسابقون اليه تسابقاً غير حافلين بشيء من الحروب والحوادث التي ثار في تلك الناحية ثائرُها فكنت تراهم متوافدين من جميع الاماكن وليس لهم غرض سوى زيارة « سيدة القلعة »

وكانت قلعة فليس في ذلك العهد بين يدي سيد لبناني الاصل تابع للامير رزق الله ونظرًا لقلة العناية بصيانتها اخذت تبين عليها دلائل القدميَّة والعتق كسائر القلاع التي ترتقي الى زمان الصليبيين فكانت شرفات السور في كثير من المواضع قد تهدّمت وخربت واجتمعت الردوم والحجارة وغيرها من الانقاض في الخندق الفاصل للقلعة عن القرية. الّا انّ هذه القلعة مع ما اصابها من الخراب ما زالت وقتئذٍ صالحة لان تكون مركز عضد ونجدةٍ للشعب المسيحي العديد المقيم في جوارها بقرى الدبابيّة وكفرنون والرماح ومُنجز وعُزَير وغيرها (٢ فبالاعتماد عليها كان هؤلاء يردّون اعتداءات النصيريّة الذين اجبرتهم الحال على النزوح الى شمالي النهر الكبير فلمّا كانوا قبلًا اسيادًا لجبل عكّار مطلقي اليد فيهِ اخذوا الآن يحاولون ان يعودوا الى املاكهم القديمة في الناحية الجنوبيّة

ولنعد الآن الى اخبار مالك فنقول انهُ لمّا وصل الى قلعة فليس استقبلهُ صاحبها بغاية الهشاشة والايناس فكان اول ما اهتمّ بهِ مالك المذكور انهُ اخذ يستفهمهُ عن أحوال جوسلين ليعلم هل تنجح مهمّتهُ الصعبة التي أرسل في شأنها ام لا فاجابهُ صاحب القلعة بما قوّى املهُ بالنجاح قائلًا:

« لا ريب ان جوسلين لا يودُّ اصلًا ان يأتي الى بشرّاي لكي يؤدي حسابًا عن

١) المشرق ٣: ٤٥٥ ; ٥٩٩

٢) وهذه القرى مذكورة في تأليفات وسجلّات القرون المتوسطة

سلوكه. غير أنه لا يترجح في بال احد انهُ يجسر على ان يخالف جهاراً أوامر المقدم رزق الله لان حريقهُ لدير حصن سليمان صيّر مركزهُ في القليعة حرجاً وهيّج عليهِ المسيحيين والنصيريّة والاسماعيليّة ايضاً بما ان الاب يوحنا كان مكرّماً ومعززاً عند الجميع على اختلاف النِحَل. ومذ علم الناس برجوع الامير رزق الله ظافراً منصوراً أخذ اتباع جوسلين يتخلّون عنهُ من تلقاء انفسهم حتى صار اشبه بالمحصور في قصره حيث لا يحرسهُ سوى زمرة من مؤتمنيهِ الذين شاركوهُ في كل ما امرهم بارتكابهِ من حوادث السلب والقتل »

— أتظنّ انهُ يرضي بان يرافقني الى بشرّاي

— لا استطيع تأكيد الامر. ولكني أعرف حق معرفة ان جوسلين رجل لئيم جبان ولا اظنهُ الآن وقد اكفهرّت عليهِ الوجوه واظلمت لهُ الدنيا يجسر على ان يلحق سوءا برسول الامير رزق الله. ومع كل هذا فانا عامد ان أرسل معك خفراً من الجند

— لا فائدة من هذا في مهمة سلميّة محضة بل الاحسن ان أسافر وحدي وسطوة مولاي وسيدي هي بعد الله تعالى افضل واقٍ لي. واذا مضت اربعة ايام ولم اعد الى قلعة فليس فارجو منك ان تتكرّم بتنبيه المقدم رزق الله وتسرج شمعتين على هيكل السيدة. والآن اودعك على امل الملتقى قريباً فادعُ لي بالنجاح

وما كاد يتمّ هذا الكلام حتى امتطى متن « الريح ». فاظهر الحصان في بادئ الامر بعض المقاومة غير انهُ ذلّ اخيراً لفارسهِ ونزل بهِ في الشِعْب الضيق المؤدي الى النهر الكبير. وكان سيد قلعة فليس قد ارتقى الى برج وجعل يرقبهُ ببصرهِ فما مضى عليهِ نصف ساعة حتى شاهدهُ طالعاً من الناحية الثانية من الوادي وسائراً نحو قريتي عُزَير وحالات في وجهة برج صافيتا فندم على كونهِ تركهُ يذهب وحدهُ وخاف عليهِ الشرّ لان جوسلين قد طالما برهن على لؤمهِ اذا قدر. وسنرى في الفصول التابعة اي شيء أعدّ لهُ في طي الغيب

١٤

حالما انتهى الى جبل اللكام خبر رجوع الامير رزق الله منتصراً ظافراً جدّ صاحب قصر القليعة في مزيد تحصينهِ وتقوية استحكاماتهِ خوفاً من امر مفاجئ يأتيهِ فامر باخراج جميع ما في اقبية القصر من آلات الحرب القديمة مثل المجانيق والكبوش

ومرامي النار وصفّفها على الاسوار . ونصب في قمة أكبر مُشرف من مشارفهِ آلات مخيفة يمكن تصويبها الى الغرض كما يُصوَّب المدفع فتقذف الى مدى بعيد نبالاً طويلة وقضباناً من الحديد المحمي وسهاماً محرقة الى غير ذلك من وسائل الهلاك (١

وكان قد اختُرع البارود والمدفع من زمان قريب فأدخلهما سلاطين مصر في جيشهم (٢ الّا انّ هذا الاختراع الحديث لم يكن قد وصل بعدُ الى جبل اللكام ولا كان جوسلين يعرف منهُ شيئاً الّا بالسمع والخبر . وكان قد اقام الرقباء ليلاً ونهاراً في أعلى البرج المشرف على الجسر النقّال الذي يوصل الى القلعة فكانوا يسهرون فيهِ دائماً ملاحظين كل حركة تجري وكان هو ايضاً لكثرة اهتمامهِ واشتغال بالهِ لا يفتكر بشيء من أنواع القصف واللهو والقنص التي كان يصرف فيها قبلاً معظم اوقاتهِ بل كان يدور القصر على عدد الساعات متفقدًا أحوالهُ ومحرضاً المشتغلين في ترميم أسواره على مزيد النشاط في إصلاحها . وكان يراقب ايضاً ادخال المؤن والأقوات ويسهر على الخفر ويلاحظ كل شيء من كبير وصغير وبالجملة فقد كان يستعد للقيام بحصار طويل

ولا ريب ان خوفهُ من العقاب الذي كان يتوقّعهُ ويشعر بانهُ كان مستأهلاً لهُ كل الاستيهال قد بدّل حالهُ تبديلاً تامًّا وبعد ان كان حليف خلاعة وفجور صار آيةً في النشاط والعمل حتى تعذرت معرفتهُ على رفقائهِ الذين ما كانوا يشاهدونهُ الّا والخوذة في رأسهِ والدرع على بدنهِ وهو يحرّض الفعلة على الجدّ والخفر على الانتباه والسهر

على انّ الحامية القليلة المقيمة في القليعة كرهت هذه الحال وبدأت تتشكّى من وقوفها الدائم موقف الحرب والقتال وكانت كل يوم تزيد نقصاً بالفارّين من بين صفوفها . وفي اثناء ذلك كان اهل الجيرة ايضاً يزيدون تظاهرًا بعداء جوسلين على قدر زيادة ضعفهِ وضوحاً وأخذ القوم العديدون الذين ذاقوا طعم عسفهِ ينذرون بقرب سقوطهِ ويطالبونهُ بردّ الاملاك التي غصبهم أياها ظلماً وعدواناً وأخذ النصيريّة والاسماعيلية يهجمون بلا تهيُّب على أراضيهِ وأملاكهِ وينهبونها أمام عينيهِ وهو عاجز عن ان ينالهم بسوء

(ستأتي البقيّة)

١) راجع تأليف « رآي » في المستعمرات الشرقية
٢) صبح الاعشى للقلقشندي

مطبوعات شرقية جديدة

Diwan aus Centralarabien
gesammelt, übersetzt u. erlautert von A. Socin
III Theil : Einleitung, Glossar u. Indices, Leipzig 1901

ديوان العرب في اواسط جزيرة العرب (الجزء الثالث)

ما مضى على المشرق سنة (٣: ١١٣٢) منذ اعلن بنشر الجزئين الاولين من هذا التأليف النفيس وعرّف فضل صاحبهِ فقيد الدروس الشرقية المعلم الشهير البرت سوسين. وهذا الجزء الثالث ختام المجموع يبلغ عدد صفحاتهِ ٣٥٠ صفحة من قطع الثمن. ضمّنهُ صاحبهُ ابحاثًا عديدة عن شعر العرب الحالي في بلاد نجد ممّا جمعهُ المؤلف نفسهُ او توصّل اليهِ غيرهُ من المستشرقين (ص١—٤٥) فيقابل بين هذه القصائد من اللغة العاميّة ويبيّن اوزانها وخواصّها (ص٤٦—٦٩) ثمّ يلحق ذلك بمقالة مطوّلة عن لهجة العرب في بلاد نجد وما تختلف بهِ عن اللغة الصحيحة وعن لهجات غيرها من البلاد العربيّة. والحقّ يقال ان من يطالع هذا الكتاب يأخذهُ العجب من سعة معارف المؤلف فانهُ لا يترك بابًا الّا يطرقهُ لعلهُ يفيد بذلك العلماء او ينهج لهم طريقًا يسلكونها بعدهُ. وكنا نودّ لو استطاع ادباء شرقنا العزيز مطالعة هذا التأليف المكتوب بالالمانيّة ليتحققوا باي جدّ وتنقيب يثابر المستشرقون على الدروس الشرقيّة لا يباشرون بالكتابة في بحث منها الّا بعد مطالعتهم كلّ ما كتبهُ السلف في هذا الصدد ثمّ تراهم يدخلون الميدان ويجارون من سبقهم فيصادقون على ما يستحسنونهُ ويزيّفون ما لم يستصوبوا ويأتون برأيهم ويؤيدونهُ بالبراهين اللامعة واذا عثروا على مشكل لم يمكنهم حلّهُ اقرّوا بجهلهم بسذاجة وطلبوا المساعدة من غيرهم لا يرون في ذلك بخسًا في حقهم ويثبتون قول بعض علماء العرب « انّ لا ادري من العلم »

ومن الافادات التي يستخلصها القرّاء من هذا التأليف انّ عرب بلاد نجد لا يجرون على قواعد الإعراب ولا يحرّكون أواخر الالفاظ بالحركات الثلاث كما زعم بعض الروّاد الذين لم يدقّقوا البحث في ذلك. والمعلّم سوسين يُثبت ان لهجة العرب في نجد ليست بافضل من لهجة بلاد الشام او بلاد مصر من حيث تركيب الجمل وصوغ المفردات.

نعم اننا لا نوافق صاحب الكتاب في كلّ مزاعمـهِ ولكننا نقرّ انّ المعلم سوسين لا يأتي برأي دون حجج وما يزيدنا في قولهِ ثقةً انهُ ينبه مرارًا العلماء على ما لا يراهُ ثابتًا راهنًا. وقد ختم كتابهُ بمعجم لالفاظ بلاد نجد مع شرحها وألحقهُ بفهارس تسهّل مراجعة الاجزاء الثلاثة هـ. ل

كتاب الاصول الابتدائية الموسيقية

تأليف انجلو بورميدا من جمعيَّة دون بوسكو

Principes élémentaires de musique

طُبع في اورشليم في مطبعة ج. ح. حنانيا. سنة ١٩٠١ (ص ٩٦)

انّ الكتب التي تبحث عن الاصول الموسيقيَّة في لغتنا لنادرة جدًّا لا نعرف منها سوى تطريب الآذان في صناعة الالحان صنَّفهُ الدكتور ادون لويس منذ ٢٥ سنة. واليوم قد اتحفنا حضرة الاب انجلو بورميدا من جمعيَّة دون بوسكو كتابًا في هذا الموضوع ضمَّنهُ كلّ ما من شأنهِ ان يقرّب للاحداث معرفة فن الموسيقى وذلك باللغتين الفرنسيَّة والعربيَّة. وقد قسم تأليفـهُ الى قسمَين بحث في الاول منهما عن الموسيقى وعلاماتها ومفاتيحها وايقاعها وازمنتها ودواوينها وما يلحق بذلك. اما القسم الثـاني فمدارهُ على القواعد العلميَّة للبستون والباريتون وغيرهما من آلات النفخ مع عدَّة تمارين ليرتاض بهـا الطلبة. وقد أُحكم طبع الكتاب فجاء تأليفًا مدرسيًّا تامّ الاهبة جزيل الافادة

مجلة التاريخ الكنسي

Revue d'Histoire Ecclésiastique, Louvain, 1900
dirigée par MM. A. Cauchie et P. Ladeuze

هذه مجلة جديدة انشأها الكاثوليك في بلجيكا السنة المنصرمة تصفَّحنا منها بعض أعدادها فوجدناها احسن مجلَّة في بابهـا أودعها اكبر العلماء مقالات غاية في الاهميَّة يبحثون فيها عن كل المسائل العويصة ويميطون عنها قناع اللَّبس والضلال. وهـذه المجلة تصدر اربع مرات في السنة ينيف عدد صفحاتها سنويًّا على ٨٠٠ صفحة. ومن انفع ما جاء في هذه المجلَّة انَّها تفيد القرّاء عن كلّ ما يُكتب في العالم من الكتب والمقالات المختصة بتاريخ الكنيسة ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

اهدانا جناب الدكتور النطاسي ألفرد عيد صاحب مجلة طبيب العائلة نسخة من مقالاتهِ الطبيَّة التي قدَّمهـا لمؤتمر الطب في باريس ولعدَّة جمعيَّات علميَّة فاصابت الاستحسان . وقد مرَّ ذكر بعضها في المشرق

شَذَرَاتٌ

اصلاح — كنا في مقالتنا عن سيدة النجاة (المشرق ٤ : ٨١٨) نقلنا عن تاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ١٨١) ما جاء فيهِ عن بيت الجميـل وبنائهم كنيسة مار عبدا في قرية بكفيًا وقد ألحق العلَّامة المؤلف قولهُ بما نصهُ : « ثمَّ انشأ الخوري عيسى من بيت الخرَّاط كنيسة للملكيَّة في القرية المذكورة » فاستنتجنا من ذلك ان الخوري المذكور كان من الطائفة الملكيَّة . وهذا غلط لانَّ بيت الخراط موارنة أبًا عن جدّ تاريخهم معروف . وان اعترض احد على قولنا بانَّ بناء كنيسة للملكيَّة يدلّ على ان الخوري عيسى كان ملكيًّا اجبنا انَّ في نصّ الدويهي غلطةً طبعيَّة وانما اراد « كنيسة المُلكة » لا « كنيسة الملكيَّة » والدليل على ذلك ما جاء في نصّ آخر من التاريخ عينهِ (ص ٢٠٣) قال الدويهيّ : « وفيها (سنة ١٦٣٢) عُني الشيخ ابو عماد ابن الجميـل مع مساعدة اهل بكفيًا فهدم كنيسة مار عبدا في القرية المذكورة وعقدها قبوًا . . وكذلك القس بشاره من بيت الخرَّاط عُني ووسَّع كنيسة المُلكة في قرية بكفيًا » وكنيسـة الملكة هذه هي الكنيسة المعروفة اليوم بكنيسة مار ميخائيل

المدافع والبَرَد — بعد ان نشرنا في المشرق (٤ : ٨٢٨) مقالة الاب ر ش في عمـل المدافع لمنع البرَد قرأنا في المقتطف (ايلول ص ٨٦١) ما ينفي فائدة هذه المدافع . فتعجَّبنا من هذا التناقض لاسيما ان الاب ر . ش اتى بشواهد تثبت قولهُ . ثمَّ ما لبثت ان اتتنا مجلة « الطبيعة » الافرنسيَّة (٢٩ : ٥٧١) فصادقت على قولنا وبيَّنت فضل هذا الاكتشاف الجديد . ثمَّ اتتنا اعمال مؤتمر الظواهر الجوّيَّة فوجدنا مقالة ضافية الذيل لعالمٍ يُعدُّ حجَّةً في هذا الفنّ تبيّن الامر بحيث لا تبقي من بعدهِ شكًّا . فاقتضى التنبيه

زمن خلق آدم — امرأة قايين وقد قرأنا في عدد المقتطف ذاته (ص ٨٥٢) جوابًا على سؤال القاه الخواجا رشيد ابو ريحان وهو «كم سنة من حين خلق الله آدم الى الان» فقال المقتطف بعد ذكرهِ لتاريخ التوراة تبعاً لحسابات مختلفة ما حرفهُ: «ومن المؤكد الآن ان عمران بابل ومصر ابتدأ قبل المسيح باكثر من اربعة آلاف سنة. وفي آثار الانسان بقايا كثيرة تدلُّ على انهُ عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة بل انهُ وُجد قبل ذلك بالوف كثيرة من السنين ولا يطمع العلماء ان يحلّوا مسألتكم حلًّا علميًّا مدقَّقًا». فتعجبنا من تناقض صاحب المقتطف فبعد ان قال انَّ الآثار تنبئ بان الانسان عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة بل قبل ذلك الحين «بالوفٍ كثيرة من السنين» زاد ان العلماء لا يطمعون في حلّ هذا المشكل أفليس بديهيًّا انَّ المقتطف في جوابهِ هذا طمع في ما لم يطمع فيهِ العلماء وانهُ بذكرهِ ثمانية آلاف سنة بل «الوفًا كثيرة من السنين» لخلق آدم اجاب بما لم يعلم. أفما كان احرى بهِ ان يجيب كما اجبنا في المشرق سابقًا (٣: ٤١١) ان ليس للتوراة تاريخًا مقرَّرًا وان تعيين زمن خلق الانسان الاوَّل من الامور المجهولة — وللمقتطف جواب آخر على من سألهُ (ص ٥٤٢): «من هي امرأة قايين» فاجاب بما يلقي الريب بكون آدم أبًا للجنس البشري فيكون فقط «فردًا من أفراد الناس او جدّ القبيلة التي منها اليهود». وقد فنَّدنا هذا القول الباطل في عدد سابق من المشرق ردًّا على الهلال (راجع المشرق ٣: ١١٣٠ و ٤: ٩١١)

ظواهر فلكيَّة في ١٠ من تشرين الاول حدث اقتران الزهرة بالمريخ على مسافة درجة واحدة فقط. — وفي ٢٨ من الشهر الجاري سيحدث اقتران آخر وهو اقتران المشتري بزحل على مسافة نصف الدرجة. وهو حادث علمي غاية في الاهميَّة فان اقتران هاتين السيَّارتين على مسافة هكذا قريبة لم يحدث منذ سنة ١٦٨٣

وفي مساء الاحد الماضي ٢٧ تشرين الاول حدث خسوف جزئي للقمر. رآهُ اهل بيروت من الساعة ٥ الى ٦ ١/٢ — وفي ١١ من الشهر الجاري تُكسف الشمس كسوفًا حلقيًّا يُرى جزء منهُ في بيروت. ويكون ابتداء هذا الكسوف الساعة ٧ ١/٢ صباحًا ومعظمهُ الساعة ٩ ٣/٤ يُحجب ثلثا قرص الشمس وانتهاؤهُ بعد الظهر بنصف ساعة

ابو الركب

قد فتك ابو الركب هـذه السنة بسوريَّة عموماً وببيروت خصوصاً فتكاً ذريعاً. فاستغنمنا هذه الفرصة لنثبت في المشرق قصيدًا صنَّفتهُ احدى السيدات الاديبات باللغة العاميَّة منذ عشر سنوات وهو يدلُّ على ذكاء قائلتهِ :

يا لطيف شو هَلْبلشهْ ابو الركب صار ورشهْ
عزمني على الفرشه وحوَّل لي ادنه الطرشه
هلمغضوب ابو الركب

شوفوا فعاله هلمغضوبْ مركوبه دايم مغلوبْ
لو توصَّل لصبر ايوبْ لازم ما يبقى متعوبْ
من الم ابو الركب

يدخل في جسم الانسان حتى يصير مثل السكران
يبقى في حاله حيران بيقول يا ليتو ما كان
ولا سمعنا بابو الركب

هدّلي جسمي وحيلي ركابي وظهري يا ويلي
احوالي تبكي العيله وما بقا لي ولا حيله
تا اخلص من ابو الركب

بدي ينقر في راسي نَقْر الظالم والقاسي
غلغل روحي وانفاسي حتى اسناني واضراسي
خلخلهم ابو الركب

قمت امشي بوسط البيتْ واتوكا من حيط لحيطْ
تعبت وبالفرشهْ انخطيتْ وارحم منها ما لاقيتْ
من الظالم ابو الركب

وصفوا لي اشرب شربه الخروع ما حبه قلبي
بطلب للاثنين ضربه وادفنهم في فرد تربه
الخروع جنب ابو الركب

حزّمني مثل الزنار في وسطي داير مندار
رابط راسي بمقدر وجسمي من الضعف تغيَّر
مغيَّر من ابو الركب

كأنه سم الحيّه نفث من سمه عليّ
ظهري وراسي ورجليّ صدري واعظام ايديّ
كسَّرهم ابو الركب

ضعّفني ضعفه كبيره صرنا في همّ وحيره
خفتّه يعمل لي سيره والعيشه بقيت قصيره
قصّرها ابو الركب

ما عاد لي ولا حرفه صار بدي منه الصرفه
قديش اوصافه قرفه ضيّق عليّ الترفه
هلمقرود ابو الركب

موفّق في كاره مبخوت وما يخلّي ولا فرصه تفوت
بيدور في كل البيوت وبيقول لِلبيلومو اسكت
واترحّم عا ابو الركب

❋ الاسيتيلين والبترول ❋ قد اصلى الاسيتيلين في هذه السنة حرباً عواناً على غاز البترول ليقوم مقامهُ في التنوير . وكانت المانية منتصرة له لمناكسة البترول فانها منذ السنة المنصرمة اخذت تستعين بالاسيتيلين لانارة سككها الحديدية فانفقت ١٧٠٠٠ طن من كربور الكلسيوم لاستخراج الاسيتيلين وفي هذه السنة قد راج سوق الاسيتيلين وباعت المانيــة لغيرها من الدول كميّات وافرة لاسيما مذ اخترع العلماء آلات تستدرك اخطار انفجار الاسيتيلين حتى اصبح هذا الغاز مأمون الآفات كغاز الفحم الحجري بل آمن منهُ

❋ الفحم الحجري ❋ بلغ مجموع ما استُخرج منهُ من قلب الارض السنة المنصرمة ٦٢٧ مليون طن منها ٢١٨ مليوناً في الولايات المتحدة ثمَّ ٢١٢ مليوناً في انكلترة ثمَّ ١١٠ ملايين في المانية و ٣٣ مليوناً في فرنسـة الخ ويبلغ عدد الذين يعدّنونهُ نحو ٣٠٠٠٠٠ عامل

أسئلة وأجوبة

س سأل من دير برسنين حضرة رئيسهُ الاب طوبيا مبارك : ١ً اذا قدّس كاهن في كأس قبل تكريسهِ هل يكرَّس جـذا التقديس. ٢ً ورد في كتاب اللاهوت ذكر « حوادث بلَّـة العشاء » فما معنى « بلّة العشاء »

تكريس الكاس — بلّة العشاء

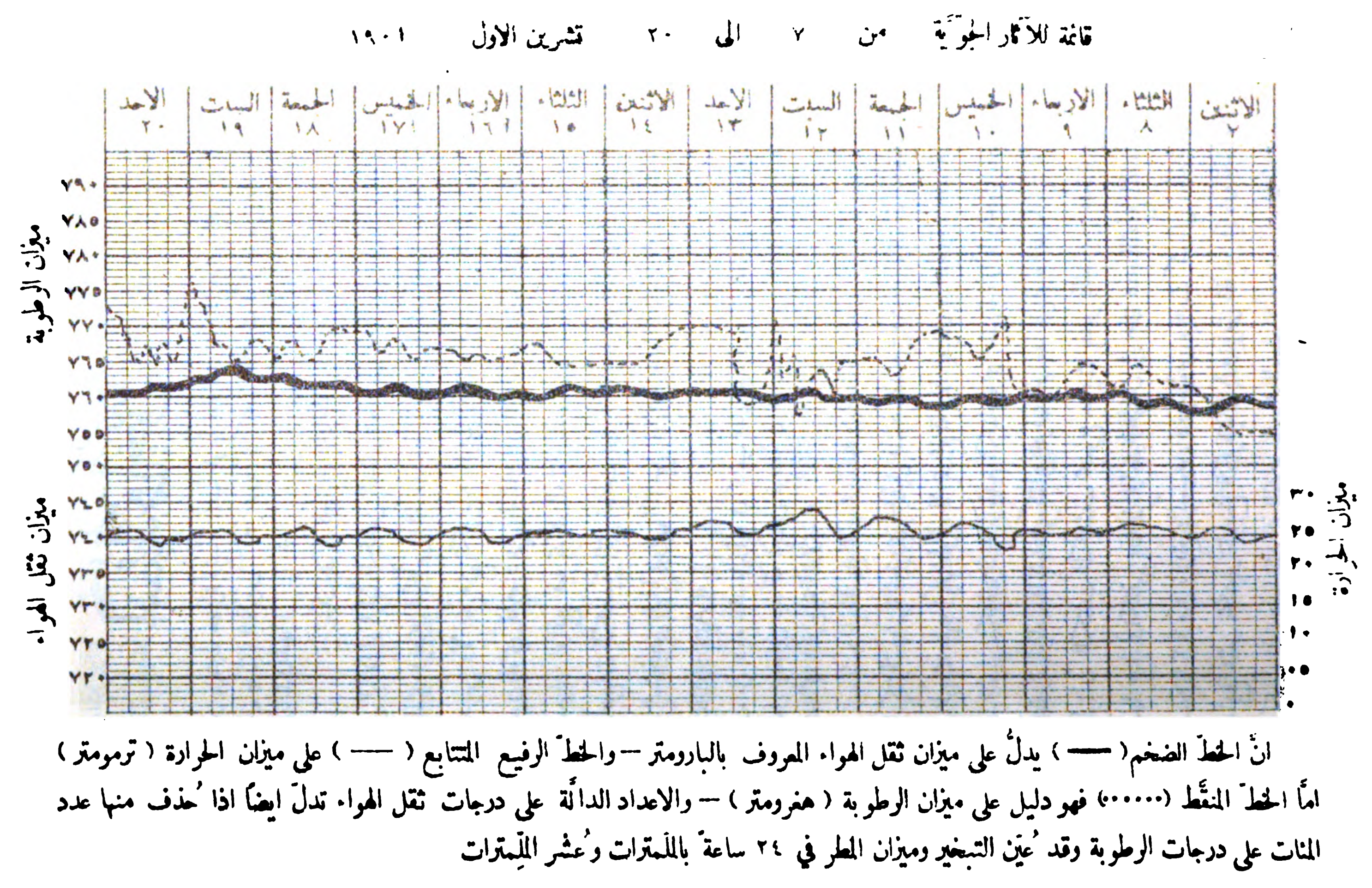
ج نجيب على (الاول) انَّ الكاهن الذي يستعمل الكأس قبل تكريسهِ من الاسقف يخطئ بذلك. ويصير الكأس آلةً مقدَّسة لا يجوز اتخاذهُ لامور عاميَّة لكنَّهُ لم يكرَّس بهذا التقديس ولا بدَّ من تكريسهِ باقرب وقت. نجيب على (الثـاني) ان « بلّة العشاء » منشور بابوي قديم دُعي بالعشاء (in Cœna Domini) لانهُ كان يقرأ سابقًا يوم خميس الاسرار الواقع فيهِ تذكار العشاء السرّي وهـذا المنشور كان يحتوي الحروم القانونيَّة والتأديبات الكنسيَّة التي تعاقب بها الكنيسة الهراطقة والمتمرّدين على السلطة الدينيَّة وقد استخلص البابا بيوس التاسع خلاصة هذا المنشور فاودعهُ بلّتهُ التي اولها « Apostolicæ Sedis »

س وسأل ي. س. من ادباء البلد ما رأينا في كتاب قديم العهد ورد فيهِ تاريخ الامة المارونية اكتشفهُ الخوري الفاضل ميخائيل عبد الله غبرئيل فوصفهُ في الصفحة ٢٧ من كتابهِ المنشور حديثًا « تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية »

تاريخ قديم للامة المارونية

ج راجعنا ما كتبهُ حضرة الخوري غبرئيل فلم نستفد من وصفهِ سوى ان الكتاب الذي اكتشفهُ قديم مرَّت عليهِ ايام طوال لا تاريخ لهُ ولا يعرف مؤلفهُ وقد فُقد قسمٌ من اولهِ وآخرهِ. وهذا ليس بكافٍ لنجزم بقدم الكتاب او حدوثهِ. وانَّما راجعنا بعض قِطع اقتطفها منهُ حضرة المؤلف فاثبتها في كتابهِ بحرفها الواحد على قولهِ (ص ٢٨—٣٧) فتحققنـا بعد النظر انَّ الكتاب المكتشف مجموع حديث يظهر ذلك من عدَّة لوائح لا ندحة لنا في عرضها هنا ونكتفي ببرهان واحد وهو ان في جملة هذه القطع المقتطفة شهادةً (في الصفحـة ٣١) من تاريخ بريسيوس وبريسيوس راهب كبوشي ترجم الى العربية في القرن السابع عشر مختصر تاريخ الكردينال بارونيوس فطبعهُ في رومة سنة ١٦٥٣—١٦٧١ فيكون اذن هذا التاريخ القديم حديث العهد ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٧ الى ٢٠ تشرين الاول ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

OUVRAGES CLASSIQUES

Abécédaire.

ܡܒܘܐ ܠܝܘܠܦܢ ܩܪܝܢܐ ܣܘܪܝܝܐ

مبادئ تعليم القراءة السريانية

In-2, 36 pages, 5e édition, 1900.

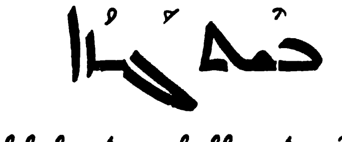
Par Mr Mansour al-Hekalem.

Outre les premiers élémens de lecture syriaque, on trouve dans cette nouvelle édition les prières et un certain nombre de psaumes.

	Fr.	affr.
Broché	0,35	0,10
Cartonné	0,50	

Dictionarium Syriaco-latinum.

Auctore P. J. Brun S. J.



ܘܡܠܐ ܡܦܫܩܬܐ ܪܗܘܡܝܬܐ

قاموس سرياني لاتيني

Petit in-8°, IX-773 pages, à deux colonnes, 1895.

Les nombreux textes syriaques que l'Europe savante publie presque journellement restaient livres fermés pour un grand nombre d'étudiants ecclésiastiques, faute d'un *Dictionnaire classique*. Cet ouvrage comble largement cette lacune. Grâce à ce nouveau secours, l'on pourra désormais non seulement lire les anciennes versions syriaques des Livres Saints, mais encore tous les auteurs dont la terminologie n'est point par trop technique. Les comptes-rendus si bienveillants que les Syriologues ont fait de ce livre prouvent que le but a été atteint.

Ce Dictionnaire s'adressant surtout aux étudiants ou à ceux qui se trouvent en lisant embarrassés par le sens ou la forme d'un mot, on y donne en détail les différents états où la même racine peut se présenter: le futur et les autres modes, si c'est un verbe, le genre, l'état construit et le pluriel si c'est un nom. Bref on a visé à dispenser le plus possible de recourir à la grammaire. Dans le même dessein on a multiplié les idiotismes.

Pour les mots étrangers, les grecs surtout, si nombreux en syriaque, l'auteur ne donne que ceux qui sont d'un emploi plus fréquent ou méritent une attention spéciale, en signalant, autant que possible, leur origine. Dans l'intérêt de l'étymologie, il a eu souvent recours à l'hébreu et à l'arabe; ce rapprochement fera mieux saisir le sens propre ou dérivé du syriaque.

On trouvera dans un *Appendice* de 38 pages les noms propres les plus fréquemment mentionnés dans les livres syriaques.

L'exécution de ce Dictionnaire ne laisse rien à désirer; ses types si élégants ont été fondus et gravés dans notre imprimerie.

Broché	20	1,05

ومرامي النار وصفَّها على الاسوار. ونصب في قمة اكبر مُشرف من مشارفهِ آلات مخيفة يمكن تصويبها الى الغرض كما يُصوَّب المدفع فتقذف الى مدى بعيد نبالًا طويلة وقضباناً من الحديد المحمي وسهاماً محرقة الى غير ذلك من وسائل الهلاك (١

وكان قد اختُرع البـارود والمدفع من زمان قريب فأدخلهما سلاطين مصر في جيشهم (٢ الّا انَّ هذا الاختراع الحديث لم يكن قد وصل بعدُ الى جبل اللكام ولا كان جوسلين يعرف منهُ شيئاً الّا بالسمع والخبر. وكان قد اقام الرقباء ليـلًا ونهارًا في أعلى البرج المشرف على الجسر النقّال الذي يوصل الى القلعة فكانوا يسهرون فيهِ دائماً ملاحظين كل حركة تجري وكان هو ايضاً لكثرة اهتمامـهِ واشتغال بالهِ لا يفتكر بشيء من أنواع القصف واللهو والقنص التي كان يصرف فيها قبلًا معظم اوقاتهِ بل كان يدور القصر على عدد الساعات متفقدًا أحوالهُ ومحرضاً المشتغلين في ترميم أسواره على مزيد النشاط في إصلاحهـا. وكان يراقب ايضاً ادخال المؤن والأقوات ويسهر على الحفر ويلاحظ كل شيء من كبيرٍ وصغيرٍ وبالجملة فقد كان يستعد للقيام بحصار طويل

ولا ريب ان خوفهُ من العقاب الذي كان يتوقَّعهُ ويشعر بانهُ كان مستأهلًا لهُ كل الاستيهال قـد بدَّل حالهُ تبديلًا تامًّا وبعد ان كان حليف خلاعة وفجور صار آيةً في النشاط والعمل حتى تعذرت معرفتهُ على رفقائهِ الذين ما كانوا يشاهدونهُ الّا والخوذة في رأسهِ والدرع على بدنهِ وهو يحرّض الفعلة على الجدّ والحفَر على الانتباه والسهر

على انَّ الحامية القليلة المقيمة في القليعة كرهت هذه الحال وبدأت تتشكّى من وقوفها الدائم موقف الحرب والقتال وكانت كل يوم تزيد نقصاً بالفارّين من بين صفوفها. وفي اثناء ذلك كان اهـل البحيرة ايضاً يزيدون تظاهرًا بعداء جوسلين على قدر زيادة ضعفـهِ وضوحاً وأخذ القوم العديدون الذين ذاقوا طعم عسفهِ ينذرون بقرب سقوطهِ ويطالبونهُ بردّ الاملاك التي غصبهم أياها ظلماً وعدواناً وأخذ النصـيريّة والاسماعيلية يهجمون بلا تهيُّب على أراضيهِ وأملاكهِ وينهبونها أمام عينيهِ وهو عاجز عن ان ينالهم بسوء (ستأتي البقيّة)

---

١) راجع تأليف « رَاي » في المستعمرات الشرقية

٢) صبح الاعشى للقلقشندي

مطبوعات شرقية جديدة

DIWAN AUS CENTRALARABIEN

gesammelt, übersetzt u. erlautert von A. Socin

III Theil : Einleitung, Glossar u. Indices, Leipzig 1901

ديوان العرب في اواسط جزيرة العرب (الجزء الثالث)

ما مضى على المشرق سنة (٣:١١٣٢) منذ اعلن بنشر الجزئين الاولين من هذا التأليف النفيس وعرَّف فضل صاحبهِ فقيد الدروس الشرقية المعلم الشهير البرت سوسين. وهذا الجزء الثالث ختام المجموع يبلغ عدد صفحاتهِ ٣٥٠ صفحة من قطع الثمن. ضمَّنهُ صاحبهُ ابحاثاً عديدة عن شعر العرب الحالي في بلاد نجد ممَّا جمعهُ المؤلف نفسهُ او توصَّل اليهِ غيرهُ من المستشرقين (ص١—٤٥) فيقابل بين هذه القصائد من اللغة العاميَّة ويبيّن اوزانها وخواصّها (ص٤٦—٦٩) ثمَّ يلحق ذلك بمقالة مطوَّلة عن لهجة العرب في بلاد نجد وما تختلف بهِ عن اللغة الصحيحة وعن لهجات غيرها من البلاد العربيَّة. والحقُّ يقال ان من يطالع هذا الكتاب يأخذهُ العجب من سعة معارف المؤلف فانَّهُ لا يترك باباً الَّا يطرقهُ لعلهُ يفيد بذلك العلماء او ينهج لهم طريقاً يسلكونها بعدهُ. وكنا نودّ لو استطاع ادباء شرقنا العزيز مطالعة هذا التأليف المكتوب بالالمانيَّة ليتحققوا باي جدّ وتنقيب يثابر المستشرقون على الدروس الشرقيَّة لا يباشرون بالكتابة في بحث منها الَّا بعد مطالعتهم كلّ ما كتبهُ السلف في هذا الصدد ثمَّ تراهم يدخلون الميدان ويجارون من سبقهم فيصادقون على ما يستحسنونهُ ويزيّفون ما لم يستصوبوا ويأتون برأيهم ويؤيدونهُ بالبراهين اللامعة واذا عثروا على مشكل لم يمكنهم حلّهُ اقرّوا بجهلهم بسذاجة وطلبوا المساعدة من غيرهم لا يرون في ذلك بخساً في حقّهم ويثبتون قول بعض علماء العرب «انَّ لا ادري من العلم»

ومن الافادات التي يستخلصها القرّاء من هذا التأليف انَّ عرب بلاد نجد لا يجرون على قواعد الإعراب ولا يحركون أواخر الالفاظ بالحركات الثلاث كما زعم بعض الروّاد الذين لم يدقّقوا البحث في ذلك. والمعلّم سوسين يُثبت ان لهجة العرب في نجد ليست بافضل من لهجة بلاد الشام او بلاد مصر من حيث تركيب الجمل وصوغ المفردات.

نعم اننا لا نوافق صاحب الكتاب في كلّ مزاعمـهِ ولكننا نقرُّ انَّ المعلم سوسين لا يأتي برأي دون حجج وما يزيدنا في قولهِ ثقةً انهُ ينبه مرارًا العلماء على ما لا يراهُ ثابتًا راهنًا. وقد ختم كتابهُ بمعجم لالفاظ بلاد نجد مع شرحها وألحقهُ بفهارس تسهل مراجعة الاجزاء الثلاثة

ه. ل

كتاب الاصول الابتدائية الموسيقية

تأليف انجلو بورميدا من جمعيَّة دون بوسكو

Principes élémentaires de musique

طُبع في اورشليم في مطبعة ج. ح. حنانيا. سنة ١٩٠١ (ص ٩٦)

انَّ الكتب التي تبحث عن الاصول الموسيقيَّة في لغتنا لنادرة جدًّا لا نعرف منها سوى تطريب الآذان في صناعة الالحان صنَّفهُ الدكتور ادون لويس منذ ٢٥ سنة. واليوم قد اتحفنا حضرة الاب انجلو بورميدا من جمعيَّة دون بوسكو كتابًا في هذا الموضوع ضمَّنهُ كلَّ ما من شأنهِ ان يقرّب للاحداث معرفة فن الموسيقى وذلك باللغتين الفرنسيَّة والعربيَّة. وقد قسم تأليفـهُ الى قسمَين بحث في الاول منهما عن الموسيقى وعلاماتها ومفاتيحها وايقاعها وازمنتها ودواوينها وما يلحق بذلك. امَّا القسم الثـاني فمدارهُ على القواعد العلميَّة للبستون والباريتون وغيرهما من آلات النفخ مع عدَّة تمارين ليرتاض بهـا الطلبة. وقد أُحكم طبع الكتاب فجاء تأليفًا مدرسيًّا تامَّ الاهبة جزيل الافادة

مجلة التاريخ الكنسي

Revue d'Histoire Ecclésiastique, Louvain, 1900
dirigée par MM. A. Cauchie et P. Ladeuze

هذه مجلة جديدة انشأها الكاثوليك في بلجيكا السنة المنصرمة تصفَّحنا منها بعض أعدادها فوجدناها احسن مجلَّة في بابهـا أودعها اكبر العلماء مقالات غاية في الاهميَّة يبحثون فيها عن كل المسائل العويصة ويميطون عنها قناع اللَّبس والضلال. وهـذه المجلة تصدر اربع مرات في السنة ينيف عدد صفحاتها سنويًّا على ٨٠٠ صفحة. ومن انفع ما جاء في هذه المجلة انَّها تفيد القرّاء عن كلّ ما يُكتب في العالم من الكتب والمقالات المختصة بتاريخ الكنيسة

ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

اهدانا جناب الدكتور النطاسي ألفرد عيد صاحب مجلة طبيب العائلة نسخة من مقالاتهِ الطبيَّة التي قدَّمهـا لمؤتمر الطب في باريس ولعدَّة جمعيَّات علميَّة فاصابت الاستحسان. وقد مرَّ ذكر بعضها في المشرق

شَذَرَاتٌ

﴿ اصلاح ﴾ كنا في مقالتنا عن سيدة النجاة (المشرق ٤: ٨١٨) نقلنا عن تاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ١٨١) ما جاء فيهِ عن بيت الجميـل وبنائهم كنيسة مار عبدا في قرية بكفيًا وقد ألحق العلاَّمة المؤلف قولهُ بما نصهُ: «ثمَّ انشأ الخوري عيسى من بيت الخرَّاط كنيسة للملكيَّة في القرية المذكورة» فاستنتجنا من ذلك ان الخوري المذكور كان من الطائفة الملكيَّة. وهذا غلط لانَّ بيت الخراط موارنة ابًا عن جدّ تاريخهم معروف. وان اعترض احد على قولنا بانَّ بناء كنيسة للملكيَّة يدلّ على ان الخوري عيسى كان ملكيًّا اجبنا انَّ في نصّ الدويهي غلطةً طبعيَّة وانما اراد «كنيسة المَلَكة» لا «كنيسة الملكيَّة» والدليل على ذلك ما جاء في نصّ آخر من التاريخ عينهِ (ص٢٠٣) قال الدويهيّ: «وفيها (سنة ١٦٣٢) عُني الشيخ ابو عماد ابن الجميـل مع مساعدة اهل بكفيًا فهدم كنيسة مار عبدا في القرية المذكورة وعقدها قبوًا.. وكذلك القس بشاره من بيت الخرَّاط عُني ووسَّع كنيسة المَلَكة في قرية بكفيًا» وكنيسـة المَلَكة هذه هي الكنيسة المعروفة اليوم بكنيسة مار ميخائيل

﴿ المدافع والبرَد ﴾ بعد ان نشرنا في المشرق (٤: ٨٢٨) مقالة الاب ر ش في عمـل المدافع لمنع البرَد قرأنا في المقتطف (ايلول ص ٨٦١) ما ينفي فائدة هذه المدافع. فتعجَّبنا من هذا التناقض لاسيما ان الاب ر. ش اتى بشواهد تثبت قولهُ. ثمَّ ما لبثت ان اتتنا مجلة «الطبيعة» الافرنسيَّة (٢٩: ٥٧١) فصادقت على قولنا وبيَّنت فضل هذا الاكتشاف الجديد. ثمَّ اتتنا اعمال موتمر الظواهر الجويَّة فوجدنا مقالة ضافية الذيل لعالمٍ يُعدُّ حجَّةً في هذا الفنّ تبيّن الامر بحيث لا تبقي من بعدهِ شكًّا. فاقتضى التنبيه

❊ زمن خلق آدم — امرأة قايين ❊ وقد قرأنا في عدد المقتطف ذاته (ص ٨٥٢) جوابًا على سؤال القاه الخواجا رشيد ابو ريحان وهو «كم سنة من حين خلق الله آدم الى الآن» فقال المقتطف بعد ذكره لتاريخ التوراة تبعًا لحسابات مختلفة ما حرفهُ: «ومن المؤكد الآن ان عمران بابل ومصر ابتدأ قبل المسيح باكثر من اربعة آلاف سنة. وفي آثار الانسان بقايا كثيرة تدلُّ على انهُ عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة بل انهُ وُجد قبل ذلك بالوف كثيرة من السنين ولا يطمع العلماء ان يحلّوا مسألتكم حلًّا علميًّا مدقَّقًا». فتعجبنا من تناقض صاحب المقتطف فبعد ان قال انَّ الآثار تنبئ بان الانسان عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة بل قبل ذلك الحين «بالوفٍ كثيرة من السنين» زاد ان العلماء لا يطمعون في حلّ هذا المشكل أفليس بديهيًّا انَّ المقتطف في جوابهِ هذا طمع في ما لم يطمع فيهِ العلماء وانهُ بذكرهِ ثمانية آلاف سنة بل «الوفًا كثيرة من السنين» لخلق آدم اجاب بما لم يعلم. أفما كان احرى بهِ ان يجيب كما اجبنا في المشرق سابقًا (٣: ٤١١) ان ليس للتوراة تاريخًا مقرَّرًا وان تعيين زمن خلق الانسان الاوَّل من الامور المجهولة — وللمقتطف جواب آخر على من سألهُ (ص ٥٤٢) : «من هي امرأة قايين» فاجاب بما يلقي الريب بكون آدم أبًا للجنس البشري فيكون فقط «فردًا من أفراد الناس او جدّ القبيلة التي منها اليهود». وقد فنَّدنا هذا القول الباطل في عدد سابق من المشرق ردًّا على الهلال (راجع المشرق ٣: ١١٣٠ و ٤: ٩١١)

❊ ظواهر فلكيَّة ❊ في ١٠ من تشرين الاول حدث اقتران الزهرة بالمريخ على مسافة درجة واحدة فقط. — وفي ٢٨ من الشهر الجاري سيحدث اقتران آخر وهو اقتران المشتري بزحل على مسافة نصف الدرجة. وهو حادث علمي غاية في الاهميَّة فان اقتران هاتين السيَّارتين على مسافة هكذا قريبة لم يحدث منذ سنة ١٦٨٣

وفي مساء الاحد الماضي ٢٧ تشرين الاول حدث خسوف جزئي للقمر. رآهُ اهل بيروت من الساعة ٥ الى ٢/١ ٦ — وفي ١١ من الشهر الجاري تُكسف الشمس كسوفًا حلقيًّا يُرى جزء منهُ في بيروت. ويكون ابتداء هذا الكسوف الساعة ٢/١ ٧ صباحًا ومعظمهُ الساعة ٤/٣ ٩ يُحجب ثلثا قرص الشمس وانتهاؤهُ بعد الظهر بنصف ساعة

ابو الركب

قد فتك ابو الركب هذه السنة بسوريَّة عموماً وبيروت خصوصاً فتكاً ذريعاً . فاستغنمنا هذه الفرصة لنثبت في المشرق قصيدًا صنَّفتهُ احدى السيدات الاديبات باللغة العاميَّة منذ عشر سنوات وهو يدلُّ على ذكاء قائلتهِ :

يا لطيف شو هَلبلشه ابو الركب صار ورشه
عزمني على الفرشه وحوَّل لي ادنه الطرشه
هلمغضوب ابو الركب

شوفوا فعاله هلمغضوب مركوبه دايم مغلوب
لو توصَّل لصبر ايوب لازم ما يبقى متعوب
من الم ابو الركب

يدخل في جسم الانسان حتى يصير مثل السكران
يبقى في حاله حيران بيقول يا ليتو ما كان
ولا سمعنا بابو الركب

هدَّلي جسمي وحيلي ركابي وظهري يا ويلي
احوالي تبكي العيله وما بقا لي ولا حيله
تا اخلص من ابو الركب

بدي ينقر في راسي نَقْر الظالم والقاسي
غلغل روحي وانفاسي حتى اسناني واضراسي
خلخلهم ابو الركب

قمت امشي بوسط البيت واتوكا من حيط لحيط
تعبت وبالفرشه انحطيت وارحم منها ما لاقيت
من الظالم ابو الركب

وصفوا لي اشرب شربه الخروع ما حبه قلبي
بطلب للاثنين ضربه وادفنهم في فرد تربه
الخروع جنب ابو الركب

حزّمني مثل الزنّار في وسطي داير مندار
رابط راسي بمقدّر وجسمي من الضعف تغيَّر
مغيَّر من ابو الركب

كأنّه سم الحيّه نفث من سمه عليّ
ظهري وراسي ورجليّ صدري واعظام ايديّ
كسَّرهم ابو الركب

ضعّفني ضعفه كبيره صرنا في همّ وحيره
خفتّه يعمل لي سيره والعيشه بقيت قصيره
قصَّرها ابو الركب

ما عاد لي ولا حرفه صار بدي منه الصرفه
قديش اوصافه قرفه ضيّق عليّ الترفه
هلمقرود ابو الركب

موفّق في كاره مبخوت وما يخلّي ولا فرصه تفوت
بيدور في كل البيوت ويقول للبيلومو اسكت
واترحّم عا ابو الركب

الاسيتلين والبترول قد اصلى الاسيتلين في هذه السنة حرباً عواناً على غاز البترول ليقوم مقامهُ في التنوير . وكانت المانية منتصرة لهُ لمعاكسة البترول فانها منذ السنة المنصرمة اخذت تستعين بالاسيتلين لانارة سككها الحديدية فانفقت ١٧٠٠٠ طن من كربور الكلسيوم لاستخراج الاسيتلين وفي هذه السنة قد راج سوق الاسيتلين وباعت المانيــة لغيرها من الدول كميّات وافرة لاسيما مذ اخترع العلماء آلات تستدرك اخطار انفجار الاسيتلين حتى اصبح هذا الغاز مأمون الآفات كغاز الفحم الحجري بل آمن منهُ

الفحم الحجري بلغ مجموع ما استُخرج منهُ من قلب الارض السنة المنصرمة ٦٢٧ مليون طن منها ٢١٨ مليوناً في الولايات المتحدة ثمَّ ٢١٢ مليوناً في انكلترة ثمَّ ١١٠ ملايين في المانية و ٣٣ مليوناً في فرنســة الخ ويبلغ عدد الذين يعدّنونهُ نحو ٣٠٠٠٠٠ عامل

اسئلة واجوبة

س سأل من دير برسنين حضرة رئيسهُ الاب طوبيا مبارك: ١ اذا قدَّس كاهن في كأس قبل تكريسهِ هل يكرَّس بهذا التقديس. ٢ ورد في كتاب اللاهوت ذكر « حوادث بلَّة العشاء » فما معنى « بلَّة العشاء »

تكريس الكأس — بلَّة العشاء

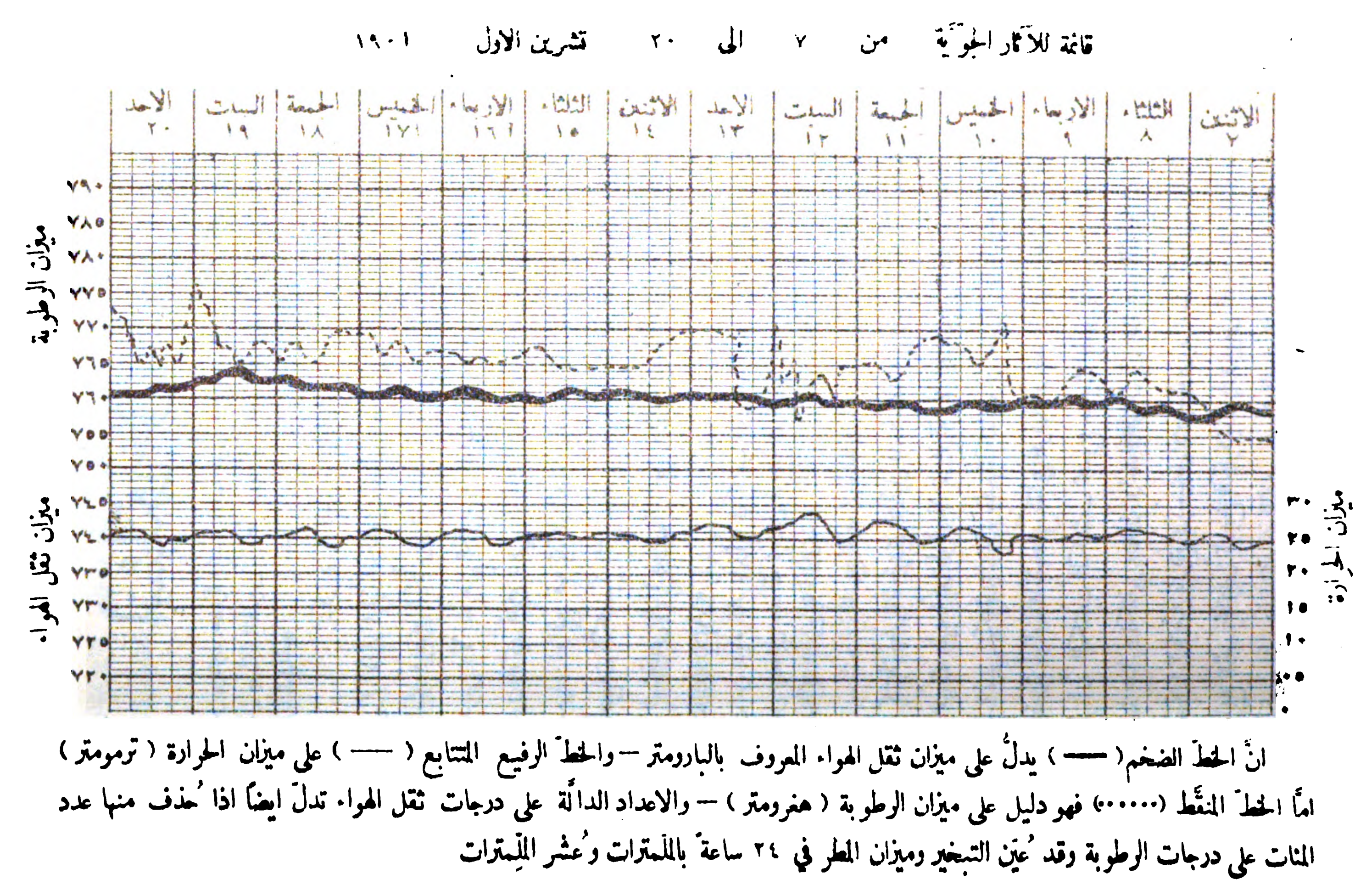
ج نجيب على (الاول) انَّ الكاهن الذي يستعمل الكأس قبل تكريسهِ من الاسقف يخطئ بذلك. ويصير الكأس آلةً مقدَّسة لا يجوز اتخاذهُ لامور عالميَّة لكنَّهُ لم يكرَّس بهذا التقديس ولا بدَّ من تكريسهِ باقرب وقت. نجيب على (الثاني) ان « بلَّة العشاء » منشور بابويّ قديم دُعي بالعشاء (in Cœna Domini) لانهُ كان يقرأ سابقًا يوم خميس الاسرار الواقع فيهِ تذكار العشاء السرّي وهذا المنشور كان يحتوي الحروم القانونيَّة والتأديبات الكنسيَّة التي تعاقب بها الكنيسة الهراطقة والمتمرّدين على السلطة الدينيَّة وقد استخلص البابا بيوس التاسع خلاصة هذا المنشور فاودعهُ بلَّتهُ التي اوَّلها « Apostolicæ Sedis »

س وسأل ي. س. من ادباء البلد ما رأينا في كتاب قديم العهد ورد فيهِ تاريخ الامة المارونية اكتشفهُ الخوري الفاضل ميخائيل عبد الله غبرئيل فوصفهُ في الصفحة ٢٧ من كتابهِ المنشور حديثًا « تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية »

تاريخ قديم للامة المارونية

ج راجعنا ما كتبهُ حضرة الخوري غبرئيل فلم نستفد من وصفهِ سوى ان الكتاب الذي اكتشفهُ قديم مرَّت عليهِ ايَّام طوال لا تاريخ لهُ ولا يعرف مؤلفهُ وقد فُقد قسمٌ من اوَّلهِ وآخرهِ. وهذا ليس بكافٍ لنجزم بقدم الكتاب او حدوثهِ. وانَّما راجعنا بعض قِطع اقتطفها منهُ حضرة المؤلف فاثبتها في كتابهِ بحرفها الواحد على قولهِ (ص ٢٨—٣٧) فتحققنا بعد النظر انَّ الكتاب المكتشف مجموع حديث يظهر ذلك من عدَّة لوائح لا ندحة لنا في عرضها هنا ونكتفي ببرهان واحد وهو ان في جملة هذه القطع المقتطفة شهادةً (في الصفحة ٣١) من تاريخ بريسيوس وبريسيوس راهب كبوشي ترجم الى العربية في القرن السابع عشر مختصر تاريخ الكردينال بارونيوس فطبعهُ في رومة سنة ١٦٥٣—١٦٧١ فيكون اذن هذا التاريخ القديم حديث العهد ل

قائمة للآثار الجوّية من ٧ الى ٢٠ تشرين الاول ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

OUVRAGES CLASSIQUES

Abécédaire.

ܡܕܠܘܝ ܠܝܠܦܢ ܩܪܝܢܘܬܐ

مبادئ تعليم القراءة السريانية

In-2 ,36 pages, 5e édition, 1900.

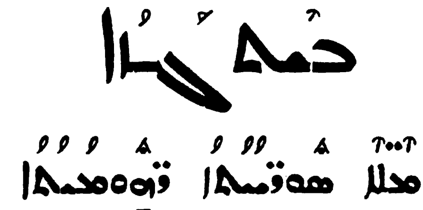
Par Mr Mansour al-Hekaïem.

Outre les premiers élémens de lecture syriaque, on trouve dans cette nouvelle édition les prières et un certain nombre de psaumes.

	Fr.	affr.
Broché	0,35	0,10
Cartonné	0,50	

Dictionarium Syriaco-latinum.

Auctore P. J. Brun S. J.



قاموس سرياني لاتيني

Petit in-8°, IX-773 pages, à deux colonnes, 1895.

Les nombreux textes syriaques que l'Europe savante publie presque journellement restaient livres fermés pour un grand nombre d'étudiants ecclésiastiques, faute d'un *Dictionnaire classique*. Cet ouvrage comble largement cette lacune. Grâce à ce nouveau secours, l'on pourra désormais non seulement lire les anciennes versions syriaques des Livres Saints, mais encore tous les auteurs dont la terminologie n'est point par trop technique. Les comptes-rendus si bienveillants que les Syriologues ont fait de ce livre prouvent que le but a été atteint.

Ce Dictionnaire s'adressant surtout aux étudiants ou à ceux qui se trouvent en lisant embarrassés par le sens ou la forme d'un mot, on y donne en détail les différents états où la même racine peut se présenter: le futur et les autres modes, si c'est un verbe, le genre, l'état construit et le pluriel si c'est un nom. Bref on a visé à dispenser le plus possible de recourir à la grammaire. Dans le même dessein on a multiplié les idiotismes.

Pour les mots étrangers, les grecs surtout, si nombreux en syriaque, l'auteur ne donne que ceux qui sont d'un emploi plus fréquent ou méritent une attention spéciale, en signalant, autant que possible, leur origine. Dans l'intérêt de l'étymologie, il a eu souvent recours à l'hébreu et à l'arabe; ce rapprochement fera mieux saisir le sens propre ou dérivé du syriaque.

On trouvera dans un *Appendice* de 38 pages les noms propres les plus fréquemment mentionnés dans les livres syriaques.

L'exécution de ce Dictionnaire ne laisse rien à désirer; ses types si élégants ont été fondus et gravés dans notre imprimerie.

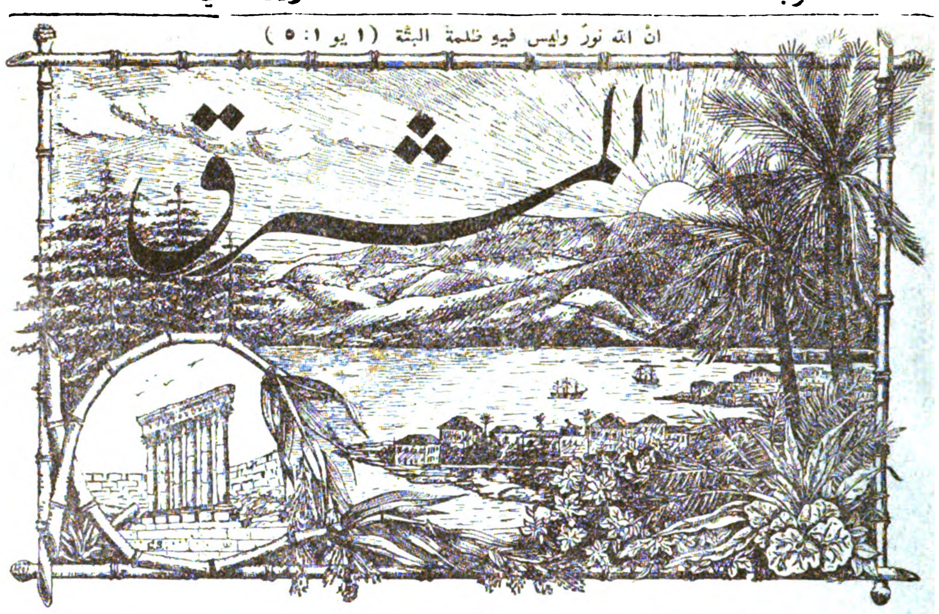
Broché	20	1,05

وكلاء المشرق ومحلّات الاشتراك لسنة ١٩٠١

الاسكندرية	الخوري جرجس فرج صفير
الاسماعيلية	انطون افندي الخوري مطر
اوستراليا	الخوري يوسف الدحداح المرسل الماروني
البترون وقضاءوها	اسكندر افندي اسطفان المزرعاني « البترون »
البرازيل	الخوري يعقوب صليبا المرسل الماروني
شمالي البرازيل	يوسف افندي ف . ن ضاهر
بغداد	الاب انستاس الكرملي
بورسعيد	بطرس افندي الياس رابيل
بيروت	المطبعة الكاثوليكية
"	كل اصحاب مكاتب بيروت نخصّ منهم بالذكر الافندية : خليل الخوري مدير المكتبة الجامعة . انطون كنعان مدير المكتبة الشاملة . موسى صفير مدير مكتبة المعارف . عبدو يني صاحب المكتبة السورية . سليم نصر صاحب المكتبة الادبية
جزين واقليمها	ابرهيم افندي ابي سمراء غانم « بكاسين »
حلب وولايتها	اومير افندي حكيم
حمص	الامير حافظ شهاب
دمشق الشام	الخواجه حبيب نعمة الله شارّ
دير القمر (المديرية)	مخائيل افندي عيد البستاني « دير القمر »
زحله	نجيب افندي البشعلاني
صيدا	توما افندي كيال
طرابلس الشام	المسيو نابوليون بيرو
طنطا	الخوري اثناسيوس دبس
العجم	القس افرام اسطيفان الكلداني « في سنا »
عكّار وجهاتهُ	ابرهيم افندي عبد الجليل في عندقت
القدس الشريف	ابرهيم افندي يزبك . الخوري يوحنا خليل في بطريركية اللاتين
كسروان	دير الاباء اليسوعيين « غزير »
لبنان (شماليهُ)	الخوري مخائيل عيسى الخوري « بشرّي »
لبنان (مركز المتصرفية)	محمد افندي ابي عزّ الدين « في بتدين او بعبدا »
ماردين	الخوري افرام احمر دقنه
المتن	ناصيف افندي الرغزغي « بكفيا »
مصر (القاهرة)	امين افندي هندية في مكتبتهِ
المنصوره	القس جرجس الرزي
الموصل	القس بطرس نصري
مونتيفيديو	الخواجا اسكندر صافي
الولايات المتحدة	الخورفسقفوس يوسف يزبك

السنة الرابعة العدد ٢٢ ١٥ تشرين الثاني ١٩٠١

ان الله نورٌ وليس فيهِ ظلمة البتّة (١ يو ١: ٥)



مجلّة كاثوليكيّة تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و ١٥ فرنكاً للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 22 (15 Nov. 1901)

فهرس العدد ٢٢

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

المشرق

الكثلكة في القرن التاسع عشر

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

بزغت انوار القرن العشرين والكنيسة الكاثوليكيَّة راتعة في مرابع الأَمن والسعد راقية في معارج الفلاح تنير الشعوب باضوائها الساطعة وترشد الممالك والدول الى سُبل الصلاح والدين. نرى شيخ الفاتيكان وهو اسير في بلاطهِ يجيل انظار نائب المسيح الى اقاصي المعمور فلا يدع زاويةً تخرج من دائرة اهتمامهِ بكل الكنائس (٢ قورنثوس ١١: ٢٨) ولا يهمل مخروقًا واحدًا من رعيَّتهِ التي تمتدُّ الى اربع خوافق السماء. هذا هو « جبل بيت الرب الذي اشار اليهِ ميخا النبي (٤: ١) الذي توطَّد في رأس الجبال وارتفع فوق التلال فتجري اليهِ الشعوب وتنطلق الامم قائلةً: هلموا نصعد الى جبل الرب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبلهِ ». اجل ان العواصف لا تزال تساور قمم هذا الطود وتناطح جوانبهُ وتشملهُ بالسحب لعلَّها تغضُّ من جلال منظرهِ وهيبة طلعتهِ وهو مع ذلك يسخر من الانواء لان اركانهُ راسيةٌ فوق الصخرة التي لا تقوى عليها قوات الجحيم (متى ١٦: ١٨)

على ان روح الله الذي ايَّد الكنيسة في كل اجيالها قد امدَّها في هذا القرن المنصرم بفيض بركاتهِ الغزيرة واجزل عليها سوابغ نعمهِ بحيث لا يتمالك كل ذي عقل سليم اذا نظر اليها بعين الاستقامة ان يصرخ: « هنا اصبع الله » وبيانًا لهذا القول اردنا في هذه المقالة ان نقابل بين حالة الكثلكة في غرَّة القرن التاسع عشر وحالتها في بدء القرن العشرين ليرى القراء انَّ عين الله لم تقصر وان عجائبهُ في كنيستهِ تسحر الالباب وتفتن القلوب

وقبل ان نسترسل في الكلام لا نرى بدًّا من تنبيه القرَّاء على اننا استندنا في اقوالنا وخصوصاً في تدوين عدد الكاثوليك الى اصدق التآليف واصحّ التعليمات والى القوائم الدوليَّة الرسمية (١ ونحن لا نأبى مع ذلك ان نُصلح ما لعلهُ يكون فرط منَّا سهوًا اذا استلفت احد الادباء اليهِ انظارنا

*

اعلم ان الكنيسة الكاثوليكيَّة كانت بلغت في ختام القرن الثامن عشر حالةً حرجة حملت اعداءها على ان يتشدَّقوا بملء افواههم انَّ كنيسة رومة سقطت سقطةً لا نهضة لها من بعدها . والحقُّ يقال ان السفينة البطرسيَّة لم ترَ منذ قرون عديدة تيَّارًا صدمها مثل الذي تصدَّى لها في ذلك العهد . فانها بينما كانت تمخر العباب يدير سكَّانها احبار ذوو فضل عميم كلهم رجال الله يقرُّ لهم اعداء الكنيسة انفسهم كبناديكتوس الثالث عشر واقليميس الثاني عشر وبناديكتوس الرابع عشر واقليميس الثالث عشر وبيوس السادس اذ ثار ثائر الكفر واعتصبت الشيع المستحدثة وهاج اصحاب الفتن فتمَّ بالحرف قول داود النبي (مز ٢ : ٢) ان « ملوك الارض والعظماء قاموا وائتمروا معاً على الرب وعلى مسيحهِ قائلين لنقطع ربطهما ونُلقِ عنَّا نيرهما » فسيق امام الاحبار الى المنفى وأُلقي في السجن وأُلغيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة جيش الكنيسة المتاز وتلاشت الرسالات الكاثوليكيَّة في اكثر البلاد وقلَّ عدد دُعاة الدين وانتشرت الثورة الفرنسيَّة في انحاء اوربَّة كإعصار هائل او سيل جحاف يجرف كلَّ ما يلقاهُ في مسيرهِ

ولمَّا صحا العالم من سكرتهِ لم يشاهد غير الخراب فنادى بالويل والثبور وكرَّر في يأسهِ قول الرب لحزقيال لمَّا اراهُ العظام اليابسة (٣٧ : ٣) : « يا ابن البشر أَتُرى تحيا هذه العظام » . أجل انَّ الله لقادر ان يحيي العظام الرميمة بل يستطيع ان يقيم من الحجارة اولادًا لابراهيم (متى ٣ : ٩) واذا شاء قام وانتهر الامواج والرياح فيحدُث هدوءٌ عظيمٌ

١) ودونك اسماء بعض الكتب التي راجعناها لذلك ومؤلفوها ممَّن يوثق بهم :

1° The Statesman's year Book = 2° Missiones Catholicæ cura Congr. de Propag. Fide descriptæ = 3° Louvet : *Les Missions Cathotiques au XIX*[e] *siècle* = 4° Piolet : *Les Missions Catho. Françaises au XIX*[e] *siècle* = 5° Hergenrhöter : *Histoire ecclésiastique ; Kirchenlexicon* = 6° Forbes : *Etudes* 5 *Janvier*, 1901 = 7° Almanach de Gotha, 1901 = 8° البشير في ٦ ايلول ١٨٨٣

وكذا جرى في الواقع فان الدول المتحالفة على نابوليون الاول مكّنت الكرادلة من انتخاب خلفٍ لبيوس السادس فاختاروا بيوس السابع الذي ما لبث ان عاد الى كرسيهِ مكرَّماً وباشر الاصلاحات المهمَّة واحيا الرهبانيَّة اليسوعيَّة بعد ان بقيت ملغاةً نيِّفاً واربعين سنة. ومشى على خطَّتهِ احبار عظام كلاون الثاني عشر وغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع وخصوصاً لاون الثالث عشر المالك سعيدًا فبلَّغوا الكنيسة مقاماً رفيعاً وبعد ان ظهرت على قاب قوسين من الهلاك اصبحت اليوم في عزّ ورونق لم تعرفهما في القرون السابقة حتى انهُ يمكننا ان تدعو القرن التاسع عشر احد قرونها الذهبيَّة. وها اننا نستقري قارات الدنيا الخمس لنتحقَّق ترقي الكثلكة فيها مدة هذا القرن الاخير

١ اوربة

يمكننا ان نقسم اوربَّة في بدء القرن التاسع عشر الى قسمين فنميّز فيها الدول الكاثوليكيَّة والامم غير الكاثوليكيَّة من العنصر السكسوني وغيره

١ (الدول الكاثوليكيَّة) كان يبلغ عدد المؤمنين فيها سنة ١٨٠٠ نحو ١١٥ مليونًا فنما هذا العدد وتزايد بالتوالد واهتداء عددٍ من الضالّين الى حجر الكنيسة حتى بلغ في آخر القرن التاسع عشر نحوًا من ١٥٥ مليونًا كما يظهر ذلك من الجدول الآتي:

جدول الدول الكاثوليكيَّة في اوربَّة في سنتي ١٨٠٠ و ١٩٠٠

(نقلًا عن تقاويم غوثا والاحصاءات الرسميَّة الاخيرة)

اسماء الدول	عدد الكاثوليك فيها سنة ١٨٠٠	سنة ١٩٠٠
فرنسة	٢٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٧,٥٠٠,٠٠٠
المانية (١	١١,٠٠٠,٠٠٠	١٨,٥٠٠,٠٠٠
النمسة	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٣٢,٠٠٠,٠٠٠
ارلندة	٦,٠٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠ (٢)
اسبانية	١٥,٠٠٠,٠٠٠	١٨,٠٠٠,٠٠٠
ايطالية	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٣١,٥٠٠,٠٠٠
البرتغال	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
البلجيك	٤,٠٠٠,٠٠٠	٦,٨٠٠,٠٠٠
	١١٣,٠٠٠,٠٠٠	١٥٣,٣٠٠,٠٠٠

١) كانت المانية في بدء القرن التاسع عشر تتركَّب من عدَّة ممالك مستقلَّة منها كاثوليكيَّة ومنها غير كاثوليكيَّة ٢) ان لهبوط عدد الارلنديين الكاثوليك ثلاثة اسباب اولاً:

واذا اضفنا الى هذه الدول عدَّة بلاد مستقلة او ذات شرائع مخصوصة لم نحسبها كجمهوريَّة اندرو (١٢٠٠٠) وجزيرة مالطة (١٤٠٠٠٠) وجزائر باليار (٢٨٠٠٠٠) ولختنستين (١١٠٠٠) ولكسمبرج (٢١٨٠٠٠) وموناكو (١٠٠٠٠) وسان مارين (٩٠٠٠) وغيرها وجدنا انَّ الكاثوليك زادوا في الدول الكاثوليكيَّة نحو ٣٨ مليونًا

بيد ان هـذا نموّ العدد لا يستحقُّ اعتبارًا وحدهُ لولا ان مؤمني اوربَّة ترقّوا ايضًا في الروح الكاثوليكي والتديُّن. وقد ظهر ذلك فيهم بشواهد ناطقة ودلائل بيّنة صادقة منها بطلان البدع وزوال الاضاليل التي كانت ضربت اطنابهـا في ظهرانيهم كالبدعة الجنسينيَّة والمذهب الغلّيكاني (Gallicanisme) والآراء اليوسفيَّة (José-phisme) الى غير ذلك من الشيع التي كانت تناقض المعتقدات الدينيَّـة وتُناصب ارباب السلطة. وهي كلهـا اليوم قد اضحت اثرًا بعد عين. ومن هذه البيّنات الوئام العجيب الذي نراهُ في اوربَّة في عهدنا بين جميع الاساقفة وامام الاحبار فان رعاة البيعة معتصمون بالكرسي الرسولي اعتصامًا غير منفصم لا تكاد تسمع انَّ احدهم يعـدل ذرَّة عن اوامر نائب المسيح وتعاليمهِ. ومنها ايضًا انتشار الجمعيَّات الخيريَّة والاعمـال المبرورة التي تُعدُّ آية من آيات هذا العصر الذي دُعي قرن المبرَّات وجيـل المُنشآت الخيريَّة. ومنها غيرة الكاثوليك الملتهبة لخلاص الوثنيـين وغير المؤمنين فانَّ الرسالات الكاثوليكيَّة بلغت في ايَّامنا ما لم تبلغهُ سابقًا. واذا استقريت انحاء المسكونة لا ترى منها زاوية خالية من المرسلين الذين ينشرون لواء الدين والفضيلة بين كل المتسكّعين في ظلال الموت. وقد قلنا آنفًا انَّ هذه الرسالات كادت تدخل في خبر كان في اوائل القرن التاسع عشر. امَّا اليوم فتراها زاهيةً نامية يقرُّ باعمالها العجيبة اعداء الكنيسة فضلًا عن الكاثوليك. وعدد المرسلين يناهز ١٤٠٠٠ رجل من الرهبان وغيرهم و ٤٢٠٠٠ الف راهبة (١ هجروا الاوطان ونبذوا كلَّ ملاذّ الدنيا ليبشّروا بالمسيح. ولفرنسة في هذا العمل الخطير الحظ الاوفى فانَّها وحدها تُرسل الى خمس قارات العالم ١٢٠٠٠ مرسل و ٣٥٠٠٠ راهبة وهي تقوم بمعاشهم وتعضد مشروعاتهم الرسولية

الجاعات التي حدثت في ارلندة فاودت بحياة عدد لا يحصى من السكان. وثانيًا مهاجرة الارلنديين الى اميركة واوستراليا. وثالثًا الاضطهادات الفظيعة التي قاسوها في سبيل دينهم

١) وفي سنة ١٨٠٠ لم يوجد ولا راهبة واحدة منقطعة الى الرسالات

٢ (الدول غير الكاثوليكيّة) امَّا نموّ الكثلكة في الدول الاوربيَّة غير الكاثوليكيَّة فهو امرٌ اعجب لا يمكن نسبتهُ الَّا الى قوَّة الحقيقة التي كحلت عيون الضالّين فانارت عقولهم وعدلت بهم الى حظيرة المسيح. وهاك خلاصة تاريخ هذا الازدياد الغريب

(انكلترة وسكُتلند) كانت الكثلكة في انكلترة وسكُتلند في بدء القرن التاسع عشر في حالة يُرثى لها. فان الكاثوليك لم يكادوا يتجاوزون ١٢٠,٠٠٠ عدًّا يسوسهم ستَّة نوَّاب رسوليين وكان مواطنوهم يحيدون عنهم وينفرون بل يُلحقون بهم انواع الاذى لدينهم. امَّا في السنة ١٩٠٠ فقد اربى عدد الكاثوليك على ٢,٠٠٠,٠٠٠ في كلا البلدين يرعاهم ثلاثة رؤساء اساقفة (احدهم كردينال) و ١٨ اسقفًا ونيّف و ٣٠٠٠ كاهن عالمي وقانوني. وقد شيَّد الكاثوليك في مطاوي هذا العصر ١٢٠٠ كنيسة او معبد ولم يكن لهم قبلًا الَّا ٦٠ مصلًّى فقط ثمَّ فتحوا ١٤٠٠ مدرسة ابتدائيَّة و ٣٠ مدرسة للدروس الثانويَّة والعلوم الخاصَّة يتقاطر الى هذه المدارس ٣٠٠,٠٠٠ طالب منهم في لندن وحدها ٢٧٠٠٠ دارس. امَّا عدد المتمذهبين سنويًّا بالدين الكاثوليكي من الشيع البروتستانيَّة فيبلغ ستة آلاف اكثرهم من الذوات والاعيان ودعاة الدين. حتى انك لا تكاد اليوم ترى أُسرة واحدة شريفة تخلو من بعض الاعضاء الكاثوليك. وفي دار الندوة ومجلس الاعيان عدد غفير من ابناء الكنيسة لهم فيهما نفوذ عظيم. هذا فضلًا عن جملة مراتب عليا فاز بها الكاثوليك واستحقوا ثناء الجمهور كولاية الهند ونظارة لندن العموميَّة. فما تقول النشرة الاسبوعيَّة بعد هذا أترى انَّ الكثلكة في انكلترة في تقهقر كما تزعم ؟. ولم يكتفِ الكاثوليك الانكليز بكل ذلك فانَّهم قد فتحوا مدرسة كبرى في ميل هيل ليخرّجوا بها كهنة من المرسلين غايتهم ان يبثُّوا الدين الكاثوليكيّ في انحاء المعمور لا سيَّما الاملاك الانكليزيَّة

(هولندة) وان وجَّهنا النظر الى هولندة وبحثنا عن ترقّي الكثلكة فيها وجدنا امرها اعجب من انكلترة. لم يمرّ على هذه الدولة سبعون سنة مذ كان فيها الكاثوليك في اسوإ حال يذيقهم ملكهم غليوم دي نآسو ضروب النكال. وكان عددهم في بدء القرن التاسع عشر نحو ٣٥٠,٠٠٠ اعني ثُمن سكّان هولندة. وقد صارت حالهم اليوم على غاية ما يُرام فانَّ عددهم قريب من المليونين يسوسهم رئيس اساقفة مع اربعة اساقفة و ٣٠٠٠ كاهن فاضحوا نحو نصف سكان الدولة. امَّا نفوذهم فحدّث عنهُ ولا حرج

فتراهم اكتسبوا ثقة ملكهم ومواطنيهم يساعدون ذوي الامر في كل المناصب الشريفة ويقاومون الثورة والفتن حتى اقرّ البروتستانت انهُ لولاهم لتلفت المملكة وذهبت شذر مذر وترى اليوم ثلاثة وزراء منهم في شورى الدولة. وما يزيد الكاثوليك فرحاً انهم يرون اخوتهم المنفصلين عنهم بالمذهب يجحدون اضاليلهم افواجاً فيدينون بالدين القويم

ومما يلحق بهولندة دوقيَّة لكسمبرغ بين بلجكة وبروسية وفرنسة واهلها في عهدنا جميعاً من الكاثوليك اللهمَّ الّا الفين منهم في جملة ٢٢٠٠٠٠ نفس. وروح الدين في هذه الدوقيَّة معزَّز والفضائل المسيحيَّة مزدهية نامية

(سويسرة) قد امتحن الله ايضاً مؤمني سويسرة في بوتقة التجارب والاضطهادات فخرجوا من نار المحن كالذهب الابريز فانَّ الكثلكة قد تأصلت في ايالاتها الكاثوليكيَّة فزاد اهلها تمسُّكاً في الدين وغوًّا في كل اعمال الصلاح. امَّا الايالات غير الكاثوليكيَّة التي لم يجسر ان يدخلها كاهن كاثوليكي في القرن الماضي فانها فتحت ابوابها للدين الحقّ فنموا نموًّا عجيباً حتى صار لهم اليوم القول الراجح

مثال ذلك انَّ مدينة برْن لم يكن فيها الّا ٥٠٠ كاثوليكيّ سنة ١٨٠٠ وهم اليوم اكثر من ٦٠٠٠ وكانت زوريخ وطن زوِنْغل خاليةً من الكاثوليك وهم اليوم ٣٨٠٠٠. واعجب من ذلك ان جنيفا معقل المذهب البروتستاني قد اضحى فيها البروتستانت اقل من الكاثوليك فكانوا ٢٠٠ سنة ١٨٠٠ وهم الان ٦٨٠٠٠

واذا راجعنا القائمة الاخيرة التي اصطنعتها الحكومة السويسريَّة وجدنا ان عدد الكاثوليك بلغ ستَّة اضعاف ما كان عليهِ في بدء القرن التاسع عشر فكانوا سنة ١٨٠٠ نحو ٤٢٢٠٠٠ وهم اليوم ١,٢٣٣,٠٠٠ لا يزيد عليهم البروتستانت سوى بمئتي الف في كل سويسرة. وللسويسريين نائب رسولي وستة اساقفة و ٦٠٠٠ كاهن انعشوا فيهم روح التقوى والغيرة واحيوا الفضائل السامية التي جعلتهم من افضل اهل زمانهم

(بلاد بريم وهمبورغ ولوبيخ) لم يكن للكثلكة اثر في هذه البلاد في غرَّة العصر المنصرم. والكاثوليك فيها الآن نيِّف و ٣٦٠٠٠ منهم ٩٠٠٠ في بريم و ٢٥٠٠٠ في همبورغ و ٢٠٠٠ في لوبيخ. وقس على ذلك إبلادًا كثيرة من شمالي المانية

(دنيمرك واسوج ونُرْوج) كان الدين الكاثوليكي منفيًا من هذه الدول في القرن التاسع عشر حتى انَّ اهل تلك البلاد كانوا يعاقبون بالموت كلّ كاهن كاثوليكي

يبشّر بالايمان بينهم ودامت هذه الحال الى سنة ١٨٤٠ . امَّا اليوم فقد هبَّت بينهم روح الحرّيَّة فاطلقوا سراح الكنيسة الكاثوليكيَّة واخذ المؤمنون في الانتشار وهم اليوم قريب من ١٠,٠٠٠ يرعاهم ثلاثة نوَّاب رسوليّين وكانوا في السنة ١٨٠٠ نحو ٢٠٠ فقط . وقد دخل اليسوعيُّون تلك البلاد وفتحوا في كوبنهاغ مدرسةً كبرى يدرس فيها عدد غفير من البروتستانت فضلًا عن الكاثوليك . وقد اثنت الحكومة المحليَّة مرارًا على همة المرسلين ونزاهتهم وفضائلهم وهي اليوم تنشّطهم على الإقدام في العمل

(روسيَّة) لا يسعنا هنا ان نفيض في الكلام عمَّا اثارتهُ الدولة الروسيَّة من ضروب الاضطهادات لماكسة الكثلكة في امصارها فانَّ صدى اوجاع الكاثوليك رنَّ في كلّ الاقطار المتمدّنة حتى ان الاحبار الرومانيين احتجُّوا دفعات عديدة على هذه المعاملات بازاء كل الدول طالبين من عدل القياصرة ان يفرجوا كربة الكاثوليك و يردّوهم من منفاهم في سيبرية وليس لهم ذنب الَّا اعتصامهم بحبل دينهم . هذا وقد افادتنا بعض الجرائد ان حال الكاثوليك في روسيَّة قد تحسَّنت مذ تبوَّأ عرش السلطنة القيصر الحالي نيقولا الثاني ولهم الامل الوطيد انهُ سيزيدهم حرّيَّة اذا ما عرف حسن نيَّاتهم وامانتهم في خدمة دولتهِ . امَّا عدد الكاثوليك في روسيَّة فينيف على ٧,٤٠٠,٠٠٠ منهم ٧,٣٠٠,٠٠٠ يتبعون الطقس اللاتيني في پولونيا وموهيلاف والباقون من الطقس اليوناني يُعرفون بالاونيات او الروثان . وكان عدد هؤلاء نحو الف الفٍ في بدء القرن التاسع عشر تتبَّعهم اصحاب الامر بكلّ اصناف العذابات حتى لم يبقَ منهم الَّا ١٠٠,٠٠٠ يتستّرون لممارسة دينهم وفي كل سنة يرسل الحبر الاعظم مرسلين يسوعيين خفيةً ليمنحوهم الاسرار في ظلمات الليل . وقد عرفنا من هؤلاء بعضهم اكتشف عليهم الروسيُّون فزجُّوهم في السجون لم يخرجوا منها الَّا بعد السنين الطوال

(شبه جزيرة البلقان) تشمل شبه جزيرة البلقان بلادًا عديدة ازهرت فيها الكثلكة في خلال القرن التاسع عشر . منها البشناق (Bosnie) والهرسك (Herzégovine) فانَّ الكاثوليك كانوا فيها في اواسط القرن السابق فئة لا يربون على ٢٥٠٠٠ وهم اليوم ٣٣٤,٠٤٢ (كما ورد في السالنامة الرسميَّة) تحت ادارة رئيس اساقفة ساراجڤو وثلاثة اساقفة آخرين

ومنها رومانية فقد نما فيها عدد الكاثوليك حتى صار ١٦٠,٠٠٠ ولم يكن قبل

مئة سنة يتجاوز ١٦,٠٠٠ . ولاهل رومانية رئيس اساقفة في بكرش او بوخارست واسقف في جتّي يساعدهما في فلاحة كرم الرب ٩٠ مرسلًا من رهبانيّات شتى

ومنها السرب يمجّد الله فيها ٢٠,٠٠٠ كاثوليكي بعد ان كان عددهم محصورًا في ٦٠٠٠ نفس في مفتتح القرن السابق

ومنها البلغار فقد صدحت في ظهرانيهم الكرازة الكاثوليكيّة فأتت باثمار طيّبة بهجة المرسلين . الّا ان شيطان الفتن تعرّض لغيرتهم وتمكّن من زرع الزوان في حقل رب البيت . ومع ما لحق البلغار الكاثوليك من البلايا فعددهم اليوم ١٤,٠٠٠ وقد كانوا في اواخر القرن السابق بضع مئات فقط . والى البلغار يُضاف كاثوليك روملي الشرقيّة التي عاصمتها فيلبّه وهم لا يقلون عن ١٦٠,٠٠٠ فيكون المجموع ١٧٤,٠٠٠

ومنها البانيا يسوس المؤمنين فيها رئيس اساقفة مركزهُ في اشكدار وثلاثة اساقفة وعدد الكاثوليك فيها ١٠٠,٠٠٠ وكانوا في سنة ١٨٠٠ اقل من ٥٤٠٠٠

ومنها الجبل الاسود وكان الكاثوليك فيهِ سنة ١٨٧٨ شرذمةً لا يزيدون عن ٣٠٠ ولهم اليوم اسقف في انتيفاري وعددهم ينيف على ١٢٠٠٠

ومنها اخيرًا تركيّة اوربّة التي عاصمتها الاستانة العليّة . فان الكنيسة الكاثوليكيّة تحت ظل الاريكة العثمانيّة السنيّة قد افلحت فيها ونمت حتى صارت اشبه بشجرة باسقة وارفة الافنان وكانت في بدء القرن السابق كحبّة الخردل التي اشار اليها الانجيل الطاهر . وكان عدد الكاثوليك في تركية اوربّة في سنة ١٨٠٠ نحو ١٢٠٠٠ ضائعين في عداد سكّانها وهم اليوم اكثر من ١٦٠,٠٠٠ ترى منهم في حاضرة الدولة وحدها نحو ١٠٠,٠٠٠ ينقسمون الى كاثوليك لاتينيّين عددهم فوق ٥٠٠٠٠ وكانوا ٨٠٠٠ في غرّة الجيل المنصرم ثم الى كاثوليك بلغار من الطقس الشرقي نحو ٣٠,٠٠٠ وكلهم ممن ارتدّوا الى حجر الكنيسة في اثناء هذا القرن ثم ارمن كاثوليك ١٠,٠٠٠ . امّا الباقون فهم من طقوس شرقيّة مختلفة كروم يونان كاثوليك وروم ملكيين وسريان الخ . وفي الاستانة نائب رسولي هو اليوم الحبر الجليل صاحب المآثر العديدة السيد بونتّي يساعدهُ نحو ٢٥ كاهنًا عالميًّا و ١٥٠ راهبًا من رهبانيّات شتى و ٨٠٠ راهبة للمستشفيات والميتام ومدارس الاناث

(اليونان والارخبيل) للكنيسة الكاثوليكيّة في اليونان والارخبيل سهم فائز

في القرن التاسع مع ما تصدّى في سبيلها من العوارض. فان في اثينة رئيس اساقفة يتقلد زمام رعيّة تناهز ٢٠٠٠٠ نفس. امّا الارخبيل فيدبّر مؤمنيهِ رئيس اساقفة مركزه في جزيرة نكسس وثلاثة اساقفة في سنتورين وساقز (Chio) وسيرا ثم نائب رسولي في كريت ويبلغ عدد الكاثوليك في هذه الجزائر ١٥,٠٠٠

هذه حالة الكثلكة في اوربَّة في آخر القرن التاسع عشر فانَّ اولادها الذين يجرون بمقتضى سنتها سواء كانوا في البلاد الكاثوليكيّة او الدول غير الكاثوليكيّة قد بلغوا من النموّ والانتشار ما لم نجدهُ في غيرهم. فهم اليوم نحو ١٩٠,٠٠٠,٠٠٠ ولم يكونوا في القرن الاخير سوى ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ فتكون زيادتهم ٥٠,٠٠٠,٠٠٠

أفليس لابناء الكنيسة ان يمجدوا الله ويسبّحوهُ عن العظائم التي صنعها في بيعتهِ مع اننا لم نذكر في الغالب الّا مجرَّد عدد الكاثوليك ولم نصف شيئًا من اعمالهم المبرورة ومساعيهم المشكورة في سبيل الله وخدمة الدين والوطن. غير انَّ هذه العجائب الرَّبانيَّة مع عظم خطرها ليست ادنى شأنًا في بقيَّة قارات العالم كما سترى في عدد قادم

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تابع لما سبق)

(القربة المنفوخة) واغرب من القفة والكلك ركوب النهر على القربة المنفوخة وذلك لن العراقيين يأخذون اليوم جلد الماعز او جلد التيس وبعد دباغتهِ يخيطون اطرافهُ الّا من مكان واحد فيتركونهُ مفتوحًا وهو حلق القربة وعند قطع النهر ينفخهُ صاحبهُ ويربطهُ عند حلقهِ بخيط وهو الوكاء ثم يستبطنهُ او يغمرهُ عند صدرهِ او يتأبطهُ او يجعل نصفهُ بين ساقيهِ والنصف الآخر تحت بطنهِ ثم يربط ثيابهُ على رأسهِ ويأخذ بقطع النهر مسافة خمسمائة متر عرضًا بشرط ان يحرّك رجليهِ حركات دفاعيَّة. وعند وصولهِ الى الضفة الاخرى من النهر يلبس ثيابهُ ويفشّ الوَطب بحلّهِ للوكاء ثم يتأبطهُ عائدًا الى منزلهِ

هذا هو اذن مركب الاشوريّ او البابلي الفقير الذي لا يعرف السباحة وليس في

يدهِ من حطام الدنيا ما يدفع اجرة العبور وكان العسكري الاشوري يتأبط قربتهُ رابطاً ثيابهُ على رأسهِ حاملاً ترسهُ على ظهرهِ ماسكاً سلاحهُ بيدهِ ويجوز النهر الى الضفة الثانية ليطارد عدوهُ وربما صارعهُ وهو بعد في منتصف النهر راكباً قربتهُ. قال المسيو جول اوبير: « رأيتُ مراراً عديدة على عاديّاتٍ صوراً محفورة تمثل رجالاً يسبحون وهم متأبطون قربة منفوخة تخلُّصاً من الغرق. فهذه الطريقة يستعملها غالباً العسكر الاشوري ليتمكَّن من حمل سلاحهِ الثقيل ويستعملها ايضاً الاشوريون الجاهلون فنَّ السباحة ولم يزل العراقيون في ايامنا هذه يستخدمون هذه الواسطة لقطع النهر والعرب خصوصاً يصارعون عدوهم وهم راكبون القربة وبيدهم الرمح وعلى كتفهم البارودة » اه

قال المسيو غليوم ليجان في رحلتهِ الى العراق: « أرى رجالاً يقطعون النهر وهم متأبطون القربة المنفوخة وكلهم عراة الجسم ويستر عورتهم لباس قصير من الخام الازرق وثيابهم ملفوفة حول رؤوسهم على مثال العمامة. وبعد وصولهم الى شاطئ النهر يلبسون عباءتهم ويحملون القربة او القربتين على كتفهم ويذهبون في حال سبيلهم » اه (٢

وفي متاحف اوربَّة للعاديّات عدَّة قطع تدعم لنا صحَّة وجود القربة في عهد الاشوريين والبابليين مثال ذلك صورة ناتئة هي وصلةٌ من جدران قصر قيوجك تمثل رجالاً اشوريين يقطعون النهر على قرَب منفوخة وهي تُصان في المتحف البريطاني

ولم يستعمل القدماء القربة فقط لقطع النهر بل ايضاً لنقل الماء بها اماً للسفر واماً لمنازل اهل المدن وكان ذلك جارياً حتى عند عرب الحجاز قال هيرودوتس: « ولمَّا عقد ملك العرب عهدهُ مع رسل قمباسوس ملأَ من الماء قِرَباً وحملها على كل الجمال التي كانت في اوديتهِ ولمَّا تمَّ ذلك اخذوها الى الاماكن القاحلة ومضى الى هناك ينتظر جيش قمباسوس » (٣

واذا مررتَ اليوم في طرق بغداد او البصرة اوقفك عن المسير ازدحام السقَّائين برهة من الزمان وكلهم قد حملوا قرَبهم على الحمير لنقلها الى الدور واذا قصد العراقيون

---

١) Jules Oppert : *Expédition scientifique en Mésopotamie*, T.I, p. 81

٢) Guillaume Lejean : *Tour du monde*, 2e *Semestre*, p. 50 - 1867

٣) Hérodote : l., III. 1861

السفر الى أطراف شاسعة اخذوا معهم قرَبًا ملآنة ماء وعلّقوها أمامهم على ظهر الدابة وهذا ما سماهُ العرب بالإداوة

ويحسن بنا هنا ذكر واسطة اخرى لقطع النهر اخفّ كلفةً من القربة واقوى منها في الصلابة لا تقوى على اتلافها عوامل الطبيعة الّا بعد مدَّة مديدة من السنين. وهي واسطة خفيفة الحمل عظيمة الفعل ألا وهي كَرَب النخل وهو اصل السعَف ترى اليوم العراقيين من صغارهم حتى كبارهم اذا عزموا على تعلم السباحة ربطوا على بطونهم اربعة او خمسة اكراب الواحد بجنب الآخر وكلما تقدَّم الواحد في فن السباحة وتمكَّن منها درجةً رمى بواحدٍ من هذا الكرَب حتى يأتي على آخرها وكل ما كان الكرب كبيرًا عريضًا عظمت قيمتهُ. وعندي لو استبدلت مراكبُ البحر قطعَ الفلّين بالكرب لبقي في صندوقها الخاص مبلغ عظيم من الدراهم. وزد على ذلك ان الفلّين سريع العطب تفعل فيهِ الحشرات فعل النمل في اتخاذ مساكنها في طبقات الارض. ولم أرَ للكرب ذكرًا في كتب التاريخ ومع ذلك كلهِ لا يخامرني الريب بان الاشوريين والبابليين لم يسهوا عن استعمالهِ لهذه الغاية اذ النخل كان في عصرهم. تُرى أفاتتهم هذه المعرفة بينما كانوا ينتفعون بالنخل على طرائق شتى حتى بخوصهِ. كيف لا وعدد من المؤرخين القدماء يخبروننا ان: « عند العجم غناء لطيفًا بعدّ للنخل ٣٦٠ منفعة متباينة » (١

الصيد في النهر

كان الاشوريون والبابليون كثيري الولع باكل سمك الفُراتَين. وقد استنبطوا طرائق متعدّدة لصيدهِ بسهولة لا مزيد عليها منها الصنّارة (والعراقيون يسمونها الفتالة) والشصّ. فيأخذ السمّاك الصنارة ويجعل الطُعم فيها ويرميها في الماء على خيرة الله بعد ما يبصق على الطعم ثم ينتظر فريستهُ ساعات متوالية تحت شمس العراق المحرقة غير مبالٍ بالصداع ولا بالحمى ولا يلفت نظرهُ يمينًا ولا شمالًا وهو قد جلس القرفصاء على حافة النهر عاري الساقين بلا سراويل مكشوف الذراعين والصدر لا يستر جسمهُ سوى ثوب قصير من الخام الابيض او الازرق او قباء من الصوف الخشن الحياكة ويسمَّى عندهم

(١ Strabon XIV, I. 14 ; Théophraste : *Hist: Plant*. II, 2. ; Pline : *Hist.* Nat. XIII. 4

« بالبشتْ » وفي رأسهِ ما يسمونهُ باليَشماغ وهي كوفية من القطن المغزول ملفوفة حول العرقچين (العرقيّة) . واذا احسَّ بان السمكة تأكل الطعم تمكّن حينئذٍ من الخيط احسن التمكّن ونتل الصنارة بخفّة تباري سرعة البرق واخرجها من الماء ثم يأخذ فريستهُ ويشكر ربّهُ ويربطها بخيط ثانٍ ويتركها على حدقٍ في الماء بجانبهِ وهي ترقص حزنًا وألمًا حتى يصطاد غيرها وهكذا يجري في عملهِ طول النهار اذا لم يرزقهُ الله كفايتهُ

امّا الطُعم فعبارة عن دودة صغيرة حمراء او سوداء يبحث عنها السمّاك في بطن الشطّ او في حافة السواقي او في الاحواض وهي من الدود المسمى بالخراطين وقد يكون الطعم ايضاً قطعة من العجين البارد الغير المختمر او وصلة من اللحم او من احشاء السمك المنتنة

وبالصنّارة يُصطاد السمك الصغير والوسط . امّا الكبير فيصطادهُ الشص وهو عبارة عن صنارة خشنة متينة ويُربط بالخيط على بُعد مترين من الشص قطعةٌ من الرصاص غايتها تغطيس الصنارة الى قعر الماء حيث يسكن السمك الخشن . والطعم هو امّا قطعة من التمر او من اللحم او وصلة من احشاء السمك ويختار السمّاكون اعتياديًا لصيد السمك الساعات الاولى من النهار وذلك قبل مجيْ السقّائين والكارين وغيرهم الى النهر

هذا ولو طالعت الصفحة العاشرة من كتاب فرنسوا لنورمان لوقفتَ على صورة مأخوذة عن قطعة من برج نمرود تمثّل صيّادًا اشوريًا بيدهِ خيط الصنارة قاعدًا القرفصاء على حافّة دجلة مكشوف الرأس والصدر والذراعين عاري الساقين على جسمهِ ثوب من القطن نازل الى ما فوق الركب وعيناهُ محدّقتان الى النهر وتطابق هيئتهُ كل المطابقة لصيّادي الفراتَين في يومنا هذا (١

لكن شيئًا واحدًا يفرق الصيّاد الاشوري او البابلي عن صيادنا العراقي وهو ان الاول يعتني اعتناء فائق العادة بجدل لحيتهِ وشعر رأسهِ جدلاتٍ رفيعة دقيقة ولا يهتمّ بغطاء رأسهِ كما يفعل الثاني الذي يترك لحيتهُ وشعر رأسهِ باوساخهما بشرط ان يلبس العرقيّة واليشماغ قبل كل شيء تحفّظًا من ضربة الشمس القاضية

---

١) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*. T. IV, p. 10

السقي

كان الاشوريون او البابليون يسقون زرعهم من القراتين بواسطة الدلو يشهد لنا بذلك نصّ احدى العاديّات وهو : «. . . . . يستقي الماء (لسقي الارض) . . . ويحرّك الدلو لسحب الماء الخ » (١

كانوا يقيمون على جرف النهر عمودًا مبنيًّا بالطاباق وفي اعلاهُ عند الوسط يتركون شقًّا على عرض العمود ليُدخل فيهِ القضيب المربوط بهِ الدلو بحبل طويل ينزل الى غمر النهر . ولمّا يقصد الفلاح جرّ الماء يقبض على طرف القضيب ويرفعهُ عن الارض مقدارًا كافيًا حتى ينطس الدلو في النهر ثم يرجع فيضغط على القضيب ثانية حتى ينشل الدلو من الماء فيجذبهُ اليهِ بحركة دوريَّة صغيرة فيتلقاهُ من الجهة الاخرى ويُفرغهُ في ساقية خصوصيَّة طويلة المدى توصِل الماء الى أطراف الزرع . وكلما كان القضيب طويلًا قلَّت قوَّة الضغط عليهِ والعكس بالعكس واصول ذلك مبنية على شرائع الحَل . وحسبك شرحًا ان تتأمل مليًّا الرسم المطبوع في كتاب لنورمان الصفحة ٧٥ من المجلد الرابع وهو مأخوذ عن صورة ناتئة وجدت في قصر الملك اشور بانيبال وهي تمثل رجلًا اشوريًّا يجرُّ الماء بالدلو على هذا النسق من نهر دجلة (٢

ولم يزل هذا المسقى معروفًا في البصرة ونواحيها الى يومنا هذا . وكذلك في بلاد مصر وهو الذي يعرف عندهم باسم الشادوف وعربيَّتهُ الفصيحة المِنزَفة اما في سائر العراق فيستعملون ايضًا الدلو للسقاية ولكن بطريقة اسهل وذلك كما سترى :

يبتدئ اولًا الفلاحون بان يحفروا امام بستانهم بئرًا عميقة عريضة مدورة الشكل لها قناة مكشوفة للهواء او مستورة تحت الارض تُوصل النهر بالبئر كيلا ينقطع عنها الماء وفي موسم نَضب المياه يضطرُّ الفلاحون الى تطويل تلك القناة بحفرها وسط الارض الجديدة البارزة من تحت المياه وهي ما يسمونها عندهم بالراط . وعند حافة البئر على مساواة الارض من صوب البستان ينصبون بكَرة من خشب قائمة على عمودين من خشب ايضًا وعالية عن سطح الارض مقدار متر واحد ونصف متر . وعلى هذه البكرة يمرُّ الحبل المربوط بهِ الدلو . ويُربَط الطرف الثاني من الحبل بنير الدابَّة ولكل دلو

(١ Lenormant : *Etudes accadiennes.* T. III p. 17

(٢ Lenormant : *Hist. Ancienne des peuples de l'Orient.* T. IV p. 75

بكَرة ودابّة. فاذ يحتاج صاحب البستان او الزارع الى اربعة او خمسة دلاء يُقتضى لهُ اربع بكرات واربع دواب لا مناص منها ويقتضى لهُ اربعة اشخاص يسوقون الدواب. امّا الدابّة فتجرّ الدلو من البئر بسهولة وذلك انها تنزل حفرةً مصنوعةً قدام البكرة من جهـة البستان على مثال الدرج يسمونها ميداناً والدابة تنزلها قليلًا قليلًا على مهل يرافقها الفلاح حتى يصب الدلو في الساقية المخصصة لذلك. ثمَّ يرجع فيصعد مع الدابة الى اعلى الحفرة عند البكرة وهكذا ينزل ويصعد طول النهار وقسماً من الليـل حتى يشبع زرعهُ ماء. والعراقيون يطلقون لفظة «چرد» او «كُرد» على هذه البئر وما يتعلق بها والكلمة فارسيّة مشتقّة من كُرْدَن اي حمل وكان العرب في ايام الخلفاء العباسيين يسمونها غرْبًا. غير ان الفرس لمّا عظم نفوذهم في هذه البلاد دخل لغةَ هذه النواحي اصطلاحات اعجميّة كثيرة (الباقي للآتي)

رسالة عقليّة

في وجود الباريْ تعالى وكمالاتهِ واقانيمهِ (تتمّة)

تأليف بولس الراهب اسقف صيدا الانطاكي الملكي

الباب الخامس عشر

في قولنا اب وابن وروح قدس اله واحد

وربَّ (١ قائل يقول ان قولك الذي قدّمتـهُ في توحيد الباريْ سبحانهُ وتعالى يخالف اعتقادكم لان النصـارى يقولون ان الله تعالى آبٌ وابن وروح قدس وهذا القول يدلُّ على ثلثة لا على واحد لانّ الآب غير الابن والابن غـير الاب والروح القدس غير الاب والابن فمن ههنا قلنا ان قولكم يخالف اعتقادكم فان كان (٢ عندكم ما يزيل ظنّ كل مخالف لمذهبكم في انكم تعتقدون ثلثة آلهة فاوردوهُ لنعلمهُ لاسيما ان الاب عندكم إله تامّ والابن إله تامّ والروح القدس إله تام

---

١) وبروى: ولربَّ ٢) وبروى: وان يكن

فاقول في ذلك مستمدًّا العون والتوفيق من الباريْ تعالى (١ اننا معشر النصارى المؤْمنين لمَّا رأينا حدوث الاشياء علمنا انَّ [شيئًا] غيرها أحدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذاتها لما فيها من التضادّ (والتقلب) فقلنا انهُ شيء لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لننفي العدم عنهُ . ورأينا الشيء [ينقسم] قسمين شيءٌ حيّ وشيءٌ غير حي فوصفناهُ باجلّ القسمين فقلنا حيّ لننفي الموتانيَّة عنهُ . ورأينا الحيّ ينقسم قسمين حي ناطق وحي غير ناطق فوصفناه بافضل القسمين فقلنا ناطق لننفي الجهل عنهُ والثلثة الاسماء هي إلهٌ واحد (وهو الإله) الذي لا يتبعَّض ولا يتجزأ فلا هو ثلثة بمعنى ما هو واحد اي ليس هو ثلاثة ذوات بل ذات واحدة ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلثة اي ليس هو صفة واحدة بل ثلاث صفات (٢ فالذات الذي هو عندنا الاب الشيء (٣ والابن النطق والروح القدس الحياة . وهذا رأينا ومعنى قولنا ان الباريْ سبحانهُ وتعالى إله واحد ووَصفنا لهُ بثلاث صفات جوهريَّة وقولنا انهُ ابٌ وابنٌ وروحٌ قدسٌ نريد بذلك انَّهُ تعالى شيء حي ناطق . كقولك لهيب النار وضوء النار وحرارة النار وهي نارٌ واحدة ليست ثلاثة نيران . وكقولنا قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس وهي شمس واحدة وليس ثلث شموس . وكقولنا عقل الانسان ونطق الانسان وحياة الانسان وهو انسان واحد وليس ثلثة اناسيّ

الباب السادس عشر

[في رأينا] في الابوَّة والبنوَّة

واماَّ قولنا اب وابن فالابوَّة والبنوَّة قد تكونان على وجهين اماَّ ابوَّة [كثيفة وبنوة] كثيفة بمباضعة وتناسل وتقدُّم الاب قبل الابن وتأَخُّر الابن عن الاب مثل زيد عن ابيهِ واماَّ ولادة لطيفة (بغير مباضعة ولا تناسل ولا تقدُّم ولا تأَخُّر) كولادة العقل للنطق وولادة قرص الشمس للضوء والروائح الطيبة من الشيء المولودة منهُ . والى هذا المعنى ننحو في قولنا اب وابن لا الى المباضعة والتناسل . فاماَّ الروح القدس فهو حياة الباريْ تعالى لانهُ لا يكون عاقل ناطق الَّا حيًّا وهذا انما (٤ يزيل الظن فينا

١) ويروى : من الله سبحانهُ وتعالى ٢) يريد هنا الصفات الشخصيَّة كما شرحنا ذلك في المشرق (راجع الحاشية ٢ من السنة ١ ص ٨٤١) ٣) يريد بالشيء المبدأ والاصل الذي منهُ يُصدر الابن والروح القدس وهذا الاصل لم يصدر عن مبدإٍ آخر

٤) ويروى : مما

اننا اذ قلنا اب وابن وروح قدس انّا نجعل لله ابناً من مباضعة وتناسل او انّ الاب قبل الابن والابن بعد الاب كما تكون الآباء والبنون معاذ الله من ذلك بل اعتقادنا ان الله تعالى لم يزل ابًا اي ناطقًا. ولم يزل الابن ابنًا اي نُطقة

الباب السابع عشر

في قولنا ان الاب إله تام والابن إله تام والروح القدس إله تام
وليس هم ثلثة آلهة بل اله واحد

واما قولنا ان الاب إله تام والابن إله تامّ والروح القدس إله تام وليس ثلثة آلهة بل إله واحد فيجري مجرى من معهُ ثلاث قِطَع ذهب مثل خاتم وسوار ودُملج فنقول عن كل قطعة من الثلث القطع انها ذهبٌ تامّ وليست الثلث القطع ثلاثة اذهاب بل ثلاث قطع والذهب واحد لان التثنية والتكثير لا يقعان على الجوهر بل على الاعيان

الباب الثامن عشر

في انهُ لا يجب ان تكون سائر الصفات التي يوصف بها الباريْ تعالى اقانيم

ولقائل ان يقول: فقد يُقال سميع بصير قادر رحمان جواد كريم رحيم وما شاكل ذلك من هذه الصفات فأضيفوا كل صفة من هذه الصفات الى الثلاثة الاقانيم (١ المقدَّم ذكرها فيصير ثلثين واربعين صفة واكثر من ذلك. فاقول ان اقتصارنا (٢ على الثلث الصفات المذكورة دون غيرها لانها صفات جوهريّة فاي صفة ذكرتَ غير الثلث تجرُّ معها جوهرًا آخر غير جوهر الباريْ تعالى. مثل ما اذا قلنا «قادر» فقد جرّت هذه الصفة معها جوهرًا آخر وهو المقدور عليهِ. واذا قلنا «جواد» فقد جرّت معها المجود عليهِ. واذا قلنا «سميع» فقد جرّت معها المسموع منهُ وما شاكل ذلك. واما اذا قلنا انهُ تعالى «شيء» فما تجرُّ هذه الصفة معها جوهرًا غيرهُ واذا قلنا «ناطق» لم تجرّ معها جوهرًا سواه واذا قلنا «حيّ» فلم تجرُّ معها جوهرًا غيرهُ. فهذه ثلث صفات جوهريّة كلّ صفة منها غير الاخرى والاله واحد. امّا بقيّة الصفات فهي صفات لواحق ليست بجوهريّة

الباب التاسع عشر

في كيف وعلى اي معنى يسمى السيد المسيح ابن الله

فان قال قائل: فكيف تسمّي السيد المسيح ابن الله وهو ذو جسم داخل عليهِ

١) ويروى: الثلاث الصفات ٢) ويروى: اختصارنا

الاعراض والحدود التي يُحدّ بها البشريون قلنا ان السيد المسيح عندنا (متّحد من) قديم ومحدث. فالقديم الكلمة المولود من الذات الذي هو العقل قبل الدهور الذي بهِ خُلق كل ما يُرى وما لا يُرى من الكثائف واللطائف اعني النطق الذي بهِ خُلقت السماوات والارض وما بينهما. والمحدث (هو الناسوت الذي اتّحد بهِ) وهو المولود من السيدة مريم الذي لهُ ابتداء وداخلٌ عليهِ الحدود وقابل الاعراض. فهو إله من حيث هو قديم ازلي وهو انسان من حيث هو ابن السيدة مريم. فعل المُعجزَ بلاهوتهِ واظهر العجز بناسوتهِ والفعلان للسيد المسيح الواحد. كما نقول زيد ميت مضمحلّ بجسده وزيد باقٍ غير ميت ولا دارس بنفسهِ والقولان يُطلقان على زيد واحد وكالحديدة التي يحميها الحدّاد بالنار حتى تصير نارًا ويطرّقها ويطويها ويقطعها فالشجّ والقطع والطي لطبيعة الحديد أمّا طبيعة النار فبريئة من ذلك بل تفعل ما في خاصّتها وهو الضياء والحرارة والاحتراق. فعلى هذا القياس رأينا في السيد المسيح وفي ولوده وفي نموهِ وآلامه. واما الظهور (اعني ظهور) القديم في المحدث فيجري مجرى حدوث العالم في انّهُ جودٌ وكرم في الباريءْ تعالى (عزّ وجلّ) (١

الباب العشرون

في كيف ان السيد المسيح إله اذ هو قديم ومحدث

فان قال قائل: فكيف تقولون ان السيد المسيح إله وهو مركّب من جوهرَين(٢ قديم ومحدث. قلنا اننا نقول ان السيد المسيح إله وان كان مركّبًا من جوهرَين قديم ومحدث لانهُ اذا اتحد الفاضل بالدون او اللطيف بالكثيف غلب اسم الفاضل على الدون واللطيف على الكثيف كما انهُ اذا اتحدت النار بالحطب لا يقال نار وحطب بل نار. وكما يقال عشرة انفس اذا كانوا عشرة اناس ولا يقال عشرة اجسام وكما اذا الانسان قسم بالانجيل او بزبور او قبّل احدهما فالقسم والتقبيل لما فيهما لا للورق والمداد وتبجيل المداد والورق لاتحاد كلام الله بهما وكونهما مصحفًا واحدًا. وكمثل ما اذا وصل الى انسان كتاب من انسان يجلّ قدرهُ عندهُ فيقبّلهُ ويضعهُ على عينيهِ فذلك اكرامٌ وتبجيلٌ لما فيهِ اما تعظيمهُ

١) يريد انّ ابن الله الذي هو اله قائم بذاتهِ منذ الازل انّما ظهر في الزمان في طبيعتنا البشريّة بلا اضطرار انّما حملهُ على ذلك جودهُ وكرمهُ كما انهُ خلق العالم جودًا وكرمًا غير مضطرّ الى خلقهِ

٢) ان لفظة الجوهر هنا بمعنى الطبيعة. والجوهران لاهوت المسيح وناسوتهُ

للكتاب فلاتحاد لفظ مرسلهِ بهِ من غير مفارقة للعقل الوالد للفظ

الباب الحادي والعشرون

في قول الفلاسفة ان الباري علّة العلل

اذ قد اوضحنا ما قصدنا بيانهُ واوردنا ما لا يُدفع برهانهُ ها نحن نورد كلاماً (١ يسيرًا في قول الفلاسفة ان الباري تعالى علة العلل. ونقول انهم لم يريدوا بذلك انهُ علّة للعالم. لانهم قالوا ان العلة ما اوجبت حكماً ما من غير ان يكون لها في ذلك الحكم فعلٌ ارادي والحكمُ مقتضٍ للعلة وموجبها ولذلك وجب ان يكون العالم قديماً. لكنّنا قد اثبتنا من دليل العقل الذي هو كالمحكّ والمعيار ومن العالم نفسهِ انهُ محدث مركّب من جواهر متباينة وليس يدلُّ العقل على ان يكون المركّب والمختلف الانواع والجواهر قديماً بقدم (الباري) الواحد البسيط الغير المركّب. واذ قد اتضح لنا ان ليس العالم معلولًا قديماً بقدم العلة الاولى بقي ان نبيّن ما المعلول الذي هو قديم بقدم هذه العلة. فنقول انهُ النطق والحياة الذي ليس للباري فيهما فعل ارادي واماً العالم فالباري تعالى هو علّتهُ الفاعلة والصانعة لا علتهُ الجوهريّة

الباب الثاني والعشرون

في البعث والنشور بعد الاضمحلال والدثور

اذ قد بيّنّا بدلائل عقليّة وبراهين منطقيّة واجوبة فلسفيّة وجود الباري تعالى ووحدانيّتهُ وقِدَمهُ وبقيّة ما تقدّم ذكره بقي ان نورد كلاماً يسيرًا مقنعاً ان شاء الله تعالى في البعث والنشور والمجازاة مقابل الافعال (٢ الصالحة والمكافأة بازاء الافعال الطالحة. فنقول (انهُ) لمّا كان سائر الناس منهم صالح ومنهم طالح ورأينا ان ليس كل الصالحين مستقيمي الاحوال والطالحين معزّري الامور وليس كل جماعة الاخيار معزّري الاحوال وسائر الاشرار مستقيمي الامور. بل نرى صالحاً مستقيمة اموره وطالحاً معزّرةً احوالهُ وصالحاً معزّرة اموره وطالحاً مستقيمة اموره فعلمنا ان الله تعالى فعل ذلك بحكمتهِ لانهُ لو كان سائر الاخيار امورهم جيدة وجماعة الاشرار احوالهم ردية لقال الناس ان هذه الدار دار المكافأة والمجازاة وليس هناك ما يُرتجى ولا ما يُتّقى وليس بعد الاضمحلال والدثور بعثٌ ونشور ولا مكافأة ولا مجازاة. ولو ان سائر الاشرار رائجة امورهم

١) ويروى: برهانًا ٢) ويروى: الاعمال

مستقيمة احوالهم وكافة الاخيار معزَّزةً امورهم لصار الناس اجمعون اشرارًا رغبةً في العاجل لقلّة يقينهم في الآجل. بل ترك الله الامور على هذا النظام الحسن لنستدلَّ ان هناك إلهًا قادرًا يرزق من يشاء (ويمنع من يشاء) وان ذلك سياسة جليلة وتدبير فاخر وان ليس هذا العالم عالمَ المكافأة والمجازاة بل عالم المكافأة والمجازاة غير هذا. ولو لم يكن ذلك كذلك لكان الاله الموجود (الموحَّد جوهرهُ المثلَّثة اقانيمهُ) القديم المحدِث للعالم لا لحاجةٍ بهِ اليهِ بل جودًا وتفضلًا وانعامًا على الانسان غيرَ عادل وحاشا لعلوّه من ذلك. بل الامور نفسها والعقل يدلُّ على عدلهِ وانصافهِ وانهُ لا يهمل صغيرةً وان لطفت ولا يتغافل عن كبيرة وان عظمت ولذلك لم يترك الانسان ان يتهوَّر في هوتة الكفر والطغيان فيقول : كيف يمكن ان يعود الانسان وقد صار ترابًا وتجزَّأَ اجزاء مفترقة وصار في حواصل الطيور وبطون الحيتان. بل جعل لذلك دلائل لا يبعدها العقل وصيَّر النخلة وعظمها مع سائر الاشجار وكبرها من نواة لا قَدْر لها. وجعل ابتداء الانسان وعظم جسمهِ وتميّزهُ وعقلهُ ونطقهُ مع نظرهِ وسمعهِ من نطفةٍ لا بزر لها. ودودة القز المتقلّبة من حال الى حال الى ان تصير طائرًا متحركًا من بزرة دنيَّة في لطفها. وشجرة القنَّب والخردل من حبَّة لا عظم لها لكي اذا رأى الانسان هذه الامور وما شاكلها ونظر الى صنعة الباري نظرًا مستقيمًا علم انَّ القادر لا يعزب عنهُ شيء وان عظم عندنا وانَّ إعادة الموجود على الصانع بعد انحطامهِ اسهل من اظهارهِ من العدم الى الوجود

فان قال قائل فلِمَ جعل الله بعض الحيوان آكلًا لبعضهِ وجعل بعضهُ دون بعض وبعضهُ ممقوتًا وبعضهُ محبوبًا والناس ايضًا واحدًا فقيرًا وآخر غنيًّا وآخر فرحًا وآخر حزينًا. قلنا انهُ فعل ذلك بحكمةٍ لانهُ جعل الحيوان الصامت صورًا مختلفة وانواع متباينة وجعل منهُ عدوًّا للانسان ومنهُ ما يُستعان بهِ ويُنتفع ومنهُ ما يكون داء ومنهُ دواء ليتعظ بذلك الانسان ويعلم فضل الباري تعالى عليهِ واحسانهُ اليهِ [وانهُ ميّزهُ على سائر الحيوانات والمخلوقات كلها بالعقل والنطق] ليكون مقبلًا على فعل الصلاح الذي ابتدأهُ شاكرًا لله ومعرضًا عمَّا سواهُ. فاما الحيوان الصامت فلم يجعل لهُ عودة ولا مكافأة بل جعلهُ مثل الحشيش الذي لا يُتَّقى وطئهُ ولا يُخشى قطعهُ وحرقهُ. نعم وجعل ايضًا في الحشيش بعضًا يُجَلّ ويختار وبعضًا يُطرح وهذه الامور وما شاكلها انما فعلها الباري تعالى لتعلم ان لها

خالقًا او صانعًا او انها لم تصر هي من ذواتها. ومع هذا فقد نرى الفاخوري يصنع اوعية بعضها للهوان وبعضها للكرامة ولو كانت الاوعية التي كانت للكرامة تعقل وتنطق لكانت شكرت الفاخوري على ما اسداهُ اليها من الجميل وعلى ما فضّلها بهِ على غيرها. فاذا كان ذلك كذلك أفيجوز ان نقول نحن الناطقون الذين قد فضّلنا الباري تعالى وهو المسلطُ الحكيم القادر على سائر خلقهِ: لمَ وكيف وكيت وكيت؟ كلاَّ بل نعترف باحسانهِ الينا وفضلهِ علينا ونفعل ما يشهد العقل بانهُ يرضيهِ ونتجنَّب ما يسخطهُ. وان كان لا يصل اليهِ من الجميل الذي يفعلهُ الانسان نفعٌ ولا ينالهُ من القبيح الذي يفعلهُ ضررٌ. لكنَّ طاعة الرئيس نبيلة واتباع اوامر المولى جليلة. ولو كان الباري تعالى اذ لا يصل اليهِ منفعة من طاعة المطيع ولا ضرر من معصية العاصي لا يُعاقِب على ذلك ولا يُثيب (وحاشا لعلوّهِ وجلالهِ) لكان كصنم حجري موضوعٍ في زاوية لا يكرم مكرِمَهُ ولا يهين مهينَهُ. ومع هذا كلهِ فلو جعل الله كل المخلوقات منهُ من سائر الحيوانات ما عَظُم منها وما صغر اناسًا عقلاء ناطقين وجعل الناس ايضًا اغنياء وسلاطين لبطل ترتيب العالم الحسن وفسد نظامهُ الجليل بل جعل بعضًا محتاجًا الى بعض وبعضًا منتفعًا ببعض لتعمر هذه الدار وتعرف قدرتهُ وسلطتهُ وليكون ذلك الغني يحسن الى المسكين فيُثاب بالنعيم في الفردوس الباقي مضافًا الى ما أُعطيهِ من الغنى الفاني وليشكر ذلك المسكين الله على ما هو عليهِ من الحاجة فيثاب ايضًا بنعيم الآخرة الذي ليس لهُ انتهاء. اذ ليس ينتفع الغني بغناهُ الَّا بما عساه يفعلهُ من الجميل الذي تقدَّم ذكرهُ الذي ابتداؤهُ الشكر لله ولا ينظر الفقير بفقرهِ الَّا بما لعلَّهُ يسديهِ الى ذاتهِ من القبيح الذي اعظمهُ التسخطُ وقلة الشكر اذ قد جعل الباري تعالى الموت غاية الفريقين.

ولربَّ قائل يقول ان الانسان انما هو النفس الحيَّة العاقلة الناطقة واما الجسم انما هو الآلة كالاداة للصانع لاننا قد نرى الجسد اذا فارقتهُ النفس يبقى طريحًا لا حراك لهُ ولا فعل لهُ فالعقاب اذًا والثواب يجب ان يكون للنفس لا للجسد واذا كان ذلك كذلك فلا حاجة الى اعادة الجسم ولا الى نشورهِ. قلنا ان الباري تعالى لو فعل ذلك اعني عقابهُ وثوابهُ للنفس خلوًا من الجسد لكان ذلك غير عدل وحاشا لعلوّهِ وجلالهِ وعدلهِ من هذا لان النفس لها ان تقول: انك يا رب انت خلقتني خلقًا لطيفًا وركبتني

بجسم كثيف ذي حواس خمس ذوق وسمع وبصر وشمّ ولمس وحركة وشهوة فجذبني الى هواهُ وغلبني على اختياري أفتُعاقبني دونهُ واجعل اننا شريكان قد جنينا جناية او ضمناً ضماناً أفمن عدلك ان تطالب الواحد دون الاخر او تثنيهُ او تعاقبهُ. فمن هاهنا قلنا انهُ يجب لعدل الباري تعالى ان تُنشر الاجسام (ولو لم تقل النفس ما تقدَّم ذكرهُ) لتأخذ كل نفس جسدها الخاص الذي معهُ وبهِ فعلت الجميل والقبيح ويكون الجزاء لجميعهما كما كان الفعل لكليهما. ويجب ايضاً ان تكون اجسام لطيفة لا كثيفة وإلّا فاحتاجت الى طعام وشراب وكسوة وغير ذلك ممّا لا غنى لها عنهُ في عالم الكون والفساد بل انّ القادر الذي لا يعزب عنهُ امر وان عظم ينقلها مع اعادتها من الكثيف الى اللطيف ويكون الصالح في لذَّة لا توصف ولا تدرك وافضلُ الامور واسناها قريب الى الله تعالى. واماَّ الخاطئ فيكون في عذاب وعقاب من نار لا تطفأ ودود لا يموت وظلمة لا ضوء فيها واعظم من هذا البُعدُ من الله تعالى لانّ الخاطئ لم يُخلق من الله خاطئاً ولا مجبوراً بل خيرًا مخيَّرًا فحاد باختيارهِ عن سبيل التقى وتهوَّر بارادتهِ في هواهُ الرديّ ولذلك وجب عليهِ العقاب الذي ليس لهُ انتهاء كما وجب للصالح السالك الطريق المستقيمة بعدل الباري النياح(١ الذي ليس لهُ انتهاء. ولله الاب والابن والروح القدس الاله الموحَّد الذات المثلَّث الصفات يليق المجد والعزّ والشكر والحمد الآن وكلّ اوان والى ابد الدهور (تمَّت الرسالة)

(تنبيه) ورد في اخر نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ما نصُّهُ. « علَّقهُ بيدهِ الفانية العبد الفقير سليمان صباغ من محروسة عكا الكاثوليكي مذهباً الى اخيهِ (هنا بياض في الاصل) جرجي ابن شكر الله جروة الاكرم القاطن يومئذٍ في دير سيدة النجاة كرمي بطركيَّة السريان وكان الفراغ منهُ في ١٨ ايار سنة ١٧٩٠ »

درس العربيَّة في اوربَّة

في القرن السادس عشر

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

نحن في ربيع سنة ١٥٣٠ هلمَّ بنا الى مدينة لوفان احدى حواضر بلجكة. فاذا

١) النياح كلمة سريانية يراد بها راحة النفس

حللنا ربوعها وجدنا عددًا لا يُحصى من الطلبة يتزاحمون في ازقّتهـا وشوارعها وهم قد تقاطروا الى كليّتها الشهيرة من كل اصقاع اوربّة ليرضعوا افاويق علومهـا ويستقوا من مناهل آدابها . امّا اساتذتها فقد نالوا من السمعـة الطيبة غايةً لا متجاوَزَ وراءها ومن المقام الرفيع ما ليس فوقهُ مرتقىً لهمَّة

١

ولكن دَعنـا نُنفرد بالنظر احد هؤلاء المعلّمين وهو كهلٌ في كمال السن يناهز الخامسة والثلاثين من عمرهِ تلوح على وجههِ لوائح الذكاء . فلندخلنَّ مقصورةً اختصَّها لنفسهِ ليتفرَّغ فيها للدرس . ها هو جالس وعليهِ زيّ ارباب الدين في ذلك العصر . امامهُ كتاب ضخم تراهُ غائصًا في مطالعتهِ ومن وقت الى آخر يسطِّر على حواشيهِ تعليقات وجداول وحروفًا غريبة الشكل لا شبه لها باللغات الاوربيَّة

وان سألت عن اسم الرجل اجبناك بديهًا انهُ يُدعى نيقولا كليَنَرد (١ استاذ اللغتين اليونانيَّة والعبرانيَّة في كليَّة لوفان . انكبَّ منذ نعومة اظفارهِ على درس هاتين اللغتـين مع اللاتينيَّة فأصاب في جميعها قصبة السبق حتى تقدَّم على اترابهِ وتولى التدريس في عنفوان شبابهِ . ثمَّ صنَّف في اصول هذه اللغات كُتبًا عوَّل عليها العلماء فجعلوها ركنًا للتعليم في المدارس الكليَّة وبقيت بعد مؤلفها نحو مئة سنة يُرجع اليها دون غيرها . وكان كليَنَرد فضـلًا عمَّا تقدَّم دمث الاخلاق ليّن العريكة يجنح اليهِ كلُّ من يعرفهُ . بيد ان اصحابهُ كانوا يلومونهُ في امرٍ واحدٍ يعدُّونهُ فيهِ كمسٍّ في عقلهِ وما ذلك الَّا رغبة مفرطة في تعلُّم اللغة العربيَّة (٢

والحق يقال ان درس العربيَّة لم يكن بين اهل اوربَّة من الامور السهلة في القرن السادس عشر . وكان من حاول ذلك اشبه بمن يتصـدَّى اليوم لدرس لغة مجهولة لا تُعرف احرف هجائهـا كلغة الحثيين ولا نتردَّد في ان نشبّههُ بشمپوليون اذ توخَّى حلَّ الرموز الهيروغليفيَّة بعد ان اصاب كتابة « رشيد » المخطوطة بلغتين المصريَّة واليونانيَّة

١) كان اسمهُ الاصلي كلينرتس (Cleynarts) لكنَّهُ على مألوف عادة علماء زمانهِ كان جعل اسمهُ لاتينيًّا فتسمَّى كلينردوس (Clenardus) وبالفرنسيَّة (Clénard)

٢) راجع كتاب المعلّم ڤكتور شوفين الذي عنوانهُ « Vie et travaux de N. Clénard » وسنعود الى ذكر هذا الكتاب في مقالتنا

70

أَجَل ان الاحبار الرومانيين كانوا قضوا منذ القرن الثالث عشر بان تُقام مدارس خصوصيَّة في كليَّات اوربَّة لتدريس اللغات الشرقيَّة لاسيا العربيَّة (١. غير ان هذه الاوامر لم يُنجزها اصحاب المدارس الَّا ردهةً من الدهر ثمَّ انتسخت فأُلغيت. ولمَّا كانت سنة ١٥١٩ استدعى ملك فرنسة فرنسيس الاوَّل من جنوة الاسقف العلامة بولس يُستنياني لتعليم اللغتين العبرانيَّة والعربيَّة في عاصمة مملكتهِ لكن الاسقف المذكور لم يُقم في فرنسة الَّا سنتين ثمَّ عاد الى موطنهِ ولم يخلفهُ احد في مركزهِ.

امَّا بقيَّة الدول الاوربيَّة فكان علم العربيَّة فيها مجهولًا في بدء القرن السادس عشر ولا نستثني من هذا الحكم بلاد اسبانيَّة نفسها فانهُ لم يبقَ فيها سوى آثار قليلة من لغةٍ كان علا منارها في عهد الخلافة الامويَّة نحوًا من سبعمائة سنة

وكان الاوربيون مع ذلك قد اودعوا خزائن كتبهم شيئًا من المخطوطات العربيَّة. وفي اوائل القرن السادس عشر ظهر في رومة اوَّل كتاب طُبع بهذه اللغة (راجع المشرق ٣: ٨٠). وفي سنة ١٥١٦ نُشر كتاب الزبور باربع لغات العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة واليونانيَّة مع ترجمة لاتينيَّة. وهو الكتاب الذي كان المعلم كلينرد يقلّب صفحاتهِ ويحاول حلَّ مغمَّضاتهِ لا دليل يُرشدهُ ولا استاذ يهديهِ كما انهُ لم يحصل على كتاب يعينهُ في ادراك مقصودهِ كمعجم او غراماطيق بل لم يكُ عارفًا باحرف الهجاء. ومع قلَّة هذه الوسائط داوم كلينَرد على عزمهِ اسابيع طويلة لم تأْخذهُ في سبيل مسعاهُ لومة لائم ولم يثنِهِ سأم ولا ملل

وكان كلينَرد يعرف انَّ بين العربيَّة والعبرانيَّة تشابهًا وان اللغتين ترجعان الى اصل واحد فاخذ العبرانيَّة كوسيلة لبلوغ غايتهِ. واوَّل ما استدلَّ عليهِ ان قراءة العربية من اليمين الى الشمال كالعبرانية. ثمَّ جعل يقابل بين حروف اللغتين لعلهُ يجد بينهما بعض الموافقة في الشكل ويستخلص بذلك حروف الهجاء العربيَّة. فاختار لهذه المقابلة المزمور ٨٢ الذي تعدَّدت فيها الاعلام رجاء ان يلقى هذه الاسماء في العربية على صورة لا تختلف

١) قد بيَّن المسيو شوڤين في الكتاب الذي نوَّهنا بهِ (ص ١٣) ما للاحبار الرومانيين من المساعي المشكورة في ترويج اللغات الشرقيَّة. ساعدهم في ذلك الآباء الدومينيكيون. ولولا خوف الاطالة لاتسعنا في بيان ذلك. ولعلَّنا نعود اليهِ مرة اخرى. اما اللغة السريانية فلم تنتشر في اوربَّة الَّا جمَّة العلماء الموارنة في أواخر القرن السادس عشر

عن العبرانيّة فلم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ حتى ميَّز اربعة احرف من الابجديَّة العربيَّة وهي الصاد والميم واللام والطاء

فكان اكتشافهُ هذا وسيلة لمواصلة بحثهِ فجعل يدرس المزمور آيةً فآية ويقابل بين الفاظها الاولى والاخيرة في العبرانيَّة وأطراف الآيات نفسها في العربية فتوصَّل الى معرفة الحروف الهجائية الّا بعضاً منها كالذال والضاد ممَّا لم يجد لهُ في العبرانية شبيهاً. فاجَّل البحث عن ذلك مؤمّلًا ان يفكَّ أربتها في فرصة اخرى

ومن طرائقهِ لتعيينِ بعض الحروف انهُ كان يأخذ الفاظاً عبرانيَّة ثلاثيَّة كان يعرف حرفين منها في العربيَّة ويجهــل الثالث فيقابل بين الفاظٍ من اللغتَين يقع فيها الحرف المجهول في بدء الكلمة وفي وسطها وآخرها ولا يكفُّ عن المقابلة حتى يتبــيَّن الحرفَ المجهول. وعلى هــذا المنوال استدلَّ على حرف السين في « سلام » و « لسان » و « نفس »

بيد انَّ معرفة كلينرد لحروف الهجاء لم تكن لترضيهُ. بل شرع يبحث عن قواعد اللغــة العربيَّة مستندًا الى العبرانيَّة فبلغ بهِ ذكاء فهمهِ الى اصطناع جدول للضمائر مع ما تيسَّر لهُ من تصريف الافعال

وممَّا كان يشوّشهُ في درسهِ ويثبّطهُ في ابحاثهِ الحركاتُ العربيَّة فلم يعرف باي حركة يُشكل الكلمات وكيف يضبطها. فتلافياً لهذا الخلل اتخذ الضوابط العبرانيَّة كقاعدةٍ لضبط الألفاظ العربيَّة. وكثيرًا ما كان يكتفي بالنظر الى تركيب الكلمة ضاربًا الصفح عن حركاتها على مثال الاخرس الذي يدرك معنى الشيء بمجرَّد نظرهِ اليهِ ولو لم يعرف النطق بهِ

وبعد ان صار لكلينرد بعض الإلمام بصرف العربية ونحوها باشر تصنيف معجم عربي للالفاظ التي وجدها في كتاب الزبور الالهي وابتدأ بالمزمور المئة والثامن عشر لتكرُّر الالفاظ عينها في هيئات متعدّدة من الإعراب وهي واردة تارةً في المفرد واخرى في الجمع فحدا بهِ ذلك الى درس الجموع العربيَّة غير انهُ كاد يغرق فيها لكثرة ما وجد من الصيغ في الجموع المكسَّرة. ومع ذلك لم ينفك عن المثابرة في درس العربية بمزيد النشاط فاصبح هذا العمل يستغرق كل قواهُ ويلهيهِ عن كل شيء سواهُ وكان يقول عن نفسهِ انَّ العربيَّة استفزَّتهُ فعشقها عشق ذي الهيام (١. ولعمر الحق انَّ من اعتبر ما

١) راجع مراسلات كلينرد

استفرغهُ هذا الرجل العظيم من المجهود في سبيل مبتغاه اخذهُ العجب العجاب من شدَّة حزمهِ وقوَّة ارادتهِ وجعلهُ في مصفّ مشاهير الرجال الذين بلغوا بذكائهم الى الاكتشافات الجليلة كشمپوليون وغيرهِ بيد ان اشغال المعلِم البلجكيّ بقيت محصورةً في فناء دارهِ ولذلك لم ينل صاحبها من الشهرة ما نالهُ عالِمُ العاديات المصريَّة

٢

هذا ولم يجتزئ كلينَرد بان اكتشف حروف الهجاء واطَّلع على مبادئ اللغة وصنَّف معجم الفاظها بل اخذ يسعى في أن يجد لهُ معلّماً يزيل مشاكلهُ ويرشدهُ الى معرفة كلّ اصول العربيَّة وغوامضها . فسمع احد تلامذتهِ يقول ان كُلّيَّة مدينة سلمنكا من اعمال اسبانية تدرّس هذه اللغة . فلم يقرّ قرارٌ لكلينرد حتى استعفى عن منصبهِ في كلية لوڤان ورحل الى اسبانية سنة ١٥٣١

فدخل سلمنكا ناشدًا ضالَّتهُ . لكنهُ عرف بعد البحث انَّ العربيَّة لم تُعلَّم في كليَّة هذه المدينة وانَّما يوجد في البلدة رجل اسمهُ نونيوس يعرف هذه اللغة . فاسرع الاستاذ البلجكي الى بيتهِ وعلم منهُ انهُ كان اخذ العربية عن فخّارٍ عربي الاصل من اشبيلية لكنهُ منذ امد مديد هجر درسها . ثم اشار الى زائرهِ ان يعرض عن عزمهِ لما في العربية من المبهمات والمصاعب . غير ان كلينرد لم يرضَ بقولهِ ولم يلحّ على نونيوس حتى اقنعهُ بان يتولى تدريسهُ . فأجَّلهُ نونيوس الى اليوم التالي ليُعدَّ كتبهُ ودفاترهُ

فلمَّا كان صباح يوم الغد بكَّر كلينرد استاذهُ الجديد وسمع منهُ اوَّل امثولة عربيَّة حضرها بما لا يمكن وصفهُ من الرغبة (التتمَّة للعدد التالي)

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يدور حول الاسوار متفقّدًا هجم عليهِ واحد من الخفر كان ساهرًا في قمة برج متنحٍ وطعنهُ بخنجرهِ طعنةً شديدة ولولا الدرع القويَّة

التي كان يلبسها تحت ثوبهِ لاختطف روحهُ غير مأسوف عليهِ. ولما سُئل الجندي عن السبب اعترف بانهُ رجل فداوي(١ ارسلهُ امير مصياد لينتقم من جوسلين على المعاملات السيئة التي اتاها هذا الاخير بالاب يوحنا الرجل البار

ثم انَّ الجندي قال لجوسلين: انك تستطيع ان تقتلني ولكن ينبغي ان تعلم ان ورائي رجالًا يأخذون بثأري فانَّ عشرة من رفقائي قد اقسموا بكل محرجة ان يحملوا رأسك الى قصر مصياد. واعلم اني لست آسفًا الّا على شيء واحدٍ اعني عجز ذراعي عن اغماد الخنجر في صدرك. على اني اذا كنت لم أُصِب في مهمّتي توفيقًا فلا بدَّ ان يأتي غيري فينجح في ما قصَّرتْ عنهُ يدي

وكان جوسلين يعرف بطش الاسماعيليّة وسطوتهم ويدري انهم اهل افعالٍ اكثر مما هم اهلُ كلام. فاشتدَّ خوفهُ على نفسهِ حتى كانت تعرض لهُ من جرَّاء ذلك عوارض من الغضب اشبه بعوارض الجنون تحملهُ على إصدار أوامر متناقضة ادَّت الى ذهاب الصبر من صدور الذين استمرُّوا حتى هذا الوقت أُمناء لهُ. فكرهوه كل الكره واصبحوا ولا همَّ لتلك الزمرة التي جمعتها جامعة الاثم والجريمة في قصر القليعة الّا البحث عن وسائل الفرار والنجاة من هذا الطاغية

وشعر جوسلين بذلك فجزع واضطرب ورأى ان لا واسطة تردُّهم عن الانتقاض عليهِ الّا الذهب فبذلهُ لهم وافرًا. ولا ريب انهُ لم يأتِ بهِ من دير حصن سليمان لان السلأبين الذين اغراهم بنهب الدير المذكور وحريقهِ لم يجدوا فيهِ غير كنوز ادبيَّة فما اكترثوا بها. وعلى كل حال لو ان صاحب القليعة ملك خزائن قارون لما ابقى عليها زمانًا طويلًا لانهُ كما عرفتَ كان رجلًا مسرفًا خليعًا

١٥

وفي ذات مساء حضر الى القصر رجل بالي الثياب وسأل ان يبيت فيهِ ليلتهُ فانزلوهُ في احد الاقبية. ولما طلع الصباح صرَّح بانهُ آتٍ من بشرّاي وان لديه امورًا ذات بال يريد ان يطلع صاحب القليعة عليها. فما كاد يعرف بهِ جوسلين حتى استدعاهُ اليهِ في الحال وطالت المواجهة بينهما كثيرًا ولم يُعرف بالتحقيق شيء من امرها. ولكن الرجل الغريب اخذ من بعدها يتردَّد على القصر بدالَّة وحريَّة وكان اذا وافى تُفتح لهُ

١) راجع المجلَّة الاسيويَّة

الابواب بمجرَّد اشارة خفيفة ويُنزَل الجسر الثقَّال لاجل مروره لانهُ كان يعرف الكلمة السريَّة التي لا يدري بها غير الخفر. وحاصل القول انهُ في قليـل من الزمان اغتنم صداقة جوسلين وكل اميالهِ حتى كان يظهر من امر هذا الاخير انهُ لا يستطيع ان يستغني عنهُ

على انَّ إقبال صاحب القصر على الغريب لم ينفخ فيهِ روح الكبرياء بل كان دائماً يؤانس الكل ويلاطفهم محافظاً على حالة الابتذال التي كانت لهُ يوم وصولهِ الى القليعـة. ولم يكن احد يعرف بالتأكيد هويَّة الرجل المذكور لانهُ كان اذا سُئل عن اصلهِ امتنع عن الجواب او أجاب بما لا يُستفاد منـهُ شيء. واما جنود الحامية فكانوا يصفونهُ باليهودي نظرًا لذؤابتين من الشعر كانتا تنوسانِ دائماً حول صدغيهِ ثم نظرًا لانفـهِ الكبير الذي هو من مميّزات الجيل اليهودي. وكان كسائر الاسرائيليين بني جنسهِ عارفاً بطرق المكاسب خبيرًا باستجرار الارباح يعضدهُ على ذلك ضمـير واسع لا يعرض لهُ ادنى ارتباك في انتخاب الوسائل المؤدية الى المغانم. وكان من زمان مديد قد رأى من جوسلين فريسةً تناسبهُ فوعد نفسهُ بان يحتال عليها حتى لا يفوتهُ شيء من دسَمها

وكان اليهودي نثنائيل كما لقَّبهُ الجنود قد صرَّح من اول مواجهة لصاحب قصر القليعة بانهُ آتٍ يعرض عليهِ خدماتهِ وانهُ عرف بارتباكهِ في شؤونهِ المالية فجاءهُ بالوسائل الكافلة بخروجهِ من الضيق

اما جوسلين فاخذهُ العجب من كرمهِ لاسيما وان الغريب احضر اليهِ في بادئ الامر من غير تردُّد كل ما يحتاج اليهِ من المبالغ الطائلة لراتب الحامية وقدَّم لهُ ايضاً هدايا كثيرة لكي يستعطف بهـا صداقة الرؤساء الذين في جوارهِ او يكتسب على الاقل حيادتهم. على ان كلَّ ما تظاهر بهِ من النزاهـة لم يكن مصدرهُ القلب لانهُ كان كلما اعطاهُ مبلغاً من المال لا يذهل عن تقييدهِ في دفتر معهُ

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يطلب منهُ دفعةً خلع نثنائيل ثوب الاحترام الذي قد طالما حفَّ بهِ صاحب القليعة وافهمهُ بان قد حان الوقت لعمل الحساب. وفي الوقت نفسهِ اخرج من جيبهِ دفترًا وسخاً ودفعـهُ الى جوسلين الذي اخذ يطالع بتمعُّن قائمة المبالغ التي استقرضها والى جانبها قيمة الفوائد الفاحشة التي ارتأى اليهودي إضافتها فوقف مبهوتاً وصرخ قائلًا:

لم يجرِ الكلام بيننا على شيء من هذا

— وهل ظننتَ اني اتسبَّب لنفسي بالخراب وضياع المال لاجل منفعتك ؟ وهل ذهلتَ اسفاري العديدة الى بشراي وجبيل حتى أُطلعك على ما هناك من الحوادث ؟ واذا كنتَ لم تؤخذ على حين غفلة فذلك بفضل ما نقلتهُ اليك من المعلومات التي توصلتُ اليها في الغالب بتعريض حياتي لاعظم الاخطار وانت تعلم ان اللبنانيين يعاملون اهل ديني بالقسوة.....!

— اذا كنتُ قد ارتكبتُ غلطاً فاعظم غلطي هو وثوقي بك. امَّا اليوم فقد تقطَّع كل ما بيننا من العلائق ومن الآن فصاعداً كفَّ عن أداء خدماتك اليَّ. وامَّا ما ذكرتَ من اسفارك لاجل منفعتي فهذا هو الكذب بعينهِ لانك ما نقلت قدماً الَّا لاجل صوالحك الخصوصية. امَّا المعلومات التي ذكرتها فكنتُ في غنًى عنها لاني اعرف الامير رزق الله حق معرفة وأعلم ان السيف سيقضي اخيرًا بيني وبينهُ...

ورأى نثنائيل ان الحديث زاغ عن النقطة التي يرومها فعاد الى نغمتهِ الاحترامية قائلًا:

الحقَّ أقول لحضرتك انهُ لم يخطر على بالي قط مخالفتك وازعاجك... ولكن اسألك ان تأذن لي بكلمة أقولها ايضاً. هل نسيت المذاكرات التي كلَّفتني باجرائها باسمك مع متاولة بلاد بعلبك ولبنان تحريضاً لهم على مهاجمة الامير رزق الله ؟ ولم تزل بيدي الرسائل التي سلَّمتها اليَّ لأُطلعهم عليها وهي ممهورة بخاتمك وتوقيعك وكلها محفوظة عندي بمزيد الحرص في مدينة طرابلس. ولا يخفاك اني لو اردت ضررًا بك لدفعتها الى المقدم رزق الله الذي يتخذها حجَّةً عليك قويَّة. غير اني لا اظن ان الاحوال توصلنا الى هذا الحد. فقط ارجو من سيدي ان يتذكر دائماً انهُ لولا خدماتي النافعة لكان ملقىً اليوم في حبس بشرَّاي

وكان جوسلين ضابطاً حدَّتهُ حتى ذاك الوقت غير ان هذه الكلمات الاخيرة اسخطتهُ جدًّا فقال:

ولكنك لست غير مُرابٍ مسكين. والظاهر انك تنسى انك في قبضتي وتحت حوزتي واستطيع ان آمر بتعذيبك حتى تذوق جزاء تهوُّرك. واعلم ان عندي من الوسائل ما يقطع لسانك قطعاً اذا همَّ بكلمة خارجة عن حدود الرصانة

— لا أجهل ذلك . بل أعلم انك ايضاً تستطيع ان تحتزّ رأسي او بالحري رأس المرابي كما تشاء ان تدعوني . ولكني اعلم من جهة ثانية انَّ هــذا التصرُّف لا يملأ صناديقك فضةً وان بعض رجالك الناقمين عليك لا يلبث ان يحمل رأسك امَّا الى امير مصياد واما الى المقدَّم رزق الله استغفارًا عن معصيتهِ . وفي هذه الليلة نفسها بينما كنتُ أدور على الاسوار سمعت حديثاً بين الخفر اطلعني على أمور كثيرة اخصُّها انهم صاروا يكرهون الاقامة في القليعة . واذا جاء امير بشرّاي لمهاجمتك فالافضل لك ان لا تتكّل الّا على نفسك . واظن ايضاً ان الفداوي الذي اوشك ان يفتــك بك تلك المرَّة لهُ أصحاب غيرهُ ايضاً من بني جلدتهِ ناوون عليك نيَّة خبيثة

على ان هذه الكلمات الاخيرة نبَّهت جوسلين الى فظاعة مركزهِ وبدَّدت عن عقلهِ ما كان عليهِ من الغرور وكسرت حدَّتهُ في الحال فلطَّف نغمتــهُ وبدلًا من الغطرسة والكبرياء انقلب يتوسَّل الى اليهودي بعد ان كان يتهدَّدهُ ثم قال :

لا اقوى على ان أسدّد دفعــةً واحدة هذه المبالغ الكبيرة مع ما يلحقها من الفائدة الفاحشة

— اني اعلم هذا ايضاً ولذلك لا اطلب منك فضةً . فقط اريد منك شيئاً زهيدًا وهو ان تضع توقيعك على هذه الورقة

قال المرابي هذا الكلام وقدَّم ورقة لجوسلين وكانت تتضمَّن تخلّيهُ بصورة شرعيَّة عن كل الاراضي التي كانت تخصّ قبلًا دير حصن سليمان

فوقَّع جوسلين على أسفل الصك بخاتمهِ وهو يعد نفسهُ في سرّهِ بانهُ سيسترجعهُ يومًا ما من اليهودي او يعمل على ابطالهِ بطريقة أخرى . وكان يظن انَّ التوقيع لا يقيده بشيء كما انَّهُ لم يتقيَّد قبلًا بشيء مما حلفهُ من الأقسام . ولا يخفى انَّ احد السياسيين كان يقول قبــلًا : « انَّ النطق أعطي للانسان حتى يكتم افكارهُ » امَّا جوسلين فزاد عليهِ راغباً في ان تقوم لهُ الكتابة ايضاً بهذه الخدمة التي ترضيهِ

امَّا اليهودي فلما فاز بمرامهِ انحنى أمام جوسلين قائلًا : ان الحساب الجيد هو من دلائل الصداقة المخلصة وعليهِ فاني برغبة عظيمة اشتهي مواصلة الخدم التي قمت بها حتى الان وتأييدًا لذلك ها انا ذاهب في هذا المساء نفسهِ الى طرابلس (١ لآتي بما يلزم من المال

١) عن اليهود المقيمين في طرابلس راجع البلاذري (ص ١٦٧)

لدفع المتأخر من رواتب الحامية. وفي املي ايضاً اني أتمكّن من الاطلاع على حركات المقدم رزق الله

ثم انهُ حنى رأسهُ احتراماً وسافر. اما جوسلين فلمّا خلا الى نفسهِ فهم انهُ ارتكب غلطاً جسيّا بسماحهِ لليهودي في الذهاب. وكان المذكور قد بعد عن القليعة ولم يعد في الوسع ادراكهُ

١٦

وكانت الهاجرة قد قربت فاشتدّت حرارة الشمس وارسلت أشعتها المحرقة على تلك الصخور الرمادّية التي فوقها انتصب قصر القليعة وكان جوسلين قد خلع لأُمَتَهُ ليجلس على الطعام فوافاهُ العيَن اي الرقيب المكلَّف برصد الحوادث من قمة برج القلعة وأعلمهُ انهُ شاهد خيَّالاً مقبلاً على فرس صغير اسود اللون وهو يرتقي بخلوّ بال في الشِعْب المؤدي الى الجسر النقّال ويظهر من هيأة ملابسهِ انهُ لبناني ولكنهُ قصير القامة مشوّه الخلقة والبادي من حالهِ يدلُّ على انهُ أعزلُ لا يحمل سلاحاً. فامرهُ جوسلين بانزال الجسر وإدخال الرجل المجهول

على ان الخيال ما كاد يترجّل في فناء القصر حتى صرّح بانهُ آتٍ من قِبل الامير رزق الله وطلب في الحال مواجهة صاحب القليعة فدخل الحرس واعلموا جوسلين برغبتهِ فبادر اليهِ خلافاً لعاداتهِ السابقة لان الاحوال كانت قد حالت والازمنة قد تغيّرت وما عاد يمكنهُ ان يتوعّد الزائرين الذين يزعجونهُ باطلاق كلابهِ عليهم لتنهشهم. ولم يكتفِ بذلك بل نزل ايضاً الى فناء القصر لمقابلة الخيَّال المجهول الذي طلب مخاطبتهُ في شؤون هامَّة مستعجلة

ولا حاجة الى ان نبيّن للقارئ من هو هـذا الرجل المجهول لانهُ علم من سياق الحديث انّهُ مالك حاجب رزق الله في بشرّاي ومُرسَلهُ الى جوسلين. فلما اجتمع بصاحب القليعة صرّح لهُ بالقابهِ ووظائفهِ عنـد مقدَّم بشراي ثم دفع اليهِ ورقة على وجهها خاتم الامير رزق الله وشعارهُ فتناولها جوسلين وبعد ان أجال النظر فيها ظهرت على محياه ابتسامة ما كان امرّها ثم التفت الى الجنود المحيطين بهِ وقال بتهكُّم:

ان امير بشراي مولانا وسيدنا المرهوب ما زال يفتكر بنا وقد أراد ان يولينا شرفاً وسيماً فدعانا الى مواجهتهِ في محل إقامتهِ بلبنان

ثم التفت الى مالك خاصَّةً وقال: تقول لهُ اننا سنلبّي هذه الدعوة في اليوم والساعة اللذين نختارهما نحن. هذا هو الجواب الذي تستطيع ان تردَّهُ لمن ارسلك الينا

(ستأتي البقيَّة)

نبذة تاريخية في الايقونة العجائبية

الواقع عيدها في ٢٧ ت٢

لاحد اساتذة مدرسة عين طورا العامرة

رغب الينا بعض المستفيدين ان نلخّص لهم خبر الايقونة العجائبيَّة الواقع تذكارها في ٢٧ من الشهر الجاري فكتبنا هذه العجالة اجابةً الى سوءْلهم

شاءت البتول الطاهرة في العُشر الثالث من القرن المنصرم ان تعطي للعالم المسيحي عربونًا جديدًا عن محبَّتها الوالديَّة فانتخبت لذلك راهبة مبتدئة من جمعيَّة اخوات المحبة لتتحف بواسطتها الجنس البشري بايقونتها العجائبيَّة. وهذه الراهبة هي كاترين لابوره (Labouré). ولدت سنة ١٨٠٦ في قرية اسمها فان لي موتيه (Fain-les-Moutiers) في ٣ من شهر ايار وتوفيت في باريس في ٣١ ك ١ سنة ١٨٧٦ برائحة القداسة بعد ان قضت نحوًا من ٤٦ سنة في جمعيَّة راهبات المحبــة. ففي سنة ١٨٣٠ كانت الاخت كاترين المذكورة في دير الابتداء المختص براهبات المحبــة في باريس(١). وفي احدى الليالي بينما كانت راقدة مع رفيقاتها في المنام العمومي سمعت صوتًا يناديهــا باسمها ثلاثًا فافاقت ونظرت بالقرب من فراشها صبيًا لا يتجاوز الرابعة او الخامسة من عمرهِ لابسًا ثوبًا ابيض ووجههُ يلمع كالشمس. فاضطربت بادئ الامر لكنها فكرت وعلمت انَّهُ رسول سماوي. فقال لها: « تعالي الى الكنيسة ان العذراء مريم تنتظرك ». فخافت كاترين ان يدري بها احد. فاجابها: « لا تخافي ان الساعة ١١½ ليلًا والجميع راقدون وانا ارافقك فهلمّي مسرعةً دون خوف »

فقامت لساعتها وتبعت قائدها القريب وكانت أنوار ساطعة تنبعث منهُ الى كل

١) في الشارع المعروف بدي باك نمرة ١٤٠ (Rue du Bac, 140)

جهة. ولمَّا وصلا الكنيسة انفتح بابها بمجرَّد لمسهِ لهُ فاندهشت كاترينَ وزادت دهشتها عند ما دخلت الكنيسة ورأتها متشعشعة بانوار تخطف الابصار. فتقدمت وقلبها يخفق هيبةً ووقارًا وسارت مع رفيقها الى مائدة المناولة وهناك جثت على ركبتيها بإخبات وخشوع. امَّا هو فدخل المقدس ووقف على شمال المذبح وبعد هنيهة قال لها: ها العذراء القديسة مقبلة. فرفعت نظرها فرأت سيدة بهيَّة بديعة في الجمال لابسةً ثوبًا ابيض وفوقهُ منديل سماوي اللون. فركضت بدالَّة مقدسة وانطرحت على قدميها الطاهرتين فشعرت بتعزية وعذوبة لا يمكن للسان بشري وصفهما. وعند ذلك اخذت سلطانة السماء والارض تخاطب ابنتها بكلام ذاب لهُ قلبها خشوعًا وسلوانًا معلمةً ايَّاها ما يجب عليها فعلهُ في المصائب والاكدار واموراً أُخرى كثيرة تتعلق بامر خلاصها. ثم اشارت بشمالها الطاهرة الى الهيكل الكبير قائلةً لها: « لا تنسي حين التجارب ان تأتي هنا لتبوحي باسرار قلبكِ وتنالي التعزية والقوَّة ». ثم اضافت قائلةً: « يا ابنتي انا اريد ان أعهد اليكِ امرًا مقبولًا لديَّ جدًّا وجزيل الفائدة للبشر واعلمي انك ستلاقين من اجلهِ مضادَّات كثيرة لكن سامنحك نعمةً لاتمامهِ فلا تخافي »

قالت هذا وتوارت عن نظرها تاركةً في قلبها اشهى والذَّ تأثير. فقامت كاترين والتفتت فرأت الصبي واقفًا حيث كان قبلًا فقالت لهُ: « ذهبت السيدة ». ثم سارت وسار هو عن شمالها مرافقًا ايَّاها الى مضجعها واختفى عن بصرها. وكانت الساعة الثانية بعد نصف الليل ولم تعد كاترين الى الرقاد بل صرفت بقيَّة ليلها بالصلاة مردّدة في قلبها ما سمعتهُ من مريم البتول ولم يدرِ احد بشيء من ذلك

فهذه الرؤيا لم تكن الَّا تسهيلًا واستعدادًا للرؤيا الثانية كما سيأتي لان البتول لم تصرّح بالامر الذي كانت تريد ان تفوّضهُ الى الاخت كاترين بل اشارت اليهِ اشارةً كما مرَّ. ولمَّا كانت الساعة الخامسة والنصف افرنجيَّة مساء في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني من السنة عينها اي سنة ١٨٣٠ تراءَت مريم العذراء مرَّة ثانية للراهبة المتقدم ذكرها في الكنيسة ذاتها وظهرت لها بصورة عجيبة ملتحفة باطار من النور على شكل اهليلجي وكانت واقفةً على الكرة الارضية التي لم يكن يُرى منها سوى نصفها وهي متسربلة بثوب ابيض ناصع وفوقهُ رداء ازرق سمنجوني ساحقةً بقدمها البتولي رأس الحيَّة الجهنميَّة تنبعث من يديها الطاهرتين اشعَّة أنوار ابهى لمعانًا من

ضياء الشمس وهذه الاشعة كانت تنحدر الى الكرة التي كانت قائمة هي عليها

وبينما كانت الراهبة تتأمل في هذه الرؤيا التي اخذت بمجامع قلبها خشوعاً وعذوبةً سمعت صوتاً يقول لها: هذه الاشعة هي رمز للنعم الغزيرة التي تسكبها مريم على بني البشر. ثم رأت حول رسم البتول مكتوباً هذه الكلمات: «يا مريم البريئة من الخطيئة الاصليَّة صلي لاجلنا نحن الملتجئين اليك». وبعد ذلك انقلبت الصورة وظهر على جهتها الثانية حرف M الذي هو اول حرف من اسم مريم الكريم وكان فوقهُ صليب وتحتهُ قلبان الواحد مكلَّل بالشوك والآخر مطعون بالحربة. وعندها سمعتْ صوتاً يقول لها: اضربي ايقونة على هذا الشكل وكل من يلبسها مغفَّرةً تالياً الصلاة المكتوبة عليهـا بعبادة يحظى بحماية خصوصيَّـة من لدن امّ الله. فقالت كاترين للبتول: يا سيدتي لا يصدقون قولي. فأجابتها سلطانـة السماء قائلةً: لا تخافي يا ابنتي. نعم انكِ ستلاقين عوائق شتى كما قلت لكِ لكن تشجَّعي لكونك ستنالين نعمــةً لتنتصري على كل ذلك. فاطيعي اذاً واخبري مرشد نفسك بما نظرتِ وسمعتِ. قالت هذا وتوارت عن نظرها

ففعلت كاترين كما امرتها البتول وضُربت الايقونة الكنسيَّة حسب تعليمات الراهبة المذكورة واثبتها اساقفة عديدون في ابرشيَّاتهم وما كادت تنتشر حتى اتتْ بآيات وعجائب لا تُعد ولا تحصى لا يسعنا ذكرها الآن بل نكتفي بذكر واحدة منها وهي ارتداد الفونس راتيسبون (Ratisbonne) اليهودي الى الدين الكاثوليكي بنوع عجيب سنـة ١٨٤٢. فألفونس هذا كان من عائلة اسرائيليَّة شريفة من مدينة ستراسبرغ (Strasbourg) وكان قاصداً البلاد المشرقيَّة للتجول فيها لكنهُ اراد ان يمرّ ببعض مدن ايطالية الاكثر شهرةً قبل اتمام مرغوبهِ هذا. فقادتهُ العناية الالهيَّة الى مدينــة رومية وهناك تعرَّف بشاب كاثوليكي اسمهُ تاودور دي بوسيـار (Th. de Bussière). ففي ذات يوم بينما كانا يتحادثان وقع بينهما جدال في امور الدين وكانت نهايتهُ اقناع الفونس بقبول ايقونة العذراء العجائبيَّة ولبسها في عنقهِ مع تلاوة الصلاة المكتوبة عليها. وبعد ذلك ببضعة ايَّام دخل الفونس بتدبير الهي كنيسة القديس اندراوس الموجودة في الشارع المعروف بدلي فراتة (Delle-Frate) وبينما هو يتجوَّل فيها للتفرج توقَّف قليلًا امام هيكل القديس ميخائيل وهو لا يدري ما السبب واذا بمريم البتول قد ترآت لهُ بهيئة الايقونة العجائبيَّة التي كانت في عنقهِ. فخرَّ لساعتهِ ساجداً وفتح عيني عقلهِ لنور الايمان الكاثوليكي القويم

وفي تلك الاثناء دخل صديقهُ تاودور دي بوسيار الكنيسة ووجد الفونس على تلك الحال وكانت الرؤيا قد توارت والدموع تتساقط بغزارة من عينيهِ. فالتفت الفونس نحو تاودور وقال لهُ: اشكرك يا صاح على ما تكرَّمتَ بهِ عليَّ فارجوك ان تدبرني لاني بعد الرؤيا التي نظرتُها الان صرت اريد ان اعتنق الدين المسيحي. ثم اخرج الايقونة التي كانت معهُ وبدأ يقبلها بدموع قائلًا: حقًّا ان الله صالحٌ وتعساء هم الذين لا يؤمنون بهِ. وبعد ذلك قصَّ على تاودور ما رأى فاخذهُ صديقهُ الى الاب ڤيلفور (Villefort) اليسوعي. فلمَّا علم هذا بامرهِ اقتبلهُ بكل حنان وعلَّمهُ قواعد الدين المسيحي وكان الفونس لا ينقطع عن تقبيل ايقونتهِ قائلًا: اني رأيتها. اني رأيتُها. كما هي في هذه الايقونة. وبعد ان تأَهَّب التأَهُّب الكامل اقتبل سرَّ العماد المقدس ثم تنازل البابا نفسهُ وقابلهُ مقابلةً خصوصية اظهر لهُ فيها كل حب وانعطاف. واثبتت الكنيسة بسلطتها صحَّة هذا الظهور العجيب وامر نيافة الكردينال باتريزي (Patrizzi) بطبع تفاصيل هذا الحادث ونشرها مع إقامة رسم يمثّل هذا الظهور في الموضع عينهِ حيث تمَّ في كنيسة القديس اندراوس الآنفة الذكر. وكل سنة يُعيَّد لهذا التذكار باحتفال شائق يدوم ثلثة ايَّام

فبعد هذه الاعجوبة ومعجزاتٍ أُخر لا يُحصى عديدها اتى الله بها بواسطة هذه الايقونة كتبصير العميان وتطهير البرص وشفاء المقعدين وطرد الشياطين وارتداد الخطأَة وشفاء جميع انواع الامراض الروحيَّة والجسديَّة تحركت الكنيسة المقدسة بالهام الروح القدس عروسها وعيَّنت لايقونة مريم عيدًا رسميًّا يُحتفل بهِ كل سنة في ٢٧ ت ٢ شكرًا لله ولمريم البتول على منحتها هذه. فاصدر البابا لاون الثالث عشر براءةً رسولية مؤرخة في ٢٣ تموز سنة ١٨٩٤ يقيم بها هذا العيد ويثبت الفرض والقداس المختصين بهِ مانحًا غفرانًا كاملًا لمن يعترف ويتناول ويزور احدى كنائس كهنة الرسالة او أخوات المحبَّة ومجيزًا للاساقفة والجمعيَّات الرهبانيَّة استعمالها يوم العيد المذكور بشرط ان يكونوا سبقوا والتمسوا ذلك من جمعيَّة الطقوس المقدَّسة. ثم في ٢ آذار سنة ١٨٩٧ اصدر قداستهُ براءةً ثانية بها يفوّض الى نيافة الكردينال فرنسيس ريشار (Richard) رئيس اساقفة باريس تكليل تمثال الايقونة المتقدم ذكرها باسمهِ فتمَّت هذه الحفلة باحتفال شائق في ٢٦ تموز من تلك السنة في ختام الثمانية الايام التالية لعيد

القديس منصور دي بول (١. وفي ١٢ ت ٢ من السنة عينها بناء على طلب الاب انطون فيات (Fiat) الرئيس العام على كهنة جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازريَّة وعلى اخوات المحبَّة تنازلت جمعية الطقوس المقدَّسة واثبتت صورة الايقونة العجائبيَّة ووصفها

المناور

نبذة للاب لويس دي انسلم اليسوعي

تعريفها اللغوي — المناور في اللغة ومثلها المنائر جمع المنارة وهي موضع النور أيًا كان وفي الاصطلاح تُطلق على أبراج ساحليَّة شاهقة البنيان يعلوها نور ساطع يهتدي بهِ البحَّارون ليلًا فيتنحَّون عن الشواطئ لئلا تصدم سفنهم بصخورها فتتحطَّم. والعامَّة تدعو المنارة فنارًا وهي لفظة اعجميَّة

تاريخها — لا مشاحَّة في انَّ المناور ظهرت بعد ترقي فنّ الملاحة بزمن قليل. ومن البديه انَّ ارباب البحر الاولين مذ ركبوا السفن وخاضوا غمرات اليمّ لم يلبثوا ان يشعروا بحاجتهم الى المناور لترشدهم في سيرهم اذا ما خيَّم الظلام ومدَّ الليل رواقهُ وتدلّهم على قربهم من السواحل. وعليهِ فلا بُدَّ من ان يكونوا أنشأوا لهم مناور على نفقاتهم الخاصَّة في بعض الاماكن الخطرة او يكونوا عاهدوا في ذلك أصحاب البلاد التي اعتادوا المرور عليها في أسفارهم. امَّا اذا راجعنا التواريخ القديمة فاننا لا نجد فيها أثرًا لهذه الابراج المنيرة قبل القرن التاسع قبل المسيح . واوَّل منارةٍ ورد ذكرها في تآليف الاقدمين فمنارة رأس سيجاي (Sigée) في آسية الصغرى بين بحر ايجاي والهلسبنْت. وقد شيد اليونان بعد ذلك مناور عديدة منها مرسى البيره قرب اثينة ومراسي أخرى في جزائر الارخبيل

بيد انهُ قد اشتهر بين المناور القديمة برجٌ قد أطنب في ذكرهِ المؤرخون ونظموهُ

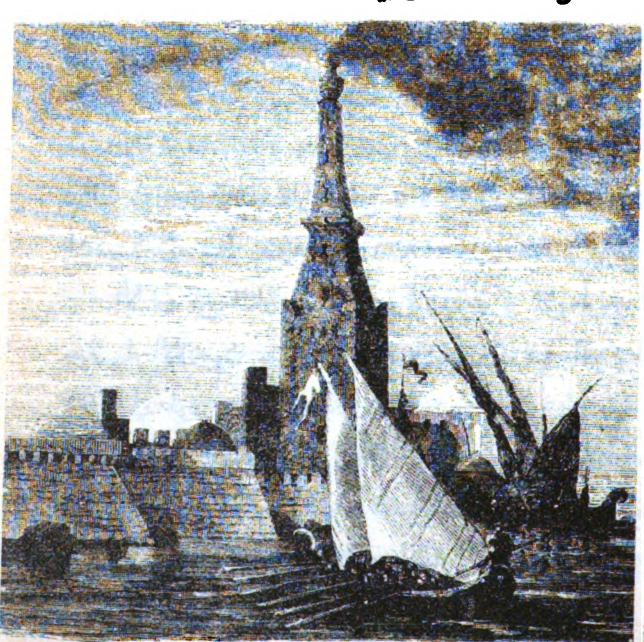
١) ومنح غفرانًا كاملًا لجميع المؤمنين الذين يلبسون الايقونة العجائبيَّة يمكنهم ربحهُ بالشروط اللازمة يوم قبولهم لها بحسب الرتبة المعيَّنة لذلك. وفي عيد الفصح وعيد الحبل بسيدتنا مريم العذراء بلا دنس وذلك ببراءة مؤرخة في ٣٠ ايلول سنة ١٨٩٥

في عجائب الدنيا السبع ألا وهي منارة الاسكندريّة التي أفاض في وصفها العرب فتجاوزوا حدود المبالغة. وكانت هذه المنارة في جزيرة فاروس ومنها اشتقّ الفرنج اسم المنارة في لغتهم (phare). اما صاحب هذه المنارة فقد اختلف فيهِ المؤلفون والارجح انهُ بطلميوس المعروف بفيلادلفوس اي محب اخيهِ. شيّدها لهُ مهندس اسمهُ سُستْرات وجعلها طبقات مخروطة على شكل الاهرام. وكانوا يشعلون في اعلاها وقودًا يُرى نورهُ على مسافة ٥٠ كيلومترًا. ويؤخذ من كلام المؤرخ بلينوس انّ بطلميوس أنفق عليها ما يساوي اليوم ٤ ملايين من الفرنكات. اما العرب فينسبون هذه المنارة الى الاسكندر ويزعمون « انّ هذا الملك جعل طولها الف ذراع وانهُ عمل على رأسها مرآة ينظر فيها الناظر فيرى المراكب اذا خرجت من افرنجة او من القسطنطينيّة او من سائر البلاد لغزو الاسكندريّة » الى غير ذلك من الخرافات التي هي عن الصدق مناط الثريّا. قال ياقوت في معجم البلدان (ص١ : ٢٦٣) : « قد اكثر الكتّاب في وصف هذه المنارة وبالغوا في عظمها وهوّلوا في امرها وكل ذلك كذب لا يستحي حاكيهِ ولا يراقب اللهَ راويه ». وجاء في آثار البلاد للقزويني (ص٩٨) انّ المنارة بقيت الى زمن الوليد بن عبد الملك وانهُ هدم نصفها وأزال مرآتها طمعًا في الدفائن والاموال التي كان احد دُهاة الروم وعدهُ باستخراجها منها. وقال ياقوت انهُ زار (في أواخر القرن الثاني عشر) منارة الاسكندريّة فوجدها « بنية مربّعة شبيهة بالحصن والصومعة ... وهي عالية على سنّ جبل مشرف على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء الاسكندريّة بينها وبين البحر نحو شوط فرس ... ولها درج واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسهِ وقد سُقّفت الدرج بحجارة طوال مركّبة على الحائطين المكتنفين للدرجة فيُرتقى الى طبقة عالية مشرفة على البحر بشرفات محيطة بموضع آخر كأنّهُ حصن آخر مربّع يُرتقى فيهِ بدرج أُخرى الى موضع آخر يُشرف منهُ على السطح الاول بشرفات أُخرى. وفي هذا الموضع قبّة كأنّها قبّة الديدبان (وقد أورد ياقوت شكلها في كتابهِ كما تراهُ هنا) وليس فيها كما يُقال غُرَف كثيرة ومساكن واسعة يضلّ

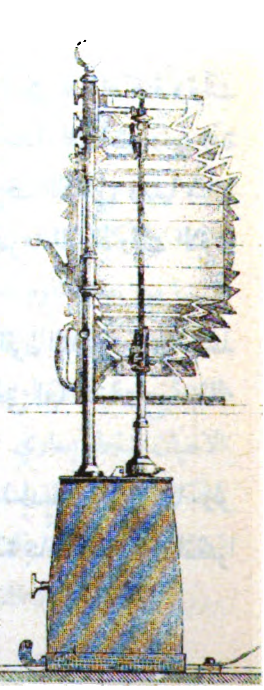
رسم منارة الاسكندريّة لياقوت الحموي

الشكل ٣ عدسات فرينل العاكسة للنور

الشكل ١ منارة رأس بيروت



الشكل ٢ آثار منارة الاسكندريّة قديماً



الشكل ٤ جهاز منارة ذات نور كهربائي ثابت

فيها الجاهل . . . فهذا الذي شاهدتهُ وضبطتهُ وكلُّ ما يُحكى غير هذا فهو كذب لا اصل لهُ » انتهى كلام ياقوت . وفي سنة ١٣٠٣ خربت منارة الاسكندريَّة اخربتها عاصفة شديدة فلم يبقَ منها سوى آثار . وللاسكندرية اليوم منارة حديثة بُنيت سنة ١٨٨٢ على طرز المناور الاوربيَّة

ولمَّا صار الامر الى الرومان واتسعت دولتهم واحتاجوا الى الاساطيل القويَّة لمحاربة الشعوب القاصية سعوا بتوفير المناور وتحسين ابنيتها فشيَّدوا منها عددًا لا يُحصى وقد اطرأ الكتبة في وصف منارة اوستيا عند مصب نهر التيبر ابتناها كلاوديوس قيصر . ومنها منارة تنسب الى قاليغولا شيَّدها عند بوغاص بحر المنش في مدينة بولوني في فرنسة . وكانت من الاعمال الجباريَّة لها اثنتا عشرة طبقة على شكل الهرم مثمَّنة الزوايا علوها مئة قدم

وممَّن اشتهروا في بناء المناور الفرنسيون والانكليز . فان هاتين الدولتين لمجاورتهما البحار لم تريا بُدًّا من إحكام المناور لصيانة سفنهما . فمن ذلك منارة كوردوان في مدخل نهر جيرُند في فرنسة بُنيت في القرن التاسع وأُتقن بناؤها كما يُستدلُّ على ذلك من آثارها وكان ارتفاعها ٦٣ مترًا . وللفرنسويين أبراج أُخرى عديدة لا يسعنا هنا تعدادها . امَّا الانكليز فلم يشيِّدوا المناور المنظَّمة الَّا في القرن الثالث عشر . ثمَّ تشكَّلت بينهم في القرن السابع عشر جمعيَّة كبيرة انشأت المنائر في عدة امكنة وتولَّت ادارتها وكانت تستقضي من أصحاب المراكب رسومًا معلومة سدًّا للنفقات . ومن جملة هذه الابنية الانكليزيَّة منارة إدستون عدَّها الكتبة من طُرَف الاعمال ومنها منارة سمالس (Smalls) شيَّدها الانكليز سنة ١٧٩٩ على صخرة تغمرها المياه وقت الانواء الشديدة . وقد جُدِّد بناؤها سنة ١٨٦١

الَّا ان فن المناور لم يترقَّ ترقيًا يُذكر الى أواخر القرن الثامن عشر . فاخذ حينئذٍ الاوربيون يُعنون في هذه الابنية وادواتها المنيرة حتى انها دخلت مذ ذاك الحين في طور جديد كما سترى

ابنية المناور — ليس فضل المناور الجديدة في ابنيتها . ولو قابلنا بين الابراج الحالية والابراج القديمة لعلنا وجدنا مناور عديدة بناها الاقدمون اتقنوا صنعها واحكموا هندستها اكثر من المناور الحديثة

والمناور في ايامنا تُبنى امَّا بالحجارة او بالآجرّ ومنها ما يكون بالحديد وفي اماكن قليلة بالخشب. وعلوُّها يختلف بحسب غاية اصحابها فان ارادوا الاستنارة بها على مسافة بعيدة زادوا في ارتفاعها ليبلغ نورها الى مدًى اقصى. ولذلك كثيرًا ما تُبنى هذه المناور فوق ربوةٍ مشرفة على البحر كما ترى في منارة بيروت

ولمَّا كانت المناور عادةً شاهقة العلوّ تُلاطم جوانبَها الامواج فلا بُدَّ من المبالغة في اتقان اساسها ووضع اركانها واكثر ما يكون تشييدها على الصخر الاصم او حجر الصوّان كما فعــل الفرنسيون في منارة كرسنتون (Kersanton) التي انجزوا عملها منذ ثلاث سنوات فجعلوها فوق الحجر المحبَّب المانع. وهذه الاركان تكون في الغالب على شكل مربَّع لتزيد متانةً

امَّا برج المنارة فتكون هيئتــهُ من خارج امَّا مربَّعًا وامَّا مثمن الزوايا او مستدير الشكل. والابراج الشائعة اليوم هي المستديرة لانها تقوى على سورة الريح اكثر من سواها واذا صدمتها المياه كان فعلها فيهــا اخفَّ وألطف. وبعض المهندسين يفضّلون المثمَّنة الزوايا لحسنها ولما بينها وبين الاركان من التناسُب الهندسي وهي تقوم ايضًا كالمستديرة في وجه الرياح وصدمات الامواج. ولا بأس من اتخاذ الابراج المربَّعة الشكل اذا كانت المنارة قليلة الارتفاع او اذا بعدت عن الامواج. امَّا داخل المناور فيكون عادةً مستديرًا وقطرهُ مساويًا على الاقل لقطر الفنار. ويُصعد الى رأس المنارة بدرج لولبي يُجعــل لهُ كوًى تُنيرهُ وهذه الكوى لا تُفتح الَّا من الجهة المخالفة لمهبّ الريح

وفي اعلى المنارة يُجعل المصباح الذي يرمي بنورهِ الى البحر يُحيط بهِ طنفٌ بدرابزين متينة. ولاكثر المناور آلة صافرة تُضغط في ايام الغيوم الكثيفة وأبان الضباب فيُسمع صوتها من بعيد فتقوم للبحريّين مقام نور المنارة الذي تحجبهُ آنئذٍ السُّحُب

ولا بُدَّ لبرج المنارة من جدران عريضة متينــة لاسيما اذا كانت مرتفعة عالية لتستطيع وقت الانواء والعواصف ان تقوم في وجه الرياح الشديــدة. وللريح في بعض الاحيان ضغطٌ يساوي ٤٤٠ كيلوغرامًا وهو ضغط بالغ لا تقوى عليــه الَّا الابراج المحكمة البنيان وقد سمعنا من عامل منارة بيروت انَّ في فصل الشتاء يهتزّ رأس المنارة اهتزازًا فيميل تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال

❊ وَقود المناور ❊ كان الاقدمون ينــيرون مناورهم بوقود من

الحطب او الفحم يشعلونهُ في اعالي الابراج سحابة الليل فيرى الملاّحون نيرانَها عن بُعد ويأخذون حذرهم بمشاهدتها . وبقيت هذه الحال الى سنة ١٧٧٠ وفيها استبدل البعض هذه الانوار الضعيفة بمصابيح نيّرة وراءها صفائح صقيلة من المعدن تعكس النور الى جهة البحر . غير انَّ هذا الضياء لم تفِ بالمقصود لانَّ فتائل المصابيح كانت سويَّة مسطَّحة فكان نورها ضعيفًا

وفي سنة ١٧٧٤ وضع العلاَّمة الطبيعي ارغان (Argant) مصباحًا ذا فتيلة اسطوانية مجوَّفة يحيي نورها مجريان من الهواء تصونهما زجاجة مستديرة فكان هذا المصباح اكتشافًا مهمًا وبهِ ابتدأ ترقي ادوات التنوير في المنائر . وهذا المصباح لا يزال مستعملًا الى يومنا هذا مع تحسينات جديدة زادتهُ منفعةً . وربَّما يُجعل لها فتيلتان واكثر يدخل بعضها في بعض فيسطع نورها الى الاماكن القاصية . ومنذ سنين قليلة لمَّا شاع المصباح ذي الرأس المعروف برأس أور (bec Auer) الذي مرَّ وصفهُ في المشرق (١ : ٤٥٧) اتخذهُ مهندسو المناور بدلًا من المصباح القديم فان هذا المصباح مع غلافهِ المعدني اضوأ نورًا واكثر اقتصادًا . امَّا الوقود فكان ولم يزل الزيت النباتي وخصوصًا زيت كُلزا او زيت السلجم (huile de colza) لضوئهِ اللامع وكثيرون اليوم قد اتخذوا بدلًا منهُ غاز البترول المصفَّى لرخصهِ وكثرتهِ (راجع المشرق ١ : ٢٤٤)

وممَّا يقوم اليوم مقام هذه الانوار الكهرباء لكنَّها لا تُستعمل الَّا في المناور الكبرى لنفقاتها الطائلة وينبغي لها جهاز خصوصي والكهرباء تتولد فيها ببطاريَّات قويَّة وادوات بخاريَّة تبعث انوارًا مضيئة تبلغ قوة بعضها الوفَ الوفٍ من شمع كرسل القياسي (راجع المشرق ١ : ١٨٤) . مثال ذلك منارة پانيه (Panier) بقرب مرسيلية فانَّ نورها الكهرباني كنور ٣,٠٠٠,٠٠٠ من شمع كرسل يبلغ وقت الصحو الى مسافة منتي كيلومتر بنيف

ادوات المناور العاكسة للنور لا يخفى ان اشعة النور اذا لم تُجمَع تبدَّدت في الجوّ وضعفت قوتها . ولذلك سعى اصحاب المناور ان يتخذوا ادوات تضمُّ هذه الاشعة . واوَّل ما وضعوا لذلك مرايا صقيلة مقعَّرة كانت تدور حول المصباح المنير فتعكس انوارهُ الى اربع جهات السماء . اكتشف ذلك العلامة الفرنسوي تولار (Teulère) سنة ١٧٨٣ . وكان لهذا الاكتشاف رنَّة عظيمة فاسرعت الدول الى استعمالهِ لاسيا الانكليز الذين استمروا عليه الى عهدٍ قريبة من ايَّامنا . وبهذه

الواسطة كانت انوار المصابيح تبلغ الى مسافة ٣٠ كيلومترًا

غير ان هـذه المرايا المقعَّرة العاكسة تُضيع قسمًا من انوار المصابيح لسبب الخلل المعروف بالخطإ الكروي (aberration de sphéricité) فلا تتجمَّع الاشعة كلها في بؤرة واحدة ولذلك اخذ العلماء يبحثون عن طريقـة اكمل من طريقة تولار . فاصاب المرمى بينهم فرينل (Fresnel) احد مشاهير العلماء الفرنسويين تلميذ الفلكي المبرّز اراغو (Arago) فهذا الرجل العظيم انقطع الى درس خواصّ النور والادوات العاكسة وكان يعرف ان للعدسة الحدَّبة خاصةً وهي انها تعكس كل الاشعَّة المنبعثة من بؤرتهـا على خطوط موازية لقطبها فاستنتج من ذلك انهُ يمكن اصلاح الخطإ الكروي اذا جعـل فوق العدسة الوسطى الحدَّبة عدسات أُخرى ينظِّمها على شكل درج ليجمع بذلك كل الاشعَّة دون ان يضيع منها شيء . فاختبر الامر بالفعل فوجد ان نور المصباح يتضاعف بذلك . ثم جعل عدساتهِ قليلة السمك لئلا يمتصّ منها الزجاج قسمًا فزاد ايضًا النور قوَّةً

فهذا الاكتشاف العجيب بلَّغ المناور درجةً من الحسن والكمال لم يدوروا في خلَد احد . وهذه العدسات العاكسة هي اليوم شائعة في كل العالم يمكن اهل الثغر ان يروها في منارة رأس بيروت . وقد جعلنـا رسمها هنا ليفهم تركيبها القراء (راجع الشكل الثالث)

أنوار المناور ان المناور لا تؤدي سوى خدمات يسيرة لولا اختلاف انوارها وتلوّنها ولذلك اتُّخذت للدلالة على مدلولات متعدّدة فلو كانت مثلًا الانوار متشابهة في منارتي بيروت وصيداء لامكن ارباب البحر ان يُخدعوا بهما ليلًا فيقرّبوا سفنهم من الساحل ويصادموا صخور رأس بيروت وهم يظنون ان لا بأس عليهم لوجودهم في جوار صيداء . وعليهِ همّ مصطنعو المناور ان يجدوا طرائق لتلوين أنوارها وتغيير حركاتهـا ليميّز البحّارون نورًا عن نور ومنـارة عن منارة فيدبروا سفنهم على حسب الامكنة . واكثر ما تكون اليوم أنوار المنارات على اربعة ضروب

الضرب الاول هو ما كان ثابت النور وتُتخذ لذلك عدسة حلقيَّة بسيطة تجمع النور في نقطة واحدة فيراهُ البحارون دون انقطاع بلمعـان واحد لا ينقص ولا يزيد . وربَّما كانت هذه الانوار الثابتة مختلفة الألوان من احمر واخضر الخ

الضرب الثاني من المناور ما ضاء فيها النور مدَّةً واحتجب مدة. ولاصطناع هذه المناور يتخذون عدَّة عدسات يجعلونها على شكل قبَّة مسدَّسة او مثمَّنة الزوايا يديرونها حول المصباح الى كل جهات الأفق فينيرونها بالتوالي. والنور يظهر في المكان الواحد عند مرور النقطة الوسطى من العدسات بازائهِ ثم يحتجب بعد اجتيازها الى ان تمرَّ نقطة ثانية وهلمَّ جرًّا. اما دوران القبَّة حول مصباح المنارة فيختلف سرعةً على مقتضى رغبة المهندسين. ومنارة بيروت من هذا الصنف الثاني تدور قبَّتها حول المصباح في ست دقائق فيظهر النور في النقطة الواحدة ست مرات ويحتجب ست مرات

الضرب الثالث من المناور ما صدرت منهُ أنوار برقيَّة من وقت الى آخر. وذلك انَّ العلماء لاحظوا ان للنور قوةً اشدَّ اذا سطع على هيئة البرق وسرعتهِ ثمَّ احتجب بغتةً. فجروا على هذا الناموس واتخذوا ادوات تشعُّ في الجوّ كالبرق تخطف البصر خطفًا فيرتشد برؤيتها اصحاب السفن واكثر ما يُستعمَل لهذه المناور النور الكهربائي. اما الذي اكتشف هذه الطريقة لتنوير المناور فهو المهندس الفرنسي بوردل (Bourdelles) منذ عهد قريب. وقد اخذ الفرنسويون يجهّزون مناورهم باجهزة من هذا الطرز الجديد (راجع الشكل ٤)

الضرب الرابع هي المناور التي لا نور لها وانَّما لها مرآة يضرب عليها النور من محل آخر فتعكس هذا النور الى جهة معلومة بتناشير منظَّمة لذلك. ومن هذا الصنف منارة بُنيت عند جزائر هِبْريد فوق صخر في وسط البحر يأتيها النور من جزيرة لويس (Lewis) وهي تبعد عنها نحو ١٥٠ مترًا

هذا ونضرب صفحًا عن انوار أُخرى تجري مجرى المناور اخصُّها الاضواء الطافية فوق المياه (feux flottants) تُجعَل في قرب الصخور الخطرة او عند مداخل المراسي وغير ذلك مما لا يسعنا هنا وصفهُ

❊ مناور البحر المتوسط ❊ كنَّا نودُّ قبل ختام هذه المقالة لن نتتبَّع الدول لنعدّد ما لكلٍّ منها من المناور ونَصف ما اصابتهُ في تجهيزها من التحسينات. لكن ذلك يضطرُّنا الى مجاوزة الحدود التي تحرَّيناها وحسبك ان تعلم ان فرنسة هي اليوم المتقدّمة بين الدول في وفرة مناورها وحُسن ادواتها فان لها ٤٨٣ منارة منها ٢٠ ذات نور كهربائي. وتأتي بعدها انكلترة مناورها ٢٩٠ اربعة منها فقط كهربائيَّة

امّا بحرنا المتوسط فقد تولى ادارتهُ بالمناور شركة فرنسويَّة منحتها الدولة السنيّة امتيازًا منذ خمسين سنة . وادارة هذه الشركة في باريس يرأسها اليوم الفرنسويان كولاس (Collas) وميشال (Michel) ويمثلها في الاستانة العليَّة المسيو اميل بودوي (Baudouy) وفي بيروت الخواجا يوسف افندي نعمان

وهذه الشركة قد شيَّدت نيفًا و ٥٠ منارة منها ١٣ في سواحل سوريَّة و ١٠ في الاناضول وبوغاص الدردنيل ونحو ٢٠ في الارخبيل و ٣ في بحر الادرياتيك و ٤ في طرابلس الغرب . ومنذ شهرين باشرت بناء اربع مناور في البحر الاحمر وفي جبل الطير وفي جزيرة ابي ايل ومدينة مخا

امّا مناور ساحل الشام فهذه مواقعها : يافا الكرمل حيفا عكا صور صيداء بيروت طرابلس جزيرة رمكين (على ٥ اميال من طرابلس) ارواد اللاذقيـة رأس ابن هانئ (على مسافة ساعة من اللاذقية) اسكندرونة وكاداش في جون الاسكندرونة . ولكل هذه الامكنة أنوار خاصَّة منها ثابتة بيضاء مفردة كاللاذقية او مضاعفة كصور وبعضها حمراء مفردة كطرابلس او مضاعفة كصيداء . ومنها ما يدور بدوران مختلف السرعة كمنارة بيروت ورأس الهانئ . وادوات هـذه المناور تختلف بالكبر والقوَّة . واكبرها في رأس الكرمل يبلغ نورهُ الى مسافة ٥٠ كيلومترًا . امّا بيروت فمنارتها لا تبلغ الّا الى مسافة ٣٥ كيلومترًا . وكذلك تختلف ابراج هذه المناور بالعلوّ و برج منارة بيروت الذي بُني سنة ١٨٦٢ طولهُ ٣١ مترًا (انظر الشكل الاول ص١٠٤٥) وليس في مناور بحر الشام منارة ذات نور كهربائي بل كلها مصابيح ذات فتائل اسطوانيَّة كما مرَّ وصفها . ويُستنار فيها بزيت البترول ومعدَّل ما يُشعل منهُ في الليلة في بيروت ٤ اقَّات

امّا الرسوم التي تؤديها السفن التجاريّة لادارة المناور فهذه قائمتها : لا رسم على المراكب التي يقلُّ شحنها عن ٤٠٠٠ كيلوغرام . ومن ٥ الى ٨٠٠ طن يؤدّي البحريُّون ١٨ بارة (صاغ) ومن ٨٠٠ فما فوق ذلك يزاد ٩ بارات على كل طن

ختام فيؤخذ ممّا تقدّم ان المناور وادواتها بلغت في عهدنا ترقيًا عظيمًا وقد بيَّن ذلك اصحابها في معرض باريس فانهم كانوا جمعوا في ردهة كبيرة كل ما يختصّ بالمناور وكان الزوار يزدحمون فيهـا لمشاهدة هذه الطرائق والمخترعات العجيبة التي وصفنا منها برضًا من عدّ . والسلام

مطبوعات شرقية جديدة

جدولان للحروف الشرقية والغربية ثم للخطوط السريانيَّة

لصاحب الفضيلة طاهر افندي الجزائري

اهدانا هذين الجدولين النفيسين صاحبهما الفضال فرأيناهما حريّين بالذكر وقد ضمَّنهما المؤلف ما وجدهُ من الحروف الساميَّة كالعبرانية والسامريَّة والسريانيَّة (في فروعها الثلاثة) والحبشية والحميريَّة والصفويَّة والفينيقية والسماريَّة وقابل بينهما وبين الحروف الهيروغليفيَّة والهنديَّة والارمنيَّة وحروف الشعوب الاوربية . وقد اتسع في تعريف الحروف السريانية وهيئاتها المختلفة منفردة ومتَّصلةً مع الحرف الكوفي الموافق لها واضاف اليها جداول حركاتها واسفارها واسماء متنوعة منها . وقد طُبع هذان الجدولان طبعاً متقناً في مطبعة ولاية سوريَّة في دمشق . نفعنا الله بمعارف مؤلفهما زمناً طويلاً

Lehrbuch d, samaritanischen Sprache u. Literatur
v. J. Rosenberg, *Wien*, in - 12, SS. 182

اصول اللغة السامريَّة وادابها

قد باشر بعض علماء المانية والنمسة منذ عشر سنوات عملًا جزيل الافادة وهو انهم صنَّفوا لكل لغة من اللغات الشائعة في عهدنا كتاباً صغير الحجم كثير الموادّ اودعوهُ خلاصة صرف ونحو هذه اللغات مع نخبة من تآليفها الادبيَّة ومعجم صغير لمفرداتها . والكتاب الذي نحن الآن بصددهِ هو الحادي والسبعون من هذا المجموع صنَّفهُ احد معلّمي اللغات الشرقيَّة الدكتور روزنبرغ لودعهُ لباب اللغة السامريَّة مع طرفة من آثارها الباقية الى زماننا وفي آخرها صورة رسالة كتبها حديثاً كبير كهنة السامريّين بالعربية والسامريَّة . ومن أُطلع على هذا الكتاب يجدهُ آيةً في حسن الطبع وجمال الحرف واتقان العمل ل . ش

SION IN JERUSALEM
was es war, und wo es lag.
von G Gatt Missionarius apstolicus, Brixen 1900

في تعريف موقع جبل صهيون في اورشليم

طالما انعكف صاحب هذا الكتاب الاب ج . غات خوري رعيَّة اللاتين في غزَّة

على درس الاراضي المقدسة وقد صنّف في ذلك المقالات المطوّلة والتآليف العلميّة الجليلة التي جعلتهُ في مصفّ علماء العاديّات الفلسطينية. ومدار الكتاب المعنوَن آنفاً على بحث مهمّ تضاربت فيهِ الآراء اعني موقع جبل صهيون. والتقليد المحلّي يجعل هذا الجبل فوق الرُبى الجنوبية الغربيّة من المدينة المقدسة. غير ان بعض مفسّري الكتاب الكريم بين المحدثين نكروا ذلك وخطّأوهُ. وغاية الاب غات في تأليفهِ ان يثبت صحّة التقليد مستندا في قولهِ الى براهين عديدة يوضحها باجلى بيان. ثمَّ يفنّد حجج هؤلاء المحدثين معلناً ما فيها من الوهم والمزاعم الواهنة. ولولا ان ايضاح هذه الادلّة يخرجنا الى حدود الاطالة لعرضنا هنا قسماً من بيّنات الكاتب الفاضل. وممّا لا يسعنا السكوت عنهُ شكرنا لحضرتهِ على هذه الخدمة الجديدة التي خدم بها الدروس الكتابية والمباحث الفلسطينية. وفي آخر الكتاب رسمان يمكّنان القارئ من فهم براهين المؤلف ه. ل

شَذَرَاتٌ

معرض طبعات الكتاب المقدس — اجتمع ارباب الطباعة في كريستيانيا فاتفقوا على ان يقيموا معرضاً يجمعون فيهِ كل طبعات الكتاب المقدس منذ اول اكتشاف فن الطباعة الى عهدنا وذلك في كلّ اللغات المعروفة. وفي كريستيانيا اليوم اربعون معملاً للطباعة يشتغل فيها ١٣٠٠ عامل هذا فضلاً عن عشر مطابع حجريّة يرتزق فيها ١٥٠ عاملاً

ورق الصحافة — قد انفق الالمان السنة الماضية ١٥٥,١٥٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق في لوازم الصحافة ولعل هذه الكميَّة تزيد في السنة الجاريَة نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠

سرعة المراكب — ١ً المراكب البخاريَّة. اسرع مركب بينها دوتشلند من شركة هنبورغ قطع المسافة بين نيويرك وبليموث في خمسة ايام وسبع ساعات و ٣٨ دقيقة فكانت سرعتهُ في الساعة ٤٣ كيلومترًا — ٢ً المدرَّعات. فازت بينها الدارعة الانكليزيّة « فرميدبل » فانَّ سيرها يبلغ ١٩ عقدة في الساعة اي نحو ٣٦ كيلومترًا. والآن يسعى الايطاليون في تعمير دارعة « بنديتُّو برين » التي ستقطع ٢١

عقدة في الساعة . امّا الفرنسيّون فدوارعهم تجري كلها جريًا متساويًا فتقطع ١٨ عقدة فقط — ٣ً الطرادات . فاز فيها الفرنسيون بقصب السبق . فان الطرّادتين غيشن وشتورينو يقطعان في الساعة ٣٤ عقدةً ونصفًا — ٤ً النسّافات . يتجارى الالمان والانكليز في ميدان السباق لتزيد سرعة نسّافات كل دولة على الاخرى . فصيّر الالمان سنة ١٨٩٢ نسّافة كانت تقطع ٢٧ عقدة في الساعة فكان لهم السباق الى سنة ١٨٩٧ غلبهم الانكليز بنسّافتهم « تُرْبينينا » التي بلغت في سيرها نيفًا و ٣٢ عقدة . ثمّ عاد الالمان السنة التالية فصيّروا نسّافات قويّة ارسلوها الى الصين ادركت ٣٥ عقدة بنيف . وفي سنة ١٩٠٠ سبقت هذه النسّافات السفينة « كُبرا » الانكليزيّة من صنف السفن العاكسة للنسّافات قطعت نحو ٣٦ عقدة (والعقدة كالميل البحري تساوي ١٨٥٢ مترًا)

⊰ عاديّات مصريّة ⊱ باشر المسيو غيمه الحفر في مدافن الشيخ عبادة (Antinoë) في الصعيد منذ نحو عشر سنوات فاستخرج منها كثيرًا من العاديّات نظّمها في باريس في متحف جميل . وممّا اكتشفهُ هيكل مصري لرعمسيس الثاني وهيكلان آخران من البناء الروماني . وفي سنة ١٨٩٨ و ١٨٩٩ وجد عددًا وافرًا من الانسجة القديمة من القماش والحرير والثياب المطرّزة جعلها الاقدمون على موتاهم . ووجد ايضًا مدفن القديس السائح سيرابيون والقديسة التائبة تئيس (Thaïs) او تاسية وكانت اجسادهما محنّطة على هيئة عجيبة امّا تئيس فكانت لابسةً ثيابًا فاخرة مضّجعة على سعف النخل في شمالها طاقة من الزهور وعلى جانبها ادوات مختلفة تدلّ على حياتها القشفة بعد توبتها منها قفف اشتغلتها بيدها وسُبحة للصلاة وصلبان من الخشب . امّا سيرابيون مرشدها الى الفضيلة بعد ضلالها فكان راقدًا بقربها لابسًا ثوبًا من الصوف متمنطقًا بزنّار من الجلد وعلى عنقهِ شبه بطرشيل . وقد وجد المسيو غيمه في هذا المدفن صفائح من الشمع كانوا يتخذونها للكتابة واوراقًا من البردي عليها كتابات شتى ودواة من الشبه الى غير ذلك ممّا يعرّف احوال ذلك العصر

⊰ مجلة الاراضي المقدسة ⊱ اطلعنا على عددها الصادر في تاريخ ١ تشرين الثاني فوجدنا مديرها الفاضل قد نشر كراسة حضرة الشماس بشارة عبد في اصل الروم الملكيين (راجع المشرق ٤ : ٥٢٥) . ومن عجيب الاتفاق انهُ وردتنا في الوقت ذاتهِ مجلة « الشرق المسيحي » التي هي تحت ادارة المدير نفسهِ وفيها (ص ٣٤١

—٣٤٤) مقالة تناقض قول حضرة الشماس مناقضةً تامّة يستند صاحبها الى آراء العلماء فاخذتنا الحيرة ولم ندرِ مَن نصدّق أمجلة الاراضي المقدَّسة ومُكاتبها حضرة الشمّاس ام اختها مجلة الشرق المسيحيّ التي توافق رأي المشرق مع رأي جميع المستشرقين

أسئلة وأجوبة

س سألنا جرجي افندي سليم طراد عن أوفق كلمة لتعريب اللفظة الفرنسويّة manie

ج تأتي اللفظة الفرنسويّة المذكورة بمعنيين فان أُريد بهـا جنونٌ خفيف فتعريبها « اللَّمَم » او « المسّ » وان أُريد بهـا غرابةُ العقل فيوافقها في العربيَّة « الهوَس » او « العتاهة »

س وكتب من رومة الاخ اغابيوس نعُّوم: « ما هو حرف النداء في نحو الحارث اذا أُريد نداؤهُ بعيدًا اذ لا يجوز ان تدخل عليهِ لا « ايها » ولا « ذاك » على ما نصَّ عليهِ العلّامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مختصر ارجوزتهِ » (ص٢٠٠)

دخول النداء على الاعلام المحلّاة بال التعريف

ج اكثرُ النحاة على انهُ لا يجوز تقديم حرف النداء على مصحوب أل التي للمح الصفة لئلا يجتمع معرّفان عليهِ اعني حرف النداء وأل التعريف. فلا يقال « يا ايهـا الحارث » ولا « يا ذا الحارث » امّا اذا أُريد النداء في هذه الاسماء فتُحذف اداة تعريفها ويقال: يا حارث. على ان هذا الرأي ليس بمطلق وقد اجاز نحاة مبرّزون ادخال اي مع هاء التنبيه على مصحوب ال في الاعلام كالفرّاء والجرمي كما نصّ عليـهِ الصبّان في حاشيتهِ على الاشموني (الجزء ١ ص ١٤٣) وقد وجدناهُ في الشعر القديم ل. ش

س وسأل من صيداء جناب الاديب توما افندي كيّال ما هي بلىناس التي تكرَّر ذكرها في تاريخ الصليبيين

بلىناس

ج بلىناس هي بانياس الحاليَّة التي موقعهـا عند حفّ جبل الشيخ عند مخرج الاردن. و يوجد بانياس اخرى على ساحل البحر بين طرابلس واللاذقية يدعوها الكتبة الصليبيون (Valenia) ويسمّيها العرب ايضًا بالىناس وبلنياس ه. ل

قائمة للآثار الجوّية من ٢١ تشرين الاول الى ٥ تشرين الثاني ١٩٠١

الاثنين ٢١ | الثلثاء ٢٢ | الاربعاء ٢٣ | الخميس ٢٤ | الجمعة ٢٥ | السبت ٢٦ | الاحد ٢٧ | الاثنين ٢٨ | الثلثاء ٢٩ | الاربعاء ٣٠ | الخميس ٣١ | الجمعة ١ | السبت ٢ | الاحد ٣ | الاثنين ٤ | الثلثاء ٥

ميزان الرطوبة
ميزان ثقل الهواء
٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

ميزان الحرارة
٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠

انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

مرقاة المجاني

لجامع المجاني

جزءان (١١٤ و١٠٠). وطبعَ الجزء الاوَّل عشرين طبعة والثاني اثنتي عشر طبعة

غاية هذا الكتاب الصغير الحجم ترقية الطلاب الى درس مجاني الادب. وهو قسمان يتضمنان ازيد من مائتي صفحة ق ١٨. يبتدى بهما الدارس بمبادىء القراءة الى مطالعة الكتب السهلة اللهجة القريبة المأخذ. وفيهما عدة فوائد صرفية ونحوية ومنتخبات ادبية نثرًا وشعرًا مقسمة الى فصول مختلفة

ق ١٨ بغلاف	٣٠	:	١٥
بنصف قماش	٤٥	:	

L'Échelle du Magâni.

مرقاة المجاني

In-18, 1er volume, 114 pages, 20e édition, 1901.

» 2e » 100 pages, 12e édition, 1901.

Par le même.

Cet ouvrage a été composé pour servir d'étude préparatoire à l'explication du **Magâni**. Il initie l'élève aux connaissances les plus élémentaires de la langue, et le fait passer successivement par des exercices pratiques sur les différentes notions de la syntaxe ; puis, par de petits traits simples et faciles, des fables, des contes et autres sujets semblables, il lui permet d'aborder la lecture des auteurs plus difficiles qu'il trouvera dans le **Magâni**.

		Fr.	affr.
Broché	chaque volume	0,30	0,15
Cartonné.	— —	0,40	

11 Petites fleurs de la vie des Saints.

قطف الأزهار من مروج الاخيار

32 fascicules format petit in-12, 1895-1898.

Il est des Saints dont le culte est très populaire en Orient ou qui mé[illegible] d'y être plus connus. Pour favoriser la dévotion du public, on a eu l'he[illegible] idée d'extraire leurs notices du « volume de la Vie des Saints » en les comp[illegible] au besoin, pour les publier en différentes séries comprenant chacune un c[illegible] nombre de fascicules. La 1re Série se compose de 8 fascicules où sont[illegible] nues les Vies de N. S., de la Ste Vierge, des parents de N. S., une notic[illegible] St Michel et les Anges Gardiens, sur St Jean Baptiste et St Elie, en[illegible] Vies des SS. Apôtres et Evangélistes. — La 2e Série comprend 11 fasc[illegible] renfermant les Vies des plus illustres Martyrs d'Orient et d'Occident. [illegible] 3e Série, composée de 10 fascicules, est consacrée aux Vies des SS. Doc[illegible] des SS. Confesseurs, Pontifes et non Pontifes, et des Patrons de la Jeun[illegible] — Enfin la 4e et dernière Série donne en 3 fascicules les Vies des S[illegible] Vierges, des Saintes Femmes et des Pénitentes.

12 Vie de St Jean Damascène.

ترجمة القديس يوحنا الدمشقي

petit in-12, 44 pages, 1895.

Par les PP. L. Euguet et L. Cheikho S. J.

Cet ouvrage a été composé d'après les biographies les plus ancienn[illegible] St Docteur avec quelques détails tirés des auteurs arabes. Deux phot[illegible] phies accompagnent le texte ; elles représentent, l'une les restes de l'[illegible] demeure que la tradition assigne à la famille du grand Docteur, l'[illegible] bleau qui se trouve dans l'Eglise du Saint, au dessus de s[illegible] l'œuvre d'un peintre Lyonnais qui a reproduit le miracle de la V[illegible] faveur de St Jean.

	Fr.	attr.
Broché	0,50	0,05

128 EUCOLOGE

OU

Manuel du Jeune Chrétien

AU COLLÈGE ET DANS LE MONDE

كتاب صلوات للشبّان واحداث المدارس

Par le P. J. F. Voilly S. J.

Petit in-16, 623 pages, dont 92 pages arabes, 1895.

Dans cette rédaction nouvelle de notre Eucologe on a eu surtout en v[illegible] procurer aux jeunes gens un livre de dévotion pratique, où ils p[illegible] trouver sous la main, avec les principaux exercices de la vie chré[illegible] durant le temps du Collège, un ensemble d'instructions et de conseils a[illegible] aux différents besoins de leur âme vers la fin des études et à leur entr[illegible] le monde. Signalons en particulier les diverses méthodes de prière [illegible] mentale, les pensées chrétiennes pour tous les jours du mois, [illegible] nières d'entendre la Ste Messe avec fruit, la pratique de l'examen parti[illegible] de sages conseils pour sanctifier les actions ordinaires, se préparer à [illegible] munion ou à la réception fréquente des Sacrements, faire sa retraite [illegible] le, choisir un état de vie, etc. etc. Les cantiques, les offices des différ[illegible] fêtes, les heures des Congréganistes ont été revus et modifiés. La partie [illegible] est restée sensiblement la même.

Broché	1,75
Reliure *mouton chagriné, tr. marbrée*	2,90
— — — *dorée*.	3,90



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 23 (1 Décem. 1901)

فهرس العدد ٢٣

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠١

المشرق

AL-MACHRIQ

REVUE ARABE CATHOLIQUE
SCIENTIFIQUE ET LITTÉRAIRE
ILLUSTRÉE SELON LES BESOINS DU TEXTE
Sous la direction des Pères de l'Université S[t] Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages grand in-8°

Cette Revue rédigée en arabe a été fondée au commencement de l'
Elle s'occupe spécialement d'étudier toutes les questions religieuses,
et littéraires qui ont rapport à l'Orient. Une large place y est réservée
tion de textes inédits, aux nouvelles scientifiques et aux Comptes-rend
graphie Orientale, sans parler d'un Roman où l'on met en scène la vie,
de l'Orient.

Des Revues comme le *Journal Asiatique de Paris, le Giornale della So
italiana*, la *Revue Critique* ont signalé en termes flatteurs l'apparit
jeune Revue à l'attention des savants. D'autres comme l'*Orientalistisch
Zeitung*, le *Bessarione*, l'*Oriental List* donnent le sommaire de chaque
dent compte des articles plus importants, en font un résumé ; il en est n
jusqu'à les traduire en entier. Ces témoignages de bienveillance de la
talistes de premier ordre sont pour nous un précieux encourageme
temps qu'un nouveau stimulant pour servir avec plus de zèle la r
science.

CONDITIONS DE L'ABONNEMENT

Un an : Beyrouth 12 francs — Union postale 14 francs — Prix
1 franc. — Une remise de 2 francs est accordée aux *abonnés* du Bac

AVIS

Les abonnés désireux de conserver réunis les n
trois années d'Al-Machriq pourront se procurer, à l'imp
tholique, une couverture en percaline gaufrée avec or
titre doré. Prix : 1 franc.

اعلان

...فاً جميلاً منقوشاً واسماً مذهباً لتجمع فيه اعداد كل سنة من ٤ سني
...احب ان يحصل عليه فليطلبه من المطبعة الكاثوليكية ثمنهُ فرنك

المشرق

سياحة حديثة في الصعيد

للبحث عن الآثار المسيحية القديمة

للاب ميشال جوليان اليسوعي

١

لا يجهل من لهُ المام بتاريخ نسّاك القرن الرابع للمسيح ان مفاوز الصعيد اضحت عامرة زاهية بعد ان نشر فيها بولا الناسك وانطونيوس الكبير لواء الزهد والتعبد. فتقاطر المسيحيون من كل فجّ وأوب الى تلك الأقفار وعمروا فيها اديرةً اشبه بقرى واسعة او مدن زاهرة انقطعوا فيها الى خدمة الله. وكان عددهم لا يزال ينمو مع الايام حتى انَّ الدير الواحد كان يشتمل على ٤٠٠٠ راهب او اكثر فخيف من انَّ حواضر مصر تُصبح قفرًا بعد هذه المهاجرة العجيبة

على انّ بين هؤلاء رجال الله قــد امتاز راهب اطرأ في ذكرهِ قدماء المؤرخين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ألا وهو الانبا يوحنّا المصري ذكرهُ كاسيان (في مباحثاتهِ ١ : ٢١ و ٢٩) وسُلبيس ساويرس (المحاورة ١ ف ١٣) وبالاديوس (في تاريخــهِ ف ٤٣) والقديس اوغسطينوس (في كتاب مدينة الله ك ٥ ف ٢٦) وروفينوس (في تاريخ الرهبان ك ٢ ف ١) وتاودوريطس (ك ٥ ف ٢٤) والمؤرخ سوزومان (ك ٦ ف ٢٨). وقد دعاهُ هؤلاء الكتبة وغيرهم باسماء مختلفة فنهم من يدعوهُ يوحنا الصغير وبعضهم يسمّيهِ يوحنا السيوطي ويوحنّا المصري و يوحنا المطيع. وقد اثبت البولنديون في اعمال القديس (٢٧ آذار و ١٧ تشرين ١) انَّ هذه الاسماء انما تدل على مسمًّى واحد

وقد ابقى يوحنّا المصريّ آثارًا لا تزال تنطق عن فضلهِ منهـا شجرة من الَميعة (styrax) تُرى اليوم في بريّة نطرون وارقة الافنان عند مدخل دير قديم استولى عليهِ الخراب يدعوها رهبان القبط واهل بادية الصعيد شجرة الطاعة. وقد جاء خبرها في تاريخ سلبيس ساويرس قال: انَّ رئيس هذا الدير لمَّا اتاهُ يوحنَّا المصري لينتظم في سلك رهبانهِ اخذ عصاتهُ وكانت من الَميعة فغرسها في الارض وامر الطالب الجديد ان يسقيها كأنَّها نصبةٌ حيَّةٌ الى ان تزهر وكان الرئيس يريد بذلك اختبار طاعة تلميذه. فامتثل يوحنـا امرهُ بسذاجة عجيبة وداوم على ذلك ثلاث سنوات دون ان يتردَّد في العمل حتى اظهر الله فضل عبده فاخضرَّت العصاة ونبت فيها ورق ثم اكتست بالزهور. وقد شهد بهذه المعجزة قوم من الأعلام الأثبات ممن عاينوا الامر وتحققوا صحّتـهُ. وقد رحلنا نحن ايضًا قبل بضع من السنين لتفقُّد هذه الشجرة وكتبنا مقالة عمَّا سمعناهُ وشاهدناهُ (١

على انَّ للانبا يوحنا المصري آثارًا غير هذه طلبناها في جوار اسيوط. لانَّ تاريخهُ يفيدنا عنهُ انهُ بعد زمن قضاه في اديرة النطرون انتقل الى القفر المجاور لاسيوط ليصرف فيهِ حياتهُ بالعيشة النسكيَّة والزهد التـام منفردًا عن البشر. فوجد على مسافة ميلين منها مغارة صعبة المرتقى منقورة في الصخر فدخلها وتحصَّن فيها دون ان يفتح بابها لاحد الَّا لپلاديوس المورخ الذي سطَّر ترجمـة حياتهِ (في الفصول ٤٣—٤٦ من تاريخهِ). ودخل يوحنا هذا الكهف سنة ٣٤٦ ولهُ من العمر ٤٢ سنة وعاش فيهـا منقطعًا الى الله سنة ٣٩٤

فهذه المغـارة المباركة التي قدَّسها رجل الله بممارسة جميع الفضائل مدة ٤٨ سنة تستحق اكرام المؤمنين ولا ريب ان المسيحيين لو عرفوها لحجُّوا اليها وتبركوا بزيارتها. على ان صروف الزمان ونوائب الدهر توالت على هـذه البلاد فاخنت على تلك الآثار الجليلة وجعلتها نسيًا منسيًا لا يعرف بوجودها احد. ولمَّا راجعنا ما كتبهُ دليل «بديكر» في هذا الصدد وجدنا ما فتَّ في عضدنا وكاد يقطع املنا من اكتشاف هذه المغارة فانهُ يؤكد انهُ لا سبيل لمعرفة مقام القديس يوحنا المصري وان مغارتهُ كمخاريب الجبل العديدة لا تمتاز عنها في شيء.

١) راجع كتابنـا المعنون «مصر» ص ٤٨. واعلم ان سلپيس ساويروس لم يذكر اسم الراهب الذي جرت على يدهِ هذه المعجزة غير ان كاسيان صرَّح باسمهِ وان كانت روايتهُ مختلفة

64

وكذلك لم نجد بين اهل اسيوط احدًا يرشدنا الى ضالّتنا فانَّ سكّان هـذه البلدة غائصون في امور عالمهم لا همَّ لهم بمثل هذه المباحث. والكاثوليك منهم قليلو العدد لا يتجاوزون الاربعمائة تراهم ضائعين بين ٤٥,٠٠٠ نفس ممن يقطنون البلد ولم يخطر على بالهم ذكر الانبا يوحنا ليتفقدوا آثارهُ

بيد اننـا مع ذلك لم نيأس من اكتشاف منزل القديس فاخذنا نراجع التواريخ القديمة لعلّنا نقف فيها على الاعلامات الكافية لتحديد المكان والاطلاع عليهِ. فجمعنا من ذلك ما جمعنـا لاسيما من تاريخ پلاديوس الذي زار قدّيسنا في حياتهِ ووصف مسكنهُ

ثمَّ اخبرتُ عن قصدي اخوة المدارس المسيحية الذي كنت نازلًا عندهم في اسيوط فاحبوا ان يرافقوني ويبحثوا معي عن منسك ولي الله

واول ما تحققناهُ انَّ كهف يوحنا المصري لم يكن كهفًا طبيعيًا لان هذه الكهوف الطبيعيَّة تحفرها المياه الجارية وهنا لا اثر للماء. فبقي ان نبحث على كهوف نقرها الناس في ام الصخرة. غير انَّ مثل هذه المغاور عديدة جدًا في جوار اسيوط منهـا في الجبل المطل عليها يراها المسافر من بعيد على ثلاثةِ صفوف مستقيمة. ومنها في الآكام التي تنتصب جنوبيَّ المدينة وغربيها. ومنهـا اخيرًا في اعالي الصخور التي تضغط مياه نهر النيل على مسافة ساعتين من المدينة

وان سأل سائل عن اصل هـذه الأغوار وهل نقرها سيّاحُ الصعيد في الصخر ليسكنوها. اجبنا انما كانت هذه المغاور في ايَّام الفراعنة مقالع اتخذ منها ملوك مصر حجارتهم لمبانيهم العظيمة. ثمَّ جعلها بعدهم اهل المدن مدافن لموتاهم ونقشوا عليهـا النقوش والكتابات الهيروغليفية. ولمَّا ضاءت انوار النصرانيَّة في مصر وكثر عدد النسَّاك كنت ترى الحبساء ينقطعون الى الله في هذه المغاور فيجعلون فيها سكناهم. ولنا على ذلك شواهد لا تُنقَض وهي الصلبان التي تزيّنها والكتابات المسيحيَّة المخطوطة على جدرانها كالادعية والصلوات وآيات الاسفار المقدسة

هذا ولم نحاول التفتيش عن مقام الانبـا يوحنا المصري في جبل اسيوط المشرف عليها لان هذا المكان قريب من المدينة لا يوافق ما دوَّنهُ پلاديوس المؤرخ عن وعورة المكان وتعيين مسافتهِ

امّا المغاور الواقعة عند جهات الآكام التي في جنوب المدينة وفي غربها فانها تطابق قول المؤرّخ بلاّديوس من حيث المسافة اذ هي تبعد عن اسيوط نحو ساعتين. ولكنها لا تنطبق عليهِ من حيث صعوبة المرتقى ووعورة المسلك وهي اشبه بالمدافن منها بكهوف لسكنى العبّاد. وما لا ريب فيهِ ان فوق هذه الرُّبى الجنوبية آثارًا عديدة للنصرانيّة من ابنية ومدافن. وقد وجد فيهـا المهندس الفرنسوي دوبوا ايمي (Dubois-Aymé) احد علماء بعثة نابوليون الاول (١ توابيت من خشب الجمَّيز فيهـا جُثث غير محنَّطة رجَّح كونها اجسام السياح الذين تنسَّكوا في هـذه الاماكن مع النصارى الذين احبوا ان يُدفَنوا هناك بجوار مناسك الرهبان. وكانت هذه الاجسام سالمةً لم يعمل فيها الفساد. وممّا يؤيد زعم المهندس المذكور آثار دير قديم يدعوهُ الاهلون « دير العظم » اشارة الى القبور التي اتخذها المسيحيون في هذا المكان. امّا المغاور المنقورة في الصخر فهي نادرة في هذا المحل

٢

فلم يبقَ لنا سوى الصخور المُعقنة التي على جانبي نهر النيل. فعمدنا اولًا على زيارة الضفة الشرقيّة لكثرة ما في صخورها من المغاور وآثار الاديرة القديمة. فخرجنا باكرًا من اسيوط ومشينا عند لحف الجبل في طريق سهلة افضت بنا بعد ثلاثة ارباع الساعة الى قرية أَدْرنكا فاجتزنا في وسط مقبرة النصارى وتأثرنا من حسن هندامها وسُررنا لاكرام الاهلين لموتاهم. وممّا أعجبنا مدافن مقبَّبة بيضاء شيَّدها الموسرون من الاقباط لذويهم. امّا بقيّة القبور فهي محدَّبة مطلية بالكلس في رأس كل منها خمس اجرات على هيئـة صليب. وللكاثوليك في هذه المقبرة مكان خاص يُحدق بهِ حائط يصونهُ وترى بين قبورهم صليباً كبيرًا يفيّئ بظلّهِ الراقدين بالرب فجثونا هناك وصلينا عند قبرَيْ مرسلَيْن من الرهبانيّة الفرنسيسيّة التي حافظت وحدها مدّة قرون مديدة على كنز الايمان في هذه البلاد جازاها الله الف خير

ثم اخذنا نتوقّل الجبـل بين الصخور. فكان اول كهفٍ تفقّدناهُ مدفنًا كبيرًا في منعطف الجبل قُبر فيهِ في سالف الزمان احد الفراعنة. وهذا الكهف منقور في الصخر

١) راجع كتاب Description de l'Egypte, T, XV, p. 203, 2e ed.

واسع الارجاء كانهُ الحجرة الرحبة وعلى جانبيهِ غرفتان صغيرتان وهناك جرن كجرن العماد الذي يستعملهُ الاقباط. ولا مراء انَّ بعض السياح سكن هـذا المدفن فصار من بعدهِ معبدًا

ثم واصلنا سيرنا بين تلك الصخور فوصلنا بعد ربع ساعة الى قرية حقيرة تُدعى دير أُذرنكا يسكنها الآن نحو ٣٠ عائلة قبطيَّة من صعاليك القوم واسم الضيعـة يدلُّ على انها كانت سابقًا ديرًا للرهبان. ولها اليوم كنيستان الواحدة منقورة في الصخر والاخرى في سفح الجبـل على اسم العذراء. وليس لدير أُذرنكا الآن كاهن يقوم بامورها الروحيَّة

وجنوبيَّ المدينة مقالع قديمة العهد متَّسعة الارجاء يبلغ طول بعضها نيفًا ومئة متر فدخلناها لعلَّنا نجد فيها آثارًا مسيحية. فلم يُجدنا البحث نفعًا الَّا ان هذا المكان مطلّ على السهل تُرى منهُ اسيوط ومبانيها ومآذنها مع ما يحدق بها من خضرة المزارع والجبال المجاورة لها ونهر النيل الجاري قريبًا منها. فاثلج هذا المنظر صدورنا واقرَّ عيوننا وانعش قوانا فنزلنا من هذه الآكام وجرينا مسرعين في السهل الى ان لاحت لنا بعد ساعة فرعةٌ أُخرى مع آثار مائلة من دير قديم اصبح اليوم ضيعـةً صغرى فوجب قلبُنا لهذا المنظر وشعرنا اننا اوشكنا على ادراك المرغوب. لانَّ موقع هذا الدير ومسافتهُ من اسيوط وصعوبة مرتقاهُ تطابق ايَّ مطابقة ما كتبهُ پلاديوس عن مغارة الانبا يوحنا المصري

فرقينا في شِعْب من الجبل وعر المسلك افضى بنا الى درج منقور في الصخر متقن العمل وجدنا في اعلاهُ اهل القرية قد اجتمعوا مع راعيهم لاستقبالنا. فرحَّبوا بنا واكرموا مثوانا واعلمونا ان اسم الضيعة دير ريفة. ثم رافقونا في زيارة كنيستهم وما يكتنف بها من الآثار القديمة. وما استلفت نظرَنا في باديء الامر باب القرية فلحظنا ان عتبتهُ العليا صفيحة قديمةٌ من الرخام عليها نقوشٌ جميلة من الطرز البوزنطي وعلى اطرافها آيات من الكتاب المقدس بالقبطيَّة. ووراء هذا الباب معبرٌ معوجٌ على شبه الكوع ذكَّرنا بمداخل الحصون والقلاع الحريزة. فلمَّا اجتزناهُ وصلنا الى ساحة الدير القديمة ثم صعدنا منها الى سطحٍ شُيّدت الكنيسة بازائهِ

وكان في وسط السطح مقرأةٌ عليها كتاب ضخم مجلَّد برقّ الغزال وهو مكتوب بالقبطيَّة وكان خطهُ جميلًا قديم العهـد وعلى حواشيهِ نقوشٌ مذهبة وتصاوير بالوان

ناصعة فلم نشك انهُ من عمل قدماء الرهبان. وقد جعلت القرأة على السطح ليجتمع حولها اهل القرية ويصلّوا مع كاهنهم صلوات جمعة الآلام. وهذه الصلوات طويلة جدًّا عند الاقباط اليعاقبة فآثروا ان يصلّوها على السطح لان كنيستهم مظلمة لا يجري فيها الهواء

اما الكنيسة فلم نجد فيها شيئًا يستحق الذكر الّا ان فوق عتبتها نقوشًا تمثّل اغصانًا من الشجر مع صور حيوانات شتى. وداخلها منقور في الصخر الصلد يتركّب من عدّة غرف جمع بينها على هيئة الكنائس القبطيَّة الحالية وانما كانت في سالف الزمان مجهَّزة لدفن الموتى. وامام المقدس مشبَّك (شعريَّة) جميل من الخشب صغير التقاطيع لهُ بابان مرصّعان بالعاج قد كُتب بهِ على باب الشمال: « اننا نسجد لك ايها المسيح المنا » وعلى باب اليمين: « السلام لهيكل الله ابينا »

ولمَّا انتهينا من زيارة هذه الكنيسة التي لم نستفد منها ذكرًا للقديس يوحنا المصري سألنا اهل القرية أيعرفون غير هذه الكنيسة ؟ فأرونا قريبًا من هناك صخرًا كبيرًا مقطوعًا قطعًا عموديًّا وفي وسط الصخر مداخل واسعة تفضي الى معبدٍ دعوهُ المعبد الروماني فهرعنا اليهِ يتنازعنا عاملا الخوف والرجاء واجتزنا في كوخٍ لعجوز استغربت مرورنا في دارها حتى بلغنا الغار. فاذا بمداخلهِ الثلاثة مزدانة بكتاباتٍ مصريَّة قديمة ولها رواق يظلّلها. والمداخل متسعة تفصلها سوارٍ مثمَّنة الزوايا. امَّا الكهف فبالغ الاتساع طولهُ نحو ٢٥ مترًا في عرض ١٠ امتار وعلوّ ٦ امتار. والردهة الوسطى منهُ تُقسم الى ثلاثة اقسام اولها رواق طولهُ خمسة امتار ثم حُجرتان طول كل واحدة منهما عشرة امتار. والرواق منفصل عن الحُجرة الوسطى بسوارٍ ضخمة. امَّا الحجرتان فبينهما حائط من الصخرة والرواق اعلى من الحُجرتين بنحو متر ونصف. وسقف الغار سويّ عليهِ نقوشٌ بتقاطيع هندسيَّة تشبه اجمل ما وجدنا من ذلك في هياكل المصريين الاقدمين. غير ان سقف هذا المكان مسودٌّ بالسناج. وقد ميَّزنا بين نقوشهِ عددًا وافرًا من النجوم الزرقاء المخمسة الاطراف (١. وفي الردهة الكبرى في نصف قسمها الشمالي

١) راجع خواصّ هذا النجم ومعناهُ في كتاب وصف مصر Jomard : *Description de l'Egypte*, VII, 419.

معبد قديم بُني بالحجارة وهذا المعبد متَّجه الى الشرق على مثال المعابد القبطيَّة القديمة. وهو المعبد الذي دعاهُ اهل القرية بالمعبد الروماني

وسألنا هؤلاء القرويين أبلغ سمعهم اسم الانبا يوحنا وهل يعرفون لهُ اثرًا في هذا المكان فكان جوابهم انكاريًّا. وغاية ما يعلمون من امر هذا المقام وأغوارهِ ومعبدهِ انهُ محلٌّ مقدَّس اكرمهُ اجدادهم وعظَّموهُ الى عهدهم

على انَّ جهل هؤلاء القوم لم يُلقِنا في الريب عن صحَّة ما اكتشفنا لاننا وجدنا انَّ هذا الغار اشبه شيء بما وصفهُ پلاديوس حيث قال عن منزل القديس يوحنا انهُ يتركَّب من رواق وحجرتين. وذلك يوافق تمامًا ما نراهُ هنا. وكذلك اخبر پلاديوس ان رجل الله كان ابتنى حائطًا يفصل الرواق عن مَنسكهِ الداخلي. وكان لا يفتح نافذة هذا الحائط لزوارهِ الَّا يومي السبت والاحد. وآثار الحائط المذكور باقية حتى الآن. امَّا السواري التي عند المدخل فيُرى عليها صلبان منقوشة غير متقنة النقش رسم صورتها الزوَّار الاقدمون

امَّا قول القرويين انَّ المعبد الذي في داخل الغار يُعرف بالمعبد الروماني فترجح انهُ دُعي بذلك لكثرة ما كان يتردَّد على الانبا يوحنا من اعيان الرومان ليتبرَّكوا بادعيتهِ ويطلبوا مشورتهُ. وممَّا اشتهر بهِ الانبا يوحنا روح النبوة فانهُ كان يخبر الولاة الرومانيين بما يتهدَّد الدولة من الاخطار. وروى القديس اوغسطينوس (في كتابهِ عن الموتى ف ١٧) والسنكسار الروماني (في تاريخ ٢٧ اذار) انهُ سبق وبشَّر تاودوسيوس الكبير بانتصارهِ على مكسيم واوجان الطاغيتين

واخبر پلَّاديوس انهُ لمَّا زار القديس وجد عندهُ الوالي الروماني أليبيوس فاضطرَّ الى ان ينتظر زمنًا طويلًا قبل ان ينتهيا من حديثهما فضجر پلَّاديوس لذلك وامتعض في باطنهِ فعرف يوحنا خفيَّ افكارهِ فارسل اليهِ ترجمانهُ تاودورس يقول لهُ: «ما لك تتبرَّم ضجرًا ألا تعلم قول الرب انَّ السقماء هم المحتاجون الى طبيب لا الاصحاء؟ هذا رجلٌ اتى اليَّ وهو في غاية الحاجة الى نصائحي وليس لهُ سوى وقت قصير ليفكِّر في امر خلاصهِ. امَّا انت فانك طول دهرك لا تفتكر بغير الخلاص»

وبعد ان فحصنا هذا الغار وتفقدنا كل زواياه خرجنا وقلبنا طافح بالفرح لما وجدنا هنا من آثار احد مشاهير اولياء الله. ولمَّا عدنا الى الضيعة حلَّق حولنا اهلها فرحين وكانوا

يريدون ان يدخلونا في منازلهم التي اكثرها مدافن قديمة اصلحوها لسكناهم . ومن غريب ما شاهدنا ان صخور هذه القرية وجدران منازلها كلها مغطّاة بطين لزج سمكهُ قدمٌ ونصف كلهُ مركّب من اوكار الزنابير فهذا الملاط الاسود يكدّر منظر الضيعة ويجعل بينها وبين بياض الجبل تبايناً عظيماً . ولعلَّ كثرة الزنابير التي في انحاء الصعيد هي التي حملت قدماء المصريين الى ان يتخذوا النحلة او الزنبور كشعارٍ لمصر العليا كما انهم اختاروا البردي للدلالة على مصر السفلى

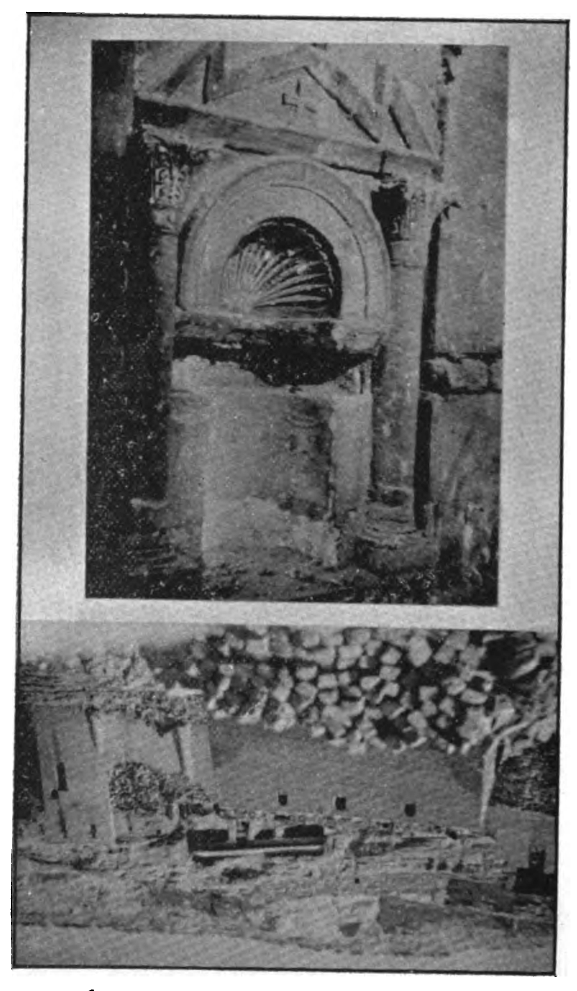
وبعد هذه الزيارة أقرأنا الوداع اهل دير ريفة بعد ان فرَّقنا عليهم صلباناً صغيرة سُرُّوا بها سرورَهم بانفَس الهدايا ولم يطالبنا احد منهم بالبخشيش كما هي العادة في هذه البلاد

٣

وكان اهل دير ريفة اعلمونا انَّ على مسافة ساعة من قريتهم من جهة الجنوب عند الطرف السهل ديرًا آخر . فنوينا زيارتهُ لرغبتنا في الآثار النصرانيَّة

واحبَّ رجلٌ من دير ريفة ان يوافقنا ليدلَّنا على الدير المذكور . ففي اثناء مسيرنا ارانا نقدًا من النقود التي لا يزال اهل البادية والسودان والحبش يستعملونها حتى يومنا ويؤثرونها على سواها . وهذا النقد على اسم مريم تريزا ملكة النمسا وهو التلاري (Talari) وثمنهُ كالمجيدي . وكنت منذ زمن طويل اطلب نقدًا من هذا الصنف فسرَّني وجودهُ وابتعتهُ بثمن خمسة فرنكات بنيف عن ثمنهِ المعهود . وهذا النقد يمثّل في احد وجهيهِ صورة العذراء مريم حاملةً فوق ذراعيها طفلها الالهي وهو يمسك بيدهِ كرة العالم وفي يد البتول اليمنى صولجان الملك وفي دائرة النقد قد كُتب ما تعريبهُ : « مريم ام الله شفيعة هنغاريا سنة ١٧٥٢ » . اما الوجه الآخر ففيهِ صورة مريم تريزا الملكة . وهذا التلاري يُضرب حتى عهدنا هذا في مصر وبلاد أُخرى لمعاملة الأعراب واهل السودان والحبشيين

الريال المستعمل في السودان



١ حنيَّة كنيسة الدير الاحمر قرب سوهاج مع كواها ذات المثلَّثات الثلاثة
٢ مدخل مغارة الانبا يوحنَّا المصري في دير ريفة

وما عتمنا بعد ساعة ان وصلنا الى الدير الذي دُلِلنا عليهِ على طرف المزارع في الرمل. ولهذا الدير سور مرتفع مربَّع الشكل مكمد اللون لما يعلوهُ من الملاط الاسود الموصوف آنفاً. وليس لهُ سوى باب ضيق يُدخل منهُ الى داخلهِ. فما طرقنا هذا الباب حتى اسرع اهلهُ وفتحوهُ واستقبلونا بكل لطفٍ وانس. واسم هـذا الدير حاليًّا دير الزاوية وليس فيهِ رهبان وانما احتلَّهُ قوم من الأقباط اليعاقبة فجعلوا سكناهم في دارهِ الواسعة وقد ابتنوا لكل عيلةٍ بيتاً ونظَّموا البيوت وفصلوها عن بعضهـا بالازقَّة على شكل القرى العامرة. وكنيستهم هي كنيسة الدير القديمة يجتمعون فيها للصلاة بيد انهُ لا راعي لهم ولذلك سرُّوا بنا ايَّ سرور واخذوا يتوسَّلون الينا لنبقي عندهم كاهناً منَّا يرشدهم في سُبل الفضيلة والدين. حقَّق الله رغبة هذا القطيع المهجور بارسالهِ اليهم كاهناً كاثوليكيًّا يضمُّهم الى حظيرة الرب

وكنيسة هذه القرية غاية في الحسن قضينا منها العجب. وهي كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق على مثال الكنائس الغربية لها اعمدة ضخمـة مبنية بالآجرّ الاسود مع خطوط بيض تجمع بينها وفوق الاعمدة قُبب لطيفة. وحنيَّة هذه الكنيسة بديعة النقش لها طنف ناتئ وصفَّان من الكوى مزدانة بعمد صغرى في اعلاها ثلاثة مثلَّثات اشارة الى سرّ الثالوث الاقدس. وكنا لحظنا مثل هذا في الدير الاحمر قرب سوهاج وكنيستهُ من اقدم الكنائس المصريَّة. هـذا وان كرور الاجيال توالى على كنيسة دير الزاوية فطمس قسماً من محاسنها واخرب جانباً من مبانيها. امَّا تاريخ الدير فلم يُفدنا عنهُ احد علماً. وقد دُعي الدير في عهدنا بدير الزاوية لموقع قرية قريبة منهُ تُعرَف بالزاوية. واذا لحظنا الكنيسة وهندستها ونقوشها وجدنا انها تُشبه كل الشبه كنيستي الديرين الشهيرَين الدير الاحمر والدير الابيض بجوار سوهاج فتكون من عهدهما. وما لا ريب فيهِ انها سبقت تاريخ الهجرة

ولمَّا انتهينا من سياحتنا هذه راجعنا ما رواهُ مشاهير كتبة العرب في اديرة النصارى القديمة لعلنا نجد ذكر الاديرة الثـلاثة التي زرناها. فتصفَّحنا خطط المقريزي وتاريخ الشيخ ابي صالح الارمني وكتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق فلم نجد في هذه التآليف ما يشفي الغليـل. ولا غرو فان العرب لمَّا فتحوا بلاد مصر استنكفوا من اسمائها الاعجميَّة التي لا توافق لغتهم فابدلوها بما هو اقرب للسانهم

ومما يفيدنا ابو صالح الارمني (ص ١١٤) انَّ على مقربة من اسيوط ديرًا اسمهُ «ابو يحنس ويعرف بابشاي». فاسم يحنّس كيوحنَّا ولا يبعد انهُ أراد بهِ دير ريفة الذي وجدنا فيهِ محبسة الانبا يوحنَّا المصري. وذكر المؤلف نفسهُ ديرًا آخر بجوار اسيوط دعاهُ دير «بابسويا» قال ان موقعهُ بين ريفة وبين قرية اخرى سقط اسمها من نسخة كتابهِ. وعلى ظنّنا ان هذا الدير هو دير الزاوية الذي تفقَّدناهُ. وكذلك كتب ابو صالح عن دير آخر قرب اسيوط ما نصُّهُ: "دير على اسم السيدة العذراء الطاهرة مرتمريم ويُعرف بدير ابو (كذا) الحارث». فنرى انَّ الدير المذكور هو دير ادرنكا الحالي وقد قلنا ان بقربهِ كنيسة على اسم العذراء الطاهرة

هذا ما حصلنا عليهِ من امر هذه الاديرة. ونتمنى ان العلماء يواصلون البحث في جهات اسيوط عن الآثار المسيحية وهي كثيرة في تلك الجهات. وكفانا شاهدًا على ذلك انَّ ياقوت الحموي روى في معجم البلدان (١ : ٢٧٢) عن بعض اهل اسيوط في زمانهِ انَّ في هذه المدينة وحدها ٧٥ كنيسة للنصارى

ابو العلاء المعرّي

للشيخ الفاضل اللغوي سعيد افندي الشرتوني

قد كان هذا الشاعر الفيلسوف القادم الدنيا في القرن الرابع للهجرة الراحل عنها في القرن الخامس (١ المضروب بهِ المثل في قوة الحافظة كفيف النظر ملازمًا منزلهُ مكتفيًا همَّ الارتزاق مولعًا بالادب يطيل النظر في الاديان وأُصولها واغراضها واحوال القائمين عليها وسير رؤسائها فيتولاهُ الشك او الكفر تارةً ويراجعهُ اليقين أُخرى فتصدر عنهُ في كل حال من حاليهِ ابيات تمثّلهُ شاكًا او كافرًا وأُخرى تمثِّلهُ مؤمنًا. غير ان الناس اقتصروا من شعرهِ في الدين على ما ينبئ عن مروقهِ او كفرهِ كابيات رواها ابو الفداء الحموي في تاريخهِ (٢ وقضى عليهِ بالكفر بسببها ولم اسمع من احد في

١) كانت ولادة ابي العلاء سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤م) وتوفي سنة ٤٤٩ (١٠٥٧)

٢) راجع تاريخهُ المطبوع في الاستانة (الجزء الثاني ص١٨٥)

هذه الاطراف من المشغوفين بحفظ الشعر بيتاً لهُ يدلُّ على تديُّنهِ وتُقاهُ مع انهُ من الزهد والادب بالمكان المكين. ولمَّا تصفَّحت لزومهُ منذ ثلاثة أعوام عثرت لهُ على ابيات كثيرة تنطق بانهُ كان مؤمناً حين نظمها وقد نقلت جملةً منها احببتُ ان يذرّ على القرَّاء من ناحية المشرق وهي هذه:

عجبي للطبيب يُلحِد في الخا — لق من بعد درسهِ التشريحا
ولقد علِم المنجّمُ ما يو — جب للدين ان يكون صريحا
ربَّ روحٍ كطائر القفص المسـ — جون ترجو بموتها التسريحا

وقولهُ: لا ريب ان الله حقٌّ فلتعُدْ — باللوم انفسكم على مرتاجها
هلَّا تتوب عن الذنوب خواطئٌ — قبل اعتراض الموت دون متاجها

وقولهُ: اذا وفتْ لتجار الهند فائدةٌ — فاجعل مع الله في دنياك متَّجَرا

وقولهُ: فلا تنسَوُا الله الذي لو هُديتمُ — الى رشدكم ما زال منكم على ذكرِ

وقولهُ: ازول وليس في الخلّاق شكٌّ — فلا تبكوا عليَّ ولا تبكُّوا

وقولهُ: اما الجاور فارعَهُ وتوقَّهُ — واستعف ربَّك من جوار الملحدِ
ليس الذي جحد المليك وقد بدت — آياتهُ بأخٍ لمن لم يَجْحَدِ
اركع لربك في نهارك واسجد — واذا اطقت تهجُّداً فتهجَّدِ

وقولهُ: محمودنا الله والمسعود خائفهُ — فعدِّ عن ذكر محمودٍ ومسعودِ

وقولهُ: تعالى الله كم ملك مهيب — تبدَّل بعد قصرٍ ضيقَ لحدِ
اقرُّ بانَّ لي ربّاً قديراً — ولا القى بداهتهُ بجحدِ

وقولهُ: والعفوَ آملُ من ربّي اذا حضَرتْ — نفسي وفارقتُ عُوَّادي لاعوادي

وقولهُ: مولاك مولاك الذي ما لهُ — ندٌّ وخاب الكافرُ الجاحدُ
آمنْ بهِ والنفس ترقى وان — لم يبقَ الَّا نفَسٌ واحدُ
ترجُ بذاك العفوَ منهُ اذا — أُلحدتَ ثم انصرف اللاحدُ

وقولهُ: فلا يُضيعِ الله المساعيَ في التقى — فمن يسعَ فيها لا يخف غبنَ القَمْرِ

وقولهُ: اخو الدين من عادى القبيح واصبحت — لهُ حجزةٌ من عفَّة وازارُ

وقولهُ: خالقٌ لا يُشكُّ فيهِ قديمٌ — وزمانٌ على الانام تقادمْ

وقولهُ: ومغفرةُ الله مرجوَّةٌ — اذا حُبست اعظمي في الرِّمَمْ
فيا ليتني هامدٌ لا اقومُ — اذا نهضوا ينفضون اللمَم
وجاءت صحائفُ قد ضمِّنت — كبائرَ آثامهم واللَّمَم
اذا مدحوا آدمياً مدحـ — تُ مولى الموالي وربَّ الامم
لهُ سجد الشامخ المشمخرُّ — على ما بعرنينهِ من شَمَم

وقولهُ: تجمَّلْ بتقوى او تجمَّلْ بعفَّةٍ — فذلك خيرٌ من سوارٍ وخلخالِ

وقولهُ: ان تثو في دار الجنان فانما — فارقتَ من دنياك ناراً تحتدمْ

هذا ولا يقدح في ايمانهِ ما جاء لهُ من الطعن في بعض الوعّاظ من اهل عصرهِ لما كان يرى فيهم من الحرص على الدنيا والكلَف بجمع حطامها وذلك كقولهِ:

طلب الحسائس وارتقى في منبرٍ يصفُ الحساب لامةٍ ليهولها
ويكون غير مُصدِّق بقيامةٍ اسى يمثّل في النفوس ذهولها

فلا يلزم عن الرمي بالزندقة ان يكون الرامي زنديقاً كما لا يخفى

تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء

ملحق للنبذة السابقة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

اننا نشكر جناب الشيخ الفاضل واللغوي الشهير سعيد افندي الشرتوني على ما جمعهُ في نبذتهِ من الشواهد الناطقة بتديُّن ابي العلاء المعري بيد اننا كنّا وددنا لو حاول الكاتب النحرير ان يحلَّ مشكلًا صعباً وهو ان يبيّن كيف امكن رجلًا من مقام ابي العلاء المعري ان يتردَّد بين الكفر والدين ويتلوَّن كأبي براقش يوماً بلون الحق ويوماً بزيّ الباطل

ولا نشك ان جناب الشيخ لو تصدَّى لهذا البحث لأبان الرغوة عن الصريح. ولن يسمح لنا نعمل النظر في هذا الامر فنقول:

اننا لا ننكر انَّ في ديوان ابي العلاء المعرّي المعروف بلزوم ما لا يلزم ابياتًا اذا سمعها السامع أفتى لاوَّل وهلةٍ انَّ قائلها زنديقٌ لا يعبأ بالدين. بيد انَّ في هذا الديوان نفسهِ ابياتًا غيرها فيها تلوح شعائر الدين كالشمس في رائعة النهار منها ما اوردهُ جناب الشيخ سعيد آنفاً وغيرها كثير لا يسعنا ذكرها لضيق المجال. أفيكفي القول لشرح هذا التضادّ انَّ المعري تردّد بين الصدق والكذب وبين الباطل واليقين

لا لعمري فان هـذا التضادّ لا يطابق ما كتبهُ عن المعرّي اهل زمانهِ من زهدهِ في الدنيا وورعهِ وتقاهُ وصبرهِ على العمى حتى انهُ كان يقول (انيس الجليس ١: ٢٧٩): « انا احمد الله على العمى كما يحمدهُ غيري على البصر ». فمن يقول انَّ زنديقاً ينطق بمثل هذا القول المنبيء بصبرٍ جميل على اعظم محن الدهر

وزد على ذلك انَّ ابن خلكان وغيرهُ من المؤرخين ذكروا ان العلماء والوزراء واهل الاقتدار فضلًا عن الطلبة كانوا يفتخرون بصداقته ويكاتبونهُ ويسيرون اليهِ من الآفاق ليسمعوهُ ويأخذوا عنهُ فهل يمكن القول انَّ مثل هؤلاء استطاعوا ان يخالطوا رجلًا ملحدًا كافرًا ؟ وكذلك اخبر الحافظ السلفي انهُ لما توفي المعرّي رثاهُ نحو مائة وثمانين شاعرًا منهم فقهاء ومنهم محدّثون ومنهم صوفية وقد ترجم الحافظ باسمائهم فكيف اتفق مثل هؤلاء ارباب الدين ان يمدحوا زنديقًا مأبونًا في دينهِ . فبقي علينا ان نطلب وجهًا للدفاع عن شرف المعري فنقول مستندين في قولنا الى اصدق الادلَّة :

١ً انهُ لممكن انَّ المعري قال في شبابهِ بعض الابيات المؤذنة بفساد المُعتقد رواها عنهُ بعض اصحابه الَّا انهُ تاب عنها بعدئذٍ وصرَّح عن اعتصامهِ بالدين . وهذا وجه حسن لحلّ هذه الأُربة ويدفع عن المعرّي معرَّة الكفر . وقد قيل انَّ التوبة تكفّر عن الحَوْبة

وليس رأينا هذا محض اختلاق بل رواهُ ابن الوردي في تاريخهِ (١ : ٣٦٠) نقلًا عن كتاب دفع المعرَّة عن شيخ المعرَّة حيث قال انهُ وجد المعرّيَ في ديوان لزوم ما لا يلزم مذبذبًا حائرًا في الدين لكنَّ الكتب التي ألَّفها بعد ذلك خصوصًا ضوء السقط تُصلح هذا الفساد وتوضح رجوعهُ الى الحقّ وصحَّة اعتقادهِ . وضوء السقط خاتمة كتبهِ والاعمالُ بخواتمها

٢ً انَّ اقوالًا كثيرة نُسبت الى المعرّي وهو براءٌ منها . فكان اعداؤهُ وحسَدَتهُ ينظمون ابياتًا كفريَّة فيشيّعونها على اسمهِ ليبخسوا قدرهِ . قال صاحب ترجمة المعري في صدر ديوانهِ لزوم ما لا يلزم (الطبعة الهنديَّة) : « لعلَّ ابا العلاء كانَ في زمان مثل زماننا هذا يعني كل امرئٍ انكر المُنكَر فيرمونهُ بسوء الاعتقاد ليغروا بهِ الملوكَ كما قال الامام ابن حزم : « انا طريد الملوك لاني اقول الحق ولا أُبالي » . وقال صاحب انيس الجليس (١ : ٢٧٩) : انَّ تلامذتهُ وغيرهم كانوا يعملون على لسانهِ الاشعار ويضمّنونها أقاويل الملاحدة قصدًا لاتلاف نفسهِ . ويشهد على هذا قولهُ :

حاول إهوانيَ قومٌ فما واجهتُهم الَّا بإهوانِ
وقوَّلوني بقالاتهم فغيَّروا نيَّة اخواني
لو استطاعوا لوَشَوا بي الى المرّيخ في الشهب وكيوانِ

وكان يقول ايضا (ابن الوردي ١ : ٣٦٠) : « انا شيخ مكذوب عليهِ » . فان صحَّ

هذا القول فلا غرو ان نجد في شعرهِ أقوالًا تؤذن بفساد عقيدتهِ وقد دسُّوها في كتبهِ ظلمًا. لكن الانسان ليس بمسؤول الّا عن اعمال يديه

٣ قد راجعنا كثيرًا من الابيات التي استند اليها الرواة ليرموا ابا العلاء المعريّ بالزندقة والكفر فوجدنا لشرحها وجهًا صوابيًا ليس فيهـا من الالحاد ما زعم هؤلاء. كقولهِ:

النفس عند فراقها جثمانَها محزونةٌ لدروس ربعٍ عامرِ
كحمامة صيدت فئنَّت جيدَها اسفًا لتنظر حال وكرٍ دامرِ

فزعموا انَّ هذا القول ينفي البعث ومن تأمَّلهُ بعين الصواب لا يجـد فيهِ شيئًا من ذلك. فان تشبيههُ للجسم بعد الموت بالوكر الدامر لا ينفي اعتقادهُ بالبعث يوم القيامة ولهُ ابيات كهذه ظاهرها الانكار ومن نقدها يجد انَّ المعري لا يجحد البعث نفسهُ وانما ينكر شيئًا من أحوال المبعوثين

وكذلك لم يستحسنوا للمعرّي قولهُ عن المنجمين:

ينجّمون وما يدرون لو سُئلوا عن البعوضة انَّى منهمُ تَقفُ

وقولهُ: سلطانك النار ان تَعدلْ فنافعةٌ وان تجُرْ فلها ضيرٌ واحراقُ

وقولهُ عن قضاء الله:

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمَّ وضلَّت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربهِ فيخرج من ارضٍ له وسماء

ولكل هذه الابيات معانٍ صحيحـة لا تخفى على البصير. قال كمال الدين ابن العديم في رسالتهِ المسماة دفع التجرئ على المعرّي ذكر فيها محاسن هذا الشاعر وفضائلهُ وقال فيها: « انَّ سائر ما في ديوانهِ من الاشعار الموهومة فهي اما مكذوبة عليهِ او هي مؤوَّلة كما اوَّلوا كلام محيي الدين ابن العربي وغيرهِ من الصوفيَّة »

٤ وممَّا يبرّئ ابا العلاء من وصمة الكفر ان لهُ اقوالًا كثيرة يهجو بها المرائين ومن يتخذ الدين كوسيلة لغايات شخصيَّة لا لوجه الله وكذلك تراهُ يندّد بخرافات دخلت في بعض الاديان وهي من الدين مناط الثريَّا. كقولهِ:

رأيتُ جماعات من الناس أولعت باثبات اشياء استحال ثبوتهـا

وقولهِ: اذا رام كيدًا بالصلاة مقيمُها فتاركها عمدًا الى الله أقربُ

وقولهِ: افيقوا افيقوا يا غواةُ فانما دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فادركوا وبادوا وماتت سنَّة اللؤماء

فبقولهِ « غواة » خصَّص اهل الديانات الباطلة · ومن ذلك ابيات رواها ابو الفداء اولها :

عجبتُ لكسرى وأشياعهِ وغسل الوجوه ببول البقرْ . . .

ومنها ايضاً قولهُ عن الاحاديث الضعيفة التي لم يروِها الائمة :

جاءت أحاديث ان صحّت فانّ لها شأنًا ولكنّ فيها ضعفُ إسنادِ
فشاورِ العقلَ واترك غيرهُ هدرًا فالعقل خير مشيرٍ ضمَّهُ النادي

فترى من هذه الأقاويل ان ابا العلاء لا يطعن في الاديان بل يردُّ ما يجد فيها مضادًّا للعقل السليم (١ او ما كان مخالفًا لمبادئ الدين الحق

ومن عجيب الامور ان اخصام المعري نسبوهُ الى الالحاد لانهُ امتنع ٤٥ سنة عن اكل اللحم وقالوا انهُ تمذهب بمذهب الهنود الذين يحرّمون ايلام الحيوان. واستندوا في هذه الشكاية الى بعض اقوالهِ المبهمة. وقد ردَّ عليهم تلميذهُ ابو الحسن علي بن همام لمّا رثاهُ بقولهِ :

ان كنتَ لم تُرِق الدماء زهادةً فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

ولو تمعَّن هؤلاء المنتقدون لوجدوا في هذا البيت تفنيدًا لما زعموا لانهُ بقولهِ « لم تُرِق الدماء زهادةً » بيَّن انهُ امتنع عن اكل اللحم زهدًا بملاذّ الدنيا والشهوة الحلال .

وكذلك زعموا انهُ لم يحلِّل الزواج الشرعي بقولهِ :

على الوُلد يجني والدٌ ولو انهم ولاةٌ على امصارهم خطباءُ

ومثلهُ قولهُ وكان اوصى ان يُكتب على قبرهِ :

هذا جناهُ ابي عليَّ وما جنيتُ على احدِ

غير ان مثل هذه الاقوال تدخل في باب العتاب على الدهر وآفاتهِ وليست هي مذهبًا كفريًّا . وقد جاء مثل ذلك في كثير من الشعراء وفي سفر ايوب البار لمّا لعن يوم ميلادهِ وتمنى لو لم يكن بُشِّر ابوه بولادتهِ

هذه وجوهٌ اربعة نعرضها على الادباء ليبرّئوا بها ساحة ذاك الشاعر المفلق من معرَّة

---

١) ولعلَّ ابا العلاء توهم الخطأ في بعض الديانات فردَّ على ما لم يدرك صحَّتهُ . من ذلك ما كتبهُ عن عقائد النصارى (راجع انيس الجليس ١ : ٣٨٢) وقد فنَّد قولهُ المطران جرمانوس فرحات وغيرهُ

الزندقة فساها ان تحوز لديهم قبولًا ليفحموا بهـا ملحدي زماننا اذا ما حاولوا والتجأوا الى اقاويل ابي العلاء رجاء ان يؤيدوا بها كفرهم . صان الله شرقنا العزيز من هذا الوباء وعواقبهِ الوخيمة

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتـاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تتمَّة)

الزيُّ

اذا تفرسنا اليوم في واحد من سكّان العراق وانعمنا النظر في زيّهِ لرأيناهُ مركّبًا من ثلاث قطع وهي : قميص وقبـاء (وبلسان العراقيين « زبون ») وعباءة . فالقميص يُتَّخذ من الخام البسيط الابيض اللون او الازرق ينزل الى ما تحت الركب بقليل . والقباء هو من القطن المغزول او من الصوف ينزل الى ما تحت القميص . والعباءة كلهـا من الصوف الخالص او من وَبر الابل تغطي القباء كلهُ . وعلى رأسهِ العرقجين (اي العرقيَّة) وعلى هذا العرقجين ملفوف اليشماغ (كوفيـة من القطن الابيض المغزول يتخلّلها نقط منسوجة من قطن ازرق اللون او احمره) على هيئة العمامة . والبعض يستعمل الطربوش عوضًا عن العرقجين والعقالَ عوضًا عن العمامة

امَّا الاغنياء والمتوسطو الحال فيزيدون قطعة رابعة على ما سبق ذكرهُ وهي اللباس (او السراويل) الذي يغطي عورة الانسان ويلبسون القباء المنسوج بالحرير او بالكتّان والعبـاءة من وبر الابل تزيّن نصفَها الاعلى نقوش ذهبيَّة او تطريز بالقصب الحلبي ويتَّخذها البعض من الجوخ الفـاخر او من الحرير الصيني النادر الوجود وهو ما يسمونهُ « بالجيناوي »

ويلبس اغلب العراقيـين في ارجلهم ما يسمونهُ « باليَمَني » وهو حذاء خفيف الحَمْل لا كعب لهُ ولا سيور . نعلهُ من جلد الجاموس او من جلد البعير والبقيَّـة من جلد الماعز او الغنم المصبوغ بالاحمر او بالاصفر او بالاسود . والمتوسطو الحال من اهل البادية

يلبسون « الجدك » وهي جزمة طويلة الرقبة تصل الى ما تحت الركبة بقليل لها كعب خفيف ولها سيور ونعلها من جلد البقر او الجاموس والبقيَّة من جلد الماعز او الغنم ولونها امَّا الاحمر او الاصفر وفي اعلى رقبتها معلَّقة شرَّابة من القطن او من القصب. والنساء منهم يلبسنَ بابوجاً اصفر فوق الجزمة

وجميع العراقيين قاطبةً يرخون اللحية والشارب الَّا انَّ الحضر يجزُّون شعر الرأس بخلاف اهل البادية الذين يجدلونهُ جدلاتٍ رفيعة عديدة متساوية العدد مسترسلًا على الرقبة والاكتاف. ومنهم من يضع القرط في الآذان ومنهم من يحلّي جفون الصبي بالكحل وخصوصاً النساء فالكحل عندهنَّ من لوازم الزينة. وكذا الوَشم فانهنَّ يشمنَ الوجه والايادي والرِجل. ويندر في العراق وجود من لا يَشِم جلدهُ وعلى الخصوص من لا يَشِم ذراعيهِ لان ذلك عندهم من ضروب كمال الرجوليَّة. ومن هذه الكماليات ايضاً حمل الخاتم سواء في اليد او في الجيب وسواء يعرف حاملهُ القراءة او يجهلها اذ لا مندوحة عنهُ لتوقيع السندات والرسالات والاوراق الخ. وكل من يكون عاطلًا منهُ يُلقَّب بالجاهل وبناقص العقل ويُؤنَّب بعدم معرفة اصول التمدن

وولدان المدن والبادية من ذكر وانثى يلبسون الدمالج والمعاصم من الذهب او الفضة او الزجاج او الكهرباء ويتخلخلون بخلخال من الذهب او الفضة وكذا النساء قاطبةً من اسلام ونصارى ويهود يلبسنَ الخلخال او الحِجال في الرجل ولا ينزعنهُ ظنّاً منهنَّ انهُ من علامات حسن الحظ وبحبوحة العيش والرفاهيَّة. ويتقلّدنَ حول الرقبة الطوق من الذهب او من اللؤلؤ او من المرجان او من الكهرباء او من الحجارة الكريمة واغلب المسلمات يجعلنَ البُرَة في الانف وكثيرًا ما يقع نظرك على صبيان لابسين الطوق والبرَة في الانف

امَّا زي النساء فلا يختلف عن زي الرجال الَّا بقليل فانهنَّ يلبسنَ القميص والدراعة والعباءة السوداء اللون مع السراويل او يلبسنَ الداريَّة والفسطان عوضاً عن الدرَّاعة. امَّا نساء البادية قاطبةً مع طائفة من الحضريَّات فلا يلبسنَ السراويل بل يكتفينَ بالدارية الزرقاء اللون والعباءة من الصوف ويغطينَ الرأس بالصدار وهو شيء من النسيج اسود اللون لحمتهُ الصوف او القطن طويل الاطراف ينزل الى الظهر من وراء والى القسم

الاعلى من الصدر والأكتاف بحيث انهُ يغطي كل الرقبة والذقن والجبهة وهذا الغطاء غير معروف عند اليهوديات ولا عند المسيحيّات

فاذا امعنّا النظر في زي الاشوريين والبابليين في سابق الزمان لرأيناه يطابق كل المطابقة زي العراق الحاضر يشهد على ذلك هيرودوتس وصور العاديات الاسطوانية الشكل التي يُرى عليها ان لبسهم كان يتركَّب من ثلاث قطع ايضاً: قميص من كتان ينزل الى الرجل عليهِ قباء من صوف وفوق هذا توضع العباءة البيضاء (١

والمسيو لنورمان يخبرنا عن ان غطاء الرأس كان اما رباطاً بسيطاً يربطون به شعرهم الطويل. واما عمامة من صوف يلفُّونها لفّات حول الرأس (٢

وفي متحف العاديات البريطاني قِطَع تمثل موسيقيًّا يدق بالصنوج على رأسهِ عمامة. وفي متحف لوفر الفرنسي قطعة ثانية تمثـل شخصاً معتمًّا وجدها المسيو دي سارزق في اخربة تلّو (Tell-loh) قُبيـل البصرة. والمسيو لَيَرْد يفيدنا عن ان الاسرى في زمان البابليين والاشوريين كانوا يلبسون في ارجلهم الجزمـة او اليمَنيَّة والنساء كنَّ يتركنَ الرأس بـلا غطاء ويسدلنَ الشعر على الاكتاف او يسترنَهُ بغطاء طويل ينزل الى الظهر (٣

وفي المتحف البريطاني قطع عديدة تمثل اسرى لابسين الجزمـة في الرجل والرأس مكشوف او مغطّى بعرقيّـة لها آذان تنزل على الاصداغ او على آذان الرأس. وكان الاشوريون والبابليون من نساء ورجال ومن صغار وكبار ومن فقير وامير يلبسون القرط في الآذان اوالاسورة في الايدي وكانت المادة تختلف باختلاف طبقاتهم اعني بذلك ان القرط او الاساور تكون امّا من ذهب واما من فضة واما من حجارة كريمة او من نحاس الخ نظرًا لحال الانسان وغناهُ . ويستنتج من ذلك ان فنَّ الصيـاغة كان موجودًا عند القدماء لا بل وكانوا من البارعين فيهِ ايَّ براعة اذ لم تزل بقاياهُ محفوظة الى يومنا هذا عند الصُبّة (الصابئة) وهم قوم يتعيشون اليوم فقط من هذه الصناعة

وفي المتحف البريطاني تمثال الملك شمسي رمان الثالث (Samsi-Raman III) وفي

١) Hérodote : l. I, 1. 1861

٢) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. IV, p. 128

٣) Layard : *Monuments*, 2e série p. 10, 11, 12, 15, 18, 49

رنديه الاساور وصورة الملك سنحاريب بثيابـهِ الرسمية جالساً على عرشهِ ولابساً الاساور والقرط وقد وُجدت في اخربة برج نمرود. ومثل ذلك تمثال الملك نازربال (Nazirpal) وصورة الملك سرجون التي وجدت في اخربة خُرساباد ولا حاجة الى سرد التماثيـل والصور كلها اذ المقام يضيق دون ذلك

هذا وفرنسوا لنورمان يخبرنا عن ان الاشوريين والبابليّين كسائر الشرقيين في عصرنا هذا يعتنون كل الاعتناء باللحية وبشعر الرأس. فانهم كانوا يتركونهما ينبتان حتى يبلغـا اقصى الطول ثم يجدلونهما جدلاتٍ عديدة دقيقة غريبـة الشكل فكان الواحد منهم يحب ان يترك رأسهُ مكشوفاً وبلا عَمْرة ولا يصرف النظر عن جدل لحيتهِ وشعر رأسهِ. وبعض الصور الناتئـة الملوَّنة تحقق للباحث على انهم كانوا يصبغون جفونهم بالكحل الاسود حسب ما هو جارٍ اليوم عند عموم الشرقيين (١

ومن المؤلفين في هذا الشأن من ينقل لنـا ان اولئك البابليين لم يكونوا يجدلون شعر لحيتهم وشعر رأسهم فقط بل كانوا ايضاً ينظمونهُ لؤلوءاً او حلقات من ذهب او كانوا يعلّقون باطرافهِ سلاسل رفيعة من ذهب او من فضـة او قطعاً مدوَّرة الشكل منظومة بخيط الواحدة فوق الاخرى حتى يتألف منها عقدٌ طويل. وهذا النوع من الزينة موجود حتى يومنا في عراقنا بين الجنس اللطيف وهو ما يسمونهُ بالقراميل. فاذا مررت في الطريق او دخلت كنيسة سمعت صوت القراميل تطنُّ بالآذان يرادفها او يرافقهـا صوت الخلخال

اما الطوق فكان عند القدماء من افخر الملابس واكبر إنعام يمنحهُ الملك للناس وعلامة الجاه والابهـة والاقتدار وكان يتقلدهُ الوجهاء واكابر الدولة كالوزراء والقوَّاد والحكّام وخصوصاً الملوك والملكات. وكان اذا أراد الملك مثلاً ترفيع شخص الى أوج الشرف امر بان يقلّد طوق الذهب الذي لا يعلوه شيء من الاحسان ولا تسبقهُ رتبـة في الامتنان وان يُطاف بهِ في المدينة على مرأى من الشعب كلهِ

وفي كتاب فرنسوا لنورمان إلمام الى الطوق اذ يقول: «.. واغلب الاوقات يلبس الملك اساور في ايديهِ وطوقاً في رقبتهِ...» (٢

١) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 128

٢) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 128

قال الكتاب المقدس: « وصنع بلشاصر الملك (بن نبوخذنصّر) وليمة عظيمة لألفٍ من عظمائه...وصرخ الملك بصوتٍ شديد ان يدخلوا المجوس والكلدانيين او المنجمين وأجاب الملك وقال لحكماء بابل: كل من يقرأ هذه الكتابة ويبين تعبيرها يلبس الارجوان ويتقلد طوق ذهب في عنقهِ الخ...حينئذٍ امر بلشصر فألبس دانيال الارجوان وقُلّد طوقَ الذهب في عنقهِ...» (سفر دانيال ٥: ١ و ٧ و ٢٩)

قلنا فُويق هذا ان الطوق لم يزل استعمالهُ دارجاً بين العراقيين ويكون على أنواع شتّى امّا من ذهب او من لؤلؤ الخ. ولكن طوق الذهب محصور استعمالهُ اليوم بين النساء اليهوديات فاذا أراد مثلاً وجهاء اليهود تزويج بناتهم احضروا قبل كل شيء طوق الذهب الواجب على العروس حملهُ طول حياتها السعيدة ولا تنزعهُ عنها ألا في اوقات الحزن فقط

ولا يبعد من ان يهود العراق حافظوا على لبس طوق الذهب تذكاراً لدانيال النبي اليهودي لتفسيره رؤيا بلشصر ملك الكلدانيين والكل يعلم ان الملة اليهودية هي الاولى بين سائر الملل التي تحافظ على تقاليدها بحرص لا مزيد عليهِ وكما ان دانيال كان من جملة العبرانيين المسبيين الى بابل على يد نبوخذنصر فلاجل ذلك أبقى يهود العراق هذا الاثر دون سائر يهود العالم الذين لا يستعملونهُ لا بل انما يجهلون ذكرهُ كل الجهل. وأزيد على ذلك ان بقية العراقيين من اسلام ونصارى وغيرهم اخذوا عن اليهود استعمال الطوق من اللؤلؤ او من الكهرباء الخ كما سبق التفصيل عنهُ

« وكاني بابرهيم الخليل عليهِ السلام عند سفرهِ من حرّان الى بلاد الكنعانيين بامر الله تعالى كان لابساً عباءة حمراء اللون وعلى رأسهِ عمامة مربوطة برباط من جلد لكي تتمكّن فيهِ وبيدهِ الرمح وكان عبيدهُ يحملون الاحمال والعُروض على ظهر الحمير والابل الباركة. ويجمعون شمل قطعان الغنم والماعز المتشتتة. ونساؤهُ كنّ حاملات الاولاد على اظهرهنَّ ولابسات الخلخال في الارجل والاساور في الايدي والاقراط في الآذان والبُرى في الانوف وفي اعناقهنّ قلائد الكهرباء والخرز والمرجان والحجارة المالسة. وعليهِ فمنذ اربعة آلاف سنة كانت الازياء والمعيشة كما هي اليوم. اي ان زي ومعيشة ابراهيم الخليل ولوط

اخيهِ ونسائهما كزيّ ومعيشة واحد من مشايخ العرب العائشين اليوم في البادية بدون ادنى تغيير البتَّة » اه (١

ومن الممكن ايضاً ان العراقيين اخذوا استعمال الطوق عن البابليين انفسهم كما اخذوا عنهم اشياء غيرها. اذ ان اولئك القدماء كانوا يلبسون الطَّوق من الحجارة الكريمة كالعقيق والزبرجد او من الخرز او من الحجارة الاسطوانية الشكل واذا ماتوا قبروا معهم تلك القلائد وسائر الامتعة الفاخرة التي كان يتزيَّن بها اولائك الاشخاص في ايام حياتهم

وقبل اربع سنوات كان الاب شيل (Scheil) يحفر بامر شاهاني في اخربة قاعدة مملكة الكلدانيين وهي التي تسمى اليوم « ابو حبَّة » وبلسان الاشوريين اكَّد فكان يجد في قبور ذلك الجيل مع العظام البالية مدفوناً امَّا طوقاً من العقيق او من الكهرباء او من الخرز وامَّا قلائد منظومة كلها من الحجارة الكريمة الاسطوانية الشكل وامَّا خلاخيل من النحاس او حجالاً من الحديد او النحاس وامَّا صينيات نحاسيَّة فيها فناجين وكاسات وخواتم من نحاس وامَّا خواتم من الحجارة الكريمة كما يفعل ذلك في ايَّامنا اغلب العراقيين حتى نصاراهم فانهم يدفنون مع الميت افخر ثيابهِ واثمن حليهِ كالمحابس والخواتم وطوق اللؤلؤ والملاءة الخ

الحرب والاسلحة

لا غرو ان الاشوريين والبابليين جيلٌ مفطور على حب السلب والنهب وخصوصاً ميَّال الى الحرب ولا بد منها في كل سنة في الربيع او الخريف والملك الذي لا يحارب لا يُنزَل منزلة ملك عندهم وربَّما خلعوه عن كرسيهِ او قتلوهُ كما تؤكد لنا ذلك تواريخهم ولذا ترى كلَّ ملك جديد يتربَّع دستَ مملكتهِ باشر للحال حرباً عواناً ضد اعداء والدهِ او اجدادهِ. ولا يقرّ لهُ قرار حتى يأخذ بثارهِ وامَّا يموت في ساحة القتال فداء لشرفهِ وشرف أمَّتهِ. وهـذه المزية جعلت سائر الامم ترهب ملوك اشور وبابل رهباً لا مزيد عليهِ واكتسبت لهم ايضاً شرفاً واقتداراً وسطوة حتى خُيّل لبعضٍ منهم انهم آلهة كما فعل بختنصر الملك وسرجون الاول وغيرهما

ومن فروض الملك ان يرافق جيشهُ الى ساحة الوغى وان يتولى بنفسهِ أوامرهُ لا بل

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. VI. p. 143, 144

اذا اقتضى الحال ان يسبقهُ ويحارب في صفوف امَّتهِ كواحدٍ منها . واذا بُلي بمرضٍ او اعترتهُ مصيبة او شغلتهُ حوادث مهمَّة تسلَّم مركزهُ المشير الاعظم وهو المسمَّى بلغتهم التُّرْتانو (turtanu) ومعناهُ القائد الكبير وقد جاء ذكرهُ في سفر اشعيا النبي حيث يقول: « في السنة التي وفد فيها ترتان الى أشدود اذ ارسلهُ سرجون ملك اشور الخ » (الفصل العشرون ١ :

وقلَّما كان ملوك الاشوريين والبابليين يسلِّمون قيادة الجيش الى الترتان الَّا فيما ندر وذلك حذرًا من الخيانة او الطمع الذي يستولي على عقلهِ ويحدث ما يحدث كما جرى لشلمنآصر الخامس لمَّا كان يحاصر مدينة صور وكان الترتان سرجون يقاتل في السامرة فوسوس شيطان الكبرياء في صدره فجاهر بالعصيان واستبدَّ بالملك وراح الى نينوى واستوى على العرش وترك وراءه شلمنآصر يحرّق الأُرَّم كدرًا وغمًّا

وزد على ذلك ان كل ملك اشوريًا كان او بابليًا لا يتولى قيادة جيشهِ بذاتهِ يصبح مرذولًا ومكروهًا في اعين رعيَّتهِ وتقضي شرائعهم بعزلهِ لا محالة اذ في عقائدهم ان الآلهة هي التي تسلِّم المملكة للملك وفي الوقت نفسهِ تمنحهُ الشجاعة والبطش والجأش. واذا تفرَّستَ في صور ملوك ذلك العصر اخذ منك الرعب كل مأخذ فنظر عيونهم المحملقة العابسة تحدّثك عن قساوة قلوبهم وانقباض وجوههم يكشف لك عمَّا هو كامن في داخلهم من الشراسة ورباط الجأش وهيئة أنفهم الأَقنى الكبير الحجم وشفتهم السفلى العريضة تنبئانك عن دعارتهم وميلهم الى سفك الدماء . امَّا قوة عضلاتهم فانها لشمشونيَّة اذ ترى بضربة هراوةٍ واحدة ان الملك اشوربانيبال هرس نخاع سبع كان قد هجم عليهِ ليفترسهُ . هذا وتجد اليوم في شيوخ عرب العراق وخصوصاً في امراء اكرادهِ كلّ ما وصفنا بهِ الملوك القدماء . ويشهد لنا بذلك العلامة مينان في كتابهِ عن اليزيديَّة حيث يقول: اني لأَشك كل الشكّ في ان اصل الأكراد يرجع الى الاشوريين لكني لا اشك قط ان طباعهم وعوائدهم تشبههم كل الشبه ولا التباس فيها » اه (١

ولم يوجد على عهد الاشوريين والبابليين في وقت السلم عسكري واحد يقتات من خزينة الملك كما هي العادة اليوم في البلاد المتمدنة بل كانت العادة عندهم ان يتقدم

(١ Joachim Menant, : *les Yezidiz ou les adorateurs du diable*, 1892 p. 179

الى ساحة القتال كل ذكَر بالغ يستطيع حمل السلاح. والسلاح كان من جيب الاشوري الخاصّ وليس من كيس الملك ولهذا كانت الرعيَّة مستعدَّة للحرب في اي وقت يصدر الامر الملكي كما هو مألوف اليوم عند عرب العراق واكراده. فلو رغب مثلًا الملك الذهاب الى القتال الساعة رافقتهُ للحال كل رعيَّتهِ ومعهُ سائر الملوك المهادنين لهُ والخاضعين لصولجانهِ بجميع جيوشهم وذخائرهم ومعدَّاتهم. وتقضي القواعد على الملك الاشوري ان يسبق الكل ويتقدم ويجري امام جيشهِ راكبًا عجلتهُ الملكية بيدهِ القوس والنشاب وعن يمينهِ يقف الترتان لابسًا التاج وعن يسارهِ يقوم معاون الترتان ويسمى عندهم بالسلتانو (sultanu) ومن ورائهِ ينتصب خصيٌّ ماسكًا بيده المظلَّة الملكيَّة مفتوحة فوق رأسهِ. وهؤلاء الاشخاص الثلاثة لا يفارقون ملكهم ابدًا في زمن الحرب ولا يركبون الَّا على عجلتهِ ولا يحاربون الَّا بجانبهِ واذا اقتضت الحاجة يفدونهُ بانفسهم ويذبُّون عنهُ كل خطر ووبال. ويُحيط بالملك ايضاً عند انتشاب القتال الحرس الملكي وهو عبارة عن نخبة شبان الشعب كلهم من الجبابرة الصناديد ولا يتركون سلاحهم لا ليلًا ولا نهارًا إنْ في زمن السلم وان في زمن الحرب ومن اهمّ واجباتهم المحافظة على حياة الملك. وكم وكم من انقلاب وانتهاك حرمة صدرت عنهم في داخل القصر الملكيّ. وكم من قتل ملك واقامة غيرهِ في مكانهِ كانوا هم السبب والآلة. وهاك ما قال عنهم اشعيا النبي في فصلهِ الخامس: « فيرفع رايةً للامم من بعيد ويصفر لأمةٍ من اقصى الارض فاذا بها مقبلة بسرعة وخفة. ليس فيها رازح ولا ساقط لا تنعس ولا تنام. لا تحلّ مناطق احقائها ولا تفكّ شرك نعالها. سهامها محدودة وكل قسيِّها مشدودة تُحسب حوافر خيلها صوَّانًا وعجلاتها إعصارًا لها زئير كاللبوءة وهي تزأر كالاشبال وتزمجر وتخطف الفريسة وتستخلصها وليس من يستنقذها » (٥: ٢٦ — ٣٠)

وبعد الرجوع من الحرب يوزّع الملك الغنائم والاسرى على العشائر والامراء والملوك الصغار كل حسب اجتهاده وجهاده في ساحة القتال. ولم تزل هذه العادة جارية الى هذا اليوم عند اهل البادية. فالشيخ مثلًا اذا دعا قومهُ الى الغزو لبَّتهُ للحال اتباعهُ وسائر الشيوخ المصادقة لهُ وعند رجوعهم يتقاسمون الغنيمة والاسلاب كل حسب استحقاقهِ

وكان العسكر الاشوري ينقسم الى ثلاث فرق: فرقة المشاة وهم القوَّاسة وفرقة الخيالة وهم الرمَّاحة وفرقة راكبي العجلات وهم حاملو السيف والترس وعلى الجيش

ان يطيع قوادهُ طاعة عمياء. وجميع الحركات والاوامر الحربيّة كانت تصدر من الملك وحدهُ وتلك الاوامر كانت تجري بنظام غريب واحكام عجيب حتى دفع هـذا الامر فرنسوا لنورمان الى القول: « ان الجيش الاشوريّ لم يُغلب قط في زمانه حتى ولا مرّة واحدة » (١

امّا سلاح ذلك الجيل فكانت تتوقف على الرمح والسيف والترس والخنجر والدرع والدبوس والقوس والنشّاب والمقلاع ولدينا شهادات تثبت وجودها بكل صحّة

من ذلك انك ترى في متحف العاديات البريطاني صورة ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك تمثّـل رجالًا ستة بايديهم المقاليع وبجنبهم الحصى في عهد الملك اشوربانيبال (٦٢٥ ق م) وهؤلاء الرجال هم من الفرقة الممتازة بهذه الوظيفة

وكان الخيّال الاشوري يركب دابتـهُ حافي الرجلين بلا سرج ولا ركابات عاري الساقين والذراعين وقلما كنت ترى تحتهُ نمرقة تغطي ظهر الدابة ومثل هذا الامر جار الى يومنا هذا عند عموم العراقيين وخصوصاً عند أعراب البادية اذ انهُ من العار عليهم ان يركبوا دابة مطهّمة او مسرجة ومن يفعل ذلك يُعدّ من المخنثين

ان المقوار (ويُلفظ المكوار) وهو الدبوس الذي برأسهِ كتلة هو عندي من اقدم الاسلحة التي استعان بها الانسان الاول عند المخاطر للدفاع وكان يُتّخذ كلهُ من الحديد او رأسهُ من قير ويده من الخشب او كلهُ من الخشب وكان الاغلب منهم يتخذ الكتلة من القير ويدهُ من الخشب وذلك لسهولة صنعـهِ ورخص قيمتهِ وخفّة حملهِ وقوة فعلهِ مع صغره قال الملك اشوربانيبال عن نفسهِ: « بينما كنت اتصيـد وقعتُ على سبع قبضت على ذنبهِ وبقوة الالهين « آدار ونرغل » طحنتُ نخاعهُ بضربة مقوار واحدة »

وفي متحف العاديات البريطاني صورة ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك تمثّـل حربًا بين الاشوريين والعيلاميين. وهناك ترى عددًا من العساكر الاشوريّة يقاتلون وبايديهم المقاوير (المكاوير) وتلك الواقعـة حدثت نحو السنة ٦٦٨ ق م. وفي ذلك المتحف ايضًا صورة ناتئـة تمثل صفًا من العسكر الاشوري حاملًا الترس والرمح وُجدت ايضًا في اخربة قيونجك

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T, V. p. ٣٩

قال هيرودوتس واصفاً سلاح الاشوري: والاشوريون كان لهم خود نحاس مسرودة ومشتبكة بطريقة غريبة صعبة الوصف وحرابهم وتراسهم وخناجرهم تشبه تقريباً سلاح المصريين وفوق ذلك كانوا يحملون دبابيس خشب لها كتل من حديد ودروعاً زردية الخ » (١

ولا يزال السواد الاعظم من العراقيين يستعملون الى يومنا هذا المقوار والرمح والسيف والخنجر والمقلاع وقلما تجد حارساً او ناطور بستانٍ او رجلًا من البادية بلا مقوار مشكوكٍ في منطقته وبلا خنجر معلّقٍ على جنبه. واذا مررت في طرق بغداد او في براريها تشاهد مرارًا بايدي الصبيان مقاليع يرمون بها الطير او يقاتلون بها بعضهم بعضاً ودويّ طيران الحجر في الهواء يطنّ في زوايا الآذان ممّا يذكرنا بحرب القدماء بهذه اللعبة — هذا ما رأينا جمعهُ من عادات الاشوريين التي ورثها عنهم العراقيّون ولو تتبّعنا احوال الشعبين لوجدنا غير ذلك كثيرًا وفي هذا كفاية

القديس يوحنا فم الذهب واللغات الشرقيّة

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

ورد في التأليف الحديث الذي وضعهُ حضرة الخوري ميخائيل غبريل وهو « تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيّة المارونيّة » ما نصّهُ (ص ٥٢٥) : « كان فم الذهب من انطاكية من الأمة السريانيّة ». فرأينا ان نبحث في هذه العجالة عمّا يتضمّنهُ هذا الزعم الجديد من الصحة

اذا تصفّحنا أعمال هذا المعلم الجليل وفخر الكنائس الشرقيّة وجدنا انّ كتبة ترجمتهِ اجمعوا على انهُ وُلد في انطاكية ونشأ فيها. غير اننا لم نعلم من امر أسرتهِ الّا النزر القليل. فاننا نجهل اصلها هل كانت كمعظم اهل سوريّة من العنصر الارامي (٢

١) Hérodote II, I. 7-1861

٢) ان تفرّع شعب سوريا من العنصر الآرامي رأيٌ دافع عنها ائمة المستشرقين كالسمعاني ورينودوت والخوري سرتين واميود (A. Amiaud) والاب پاريزو البندكتي والدكتوران بيكل

او من غيره. فانهُ لممكن ان يكون اصلها من الأمة السوريَّة ولكن لا دليل على ذلك. وغاية ما نعرفهُ عن اسرتهِ انها كانت مُثريةً رغدة العيش وان لم تكن من الاسر العريقة في الشرف. وكان ابوهُ قائدًا في الجيش الروماني يُدعى سيكُندوس وهو اسمٌ روماني. وكذلك اسم خالتـهِ كان لاتينيًّا. امَّا والدتهُ فكانت تُدعى باسم يوناني أنثوسا (١. فترى من هذه الاعلامات انهُ لا يمكننا ان نقطع في اصل القديس يوحنا فم الذهب فننسبهُ الى عنصر آرامي او يوناني. وممَّا لا نرتاب فيهِ انَّ اسرتهُ اتخذت تمدُّن اليونان وعاداتهم الجارية في ذلك العهد في حواضر الشام ومدنهـا الكبرى فصارت شبه اليونانية (hellénisée) كالمستعربين بين العرب وكالمتفرنجين في ايامنا

امَّا لغة القديس الذي نحن بصددهِ فلا نتردد في القول انها كانت اليونانية وانَّ فم الذهب كان يجهل السريانية. هذا ما يُستنتج من درس اعمال القديس. لكننا نورد هنا شاهدين صريحين كنَّا اثبتناهما سابقًا في المشرق (٣: ٢٦٩) فزعم البعض اننا اخترعناهما او زوَّرناهما. فالعود اليهما احمد

والشاهد الاول ورد في ميمر القديس عن الشهداء حيث يذكر فم الذهب ان كثيرين ممن استشهدوا دُفنوا خارجًا من انطاكية في ربوضها ثمَّ يردف كلامهُ قائلًا: « لا تكترثوا ايها الحضور لرطانة هؤلاء الشهداء ولغتهم الاعجمية (βάρβαρον φωνήν)... فهل من احد يعبأ باختلاف اللغات لمَّا يجمعنا ايمان واحد ». فمن هذا النصّ الصريح نستنتج (اولًا) ان لغة القديس يوحنا فم الذهب كانت اليونانية لانهُ يدعو لغة هؤلاء الشهداء لغةً اعجميَّةً ورطانة بربريَّة. (وثانيًا) انَّ لغـة القرويين المجاورين لانطاكية ليست

(Bickell) ونستل (Nestle) وغيرهم دوَّنَّا اسماءهم في مقالتنا المنشورة بالفرنسيَّة عن الاخ (فرا) غريفون ولبنان في القرن الخامس عشر (ص٣٥). وزد على الذين ذكرنا هناك رينان في كتاب تاريخ اللغات الساميـة (١: ٢٧٧) وماس لاتري (Mas-Latrie) في تاريخ قبرس (١: ١٠٤) واغنيس سميث في الابحاث السيناوية الجزء السادس ومجلَّة المشرق المسيحي (سنة ١٨٩٨ ص ٢٧٨ وسنـة ١٨٩٩ ص ٣٥٠ و ٣٦٠ وسنة ١٩٠١ ص ٢٤١) والمجلَّة الاسيويَّة (١٨٩٨ الجزء الاول ٢٤١ و ٢٦٧) ور. دوفال الخ

١) فان اضفنا الى هذه الاسماء اسم يوحنَّا العبراني لا نجد الَّا اسمًا واحدًا يونانيًّا في عائلة فم الذهب. — وجاء في النشرة المعنونة (Bullet. de Corresp. hellénique) في تاريخ سنة ١٩٠٠ (ص ٢٨٩) ان يونانيَّة اهل انطاكية لم تكن فصيحة وكانت مشحونة بالفاظٍ لاتينية دخيلة

اليونانية (١. وهذه اللغة الاعجمية كان يتكلّم بهـا لا الشعب فقط بل جمهور الكهنة والرهبان والاساقفة لانّ اكثر هؤلاء الشهداء كانوا من جملتهم

ولنا في تاريخ تاودوريطوس اسقف قورش ما يؤيد نتيجتنـا هذه الثانية ويبيّن صريحاً انّ النساك المجاورين المتعبدين لله قريباً من انطاكية كانوا يجهلون اليونانيّة

اخبر تاودوريطوس عن الناسك الشهير مكدونيوس معاصر القديس يوحنّا فم الذهب انهُ (٢ كان يسكن في بئر فلقّبــهُ الاهلون لذلك باسم Guba اي جبّ (٣. فنما خبر قداستهِ الى فلابيانوس اسقف انطاكية فاستدعاهُ الى المدينة وأحضرهُ الرُّتبَ المقدَّسة. وفي اثناء الذبيحة استقدم السائح القديس ووضع عليهِ اليد فجعلهُ كاهناً دون علمهِ. فلمّا خرج الشعب من الكنيسة وشعر الراهب بما جرى لهُ من امر تكهينهِ لانهُ لم يكن يفهم اليونانية ومعاني ليتورجيّتهــا اخذ منهُ الغيظ مأخذهُ ورفع عصاهُ يتهدَّد من يريد ان يصدَّهُ عن الرجوع الى مسكنهِ اذ كان يتخيَّـل ان الكهنوت يُفقدهُ نعمة الزهد والتنسُّك (٤ ويوجبهُ بخدمة النفوس كرعاة الكنيسة. وفي هذا الحادث شاهدٌ جلي على انّ الناسك المذكور والشعب الذي أُقيم لرعايتهِ لم يفهموا اللغة اليونانية

وفي ترجمــة مكدونيوس هذا دليل آخر على انهُ هو والحبساء الذين كانوا في المناسك المجاورة لانطاكية كانوا يجهلون اليونانيَّة. وذلك انّ تاودوسيوس الملك كان بلغهُ

---

١) قرأنا في كراسة حديثة لحضرة الاب الفاضل قسطنطين باشا ان في ظهراني انطاكية كان الناس يتكلّمون يونانية ركيكة عاميَّة. الَّا ان قول يوحنَّا فم الذهب يبطل هذا الزعم مطلقاً. فانهُ بوصفهِ هذه اللغة بلغــة « بربريَّة » ينفي اليونانية — ولعلَّ حضرتهُ يجهــل انّ لغة اهل انطاكية نفسها لم تكن فصيحة كما شهد بذلك فيلوسترات في ترجمة ابولونيوس (راجع Bulletin de Corresp. hellén. 1900 p. 289). ومن الامور الغريبــة انّ العلماء لم يكتشفوا في انطاكية من الكتابات اليونانيَّة القديمة الَّا النزر القليل. حتَّى انَّها لو جُمعت لما تجاوزت ستة اسطر. راجع المؤرخ ممسن (Mommsen) في تاريخهِ الروماني ج ٥ ص ٢٦٠ ووادنغتون (كتابات سورية ص ٤٣٦) وفورستر (Jahrbuch 1897) وغيرهم كثيرين — هذا وننتهز هنـا الفرصة لنشكر لحضرة الاب قسطنطين لطفهُ في مجادلتهِ. فيا ليت غيرهُ احتذى في ذلك حذوهُ

٢) راجع أعمال الاباء اليونان لمين (ج ٨٢ ص ١٣٠٦)

٣) من السريانية ܓܘܒܐ وفي هذه التسمية دليل على انّ الشعب كان يتكلّم بالسريانية

٤) راجع تفاصيل هذه الحكاية البهجة في تاريخ تاودوريطوس (ص ١٣٠٨)

انَّ شَغبًا حدث في انطاكية وثار اهلها وشوّهوا صوره فارسل عاملَين من عمّاله ليعاقبا بالموت كل من دخل في هذه الفتنة. فبلغ هذا الخبر مسامع السيَّاح الذين كانوا بجوار المدينة فاسرعوا لينقذوا اخوتهم المسيحيين من هذه المحنة العظيمة ودخلوا على عاملَي الملك واخذوا ينتهرونهما ويزجرونهما ليعدلا عن قصدهما (١. هذا ما اخبر بهِ القديس يوحنَّا فم الذهب لكنَّهُ لم يُفِدنا عن اللغة التي تكلَّم بها هؤلاء وانما ذكر عنهم «انهم قومٌ لا يلبسون سوى رداء خشن ويعيشون في الجبال والغابات». وقد تلافى تاودوريطوس سكوت فم الذهب عن لغة الحبساء المذكورين فقال عن مكدونيوس مُقدَّمهم انهُ انتهر عمَّال الملك «بالسريانية وكان الترجمان ينقل كلامهُ اليهم باليونانية (٢». فليس من دليل اوضح من هذا لتأييد قولنا عن شيوع السريانيَّة في جوار انطاكية بل في انطاكية نفسها كما يدلُّ على ذلك وجود تراجمة بين اهلها ما لم يقل القائل انَّ عمَّال الملك كان يصحبهم ترجمان رسمي حيثما ساروا وهذا يزيد قولنا حجَّة

فلنأتينَّ الآن الى الشاهد الآخر الذي زعم ايضًا البعض اننا موَّهناهُ وبدلنا معناه وهذا الشاهد ورد في الميمر التاسع عشر لاهل انطاكية فاه بهِ ذهبيُّ الفم في حفلةٍ تقاطر اليها اهل القرى المجاورة لانطاكية. فممَّا قال الخطيب المصقع ما تعريبهُ الحرفيّ: «اني أَعدُّ هذه الحفلة كاعظم الاعياد وابهجها لحضور اخوتنا الذين شرَّفوا مدينتنا بقدومهم وزانوا هذه الكنيسة. نعم انَّ هؤلاء القوم يختلفون عنَّا باللسان (Λαὸς κατὰ τὴν γλῶτταν ἐνηλλαγμένος) لكنَّ ايمانهُ يوافق ايماننا». فهذا دليل آخر لا يُنقض على الفرق الكائن بين لغة الخطيب وسامعيهِ ولغة قرى انطاكية. ولا شكَّ انَّ اللغة المشار اليها كانت السريانية كما سبق ونصَّ عليهِ في حاشية الكتاب صاحبا (٣ الترجمتين اللاتينيــة والفرنسيَّة بقولهما: «ان اهل قرى انطاكية كانوا يتكلَّمون بالسريانيَّة»

هذا لعمري امرٌ غريب انَّ الشعب والاكليروس في جوار عاصمــة كبرى

---

١) راجع الميمر ١٧ من ميامر القديس يوحنَّا فم الذهب لاهل انطاكية

٢) راجع تاريخهُ الرهباني في أعمال الاباء اليونان ج ٨٢ ص ١٦٠٩ و ١٦١٠

٣) وهما البندكتي الشهير مُنتفوكون (Montfaucon) وبارايل (Bareille)

كانطاكية يبلغ عدد سكّانها نيفًا ونصف مليون من النفوس داوموا على التكلم بالسريانية رغمًا عن تمدُّن هذه المدينة وسيطرتها مدَّة سبعة اجيال متوالية. فكيف لم تنتشر اللغة اليونانية بينهم مع انَّ الايمان المسيحي كان واحدًا كما شهد القديس يوحنا فم الذهب ولم تنفصل القلوب في ذاك الوقت الانشقاقات الدينية كالنسطوريَّة واليعقوبية اذ لم تظهر هذه البدع الَّا بعد ذلك بنحو خمسين سنة

فهذا مشكلٌ حاولنا حلهُ في مقالة سابقة بيَّنَّا فيها انَّ اللغة السريانية كانت اكثر انتشارًا من اليونانيَّة غير انَّ ادلَّتنا لسوءَ الحظ لم ترضِ بعض المنتقدين فنسبونا الى التزوير. والحق يقال اننا لم نُوضح الامر كما اوضحهُ قبلنا احد آباء الكنيسة اليونانية الممتازين وهو تاودوريطوس فانهُ ليس فقط يشهد بالاجمال على تكلُّم اهل بلاد الشام بالسريانيَّة لكنَّهُ قد عدَّد اكبر اقطار سوريَّة مفصلًا اسماء المتكلّمين بها فقال (١: « ان لغة السوريين والامم المجاورة للفرات والفلسطينيين والفينيقيين هي السريانية (٢»

ولعلَّ بعضًا من قرائنا بعد ما اتينا بهِ من الشواهد المقتطفة من اعمال القديس يوحنا فم الذهب وتاودوريطوس يفضّلون قول القديسة سيلفيا(٣ فينسبون الى انطاكية ما روتهُ عن اورشليم حيث قالت « ان فئة من اهل القدس يعرفون اليونانية والسريانية وفئة اخرى لا يفهمون سوى اليونانية وفئة ثالثة يتكلّمون فقط بالسريانية » (٤ فينتج من هذا ان ثُلثي المدينة كانوا يعرفون اللغة السريانية وهذا لعمر الحق قسم صالح

اما نحن فنرضى لاثبات مدّعانا باقل من ذلك. قال العلامة روبنس دوفال من اكبر معلمي اللغة السريانية في كتابهِ عن الآداب السريانية (ص٤—٥) انَّ اهل سوريَّة بعد

---

١) راجع اعمال الاباء اليونان لمين ج ٨٠ ص ٢٣٧

٢) وقال فم الذهب: « ان السوريين مع كونهم من الاعجميين قد نقلوا الاسفار الالهيَّة الى لغتهم » اعمال الاباء اليونان ج ٥٩ ص ٣٢

٣) لا « القديس سلفيا » كما جاء في كرَّاسة حضرة الاب قسطنطين باشا (ص ٥٢)

٤) اما حضرة الاب قسطنطين باشا فقد عرَّب هذا النصَّ وزاد عليهِ الفاظًا غيَّرت معناها وها نحن نذكر ترجمتهُ ونضع بين معكَّفين ما زادهُ الناقل ليرى القراء ان كنَّا نحن من المحرّفين قال (ص٥٢): « في هذه البلاد فئة من السكان يعرفون اليونانية والسريانية. وفئة أُخرى [يونان الاصل] ولا يعرفون الَّا اليونانية والباقي [وهم القليل] لا يعرفون الَّا السريانية » فليحكم الحكَم عن ضبط هذه الترجمة

فتح السلوقيين اتخذوا التمدُّن اليونانيّ اما اللغـة العاميَّة فبقيت السريانيَّة ». وزد على ذلك ما رواهُ الاب رتزفال في مقالتهِ عن تدمر وزينب انهُ لم يوجد في هذه المدينة ناسخ يوناني في ايَّام عزّها

فلنَعُد الان الى القديس يوحنا فم الذهب قائلين انهُ ثبت ممَّا تقدم ان لغة هـذا الرجل العظيم كانت اليونانية. ولكن هل كان يعرف السريانيَّـة ايضاً فالامر ممكن لا يسعنا تأكيدهُ. ومن المقرَّر انَّ اساقفة كثيرين من سوريَّة كانوا يعرفون السريانيـة كاسقف اورشليم الذي صادفتهُ القديسة سيلڤيا فقالت عنـهُ انهُ كان يتكلَّم باليونانية « مع معرفتهِ بالسريانيَّة » (etsi siriste noverit). وكذلك القديس ايفانيوس كان يُتقن السريانيَّة وهي لغتهُ الاصليَّـة ويعرف العبرانية ثم درس اليونانية في الاسكندريَّة فلم يُحكمها. هكذا روى عنهُ فوطيوس (١

امَّا تاودوريطوس فمعرفتـهُ للغة السريانيَّة تلوح ممَّا سبق وتظهر ظهور الشمس في تفاسيرهِ للكتب المقدَّسة فانهُ كثيرًا ما يشير الى النسخة السريانية ويترجم آيات منها ويقابل بينها وبين النسخة السبعينيَّة او العبرانيَّة (٢

وبوسعنا ان نذكر غير هؤلاء من كتبة اليونان ومشاهيرهم مثـلًا مترجم اعمال القديس ايرونيموس الى اليونانية (٣

ومهما كان الامر انهُ لا ريب في القول بان اللغـة اليونانيَّة هي لغة القديس يوحنا فم الذهب اما معرفتهُ للسريانيَّة فليست بمقرَّرة. فهذا ما يظهر من مطالعة اعمال القديس. ولو اردنا لزدنا على هـذه الحجج ما يزيدها اثباتًا مثال ذلك انَّ فم الذهب عند ذكرهِ السوريين يلقِّبهم بالاعاجم ويذكر لغتهم كلغة قائمة بذاتها مختلفة عن اليونانية (٤— ومن

١) راجع مجادلتي القديس ايرونيم ضدَّ روفينس. وترجمة القديس ايفانوس في اول اعمالهِ في مجموع الآباء اليونان

٢) راجع في اعمـال الآباء اليونان ج ٨٠: ص ٧٣, ٧٤, ١٠١, ٢٣٧, ٤٨٣, ٨٦٤, ١٠٠٥, ١٤٣٠, ١٤٥٤ الخ — وج ٨١: ص ٤٠٨, ٤٢٢, ٤٥٥, ٤٧٥, ٤٧٧, ٤٨٤ الخ — و ج ٨٢: ص ٢٨٥, ١٢٠٦, ١٢١٠ الخ ونرجح ان تاودوريطوس كان يعرف اللغة العربية هو والقديس سمعان العمودي ويظهر ذلك من تاريخ سيرة هذا الناسك الشهير

٣) راجع مجلة Muséon, 1901 p. 296

٤) راجع اعمال الاباء اليونان (ج ٥٩ ص ٣٢)

ذلك قولهُ في محل آخر « انَّ الاسفار الالهية لم تكتب في لغتنا لكن في العبرانية (١ » فقولهُ « لغتنا » يدلُّ على انَّ لغتهُ كانت اليونانية — ومنهُ قولهُ في شرح آية من الكتاب الكريم « ويشهد بذلك الذين يعرفون اللغة السريانية (٢ » فمثل هذا لا يقولهُ عادةً رجل عارف بلغة اجنبيَّة

وخلاصة الكلام ان قول حضرة الخوري ميخائيل غبريل انَّ « يوحنا فم الذهب كان من الامَّة السريانية » ليس بقول ثبتٍ يحتاج الى ادلَّة لم نجد لها من اثرٍ في التاريخ حتى عهدنا الحاضر والسلام

الكثلكة في القرن التاسع عشر

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة لما سبق)

٢ اميركة

لا نشك ان الذين طالعوا مقالتنا السابقة عن نجاح الكثلكة في اوربَّة نالهم لذلك العجب العجاب وشكروا الله على اعلائهِ كعب كنيستهِ بين جميع الدول المتمدنة · على انهُ تعالى عزَّ وجلَّ لم يقصر مفاعيل قدرتهِ على اوربَّة وحدها بل افاضها بكرم على بقيَّة انحاء المعمور فان اعتبرنا الدنيا الجديدة وجدنا الكنيسة الكاثوليكيَّة فيها بلغت من العز والتقدم حيث لم تبلغ الآمال · فانَّ اميركة في قسميها الشمالي والجنوبي رأت الكثلكة في مقام رفيع بعد ان كانت منزويةً في بعض بلادها لا تستلفت اليها سوى انظار القليلين

(اميركة الشماليَّة) شعَّت انوار الكثلكة في اميركة الشماليَّة حتى انَّها تبهر اليوم عيون كل الناظرين · فمن ذلك انَّ المرسلين الكاثوليكيين دخلوا منذ عهد قريب في اقصى اميركة الشمالية في جزائر غروينلند وإسلند وبشَّروا باسم المسيح بين قبائل تلك البلاد التي لا يعيش فيها الَّا بعض قبائل الإسكيمو ومن لا رغبة لهُ في الحياة فلم

١) فيها ج ٥٣ ص ٤٣ ٢) في المحلّ ذاتهِ

يحرمهم الله ثمرة اتعابهم غير اننا لا نعرف بالتدقيق عدد الكاثوليك في تلك الاصقاع النازحة

اما (اميركا الانكليزيّة) التي تحتوي بلاد كاندا والارض الجديدة فانّ الكاثوليك كانوا فيها في بدء القرن التاسع عشر ١٢٠,٠٠٠ فقط تحت ادارة اسقف واحد وهم اليوم في كاندا نصف سكانها فينيفون على الفَي الفٍ. وهم لا يزالون في نموّ دائم حتى لو بقوا على هــذا المعدّل لبلغ عددهم في آخر القرن العشرين ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ والاعمال الكاثوليكية في تلك البلاد مزهرة نامية بهمّــة ١٨ اسقفًا او رئيس اساقفة فلو اردنا تعدادها فقط لما كفانا كتاب واسع وعليهِ فنكتفي بالاشارة. واذا اضفنــا الى كاثوليك كاندا من سكن منهم الارض الجديدة وبقيّة الجزائر المجاورة لهــا لكان مجموع الكاثوليك في اميركا الانكليزيّة سنة ١٩٠٠ ٢,٢٣٠,٠٠٠ نفس اعني انهم اكثر من نصف سكّانها بنحو اربعين الفًا

ومن اميركا الشمالية (الولايات المتحدة) كان عدد الكاثوليك فيها ٤٠,٠٠٠ بين ٤,٠٠٠,٠٠٠ من السكّان ليس لهم الّا اسقف واحد. في بلتيمور. وهم اليوم يربون على ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بين ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ فصاروا بنسبة الواحد الى ستة بعد ان كانوا بنسبة الواحد الى المئة. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية في هذه الولايات في ترقٍّ دائم مكرَّمة متبوعة القول يدير شؤونها كردينال واحد و ٩٢ اسقفًا او رئيس اساقفة و ٩٠٠٠ كاهن وللكاثوليك كليّات عامرة ومدارس لا تُحصى ومشروعات خيريّة لكلّ طبقات الشعب وللبسوعيين رسالات زاهية بين قبائل المتوحّشين من هنود وغيرهم. وقد دخلوا منذ عهد قريب في بلاد ألاسكا. وكذا بقية الرهبانيّات تفلح كرم الرب بنشاط عجيب. اما تفاصيل اعمال الكاثوليك في الولايات المتحدة فتستغرق مجلدات ضخمة لا يسعنا الإلمام بهــا. وحسبنا القول انّ كثيرين من مشاهير البروتستانت قــد شهدوا للكثلكة ومساعيها المبرورة وقوّتها الالهيّة. وقد ذكر البشير مرارًا اقوالهم فلا حاجة الى تكرارها

ومن اميركا الشماليّة ايضًا بلاد (المكسيك) واهلها كلهم كاثوليك الّا نفرًا قليلًا لا يتبعون معتقدهم. وعددهم ١٢,٦٠٠,٠٠٠ فبلغت زيادتهم في مئة سنة نحو الضعف

ومن اميركا الشماليّة اخيرًا (اميركا الوسطى) الواقعة بين الاوقيانوس الكبير وبحر الانتيــل. وهي تشمل خمس جمهوريّات: غواتمالا وهندوراس وسلفادور ونيكاراغوا

وكستاريكا واهل هـذه الجمهوريّات اسبانيُّو الاصل عددهم ٣,٠٠٠,٠٠٠ وكلهم كاثوليك الّا قسماً صغيرًا فتكون الزيادة منذ مئة سنة مليونًا

(اميركا الجنوبيَّة) تضيق صفحات هذه المجلة عن ذكر ما للكثلكة في اميركا الجنوبية من الآثار الجليلة فانها الدين الغالب على اهل تلك الامصار الواسعة حتى انَّ عدد المؤمنين فيها يتجاوز الاربعين مليونًا. وكانت تلك البلاد قد اصابتها ضربة لازبة لمَّا أُلغيت الرهبانية اليسوعيَّة في أواخر القرن الثامن عشر واستولى على اسبانيـة روح الكفر والفساد الَّا انَّ الربَّ مسَّ تابوت الميت كما فعـل مع ابن ارملة نائين فاقامهُ وهكذا قد اعاد اليوم لاميركا الجنوبية حياة جديدة ورونقها السابق من حيث الدين. والكاثوليك فيها الان نيف واربعون مليونًا منتشرين في ولاياتها الاثنتي عشرة المستقلة وخصوصاً في البرازيل حيث يبلغ عددهم ١٤,٥٠٠,٠٠٠. وقد ظهر مجد الكثلكة في تلك البلاد مؤخرًا لمَّا اجتمع منذ ثلاث سنوات كل اساقفة اميركا الجنوبية في رومة وعقدوا مجمعاً كبيرًا بحثوا فيهِ عن كل شؤون بلادهم الروحيَّة وقد صادق الحبر الاعظم على مقاصدهم الحسنة وشدَّد عزائمهم وبعثهم على كل عمل مبرور يؤول الى مجدهِ تعالى وخلاص النفوس

فمن هذه اللائحـة الموجزة ترى ان اكثر من نصف سكَّان قارة اميركا يتبعون الكنيسة البطرسية. والامل وطيد انَّ عدد الضالين في آخر القرن العشرين ينحصر في بضعة ملايين

٣ اوقيانية

تُلحق اوقيانية باميركا لوقوع اكثر جزائرها في جوارها في وسط البحر الباسيفيكي. واوقيانية يقسمها الجغرافيون الى عدَّة اقسام نجري عليها نحن ايضاً لبيـان ترقي الدين الكاثوليكي في كل صقع منها

١ (مالاسيا) هي كناية عن عدَّة جزائر وارخبيلات مختلفة في الكبر تملكها اربع دول: (الاولى) هولندة وفي ملكها جزائر سومترة وجاوة والصُّند وسيليبيس وجزائر الملوك وفلورس وقسم من غينية الجديدة وتيمور وبورنيو. وكل هذه الجزائر فيها اليوم مرسلون كاثوليكيون اكثرهم اليسوعيون بلغوا بهمتهم عدد المتنصرين الى نيفاً و ٦٠,٠٠٠ ولم يكن في بدء العصر المنصرم فيهـا كاثوليكيّ واحد. (الثانية) انكلترَّة تملك في

اوقيانية جزيرة لابوان وقسماً من جزائر بورنيو . يبشّر تلك البلاد بالايمان الكاثوليكي مرسلون انكليزيون من جمعيّة ميل هيل التي سبق ذكرها وهم اليوم يرشدون في سبل الخلاص ١٠,٠٠٠ رجل انتشلوهم من ضلال الشرك في مدّة خمسين سنة . (الثالثة) البورتغال ولهم قسم من جزيرة تيمور من ارخبيل الصند فيها ٢٢٠٠ كاثوليكي . (الرابعة) الولايات المتحدة التي خلفت اسبانية في ملك الفيلبيين وفي تلك الجزائر ٥,٥٥٠,٠٠٠ من الكاثوليك امّا الباقون فهم وثنيون وعددهم لا يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ ومسلمون نحو ٤٠٠,٠٠٠ وللمرسلين الكاثوليكيين في تلك الاصقاع اعمال خطيرة لا يمحوها الدهر فانهم بعرق جبينهم بل بدمهم غيّروا الفيلبيين وزرعوا فيها الايمان وعلّموا اهلها كل الفضائل المدنيّة والدينيّة حتى صاروا مثالًا للتقى وخوف الله

٢ (اوستراليا) اوستراليا مجد الكنيسة الاثيل وواسطة القلادة التي تزين جيدها في القرن التاسع عشر . فانها في مفتتح ذلك القرن لم يُعرف فيها اسم الكاثوليك وعددهم اليوم مليون من النفوس (اي اكثر من ثلث سكّانها) يرأسهم ستة مطارنة و ٢١ اسقفاً و ٨٠٠ كاهن مع رهبان من كل الجمعيات الرهبانية وقد بلغ عدد الكنائس المشيّدة في هذه المدّة ١٧٣٠ كنيسة او معبداً

٣ (بقيّة جزائر اوقيانية) هذه الجزائر على ثلاثة اقسام منها ما يتبع اوسترالية ويسمّى معها باسم ميلانيسيا اي جزائر السودان . ومنها الجزائر الصغرى او ميكرونيسيا . ومنها پولينيسيا اي الجزائر المتعدّدة . ونحن نذكرها جميعاً في هذا الباب فنقول انّ نعمة الرب قد فاضت على هذه الجزائر في عصرنا فصنعت في قلوب سكّانها المتوحّشين عجائب وقد تمّ بينهم فعلًا قول الانبياء الذين سبقوا وبشروا بخلاص الجزائر الواقعة في اقاصي المسكونة . وقد كان دخول المرسلين الاوّلين من الكاثوليك في اوقيانية سنة ١٨٢٦ فلم يزالوا مذ ذاك العهد يكدّون ويجهدون حتى زكا الزرع واتى بغلّات وافرة . واليوم يبشّر تلك الجزائر اربع جماعات رهبانيّة (الاولى) جماعة آباء قلبي يسوع ومريم يبشّرون جزائر سندڤيش المعروفة ايضاً بهاواي وقد صبغوا بمياه المعمودية الوفاً من اهل تلك البلاد . وعدد الكاثوليك اليوم يناهز ٤٠,٠٠٠ وفي احدى تلك الجزائر توفي ذلك الشهم البطل الاب داميان بعد ان خدم ١٢ سنة البرص فاعداهُ مرضهم ومات فرحاً شهيد محبّتهِ فاطنبت على همتهِ كل الجرائد على اختلاف صبغاتها . وأُقيم لهُ تمثال في وطنهِ

وهؤلاء الرهبان نفسهم دخلوا سنة ١٨٣٣ في جزائر اوقيانية الشرقية فامتدوا فيها شيئاً فشيئاً حتى انهم شيَّدوا فيها ٤٠ كنيسة وفتحوا ٣٠ كنيسة في جزائر مختلفة في ارخبيل تاهيتي وارخبيل غامبيار وارخبيل پوموتو وجزيرة الفصح. وكلُّ اهل تلك الجزائر من السودان المتوّحشين وبعضهم يقتات بلحوم البشر فتمكَّن المرسلون من تلطيف طباعهم وتغيير قلوبهم بعد اتعاب لا توصف. وعدد الكاثوليك في هذه الجزائر نحو ١٠,٠٠٠ وللآباء قلبي يسوع ومريم رسالة ثالثة في اوقيانيــة في جزائر مركيز يبشِّر بهـا ١٥ مرسلًا والكاثوليك فيها ٤٠٠٠

الرهبانية (الثانية) التي تبشِّر جزائر اوقيانية هي جمعيَّة الآباء المريميين حصَّتهم في التبشير اوقيانية الوسطى وارخبيل المُجرين وكليدونية الجديدة وارخبيــل فيجي وهم قد كحلوا في مدة خمسين سنة ربع قبائل تلك البلاد الشاسعة بانوار الانجيل لا يتاسك كلُّ من يشاهد اعمال هؤلاء المرسلين عن الثنــاء على همتهم القعساء. فانهم اتوا بقوَّة الله ما لم يأتِ بهِ اعظم الملوك بجيوشهِ الجرارة ومدَّنوا أُمماً شاع ذكر همجيَّتهم وتوحشهم

الرهبانيَّة (الثالثة) هي جماعة آباء قلب يسوع من ايسودون ارسلوا من عهد قريب الى جزائر ميلانيسيا وغينية الجديدة وپوميرانيا الجديدة. وقد تمكَّنوا منذ نحو عشرين سنة رغماً عن كل ما اعترضتهم من المشاكل في انشاء رسالات اخذت تُزهر ببركة امام الاحبار الذي لم يشأ ان تبقى تلك الاقطار محرومةً من نعمة الخلاص. وعدد الكاثوليك فيها اليوم خمسة آلاف

وآخر رهبانية تحرث كرم الرب في اوقيانية هي رهبانيَّة الكپوشيّين لهم رسالة حديثة العهد كان ابتداؤُها سنة ١٨٨٦ اخذت تأتي باثمارها

هذا مجمل اعمال المرسلين في اوقيانية ولا نشكّ في انَّهم يردُّون الى الايمان معظم قبائل تلك البلاد قبل خمسين سنة اللهمَّ اذا ما ثبتوا على العمـــل ولم يعترض لهم عارض في سبيل مشروعاتهم الخطيرة

٤ افريقية

تشبه قارة افريقية جزائر اوقيانية بنموّ عدد المؤمنين فيها في بهرة القرن التاسع عشر وها نحن نستقري اقسامها اجمالًا

١ (افريقية الشماليَّة) كان عدد الكاثوليك فيها في غرّة القرن السابق ١٥,٠٠٠

يقوم بامورهم الروحيَّة نحو ٥٠ كاهناً واليوم قد بلغ عددهم نحو ٦٠٠,٠٠٠ تحت رئاسة رئيسَي اساقفة واربعة اساقفة وخمسة نوَّاب و ٨٢٠ كاهناً لهم ٤٢٠ كنيسة و ٥٥٠ مدرسة. ويبشر في تلك البلاد رهبان عديدون في مقدَّمتهم الاباء البيض الذين انشأهم ذلك المغوار المستحقّ ان يُدعى رسول افريقية السيد لافيجري يبشِّرون الجزائر وتونس ومنهم اليسوعيون في الجزائر وجبال القبائل ومصر ومنهم الفرنسيسيُّون والكبوشيون في مصر ومراكش وطرابلس الغرب. وقد أُنشئت رسالة حديثة لتبشير قبائل الصحراء في مجاهل افريقية يتولى تدبيرها الاباء البيض

٢ (افريقية الغربيَّة) تشمل افريقية الغربيَّة خمس رسالات كبرى أُنشئت كلها في أواسط القرن التاسع عشر الّا رسالة واحدة في انغولا كانت في حالة حرجة. وهذه الرسالات الخمس تتفرَّع الى عدَّة رسالات أُخر نذكر هنا اهمها: منها رسالة سينغال وسينيغمبيا يتولى شؤونها آباء الروح القدس بغيرة عظيمة. وقد ادخلوا في حظيرة الكنيسة ٢٠,٠٠٠ من اهل الشرك — ومنها رسالة سيَّارا ليوني أُنشئت سنة ١٨٥٨ وفُوّض امر تبشيرها للمرسلين الافريقيين من ليون وقد اصابهم في انشائها عوائق جمة خصوصاً من جهة البروتستانت. والكاثوليك في تلك الرسالة ٢٥٠٠ — ومنها رسالة ساحل الذهب أُنشئت حديثاً يدبرها الآباء الافريقيون منذ ٢٠ سنة والكاثوليك فيها ٣٠٠٠ — ومنها رسالة داهوماي ابتدأت سنة ١٨٧٠ عدد الكاثوليك فيها ٤٠٠٠ والامل وطيد اليوم بان سيرجع اكثر اهلها الى الايمان بعد دخول البلد تحت حكم فرنسة — ومنها رسالة بنين للاباء الافريقيين ايضاً أُنشئت سنة ١٨٨٠ فبلغ مذ ذاك عدد الكاثوليك ٢٠,٠٠٠ — ومنها رسالة جَون غينية تضمّ البلاد المجاورة لنهر النيجر وبلاد الكامرون والغابون كان إنشاء الرسالتين الاولين سنة ١٨٨٩ امَّا رسالة الغابون فابتدأت سنة ١٨٤٤. والكاثوليك في هذه الاماكن ٦٠٠٠ يُعنى بتدبيرهم آباء جمعيَّة الروح القدس وقد ادُّوا للتمدُّن خدماً جليلة عرفتها لهم فرنسة — ومنها اخيرًا الكنغو يبشِّر اقسامهُ المتعدّدة مرسلون من جمعيَّات رهبانيَّة شتى كالاباء البيض وآباء الروح القدس واليسوعيين وغيرهم وعدد الكاثوليك قد بلغ اليوم بعد تبشير سنين قليلة ٥٠,٠٠٠ نفس

(افريقية الشرقيَّة) تحتوي (اولًا) على بلاد موزنبيك وزمبيزيا وهي بلاد واسعة يملك على قسم منها البورتغاليُّون وعلى القسم الآخر الانكليز يبشّر تلك البلاد الآباء

اليسوعيون منذ عشرين سنة وقد ذهب منهم نحو ٣٠ مرسلاً ضحايا حبّهم لخلاص النفوس في انحاء موبوءة لا يحلّها الاجنبي الّا باع حياته رخيصةً . امّا عدد الكاثوليك فنحو ١٠,٠٠٠ — (ثانياً) زنجبار يبذر فيها بذر الايمان آباء الروح القدس منذ سنة ١٨٦٢ والرهبان البندكتيّون الالمانيّون منذ ١٨٨٧ والمؤمنون اليوم بلغوا بهمتهم نحو ٤٠٠٠ — (ثالثاً) رسالتا الحبش وقبائل الغالاس سعى منذ سنة ١٨٣٩ بهما الآباء اللعازريّون والكبوشيّون فنالتهم فيهما محن عديدة يطول شرحها لكنّ اتعابهم لم تذهب سدًى والملك الحالي منليك يعرف فضل المرسلين ونزاهتهم وكثيرًا ما تحفّى بهم واكرمهم لاسيّما بعد ان اوصاه بهم قداسة الحبر الاعظم . وعدد الكاثوليك اليوم في الحبش نحو ٢٠٠٠٠ وفي بلاد الغالاس ٦٥٠٠

(افريقية الوسطى) تشمل (اوّلًا) رسالة السودان لجماعة رهبان ڤيرونا الذين عادوا الى مراكزهم بعد كسرة المهدي واشياعه . (ثانياً) رسالة ڤيكتوريا نياتزا للآباء البيض دخلوها سنة ١٨٧٩ فردّوا الى الايمان قسماً صالحاً من اهلها الذين آثروا الموت على جحود دينهم بعد ما ثارت عليهم ثوائر الاضطهادات . وكان من جملة من استشهد عدّة غلمان كانوا في خدمة الملك احرقهم الجلّادون فلم ينبسوا بكلمةٍ . وكان موتهم داعياً لكثيرين للتنصّر . وهذه الرسالة اليوم تحتوي ٥٠٠٠ مؤمن من جملتهم الملك — (ثالثاً) رسالة تنغنيكا الشرقيّة والغربيّة يتولّى البشارة فيها الآباء البيض منذ نحو عشرين سنة والكاثوليك من الزنج ٦٠٠٠ يضاف اليهم ٥٠٠ من المتنصّرين في رسالة اونيانيمبة بين ڤيكتوريا نياتزا وتنغنيكا — (الرابعة) رسالة نياسًا المختصّة بالقبائل المجاورة لهذه البحيرة وهي ايضاً من رسالات الآباء البيض باشروا بها منذ ١٢ سنة والى الآن لا نعرف ما اصابوا هناك من النجاح

(افريقية الجنوبية) كانت الشيعة الكلوينيّة في بدء القرن التاسع عشر سائدة في جنوبي افريقية لا تمكّن احدًا من المرسلين الكاثوليكيين الدخول في حوزتها وقد بطلت هذه السنن منذ نصف قرن فأنشئت عدّة رسالات في مستعمرة الكاب وناتال واورنج ورأس الرجاء الصالح والترنسڤال وباسوتولند فلا تكاد تجد مدينة ذات شأن الّا وللكاثوليك فيها اعمال جليلة . واكثر المرسلين عددًا في تلك الانحاء الرهبان المعروفون بمتطوعي مريم (Oblats de Marie) ثم اليسوعيون وغيرهم . ومجمل عدد الكاثوليك

في افريقية الجنوبيَّة ٤٠,٠٠٠ لهم نحو مئـة كنيسة ويسوسهم اربعة نوَّاب رسوليُّون و ١٢٠ مرسلًا

(جزائر افريقية) بعضها في بحر الهنـد وبعضها في البحر الاتلنتيكي فالاولى تحتوي ٦٠٠,٠٠٠ كاثوليكي منهم ٣٠٠,٠٠٠ في جزيرتَي موريس والريونيون و ٢٠,٠٠٠ في جزائر سيشيل والباقون في مدغسكار. ومدغسكار هذه منـذ أُطلقت فيها الحرّيَّة للاديان تضاعف عدد كاثوليكها وتراهم كل يوم يتقاطرون الى حجر الكنيسة برغبـة عجيبة حتى انَّ مرسليها اليسوعيين الذين زرعوا بين الاضطهادات مدَّة اربعين عامًا يحصدون اليوم بالفرح وقد ضاق ذرعهم عن القيام بتعليم اهل مدغسكار لكثرة المهتدين فطلبوا الى مجمع انتشار الايمان ان يرسل فَعَلةً من رهبانيات اخرى ليجمعوا الحصاد في اهراء رب البيت. فقسم المجمع هذه الرسالة الى ثلاثة اقسام وَكل بقسمين منها الى الاباء اللعازريين وآباء الروح القدس وبقي القسم الثالث تحت ادارة اليسوعيين. ولهذه الجزائر تاريخ واسع يُخبر بكل احوالها وترَقّي الكثلكة فيهـا منذ مئة سنة فصار عددهم نحو عشرة اضعاف ما كان

امّا جزائر افريقية الواقعة في البحر الاتلنتيكي المعروف عند العرب ببحر الظلمات فهي للبورتغاليين او للاسبانيين وكان الدين الكاثوليكيّ فيهـا منتشرًا قبل القرن التاسع عشر. اساقفتهـا اليوم ستَّة يرعون بغيرة مرؤوسيهم الذين يبلغون ثلاثة ارباع سكّان تلك الجزائر. وعددهم ٨٤٠,٠٠٠

فترى من هذه اللائحة ما فازت بهِ الكثلكة من النجاح في افريقية في مدة هذا القرن الاخير مع انَّ اغلب الرسالات التي ذكرناها لم تبتدئ الّا من عهد قريب. تبارك الله في اعمال رسله واوليائهِ

• آسية

بقي علينا ان نبيّن للقراء ما نالتهُ بلاد آسيَّة من النصيب الوفي والتقدم الباهر بالدين الكاثوليكي في القرن التاسع عشر. غير انَّ تتبُّع آثار الكثلكة في كل بلد من هذه القارة الواسعة يؤدي بنا الى الاطالة المملة فنذكر اجمالًا ترقي الكنيسة في الشرق الاقصى وآسية الوسطى لنفصل الكلام عن نجاحها في المملكة العليَّة

(الصين) قد ذكرنا في مقالتنا عن الصين والمسالة الصينية (المشرق ٣ : ٨١٨–

٨٥٢) لمة من اخبار الدين الكاثوليكي في تلك البلاد فلا حاجة الى التكرار . وكفانا هنا القول انَّ عدد الكاثوليك في دولة ابن السماء مع ما تلحق بها من منغوليا ومنشوريا والتّبت يناهز مليونًا . والمبشرون بالخلاص في تلك المملكة الواسعة ٧٠٠ مرسل من جميع الرهبانيَّات نخصُّ منها بالذكر جماعة الرسالات الاجنبيَّة واللعازريين واليسوعيين والفرنسيسيين تحت حكم اربعين اسقفًا

(اليابان وكوريا) هاتان الرسالتان أُحدثتا في أواسط القرن السابق واليوم فيهما من ابناء النور ١٠٠.٠٠٠ نفس يرشدهم آباء الرسالات الاجنبيَّة ولليابان رئيس اساقفة وثلاثة اساقفة ولكوريا اسقفٌ واحد . وقد اصاب المسيحيين في كوريا اضطهادات عديدة في سبيل ايمانهم وقُتل منهم ربوات فصارت دماؤهم زرعًا جديدًا للمؤمنين في عهدنا

(الصين الهنديَّة) فيها للكاثوليك ثلاث رسالات كبرى في برمانية وسيَّام وانَّام وقد اضحى عددهم قريبًا من ثلاثة اضعاف ما كان منذ مئة سنة فهم اليوم ٧٥٠,٠٠٠ يرعاهم عشرة من النواب الرسوليين و ٨٣٠ كاهنًا وعدد الكنائس المشيَّدة هناك يُربي على المئتين

(الهند) انَّ عجائب الله ظهرت في تلك البلاد مدَّة القرن التاسع عشر ظهورًا شائقًا لم ترَ العين مثلهُ منذ ايَّام القديس فرنسيس كسفاريوس الملقَّب برسول الهند . فانَّ الرسالات الكاثوليكيَّة نمت فيها اي نموّ حتى صار مجموع عدد المؤمنين مليونَين وما كانوا في أواخر القرن الثامن عشر الَّا ٤٧٥,٠٠٠ . امَّا رؤساء الاساقفة والاساقفة فهم اليوم ٣٠ مع ٧٢٠ كاهنًا من كل الرهبانيَّات . ولليسوعيين وحدهم خمس رسالات كبرى متعلّقة بخمسة اقاليم مختلفة وقد اثلج الله صدرنا بمشاهدة شيء من اعمالهم الخطيرة قبل خمس سنوات

(العجم) للاباء اللعازريين في العجم رسالة هي اليوم على قدم من النجاح وجلالة شاه العجم كثيرًا ما اظهر رضاهُ السامي من تصرُّف المرسلين وخلوص تعلُّق المسيحيين بالدولة . وللّعازريين اربعة اديرة في اورمية وطهران وخسروفا وتبريز . واكثر الكاثوليك من الطقس الكلداني عددهم نحو عشرة آلاف

(الدولة العليَّة) انَّ الديانة الكاثوليكيَّة قد وجدت في الممالك الشاهانيَّة مدَّة

القرن التاسع عشر تربة جيدة في ظل سلاطينها العظام ولذلك تراها بلغت من التقدُّم والنموّ مبلغاً عظيماً . وهذه قائمة الطوائف الكاثوليكيّة الشرقيّة في عهدنا مع بيان حالتها سنة ١٨٠٠ ونضمُّ اليها الكاثوليك الشرقيين الذين في مصر لتمام الفائدة

	ارمن	روم ملكيون	سريان	قبط	كلدان	موارنة	المجموع
١٨٠٠	٨٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٤,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	= ٣٦٩,٠٠٠
١٩٠٠	١٣٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	= ٦٩٠,٠٠٠
الفرق	٥٠,٠٠٠	٩٥,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٠٠‘٠٠٠	= ٣٢١,٠٠٠

فترى من هذا الجدول انَّ عدد الكاثوليك الشرقيين قد تضاعف في القرن السابق ثمَّ لا بُدَّ ان يُضاف الى هذا العدد نحو ٥٠,٠٠٠ من اللاتين في فلسطين وقبرس وسوريّة والاناضول ولم يكن قبلًا يبلغ عشرة آلاف

امَّا اسباب هذا النموّ العجيب فمنها (اولًا) نموّ الكاثوليك بالتناسل (وثانياً) اهتداء كثيرين الى الحظيرة البطرسيَّة لا سيَّما من اليعاقبة والنساطرة والروم على يد الاساقفة الكاثوليك الشرقيين والمُرسلين اللاتينيين . (وثالثاً) اتّساع نطاق الاعمال الكاثوليكية من مدارس وتآليف وجرائد ومياتم ومُستشفيات ورياضات وارشادات . فانَّ كل ذلك من شأنهِ ان يستلفت انظار الشرقيين المنفصلين ويريهم رأي العيان علوّ مقام الكثلكة وما اودعها الله من القوَّة الالهيَّة

وكفى الكاثوليك الشرقيين فخرًا انَّ الحضرة الشاهانيَّة اظهرت رضاها السامي عنهم وعن خلوص تعلقهم بالدولة العليَّة . كما انَّها رعاها الله تلطَّفت مرارًا وابدت لامام احبارنا شارات الاجلال والمودَّة وخصوصاً في يوبيلي لاون الثالث عشر فاهدى جلالة السلطان لقداستهِ الهدايا الثمينة منها خاتم بديع فيهِ يتيمة فريدة وكتابة أبرقيوس التي ترتقي الى القرن الثاني للميلاد

امَّا نحن فنختم هذه المقالة طالبين من الله ان يعزّز شأن كنيستهِ في القرن الجديد كما فعل في القرن السابق وعسى اليوبيل الذي اعلنهُ الاب الاقدس في بدء هذه السنة يكون عربونًا وضميناً عن هذا التقدُّم فلا يرى العالم في آخر القرن العشرين الَّا رعيَّة واحدة وراعياً واحدًا وهو السميع المجيب

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت هذه الكلمات تتضمن تحت طي التهكم رفضاً صريحاً لطاعة اوامر المقدَّم وقد فهم مالك كل ما تعنيهِ غير انهُ لمَّا تذكر وصية مولاهُ الذي امرهُ ان يعود بجوسلين إمَّا حيًّا واما ميتاً رأى من الواجب ان يستدعي منهُ تكرار التنبيه على صاحب القليعة ولم يكن يجهل ما دون ذلك من الاخطار على حياتهِ ولو فُرض انهُ جهلها لأخطرها على بالهِ وجودهُ في تلك القلعة المنيعة ما بين قوم أشرار اهون ما عندهم سفك الدماء. ولكنهُ كان من الذين لا تهولهم المصاعب فعقد العزم على توفية حق المهمة التي أُرسل فيها ومتابعتها حتى نهايتها ثم خاطب جوسلين بقولهِ:

أهذا آخر جواب من جنابك ؟

— هذا الجواب الاخير بلا مراء فافضل شيء لك والحالة هذه ان تعود من حيث اتيت لاني اشعر بان صبري قد فرغ ولا اعلم اي شيء يردّني عن معاقبة هذه الجسارة البادية من خادم حقير مثلك. فبناء عليهِ يجب ان تحسب نفسك سعيدًا بسكوتي عنك وترخيصي لك بالسفر

غير انَّ مالكاً لم يُرهبهُ هذا الكلام مع ما فيهِ من الوعيد الظاهر بل قال: اني مكلَّف بان لا اسافر من القليعة الَّا في صحبة جنابك. هكذا امرني بصريح المقال سيدي ومولاي المقدَّم رزق الله. وهو يرجو منك ان لا تحوجهُ الى استعمال وسائط أُخرى عنيفة ولكنك اذا خيَّبت رجاءهُ يضطر الى العمل بما لا تحب. فتبصَّر اذًا ايها السيد جوسلين واختر لنفسك ما يحلو امَّا ان تذهب الى بشراي وتبرّئ نفسك ممَّا يُسند اليك امام الامير رزق الله مقدَّم لبنان واماَّ ان تؤخذ قهرًا وعنوةً من قصرك هذا. وانت ادرى بما للمعصية والثورة من العواقب الوخيمة وكفاك زاجرًا عنهما ما حلَّ بمقدَّم ايطو فانهُ قد شُنق على اطلال البرج الذي ابتناهُ جزاء جسارتهِ على مخالفة مولاي وتمنُّعهِ عن الذهاب الى بشراي بغية استجوابهِ عن التهم التي نُسبت اليهِ

فما سمع جوسلين هـذه الكلمات حتى كاد يتمزّق من الغيظ فانقلبت سحنتهُ وجحظت عيناهُ واندعر منهُ اتباعهُ مع انهم كانوا قد اعتادوا مشاهدتهُ في مثل هذه الحال ثم انهُ التفت الى مالك قائلاً:

كيف تجسر على تهديدي في قصري بحضور اعواني وجندي ؟ ألا تدري ايها الشقي انك قد سعيت الى حتفـك بظلفك ؟ نعم اني لا اعلم بما يعدهُ لي المستقبل في مطاوي اسراره ولكنهُ اذا كان لا بد ان تنتهي حياتي بالشنق فالواجب ان تعلم انك ستسبقني اليهِ واذا كنت اول من تجرأ على مخاطبتي بمثـل هذه التهديدات فثق بانك ستكون الاخير

وكانت في فناء القصر مشنقة منصوبة على الدوام لان جوسلين لم يبقَ لديه غير وسائل الارهاب للمحافظة على بقيَّة الترتيب والنظام ما بين مؤتمنيهِ وشركائهِ في جرائمهِ. ولم يكن يستطيع الاعتماد على فضة اليهودي نثنانيل الذي من حين سفرهِ قطع اخباره بالتمام والكمال. وكان قبل بضعة ايام قد شنق جنديًا متهماً بكونهِ حاول الفرار وترك جثتهُ معلقةً تذكيرًا لحامية القليعة بان مولاهم لا يتساهل ولا يلين في الامور المتعلّقة بخدمتهِ

وبموجب اشارة من جوسلين تقـدَّم عدد من الجنود المتسلحين فاحاطوا بمالك ووضعوا في عنقهِ حبلاً وباشارةٍ ثانيـة منهُ ايضاً علقوهُ في المشنقة ففاضت روحهُ سريعاً ولحق بالجندي السابق ذكرهُ المتهم بالفرار وهكذا اصبح في مشنقة القليعة جثتان. ومع ان جنود جوسلين كانوا قـد تعوَّدوا روئية هذه المشاهد وتربَّوا على عدم اعتبار الحياة البشريَّة بشيء لم يقووا على عدم التأثر من هـذا الصنيع البربري فاقاموا في اماكنهم مبهوتين كأنهم تسمَّروا بها تسميرًا. وبينما هم على هذه الحال سمعوا ضجةً عظيمة لان « الريح » الذي هو حصان مالك كان قد توصَّل الى قطع القيود التي ربط بها في حلقة من الحديد مغروسة في السور فسار بسرعة عظيمة الى الباب الذي كان قد أُبقي مفتوحاً وغاب عن الابصار في الطريق المؤدية الى جهة حصن سليمان

غير انهُ لم يحفل احد بما اظهرهُ الريح اولاً لان الحصان المذكور كان ذا منظر ضئيل فلم يكن احد ليطمع في امتلاكهِ وهب انهم طمعوا فيـهِ ما كانوا ليدركوهُ لانهُ في دقائق قليلة قطع مسافة شاسعة فات فيها جهد اللاحقين

وفي مساء النهار قبـل مغيب الشمس حُفرت حفرة عميقة تحت المشنقة ودفنت فيها جثة مالك واقام جوسلين ينظر اليها مدَّه بضع دقائق وهو يتبسَّم تبسُّم المتشفي ثم قال:

الآن يستطيع المقدم ان ينظر بصبر وتؤدة رجوع حاجبه وكيف يُردُّ القبر زائره وكيف يتكلم الاموات. نصبتَ لي يا رزق الله فخًا فاحبطتُ خديعتـك فاقم الآن على حذر ولسوف نعلم من ترجح بيده كفَّة الميزان

١٧

ولنعد الى الكلام عن بشراي فنقول انَّ القوم فيها كانوا حتى ذاك الوقت يقيمون الاعياد فرحين بعودة المقدم رزق الله ظافرًا منصورًا وجميعهم ألسنة ناطقة بحمده لانهُ أبعد عن لبنان جائحة الحرب وكان الفلاح يتوقَّع بمسرَّة نموّ زرعهِ دون ان يخشى عليـهِ هجوم عدوّ والامهات تعتني بتربية اطفالهنَّ في سلام وسكينة بلا خوف من تعكُّر كأس صفائهنَّ وعليهِ فان تلك الاشهر القليلة التي اظهر فيها المقدم حكمةً وثباتًا في التدبير كانت كافية لاحداث الثقة في كل محل وتأكيد الخصب والسلام في تلك الجبـال الجميلة وقد نال هـذه الثمرة برباطة جاشهِ وبالعقوبات الزاجرة التي انزلها بمن كانوا سببًا في اقلاق الراحة العمومية

ولمَّا كان يوم الاحد جلس الامير رزق الله بحسب عادتهِ الحميدة تحت السنديانة النابتة الى جانب الكنيسة الكبرى وجلس الى جانبـهِ فرا غريفون الذي كان قد عاد حديثًا من سفرتهِ الى اوربَّة فاقبل المقدم يسألهُ عن رومية وعن الامراء الذين زارهم في جهات المغرب فجعل الراهب الفرنسيسيّ يقصّ عليهِ كيف انهُ لمَّا كان في رومية وفد تجار من البندقيـة حاملين رسالةً من عزيز مصر الى الحبر الاعظم وكانت مكتوبة على نصف طلحيَّة كبيرة وفي صدرها اعلام السلطان تليه العبارة الآتية: « ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامـل بابا رومية عظيم الملَّة المسيحيَّة قدوة الطائفة العيسويَّة مملّك ملوك النصرانيَّة حافظ البحور والخلجان مَلاذ البطاركة والقسوس والرهبان تالي الانجيل معرّف طائفته التحريم والتحليل صديق

الملوك والسلاطين » (١ . وبعد الدعاء هذه الكلمات « صدرت هذه المكاتبة عن الابواب الشريفة » وعلى اثر ذلك بَسْط الغرض المقصود مؤكدًا لقداسة الحبر الاعظم انهُ ينصر المسيحيين الافرنج في بلادهِ ويعطيهم ملء الحرّية في ممارسة شعائر ديانتهم وتجارتهم . ثم تشكَّى من اعمال اللصوصية البحريَّة التي كان يأتيها بعض القرصان الجنويين وسأل البابا ان يتوسَّط في المسألة منعًا لمثل هذه الحوادث

ولم يكن في رومية اذ ذاك من يعرف العربية سوى فرا غريفون فترجم الرسالة وعند عودتهِ الى الشرق اعطاهُ البابا جوابها الى سلطان مصر

ثمَّ ان فرا غريفون قصَّ ايضًا على المقدَّم رزق الله مواجهته لدوق بورغوندية اميره الذي قابلهُ بما لا مزيد عليهِ من التجلّة والاكرام في مدينة بروج قاعدة مملكتهِ . وكان الدوق المشار اليهِ اقدر واغنى سلاطين اوربَّة لذاك العهد وكانت ولايته شاملة لبلجكة وهولندة وعدَّة أقاليم أُخرى في شمالي فرنسة . وكان يهتم ايضًا بشؤون الشرق واحوالهِ لسببين اولهما دينيٌّ وهو احترامهُ للارض التي تقدَّست بحياة المخلّص والثاني سياسيٌّ وهو رغبتهُ في توسيع العلائق التجاريَّة لممالكهِ مع هذه الجهات (٢

ولمَّا شاهد فرا غريفون الذي كان من جملة رعاياه خبيرًا بالأحوال التي يريد استيضاحها سُرَّ بهِ كثيرًا وأكرمهُ جدًّا وكان يفتكر وقتئذٍ في عقد محالفة مع ملك العجم فلهذا لما قابلهُ مقابلة الوداع صرَّح لهُ بأنهُ قد اختارهُ سفيرًا من قبلهِ لدى بلاط اصفهان (٣

وكان المقدَّم رزق الله يسمع حديث غريفون بشوق ولذة فلما دار الكلام على دوق بورغوندية قاطعهُ قائلًا :

انَّ سيدي الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا كثيرًا ما كان يحكي لي عن الدوق فيليب الملقَّب بالصالح فهل هو حيٌّ للآن ؟

— أعطاك الله عمره وقد خلفهُ ولدهُ يوحنا فلقَّبهُ الشعب بالجسور لشجاعتهِ . غير انَّ الاسم الذي ذكرتهُ ايها الامير فطَّنني الى مهمَّة خطيرة كُلِّفت بابلاغها اليك فقد كنَّا

---

١) عن صبح الاعشى للقلقشندي بحروفهِ ج ٤ ص ١٦٤
٢) راجع بارنت تاريخ دوقات بورغندية ٣) بارنت

نظنّ جميعاً ان الاب يوحنّا البار ينتمي الى أسرةٍ شريفة في المغرب ففي سفرتي هذه وجدت انّ ظنّنا في محلّهِ لان الاب المذكور هو من انسباء دوق بورغونية حتى انّ الدوق يوحنا بعينهِ سألني عن اخبارهِ فلم استطع ان اذكر لهُ سوى معلومات يسيرة مبهمة لاني كنت اجهل كلّ الجهل ما جرى لهُ في غيابي

— ليطمئن بالك يا أبي من قبلهِ لانّ صاحبي مالك قد سافر منذ اسبوع الى جبل الكرّام. وهو رجل صلب لا تعوقهُ الاخطار مهما كانت عن تنفيذ ما أكلفهُ بهِ من المهمّات وانا الآن انتظر رجوعهُ من يوم الى آخر بذهاب صبر . . . !

وما كاد يتمم هذه الكلمات حتى شاهد حصاناً راكضاً فأتى ووقف تجاه الجماعة المحيطين بالامير والاب غريفون فعرفهُ الكل وقالوا « هذا الريح هذا حصان مالك »

(ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE L'ECOLE DES LANGUES VIVANTES

1e Le livre de la Création et de l'Histoire d'Abou Zeid al-Balkhi, *édité et traduit par C. Huart,* T II

كتاب البدء والتاريخ لابي زيد البلخي

2e Tarikh es-Soudan par Abderrahman es-Saadi *traduction française par O. Houdas*

تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي (القسم الثاني)

اهدانا مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة في باريس هذين الكتابين وقد مرّ في المشرق وصف اقسامهما الاولى

١ (كتاب البدء والتاريخ لابي زيد البلخي) يتضمن هذا القسم الثاني من الفصل السابع الى التاسع من الاصل العربي وهو عبارة عن ٢٤٠ صفحة يُضاف اليها ترجمة افرنسيّة وفهارس (ص ٢١٦). وقد اثنينا على هذا الكتاب ومؤلّفهِ ومتولي نشره وحسن طبعهِ ثناء طيباً (المشرق ٢ : ١١٢٨) يصحّ كلهُ في هذا القسم الجديد. امّا الاغلاط الطبعيّة والتصحيفات التي اشرنا اليها حينئذٍ قد وجدنا مثلها في هذا الجزء كقولهِ (في الصفحة ٢٢) : « امّا معذّبة وامّا تُجلَد » والصواب « ولمّا تَجلّدُ » اي

تتجلَّد. وكقوله (ص ٧): « فكان برقعَ والملائكَ حولهُ » والصواب « والملائكُ »
وغير ذلك. ومما يجدر ذكرهُ ان العلماء بعد بروز الجزء الاول من هذا الكتاب ارتابوا في
مؤلّفهِ فلم يثبت عندهم أهو لابي زيد البلخي ام لغيرهِ. وكان جناب المسيو هوارت
استند في نسبة هذا التأليف لابي زيد الى قول ابن الوردي في خريدة العجائب. لكن
هذه الشهادة متأخرة ينقضها قول غيرهِ ممن سبقوهُ والله اعلم

٢ (تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي) هذا الجزء هو ترجمة افرنسيَّة غاية في
الضبط لكتاب سبق لنا ذكرهُ في المشرق(٣: ٤٧٣). وقد ذيَّل جناب المترجم هذا القسم
الثاني بحواشٍ عديدة مفيدة وختمهُ بفهرس عمومي لجميع الاعلام الواردة في الكتاب

تقويم المشرق

انجزت مطبعتنا الكاثوليكيَّة تقويمًا جديدًا تزُفّهُ الى قرّاء المشرق كتذكرة للسنين
الاربع التي مرَّت على هذه المجلة. والتقويم المذكور عبارة عن صفيحة طولها ٥٠
سنتيمترًا في عرض ٤٠ طُبعت على الحجر بخمسة الوان على هيئة شرقية بديعة وقد
أُلصق عليها ٢٤ ورقةً لكل ١٥ يومًا ورقة تحتوي فضلًا عن اعياد السنة الحسابات
الثلاث الغربي والشرقي والهجري مع شروق الشمس وغروبها على الحسابين العربي والفرنجي
وفسحة بيضاء كمذكّرة للاعمال اليوميَّة. وفي ظهر الاوراق فهرس المقالات التي وردت في
المشرق مدَّة سنيهِ الاربع السابقة عن العلوم والفنون كافَّةً ل. ش

شَذَرَاتٌ

ذخائر القديس غريغوريوس المنوَّر يؤخذ من التواريخ الارمنيَّة
القديمة انَّ نرسيس الثالث بطريرك الارمن شيَّد سنة ٦٥٤ للميلاد كنيسة كبيرة في
مدينة « ڤاغارشابات » حيث كان الكرسي البطريركي وخصَّص هذه البيعة لاكرام
القديس غريغوريوس المنوَّر وجعل فيها ذخائر رسول الارمن فوضع الرأس في ناووس من
الحجر المانع وبنى فوقهُ المذبح الكبير. ثم قسَّم بقيَّة الذخائر اربعة اقسام جعل كل قسم منها
تحت مذبح خاصّ. غير انَّ الحروب وآفات الزمان توالت على مدينة ڤاغارشابات
فخربت مع كنيستها واضطرَّ الرهبان الذين كانوا متولّين سدانتها الى ان يلتجئوا الى

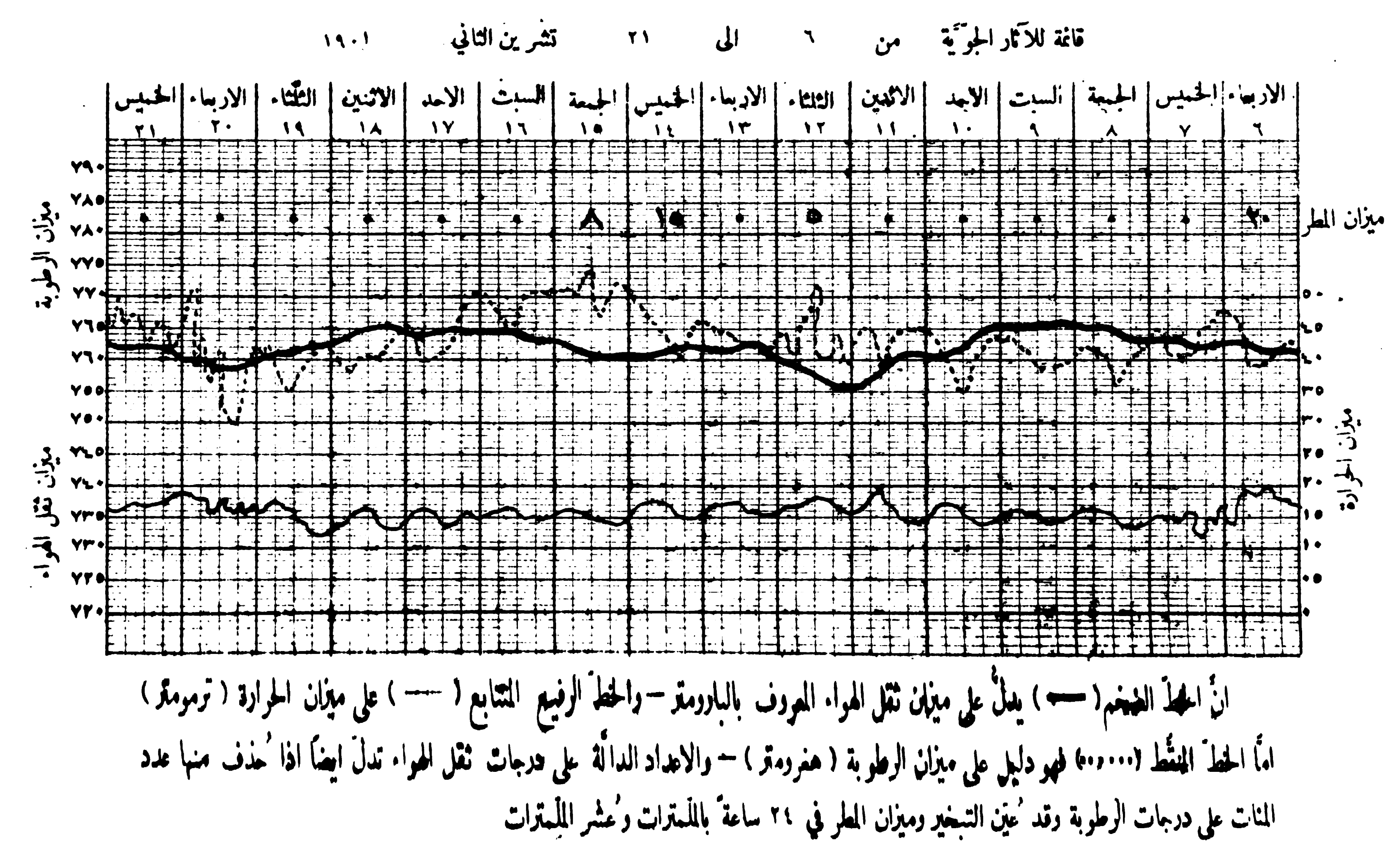
البلاد الغربيَّة وكانوا اخذوا معهم قبل فرارهم جمجمة القديس غريغوريوس فنقلوها الى نابولي ثمَّ الى رومة وهي حتى اليوم تُكرَّم فيها

وبقيت الكنيسة المذكورة مجهولةً الى عهدنا حتى استدلَّ منذ سنتين على موقعها الاب داديان الارمني الغريغوري ارشيمندريت كرسي اشميازين. فوجد في ايالة اريفان على مسافة ساعةٍ شرقاً من اشميازين تلاًّ كان يظهر بين اطلالهِ آثار قديمة فحفر هناك فوجد بقايا هيكل عظيم قدَّر انهُ هو البناء الذي شيَّدهُ نرسيس لذكر القديس غريغوريوس. ولم يزل يجدّ في الحفر حتى ظهرت جدران الكنيسة واعمدتها في عدد ٩٠ عموداً ٦٤ منها في رواق الكنيسة و ٢٦ في داخلها. وللكنيسة المذكورة خمسة ابواب وخمسة مذابح. فتحقَّق الاب داديان انها الكنيسة المشيَّدة بهمَّة البطريرك نرسيس لاسيما بعد اكتشافهِ كتابتين يستفاد من الاولى تخصيص الكنيسة للقديس المذكور وعلى الثانية باليونانيَّة اسم البطريرك نرسيس. ثم اخذ يفتّش عن ذخائر القديس غريغوريوس فوجدها الَّا الجمجمة التي سبق القول انها نُقلت الى رومية لكنهُ وجد الناووس الحجري تحت الهيكل الكبير فارغاً. ومما اكتشفهُ ايضاً جرن العماد والموفه (السكرستيا) وآثار مسيحيَّة عديدة منها صلبان مصوَّرة بالفسيفساء وقناديل وكؤوس. ومنها مزولة اي ساعة شمسيَّة عليها احرف ارمنيَّة للدلالة على تقاسيم الزمان

وقد اكتشفوا ايضاً غربي هذا البناء قريباً منهُ على كنيسة أُخرى صغيرة يُرجَّح انها كانت منذ عهد القديس غريغوريوس اقامها للمؤمنين الاولين الذين انارهم بنور الايمان. وقد وجد الاب داديان في ردم هذه الكنيسة آثارًا عديدة وثنيَّة استنتج منها ان هـذه الكنيسة كانت قديمًا هيكلًا تُعبـد فيهِ الاصنام فخصَّصهُ القديس غريغوريوس لعبادة الاله الحق. وهو امر يشهد بهِ التاريخ. ومن جملة هذه الآثار كتابات عديدة بالارمنيَّة العتيقة واليونانيَّة. ومنهـا صفيحة كبيرة طولها متران و ٢٠ سنتيمترًا وعرضها ٦٢ س عليها كتابة بالخط المسماري ذات ٤٧ سطرًا نُقلت الى هـذا المكان من هيكل كان مبنيًّا في قديم العهد في مدينة خودرلو المدعوة اليوم قُطرلي. وهي كتابة مهمـة جدًّا اقامها الملك روزاس الثاني ابن ارغستيس معاصر سنحاريب ملك بابل في القرن الثامن قبل المسيح. ولا شك ان آثارًا أُخرى ستغني العالم اذا ما تمَّ الحفر

✱ النوَر ✱ ارسل الينا من الكرك جناب الاديب عبد الله افندي عكشة بعض افادات عن جيل النّور ننشرها قريباً ان شاء الله مع اعلامات اخرى. ونشكر سلفاً لجناب الكاتب همَّتهُ

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ٢١ تشرين الثاني ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

OUVRAGES CLASSIQUES

Abécédaire.

ܡܥܠܢܘ ܠܡܩܪܐ ܣܘܪܝܐܝܬ

مبادئ تعليم القراءة السريانية

In-2, 36 pages, 5e édition, 1900.

Par Mr Mansour al-Hakaïem.

Outre les premiers élémens de lecture syriaque, on trouve dans cette nouvelle édition les prières et un certain nombre de psaumes.

	Fr.	affr.
Broché	0,35	0,10
Cartonné	0,50	

Dictionarium Syriaco-latinum.

Auctore P. J. Brun S. J.



ܘܡܠܐ ܣܘܪܝܝܐ ܪܗܘܡܝܐ

قاموس سرياني لاتيني

Petit in-8°, IX-773 pages, à deux colonnes, 1895.

Les nombreux textes syriaques que l'Europe savante publie presque journellement restaient livres fermés pour un grand nombre d'étudiants ecclésiastiques, faute d'un *Dictionnaire classique*. Cet ouvrage comble largement cette lacune. Grâce à ce nouveau secours, l'on pourra désormais non seulement lire les anciennes versions syriaques des Livres Saints, mais encore tous les auteurs dont la terminologie n'est point par trop technique. Les comptes-rendus si bienveillants que les Syriologues ont fait de ce livre prouvent que le but a été atteint.

Ce Dictionnaire s'adressant surtout aux étudiants ou à ceux qui se trouvent en lisant embarrassés par le sens ou la forme d'un mot, on y donne en détail les différents états où la même racine peut se présenter: le futur et les autres modes, si c'est un verbe, le genre, l'état construit et le pluriel si c'est un nom. Bref on a visé à dispenser le plus possible de recourir à la grammaire. Dans le même dessein on a multiplié les idiotismes.

Pour les mots étrangers, les grecs surtout, si nombreux en syriaque, l'auteur ne donne que ceux qui sont d'un emploi plus fréquent ou méritent une attention spéciale, en signalant, autant que possible, leur origine. Dans l'intérêt de l'étymologie, il a eu souvent recours à l'hébreu et à l'arabe; ce rapprochement fera mieux saisir le sens propre ou dérivé du syriaque.

On trouvera dans un *Appendice* de 38 pages les noms propres les plus fréquemment mentionnés dans les livres syriaques.

L'exécution de ce Dictionnaire ne laisse rien à désirer; ses types si élégants ont été fondus et gravés dans notre imprimerie.

Broché	20	1,05

مختصر ديوان الخنساء

طبعة مدرسيَّة عدد صفحاتها ١٥٠

بضبطهِ وتصحيحهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

مجموع قصائد الخنساء كما وردت في الكتاب السابق الّا ان الشروح مختصرة

من التفاسير الشاملة الوافية بحاجة طلّاب المدارس

١ ٢٥

ف

٢٥ ١ ٥٠

ف قماش

Abrégé du même.

Édition classique annotée, in-12, 160 pages.

Édité par le même.

Les développements scientifiques de l'ouvrage précédent demandaient, pour l'Orient, une *édition classique*. Ce petit ouvrage satisfait à ce besoin. tient avec toutes les poésies d'al-Hansâ' des notes brèves et concises sur vers au bas de la page.

	Fr.
Broché	1,25
Cartonné	1,50

ترجمة الديوان السابق الى اللغة الفرنسية

لحضرة الاب دي كوبيه اليسوعي

غلاف ٥ ف بقماش كامل ٧٥ ٥ ٤٥

Le même, texte et traduction française.

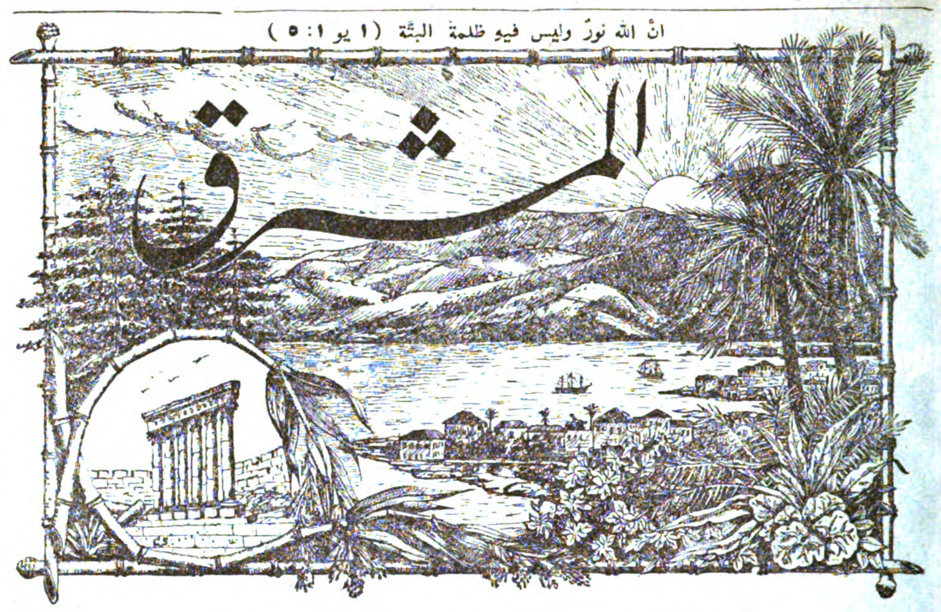
In-8°, 328 pages, 1889.

Par le P. V. de Copier S. J.

Les traductions des poésies arabes sont encore relativement peu nombreuse Europe : c'est que la génie des langues sémitiques diffère beaucoup de celui des gues européenes et défie souvent toute traduction. Le mérite de celle-ci est pré ment d'avoir rendu en français avec uu rare bonheur d'expressions l'énergie l'original. Cette traduction servira aussi bien de modèle à ceux qui s'occup d'études orientales que de lecture agréable aux amateurs d'antique poésie.

Broché	5 »	0, 4
Percaline gaufrée	5	5

السنة الرابعة — العدد ٢٤ — ١٥ كانون الاول ١٩٠١



مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOMMAIRE DU N° 24 (15 Décem. 1901).

فهرس العدد ٢٤

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠١

ALMANACH

DU

BACHIR

POUR L'ANNÉE

1902

In-18, partie française, 82 pages, partie arabe, 89 page

Cette publication parait annuellement depuis 1878 en arabe **français Voici** le sommaire de l'édition française pour 1902 :

السنة الرابعة　　العدد ٢٤　　١٥ كانون الاول سنة ١٩٠١

المشرق

في الواهمة والغريزة

بقلم الاب لويس رتزفال اليسوعي

لم يذهب من خاطر القرّاء ما كنّا وعدنا بهِ من مواصلة الكلام عمّا يتعلّق بحواسنا الباطنة فانجازًا للوعد ها اننا نأخذ اليوم في استئناف سيرنا لنتمّم ما يختصّ بهذه القوى وقد بقي ان نبحث في الواهمة وقوّة الغريزة

١ تعريف الواهمة والغريزة

قد مرّ في المشرق (٤: ٥٣١) انّ الواهمة او المتوهّمة قوّة يدرك بها الحيوان ما تعجز عنهُ سائر الحواس اي النافع والضارّ والملائم والمضادّ من عالم المخلوقات. قال في هذا الصدد القديس توما شمس المدارس: «ان الشاة اذا رأت الذئب مُقبلًا هربت منهُ ليس لسماجة لونهِ او شكلهِ بل لكونهِ عدوًّا طبيعيًا والطير يجمع الهشيم لا لالتذاذ حسهِ بل لكونهِ مفيدًا لتعشيشهِ» اه. ففي هذين المثالين ردّ على من لا يبني افعال الواهمة الّا على اللذة والالم السابق اليهما شعور الحيوان غير اننا نجتزئ هنا بالإلماع الى هذا الشطط مؤجلين اوفى دحضه الى ما بعد

فنقول الان انّ للواهمة شقيقةً او بالاحرى مرادفة في افواه الناس وهي الغريزة او الفطرة (instinct) والحق يُقال انهُ ليس من فاصل معنوي ذي شأن يفصل بينهما نظرًا لموضوعهما لانك اذا تتبّعت حقيقة الغريزة في التصانيف الفلسفية انما تستخلص انها قوّة طبيعية تدفع الحيوان ناطقًا كان ام غير ناطق الى مباشرة بعض اعمال مفيدة لحفظهِ او كمالهِ طوعًا من دون تروٍّ. وربما اتت الغريزة بمعنى الطبيعة فكانت حينئذٍ اوسع من

الواهمة نطاقاً لاشتمالها على مجموع القوى والاميال المطبوع عليها الحيوان بيد اننا نؤثر معناها الاول لاصالته ولذا لا بأس في استعمالنا الفاظ الواهمة والغريزة والفطرة على حدّ سواء وبمعنًى واحد

ومن المدقّقين من يصف الغريزة بقولهِ انها قدرةٌ للعمل في غاية دون قصد هذه الغاية وبغير تهذيب سبق. فنعم التحديد وهو جامع مانع. اجلْ انَّ للحيوان حركات وسكنات يقضي بها وطرًا يجهلهُ ويهيّئ لنفسهِ مرافق لا تبلغ اليها قواهُ فما بال السنجاب مثلًا يتزوَّد صيفاً باثمار البندق لشتاء لم يَذُق بعد بردهُ القارس وجوعهُ الأليم وما للعصفور المربَّى في قفصٍ اذا نقف وأُطلق من سجنهِ يشرع في ابتناء عشّ كباقي ابناء جلدتهِ بنفس الموادّ المستخدمة منهم وعلى نفس الشجرة وعلى نفس صورة اعشاشهم مع ان لا احد خرَّجهُ على ذلك ولم يتسنَّ لهُ الاخذ بمثال غيرهِ ولا يعلم ان هذا البيت سيفيد خصوصاً ما يتولد لهُ من الفراخ. ومما يروى بهِ من هذا الباب ان صغار البط اذا احتضنتها دجاجة وفقصت بيضها تسرع الى اقرب بركة وترمي بذاتها في المياه توًّا غير مبالية بصراخ امها بالذخيرة المرتعدة على سلامتها فمن يا هذا جرأ هؤلاء على خوض غمرات المياه ومن اقنعهم بمهارتهم في السباحة الّا امهم الكبيرة اي العناية الالهيَّة بواسطة الغريزة

امَّا في الانسان فليست هذه القوَّة على ما هي في البهائم اتساعاً وشدَّةً لعدم الحاجة اليها بهذا المقدار غير ان مفاعيلها تظهر جليًا في بعض الظروف لا يبقى معها للريب مجال. فاذا زلَّت منا قدم نبسط ذراعينا حالًا صونًا للموازنة وان هدَّدتنا ضربة حوَّلنا الرأس او غمضنا العينين الى غير ذلك والَّا لأُصِبْنا احيانًا بآفاتٍ قاضية او دهانا الموت من حيث لا ندري. اما عادةً فلا يخلو فعل العقل ان يتداخل في حركات الغريزة فيقوّم اودها ويزيدها درايةً حتى اضطرَّ الامر بعضَ العلماء في تغيير اسم الواهمة عند اطلاقها على الانسان فسمُّوها بالمفكِّرة (cogitative) لدنوّها من التفكُّر وانقيادها لهُ في معظم اعمالها. ولكن تأمَّل يا صاح احتياطات الطبيعة التي حقًّا لُقّبت بالامّ الحنون فانَّ فعلها في الطفل عجيب ولمَّا كان الطفل لم يتملَّص ذهنهُ من قُمط الحداثة والنقصان وكان بسببهِ عرضةً لاهوال تدرأُها البصيرة عن سائر الناس البالغين اشدَّهم فقد برزت بهِ الواهمة في اكمل درجة منها في المرء الكامل الادراك فكيفما تقلَّب الرضيع ارشدتهُ

الواهمة تلافياً لكل خطب ومهما لاح منهُ من رغبةٍ او نفور كان ذلك بايعازٍ من الغريزة او تحت امرتها المستقلة

٢ في خواص الغريزة

لا يعتاص على من اعمل في عوائد الحيوان عامل النباهة والتمعُّن الاطلاع على اهمّ خصائص الغريزة. واول ما يجلو منها للعيان هو الكمال الاصلي في جميع ما يأتيهِ الحيوان محدوًّا اليهِ من الغريزة. فالمح مثلًا الى الطير ترَ انَّ اول عشّهِ لا يقل عن آخرهِ احكاماً لا في خيار موادّ البناء ولا في هندامهِ. وكذا قُل عن النحل فتُرى مَن لقّنها ترتيب الخلايا المسدَّسة الجوانب ومن هذَّبها حتى تُتقن من اول دفعة ذلك البناء العجيب الجامع من بهاء الهندسة ودقّتهِ ومتانتهِ ومنافعهِ ما قضى منذ القديم اندهال علماء المساحة. انما مرشدها وهاديها الغريزة

وبعد الكمال يظهر التفرُّد في صنيع الواهمة ويكفي لتحقيقهِ اجالة البصر في عالم البهائم لا غير فلكل صنفٍ من الوحوش مزيّة عن الآخر في حفر مأواهُ او تدبير وجرهِ. وهكذا في طوائف ذوات الاجنحة والحشرات والاسماك. ثمَّ لاجناس الحيوانات المختلفة اعمال وحركات وحيَل في تحصيل الرزق وسائر اسباب الرفاهة ما خُصَّ بهِ جنس دون غيرهِ فما اعظم البون بين وثوب الاسد والنمر على فريستهما بغتةً وروغان الثعلب ومكره لولوجهِ قن الدجاج ثم تربُّص العنكبوت متزويًا في طرف نسيجهِ او وسطهِ حتى يباغت ما ينشب بهِ من الهوام

ألَا انَّ لهذا التفرد تُضاف ابدًا المداومة ووِحدَة المسلك فلا يغيِّر الحيوان شيئاً من اساليب العمل ونتائجهِ وكما قيل عند عامَّة الافرنج انَّ لفظتي « احسن واسوأ » لا اثر لهما في قاموس البهائم ولذلك تجد انَّ ما اخبرهُ الطبيعيون القدماء كارسطو وبلينيوس عن طبائع العجماوات وعوائدها وافراخها وتربية صغارها الخ هو نفس ما نراهُ الى ايامنا هذه وما سيلحظهُ خلفنا على ممرّ الادهار. ورغماً عن معاشرة الحيوان البشر وسائر البهائم لم نرَ جنساً من اجناسهِ تصدى يوماً ليحذو حذو غيرهِ والاستفادة بتقدُّمهِ. ولو كان الحيوان حائزًا على العقل كما يريد ذلك رهطٌ توهموهُ بقولهم ذلك لكنَّا شاهدناهُ خاضعاً لاوامر تلك الخصلة الكريمة فيبدل طرائقهُ في كثير من الاحوال ويقوّم ويصلح وفي الاجمال ينتفع من فوائد العلوم والصنائع. لكن الامر نقيض ذلك تماماً وجلُّ ما عثر عليهِ

الباحثون في طباع البهائم بعض المطابقة الطفيفة للظروف الخارجة كما رُوي عن بطَّة كانت قرب معمل كثرت حولهُ النفايات المعدنيَّة فلمَّا ارادت تشييد وكرها استعانت بما وجدتهُ من قطع الشرائط الحديديَّة فجاء الوكر اتقن هنداماً بهذه الوسيلة

وآخر صفة الغريزة في الحيوان هي العصمة من الخلل بمعنى انَّ هذه القوة تدفعهُ الى ما فيهِ صلاح طبيعتهِ وسدّ حاجاتهِ لا تحيد بهِ الى ما فيهِ فساد قوامهِ وبعبارة اخرى لن الحيوان لا يخطأ البتــة بل جميع مساعيهِ تأتي طبق غرض الطبيعة فيهِ. هذا اذا تُرك الحيوان وشأنهُ دون ان ينصب الانسان في سبيلهِ اشراك الدهاء ويحوك في مصنع عقلهِ الفائق فنوناً من المكايد فيدسُّ لهُ السمّ في الدسم ويصطادهُ بضروب من الحيل هداهُ اليها تفنن قريحتهِ. ولا ينفي ذلك كمال الغريزة في الحيوان بل تثبتــهُ بالاحرى لان الانسان لا يحاول خداع البهيمة الَّا معوّلًا على تلك القوَّة اذ يستر غشَّهُ تحت مظاهر دواعي العافية والهناء

واعلم ان الغريزة يمكن اعتبارها من حيث موضوعها وغايتها على وجهين وجهٌ يختص بافراد الجنس ووجهٌ يؤول الى خير الجنس باجمعهِ. امَّا الافراد فالواهمة تحضهم على التماس ما فيهِ حفظ حياتهم ورغدها على مقتضى قول الفلاسفة ترشدهم الى ان يكونوا ويكونوا حسناً (ad esse et bene esse) فمن هــذا الوجه تراهم يطلبون الرزق ويحتالون على الفريسة ويتأنقون في بناء المسكن وتحسينهِ وتجهــيزهِ بكل اسباب الرفاهة ويتفقَّدون بعض الادوية من حشائش ونبات لدفع الامراض او استدراكها. وامَّا ما يفيد الجنس كلهُ فهو شهوة التناسل التي لولاها لاضمحلَّت جميع طوائف العجماوات منــذ امَد مديد

وهنا دعنا نتأمل هنيهةً قدرة باريء البريَّة وحكمتهُ الفائقة التدابير فانهُ عزَّ وجلَّ قد علم انَّ مجرَّد الميل الى التوليد لا يغني الجنس شيئاً إلَّم يؤتمن على حياة المواليد. ولهذه الغاية قــد اودع قلوب الوالدين لاسيا الاناث رفقاً بصغارها افلاذ اكبادها فربَّما رأيت الأمهات يقتحمنَ اعظم الاخطار ويكابدنَ اشدَّ الاهوال في سبيل خير وُلدتهنَّ وليرددنَ عنهم سهام المنون. ومَن منَّا لم تترقرق مقلتاهُ حنوًّا عند روءيتهِ طول اناة الرنقاء (القرقة) لاحتضان بيضها واذا نقفتهــا زاد شغفها بالزغاليل وتكدح الكدح المفرط في تدفئتها واقاتتها ووقايتها من كل آفة فاذا اعتبرنا ان هذا دأب جميع الامهات مع ذراريها لا بدَّ

من ان تترطّب السنتنا حمدًا للعناية الصمدانيّة البالغة من غاية الى غاية بالقوّة والمدبرة كلَّ شيء بالرفق (سفر الحكمة ٨ : ١)

ومن اقوى الذرائع لصيانة عدّة اجناس من البهائم وتحسين حالتها غريزةُ الاستئناس فهي بمثابة تابع ومتمّم لفطرة التناسل اذ بهـا تتألب العُجم إلبًا واحدًا وتجيْ باعمال مفيدة بل ضروريّة تستحيل على الافراد فما اجلَّ فوائد الالفة لاثوال النحل في اصطناع خلاياها ولكتائب النمل في جمع زادها ولجماعات الطير الراحلة كالسنونو واللقلق والملك الحزين. وما انكد ما كانت حالة تلك الحيوانات لو عدمت ذاك الميل الى الوئام وأُهملت وشأنها فلولا تلك الفطرة وذاك الميل الغريزي الى الانضمام لتلفت وهلكت لا محالة

امّا الانسان فارتياحهُ الى الأُلفة هو اشدّ واعم منهُ في الحيوانات حتى يتعذّر عليهِ استخدام كثير من قواه وخصائله الفريدة الّا في مساكنة ابناء جنسهِ نخصُّ منها بالذكر قوّتهُ النطقيّة التي تفرز بينهُ وبين طور الحيوان وهي تدفعهُ الى الهيئة الاجتماعية بحيث لا يمكنهُ ان يعيش دونها. فهذه قضيّة راهنة ثابتة الاركان لا تنقضها سفاسف المخرقين كجان جاك روسو وغيرهِ من اهل السفسطة

٣ اوفى بيان لتعريف الغريزة وتفسير كيفية عملها

لا يكفي العاقل تأكيد الامور واطلاعهُ على ظاهر مجراها بل ديدنهُ عَجم عودها واستخراج كامنها من بارزها. والحال ان ظواهر الواهمة بيّنة جليّة لا يختلف في وجودها اثنان ولم تُعرف تلك القوّة بعض المعرفة الّا بواسطتها لكن يا ترى ما هي حقيقة تلك الغريزة وماهيّتها القصوى فهل هي قوة خاصّة متميزة عن بقيّة قوى الحيوان تميزًا حقيقيًا وهل ما تباشرهُ من الاعمال يخرج عن حيز سائر القوى البهيميّة ام هي فرعٌ منهـا او مجموع مفعولات بعضها. فهذه مسألة قد اشغلت ولم تزل تُشغِل اذهان اولي العلم حتى اتت آراؤهم متباينـة بل متناقضة فيتحتم علينا اذ ذاك النظر فيها مليًا قصد البلوغ الى نتيجة مرضية تريح قلق النفس وتحيُّرها ما امكن ولذا نذكر اهمَّ الطرائق التي يدّعي بها العلماء حلّ المشكل فنرذل الفاسد منها ونتحرّى ما هو اقرب الى الصواب

١ اعلم انَّ من الطبيعيين مَن يعزون اعمال الواهمة كلها الى سائر القوى الحيوانيّة من احساس وتخيُّـل وتذكُّر فحجّتهم انهم يرون عادةَ الحيوان يقتصُّ آثار ما ادركهُ

بالحواس شهيًا ويتجنّب ما وجده كريهًا متبعًا بذلك مخيَّلتهُ وحافظتهُ فالكلب مثلًا يهرب ممَّن اوسعهُ ضربًا والطير يبتعد من الشرك او القفص لسابق بلائهم انَّ في كلا الامرَين ألمًا وسوءًا . والحق يُقال انَّ هؤلاء العلماء لا يفسرون من الواهمة ذرَّةً لانهم برأيهم المذكور ينفون كون الواهمة قوَّة منفصلة عن سائر الحواس فيجعلونها شُعبةً من الحس المشترك . امَّا ما يتمثَّلون بهِ من إدبار الكلاب عن قابلهِ بالسياط ورغبة الطير عن الدنو الى آلة عذابهِ وغير ذلك فهو ضعيف واهن لا تقوم منهُ لمذهبهم قائمة لانهم انما ينسبون والحالة هذه مفاعيل الغريزة الى معرفة ما في الموجودات من اللذة والكراهية ولا تكون هذه المعرفة على قولهم الَّا بادراك احد الحواسّ . ولكن أنَّى إمكان ذا الادراك في كثير من افعال الواهمة ؟ فما الداعي مثلًا للشاة ان تفرَّ هاربة من انياب الذئب قبل امتحان اخلاقهِ الشرسة ؟ واذا زعموا انَّ الشاة تهرب من ابي سرحان لشناعة خَلقهِ أجبناهم انهُ لكان الاولى الهلع من بعض الكلاب الحارسة وهي أسمج منظرًا من الذئب . وكذلك ترى الطير يفرُّ من الباشق وان لاح لهُ لاوَّل مرة فليس خوفهُ منهُ لمنظرهِ المريع ومنظر الغراب يجاريه قبحًا بل يزيد عليهِ شناعةً ومع ذلك يألف العصفور الغربان ويأنف من الباشق

ثمَّ اذا كانت أفعال الغريزة مستندة الى إدراك ما تقرّبهُ الحواس او تمجّهُ فقل لي ناشدتك الله ماذا وجدت النحل من الفوائد واللذات في ابتناء شهدها على شكل مخاريب مسدَّسة الاضلاع حتى لم تعدِل منهُ شيئًا على كرّ الازمان . ثم ماذا حدا باول العناكب الى صناعة نسيجهِ على هيئة ثابتة معلومة لا تفارقها قطعًا . هل استحسانهُ لتلك الصورة وتفضيلهُ لها على سواها لعلَل هندسيَّة او مادّيَّة ؟ هل حملهُ على ذلك تهذيبهُ او الاتفاق ؟ كلاَّ ثم كلاَّ فانَّ كل هذه الاسباب لا تصلح في الواقع فيبقى القول بان الغريزة تمتاز عن سائر القوى البهيميَّة وانَّ نسبة أعمالها الى اللذة والكراهية فقط لا اصل لها

٢ الشرح الثاني هو لدروين وسبنسر حملاهُ على مبادئهما الفاسدة في الارتقاء والتحوُّل (transformisme) وقوَّة التوارث فزعما انّ ما نراهُ من ظواهر الواهمة في البهائم انما هو نتيجة توالي الاختبارات الجارية بلا انقطاع ضمن كل جنس من الاجناس وبهذا الانتقاء اليومي تكتسب افراد الخَلَف درجةً من الحذق والفطنة لم يبلغها السلف

قبلهم. امّا الواسطة لنقل هذه الخصال المكتسبة فهي التناسل بحيث يرث الاولاد ما احرزهُ اجدادهم في كرور الاجيال

على انَّ هذا الشرح اختراع عجيب بناهُ هؤلاء على تخيلات محضة لا يسندونها الى سند ثابت وليس قولهم هذا في تفسير أعمال غريزة الحيوان باجدى نفعاً من شرحهم لاصل الانسان. واذا تتبَّعنا أخلاق العجماء لم نجد فيها ما يتقرَّر بهِ هذا الترقي. فالنحلة مثلًا في عهد ارسطو لم تكن اقلَّ دربةً منها في أيامنا نحن ابناء عصر النور والتقدُّم وما زاد كلبنا امانةً على امانة ونباهة كلاب الأقدمين ولعلَّ أصحاب الفكاهات ينسبون الى بعض حيواننا التقهقر والقصور اذ لم نسمع في زمننا بذكر مأثرة كمأثرة الاوزّ الذي خلَّص الرومان من جيش البرابرة لمَّا باغتوا مدينة رومية وأوشكوا أن يفتحوها

واذا استقصينا البحث في رأي هؤلاء الدروينيين وجدنا انهم ذهبوا الى هذا الزعم الباطل لمعاينتهم في بعض الحيوان عادات عرضيَّة انتقلت بالتوليد من الآباء الى الابناء وخصوصاً متى توسَّطت عنــاية المرء في مساعدة الطبيعة. فقد ثبت مثلًا انَّ الكلب السلوقي يورث أجراءهُ ميلهُ الى مطاردة القنيص واسترواح الطريدة بقوَّة شمّهِ. ولكن لا بدَّ هنا من ملاحظتين الاولى انَّ الحيوان لا يكتسب مثل هذه الاميال غير الطبيعيَّة الَّا بجهد الانسان وسعيهِ المتواتر ليغرسها في نفسهِ. والثانية انَّ هذه الاميال لا تستقرُّ زمناً طويلًا في الصغــار إلَّم يداوم الانسان على تربيتها وترويضها بل يرجع الحيوان الى مجرَّد غريزتهِ بعد أجيال

٣ وقد زعمت طائفة أُخرى انَّ القوَّة الواهمة ليست بغريزة ولا موروثة وانَّما هي ملكة يكتسبها الحيوان مدَّة حياتهِ لتدبير شؤُونهِ الخاصَّة وان سألتهم لِمَ يصنع الحيوان هذا ويدع ذاك اجابوك لانهُ اعتادهُ رويداً رويداً. لكنَّ هذا الجواب لا يشفي غليــلًا وتردُّ قولهم الشواهد التي سبق ذكرها وهي تبيّن انَّ الحيوان يفعل ما يفعل مباشرةً دون ارتياض سابق. ونضيف الى ما تقدم انَّ للعادة خواصَّ تنــافي خواص الغريزة فالعادة مكتسبة والغريزة فطريَّة. العادة تنمو وتنقص حسب المباشرة والارتيــاض والغريزة راسخة ثابتة لا يطرأ عليها تغيير. ألا ترى مثلًا عشَّ الطير فانهُ لا يختلف كمالًا بتفاوت سني عمرهِ واوَّل عشّ يبنيهِ من حيث الإحكام كعشهِ الاخير قبل موتــهِ. فسقطت

اذن حجَّة هذه الطائفــة وتبيَّن ان مذهبهم مناقضٌ للعقل والاختبار ليس لهُ من الصواب حظ

٤ ومن الفلاسفــة المستقيمي الطريقة الصائبي الآراء من يقرُّ بانَّ الغريزة في الحيوان موهبة من الله جليلة ترشدهُ الى ما فيهِ نفعهُ على حدّ الشعور والتخيُّل غير ان هؤلاء لا يجسرون على اقتحام المشكل فيستنكفون عن فكّهِ.وهي خطَّةٌ مخلَّةٌ لانَّ هؤلاء العلماء مع كونهم يعترفون بقدرة الخالق ويؤدّون لهُ ما يستوجبهُ من الاكرام يسومون عقل الانسان خسفًا ويرتجون دونهُ أبواب صرح العلوم الشريفــة اذ يُحجمون عن طلب الاسباب وذلك أقصى ما يتحرّاهُ الفيلسوف الحكيم. نعم انَّنا نسلِّم بان الواهمــة قوَّةٌ اجدى بها الباري على خليقتهِ ولكن أيمنع ذلك ان نبحث في احوالها وشرح ظواهرها وتعليل خواصّها ؟ لا لعمري وان قيل انَّ الانسان قاصر عن ادراك كثيرٍ من علل هذه الظواهر اجبنا انَّ بعض الحقيقة خير من عدمها. لانَّ ذلك يشفي شيئًا من غليل الانسان وشوقهِ الى معرفة اسرار الطبيعة وان لم يدركها تمامًا

٥ فلنأتينَّ اذن الى إبداء رأينا في هذا البحث فنقول: ان الراغب في حسم بعض هذا الجدال لا بُدَّ لهُ من ان يتحاشى في ما ينسبهُ الى الحيوان كل ما يُشتمُّ منهُ رائحة التجريد والتعميم لانَّ ذلك مختصٌ بالانسان وهو من اعمال العقــل. امَّا البهيمة فلا تُدرك الَّا المفردات. واذا قال القائل انهــا تبتغي كونها وخيرها وانها تتأثَّر باهوال الموت وتأنس بعواطف الابوَّة او الامومة اجبنا انَّ هذا القول ضرب من الاستعارة فقط. وكذلك من الشطط ان يُعزى الى الحيوان طلب غاية من حيث هي غاية واذا رأيناهُ يسعى وراء غاية فهو اليها مدفوعة اذ لا عهد للعجماء بغاية حركاتها ولو امكنها ذلك لجارت الانسان في عقلهِ وارتفعت فوق طورها الذي خُلقت لاجله

فاذا ثبت ذلك قلنــا انَّ الحيوان لا يباشر العمل الَّا محمولًا عليهِ من الظروف الحاضرة. وحالتهُ في ذلك كحالة الابله البليد الذي ينبعث الى أعمالهِ وهو لا يفطن الى ما يصنع. هكذا الحيوان اذا تحرَّك كانت حركتــهُ منقادةً لما يستفزُّهُ من الاميال والشهوات في وقتهِ الحاضر اعني انَّ أعمال غريزتهِ تتقيَّد بحركات الاهواء البهيميَّة المثارة بهماز شعورهِ عند حضور المحسوسات. فان سُئلنا: « لِمَ ينهج هذا الحيوان منهجًا دون آخر في ظروف معلومة » اجبنا: « انَّ الحيوان المذكور سلك على ذلك النمط لانهُ لم

يمكنهُ في الاحوال التي وُجد فيها ان يركن الى نمط آخر». وان استزدتَني وسألت: «ولِمَ لم يمكنهُ ذلك» قلتُ: «لما غلب عليهِ من الاميال بازاء المحسوس الذي شعر بهِ». وان اردفت قائلًا: «وما المثير الداخليّ لهذه الاهواء والاميال» اجبتك: «انما المثير لذلك بنيتهُ الطبيعيَّة وأجهزتـهُ الآليَّة الخاصَّة». فهذا جواب اجمـالي ينبغي ان نقررهُ في الاذهان باجلى بيان فنقول:

نعم انَّ في بنية الحيوان علة تنويع أعمالهِ الغريزيَّة. فانَّ الله جعل لكل صنف من الحيوان أعضاء وأجهزةً اتاحها لهُ لوظائف معيَّنة لانَّ جهازًا بلا عمل يُستكمَل بهِ لَأَمرٌ ينافي حكمة الخالق. ثمَّ انهُ من المقرَّر انَّ جوارح الحيوان وقواهُ اذا لم يُصبهـا خلل ترتاح الى القيام بوظائفها وتأخذها بها هزَّة الطرب ويهنأ معها الجسد. وناهيك من دلائلهِ ما نشعر بهِ من الارتياح عند كسرنا سورة الجوع وتخميد لظى عطشنا. امَّا داعي تنعمنا الحقيقي بعد الضيقة الغير المطاقة هو نهوض المعدة باعباء وظيفةٍ حُرمت مزاولتها مدة غير منتظمة وكذا قُل عن آلات سائر وظائف حياتنا الآليَّة كالرئة والقلب. ثمَّ ان جمهور العلماء قـد اتفقوا على انَّ في الحيوان اذا وُجد بازاء ما يسدّ احدى حاجاتهِ الطبيعيَّة حركاتٍ وظواهرَ فيزيولوجيَّة تنبئ بما للغريزة عليهِ من السلطة. ضَعْ أمام الفرس علفهُ وإزاء الكلب رمَّة عظمهِ لا تلبث ان ترى سيول الرضاب تنهلّ من فمهما. وربَّما امتحنَّا ذلك في ذواتنـا عند حضور طعامنا. ومن الامثال السائرة عند الغربيين: ان جيّد المأكل يملأ الفم ماء (faire venir l'eau à la bouche)

فما المانع الان من إحالة هذه الملاحظات على سائر اعضاء واجهزة البهيمة. كيف لا يشعر بميلٍ للهجوم على الظبي المانس خفَّـةً ورقة ذاك الضرغام الكاسر او النمر الصائل المُعطى من الطبيعة اظفارًا وأنيابًا وشهوةً للّحم تحملهُ على ان يبطش بالفريسة ويتضرَّج بدمائها. ومثلهما جوارح الطيور التي منحتهـا يد العلي منقارًا ناقبًا ومخالب خارقة تزجّ بها على بُغاث الطير فحدّث ولا حرج عمَّا أُوتي كل جنسٍ من الآلات والاسلحة والعُدد المتنوّعة لا سكون لافرادها الَّا في مباشرة ما تقتضيهِ من الافعال على اختلاف ترتيبها. فلا عجب اذ ذاك من وَشْيِ العنكبوت لبُردةِ مَسكنهِ فانَّ رَسم نسيجهِ الرقيق كان قد خُطِطَ على نوع ما في ألياف جَوفهِ المهيَّأة للبروز ثمَّ في مشط أصابعهِ الرفيعـة ثم في اعضائهِ اللَّبِقة وكل اجزاء جسمهِ المستعدَّة لعمل الحيـاكة. ولا غرو اذا اعتاد

الطير جمع الهشيم بعد ما رُزق من حدَّة المنقار وخفَّة القوائم ولا من اختفاء دودة القزّ في فيلجة حريرها المحكمة الصنع الانيقة الشكل اذ كان ذاك الخيط المتجمّع في داخل اغشيتها قد امسى لها ثقلًا لم ترَ محيصاً منهُ الّا في لفظهِ خارجاً لكن على اسلوبٍ يكون من نتيجتهِ صيانتها مدَّة اشهر رقادها . امَّا الدجاجة فهل من امرٍ مُذهل احتضانها للبيض مع ما تشعر بهِ في حضنها من الحُكاكة الشديدة التي يمكن اجراؤها حتى في الديك بقليل من الخلّ فتراهُ يطلب الاحتضان شِفاء لحرقة جلدهِ ولولا خوفنا من التوسع المملّ لاستشهدنا هنا بشهادات نخبة الطبيعيين المراقبين لاحوال الحيوانات وعاداتها منهم المسيو فابر (Mr Fabre) والمسيو هنري جولي (H. Joly) (١ والاب دي بونيو(٢ (de Bonniot) اليسوعي وغيرهم فكلُّهم صوت واحد ليثبتوا ما يوجد من التعلّق الجوهري بين الغريزة وخواصّ بنية كل حيوان واهوائهِ وأدوات تركيبهِ الطبيعي

وقد زاد بعضهم انَّ الحيوان يولد ببعض الصُّور الخياليَّة تحضُّهُ الى اتمام الحركات اللازمة لخيرهِ عند الفرصة وقولهم هذا لا يتجاوز حدود الحدس والتخمين لكنَّهُ يكشف القناع عن امور كثيرة غامضة نجدها في واهمة الحيوان ويصعب ادراكها كانس البهائم ببعض شاكلتها ونفورها من غيرها

فلاح الآن ما لمدَّعانا السابق من الصواب لمَّا اجبنا انَّ الحيوان في ظروفٍ معلومةٍ يندفع للعمل على ذلك النمط الخاصّ لعدم امكانهِ اذ ذاك ان يلجأ الى نمطٍ آخر . والحقُّ يُقال ان العجماء لمَّا كانت عادمة النطق والحريَّة لا تعمل الّا للدقيقة الحاضرة والدقيقة الحاضرة محدودة محصورة تمامًا باحوال الحيوان الباطنيَّة وما يكتنفهُ من عالم الكائنات فحيثما اتَّجه الحيوان ومهما أتاهُ في سلسلة اوقات حياتهِ كان هو الامر الوحيد الموافق لهُ آنئذٍ بل الامر الفريد المحتوم عليهِ عملهُ لانهُ لا خطَّة للعجماء ولا قصد الّا خطَّة الوقت الحاضر وقصد ما يلائم فيهِ احوالهُ برمَّتها وحقًّا ان البهيمة تطيع لكل ما سنَّهُ الجبريُّون (Déterministes) من الاحكام والشرائع الّا انَّهُ كان الاجدر بارباب هذا التعليم ان يقفوا في طَوْر البُهم ولا يتعدَّوا

١) راجع كتابهُ المعنون الانسان والحيوان (L'Homme et l'animal)

٢) لهُ تأليف لذيذ المطالعة لطيف المعاني والعبارة دعاهُ مقابلة البهيمة بالانسان (La Bête comparée à l'homme).

الى طور البشر فيسلبوا الانسانَ بذلك قوّة ارادتهِ واختيارهِ . فانهم بهذا العمل يجعلون المرء لُعبةً بين يدي اميالهِ وحواسهِ وجهازهِ تتجاذبهُ الحوادث كيفما تقلّبت وتقوده طَوعَ العنان

هذا ما رأينا اثباتهُ في تعريف القوَّة الواهمة في الحيوان . فلا نخال القرّاء الكرام ينسبونا الى العدول عن جادَّة الصواب لأنَّ مذهبنا يحيد عن ضلال من لا يميّز الغريزة عن سائر الحواسّ فيُوقف افعالها على مجرَّد لذَّة المشاعر ثمَّ يفرزنا عمَّن يخلط بين الغريزة والملكات المكتسبة ويفصل اخيرًا بيننا وبين قومٍ أتقياء ينسبون فاعلية الواهمة الى الطبيعة ومنشئها عمومًا دون التصدّي الى حلّ عقد المسألة الخاصّ واستقصاء المحوَر الخفيّ الدائرة عليهِ المعضلة كلها جمعاء والسلام

درس العربيَّة في اوربة

في القرن السادس عشر

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي (تتمَّة)

وكان الكتاب الذي اختارهُ نونيوس ليعلّم بهِ تلميذهُ كليناردِ اللغة العربيَّة كتاب الانجيل مضبوطًا بالشكل الكامل . فسُرَّ بهِ الطالب ولا سرور البخيل الذي يجد كنزًا مطمورًا . ولمَّا انتهت ساعة التدريس رخَّص لهُ معلمهُ بان يأخذ الكتاب الى منزلهِ فطار لذلك فرحًا واسرع الى غرفتهِ وانكبَّ على مطالعة فصلهِ الاول اي سلسلة نسب المسيح للقديس متى حيث توفرت الاعلام الاعجميَّة . فاستدلَّ على الحركات الثلاث وتعرَّف بالضوابط كالهمزة والشدَّة ولم يزل مثابرًا على المطالعة والدروس حتى أدرك طرائق العرب في تركيب الالفاظ . ثمَّ اخذ يراجع تصريف الافعال ويتعلَّمها مع حركاتها الخاصَّة . وزاد فرحهُ اذ تمكَّن من الحصول على كتابٍ وضعهُ الراهب الاسباني بطرس القلاعي (Pedro de Alcala) فأخذ عنهُ عدَّة تعليمات افادتهُ في دروسهِ

وفي اثناء ذلك وقف نونيوس بين كتبهِ العتيقة على كتاب الاجروميَّة الذي كان استقى من موردهِ مبادئ العربيَّة . فاراد ان يفسّرهُ لتلميذهِ . غير انَّ كليناردِ لم يجد في

شرحهِ ما كان يؤمّلهُ . فعدل عنهُ الى كتاب آخر رآهُ في مكتبة نونيوس وهو كتاب المفصَّل للزمخشري من اشهر كتب النحو الذي فيهِ قيل :

اذا ما أردتَ النحوَ فيك محصَّلا عليك من الكتب الحسان المفصَّلا

فدرسهُ مدَّةً واستعانَ على فهمهِ بشروحٍ كانت في هامشهِ بالاسبانيَّة كان يترجمها لهُ بعض البلجكيين مواطنيهِ الساكنين في سَلَمنكة . فداوم برهةً من الدهر على اقتباس فوائدهِ لكنَّهُ رأى باختبارهِ الشخصيّ انهُ اولى لهُ ان يعود الى درسهِ فاستأنف العمل وجعل يجهد ذهنهُ ويعمل فكرهُ في نصّ الانجيل ليستخلص منهُ قواعد اللغة . ومما اطَّلع عليهِ آنئذٍ نواميسُ الإعراب التي ليس لها اثر في العبرانيَّة

وبقي في سَلَمَنكة تسعة اشهر يكدُّ نهارهُ ويسهر ليلهُ ولا ينفصل عن كتبهِ التي كان يدعوها معلِّميهِ الخُرْس حتى بلغ من علم العربيَّة مبلغًا حسنًا بل صنَّف في اثناء درسهِ معجمًا جمع فيهِ كل مفردات الانجيل مع هيئات الاسم المختلفة وخصوصًا الجموع وما يتعلَّق بتصريف الافعال

وبعد ان نال كلينَرْد ما نال من معرفة اللسان العربيّ رأى نفسهُ قادرًا على تدريسها في مدرسةٍ كليَّة . لكنَّهُ اجَّلَ الأمر ليزيد تعمُّقًا في معرفة آداب اللغة وفكَّر مدَّةً في وضع كتب مدرسيَّة يتعلَّم بها الاوربيُّون هذه اللغة الشريفة وخابر لذلك بعض ارباب الطباعة ليحفر لهُ حروفًا تمكِّنهُ من نشر هذه التآليف . بيد انَّ الطبَّاع تخوَّف من المصاريف التي يقتضيها هذا المشروع

ولمَّا رأى كلينرد انهُ سبق نونيوس في علم العربيَّة وانهُ لم يوجد في اسبانية رجلٌ كفوء على تعليمهِ (١ عوَّل على السَّفَر الى بلاد البرتوغال رجاء ان يزيد كنز معارفهِ العربية . ومما رغَّبهُ في هذا السفر انَّ ملك البرتغال يوحنَّا الثالث كان استدعاهُ ليعهد اليهِ تخريج أخيهِ الامير هنري

فوصل الى يابرة (Évora) وباشر مهنتهُ بغيرةٍ . وكان في اوقات الفراغ يرجع الى

(١) قد قلنا سابقًا انَّ آثار العربيَّة كادت تُطمَس في القرن السادس عشر من اسبانية . بل يفيدنا التاريخ انَّ هذه اللغة كانت أُصيبت بضربة لازبة قبل ذلك العهد . ومما يُخبر انَّ عيسى مُفتي سيغوفيَة ألَّف كتابًا في الفقه بالاسبانية لشيوع هذه اللغة بين المسلمين الباقين في الاندلس . وكان الاطبَّاء مع ذلك يزاولون دروسها ليقفوا على أسرار الطبّ العربيّ

دروسهِ المحبوبة . ومن تآليفهِ في مدينة ابرة كتاب في نحو اللغة العربية اخذتهُ يدُ الضياع ومنها أنهُ انجز هناك معجماً مطوَّلاً كان اخذ في تصنيفهِ قبلاً

وبلغهُ انَّ في البرتغال بعضاً من نُطُس الاطبَّاء يطالعون في العربية تآليف ائمة الطبَّ القديم يفضِلون مراجعتها في اصلها بدلاً من درسها في ترجماتها السقيمة اللاتينية الشائعة في اوربَّة . فاجتمع كلينرد بواحدٍ منهم كان يُدعى انطون فيلبُّوس كان مطَّلعاً على تآليف ابن سينا . فوجدهُ قليل الخبرة بقواعد اللغة فضلاً عن أنهُ ثقيل السمع . فأنس بهِ مع ذلك وتصادقا وامتزجا امتزاج الماء بالراح وجعلا مطالعة قانون ابن سينا ديدنهما مدَّة سبعة اشهر حتى اتيا على آخرهِ وراجعا قسماً من مصنَّفات جالينوس . وكان كلينرد لا يدع كلمة غريبة الَّا دوَّنها في معجمهِ . وزاد ولعُهُ بدرس ابن سينا حتَّى طلب لهُ تلميذًا يشرح لهُ القانون فاقنع احد الاطباء ان يتتلمذ لهُ ويسمع منهُ تفسير اعمال الشيخ الرئيس . وكان كلينرد مع ذلك يرتاض في الانشاء العربيّ ويصنّف شيئًا من المكاتيب حتى رأى انَّ بضاعتهُ حفلت وازدادت وكان لا يتمنَّى الَّا شيئًا واحدًا وهو ان يجد رجلاً عربي الاصل يمكّنهُ من التكلُّم في لُغتهِ ويُسمعهُ لهجاتها فصيحةً صافيةً غير مشوبة بغثاثة العجمة . فشاء الله ان يمتّعهُ بمرغوبهِ كما سترى

٣

افاد كلينردَ بعضُ اصحابهِ انَّ في سرقسطة عبدًا عربيَّ المنشأ متضلّعاً باللُغة العربيَّة . فهمَّ بالسفر الى تلك المدينة لكنَّهُ غيَّر وِجهتهُ وسار الى اشبيلية اذ عرف انَّ الفخَّار الذي علَّم استاذهُ نونيوس لسان العرب لم يزل في قيد الحياة . فعند وصولهِ الى اشبيلية استخبر عن مقام الرجل فدلُّوهُ على معملهِ فوجدهُ كلينرد مهتمًّا بصناعتهِ ليس لهُ رغبةٌ البتَّة في تدريس العربيَّة بل كان يتجاهل ولا يجيب على اسئلة زائرهِ حتَّى أَيس منهُ

ثمَّ خرج الى سوق البلد فوجد بين العبيد رجلاً تونسيًّا كان استعبدهُ القرصان وعرضوهُ للبيع فابتاعهُ كلينرد واتخذهُ لهُ معلّماً وكان شارطهُ ان يدفع لهُ كل يوم اجرةً معلومة . بيد انَّ اهل العبد ارسلوا بعد ثمانية ايَّام فدية الاسير واستفكُّوهُ وحرموا بذلك التلميذ معلّمهُ

لكنَّ خسارة كلينرد كانت زهيدة لانَّ الله اعاضهُ عن التونسيّ بمن كان افضل علماً منهُ . وذلك انَّ عبدهُ المعتَق أعلمهُ قبل فراقهِ انَّ في مدينة المرِيَّة على بعد ثلاثين ميلاً

من غرناطة عبدًا آخر طويل الباع في آداب اللغة العربيـة محنكًا في دقائقها . فرحل كليترد من وقته الى المرية وابتاع العبد من سيده بثلثمائة دينار ثم تتلمذ لهُ . فعلّمهُ العبد النطق الفصيح بالعربية ودرَّبهُ في أساليب الانشاء ليتمكن في المستقبل من تعريب الكتب الاجنبيَّة . فبلغ الطالب النشيط بعد زمن قليل من معرفة اللغة مبلغًا لم يظنّ العبد انَّ رجلًا اجنبيًا يمكنهُ الوصول اليهِ

ومع توفُّر الوسائط التي حصل عليها كليترد رأى انهُ لا يفوز بغاية مقصودهِ من اتقان العربيَّة الّا بان يسافر الى بلاد يحكي اهلها هذه اللُّغة وكان لهُ رجاء وطيد ان يلقى في رحلتهِ كتبًا مخطوطة يبتاعها او ينقلها بالنسخ ولا سيَّما ان آفات الزمان كانت قد ذهبت بكنوز الاندلس الادبيَّة فأضحت فيها المصنَّفات العربيَّة أعزّ من الأبلق العقوق

فركب السفينة في ١٠ نيسان من سنة ١٥٤٠ ووصل بعد ايَّام الى سَبتة التي كانت يومئذٍ في حوزة البرتغاليين . فاخذ فيها نصيبًا من الراحة وقصد بعد اربعـة ايَّام مدينة تطاون . فلما دخلها اجتمع بأحد علمائها الوطنيين كان درس في فاس العلوم النحويَّة مدَّة خمس سنوات فباحثهُ في اللغة وفاز عليهِ بقصبة السبق

وفي ٤ ايَّار من السنة حطَّ في فاس عصا التسيار ثمَّ دخل على ملكها وسلَّم عليهِ بالعربيَّة . فسُرَّ بهِ الملك واظهر لهُ من الحفاوة والاكرام ما يليق بمثلهِ . ثمَّ تباحثا مليًّا في العربيَّة فزاد اعتبار الملك لهذا الاجنبيّ الذي فاق ابناء جنسهِ بفصاحة لهجتهِ وطلاقـة لسانهِ وهو لم يسمع سابقًا من امثالهِ ومن التجار الغرباء المستوطنين حاضرتهُ سوى لغة ركيكة اشبه برطانة الهَمَج . وممَّا كان يزيد سلطان فاس اندهاشًا انهُ كان يرى كليترد ذكيَّ الفؤاد مطَّلعًا على ضروب المعـارف اللُّغويَّة لا يجاريهِ احدٌ من علماء فاس في ميدانها . فشاع صيتهُ في البلد واخذ الشيوخ يتواردون اليهِ ليعجموا عودهُ فكانوا يعودون والخُبرُ يزيد عن الخبَر . وكانوا يثنون خصوصًا على رياضة اخلاقهِ ودماثة طبعهِ وحسن صفاتهِ ويعظّمون رغبتهُ في درس العربيَّة ويساعدونهُ في ذلك ما امكنهم

امَّا كليترد فلم يُضع من وقتهِ ساعةً بل جعل يسأل العلماء ويعرض عليهم مشاكلهُ ويستخبرهم عن احوال البـلاد وعادات القوم . وكان يدوّن كلّ ذلك في دفاترهِ . ثمَّ شرع يطلب المخطوطات فيبتاع بعضهـا ويستنسخ بعضها والملك ينشّطهُ على العمل ويرخّص لهُ جمع هذه الطرائف الادبيَّة . وأذن لهُ ان يستدعي من غرناطة معلّمهُ الذي

كان ابتاعهُ في المزيّة ودرس عليهِ. وكان هذا العبد معروفاً في بلاد مرّاكش فلمَّا عاد اليها بقي في خدمة كلينرد يساعدهُ في تكميل دروسهِ وهو مصمّم العزم على مصاحبتهِ الى بلجكة اذا ما عاد اليها

وبينا كان كلينرد محفوفاً بالاكرام يرى الدهر موافقاً والريح رخاء اذ قلب لهُ الزمان ظهر المجنّ. فتغيّرت نحوهُ نيّات الملك وحاشيتهِ. وجاءهُ امر من السلطان انَّ يكفَّ عن درس العربيَّة وعن اقتناء الكتب المخطوطة. بل دخل عليهِ الشرطة وفصلوا عنهُ معلّمهُ الذي ابتاعهُ من مالهِ بعد ان ادّوا لهُ حقَّهُ. فبقي المسكين وحدهُ منفردًا يتجنَّبهُ الكلّ كأنَّهُ مُصاب بعدوى فاشية اشبه باسير منهُ برجل حرّ وكان يرى الاخطار تتعقَّبهُ حتى لم يعد يأمن على حياتهِ

وان سأل السائل وما الداعي لانقلاب الاحوال على كلينَرد ومن سبَّب لهُ هـذه المعاملة السيّئة اجبنا انَّهُ كان لدولة البرتغال في فاس قنصلٌ دنيْ الاخلاق حسود. فلمَّا رأى ما نالهُ البلجكيُّ من الحظوى لدى ملك فاس وخولهِ استفزَّهُ الحسد الى ان يسعى بهِ ويشنّع نبأتهِ. فوقع كلامهُ موقع الاستحسان وتغيَّر عليهِ اهل فاس

فلما رأى كلينرد ما جرى لهُ من نكبات الدهر وانهُ اضحى في ارض غريبـة لا انيس لهُ ولا جليس تحفَّز للسفر وبعـد ايَّام قلائل خرج من المغرب كالطريد اللهيف. بيد انهُ كان استفاد من رحلتهِ هذه وسمع الناطقين بالضاد وادرك اسرار لغتهم فعاد الى اسبانية راضياً بما حصل عليهِ

وفي بدء سنة ١٥٤٢ نرى كلينرد في غرناطة مشغوفاً بدروسهِ العربيَّة. وكان يفكّر في الرجوع الى المغرب غير انَّ المنيَّة حالت دون عزمـهِ وكانت الهموم والاسقام توالت عليهِ في آخر حياتهِ فمات في غرناطة وقُبر في قصر الحمراء الذي شيدهُ ملوك الاندلس من بني اميَّة

ودُفنت في قبر كلينرد تلك المساعي الخطيرة التي تكلَّفها لينشر الدروس العربيَّة في اوربَّة. وكانت غايتهُ ان يجعل مركز هذه العلوم في كلّيَّة لوڤان. وكان يريد ان يُنشئ ثمَّت مدارس يعلِّم فيها المعلّمون اصول العربيَّة من صرف ونحو وبيان مع اللغات العاميَّة الشائعة في الشرق بحيث يمكن الطلبة ان يكتبوا ويتكلّموا كأهل الشرق ولهذا السبب كان يطلب لهُ معلماً وطنياً بارعاً في لُغتهِ. على انَّ مشروع كلينرد الذي حبط وقتئذٍ قد

تمّ بالفعل في ايّامنا فان عواصم اوربّة كباريس وڤيِنّة و برلين ولندن ترى اليوم هـذه المدارس العربيّة زاهيةً يتخرج بها عدد غفير من الشبّان الغربيين

الّا انّ الفضـل للمتقدّم. فانّ كلينرد هو الذي نهج الطريق للمحدثين ولدرك منافع عمل اثيرٍ لم يخرج الى حيز الفعل الّا بعد ثلاثة اجيال بنيف. فمن لا يتعجب من عزيمة هذا الرجل الذي لم يدَّخر وسعاً مدة ١٢ سنة في سبيل غايتهِ ونشر اللغة العربيَّة بين ابناء جلدتهِ وهذا ما حملهُ على الدرس الطويل والاسفار المتعدّدة وجمع المخطوطات العربية او نسخها. وكان كلفهُ باحراز هذه الكنوز الادبيَّة ساقهُ الى ان يطلب من نائب ملك اسبانية لويس دي مندوزة صديقهِ ان يوصي ربّاني السفن المُبحرة الى مراكش والجزائر بان يبتاعوا ما يجدونهُ من هذه التآليف القديمة

وممَّا يزيد فضل كلينرد انهُ لم ينوِ فقط بدرسهِ العربية انشاء مدارس تنشر تعلم هذه اللغة بل كان يريد ان يساعد شعوب الشرق ويردّ الضالّين منهم. ومحبّتهُ لاهل دينهِ ادَّت بهِ الى ان ينفق مبالغ عظيمة ليفتدي بعض العبيـد النصارى الذين وجدهم في المغرب حتى انهُ اصبح هو نفسهُ فقيرًا لا يملك شيئاً. وزد على ذلك ان الدولة البرتغالية بعد سعايات قنصلها في فاس رفضت ان تدفع لهُ راتبهُ الذي اكتسبهُ بتعليم الامير هنري شقيق الملك فصار في اسوإ حال. على انَّ هذه البلايا كلها ما كانت لتثني عزمهُ بل كان يقول: ولو قُضي عليَّ بان استعطي فلا ادع دروسي ولا احيد عن مقصودي

أفلا يحق بنا بعد هذا ان نثني على كلينرد الثناء الجميل وننظمهُ في عداد مشاهير المستشرقين الذين شرفوا عصرنا هذا كدي ساسي وكاترمار ورينو في فرنسة. وكفريتاغ وفلَيشر وسوسين ونُلدك في المانية . وكدوزي ودي غوي في هولندة. فلا مراء انهُ لو عاش في عهد هؤلاء السراة لبرز بينهم واصاب لهُ ذكرًا مؤبدًا (١

١) اخذنا ملخص مقالتنا هذه من كتاب حديث نشرهُ في بلجكة احد علمائها الافراد وهو الاستاذ ڤيكتور شوڤين الذي اثنينا مرارًا على مصنَّفاتهِ الشرقيَّة في مجلتنا هذه واسم كتابهِ:
Etude sur la vie et les travaux de Nicolas Clénard, Liége, 1900
على اننا لم نقتطف من هـذا الكتاب الّا بعض فوائده فان المؤلف قد اودعهُ عدَّة اعلامات ونبذ تاريخيَّـة كثيرة الجدوى نتأسف على ان ضيق المكان لا يسمح لنا بنشرها. وما يدل على فضل هذا التصنيف ان المجمع العلمي الملكي في بلجكة اهدى صاحبهُ جائزة الشرف

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

معتقداتهم (تابع)

ومن سُنَن الصابئة: «البهثه» ܦܗܬܐ (وتُلفظ: پهثه) ومعناها «كسرة خبز» وهي مشتقة من ܦܗܬ بالحاء ومعناها: شقَّ وكسر وفلق. وقد وصفها حضرة الفاضل السيد نقولا السيوفي وصفاً قرَّبهـا كل التقريب من «سرّ القربان» عند النصارى. وذكر لها من تفاصيل الاستعداد وتأثيرها في النفس وتناولها بغير اهليَّة واستحقاق ومحل حفظها الى غير ذلك مما لا يخرجها بشيء عن الشَّبَر (الاوخارستية). ومن هذا ترى ان الفصل المذكور مُختَلَق من اوله الى آخره. امَّا حقيقة الامر فهي هـذه: يأتي واحد (مهما كان رجلًا او امرأة من خدَمة الدين او غيرهم) بقليل من طحين البرّ ويَهيلهُ من علو على يدي «الترميدا» المفتوحتين الموضوعتيـن الواحدة لِصْق الاخرى. فيذهب به الكاهن الى النهر او الى ماء جارٍ عذب ويغرف منهُ قليلًا ويصبُّهُ على الدقيق فيعجنهُ بدون خمير وملح ثم يخبزهُ بهيئة قرص صغيرة قطرها خمسة او ستة سنتيمترات. وبعد ان يخرجها من النار يضعها في محل خصوصي قد أُرصد لهذه الغاية. وهو عبارة عن حفرةٍ قد حُفرت في الحائط او في شجرة. وبالاخص في نخلةٍ على نحو شكل عش الخطاطيف بعد ان يطهّرها بالماء ويتلو عليها صلوات خصوصيَّة. وعند العماد يذهب الكاهن ويأخذ منها ما يكفي للمتعمّدين. وتُخبز البهثه يوم العماد. واذا مسَّها واحد من العوام فلا يجوز بعـد ذلك للكهنة منهم ان يأكلوا منها بل تُدَّخر للعوام منهم لا غير

وهذه البهثه تُعطى لكل من يتعمّد صالحـاً كان او شريراً رجلًا او امرأة. وبعد أكل البهثه يشرب المتعمّد ماء من قنينة صغيرة من الزجاج المألوف وقد مُلئت من الماء الجاري الذي يتعمّد فيه الصابئ ويتعمد كل من يَجنَب كما رأيت فُوَيق هذا وينقد اجرة العماد وهي عبارة عن نصف فرنك او ما يزيد عليه. والبهثه لا تُنفصل عن العماد. كما ان هذا لا يكون بدون تلك. وعليه فكلما ذُكر في هذا الباب غير ما ذكرناهُ من التفاصيل

فلا يُعتمد عليهِ لان ما ذكرناهُ رأيناه بعيننا . وهو لا يشبه بشيء شَبَرَ النصارى بل يُشبه كل الشبه ما جاء في تاريخ الكنيسة عن الشيعة الأبيونيين (وهي من فرق الأذريين) فان اصحابها كانوا ينقطعون عن الاشغال نهار الاحد (وكذا يفعل الصابئة الى يومنا هذا) ويُعمّدون ويتخذون النَّشر من الماء فقط لا من الخمر . وهكذا يفعل الصابئة كما رأيت

ومن مخترعات كتاب « البحث عن ديانة الصابئة » للمرحوم نقولا السيوفي : « الاعتراف » وقد سماهُ بلسانهم ܫܘܡܗܬܐ (شُنهاثا) وقد عرّفهُ تعريفًا ووصفهُ وصفًا بحيث لم يفرقهُ بشيء عن اعتراف النصارى . ومن الغريب ان الصابئة لا تعرف ذلك البتة ولم تسمع بهِ بل ولا شبه لهذا السرّ عندها امَّا الشمهاثا فهي عبارة عن صلاة تُتلى على من أُصيب بمرض مهما كان وبالاخص الامراض العصبيَّة كالرعشة والصرع ونحوهما . والغاية من تلاوتها دفع المرض بالصلاة . وليس « الشمهاثا » غير ذلك فاين الثرى من الثريَّا

وليس في كتاب المرحوم نقولا السيوفي بحثٌ عن سنَّةٍ من سُنن المندائيَّة الَّا والوهم فيهِ او الخطأ يغلب الصحة او الحقيقة . وما ذلك الَّا لان صاحبهُ قد استند على كلام جاهل من الصابئة او متجاهل محافظةً على اخفاء السرّ . على اننا لا نطلب من القارئ ان يصدّق كلامنا الَّا من بعد ان يُقابل ما نقلهُ المرحوم بما جاءت بهِ نصوص الصابئة فان بعض كتبهم الدينية قد طُبعت اليوم وليس من الصعب الحصول على هذه الكتب . ومن هذه الاسفار المطبوعة « السِدرا رَبّا او الكنزا » (١

هذا وتتبُّع جميع هذه السنن وذكرها في هذه النبذة فمن الامور التي تُثير الملل في القرّاء ولذا نعدل عن ذكرها . وكنَّا نود ان نشبع الكلام في هذا البحث ونهتك الحجاب عن مُحيَّا تلك الشيعة لكن هناك اسبابًا تحول دون الامانيّ :

لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ كنت كالغصَّان بالماء اعتصاري

١) وقد طبعها على الحجر لا پترمن وهذا عنوانها بالافرنجية : Thesaurus seu Liber magnus, vulgo « Liber Adami » appellatus.- Descripsit et edidit H. Petermann. Lipsiæ 1867.

ومنها القلستە وعنوانها : Qolaste oder Gesänge und Lehren von der Taufe und dem Ausgang der Seele als mandäischer Text mit sämtlichen Varienten nach pariser und londoner Manuscripten. Stuttgard 1867.

(محلّ وجودهم) كان الصابئة في ايام الخلفاء الراشدين والعبّاسيّين منتشرين في بلاد سوريَّة وما بين النهرين والعراق وبلاد ايران وشرقي بلاد العرب وجنوبيها . امّا اليوم فقد حُصروا في بقعة من العراق وفي بُليدات منهُ فقط . واليك اسماؤها : العِمارة وجَلعة صالح (او قلعة صالح او الجَلعة وهي بُليدة حديثة على بُعد ثلاث ساعات عن العمارة للمنحدر من البصرة) وابو خَصيب (على بعد ساعة ونصف ساعة عن البصرة للمنحدر الى خليج فارس) وشطرة المنتفِق (او شطرة المُنتفِج او المنتفك) وسوق الشيوخ والناصريَّة (او المركز وهي بُليدة حديثة على بعد ثلاث ساعات من أُور الكلدانيين وهي التي تسمى اليوم المقيَّر او المكيَّر) والسَّفحة والجزائر (وهاتان هما قريتان قريبتان من القُرْنة) والقرنة والصُّوَيب (بازاء القرنة) وَشرِش والشواليش والجحشيَّة وحَكّام (وتُلفظ حچّام) وآل حسن وقَرْمة بني سعيد والحَمَّار والچبايش (الكبايش) ونهر صالح وكل ذلك بين الناصريَّة والبصرة . وقبل ١٣ سنة كان الصابئة ايضاً في مدن كثيرةٍ من بلاد فارس منها : شُشتَر وشاش ولي ودِزْفول والحُوَيْزة والمُحمرَّة وكل ذلك على نهر كارون فاضطهدهم العجم فتشتَّتوا في مدن العراق وبقي منهم بقيَّة في المحمرَّة والحويزة فقط

وقد ذكر لي بعض شيوخ الصابئة وعلمائها ان من المندائيَّة من قد توطَّن فاس ومِكناس والجزائر وطرابلس الغرب وبالخصوص انهُ يوجد منهم طائفة عظيمة في « البيّاضيَّة » . وقد بحثت كثيرًا عن اسم هذه البلدة او هذا الصقع في الكتب التي بيدي فلم اتيسَّر الى العثور على شيء من هذا القبيل . فعنَّ لي ان المراد بالبيّاضيَّة « جبل لبنان » من باب التفسير المعنوي (وان كان في ذلك بعض تكلُّف) وقد نقَّبتُ عن وجود هؤلاء الناس في لبنان ونواحيهِ فرأيت نُزْبَر في مقدّمة كتابهِ « المصحف الناصري » (ص ١٤—١٦) انهُ يوجد فرقة من الصابئيَّة في « المرقب » ليس بعيدًا من طرابلس وهذا نصُّ كلامهِ العربي بعد التنقيح :

« كان في ارض القدس اناس جليليون اصحاب بدعة خاصة بهم . ومنذ مائة وخمسين سنة هجروا وطنهم وتوطَّنوا « المرقب » وهو ناحية من نواحي لبنان . وقد اقاموا هناك وهم موجودون الى يومنا هذا في ذلك الصقع (اي الى عهد نُزبر وقد توفي هذا العلامة سنة ١٨٢٦) يحافظون على ديانتهم وينتسبون الى يوحنَّا المعمدان و يزعمون انها طريقتهُ وهم ليسوا بيهود ولا نصارى بل انهم يجمعون بين الديانتين . واليك بعض شواعر دينهم :

يلبس الكهنة في وقت الصلاة ثوبًا من جلد الحمل ويقدّسون العسل والجراد ثم يوزعون منهما بعد الصلاة على الحضور. ومن هؤلاء من يأخذ شيئًا منهما لبيوتهم ليُعطى لمن لم يحضر الحفلة من اقاربهم ومن معارفهم. والجميع يأخذون تلك الاشياء بكل احترام واكرام. وفي اليوم الذي يتناولونها يقضون النهار بالعبادة والقنوت والورع ولا يتكلّمون الّا قليلًا ويسمعون كلام الله. واذا تفوّهوا كان موضوع كلامهم روحانيًّا. وكهنتهم يعظون الشعب مرّة واحدةً في الشهر وذلك في كنيستهم وعن امور ديانتهم. ويستهلّون دائمًا خطابهم بقول يوحنّا: « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة ». ومن عجيب امرهم انهم يعتقدون بقول يوحنّا ولا يعتقدون بالمسيح بكونهِ اتى الى العالم كابن الله بل كنبيّ. وهو عندهم بعد يوحنّا في المنزلة. ولهم كنيس خاصّ بهم وليس فيهِ لا صورة ولا تمثال بل جرن للعماد وحفرة في الارض لا غير. ولمّا يصلون يوقدون سرجًا وشموعًا ثم يضعون العسل والجراد في بُهرة الكنيس ويدورون حولهما بالشموع ثلاث مرات قائلين: « حبًّا بابينا يوحنّا استجبنا يا رب وخلّصنا من جميع اعدائنا وأنر عقولنا لكي يضيء علينا نور الديانة الحقيقيّة » وحينما ينتهون من صلواتهم يناول كهنتُهم العسل والجراد لجميع الحاضرين ويُؤخذ للغائب شيء من ذلك ليعطاهُ في البيت. ويقيمون هذه السنّة مرّتين في الاسبوع اي نهار الخميس ونهار الاحد

« امّا لبس الكاهن في وقت اقامة الشعائر الدينيّة فهو عبارة عن « مشلاح » و « قبّة » من جلد البعير وبيدهِ عصًا. واذا وعظ الكاهن اتى بالآيات بنصّها الجليليّ وامّا التفسير والشرح فباللسان العربيّ لان عامتهم لا تفهم لغتهم الدينيّة الّا علماؤهم وكهنتهم. ويتلو الكهنة وعظهم عن ظهر القلب الّا الآيات فانهم يقرأونها قراءة ويأخذونها عن سفر يوحنّا. واذا اخذ الكاهن بالوعظ تُوصد الابواب ويقف واحد منهم على الباب بمنزلة حارس. امّا بقيّة الجمع فيجلسون صامتين بوقار وادب كأن على رؤوسهم الطير. وهم يُعيّدون عيد القديس يوحنّا اربع مرات في السنة. وفي عيد يوم مولدهِ يسلقون قمحًا ويخلطون بهِ زبيبًا وجوزًا وجرادًا وعسلًا وغير ذلك ويملأون من هذا الخليط صحونًا ويبعث بها بعضهم الى بعض. وفي ذلك النهار لا يأكلون طعامًا آخر غير هذا الخليط. ثم انّ الكاهن يصلّي على هذا الطعام فيحمل كل واحدٍ صحنهُ على رأسهِ وفي وسط الصحن شمعة متقدة ثم يطوفون والصحون على رؤوسهم حول الكنيس

مرتين. واذا انتهوا من ذلك اخذ الكاهن من الخليط واعطى منـهُ لكل واحد من الحاضرين. وفي يوم عيد عماد يوحنَّا يُجدّدون عمادهم اي يذهب الجميع الى الماء فيأتيهم الكاهن وبيدهِ علمٌ وعلى رأسهِ قبَّة من جلد البعير فيأخذ جرَّةً ويملأها ماء ثم يرشّ على الخارج من الماء شيئًا من ماء الجرة قائلًا: « اني اجدّد عمادك باسم ابينـا ومنقذنا وكما عمَّد المسيح واليهود في الاردن وخلَّصهم يُخلصك انت ايضاً ». وبعد ان ينتهي من عماد الجميع ينزل هو ايضاً في الماء ويغتسل. وعلى هذا الوجه تنتهي الحفلة فيرجع جميعهم الى الكنيس مصفّقين ومغنّين فيطعمهم الكاهن العسل والجراد. وفي يوم قطع رأس يوحنَّا المعمدان يندبونهُ في الكنيس قائلين: « ان مخلّصنا في مثل هذا اليوم قتلهُ هيرودس. زاد الله عذاب اللعين عذاباً ». وفي يوم الاعجوبة التي عملها يوحنَّا حينما قتل التنّين الذي خرج من بُحيرة طبريَّة (على زعمهم) يُطوّفون حيواناتهم كلهـا حول الكنيس بفرح عظيم. والمتـديّنون منهم وذوو اليسار يذهبون الى الجليل لإقامة هذا العيد ويأخذون معهم الضعفاء واصحاب العاهات لكي يبرأهم قديسهم وهم يمشون حفاةً. ولمَّا يصلون هناك يدخلون معبدهم وهو قديم يبعد عن جبل طابور مقدار عشر ساعات وبعد ان يفرغوا من الصلاة والسجود يوزّع الكاهن العسل والجراد طلباً لسلامة ارواحهم » اه

فنطلب من قراء المشرق ممن هم في المرقب ان يفيدونا عن وجود هذه الفرقة وهل هي باقية على اقامة تلك السنن الدينيَّة بالوجه الذي ذكرناهُ. وعلى كل حال فان الصابئة الموجودين هنا لا يعتقدون بشيء من هذا كلهِ ولا يُقيمون سُنَّة واحدة من هذه السنن فلينتبه القارئ

(عدد الصابئة) قد احصيتُ بنفسي عدد الصابئة بلدةً بلدةً فوجدتهم لا يزيدون على ١٨٠٠ نسمة وهم يسيرون الى الانقراض سيرًا حثيثًا حتى انهُ لا يوافينا منتصف القرن الجديد الّا وقـد مُحوا من سفر الوجود ولم يبقَ منهم باقٍ وبانقراضهم تذهب كتبهم الدينيَّة التي يحافظون عليها مُحافظتهم على حياتهم وتُنسى لغتهم فتغدو في خبر كان

(اللغة الصابئيَّة) هذه اللغة فرع من الفروع الساميَّة قائمة بذاتها. غير ان الكلام عنها يستغرق كتاباً برأسهِ او على الاقلّ مقالة طويلة ولهذا لا نذكر عنها هنا شيئًا. الّا اننا نقول ان اللفظ الذي يذكرهُ الافرنج في كتبهم قـد اختلقوهُ اختلاقاً برمَّتهِ وهو

غير لفظ الصابئة . وكذلك قل عن معاني بعض الالفاظ والعبارات فانهم قد وهموا فيها وما ذلك الّا لاستنادهم على اللغة الإِرَميّة بفرعيها فضلّوا سواء السبيل . وكان يجب عليهم في مثل هذه الامور ان يتلقوا المصطلحات والشروح عن اصحابهـا لا عن غيرهم . ولولا ضيق المقام لذكرت كثيرًا من هذه الاغلاط . وعلى كلٍّ فانهم معذورون لان الصابئة لا يبوحون ابدًا باسرار لغتهم ومعانيهـا مهما دفعت لهم من الدراهم والدنانير . وممّا يتعلّق بهذا الباب ان للصابئة لغتين : لغة فصيحة ولغة عامية . فالفصيحة هي لغتهم الدينيّـة والعاميّة هي لغة التكلّم . وهذه الثانيـة تختلف عن الاولى كل الاختلاف حتى ان كثيرين منهم لا يفهمون ابدًا اللغة الفصيحة . والى اليوم لم ينبِّه على هذا الامر احدٌ . وبحجّة اقوى : لم يكتب احد شيئًا عن اللغة العاميّة والسلام

رتبة قديمة

لشرطونية الاسقف والمطران عند الروم الملكيين

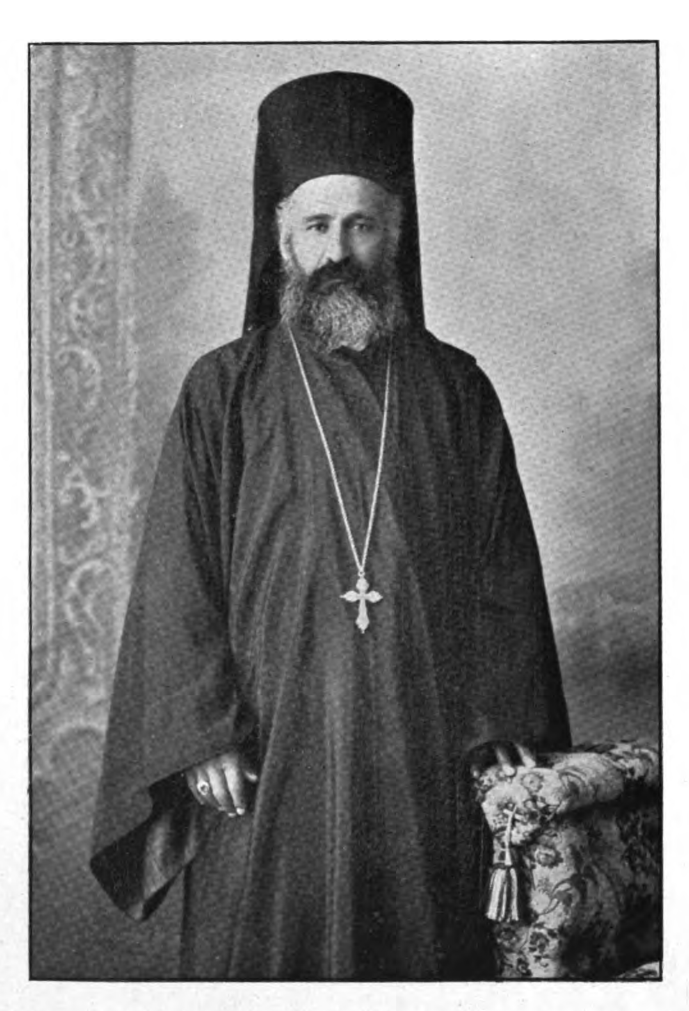
توطئة

قد سُرَّ الروم الملكيون في أواسط الشهر المنصرم بترقية كاهنين فاضلين من نخبة كهنتهم الى مقام المطرنيّة الرفيع وقد شاركهم في فرحهم جميع كاثوليك البلدة . امّا نحن فمع تقدمة مراسيم التهاني للحبرين الجليلين (١ فقد انتهزنا هذه الفرصة لننشر « رتبةً قديمة لشرطونية الاسقف والمطران عند الروم الملكيين » لتعريف الرتب الشائعة قديمًا في كنائس الشام والمقابلة بينهـا وبين ما هو جارٍ في ايّامنا منها

وقد نقلنا هذه الرتبـة من كتاب خطّي قديم يرتقي عهدهُ الى نحو ٤٠٠ سنة نصونهُ في مكتبتنا الشرقيّة وقد عثرنا عليهِ قبـل خمس سنوات عند احد ادباء البلدة الخواجا يوسف افندي صفير فباعنا ايّاه . وهو عبارة عن ٢٠٨ صفحة من القطع الصغير يحتوي كلَّ رتب درجات الكهنوت من الاناغنسط (القارئ) الى درجة المطرنية . وسنعود ان شاء الله في فرصة اخرى الى وصف هذا الكتاب النفيس . وغاية ما يمكنا قولهُ اليوم ان هذه الرتب قديمة جدًّا لا توافق الرُّتب الشائعة اليوم

---

١) قد نشرنا في المشرق صورة احدهما السيّد المفضال فلايانوس كفوري وقد تكرَّم علينـا سيادتهُ بها . امّا صورة السيد اكليمنضوس معلوف فلم يمكنا الحصول عليها



السيد المفضال فلابيانوس كفوري مطران حمص وحماة

في الكنائس الملكيّة ونظنُّها انَّها معرَّبة عن الطقوس اليونانية او السريانية التي كانت جارية في الكنيسة الانطاكية قبل ان يجبرها بلسمون على اتخاذ طقوس الكنيسة القسطنطينية (راجع المشرق ٣ : ٢٨٣) ودليلنا على ذلك (اولاً) انَّنا راجعنا ما ورد في هذا الشأن من الطقوس الجارية قديمًا في القسطنطينيَّة وقد جمعها مرتان (Martène : *de antiquis Ecclesiæ ritibus*) في القسم الثاني من كتابهِ (ص ٩٨) فوجدنا انَّها لا توافق ما ورد في كتابنا. وكذلك رأيناها تختلف عمَّا اوردهُ الكردينال بيترا في تأليفهِ المعنون (Juris ecclesiastici Græcorum historia et monumenta) في الصفحة ٤٩. (ثانيًا) ان في هذه الرتب صلوات باللغة السريانية كما سترى. ومن المعلوم ان الكنيسة القسطنطينية لم تستعمل قط اللغة السريانيَّة بخلاف الكنيسة الانطاكية التي استعملت مدَّةً هذه اللغة في طقوسها (راجع المشرق ٣ : ٢٧١). (ثالثًا) ان في قانون الايمان الذي يتلوهُ المرشَّح للاسقفيَّة لا ذكر للمجمع النيقاوي الثاني وما ذلك الَّا لان بدعة محاربي الصور لم تفش في بلاد الشام بل في القسطنطينية وجهاتها فقط وقد جُعل المجمع الاورشليمي في المقام الاول كانَّهُ اوَّل المجامع السبعة. ومع هذه الادلَّة الثلثة فاننا لا نجزم بالامر ونورد الرتبة بحروفها ولغتها الضعيفة تاركين للعلماء ان يبحثوا في اصلها بحثًا مدقَّقًا وعلى الله المتكل

(حاشية) قد ورد في هذه الرتبة اسماء الثياب الحبريّة المستعملة في الكنيسة اليونانية فرسمنا أشكالها بالتصوير الشمسي. وقد تلطَّف سيادة الحبر الجليل المطران ملاتيوس فكّاك فاعارنا ايَّاها. فنشكر لسيادتهِ لطفهُ هذا

ترتيب كيف يُشرطن (١ الاسقف والمطران

يأتي المعتزم ان يُشرطن فيلبسوهُ التحتاء (٢ والبطرشيلي (٣ والاكمام: واذا لبس الرئيس يلبس الاساقفة مناتيهم (٤ وافلونيات (٥ بيضًا. ويجلسوا على درج المذبح فاذا فرغ البطرك من لبس بدلتهِ يأتي الكهنة والشمامسة الى الاساقفة ويعملون لهم مطانيّات (٦ ويدعونهم الى حيث البطرك فيأتون ويجلسون عن ميامنهِ ومياسرهِ فيقدمون المنتدب. وعند ما يبتدئ بقراءة الجامع يقول قبلًا :

١) الشرطونيَّة (ومنها فعل شَرْطَنَ) لفظة يونانية (χειροτονία) معناها وَضع اليد والسيامة

٢) التحتاء هو القميص الطويل الابيض ويسمّى ايضًا ستيخارة στιχάριον

٣) البطرشيلي او البطرشيل من اليونانيَّة (περιτραχήλιον) ومعناهُ حول العنق

٤) جمع مَنتيَّة من اليونانيَّة (μανδύη) رداء طويل يلبسهُ الاساقفة في الرُّتب الكنسيَّة

٥) من اليونانيَّة (φελώνιον) وهي البدلة التي يلبسها كهنة الروم تغطي كلّ جسمهم واللاتين يدعونها penula

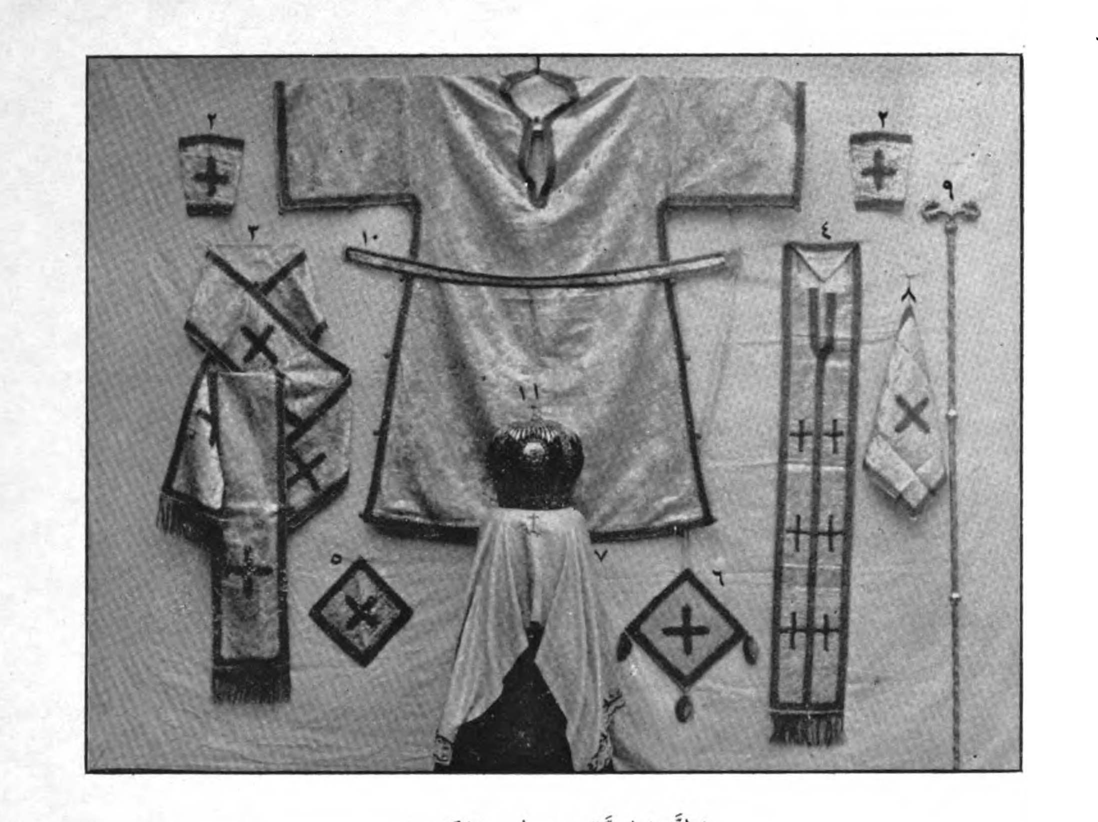
٦) من اليونانية (μετάνοια) معناها في الاصل التوبة ثمَّ استعملت للسجود وللسلام بالانحناء

« انا فلان برحمة الله المختار للاسقفيّة القلانيّة »

ويكونون قد وضعوا تحت رجليهِ خرقةً مصوَّرًا فيها صفة مدينتهِ. وفي الوسط صورة نسر. فيطأ المنتدب فوق النسر ويقول الامانة

« الحمد لله الذي هدى من انتخبهُ من عبادهِ الى الدين الصحيح. واوضح لهم المسلك القويم والمنهج المبهج النجيح. وانقذهم من اسر عدوهم بتجسد سيدنا يسوع المسيح. فتبارك الله الذي منَّ على عبادهِ برحمتهِ. وتحنن عليهم برأفتهِ. وخلّصهم من ضلالة الطغيان. وعبادة الاوثان. وطرائق الشيطان. اذ ارسل كلمتهُ الخالقة الازليّة. فحلَّت في الطاهرة النقية. سيدة الخلائق وخير البريّة. العذراء البتول. التي حيَّرت بولادتها وبتوليَّتها ذوي الألباب والعقول. التي باركها الله واصطفاها. وقدَّسها وارتضاها. مريم ابنة يواكيم. التي اختارها القدوس العظيم. فاتخذ الكلمةُ الازليّة الناسوت البشري حجاباً لعظمتهِ. وتصرَّف بهِ بين الورى بمشيئتهِ. فعلَّمهم ما لا يعلمونهُ. وفهَّمهم ما لم يكونوا يفهمونهُ. وهداهم الى دين الحق. وارشدهم الى اقوال الصدق

« فهانذا أومن واعترف واعتقد بآبٍ وابن وروح قدس ثالوث واحد كامل القداسة مبدأ الحياة وعنصرها حسبما اعتمدتُ وعبدتُ منذ ولادتي الى نهاية عمري. اعترف انَّ الآب إِلٰه والابن إِلٰه والروح القدس إِله لانَّ الثالوث لاهوت واحد من جهة تساويهم في الجوهر واتفاقهم وان كانوا ينقسمون بفصل الأقانيم فهم لاهوت واحد متساوٍ بالجوهر. واعترف انَّ احد الثالوث ربَّنا يسوع المسيح لاجل محبَّتهِ التي لا توصف لجنس البشر قدم الى العالم وتجسَّد من والدة الاله بالجسد الذي اتخذهُ منها خلوًا من زرع البشر. ومن بطنها ولد كلمة الله واختصَّ بناسوت الطبيعة البشريّة حسبما هو لها فصار هو بذاتهِ كامل الالوهيّة بحيث انهُ لم يستحل عمَّا كان عليهِ. ولم ينتقل بما اخذهُ عمَّا هو عليهِ. فهو بعينهِ اقنوم واحد معروف بطبيعتين ومشيئتين متساويتين وفاعلتين ينحجز انتقالها عمَّا هما عليهِ. (فالطبيعة) التي للاهوت ثابتة حسبما كانت والتي للناسوت قائمة بكل خواصها تابعة لمشيئة اللاهوت من غير اختلاط ولا امتزاج ولا افتراق لكي يخلّص جنسنا بظهوره من القديسة والدة الاله العادمة العيب. لم يكن مسيحاً غيرهُ ولا يكون وبهذا الاعتراف أدحضُ كل الاراتقة ومن شارك ضلالتهم. واني مطابق ومتابع رأي السبعة المجامع



الحلّة الحبريّة عند الروم الملكيين

١ المنتيّة او الصاكوس ٢ الكمّان ٣ الدرع او الاموفوري ٤ البطرشيل ٥ غطاء الكاس (الكامة)
٦ الحجر ٧ الشوراية ٨ ستر الموضوعات ٩ العكّاز ١٠ الزنّار ١١ التاج

وهي: (الجمع الاول) اجتماع الموالي السادة الآباء الاطهار والرسل القديسين الابرار بالعليَّة الصهيونيَّة وما وضعوهُ من الشرائع الناموسيَّة والاحكام المسيحيَّة. (الجمع الثاني) الثلثمائة والثمانية عشر اسقفًا الذين اجتمعوا بمدينة نيقية وناظروا آريوس القس الاسكندراني واحرموهُ ولعنوهُ وقطعوهُ وابعدوهُ. (الجمع الثالث) المجتمع بمدينة القسطنطينيَّة وهو مئة وخمسون اسقفًا الذين اجتمعوا على مكدونيوس عدوّ الروح وابوليناريوس الذي حاجَّ بالتجديف على الروح القدس مثلما جدَّف آريوس. (الجمع الرابع) المجتمع بمدينة افسس وهم مئتا اسقف الذين اجتمعوا بسبب نسطور الذي فرق المسيح وقال انهُ طبيعتان واقنومان ولم يقرّ بام الرب مرتمريم (١ البتول وانها ولدت الله. (الجمع الخامس) المجتمع بخلكدونية وهم ستمائة وثلاثون اسقفًا بسبب افتيشيوس وذيوسقورس اللذَين جحدا ان المسيح بطبيعتين طبيعة لاهوتيَّة وطبيعة ناسوتيَّة باقنوم واحد لا مفترق ولا ممتزج ولا مختلط. (الجمع السادس) وهم مئة واربعة وعشرون اسقفًا اجتمعوا على تبَّاع نسطور الذين ثبتوا على رأيهِ و (ردًّا على) اوريجانس الذي قال انَّ الانفس اذا خرجت فقد حالت ولا تعود الى شيء آخر (٢. (الجمع السابع) وهم مئتان وتسعة وثمانون اسقفًا الذين اجتمعوا على سرجيوس وقورس اللذين اجمعا رأيهما انَّ المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة فاحرموهما ولعنوهما وقطعوهما وابعدوهما

« فها اناذا اصرخ واقول اني تابع لهذه المجامع السبعة المقدسة قابلًا بما قبلوهُ ومبعدًا لما ابعدوهُ ومُدحضًا لما ادحضوهُ ولاعنًا ما لعنوهُ ومُحرمًا لمن أحرموهُ وقاطعًا لمن قطعوهُ. واعترف انَّ هذه السبعة المجامع المقدَّسة اجتمعت بارادة الله تعالى وبمعونة السيد المسيح وبمشيئة الروح وان جميع ما وضعوهُ واتفقوا عليهِ حقّ وصدق وبهِ النجاة في يوم الموقف

---

١) على لفظها السرياني ܡܪܬܡܪܝܡ اي السيدة مريم. وقد مرَّت في مقالة بولس الراهب اسقف صيداء الملكي (المشرق ١ : ٨٤١)

٢) الرأي الذي حرمهُ مجمع قسطنطينية الثاني هو قول اوريجانس ان النفوس وُجدت قبل اجسادها كاملة وان وجودها في الاجساد عقاب لخطاياها السابقة. امَّا قول المؤلف « انَّ النفوس اذا خرجت حالت الخ » فلا يظهر لهُ معنًى جلي

العظيم امام المنبر المرهوب وانَّ كل ما ابعدوهُ ورفضوهُ اثمٌ وبهتان وضلال وطغيان. فلنقل باجمعنا: جميع الاراسيس اناثيما (١

« واقرُّ اني مقبِّــل للايقونات المقدسة الطاهرة الموقَّرة ايقونة ربّنا يسوع المسيح ووالدة الاله والرسل والانبيــاء والشهداء وجميع الابرار والصديقين لا على بسيط ذات الامر (٢. لكني اتوسَّل بشفاعاتهم الى مراحم الاله. واقبِّل بامانة وخوفٍ عظامهم بما انها مملوءة من النعمة الالهيَّة. واقبل كلَّ كتاب مفوَّه من الله من العتيقة والحديثة واكرِم كلَّ الاباء والمعلّمين والنسَّاك ليشفعوا فينا. واعترف بقيامة الموتى وحياة الدهر الآتي. بهذا الاعتراف اعيش ما حييت وعليهِ اموت بمعونة الله الحي الازلي »

ثم يأتي بعد القراءة يقبّل ركبة رؤساء الكهنة الحاضرين ويقبّلوهُ هم ايضاً ويذهب الى باطن الحجاب فاذا دخلوا بالايصوذون (٣ يأتوا بالمترَم ان يصير رئيس كهنة فيقول المُشرطِن (٤ هكذا:

« أُختير وجُرِّب من محبّي الله الاساقفة ومن الكهنة والشمامسة القديسين »

وبعد هذا يأتي المترَم ان يصــير رئيس كهنة ويضع رأسهُ على حافة المائدة ويفتح البطرك الانجيل ويضعــهُ على رأسهِ (وهو) مكبوب وعنقهُ منحنٍ. ويقف ايضاً الاساقفة معهُ ويلامسون الانجيل جميعهم. ويعمــل المشرطِن رسم الصليب على هامة المنتدب ثلاث مرار ويضع يدهُ عليهِ ويقول:

« نعمة الله التي هي دائماً تشفي السقيمات وتتمِّم النواقص ولفلان الراهب في الكهنة ترسمهُ الآن اسقفاً على مدينة فلانة نتوسَّل من اجلهِ ان تحلَّ عليهِ نعمة الروح القدس نقول كلّنا : الشعب « كيرياليصن (٥ » ثلث مرار

ويصلّب على رأسهِ ايضاً ثلاثاً ويصلي عليهِ:

« ايها الرب الهنا الذي جدَّدت لنــا بواسطة رسولك المعروف اسمهُ بولس تمثال الخدمة المنظورة التي لاسرارك الحسنة النقيَّة بمذبحك المقدس: اولًا الرسل. ثانياً الانبياء. ثالثاً المعلّمين. انت ايها السيد اجعل هذا المنتخب مستحقّاً ان يدخل تحت نير الانجيل

---

١) الاراسيس البدع تعريب αἵρεσις. واناثيما من اليونانية ἀνάθεμα اي شَجب ولعنة

٢) يريد انهُ لا يكرم هذه الصور من حيث جوهرها بل من حيث موضوعها التي تمثّلهُ

٣) الايصوذون كلمة يونانيَّة (εἴσοδος) معناها الطواف او الدورة

٤) وجاء في الهامس: « هاهنا يأخذهُ اثنان من رؤساء الكهنة ويدورون بهِ حول المذابح بصليب » وهنا صلاة بالسريانيَّة لا يقرأ منها سوى كلمتين منها [illegible]

٥) تعريب Κύριε ἐλέησον اي يا ربّ ارحم

ويقبـل درجة رئاسة الكهنوت من يدي انا الخاطئ ومن هؤلاء المشاركين معي في الاسقفية وبشركة قوَّة حلول نعمـة روحك القدوس. وقوّهِ يا رب كما قوَّيت انبيائك القديسين وكما مسحت الملوك وقدَّست رئيس الكهنة هكذا اوضحـهُ (كذا) برئاسة الكهنوت بريئًا عريًا من جميع العيوب واتقنهُ بكل نقاوة واوضحهُ ان يكون بقداسهِ مستحقًّا ان يسأل منك الخلاص من اجل الشعب والطاعة (ويعلن (١) فانَّ لاسمك القدوس يجب السبح والملك الاب والابن والروح القدس »

حينئذٍ واحد من الاساقفة يكرز (٢ :

ܒܫܠܡܐ ܠܡܪ̈ܥܝܬܐ. ܚܠܦ ܫܝܢܐ ܕܡܢ. ܚܠܦ ܫܝܢܐ ܕܟܠܗ. ܚܠܦ ܪ̈ܒܢܐ. ܚܠܦ ܐܚܘܢ ܦܠܢ ܕܐܬܩܪܒ ܘܐܬܬܣܝܡ ܐܦܣܩܘܦܐ ܘܚܠܦ ܕܝܠܗ ܠܡܪܥܝܬܗ. ܐܝܟܢܐ ܕܢܛܪܝܘܗܝ ܡܪܝܐ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡܐ ܒܪܝܫܘܬ ܟܗܢܘܬܐ ܗܢ ܕܐܬܓܥܠܬ ܠܗ ܠܡܪܢ. ܚܠܦ ܡܠܟܢ ܕܝܠܢ. ܚܠܦ ܡܕܝܢܬܐ ܗܕܐ. ܚܠܦ ܕܢܬܦܪܩ. ܥܕܪ ܘܦܪܘܩ. ܠܩܕܝܫܬܐ ܐܡܝܢ (٣

وبعد ذلك يضع المشرطِن يدهُ مع بقيَّة الاساقفة على هامة الذي يُسام ويقول :

« ايها الرب الهنا الذي لضعف طبيعتنا نحن البشريين الغير ثابتين اهَّلتنا ان نتقدَّم الى جوهر لاهوتك واقمت لتدبيرك معلِّمـين مشابهين آلامك لكي يكونوا متسالطين بكرسيك يقدّمون لك ذبائح وقرابـين عن كل شعبك انت هو الرب الاله وها هوذا عبدك الذي اهَّلتهُ ان يصير مدبرًا بالنعمة رئاسة الكهنوت « فلان » اهّلهُ ان يصير مشابهًا لك راعيًا صالحًا حقيقيًّا يضع نفسهُ عن غنمـهِ هاديًا للعميان ونورًا للذين في

١) يعلن اي يرفع صوتهُ

٢) كرز بالسريانيَّة وعظ. ويُراد بها هنا تلاوة الصلاة جهارًا كما يظهر

٣) هذه طلبات مختصرة قد حُذف منها بعض الفاظ لشيوعها في ذلك الزمان وهذا تعريبها : « بالسلام للرعيَّة. لاجل السعادة التي من (يريد « من العُلى » وقد اسقط كلمة ܠܥܠ ثمَّ حذف الجواب : « من الرب نطلب »). لاجل سلام كلها (اي الارض)... لاجل رؤساء الكهنة... لاجل اخينا فلان الذي تقدَّم وجُعل اسقفًا ولاجل رعيَّتـهِ لكي يصونهُ الرب من كل عيب في هذه رئاسة الكهنوت التي عُهدت اليهِ. لاجل ملكنا. لاجل هذه البلـدة. لكي نخلص... ساعد وخلِّص. للامة المقدّسة »... وفي اصل نسختنـا قد كُتبت هذه الصلوات بالحرف السريانيّ المعروف بالملكيّ لانَّ الروم الملكيين كانوا يستعملونهُ في كتبهم وسنعود الى هذا البحث مرَّة أُخرى

الظلام. معلّماً للضالّين وكوكباً في العالم مهيّئاً لاسعاف الانفس التي يتسلّط عليها في حياة هذا العالم ليقوم امام منبرك بغير خزي ويأخذ اجرة الهدى التي اهلتها للذين يناضلون من اجل كرازتك الانجيليّة يا الهنا (ويعلن) فانّ لك يليق الرحمة والخلاص ولك السبح والوقار الاب والابن والروح القدس»

ويرفع رئيس الكهنة الانجيل ويضعهُ على المائدة المقدسة ويلبسونهُ حجرًا (١ وبوليسطبريًا (٢ واموفوريًا (٣ ويقولون:

اكسيوس اكسيوس اكسيوس (٤

وبعد ذلك يصلون «اجيوس (٥» ويكملون القداس، ويناولونهُ الجسد المقدس قبل الاساقفة

تمّت بعون الله تعالى

مطبوعات شرقية جديدة

Publications de l'Ecole des langues vivantes

Tedzkirat en-Nisian, *trad. française par O. Houdas*. 1901 p. 413

تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان القسم الثاني

كان الاستاذ الفرنسي المستشرق هوداس نشر هذا الكتاب الجليل بالعربيّة وهو يحتوي اخبار بلاد السودان وولاة تُنبكتو من تاريخ سنة ١٥٩٠ الى ١٧٥٠ مع نبذة في تاريخ بلاد سُكتُو. وقد نقل الان الاستاذ المذكور هذين التاريخين الى الافرنسية وعلّق عليهما عدّة تذييلات وشروح تزيدهما افادةً. وفي آخر الكتاب فهرس واسع يسهّل الاطلاع على مطالبهِ الشتى. فنثني على المعلم هوداس الذي اضاف هذه المأثرة الجديدة الى مآثرهِ السابقة فقرّب الى العلماء معرفة بلاد قاصية لم يكادوا يعرفون من امورها شيئاً

١) الحجر عبارة عن تربيع منسوج عليهِ تصاوير او نقوش يحملهُ الاسقف على جانبهِ الايمن فوق ركبتهِ ولذلك يُدعى باليونانية ἐπιγονάτιον

٢) هو رداء مخصوص بالاسقف يلبسهُ فوق الستيخارة. واصل الكلمة من اليونانية (πολυσταύριον) ومعناهُ الرداء ذو فوق المديدة

٣) من اليونانية (ὠμοφόριον) وهي شقّة من نسيج الحرير المطرز يلبسها الاسقف في الكنيسة اليونانيّة كدرع الرئاسة او الباليوم

٤) من اليونانيّة ἄξιος اي هو اهل (لهذه الرتبة)

٥) يريد صلاة «قدوس الله» التي تبتدئ باليونانية بكلمة ἅγιος

مطبوح المكتبة العمومية او مطبوخ الارمن لسنة ١٩٠٢

ترجمهُ عن الارمنيَّة حضرة الاب الفاضل الخوري سوكياس چريان الارمني الكاثوليكي

هذه ثالث مرة نصف هذا التقويم المفيد. وهو لا يختلف كثيرًا عن سنيهِ الماضية سوى ان اصحاب المكتبة العموميَّـــة قد ابدلوا الاعلامات عن سفر البواخر والبريد بتعريف بعض كتب مكتبتهم. وفي هـــذا التقويم من الخلل ما اشرنا اليهِ سابقًا وهو انهُ وُضع لمدينة البندقية فحساباتهُ لا تصلح لبيروت. هذا فضلًا عن اغلاط عديدة. منها مثلًا (ص ٦) ان خسوف القمر الكلي لا يقع في ٢٣—٢٤ نيسان بل في ٢٢ منهُ. وقولهُ « انهُ لا يُنظر منهُ شيء في بلادنا » هو بعكس الواقع فانهُ سيرى في بيروت. ومن المعلوم ان خسوف القمر يُرى في كل البلاد الّا اذا كان القمر تحت الافق. وكذلك ليس بصواب (ص٧) ان كسوف الشمس يكون في ٨ ايّار بل في ٧ منهُ. وكذلك في ١٧ ت ١ (ص٧) لا يُشاهد خسوف القمر في هذه البلاد كما زعم لان القمر يكون تحت الافق. وكذلك (ص ٨) شطَّ في قولهِ انَّ خسوف الشمس في ٣١ ت ١ يشاهد في سوريَّة. وكذلك (ص٩) ليس بدء السنة الاسرائيليَّة في ١ ت١ بل في ٢ منهُ. وغير ذلك ممَّا يُصلح بالمقابلة مع تقويم البشير

تقويم البشير لسنة ١٩٠٢

هذه السنة الثالثة والعشرون لصدور هـــذا التقويم. وهو كما يُعلم قسمان عربي وافرنسي ومع شهرتهِ لا نرى داعيًا لوصفهِ. ومن اراد الاطلاع على موادهِ فليراجعها في غلاف المشرق

D^r GIUSEPPE GABRIELI

Un Capitolo di Teodicea musulmana. *Trani*. 1901 p. 58

فصل من كتاب العقيدة الصُّغرى للشيخ السنوسي

الشيخ السنوسي هو ابو عبد الله محمد بن محمد التلمساني من بني سَنوس وُلد سنة ٨٣٣ (١٤٢٨ م) وتوفي سنة ٨٩٥ (١٤٩٠م) لهُ عـــدة كتب شائعة في بلاد المغرب. وقد أُولع الاوربيون بعقيدتهِ الصغرى التي تتضمَّن ملخَّص الاعتقاد الاسلامي ونقلوها الى اللغتين الفرنسية والالمانية. وقد اختار الدكتور غبرئيلي فصلًا منهـــا وهو الفصل العاشر يتضمَّن ما يختص بالصفات الحسنى فنقلهُ الى اللغة الايطالية وجعلهُ كمدخل

لمباحث مطوَّلة في علم الكلام يريد نشرها عمّا قليل. وهذا التأليف دليل جديد على همة المؤلف المعروفة جازاهُ الله خيرًا

بحث انتقادي في اصل الروم الملكين ولغتهم

بقلم الخوري قسطنطين باشا احد رهبان دير المخلص الباسيليين

طُبع في المطبعة العموميَّة بمصر سنة ١٩٠١ (ص٨٠)

جمع مؤلف هـذا الكتاب في تأليفهِ كل ما امكنهُ من الحجج والشواهد ليبين اتساع العنصر اليوناني في الشرق من بعد فتوح الاسكندر لا بل من قبل عهد هـذا الملك. ونحن مع اقرارنا بانتشار اللغة اليونانية والتمدُّن اليوناني لا نسلِّم بكون الروم الملكيين من السلالة اليونانية ولم نجد في هذا التأليف الجديد برهانًا واحدًا يُزيحنا عن رأينا. لا بل نجد فيهِ مزاعم كثيرة لو اردنا دحضها فردًا فردًا لاحتجنا الى مجلد ضخم وحسبنا اليوم هذا القياس البسيط لتفنيد أقاويل حضرة الكاتب: قد أجمع كل المؤرخين على انَّ الملكيين هم الذين تبعوا المجمع الخلقيدوني. والحال ان تبعة المجمع الخلقيدوني كانوا من شعوب وعناصر وبلاد مختلفة فاذن ليس الملكيون من اليونان فقط. امَّا كون تبعة المجمع الخلقيدوني من أمم شتى فلان التاريخ يذكر وجود الملكيين حيثما نجد اليعاقبة والنساطرة اعني في الشام ومصر وبلاد ما بين النهرين ولهم فيها كنائس منتظمة ما لم يقل حضرتهُ انَّ الله اختار في كل هذه البلاد العنصر اليوناني وحده لأتباع الحقيقة وردل بقيَّة الشعوب. امَّا امتداد اللغة اليونانيَّة وان سلَّمنا بهِ كما شاء حضرتهُ فانهُ ليس بحجة كافية للدلالة على ان الملكيين من النسل اليوناني لانَّ هذه اللغة شاعت عند امم عديدة ليست بيونانية كشيوع اللغة العربيَّة في ايامنا مع ان اكثر المتكلّمين بها ليسوا عربًا. وفي شواهد هذا الكتاب الافرنسيَّة أغلاط عديدة لا حاجة الى ذكرها ل. ش

شَذَرَاتٌ

كتابة معتبرة وُجدت في حمص — من جملة الكتابات اليونانية التي وجدها حضرة الاب لامنس في حمص ونشرها في مجلة «المتحف البلجكي (١)» كتابة ذات شأن عظيم لتعريف الديانات الآراميَّة القديمة. وكان فوق الكتابة اربعة

(١ Le Musée Belge, 15 Oct. 1901 n° 28

اشخاص شخصان على هيئة الجنود وهما إلهان اسم الواحد « عجلبول » والآخر « بل » او « بيلوس » وقد كُتب اسمهُ فوق رأسهِ باليونانية Ζεὺς κεραύνιος اي المشتري صاحب الصاعقة. وبين الالهين امرأة هي الإلهة اثينة (Ἀθηνᾶ) كما كُتب فوق رأسها واما تحتها فلم يبقَ من اسمها الساميّ (Σεμια) او (Σεμη) او ما شاكل ذلك (١ ألّا حرفان ونصف حرف وقد ذهب من حجر الكتابة قسمها الاخير فحطّمت وهي كانت تمثّل إلهًا رابعًا بقي اسمهُ السامي « يرحبول » في لحف الاثر. وللاب سبستيان رنزفال مقالة في هذه الكتابة سطّرها في ٢٩ من الشهر المنصرم وستنشر في احدى المجلات العلميَّة قريبًا

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الخوري اونجلوس عيد عن مقالتنا السابقة في القديس فم الذهب واللغات الشرقيَّة. ١ً كيف قلنا (ص ١٠٨٣) ان القديس « كان يجهل السريانية » ثم (ص ١٠٨٦) انهُ من الممكن انهُ كان يعرف السريانيَّة ». ٢ً كيف نسبنا التحريف للخوري قسطنطين باشا في تعريب قول القديسة سلقيا مع انَّ النص قابل لهذا المعنى. ٣ً كيف نقلنا كلام القديس يوحنَّا فم الذهب بخلاف ما نقلناهُ سابقًا في المشرق (٣: ٣٦٧)

شرح بعض مشاكل عن مقالة القديس يوحنَّا فم الذهب

ج نجيب على (الاول) اننا بقولنا ان القديس يوحنَّا فم الذهب « كان يجهل اللغة السريانية » حملنا ذلك على ما يؤخذ من تآليفهِ. اما قولنا انهُ « يمكن انهُ عرف السريانية » فحملناهُ على الامور الممكنة التي لا تنافي العقل. وليس تضاد بين القولين — نجيب على (الثاني) انَّ قول القديسة سيلقيا كما عرَّبهُ حضرة الخوري قسطنطين باشا ليس بمضبوط ولعلهُ صنع ذلك لعدم فهمهِ لهجتها اللاتينيَّة ولذلك تحاشينا كلمة « التحريف » في كلامنا عن ترجمتهِ. وسنعود الى تحليل هذا النص وشرحهِ في فرصة أُخرى. نجيب على (الثالث) اننا نقلنا في مقالتنا هذه قول القديس يوحنا فم الذهب بحرفهِ. اما سابقًا فكنَّا ذكرنا معناهُ فقط
هـ. ل

اصلاح بعض اغلاط وردت في المشرق: ٦٢٢ سطر ٣ « الاخرى » صوابهُ « الاحرى » = ٦٢٣ س ٦ « فوق المدينة » ص « فوق حضيض المدينة » — س ٧ « في الساعة » ص « في ربع الساعة » = ٦٥٣ س ٧ الخ « دير تابنَّة » ص « دير التينى » = ٦٥٤ س ٢٢ و٢٣ الخ « دكنا » ص « دشنا »

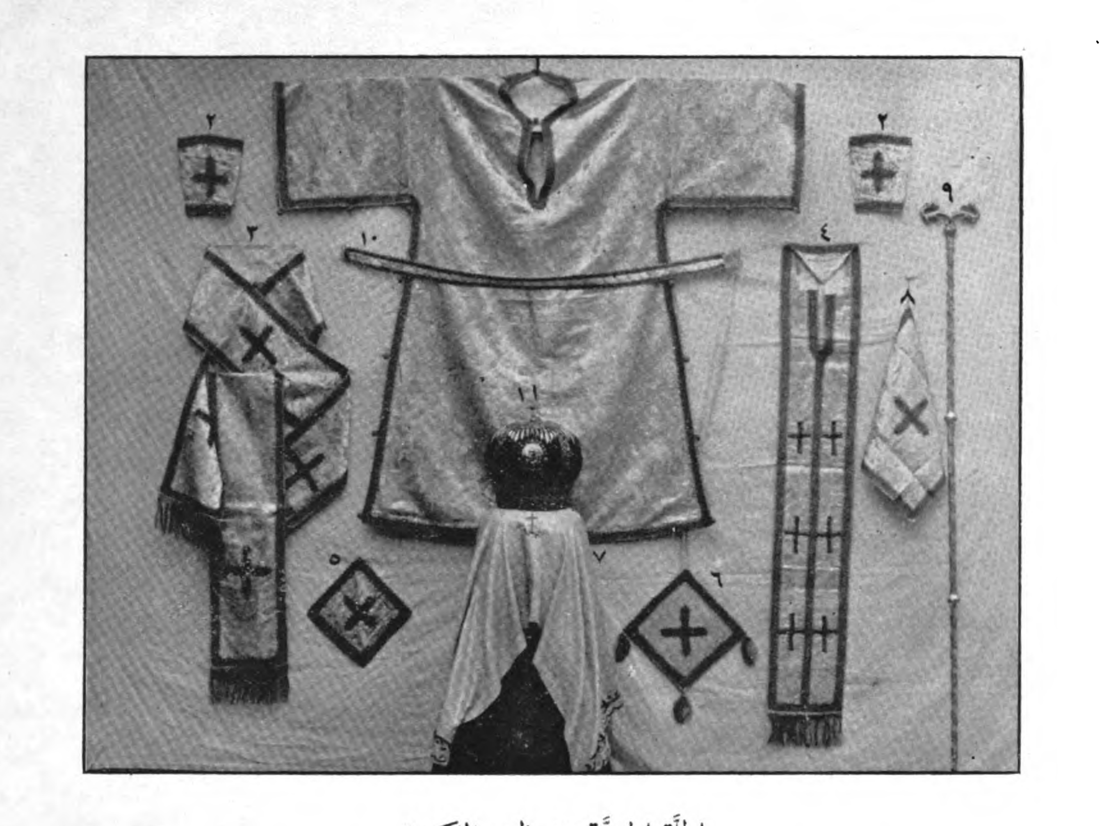
١) راجع مجلَّة الكتابات والآداب Cᵗᵉˢ Rendus : Académie des Inscript. 1901, p. 453, note

« انا فلان برحمة الله المختار للاسقفيّة الفلانيّة »

ويكونون قد وضعوا تحت رجليهِ خرقةً مصوَّرًا فيها صفة مدينتهِ. وفي الوسط صورة نسر. فيطأ المنتدب فوق النسر ويقول الامانة

« الحمد لله الذي هدى من انتخبـهُ من عبادهِ الى الدين الصحيح. واوضح لهم المسلك القويم والمنهج المبهج النجيح. وانقذهم من اسر عدوّهم بتجسد سيدنا يسوع المسيح. فتبارك الله الذي منَّ على عبادهِ برحمتهِ. وتحنن عليهم برأفتهِ. وخلّصهم من ضلالة الطغيان. وعبادة الاوثان. وطرائق الشيطان. اذ ارسل كلمتهُ الخالقة الازليّة. فحلّت في الطاهرة النقية. سيدة الخلائق وخير البريّة. العذراء البتول. التي حيَّرت بولادتها وبتوليَّتها ذوي الألباب والعقول. التي باركها الله واصطفاها. وقدَّسها وارتضاها. مريم ابنة يواكيم. التي اختارها القدوس العظيم. فاتخذ الكلمةُ الازليّة الناسوت البشري حجاباً لعظمتـهِ. وتصرَّف بهِ بين الورى بمشيئتهِ. فعلّمهم ما لا يعلمونهُ. وفهّمهم ما لم يكونوا يفهمونهُ. وهداهم الى دين الحق. وارشدهم الى اقوال الصدق

« فهانذا أومن واعترف واعتقد بآب وابن وروح قدس ثالوث واحد كامل القداسة مبدأ الحياة وعنصرها حسبما اعتمدتُ وعبدتُ منذ ولادتي الى نهاية عمري. اعترف انَّ الآب إله والابن إله والروح القدس إله لانَّ الثالوث لاهوت واحد من جهة تساويهم في الجوهر واتفاقهم وان كانوا ينقسمون بفصل الأقانيم فهم لاهوت واحد متساوٍ بالجوهر. واعترف انَّ احد الثالوث ربَّنـا يسوع المسيح لاجل محبَّتهِ التي لا توصف لجنس البشر قدم الى العالم وتجسَّد من والدة الاله بالجسد الذي اتخذهُ منها خلوًا من زرع البشر. ومن بطنها ولد كلمة الله واختصَّ بناسوت الطبيعـة البشريّة حسبما هو لها فصار هو بذاتهِ كامل الالوهيّة بحيث انهُ لم يستحل عمَّا كان عليهِ. ولم ينتقل بما اخذهُ عمَّا هو عليهِ. فهو بعينهِ اقنوم واحد معروف بطبيعتين ومشيئتين متساويتين وفاعلتين ينحجز انتقالها عمَّا هما عليهِ. (فالطبيعة) التي للأهوت ثابتة حسبما كانت والتي للناسوت قائمة بكل خواصها تابعة لمشيئة اللاهوت من غير اختلاط ولا امتزاج ولا افتراق لكي يخلّص جنسنا بظهوره من القديسة والدة الاله العادمة العيب. لم يكن مسيحاً غيرهُ ولا يكون وبهذا الاعتراف أدحضُ كل الاراتقـة ومن شارك ضلالتهم. واني مطابق ومتابع رأي السبعة المجامع



الحلّة الحبريّة عند الروم الملكيين

١ المنتيّة او الصاكوس ٢ الكمّان ٣ الدرع او الاموفوري ٤ البطرشيل ٥ غطاء الكاس (الكامة)
٦ الحجر ٧ الشوراية ٨ ستر الموضوعات ٩ العكّاز ١٠ الزنّار ١١ التاج

وهي: (المجمع الاول) اجتماع الموالي السادة الآباء الاطهار والرسل القديسين الابرار بالعليَّة الصهيونيَّة وما وضعوهُ من الشرائع الناموسيَّة والاحكام المسيحيَّة. (المجمع الثاني) الثلثمائة والثمانية عشر اسقفًا الذين اجتمعوا بمدينة نيقية وناظروا آريوس القس الاسكندراني واحرموهُ ولعنوهُ وقطعوهُ وابعدوهُ. (المجمع الثالث) المجتمع بمدينة القسطنطينيَّة وهو مئة وخمسون اسقفًا الذين اجتمعوا على مكدونيوس عدوّ الروح وابوليناريوس الذي حاجَّ بالتجديف على الروح القدس مثلما جدَّف آريوس. (المجمع الرابع) المجتمع بمدينة افسس وهم مئتا اسقف الذين اجتمعوا بسبب نسطور الذي فرق المسيح وقال انهُ طبيعتان واقنومان ولم يقرّ بام الرب مرتمريم (١ البتول وانها ولدت الله. (المجمع الخامس) المجتمع بخلكدونية وهم ستمائة وثلاثون اسقفًا بسبب افتيشيوس وذيوسقورس اللذَين جحدا ان المسيح بطبيعتين طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتيَّة باقنوم واحد لا مفترق ولا ممتزج ولا مختلط. (المجمع السادس) وهم مئة واربعة وعشرون اسقفًا اجتمعوا على تبَّاع نسطور الذين ثبتوا على رأيهِ و (ردًّا على) اوريجانس الذي قال انَّ الانفس اذا خرجت فقد حالت ولا تعود الى شيء آخر (٢. (المجمع السابع) وهم مئتان وتسعة وثمانون اسقفًا الذين اجتمعوا على سرجيوس وقورس اللذين اجمعا رأيهما انَّ المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة فاحرموهما ولعنوهما وقطعوهما وابعدوهما

« فها انا ذا اصرخ واقول اني تابع لهذه المجامع السبعة المقدسة قابلًا بما قبلوهُ ومبعدًا لما ابعدوهُ ومُدحضًا لما ادحضوهُ ولاعنًا ما لعنوهُ ومُحرمًا لمن أحرموهُ وقاطعًا لمن قطعوهُ. واعترف انَّ هذه السبعة المجامع المقدَّسة اجتمعت بارادة الله تعالى وبمعونة السيد المسيح وبمشيئة الروح وان جميع ما وضعوهُ واتفقوا عليهِ حقّ وصدق وبهِ النجاة في يوم الموقف

---

١) على لفظها السرياني ܡܪܬܢ ܡܪܝܡ اي السيدة مريم. وقد مرَّت في مقالة بولس الراهب اسقف صيداء الملكي (المشرق ١ : ٨٤١)

٢) الرأي الذي حرمهُ مجمع قسطنطينية الثاني هو قول اوريجانس ان النفوس وُجدت قبل اجسادها كاملةً وان وجودها في الاجساد عقاب لخطاياها السابقة. امَّا قول المؤلف « انَّ النفوس اذا خرجت حالت الخ » فلا يظهر لهُ معنًى جلي

العظيم امام المنبر المرهوب وانَّ كل ما ابعدوهُ ورفضوهُ اثمٌ وبهتان وضلال وطغيان.

فلنقل باجمعنا: جميع الاراسيس اناثيما (١

« واقرُّ اني مقتبِـل للايقونات المقدسة الطاهرة الموقَّرة ايقونة ربّنا يسوع المسيح ووالدة الاله والرسل والانبيـاء والشهداء وجميع الابرار والصديقين لا على بسيط ذات الامر(٢ . لكنني اتوسَّل بشفاعاتهم الى مراحم الاله . واقبل بامانة وخوفٍ عظامهم بما انها مملوءة من النعمة الالهيَّة . واقبل كلَّ كتاب مفوَّه من الله من العتيقة والحديثة واكرم كلَّ الاباء والمعلّمين والنسَّاك ليشفعوا فينا . واعترف بقيامة الموتى وحياة الدهر الآتي.

بهذا الاعتراف اعيش ما حييت وعليهِ اموت بمعونة الله الحي الازلي »

ثم يأتي بعد القراءة يقبّل ركبة رؤساء الكهنة الحاضرين ويقبّلوهُ هم ايضاً ويذهب الى باطن الحجاب فاذا دخلوا بالايصوذون(٣ يأتوا بالمترّم ان يصير رئيس كهنة فيقول المُشرطِن(٤ هكذا:

« أختير وجُرّب من محبّي الله الاساقفة ومن الكهنة والشمامسة القديسين »

وبعد هذا يأتي المترّم ان يصـير رئيس كهنة ويضع رأسهُ على حافة المائدة ويفتح البطرك الانجيل ويضعـهُ على رأسهِ (وهو) مكبوب وعنقهُ منحنٍ . ويقف ايضاً الاساقفة معهُ ويلامسون الانجيل جميعهم . ويعمـل المشرطِن رسم الصليب على هامة المنتدب ثلاث مرار ويضع يدهُ عليهِ ويقول :

« نعمة الله التي هي دائماً تشفي السقيمات وتتمِّم النواقص ولفلان الراهب في الكهنة ترسمهُ الآن اسقفاً على مدينة فلانة نتوسَّل من اجلهِ ان تحلَّ عليهِ نعمة الروح القدس نقول كلّنا : الشعب « كيرياليصن(٥ » ثلث مرار

ويصلّب على رأسهِ ايضاً ثلاثاً ويصلي عليهِ:

« ايها الرب الهنا الذي جدَّدت لنـا بواسطة رسولك المعروف اسمهُ بولص تمثال الخدمة المنظورة التي لاسرارك الحسنة النقيَّة بمذبحك المقدس: اولًا الرسل . ثانياً الانبياء . ثالثاً المعلّمين . انت ايها السيد اجعل هذا المنتخب مستحقًّا ان يدخل تحت نير الانجيل

١) الاراسيس البدع تعريب αἵρεσις . واناثيما من اليونانية ἀνάθεμα اي شجب ولعنة

٢) يريد انهُ لا يكرم هذه الصور من حيث جوهرها بل من حيث موضوعها التي تمثّلهُ

٣) الايصوذون كلمة يونانيَّة (εἴσοδος) معناها الطواف او الدورة

٤) وجاء في الهامش :« هاهنا يأخذهُ اثنان من رؤساء الكهنة ويدورون بهِ حول المذابح بصليب » وهنا صلاة بالسريانيَّة لا يقرأ منها سوى كلمتين منها ܩܘܪܝܐ ܐܠܝܣܘܢ

٥) تعريب Κύριε ἐλέησον اي يا ربّ ارحم

ويقبـل درجة رئاسة الكهنوت من يدي انا الخاطئ ومن هؤلاء المشاركين معي في الاسقفية وبشركة قوّة حلول نعمـة روحك القدوس. وقوِهِ يا رب كما قوّيت انبيائك القديسين وكما مسحت الملوك وقدّست رئيس الكهنة هكذا اوضحـهُ (كذا) برئاسة الكهنوت بريئًا عريًا من جميع العيوب واتقنهُ بكل نقاوة واوضحهُ ان يكون بقداسهِ مستحقًا ان يسأل منك الخلاص من اجل الشعب والطاعة (ويعلن (١) فانَّ لاسمك القدوس يجب السبح والملك الاب والابن والروح القدس »

حينئذٍ واحد من الاساقفة يكرز (٢:

ܒܫܠܡܐ ܠܡܪܥܝܬܐ. ܚܠܦ ܫܝܢܐ ܕܡܢ. ܚܠܦ ܫܝܢܐ ܕܟܠܗ. ܚܠܦ ܪ̈ܝܫܝ. ܚܠܦ ܐܚܘܢ ܦܠܢ ܕܐܬܩܪܒ ܘܐܬܬܣܝܡ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܘܚܠܦ ܡܪܥܝܬܗ ܕܢܛܪܝܘܗܝ ܡܪܝܐ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡܐ ܒܪܝܫܘܬ ܟܘܡܪܘܬܐ ܗܝ ܕܐܫܬܠܡܬ ܠܗ ܠܡܢ. ܚܠܦ ܡܠܟܢ ܕܝܠܢ. ܚܠܦ ܡܕܝܢܬܐ ܗܕܐ. ܚܠܦ ܕܢܬܦܪܩ. ܥܕܪ ܘܦܪܘܩ. ܠܡܫܝܚܐ ܐܡܝܢ (٣

وبعد ذلك يضع المشرطِن يدهُ مع بقيَّة الاساقفة على هامة الذي يُسام ويقول:

« ايها الرب الهنا الذي لضعف طبيعتنا نحن البشريين الغير ثابتين اهّلتنا ان نتقدّم الى جوهر لاهوتك واقمت لتدبيرك معلّمـين مشابهين آلامك لكي يكونوا متساطين بكرسيك يقدّمون لك ذبائح وقرابـين عن كل شعبك انت هو الرب الاله وها هوذا عبدك الذي اهّلتهُ ان يصير مدبرًا بالنعمة رئاسة الكهنوت « فلان » اهّلهُ ان يصير مشابهًا لك راعيًا صالحًا حقيقيًا يضع نفسهُ عن غنمـهِ هاديًا للعميان ونورًا للذين في

١) يعلن اي يرفع صوتهُ

٢) كرز بالسريانيَّة وعظ. ويُراد بها هنا تلاوة الصلاة جهارًا كما يظهر

٣) هذه طلبات مختصرة قد حُذف منها بعض الفاظ لشيوعها في ذلك الزمان وهذا تعريبها: « بالسلام للرعيَّة. لاجل السعادة التي من (يريد « من العلى » وقد اسقط كلمة ܠܥܠ ثمّ حذف الجواب: « من الرب نطلب »). لاجل سلام كلها (اي الارض) . . . لاجل رؤساء الكهنة . . . لاجل اخينا فلان الذي تقدّم وجُعل اسقفًا ولاجل رعيّتـهِ لكي يصونهُ الرب من كل عيب في هذه رئاسة الكهنوت التي عُهدت اليهِ. لاجل ملكنا. لاجل هذه البلـدة. لكي نخلص . . . ساعد وخلّص. للامة المقدّسة » . . . وفي اصل نسختنـا قد كُتبت هذه الصلوات بالحرف السريانيّ المعروف بالملكيّ لانَّ الروم الملكيين كانوا يستعملونهُ في كتبهم وسنعود الى هذا البحث مرَّة أُخرى

الظلام. معلّماً للضالّين وكوكباً في العالم مهيّئاً لاسعاف الانفس التي يتسلّط عليها في حياة هذا العالم ليقوم امام منبرك بغير خزي ويأخذ اجرة الهدى التي اهلتها للذين يناضلون من اجل كرازتك الانجيليّة يا الهنا (ويعلن) فانّ لك يليق الرحمة والخلاص ولك السبح والوقار الاب والابن والروح القدس»

ويرفع رئيس الكهنة الانجيل ويضعهُ على المائدة المقدسة ويلبسونهُ حجرًا (١ وبوليسطبريًا (٢ واموفوريًا (٣ ويقولون:

اكسيوس اكسيوس اكسيوس (٤

وبعد ذلك يصلون « اجيوس (٥ » ويكملون القداس، ويناولونهُ الجسد المقدس قبل الاساقفة

تمت بعون الله تعالى

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE L'ECOLE DES LANGUES VIVANTES

Tedzkirat en-Nisian, *trad. française par O. Houdas*. 1901 p. 413

تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان القسم الثاني

كان الاستاذ الفرنسي المستشرق هوداس نشر هذا الكتاب الجليل بالعربيّة وهو يحتوي اخبار بلاد السودان وولاة تُنبكتو من تاريخ سنة ١٥٩٠ الى ١٧٥٠ مع نبذة في تاريخ بلاد سُكتُو. وقد نقل الان الاستاذ المذكور هذين التاريخين الى الافرنسية وعلّق عليهما عدّة تذييلات وشروح تزيدهما افادةً. وفي آخر الكتاب فهرس واسع يسهّل الاطلاع على مطالبهِ الشتى. فنثني على المعلم هوداس الذي اضاف هذه المأثرة الجديدة الى مآثرهِ السابقة فقرّب الى العلماء معرفة بلاد قاصية لم يكادوا يعرفون من امورها شيئًا

١) الحجر عبارة عن تربيع منسوج عليهِ تصاوير او نقوش يحملهُ الاسقف على جانبهِ الايمن فوق ركبتهِ ولذلك يُدعى باليونانية ἐπιγονάτιον

٢) هو رداء مخصوص بالاسقف يلبسهُ فوق السّتيخارة. واصل الكلمة من اليونانية (πολυσταύριον) ومعناهُ الرداء ذو فوق العديدة

٣) من اليونانية (ὠμοφόριον) وهي شقّة من نسيج الحرير المطرز يلبسها الاسقف في الكنيسة اليونانيّة كدرع الرئاسة او الپاليوم

٤) من اليونانيّة ἄξιος اي هو اهل (لهذه الرتبة)

٥) يريد صلاة « قدوس الله » التي تبتدئ باليونانية بكلمة ἅγιος

مطبوح المكتبة العمومية او مطبوخ الارمن لسنة ١٩٠٢

ترجمهُ عن الارمنيَّة حضرة الاب الفاضل الخوري سوكياس چريان الارمني الكاثوليكي

هذه ثالث مرة نصف هذا التقويم المفيد. وهو لا يختلف كثيرًا عن سنيهِ الماضية سوى ان اصحاب المكتبة العموميَّة قد ابدلوا الاعلامات عن سفر البواخر والبريد بتعريف بعض كتب مكتبتهم. وفي هذا التقويم من الخلل ما اشرنا اليهِ سابقًا وهو انهُ وُضع لمدينة البندقية فحساباتهُ لا تصلح لبيروت. هذا فضلًا عن اغلاط عديدة. منها مثلًا (ص ٦) ان خسوف القمر الكلي لا يقع في ٢٣—٢٤ نيسان بل في ٢٢ منهُ. وقولهُ «انهُ لا يُنظر منهُ شيء في بلادنا» هو بعكس الواقع فانهُ سيرى في بيروت. ومن المعلوم ان خسوف القمر يُرى في كل البلاد الَّا اذا كان القمر تحت الافق. وكذلك ليس بصواب (ص ٧) ان كسوف الشمس يكون في ٨ أيار بل في ٧ منهُ. وكذلك في ١٧ ت ١ (ص ٧) لا يُشاهد خسوف القمر في هذه البلاد كما زعم لان القمر يكون تحت الافق. وكذلك (ص ٨) شطَّ في قولهِ انَّ خسوف الشمس في ٣١ ت ١ يشاهد في سوريَّة. وكذلك (ص ٩) ليس بدء السنة الاسرائيليَّة في ١ ت ١ بل في ٢ منهُ. وغير ذلك ممَّا يُصلح بالمقابلة مع تقويم البشير

تقويم البشير لسنة ١٩٠٢

هذه السنة الثالثة والعشرون لصدور هذا التقويم. وهو كما يُعلم قسمان عربي وافرنسي ومع شهرتهِ لا نرى داعيًا لوصفهِ. ومن اراد الاطلاع على موادهِ فليراجعها في غلاف المشرق

D^r GIUSEPPE GABRIELI

Un Capitolo di Teodicea musulmana. *Trani*. 1901 p. 58

فصل من كتاب العقيدة الصُّغرى للشيخ السنوسي

الشيخ السنوسي هو ابو عبد الله محمد بن محمد التلمساني من بني سَنوس وُلد سنة ٨٣٣ (١٤٢٨ م) وتوفي سنة ٨٩٥ (١٤٩٠م) لهُ عدة كتب شائعة في بلاد المغرب. وقد أُولع الاوربيون بعقيدتهِ الصغرى التي تتضمَّن ملخَّص الاعتقاد الاسلامي ونقلوها الى اللغتين الفرنسية والالمانية. وقد اختار الدكتور غبرئيلي فصلًا منها وهو الفصل العاشر يتضمَّن ما يختص بالصفات الحسنى فنقلهُ الى اللغة الايطالية وجعلهُ كمدخل

لمباحث مطوَّلة في علم الكلام يريد نشرها عمَّا قليل . وهذا التأليف دليــل جديد على همة المؤلف المعروفة جازاهُ الله خيرًا

بحث انتقادي في اصل الروم الملــكيين ولغتهم

بقلم الخوري قسطنطين باشا احد رهبان دير المخلص الباسيليين
طُبع في المطبعة العموميَّة بمصر سنة ١٩٠١ (ص ٨٠)

جمع مؤلف هــذا الكتاب في تأليفهِ كل ما امكنهُ من الحجج والشواهد ليبين اتساع العنصر اليوناني في الشرق من بعد فتوح الاسكندر لا بل من قبل عهد هــذا الملك . ونحن مع اقرارنا بانتشار اللغة اليونانية والتمدُّن اليوناني لا نسلِّم بكون الروم الملكيين من السلالة اليونانية ولم نجد في هذا التأليف الجديد برهانًا واحدًا يُزيحنا عن رأينا . لا بل نجد فيهِ مزاعم كثيرة لو اردنا دحضها فردًا فردًا لاحتجنا الى مجلد ضخم وحسبنا اليوم هذا القياس البسيط لتفنيد أقاويل حضرة الكاتب : قد أجمع كل المؤرخين على انَّ الملكيين هم الذين تبعوا المجمع الخلقيدوني . والحال ان تبعة المجمع الخلقيدوني كانوا من شعوب وعناصر وبلاد مختلفة فاذن ليس الملكيون من اليونان فقط . امَّا كون تبعة المجمع الخلقيدوني من أمم شتى فلان التاريخ يذكر وجود الملكيين حيثما نجــد اليعاقبة والنساطرة اعني في الشام ومصر وبلاد ما بين النهرين ولهم فيها كنائس منتظمة ما لم يقل حضرتهُ انَّ الله اختار في كل هذه البلاد العنصر اليوناني وحده لاتباع الحقيقة ورذل بقيَّة الشعوب . امَّا امتداد اللغة اليونانيَّة وان سلَّمنا بهِ كما شاء حضرتهُ فانهُ ليس بحجة كافية للدلالة على ان الملكيين من النسل اليوناني لانَّ هذه اللغة شاعت عند امم عديدة ليست بيونانية كشيوع اللغة العربيَّة في ايامنا مع ان اكثر المتكلّمين بها ليسوا عربًا . وفي شواهد هذا الكتاب الافرنسيَّة أغلاط عديدة لا حاجة الى ذكرها ل . ش

شذرات

❧ كتابة معتبرة وُجدت في حمص ❧ من جملة الكتابات اليونانية التي وجدها حضرة الاب لامنس في حمص ونشرها في مجــلة « المتحف البلجكي (١) » كتابة ذات شأن عظيم لتعريف الديانات الآراميَّة القديمة . وكان فوق الكتابة اربعــة

(١) Le Musée Belge, 15 Oct. 1901 n° 28

اشخاص شخصان على هيئة الجنود وهما إلهان اسم الواحد « عجلبول » والآخر « بل » او « بيلوس » وقد كُتب اسمهُ فوق رأسهِ باليونانية Ζεὺς κεραύνιος اي المشتري صاحب الصاعقة . وبين الالهين امرأة هي الإلهة اثينة (Ἀθηνα) كما كُتب فوق رأسها واما تحتها فلم يبقَ من اسمها الساميّ (Σεμα) او (Σεμη) او ما شاكل ذلك (١ الّا حرفان ونصف حرف وقد ذهب من حجر الكتابة قسمها الاخير فحطِّمت وهي كانت تمثّل إلهًا رابعًا بقي اسمهُ السامي « يرحبول » في لحف الاثر . وللاب سبستيان رتزقال مقالة في هذه الكتابة سطّرها في ٢٩ من الشهر المنصرم وستنشر في احدى المجلات العلميّة قريبًا

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الخوري اونجلوس عيد عن مقالتنا السابقة في القديس فم الذهب واللغات الشرقيّة . ١ً كيف قلنا (ص ١٠٨٣) ان القديس « كان يجهل السريانية » ثم (ص ١٠٨٦) انهُ من الممكن انهُ كان يعرف السريانيّة » . ٢ً كيف نسبنا التحريف للخوري قسطنطين باشا في تعريب قول القديسة سلقيا مع انّ النص قابل لهذا المعنى . ٣ً كيف نقلنا كلام القديس يوحنا فم الذهب بخلاف ما نقلناهُ سابقًا في المشرق (٣ : ٣٦٧)

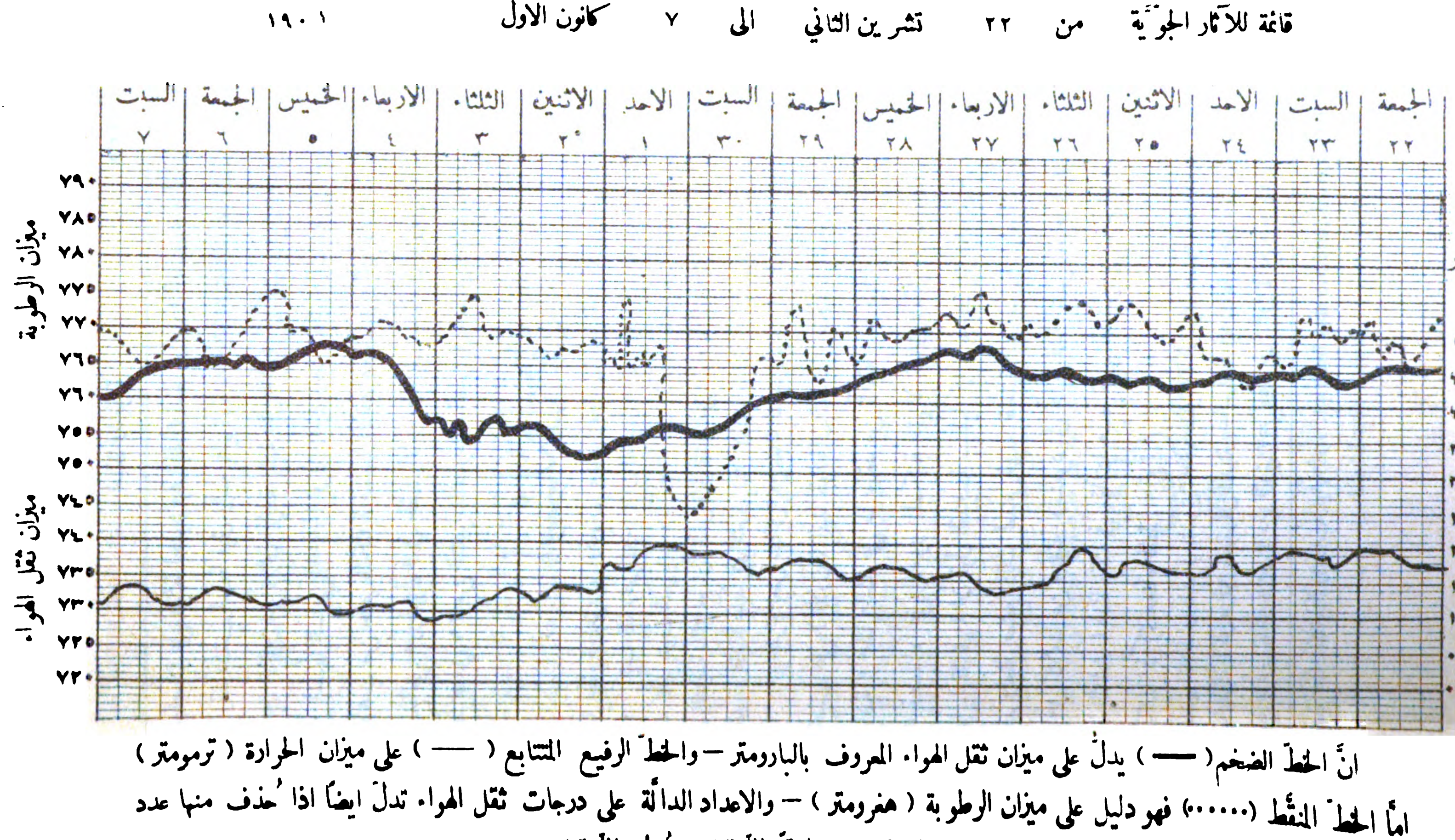
شرح بعض مشاكل عن مقالة القديس يوحنا فم الذهب

ج نجيب على (الاول) اننا بقولنا ان القديس يوحنا فم الذهب « كان يجهل اللغة السريانية » حملنا ذلك على ما يؤخذ من تآليفهِ . امّا قولنا انهُ « ممكن انهُ عرف السريانية » فحملناهُ على الامور الممكنة التي لا تنافي العقل . وليس تضاد بين القولين — نجيب على (الثاني) انّ قول القديسة سيلقيا كما عرّبهُ حضرة الخوري قسطنطين باشا ليس بمضبوط ولعلهُ صنع ذلك لعدم فهمهِ لهجتها اللاتينيّة ولذلك تحاشينا كلمة « التحريف » في كلامنا عن ترجمتهِ . وسنعود الى تحليل هذا النص وشرحهِ في فرصة أُخرى . نجيب على (الثالث) اننا نقلنا في مقالتنا هذه قول القديس يوحنا فم الذهب بحرفهِ . امّا سابقًا فكنّا ذكرنا معناهُ فقط ه . ل

اصلاح بعض اغلاط وردت في المشرق : ٦٢٢ سطر ٣ « الاخرى » صوابهُ « الاحرى » = ٦٢٣ س ٦ « فوق المدينة » ص « فوق حضيض المدينة » — س ٧ « في الساعة » ص « في ربع الساعة » = ٦٥٣ س ٧ الخ « دير تابنّة » ص « دير التبيني » = ٦٥٤ س ٢٢ و٢٣ الخ « ذكنا » ص « دشنا »

١) راجع مجلّة الكتابات والآداب Ctes Rendus : Académie des Inscript. 1901, p. 453, note

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٢ تشرين الثاني الى ٧ كانون الاول ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر المِلّمترات

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الرابعة من مجلة المشرق ١٩٠١

(٥٧٧-٥٨٧ ; ١٤ : ٦٥٣-٦٦٣) = الامراض العينيَّة المسبَّبة عن امراض الاسنان للدكتور شاكر بك الخوري (٥٨٧-٥٩١) = كمران والصليف والحديدة لبعيث الحضري (٥٩٢-٥٩٥) = نبذة في ثوب آلام سيدنا يسوع المسيح (الثوب الاحمر) لاحد اساتذة عينطورا (٦٠١-٦٠٣) = وصيَّة فيثاغوروس الذهبيَّة لابن مسكويه نشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (٦٠٤-٦٠٧) = الاسير والفراشة للاديب اسكندر طحيني (٦٠٨-٦١٠) - الميكروب تاريخهُ وأحوالهُ للدكتور الياس الحاجّ (٦١١-٦١٧) = خواطر في النيل وفيضانهِ للاب الياس جباره اليسوعي (٦١٧-٦٢٠)

العدد ١٤ (١٥ تموز) نزهة القلوب في الرحل الى قطب الجنوب للاب لويس دي انسلم اليسوعي (٦٢٥-٦٣٤) = موت جان درك قصيدة معرَّبة بقلم شبلي افندي ملاط (٦٣٤-٦٣٧) = التبادل ومنافعهُ للاديب جان افندي پهلوان (٦٣٧-٦٤٤) = رسالة ابي نصر الفارابي في السياسة نشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (٦٤٨-٦٥٣ ; ١٦ : ٦٨٩-٧٠٠)

العدد ١٥ (١ آب) سرّ الافخارستيَّة في العاديَّات المسيحيَّة للخوري بطرس عزيز (٦٧٣-٦٨١) = مصفاة لصفق زيت الزيتون (للاديب سليم افندي اصفر (٦٨١-٦٨٣) = نبذة في تاريخ راهبات الزيارة ومدرستهنَّ في عين طورا لاحد الآباء اللعازريين (٧٠٤-٧١٠)

العدد ١٦ (١٥ آب) المخطوطات الطبيَّة في مكتبة كليَّتنا الشرقيَّة للاب موريس كولنجت اليسوعي (٧٢١-٧٢٨ ; ١٧ : ٧٩٠-٧٩٦) = القس يوسف كلداني الحلبي الماروني للقس جرجس منش (٧٢١-٧٣٧) = في الخيال للاب لويس رنزفال اليسوعي (٧٣٧-٧٤٥) = القصب وصناعتهُ في حلب لحبيب افندي يوسف مشحور (٧٥١-٧٥٧)

العدد ١٧ (١ ايلول) اصل الامراء والمشايخ في لبنان لانطون العينطوريني نشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (٧٦٩-٧٧٥ ; ١٨ : ٨٣٠-٨٣٧) = الاعلام الاجنبيَّة في اللغة العربية. للاب هنري لامنس اليسوعي (٧٧٥-٧٧٩) = في الميناء وصناعتها ليوسف افندي غنَّام ثابت (٧٨٤-٧٩٠) = رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق في القرن الثالث للنصرانية للاب حنا راي اليسوعي (٨٠٧-٨١١)

العدد ١٨ (١٥ ايلول) سيدة النجاة نبذة في تاريخها ومعجزاتها للاب ل. شيخو اليسوعي (٨١٧-٨٢٧) = مدافع البرد للاب ر. ش اليسوعي (٨٢٨-٨٣٠) = مثال البلجيك في نجاح الكاثوليك للاديب جان افندي پهلوان (٨٤٤-٨٤٦) = نبذة تاريخية في بعض مشاهير طائفة الكلدان الكاثوليكيَّة للقسَّين بطرس نصري وادّي صليبا ابرهينا الكلدانيين (٨٤٧-٨٥٥)

العدد ١٩ (١ تشرين الاول) فقيد الطباعة الاخ ماريًا الياس اليسوعي للاب ل. شيخو (٨٦٥-٨٧١) = رسالتا الطير لابن سينا والغزالي نشرها الاب ل. شيخو (٨٨٣-٨٨٧ ; ٢٠ : ٩١٨-٩٢٤) = الزئبق معادنهُ وخواصهُ للاب ر. ش (٨٨٧-٨٩١) = ملكوت السماوات ومعناها في انجيل متَّى للاب مرسال شوساً اليسوعي (٨٩٣-٨٩٩)

العدد ٢٠ (١٥ تشرين الاول) في الحافظة للاب لويس رنزفال اليسوعي (٩١٣-٩١٨) = ما ورثهُ اهل العراق عن الكلدانيين والاشوريين القدماء للدكتور نابوليون ماريني (٩٢٨-٩٤٦ ; ٢١ : ٩٨٦-٩٩٣ ; ٢٢ : ١٠١٧-١٠٢٣ ; ٢٣ : ١٠٧٣-١٠٨١)

فهرس ثانٍ

اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الرابعة من المشرق

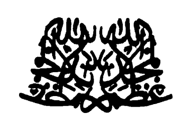
على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة والارمنيّة الخ

مطبوعات اوربيّة

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم



تقويم البشير لسنة ١٩٠٢

هذه فهرست المواد التي يتضمنها تقويم البشير لسنة ١٩٠٢ القادمة :

وثمنهُ للمشتركين في البشير ٣٠ سنتيماً ولغير المشتركين ٤٠ سنتيماً

تقويم المشرق لسنة ١٩٠٢

بينما كنتُ في اول الجاري جالساً في غرفتي وقد تفتَّحت كُوَى السماء وهطل المطر حتى تخيَّلتُ الطوفان موشكاً ان يعود الى الارض . ظهر لي لوح عليه رسم القوس جعلهُ الله ميثاقاً على عدم رجوع الطوفان وكان في تحديب القوس نجمٌ زاهٍ زاهر على وجهه «لمجد الله الاعظم» وفي اسفل النجم كتابة ثانية هي «تقويم المشرق» انهُ ظهر في مستهلّ سنة ١٩٠٢ لهداية العقول وتقويم اودها فتبعتهُ في سيره نحو فقرأت في محل وقوفه هذه الكتابة «المطبعة الكاثوليكية» ووجدت باباً بديع ظريف الشكل ففتحتهُ بهدوٍ ودخلت المحلّ فوجدت فيهِ اربعة وعشرين لوحاً على احد وجهيها اسماء الذين خلّوا الدنيا وخدموا العائلة التي وقف النجم نفسه قديماً عليها مجاهدين في حبها . وفي الوجه الثاني اسماء الاحياء الذين يقتفون اثر الماضين في خدمة هذه العائلة مع بيان خدماتهم العلمية التي تنفع المشرق وتؤول الى تثقيف ماديّاً وادبيّاً وارتفاعها الى الخالق العظيم من لاهوت وفلسفة وتاريخ وآداب ولغة وفلك وجغرافية وسياحة . والى جانب هذه العلوم اسماء اولاد يسوع والناهجين نهجهم فحار مني الفكر وشكرت النجم الذي هداني الى هذا المحل مع اني لست عالماً في ايماني بل في العلوم المذكورة جميعها . ولما لم يكن عندي لا لبان ولا مرٌّ ولا ذهب استعضت عنها بالحمد والشكر وذكر الجميل وقلت من فرحي وابتهاجي :

بعد الفٍ ثم تسع م مائة واثنين عام
عاد للمشرق نجمٌ نورهُ يمحو الظلام
فيهِ تقويمٌ لعامٍ فيهِ تقويم الانام
وجههُ الزاهي ينادي دون ان يبدي كلام
في العُلى للهِ مجدٌ وعلى الارض السلام

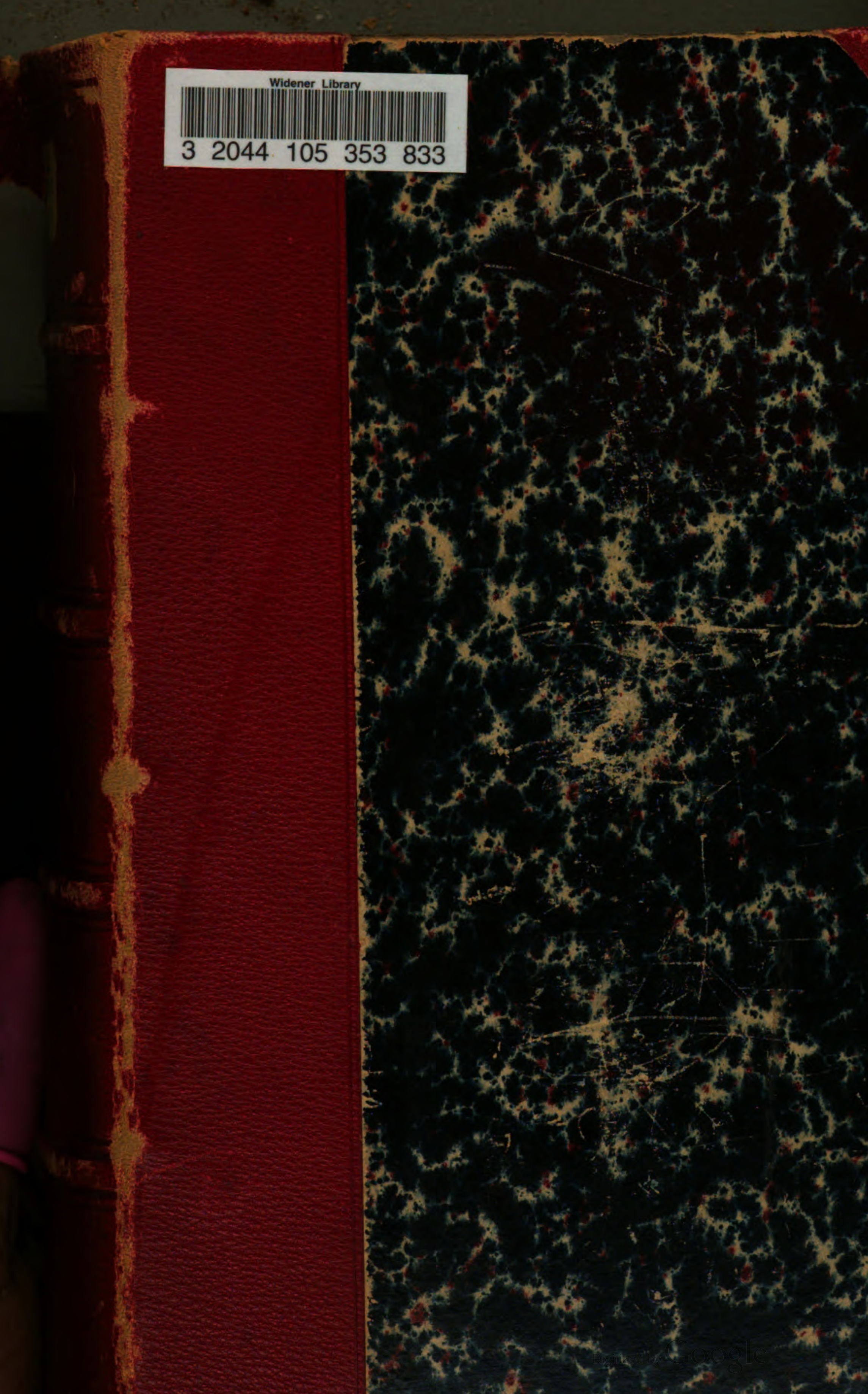
الدكتور
شاكر بك الخوري

قلما ابصرت العين تقويماً كهذا التقويم الجديد في زخرفة البديع والوانه المشرقة ورموه العربية الانيقة الشكل

وقد ارتادت مجلة المشرقة في بدء السنة المقبلة هدية الى مشتركيها فاختارت لهم افضل الطبع وجعلتهُ على صفيحة طولها خمسون سنتيمتراً في عرض اربعين طبعتها على ر بخمسة الوان على هيأة شرقية تفتن الابصار وألصق عليها ٢٤ ورقة تحتوي خلا د السنة الحسابات الثلاثة الغربي والشرقي والهجري مع شروق الشمس وغروبها الحسابين العربي والفرنجي وفسحة خالية يكتب عليها مقتني التقويم ما يريد من يرات . وفي ظهر الاوراق فهرس المقالات التي وردت في المشرق مدة سنيه الاربع كَفَّة في ما يبحث فيهِ من العلوم والفنون المختلفة

أما ثمن التقويم المذكور لغير المشتركين فثلاثة غروش خلا اجرة البريد (البشير)


SIGILLVM ACADEMIAE HARVARDIANAE IN NOV ANG
CHRISTO ET ECCLESIAE
VE RI TAS


Widener Library
3 2044 105 353 833